

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠١٩ — الخميس ٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ ٢٥ يوليو سنه ١٩٦٣ — السنه الحادية والعشرون

الرسالة والثقافة

بقلم الدكتور محمد عبد القادر حاتم
وزير الثقافة والارشاد القومي

مجلة الرسالة تظهر من جديد ، وتعود مع صدور هذا العدد الى أداء رسالتها فى خدمة الآداب والفنون واتاحة ثمرات المعرفة لكل من يريد أن ينهل من معينها الذى لا ينضب ..

وحين أقدم مجلة « الرسالة » الى قراء العربية فى كل مكان أرانى فى غير حاجة الى التعريف بها اذا أخذت فى اعتبارى أن كثيرين من قرائها لا يزالون يذكرونها منذ كانت مدرسة للأدب والفكر ، ومنذ كانت صفحاتها ملتقى لكبار كتابنا وأدبائنا . ولكن كثيرين من أبناء هذا الجيل لم يدركوا « الرسالة » ادراك القارئين وان صادفوها فى طفولتهم ورأوا آباءهم واخوتهم الكبار يحملونها الى بيوتهم ويفرغون لقراءتها فى شغف بما تتيحه لهم من متعة ثقافية رفيعة .. وقد يكون من المفيد أن أذكر لأبناء هذا الجيل أن جميع كتابنا الكبار تقريبا كانوا فى وقت أو آخر من كتاب الرسالة أو قرائها الدائمين ..

واليوم تعود الرسالة الى الظهور بعد طول احتجاب . وقد أثار ذلك تساؤلا لدى نفر من المثقفين ظنوا أننا حين نصدر مجلة الرسالة ومجلة الثقافة من جديد اذا نعود بالتاريخ الى الوراء ، بينما الحقيقة أننا بذلك نحمل مجلة الرسالة عبر سنوات احتجابها ونمضى بها مع ركب التقدم ونصدرها فى ظروف جديدة وفى ضوء جديد وبامكانيات جديدة.

ان مجلة الرسالة التى يطالع القراء عددها الأول اليوم تمتد جذورها الى أعماق التراث الذى أرسته مجلة الرسالة القديمة ، ولكن عقلية كتابها وقرائها وأسلوب تفكيرهم قد طرأت عليهما تغيرات بعيدة المدى ترتبط ارتباطا وثيقا بالتطورات التى شهدتها هذه المنطقة وحياة شعوبها خلال السنوات العشر الماضية ..

اننا لا نعيش الآن بأى حال من الأحوال فى عصر ما قبل الثورة .. وكذلك تفكيرنا والأدب الذى ينتجه أدباؤنا والفن الذى ينتجه فنانونا ، كل ذلك يختلف اختلافا جوهريا عن الفكر والأدب والفن قبل الثورة . وهذا هو ما تعبر عنه مجلة الرسالة اذ تحتفظ من الماضى بأجمل ما فيه دون بكاء عليه ، وتنطلق مع الحاضر المجيد بكل ما فيه من قوى الدفع الثورى ..

وليست « الرسالة » وحدها هى التى تعود الى الظهور ، بل تصدر أيضا مجلة « الثقافة » وقراء « الرسالة » يذكرون « الثقافة » أيضا فقد تعاصرتا زمانا ، وكان لكل منهما طابع ومدرسة من الكتاب والقراء ، وان كان كثيرون من المثقفين كانوا من قراء المجلتين وهؤلاء يذكرون أن المجلتين لم تكونا نسختين متكررتين من شىء واحد . كذلك لن تكون « الرسالة » و « الثقافة » الجديدتان شيئا واحدا وان كانت رسالتهما هى رسالة الثقافة والفكر والمعرفة .. ان كلا منهما ستحتفظ بلون خاص يميزها من الأخرى . ولاشك أن القراء سيلمسون هذا الفارق فى الزاوية التى تتناول منها كل من المجلتين مختلف الموضوعات والقضايا فى مجالات الأدب والفن والمعرفة ، ولكن الاتجاه سيظل واحدا وهو الاتجاه الى أن تكون الثقافة للشعب ..

اننى أقدم اليوم الى الأمة العربية دعامة راسخة للثقافة العربية وسيلتقى فيها القراء ، سواء منهم من أدركها فى ثوبها القديم ومن يراها للمرة الأولى ، بالصفوة من الكتاب والأدباء ، وستتفتح على صفحاتها براعم جديدة تسير بها الى الأمام لتشق للثقافة العربية الأصيلة المتطورة معا أوسع طريق نحو الأهداف الثقافية للتطور الثورى للأمة العربية.

ان الثقافة جزء لا يتجزأ من أسلوبنا فى الحياة بل هى كما يقال : « ذلك الشىء الذى يجعل الحياة جديرة بأن نحياها » ..

وستكون المجلتان ، كل بطريقتها ، فى خدمة الشعب وفى خدمة الحياة ووسيلة الى جعلها جديرة بأن نحياها ..

محمد عبد القادر حاتم



وأخيراً عادت الرسالة

بقلم أحمد حسن الزيات

عادت الرسالة الى السفور بعد أن ظلت محتجبة عشرة أعوام وراء الغمام لا يظهر من ضوئها فى القلوب ، الا كما يظهر من ضوء الشمس بعد الغروب : أثر يذكر بالعين ولا يؤثر ، ورمز يشير الى المعنى ولا يعبر ، وذكرى ترف على القلوب المشوقة رفيف الندى على الأوراق الذابلة فتحييها ساعة فى نضرة النعيم الذاهب .

وكان العرب فى تلك الفترة لا يزالون يفتقدونها كلما دجا الظلام واستبهم الطريق ، فالمجاهدون فى سبيل العروبة ، والسائرون فى طريق الوحدة ، كانوا يتمنون لو أضيف نور الى نور ، واتصل شعور بشعور وانضمت قوة الى قوة . وكان كتاب الرسالة فى كل قطر من أقطار العرب يرون مكانها خاليا فى صفوف الجهاد القومى والزحف الثورى فيحزنهم ان يجدوا السيف ولا يجدوا الميدان ، ويملكوا القلم ولا يملكوا الصحيفة ، وكنت أسمع من حين الى حين أمانى الزعماء والأدباء والقراء تتجه الى عودة الرسالة ويسألوننى أن أستجيب الى هذه الأمانى فيشق على الا أجيبهم الى ما يسألون ، لأن تقدم سنى وتأخر صحتى يجعلان هذه الاستجابة وراء قدرتى وفوت يدى . فلما قضى نظامنا الاشتراكى القائم أن يكون للرسالة نصيب من عون الدولة ارفض عنى وهن الشيخوخة واندفعت الى المعترك المشترك تحت اللواء الذى انضوى اليه كتاب العروبة ورواد الوحدة منذ ثلاثين سنة .

***

عادت الرسالة اليوم الى قرائها ومعها ما كانت تحمل من أقباس النبوة وأنفاس العروبة وآمال الشرق . والاسلام والعروبة والشرق هى الاطار الذى يحيط بالصورة العامة لمنهاج الرسالة . أما أجزاء الصورة وملامحها ودقائقها وألوانها وظلالها فهى تمثل تطبيق الدين على أصح وجه ، وتجديد اللغة على أوفى دلالة ، وتطوير الأدب على أسلم وضع وتوجيه الاصلاح الى خير غاية ، وجمع العرب على أوثق وحدة ، وربط الجديد بالقديم على أحكم بصيرة ، ووصل الشرق بالغرب على أهدى طريقة . وذلك ما حققه كتابها وصدقه قراؤها من يوم أن سفرت فى يناير سنة ١٩٣٣ الى يوم أن احتجبت فى فبراير من سنة ١٩٥٣

***

عادت الرسالة اليوم الى المكان الذى اختفت فيه منذ عشرة أعوام لترى الدنيا غير الدنيا والعرب غير العرب والمجتمع غير المجتمع وشجرة الحرية التى

غرستها الثورة فى ذلك الحين قد رسا أصـــلها فى الأرض ، وسما فرعها فى السماء ، فتفيأ ظلها المحرور ، واجتنى ثمرها المحروم . ثم انشعبت من هذه الدوحة المباركة أدواح ست تضمنت سر المبـادىء الثورية الستة ، كما تتضمن النواة سر النخلة السحوق فجعلت من الأرض الطيبة كلها جنة سماوية أكلها دائم وظلها وارف ، ونعيمها مقيم يتمتع فيهـا المؤمنون بالوطن والمصدقون بالثورة بالعيش الرضى ، والوجود الآمن والاخاء الخالص والرزق الطيب والحياة الكريمة . ثم جاء الميثاق الوطنى فشق من أصول هذه الأدواح أصولا ، واشتق من هذه الأصول فروعا ، وشعب من هذه الفروع أغصانا ومن هذه الأغصان أفنانا ، ثم أنبت بجانب كل ورقة زهرة ، وعقـد على كل زهرة ثمرة ، فأحاط علما بكل شىء ، واقترح حلا لكل مشكل ، ونهج خطة لكل غاية ، ووضع تطبيقا لكل قاعدة ، فكان دستورا محكما للمجتمع الاشـتراكى الجديد يصدر عنه كل تشريع ، وينبثق منه كل نظام ، وتجرى عليه كل سياسة

***

عادت الرسالة اليوم لترى العرب الذين جثم على صدورهم كابوس الاستعمار عشرات السنين فشل حركتهم ، ومزق كلمتهم ، واغتصب ثروتهم قد تخلصوا منه بالجهاد والصبر ، فتحررت العراق من طغيـان الفرد والجزائر من رق المستعمر واليمن من بغى الامام ، وتحطمت السدود القائمة بين أجزاء الوطن الأكبر فتلاقى الاخـــوة على الطريق المؤدى وهو التعاون ، وتوافق القادة على الغاية المرجوة وهى الوحدة ، فنحمد الله على أن أسـفر جهادنا الجاهد فى هذه السبيل عن هذا الفوز .

***

عادت الرسالة اليوم لترى الوطن الحبيب وقـد تحرر من كل دخيل ، وتطهر من كل عميل ، وتخلص من رواسب الماضى ، وتجهز لمطـــالب الحاضر ويد الثورة القوية المباركة تبنيه من جديد على اساس من العدل والكفاية ، وسناد من العلم والخبرة وعماد من الخدمة والانتاج ، فالتعليم ينتشر والبلاد تصـــنع والكنوز تستخرج ، والمواهب تستغل والعمران يستبحر والاقتصـــاد ينمى والنيل يحـكم والصحراء تخضر والاقطاع يزول ، والأجير يملك ، والدخل يتضاعف والوسائل الانتاجية تؤمم ، والخدم الاجتماعية تعمم ، والدفع الثورى يدفع كل شىء وكل شأن فى كل اتجاه ، وصوت الجمهورية العربية المتحدة يرتفع مسموعا مقدرا فى اذاعات العالم ومؤتمرات الدول ، وحكومات الشرق والغرب تحمل الوفا ق فى كل خلاف ، والسلام فى كل خصومة ، وأفريقيا المظلمة يتسرب اليها نور الثورة المصرية فترى ، ويمضها التخلف الاجتماعى فتسمى ، ويروعها التفرق السياسى فتتحـد ، وتلوذ بأكناف النهضة الناصرية لتلتمس القوة والقـدرة والتوجيه . كل أولئك حدث فى الســنين العشر التى غابتها الرسالة عن الوجود ، فهى اليوم اذ تعود وأمة

العرب على هذه الحال ، تجد فى نفسها شعور الغبطة بمشاركتها فى هذه النهضة الواعية بالكلمة الهادية والرأى النضيج ، والعزم الصادق ، وتهيب بكتابها الأحرار الأبرار أن يعودوا الى صفوف الجهاد فى مجلتهم التى جعلوا منها ريادة لنجمة الحق وهداية لطريق الاصلاح ، ودعاية لفكرة الوحدة ، ليواصلوا أداء الرسالة بعقول متحررة وأفكار متطورة وعدة جديدة

***

عادت الرسالة اليوم لترى اللغة وقد طغت عليها عامية الأسلوب ، والأدب وقد بغت عليه ضلالة الفكر ، فالتعبير السليم يعتل ، والمذهب المستقيم ينحرف ، والعمود الشعرى ينهار ، والبيان العربى يغيم ، والبدع الكتابية التى ابتدعها الغرور أو الشذوذ تحاول أن تضرب على القصة والمسرحية والقصيدة نطاقا من الضباب والخطل يجعلها ضربا من الألغاز والمعاياة والشعوذة تكد الذهن وتبهم القصد وتعنى القارىء • فتسأل فى استغراب ودهشة : ما بال بعض كتابنا يكرهون لغتهم على الرمز والعربية بنت الشمس الضاحية ، ويجردون أدبهم من العقل والعقل طبيعة الفطرة السليمة ، ويستفرغون قصصهم من اللاوعى • والوعى ميزة الانسان السوى ؛ ويتجاهلون أن الكاتب يكتب ليفهم ، وأن القارىء يقرأ ليفهم ، وأن التجديد اندفاع الى الأعلى لا ارتداد الى الأسفل ، ولكن الرسالة تسأل وعلى لسانها الجواب • وجوابها أن اللغة فى سلامة وأن الأدب بخير ، لأن الشذوذ لا يكون حكما والاستثناء لا يبنى قاعدة • ومادام المنطق قانون الفكر ، والفكر سبيله الوضوح ، والوضوح غاية البلاغة ، فان المذاهب الأدبية المنحرفة هباء ستبدده الريح وغثاء سيجرفه السيل

***

والرسالة اذ تعود اليوم لتفتح سفارتها الأدبية بين العرب ، ومحرابها الروحى بين المسلمين ؛ تجدد العهد لقرائها المخلصين أن تكون فى عهد الاشتراكية السائد ، كما كانت فى عهد الاقطاع البائد ، مستقلة الرأى حرة الكلمة ، لا تستعين بغير الله ، ولا تستلهم غير الحق ، ولا تمالق شهوات العامة ، ولا تمالىء نزوات الخاصة ، ولا تميل عن مكانها الوسط لا يمنة ولا يسرة ، (فان اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هى الجادة : عليها باقى الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة ، واليها مصير العاقبة) (١) •

وبعد فانبدأ الآن المرحلة الحادية والعشرين من طريق الرسالة الطويل ، سائلين الله أن يجنبنا مزالق الزلل ويهدينا سواء السبيل

احمد حسن الزيات

(١) من كلام الامام على رضى الله عنه

من أدب القرآن

قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا)

منهج الإسلام فى تكوين الفرد

للأستاذ محمد محمد المدنى

ان أقوى المناهج لتكوين الفرد فى أمة من الأمم هو المنهج الذى يجعل منه انسانا صالحا فى نفسه ، وصالحا بالنسبة لمجتمعه .

والاسلام يكفل للفرد منهج الصلاحية فى الجانبين :

فان أول ما يعنى به الاسلام فى تربية الأفراد ، هو غرس حقيقة الايمان فى قلوبهم ؛ واذا قلت الايمان . فلست أقصد مجرد العقيدة الباطنية التى لا تنعكس آثارها على الأعمال ، ولا يكون لها توجيه للجوارح ، وانما أقصد الايمان الذى لا تفارقه آثاره الايجابية ، وتوجيهاته العملية ، والذى يصوره القرآن الكريم حيث يقول « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

فهذه الآيات الكريمة تصف المؤمنين باعتبارهم أفرادا صالحين لتبوىء المنازل الرفيعة والمغفرة والرزق الكريم فى الدنيا والآخرة ، بمجموعتين من الصفات :

أحداهما : فى جانب العقيدة التى هى الأساس الأول للفضائل النفسية ، والملكات الخلقية .

والأخرى : فى جانب العمل الذى هو الآثار للفضائل النفسية ، والملكات الخلقية .

فالمؤمن الحق : هو الذى يمتلىء قلبه اجلالا وهيبة ، حين يذكر ربه ، فلا يمكن أبدا أن يؤثر على الله شيئا ، لأن الله فى نفسه ، وفى الواقع الذى يؤمن به حق الايمان ، هو أكبر وأجل من أن يؤثر عليه شيئا ، فاذا وقف بين الحق والباطل ، لم يسعه الا أن يكون فى جانب الحق ، واذا خير بين العدل ، والظلم ، أو بين الحرب والسلم ، لم يسعه الا أن يكون فى جانب العدل ، وأن يجنح للسلم ؛ لأنه يؤمن بأن الله تعالى هو مصدر صفات الكمال العليا المعروفة فى لسان الشرع « بالأسماء الحسنى » : فهو الحق ، وهو العدل ، وهو السلام .. وهكذا .

فوجل القلوب عند ذكر الله هو الحاجز الذى يحجز المؤمن عن أى لون من ألوان الانحراف عن مثل الخير والصلاح والعدل والحق التى تمثلها صفات الله جل جلاله ، وشعور المؤمن حين تتلى عليه آيات الله بالراحة النفسية ، والاطمئنان القلبى ، والتلذذ بالفضيلة ، والتصديق بالمثل العليا . هو مظهر ازدياد الايمان فى قلبه ، وترسخه فى نفسه ، فكأن شجرة الايمان تروى بآيات الله ، فتحيا وترسخ جذورها ، وتسمق فروعها ، وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

أما التوكل على الله الذى هو ثالث صفات هذه المجموعة ، والمذكور بقوله تعالى « وعلى ربهم يتوكلون » ، فهو عقيدة من شأنها التثبيت والتقوية والدفع الى الأمام ، ويخطىء من يظن ان هذه العقيدة توقف المرء فى حياته موقفا سلبيا ، فان هناك فرقا بين التوكل والتواكل .

ان التوكل هو أن تثق بأن الله تعالى هو صاحب الأمر الذى لا يشاركه أحد سواه ، وأنه لو أجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك ، لم ينفعوك الا بشىء

كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك ، واذا كان الأمر كذلك فليس عليك الا أن تلاحظ رضا الله ، وتلتزم أمره ونهيه ، وتترسم صراطه المستقيم فيما تقبل عليه أو تنصرف عنه ، معتقدا أنه لا حول ولا قوة الا به ، وانك فى حماه الآمن ما دمت صادقا فى الاحتماء به ، واللجوء اليه ـ اذا كنت كذلك كنت متوكلا على الله حق التوكل ، وكان هذا التوكل قوة دافعة لك ، باعثة لنشاطك وهمتك ، مقوية لارادتك وعزيمتك ، منحية لجميع العقبات التى تقف فى طريقك ، طاردة لجميع الهواجس التى من شأنها أن تضعف العزمات ، وتزلزل النوايا .

وهذا شيء مخالف كل المخالفة للتواكل الذى هو التراخى والهبوط ، والاكتفاء بالأمانى ، والتخوف من الاقبال على الأعمال النافعة تأثرا بالأوهام التى تصاحب من لم تطمئن قلوبهم بالايمان ، فهم فى حيرة من أمرهم ، لأنهم فى شك من ربهم : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم »

واذن فهذه المجموعة العقيدية الثلاثية التى يريد الله من المؤمن أن يستمسك بها ، انما هى فى الحقيقة جزء أساسى من المنهج الاسلامى لتكوين الفرد تكوينا نفسيا من شأنه أن يجعل منه شخصية ايجابية فعالة فى جانب الخير والصلاح والسلوك القويم ، لا شخصية منحلة متزلزلة تهولها الصعاب ، وتردها الأحداث ناكصة على أعقابها ، فتعيش ما عاشت منطوية منكمشة عن أى مجال من مجالات التقدم والعمل النافع .

واذا كانت هذه المجموعة الأولى من الصفات التى جاءت بها هذه الآيات ، لها ما بيناه من الآثار الطيبة فى الاصلاح النفسى ، والتوجيه العلمى ، فان المجموعة الأخرى تمثل حارسين أمينين لهذه النفس التى كونت على الايمان بالله .

فالحارس الأول : هو اقامة الصلاة المذكور بقوله تعالى : « الذين يقيمون الصلاة »

واذا كانت الصلاة حارسا للايمان ، لأنها هى الصلة اليومية المتكررة بين العبد وربه ، وحسب المصلى الخاشع فى صلاته ، أنه يفتتح هذه الصلاة بالحقيقة الصادقة التى هى من أول شعائر الاسلام ، وهى « الله أكبر » فهو يفتتح صلاته بها ، وينتقل من ركن الى ركن بتكرارها : فاذا ركع قال « الله أكبر » واذا رفع قال الله أكبر واذا سجد قال الله اكبر واذا قام قالها ، واذا جلس قالها ، وهكذا يكررها فى الصلاة الواحدة عدة مرات فى عدة ركعات ، ثم يكرر الصلوات فى اليوم الواحد خمس مرات ، فكأن هذا الشعار الذى لايكاد يفارق المؤمن طول يومه ، هو حارس الايمان ، ومقويه ، ومثبته فى قلوب المؤمنين .

هذا الى أن الصلاة لها أثرها التوجيهى الى الأعمال الصالحة ، وايحاؤها القوى فى النهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك يقول القرآن الكريم « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » ويقول « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقد أثبت الله تعالى « الويل » للمصلين الذين يغفلون عن مقتضيات صلاتهم من الاتجاه الى الأعمال الصالحة فقال « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » فان أحسن تفسير لهذه الآية الكريمة ، هو أن المراد بقوله جل شأنه « الذين هم عن صلاتهم ساهون » هم الذين يصلون الصلاة دون أن يلتفتوا الى مقتضياتها وأنها تأمر بالخير ، وتنهى عن الشر ، فكأنهم انما يأتون بمجرد حركات واقوال لا أثر لها فى نفوسهم ، وهؤلاء لا تنفعهم صلاتهم ، بل تكون شاهدة عليهم ، وحجة حين يحاسبون ، فيقال لهم مثلا : ألم تكونوا تقفون كل يوم بين يدى الله تكبرونه وتسبحونه فكيف غفلتم عن أن معنى تكبير الله هو عدم ايثار شىء عليه ، وكيف غفلتم عن الايحاء الذى يوحى به السجود لله ، وهو الخضوع لأمره ، والتذلل التام له ، وأن مقتضى ذلك ، هو عدم المراءاة وعدم (منع الماعون) الذى هو رمز التعاون الاجتماعى بين الناس تحقيقا لأمر الله .

ثم اننا اذا تأملنا « صلاة الجماعة » وجدناها توحى بوحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووحدة الاتجاه ، ووحدة القيادة :

فوحدة الصف تتجلى فى وقوف المصلين صفوفا متراصة مستوية لا اعوجاج فيها ، فكأن الله تعالى يطلب اليهم فى كل صلاة أن يكونوا متوحدين متكتلين يقفون فى حياتهم صفا واحدا ، كما يقفون بين يدى ربهم صفا واحدا .

ووحدة الهدف تبدو واضحة فى أن المصلين جميعا ليس لهم الا هدف واحد ، هو أن يقبل الله عبادتهم وخضوعهم وخشوعهم . ولا تجد أحدا يدخل فى صلاته الا وهو مستهدف هذا الهدف ، فكأن الله تعالى يوحى الينا بذلك أن تكون أهدافنا فى حياتنا ، واتجاهنا فى جميع أعمالنا ، ونياتنا ومقاصدنا ، كلها متوحدة حول هدف واحد هو ابتغاء مرضاة الله ، بأن نسير فى طريق الخير والحق والعدل والصلاح .

ووحدة الاتجاه تتجلى فى أن جميع المصلين يقفون متجهين الى القبلة ، لاترى احدا منهم موليا وجهه عنها ، وهكذا يجب على المؤمنين أن يكونوا فى حياتهم ، كما يكونون فى صلواتهم .

أما وحدة القيادة ، فمظهرها الرائع فى أن المصلين جميعا يصلون خلف امام واحد منهم ، يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويقومون بقيامه ، ويجلسون بجلوسه ، ويستمعون الى قراءته ، ويؤمنون على دعائه ، ويسلمون بسلامه ، وهذا يدل على أن الله تعالى يحب أن يكون المؤمنون على هذا الوضع فى حياتهم .

***

أما الحارس الثانى ، فهو الذى يدرأ الشح عن نفس المؤمن ، ويبعثه الى أن يكون منفقا مما رزقه الله ، وذلك هو قوله تعالى « ومما رزقناهم ينفقون » ولاشك أن الانفاق والبذل تضحية ، ولا تكون التضحية الا حيث يكون الايمان ، وأن الانسان حين يمرن على البذل والانفاق فى سبيل المجتمع يقوى ايمانه ويتحصن دون العوامل التى تضعفه .

ذلكم هو منهج الاسلام فى تكوين الفرد الصالح بالنسبة لنفسه ، وبالنسبة لمجتمعه ؟

محمد محمد المدنى

نحن واليمن

للدكتور محمد أحمد خلف الله

لقد حددت ثورة اليمن معالم الصراع القومي في هذه المنطقة من العالم العربي تحديدا كافيا ، فلم يعد هناك من يخفى عليه أن هذه الثورة لم تكن الا التعبير الصارخ عن ذلك الحوار الفكري الذي كان يدور في صمت بين طائفتين من الناس حول حق الفرد اليمني في الحياة الحرة الكريمة. فلقد كانت هناك طائفة تمضي على أن الحق كل الحق للامام وأن ليس لأي فرد يمني حق من الحقوق الا بمقدار ما يرضى عنه الامام . وتمضي هذه الطائفة في القول الى حد اعتبار أن حق الامام في ذلك حق مقدس لا يمس ولا ينال بسوء . وأن قداسته هذه تجيئه من أنه حق موروث منذ مئات السنين . وأنه حق يستند الى عقيدة دينية تربط الامامة في اليمن بالزيديين من أبناء هذا الشعب العربي .

أما الطائفة الثانية فتذهب الى أن الحق كل الحق انما هو للفرد اليمني وأن الامام ليس له من الحقوق الا بمقدار ما هو مواطن صالح . أما القول بالقداسة فليست الا من الترهات والأباطيل التي يقصد منها خداع الشعب وتضليله والتغرير به . فالاسلام لا يقر احتكار الامامة في طائفة بأعيانها وانما يراها حقا لكل مسلم يفضل غيره بالصلاح والتقوى وحسن معالجته للأمور . والاسلام لم يقل أبدا بأن الشعوب تورث كما تورث الأنعام والسوائم . انه لم يقل أبدا بأن الآباء يورثون الأبناء الأمم والشعوب كما يورثونهم المتاع .

وهذه الطائفة هي التي اتخذت من الثورة وسيلتها للقضاء على هذه الترهات . ولرد حقوق الشعب اليمني اليه . وللعمل على أن يحيا المواطن اليمني حياة حرة كريمة .

***

والثورة اليمنية حين حددت معالم الصراع القومي في هذه المنطقة من العالم العربي حددته أيضا في غيرها من بقية بلدان العالم العربي فقد رأينا انقسام هذا العالم الى فريقين . فريق يؤيد الثورة ويحميها ، ويمدها بالعتاد ليمكن لها حتى تبلغ أهدافها وذلك هو فريق الدول الجمهورية . وفريق آخر يعارض هذه الثورة فيمكر بها ، ويكيد لها ، ويعمل على القضاء عليها . وذلك هو فريق الدول الملكية .

والموقف على هذا الأساس ليس بالغريب ولا الشاذ فالجمهوريون هم الذين يؤمنون بالعروبة باعتبارها حركة تقدمية ثورية ومن هنا كانت نصرتهم الثورة اليمنية التي آمنت بمثل ما آمنوا به من وسيلة واعتنقت بمثل ما اعتقدوا به من غاية . ان الأهداف واحدة وطريقة الوصول اليها متماثلة .

أما الملكيون فيؤمنون بالعروبة باعتبارها حركة سلفية رجعية ومن هنا كانت معارضتهم للثورة ومساندتهم للنظام القديم الذي يمثل ما اعتادوا عليه من نظم بالية وتقاليد رثة .

***

والجمهورية العربية المتحدة قد وقفت الى جانب الثورة منذ اللحظات الأولى وأمدتها بالعون والمال ، وعملت على التمكين لها بكل ما أوتيت من قوة . وهي لم تفعل ذلك اعتباطا أو لأغراض شخصية ، وانما فعلته مسوقة اليه باعتبارات ثلاثة . خلق عربي أصيل . وتاريخ عربي مجيد . وايمان قومي عميق .

١ والخلق العربي الأصيل يتمثل في خلق

النجدة . فالعربى القديم كان ينجد أخاه . ينجده قبل أن يعرف حقيقة الموقف . ينجده فى همة ونشاط لا فى كسل أو ملل . والقول المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى يقول : انصر أخاك ظالما أو مظلوما . والعربى القديم هو الذى يقول :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
فى النائبات على ما قال برهانا

ثم هو الذى يقول :

اذا القوم قالوا من فتى خلت أننى
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ونحن لم نكسل ولم نتبلد وان كنا قد سألنا أخانا اليمنى برهانا . انا لم ننجد الثورة اليمنية الا ونحن نعلم أنها قد قامت لتحقيق مقاصد قومية نبيلة .

لقد قامت الثورة اليمنية لتقضى على النظام الملكى الذى أصبحت الأمة العربية فى غير حاجة اليه بحال من الأحوال ، ولترد الى الشعب اليمنى حقوقه ، ولتمكن للفرد اليمنى من الحياة الحرة الكريمة .

ان القضاء على النظام الملكى فى حد ذاته مقصد نبيل . فكيف اذا كانت الملكية رجعية ، جاهلة ، فاسدة ، كملكية الامام أحمد وأهل بيته .

ان الأمة العربية يزعجها اليوم أن ترى نفسها ميراثا لكل أحمق أو أبله أو صبى يبول على عقبيه . وان الشعوب العربية اليوم يزعجها أن يحكمها انسان كل ميزته أنه ولد لأبوين ملكيين ، أو لأب ملكى وأم غير ملكية . وأنه الابن الأول للملك السابق .

ان العقل العربى يستبعد اليوم أن يحكمه طفل رضيع أو جنين لم يولد بعد مهما أقاموا من حوله الأوصياء . انه لا يؤمن الا بفرد منه له مواهبه وقدراته ، وله كفاياته الخاصة فى الحكم وفى تسيير دقة الأمور

لقد قامت ثورة اليمن من أجل تحقيق ما تؤمن به الأمة العربية ، وما تقره الشعوب العربية ، وما يرضى عنه العقل الواعى المثقف .

***

٢ ـ والتاريخ العربى المجيد يكشف عن روابط قوية متينة . روابط ترجع فى تاريخها الى ذلك الزمن الذى تفرقت فيه الدول العربية الى دول ، وانتهت فيه الخلافة العربية الى خلافات . روابط ترجع الى قيام الخلافة الفاطمية فى مصر . واستقرار الأمور فى مصر للشيعة وللمذهب الشيعى .

لقد نشط الاسماعيليون فى اليمن نشاطا لا حد له منذ قيام الخلافة الفاطمية فى مصر . وأخذوا يدعون لها سرا أولا وجهرا ثانيا . ثم أقاموا دولة تخطب باسم الخليفة الفاطمى وتدعو له . كانت هذه الدولة هى الدولة الصليحية وكان هذا الخليفة هو المستنصر بالله الفاطمى . ومضت الأمور فيما بعد على أن يحكم الحاكم بلاد اليمن على أنه نائب الخليفة .

وحين قضى صلاح الدين على الفاطميين فى مصر بسط سلطانه على البلاد التى كانت تحت السيادة الفاطمية وكان من أول هذه البلاد اليمن اذ بعث اليها أخاه توران شاه على رأس حملة قضت على أنصار الفاطميين وأعادت الخطبة للعباسيين .

ومضت الأمور بعد ذلك على هذا الأساس سواء فى أيام المماليك أو فى أيام من جاءوا من بعد . وكانت اليمن تستنجد بحكام مصر كلما طمع فيها طامع أو غزاها غاز من داخل الأرض العربية أو من خارجها . وعقدت فى ذلك اتفاقيات نورد منها ذلك الأمان الذى كان من الملك المنصور قلاوون حاكم مصر الى سلطان اليمن الملك المظفر شمس الدين .

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمان الله سبحانه وتعالى وأمان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأماننا لأخينا السلطان الملك المظفر شمس

الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن المحروس • انا داعون له ولأولاده • مسالمون من سالمهم • معادون من عاداهم • ناصرون من نصرهم • خاذلون من خذلهم • لانرضى له ولأولاده الا مارضيناه لأنفسنا• وانا لا نقبل فى حقه سعاية ساع ولا قول واش ، ولا تناله منا مضرة مدى الدهر وأعمارنا ـ مادام ملازما لشروط مودتنا التى شافهنا بها الأمير مجد الدين رسوله) •

ولم يقف الأمر عند هذه الحدود وانما تعداه الى الوقت الذى أصبح فيه الوهابيون خطرا على الدولة اليمنية • عند ذلك استنجدت اليمن بالدولة العثمانية • وأنجدتها هذه بمصر ـ بمحمد على • وبعث هذا بالجيش المصرى الذى كان على رأسه ابراهيم باشا الذى دحر الوهابيين وردهم بعيدا عن أرض اليمن •

ان الروابط التاريخية بين اليمن ومصر كانت أقوى منها بين اليمن وأى بلد عربى آخر لأنها هنا تقوم على المذهب الدينى وتقوم على المصالح المشتركة التى تبدأ بالملاحة ، والأعمال التجارية ، وطرق النقل الجوى والبحرى وتنتهى بالمكاسب والعوايد المالية•

٣ ـ أما الايمان القومى العميق فينبت من أننا والشعب اليمنى أبناء أمة واحدة هى الأمة العربية • وأن مصر واليمن جزءين من وطن واحد هو الوطن العربى الذى يمتد من المحيط الى الخليج • وأن ايماننا لهذا يشكل عقيدة قومية تدفع الى القضاء على التجزئة التى خلقها الاستعمار ومكن لها بالروح الاقليمية ، ولن يتسنى لنا ذلك الا بالقضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار من ملكيين ، واقطاعيين ، ورجعيين ، ومن اليهم من كل من يثبت التجزئة ويمكن للاقليمية •

ان الوحدة العربية لن تتم الا بالتحرر من كل سلطان الا سلطان الشعب على نفسه • والتحرر فى هذا الميدان انما يعنى التحرر من الاستعمار وأعوانه ومن الظلم الاجتماعى الذى يقع على أبناء الأمة العربية فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى •

ان القومية العربية تعمل على تحقيق أهداف تقدمية وتتخذ من الثورة سلاحا لتحقيق هذه الأهداف ، وليس من المعقول بحال من الأحوال أن ترى مصر وهى قاعدة النضال العربى ومنطلقة منذ القدم ـ شعبا من الشعوب العربية يسعى فى سبيل الحرية ثم يقف منه موقف المتفرج الذى لا يعنيه من الأمر شيئا •

لقد وقفنا من قبل موقف المتفرج وكانت النتيجة القضاء على الثورة والابقاء على حكم آل حميد الدين •

اننا اليوم غيرنا بالأمس • اننا اليوم نقود الحركات التقدمية وتؤازرها وموقفنا من اليمن هو موقفنا من كل بلد عربى يسعى الى التحرر ويتخذ من القومية العربية عقيدة • ومن الثورة فى سبيل تحقيق الأهداف القومية والعدالة الاجتماعية سلاحا •

***

بقيت آيات من القرآن الكريم أتوجه بها الى أولئك الذين يحبون أن يهتدوا بهدى القرآن •

منها قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض • أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • وقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » صدق الله العظيم •

محمد أحمد خلف الله

صلوات فكر في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

عبور فضاء النفس :

في النفس البشرية فضاء من الحيرة والشك والغموض ، أشبه بالتيه الذي لا حدود له والخراب الذي لا أنيس فيه ..

ولا يقدر على اختراقه الا من مرن على علوم ورياضيات للنفس كالعلوم والرياضيات التي مرن عليها رواد الفضاء بالجسم ..

ولا مفر لنا ، نحن بني الانسان ، في هذه الأيام التاريخية التي بدأنا فيها أن نعبر بأجسامنا الفضاء الكوني حول الأرض على درب النجوم ، أن نعبر في ذات الوقت فضاء النفس البشرية ، لندرك بقلوبنا وتتذوق بوجداننا قيمة ذلك الأمر الخطير الجليل الذي تعمله بعبور الفضاء الكوني ، فلا نكون آلات لا وجدان لها تركب آلات صماء عمياء لا وجدان لها.

ولا نرتفع الى حدود عالم الملأ الأعلى بصغارات الملأ الأدنى ومغالاته وحماقاته ، فننقل الى تلك الرحاب العلوية الساكنة الهادئة ، وحوش الشر والشك والقلق والاثم والاضطراب ، التي أكلت قلوبنا وأكبادنا وشقينا بها على الأرض في الدهر الأطول الذي مضى ..

وقد علمنا نبأ مركبنا الذي عبرنا به بالجسم الى الفضاء الكوني ..

ورأيناه مركبا من الحديد والفولاذ يوقد من أقوى عوامل تقذف النار احتدام المادة واضطرامها ، تلك العوامل التي تنطلق بذلك المركب بقوة وسرعة تكاد تساير سرعة الخيال .. بحراسة حشد من آلات العلم الأمينة الدقيقة التي صحبت الانسان راكب الصاروخ لتحسب أنفاسه ونبضات قلبه وخلجات أعضائه ، وتنقل صوته وصورته وحركته ومشاعره ورغباته ووساوسه لأولئك العلماء الذين أطلقوه وقعدوا يرصدونه ويحركونه ويرجهونه ويرونه ويسمعونه على لوحات التليفزيون و « آلات الرادار » وغيرها من مراصد العلم .

أما مركبنا لعبور فضاء النفس البشرية والوصول منه الى ما وراءه من عالم الروح والملأ الأعلى الذي يعمر ما وراء ذلك الكون الكبير ذي الأبعاد والأرقام الفلكية والمقاييس الضوئية .. فهو الايمان بسيد الكون وبما خص به ذلك الانسان الذي نحمله جميعا في أجسامنا ، ونستوحيه في أفكارنا ونبادله ما صح وما فسد من شئوننا !..

الانسان الذي رأينا من « عدسات » عقول أنبيائه وأصفيائه وقلوبهم ، نور الله خالق الطبيعة وسيد الكون .. وسمعنا من صحفهم وكتبهم وأحاديثهم عن ذاته العليا وعن الكون والحياة والانسان ..

وأنسنا بلقائه في نواديهم ومعابدهم التي أقاموها للتعرف اليه والتعبد له ..

وتلقينا منه بوساطتهم قصة الغايات العليا من وجودنا ، والخطوط المستقيمة لحياتنا . فكانوا لنا في سالف الدهر ، حين طفولتنا وعجزنا وقصورنا بمكان الأمومة الحانية الفادية الراعية المربية التي طوعت من طبيعة طفولتنا العصية ، وروضت من أخلاقنا الوحشية ، وهذبت من معاملتنا الجافية .

وقد سطع من أفقهم فجو ضميرنا الذي هو أعظم محكمة يعمرها صوت الله وصوت الوجود كله بكلمات العدالة والرحمة والسلام وادانة الذات .

الانسان الذي رأينا من عدسات عقول علماء أبعاد الكون الكبير وقوانينه وأسرار القوى الدافعة الها ئلة التي تحركه وتسوقه وتحكمه وتجدده .. ثم سخرنا بعض قواه الجبارة وركبناها بقدرة وعزم وشجاعة ، ومازلنا نحاول أن نختزل المسافات والأبعاد

وتنقل الصورة والصوت والحركة فى جنبات الأرض والفضاء حتى تأتى لنا ذلك فى لمح البصر . ثم لم يبق لنــــا الا نقل الجسم بتلك السرعة فى المراكب الصاروخية التى جعلنـــــاها غلافا لأجســـامنا التى لا تطيق تلك السرعة الصاعقة ، وما ينتظر لها من مزيد لتنتقل بهـــا من مكان الى مكان فى لمحــات ، قياسا على نقل الصورة والحركة والصوت .

فما بال أقوام لايزالون ضالين فى فضــاء النفس البشرية ومتاهاتها ، يهدرون قيمة الكون بانــكار وجود سيده .. أو يهدرون قيمة الانسان ويقطعون ما بينه وبين سيد الوجود من أسباب ، ويظنونه دعيا مدعيا ، يرسل مزاعم الغرور فى العلم والدين والقدرة والسمو بدون دليــل ، ويطلقون فى وجهه أحاديث التشاؤم والتحقير من شأنه والتقليل من قيمة جهده وعمله فى التكوين والتخريب والتسخير والتربيب ، ويحطمون قيم ما صدر عن أنبيائه وعلمــــائه من أحاديث عن الله وعن الكون والحيــاة ، ويعيشون غرقى فى لجج الحياة ، تضطرب بهم مجهولات الكون ومعلوماته ويقتلهم الشك والحيرة والتساؤل فى قيمة الانسان والكون وفى مصيرهما .. أو تجرفهم أمواج الذهول والغفلات عنهما ، ويمضون عن الدنيا كما يمضى الحيوان الذاهل أو الموات البليد أو الجماد الأصم .

ولن يجديهم شيئا ما يعبرونه من الفضاء الكونى ، ماداموا لم يعبروا فضاء النفس .. ولم يملئوا فراغها بالاجابة الصحيحة على السؤال الخـــالد : لمن ملك هـــذا الكونُ الكبير وما قيمة الانسان فيه ؟! وما مصيره بعده ؟ !

وانهم مهما عبروا من أجواز الفضاء وارتقوا فى الأسباب وركبوا من ظهور الكواكب والأقمــار .. فلن يروا وجه سيد الوجود كما يراه الذين عبروا فضـــاء النفس من قبل وهم على الأرض ووضـــعوا قوانين ذلك العبور ..

ومن هنا قال قائلهم (نيكولاييف) أحـــد رواد الفضاء الروس حين سألته سائلة : هل رأيت الله وانت تدور فوق ؟ : انى لم أر غير نيكولاييف ..

وهذا الجواب صحيح ولا يدل بنفســه على انكار وجود الله كما ظن بعض الناس ، فان نيكولاييف صادق طبعا فى أنه لم ير بعينه غير نفسه فى الفضاء ..

ولكن هذا السؤال خطأ يدل على جهل فى تصور الله ، كما يدل على عامية فى التفكير العلمى ذاته .. فان الله تعالى ، من جهة ، لا يرى الا عن طريق عبور فضاء النفس بالتأمل والتعبد والتفكير ، ولا يرى بعين وانما يوقن به بالعقل والوجدان بدون استحضار أية صورة له .

ومن الجهة الأخرى ان ارتفاع آلاف من الأميال فى الفضاء لا يعد شيئا مذكورا يقرب الرؤية الحسية لله تعالى على فرض امكانها ، لأن الحدود البعيدة للكون المادى فى الســموات لا يذكر بجوارها هذا الارتفاع الانسانى الضئيل حول الأرض أو المجموعة الشمسية .

ألا فلنرتفع بهذا العبور الجسمى وذلك العبور النفسى الى مستوى منطق الأقدار التى تأخذ بيــد الانسان وترفعه الى رحاب الكرامة والقـــدرة التى شاء سيدالكون أن يخصه بهما ..

ومن الارتفاع الى ذلك المستوى المنشود أن نشعر أن رواد الفضـــاء مهمـــا كانت جنسيتهم يمثلوننـــا جميعا : سودا أو بيضا أو حمرا أو صفرا .. وأن يحسوا هم وأقوامهم أنهم كذلك يمثلوننا .. فقـــد رفعت جهود البشر جميعا من كل جنس ولون مراكب أولئك الرواد ، واشتركت فى صنعها حضارات الأمم المتعاقبة التى أوقدت شعلتها الدائمة واشتركت فى امدادها بالوقود الخالد عقولهم وعلومهم جميعا ..

وقد علمنـــــا من حـــديث رائد الفضـــاء الأول (جاجارين) أنه ارتفع الى المستوى الذى غابت

البقية ص ٣٧

من مذكراتي اليومية :

٢٣ يوليـو ١٩٥٢

كنا في ذلك اليوم التاريخي الخالد برأس البر ، نصبح ونمسي كنزلاء السجن من غير حرية ولا متعة، ونغدو ونروح كدمى الأراجوز من غـير ارادة ولا شعور • وكان الجو الاجتماعي في كل مكان متأثرا بالجو السياسي في القاهرة : حرارة عاليـة ورطوبة شديدة وخناق يقطع الانفاس •

وكانت التجارب الوزارية في عابدين ورأس التين كالتجارب الذرية في روسيا وأمريكا ، ترج الوجود المصري رجا عنيفا ، وتزلزل الكيان القومي زلزالا مخيفا • وكل أولئك وأيدي الحكام والساسة مشلولة لا تتحرك ، وأعينهم مطروقة لا تبصر ، وألسـنتهم معقودة لا تنطق •

وكان الذي قلب نظام الطبيعة وعاق سير الفلك شخصية واحدة ! شخصية أخطبوطية من عمل الشيطان مدت أذرعها المتشعبة القوية في كل ناحية من نواحي المجتمع ، فكانت على مواقد القمـار جرافة تجرف القيش ، وفي مواخير الفسق ذراعا تخاصر الدعارة ، وفي بيوت المال خطافا يلم الذهب ، وفي أركان اللذة مدية تذبح الفضيلة ، وفي أوكار الجريمـة خنجرا يغتال البراءة ، وفي وزارات الحكم قـدما تطمس العدالة •

وكانت الذلة قد غلبت على نفوس الشعب من طول الذل واستطالة الارهاب فاستنام للهوان • فما هو الا أن ضرب الجيش ضربته حتى انفجر الطاغية المنفوخ ، وانطوى الأخطبوط المنتشر ، وخشع السلطان القاهر ، وتقوض الحكم الذليـل ، وعز الشـعب المنتصر ، وأعادت الثورة مصر الى أهلها بعد ٢٢٨٠ سنة قضتها تحت حكم الغريب الواغل تحرث وهو يسوق وتزرع وهو يحصد ، فأثبتت للشعوب المستذلة أن أغـلال العبودية وأثقال الطغيان مهما تهد من بنيانهـا على تتابع القرون وتضعف من ايمانها بتـوالي الخطوب لابد أن تشعر يوما من الأيام أن لها قوة تأتي العجب اذا أرادت • وأن لها ارادة تحقق المستحيل اذا وعت! هنالك سمع المصطافون نبأ الثورة من الاذاعـة فأخذوا يتعانقون في الشوارع من غـير معرفة ، ويتزاورون في العشش من غير ميعاد ، ويتقلبون في الفرح والمرح والتهنئات والتكهنات حتى الصباح

الزيات

عبد الوهاب عزام
للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

تعود الرسالة فى حياة صاحبها الذى كلما تردد ذكرها أمامه ردد معه أسماء عزيزة وقفت معه فى مولدها وآزرته صادقة مخلصة كريمة فى ولاء له وولاء للرسالة وفى طليعة هؤلاء الذين يشهد لهم بالفضل وطيب الأثر الدكتور عبد الوهاب عزام .

وحين تولد الرسالة من جديد فى ٢٥ يولية سنة ١٩٦٣ يوافق مولدها مولد الدكتور عبد الوهاب عزام فهناك فى بلدة الشوبك الغربى من اعمال مركز العياط فى مديرية الجيزة ولد عبد الوهاب عزام فى أول أغسطس سنة ١٨٩٤ .

وفى الوقت الذى يقف وراء مولد الرسالة المولد الجديد ؛ الرغبة القوية فى جمع شمل العرب وتوحيد كلمتهم يطيب الحديث عن أخى العرب ورجل العروبة عبد الوهاب عزام . لقد كان الدكتور عبد الوهاب عزام فى حياته صاحب رسالة ظل عمره يعيش لها ويحيا بها ويدعو اليها ولما قضى مات عليها . وكانت رسالته وهواه : الاسلام والعروبة كانا قبلته مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا ومناضلا. كانا شغله الشاغل مقيما ومرتحلا فهو فى مصر يجمع القلوب عليهما فى الآثار الأدبية عربية وشرقية . وفى بلاد العربية يجوب البقاع ويحقق الأمكنة ويقف بالمعالم التاريخية يسجل عن الطبيعة ويعكف على الكتب فسوق عكاظ وسد مأرب ومواطن الذكريات من الجزيرة العربية معالم دراسية مشهودة فى آثار عبد الوهاب عزام العالم الأديب .

والدكتور عبد الوهاب عزام رائد من رواد الحركة الفكرية المصرية فهو أول من عمل فى مصر على انشاء

الدراسات الشرقية وأول من علم الفارسية والتركية وآدابهما فى الجامعة .

وهو أول من قدم الى العرب شاعر الاسلام محمد عاكف فأتاح له منبر الجامعة ووصله بطلابها محاضرا . وأذاع شعره على صفحات الرسالة .

وبعد الشاعر التركى العظيم قدم رجلنا عبد الوهاب عزام الى العرب والمسلمين الشاعر الفيلسوف المؤمن كما كان يدعوه ، شاعر باكستان محمد اقبال.

❊❊❊

وبلدة (الشوبك) مسقط رأس عبد الوهاب عزام لها قصة طريفة . فالعزامية عرب ينحدر خط هجرتهم من الشمال (١) وكلما حلوا ببلد سموه « الشوبك » اسم موطنهم الأصلى .. ففرع آل عزام فى الأردن بلدتهم « الشوبك » فى شرق الأردن وفرع عزام فى الشرقية بلدتهم الشوبك شرقى بندر الزقازيق وفرع عزام فى الجيزة بلدتهم الشوبك فى العياط ويدعوها على باشا مبارك (شوبك الجيزة) ويعرفها بأنها (قرية من مديرية الجيزة بقسم ثان موضوعة على الشاطىء الغربى للبحر الأعظم فى شمال

---

(١) لفظة شوبك فى التركية معناها (البيبه) فهل كان موطن أسرة عزام فى شمال سوريا عند الحدود التركية ؟.. وهل يرجع هذا الفرض وجود فرع للعزامية فى شرق الأردن ؟..

ناحية مزغونة بنحو ألفين وخمسمائة وخمسين مترا فى الشمال الشرقى لدهشور بنحو أربعة آلاف وخمسمائة متر وأغلب مبانيها باللبن وبها زاوية للصلاة وبدائرها نخيل وكانت فى السابق فى البر الشرقى فأكلها البحر فانتقلت الى البر الغربى (١) .

وفى ثورة سنة ١٩١٩ كان لبلدة الشوبك دور بارز لم تخطئه عين الانجليز فأوسعوا أهلها قتلا وتعذيبا سجلته عليهم لجنة الوفد المركزية باسم واقعة الشوبك والعزيزية وكان مأمور الضبط فى ذلك الوقت الأديب دسوقى أباظة .

وحين داهم الجنود الانجليز الشوبك ونشروا الرعب فيها أبلى عبد الوهاب عزام فى مكافحة الطغيان بلاء حسنا ، وألف مع بعض المثقفين من أبناء القرية جماعة تنشر وقائع الاحتلال وترسل منشوراتها الى شتى أنحاء العالم . وحاول الاستعمار أن يوقعه فى حبائله ، فداهم منزله وضبط لديه مسدسا ، وكان هذا كافيا لأن يتقرر الحكم باعدامه .

على أن أحد الطرابلسيين من أصدقاء أسرة عزام كان يتمتع بالحماية الايطالية وقت أن كان لهذه الحماية شأن كبير .

وفى يوم المحاكمة تقدم هذا الصديق الى المحكمة العسكرية وأكد أن المسدس يخصه هو وقد نسيه فى منزل عبد الوهاب عزام و .. ولم يملك الاحتلال الا أن يقضى — على كره منه — ببراءته .

ويبدو أن هذه الواقعة التى لا تنسى فى حياة الأفراد ، لم تشب صفاء نفسه فقد سئل مرة أن يكتب عن الجلاء فى وقت لو سئل الكتابة أشد الناس حلما فلابد أن يبتدره استفزاز المستعمر وما أكثر استفزازاته . ولكن الدكتور عزام حين كتب عن الجلاء لم يفارقه هدوء العالم أو سمة الحكيم على ولائه الطبيعى لوطنه وايمانه العميق به وحبه العميق له . لقد كتب الدكتور عزام بعد أن شرح القضية المصرية : (ان انجلترا تربح بهذا الجلاء ولا تخسر شيئا ، تربح الوفاء بالوعد ، والخضوع للحق، وتكسب قلوب المصريين والعرب كلهم والمسلمين من ورائهم ، ولها الخيار فى أن ترضى لنفسها الربح أو الخسارة . وأما مصر فلا خيار لها فان استقلالها وكرامتها ومكانتها بين البلاد العربية والاسلامية كل هذا يؤدى حتما الى الجلاء وهى ظافرة به قريبا ان شاء الله .)

ان الزمان لا يرجع القهقرى ، والأمة الحية العزيزة لا ترتد عن وجهتها ومصر خاصة قدحشدت كرامتها وعزمها وعقولها وقلوبها ، ولن يردها عن غايتها شىء ، ومن ذا يرد السيل اذا هدر أو من ذا يرد على الله القدر ؟.. (١) .

عفة فى اللسان والقلم كانت أجلى سماته

سعى عبد الوهاب طفلا الى مكتب القرية شأن لداته من أقطاب الرعيل الأول فحفظ القرآن وتهيأ للأزهر الذى وصله أبوه به فأقبل على العلوم الدينية واللغوية وأخذ مجلسه من شيوخه متقبلا . حافظا . تكمل ما سمع وتعمقه ، قراءاته الكثيرة الواعية .

وانتقل من الأزهر الى مدرسة القضاء الشرعى وكانت وقتئذ مدرسة حديثة تجمع طرفا من علوم

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ١١٤ ط الأميرية

(١) مخطوط اطلعت عليه فى مكتبته

الدين والدنيا فدرس بها عبد الوهاب الى جانب الدين واللغة : التاريخ والجغرافيا والرياضيات وبعد تسع سنوات منحته شهادة العالميه وكان ذلك سنة ١٩٢٠ .

ولما كان اول خريجيها فقد عينته مدرسا بها . وفى هذه الاثناء دخلت حياة مصر الجامعة المصرية القديمة فتطلع اليها مع أمل الطموح عبد الوهاب عزام فنال الليسانس فى الآداب والفلسفه سنة ١٩٢٣ وهنا اختير مستشارا دينيا للسفارة المصرية فى لندن فلم تقعد به همته فى مقامه الجديد فاتجه الى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن وظفر سنة ١٩٢٧ بدرجة الماجستير فى اللغات الشرقية وكان موضوع رسالته (التصوف فى رأى فريد الدين العطار) .

وعاد الى مصر بعدها فانتظم فى سلك هيئة التدريس بجامعة القاهرة مدرسا فأستاذا مساعدا سنة ١٩٣٤ بعد ان احرز درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢ وكان موضوع رسالته شاهنامة الفردوسى ... ثم أستاذا للادب العربى ١٩٣٩ ثم عميدا لكلية الآداب ورئيسا لقسم اللغات الشرقية بها ١٩٤٦ .

وفى هذه الاثناء انتدب مرتين للتدريس بجامعة بغداد .

وتطلعت اليه ، وزارة الخارجية فتشبثت به الجامعة فقد قرر مجلسها فى ١٩٤٧/١١/٣ : أن الجامعة لا يمكن أن تستغنى عن حضرة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام نهائيا وانما يوافق المجلس على ندب سيادته مؤقتا لمدة ثلاثة شهور يعود بعدها للجامعة) . فلم تملك وزارة الخارجية الا ندبه فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ للقيام بأعمال مندوب فوق العادة ووزير مفوض لمصر بالمملكة العربية السعودية . ثم سفيرا لمصر بالباكستان سنة ١٩٥٠ ثم سفيرا لمصر بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٤ وملأ هذا المنصب حتى أول اغسطس سنة ١٩٥٤ وهو تاريخ بلوغه سن الاحالة من وجهة النظر الوظيفى وهنا اختاره الحجاز مؤسسا ومديرا للجامعة التى أنشأها بالرياض سنة ١٣٧٧ هـ فخلص لها حتى اختاره الله لاكرم جوار نقى السيرة باقى الأثر .

وعاد الى مصر عبد الوهاب العزام للمرة الاخيره أو عاد وابه اليها ليوسدوه ثرى غاليا . اليه وحده يسكن المصرى الجواب بعد طول المطاف ...

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ استقبل مسجد عزام بحلوان العائد المسجى يطاف به فى كل حين وتقام الى جواره الصلاة ويتلى على ضريحه القرآن ترتيلا.

كان عبد الوهاب عزام شريف الحياة كبيرها .. وقد عرف وطنه قدره كما عرفته اوطان اخرى أنزلته منها رفيع المكان فجلجل اسم عبد الوهاب عزام فى المجامع العلمية والمؤتمرات الأدبية والفكرية . مثل مصر فى الشرق والغرب وسفر لها وتكلم باسمها وشرف بها كما شرفت به .

انتخب الدكتور عبد الوهاب عزام عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية (سنة ١٩٤٤) .

وانتخب الدكتور عبد الوهاب عزام عضوا بالمجمع اللغوى فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ واختير الدكتور عبد الوهاب عزام عضوا فى مجامع سوريا والعراق وايران التى قلدته الوسام العلمى من الدرجة الثانية سنة ١٩٣٥ كما قلدته حكومة لبنان وسام الارز الوطنى من درجة كمندور سنة ١٩٤٧ ومنحته جامعة (دكا) بالباكستان الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٥٣ . أما المؤتمرات فقد سمعت مصر من

خلاله ورآنها فيه بدبة كريمة بالغة الأثر .

مثل الدكتور عبد الوهاب عزام جامعة القاهرة فى مؤتمر العيد الألفى للفردوسى سنة ١٩٣٤ ومؤتمر بروكسل سنة ١٩٣٨ والاحتفال بأبى الطيب المتنبى فى بغداد سنة ١٩٣٦ ومؤتمر أبى العلاء المعرى بدمشق سنة ١٩٤٤ ومؤتمر الندوة العالميــة للاسلاميات المجتمعة فى جامعة البنجاب بمدينة لاهور سنة ١٩٥٧ وكان رئيسا للمؤتمر وممثــلا لجامعتى القـــاهرة والرياض معا . وقد جلى فيه حين تحدث عن (تحدى الأفــكار الحديثــة ، والآراء الاجتماعية لجمــاعة الاسلامية) .

وهــكذا أتاحت له شخصيــة العلمية والأدبيــة ومكانته فى قومه الرحلة الى كثير من البلاد فى الشرق والغرب خاصة البــلاد العربيـــة وتركيا وايران وباكستان والهند مما أتاح له بدوره أن يلم بلغات كثيرة بل يحسن غير قليل منها قراءة وكتابة وأدبا .

كان عبد الوهاب عزام يجيد التركية والفارسية والاردية والانجليزية والفرنسية .

وبهذه الاجادة سفر لمصر مع السفارة السياسية ، السفارة العليا كما يسميها الأستاذ العقاد حين كتب مقــدمة ديوان الدكتور عزام « المثانى » : (وكان لدراسته الفارسية والاردية أثر فى تقريبه ثقافتهما يحسب من سفارات الأدب التى تعاون فيهــا العلم والعمل ، ومن هذا التقريب الذى لم يسبق اليه تعريفه قراء العربيـــة بتاريخ الرباعيــة فى الآداب الفارسية والعربية ، فهو أوفى ما كتب بلغتنا فى هذا الموضوع) .

***

ولم تقف اجادة الدكتور عبدالوهاب عزام للغات الشرق والغرب وادراكه اليسير لحضارتيهما عنــد حدود الثقافة الخاصة للفرد ، بل تجاوزت هذا المعنى على رفعته الى ما هو أعم وأشمل وأنفع فألف الكتب ونقــل الآثار وعرف بالرجال وراد الأماكن وحقق المواقع .

جمع الله فى لسانه كما يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف فى رثائه ألسنة العرب والفرس والترك والهند أعظم أمم الحضارة الاسلامية فكانت داره ناديهم وموائده قراهم ، وكان موضــع ثقتهم واعزازهم وسفير بعضهم الى بعض وترجمان التعارف والأخوة بينهم كالرحم الواصــلة الموصلة فيهم وكالفــكرة والعقيدة الموحدة لهم فى زمن أصاب المسلمين فيه داء الأقوام من النعرات القومية والوثنية الاقليمية والمنافرات الشعوبية والمنازعات على أشبار الأرض من وطنهم الاســلامى الواحــد بعد أن كان الاسلام قد أطفأ فى قلوبهم جمرات العصبية الجاهلية وأحيا فيها روح الوحدة الانسانية . فكانت حياة عبد الوهاب عزام سياحة مستمرة بالروح الواعية فى عوالم الفكر والجسم والرحال فى فجاج أرض العروبة والاسلام يصل بينها العلاقات المقطوعة ويثبت فيها الركائز المزعزعة ويوقظ الغــافلين ويعلم الراغبــين ويأخذ لنفسه زادها من المعرفة والأخوة ثم يعطيه لأمته دروسا ومقالات وخطبا وقصائد وتراتيم وكتبا فى أدب البعث العربى للنهضات الاسلامية الحديثة .

وقد نقل عنه الأستاذ مصطفى السقا أسماء كتبه ومضامينهــا (١) من مذكرة كتبهــا الدكتور عزام بنفســه قبل وفاته جاء فيها :

١ ــ الرحلات الثانية :

(طبع فى القــاهرة لأول مرة سنة ١٩٥١) وهى فصول تضمنت وصف ما رآيته فى أسفارى فى جزيرة العرب وبلاد أخرى وأوصل مع الرحلات الثــانية الأولى للاستئناس بها ، وقد نشرت الرحلات الأولى سنة ١٩٤٧ ، وأعيد طبعها سنة ١٩٥٠ ، واشتملت الطبعة الثانية على فصول جديدة .

(١) صحيفة اليمامة العــدد ٢١١ الصادر فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٠ .

٢ ــ وكتاب الشوارد :

(طبع فى كراجى الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣) وهو خطوات سنة كاملة بذاتها فى الحجاز ، وختمتها فى باكستان خمس وستون وثلاثمائة خاطرة ، كل واحدة فى صفحة على حدة . وقصدت فيها الى مقاصد منها دعوة النشء الى الحياة الكريمة الطاهرة الأبية، وتبصيرهم بالفضائل العالية ، وحضهم على الاستمساك بالنظام والطاعة ، ورفعهم عن مستوى العيش الذليل ، الى مستوى الحياة العزيزة ، والسمو بهم الى كل مقصد روحى عال ، والتعالى بهم عن كل مطمع مادى شامل .

٣ ــ وكتاب النفحات :

(طبع فى القاهرة للمرة الأولى هذه السنة) وفيه خاطرات ثلاثة رمضانات ، فى ثلاث سنوات متتابعات. وأرجو أن يكون فيه براءة للشبان من أدواء ، وعصمة من الشيوعية والاباحية وما اليها من آفات هذا العصر .

خاطرات الشهر الأول :

مقالات منثورة مرسلة ، والخاطرات الثانية منظومة كلها ، والثالثة مسجوعة ، تنتهى كل واحدة منها ببيتين من الشعر . وهى الى قيمتها الأدبية فى النظم والنثر تقصد الى اشراب النفوس حب الخير والحق والجمال والنظام ، وتنفيرها من الدنايا والصغائر .

٤ ــ ومنظومة اللمعات :

(طبعت مع رسالة المشرق لأول مرة سنة ١٩٥١ فى كراجى) وهى منظومة فيها زهاء ستمائة بيت أهديتها الى الشاعر محمد اقبال اجابة لبعض دواوينه . وهى منظومة بدع فى اللغة العربية فى الموضوع والأسلوب .

٥ ــ وديوان رسالة المشرق :

(ترجم من اللغة الفارسية وطبع سنة ١٩٥١ فى كراجى لأول مرة) .

وهو ديوان للشاعر الفيلسوف الكبير محمد اقبال المتوفى سنة ١٩٣٨ جواب لديوان المغرب الذى نظمه الشاعر الألمانى الكبير جوته ، وفى الديوان رباعيات وقصائد فى فنون شتى ، تعد من أسمى ضروب الشعر فى الأمم كلها . ترجمته نظما . وذللت له اللغة القوافى على غرابة موضوعاته فى اللغة العربية وبعد كثير من معانيه عما ألفه الشعر العربى .

وأرجو أن يكون ثروة جديدة فى أدبنا ، وفاتحة لهذا الضرب من المنظومات المعروف فى اللغات الاسلامية .

٦ ــ وديوان ضرب الكليم :

(ترجم من اللغة الاردية ، وطبع الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ فى القاهرة) وهو ديوان للشاعر نفسه ، فيه نظرات فى الحياة والاجتماع والفنون والآداب نظرات فلسفية تبين عن فلسفة اقبال فى الذاتية وتطبيقها فى مظاهر الحياة كلها .

٧ ــ وموقع عكاظ :

(طبع فى القاهرة أول مرة سنة ١٩٥١) كان أدباء العرب ومؤرخوهم فى اختلاف على موقع سوق عكاظ ، وذكر الأدباء المعاصرون مواضع فى الحجاز زعموا أن السوق كانت تجتمع فيها وقد جمعت ما فى كتب الأدب والتاريخ عن سوق عكاظ ، وذهبت الى الطائف فى يولية ١٩٥٠ . وطبقت النصوص على ما كان يقع الى الشمال الشرقى من الطائف عبر الأمكنة التى ظن الباحثون أنها عكاظ . فلم يبق مجال للشك ، ولا مساغ للاختلاف ، فى أن المكان الذى عينته هو موضع عكاظ .

وقد نشرت فى هذا بحثا ألحقت به مقالين لأستاذين نجديين وافقا على رأيى ، بعد أن أعلنت به ، وحاضرت فيه ، فى مؤتمر الثقافة العربية الذى اجتمع فى الاسكندرية صيف ١٩٥٠ .

٨ ــ وكتاب الأوابد :

(الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ فى القاهرة) مقالات ومنظومات تقصد الى ما أقصد اليه فى كل كتبى ، من رفيع الأسلوب الأدبى فى اللغة العربية وتيسيره ، واعلاءه المستوى الروحى والخلقى ، والاعتزاز بأنفسنا ، والاعتداد بتاريخنا فى نفوس شبابنا •

وقد زيد فى الطبعة الثانية التى طبعت فى خلال السنوات الخمس الأخيرة نحو ثلث الكتاب ، والثلثان طبعا من قبل ، فلا ينطبق عليها شرط الجائزة الأدبية ، ولكنى أقدم الكتاب للاستئناس به •

٩ ــ وكتاب محمد اقبال :

سيرته وفلسفته وشعره •

ألفته للتعريف باقبال فى العالم العربى ، وليكون مقدمة لقراء دواوينه الفلسفية ، التى ترجمتها الدولة الى العربية ، وقد تولت طبعه حكومة باكستان فى القاهرة •

١٠ ــ ومن الكتب القديمة التى نشرتها كتاب الورقة فى تاريخ الشعراء لمحمد بن داود بن الجراح، أحد وزراء الدولة العباسية • وقد طبع من نسخة مخطوطة عثر عليها فى ايران ولا يعرف لها نظير فى العالم • وشارك فى تصحيحه عبد الستار فراج من موظفى المجمع • وطبع فى القاهرة سنة ١٩٥٣ •

١١ ــ والمثانى :

وهو رباعيات فلسفية وأخلاقية ، تطبع اليوم فى دار المعارف بالقاهرة (صدرت سنة ١٩٥٤) •

***

وذكر الدكتور يحيى الخشاب (١) من مؤلفاته :

١ ــ مدخل الشاهنامة العربية للبندارى ، ١٩٣٢

٢ ــ التصوف وفريد الدين العطار ، ١٩٤٥ •

٣ ــ مهد العرب ، دار المعارف ١٩٤٦ ، ١٩٥٥ •

٤ ــ الأدب الفارسى بالاشتراك مع يحيى الخشاب ، ١٩٤٨ •

٥ ــ ذكرى ابى الطيب بعد الف عام • بغداد ١٩٣٦ ، والقاهرة ١٩٥٦ •

٦ ــ نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية • مطبعة المقتطف ١٩٣٨ •

٧ ــ المعتمد بن عباد (ظهر بعد وفاته سنة ١٩٥٩)

كما أضاف الدكتور يحيى الخشاب الى مترجمات رجلنا الدكتور عبد الوهاب عزام •

١ ــ فصول من المثنوى (عن الفارسية) ١٩٤٦ •

٢ ــ جهار مقالة ، عروضى (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب ١٩٤٩ •

٣ ــ اتحاد المسلمين لجلال نورى (عن التركية) بالاشتراك مع الأستاذ حمزة طاهر ١٩٢٠ •

٤ ــ مقتطفات كثيرة من الشعر الفارسى والشعر التركى نشرت فى مجلة الرسالة وغيرها •

٥ ــ ديوان الأسرار والرموز ، اقبال ، مطبعة المعارف ١٩٥٦ •

ومن بحوث الدكتور عزام مما نشرته له مجلة المجمع اللغوى ، بحث ألقاه فى الدورة الرابعة عشرة بعنوان (صلات اللغة العربية باللغات الاسلامية) وبحث ألقاه فى الدورة الخامسة عشرة فى موضوع : « أسماء العشب والشجر فى بوادى العرب » وبحث فى الدروة السابعة عشرة بعنوان (الألفاظ الفارسية والتركية فى اللغة العامية المصرية) وبحث فى الدورة التاسعة عشرة بعنوان (الألفاظ العربية فى اللغات الاسلامية غير العربية) •

البقية فى عدد تال

(١) مجلة كلية الآداب المجلد التاسع عشر الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٧ •

ربيعنا لا يموت

للشاعر محمود حسن اسماعيل

وقالت: لقد غاض سحرُ الربيع ... وأمرع في شاطئيه السكوتُ
وما عاد يخشع ساقي العبير ... إذا نسمة من يديه تفوتُ
تولت طيورٌ، وماتت زهورٌ ... وخيّم في الربوة العنكبوتُ
وأقداحنا غادرتها الرياحُ ... مزامير ماضٍ صداها شتيتُ
ولم تبق حتى خطا الذكريات ... ولا طيفها الحالم المستميتُ
تبدد في روضنا كلُّ شيء ... وحلَّ الفراغ البليد المقيتُ
على زاده المرّ عاشت جراحي ... ومن ويلها كلَّ يومٍ سُقيتُ

* * *

فقلت: اتركيني لسرّ الزوال ... فإني به من زمانٍ بكيتُ!
فلا خضرة الروض كانت رحيقي ... ولا من جداولها قد رويتُ
ولا العطرُ، وهو نديم الشباب، ... على كأسه أي صفوٍ لقيتُ
ولا الطير، وهو رخيم الرباب، ... بألحانه البيض يوماً شجيتُ
هواكِ، وأنتِ، وهذا الوجودُ ... ربيعٌ يجدّدني ما حييتُ
فلا تجزعي إنْ أحالَ الخريفُ ... ولم يبقَ في اللحن إلا خفوتُ
فلو ماتَ في روضنا كلُّ شيءٍ ... فإنّ ربيعَ الهوى لا يموتُ!

وغابتْ عن الرّوض عند الأصيلِ ، ولم يبقَ إلا شذاها يفوحُ
وترنيمة من أغاني الصباحِ ؛ صداها على الغصن طير جريح
وتكبيرةٌ للفضاء الحزين ، تردّدها للمساء النفوحْ
وعشبٌ يهفهف كالمستحيلِ ، يراودهُ أملٌ لا يلوحُ
ومُطرقةٌ من بنات الغصون ، على غيبة الطير ظلّتْ تنوح
ولا صوتَ يُسمعُ من أيْكها ، ولكنه الصمت سرٌ يبوح ..

* * *

فأحرقتُ ذاتي بقلب الأثير ، ولم يبقَ إلا خيال وروحْ
ومهدُ حزنٍ على الشاطئين ، خطا الموج فيه أنتْ تستريحُ
ودير يهيمُ فوق المغيب ، وفي صدره مستجيرٌ يصيح
ومن حوله لاجَ شيخ الزمان وعكّازه الصخر واه كسيحٌ
تسمّر في راحتيه السكون ، وأغفتْ على جانبيه السفوح

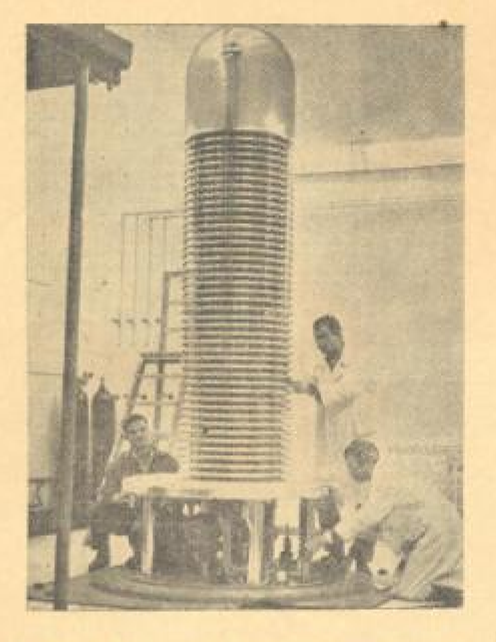
* * *

وقفتُ أناديك من قاع وهمي ، وأبكيك ، والدمع دلّ صريح
فما اهتزّ نَوءٌ ، ولا ردّ شيء ، فما الروضُ بعدك إلا ضريح !!



فى موكب العلم

للاستاذ فوزى الشتوى



الدكتور محمد عثمان و المهندس النشار يفحصان جهازا لقياس الاشعاعات الذريه فى الجو .

الى أى مدى اندمجنا فى موكب العلم فى أثناء العقد الماضى ، ومنذ بدأنا ثورتنا المباركة ؟

ولعل أفصح معيار لهذا الاندماج هو المقارنة بين فهم الشعب فى ماضيه وحاضره لمعنى العلم ، ثم الاقبال على الاطلاع على معلوماته ونظرياته . والى ما قبل عهد الثورة ، كان العلم شيئا مخيفا يخشى الكتاب الخوض فى موضوعاته ، ويتجنب القراء الاطلاع عليه ، فكان غامضا أقرب الى الغيبيات منه الى الحقائق ، حتى أطلقنا على حساب التنجيم وكشف الطالع اسم « علم الروكة » .

وفى عهد الثورة تغيرت الصورة ، وتحول الفهم ليستقر فى وضعه السليم ، فاذا العلم يفهم على أنه أداة الرخاء والرقى والفهم الصحيح لكل ما يجرى حولك ، واختفى «البعبع» الذى كان يخيف الكتاب والقراء ، ويقصيهم عن العلم ، والخوض فى مسائله وشرحها .

حلمان يتحققان

ودعم تغيير الفهم والصورة تحقيق حلمين من الأحلام التى توارثتها البشرية . وفى أولهما أطلق العلم الدقة الذرية الرهيبة ، وغاص فى لب المادة ، وبشر بتحقيق ما يسمى بعلم الصنعة أو حجر الفلاسفة ، وتحويل المعادن الخسيسة الى ثمينة كالذهب . وفى الحلم الثانى حلق الانسان فى الفضاء ، وأعلن أنه يعد أدواته وأجهزته ليزور القمر والمريخ والزهرة وغيرها من كواكب الكون .

وبهرت الأحداث العلمية الناس ، وهم يرون ما اعتقدوه خيالا جامحا يتحول الى حقائق قامت كلها على البحث العلمى واكتشافاته لأسرار الطبيعة . كان كثيرون يتأرجحون بين الشك واليقين ، ويطلبون تفسيرا تفهمه العقول ، ولما قدم لهم رأوا فى العلم سعة أفق ، وفائدة وتحقيقا لأمانيهم . ووجدوا فيه

سلما منطقيا يستطيع أى انسان ارتقاؤه وهنا نشأ لون من الوعى العلمى أو بذرته النامية. وفيها عرف الفلاح معنى الحصانة التى تكتسبها دودة القطن ضد مبيداته الحشرية . وأقبل رجل الشارع يسأل العلماء عما غمض عليه فهمه من أسرار الحياة والطبيعة . ولو كان هذا الوعى وحده ثمرة هذه الفترة لكانت أثمن الثمار فى تاريخ نهضتنا .

وكانت لنا مشكلاتنا الخاصة التى بدأ حلها كلون من المعجزات . فمساحة رقعة أراضينا الزراعية لا تتجاوز ٧ مليون فدان ، بينما عدد السكان يزيد على ٣٤ مليون نسمة بمعدل فدان لكل ٤ أفراد ، مما يكره الجانب الأكبر من الناس على حياة الفاقة والعوز ، ومما لا يستقيم مع أى توزيع عادل مما تنادى به الاشتراكية وكان المنفذ الوحيد لرفع مستوى الشعب وسيادة حالة الرخاء ، هو تصنيع البلاد من ناحية ، ثم زيادة انتاج حاصلات الأرض سواء بزرع جانب من الصحراء ، أو بجعل رقعة الأرض تضاعف غلتها

حلول تحتاج الى علم

وكان أى من هذه الحلول يحتاج الى البحث والدراسة والالتجاء للعلم . فلدينا ثروة معدنية كالحديد والبترول والنحاس ، ولكن كيف تستغل وتتحول الى سلع ، فثروة الأرض من المعادن ذات أسرار تختلف فى بقعة عن غيرها . فالحديد فى أسوان مثلا غيره فى بريطانيا وأمريكا ، لأنه يختلط بمواد أخرى تتفق مع بيئة البقعة من الأرض . وعلى من يريد استغلال خامة ، أن يعرف أولا خواصها ، ثم يبتكر الطرق لتصنيعها . ولا يصلح فى هذا المجال أن تنقل مصنعا يستغل خامة منطقة ليعمل على خامة

وما يقال عن الحديد صحيح بالنسبة للخامات الأخرى ، وصحيح أيضا فى معالجة المسائل الزراعية

وتربية الماشية وعلاج أمراض الناس ، فللبيئة تأثير من الجائز أن يقلب الفوائد الى مضار .

ويروى احد خبرائنا ان بعض الخامات المعدنية فى أمريكا الجنوبية تحوى ذهبا ، ولكن صانعى هذه الخامات لم ينتبهوا الى وجود المعدن الثمين ، فلما صنعت من الخامة بعض الاوانى ، اثبتت عدم صلاحيتها لاداء واجباتها لاحتواء الآنية على الذهب، وبالتالى خسرت هذه الصناعة كميات الذهب التى أهملتها ، كما خسرت العميل والمستهلك الذى يشترى آنية ليطهو فيها طعامه لا حيلة يزين بها صدره ومن العسير أن تقول له استخرج مافيها من ذهب ، لأن الكمية الناتجة أقل من ثمن الآنية .

ونشأت مراكز البحث

كان من الضرورى لنشوء الصناعة واستقرارها ، وزيادة انتاج البلاد واستغلال خاماتها المعدنية والزراعية ، ان تقبل على البحوث العلمية ، لتعرف ما تحوى أراضينا . ولتحقيق هذه المعرفة اندفع الباحثون فى كل بقعة سواء أكانت صحراوية أم جبلية



الى جوار الهرم انشيء معهد لدراسة روماتيزم القلب وعلاجه تحت اشراف الدكتورة زهيرة حافظ عابدين ويرى عدد من نزلائه يتسلين ببعض اللعب .

ليدرسوا الأرض وباطنها ، فاكتشفوا عشرات من الخامات المعدنية كالحديد والنحاس والفسفور

والبترول والكبريت وغيرها ، وبعثوا بها الى الخبراء المحللين والمصنعين ليعرف ما تحويه من مواد غريبة يتحتم التخلص منها ، ثم ابتكار الآلات والأجهزة التى تحولها الى سلع يستخدمها الناس فى حياتهم .

ومن أجل هذه الدراسات انشىء المركز القومى للبحوث ، ومركز البحوث التعدينية ، ومعاهد البترول ، والنسيج ، والخامات المعدنية ، وغيرها ، من الاتجاهات العلمية . على أن الطريق لم يكن سهلا ممهدا أمام كل من هذه المعاهد . لم يكن يكفى أن نقيم المبانى ، ونشترى أجهزة البحث والدراسة ، لأن هذه الأجهزة كانت فى حاجة الى من يعرف كيف يستخدمها لتكشف له أسرار المشكلات . كانت المعاهد فى حاجة الى الباحث أو الانسان الذى يعرف كيف يفصل الحديد عن الكبريت بأقل نفقة .

تربية الباحثين

والباحث لا يتخرج فى كلية أو جامعة ، بل يتربى كما تربى طفلك ، وينمو مع البحوث . وكلما زادت خبرته واطلاعه ، زادت قدرته على حل ما يعرض عليه من مشكلات . ولهذا اتجه الاهتمام الأكبر فى هذه المعاهد الى تربية الباحث . وفى سنوات رأينا المركز القومى للبحوث مثلا يبدأ بعدد قليل من الباحثين الذين كانوا يعدون على أصابع اليد الواحدة فى عام ١٩٥٦ .

ولكن المركز اتجه الى النابهين من خريجى الكليات وضمهم الى معامله . واقبل كل من الباحثين الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة لتدريبهم ، فاذا نحن الآن نجد فى هذا المركز أكثر من ألف باحث لكل منهم سجلاته العلمية المعروفة فى الدوائر العالمية .

ومن الانصاف أن نقرر أن الفترة الماضية كادت تقتصر على تربية الباحثين العلميين ، ولم تقدم الا



فى مؤسسة الطاقة الذرية .. بعض الخبراء يعدون جهاز فان دى جراف الذى طلق سيالا كهربائيا قوته ٢ مليون فولت لدراسة داخل نواة الذرة .

القليل لحل مشكلات البلاد وزيادة انتاجها . فان المعاهد العلمية كانت أقرب الى المدارس منها الى دور البحث . وكانت السياسة المتبعة ، هى أن يختار طالب البحث مشكلة ، ويعمل على حلها بمساعدة أستاذه . وفى هذا المضمار حلت عشرات من المشكلات التى نبتت فى الصناعات القائمة فعلا سواء فى القطن أو الحرير الصناعى أو الصناعات الزجاجية والخزفية .

رمل صحارينا أرخص

ومن البحوث التى اختارها طلاب البحث ما أدى الى توفير ملايين الجنيهات . ومن أمثلته الرمل الذى يصنع منه الزجاج . كان فى أول الأمر يستورد من

الخارج رغم صحارينا الواسعة ، فاقبلت وحدة الزجاج برياسة الدكتور محمد أبو العزم على دراسة الرمل المصرى فى مواطنه المختلفة ، حتى عثرت على العينة الصالحة لصنع الزجاج .

ومن الأمثلة أيضا انتاج الحرير الصناعى . وهو يستخرج عادة من لب الاشجار الكبيرة العزيزة المنال فى بلادنا . ولكننا أثرياء واسعو الثروة فى بقايا الحقول كقش الأرز ، والقمح ، وشجيرات القطن ، وغيرها ، مما نستهلكه كوقود ، رغم أنه من الناحية الكيميائية هو مادة لب الشجر ، ولكنه يحوى نسبة كبيرة من الألياف التى يجب استبعادها .

وفى هذا الاتجاه انصرف الباحثون فى وحدة السليلوز لدراسة شتى فضلات الحقل لاستخلاص المادة النقية منه . وكانت النتيجة توفيقها فى عدة خطوات . وفى أولاها تمكن الدكتور يحيى عبد اللطيف فهمى ومساعدوه من استخلاص المادة الصالحة لصنع الورق ، ثم تقدم خطوة تالية واستخلص مادة أكثر نقاوة ليصنع منها الحرير الصناعى .

بوتاجاز للفلاح

وتتجه مجموعة كبيرة من الباحثين لدراسة الفضلات على اختلاف أنواعها سواء أكانت صناعية ، أم زراعية ، أم بشرية . وقد لا تمضى سنوات حتى يقدم الدكتور فهمى رمضان مشروعا يديره الفلاحون ، فيحولوا بعض هذه البقايا الى سماد عضوى يغذى حقولهم ، والى غاز وقود كالبوتاجاز لطهو طعامهم .

ولا نستطيع القول بأن مرحلة توفير الباحثين قد انتهت ، فالبحوث العلمية أكثر من أن يحدها حصر ، ومجال التخصص واسع لا ترى له من نهاية . وتنفق كل من روسيا وأمريكا ملايين الجنيهات لزيادتهم ، بل تنظم المباريات فى آلاف المدن للعثور على الأفراد الممتازين بغية حشدهم فى معاهد البحوث وتدريبهم على حل المشكلات العلمية .

فى عصر الذرة

وفى مجال الدراسات حرصت جمهوريتنا على السير فى موكب العلم فى أهم ميادينه ، وهما ميدانا الذرة والفضاء . فأنشئت مؤسسة الطاقة الذرية واتخذت من بلدة انشاص مقرا لنشاطها . وفى أحد معاملها تجد مفاعلا ذريا هدفه مسايرة العالم فى دراساته ، لكشف أسرار نواة الذرة . وفى معمل آخر تجد الباحثين والخبراء يصنعون النظائر المشعة التى تعد الوليد الأول للعلوم الذرية .

وبفضل التقدم الذى أحرزناه فى دراسة هذه النظائر وطرق استخدامها فى شتى فروع العلم والحياة ، صارت القاهرة مركزا اقليميا لتدريب خبراء دول البحر الأبيض المتوسط والعالم العربى على استخدام هذه النظائر ، التى دست بأنفها فى كل من مجالات الطب والزراعة ، والصناعة ، والدراسات العلمية الفاحصة ، والكاشفة لبعض المجهولات .

وتحتل هذه النظائر مكانا ساميا فى عدد مستشفياتنا فهى الى جوار قدرتها الفائقة على اكتشاف عدد من الأمراض وتحديد أماكنها ، تعد أيضا من خير الوسائل التى تعالج أمراض الغدد والأورام السرطانية وغيرها من العلل المستعصية . وبمعونتها نجح الدكتور صلاح حشيش فى دراسة عدد من العقاقير الطبية وكيف تعالج الأمراض بطريقة ناجعة . وبمعونة الاشعاعات الذرية نجح أيضا الدكتور رفعت شلش فى الحصول على نوع من الدجاج أفضل من سواه فى اقتناء اللحم وانتاج البيض .

وفى هذا المجال يتساوى الباحث العربى مع الباحث الأجنبى ؛ فكلاهما يعرف كيف يستغل النظائر المشعة فى افادة الانسان والبشرية .



الثورة السمكية وتتجه البحوث فى معاهد الأحياء المائية لزيادتها ويرى الدكتور صلاح الزرقة وهو يفحص احدى الأسماك .

والى جوار هذا الوليد الذى يواصل النمو تسير بلادنا فى موكب تحضير واعداد الأولاد الجدد لنواة الذرة . ومن أهمهم الآن توليد الكهرباء بمعـونة طاقتها الهائلة . ويدرس الآن برنامج لانشاء مفاعل يولد نحو ١٠ مليون وات من الكهرباء .

ولم نهمل المستقبل البعيد . فمن مشروعاتنا انتاج الماء الثقيل . وهو مادة وقود المستقبل . ومنه صنعت القنابل الايدروجينية ، كما يستخدم فى عدد كبير فى عمليات تشغيل أنواع من المفاعلات الذرية . فهذه المادة هى رصيد المستقبل فى العالم كله . وهى توجد فى أى أنواع الماء سواء أكان عذبا ، أم مالحا ، أم فى جذع شجرة أو جسم انسان .

... والفضـــاء ...

وفى عالم الفضاء انتجنا عددا من أنواع الصواريخ التى انطلقت من أهدافها الى بعد مئات الكيلومترات ، كما استخدمت فى دراسة الفضاء ومادته ، وسرعته فى طبقاتها المختلفة ولعلك لاحظت عند الغروب ذلك الدخان الذى سكن السماء . وظهر جزء منه لماعا بلون ذهبى ، لقد كانت تجربة لدراسة حركة المادة فى تلك الطبقة من الجو . من الالتواءات التى انتابت هذا الدخان ، عرف الباحثون كيف تتحرك المادة فوق طبقات الهواء الكثيفة .

بهذا تعيش بلادنا فى موكب العلم . بل ان دراسات بعض أبنائها ذات قيمة علمية هامة فى كثير من الهيئات العلمية العالمية . وقد سمعت آيات الثناء على جهودهم ونبوغهم من أساتذة وعلماء لهم مكانتهم الدولية .

وفى هذه السنة ستخطو البحوث العلمية فى بلادنا خطوة جديدة بنشوء وزارة البحث العلمى . ومن مهامها أن توجه البحوث العلمية لزيادة الانتـاج ، وحل مشكلات الصناعة والزراعة . ومن برنامـــج وزيرها السيد صلاح هدايت القضاء على الروتين فى وزارته فهو يؤمن بأن الروتين هو أكبر قاتل للبحث والدراسة .

وهو ينظر الى البحوث العلمية سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية كوحدة يكمل كل من أطرافها الآخرين . ومن ضرورات هذه النظرة التعاون ، وعدم التقيد باللوائح المتعنتة المعطلة . وبمعونة هذا التحرر يريد أن يجعل الباحث فى أسيوط أو الاسكندرية متعاونا مع زميله فى القاهرة . وبهذا سيوجه البحث الى افادة الشعب فكثير من البحوث يوشك أن يثمر ، ولكن توزيع الاختصاصات والادارات يمنع اقتطاف الثمرة ، ويتيح للباحث أن لا يكمل دراسة أخيه ، فتهمل وهى دانية القطوف .

فوزى الشتوى

التفكير المسرحي أين هو؟

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

لكى نمارس الفنـون الدراميـة يجب أن نبحث بعمق وصراحة لماذا تخلفنا فيها ، وكيف نعالج هذا التخلف .

اننا لا نستفيد شيئا من تجاهل الحقـائق ، ولا نستفيد من التعامى عن المشكلات التى نواجهها فى ممارسة هذه الفنون ، وأيضا لا نستفيد من محاولة البحث عن جذور درامية فى أدبنا القديم لمجرد تخطئة النظرية التى تقول : ان الدراما نشأت عند الاغريق اذن ماذا نفعل ؟ !

مشكلة المؤلف

لنبحث مشكلاتنا بحثا واقعيا على ضوء الانتـاج الفنى نفسه .. سنجد مثلا أن من أبرز المشـكلات المشتركة فى كل الفنون مشكلة « المؤلف » .. ان مسرحنا قدم أخيرا محاولات كثيرة جديدة بأن تثير الاهتمام ، أذكر منها ــ كأمثلة فقـط ــ السلطان الحائر لتوفيق الحكيم ، ولعبة الحب للدكتور رشاد رشدى ، والقضية للطفى الخولى ، والدخان لميخائيل رومان ، والسبنسة لسعد الدين وهبـــه ، وعيلة الدوغرى لنعمان عاشور .. ان هذه المحـــاولات وغيرها تدل على الرغبة الجادة فى ممارسة التأليف المسرحى ، وفيها فعلا محاولات ناضجة ، ولكنها فى مجموعها لا يمكن أن تدل على أن مشكلة التأليف اختفت من مسرحنا ، أو أن التفكير الدرامى تأصل فى بيئتنا وأذهاننا ووجداننا .

والمشكلة فى التأليف السينمائى أوضح ، فان ٩٩٪ من أفلامنا عبارة عن موضوعات متشابهة أو منتحلة أو «مفبركة» ، وهى على وجه العموم غير ذات قيمة سينمائيـــة .

وكذلك فى التأليف الاذاعى والتليفزيونى .. ان الميكروفونات والكاميرات تقدم تمثيليات ومسلسلات وبرامج كثيرة ، وبعضها فيه جهد ملحوظ ، ولكننا لم ندرك بعد أسرار الدراما الاذاعية والتليفزيونية رغم ما يبذله التليفزيون مثلا لتشجيع المؤلفين

والواقع أن الأجهزة الفنية فى مجتمعنــا الجديد تحاول معالجة مشكلة التأليف بتشكيل لجان للقراءة ومضاعفة أجر المؤلف المسرحى ، وتخصيص جوائز للتمثيليات التليفزيونية .. الخ .. ومع ذلك فـلا نزال نبحث عن المؤلف الدرامى .. لماذا ؟

أين المشـــكلة

هل السبب هو حداثة عهدنا بممارسة هـــذه الفنون ؟ ان المؤلف السينمـــائى فى الغرب مارس التأليف منذ حوالى ٥٠ سنة ، وأيضا مؤلفـــونا مارسوا التأليف للسينما منذ حوالى ٤٠ سـنة .. واذن فالفرق فترة قصيرة جدا ، وهى أقصر بالنسبة للتأليف الاذاعى والتليفزيونى .. ولكننا اذا أدركنا أن هذه الفنون درامية ، وأن الدراما أساسها المسرح ، وأن المسرح تأصلت مواضعاته فى الغرب منذ مئات السنين ، أدركنا لماذا استطاع المؤلف فى البيئة الغربية أن يمارس المسرح والفنون التى تفرعت منه ، بينما لا يزال مؤلفونا يتلمسون الطريق فى بيئتنـــا التى لم تعرف المسرح الا منذ حوالى ١٠٠ سنة

مشكلة تفكير

واذن فالمشكلة هى مشكلة التفكير المسرحى .. التفكير الدرامى .. والمسألة ليست مسألة بيئـــة

بالمعنى الجغرافى ، فان الدراما الاغريقية نشأت فى بلاد اليونان ، واليونان موجودة كما هى ، ولم تتغير جغرافيتها ، ومع ذلك فان المسرح اليونانى المعاصر ليس أعظم المسارح ، بل ان عظمة المسرح الاغريقى العريق محصورة فى حوالى ١٠٠ سنة ، هى القرن الخامس قبل الميلاد .

ان بيئتنا لم تعرف المسرح ، بمعنى أنها لم تعرف « التفكير المسرحى » الا منذ أن عرفته معرفة بدائية وشكلية حينما نقل الينا فى أواخر القرن الماضى .. فالمسرح لم ينبت عندنا نبتا طبيعيا كما حدث عند الاغريق ، ولم يستنبت كما حدث فى أوروبا ، ولم ينقل الينا استجابة لحاجة الجماهير أو تعبيرا عن وجدانهم أو التماسا لحل مشكلاتهم .. الخ .

وأدبنا لم يعرف المسرح ، ولم يكن من الممكن أن يتطور الى أدب مسرحى .. لو كانت فيه جذور درامية لتطور ، فلماذا لم يتطور ؟ ان المسرح فى جوهره شعر ، وعندنا شعر رائع ، ولكن أين مسرح المتنبى أو مسرح المعرى مثلا ؟! ان هذا لا يمس تراثنا الأدبى ، فهو تراث عظيم ، كل ما فى الأمر أن مكونات الفنون الدرامية لم توجد فى بيئتنا الفكرية لأسباب كثيرة تحتاج الى بحث آخر .

الدراسة والممارسة

المهم هو أننا وان كنا لم نعرف المسرح فاننا الآن نمارسه ونمارس كل الفنون الدرامية ، واذن فمن اللازم أن ندرك معنى التفكير الدرامى ومواضعاته ومتطلباته .. وفعلا بدأت تتهيأ لنا فى مجتمعنا الجديد وسائل هذا الادراك عن طريق تعميم مجال الدراسة وتوسيع مجال الممارسة .. لم يحدث هذا فى مجتمعنا الماضى .. وأنا لا أذكر الماضى لمجرد المقارنة بالحاضر ، بل لأن معرفة العلاقة الوثيقة بين الفن والمجتمع تكشف لنا كيف أدى فساد التركيب الاجتماعى فى الماضى الى تزييف الفن باسم الفن ، وكيف أثر هذا التزييف فى التفكير الفنى .

حكاية الأوبرا

فمثلا فى الماضى أنشأوا دار الأوبرا وافتتحوها بأوبرا ريجوليتو وأوبرا عايدة لفردى ، فهل كان ذلك ضرورة حتمها ارتفاع مستوانا الثقافى أو الرغبة فى رفع هذا المستوى ؟ لا هذا ، ولا ذاك .. فان موسيقانا فى تلك الفترة كانت فى مرحلة البشارف والسماعيات وأدوار الطرب ، وطبعا لم نكن نسمع عن شىء اسمه الأوبريت فضلا عن الأوبرا .. وانما كان المقصود بانشاء دار الأوبرا المحاكاة العمياء للغرب ، وتظاهر الطبقة الأرستقراطية « بالفخفخة » على حساب الشعب الذى لم يكن له فى اعتبارهم أى حساب ، بدليل أنهم لم يسمحوا للشعب بدخول الأوبرا .. فقد كان ثمن التذكرة باهظا جدا ، وكانت « تقاليع » الأورستقراطيين سائدة ، فلم يكن يرتاد الأوبرا غير ذوى « الردنجوت » ، وهؤلاء أنفسهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن الفن ، وهكذا تحولت دار الأوبرا الى معرض للردنجوت والفساتين والعطور والصدور والنحور .. الخ .

موليير .. وشيكسبير

هذا التزييف فى الفن أثر فى المفهومات الفنية .. لم يكن من الممكن تعميق المفهوم الفنى ، لأن الذين سيطروا على المجتمع الماضى لم يتصوروا أن الفن وظيفة فى المجتمع ، أو أن الفن أداة للوعى ، لأن الوعى ضد مصلحتهم ، ولهذا نجد أنهم رغم انشاء مرفق فنى ضخم مثل دار الأوبرا لم يفكروا فى انشاء أى دراسات ثقافية ، بل استخدموا الفن فقط كأداة للتسلية والفرفشة والتخدير .. هكذا نقل المسرح

الينا ثقلا زائفا ، ولهذا لم يكن له أى دور ايجابى فى تكوين التفكير الدرامى ، بل بالعكس كانت ممارسة المسرح ممارسة شكلية ومظهرية من عوائق تكوين هذا التفكير .. من أجل ذلك فشلت المحاولات الفردية الجادة التى قام بها بعض الفنانين ممن تثقفوا بطريق المصادفة مثلا .. ان المترجمات العالمية لم تكن تقدم الا بعد تشويهها غالبا .. فمسرحيات موليير مثلا كان يشاهدها الجمهور على أنها فكاهات للتنكيت .. ومسرحية هملت كان يشاهدها الجمهور على أنها صورة من صور بطولات عنتر وأبو زيد الهلالى .. وهكذا .

بعد الثورة

أما الآن فقد تغير كل هذا .. ان مجتمعنا كله تغير لأن ثورة ٢٣ يوليو أحدثت تغييرات جوهرية فى اقتصادياتنا ومثالياتنا وحياتنا كلها ، وبالتالى تغير التفكير الفنى والمفهومات الفنية ، ولكن لماذا لم يرتفع الانتاج الفنى الى مستوى المجتمع الجديد ؟ !

بديهى أن ممارسة الفنون ممارسة سليمة تحتاج الى ثقافة وتجربة ، ثم ان بعض رواسب التفكير الماضى لا تزال موجودة ، ولكن المهم أن التفكير الأرستقراطى انتهى ، وبدأنا نسير فى المجال الفنى .. أنشئت معاهد لمختلف الفنون ، وتهيأ مجال التجربة ، وأصبحنا ندرك أن الفن أداة للوعى ، وأن الثقافة للشعب ، وأصبحنا نمارس الانتاج الفنى بحرية ، وبدأنا نتخلص من رواسب الاحتكار الفنى والاستغلال الفنى .. ان الفرق المسرحية التى أنشأتها الدولة هيأت الاستقرار للفنان المسرحى .. والقطاع السينمائى العام أنقذ الفنان السينمائى من سيطرة المستغلين والمحتكرين .. وهكذا .

ان التغيرات التى حدثت فى المجتمع ، وفى الوسط الفنى ، والاتجاه نحو التصنيع ، وشعور الفرد بكيانه وحريته ، كل هذا من مكونات البيئة الفكرية التى تفسح المجال للتفكير الدرامى ، ولكن لابد من التعمق فى الدراسة ، والاخلاص فى الممارسة ، لنجتاز مرحلة « التجربة والخطأ » فى الفنون الدرامية .. لابد من التعمق فى دراسة المسرح باعتباره أساس التفكير الدرامى .

المجال الفنى

اننا بدأنا نسير فى المجال الفنى .. المعاهد والجامعات تخرج دارسين متخصصين ، والمسارح والاستوديوهات الاذاعية والتليفزيونية والسينمائية تفتح أبوابها لكل الفنانين ، والجمهور يقبل بوعى على الانتاج المتطور ، ورغم ذلك فلا نزال فى حاجة الى مضاعفة الجهد فى الدراسة والممارسة ، لأن التفكير الدرامى لا يتأصل فى الأذهان والوجدان بسهولة .

الدليل على ذلك أننا رغم التغييرات التى حدثت فى المجتمع وفى التفكير لا نزال فى الفن نلجأ الى « الاعداد » .. ان اعداد القصص الى مسرحيات والى أفلام والى تمثيليات اذاعية وتليفزيونية ظاهرة ملحوظة جدا .. ان هذه الظاهرة تؤكد الحاجة الى المؤلف .. فاذا كانت عملية الاعداد ضرورة لمتابعة النشاط وسد الفراغ مثلا ، فان من الضرورى أيضا التنبيه الى خطورة استمرارها أو قصر النشاط الفنى عليها ، ومن هنا تظهر ضرورة نشر الوعى الدرامى ، وتشجيع الانتاج المدروس وتطهير الحقل الفنى من رواسب الفن الجاهلى .

نصيحة لكل الفنانين .. ادرسوا المسرح .. مارسوا التفكير الدرامى .. تثقفوا يا عالم ! !

عبد الفتاح البارودى

الأزهر والفنون المسرحية

للأستاذ درينى خشبه

لاشك أن هذا العنوان سوف يثير ابتسامات مريضة على شفاه كثيرة .. لكننا لا نملك الآن نصير لهذه الابتسامات حتى نعرض وجهة نظرنا فى ضرورة اهتمام الأزهر بالمسرح وبالدراسات المسرحية نظريا وعمليا ، حتى لا تتسم مفخرة جامعات الشرق بالتخلف وعدم مسايرة روح الثورة .. وبالعيش فى أطباق الماضى أضعاف ما تعيش فى الحاضر ، والعناية بمفاخر الموتى أكثر من الاهتمام بشئون الأحياء .

ولقد كنا أثرنا موضوع وجوب تطوير الدراسة فى الأزهر ، والعمل على عدم وقوف هذه الدراسة عند الأمور النظرية التى تدور حول الشريعة واللغة العربية ، والرجوع بالأزهر الى عصره الذهبى ، أيام أن كان علماؤه . بعد فراغهم من دراسة علوم الشريعة واللغة . يقبلون على دراسة العلوم العملية فيكون منهم الأطباء والمهندسون والبياطرة وعلماء النبات والفلك .. ولا ننسى أن اقتراحنا هذا قوبل عندئذ، ومنذ عشر سنوات على وجه التحديد،، بالاستهجان وابتسامات السخرية ممن كنا نأمل أن يقدروا الاقتراح قدره .. وكانت حجتهم فى الرد علينا أن الأزهر يجب أن يتفرغ لعلوم الشرع واللغة لأنه حصن هذه العلوم الحصين .. ولأنه يجب أن يحتفظ بوقاره .. كأنما اشتغال خريجيه بالطب والهندسة والعلوم الطبيعية والكهرباء مما يتعارض وهذا الوقار ..على أن الزمان دار .. وولى أمور الأزهر من تشبعوا بروح الثورة الحقة ، فاذا الأزهر يخطو خطوته الجريئة الخالدة .. وتكون هذه الخطوة فى مقدمة انتصارات ثورتنا .. ونحن نسبق الزمن فنهيب بالجامعات المصرية أن تصحو .. وأن تأخذ طلابها مأخذ الجد ، فقد دخل ميدانهم منافس قوى لا يعرف الرخاوة فى تحصيل العلم .. منافس يدخل ميدان العلوم العملية مسلحا بقدر ضخم من الرجولة والخشونة والثقافة التى أساسها ما نعلم من الذكر الحكيم والصراط المستقيم .

ونعود الى موضوعنا فنقول ان من أوجب واجبات الأزهر أن يعنى بالمسرح وبالدراسات المسرحية .. وعلى الذين يقابلون اقتراحنا هذا بابتسامة الاستهجان والسخرية أن ينتظروا حتى نعرض وجهة نظرنا فى وجوب ادخال هذه الدراسات علما وعملا ، وبخاصة فى كليتى أصول الدين واللغة العربية .

فكلية أصول الدين تخرج لنا الخطباء والوعاظ والمرشدين الهداة .. وعمل هؤلاء جميعا جزء كبير جدا من الأعمال التى يقوم بها المسرح .. ولم يعد ثمة شك فى أن للمسرح اليوم سلطانا لا يقل عن سلطان المنبر ان لم يتفوق عليه ، بل لم يعد ثمة شك فى أن للمسرحية اليوم سلطانا أقوى من سلطان الخطبة — منبرية كانت أو غير منبرية — لأن الخطبة شىء نادر ، ومرتبط بمكان محدود وزمن محدود، وفئات من الناس محدودة .. فى مسجد وفى يوم جمعة أو فى منتدى أو حفل أو حديث اذاعى .. أما المسرحية فأشمل وأعم .. فجمهور المسرح والسينما والتليفزيون والاذاعة جمهور جامع مانع يشمل المصلين وغير المصلين ، والأطفال والشباب والشيوخ من كل فئات المجتمع .. وهذا الجمهور يتعشق التمثيليات ويقبل على الانصات لها والاستماع اليها والانفعال بموضوعاتها وبشخصياتها والتأثر بمغزاها والاقتداء

بمن فيها من أهل الخير والاعتبار بما يحدث فيها لأهل الشر .. والخطبة أو أحاديث الوعاظ لا تبلغ من ذلك كله الا شيئا قليلا .. بل هي لاتبلغ منه أى مبلغ اذا كان الخطيب أو صاحب الحديث شخصا متفيهقا ثقيل الظل ظاهر التكلف . لا يلبث أن تنصرف عنه الأسماع وتسخط عليه القلوب .. أما المسرحية فعمل جماعى تتضافر فى اخراجه جماعة كبيرة من الفنانين والمؤلفين والممثلين .. وهي من هنا عمل له سحره فى النفوس وسلطانه على القلوب .. واذا كان ذلك كذلك .. فكيف يغيب هذا عن برنامج الدراسة بكلية أصول الدين .. وكيف ينسى هذا البرنامج أن المسرح التى هذا شأنها أصبحت تدخل جميع البيوت والمنتديات والمقاهى والشوارع وثكنات الجنود والمصانع ودور التعليم والمستشفيات .. تدخلها عن طريق الاذاعة وعن طريق التليفزيون ، كما يقبل عليها الناس بعشرات الألوف فى دور السينما المنتشرة اليوم فى المدن والقرى ، وكما يتشبع بها الألوف فى دور التمثيل التى تعنى بها الدولة اليوم كما لم تعن بها حكومة من الحكومات البائدة من قبل ؟ .

كيف ينسى برنامج الدراسة فى كلية أصول الدين المسرح والدراسات المسرحية مع ما لهما من هذا السلطان الكبير على الناس جميعا .. لا فى مصر وحدها ، بل فى جميع أمم العالم ممن ترسل اليهم الدعاة والهداة والمرشدين ، يدعون الناس دعوة الحق ، ويبصرونهم بأمور دينهم ودنياهم ؟ .

اننا نحمد الله أن هيأ للأزهر هذا العدد من الرؤساء المستنيرين الذين يعلمون أن المسيحية لم تنتشر ولم يتمكن سلطانها من نفوس المؤمنين فى أوربا الا حينما فطن الذين كانوا يحاربون المسرح من رجال الدين الى ما يمكن أن يصنعه المسرح من المعجزات فى نشر الدين وتبصير الناس بما فى الكتب المقدسة من هدى وعبر وقصص رائع وأمثال عجيبة فى التضحية والفداء والتخلق بما أمرت السماء أن يتخلق به الناس من خلق حسن .. ولم يكد القسس يدركون ذلك فى أوائل عصر النهضة حتى ألفوا الفرق المسرحية وكتبوا المسرحيات الدينية وقاموا بتمثيلها واستولوا بذلك على قلوب الشعوب وأثاروا حماستهم للدين فتمسكوا بأهدابه ، وأشربت نفوسهم محبته والعمل بما يدعو اليه ..

ورب معترض يقول : « وكيف تتفق فنون المسرح والتمثيل وما فيها من هزل — وقلة مقام — وما ينبغى لرجل الدين المتخرج فى كلية أصول الدين من حسن السمت وسيماء الوقار وروح الحشمة وجلال الهيبة فى نفوس الناس ؟

ونحن نقول ان المسرح ليس كله هزلا .. بل فيه من الجد والأسى ما كان مفخرة لليونان القديمة على أيدى اسخيلوس وسوفوكلس ويوريبيدز .. ومفخرة المفاخر للشعب الانجليزى على أيدى مارلو وشكسبير ، ومفخرة الفرنسيين على أيدى كورنى وراسين .. والألمان على أيدى لسنج وشيلر وجيته .. الى آخر هؤلاء الخالدين الذين تخشع قلوب البشرية كلها عند مشاهدة مسرحياتهم فى كل زمان ومكان .. فهزل المسرح اذن لا خشية منه .. وللهزل المسرحى مجالات أخرى يمكن أن تبرأ منها كلية أصول الدين .

على أننا لا ندرى لماذا يعد الاشتغال بالمسرح ودراسة المسرحية وتأليفها وتمثيلها هزلا ، ولا يكون الاشتغال بالموسيقى وتأليف الكتب فى النغم هزلا ،

ونحن نعلم أن من أعظم علماء المسلمين وأكبر فلاسفتهم من كان يشتغل بالموسيقى ويجيد العزف على العود ويؤلف فى ذلك الكتب العظيمة الخالدة ؟

ألم يكن الخليل بن أحمد أعظم علمائنا بعلم العروض موسيقارا جليل الشأن وقد ألف فى ذلك كتابى : « النغم » و «الايقاع» ؟

وأبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى الملقب بفيلسوف العرب ، ألم يكن موسيقارا رفيع المنزلة وصاحب تلك الكتب الموسيقية الخالدة «فى التأليف» و « ترتيب النغم » و « الايقاع » و « المدخل الى صناعة الموسيقى» و «مختصر الموسيقى » و «تأليف النغم » و « صنعة العود » .

ثم فخر المشرق الاسلامى كله ، والمعلم الثانى بعد أرسطو : أبو النصر الفارابى .. ألم يكن أعظم عازف موسيقى فى العصور الوسطى وصاحب طائفة كبيرة من الكتب الموسيقية فى مقدمتها : « الموسيقى الكبير » و «احصاء الايقاع» و «كلام فى الموسيقى»؟

ثم ابن سينا .. فخر العالم الاسلامى الى الأبد.. ألم يكن عالما بالشريعة وفيلسوفا وطبيبا وموسيقارا عظيما ، وتقريراته الموسيقية فى كتابيه الشفاء والنجاة تشمل كل ما يتصل بالموسيقى العربية .. وكانت كتبه وكتب الفارابى الموسيقية منارة للنهضة الموسيقية فى أوربا فى عصر النهضة ولا سيما فى ايطاليا واسبانيا وألمانيا ؟ !

ثم ابن الهيثم العالم الرياضى الخالد .. ألم يكن موسيقارا وصاحب كتب عظيمة فى الموسيقى.. واستطاع أن يروض بموسيقاه الحاكم المجنون وعدو الموسيقيين حتى شمله برعايته وشجعه على تأليف رسالته : تأثير اللحون الموسيقية فى النفوس الحيوانية؟ ولعله كان يكنى بهذه الرسالة عن الحاكم بأمر الله !

واذا كانت الموسيقى أو الغناء مما يتبرأ منه ويستعاذ من شره فلماذا أوصى النبى صلوات الله عليه باصطحاب من يغنى فى عرس أحد الأنصار قائلا : أو علمتم أن الأنصار — قوم يعجبهم الغزل !

ولماذا قال لمن سألته ان كان عليها حرج اذا غنت : انه لا حرج ان شاء الله !

ولماذا قال الحسن البصرى سيد فقهاء العراق : « نعم العون الغناء على طاعة الله .. يصل الرجل به رحمه .. ويواسى به صديقه »

ثم اذا كان المسرح أو التمثيل رجسا ليس مما يلائم وقار العلماء ، فلماذا احترفه عبد الرحمن بن بشر أحد الأفذاذ من فقهاء بغداد ومؤرخيهم فى زمن المهدى العباسى فكان يجمع فرقته التمثيلية ويقف بها على ربوة فى مواجهة الجامع الكبير فى بغداد عقب صلاة الجمعة حيث يجتمع حوله المسلمون — وقد اندس الخليفة نفسه مرة بينهم .. ثم يأخذ عبد الرحمن فى مناقشة الخلفاء الراشدين وخلفاء الأمويين والعباسيين الحساب (وكان يقوم بأدوار الخلفاء ممثلون من بينهم عبد الرحمن بالطبع) .. ثم يدخل الخلفاء الراشدين ومن استحق من غيرهم الجنة ، ويدخل النار من استحقها من الأئمة العصاة فى نظره ! (على ما رواه البكرى فى صهاريج اللؤلؤ) .

لست أدرى ماذا أصابنا نحن أهل القرن العشرين فتزمت كل هذا التزمت ونبرأ الى الله من قدر الفنون حق قدرها ، فننصرف عن دراسة الموسيقى ودراسة المسرح والاشتغال بهما مادمنا من علماء الفقه والشريعة.. وهاهم هؤلاء فخر علماء الشريعة الاسلامية ممن لا نحلم بأن يكون منا من يسمو الى مكانتهم،

كان منهم الموسيقار وكان منهم المؤلف فى الموسيقى وكان منهم الممثل .. ولم يكن منهم من يتزمت فيعد الاشتغال بشيء من ذلك أو احتراف شيء من هـذا والتأليف فيه عيبا من العيب أو هزلا من الهزل .. والنبى صلى الله عليه وسلم كان يطرب لصوت أبى موسى الأشعرى حينما يقرأ القرآن متغنيا ويقول انه: أى أبا موسى .. قـد أعطى مزمارا من مـزامير داود ! » .

❊❊❊

وبعد .. اننا فى زمن ثورة .. ونحن نعيش أمجد فترة فى تاريخنا .. فلنع ذلك ، ولنحارب التزمت.. ولندرس المسرح والمسرحية علما وعملا لأنهمـا من أمضى الأسلحة فى الوعظ والارشـاد وارهاف الأذواق وشحذ العزائم .. وجميع جامعات العـالم تدرس الفنون المسرحية لجريانها فى حيـاة الناس ودخولها الى بيوتهم غير مستأذنة ولا سيما عن طريق الاذاعـة والتليفزيون ، غير ما يرونه منها فى دور السينما والمسارح .. واذا كانت مهمة كلية أصـول الدين هى تخريج الهداة والواعظين المرشـدين .. فوا أسفاه ان لم يكن المسرح والمسرحيـة من أهم وسائلها فى ذلك ان لم تكن أهم وسائلها كلها .

ان المسرح الدينى الذى هو أساس كل نهضـة مسرحية لا يمكن أن يقيمه ويثبت دعائمه الا العارفون بالدين .. ومن أولى بذلك من رجال كلية أصـول الدين ، أعرف المسلمين بأمور الدين ؟

أما كلية اللغة العربية ونصيبها فى الدراسـات المسرحية فالى عدد تال ان شاء الله .

درينى خشبة

تحيـــة الرسالة

فى الوقت الذى يدور الحديث فيه عن الوحدة بين البلاد العربية فتتلاقى وجهات النظر مرة وتفترق ، تعود (الرسالة) الى الظهور وتاخذ مكانها فى حياتنا اشد ما نكون ظما الى وجودها بعد ان احتجبت فـلم يغن غناءها احد ولم يسد فراغها شيء .. ومن تحصيل الحاصل ان نقول ما بات يؤمن به كل واع من ان الرسالة كانت مجلة ومدرسة وجامعة وسفارة ربطت قلوبا وقربت شعوبا وحققت من معانى الوحدة فى وقت اشتدت فيه الفرقة وظهر فيه التفكك ، ما كان يبدو مستحيلا او عسيرا على الاقل .

وقد تغيرت ظروف وتقلبت أحداث وتبدلت وجوه ولكن شيئا واحدا لم يتغير هو حاجتنا الماسه للرسالة وشعورنا العميق بضرورة وجودها منبرا للراى العربى وملتقى للهوى العربى يثوب اليها مهما تطوح ويسكن اليها مهما ثار ويتفق عليها مهما اختلف .. وما بالقليل هذا فى دنيا المودات والخصومات والمنافسات والاهواء

ان مهمة الرسالة اليوم كمهمتها بالأمس .. مهمـة صعبة باهظة الأعباء كبيرة المسئوليات ولكنها اهل لها بسابقتها فى الريادة ، وتجربتها فى القيادة ، واصالتها فى الفن .

عادت الرسالة لتحيا بعد ان غابت ليكون العـود احـلى ..

ما اسعدنا بعودة الرسالة فى حياة صاحبها .. انها عمر ثان يعينه فى جلال السن على الكفاح ويحقق بـه وله النجاح ويجدد العهد بينه وبين أبنائه المنتشرين فى الشرق العربى بل والاسلامى .. يجدد العهد بين مصر وجيرتها والمؤمنين بها داعية للحريات باعثة للنهضات ناشرة للثقافات حاملة امانة وصاحبة رسالة

نعمات احمد فؤاد

أخبار أدبية وعلمية

الترجمان الآلى فى خدمة السياحة

لقد قامت وزارة الثقافة والارشاد القومى بمشروع جليل لخدمة السياح فى بلادنا ، فقد تم اتفاق الوزارة على شراء عدد كبير من اجهزة «الترجمان الآلى» وهذا الجهاز فى حجم آلة التصوير الفوتوغرافية ،وبهاشرطة تسجيل مما استعمل فى «الريكوردر» ،وبداخل الجهاز توضع الاشرطة التى سيسجل عليها للسائح تاريخ آثارنا وامجادنا الخالدة كقصة الاهرام وابى الهول وتاريخ خوفووخفرع وقلعة صلاح الدين ومتصل بسماعات توضع فى الاذن .

وسينتشر هذا الجهاز فى جميع المناطق الاثرية والسياحية والمتاحف فى بلادنا ، وطريقة الانتفاع بهو أن يضع السائح الشريط فى الجهاز ويستمع الى قصص امجادنا وتاريخنا الصحيح . وقد قرر الدكتور عبد القادر حاتم أن تكون الاشرطة بلغات مختلفة وهى : العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية والإيطالية والالمانية والسويدية واليونانية والتركيه .

****

فيلم سينمائى للسد العالى :

تشترك وزارة السد العالى مع بعض الادباء والقصصين فى البحث فى اخراج قصة السد العالى ، التى ستنتجها احدى الشركات السينمائية التشيكية مع هيئة السد ، واصبح من المقرر ان يدخل على القصة بعض التعديلات التى تقر بها من الحقائق الملموسة مع عدم المساس بحبكتها القصصية ، وبحيث لا تهمل فيها الجوانب الهامة فى تاريخ هذا المشروع الكبير .

مؤلفات الحكيم يعاد طبعها وترجمتها الى الروسية فى الاتحاد السوفييتى

صدرت طبعة ثانية فى الاتحاد السوفييتى من قصة عودة الروح للاستاذ توفيق الحكيم وذلك الى جانب ترجمة يوميات نائب فى الارياف ومسرحية الصفقة وقصص اخرى له

****

الجمهورية العربية تقوم بايصال القرآن الكريم الى المسلمين فى جميع بقاع العالم

صرح السيد وزير الأوقاف بان الوزارة بصدد عمل مشروع جديد يهدف الى تمكين المسلمين فى جميع بلاد وقرى الجمهورية العربية المتحدة وكذلك المسلمين فى بقاع العالم من أن يصل اليهم القرآن الكريم . ويقضى هذا المشروع اعادة تسجيل المصحف المرتل على اشرطة مغناطيسية توضع داخل اجهزة صغيرة تعمل بالبطارية شبيهة باجهزة « الترانزستور »

****

ابتكار جهاز لتصوير المعدة

ابتكر العلماء بجامعة ايرلانجن بالمانيا الغربية جهازا يصور المعدة بالتليفزيون وذلك عن طريق خرطوم رفيع مزود بمصباح كهربائى صغير وعدسة أوبتيك موصلة بسلك من نوع خاص يدخل فى فم المريض فينقل السلك الخاص كل ما يجرى فيها من حركات العضلات

****

مصحف عثمان

العثور عليه فى مكتبة رواق المغاربة بالأزهر

بينما كانت مشيخة رواق المغاربة تقوم بتنظيم مكتبتها التى تحتوى قرابة عشرة آلاف مجلد اغلبها من المخطوطات القديمة فى العلوم والفنون المختلفة اذ بها

تعثر على مصحف كريم مكتوب على رق غزال بالخط الكوفى المجدد فى ستمائة وستين صفحة يرجع تاريخه الى القرن الأول الهجرى ويرجح انه احد المصاحف الاربعة او الستة التى امر بكتابتها الى الانصار الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه به ترميم فى أوله وآخره مما يدل أن ايديانا ولته فى عصور مختلفة. كما ان به بقعا حمراء سببين الفحص عن اصلها. وقد ذكر شيخ الرواق وهو الشيخ احمد محمد الكمبشى ان الذى احضر هذا المصحف الى مصر من المدينة المنورة هو العالم المغربى الكبير سيدى احمد الزروق حيث كان يقوم بالتدريس هناك والمعروف ان هذا العالم من علماء القرن التاسع الهجرى اذ أن وفاته كانت سنة ٨٩٠ هـ ومن بين النفائس التى عثر عليها كتاب الذخيرة فى الفقه المالكى وهو من الكتب النادرة وكتاب نزهة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر وهى نسخة كاملة وتعتبر وحيدة وتقع فى خمسمائة وعشرين صفحة مخطوطة. ومخطوط آخر عبارة عن تفسير منظوم القرآن الكريم للشيخ الامام العالم محمد الاسكندرى وهو من علماء القرن السادس الهجرى وكان يشتغل بالتدريس فى المدينة المنورة وهذا التفسير يقع فى عشر مجلدات كبيرة تضم قرابة نصف مليون بيت من الشعر، ويوجد مصحف آخر بالخط الكوفى ومحلى بالذهب يرجع تاريخه الى سنة ٤٩٢ هجرية.

وقد قامت دار الكتب المصرية بتسلم المصحفين المذكورين للعناية بهما وتجليدهما واعادتهما ثانية الى مكتبة الرواق.

ويرجع السبب فى حفظ هذه النفائس العلمية من الضياع وعدم وقوعها فى يد الفرنسيين عند دخولهم مصر الى أن المرحوم الشيخ محمد عليش العالم المالكى الكبير قد نقلها الى منزله فبقيت به الى ان انتهى الاحتلال الفرنسى لمصر ثم ردها الى مكتبة الرواق.

وقد تولى امانة هذه المكتبة بعده ابنه الشيخ عبد السلام محمد عليش امين دار الافتاء السابق. وبهذه المكتبة فهرس خاص يمكن الرجوع اليه لمعرفة محتويات هذه المكتبة.

ومن طريف ما وجد فى خزانة سيدى احمد الزروق مع المصحف الأول سبحة يبلغ طولها قرابة الخمسين مترا حباتها فى حجم الليمون المتوسط الحجم وقد صنعت من خشب الزيتون وتحوى الف حبة وقد قال شيخ الرواق انها مسبحة الشيخ الزروق وانهم كانوا يتلون عليها الاوراد والأذكار بعد الصلوات

++++++++++++++++++++

مؤتمر اسلامى يعقد بالقاهرة كل عام

يعمل مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على عقد مؤتمر لعلماء العالم الاسلامى فى كل عام بالقاهرة. والغرض من اجتماعه مناقشة المشكلات التى يتعرض لها المسلمون فى العالم، كما يقوم على دراسة الفقه الاسلامى وحكمة التشريع على ضوء التطور الفكرى، ويصدر المؤتمر توصياته النهائية نتيجة ما يعرض له من ابحاث، على ان يستمر انعقاده شهرا او اكثر

****

اسبوع الكتاب العربى فى القاهرة

صرح الاستاذ يحيى ابو بكر وكيل وزارة الثقافة والارشاد القومى المساعد بانه تقرر اقامة اسبوع للكتاب العربى بالقاهرة خلال شهر اكتوبر القادم يدعى اليه كتاب العرب فى كل من الجزائر وليبيا وتونس والمغرب وسوريا والعراق ولبنان والكويت والسودان لكى يعرضوا انتاجهم الفكرى فى المعرض المركزى الذى سيقام بهذه المناسبة وستنظم ندوات خلال الاسبوع المذكور تسهم فيه الهيئات العلمية والادبية والفنية بالجمهورية العربية المتحدة. كما تقرر قيام مصلحة الاستعلامات ومؤسسات الطباعة والنشر، وبقية

دور النشر بعرض مطبوعاتها خلال هذا الاسبوع فى الميادين ومراكز الاستعلامات والثقافة فى المحافظات وسيصدر بهذه المناسبة كتاب باسم (الكتاب العربى) يتضمن حقائق ومعلومات واقعية عن تطور الكتاب العربى . كما سيقام فى نهاية الاسبوع مؤتمر يضم ممثلين عن الناشرين لمناقشة مشاكل الكتاب من حيث الطبع والنشر والتوزيع وعرض الحلول العملية لذلك.

++++++++++++++++++++++

مؤسسة دار القرآن

قد افاد السيد وزير الاوقاف بأن الوزارة قد اعتمد مبلغ مليون جنيه لانشاء « مؤسسة دار القرآن » بميدان رمسيس تضم ٢٠ طابقا الهدف الاساسى لها طبع المصحف الشريف لتواجه طلبات العالم الاسلامى وسيراعى توزيعه بسعر رمزى يقل عن سعر التكلفة وذلك للقضاء على التحريف الذى تتعمده الدول الاستعمارية والمعادية فى طبعها للمصحف ، وتفويت الغرض الذى يهدفون اليه فى هذا التحريف .

كما ان الدار ستقوم بطبع الكتب الدينية واصدار المجلات الثقافية والدينية. وستضم دارا للضيافة لاستقبال علماء العالم الاسلامى .

وسيلحق بهذه الدار مكتبة ذات قاعات للمطالعة والندوات والوثائق الاسلامية المخطوطة والتاريخية النادرة

++++++++++++++++++++++

« جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية »

فاز بجوائز الدولة التقديرية ومقدار كل منها ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية :

الاستاذ محمود تيمور فى الآداب . الدكتور احمد بدوى . فى العلوم الاجتماعية : المهندس على لبيب جبر . فى الفنون :

وفاز بالجوائز التشجيعية وقدر كل منها ٥٠٠ جنيه: المهندسان مصطفى فهمى شوقى ؛ محمد صلاح الدين زيتون عن مشروعهما (مبنى مطار القاهرة الدولى الجديد) .

وكل من الاستاذين محمد سعيد العريان عن كتابه (رحلات سندباد) وعلى احمد باكثير عن مسرحية (هاروت وماروت) . فى الآداب .

والدكاترة أبو الفتوح رضوان ، محمد عبد الهادى عفيفى وعبد الحميد السيد ومحمد آدم عن كتابهما (الكتاب المدرسى) فى العلوم الاجتماعية .

والدكتور احمد دراج عن كتابه (المماليك والفرنج).

والدكتور عبد العزيز صالح عن كتابه (حضارة مصر وآثارها) .

والدكتور فتحى والى عن كتابه (التنفيذ الجبرى فى المواد التجارية والمدنية).

وسيقوم بتوزيع هذه الجوائز عليهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم القادم .

بقية المنشور فى ص ١٣

عنه فيه ألوان الضوء وصار الى منطقة العماء التى خلت من الأضواء والألوان .. ورأى الأرض فى ذلك المنظر الواحد ..

فلعل ذلك ينهى حديث تلك المأساة اللعينة التى تمثل فصولها فى بلاد لاتزال تعيش فى جاهلية التفريق العنصرى واللونى بين الناس ذوى الجوهر الواحد فى عقولهم وقلوبهم وأعمالهم ..

ولعله يوحى للناس بنظرة جديدة الى أنفسهم من خلال نظرات أولئك الرواد الى الأرض وهم فوق !

عبد المنعم خلاف

قصة العدد

الفتى الطريد

ترجمة الأستاذ عبد الرزاق يسرى

كان جون بتيجرو يعمل فى متجر لأبيه . وكان فتى فى ريعان الشباب مولعا بفتاة تدعى اليس رنفيل . كان ينوى أن يتزوجها بعد أن يبلغ الخامسة والعشرين . وقد حدث ذات يوم أن طلب منه صديقه جاك بارتون بضعة جنيهات ينفقها فى علاج زوجته المريضة . ولما كان جون فتى رقيق القلب مخلصا لأصدقائه ، فقد بادر باعطائه النقود من مال أبيه دون أن يطلع والده على جلية الأمر . ولم يكن يقصد سوءا بطبيعة الحال . فكان يعتزم أن يعيد النقود حالما يردها صديقه بارتون . غير أن ابقاءه الأمر فى طى الكتمان كان ضربا من الحماقة وسوء التصرف ، اذ سرعان ما برح الخفاء عندما عجز بارتون عن رد ما اقترضه فى الموعد الذى حدده . وعندها ثارت ثائرة الأب المسكين واتهم ابنه بالسرقة والخيانة وأغلظ له القول ثم طرده ـ وهو فى فورة الغضب ـ من منزله .

خرج جون الى عرض الطريق يحمل قليلا من الثياب تحت ابطه وليس معه من النقود الا النذر اليسير وهو لا يدرى أين يذهب . وكان الوقت ليلا والطريق ممتدا الى الافق البعيد والنجوم ترسل ضوءها الخافت ، فما يكاد ينير أبعد من موطىء قدميه . ثم ما لبث أن سمع وقع أقدام خلفه أخذت تقترب منه رويدا رويدا . ثم أحس بحركة التفاف حوله ورأى رجلا يباغته فى الظلام رافعا يده نحوه كأنما يأمره بالوقوف . فوقف جون مبهوتا ثم استجمع قواه وقال للرجل : « هل معك شىء أتبلغ به فانى فى شدة الجوع » فتقدم الرجل منه ورمقه بنظرة فاحصة ثم قال له « هل معك نقود ؟ » فأجابه جون «لقد طردنى أبى من منزله فخرجت خالى الوفاض . ولكن من أنت ؟ » فقال الرجل « كنت أظنك من الأثرياء فانى أترقبهم لأسلب ما معهم من النقود » وسار الاثنان يتجاذبان أطراف الحديث حتى بلغا خيمة صغيرة بين الأشجار آوى اليها اللص ، ولم يجد جون بدا من قضاء ليلته فيها .

وعندما استيقظ فى الصباح الباكر وجد اللص جالسا على قارعة الطريق وسمع وقع حوافر جواد مقبل فوقه شاب وسيم ، فلما دنا الجواد اعترض اللص طريقه على حين غرة وهو شاهر مسدسه فى وجه الشاب وصاح به «مالك أو حياتك» فانقض جون على اللص وضرب المسدس من يده فى الوقت الذى سقط فيه الشاب من فوق الجواد .

ولاحت من جون التفاتة فرأى فارسين قادمين من بعيد ، وخاف أن يتهم بالسرقة وما يلحقه هو وأهله من فضيحة وعار ، فأطلق ساقيه للريح وأمعن فى الفرار الى غابة قريبة حيث خارت قواه ، فخر على الأرض واستغرق فى سبات عميق . فلما أفاق كان النهار قد ولى أكثره وهو يشعر بجوع شديد ، فسار الى نزل وجده عند حافة الغابة . ولما اقترب من الباب رأى فارسا يذكر أوصافه هو لصاحب الفندق . فلم يكد يسمع ذلك حتى عاد أدراجه وأخذ يسير على الطوى بين الحقول مخافة أن يراه الناس . حتى اذا رأى نصبا عليه ثياب رثة لاخافة الغربان لبسها جون ووضع بدلها ثيابه النظيفة امعانا منه فى التخفى .

وسار هكذا يتقزز من رائحة الثياب القذرة . وما كاد يرى فى احدى المزارع طعاما للأوز حتى افترش الثرى وأخذ يلتهم الطعام التهاما من شدة الجوع . ثم اتجه الى كومة تبن قريبة رقد فوقها وغطى جسده بالتبن حتى قمة رأسه كيلا يراه أحد وهو نائم .

وعندما استيقظ جون سمع همسا من حوله وأحس بأنفاس ثقيلة تقترب منه . فأيقن أن أمره قد كشف وتوقع أن يرى رجال الأمن وقد أقبلوا ليلقوا القبض عليه . فجعل يتردد فى فتح عينيه حتى اذا لم يعد فى قوس الصبر منزع ، نفض التبن عن رأسه فرأى نفسه وجها لوجه أمام أحد الثيران . فنهض متثاقلا وقد صمم على الذهاب الى أى مطعم قريب فقد كانت تحدثه نفسه برائحة الشواء . فلما دخل المطعم وجد حصانا بالباب فجلس فى مواجهته وطلب شيئا من اللحم وفنجانا من الشاى . وبينما هو يرفع الفنجان الى فمه اذ بصاحب الحصان يجلس أمامه ويتمعن فى وجهه ثم ينظر فى صورة بيده وهو يقول « هل أنت جون بيتجرو ؟ » وما كاد يتمها حتى ألقى جون بالفنجان فى وجهه وخرج مهرولا فامتطى صهوة الجواد،وأطلق له العنان ، ليذهب الى أقرب مدينة ويختفى وسط الزحام . وأخيرا لاحت أمامه مدينة . فترجل عن الجواد وسار وحده خائفا يترقب . فرأى اعلانا كبيرا كان أول ما فيه دعوة للقبض على لص خطر . ولم يكن جون فى حاجة الى قراءة المزيد فانطلق الى سوق المدينة واشترى قبعة وثيابا جديدة . وبينما البائع يلفها له اذا برجل يقول «ها هو ذا» ويشير اليه . فغادر جون مكانه من فوره دون أن يأخذ الثياب واندس وسط الجمع ثم خرج الى عرض الطريق . ولكنه رأى رجلين يتبعانه ويصيحان . فجرى حتى اذا وجد حديقة دخلها فوجد بها مجرافا ملقى على الأرض فعاجله جون ــ دون وعى منه ــ بلكمة فى فكه فتناوله وأخذ يجرف به أوراق الأشجار حتى يوهم مطارديه أنه من عمال الحديقة . ولكن خاب فأله اذ لم يلبث أن رأى أحد مطارديه أمامه وجها لوجه . ولما حاول الفرار من الباب الخلفى بعد أن ألقى المجراف ، فوجىء بمطارده الآخر يدخل من الباب . أوقعته على الأرض . غير انه تلقى فى نفس الوقت ضربة من خلفه بالمجراف نزلت على أم رأسه فخر فاقد الوعى .

وعندما أفاق وجد نفسه فى الفراش وأحس فى رأسه بألم شديد ووجد رجلا يرقد فى الفراش المجاور ووجهه مغطى بالضمادات، وسمعه وهو يقول : «قد فقدت الثلاث ولم يعد لى سواها الا القليل . ما أحوجنى اليها ! » فسأله عما يعنيه فقال الرجل : « ما كان ينبغى لك أن تضربنى بمثل تلك القسوة » . فأجابه جون « ولكنى ضربتك لئلا تقبض على بتهمة السرقة » قالها جون وهو يحاول أن ينهض من فراشه ، ويلتمس طريق الفرار ولكنه أحس كأنما تدور الغرفة من حوله . فقال الرجل . « ماذا تعنى بالسرقة ؟ لقد قبض على اللص الذى حاول الاعتداء على اللورد ريفيل » . وخيل الى جون أن صوت الرجل مألوف لديه فسأله « من أنت ؟ » فقال الرجل «حقا أنت تجهلنى ؟» فلم يتمالك جون نفسه من الصياح « أبى أبى ! » فقال أبوه « كم بحثت عنك طوال هذه الأيام وأرسلت الفرسان فى طلبك . لقد أفهمنى جاك بارتون حقيقة الأمر . ولا شك أنك تصرفت تصرفا أحمق ؛ غير أ تصرفى تجاهك كان تصرفا أحمق كذلك . ان الحماقة تجرى فى عروق أسرتنا يابنى » فقال جون « معذرة يا أبى . انى آسف أشد الأسف . «فأجابه أبوه » انى أقبل اعتذارك عن كل ما بدر منك . غير انى لا أستطيع أن أغتفر لك تلك الكلمة التى أطاحت بأسنانى الثلاث . »

فهرس العـــــدد

النـــاشر
الدار القومية للطباعه والنشر


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٢٠ الخميس ١١ ربيع الاول سنة ١٣٨٣ اول أغسطس سنة ١٩٦٣ السنة الحادية والعشرون

الفهـــرس — الصفحة

جيشنا فى سجل المجد

بقلم أحمد حسن الزيات

جرى على خاطرى وانا اشهد العرض العسكرى الكبير فى عيد الثورة الحادى عشر قول الرسول صلوات الله عليه : « اذا افتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فان هـذا الجند خير أجناد الارض » فرجعت بالذاكرة الى ما سجل التاريخ لهذا الجيش الأصيل الحر من الايام المشهودة والوقائع المأثورة فوجدت فى كل يوم وفى كل واقعة مصداقا لهـذه الشهادة الكريمة .

والواقع الذى جرى بالأمس ويجرى اليوم لايزال يؤيد أن الجندى المصرى خير أجناد الأرض لا «نه قهر الحجاز ولم تقو على قهره تركيا ، ولا لأنه فتح عكا وقد عجزت عن فتحها فرنسا ، ولا لأنه سحق الجيش التركى فى نصيبين ولم تستطع سحقه روسيا ، ولكنه خير اجناد الأرض «نه خرج من سلطان الاحتلال وطغيان الملكية سليم الروح نقى الجوهر صليب العود شديد الطماح بعد سبعين سنة قضاها فى أسار الذل غريبا فى وطنه بعيدا عن حصونه مجردا من سلاحه ، تساومه سيطرة الانجليز على عزته ، وتراوده رخاوة الكسل على حميته ، وتغالبه دعة الفراغ على بطولته ، ومضى الشامتون والمتشائمون يقولون : ان الاحتلال صير مصر امرأة ، لهـا الزينة والمتاع ، وعلى عشاقها النفقة والدفاع ، حتى زين العبث لبعض الحمقى من الساسة العملاء القدماء أن يزوجها من انجلترا زواج الابد لتضمن الكاسب وتأمن الغاصب . وجعل الانجليز والملك الذى نصبوه

يعملون لدوام هذه الحال حتى لا يثور الجيش فيزول سلطان ويدول ملك ، فعاثوا في النفوس ، وعبثوا بالضمائر ، وسلطوا الشهوات على الأدوات الحاكمة ، ونشروا الفساد في القوات المسلحة ، حتى اذا حسبوا الحرب في فلسطين بين جيوش العرب السبعة وجيش انهم بلغوا ما ارادوا كذب الله حسبانهم حين شبت اليهود الواحد ، وضرب القدر ضربته الصاعقة بينهم فتفرقت الجنود وتمزقت الالوية ولم يبق في المعركة الا الجيش المصري وحده على الرغم من فساد ذخيرته ونفاد ميرته .

وكانت خيانة الأوغاد للجيش الباسل من خلف الخطوط قد فعلت فعلها في نفوس قواده الاحرار فتقصصوا أثرها حتى وجدوا اقدامها القذرة تنسل من قصر عابدين وتطوف سرا على أهلها في دواوين الوزارة وأواوين الامارة ومواخير الفسق ، ثم تمضي مقنعة بالجاه محروسة بالنفوذ محاطة بالتلصص حتى تدخل على القوات المحاربة الغالبة بالهدنة الغادرة والاسلحة الفاسدة والأوامر الخادعة ، هنالك صرخ المجد الموروث في دماء الضباط الشباب فأخذوا ذلك الملك الماجن والقوه في البحر ، وقبضوا على حاشيته الفاجرة وطرحوهم في السجن ، ولببوا الساسة المريبين وحجزوهم في المعتقل ، وركلوا الموظفين المجرمين والقوهم في الطريق ثم فتحوا بأيديهم البيضاء أبواب الصلاح والاصلاح على عهد جديد مشرق النور خالص الضمير صادق العزيمة اقروا فيه حياة مصر على الوضع الصحيح ، واقاموا سياستها على النهج الواضح ، ورفعوا بنيها الى مقام الانسان الحر المريد ، فملكوا باسمه ونزلوا على حكمه واعادوا أرض آبائه اليه ، وردوا غلة أرضه عليه ، واشعروه أن له قولا يسمع وأمرا يطاع وحكما ينفذ .

ان المجد الذي ناله الجيش المصري في احد عشر عاما من طرده المحتل من أرض الوطن ورده العدوان عن قناة السويس ودفعه الرجعية عن ثورة اليمن لا يطاوله مجد في تاريخ الجيوش جمعاء ، ولكنه لا يزال ملء الاسماع والابصار والافئدة في العالم كله . فلاتركه الى تقديرك لأروى لك صفحتين من سجل أمجاده التي انقذت الأمة العربية وحفظت الحضارة الإنسانية .

(٢)

كانت الأمة العربية في أواخر القرن الخامس الهجري وما بعده قد اوهنتها العلل السياسية والاجتماعية حتى تركتها في نزع الروح . كانت تسير في طريقها المظلم الى مصيرها المبهم من غير قائد يقود ولا ذائد يذود ولا صالح يصلح . كان وطنها قد تقسمته الأطماع وحكمته الفوضى ، وكان دينها قد افسدته الاباطيل وشوهته الفوضى .

وكانت الاقدار تجري على سنة الله في المستضعفين من خلقه ، تهيىء الأسباب لعدوان القوي ، وتعد الوسائل لسلطان القاهر . كانت تهيىء بطرس الناسك ليهاجمها بعصبية الصليب من الغرب ، وتعد هلاكو الفاتك ليداهمها ببربرية التتار من الشرق ، وقضى الله ان يقهر الصليبيون القدس واكثر بلاد الشام ، وان يجتاح التتار بغداد واكثر بلاد العراق ، وصحب هذين الوباءين فواجع في الانفس والاعراض والاموال ، فذبح الفرنسيون الذين استولوا على بيت المقدس سنة ٤٩٢ بقيادة جو دفروابويون سبعين الفا من المسلمين ذبح الخراف ، وقد بلغت دماؤهم المسفوكة في محراب داود ومسجد عمرو ركبتي الفارس الصليبي كما قال المؤرخ الفرنسي (فنك برنتانو) . وظن السفاكون الذين وسموا على قمصانهم اشراط الصليب أن المسلمين قد ابتلعوا ما يملكون من النقود فكانوا يبقرون بطونهم ليبحثوا فيها فلما اتعبهم شق البطون وفتق المصران كدسوا جثث الاحياء والاموات أكداسا واوقدوا فيها النار واخذوا يبحثون في رفاتها عن الذهب المصهور والجوهر المكنون ! ومثل ذلك وافظع منه فعله التتار في بخارى وبغداد . وعلى هذه الوحشية الطاغية ظل الفرنسيون ينشرون الفزع والجوع والذل في فلسطين والشام احدى وتسعين سنة تبددت في عواصفها اضواء الاسلام ، وتطامنت في زلازلها كبرياء العروبة . ووقع بعد قرن ونصف من الزمان ذلك الطوفان الدموي الذي فار في الشرق بتغلب التتار على الخلافة في العراق ، ثم انتشر حتى اجتاح الشام وهدد مصر . فدجا الظلام حتى كاد يسطو على نور الوحي ، وكلب الزمان حتى كاد يعفي على تراث النبوة . ولولا أن تداركهما الله بالجيش المصري فسحق الصليبيين في (حطين) ومحق التتار في (عين جالوت) لحلت الكارثة .

« ٣ »

سار صلاح الدين سلطان مصر بجيشه المظفر الى امارات الفرنج بفلسطين وسورية مخترقا جبال سيناء الوعرة في وقدة القيظ حتى احتل طبرية . وفطن الأمراء الصليبيون لما يريد فاستنفر بعضهم بعضا وتجمعوا بصفورية . وفي اليوم الرابع من شهر يوليو سنة ١١٨٧ م التقى الصليب والهلال على تلال (حطين) . فلما تراءى الجمعان ثارت في دماء المصريين حمية الجهاد فمحوا اللاتين بالسيوف وكسحوهم بالخيل حتى قال المؤرخ الفرنسي م. بوجولا في كتابه تاريخ أورشليم : « لقد استحر القتل بالصليبيين حتى كان من ينظر القتلى يظن أن المسلمين

لم يأسروا احدا ، ومن ينظر الأسرى يظن انهم لم يقتلوا احدا » .

وانخلعت لهذا النصر المبين قلوب الأمراء المستقلين بالمدن الساحلية من فلسطين وسورية فاستسلموا لصلاح الدين ونزلوا على حكمه ، وبذلك تطهرت فلسطين من رجس الدخيل الباغى فلم يبق فى ايدى الفرنج منها الا القدس وقد لجأ اليها المنهزمون من المدن المفتوحة ، فسار اليها السلطان البطل من عسقلان ، وكان حريصا أن يجنبها ويلات الحرب لقداستها المشتركة بين الأديان الثلاثة . فاستوفداليه بعض زعمائها وطلب منهم تسليم المدينة فابوا الا القتال ، فاقسم الا يأخذها الا بالسيف . وأمر الجيش فسلط على اسوارها المنيعة قذائف الدمار . فلما استيقن (بليان) أن السور لايمنع وأن القتال لايدفع طلب الأمان فأباه عليه السلطان لئلا يحنث فى يمينه . فقال له (بوليان) بلهجة اليائس : ان فى المدينة ستين الف مقاتل ، سيخرجون اليك بعد أن يقتلوا نساءهم واطفالهم ، ويدمروا متاعهم واموالهم ، ثم يقاتلوا حتى يقتلوا ، فارتاع صلاح الدين لهذا التهديد واستفتى الفقهاء فى يمينه فأفتوه بأن ما وقع من القتال خارج السور كاف لابرار قسمه ، وأن فى وسعه أن يعتبر من فى المدينة من الصليبيين أسرى حرب . فأخذ بهذا الرأى وجعل الفداء عشرة دنانير عن كل رجل ، وخمسة عن كل امرأة ، وديناراً عن كل طفل ، واجلهم اربعين يوما يؤدون اليه فيها الفداء . فمن وجد منهم فى المدينة بعد انقضاء الأجل المضروب أصبح مملوكا للسلطان .

ودخل جيشه المدينة دخول جيش محمد مكة : ذكر الله على لسانه ، وتقواه ملء قلبه ، فلا عين تمتد الى متاع ، ولا يد تنبسط بمكروه . وقام الجباة على الأبواب فخرج بليان ومعه سبعة آلاف فقير ادى عنهم الفدية ، واقبل فى عقبه البطريرك الأكبر ومعه كنوز الكنائس من جواهر وذخائر واموال ، فلم يعرض صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض أصحابه ، وأبى ان يأخذ الا الدنانير العشرة المقررة . ثم انقضى الأجل ولا يزال فى المدينة آلاف من الفقراء الذين لايملكون الفداء فأصبحوا أرقاء . قال المؤرخ الصليبى (ارنول) وكان فيمن شهدوا ذلك اليوم : « فتقدم العادل الى اخيه صلاح الدين وقال له : سيدى ! انى اعنتك والحمد لله على فتح هذه البلاد فهب لي الفا من ارقاء هذه المدينة . فلما اجابه الى ما طلب أعتقهم من فوره . وتقدم بليان والبطريرك الى السلطان بما تقدم به العادل فوهب كلا منهما الفا فأعتقاهم . والتفت صلاح الدين الى من حوله وقال : لقد ادى اخي صدقته وكذلك فعل بليان والبطريرك ، وبقى ان أؤدى انا ايضا صدقتى . ثم أمر بأن ينادى فى المدينة أن العاجز عن اداء الفدية حرلوجه الله وله ان يخرج . فاستغرق خروجهم بياض النهار لكثرتهم كما قال ارنول !

فاين ما فعل صلاح الدين مما فعل جودفروا ؟ أليس الفرق بين الفعالين هو الفرق بين الكفر والايمان ، وبين الوحشي والانسان ؟

« ٤ »

استولى هولاكو السفاح على العراق سنة ٦٥٦ هـ ثم اندفع منه الى الشام اندفاع السيل الجارف ، ثم وقف بجنوده القساة على حدود مصر ، فلو انه فتحها لفتح المغرب العربى كله ودمر الحضارة الاوربية تدميرا لا حيلة فيه ولا نجاة منه كما يعترف بذلك المؤرخون الاوربيون انفسهم . وتلك يد اخرى للجيش المصرى على العالم بأسره .

أرسل هولاكو الى سلطان مصر الملك المظفر يتوعده ويتهدده اذا لم يبذل الطاعة ويقر بالخضوع فثارت به الحمية وملكته عزة النفس واستنفر المصريين لجهاد التتار فنفروا خفافا وثقالا وهم يعلمون أن العدو الذى لم يهزم قط بلاء لا يكشف وقضاء لا يرد . فسار بهم الى فلسطين مقدما امامه الأمير بيبرس . وجرت بين المصريين والتتار موقعة عظيمة عند (عين جالوت) فى شهر رمضان من سنة ٦٥٨ . يقول المقريزى فى وصف هذه المعركة : (فلما كان يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان اصطدم العسكران وفى قلوب المصريين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس وقد امتلأ الوادى وكثر صياح أهل القرى ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء فتحيز التتر الى الجبل ، فاضطرب جناح السلطان وانتفض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته : وا اسلاماه ! وا اسلاماه ! وا اسلاماه ! وحمل بنفسه وبجيشه حملة صادقة فكسروا التتار ثلاث كرات فى ثلاث مرات ، وقتل قائدهم كتبغا وانهزموا هزيمة منكرة صدتهم عن مصر وأجلتهم عن الشام وردتهم الى العراق .

هذان مجدان من امجاد الجيش المصرى كان فيهما مثابة لأمن الشرق وملاذا لثقافة الاسلام وحمى لحضارة العالم . ولن يكون مجده فى اليمن آخر امجاده ، ولا جهاده فى سبيل نهضتنا غاية جهاده .

احمد حسن الزيات

مِنْ وَحْيِ القرآن

للدكتور محمد يوسف موسى

« آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير »

لعل الكلام عن هذه الآية من القرآن الكريم ، وعن الآفاق التى تفتحها امامنا ، وعن الاعمال التى تدفعنا اليها ، هو خير ما نفتتح به كتابتنا للرسالة فى عهدها الجديد ، وهى المجلة الحبيبة الى نفوس ابناء العروبة والاسلام جميعا ، والتى افاد منها الأدباء والكتاب فى كل بلد من بلاد امتنا المجيدة ، والتى كان لنا شرف الاسهام فى تحريرها فى ذلك الماضى المجيد .

وبعد ، ان كتاب الله تعالى هو الذى اخرج الله به العالم من الظلمات الى النور ، وهو القول الفصل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وآتانا الله به العقيدة الحقة ، والشريعة العادلة ، والأخلاق الفاضلة ، وهو الذى جعلنا جل شانه به خير امة اخرجت للناس ما دمنا تؤمن بما جاء به ، ونعمل بأوامره ونتجنب نواهيه .

وبهذه الآية الكريمة يخاطب العليم الحكيم المسلمين فيطلب منهم تحقيق الايمان بالله ورسوله ، والثبات على هذه العقيدة التى هى راس الفضائل واساس النجاح فى الدنيا والآخرة ، كما يأمرهم بالانفاق مما آتاهم الله من فضله وجعلهم خلفاء له فيه ، فانه هو الذى له ملك السماوات والارض ، ويعدهم على هذا بالاجر الكبير فى حياتهم الأولى وحياتهم الأخرى .

والاسلام يقوم على الأصول التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حديثه عندما جاءه جبريل عليه السلام يسأله عن الايمان والاسلام والاحسان ، وأول هذه الأصول هو « شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله » ، ومعنى هذا اعتقاد المسلم هذه العقيدة والاعلان بها ، بحيث تكون ملاك امره كله بعد ان اطمأنت اليها نفسه وامتلأ بها قلبه ، فيصبح لا يعيش الا لها ، ولا يصدر فى قول أو عمل الا عنها .

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما لهذه العقيدة من اثر لا يقدر قدره ، وما لها من حقيقة يجب ان نعرفها ونعيها ونوليها كل رعاية وعناية .

ولذلك كان من الطبيعى أن يلتفت اليها اول امره ، وأن يعنى بها العناية الشديدة ، مع حاجة العرب الذين بعث فيهم ، وغيرهم من سائر الامم الذى بعث اليهم ، للاصلاح فى كل نواحى الحياة .

انه لم يجعل همه قبل كل شىء الا الدعوة الى هذه العقيدة ، وفى تصحيح عقيدة من كان يعيش بين ظهرانيهم ، مؤمنا تمام الايمان بانه حين يصل من ذلك الى ما يريد الله ، كان هذا ايذانا من العليم الحكيم بالاصلاح الشامل ، وحينئذ يدين للعرب العالم كله ، وتصبح امته المجيدة خير امة اخرجت للناس ، ويكون مقامها مقام الامامة والتوجيه .

وحين اتم الله على العرب نعمته واكمل لهم دينهم الذى رضيه لهم وصاروا مؤمنين حقا بالله ورسوله وشريعته ، وعاملين بما امرهم الله ورسوله به ، حصل اعظم انقلاب عرفته البشرية ، وصار هؤلاء العرب على غير ما كانوا عليه فى كل نواحى الحياة .

انهم صاروا على عقيدة واحدة تقوم على عبادة الله الواحد ، والايمان برسول واحد هو خاتم رسل الله وانبيائه ويسعون لغاية مجيدة واحدة وهى ان يكونوا خلفاء الله فى ارضه وميزان الحق والعدالة بين الناس .

انهم صاروا خلقا آخر فى كل شىء ، صاروا الهداة الى الدين الحق بعد ان كانوا عنه فى ضلال بعيد ، صاروا الأمناء الصادقين فيما يصدر عنهم من اقوال واعمال ، صاروا رحماء بأنفسهم أشدة على اعدائهم ، صاروا سادة وقد كانوا مسودين ، وبجملة واحدة انهم صاروا قادة البشرية الى الخير ودعاة العالم الى حياة العزة والكرامة .

واذا كان الله تعالى يخاطب بهذه الآية المسلمين المؤمنين بالله ورسوله ، فانه يعلم ما يدعو اليه الايمان من عمل بشريعته التى رضيها الله لنا وللناس جميعا ، ومن الاخلاق الفاضلة التى بها يقوم أمر الفرد والمجتمع والأمة ، ومن بذل وتضحية فى سبيل الله والخير العام ، ولهذا كله كان يأمرهم بالايمان بالله ورسوله انما يأمرهم بتحقيق هذا الايمان فى قلوبهم ، وبأن تكون أعمالهم فى كل حال على وفقه .

وذلك بانه فى هذا العصر وفى كل عصر نرى كثيرا من الناس يشهدون بوجود الله والا اله الا هو وبان محمدا عبده ورسوله ، كما يقرون بجميع سائر اصول الاسلام والايمان الخمسة ، ومع هذا لايدفعهم هذا الايمان الذى يزعمون من البعد عن الطريق السوى ورفض كثير من تشريعات الله ورسوله والوقوع فى كثير مما حرمه ونهى عنه .

انهم بذلك يتناسون ما يعرضهم له ما هم عليه من عصيان الله ورسوله من الخروج عن الاسلام الذى يقوم على التسليم والاستسلام لله فى كل ما يقولون ويفعلون ، وقد كان حريا بهم ان يعرفوا ان الشاعر العربى قد اصاب حين قال : « ان المحب لمن يحب مطيع » .

ان الذى يدير معصرة للخمر ، او ناديا للقمار ، او يعمل فى غير هذا وذلك مما حرمه الله ، لا يكون حريا بوصف الايمان الحق ، لانه لو كان مؤمنا بالله حقا ومصدقا برسوله وبما جاء به من شريعة عادلة ، ومؤمنا كذلك بما اعد الله لعباده الطائعين والعاصين من ثواب وعقاب فى الدار الاخرى ، لما جرؤ على الاقدام على هذه المعاصى ونحوها ، وصدق الرسول حين يقول فى بعض احاديثه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن » .

ولعل مما يدلل على أن الانسان اذا خرج عن حكم الله ورسوله ورفض الخضوع لما جاء به الاسلام من التشريعات الحكيمة يكون قد وضع نفسه موضع الخارج عن الدين المتمرد على ما قضى الله ورسوله به ، هو قوله تعالى فى سورة النور : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا » .

وذلك ايضا بأن الايمان عقيدة حقة تدفع — متى كانت صادقة — صاحبها الى الأعمال الصالحة ، فهو دائما مطيع لله فى كل امره لا يخرج عن أوامره ونواهيه فى اى شان من شئونه ، فليحذر الذين يخالفون عن امره « سبحانه وتعالى » أن تصيبهم فتنة ، أو ان يصيبهم عذاب اليم هذا ، وبعد الامر بالايمان بالله ورسوله فى الاية الكريمة ، نراه جل وعز ، يامرنا بالانفاق من المال الذى جعلنا خلفاء له فيه ، وتلك حقيقة ينبغى ان نضعها دائما فى قلوبنا وامام ابصارنا فى كل حين .

انه سبحانه وتعالى له ملك السماوات والارض ويمنح من يشاء من عباده ما يمنحه من الرزق الواسع والمال الكثير ، تفضلا منه وانعاما عليه ، وهذا الذى يمنحه يعتبر فى ظاهر الأمر مالكا له الى حين ، فقد كان فيه خليفة لمن سبقه ، وسيخلفه غيره فيه بعد وفاته ، بل ربما يخلفه فيه فى حياته .

وهذه الحقيقة تجعل من الحمق ان يضن الانسان بشىء لا يملكه على الحقيقة وسيزول عنه حتما فى يوم ما ، بل ان العقل هو فى الانفاق من هذا المال فى وجوه الخير التى امر الله بها ، على نفسه واهله بالمعروف ، وعلى اخوانه فى الدين والوطن الذين يحتاجون لعونه ، والذين لا يجد الواحد منهم بعد كدحه وجهده ما يكاد يعيش منه عيشة كريمة ، وهم جميعا مثله عباد الله وعياله ، والرسول يقول : « خير الناس عند الله انفعهم لعياله » والله جل شأنه قد جعل لهم حقا معلوما فى اموال الأغنياء غير الزكاة ان لم تف بحاجتهم ، ولصاحب السلطان ان يكرههم على اداء هذا الحق لأصحابه ان لم يبذلوه عن رضا طيبة بذلك نفوسهم ، وذلك هو لب الاشتراكية الاسلامية العادلة .

ويختم الله تعالى الآية بقوله : « فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » . ذلك بأن الله وهو العليم بطبائع النفوس ، الخبير بخبايا القلوب ، والذى يعلم ما فطر عليه كثير من الناس من حب المال والشح به حتى عن انفاق القليل منه فى الوجوه الطيبة والسبل المشروعة ، لم يكتف بالأمر بالانفاق من المال الذى لسنا الا خلفاء فيه ، بل وعدنا على ذلك بالأجر الكبير اذا آمنا بالله ورسوله وادينا ما فى اموالنا من حقوق.

تلك يا اخى آية محكمة من كتاب الله وفى العمل بها الخير لنا جميعا فى الدنيا والآخرة ، وبالعمل بها نكون حقا خير امة اخرجت للناس ، ونعم أجر العاملين .

الدكتور محمد يوسف موسى

شخصية سورية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كانت مصر فى القرن التاسع عشر كالحرم المباح الذى يحج اليه كل قاصد دون قيد أو شرط . وكان اليونانيون والأرمن ، والمالطيون والطليان ، والقبرصيون والصقليون ومن اليهم يرتادون هذا الحرم ، وينظرون اليه نظرتهم الى الملك المشاع الذى يدعى كل انسان ان له فيه حقا . فكانوا يستقرون فيه ، ويزحمون ابناءه فى كل شىء حتى فى لقمة العيش . ولم يكن من حق احـــد من المصريين أن يمسهم باذى أو ينالهم بسوء ، فقد كان لهم من الحقوق ما يجعلهم أعلى مرتبة من كل واحد من المصريين مهما طار صيته وعلا شأنه ، فلقد منحهم خليفة المســلمين — فى ساعة صحو او ساعة غفلة — من الحقوق والامتيازات ما جعلهم فوق القانون فى كل بلاد الخلافة . وساعدتهم هـــذه الامتيازات او هذه الحماية على ان يكون لهم الغنم ولغيرهم الغرم ، فأثروا على حساب المصريين ، واصبحوا من العظماء والوجهاء الذين يعتمـــد عليهم السلطان ، ويقصدهم كل ذى حاجة — حتى من هم من أولاد البلد من مصرنا العزيزة .

وكان اخواننا السوريون يعلمون من امر مصر كل شىء ، فهى فى عرفهم البلد الطيب والمقام الكريم . البلد الذى قال فيه القرآن الكريم — اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم — وكانوا يرون أنهم احق بخيراتهـــا وكنـوزها من الأرمن والطاليـــان والمـالطيين لانهم والمصريين ابناء امة واحدة هى الامة العربيـــة . وهم والمصريون سـواء فى الحقوق والواجبات لاامتياز لسورى على مصرى ، ولا رعاية خاصة له .

وكان أديب اسحاق من الذين يسمعون الاحاديث عن الســـوريين الذين جاءوا مصر وكتب لهم الفوز فاصبحوا من الأعيان والوجهـاء من أصحاب الثراء الواسع والجاه العريض . فهفت نفسه هو الآخر لان يتخذ من مصر مهاجرا ومستقرا .

كانت عدته عند مجيئه كتاب توصية كتبه الدكتور شبل شميل لصديقه الحميم السيد جمال الـــدين الافغانى ، يقدم اليه فيه الفتى ويوصيه به خيرا .

ولم يكد الفتى يلتقى بجمال الدين حتى اكتشف فيه السيد الفتى الألمعى الذكى الذى يقول الشعر ، ويكتب النثر ، ويجيـــد الترجمة . فقربه منه وعاونه على اكتشـــاف نفسه ، واكتشاف البيئة الجديدة التى اتخذ منها مستقرا ومقاما .

كانت مصر فى ذلك الوقت تشهد صراعا عنيفا حادا بين قوى ثلاث : قوة النفوذ الأجنبى ، وقوة السلطان الجائر او الحكومة المستبدة ، وقوة الشعب . واختار اديب اسحاق ان يقف الى جانب الشعب يذود عنه ، ويعبر عن ارادته ، ويبصره بمواقع الزلل ، ويعرفه بما له من حقوق وبما عليه من واجبات . وكانت وسيلته الى ذلك الكتابة فى الصحف ، والانخراط فى سلك المنظمات السياسية .

انشأ من اجل ذلك صـحيفته التى سميت باسم — مصر — ونذر على نفسه أن يجعلها فى خدمة الأفكار الثورية التى تختمر فى الأنفس وتحدث الانقلابات التى تمكن من الاصـــلاح الجذرى « فآليت على نفسى الا امسك القلم عن تهيئة الخواطر لثورة الأنفس حتى ارى فى منبتى ما رأيت فى غيره من محاسن آثارها . والا اعدل عن مقـاومة الظالمين حتى ارى قومى امة تقول ما تعتقد ويؤخذ بما تقول . والا ابرح متوسلا لنبهاء الشرق بحرمة المجد القديم ووحدة الذل الجديد أن يضرموا فى القلوب نار الغيرة والحمية ، حتى ارى الشرق وطنا عزيزا — فلا عزة للوطن الا بالأمة . ولا وجدان للأمة الا بالحرية » .

وانتظم اديب اســـــحاق فى سلك الحزب الوطنى القديم الذى قاد الثورة العرابية فيما بعد ، وجعل من نفسه الكاتب الاول الـــــذى يدافع عن الحزب امام المعارضة ، والذى يشرح اهدافه لكل من الانصـــــار والاعوان او الخصوم والأعداء — على حد سواء .

« فالحزب الوطنى غير متعصب الا فى وطنيته . والحزب الوطنى غير معاد الا للخائنين .

يروم أحياء مصر لأهل مصر وترمون اماتتهم جميعا يا أيها اللؤماء .

وبريد أن يكون المصرى فى مقام الانسان — مستقلا بوجوده ، متمتعا باستقلاله ، فائزا بحقوقه ، ناهضا بواجباته ، وتريدونه فى منزلة الحيوان يساق للحرث ، فان عجز فللسلخ ، ثم تجعلون من جلده ربقا لاخوانه وسياطا للمقاومين .

ويطلب أن يكون الوطنى مساويا لجاره ، غير معارض فى داره ، يحصد مما يزرع للعيال لا لأهل الاغتيال ،

ويجنى مما يغرس للأولاد لا لأهل الفساد . وتلتمسون ان يكون غريبـــا فى آله ، مصـــادرا بماله ، يطعم من يجيعه ، ويؤمن من يروعه ، ويحفظ من يضيعه ، ويصون من يبيعه .

ويقول : الحرية حياة الأفراد ، والاستقلال حيـاة الجمــع ، فلابد لأفرادنا أن يكونوا احرارا ، ولابد لجمعتـــا من الاستقلال . وتقولون الحرية تبطل آمالنا ، والاستقلال يفسد أعمالنا ، فلابد للأفراد ان يكون على رقابهم يد من حـــديد ، ولابد للجمع من التفريق والتشريد .

وينظر الى مصلحة الوطن واهله ، وتنظرون الى المنصة والدينار . ويخدم الأمة حبا بالأمة وتخدمون الأجنبى حبا بالمال .

فهذا شأن الحزب الوطنى وشأنكم يا أيها المنافقون. فهو الفوز المستقبل وأنتم البهرجة الحاضرة .

وهو مصر بما فيها من فضل وذكاء ، ونباهة وعزم، وان كره الخائنون .

وهو ما تعلمون وما تنكرون . ولسوف تعترفون — يوم تكمد الوجوه ، وتضيق الانفاس ، يوم ترفع الامة أصواتهـــا وتنشر راياتها ، يوم ينادى منادى الوطن : يا أهل مصر انقذوا مصركم .

ان ذلك اليوم ليوم شديد . ان هذا اليوم ليوم عتيد » .

***

قاد اديب اسحاق معركة النضال القومى ضـــد السلطان الجائر والأجنبى الدخيل . وكتب فى ذلك من المقـــالات ما ازعجهم وما جعلهم يعملون على ان يكسبوه الى صفوفهم . ولقد سعى اسماعيل الى ذلك ولكن خاب مسعاه . وظل الفتى السورى مخلصا للشعب المصرى ومنذرا اسماعيل بسوء العاقبة .

« فحنانيك يا مولاى .. لا تؤاخذ محبا للانسانية لم يبعها منك بخمسة وعشرين أو بمائتين وخمســـين اشتراكا فى صحيفته .

وبعد فما حاجتك يا مولاى بهذا الصوت الضعيف وقد نفخت الجوائب بين يديك بوقها ، وضربت جرائد مصر فى ناديك طبولهـــا . وهى — ومن جعلك ولى نعمتها — أعرف من هذا العاجز باستعطاف الخاطر ، واجتلاب الدرهم ، وتمويه الباطل ، وتشويه الحق .

بل ما حاجتك بالطبول والضـــاربين ، والبوقات والنافخين ، والازجال والمادحين — والعربية المستتركة تراها فى جريدة التملق ، والقبطية المستعربة تقراها لصاحب التشدق ، الست القائل : لا أخاف المصريين انهم قطيع من الغنم اهش عليهم بعصا الراعى سوقا الى حيث أشاء . أو لست الزاعم انهم لا يفهمون خطابا ، ولا يحسنون جوابا ، ولا يعقلون .. فان عقلوا فلا يقولون .. وان قالوا فلا يفعلون .

أم رأيتهم يعقلون فخفت منهم القـــول ثم سمعتهم قائلين فداخلك الوهن .

أجل .. ولســوف تراهم فاعلين .. فلا تحسبن امهالهم اهمالا . انهم ينظرونك الى غــد ، وان غـدا لناظره قريب » .

***

ولد اديب اسحاق بدمشق عام ١٨٥٦ والتحق منذ الصغر بمدرسة الآباء العازاريين فتعلم فيها العربية والفرنسية . وكان استاذه فى اللغة العربيـــة يبشر والده بأن ابنه سيكون أديبا ممتازا فقـــد كان اكثر كلامه مسجعا موزونا .

لم يمض اديب إسحاق فى التعليم الى غايته فقـد اضطرته ظروف المعاش الى أن يغادر المدرسة وهو فى الحادية عشرة من العمر ، وأن يعمل كاتبا فى الجمرك براتب قدره مائتا قرش . ولم يشغله ذلك عن المضى فى القراءة ، وعن الكتابة فى الصحف والمجلات ، وعن قول الشعر ، وعن ترجمة الجياد من المسرحيات التى مثلت فى كل من القطرين السورى والمصرى .

وحين بلغ من العمر خمسة عشر عاما استقدمه والده الى بيروت ليعمل الى جانبه فى مصلحة البريد براتب افضل . وهنـــاك تعرف على جملة من الأدباء ورجال القلم ، وانتهى به المطاف فى النهـــاية الى الاشتغال بالصحافة فتولى تحرير جريدة التقدم .

نازعته النفس عنـــد ذلك الى السفر الى مصر فجاءها ، كمــــا عرفنا من قبل ، واشتغل بالعمل السياسى كما يشتغل كل مخلص لبلاده ووطنه .

ولقد احب أديب اسحاق مصر والمصريين حبا ملك عليه كل جوارحه حتى لقد كان هذا الحب مصـدر عجب واستغراب « وقد زعم بعض الناس انك تختص مصر فى سعيك ، وما علموا أن شمول البلاء قــد عم الشرقيين فما يقـال فى فريق منهم ينطبـق على الآخر من أكثر الوجوه ، فان خصصت فقـد حصل التعميم ، وان عممت فان ذلك هو النفع العظيم » .

« ومصر ، ولا حياء فى الحب ، بلد تركت فيـــه زهرة أيام الشـباب ، وخلفت باكورة غرس الآداب ، وهززت غصن الأمانى رطيبـــا ، ولبست ثوب الآمال

(البقية على الصفحة التالية)

الإنسان المعاصر والقيم الروحية

للأستاذ محمد فتحي عثمان

« تروى الاسطورة ان بروميثيوس سرق سر النار من الآلهة ووهبه للجنس البشرى .. وترتب على هذا التحدى ان حصل الانسان على الفهم والعقل وفنون الحضارة كلها . وقد مر على العالم الغربى ثلاثة قرون واكثر وهو مسرح لثورة أصبحت عالميـة ، وجعلت الفترة الحاضرة تشعر انها حديثة :

فهى برمة بالتراث المنحدر اليها الذى قيل انه لا يقبل الجدل ، معجبة بتفتحها الذهنى وقدراتها ، وواثقة من ان العالم ليس مكانا لعقوبة الانسان وحرمانه وانما هو المادة الخام التى يعمل فيها ذكاؤه وفنه » .

هكذا يصور الأستاذ الدكتور فرانكل

استاذ الفلسفة ورئيس قسمها

بجامعة كولومبيا الطابع الفكرى والنفسى للانسان المعاصر ..

وادت الانتصارات الكبرى التى حققها المنهج التجريبى الى نزوع جامح الى ان تسود (التجريبية) كل شيء ، وان يدخل (المعمل) كل شيء .. والا فلا اقتناع ولا قبول !!

وواجهت القيم الروحية لفح البركان الثائر ..

ان القيم الروحية تنزع الى عالم آخر وراء الحس والمحسوس .. قد يكون هو الوجدان والضمير – او (الملكوت) الذى فى داخل الانسان ، وقد يكون هو الله الذى يعلم السر وما تخفى الصدور .. فهل يتخلى الانسان عن هذا الحديث بعد ان اصبح لغوا غير ذى موضوع فى عصر المادة والحس والتجريب ؟! ام يعيد (تكييف) الموقف (وصياغة) قيمه على هدى المنهجية السائدة ؟!

***

ان ثمة جوانب من الثقافة والحضارة الانسانية ، يعتبر جواب هذا التساؤل اساسيا بالنسبة اليها بصفة خاصة ، نظرا لاهمية القيم الروحية فى بنائها وكيانها ، فى موضوعها ومنهجها ..

ومن هذه الجوانب الكبرى للثقافة والحضارة الانسانية التى تلعب القيم الروحية فى بنائها الدور الخطير : الفن – بمفهومه الواسع الشامل ، ودراسة النفس الانسانية ، والاخلاق .

أما الفن ، فلطالما كان المجال الأكبر للمثاليات والمطلقات .. فكيف يخرج من الحدس والتجريد ، الى القياس والتجريب ؟!

ان المدرسة الاجتماعية فى علم الجمال ، ترى ان تفسير عمليات الابداع الفنى يكون بالرجوع الى المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة ، مع تأكيد اهمية (الصنعة) فى عمل الفنان ، ودور الوعى الجمالى (للمجتمع) نفسه فى توجيه الفنان نحو نزعة بعينها من النزعات الفنية المعاصرة ، ومن هنا لايكون الابداع الفنى خلقا من العدم او شرارة من الالهام !! وارتأت الفلسفة الماركسية ان الفن وكل النظم السياسية والثقافية انما تقوم على أساس من الانتاج المادى وظروفه السائدة على انها قد تبقى زمنا بعد تغير ظروف الانتاج اذ قد يتأخر وعى الانسان بالحاضر نتيجة لسيطرة الماضى بتقاليده الموروثة ولو كانت لم يعد لها مبرر من الواقع القائم !!

وظهرت حركة المانية لاقامة (علم عام للفن) !! واستهدفت تقديم دراسة بشرية عامة تبرز الوظائف العديدة للفن فى الحضارات المختلفة ، بما فى ذلك الوظائف الدينية والقومية والنفعية والعاطفية . الخ ،

تشبيبا ، فما عدلت بى عن حبها النكبة ، ولا انستنى عهدها الغربة ، ولست اول محب زاده البعد وجدا ، ولم ينكث على العهد صدا . فيا

رعى الله مصرا والسلام على مصر **ويا حبذا مصر على الصد والهجر**

فحذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد ، وانكم لمحفوفون بالعيون والأرصاد » .

وتوفى اديب اسحاق ببيروت عام ١٨٨٥ ولم يكن قد جاوز الثلاثين من العمر .

فرحم الله اديب اسحاق فلقد كان بالنسبة لمصر والمصريين كالديدبان الماهر الذى يدرك الخطر قبل وقوعه ، وينذر بالعاصفة قبل هبوبها .

دكتور

محمد احمد خلف الله

باعتبار ان الفن لا يمثل ظاهرة نوعية مستقلة ، ولا يخرج عن كونه واقعة من وقائع الحضارة او الثقافة بمعناها العام . ومن اعلام هذا الاتجاه

دسوار ولوتيتز (١)

وفى علم النفس انتقلت الدراسة من مجال التاملات والافكار المجردة الى مجال الاستقراء والتجريب ، وجاء (التحليل النفسى) يقرر ان فى صميم كل شخص دوافع اساسية تمد وجوده السيكولوجى بالقوة المحركة على مدى الحياة ، وان النفس الانسانية تتميز بحاجة دائمة الى تخفيف التوتر الناجم عن هذه الدوافع والذى يشعر به المرء على هيئة احساسات بالضيق ، وحين يخف هذا التوتر عن طريق النشاط الحركى يشعر المرء باللذة . وهناك تشابه كبير بين فكرة (فرويد) فى ان (الانا) تعمل على تخفيف التنبيه داخل الكائن العضوى ونظرية (كانون) الفسيولوجية فى استعادة التوازن . والدوافع فى رأى فرويد تمثل ميلا فى المادة الحية الى استرجاع حالة سابقة ، وهو يسلم بانها كمية من الطاقة متحركة فى اتجاه معين ، فالدوافع اذن مفهوم يقع على الحد الفاصل بين المجال النفسى والفيزيقى : (فهى الممثل النفسى للمنبهات التى تصدر عن الكائن العضوى وتتغلغل فى النفس ، وهى فى الآن ذاته مقياس للمطالب التى تفرضها على الطاقة النفسية صلة النفس بالبدن)(٢)

اما الاخلاق : فلا مجال فيها هى الأخرى لفكرة (المطلق) سواء اكان هو (الواجب) ام (الله) .. فاذا كان مفكرو الاغريق قد ذهبوا الى ان التجربة لاتمد فى معرفة الوجود بأكثر من الرجحان الممكن فنتائجها جزئية لا كلية ، بيما الحقائق هى التى يبرهن عليها العقل برهانا كاملا ، ومن ثم نشأ لديهم التمييز بين الحقائق العقلية والوجودية ، فان الثورة العملية فى القرن السابع عشر قد احدثت تعديلا كبيرا ، فقد طبق العلم بمعونة الرياضيات نظام المعرفة البرهانية على المسائل الطبيعية التى كان لها فى النظام القديم من صفة الثبات ما جعلها تتعلق بالصور العقلية المثالية وانقلبت المنافسة بين الفلسفة بين القيم الروحية التى تضمنها التراث الفلسفى القديم

(١) دكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ، دكتور غنيمى هلال : الأدب المقارن ، المدخل الى النقد الادبى الحديث .

(٢) شول شيدلنجر : التحليل النفسى والسلوك الجماعى – ترجمة دكتور سامى محمود على .

وبين نتائج المعرفة العلمية . ويرى (ديوى) فى « بحثه عن اليقين » ان المعرفة بحسب طرائق البحث العلمية الحاضرة قد هجرت الفصل بين المعرفة والعمل ، وان وظيفة الفلسفة الآن هى تيسير التفاعل المثمر بين معتقداتنا العقلية القائمة على اكثر طرق البحث سلامة وبين معتقداتنا العملية عن القيم والاهداف والغايات التى ينبغى ان تضبط سلوك الانسان فى الامور التى لها شأن انسانى واسع حر ، ولو ان الناس ربطوا افكارهم عن القيم بالنشاط العملى بدلا من ربطها بمعرفة (الوجود) السابق ما اضطربوا بازاء كشوف العلم بل لرحبوا بها لان اى شىء مؤكد من بناء الظروف الموجودة حاليا سيكون معينا دون شك على ابداء الرأى فى الامور التى نعزها ونسعى الى تكميلها وسيرشدنا الى الوسائل التى نستخدمها لتحقيقها ، وهذا هو المعنى الهام لنقل المنهج التجريبى من الميدان الفنى للخبرة الطبيعية الى الميدان الاوسع للحياة الانسانية ، حتى نثق فيه فى الامور الاخلاقية والسياسية والاقتصادية ثقتنا فيه التى لا تتصل بالحياة الانسانية . وهكذا يكون العمل هو الوسيلة الوحيدة للحكم على شىء بانه شريف او ممدوح او مستحسن ، وعلى هذا يتعدل اثر (الاخلاق) كلها . (١)

***

« ويقال الآن : ان النكبات التى وقعت فى التاريخ الحديث قد اظهرت ان العقل البشرى فريسة لقوى اكثر غموضا او لاسرار ابعد غورا ، وان التاريخ يتبع نهجا ليس باستطاعة بنى الانسان ادراكه او السيطرة عليه .. وعند هؤلاء ان بروميثيوس قد غرر بنا عندما اعطانا هذا الشىء من العقل ، ولم يكن من المحسنين »!(٢)

وهكذا اخذت الجوانب التى تتعامل مع القيم الروحية من ثقافة الانسان تتمرد على قوالب المنهجية التى تصاغ من المادة والحس والتجريب ..

فاذا كان الفنان ليس مجرد اداة فى يد قوة عليا لا شعورية ، فردية او جمعية ، الا ان الابداع الفنى تتداخل فيه عناصر شعورية ولا شعورية ، وهو يشبه بوجه عام عملية الولادة بما يستلزمه من تلقيح وحمل وحضانة ، ولابد ان يكون للتلقائية الفردية نصيب فى الابداع الفنى – كما يقول دى لاكروا ولا يكفى ان يتمتع

(١) ديوى : البحث عن اليقين – ترجمة دكتور احمد فؤاد الاهوانى .

(٢) فرانكل : ازمة الانسان الحديث – ترجمة دكتور نقولا زيادة .

الانسان بالذكاء والذاكرة والخيال لكي يصبح فنانا !! ويرى البعض أن العمل الفنى لا يكون ترجمة ذاتية لصاحبه ، بل هو بلورة لحياة الفنان

وليس مجرد امتداد لها !! والماركسية نفسها ترى ان النظم السياسية والثقافية وان كانت تكون نتيجة للبنية الدنيا من النظام الاقتصادى أو ظروف الانتاج المادى ، الا انها تصير بعد ذلك قوة من القوى الاجتماعية التى لها بدورها تأثيرها المستقل فى الحياة الاجتماعية « فالنظرية تصبح قوة مادية حين تنفذ فى الجماهير » « ومن المعلوم ان عصورا معينة ليس لازدهار الفن فيها علاقة ما بالنمو العام للمجتمع ، وبالتالى لا علاقة لهذا الازدهار بالاساس المادى وباساس البنية فى النظام الاجتماعى » ويسوق ماركس وانجلز امثلة على ذلك : الاغريق فى مقارنتهم بالامم الحديثة ، ثم شكسبير !! وفى حدود الواقعية المحايدة يجب ان يتوافر للفنان من الحرية ما يعد اعماله الفنية غايات فى ذاتها ، لانها تخدم مثاله الذى يحيا له ، ولا يعدها مجرد وسائل للحياة !

اما محاولة اقامة علم عام للفن ، على اعتبار ان الجمال ليس مجرد حالة نفسية فردية بل هو واقعة تاريخية ، فانها تتعثر فى التطبيق .. فعلى أى اساس يمكن تحديد المثل الاعلى فى الفن او الجمال لمجتمع ما فى عصر من العصور ؟! انها محاولة عسيرة بالنسبة لمجتمعاتنا المعاصرة ، فكيف تكون عند الغوص فى ركام من الوثائق والنصوص والروايات ؟ والربط بين الجمال والاحصاء بدعوى ان ما يكشف بوضوح عن الذوق الفنى لاية حقبة تاريخية انما هو ما يجمع الرأى العام على اعتباره جميلا ، يراه ريموند باير استعاضة عن القيم ببورصة القيمة ، واحلالا للذاتية الجماعية للأذواق محل العمل الفنى !! (١)

⁎وبالنسبة لمجالات **الدراسات النفسية** يحدثنا لى سين عن النتائج التى احرزتها المنهجية الحديثة فيها بما يلى : « اما النتائج التى حصلت عليها العلوم الوضعية للانسان فيمكن ان نلخصها دون ان نظلمها بقولنا : ان معرفة الانسان كانت تكتسب الصبغة العلمية على قدر هبوطها الى قطاعات من الحياة الانسانية ترتد فيها الانسانية الى الحيوانية ، وانها كانت تفقد هذه الصفة العلمية على قدر صعودها ونفاذها الى

(١) دكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ، دكتور غنيمى هلال : الأدب المقارن ، المدخل الى النقد الأدبى الحديث

الصميم المعقد والى الاصالة من النفس الانسانية !! »
ويمكن اعتبار فلسفة برجسون اقوى رد على الاتجاه الوضعى الطبيعى فى معرفة الانسان اذا فرق بين الروح والمادة واظهر عجز التصورات العلمية عن ادراك الروح ، وقصر معرفة الروح على الحدس الذى يعانق الحركة ويتم بتعاطف مع الديمومة . ويقول لى سين : ان المفتاح الذى نحل به هذا الصراع المنهجى هو تجربتنا لانفسنا فان الانسان يدرك بطريقتين : تبعا لكونه يعرف نفسه من داخل أو يعرفه غيره من خارج ، فحين يدرك الانسان نفسه من داخل يراها ذاتا لاتنقسم منها تنبع الافكار والعواطف والاعمال ، وحين يدركه غيره من خارج يراه مجموعة من التعيينات والعلاقات ـ أى يراه سلوكا يخضع لقوانين ويمكن قياسه ! !

ومن هنا ارتأى علم الطباع الذى يبحث مجموعة الاستعدادات الفطرية التى تؤلف الهيكل النفسى للانسان ، ان يصطنع منهجا ذا ثلاث مراحل : الاستقراء الطباعى ، فالحدث الطباعى ، فمحاولة فهم الطبع والتحقق من الحدس بالمشاركة مع ماهو حى حتى ينقلب الحدس الى تعاطف جدلى . ذلك ان تقاطع الانسان الصميمى النفسى مع الانسان الظاهر الحسى الحركى هو الطبع ، ولما كانت المعرفتان الموضوعية والحدسية معرفة واحدة ذات وجهين فانه يمكن الانتقال من الملاحظة الخارجية الى الحدس ومن الحدس الى التجليات العقلية والعملية . (٢)

واستهدفت الفنومنولوجية ان تنقل علم النفس من مستوى الوقائع الجامدة الى مستوى الظواهر ذات المعنى ، فقرر هو سرل ضرورة قيام علم نفس فنومنولوجى مستقل عن علم النفس التجريبى موضوعه ماهيات الاحداث النفسية ، وغايته توضيح معناها واستخلاص دلالتها بالنسبة للشعور الخالص ، بل انه مضى الى حد القول بتبعية علم النفس التجريبى وخضوعه بالضرورة للفنومنولوجية . واخرج سارتر نظرية فى الانفعالات على اساس هذا المنهج . وقد حدث فى تاريخ علم النفس ما يعزز قيامه على فكرة حدس الماهية دون ان يفقد استقلاله ازاء الفنومنولوجية ، فظهرت مدرسة الجشطلت التى طبقت المنهج الفنومنولوجى على دراسة الحركة الظاهرية من حيث هى موضوع الخبرة الشعورية المباشرة وكشفت عن ان الظواهر الحسية تنتظم من تلقاء ذاتها فى (كل) له معنى ، وفى مجال الطب النفسى خلق هذا المنهج نظرية جديدة فى فهم الظواهر المرضية والعقلى

(٢) دكتور سامى الدروبى : علم الطباع (المدرسة الفرنسية) .

لمحات من قضايا الناس

للأستاذ أنور حجازي

ما ايسر اعمال النص القانونى وتطبيقه على الواقعة المطروحة على المحكمة ، ثم انزال العقاب بالآثم جزاء ما اقترف ؛ ذلك لأن النص القانونى محدد اللفظ ، واضح المعنى ، مفهوم القصد والغاية ، والعقوبة فى حدودها المرسومة ؛ حد ادنى وحد اقصى وما قد يصحبها من عقوبات تبعية أو تكميلية حسب مقتضى الحال .

فاذا انطبق النص القانونى على واقعات الدعوى المطروحة وما انطوت عليه من جرم أو جرائم ، وجب انزال العقوبة المناسبة بالآثم فى حكم ينطق به علنا ، هذا ان توافرت الدلائل على ادانة المتهم ، أما ان عجزت او قصرت عن حد الكفاية التى تلزم لانزال العقاب ، تعين على القاضى مؤمنا مطمئنا ان يقضى ببراءة المتهم .

وتقدير العقوبة المناسبة لا تتأتى الا لمن وهب حسن التقدير المستجلب من الذوق القضائى السليم ، وحسن التقدير والذوق القضائى السليم أولى أمارات الوعى والحس القضائى لدى كل قاض ، تسمو

منها بخاصة ــ باعتبارها خبرة شعورية اصيلة ، وتعديلا جوهريا يطرأ على وجود الانسان فى العالم ، ووضح هذا عند هيدجر . كما كان للمنهج الفنومنولوجى اثره فى التحليل النفسى ، وهناك اتجاه عام الى تناول مسائل التحليل النفسى من زاوية « سيكلوجية الانا »

اى من حيث علاقة الانا بالموضوعات فى مختلف الامراض النفسية والعقلية . « وهكذا قامت الفلسفة الفنومنولوجية بدور كل فلسفة خصبة ، لم تستنفد جهدها فى معارضة العلم باسم الاعتقاد ولم تستغرق طاقتها فى آلية العلم والخضوع له خضوع العبد للسيد ؛ بل حاولت التغلغل فى عمق وبصيرة الى مصدر العلم ومصدر الوجود الانسانى جميعا ، وحفزت المشتغلين بالعلم على اكتشاف اللامتناهى بتعمق المتناهى ــ كما يقول جوته » (١) .

والاخلاق .. هل يقنع الانسان فيها بحساب القيمة على الطريقة « البراجماتية » النفعية كما أوضحها ديوى ؟؟ وهل يحقق له ذلك الاكتفاء والامتلاء ؟؟

« ان كل كائن حى لابد له من ان يتحرك صوب اكتماله الخاص ، فكمال الحياة هو هدف الحياة ، والحافز الى الاكتمال هو اقوى محرك ملزم فيها . والاكتمال فى علم النفس هو تحقق الذات ، وكما تكره الطبيعة كل فراغ فان الكائن الحى يكره عدم الاكتمال كذلك . ونحن نجد السعى الى الاكتمال والاحساس بعدم الاكتمال ظاهرين بشكل واضح فى الدين ، والذات المنتظمة يمكن ان تعرف بأنها تنظيم لجميع العواطف والاتجاهات المستساغة .. والارادة هى الذات المنتظمة عملة ، وهى الذات متحركة .. والمنبه المناسب للارادة الذى تصلح لاثارة الذات بصفة خاصة الى النشاط هو المثل الاعلى ، أى هو الفكرة او الشىء الذى يؤدى الى التحقق الكامل للفرد كله ... والمثل الاعلى الصائب من الناحية السيكلوجية هو المثل الذى يستطيع جلب التوافق النفسى باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعا ، وهو الذى يستطيع باستثارة الارادة أن يصب الفرد باعتباره وحدة سيكلوجية فى قالب كائن حى ، وهو الذى يضمن تحقق الذات والسعادة وذلك باشباع السعى الى الاكتمال (٢) ..

وهكذا بقى .. الفراغ

او ــ على الأقل ــ بقى الشعور بالفراغ .. !

وما زال الانسان يتحرق لوسيلة يملأ بها خواء الروح ، دون ان تنال من العقل الرشيد ..

والى اللقاء مع الانسان المعاصر فى ازمته الكبرى .. فى مقال تال

(فتحى عثمان)

---

(١) تقديم الدكتور سامى محمود على لترجمة نظرية فى الانفعالات لسارتر .

(٢) هارفيلد : علم النفس والأخلاق ــ ترجمة دكتور أبو العزم .

وتتكامل عناصرها وتتهيأ لديه على نحو طيب قويم بالتجربة والمران والاطلاع المتتابع الوفير الذى يعيش فيه وفاء منه لأقضيته ولحقوق الناس .

ولا يبلغ القاضى بذلك ذروة المثالية والكمال فى قضائه ، بل ان عليه ـ فضلاً عن ذلك ـ أن يمارس قضاءه هاديا وموجها ومرشدا ، يتقصى سبيل الحق اول ما يتقصى ، ثم سبل الخير والأمان والصون والحفاظ وحسن التبصير وتهيئة السبيل للتوبة والهداية والتكفير .

وفى نطاق المعنى الأخير تتمثل بعض الاقضية التى طرحت على القضاء ، لأنه بذكرها وذكر الحكم الذى صدر فيها يتضح المعنى ويبين الهدف ويعرف المدى والمدلول ، كما تعرف الغاية التى يهدف اليها القضاء من مثل هذه الأحكام .

وعلى القاضى لكى يصدر حكمه سليما مبرءا ان يستقصى ظروف كل متهم والملابسات التى احاطت به والدافع الى اقتراف الجرم ، وليس حتما ولزاما ان تكون تلك الظروف وهذه الملابسات والدوافع الى اقتراف الجرم من مبررات الرحمة والاشفاق ، بل قد تكون على النقيض موجبة للشدة وانزال اقصى العقاب .

والحديث عن ذلك والاستشهاد ببعض الاقضية سيكون موضع بحث لاحق .

اما تلك التى نحن بصددها والتى يمارس فيها القاضى قضاءه هاديا موجهـا مرشدا يبتغى تهيئة السبيل للتوبة والهداية والتكفير ، فنورد منها بعض ما يتسع له المقام ايضاحا وتبصيرا : ــ

القضية الأولى : اربعة من طلاب العلم فى مرحلته الوسطى ، غلمان فيما بين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، جمع بينهم الجوار وتقارب الوسط والبيئة والظروف المعيشية حتى ولدت بينهم توددا وترابطا ملحوظين الفهما الناس وصارا عنوانا لصداقتهم المتسمة بالصبيانية البريئة الوادعة .

أولهم ابن موظف كبير ، والثانى ابن تاجر ميسور الحال ، وثالثهم يتيم ترك له ابوه مالا ينفق منه ، اما رابعهم فقد نزح من الريف ليواصل الدرس والتحصيل فى كنف عمه المهندس المعمارى الكبير .

وكان من مقتضى تلك الالفة فيما بينهم أن كانوا يتبادلون الراى فيما يعن لأحدهم ، وكانوا متقاربين فى الفهم والوعى للأمور العامة والاجتماعية والنظرة المحدودة لكل ما يحيط بهم .

وقد استرعى نظرهم طالب معوج يكبرهم سنا فى السنة الثالثة الثانوية ويبلغ الحادية والعشرين من عمره ، واشتهر بكثرة ما تخلف عن زملائه ، كانوا يرمقونه بنظرات فيها اشفاق تارة وفيها سخرية تارة اخرى ، حتى اذا اقترب يوما من جمعهم استطاع ان يوثق فيما بينه وبينهم بعبارات جذابة وابتسامة هادئة تشعرهم بمدى الفارق بينه وبينهم عمرا وسلوكا واستمتاعا بمباهج الحياة ، كان يتحدث اليهم وهو ينفث الدخان من سيجارة مشتعلة بأسلوب الكبار المدمنين ، كما كان يعبث بيده فى قطع فضية تزاحمت فى جيبه مسترسلا فى حديث مشوق عن لياليه التى يقضيها فى المنتديات الليلية الصاخبة ودور اللهو والعبث ، فلما سألوه عن وسيلته فى الحصول على كل ما يلزم لذلك من نقود ، اشاح بيده بما يعنى ان ذلك ميسور له ، وانه قادر على أن يحصل على كل ما يريد ، وعندئذ انتهى وقت راحة الظهيرة وتبههم ناقوس المدرسة فانطلق كل الى فصله الدراسى ، وراح التلاميذ جميعهم يتابعون الدرس والتحصيل عدا هؤلاء الاربعة الذين سرحوا فى خيالات مضطربة تلح عليهم فى وجوب توثيق علاقاتهم بهذا الفتى الرجل الذى توفرت لديه اسباب المتعة والانطلاق بلا حدود .

واصبح الغلمان الأربعة وهم على عزم أن يعاودوا الاتصال بالفتى الرجل الذى بهرهم بأسلوبه وسلوكه فى الاستمتاع بمباهج الحياة .

واستجاب الفتى لدعوة الغلمان وجالسهم واطال فى الحديث عن اسباب الرجولة التى تكاملت له بالتدخين وارتياد المسارح ودور اللهو وتعدد اللقاء فيما بينهم ثم فاجاهم يوما بأن سالهم عما يبتغون ، فقالوا انما نريد ان نحصل على نقود لنحيا كما تحيا ، فاجابهم بان الأمر يتوقف على جراتهم ومدى استعدادهم

وعندئذ اشتد اصغاؤهم له وبعد جدل انتهى آخر الأمر بأن اعطاهم عناوين واسماء بعض الفنانين والفنانات ليقتحموا عليهم دورهم ويسلبونهم بعض مالهم الوفير لينفقوه فيما يحلو لهم من متع الحياة .

واصبح الاربعة على استنكار لهذا الذى يدعوهم اليه ، وقال الثانى فى مجموعتهم أن لدى والده مبلغا من المال يخفيه فى المنزل ، ويستطيع ان يحصل على جزء كبير منه لتحقيق مآربهم دون التعرض لمثل هذا التصرف المشين .

ولكن هذا الثانى عاد اليهم فى اليوم التالى ليخبرهم

بأن والده نقل النقود الى البنك وصار عصيا عليه ان يمدهم بالمال المطلوب .

فغضب احدهم وحزن الآخر وضاق صدر ثالثهم، وتبادلوا الرأى فيما بينهم وانتهوا الى اسوأ قرار ، وهو العودة الى الشيطان قرين السوء واستجلاب عطفه ومرحمته والالحاح عليه فى ان يمدهم بالنصح والتوجيه ليحصلوا على المال المطلوب ، والذى رأوا وجوب تدبيره فى كثرة حتى يكفى لما عزموا عليه وهو الرحيل الى خارج القطر فى سياحة تقتضى تكليفا ومبالغ طائلة لا تقوى عليها طاقتهم المحدودة ، طاقتهم المجردة من عون ذويهم ، وارتأوا فى هذا الرحيل تحقيق كل ما يشتهون .

ورسم لهم الشيطان طريق الغواية والفساد ، واختار لهم احدى الفنانات التى تعيش وحدها ليدهمها اربعتهم ثم يسرقون مالها كرها وغصبا بعد تحيل وادعاء .

واستمع الفتية بلا وعى الى تضليل الآثم المحرض الذى زين لهم الامر وصوره فى صورة سهلة ميسورة

وانتقل الفتية الى دار المجنى عليها الراقصة الشهيرة ، بقى احدهم فى نهاية سلم الدار ، وصعد الثلاثة الى سكناها وقرعوا الباب الذى فتحته لهم بنفسها ودعتهم الى مجلسها ، ثم استمهلتهم حتى تقدم لهم شرابا مثلوجا ، وذلك بعد ان زعموا لها ان اخا لواحد منهم سيزف الى عروسه بعد ايام قليلة وان الاسرة اختارتها لاحياء الحفل ، واوفدتهم للمفاوضة معها تمهيدا للتعاقد النهائى الذى سيتم بمعرفة كبير من ذويهم .

وعندئذ استيقظت احاسيس الغلمان الذين هالهم ان يتورطوا فى بغى وعدوان ينالون بهما من سيدة عزلاء اكرمت وفادتهم ودعتهم الىشراب فى رقة وادب بالغين ، وتشاور ثلاثتهم فى وجوب العدول عن هذا المنكر البغيض ولكن احدهم ذكرهم بالمحرض الآثم كبيرهم الذى علمهم وأرشدهم ونزع امارات الانسانية من قلوبهم ، ذكرهم بأنه ينتظرهم بعيدا فى داره وأنه سيناقشهم الحساب وسيتحقق له بيقين — ان تقاعسوا — انهم غلمان لم يبلغوا بعد مراتب الرجال.

وكأنما فعل القول فى نفوسهم فعل السحر ، فاستقبلوا فريستهم التى تحمل اليهم اكواب الشراب استقبالا جردهم من بعض معانى الانسانية ، امسكها احدهم وكم فاها ثانيهم والقى ثالثهم بزجاجة تحوى مادة كاوية « ماء نار » عند اقدامها ، ولكن كما قالت المجنى عليها انهم سواء عند الامساك بها او كم فاها او القاء المادة الكاوية كانت ترتعد فرائصهم جزعا واضطرابا ، حتى ان الصرخة الاولى جعلتهم يفرون فى هلع يتدافعون الواحد تلو الآخر وهم ينزلون سلم البيت ، والتقى بهم صبى يعمل فى مسكن مجاور كان قد سمع صرخة استغاثة تبعها نزول الغلمان يعدون متسابقين ، فامسك بتلابيبهم وقبض عليهم دون عناء ، وعرض امرهم على اولى الامر وتولت النيابة العامة التحقيق فاعترفوا جميعهم بانهم اقترفوا وزرا مقيتا ، واتوا امرا ادا ، وانهم نادمون على ما فعلوا وقدموا الى المجنى عليها اعتذارا واستغفارا وقالوا انهم كانوا فريسة لمن تجردت نفسه من خشية الله الذى اغراهم بذهبه وما زعمه من متعة وجاه وقدرة على ممارسة كل ما يحلو له ، واسترسل الفتيان فى اعترافهم بأن بعض ما يعرض على الشاشة من قصص تحكى روايات خيالية ساعدهم على اتيان هذا الجرم

وانتهى التحقيق ، وطرحت الواقعة على القضاء ليقول كلمته فيها ، وقد قالها بعد ان اسهب فى ايضاح موقف الطلاب المتهمين وظروفهم والملابسات التى احاطت بهم والعوامل التىجعلتهم يقترفون هذا الاثم المؤثم الخطير ، قال القضاء كلمته فى هذا النطاق وفى حدود هذا المعنى .

« اتفق المتهمون فيما بينهم على اتيان هذا الجرم، ومنهم من بلغ السادسة عشرة ، ومنهم من يزيد عليها قليلا ، صبية فى دور التنشئة والاعداد والتكوين ، لم يبلغوا مراتب الوعى والادراك السليم ، تسلط عليهم واستغل فيهم سذاجة الغلمان قرين سوء ، زين لهم اقتراف الاثم وهون من امر اتيانه ، وتعاون معقرين السوء فى تزيين الجريمة وتهيئة اسبابها ، عامل آخر هو ما تعرضه الشاشة احيانا من قصص تحكى بطولات خيالية فى عالم الجريمة وعالم الشر ، وان كانت تنتهى دائما باسوأ مصير يحيق بالآثمين ، الا ان المتهمين انتقوا بتلك القصص فى شطرها المثير الحافل ببطولات زائفة نسجها الخيال ، وغفلوا عن العقاب وما صار اليه الآثمون .

وهكذا تردى المتهمون فى خطيئة كبرى غارقين فى اوهام المراهقة وخيالات الصبية المضللين واقترفوا جريمة شروع فى سرقة بالاكراه ، تكاملت عناصرها فى حقهم على النحو الذى رسمه القانون ، حتى اذا جىء بهم الى التحقيق اعترفوا بما قدمت ايديهم

نادمين تائبين مقدمين العذر للسيدة المجنى عليها طالبين غفرانها وغفران المجتمع الحريص اشد الحرص على النأى بالناشئين عن هذا المجال الخطير ، وهم الذين لم يعرفوا الجرم المقيت الا على هـذا النحو الطارىء الموقوت ، ومن خلال أفكار مؤثمة سوداء لدخيل لوثته ادران الحياة ، ذلك الدخيل الذى نأى بنفسه عن مسرح الجريمة ، فلم تنفع فى شأن اتهامه اقوال مريبة لفئة مؤثمة لا وزن لقولها فى مجال الصاق التهمة ومحاولة تحميل الغير عبء الاتهام او المشاطرة فيه .

ان المجتمع لا يرضى ان يأخذ مثل هؤلاء على النحو الذى يأخذ به مدركا فاهما واعيا أتى الجرم طواعية واختيارا غير مدفوع اليه او موجه لاتيانه .

هؤلاء الصبية الذين سلخوا فى مجال المعرفة قدرا طيبا مذكورا ، وبعد أن تعرضوا لامتحان عسير من قبض وتحقيق ومحاكمات ، وعرفوا من خلال ذلك جميعا فداحة الوزر وكنه الجرم وخطورته وسوء العاقبة وخيبة المصير .

ارتأت المحكمة فى كل ذلك ما يبرر استعمال الرأفة مع هؤلاء المتهمين بايقاف تنفيذ عقوبة العام التى قضت بها عليهم لتباعد بين هذا النشء وغياهب السجون ابقاء على مصائر صغار سلكوا فى كل حياتهم سبل الهداية والرشاد فان تعثروا عفوا فان اقالتهم من عثرتهم عدل وانصاف .

القضية الثانية : وان اتصلت بناشىء صغير كذلك وطالب علم فى مرحلته المتوسطة ، الا انها تختلف عن السابقة فى ظروفها وملابساتها ومسرحها .

ومسرح الجريمة المعهد الدراسى ذاته فى مدينة من مدن شمال الوادى ، حينما كنت قاضيا انظر فى قضايا الناس ، وحين فاجأتنى احدى القضايا التى يندر طرحها فى ساحة القضاء .

أذهلتنى المفاجأة واحتل الالم كثيرا من جوانب ذاتى لما رأيت المتهم تلميذا فى السادسة عشرة والمجنى عليه استاذه ومربيه . « جرحه بمدية صغيرة فى مشادة طارئة » .

اشفقت على ميراثنا التليد فى مجال التبجيل والتوقير للمربين ، ورأيت أن انظر الدعوى فى حجرة المداولة حفاظا على تقاليدنا وسترا لهذا الخدش الذى مس اعتبارا ساميا فى مألوفنا ومجتمعنا الشرقى العريق « .. كاد المعلم ان يكون رسولا »

اثارنى هذا الحدث وحز فى نفسى أن يعصف الناشئون بأقدس مقومات الادب والطاعة ، لأن المعلم رسول التربية والعرفان وتهذيب النفوس ، يقوم على تربية الروح والسمو بها فى مدارك الكمال الثقافى والخلقى والتوجيهى ، فمن أساء اليه أثم اثما عظيما

دعوت التلميذ المتهم فجاءنى على استحياء ، يخفض بصره حتى لا يواجه خطيئته المنكرة ، طلبت اليه ايضاحا لاتهامه فامسك عن القول ، اعدت السؤال بعد ان صغته درسا فى معنى الأدب واللياقة وتبجيل المربين فأجاب هذه المرة ، ولكنه اجاب فى بكاء مر سخين ، نادما حزينا ، الحف فى الرجاء كما الحف محاميه ان تغفر له المحكمة هذه المعصية وهذه الزلة الكبرى .

وكنت قد ارسلت فى طلب الأستاذ المربى الذى نأى بنفسه بعيدا عن مجال المحاكمة ، بعيدا عن موقف ان ذكر فيه الحقيقة استعاد صدى المأساة بعد ان سترته الأيام واخفته فى طيات النسيان ، ثم جاء المربى على استحياء كذلك واشهدته بعد قسم ، فروى انه تولى رعاية التلميذ صغيرا ونشأه تنشئة صالحة حتى ابان عن نبوغ وفطنة تقدم بهما التلاميذ جميعا ، وكان على قمة المتفوقين فى نهاية كل عام دراسى ، واسترسل فى سرد الواقعة كسيفا حزينا ، وبلغ ذروة الاسى فى نبرات صوته حين ردد قائلا بأنه يأسف اشد الاسف اذ يرى تلميذه النابغ المرموق مبعدا عن مجاله الدراسى جزاء ما قدمت يداه ، واتجه ببصره ساهما الى التلميذ الغارق فى بكائه ، الغارق فى ندمه .

وكانت مفاجأة حين تقدم الأستاذ يطلب من المحكمة الغفران لتلميذه لأنه قد غفر له ، فاندفع التلميذ بلا وعى نحو استاذه يقبل يديه نادما شاكرا

فاكبرت فى الاستاذ صفحه ، واكبرت فيه قلبه الكبير الرحيم ، واحتل من نفسى مكانا عليا حين قطع على نفسه وعدا أن يسعى لدى المسئولين لالغاء عقوبة الفصل واعادة التلميذ الى معهده لمواصلة الدرس والتحصيل .

فأنهيت نظر الدعوى وخلوت الى نفسى ، وسرت فى موكب الغفران ، وغفرت للتلميذ ، وانزلت به عقوبة مالية يسيرة واوقفت تنفيذها ، فخرجا من ساحة العدالة ، المربى وتلميذه ، اخ كبير يحنو على اخ صغير تعثر ، فاقاله من عثرته ليواصل كفاحا بداه فى سبيل المعرفة .

أنور حجازى

عبدالوهاب عزام

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

وقد أشار الأستاذ مصطفى السقا الى بحوث أخرى متتابعة فى أدوار انعقاد مؤتمر المجمع اللغوى، ابتداء من الدورة الثانية والعشرين الى دور الانعقاد فى سنة ١٩٥٩ ، وكان موضوع بحثه فيه عن الشعر النجدى المعروف بالشعر النبطى فى جزيرة العرب .

ومن أبحاث الدكتور عزام :

* التصوف فى الشعر الاسلامى (صحيفة الجامعة المصرية) يناير وأبريل سنة ١٩٣٣ .
* أوزان الشعر الفارسى (نشر بمجلة كلية الآداب) ١٩٣٣ .
* نظرات فى سنن المسلمين فى كتابة التاريخ (نشر بمجلة جامعة الرياض) .

ومن جهود الدكتور عبد الوهاب عزام فى ميدان النشر :

١ ـ الشاهنامة التى نقلها الى العربية ، البندارى سنة ١٩٣٢ .
٢ ـ ديوان المتنبى ١٩٤٤ .
٣ ـ مجالس السلطان الغورى ١٩٤١ .
٤ ـ كليلة ودمنة ١٩٤١ .
٥ ـ رسائل الصاحب بن عباد بالاشتراك مع الدكتور شوقى ضيف ١٩٤٧ .

***

وصاحب هذه الجهود الموصولة المرموقة كان يأبى عليه تواضعه الا أن ينتظمه وهو الوزير والسفير والعميد والأديب ، وما أكثر ألقابه وصفاته، صف واحد فى الصلاة مع خدم السفارة وتغتبط نفسه الصافية بهذه البساطة ويتعمق مظهرها (وجاوزت هذا الظاهر الجميل المتناسق الى ما هو أعظم ، الى التناسق الباطن فى الفكر والروح ، والخلوص من الصور المختلفة ، والجزئيات المتعددة الى المعنى الذى لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يختلف فيه فكر ولا قلب ، اتصال هذه الأرواح بالله الواحد ، وانتظامها بالقوانين الشاملة المتنزلة من الله الواحد ، لينظم الصور المتفرقة معنى واحد ، وتجمع الوجهات المختلفة وجهة واحدة) (١) .

وقد عبر عن هذا المعنى شعرا :

قد تساوينا جميعا ... حين قمنا للصلاة
وركعنا وسجدنا ... فاستوت منا الجباة
انما نحن سواء ... عمنا شرع الاله
جمعتنا واجبات ... وحقوق فى الحياة
غير انا فى فنون العيـ ... ـش ما فينا اشتباه
من ذكى وعبى ... وأخى جد ولاه
ذاك مأمور وهذا ... آمر فينا وناه
ذاك محروس وهذا ... حارس يرعى حماه
ذاك مخدوم وهذا ... خادم يبغى رضاه
واذا حققت فالخـ ... ـادم مخدوم سواه
كلهم مولى ولكن ... قيل مولى وفتاه (١)

لقد كنت محتشدة للكتابة عن رجلنا عبد الوهاب عزام والترجمة لحياته ترجمة كاملة متوسعة تتعمق مواقفه من الثقافات المختلفة وتأثره بها وتأثيره فيها وأثر دراساته فى الأدب العربى .. فى أدبه هو .. فى صوره ... وألفاظه ترجمة تقف وقفة متأنية عند أسلوبه فى نثره وشعره وفى تقاريره سفيرا مما تحفظه وزارة الخارجية ترجمة تتعرف قصته مع اقبال شاعر باكستان . لولا أن بشرى صدور الرسالة زفت الى فى وقت لا يفى بهذا كله . فلأكتف بهذه اللمحات من حياته ولأختم حديثى عنه هذه المرة بالكشف عن ناحية انسانية طريفة وما أكثر انسانياته .. سأتحدث عنه أبا كانت كتاباته الى أولاده نموذجا

رفيعا من الأبوة أو طرازا رفيعا من الرسائل .
كتب الى ابنته (مى) وهو سفير بالباكستان :
بنيتى مى ...
السلام عليك وعلى الأولاد والأسرة كلها ..
جاءت رسالتك التى فيها التلبية والدعاء والله يتقبل . وجاءت رسالة أخرى فى حاشية رسالة الوالدة . فلك شكر آخر .
واكتفى اليوم بأبيات كتبتها جوابا للتلبية .

لبيك يا مية اذ لبيت
أسمعتنى يا مى اذ ناديت
الى ضفاف السند قد أسريت
سمعت فى اليقظة والمنام

***

يا أم طارق حماك الله
والله رب طارق يرعاه
يحفظ مبلغا مناه
يصحبه السعد على الأيام

***

لبيك أم حاتم ووائل
يرعاهما الرحمن للفضائل
يرعاهما فى أحسن الشمائل
للبر والخير ، مدى الأعوام

***

يا أم رضوى سعدت أيامك
وتم فى رضوى غدا مرامك
وتم بالسعد عليك عامك
ودمت فى سعد لكل عام
امضاء

والسلام الى أن أكتب مرة أخرى .
وكتب الى مى مرة أخرى :
عزيزتى مى ...
سلام الله عليك وكل عام وأنت بخير ..
جاء كتابك عيدا يذكر بالأعياد ، ويحيى الذكريات وأقول ما قاله شاعر فارسى فترجمته الى العربية :

للناس عيد يجىء يوما
بكل عام ولا يزيد
وأنت عيدى كل يوم
أراك فيه لدى عيد

ومن كتاب له لمى :

سلام لمية ملء الحنان
وملء القصيد وملء الخطب
سلام لمية تهدى الرياح
شذاه الى من نأى أو قرب
تعطره نفحات الحجاز
بعطر الدعاء وعرف القرب

وحج أول حجة سنة ١٩٣٨ وكان يدعو : (يارب نسنى هالة واعطنى هالة) وهالة التى يريد أن ينسى ذكرها هى ابنته السابعة فلم يعقب الدكتور عزام ذكرا . وفيها نظم هذه الأبيات :

أرى الوقت قد حان فى ساعتى
فهاتى لى المشط يا هالتى
أمشط شعرك رفقا ولينا
أزين بالتاج هذا الجبينا
وأنشد للمشط حلو النشيد
كأن بشعرك أوتار عود
ويعبث بالشعر هذا الهواء
فيسرى طروبا بهذا الغناء
صنعت لحسنك ثوبا جميلا
يدى أحسنت فيه عرضا وطولا
أراه عليك ككم الزهر
وكالهالة ازدان فيها القمر
جميل عليك فيا مهجتى
تعالى تعالى خذى قبلتى
وهاتى كتابك يا مؤنسة
وسيرى سريعا الى المدرسة

وكيف أقوم بحق الدعـــــاء
أنا وردة غرســـــها من يـديك
فهـــذا الجمـــال يعود اليك
أنا زهرة أنـت نورتهـــــا
أنا روضة أنـت نضرتهـــا
باذنك أمى الى المدرســـــة
أسير فمدرستى مؤنســـــة

وفى سنة ١٩٤٠ هتف ابن أخيه بفتياته : (ماما جابت بنت) فخرج من بين ضيوفه وقد بلغه صوت البشير فقال :

الحمد لله هالة . وقال فيها :

ليلة القدر أتتنـــــا ... معهـــــا مولد هالة
بارك المولـــــد شـهر ... بارك الله هــــــلاله
نعم اللـــــــه توالـت ... كيف نوفى شكر هاله
كيف أحصى كل حـين ... فضـــــل ربى ونواله
أبو هالة

وكتب سنة ١٩٥٩ الى ابنته فاطمة :
بنيتى العزيزة فاطمة ...

أدعو الله أن يديم عليك العافية ويحوطك بالسعادة ويحقق فيك الأمل ، ويقرن حياتك بصالح العمل ، ويجعل مستقبلك كفاء ما نرى فيك من خلق جميل، وأدب رفيع ، وجد ونشاط آمين .

لفاطمة الحسناء فى الدين أسوة
بفاطمـــــة الزهراء خير الفواطم
لك الدين والأخلاق والعلم حلية
وهذى على الانسان أجدى المغانم

وخرجت نوار طفلة الى حديقة البيت وحـــــدها فنبحتها الكلاب فعادت أدراجها وهى تبكى خائفة فنسجت شاعرته الحنون هذه القصة أبياتا :

نبح الكلاب نوار فى جنح الدجى
فاســــتعبرت من نبحهن نوار
لا تغضبى فالكلب ينبح دائمـا
وتسير فى أفلاكها الأقمــــار

وسارت نوار وغدت عروسا فأما يستقبل الوالد المتحنن وليدها بهذه الأبيات :

جاء البشـــير مبشرا ... بالخير ما أحلى سماعه
بمحمـــد فى يوم مولد ... أحمد رب الشـــفاعة
عوذته باســـم الرحيـم ... يحوطه فى كل ســاعة
تاريخـــــه حفظ العلى ... محمـــــدا فتحى رفاعة

وذهبت اليه يوما أميمة تطلب اليه أن يشترى لها حذاء فلم يمر هذا الطلب العادى الذى يتكرر كل يوم بين الأبناء والآباء من غير شعر :

وارحمه لحـــــذاء كان يحملنى
قصرت أحمله رثا قد انقطعـــا
[illegible] تروح ونغـــدو لا يفارقنى
فى الجد والهزل نمشى صاحبين معا
داويت بالفعل بعد الفعل جلدته
أكثرت فى صفحتيه الخيط والرقعا
واليوم لابـــد لى من أن أفارقه
ما حيلتى وعلاجى فيه ما نفعا

وهكذا كان رجلنا عبد الوهاب عزام بـين بناته يفرد عليهن من رحمة جنـــاحا ويغدق عليهن الحب غمرا فصيرا فيه الأفعال شعرا ويغـــدو معه الشعر تحببا ودلالا . لقـــد بلغ من حبه لهن أنه كان يقول (وددت لو كان لى أربعون بنتا آناسب بهن أربعين بلدا) .

كان رقيقا منعما مع زهراته وكان رقيقا متلطفا مع أهله .

قلت الشتاء فهاتى موقد النــــار
فأقبلت تتهادى ربة الــــــدار
جاءت بنار لو أن الله خص بها
أهل الذنوب لما خافوا من النار

وكانت هالة تحرص على تقديم القهوة بعد افطار

رمضان وتستأثر بهـا ، وكانت تستمع الى أسمار منها قصة شيخ الأرانب ، وهى قصة طويلة بدئت فى جـدة ، واستؤنفت فى كراجى ولم تنته • وكانت تكتب ما تسمع ثم تصور حوادثه فأهداها قصيدته:

الى هالة

أهالة ان شـط المـزار فاننى
اليك ، على نأى الديار قريب
حديثك عندى والخيال يطيفبى
له فى خيالى جيئـة وذهوب
ولكننى ، والحق ، أشتاق قهوة
يضوع شذاها ، من يديك تطيب
تزفينها بعـد الطعام ولا يرى
لغيرك فيهـا شركة ونصيب
وأشتاق من (شيخ الأرانب) مجلسا
أحدث فيه ، والخيال خصيب
وخطك ما أمليه صـنعة كاتب
وضحكك منه ، والحديث عجيب
وتصوير ماسطرت تصوير حاذق
يزيد بيـانى روعة ويجيب
لأذكر صفا للأرانب قائمـا
يصـلى منيبا ، من رآه ينيب
يكاد من الاتقـان يبصر راكعا
ويسمع منـه للخشوع وجيب
وجمعا دعاه للصـلاة مؤذن
وأحسن فيـه قارىء وخطيب
فليتك عنـدى كى أتم حديثها
فذلك تحـديث الى حبيب

النفحات ص ٩٦ ــ ٩٧

والى (هالة) أهدى نشيد المسحر تكميلا لقصص رمضان :

نشيد المسحر

يا نائم اسمع وانهض — هيا فاطعم واطعمن
وأسبق الى الخير الزمن — ما فاز الا من بـدر

***

اهجر لخير نومكا — وابدأ بخير يومكا
وارصـد لبر صومكا — ما صـام الا مـن يبر

***

الليل يحـدو زهره — والصبح يبـدى زهره
والسكون يفشى سره — فاقرأه فى لوح السحر

***

هـذا الظلام الدامس — يتلوه صبح شـامس
فابسـم له يا عابس — واستقبل الصبح الأغر

***

العيش بحر زاخـر — المـرء فيه عابر
بالنجح فيـه ظافر — من جد فيه ومن صبر

النفحات ص ١٠٤

لقد عبر الدكتور عزام بحر الحياة ظافرا من دنياه بالذكر العاطر ترويه الأحاديث وتحفظه الصفحـات فنا وعلما وأدبا وحـكمة تزول العروض وتحـول المظاهر ، ويظل باقيا كل ما أودعه ، الكتب ، عبد الوهاب عزام الانسان الفنان العالم الأديب ••

القـاهرة فى ١١/٧/١٩٦٣

نعمات أحمد فؤاد

الاستظهار والتجربة في الثقافة العربية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

التعليم الاستظهاري هو التعليم عن طريق الحفظ وحشو الذاكرة بالمعلومات والمعارف ، وادخار مواد التعليم في الحافظة . اما التعليم التجريبي فهو الذي تنحى فيه الذاكرة قدر الامكان ، وتطبق الخبرات والتجارب العملية والمشاهدة العيانية ، وذلك عن طريق تجلي العلم في العمل ..

وقد مر كل من التعليمين بمراحل كثيرة ، ولقى كل منهما من المناصرة والمعارضة ما انتهى آخر الامر الى الاوضاع الحديثة التي يجري العمل عليها في أغلب المدارس المتطورة مع أحدث مقتضيات الاصول التربوية السليمة .

ولاشك ان هناك بعض المواد الدراسية والمعارف التي لا يغني فيها الا الحفظ المطلق — مع الفهم والادراك طبعا لما يحفظ — كالنصوص الادبية من الشعر والنثر ، وكالنصوص من الكتب المقدسة التي يهتم اهل الاديان باستظهار — الصغار والتلاميذ لها عن ظهر قلب ، حتى ولو لم يعوها او يدركوا معانيها ، او يتذوقوا البلاغة الفنية في أساليبها . اما المواد التي كالطبيعة والكيمياء وما سواهما من العلوم التجريبية فتحتاج الى الاختبار والتدريب العملي ، أكثر مما تحتاج الى الحفظ والاستظهار وترداد العبارات والقوانين بلا فهم ولا ادراك .

وقد لوحظ ان الأمم القديمة — على وجه العموم — كانت تعنى في التعليم بالحفظ المكرر المؤكد وان طالب العلم كان يعتمد على الحافظة وحشو الذهن بالمعلومات اكثر مما يعنى بالتجربة والعمل والمشاهدة . ولم تسلم من ذلك أمة من أمم الشرق والغرب على السواء .

وقد بلغت عناية التربية الاسلامية العربية بالاستظهار والحفظ حدا لفت انظار المؤرخين . وظهر بين علماء المسلمين جماعة اشتهروا بندرة الحفظ ، وغرائب الاستظهار . ولهم في ذلك روايات واخبار تحكي وتدهش .. الم يحدثنا المؤرخ ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » ان الامام احمد بن حنبل كان يحفظ عن ظهر قلب الف الف حديث من احاديث الرسول عليه السلام وكثيرا ما كان يقترن حفظ متون الاحاديث مع اسنادها ورواتها ، لا يخطىء الحافظ في ذلك ، ولا يخلط بين متن واسناد ، ولا يدخل سند حديث في سند حديث آخر . وهذا هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور في الحديث ، فقد ذكروا انه كان يحفظ في سن الصبا مائة الف من صحيح الاحاديث ، ويحفظ ضعف هذا القدر من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة .

واذا كان عدد الاحاديث التي يقال ان هؤلاء الحفاظ الكبار قد حفظوها يختلف بحسب اختلاف الروايات ، فانه مما لاشك فيه ان قدرا عظيما جدا من الاحاديث كان يحفظها الحافظ ، ويستحضرها في ذهنه ، ويستشهد بنصوصها للاحتجاج بها في المسائل العلمية والفتاوى الفقهية المختلفة .

وهناك عامل ديني قوي لا يجوز اغفاله ونحن نتحدث عن الاستظهار في التربية الاسلامية ، فهناك القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . وقد انزل الله القرآن وضمن له البقاء والحفظ بقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . وضمان حفظ الله للقرآن يقتضي الايحاء الى المسلمين بحفظه في الصدور . ومن هنا لم تكف حركة كتابة القرآن في المصاحف بعد ان استحر القتل بالقراء في بعض الحروب والغزوات ، فعمد المسلمون الى حفظ القرآن واقبلوا عليه يتدارسونه ويحفظونه عن ظهر قلب ، ويعلمونه اولادهم الصغار في سن مبكرة ، قبل ان يستكمل وعيهم وادراكهم وتفطنهم للمعاني الجميلة العميقة التي يشتمل عليها كتاب الله .

ولقد أوصى العلماء والمفسرون والفقهاء بأن تكون قراءة القرآن وحفظه مقرونة بالفهم للآيات ، والتفكير والتدبر في مراميها . فلا يكون الحفظ تردادا لجمل غير مفهومة ، بل يكون مؤسسا على الفهم والتدبر . وفرق بعض العلماء بين قراءة القرآن وتلاوته (فالقراءة تكون لرياضة الألسن ، وتقويم الالفاظ ، ويستحب الاخذ به على المتعلمين ، والترتيل والتلاوة يكونان للتدبر والتفكر والاستنباط)

ومن هنا تظهر عناية العلماء المسلمين بعنصر « الفهم » لما قرأ ويحفظ . ولكنهم اختلفوا في الصبي الذي يحفظ القرآن في بيته أو في الكتاب ، كيف يستطيع ادراك معاني القرآن وما يحتويه من أوامر ونواه ، ومن

وعد ووعيد ، ومن دعاء واستغفار ، ومن أدلة على وجود الله وصفاته ، وهي كلها من الأمور التي تعلو على مستوى الصبي ،وتسامى ، وتتسامى على ادراكه الصغير المحدود . ولهذا لم يجد الامام ابوبكر بن العربي حرجا في الدعوة الى تأخير حفظ الصبي للقرآن الى سن متأخرة ، حتى يستقيم له قدر من الادراك يعينه على فهمه . واعجب مؤرخنا عبد الرحمن بن خلدون بهذه الفكرة فوافق عليها .. وان كان خضع آخر الأمر للتقاليد المتبعة ، فأوصى مع العرف بالبدء في تعليم القرآن ، املا في ان يجيء الفهم بعد ذلك في مرحلة تالية للحفظ المجرد .

وقد بلغ من حرص المسلمين على الحفظ والاستظهار للعلوم والمعارف انهم كانوا يجعلون الحفظ في الصدور غناء ينفع حين يفقد الكتاب أو يمحى سطوره . ولموفق الدين البغدادي عبارة مأثورة في أهمية « الحفظ » يقول فيها : (اذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على أن تستظهر وتملك معناه . وتوهم ان الكتاب قد عدم، وانك مستغن عنه لاتحزن بفقده) .

وسرت عدوى الحفظ والاستظهار للمادة العلمية من النصوص الدينية الى النصوص الأدبية كذلك . فنجد رجالا مثل بديع الزمان الهمذاني ، والخوارزمي، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والشاعر ابي تمام وغيرهم يتباهون بحفظ اقدار هائلة من اشعار العرب، حتى ان وزيرا مشهورا يشترط لمن يدخل عليه ان يكون حافظا لآلاف من ابيات الشعر ، فيسأله الحافظ الراوية المتحدى : اهذا القدر من شعر الرجال ام النساء ؟ !

وقد وضع بعض علماء المسلمين « معينات » تعين على الحفظ وقوة الاستظهار ، وشغل بعضهم نفسه باستنباط هذه الوسائل أو تلك ، حتى لقد رأينا الشيخ برهان الاسلام في كتابه المخطوط المعنون « تعليم المتعلمين على الكمال » يلخص بعض « وصفات » لتقوية الذاكرة ، منها وصفات صحية ، لما بين الصحة الجسمية والصحة العقلية من ارتباط ، ومنها وصفات دينية روحية خلقية . فمن الوصفات الصحية : **الاقلال من الطعام**، والبعد عن امتلاء المعدة وعن كل ما يسبب البلغم ، ونظافة الاسنان ، وأكل الزبيب الأحمر كل يوم على الريق ، وشرب العسل . ومن الوصفات الروحية النفسية : البعد عن المعاصي وعن الهموم والأحزان . اما الهموم فلانها تؤثر في النفس والبدن كما قال المتنبي :

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناحية الصبي ويهرم

واما المعاصي فقد نسبوا الى الامام الشافعي شكواه من ضعف الحافظة يوما ووصفه العلاج بقوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فأرشدني الى ترك المعاصي
وارشدني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصي

والعامل الديني في الاهتمام بقوة الحفظ والاستظهار، مضافا اليه العامل الأدبي يقويهما اعتبار اجتماعي آخر املته الظروف الاجتماعية عند العرب ، فقد كان شيوع الأمية في الجزيرة العربية عاملا من عوامل الاعتماد على الذاكرة وقوة الحافظة . فان فقدان الأثر المكتوب في كتاب يجعل حفظه في الصدر شيئا ضروريا ، ومن هنا جاء الاهتمام بالرواية والرواة ، ومن هنا أيضا وجدنا عصرا من عصور الرواية والحفظ والتدوين ، حتى كان هؤلاء الرواة الحفاظ موضع التقرب والحظوة من الخلفاء والأمراء والولاة .

على ان من الحق والانصاف ان «الحفظ» وحده لم يكن عاملا فعالا في استيعاب المادة العلمية ، فقد كان «الفهم» ضروريا بجانبها كما سبق القول . فان من الظلم لأصول التربية الثقافية والمدرسية في الاسلام ان نتهمها دائما بالاعتماد على «الاستظهار» والحفظ وحده . فان العقلية العربية الاسلامية لم تغفل قيمة الفكر والتدبر والفهم من حسابها . وكيف يكون ذلك وفي القرآن الكريم آيات تحث على التفكر والنظر والتدبر . فالتفكر والفهم غاية من غايات التربية الاسلامية . وأول آية نزلت من القرآن تحض على القراءة ، ثم تنبه الى ما في عجائب صنع الله . وهذا التنبيه هو مثار للتفكير ، لا الاخذ بالقضايا المسلمة . وهذه الآية تقول : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق) فالقراءة وحدها لاتكفي ، وانما صاحبها التفات الى عجائب الخلق .

ومن حسن حظ الفكر الاسلامي ان بعض علماء الاسلام نظروا الى الحفظ على انه وسيلة فقط للتحصيل ، لا غاية ينتهي اليها الطلب . ولحاجي خليفة صاحب كتاب « كشف الظنون » كلام في هذا يقول فيه : (ان من كانت عنايته بالحفظ اكثر من عنايته الى التحصيل

لملكة لا يحصل على طائل من ملكة التصرف فى العلم . ولذلك ترى من حصل الحفظ لا يحسن شيئا من الفن، وتجد ملكة قاصرة فى عمله ان فاوض او ناظر . وانما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوال الى المدلولات ، وان انضم اليهما ملكة الاستحضار فنعم المطلوب) .

وحذر بعض علماء المسلمين ومعلميهم من كتابة شيء بغير «فهم» . وفى هذا الشان يقول الشيخ برهان الاسلام فى كتابه ناصحا المتعلم : (وعليه ان لا يكتب شيئا لا يفهمه ، لان ذلك يورث كلال الطبع ، ويذهب الفطنة . وينبغى له أن يجتهد فى «الفهم» من الاستاذ، ويكثر من التامل والتفكير) .

ومن أدباء امتنا العربية من نستطيع بحق ان نعده فى مقدمة انصار المذهب التدريبى العملى ، على الرغم مما يحيط بالاديب من ملابسات الحفظ والاستظهار . نعتدنا «الجاحظ» الذى اتهمه المفكر الفرنسى «رينان» بانه كبقية علماء العرب والاسلام فى الاعتماد على الحفظ لا على البحث ويكاد المؤرخ المفكر «كارا دى فو» يؤيد الفيلسوف رينان فى هذا الاتهام . واصفة مؤلفات الجاحظ بأن الطابع الادبى هو الغالب عليها ، لا الطابع العلمى . وهذا كلام ننقضه من كلام الجاحظ نفسه ، ومن طريقته فى التاليف ، وخاصة فى كتابه « الحيوان » الذى يقول فى مقدمته : (وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الامم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لانه وان كان عربيا اعرابيا ، واسلاميا جماعيا، فقد اخذ من طرف الفلسفة ، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة ، واشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة) . وذكر الحاسة هنا وفى غير موضع من كتاب الجاحظ يدل على اهتمامه بالتجربة والخبرة الحسية . وهو يميل دائما الى «المعاينة» ، ويقول عنها : (ليس شيء يشفينى الا المعاينة) . فهو لا يعتمد على السماع والنقل والحفظ، ولكنه يعتمد على الرؤية التى هى سبيل من سبيل البحث العلمى التجريبى . على انه كثيرا ما جمع بين الرؤية والتجربة . واستعانته بالحواس فى التحقيق مماثلة لاستعانة الفيلسوف «بيكون» بها فى القرن السادس عشر الميلادى . وقد سبق الجاحظ العربى المسلم الفيلسوف بيكون ببضعة قرون الى المناداة بطريقة التجربة والتدريب العملى ، فاستعان بالحواس، واوصى بعدم المغالاة فيها لانها قد تخدع ، واستعان بالتجربة ، حتى ليزدحم كتابه «الحيوان» بمئات من التجارب التى اجراها هو بنفسه ، ليصل الى الحقيقة العلمية المراد الوصول اليها .

ومن تجارب الجاحظ فى كتاب الحيوان قبضه على الحيوان بنفسه او بغيره ، ليقف على حركته ، كقوله فى الافاعى : (وفى الأفاعى من العجب انها تذبح حتى يفرى منها كل ودج ، فتبقى اياما لا تموت . وامرت الحاوى ، فقبض على خرزة عنقها ؛ فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضا رفيقا ، فما فتح بينها بقدر سم — اى ثقب — الابرة حتى بردت ميتة) وكذلك تجربته على بعض الحيوانات بدفنها فى بعض النبات ليعرف حركاتها ، كما فعل فى « الجعل » حين دفنه فى الورد فمات ، فلما اعيد الى الروث عادت اليه حركة الحياة من ساعته .. والأدق ان نقول انه عمل التجربة فى خنفساء ، لقرابة ما بين الاثنين .

وهكذا نرى الجاحظ الاديب عالما تجريبيا عمليا متطلعا الى المعرفة عن طريق الخبرة والتجربة ؛ فقد ذاق مثلا الشبوط ، ليعرف طعم لحمه .. ولا يكتفى بما يسمعه عن العقرب مثلا وعن حملها لعشرات الصغار من اولادها فى بطنها ، بل نراه يلجأ الى عقرب، ليبعج بطنه بنفسه ..

ويذكرنا ما فعله الجاحظ فى تاريخ المعرفة العربية بما فعله « رابليه » الفرنسى فى تاريخ التربية والتعليم فى القرن السادس عشر الميلادى ، أى بعد الجاحظ ببضعة قرون ، فقد دعا هذا المفكر الحر الى نبذ المذهب الجدلى الذى كان سائدا حينذاك ، والذى ناصره جماعة من اهل المماحكة والجدل أرادوا معرفة عالم الطبيعة — لا من العالم الواقعى نفسه — ولكن من خلال نظريات ارسطو ومعتقدات الكتب المقدسة. ولعل هؤلاء الجدليين كانوا متأثرين فى انعزالهم عن الخبرة والتجربة المادية الواقعية بموروثاتهم الدينية التى كانت تؤمن بأن العالم المادى ما هو الا دار فناء ، لا داعى لاجهاد النفس بدراستها .. فجاء رابليه وغير مفهوم النظر الى العالم الطبيعى .

لقد لقى الاستظهار والحفظ من غير تفكير ولاتجربة ولا معاينة مقاومة من مفكرى العرب وغير العرب على السواء . وليس الغربيون فى هذا بأسبق منا ، ولا كانوا فى التجربة باعرق ولا افضل .. فقد اثبت تاريخ التربية والثقافة والمدارس ان الغربيين كانوا

« بقية المنشور على الصفحة التالية »

ثلاث صور من "اليوتوبيا" في العصور القديمة والوسطى والحديثة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تطلق كلمة « اليوتوبيا » على المدن الفاضلة التي ينشئها خيال بعض الفلاسفة ، ويشرعون لهـا من النظم ما يرون انه امثل طريق للاصلاح الاجتمـاعي بحسب ما يذهبون اليه من نظريات ويدينون به من مبادىء .

ولم يخل عصر من عصور التاريخ من هذا الصنف من الفلاسفة والمصلحين ، ولا يمكن أن يخلو منهم عصر مادام التطور والتغير من سنن الاجتماع الانساني ومادام الطموح الى الكمال رائد الفكر المستنير ، وكان من اشهرهم في العصور القديمـة افلاطون ، وفي العصور الوسطى الفارابي ، وفي العصور الحديثـة كامبانللا .

***

اما افلاطون (من اشهر فلاسفة اليونان في العصر القديم ٤٢٧ ــ ٣٤٨ ق.م) فقد ضمن آراءه هذه كتابه « الجمهـورية » ، فرسم فيه ما ينبغي أن تكون عليه الحياة السياسية ونظم الحكم وشئون التربية والتعليم وسائر فروع الاجتماع في « جمهوريته » أو مدينته الفـاضلة . فذهب الى أن المجتمع ينقسم ثلاث طبقات : طبقة الزراع والصناع ، وهؤلاء قد خلقوا للعمـل الجسمي فحسب ، فلا يصلحون بحسب طبيعتهم لأي عمل آخر ، وطبقة المحاربين ، وهؤلاء يضطلعون بشئون الدفاع عن البلاد ، وطبقة الفلاسفة ، وهؤلاء يتولون شئون الحكم ويديرون سياسة البلاد ، ويرأس الجمهورية فيلسوف كبير تتوافر فيه جميع صفات الكمال الجسمي والنفسي . وذكر ما ينبغي ان تقوم به الدولة في شئون التربية والتعليم والثقـافة العامة حتى تميز هذه الطبقات بعضها من بعض ، وتعد كل طبقة لما تضطلع به من وظائف . ولا يفرق افلاطون في هـذه الوظائف بين الذكور والاناث . فالنساء في جمهوريته يشاركن الرجال في جميع شئون الحياة ، كل واحدة منهن حسب استعدادها . فتكون منهن الصانعات ، ومنهن المحاربات ، ومنهن المتخرجات في مدارس الفلسفة العـالية اللائي يضطلعن بشئون

« البقية ص ــ ١٧ »

غارقين في لجة الاستظهار والحفظ عن ظهر قلب الى الحد الذي أزعج مفكريهم وجعلهم يتنبهون وينبهون الى الخطر المحدق . وما زالت الرسائل الممتعة التي كتبها المفكر الفرنسي «الفونس اسكيروس» في كتابه « التربية الاستقلالية » موضع الإعجاب حتى يومنا هذا . فهي لم تفقد جدتها ولا لذتهـا على الرغم من اتجاه المدارس كلها اليوم نحو المذهب التجريبي في حدود امكانيات كل أمة واستعداداتها .

ومن مفاخر الذهنية الاسلامية أن الامام الشيخ محمد عبده هو اول من نبه الى قيمة كتاب أسكيروس في التربية ، وأوصى بترجمته. واستجاب لذلك رجل من خيرة رجال القضـاء في مصر سنة ١٨٩٩ ، وهو وقت يواكب صيحات ايبل ، وليبمان ، وجوستاف لوبون للتحرر من طريقة الحفظ في المدارس . ومن اجمل ما قاله الفونس اسـكيروس في معرض الموازنة بين الحفظ والتفكير لدى الاطفال قوله : (قد يسأل سائل : هل التفكير مما يتعلمه الطفل ؟ فاجيبه : هذا ما أعتقده . غير أنه ينبغي التمييز التام بين ما يتلقاه من غيره من الافكار ، وبين ما يستنتجه هو منها بنظره الى الاشياء . ونحن في تخاطبنا معه لا نفعل شيـئا سوى تأدية افكارنا اليه على وجه التمام أو النقص ، مع أن الذي كان يجب علينا أن نصرف همتنا اليـه هو ايقاظ ذهنه ، واستنباط أفكاره وآرائه . فأذهان من يعاشرون الكبار من الاطفال محشـوة بجمل من الكلام لا يفهمون منها في معظم الاحيان الا معاني في غاية التشابه والالتباس .. وليس شحن اذهانهم بهـذه الجمل مما ينمي فيهم قوى الادراك والفهم بحال من الاحوال ، ولـكنه ابهاظ لها بما ليس من حقـه ان يكون فيها) .

ونحمد الله أن آراء مفكرينا العـرب التجريبيين ، ومفكري الغرب التجريبيين قد انتهت بالانسـانية الى النتيجة التي تتمتع بها مدارسنا الحديثة من ايثـار للخبرة والتجربة والمعاينة على الحفظ والاستذكار .

محمد عبد الغني حسن

الحكم . وذلك انه يرى أن ليس ثمة فرق جوهرى بين طبيعة الرجل والمرأة ولا بين كفايتهما واستعدادهما، كما انه لا يوجد فرق جوهرى بين طبيعة ذكور الحيوان واناثه فى هذه الأمور .

ونظام كهذا يقتضى فى نظره أن تكون الدولة نفسها هى المالكة لمعظم الثروات ومصادر الانتاج فى البلاد ، وان تجرى الحياة على نظام شيوعى تمحى فيه الملكية الفردية او لايكون لها فيه شأن ذو بال . وقد رأى افلاطون ان يطبق هذا النظام الشيوعى فى أدق معانيه على طبقة المحاربين . واما طبقة المزارعين والصناع فيبدو أن افلاطون قد سمح لهم بشيء من الملكية الفردية ومن حرية التصرف فى ثروتهم على أن يدفعوا للدولة ضرائب تستعين بها فى شئونهم وشئون الطبقات الأخرى ، ولكنه لم يعطهم حق توارث الملكية ، فملكية كل واحد منهم تؤول الى الدولة بعد وفاته .

ويرى ان من واجب الحكام أن يحددوا الشكل الذى تأخذه علاقة الرجل بالمرأة على وجه يؤدى الى تحسين النسل وترقية النوع ، بدون أن يتقيدوا فى ذلك بما يرتضيه العرف وتسير عليه التقاليد فى شئون الزواج وارتباط الرجال بالنساء . ويتشدد افلاطون فى وجوب تطبيق هذا النظام على طبقة المحاربين بوجه خاص ، لانه لايريد أن يكون لهؤلاء أسرات خاصة تنازعهم حبهم لأوطانهم .

ويؤثر افلاطون ان تسير طبقة المحاربين فى شئون غذائها على نظام « الموائد الجمعية العامة » الذى طبقه من قبل فى اسبرطة مشرعها الشهير ليكورغوس فيتناولون غذاءهم فى تكناتهم على موائد جمعية متماثلة تقدمها لهم الدولة وتنتظم كل مائدة منها سرية أو قسما من سرية .

ولم تحاول اثينا تطبيق نظام افلاطون ولا الأخذ بأية ناحية منه ، بل كان موضوع سخرية مفكريها وشعرائها . ومن هؤلاء الشاعر الكوميدى أريستوفان (٤٥٠ ــ ٣٨٧ ق.م) . فقد تهكم فى تمثيليته الشهيرة « برلمان النساء » التى ظهرت سنة ٣٩٢ ق.م بالاتجاهات الشيوعية التى أخذت تظهر فى الفلسفة المعاصرة له ، وخاصة فلسفة افلاطون ، وان كان لم يصرح فى روايته باسم هذا الفيلسوف ، وأبان فى صورة ساخرة عن النتائج الهدامة التى تنجم عن الأخذ بهذه النظريات وتطبيقها فى حياة الجماعات .

قصور جماعة من النساء الأثينيات تكونت منهن الأغلبية الساحقة للبرلمان تطبيقا لنظام عدم التفرقة بين الذكور والاناث ، فاقررن دستورا جديدا لاقامة جميع فروع الحياة الاجتماعية على دعائم شيوعية خالصة . وهنا اتيح لاريستوفان ان يظهر ما يترتب على تطبيق هذا الدستور من نتائج وخيمة فى حياة الأفراد والجماعات وما يشيعه من مظاهر الفساد والانحلال والغش والكذب فى معاملات الناس بعضهم مع بعض ومعاملاتهم مع الحكام. فمن ذلك انه يظهر مواطنا يونانيا يخفى جميع امواله ولا يقدم اشتراكه فى الموائد الجمعية ، ولكنه يتسلل الى هذه الموائد يأكل منها حتى يبشم ، ثم يدلف الى منزله ساخرا من حمق بعض المواطنين وسفههم اذ يقدمون اموالهم وكدح أيديهم الى ما يسمونه « مخازن الموائد العامة » .

***

واما الفارابى (ابو نصر محمد الفارابى من اشهر فلاسفة المسلمين ومن رجال القرن الرابع الهجرى والقرنين التاسع والعاشر الميلاديين) فقد ضمن آراءه فى هذا الصدد كتابه عن « آراء اهل المدينة الفاضلة ». فوضع فيه ما يصح تسميته « تصميما » لهذه المدينة . وقد جاء تصميمه هذا مشبها فى معظم نواحيه لتصميم افلاطون لجمهوريته مع بعض فروق يسيرة تأثر فيها بمبادىء الدين الاسلامى .

وقد قسم الفارابى المجتمعات الانسانية قسمين : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات ناقصة . وقرر ان المجتمعات الكاملة هى التى يتحقق فيها الاكتفاء الذاتى والتعاون المتبادل على اكمل وجه وأمثل طريق . وهى فى نظره ثلاث مراتب : فأرقاها مرتبة اجتماع العالم كله فى دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة ، واقل منه كمالا اجتماع أمة فى جزء من المعمورة تحت سيطرة حكومة مستقلة ، واقلها جميعا فى الكمال اجتماع اهل مدينة فى جزء من الأمة تحت سيطرة رئيس .

ويلاحظ ان الاجتماع الأول الذى ذكره الفارابى وجعله اكمل المجتمعات الكاملة جميعا لم يذكره احد من قبله من مؤلفى « اليوتوبيات » ، بل لم يخطر ببال فلاسفة اليونان الذين اعترف من معين فلسفتهم

« البقية ص ــ ٢٢ »

من وحي الثورة

راهب الحقل

للأستاذ محمود غنيم

راهبٌ خطّ في القرى محرابَهْ ... بين شط الغدير والبلابهْ
عاش للحقل والنبات فكانا ... دينه في حياته وكتابه
عرف اللهَ فطرةً لا اكتسابًا ... فرجا عفوه وخاف عقابه
ما احتواه في الله شكٌ ولا طو ... ل التحرّي عنه أثار ارتيابه
حسبه أن كلّ شيء بهذا الـ ... ـكون يُومي إليه بالسبّابه
عرف اللهَ في الطبيعة عطفًا ... وحنانًا وقوةً غلاّبة
من قواها استمدَّ قوة زنديـ ... ـه ومن شمسها استعار خضابه
ربّ طبع من الغدير استقاه ... فهو ينساب في الحياة انسيابه
منح الأرض لا الملاحَ هواه ... فهو صبٌّ بها عميقُ الصبابه
كادح في شبابه ما قضى في ... مسرح اللهو والمِراح شبابه
وإذا شاب لم يزل عودُه كالنـ ... ـبع فيه بقيةٌ من صلابه
يلبس الشيب هالةً من وقار ... لا الضنا شانَه ولا النقصُ شابه
لم يُزيِّن ثيابَه النقشُ لكن ... زيَّن الطهرُ والعفاف ثيابه
زرقةُ اللون في العيون وأخرى ... في السموات زانتا جلبابه
وإذا خاف من حساب عسير ... ذو ثراء فما أخفّ حسابه
يحسدُ القصرُ كوخَه ربَّ كوخ ... هو للأمن والسلام مثابه
أين عشٌّ رفَّ النعيم عليه ... من قصور رانت عليها الكآبه
القماري من حوله والسواقي ... تلك عود وهذه شبّابه

لم يؤرّقه فى مناط الثريا مطالب راح يرتقى أسبابه

مكتف من طعامه بكفاف قانع من شرابه بصُبابه

رضيَت نفسه فعاش سعيداً ولقد يسعد الرضا أصحابه

فى سكون القرى ينام ويصحو ما له والمدائن الصخّابه

أنا من ضاق بالحواضر ذرعاً وأواها فحطّمت أعصابه

كلها كالملاح والراح صرعى خدعتهم أضواؤها الخلّابه

حسبُ هذا الأمىّ أرض براح هو فى لوحها يجيد الكتابه

خامل من يراه غيرَ نبيه وجهول مَن بالجهالة عابه

هو لا يرتقى المنابر لكنْ فإنه فى الثرى تجيد الخطابه

لو ترى ما تخطّ محراثه فى أرضه قلت آية فى النجابه

إن للكون معهداً لم يثقفْ بدواةٍ ومرقمٍ طلّابه

لم يسجل علومه فى كتاب أو يدون فى معجم آدابه

وبه تشغف السوائم حبّاً ويراها دون الورى أحبابه

ربطته بكل ذات ثغاء أو خُوار مودة بل قرابه

رفقة يأمن الصديق أذاها لا بدسّاسة ولا كذّابه

كم سقته من الحليب زبيباً أبيضَ اللون لا يُضيع صوابه

كم صديق من وجهه يقطرُ البشـ ـر ولا يأمنُ الصديق غيابه

ومن الناطقين مَن هو أضرى من أفاعى وكرٍ ومن أسد غابه

ما لهـذا الملاك أمسى وأضحى وهـو نهب مقسّم لعصابه

سرقوا راهب البتول عن اللـ ـه وصاروا من دونه أربابه

أمِنَ العدل أن يعيش أسيرَ الـ حقل مَن شاب بالدماء ترابه ؟

وهـو من أخرجَ النُّضار من الأر ض وصفّى من التراب لبابه

كم جنى القمح عسجداً وجنى القطـ ـن لجينـاً وبات يلعق صابه

يطرقُ الخيرُ كلّ باب إذا ما أثمرت أرضُه ويترك بابه

« بقية ص — ٢٣ »

وتظرياتهم كأفلاطون وارسطو . فهؤلاء لم يفكروا الا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم وهو الدويلات الصغيرة التى تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها ، أو من بعض مدن وتوابعها . ولعل ذلك يرجع الى تأثر الفارابى بتعاليم الدين الاسلامى ، اذ ان الاسلام يهدف الى اخضاع العالم كله لحكومة واحدة ونظام واحد . وهذا هو المجتمع الذى تطمح اليه الشعوب عقب الحروب الطاحنة ، والذى أريد التمهيد له بانشاء « عصبة الأمم » عقب الحرب العالمية الأولى ، و « هيئة الامم المتحدة » عقب الحرب العالمية الأخيرة.

وقد اغفل الفارابى النوعين الأولين من المجتمعات الكاملة ، وهما اجتماع العالم واجتماع الأمة ، وقصر كلامه على اجتماع المدينة وما يجب توافره فى مجتمعها حتى تكون فاضلة سعيدة ، لأن المدينة هى الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات وبفسادها يعتورها الفساد . فالكلام على الأمور التى يجب أن تتوافر فيها حتى تكون فاضلة — وهو الذى عرض له الفارابى — يعد شرحا لدعائم الفضل فى سائر المجتمعات الانسانية الكاملة .

والمدينة الفاضلة فى نظره هى ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على اكمل وجه . ولا يكون ذلك الا اذا تعاون أفرادها على الأمور التى تنال بها السعادة . واختص كل منهم بالعمل الذى يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بحسب طبعه واستعداده .

واهم وظائف المدينة واكبرها خطرا فى نظر الفارابى هى وظيفة الرياسة . وذلك لأن رئيس المدينة فى نظره هو السلطة العليا التى تستمد منها جميع السلطات ، وهو المثل الأعلى الذى ينتظم جميع الكمالات . فهو مصدر حياة مدينته وقوام نظامها . ومنزلته من سائر افرادها كالقلب من اعضاء الجسم ، بل ان منزلته منهم كمنزلة الله عز وجل من سائر الموجودات .

ولذلك لا يصلح للرياسة الا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن ان يصل اليه الكمال فى الجسم والعقل والعلم والخلق والدين. ومع أن الفارابى يرى انه من النادر أن تتوافر هذه الصفات جميعا فى شخص واحد ، فقد أضاف اليها صفة إخرى زادت الأمور استحالة وتعذرا ، وهذه الصفة هى اتحاد الرئيس « بالعقل الفعال » ، وهو العقل المشرف على الانسانية الذى يتبعث عن الله تعالى مباشرة كما ينبعث الضوء عن الشمس ، فيستحيل الرئيس بذلك الى كائن روحى يمتزج بالعقول ، ويتصل بالملأ الأعلى ، ويتلقى عن هذا الملأ بطريق مباشر نفحات الوحى والاشراق .

واذا اضفنا الى هذا ان الفارابى يرى أن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة الا اذا ساروا على غرار رئيسهم واصبحوا صورة منه ، وان الرئيس لا يعد مؤديا لرسالته الا اذا وصل بهم الى هذا المستوى الرفيع ، يظهر ان المدينة الفاضلة التى اقام الفارابى قواعدها فى كتابه هى مدينة يراسها انسان لا تقل منزلته كثيرا عن منزلة الانبياء والملائكة ، ويتألف افرادها من قديسين . ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها فى عالمنا الدنيوى .

***

واما توماس كامبانللا فهو كاتب ايطالى عاش فى اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر (١٥٦٨ — ١٦٣٩) . وقد حاول فى كتابه « مدينة الشمس » أو « دولة الشمس » الذى الفه فى صورة رواية أن يرسم مدينة فاضلة كما فعل ذلك من قبل أفلاطون والفارابى ، فوضع تصميمها على ان تكون مدينة شيوعية فى نظمها واستبدادية فى حكمها .

أما الشيوعية فقد ارادها مطلقة وان تطبق فى جميع شئون الحياة حتى فى علاقات الرجال بالنساء . فلا اثر فى مدينته للملكية الفردية كما لا اثر فيها للزواج ولا للأسرة بالمعنى الذى نفهمه فكل شىء فيها شائع عام . ولم يكتف كامبانللا بوضع هذا النظام العام ، بل حرص على وضع نظم تفصيلية لجميع نواحى الحياة فى هذه المدينة ، وعمل على ان يكون كل شىء فيها مضبوطا منتظما ، واضح المعالم بين الحدود ، حتى الاكل والشرب وساعات العمل وقضاء أوقات الفراغ .

واما فيما يتعلق بشئون الحكم فى هذه المدنة فقد اراد كامبانللا أن يتولاها الفلاسفة والحكماء ، وان يكون على رأسها فيلسوف كبير سماه فى روايته « هوه » أو « صول » ، واشترط فى هذا الرئيس شروطا لا تختلف كثيرا عن الشروط التى اشترطها

البقية على الصفحة التالية

فى موكب العلم

رمالنا السوداء فى عصر الذرة

بقلم فوزى الشتوى

رمالنا السوداء ، التى يجلبها النيل فى طميه السنوى ، بدات تحتل مكانها فى العصر الذرى . وتبشر البوادر بانها وقود العالم فى مستقبله القريب . وقد لا تمضى سنوات حتى تضاء المدن ، وتدور المصانع بفعل الطاقة المستخرجة من احد عناصر هذه الرمال ، وهو المعروف باسم « ثوريوم » ، ويعد اول واخطر منافس لعنصر «اليورانيوم» الذى ينتظر ان يختفى ، ويصير استخدامه من المودات القديمة فى العصر النووى .

وعنصر « الثوريوم » ليس جديدا على علماء المواد المشعة ، فقد اكتشفه « برزيليوس » عام ١٨٢٨ ، واطلق عليه اسم اله الرعد « ثور » .. وهو معدن اسمر اللون كان من الصعب فصله نقيا بسبب شدة نشاطه الكيميائى . ولكن الجديد فى امره هو اكتشاف بعض اسراره التى اتاحت استغلاله كمادة وقود ذرية

مفاعل من الثوريوم

واعلن اخيرا الخبراء والباحثون فى معامل اوكريدج الذرية الامريكية ، انهم تمكنوا من خلطه بنسب معينة من عنصر « اليورانيوم ٢٣٣ » . فصنعوا من الخليط اسياخا طول كل منها نحو ٩٥ سنتيمترا ، وقطره نحو ١٦ ملليمترا . وأرسلوا من هذه الاسياخ كمية الى معامل بركهافن الذرية قرب نيويورك لتجربتها فى عمليات التفاعل الذرى المتسلسل لجمع بيانات جديدة تمهد لانشاء المفاعلات النووية التى تنتج الطاقة الكهربائية .

وقالوا ان اتمام التجارب المطلوبة يحتاج الى نحو ١١٠٠ سيخ تنقل على دفعات فى كل منها ١٣٢ سيخا . وتبدو صعوبة تحضير هذا الخليط المعدنى ، وتنسيقه فى هذا الشكل ، من أن معملا كبيرا مزودا بعشرات من الفنيين لا يستطيع انتاج اكثر من ١٥ سيخا فى اليوم الواحد

بقية المنشور على ص ٢٦

افلاطون فى رئيس جمهوريته والفارابى فى رئيس مدينته الفاضلة ، ووضع فى يده سلطة مطلقة يتصرف بمقتضاها فى جميع شئون الدولة ماديها وروحيها ، فتجرى الأمور وفق مشيئته ، لا معقب على احكامه ، ولا راد لقضائه . فليس فى مدينة كامبانللا مجال للحرية الفكرية ولا للحرية الدينية ، ولا سبيل الى الاعتراض على ما يريده الرئيس .

ويساعد هذا الرئيس ويقوم بتنفيذ شرائعه وتعليماته ثلاثة وزراء منقطعوا النظير لا يجاريهم فى الاضطلاع بالشئون التى يشرفون عليها احد من العالمين . احدهم الوزير « بون » (اسمه فى الرواية) ووظيفته الاشراف على شئون الدفاع وتنظيم الجيش الذى يرى كامبانللا — كما راى افلاطون من قبل انه من الواجب أن ينتظم فى سلكه الرجال والنساء على السواء . وثانيهم الوزير « سن » (اسمه فى الرواية) ووظيفته الاشراف على شئون التربية والتعليم فى المدينة بمختلف مظاهرهما وانواعهما . وقد راى كامبانللا ان يكون التعليم فى هذه المدينة اجباريا مشتركا يستوى فيه الذكور والاناث ، وبين بالتفصيل ما ينبغى أن تكون عليه ابنية معاهده وخططه ومناهجه النظرية والعملية. وثالث الوزراء هو الوزير « مور » (اسمه فى الرواية) ووظيفته تنظيم العلاقات الجنسية والمحافظة على النسل والسهر على ان يبقى عنصر الأمة سليما نقيا مجردا من الشوائب . ولما كانت العلاقات الجنسية تسير فى هذه المدينة على مبدأ الشيوعية كما تقدم ، وروابط الجنسين فيها تقوم على اواصر الحب لا على عقود الزواج ، لذلك كانت اهم وظائف هذا الوزير ان يعمل على تنظيم هذه الشيوعية وهذا الحب حتى لا تؤدى الشيوعية الى الفوضى ولا يؤدى الحب الى الاستئثار .

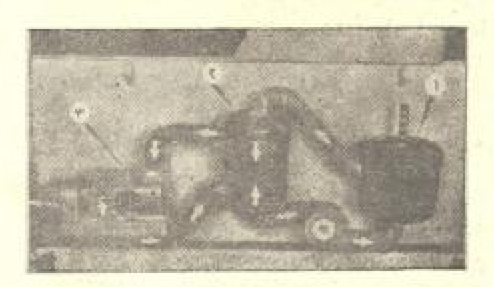
فالشيوعية الجنسية — فضلا عن انها لم توجد فى اى مجتمع انسانى واقعى — لم يستطع خيال اصحاب « اليوتوبيات » انفسهم تصورها مجردة من القيود .

دكتور على عبد الواحد وافى

ولم اتخاذ مثل هذه التدابير بعد دراسات واسعة، عرضت ، ونوقشت فى عشرات المؤتمرات الخاصة بدراسة مادة الثوريوم . وكان الهدف الاساسى استخدامها على هيئة سائل ، فالخبراء الذين يرون ان استخدام الوقود الذرى السائل يوفر نحو ٤٠٪ من نفقات وقود ذرى فى حالة الصلابة . والسبب هو سهولة تناوله ، والتحكم فى تنقلاته بمعونة الاجهزة التلقائية .

وقال الخبراء ان البوادر تبشر باتساع المجال امام مادة « الثوريوم » . ومن الجائز أن تصنع منها محركات الطائرات . واذا قلنا محركات الطائرات ، اضفنا ايضا محركات شتى وسائل النقل الكبيرة كالقاطرات والسفن ، مما يسمح حجمها باحتواء مفاعل ذرى ، وما يتبعه من سبل حماية الركاب من الاشعاعات الذرية . فالقاطرات والسفن اقدر من الطائرات على الافادة من مثل هذه المحركات

حلم العرب يتحقق



مولد ذرى لغواصة .. ويبين (١) المفاعل الذرى و (٢) الغلاية التى يتولد فيها البخار لإدارة التربينات (٣) ومنه تنتج الكهرباء

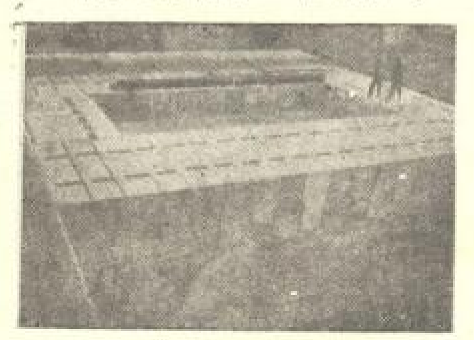
اما كيف تتحول مادة « الثوريوم » الى وقود ذرى ، فيرجع الى خواصها الطبيعية ، وتكوين نواتها التى تتألف من ٢٣٢ جسيمة ، منها ٩٠ من الجسيمات المعروفة باسم «بروتون» ذات الشحنة الكهربائية الموجبة ، والتى تتعادل كهربائيتها بعدد مماثل من جسيمات « الالكترون » السالبة الشحنة . اما بقية الجسيمات ، فمن «النيوترونات» المتعادلة الكهارب

وهى تتحول الى مادة وقود نووى بنفس الطريقة التى يتحول فيها اليورانيوم ٢٣٨ الى مادة بلوتونيوم، وزنها الذرى ٢٣٩ . ويتم التحول ، اذا ما التقطت نواة «الثوريوم» جسيمة من «النيوترون» ، واحتفظت بها ، فعندئذ تتم فيها سلسلة من التفاعلات النووية، التى تحقق ما حلم به الكيميائيون العرب من تحويل عنصر الى آخر ، اذ يتحول الثوريوم الى يورانيوم ٢٣٣ ، ورقمه الذرى ٩٢ . ودلت الدراسة على ان هذا العنصر قابل للانشطار كتوامه اليورانيوم ٢٣٥ و « البلوتونيوم» ٢٣٩ ، ومنهما تصنع القنابل الذرية والمفاعلات النووية على اختلاف انواعها

واستقرار جسيمة النيوترون فى نواة اى عنصر ليس من المسائل الهينة . فان هذه الجسيمة تنطلق عادة بسرعة كبيرة . وبسبب تعادل شحنتها الكهربائية ، فانها لا تجد اية معارضة سواء فى اغشية الذرات اونواها ، ولهذا فالجانب الاكبر منها ينطلق فى الهواء حتى يتحلل فى اغلب الاحيان .

خفض سرعة النيوترونات

ولاستغلال طبيعة هذه الجسيمة اعمد العلماء الى ابتكار الوسائل لخفض سرعتها ، بأن يضعوا فى طريقها ذرات عناصر لا تدمرها كالجرافيت والماء الثقيل ، وغيرهما من العناصر التى يطلق عليها اسم مهدئة ، وبمعونتها تنخفض سرعة « النيوترون » حتى اذا ما تجاوزت طبقات العناصر المهدئة ، فانها تكون فى سرعة تتيح لها الاستقرار فى نوى العناصر المراد احداث التفاعل النووى فيها كالثوريوم واليورانيوم .



الاستعداد لتجارب الثوريوم فى المفاعلات الذرية ، ويحتاج الى عشرات الاطنان من دروع الوقاية التى تصنع من الاسمنت المسلح الذى يمنع الاشعاع من النفاذ . وفى بروكهافن توجد آلاف من هذه الدروع لوقاية العلماء والباحثين

وقد عرفت وسائل تهدئة سرعة النيوترون فى اوائل العصر الذرى ، بمعونته استطاع العالم الايطالى « فرمى » ان يحدث اول تفاعل ذرى متسلسل فى عام ١٩٤٢ . وبمعونته ، كان انشطار نواة ذرة « يورانيوم ٢٣٥ » — وهو يوجد عادة فى الطبيعة مندمجا مع « اليورانيوم ٢٣٨ » — تطلق جسيمتين او ثلاثا من « النيوترونات » ، وكل منها يستقر فى « اليورانيوم ٢٣٨ » ، فيحوله الى عنصر «البلوتونيوم» الذى صنعت منه اولى القنابل الذرية . وبمعونة التفاعل النووى المتسلسل ايضا ، تعمل شتى المفاعلات سواء كانت لانتاج الكهرباء ، او لتحويل المواد المشعة الى وقود نووى او لانتاج النظائر المشعة .

واذا كان العلماء قد عرفوا وسائل تهدئة سرعة « النيوترونات » ، وكل منها يستقر فى « اليورانيوم فقد كان عليهم ان يتوسعوا فى دراسة عنصر « الثوريوم » ليعرفوا السرعة اللازمة لتستقر « النيوترونات » فى نواته ، كما تحتم ان يعرفوا خواص كل من المواد الناتجة ، ومدى الفائدة والضرر الذى يجنى منها . فغاز « البلوتونيوم » الناتج من تحول اليورانيوم النقى سام ، وقاتل للانسان . واثبت « اليورانيوم ٢٣٣ » الناتج من تحول « الثوريوم » ، انه لا يقل ضراوة عنه ، مما يحتم اتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة حتى لايصاب الباحثن بالتسمم .

اتفقت كيميائيا واختلفت ذريا

ويجب فى هذا المجال ان نفرق نظائر اليورانيوم . فالنقى الموجود منها فى الطبيعة يتالف من ثلاثة نظائر تتفق كلها فى الخواص الكيميائية ، وان اختلفت فى الخواص الطبيعية ، والاوزان الذرية . فوزن احدها ٢٣٤ ، والثانى ٢٣٥ ، والثالث ٢٣٨ .

وختلاف هذه الارقام معناه اختلاف عدد مايحويه كل منها من جسيمات « النيوترون » المتعادلة الشحنة الكهربائية . ودلت الدراسات على ان النظير ٢٣٥ هو الوحيد القابل للانشطار ، وانتاج الطاقة بكميات وافرة . اما النظيران الآخران فيعملان كصمام امن بمنع انفجار النظير ٢٣٥ الذى لايوجد فى الطبيعة على هيئة كتل ، بل يوجد على هيئة ذرات متناثرة .

اما النظير ٢٣٣ ، فينشا « كالبلوتونيوم » ، عندما تحدث سلسلة تفاعل ذرى فى كومة او كمية من عنصر « الثوريوم » . وقد اثبت انه قابل للانشطار كتوامه ٢٣٥ ، ولكنه يفضله فى سهولة فصله من الشوائب التى تختلط به ، لانه يكون مخلوطا بمواد كيميائية مختلفة يسهل العامل معها بالطرق الكيميائية ، بينما النظير ٢٣٥ يكون مختلطا بنظائر مثله ، ولها نفس خواصه الكيميائية ، مما حتم فصله بوسائل طبيعية باهظة النفقات ، وتحتاج الى اجهزة فائقة الدقة .

وبسبب شدة تعقيد عمليات فصل اليورانيوم ٢٣٥ ، فان اكثر الدول المشتغلة بالمسائل الذرية ، تؤثر تحويل اليورانيوم النقى الى « بلوتونيوم » ، وهو عنصر كيميائى مختلف تسهل عمليات فصله عن اليورانيوم الطبيعى ، والشوائب التى تنتج فى التفاعل النووى .

وفرة من الوقود



التعامل مع المواد المشعة من المسائل الخطرة . ولهذا ابتكر الخبراء هذه الأيدى التلقائية التى تتيح لهم نقل هذه المواد بسهولة

حقيقة ان « اليورانيوم ٢٣٣ » يماثل شتى نظائر اليورانيوم فى الخواص الكيميائية ، ولكن العبرة فى سهولة تحضيره ، ان المواد التى ينشا فيها نظائره الاخرى ، بل تحوى عناصر كيميائية مختلفة كالثوريوم ، وما قد ينشا من شوائب اخرى كالبريليوم وغيره من المواد التى تجدها فى منتصف قائمة العناصر الذرية ، بينما الثوريوم واليورانيوم فى آخرها .

وعلى هذا الاساس صنعت القضبان او الاسياخ من قليل من اليورانيوم ٢٣٣ ، وكثير من الثوريوم ، واذا ما انشطرت ذرة من اليورانيوم اطلقت جسيمتين

او اكثر ، لتستقر كل منها فى نواة الثوريوم ، فتحوله الى يورانيوم ٢٣٣ . وبعضه ينشطر ايضا ، ويحدث سلسلة التفاعل المنشودة . وفيها تتولد طاقة حرارية يمكن استغلالها فى توليد الكهرباء ، وفى الوقت نفسه تتحول بعض ذرات الثوريوم الى يورانيوم ٢٣٣

ويقول الخبراء ان الدراسات النظرية والحسابية دلت على ان الثوريوم افضل من اليورانيوم فى هذا السبيل ، لان الاول ينشىء من مواد الوقود الذرى اكثر مما ينشىء الثانى . وفى كل من المفاعلات الذرية المستخدمة تسمع عن فترات يتعطل فيها المفاعل لتجديد شحنه بمواد الوقود الذرية ، وهى اليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم . ومعنى هذا ان عدد ذراتها القابلة للانشطار قلت الى حد يعرقل سير التفاعل المتسلسل أو يوقفه ، فتنطلق « النيوترونات » ولكنها لا تجد فى طريقها ذرات قابلة للتحول ، فتسير فى طريقها ، أو تستقر فى شوائب عديمة القيمة .

وظهر من الدراسات أن الثوريوم فى تحوله الى يورانيوم ٢٣٣ ، ثم فى انشطار الاخير يولد مواد وقود ذرية اكثر مما يستهلك ، اى ان كمية اليورانيوم ٢٣٣ تزيد ولا تنقص كما هى الحال فى المفاعلات الذرية المعروفة الآن . ومعنى هذا أن المفاعلات التى تستعمل بالثوريوم ستعيش عاملة مدة اطول . ومعنى الزيادة فى السعر زيادة فى جنى الفوائد ، وخفض فى نفقات التشغيل . واذا كانت المفاعلات المعروفة تعمل لمائة اشهر ، بينما مفاعلات الثوريوم تعيش سنة ، فمعنى هذا أن مفاعلين منها يساويان ثلاثة من المفاعلات المعروفة .

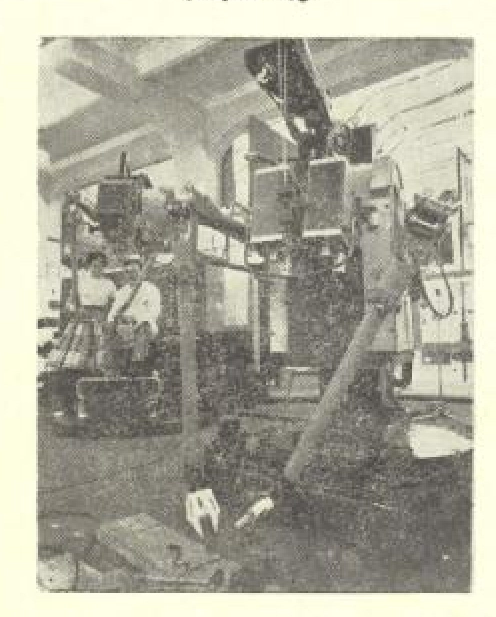
تدابير الوقاية

ولا تقف فوائد مفاعلات الثوريوم عند هذا الحد بل ان دراسته اثبتت ، أن الاخطار الاشعاعية فيه اقل من اخطار المفاعلات المعروفة . ولهذه الاخطار اهميتها ، اذ توجب اتخاذ التدابير والاحتياطات حتى لا يتسرب الاشعاع ويصيب الباحثين ، أو يلوث جو البقعة . وتبعا لقلة الاخطار ستقل ايضا نفقات التدابير الوقائية ، وهى عامل اقتصادى له اهميته عند تشغيل اى محطات انتاج القوى أو المصانع على اختلاف انواعها .

ومن المقرر عند العلماء الذريين والخبراء الاقتصاديين فى الطاقة الذرية ان تتحول مواد الوقود النووية من حالة الصلابة الى حالة السيولة ، فبها يوفرون الكثير من الأجهزة والآلات التى تعرف كيف تنقل المواد الصلبة وتتعامل معها . بينما السوائل ذات صفات اكثر مرونة ، ويمكن استغلالها فى كثير من هذه العمليات ، مما يغنى عن كثير من الأجهزة الحالية ، ووسائل صيانتها ، ومراقبة عمليات ادائها لواجباتها .

ولم ينتقل الخبراء الى التجربة على حالة السيولة ، بل آثروا الاكتفاء بالتعامل مع المواد الصلبة . ومن اخطر ما يواجههم فى السوائل ، حالة التآكل التى تطرأ على الأوعية الحاملة للمواد . وهم يحاولون علاجها ، والعثور على حل لها من عدة سنوات . ويبدو انهم لم يصلوا بعد الى دواء ناجع لها . وهم بسببها يواصلون الدراسات للتوسع فى معرفة خواص المواد على اختلاف أنواعها ، وكيف تتفاعل كيميائيا بعضها مع بعض . وعند ما تتم مثل هذه الدراسات ، فانهم سيتمكنون من تذليل هذه العقبة . وعندئذ من الجائز ان نحصل على الطاقة النووية بعشر نفقاتها الحالية .

توزعه الانهار



مادة الزركونيوم .. انها جزء من الرمال السوداء. ويوجد معها عنصر الثوريوم الوقود الذرى بعد سنوات قليلة

ويرى العلماء أن الثوريوم هو مادة الوقود الذرى فى المستقبل القريب بسبب كثرة انتشاره فى شتى انحاء العالم . فتجد كمياته متوفرة بمقادير ضخمة فى مصر ، والهند ، واوروبا ، وبلاد امريكا . ويندر ان نجد رقعة أرض خالية منه ، لان الطبيعة ذاتها تعمل على توزيعه . واهم ادوات نقله هى الانهار ، كما هى الحال فى نهرالنيل الذى يقدم فيضه من بعد الألف الكيلومترات ، فيمربالجبال والوديان ، ويغترف العينات من كل ما يقابله من صخور ومعادن .

فالطمى القادم مع فيضان النيل هو فى الواقع عينات طبقات الارض فى المناطق التى يمر بها ماؤه ، ومنها مواد مشعة ، واخرى غير مشعة . وكل هذه العينات ترسب عند مصب النهر او فى البقاع المختلفة التى تستطيع الاحتفاظ بالماء فترة حتى يتخلى عن حمله .

وبطريقة فذة تعمل الطبيعة ايضا على فصل جانب من العينات ذات الصفات الطبيعية المتجانسة ، فالتيارات البحرية والنهرية وطبيعة المياه تعمل كمصفاة ترسب الرمال السوداء فى مناطق ، وترسب غيرها فى مناطق أخرى .

ومثل هذه الاجهزة الطبيعية ليست قاصرة على وادى النيل ، بل لها اشباه ونظائر فى شتى انحاء العالم ، وهى موجودة فى كل نهر طويل المجرى ، ويعمل ماؤه على توزيع ثروات الأرض على جانبيه . فمثل هذه الثروات موجودة فى كل مكان ، والمهم هو ان تعرف كيف تستغلها ، وتفيد منها من اقصر طريق ، وباقل نفقة .

اكل ٤٠٠ كيلو

ويفضل « الثوريوم » « اليورانيوم » فى الكميات التى تعثر عليها لأى منهما . فبينما الأول شبه شائع ومنتشر فى اكثر بقاع الأرض ، فان اليورانيوم محدود المناطق واهم موارده فى شمال كندا ، وبعض بلاد افريقيا . وهو يوجد مخلوطا بعدد هائل من الصخور والشوائب . ولتحصل على كيلو واحد من اليورانيوم ، فيجب ان تعالج نحو ٤٠٠ كيلو من الصخر والاتربة ، مما جعل نفقات الحصول عليه باهظة ، فضلا عن البعثات العلمية الجيولوجية التى تمضى الشهور والسنوات فى الصحارى والجبال للحصول على كميات تصلح للاستغلال .

اما الثوريوم فيتوفر غالبا قرب الأنهار حيث تزهو المدنيات وتزدهر وتتوفر وسائل النقل والمعامل والمصانع . وهو يوجد ايضا بكميات كبيرة ففى كل مائة كيلو من الركام تحصل على ٣ او ٩ كيلوجرام من الثوريوم . ومعنى هذا ان نفقات الحصول عليه تقيا تقل الى واحد فى المائة من نفقات الحصول على اليورانيوم .

ورغم ان بعثاتنا الجيولوجية والتعدينية تنتشر فى كل انحاء القطر المصرى للبحث عن اليورانيوم او اى انواع الثروة المعدنية فى الأرض ، فان عددا من الباحثين والمصانع يوجه اهتماما خاصا لدراسة الرمال السوداء التى تحوى نحو ٨ عناصر لها اهمية اقتصادية كبيرة فى عدة صناعات .

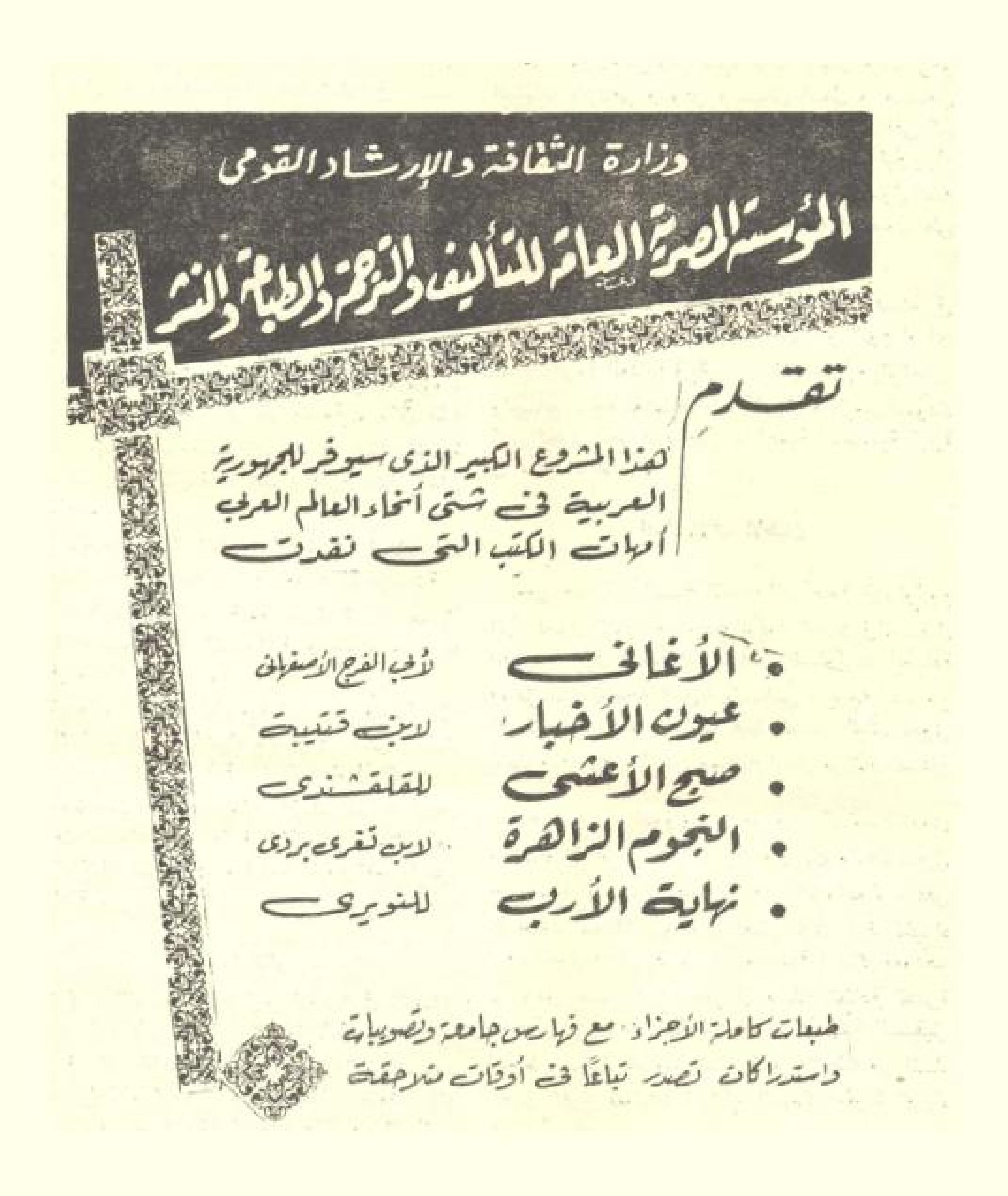
لدينا الاف الاطنان

ومن هذه الدراسة الاتجاه الى مادة الزركونيوم التى تحوى الثوريوم . مادة الوقود الذرى فى المستقبل القريب . وفى زحمة الدراسات والمسئوليات المختلفة فى مؤسسة الطاقة الذرية بانشاص ، يوجه عدد من الباحثين جهودهم لدراسة هذا العنصر الذى تحوى بلادنا منه آلاف الأطنان مما نقله النيل من آلاف السنين

ونقول ان « الثوريوم » هو مادة الوقود النووى فى المستقبل القريب ، لاننا نرى من الآن مادة المستقبل بعد عشرة او عشرين عاما . وهى الماء والهواء . ففى اى منهما تجد الايدروجين الثقيل الذى عرف الخبراء كيف يحولونه الى قنابل ايدروجينية ، ولكن جهودهم لم توفق بعد الى التحكم فى هذه الطاقة المدمرة لتتحول الى طاقة بانية . واستعدادا لهذا المستقبل البعيد وضعنا مشروعا لانتاج نحو ٢٠ طنا من الماء الثقيل كفرع لعمليات انتاج السماد بمعونة كهرباء خزان اسوان .

اما اول مفاعل يستغل الثوريوم لاطلاق الطاقة النووية ، فينتظر ان تبدأ انشاؤه فى العام المقبل حتى تتم كل حلقات الدراسة التمهيدية الخاصة بهذه المادة ، ووليدها اليورانيوم ٢٣٣ .

فوزى الشتوى



وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
لهذا المشروع الكبير الذى سيوفر للجمهورية
العربية فى شتى أنحاء العالم العربى
أمهات الكتب التى نفدت
• الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
• عيون الأخبار لابن قتيبة
• صبح الأعشى للقلقشندى
• النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
• نهاية الأرب للنويرى
طبعات كاملة الأجزاء مع فهارس جامعة وتصويبات
واستدراكات تصدر تباعاً فى أوقات متلاحقة

فى عالم الفنون
التفكير السينمائى

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

هذه البعثات السينمائية التى حضرت المهرجانات العالمية لماذا لا تكتب تقارير فنية تفصيلية عن افلام هذه المهرجانات ؟ ايضا لماذا لا تعقد ندوات فى الاذاعة والتليفزيون والهيئات السينمائية لمناقشة الاتجاهات الفنية العالمية على ضوء مشاهدتها ؟ ولماذا لا نترجم قرارات لجان التحكيم وندرسها لنعرف اسباب فوز وفشل الافلام فى المحيط العالمى ، ونقارن مستوياتها بمستوى افلامنا ؟!.

فى الاسبوع الماضى لم تحصل افلامنا على اى جائزة فى مهرجان موسكو ، وقبل ذلك بأيام عادت افلامنا التى اشتركت فى مهرجان برلين بلا جوائز ايضا ، وهكذا يتكرر اشتراكنا فى المهرجانات العالمية دون ان تفوز فيها .. لماذا ؟ انا لا اقارن بين افلامنا وافلام هوليود وبانيوودوروما مثلا ، ولكن الملاحظ ان فى المهرجانات العالمية تفوز احيانا افلام دول احدث منا عهدا بالسينما ، بل ان فى مهرجان موسكو اعطيت جوائز تقديرية لفيلم من بلغاريا وفيلم من تنجانيقا !!

ان الفوز ليس اهم اهداف الاشتراك فى المهرجانات، وانما من اللازم على الأقل ان نستفيد منها باعتبار انها فرصة للاحتكاك الفنى بالتيارات الفنية العالمية ، وخاصة ان السينما عندنا بدات هذا العام مرحلة جديدة قائمة على التنظيم العلمى ، ومن اجل ذلك انشىء القطاع العام السينمائى .

***

ان هذه المرحلة تستلزم دراسة أسباب تخلفنا فى السينما بالذات اكثر من اى فن آخر .. فى الماضى لم تكن تكترث بهذه الدراسة ، لان السينما كان يسيطر عليها منتجون وموزعون اقل ما يقال فيهم او فى معظمهم انهم دخلاء على السينما ، وانما احترفوها من اجل « شباك التذاكر » .. ولكن فى مجتمعنا الجديد الذى نهض بكل المرافق بدا السينمائيون الدارسون — على قلتهم — يشعرون بالمسئولية من الدخلاء بسبب الامكانيات المادية والفنية ، فان مجرد الشعور بالمسئولية ادى الى ظهور بعض افلام جيدة نسبيا ، ولو أنها قليلة جدا ..

وفعلا ظهر اثر ذلك فى المهرجانات العالمية ايضا .. ان السينمائيين الذين عادوا من برلين وموسكو سواء فى العام الماضى او فى هذا العام أكدوا ان افلامنا نالت تقدير الخبراء رغم عدم فوزها .. لم نحصل على مثل هذا التقدير فى العام الماضى اطلاقا ، بل بالعكس كانت افلامنا التى تعرض فى الخارج اضحوكة بين افلام العلم ، وكان النقاد والخبراء يسخرون من تفاهتها ، ويصفون مخرجينا بانهم يستخدمون الفوتوغرافيا بدل الكاميرا ، ويصفون ممثلينا بانهم يطيلون الوقوف امام المرآة قبل دخول البلاتو ، وقال الناقد « ماكلاين روس » اننا نخرج افلامنا داخل علب كبريت !! ؟

***

كل هذا بدا يتغير فى مجتمعنا الجديد ، وبدانا ننتج افلاما ان لم تكن فى المستوى العالمى طبعا الا ان بعضها يبشر بان السينما عندنا بدات تنتقل من مستوى الخربة الى مستوى يثير الانتباه الى اننا نحاول المساهمة الجادة فى الحقل السينمائى ..

طبعا هذا لايكفى .. ولا يكفى مجرد انشاء القطاع السينمائى العام ، الا اذا ادركنا معنى التفكير السينمائى .. فليس صحيحا ان افلامنا لا تنال رواجا عالميا لمجرد ان لغتنا محدودة الانتشار كما يقول بعض السينمائيين مثلا .. ان المشكلة مشكلة تفكير ، ولو كانت مشكلة لغة لما فازت فى مهرجانات عالمية كثيرة افلام يابانية وهندية ناطقة باللغة المحلية

.. وامامنا مثال واقعى يؤكد اهمية التفكير السينمائى فى هوليوود عاصمة السينما .. ان هوليوود كانت تقيم نظرية السينما على اساس الاعتماد على « التكنيك » ، ومنذ حوالى خمسة عشر عاما ظهرت فى ايطاليا مدرسة جديدة ذات نظرية جديدة تعتمد على التفكير الموضوعى ، وشعرت هوليوود بالمنافسة فاسرفت فى التكنيك واستخدمت آلات حديثة وأدخلت السينما سكوب والالوان ، ومع ذلك فشلت فى المنافسة ، فعادت الى الاهتمام « بالتفكير » ، وفعلا

انتجت افلاما ممتازة لان موضوعاتها ممتازة ، رغم ان بعضها مسجل على فيلم « اسود وابيض » .

***

اننا فى حاجة اولا الى تعميق التفكير السينمائى ، ولا جدال فى ان التخطيطات التى وضعها القطاع العام تتجه الى ذلك ، ولكن المسألة ليست سهلة ..

ان المفكر السينمائى العالمى مر بمراحل كثيرة ومارس تجارب كثيرة ، فضلا عن أنه يعيش فى تيارات ثقافية مستمرة واستكشافات فنية متواصلة .. ان السينما العالمية بدأت من مرحلة تصوير قصة تافهة بطلها الجاد « كلب مخلص » ، وبطلها الضاحك أو المضحك « قطعة دندرمة » ، ثم تطورت حتى وصلت الى مرحلة التغلغل فى مشكلات تحتاج فى تناولها فنيا الى متخصصين متعمقين فى دراسة الفنون والفلسفة والعلوم الاجتماعية والتكنولوجية والسيكولوجية .. والسينما العالمية بدأت من مرحلة استخدام آلات بدائية ، الى مرحلة استخدام اجهزة تكاد تحول الفن السينمائى الى عمليات ميكانيكية وهندسية .. والسينما العالمية بدأت من مرحلة تجمع كل العمليات فى فرد واحد ، الى مرحلة التخصص بالمعنى الدقيق ، بحيث اصبحت للعملية الواحدة تفريعات تحتاج الى تخصص فى كل تفريع .. فالسيناريو مثلا اصبح يعد فى خمس او ست مراحل تختلف كل منها عن المراحل الاخرى ، وتحتاج كل مرحلة الى دراسةمعينة وممارسة معينة وخبرة معينة .. واساليب التعبير السينمائى اصبحت لها دراسات مستفيضة ، وظهرت كتب وأبحاث تتناولها كفنون قائمة بذاتها .. وهكذا

اننا فى حاجة الى دراسة هذا كله .. وفعلا انشأنا معهد السينما ومعهد السيناريو ، وخصصنا جانبا كبيرا منمشروع المكتبة العربية للدراساتالسينمائية ، ولكننا لو بحثنا برامج المعهدين والكتب التى ستترجم أو ستؤلف للمكتبة وجدنا انها فى حاجة الىاستكمالات جوهرية ..

فالبرامج الدراسية تفتقر الى مناهج الفلسفة وفلسفة الفن بالذات .. كيف نخلق المؤلف السينمائى والسيناريست اذا لم يدرس تاريخ التفكير البشرى والنظريات الفنية وعلاقاتها بالنظريات الفلسفية قديما وحديثا !! فى الغرب يصفون المؤلف السينمائى بانه الفنان الذى « يغسل الشخصية » ، وهو فى سبيل ذلك يجب ان يتعمق فى معرفة وتحليل المشكلات التى يواجهها الفرد والمجتمع ، فكيف يصل الى هذا المستوى اذا لم يكن مثقفا الى درجة تجعله قادرا على هذه المعرفة وهذا التحليل ، فضلا عن ضرورة تعمقه فى الثقافة الفنية الى درجة تجعله قادرا على التناول الفنى بالوسائل والأدوات السينمائية ؟ ثم ان الحياة الحديثة واجهت الفرد والمجتمع بمشكلات لا حصر لها وفى غاية التعقيد ، ولهذا زادت مساحة الحقل الذى يعمل فيه المفكر السينمائى بزيادة عدد المحتاجين الى « غسل شخصياتهم لأن الفرد الغربى فى الحياة الآلية والالكترونية اصبح رقما بين الملايين ، ومن اجل ذلك يكاد يكون المفكر السينمائى عاجزا عن معرفة الحقائق ، وكل ما يستطيعه ان يحاول البحث عنها فى ممرات ضيقة ، لأن النـاس فى ازدحامهم الكثيف لا يلتفتون اليه وهم يسيرون سيرا ميكانيكيا للبحث عن الطعام اليومى فى زحمة الحياة وزحمة الأوهام .

ان مشكلاتنا تختلف عن مشكلات المجتمع الأوروبى مثلا ، ولكننا نعيش فى عالم متشابك ، ومن اللازم ان نتعمق فى فهم المشكلات البشرية وفى مختلف الدراسات ، اولا لنستفيد من الأفلام العالمية ، وثانيا لنستطيع معرفة امكانيات السينما فى تحليل المشكلات ، وثالثا لنستطيع مواجهة مشكلاتنا ونحن نخوض تجارب جديدة ونبنى حياة جديدة .. اننا الآن نواجه تغييرا جذريا فى حياتنا .. تغير مجتمعنا وتغيرت اقتصادياتنا ومثالياتنا ، ونتيجة لذلك تغيرت مفهوماتنا الفنية تغييرا حتميا ، واصبح من اللازم ان يشارك المفكر السينمائى فى خوض التجارب الجديدة وفى بناء الحياة الجديدة باسلوب علمى يختلف كل الاختلاف عن الاسلوب السينمائى القديم الذى كان يحترف السينما فى مجتمع متخلف وبتفكير سينمائى فى غاية السذاجة .

***

ايضا فى الكتب السينمائية .. ان مشروع المكتبة العربية يتضمن ترجمة وتأليف كتب ومراجع مفيدة

جدا ، ومع ذلك فانها فى حاجة الى الاستكمال ... فمن اللازم ترجمة مراجع ترشد الطالب والباحث والمفكر السينمائى الى معرفة التطورات السينمائية من المرحلة البدائية الى المرحلة المعقدة التى تجتازها السينما العالمية الآن ، وايضا معرفة تاريخ وتطورات الأفلام الغنائية والموسيقية ، وخاصة اننا نمارس هذا النوع بالذات بشكل ملحوظ ، بل انه اكثر الانواع رواجا ..

***

والمسألة ليست مجرد معرفة معلومات تاريخية.. طبعا من اللازم معرفة تاريخ السينما ، وانما الاهم للمفكر السينمائى ان يدرس تطورات الفنون السينمائية وكيف حدثت ولماذا حدثت ، ويدرس صلة هذه التطورات بالتطورات الثقافية والفنية ، ويحاول ان يستخلص من ذلك كله مدى تأثر السينما عندنا بهذه التطورات .. الخ .. ان الدراسة المقارنة تفيدنا جدا فى معرفة العوامل التى ادت الى تخلفنا فى السينما رغم انها من الفنون الحديثة فى العالم كله .

اننا عندما نحاول تناول قصص الأدباء الكبار فى السينما وفعلا انتجنا فيلما عن « قصة زينب » للدكتور هيكل ، كانت هوليوود تنتج افلاما عن الجانجستر ورعاة البقر ، ومع ذلك فاننا لم نواصل هذا الاتجاه الأدبى ، بل اتجهنا الى القصص «الهايفة»، بينما اتجهت هوليوود الى الادب الرفيع فى كثير من افلامها ، ورغم انها انتجت ولا تزال تنتج افلاما تافهة، فان الاتجاه العام لاستوديوهاتها واستوديوهات الدول المتقدمة فنيا سار نحو الاهتمام بالقيمة الادبية ..

وفى الافلام الكوميدية حدثت نفس التطورات .. ان الكوميديا التى بدأت فى الاستوديوهات العالمية بالاضحاك الساذج والحركات التهريجية ، تطورت على أسس فلسفة الضحك نحو السخرية من الذهول، والآلية ، والسطحية فى التفكير وفى التصرفات، واصبحت ذات مغزى عميق ، واداة للنقد ووسيلة للاصلاح الاجتماعى ، وظلت تتطور حتى وصلت الى مستوى رائع فى أفلام شارلى شابلن مثلا ، بينما ظلت افلامنا الضاحكة تثير الضحك غالبا بالنكت السطحية واللفظية والتريقة والحركات التهريجية .

ان دراسة تاريخ السينما دراسة تفصيلية ومقارنة من اهم العوامل التى تكشف لنا أسباب تخلفنا السينمائى ، وبالتالى تتيح لنا معالجة عيوبنا .

كذلك من اللازم ترجمة سيناريوهات الافلام او اهم الافلام العالمية بالترتيب التاريخى ، لنعرف المراحل التى مر بها فن السيناريو وفن « النثر السينمائى » ، وهذه نقطة مهمة جدا ، لان اضخم مشكلة نواجهها فى افلامنا هى مشكلة السيناريست .

واذا لم يكن فى فترة الدراسة بمعهد السينما ومعهد السيناريو متسع للدراسات التفصيلية ، فمن الضرورى انشاء أقسام عليا للتخصص ، وتكليف الدارسين بتقديم ابحاث ورسالات أكاديمية فى مختلف فروع الفنون السينمائية ، وايضا من اللازم ايفاد اكبر عدد ممكن من الدارسين الى الخارج فى بعثات طويلة الأجل للدراسات المتخصصة .

***

ان القطاع السينمائى العام بدأ مرحلة التنفيذ على أسس مدروسة ، وهذه نقطة تحول من المرحلة الارتجالية الى المرحلة العلمية، ولكن من الضرورى تأكيد هذا التحول بالمنهج الاكاديمى ، ان هذا القطاع انقذ السينما من سيطرة المنتجين والموزعين ، ولكن ماذا يستطيع ان يفعله لتوفير القصص والسيناريوهات ذات المستوى الفنى ؟! فعلا تكونت أجهزة فنية للبحث عن القصص ومراجعتها وتكييفها فى الاسلوب السينمائى ، ولكن العاملين فى هذه الاجهزة قرأوا مئات القصص ولم يعثروا الا على عدد ضئيل جدا صالح للاعداد السينمائى .

هذه خطوة مفيدة ولكنها غير كافية .. اننا فى حاجة الى تعميق التفكير السينمائى بالدراسات المنهجية فى المعاهد ، وترجمة مئات المراجع ، والاهتمام بتدريس النظريات الفنية والفلسفة وفلسفة الفن ، وفى حاجة الى معرفة التيارات الثقافية والاتجاهات الفنية الحديثة التى تظهر فى المهرجانات العالمية ، سواء المهرجات التى تقام فى الخارج ، أو الاسابيع السينمائية التى تقام فى بلادنا ، فمن الملحوظ أننا لا نزال نحضر المهرجانات الخارجية كضيوف شرف ، ونكتفى فى الاسابيع السينمائية بالخطب وحفلات الشاى !!

عبد الفتاح البارودى

أخبار علمية وادبية

بقلم احمد الصادق عبد الصمد ومحمد محمود صبح

فيم الجمــال ؟

قال العباس بن عبد المطلب : يارسول الله ! فيم الجمال . قال : في اللسان

الفضل والمروءة والحسب والدين :

قام رجل من مجاشع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : الست افضل قومى ؟

فقال : ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك خلق فلك مروءة ، وان كان لك مال فلك حسب ، وان كان لك تقى فلك دين .

من عجيب ما خلق الله :

خيوط العنكبوت

ربما تعجب حينما تعلم ان تلك الخيوط التى ينسج العنكبوت منها بيته هى اقوى من خيوط الحرير بل من كل خيط . ان سمك الواحد منها ١/٥٠٠٠ من الملليمتر وان الواحد منها يتكون من خيطين الى ثمانية خيوط مجدولة معا .

وقد يدفع هذا الى التساؤل : لماذا لم يستعمل حرير العنكبوت بدلا من الحرير العادى ؟ .

والجواب ان تجربة لذلك قد قامت فانشئت « مزرعة العناكب » غير أن اطعام هذه العناكب وجمع خيوطها ولفها تطلبت جهدا كبيرا وتكاليف غالية جعل سعر الناتج منها مرتفعا لا يمكن احتماله للاستعمال العــادى .

ولكن العلماء يستعملون خيوط العنكبوت خطوط على الصور التى تكون تحت المجهر أو التى ترسم لرصد الكواكب من خلال المنظار المكبر .

وتصنع العناكب خيوطا من مادة لزجة تخرجها من انابيب فى اسفل اجسامها سرعان ما تجف اذا تعرضت للهواء وحينئذ يأخذ العنكبوت فى لفها .

وتقوم العناكب بصنع خيوط لاغراضها المختلفة فهى تصنع خيوطا ذات كرات لزجة لتصيد بها الحشرات . كما تصنع خيوطا قوية نوعا ما لتتدلى بها من اعلى الى اسفل . وهناك خيوط رفيعة تقوم بعملها انثى العنكبوت لتلف بها بيضها فتصبح كالكيس لها . كما تصنع صغار العناكب خيوطا دقيقة تركز نفسها على طرف منها يطيرها الهواء .

لغــة النحــل

يدرس الانسان منذ امد بعيد حياة النحل العجيبة وقد استطاع الوصول الى معرفة كثير منها غير ان الذى لم يستطع الانسان الوصول اليه احقابا طويلة هو طريقة تفاهم النحل مع بعضه البعض .

وقد استطاع الانسان منذ بضع سنين ان يكتشف طريقة تفاهم النحل . وقد ظهر له ان النحل يعبر عما يقصده بطريق الرقص . او بمعنى آخر الاهتزاز والدوران بشكل خاص .

فاذا عثرت نحلة ما على على شجيرة مثلا امتصت جزءا من رحيقها وعادت ادراجها لتعلم اقرانها فيتعاونوا على نقل الغذاء الى خليتهم .

تبدا النحلة باعطاء بعض اقرانها جزءا من الرحيق الذى امتصته من الشجيرة مثلا لتعرفهم نوع مابها . ثم تدور فى دائرة صغيرة بطريق الاهتزاء الى اعلى والى اسفل فاذا ماكانت الشجيرة ناحيــة قرص الشمس اخترقت مركز الدائرة بالطيران الى أعلى واذا كانت الشجيرة فى الجهة المضادة لقرص الشمس اخترقت مركز الدائرة بالطيران الى أسفل ويتبعها فى كل ذلك اقرانهــا .

المعارون فى البلاد الاجنبية يؤلفون كتبا عنها :

يقوم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الآن بمشروع جديد للاستفادة من ذوى الخبرات والثقافات الذين يعارون للخارج ، وذلك عن طريق تكليفهم بتأليف كتب عن مشاهداتهم فى البلاد المعارين اليها ، وخاصة عن الدول التى ليس لدينا معلومات عنها .

ولقد تقرر ان يرصد بميزانية المجلس اعتماد سنوى لهذه الاعمال ، ومنح جوائز قيمة للمؤلفات الفائزة تتراوح قيمتها بين مائة وثلاثمائة جنيه على ان يتقدم المؤلف بانتاجه خلال عام على الأكثر من تاريخ عودته . كما تقرر بان يسمح لأكثر من مؤلف بالاشتراك فى كتاب واحد . وان يسمح كذلك للمواطنين الذين يقيمون فى اى بلد أجنبى بالاشتراك فى هذا المشروع .

مكاتب جديدة للاعلام العربى

وافق المكتب الدائم للاعلام العربى بالأمانة العامة للجامعة العربية فى اجتماعه الاخير على انشاء اربعة مكاتب جديدة للجامعة العربية فى كل من اديس ابابا ونيروبى بشرق افريقيا وداكار بغرب افريقيا وجاكارتا بجنوب شرق آسيا كما تقرر نقل مكتب كوبنهاجن الى استوكهولم حتى يتوسط الدول الاسكندنافية .

كما وافق المكتب الدائم للاعلام على المشروع الذى تقدم به يحيى ابو بكر رئيس اللجنة الدائم للاعلام بتوزيع المكاتب توزيعا جديدا على حسب الخطة التى اقرتها اللجنة فى اجتماعها الأخير بالجزائر .

نجاح فكرة القضاء على البعوض بالمواد الذرية :

حقق العلماء العرب نصرا علميا جديدا . فمع اعياد الثورة نجح العلماء العرب فى القضاء على البعوض الناقل لمرض الملاريا تعاونت مؤسسة الطاقة الذرية مع الهيئة الصحية العالمية للقضاء على البعوض . وذلك باستخدام الفوسفور المشع المنتج محليا فى الفرن الذرى العربى . وتمت الابحاث العلمية بطريقة ناجحة فى معرفة سر توالد بعوض الملاريا تمت التجربة فى واحة سيوة استمرت الابحاث شهرا كاملا . اجريت التجربة باستخدام النظائر المشعة

من عجيب ما خلق الله :

ويقول المهندس امين الخشاب سكرتير عام مؤسسة الطاقة الذرية . ان هذا البحث يعتبر نصرا علميا حققه علماؤنا العرب . وقد تم النجاح نتيجة للتعاون العلمى الصادق والجهود التى تبذلها مؤسسة الطاقة الذرية فى ميدان الأبحاث الذرية لحل مشكلاتنا .

الجزائر تجتاز معركة تعريب الثقافة :

تحدث « الأخضر الابراهيمى » سفير الجزائر فى القاهرة عن مشكلات التعليم والثقافة التى واجهت حكومة الجزائر فقال : لقد قام الفرنسيون بحرق اكثر من ٨٠٠ الف كتاب ومرجع فى مختلف العلوم كما انهم منعوا تدريس اللغة العربية وكانوا يعتبرونها لغة اجنبية .. وقد ذللنا الصعاب التى واجهتنا عند افتتاح السنة الدراسية بمساعدة اخواننا فى الجمهورية العربية المتحدة ..

وان معركة التعريب ليست هينة انها معركة تعقب الرواسب ومطاردة بقايا الاستعمار بعد انسحابه . انه صراع مغارات لا يقاس عمره بالساعات والأيام ولكن بالسنوات ولو قلنا غير هذا لكنا فى تناقض مع انفسنا . وقد احدثنا فى ميدان التعريب بعض التغييرات قد يكون عليها طابع الارتجال . ولكن عندنا ايمان قوى بأن المستقبل سيتيح الفرص لتصحيح مساوىء الارتجال ..

وضع حجر الأساس لخمسة مراكز علمية :

قام منذ ايام السيد صلاح هدايت وزير البحث العلمى ــ نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر ــ بارساء احجار الاساس لخمسة معاهد ومراكز علمية هى : معهد بحوث الرمد بالجيزة ، والمعامل المركزية للمعايرة واختبار المواد بشارع الهرم ، ومركز بحوث الدواء بالهرم ، ومركز البحوث الافريقية بمدينة الأوقاف بالدقى ، ومركز الاعلام والتوثيق الذى سيقام ايضا بالدقى ، وسيقوم هذا المركز بتجميع اكبر عدد ممكن من الوثائق العلمية والفنية وانشاء مكتبات للعلوم والتكنولوجيا ومكتبات متخصصة .

كما تعمل وزارة البحث العلمى الآن على انشاء مراكز علمية أخرى منها مركز لبحوث الغزل والنسيج بالاسكندرية ، ومركز لبحوث المعادن الحديدية فى حلوان ، ومركز لبحوث البترول فى مدينة نصر ، ومركز للبحوث الزراعية فى بهتيم

ترجمة مسرحية « ايزيس » الى اللغة الالمانية :

اتم الاستاذ لؤى طه الراوى ترجمة مسرحية « ايزيس » للاستاذ توفيق الحكيم الى اللغة الالمانية بتكليف من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

من أحسن القصص

الشاعر

للقصصي الانجليزي سومرست موم

ترجمة الاديبة نجده فتحي صفوت

لست بطبعي من المغرمين بمشاهير الرجال ، ولم احتمل قط ذلك الهوى الـذي يضطرم في نفوس الكثيرين لمقابلة عظماء الناس او مصافحتهم . فاذا دعيت لمقابلة شخص فاق اقرانه بمنزلته او باعماله ، التمست عذرا مهذبا لاجتناب ذلك الشرف . وعندما عرض على صديقي « ديغو توري » اعطائي كتاب تعريف الى « سانتا آنا » رفضت ، ولكن عذري في هذه المرة كان صادقا .

ولم يكن « سانتا آنا » شاعرا عظيما فحسب ، بل شخصية شعرية ايضا ، سارت حياته ومغامراته — في اسبانيا على الاقل — مسير القصص الخيالية والاساطير . وكانت رؤية مثل هذا الرجل في شيخوخته ملذة طريفة . ولكنني اعلم انه مريض ، ولن تكون مقابلته شخصا غريبا اجنبيا الا ازعاجا له .

كان « كاليستو دي سانتا آنا » آخر شعراء المدرسة التي تتحرى الروعة والجزالة ، عاش في عالم لا ينظر الى مذهب بايرون بعين الرضا ، حياة « بايرونية » حافلة بالمغامرات ، ثم صاغها في سلسلة من القصائد التي جلبت له شهرة لم تتح لاحد من معاصريه . واشهد ان حكمي على قيمة تلك القصائد الفنية لن يكون خالصا او محايدا ، لانني عندما قراتها للمرة الاولى كنت لا ازال في الثالثة والعشرين من عمري ، ففتنتني وهزتني عند ذاك . لقد اصباني مافيها من عاطفة مشبوبة وبطولة متعالية ، وما ازدهت به من حيوية والوان .. وما تزال ابياته الرائعة : بديباجتها المنمقة وايقاعها المسحور عالقة الوشائج بذكريات حداثتي ، فلا املك قراءتها الآن الا بقلب خافق . وانني لاميل الى الظن بان « كاليستو دي سانتا آنا » جدير بالشهرة التي حازها بين الشعوب الناطقة بالاسبانية ، فابياته تجرى على السنة الشبان كلهم ، وطالما حدثني اصدقائي عن بداوة اساليبه وحرارة خطبه — فقد كان سياسيا كما كان شاعرا — ولهجوا ببديهته النادرة وغرامياته الفذة . كان ثائرا وخارجا على القانون احيانا ، ومغامرا جسورا دائما ، ولكنه كان اكثر من كل ذلك عاشقا كبيرا . وكنا نعلم جميعا بغرامه الشديد بهذه الممثلة الشهيرة ، او تلك المغنية الساحرة ، فلا نفتأ ننشد قصائده التي يصف فيها حبه وشجونه ، ونظل نعيدها حتى نحفظهـا وتنطبع في قلوبنا .

وكنا نعلم ايضا ان غادة اسبانية من اعز سلائل البوربون واعرقها ، نزلت عند رغبته ، ودخلت الدير اذ هجرها ، فقد كان اسلافها الملكيون من آل فيليب اذا ملوا خليلة لهم ترهبت ودخلت الدير ، فلا يليق بمن خالت ملكا ان تتخـذ لهـا خليلا سواه . و « كاليستو دي سانتا آنا » الم يكن اعظم من ملوك زمانه ؟ ولكم اعجبنا من السيدة تصرفها الشعرى النبيل ، ففيه شرف لها ، وتمجيد اى تمجيد لشاعرنا

ولكن ذلك كله كان من سنين عديدة ، فقد اعرض « دون كاليستو » عن الدنيا بترفع وازدراء ، اذ لم يعد لديها من مزيد تمنحه ، وثاب منذ ربع قرن الى بلدته الاولى « اسيجة » يحيا فيها حياة زهادة واعتزال . وقد عرض على « ديغو توري » ان يعرفني به عندما اعربت عن اعتزامي زيارتها — وكنت اقضى اسبوعا او اسبوعين في اشبيلية — ولم تكن زيارتي من اجله ، بل لانها مدينة اندلسية جذابة ، لهـا في نفسي ذكريات ووشائج عزيزة . ويبـدو ان « دون كاليستو » كان يسمح لبعض ناشئة الادباء بزيارته احيانا ، ويتحدث اليهم ، بين الوقت والآخر ، بالحرارة التي سحرت سامعيه في سالف ايام مجده .

فسألته : « ترى كيف يبدو الآن ؟ »

— « رائع »

— « هل لديك صورة له ؟ »

ـ « هيهات .. فقد ابى ان يواجه آلة تصوير منذ كان فى الخامسة والثلاثين . وهو يقول انه لا يريد للأجيال القادمة ان تعرفه الا فتيا »

واعترف ان هذا الزهو قد اثار اعجابى . فانىاعلم انه كان فى شبابه على حظ عظيم من الجمال ، كما ان مقطوعته التى كتبها عندما بدأ يحس ذهاب الشباب الى غير عودة ، تظهر بأى جزع مرير كان يرقب زوال مظهره الأخاذ الذى كان مثار الاعجاب وفتنة الأبصار.

ولكنى رفضت عرض صاحبى . فحسبى منه ان اقرا ـ مرة اخرى ـ قصائده التى اعرفها جيدا ، ثم اكون حرا فأسرح فى شوارع « اسيجة » الهادئة الشاحبة كما اشاء . ولكن راعنى أن استلم فى امسية وصولى رسالة من الرجل العظيم نفسه ، وهو يقول ان « ديغو تورى » كتب اليه منبئا بمجيئى ، ويسره ان ازوره فى الساعة الحادية عشرة من ضحى اليوم التالى . فلم يعد لى فى هذه الحالة مناص من الذهاب الى داره فى الساعة المعينة .

ويقع الفندق الذى نزلته على « البلازا » ، وكان « البلازا » فى ذلك الصباح من اصباح الربيع يفيض بالحركة والحياة . ولكننى لم اكد أخرج عنه حتى وجدتنى اسير فى بلد مهجور . كانت الشوارع البيضاء الملتوية ساكنة خالية الا من بعض النسوة فى ثياب سود يدلفن فى جوانبها بخطى رتيبة ، عائدات من صلواتهن . و « اسيجة » مدينة كنائس ، فلا تمشى فيها خطوة دون أن تلقى واجهة متداعية لكنيسة قديمة ، او برجا عششت فيه اللقالق . وفى طريقى وقفت برهة أنظر الى عانة من الحمير الصغيرة تمر امامى ، وكانت اجلالها الحمر باهتة اللون وعلى ظهرها سلال محملة بما لست اعلم .

على أن « اسيجة »كانت فى زمانها مدينة مهمة ، والكثرة من هذه الدور البيض لها فوق بواباتهاطاقات رخامية ضخمة ، نقشت عليها شعائر اخاذة ، هى رموز الأسر العريقة التى اقامت فيها . فالى هذه البقعة كان يفزع اغنياء « العالم الجديد » ، والمغامرون الذين جمعوا ثرواتهم فى امريكا ، ليقضوا اعوامهم الأخيرة . وكان « دون كاليستو » يقيم فى احدى هذه الدور . وعندما وقفت على الباب منتظرا بعد ان شددت الجرس ، سرنى ان أجده يعيش فى هذا الجو الشعرى الذى يلائمه كل الملاءمة ، فلهذه البوابة الضخمة رهبة تنسجم والفكرة التى بذهنى عن هذا الشاعر الأنيق .. ولم يرد على احد بالرغم من اننى سمعت الجرس يرن فى أرجاء الدار ، فشددته ثانية ثم ثالثة ، حتى جاءت الى البوابة اخيرا عجوز لها شارب كثيف ، وسألتنى :

ـ « ماذا تريد ؟ »

وكانت عيناها سوداوين صافيتين ، ولكن نظرتها كئيبة عابسة ، وقدرت أنها هى التى ترعى الشاعر العجوز ، فناولتها بطاقتى قائلا :

ـ « انى مع سيدك على ميعاد »

ففتحت البوابة الحديدية واومأت الى بالدخول ، ثم سألتنى ان انتظر وصعدت الى الطابق العلوى . وكان الجو فى فناء الدار لطيف البرودة بعد قيظ الشارع . وشكل البناء نبيلا فى تناسبه ، غير ان الدهان كان حائلا ومشوها ، والبلاط على الأرض مفطورا ومكسورا ، وقد انسلخت عن الجدران قشور من الجص تساقطت هنا وهناك . وبدت على كل شىء فى الدار آثار للفقر فى غير قذارة . وكنت اعلم أن « دون كاليستو » أصبح الآن معدما ، فقد تدفق عليه المال غزيرا فى بعض ايامه ، ولكنه لم يحفل له بل أسرف فى انفاقه ، ولم يكن خافيا انه الآن فى شظف من العيش ، وان أبت كبرياؤه ان يقر بشىء من ذلك او يكترث له . وفى وسط الفناء منضدة على جانبيها كرسيان متأرجحان ، وفوقها جرائد قديمة يرجع تاريخها الى اسبوعين . ترى اى احلام كانت تطوف بخياله وهو جالس يدخن هناك فى ليالى الصيف

الحارة ؟ وعلى الجدران ، وراء صف الأعمدة تصاوير اسبانية غامقة الألوان رديئة الصنع ، وهنا وهنـــاك دولاب اسباني قديم مغبر ، عليه آنية لماعة ، بعضهـا مشعوب بعد كسر . وعلى جانبي الباب علق مسدسان قديمان امتعني ان اتخيل انهما كانا السلاح الذي استعمله في أشهر معركة له ، وهي تلك التي خاضهـا من اجل الراقصة « بيبا مونتانيز » ـ واحسب انهـا الآن عجوز شمطاء قد انحنى الظهر منها وتساقطت الاسنان ـ فقتل فيها دوق دوس هرمونوس .

كان هذا المشهد ، وما اثاره من صور متداعية تراءت لي في هالة من الغموض ، منطبقا على الشاعر الخيالي الى حد بعيد ، حتى استحوذ على جو المكان . وكانت آثار الفقر المحيطة به قد اضفت عليه مسحة من النبل والجلال توافق ما كان عليه الشاعر من مجد في شبابه . ان روح اسلافه الغزاة الاقدمين قد انحدرت اليه ، فكان ينسجم مع حياته النابهة كل الانسجام ان تختم في تلك الدار العتيقة . هكذا ينبغي ان يعيش الشاعر ويموت .. وكنت حين قصدت المكان فائر الرغبة في هذا اللقاء ، بل وعلى شيء من الضجر . ولكنني اخذت الآن احس بضرب من القلق والاضطراب ، فاولعت سيجارة . ترى ما الذي اخر الشاعر الشيخ ، وقد جئت في الموعد المضروب ؟ وكان السكون مزعجا في عمقه ، واشباح الماضي قد غمرت الفناء الســاكن ، وكان عهدا زائلا ميتا قد بعث الآن امامي وسرت فيه حياة شاحبة غامضة . حقا كانت لرجال ذلك العهد صبوات ونزوات وبداوة في الروح زالت اليوم عن دنيانا ، فلم نعد بعدهم قادرين على القيام باعمالهم الطائشة الجريئة وبطولاتهم الروائية الخارقة .

واخيرا سمعت صوتا ووجف قلبي ، فقد كنت هائج النفس مضطربا ، حتى اذا ابصرته وهو ينزل السلالم ببطء ، حاملا بطاقتي بيده ، كتمت انفاسي . كان رجلا مديد القامة ونحيفا جدا ، له بشرة بلون العاج القديم . وكان شعره غزيرا ايضـا الا ان حاجبيه كانا ما يزالان غامقي اللون ، وقد زادا حدة النار القاتمة الكئيبة التي تشعها عيناه . ومن العجيب ان تحتفظ هاتان العينان السوداوان ببريقهما في مثل سنه . وكان انفه اقنى وفمه مطبقـــا في حزم . واستقرت عيناه العابستان علي وهو يقترب مني ، فبدت عليهما نظرة استجلاء باردة . وكانت ملابسه سوداء ، وفي يده قبعة عريضة الاطار ، وقد بدا عليه الزهو والثقة . انه حقا كما رجوت ان يكون . وكلما تفرست فيه ادركت كيف هز قلوب النـاس وسلب البابهم . كان شاعرا في كل « بوصة » منه .

وبلغ فناء الدار اخيرا ، فاتجه نحوي وئيـدا . وكانت عيناه اشبه بعيني النسر . انها للحظة هائلة . فهنا يقف امامي خليفة شعراء الأسبان العظام ، من « هريرا » الجزل و « فراي لويس » رب الحنـــين والحركة و « خوان دي لاكروز » الصوفي و «غونغورا» شاعر الكآبة والغموض . انه آخر تلك السلسلة الطويلة ، وهو لم يقتف آثارهم ويرث مجـــدهم اعتباطا ، بل عن جدارة واستحقاق . ومن الغريب في تلك اللحظة ان تدوي في راسي انشودة رقيقة له هي اشهر مقطوعاته الغنائية .

وكنت في غمرة من الخجل والارتبـــاك ، غير انني لحسن الحظ كنت أعددت الجملة التي احييه بها ، فقلت :

ــ « انه لشرف خارق لغـريب مثلي ، ايهـــا المايسترو ، ان يتعرف بشاعر عظيم مثلك » .

فارتسمت على عينيه الصارمتين بسمة هازئة ، وانفرجت شفتاه العابستان لحظة .

ــ « انني لست بشاعر يا سنيور ، وانما انا تاجر اهلاب للسفن ، انك اخطأت ، فدون كاليستو يقيم في الدار المجاورة »

قد اخطأت الدار ..

بغداد نجدة فتحي صفوة


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٢١ الخميس ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٨٣ - ٨ اغسطس سنة ١٩٦٣ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

كان مولد الرسول مولدا لعالم جديد

بقلم أحمد حسن الزيات

كان يوم الخميس الماضى يوم ذكرى مولد الرسول الاعظم صلوات الله عليه فاحتفلت به امة الاسلام فى شرق العالم وغربه ، وكان من الاخلاص لمعنى الانسانية فى ذاته ان يكون الاحتفال به عالميا يرمز لانتقال البشرية من طغيان الفرد الى سلطان الجماعة، ومن وثنية الشرك الى وحدانية الله ، ومن عبودية المادة الى حرية الروح ، فان الرسالة المحمدية نظام من الخير الالهى العام لا يتحدد بزمن ولا وطن ولا جنس . فالمسلمون وغير المسلمين تمتعوا فى دنياها المحكومة بشريعة السماء ، كما يتمتع كل حى بنور الشمس وحرارتها على حد سواء . لذلك كان الاحتفال العام بذكرى مولد الرسول احتفالا بذكرى مولد عالم جديد بدأ بظهور الاسلام واستمر بفضل العرب وجهاد المسلمين يتقدم ويرقى حتى بلغ ما بلغ .

ان الاربعين سنة التى مرت على عين الدنيا بين مولد محمد اليتيم ومبعث الرسول العظيم كانت احتضارا لعالم منحل ترادفت عليه العلل حتى اشفت به على الموت .

كانت الجاهلية العالمية التى سبقت الاسلامية العالمية ليلا موصول الظلام بالأزل ، مبسوط الهول على الارض . ومن حقبة الى حقبة كانت تضىء سماءه الداجية ومضات من عقل الانسان فى طيبة واثينا ، أشعة من وحى الله فى سيناء وأورشليم .

حتى اذا خبا نور العقل بجبوانية الرومان ، وخفت صوت الوحى بمادية اليهود ، اطبق الظلام فى كل سماء ، وغشى الضلال على كل ارض ، وسرت قافلة الحياة غوية تخبط فى مجاهل البيد ، يسوقها من الشرق الفرس ، ويقودها الى الغرب الروم ، ولم تكن الروم فى القرنين السادس والسابع للميلاد الا دولة منحلة الح عليها سرف الغنى وترف العيش وفساد العقيدة وتباين المذاهب حتى انتهى أمر دينها فى بيزنطة الى خلاف مستحكم فى طبيعة المسيح ، وجدل متحكم فى صفات هذه الطبيعة ، وآل أمر دنياها فى رومة الى استغراق فى شهوات الحس ونزوات النفس كفكفت من سلطان العقل ، وطاطات من اشراف الروح . وكان من هذا الدين المسيخ ومن هذه الدنيا الداعرة أن قام فى شطرى الامبراطورية الضاربة نظام من الحكم السفيه الفاجر ارهق الامة بالضرائب ، وافسد الحكومة بالرشا ، ولوث المجتمع بالرذائل ، واشعر الناس بذلة الرق ، فعظموا القادة وقدسوا السادة والهوا القياصرة حتى انحدر السيد والمسود والعابد والمعبود الى هوة لاقرار لها الا العدم .

كذلك لم تكن الفرس فى ذلك العصر نفسه الا حطام دولة وغثاء جيل منيت بما منيت به الروم من تحلل العقد وتعفن الأخلاق وسطوة الشهوات وتفاوت الطبقات وطغيان الملوك وبطلان الدين . واربت عليها بنشوء المذاهب المعوجة فيها . وغلبة الميول الشاذة عليها ، فمن (رمزية) زرادشت الذى مهد للمجوسية الحمقاء ، الى (عدمية) مانى الذى حرم الزواج استعجالا للفناء ، الى (وجودية) مزدك الذى جعل الناس شركة فى الاموال والنساء ، الى حال من الاجتماع العفن والنظام البالى لا يعيش فيهما حر ، ولا يدوم عليهما ملك .

وكان الناس من وراء هاتين الدولتين يعيشون على حال اسوأ من هذه الحال ، وفى درك اسفل من هذا الدرك . فالعرب واليهود قد وصفهم الكتاب العزيز بما لا بيان بعده ، والهنود واهل الصين كانوا من البوذية والبرهمية فى وثنية واباحية لا حصر لأصنامها ولا حد لاوهامها ، ولا علاج لما ابتلتهم به من ادواء خلقية واجتماعية بعضها يبيد عالما بأسره .

اما الشعوب الاوربية فى الشمال والغرب فكانت لا تزال خارج الوجود المتمدن لا تشعر بأحد ولا يشعر بها أحد .

على هذه الحال الأليمة والقيادة المضلة كانت قافلة الحياة تسرى . فظلام مخيم على الكون كله ! فيه التهاويل التى تفزع كل نفس ، والعراقيل التى تصطدم كل قدم ، والشياطين التى توسوس هنا بالفتنة ، وتغرى هناك بالاثم ، وتعبث هنالك فى الدين ، وتستعين دائما بحواء على اغواء آدم !

وما كان لله جل شانه ليكل ركب الخليقة الى نفسه فيعمه فى هذا التيه وقد قضى عليه أن يقطع مراحل الدنيا ويبلغ غاية الاجل . لذلك اذن وهو الرءوف الرحيم لهذا الليل أن يصبح ، وشاء وهو الخبير العليم أن يكون اسفار صبحه من غار حراء هنالك تجلى الله لجبل النور فاشرق الحجاز كله . ونزل الرسول المصطفى من الغار ونور الله يسعى بين يديه ، وصوت الروح الامين يتردد فى اذنيه ، فدعا الى الاسلام البداة الرعاة الذين اختارهم الله لهداية خلقه ، ثم خرج بهم الى القافلة البشرية وقد شردها الضلال وأضناها الكلال واعوزها الهادى الذى يدل والحادى الذى يرفه ، فرد الشارد والف النافر وجمع الشتيت ، وطمأن السادرين اليائسين الهلكى بقول ربه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر) وحينئذ بدأ المجاهدون فى سبيل الله معارك التحرير والتطهير فطهروا النفوس من الرجس ، وحرروا العقول من الشرك ، وثلوا عرش قيصر ، وقوضوا ايوان كسرى واقاموا على انقاضهما منبر محمد ومأذنة بلال . ثم طفقوا فى البلاد المطهرة المحررة شريعة الله التى تكرم الانسان وتعلن حقوقه وتمحو فروقه وترفع شانه . ثم حملوا فى الشرق والغرب شعلة المعرفة بما تجمع لهم من وراثة ما مضى من الديانات والثقافات والحضارات واقبسوها اقواما لم يروا قبلها النور فى ذهن ولاضمير .

ورثوا ديانات ابراهيم وموسى وعيسى ، وثقافات اليونان والعبران والهنود ، وحضارات المصريين والرومانيين والفرس ، واخضعوا هذا الارث الضخم لعبقرية الاسلام ومزية الجنس ، فاشفى منه الخبث ، وارتفع الخطأ ، وانجلى الغموض ، وكمل النقص ، واصبح صالحا لتغذية العقول وتقوية القلوب وتنمية المدارك وتكوين مجتمع صحيح قوى حر لايوجهه الا الحق ولايحكمه الا الله .

ثم كان من فضل الله على الناس أن اظهر نوره في مكان وسط بين قرني الشمس ليعشى على ضوئه الضالون في الشرق والغرب من المحيط الى المحيط .

على ان نور الله لم يلبث ان غمر الشرق حتى بلاد الصين ، وطبق الغرب حتى بلاد الغال ، فمن حرمه الله نعمة الانتفاع بهدايته وقيادته ، لم يحرمه فضل الاستمتاع بثقافته وحضارته ، فالمسيحيون الاوربيون قد اخذوا ثقافة العرب عن طريق المغرب والاندلس في فتوح الهلال ، وقبسوا حضارة المسلمين عن طريق مصر وفلسطين في غزوات الصليب . ثم كان من اثر الفتح الاسلامي للقسطنطينية ان انتشر الدين المحمدي في شرق اوربا ، وتفرق العلم المسيحي في وسط القارة فكانت حركة (الاحياء) . وما الاحياء الا اختلاط الثقافة اللاتينية التي اطلقها محمد الفاتح من الاديرة والكنائس ، بالثقافة اليونانية التي بعثها المأمون في المساجد والمدارس . ومن هاتين الثقافتين وما خالطهما من علوم الاسلام وفنون المسلمين كانت هذه الثقافة الحديثة والحضارة القائمة .

لم تكن الفتوح الاسلامية اذن فتوح استعمار وجباية ، وانما كانت فتوح تحرير وهداية : كانت فتوحا في الارض للحرية والعمران ، وفتوحا في العقيدة للتوحيد والايمان ، وفتوحا في الشريعة للحق والعقل ، وفتوحا في السياسة للاحسان والعدل ، وفتوحا في العلم للاحياء والتجديد ، وفتوحا في الفن للابتكار والطرافة .

***

ظهر رسول الله والعرب اشتات من غير جامع ، وهمل من غير رابطة ، واحياء من غير هدف ، فاضت في نفوسهم الحياة وزخرت في صدورهم القوة فصرفوا هذا النشاط العجيب الى نزاع لا ينقطع وصراع لايفتر ، فحمل اليهم وحده رسالة الله لايسنده سلطان ولايؤيده جيش ولا يمهد له مال ، فنفروا منها نفور الوحش المروع ، ثم رأوا فيها سيادة لاسرة ، وخضوعا لقانون وخروجا على عرف فقابلوها بالعناد وعارضوها بالحجاج . ودافعوها بالكيد . آذوا الرسول في اهله وفي صحبه وفي نفسه فما وهن عزمه ولا لانت قناته ، وانما قابل الاذى بالصبر ، والسفه بالحلم ، والفظاظة باللين ، وهذا هو الخلق .

ثم قارع الجدل بالتحدي والمكابرة بالسيف ، وهذه هي الرجولة . وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب ، وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم !

ان ذكرى مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من اسر الاوهام وطغيان الحكام وسلطان القوة وتحكم الجهالة . فما اجدر النفوس الذاكرة الحرة على اختلاف منازعها وعقائدها ان تخشع اجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية ، وداعية السلام والوئام والمحبة !! وما أخلق الزعماء الذين يحاولون اليوم توحيد العرب من جديد ، أن يتأسوا بما لقي في سبيلها من الجهد الجهيد والكيد الشديد .

احمد حسن الزيات

مما نشرته الرسالة

بعض الفقهاء !

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا الى علماء الدين كما ينتسب الزوان الى الحنطة . نالوا شهادة العلم بالغش ، ولبسوا شارة الدين بالباطل ، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق . ثم اندسوا في المجتمع اندساس الاثم في الضمير ، او الداء في البدن ، فكانوا في الوحدة مظهر تفريق ، وفي النهضة مصدر تعويق ، وفي العقيدة مثار شبهة . ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الاكاذيب ، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع ! يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا ، ويثيرون الريبة في الذين عملوا ، ويقعدون من حركات الاصلاح مقاعد للتربص والتلصص ، فاذا دعاهم المصلح هبوا في وجهه هبة الريح العاتية على المصباح الهادى . واذا دعاهم المفسد نفخوا قلبه الوارى نفخ النسيم الرخي للنار المشتعلة ! ذلك لانهم لايختلون فرائسهم الا في الظلام ، ولايشوون ذبائحهم الا في الحريق . ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان ، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش ، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم ، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين ! اما الروح ، واما الدين ، واما الخلق ، واما الادب ، فهي الفاظ شأنها في صدورهم كشأنها في المعجم : صفات لاتدل على موصوف ، وكلمات لاتزيد على أنها حروف !

(البقية على الصفحة التالية)

الحقوق والواجبات
بين الفرد والمجتمع

بقلم محمد محمد المدني

ليس من كرامة الانسان أن يعيش لنفسه فقط . واذا اعتنق انسان هذه النزعة ، فانه يكون قد وضع نفسه موضع حيوان خسيس يعيش في جحره ولا هم له الا أن يجمع في هذا الجحر لنفسه مايستلبه مما حوله ، دون أن يعمل شيئا يفيد به هؤلاء الذين يستلب منهم مايستلب ، انه بذلك ينحط عن المنزلة السامية التى خلق الانسان لها ، فان الله تعالى لم يخلق الانسان الا ليكون خليفة فى الارض يثيرها ويعمرها ويستكشف أسرارها ، ويتعاون مع أبناء جنسه على تأدية رسالة الخلافة فيها ، فمن نكص عن هذا التعاون ، وارتضى لنفسه الوضع السلبى ، والموقف الشخصى ، فانه يكون خارجا على وضعه الانسانى ، متخليا عن منزلة الكرامة والاستخلاف الالهى .

وفى مقابل ذلك : ليس من كرامة الانسان أيضا أن يكون مجرد آلة فى المجتمع ، لايفكر الا له ، ولا يعمل الا لحسابه ، ولا يعرف لنفسه ذاتية خاصة لها مطالب ، ولها حقوق فى أن تحيا حياة سعيدة ، وفى أن تتمتع ، وفى أن ترضى فطرتها الانسانية .

ان هذه النظرة تجعل الانسان جسدا مسخرا لأغراض غيره ، وتجعله مشابها للحيوان الأعجم الذى يسخر فى خدمة الانسان طول يومه باذلا

(بقية المنشور على ص ٣)

المادة فى حياتهم الفارغة هى كل شىء . غلفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس ، وافعموا بها افواههم حتى نتنت منهم الانفاس . ثم جعلوها قياسا لكل قضية ، وسببا لكل حكم ، واساسا لكل نقد ، وغرضا من كل عهد ! فان اعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون !

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من اخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا من سوءاتهم لم يدعوها تزكم الانوف بالنتن الوبيء ، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه .

ان من اول وسائل الاصلاح للدين والدنيا ان يكسح هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكسح الاوحال من الطريق . فان البانى لايبنى وفى يده مسطرين وفى أيديهم معول . وان الغارس لا يغرس وفى يده مشتل وفى ايديهم منجل . ولولا ابو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر : اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .

وافظع الامر ان أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون : كذب ، وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون : صدق ! ان الكفر خير من النفاق . وان العداوة افضل من الخديعة . وان الصراحة على كل حال عظمة ، وان المراءاة على أى وجه حقارة .

احمد حسن الزيات

الفلاح فى ظلال الحرية

احييك يا اخى الفلاح قدر ما لك عندى من حب ، وعدد ما انبتت حقولك من حب !

كم رثيت لك فى السنين الماضية ، وكم بكيتك مع الشادوف والساقية ..!

وكم قست عليك قلوب فهى كالاحجار ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار !

وكم نفست فاسك عن الغضبات ، بما ارسلته على الأرض من ضربات ، كأنها طعنات المدى ، فى صدور العدا !

لقد شقيت فى الظلام حينا ، وعشت قبل طلوع الفجر مسكينا ، تكد وتكدح لاسماد المترفين ، وتبيت وتصبح منطويا على الم دفين . وظل همك فى صدرك ، وتعبيرك فى صبرك ، وظلت قصتك فى حالك ، وشكاتك فى احتمالك ... حتى ثار الثائر باسمك ، وانقض الكاسر على خصمك . وذهب الامير والملك ، واصبحت الأرض لك . وانتشر الاصلاح ، بعد طول الكفاح ، وطابت ايامك ، وتحققت احلامك . ودقت فى الريف الطبول ، وضحكت من فرحتها الحقول !

حامد بدر

جهوده المضنيـــة دون أن يكون له حق التبرم او الاعتراض ، أو حق التمتع بثمرات جهــوده ، وكل ماعليه أن يسير مغمض العينين وراء مالكه «يعمل ولا يعرف لماذا يعمل ، ويأكل ليعيش لصاحبــه ، لا ليتمتع هو ، فانما هو شيء مملوك وقوة مسخرة مذللة ليس الا ·

فاذا كانت مجموعة الانسان مكونة من افراد على هذا النحو ، كانت مجموعة لاروح فيهـــا ، ولا كرامة لها ، وليست جديرة بأن تكون مجموعـــة انسانية ، ولا بد أن ينقلب امرها ، شعرت أم لم تشعر ، الى قطيع يساق ، وينتفع به الفرد الأقوى ، كما هو الشأن في التسخير والاستعباد والتذليل ·

***

والاسلام هو دين «الوسطية» والاعتدال ، فهو لايجنح الى الطرف الاول فيؤيدأنانية الفرد وانكماشه وعيشه لنفســـه ولا الى الطرف الآخر فيؤيد اذلاله وتسخيره وافناءه في مجتمعه ، وابطال شخصيته ، والغاء كرامته ·

ولذلك نراه يشرع مناهج تحقق هذه الوسطية المعتدلة الهـــادفة ، التي تتوازن فيهـــا الحقوق والواجبات ·

فللفرد على المجتمع حقوق لابد من كفالتهـــا ، وعليه للمجتمع واجبات في مقـــابل ذلك لابد من ادائها ·

واذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا ، فاننا نجد هذا المثل في الحرية ، التي هي الحق الطبيعي الاول للانسان ، والتي من شأنها أن تكفل له كرامتـــه ، فالاسلام يقرر له هذا الحق ويبنيه على أساس وطيد هو تقرير أن الناس جميعا متساوون أمام الله ، هو الذي خلقهم ، وهو الذى أنعم عليهم ، وبفضله فقط تستمر حياتهم الى أن يؤدوا رسالتهم في هذه الدنيا «يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» · «وما بكم من نعمـــة فمن الله» · «وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله» ومن ثم فليس بينهم سيد ومسود ولا عبد تملك رقبتـــه ، ومالك يتحكم في رقاب مملوكيه ، ولم يكن الرق البشرى من شريعة الاسلام وانما جاء الاسلام فوجده ووجد العالم كله يتعـامل عليه ، فرسم الخطة المحكمة لتصفيته تصفية نهائية ، وأعلن أنه يكرهه أشد الكراهية ، وانه يحب الحرية ويمجدها ، ويجعلها وصيلة من وسائل التقرب الى الله فيقول كتابه الكريم عن الانسان «فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ماالعقبة ؟ فك رقبة ، أو اطعام في يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة» ·

وبذلك يجعل أمام الانسان امرين هامين لاجتيـــاز العقبة التى تحول بينه وبين انسانيته وما لهـــا من مقتضيات ، كما تحول بينه وبين أداء حقوق النعـم التي أنعم الله بها عليه ، وهذان الأمران هما تحرير الرقاب من الرق، وتحرير الانسان من الجوع والمسكنة واذا تحرر الانسان من أن يكون عبدا لأحد ، أو عبدا للقمة العيش ، فقد ثبتت له كرامتـــه الانسانية ، وثبت له حق التحرك في مجال الحياة كانسان له ارادة ، وله هدف ، وله كرامة ، لاكحيوان ممـــلوك لصاحبه يسخره فيما يشاء ، ويطعمه او يحرمه كما يشاء ·

ويقابل هذا الحق الطبيعي للانسان واجب على الفرد أن يرعاه لمجتمعه ، وهو أن يعمل وهو متمتع بهذه الحرية في حدود الا يحرم غيره منهـــا ، والا يتجاوز بها حقه فيتعتدى على حقوق الآخرين فيها ، فانت حر ، ولكن لايجوز أن تكون حريتك وبالا عـلى مجتمعك ، والا تتخذ منها وسيلة لاقلاق هذا المجتمع والا تنحرف بها عن طريق السداد في خلقـك وفى معاملتك للناس ، وفى كل مايجب عليك أن تؤديه لمجتمعك في مقابل مامنحك من الحرية والأمن ومن هنا يكون التوازن بين الحق والواجب ، فما دمت تأخذ فلا بد أن تعطى ، وما دمت تتمتع بكفـــالة المجتمع لحقك في الحياة ، فلا بد أن تقوم له بقسطك في العمل من أجل سعادة مجموعة ، واستقرار أمنه ورفاهيته·

وليس حق الانسان في الحرية متعلقا بحريته في نفسه فقط ، وانما هو حق شامل لحريتـــه في تفكيره ، ولحريته في عقيدته ، ولحريتـه في مزاولة رسوم عبادته على الوجه الذى يتفق وما يدين الله به ·

فالاسلام يمدح «الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه» لان هذا هو المنهاج الصحيح للتفكير العلمي وأساسه استعراض الآراء والاحتمالات ، ثم الأخـذ بأحسنها ، وأحسنها هو ما يؤدى اليه البرهان ، وتؤيده الحجة ·

والاسلام يأبى الاكراه على الدين «لااكراه في الدين» · «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» ·

(البقية على الصفحة التالية)

من وحي الأحداث

سورية الحبيبة

بقلم الدكتور محمد أحمد خلف الله

قوى ثلاث تتصارع فى الميدان السورى ..

قوة المغامرين من رجال الجيش ، وقوة الانتهازيين من رجال السياسة ، وقوة الشعب .

* * *

والى جانب هذه القوى الأصيلة قوى اخرى دخيلة ، قوى تعمل فى الخفاء . قوى لا يرضيها ان تقف موقف الحياد ، ولا يكفيها ان توازن بين هذه القوى فى سبيل الاستقرار والسلام ، وانما يعنيها ان تعمل جاهدة فى سبيل الميل بميزان هذه القوى الى حيث تريد .. الى حيث مصلحتها الخاصة ومنافعها الشخصية — وتلك هى قوة النفوذ الأجنبى أو قوة المال ينفقه رجال السلكين الدبلوماسى والقنصلى ، ينفقونه عن سعة . ونلمس نحن آثار هذا الاتفاق فى مظاهر عديدة من حياة الشعب السورى .

نلمسه فى الترف يهبط فجاة فى دور الصحف وفى اندية الأحزاب .

ونلمسه فى الغنى يظهر فجاة فى حياة الانتهازيين والمغامرين من مدنيين وعسكريين .

ونلمسه فى المقالات يكتبها المأجورون من الصحفيين يدافعون بها عن تلك المشروعات الاستعمارية التى تطرح ويقصد منها أن تكون بديلا للأهداف القومية من امثال مشروعات سوريا الكبرى والهلال الخصيب التى اريد بها ان تحل محل مشروع الوحدة الكبرى او الاتحاد العربى الشامل .

ونلمسها فى هذه الشعارات العديدة التى يتنادى بها . يهتف بها المتظاهرون من طلبة وعمال ، وتتخذ منها الصحف عناوين ضخمة لمقالاتها الوطنية واخبارها السياسية ، وتتزين بها الجدران فى شكل ملصقات مختلفة الاحجام عديدة الالوان . شعارات يراد منها تشتيت الذهن العربى من ان يتركز على أهداف بعينها ، وبلبلة الفكر العربى من أن يستقر فى مخطط بعينه . شعارات تضر اكثر من ان تفيد .

ونلمسها اخيرا فى هذه الانحرافات تلم بالحركات الشعبية البناءة فتخرج بها من طريقها المستقيم الى طريق آخر معوج . طريق ذى شعب لا ظليل

(بقية المنشور على ص ٥)

والاسلام يقول : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا» فيبين بذلك أنه يحترم صاحب الصومعة وأمثالها مما اتخذ للتعبد ، كما يحترم صاحب المسجد ، ويحفظ لكل منهم حريته فى أن يعبد الله على الوجه الذى يراه ويدين الله عليه وللانسان حرية السعى ، وحرية العمل « فى النمط الذى يرزقه ، مادام مخلصا يبتغى وجه ربه « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه» . «قل كل يعمل على شاكلته ، فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا» .

وفى مقابل هذا الحق الذى يكفله للفرد يقول تشريعا لما يكفل حق المجتمع : «ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها» . «ياايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب» ، ويحرم اشاعة الفاحشة « فى الذين آمنوا ويحرم التجسس والنظر الى مواطن السر التى يحتفظ بها الناس .

كل ذلك ليكفل كرامة المجتمع كما كفل كرامة الفرد ، ومثل ذلك يقال عن سائر الحقوق التى أراد الاسلام أن يحفظ بها كرامة الانسان ، وعما يقابلها من الواجبات التى يلزم الفرد بها احتفاظا بكرامة المجتمع .

وسبحان ربنا الذى يقول عن رسوله وكتابه الكريم :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» .

محمد محمد المدنى

ولا يغنى من اللهب . طريق ينتهى الى متاهات ، فتضل الحركة الوطنية طريقهـا وتنتهى الى غير غاية . او تنتهى الى حيث يفقـد الشـعب ثقته بنفسـه فيخضع او يلين .

ان هذه الاموال انما تنفق رجاء أن تبدد قوى الشـعب وطاقاته ، وتبعثر جهـود الشـعب وامكانياته . ولكن هيهات هيهات .

وقوة الشعب هى القوة الرئيسية فى الميدان ، أو هى القوة الوحيدة التى تحسب لها القـوى الأخرى الف حساب .

***

فالشعب السورى شعب قد صقلته التجارب وعركته الأحداث . شعب كافح فى سبيل القومية العربية ايام الأتراك العثمانيين ، وناضل فى سبيل الحرية والاستقلال أيام الفرنسيين ، وخرج من ذلك كله ظافرا منصورا . ولقـد أكسبه الظفر ذخيرة نفسية هائلة ، ومنحه النصر قوة نضالية عنيفة . ومن هنا راحت القوى الاخرى تتملقه وتترضاه .

فالانتهازيون من رجال السياسة يزعمون له انهم الطليعة الفكرية التى تعبر عن آماله وآلامه وتصور احلامه وامانيه . وانهم الرواد السياسيون الذين يحرصـون على حريته واسـتقلاله . فهم الذين يسعون فى سبيل الحياة الديمقراطية السـليمة ، وفى سبيل الحياة الاجتماعية الكريمة . فى سبيل العزة والكرامة والعدالة الاجتماعية . فى سبيل الرخاء والسعادة . فى سبيل حياة افضل .

***

والمغامرون من رجال الجيش يزعمون له ايضا انهم الذين يصححون الاوضاع ويحولون بين رجال السياسة وبين الانحرافات التى تفسد على الشعب حياته . انهم القوة الضاربة التى تزود عن حياض الوطن ، وتضرب على أيدى العابثين والمستهترين من أبناء الأمة ، وتكبل عملاء الاستعمار وأعوان الرجعية فى قيود من حديد .

والشعب السورى يسمع كل هذا . يسمع ولا يجيب . لأنه يعرف فى يقين ان هذه الاقوال ليست الا التعلات . انها اقوال خادعة مضـللة . اقوال لا تدل على حقيقة ولا تصور واقعا . اقوال يقصد منهـا أن تمكن للانتهـازيين والمغامرين من كراسى الحكم ، ومن هنا انصرف عنهم واعرض عن اقوالهم . اعرض عن هذه البيانات المديدة التى يذيعونها فى المناسبات وفى غير المناسبات املا فى ان يشـارك الشـعب فى النشـاط أو يبارك بعض الاعمال والتصرفات . كما أعرض عن هذه العهود والمواثيق التى يقطعونها على انفسهم عند استلامهم الحكم أو استيلائهم على السلطة لعل الشعب ان يصدق أو يرضى .

اعرض عن كل هذا دراية منه بأنهم انما يعملون على خداعه ، وايمانا منه بأنهم ما يخـدعون الا انفسهم وما يشعرون .

والشعب السورى يعرف ، فى يقين ايضا ، ان الانتهازيين من رجال السياسة ، وأن المغامرين من رجال الجيش انما يتعاونان فى كثير من الاوقات . يتعاونان لا فى سبيل الصالح العام وانما فى سبيل المنافع الشخصية والمصالح الخاصة . يتعاونان فى سبيل النفوذ والسيطرة على مقدرات البلاد .

***

فالسياسـيون من رجال السياسـة كانوا ولا يزالون يبحثون عن سند لهم من رجال الجيش . ولقد كان ولا يزال من مخططهم السياسى اغراء بعض الشبان من انصارهم ومريديهم بالالتحـاق بالكليات العسكرية أملا منهم فى أن يصبح هؤلاء فى يوم من الايام من الضباط العظام الذين يركن اليهم ويعتمد عليهم فى اصطناع الأزمات السياسية التى تودى بالخصوم ، وفى احتلال الحزب اماكن الصدارة من الحياة السياسية ، وفى تربع الحزب على كراسى الحكم اطول مدة .

***

والمغامرون من رجال الجيش كانوا ولا يزالون يبحثون عن سند لهم من رجال السياسـة كلما سخنت الافكار فى اذهانهم وهموا بانقلاب جديد . يبحثون عن هذا السـند فى صفوف الانتهـازيين والوصوليين من رجال السياسـة . يبحثون عنه املا فى أن يعينهم فى الباس الحكم ثوبا مدنيا ولو شفافا . ثوبا قد يستر المقاصد والنوايا ، وقـد يكشـف عن مسرحية جهيلة يقوم فيها المغامرون بدور الملقن ، ويقوم فيها الانتهازيون بدور الممثلين .

والشعب السورى يعرف أن هذا التعاون غير خالد ، وأن هذا الازدواج فى الحكم لن يثمر ولن يستمر طويلا . انه تعاون لا فى سبيل المبادىء وانما فى سبيل المصالح الشخصية والمنافع الخاصـة . وكل تعاون هذا شأنه منته حتما الى الفـرقة والانقسام .

(البقية على الصفحة التالية)

وسائل الانتاج بين خطة الميثاق ومنهج الشريعة

بقلم الدكتور محمد سعاد جلال

- ١ -

المرونة والاستيعاب

فى قواعد الشريعة

«ان سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج لاتستلزم تاميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها » .

« الميثاق »

١ ـ من بينات الحق التى تميز بها الدين الاسلامى فى بناء قواعده وأحكامه ـ انه وضع نظاما شاملا ، قابلا للتطور من أجل تحقيق مطالب الحياة الانسانية الكاملة الشاملة ، فى كل عصر وفى كل بيئة ، وبلغ من مرونة اتجاهاته واتساع قواعده الكلية التشريعية انه لم يشأ أن يتحكم فى ظروف المستقبل المتغير بوضع أحكام تفصيلية للأحداث والتغييرات المختبئة فى ضمير المستقبل ، بل وضع لمعالجة الاحداث المخترعة ، والتغيرات الجديدة ، قواعد كلية وأحكاما عامة ، وخط طريقا للفلسفات الانسانية التى لايحتمل زوالها .

***

وبهذا البناء الحكيم فى قيادة النفس والمجتمع فتح امام ذاته ـ كحقيقة كونية كبرى ـ طريق الخلود وانفذ سلطانه التشريعى على حركة الحياة وتفاعلاتها وقد بين القرآن كما بينت السنة أن الاسلام دين الفطرة : قال تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها » ، وقال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» أى ملاءمة الاسلام والاستعداد لتقبله اذا خلى عن أسباب الفتن» .

***

٢ ـ ومقصود القرآن الكريم والسنة من اعلان هذا المعنى والجهر به ، أمران : اولهما ان شريعة الاسلام ميسرة للتعامل ، لان عقائدها ، وتقنينها ، وآدابها على اتساق تام مع طبيعة الانسان ، وعلاقاته بظروف وجوده ومجتمعه ، ليس فيها ماينبو عن ذلك فهذا الاصل هو من محكم الشريعة التى يعتبر حاكما وقاضيا على مايحتمل أن يكون قد ورد فيها من نصوص الكتاب او السنة ، مصادما لفطرة الانسان مناقضا للوفاء بحاجاته الطبيعية ، فان مثل ذلك ان ورد يعتبر من قبيل المتشابه الذى يرد بيان الغرض منه الى الاصل المحكم الذى أثبتناه ، فاذا عرض لنا حادثة ؛ واختلف عليها نصان متعارضان ـ أو فهمان مختلفان فى نص واحد : فالنص ، أو الفهم الذى يردها الى اقتضاء الفطرة أولى بأن يكون هو مناط حكم الحادثة .

وقد تنبه الى هذا المعنى شيخ الاسلام ابن القيم فقرر القاعدة الفقهية العظيمة وهى : أن شرع الله لاينافى قدر الله .

والمراد بقدر الله فى كلام الامام ـ رضى الله عنه ـ الفطرة الانسانية : أعنى مجموعة القوانين الطبيعية المتعلقة بحياة الانسان «البيولوجية» والنفسية ، والمتعلقة بظروفه الحاكمة على وجوده ، مادية كانت أو معنوية ، فأحكام هذه القوانين ومقتضياتها لاتعارض حكم الشريعة وقد جاءت أحكام الشريعة على وفق هذه القوانين الطبيعية ، لاتعارضها ولا تختلف معها : لان خالق الطبيعة هو واضع الشريعة ، ومنزل الاحكام

(بقية المنشور على ص ٧)

ثم ان الشعب السورى يعرف أن الفردية والأنانية من خصائص بعض أبنائه ، وأنه من هنا تعددت الأحزاب وكثر عدد المستقلين . ومن هنا راح ينتظر كيد بعضهم لبعض ، وايقاع بعضهم ببعض . وبات ينتظر دورة جديدة فى عجلة الانقلابات . دورة تودى بقوم وتجىء بآخرين . اذ ليس يذهب بالقوة الا قوة ، وليس يفل الحديد الا الحديد .

الا وقى الله سورية شر أبنائها . ثم وقى الله سورية شر جيرانها .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

فلا يجوز فى حكم العقل ان يقع اختلاف أو تناقض بين طبيعة اوجدها ، وشريعة أنزلها . ١

والامر الثانى : هو دعوة المجتهدين الى الاستهداء بحكم الفطرة فى وضع الاحكام الشرعية وان استلهام الفطرة في وضع الاحكام الملائمة لحاجات الناس ، وعلاقاتهم المتطورة ملحظ مقصود للشرع : حتى قال ابن مسعود: ماراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن . فهذا النص من كلام ابن مسعود الذى قيل انه حديث ـ يقرر ان الحسن فى دين وشرعه ومرضاته وحكمه ، ماكان كذلك عند الناس ، نعم ، وليس المراد بالرأى هنا ـ ماكان عن هوى ، أو عن جهل بل المراد به ماكان رأيا ناشئا عن طلب المصلحة ومستندا بوجه من وجوه الاستناد الى أصل شرعى : وتقرر هنا أن كل رى صحيح ينشد المصلحة الحقيقية الموضوعية المنزهة عن ميل النفس ، والجهل بنواميس الاجتماع لابد أن يجد له سندا قويا ، وواضحا فى عناصر الشريعة الاسلامية .

٣ ـ ومن ثم نشأت فكرة « الاجماع » واعتباره مصدرا أساسيا من مصادر الشريعة لاثبات الاحكام وقد اختلف فقهاء الامة الاسلامية ، منذ ولادة علم اصول الفقه» حول «الاجماع» فى ثبوت الحجة به ، وفى صفة انعقاده ، وفى امكان انعقاده ـ اختلافا كبيرا جدا ـ وكان أولئك الفقهاء العظام كانوا يتجادلون حول أمر تهدى اليه فطرهم وأحاسيسهم والهامهم ، ثم قصرت فى البيان عنه عباراتهم ، والحق أن سر «الاجماع» وسر الحجة به هو أنه تعبير عن الارادة العامة للامة ، يفصح عنها المختصون بصياغة هذه الارادة فى صيغة شرعية عامة : وهم الفقهاء المختصون ببيان الذكر ، واظهار حكم الشريعة ، فهذا الاجماع بهذا الوجه الذى بيناه هو معقد الصلة بين الشريعة ومقتضى الفطرة وهو بذلك أمثل الطرق لتطوير الشريعة وملاءمة المنازع الصالحة من مذاهب المدنية المعاصرة ، فى الفكر والسلوك .

ومن هذه الملامح السريعة فى تصوير طبيعة التشريع ووضع الاحكام فى الاسلام ، يتجلى لنا أن الاسلام دين «انسانى» وهو بهذه الخاصة الانسانية الاصيلة فى تكوينه لايتأبى عن استيعاب المصالح التى ينشق عنها سير الزمان فى حياة الامم حتى قال بعض الفقهاء : «أينما تكون المصلحة فثم دين الله» .

٤ ـ ثم كان من شأن الاسلام بعد ذلك فى متابعة هذه الخطة التشريعية ، أن يذكر جوهرالفكرة ومعناها ، ويدع الشكل والصورة لان جوهر الفكرة ومعناها ، هو العنصر الذى لايقبل الزوال ، لانه صدى لجوهر الانسان : ومهما تعاقبت المدنيات ، وتغيرت البيئات ، وتعمقت التطورات فى حياة الانسان فانها لاتغير جوهره ، فكذلك لاتغير من الحقائق ماكان مرآة لجوهره ، وتعبيرا عن انسانيته ، أما شكل الفكرة وصورة تحقيقها فى واقع سعى الانسان وتصرفاته فانها خاضعة لتطور العصور مهيأة لان يتشكل على مقتضيات البيئات ، فعل الاسلام ذلك بالنسبة لقضية «الحكم» فى الاسلام فقرر مبدأ «الشورى»وأوجبه على المسلمين : أما أسلوب هذه الشورى فقد ترك رسمه وتعيينه، للزمن «وللمسلمين يحققونه بما يلائم أحوالهم ،وكذلك فعل فى الاقتصاد فقرر العدل الاجتماعى فى مواضع جمة من الكتاب ، والسنة قولا وعملا ، ولم يتوسع فى وضع نظام شامل واكتفى «باقامة توضيح عملى لمثل هذا النظام حتى يكون وذلك بتشريع «الزكاة» وهو تمثيل يهدى الى طريق التوازن الاقتصادى .

وكان من أروع ما أشار اليه القرآن الكريم فى تدعيم العدل الاجتماعى ، ولم يلمحه المفسرون القدماء هو الربط ، والتساند بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية التى جعل أساس بنائها عدالة التوزيع فى الثروة ، وذلك فى قوله تعالى : «ومما رزقناهم ينفقون» فلايفهم من الجمع بين الشورى والانفاق فى معرض واحد ـ فى المستوى الأمثل من الفهم ـ الا التنبيه على الرابطة الأكيدة ، بين العدل السياسى ، والعدل الاقتصادى وان ذلك من قصد الاسلام فى اقامة المجتمعات السعيدة المتقدمة من قبل أن يتهيأ ادراك هذا المعنى للمفكرين من قادة المجتمع البشرى واذاعته فى الناس بزمن طويل .

وفى ذلك كله مايسوقنا الى القول ـ ونحن متأكدون مما نقول ـ بأن اشتراكيتنا الراهنة ، انما هى ـ على الحقيقة ـ مضمون النص الاسلامى ـ وان هذا النص الاسلامى بأصله يقتضى معنى هذه الاشتراكية ، ويلزم بها فى مواطن الامر والالزام .

٥ ـ والناظر فى تاريخ الظواهر الاشتراكية فى الاسلام يقف على ملاحظة تعتبر غاية فى الاهمية ، وهى أن الاسلام جاء فقرر من أول الامر مبادىء اشتراكية أصيلة مثل الزكاة الواجبة ومثل الصدقة

(البقية على الصفحة التالية)

وحدة الثقافة العربية

بقلم الدكتور محمود محمود

ان لوحدة الشعوب مقومات اكتملت عناصرها كلها في الأمة العربية . فالعرب في كل مكان من عنصر واحد بقدر ما يسمح اختلاط الشعوب بوحدة العنصر . وهم يتكلمون بلسان واحد ، هو اللغة العربية ، التي قد تختلف قليلا في لهجاتها من قطر الى آخر ، أو من جزء من أجزاء القطر الى جزء آخر ، ولكنها في الفصحى هي بعينها في كل مكان ، والتراث الأدبي والعلمي والفني واحد مشترك . ويدين اغلب السكان بدين واحد هو دين الاسلام الحنيف ، وان يكن الدين ليس ضرورة في وحدة الامة وبخاصة ان كانت الأديان الأخرى سماوية بعيدة عن الالحاد . والعادات والتقاليد متفقة هنا وهناك ، لا فرق في ذلك بين سوري ومصري او عراقي ولبناني ، أو أي فرد ينتمي الى هذه الامة المجيدة . وقد وحدت محنة الاستعمار بين مشاعر الأفراد ، والفت عداوة الصهيونية بين قلوبهم ، فوحدوا الصفوف في النضال ، واثبتوا مكانتهم ويقظتهم للعالم اجمع . وكلما مرت بنا محن واحداث ازددنا تماسكا واتصالا .

فنحن جميعا في هذا الجزء من العالم مواطنون عرب ، حاول الاستعمار ان يفرق وطننا اوطانا ، ليقلبنا على امرنا بالفرقة ، وليستغلنا ويسلبنا خيرات بلادنا ، ويتخذنا اتباعا تتحرك بارادته ، وتخضع لأمره . وقد حان الحين لتعود هذه الأوطان المتفرقة وطنا واحدا ، يستظل براية واحدة ، هي راية الأمة العربية المتحدة التي اعلن ميلادها بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولئن كانت أواصر الدم ، ورابطة اللغة والدين، والمصلحة الاقتصادية ، وتشابه البيئة ، والماضي المشترك ، والكفاح المشترك ضد الصليبيين والمستعمرين ، والمصير المحتوم — لئن كان كل ذلك مما يدعو الى تماسك الأمة العربية ووحدتها ،

(بقية المنشور ص ٩)

على السائل والمحروم ، ولبس النبي صلى الله عليه وسلم وخلصاؤه من كبار الصحابة في حياتهم الخاصة ثوبا اشتراكيا محضيا — فدعا بذلك للاشتراكية — والتخلي عن رأس المال المستقل ، دعوة غير ملزمة وان كانت في تقدير الناظر الأريب تعتبر ترجيحا للالزام ووجوب العمل ، ثم ترك امر العمل الاشتراكي متراوحا بين الترغيب والالزام ، لقد فتح الاسلام باب الاشتراكية على مصراعيه ليلحظ المسلمون طريقهم وسبب ذلك عندنا أمران :

أحدهما أن يعطي المرونة التشريعية في التطبيق كما هو شأنه في كثير من الامور .

وثانيهما : أن «الراسمالية» لعهد الاسلام الاول كانت ذات سلطان عظيم وتمكن من النفوس — فكان هجوم الاسلام على انتزاعها من النفوس — قبل أن تتهيأ لها أسبابها الزمنية عمل ينافي طبائع الاشياء ويصادم سنن التطور ، فاكتفى بتقرير المعنى الاشتراكي تقريرا ، واضحا وتاما وحاسما ، وكأنه يقول اذا جاء الموعد فدينوا بالاشتراكية .

٦ — فلا موضع اذن لان يعترض بعض الناس بكلمة الاسلام على القول بوجود الاشتراكية في اطار الحقيقة الاسلامية، فنحن لم ندع قط أن هذا الاصطلاح بالذات كان موجودا في الاسلام الاول ، بل ولا هذه النظم من حيث شكلها وترتيبها وانما الذي نقطع به ولا يجوز الشك فيه لعارف بالاسلام — هو أن المبدأ الاشتراكي — الذي يستهدف العدالة والمساواة والتعاون والايثار في الكرامة الانسانية ، وفرصة العمل ، وتقرير الحقوق الطبيعية، والمكتسبة بوسيلة العمل والمجاهدة لاصحابها من غير جور ، ولا من ، ولا تحيف ، ولا انتقاص ، هذا المبدأ الاشتراكي هو عنصر من مقومات الحقيقة الاسلامية بغير شك، وان كل نظام اشتراكي : يعمل على تحقيق المعاني المذكورة آنفا هو نظام اسلامي بغير نزاع .

٧ — وبناء على هذا الاصل نستطيع أن نقوم المبادىء التي تضمنها الميثاق بصورة أكثر وعيا ونفاذا وفهما للعلاقة الاكيدة بين خطة الميثاق ومنهج الاسلام كما نستطيع أن ندرس بالذات في هذا المقال : قضية ذات بال من قضايا الميثاق تقول :

«ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا تلغي الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعي المترتب عليها»

دكتور محمد سعاد جلال

الا انه مما لا جدال فيه أن اللغة هي اقوى هذه الروابط .

وتشير كل حركة قومية حدثت في التاريخ الى انها كانت تقع بين الشعوب التي تتكلم لغة واحدة. ولا نعني باللغة ــ كما قلنا ــ اللهجة التي قد تتفرع منها ، وانما نقصد بها الفصحى التي يتخذها الكتاب اداتهم في التعبير ، نقصد اللغة الام التي يتعلمها الجيل الصاعد في المدارس والمعاهد .

فقد كانت اللغة هي أساس الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية في القرن التاسع عشر ، وهي أساس الرابطة القومية . فعندما تتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة فمعنى ذلك أن بينهم من الصلات ما لا يعده الحصر . واللغة العربية على هذا الأساس هي اقوى مقومات القومية العربية . وهي التي تدعو الى وحدة الفكر والثقافة بين جميع المتكلمين بها ، فهم يقراون في اقصى الغرب ماينتجه المفكرون في اقصى الشرق ، يتذوقون ادبا واحدا وفنا واحدا ، فينشأ بينهم تعاطف متبادل ، ونظرة موحدة الى الحياة .

واذا كان بين الشعوب التي تتكلم اللغة العربية شيء من الخلاف في انماط التفكير ، وفي العادات والتقاليد ، فهو خلاف يسير لا يشوه الصورة العامة . وفي هذا التنوع ما يشبهه في الامم المعروفة بتماسكها الشديد في قوميتها .

وليست اللغة ــ مهما يكن من شيء ــ الا جانبا واحدا من جوانب الثقافة . والعرب يتحدون في أسس الثقافة الاخرى . يتحدون في ايمانهم العميق بالدين ، وفي أساليب العيش ، وفي اكثر العادات والتقاليد ، وفي الاحساس بضرورة الانتقال من المستوى الرعوي والزراعي الى المستوى الصناعي في حياة الامة ، وفي الدعوة الى التحرر والى نظام الحكم الاشتراكي .

وهم ينظرون الى الكون نظرة واحدة ، يطربون للنغم الشرقي ، روحهم الفكاهية واحدة ، وطريقتهم في السخرية هي بعينها في كل مكان .

ولا يختلف عربي عن عربي في التفرقة بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح ، بين المفيد والضار ، بين ما يجب ان يعمل وما لا يجب ان يعمل ، بين ما هو حق وما هو باطل ، بين الصالح من التراث والتقاليد والعادات والطالح منها .

ولولا فرقة مصطنعة فرضها علينا المستعمر لاختلط العرب في كل مكان بالتزاوج والمصاهرة ، ولا اقول يصبحون امة واحدة ، أو شعبا واحدا ، بل أسرة واحدة .

ومن أجل هذا كله اتحدت طرائق التفكير في كل الاقطار العربية ، وبات من واجب من يخطط للثقافة والتعليم في مستقبل الامة العربية أن يضع هذه الاسس عميقة الجذور نصب عينيه فلا يحاول أن يفرق في بلد عن آخر في مناهج المعرفة والعلم الا بقدر ضئيل يعكس البيئة المحلية للاقليم الذي يرسم له سياسة التعليم ونشر الثقافة .

ولم يغفل رجال العلم والثقافة في البلاد العربية هذا الاتجاه الموحد فدعوا اليه في كل حفل ومؤتمر .

ولقد شهدت المؤتمر الثقافي العربي الذي انعقد في عام ١٩٥٧ في مدينة بغداد ، واحسست احساسا قويا أن الشعور الذي ساد اعضاء المؤتمر جميعا هو ان المستعمرين حاولوا في العهود البغيضة البائدة أن يعبثوا بتراثنا الفكري والروحي ، وبتربيتنا الاجتماعية واتجاهاتنا القومية ، وأن يصرفونا عنها الى ثقافات مضللة متباينة ، والى اتجاهات ملتوية الأساليب والاهداف ، وذلك ابتغاء تفتيت عناصر شخصيتنا العربية ومقوماتها ، وقصدا الى فصم عرى الروابط القومية بين اجزاء وطننا العربي الكبير ، وسعيا لأن تتنكر لقيمنا الذاتية ، والانسانية ، ولمفاهيمنا الاجتماعية .

وكان كياننا الجغرافي وسفر تاريخنا المجيد من اهم ما وجهوا حملاتهم التعسفية اليه ، وما استهدفوا القضاء عليه . بيد ان حملاتهم ما كانت الا كالوقود اذكى جذوة وعينا العربي ، ويقظتنا القومية المضطرمة وزادنا استمساكا بعروبتنا وامجادنا التاريخية ، وتشبثنا بأرضنا وخيراتها ، كما قوى عقيدتنا في قيم حضارتنا وفي مدنيتنا ، وفي عظمة رسالتنا العربية والانسانية الخالدة ، ودفعنا الى ان ننتفض انتفاضتنا الكبرى ونستجمع قوانا لننهض نهضتنا المأمولة ونبلغ ما نصبو اليه من مجد ومنزلة بين امم العالم أجمع .

من أجل هذا أوصى المؤتمرون في بغداد بتوحيد مناهج التربية الاجتماعية ــ الجغرافيا والتاريخ ــ وكتبها الدراسية في المدارس العربية ، مع تركيزها حول تاريخ العرب وأحوال وطنهم ، بحيث تبرز الوحدة التاريخية والثقافية والاجتماعية للامة العربية ، كما يبرز التكامل الجغرافي والاقتصادي بين اجزاء الوطن العربي الكبير .

كما اوصى المؤتمر بالسعى الى توحيد مناهج التربية الوطنية، وذلك لأن مواد التربية الاجتماعية والوطنية من انسب المواد الدراسية لخلق الجيل الجديد من المواطنين العرب ، لانها تظهره على امجاد العرب فى الماضى ، ومصالحهم فى الحاضر ، والاتجاه الذى يجب ان تسير فيه احوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية . ويترتب على هذا كله ميل الى السعى فى سبيل وحدة الامة العربية وعزتها ورقيها وعودتها الى سابق عهدها من المساهمة فى بناء الحضارة الانسانية .

وكما ادرك رجال التربية والتعليم ان الحجر الأساسى الأول فى بناء الوحدة العربية الشاملة هو توحيد الثقافة بين الناشئين ، ادرك ادباء العرب المجتمعون بالقاهرة فى نفس هذا العام — ١٩٥٧ — ان القومية العربية المعتزة بتراثها الادبى تريد لادبها ان يكون حارسا للقومية العربية وموجها لها ، يسمو الى ما يغنى الفكر ويرهف الشعور ويدفع الى العمل. ولذلك حرص مؤتمر الادباء على ان يتواصى الكتاب بالعمل على التعبير الصادق عن تجارب امتهم ومواطنيهم تعبيرا يبرز خصائص القومية ، ويصور حياتهم وما يختلج فيها من آلام وآمال ، ويغذى وجدانهم بالقيم القومية والانسانية ، ويزود نضالهم فى سبيل الوحدة الشاملة والتحرر الكامل، كما رأى المؤتمرون ضرورة الحرص على ان تكون عناية الأديب بماضيه وحاضره سبيلا الى مستقبل افضل لوطنه وقومه .

وكل مؤتمر عربى تربوى او ثقافى انعقد بعد ذلك دعا الى تعزيز اتجاه التوحيد وتأييده بكل الوسائل .

ولسنا ننكر ان هناك افرادا قلائل يعارضون هذا الاتجاه العام ، بحجة ان توحيد انظمة التعليم ومناهجه يدعو الى المركزية ، وبالتالى الى سيطرة الدولة على الفرد . والمغالاة فى اشراف الدولة على تربية الابناء فيها — من غير شك — خطر شديد ، فهى تحول دون التجربة الحرة ، كما تقف عقبة فى سبيل توفيق التعليم على البيئات المحلية ، وعلى الحاجات الخاصة لكل مدرسة ولكل فرد . ومن ثم فلا يجوز فى رأى هؤلاء المعارضين ان توحد مناهج العلم ، او طرق التدريس ، او الكتب المقررة التى يقرؤها التلاميذ فى المدارس ، حيث تختلف البيئات كما يختلف الافراد .

وظاهر هذا الاعتراض وجيه ، ولكنا قبل ان نأخذ به لابد لنا من تحديد مفهوم الالفاظ الواردة فيه ، ما معنى المركزية ؟ وما معنى الدولة ؟ وما معنى البيئة ؟

ان المركزية ليست بغيضة على اطلاقها ، بل هى امر لابد منه للتخطيط العام ، ولا تطلب اللامركزية الا عند التنفيذ . وليس هناك اذن ما يمنع من ان تتفق الخطوط العريضة فى سياسة التعليم فى البلاد العربية ، على ان يسمح فى مجال التنفيذ لكل قطر من الاقطار باجراء التجارب واقتراح التجديد .

اما الدولة فهى قطعا نظام قائم لخدمة المجتمع. ومن خطل الرأى ان تتحول الخدمة الى سيطرة . والمجتمع هو مجموعة الافراد . فالدولة اذن حينما تخدم المجتمع انما ترعى صالح الافراد . واذا ما اجمع المختصون والمعنيون جميعا على ان منهجا بعينه او طريقة بذاتها تلائم الشعوب العربية كان على الدولة ان تقوم بما يشير به هؤلاء الافراد. وانى اعتقد ان فكرة توحيد الثقافة ذاتها نابعة من الشعوب وليست مفروضة عليها من الحكام ورؤساء الدول .

وليس بين البيئات العربية من الخلاف فى طبيعة ارضها او مناخها او تاريخها الماضى ما يحتم اختلاف المناهج اختلافا جوهريا. بل ان الطبيعة الجغرافية للبلاد العربية ، واتصالها التاريخى ، وما بينها من ماض مشترك ، ومستقبل موحد ، ليؤكد كله وحدة الفكر والشعور ، وما يقتضينا ان نعمل على توحيد النظر الى الامور المشتركة بين ابنائنا الطلاب فى المدارس فى مرحلة التعليم العام ، قبل ان يلتحقوا بالجامعات والمعاهد العليا ، ويتجه كل منهم وجهة معينة فى تخصصه الدراسى .

ويجب ان يذكر كل عربى ان له وطنا صغيرا هو قطره ، ووطنا كبيرا يشمل الامة العربية بأسرها . وينبغى ان تتفق دراسة الوطن الكبير فى كل قطر ، ولا بأس من ان يدرس كل قطر بعد ذلك مميزاته الخاصة بشىء من التفصيل .

وشعارنا فى التربية على هذا الاساس فى مختلف الاقطار ينبغى ان يكون التوحيد فى العموم والتنوع فى الخصوص .

واذا كان الاستقلال السياسى والاقتصادى هدفا من اهداف كفاحنا فى هذه المنطقة التى نعيش فيها فان الاستقلال الثقافى كذلك ضرورة لابد منها حتى

(البقية على الصفحة التالية)

في الميزان الجديد

مأساة أورشليم

بقلم الدكتور محمد مندور

منذ ربع قرن تقريبا عدت من بعثتي الدراسية الطويلة فى السربون بباريس وشرعت فورا فى مزاولة العمل الذى أعددت له نفسى خلال السنوات الطويلة وهو النقد الادبى . فأخذت أنشر فى « الثقافة » و « الرسالة » القديمتين العزيزتين سلسلتين من المقالات عرضت فى احداهما ما سميته بالنماذج البشرية وهى عبارة عن تصوير وتحليل ودراسة وتنمية لعدد من أبطال القصص والمسرحيات العالمية التى يعتبر كل منها أنموذجا لنوع من البشر أو من السلوك الانسانى العام كشخصيات فاوست وهاملت وأوليس وغيرها . وفى السلسلة الاخرى تناولت بالنقد أهم الاعمال الادبية المؤلفة التى كانت تصدر عندئذ على أساس منهج نقدى محدد كنت قد خرجت به من دراستى الجامعية وهو المنهج الجمالى القائم على جمال التعبير اللغوى باعتبار أن اللغة هى المادة الاولية التى ينحت الاديب منها صوره التعبيرية على نحو ما ينحت المثال من المرمر تماثيله .

ولقد جمعت بعد ذلك كلا من هاتين السلسلتين فى كتاب خاص سميت أحدهما « نماذج بشرية » وسميت الآخر « فى الميزان الجديد » وحتى اليوم لا يزال هذان الكتابان من أعز كتبى الى نفسى .

عودة الى الميزان

وبمناسبة عودة المجلتين العزيزتين الثقافة والرسالة الى الظهور بفضل رعاية ثورتنا التى تضع العلم والثقافة موضع الصدارة من اهتمامها رغب الى عدد من الاصدقاء المخضرمين فى أن استأنف ما بدأته فى المجلتين منذ ربع قرن، فحركت رغبتهم فى نفسى كامن الهمة . ورأيت أن أبدأ بالميزان أقيم فيه من جديد ، وذلك لشدة احساسى بأن حاجتنا الى النقد اليوم أشد مما كانت عليه من قبل ، وذلك لاسباب كثيرة منها وفرة الانتاج الادبى فى ظل نهضتنا الثورية الراهنة على نحو لا يمكن أن يقاس بانتاجنا فى الماضى القريب أو البعيد . ومنها أن تطور حياتنا السياسية والاجتماعية وارتكازها على فلسفة عامة قد أخذ يثير العديد من القضايا التى تتعلق بوظائف الادب ورسالته ومصادره وأهدافه . والنقد هو المسئول عن دراسة كل تلك القضايا وبلورتها نظريا وتطبيقيا .

واذا كنت أنا نفسى منذ ربع قرن قد آمنت

(بقية المنشور على ص ١٢)

تتمكن البلاد العربية من الاعتماد على نفسها فلا تكون تابعة لغيرها أو ذيلا لسواها .

ولست أقصد بالاستقلال الثقافى أن ننبذ العلوم والمعارف والاختراعات والصناعات الغربية التى تجعل حياة الانسان على الارض أكثر راحة وأكثر رفاهية .

وانما أعنى به احتفاظنا بما ورثنا عن آبائنا من عقائد وآداب وعادات وتقاليد ، ولغة وأخلاق ، ونظم الاجتماع وطرق العيش .

ذلك أن المعرفة انسانية عامة ، اما العقائد والنظم فقومية خاصة .

واذا نحن فرقنا بين المعرفة والعقيدة امكننا ان نصمد امام تيار المذاهب المنحرفة التى تحاول أن تغزونا من الخارج كالالحاد والشيوعية والحط من شأن الحضارة العربية والوجودية المبتذلة .

ولست — بطبيعة الحال — اعنى حينما ادعو الى التمسك بتراثنا الثقافى الاجتماعى أن نبقيه جامدا لا يتطور مع الايام ، أو كما هو وكما وصل الينا عبر القرون ، فهذا من غير شك تعصب وحماقة . وانما اعنى أن أسس هذه الثقافة تلائم طبائعنا ، اما تفصيلاتها فمن حقنا أن نطورها مع السنين وفق حاجاتنا فى كل ظرف وحسب مقتضيات الحياة فى مختلف المناسبات . فهى تراث مقدس فى أصوله ، مرن فى فروعه ، يتطور ويتغير مع تطور التاريخ ، ولكن هذا التطور وذلك التغير لا يخرج به عن اطار قيمه الاصيلة .

وهذا هو الدرس الذى يلقننا اياه التاريخ ، وما تعلمنا اياه التجارب التى مارسناها وبخاصة مع الشيوعية والاستعمار . وذلك بعض ما ينطوى عليه قول زعيم العروبة الرئيس جمال عبد الناصر حينما ينادى بأننا أمة عربية لا الى الشرق ولا الى الغرب .

الدكتور محمود محمود

بأن قيام النقد بتصفية الذوق الجمالى والارتفاع بمستواه كعنصر أساسى فى مقومات الانسان والمواطن فيه ما يكفى ـ فاننى مع تطور الزمن ومزيد من الاختلاط بمعارك شعبنا وقضاياه ـ قد أخذت أوسع من آفاق منهجى النقدى فأضيف الى الوظيفة الجمالية وظائف أخرى انسانية واجتماعية يجب أن ينهض بها الادب والفن ، وبخاصة فى الانواع الادبية ذات الطابع الموضوعى كالقصة والمسرحية ولعل فى كل هذه الحقائق ما يفسر محاولتى الدائبة المستمرة فى الجمع بين المنهج الجمالى والمنهج الأيديولوجى فى النقد فعن هذه المحاولة يسرنى أن أصدر اليوم عندما استأنف سلسلة جديدة « فى الميزان » مبتدئا بآخر عمل أدبى جديد قرأته وهو مسرحية «مأساة أورشليم» للاستاذ عبد العاطى جلال ·

مأساة أورشليم

مأساة أورشليم كما يقول مؤلفها دراما فى ثلاثة فصول تدور حوادثها فى النصف الثانى من القرن الاول الميلادى حينما خرب القائد الرومانى تيتوس المدينة المقدسة أورشليم وأحرق الهيكل ، أى أنها دراما تاريخية ·

ومن المعلوم أن المسرحية كفن أدبى ما هى كغيرها من فنون الادب الا صياغة فنية لتجربة بشرية ، وأن الاديب سواء اختار تلك التجربة من التاريخ أو الاساطير القديمة أو واقع مجتمعه أو حياته الشخصية أو نسج خيوطها بخياله الخلاق ـ انما يختار هذه التجربة لأنها تصلح فى تقديره لتجسيد ودراسة قضية انسانية عامة أو قضية تشغله وتشغل عصره أو مجتمعه · وهذا هو ما فعله الاستاذ عبد العاطى جلال فهو لا يصوره مأساة أورشليم بل يصور المأساة الاخلاقية الخالدة عند المارقين الاشرار من شعب اسرائيل · ونحن لا نخرج من قراءة هذه المسرحية باى عطف على مأساة أورشليم ، بل نخرج منها مقتنعين بأن أشرار هذا الشعب لا يستحقون غير الابادة على نحو ما فعل بهم الرومان فى القرن الاول الميلادى ومن قبلهم بختنصر الآشورى الذى كانت هزيمته لهم بدءا لتشردهم فى بقاع الارض حتى أوهمهم الاستعمار أخيرا بأن باستطاعتهم أن يغتصبوا فلسطين العربية من أهلها ·

ومؤلف المسرحية ينجح فى أن يقنعنا بأن مأساة أورشليم لم يتسبب فيها الرومان بقدر ما تسبب فيها أشرار اليهود أنفسهم عندما كانوا يقتتلون ويتناحرون من أجل المال ويضعون الشرف والعرض والوطن فى المرتبة الدنيا وهم فى دفاعهم عن وطنهم بل ودفاعهم عن دينهم نفسه ضد الدين الجديد المنتصر وهو المسيحية السمحة المنتصرة ـ لم يلجأوا الى الوسائل الشريفة بل لجأوا الى الدس والخديعة والوسائل الحقيرة والتكالب على المال مما مكن الرومان من سحقهم وأثار عليهم حفيظتهم الضاربة ·

القضية التاريخية

وعلى ذلك نستطيع أن نقول أن المؤلف قد استطاع أن يطوع التاريخ لابراز حقيقة الشر والخسة الكامنين فى شذاذ اليهود الذين يسمهم المؤلف بالخوارج ، ولكن مثل هذا التطويع للتاريخ يستحق المناقشة من الناحية النقدية الخالصة · ومحور هذه المناقشة هو الى أى مدى يستطيع الاديب أن يطوع التاريخ لهدفه دون أن يخرج فى ذلك عن الحد الواجب فى احترام التاريخ وروحه ومنطق كل مرحلة من مراحله ·

فالمؤلف قد اختار من تاريخ اسرائيل مرحلة كانت تتصارع فيها ثلاث قوى كبيرة هى اليهودية التى كان أشد ما يغضب كهانها ومستغليها سدنة الهيكل المقدس ثورة عيسى على القرابين والهدايا وتحطيمه للمذابح التى كان الشعب اليهودى ينحر عليها الذبائح ويقدم الهدايا النفيسة ودعوته الى احلال الرموز والادعية الروحية محل تلك الذبائح والهدايا مما أثار الكهنة المستفيدين المستغلين وحملهم على أن يدبروا مع الحاكم الرومانى مأساة المسيح وذلك لأن الرومان لم يكونوا عندئذ أقل خوفا من اليهود على ديانتهم الوثنية التى أخذت المسيحية تهددها هى الاخرى ·

وفى مسرحية الاستاذ عبد العاطى جلال شخصيات مسيحية وأخرى من خوارج اليهود الاشرار وثالثة من قواد الرومان وجنودهم ·

ولكن المؤلف لم يستطع أن يحدد فى دقة العلاقة التى كانت قائمة بين هذه القوى الثلاثة المتصارعة واذا كان قد جعل الرومان الوثنيين يتضامنون مع المسيحيين فى ضرب أشرار اليهود أو خوارجهم ـ فان هذا الوضع يعتبر فى الحقيقة نوعا من الارغام التاريخى ، وذلك لما هو معلوم من أن الرومان لم يهادنوا المسيحية مجرد مهادنة الا فى أوائل القرن

الرابع الميلادى أى بعد عصر المسرحية بما يزيد عن قرنين ، وان لم يكن من المستحيل طبعا أن يتسامح قائد مثل تيتوس مع المسيحيين ويحاول أن يستميلهم لميل روحى أو كتكتيك حربى على الاقل عند غزوه لأورشليم • وهذا فى رأيى هو المخرج الذى يستطيع المؤلف أن يفلت به من الاصل النقدى الذى يحتم احترام الاديب للحقائق التاريخية الكبرى، وان كنت بعد ذلك لا أجد مخرجا للمؤلف من بعض الاخطاء التاريخية الفاقعة التى لم يكن لها أى مبرر فنى مثل زعمه أن نيرون قد اعتنق المسيحية بعد ان أسرف أول الامر فى اضطهاد معتنقيها ، فهذا زعم ليس له أى أساس من الصحة ، فنيرون ــ ومن بعده أباطرة آخرون ــ مات وثنيا متعصبا بل ومعتوها أيضا •

والاديب مطالب أكثر من المؤرخ بالدقة فى اختيار العناصر المعنوية التى يبرر بها السلوك البشرى فذلك لأن معتقدات الناس لها الاثر الاول فى تحديد هذا السلوك ، ولذلك لم أقتنع عندما رأيت خوارج اليهود فى هذه المسرحية يحاولون انزال مزيد من الالم النفسى بأنتيجونا المسيحية برفضهم اعطاءها جثة أخيها الشهيد بولينيس لتدفنه فهذا النوع من العذاب لم يكن له مكان الا فى الديانة اليونانية القديمة التى كانت تؤمن بأن الروح تظل هائمة مشردة اذا لم يعد الجسم الى جوف أمه الارض، وأما اليهود فلم تكن لديهم مثل هذه العقيدة ، وأكبر الظن أن هذه الفكرة انما أتت المؤلف من مسرحية «أنتيجونا» الشهيرة لشاعر اليونان الكبير سوفوكليس وهى المسرحية التى يقوم فيها الصراع على تحدى أنتيجونا للحاكم الظالم واصرارها على دفن جثة أخيها رغم أنفه لكى تهدأ روحه وتستقر •

وأخيرا كنت أفضل أن يختار المؤلف لشخصياته أسماء يهودية بدلا من الاسماء اليونانية الاصل التى اختارها مثل أنتيجونا وبولينيس فالاسماء من شواهد القوميات والعصور كما أننى أخشى أن يكون اختياره للفظة الخوارج تعبيرا عن أشرار اليهود الشذاذ اختيارا غير موفق، وذلك لشدة ارتباط هذا المصطلح بتاريخ الاسلام ، وخروج عدد من المسلمين على مبدأ التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فى تولى الخلافة ، بحيث لا يمكن الفصل بين هذا المصطلح وتلك الحادثة الشهيرة فى تاريخ الاسلام ، ويصبح استخدامها للتعبير عن عصابة اليهود الشريرة فيه مجازفة يحسن تجنبها •

مشاهد العنف

والمسرحية بعد ذلك تثير مشكلة أخرى عامة وهى مشكلة مشاهد العنف والقتل والغدر وسفك الدماء التى تتتابع فى مشاهدها ، فمن النقاد ورجال الادب من يفضلون عدم عرض مثل هذه المشاهد المؤذية على الجمهور ويفضلون أن تجرى خارج المسرح وأن يكتفى المؤلف بوصفها على لسان احدى الشخصيات بل ومنهم من يرى أن الوصف قد يكون أقدر على الاثارة من المشاهد المؤذية ، ولكنى مع ذلك اعتقد أن المخرج القدير يستطيع بحسن استخدامه لوسائل الاخراج وبخاصة الاضاءة أن يخفف من شدة ايذاء مشاهد العنف والدماء التى حرص المؤلف على أن يعرضها فى هذه المسرحية على الجمهور لكى يتبين مدى قسوة اليهود وعنفهم وغدرهم أجداد الصهاينة ، وعلى هذا الاساس أعتقد أن مخرج هذه المسرحية هو الذى سيستطيع الفصل فى هذه القضية بالمنهج الذى يختاره لاخراجها •

تطور المؤلف

والاستاذ عبد العاطى جلال ليست هذه أولى مسرحياته ، واننى لاذكر أننى ناقشته مناقشة حادة فى مسرحيته السابقة « كليوباطرة الجديدة » وأخذت عليه فيها حشده للكثير من الاحداث والشخصيات على نحو جعل من المسرحية ما يشبه الادغال التى لايستبين فيها المشاهد الشخصيات بابعادها الثلاثة، ولا الهدف النهائى لان الزحمة لاتفسح مجالا للتحديد والتحليل •

ويسرنى أن أسجل اليوم تطوره نحو ما رجوته، فمأساة أورشليم تعتبر تقدما كبيرا من المؤلف نحو الفن القادر على استكمال صورة معبرة عن قضية هامة هى حقيقة أشرار اليهود وأخلاقهم الوضيعة • وعلى هذا الاساس أعتقد أن المؤلف قد نجح فى تأليفها وقدم نصا يصلح للعرض بل ويجب أن يعرض فعلا على جمهورنا ــ لا لقيمته السياسية والاجتماعية فحسب ، بل ولسلامته الفنية بصرف النظر عن المفهوم التقليدى للمسرحية وأصولها الكلاسيكية التى اختفى معظمها أو كاد نزولا على تطور الحياة نفسها ، ذلك التطور الذى تؤدى حاجة التعبير عنه الى ابتكار مستمر فى الصور الفنية بحيث تستطيع تلك الصور تحقيق أهدافها التى هى العلة الغائبة للأدب فى عصرنا الحاضر •

محمد مندور

من وحي الثورة

شعلة الكفاح

للشاعر ابراهيم محمد نجا

آذن الليـــل بانبـــلاج الصباح ... بعـد طول السرى ، وطول الكفـاح
وشـــدا الأفق بالضـــياء ، والقى ... شـــدوه فى القـلوب والأرواح
وتعـــالى النــداء بالثـــورة الكبــ ... ــرى ، وســارت مواكب الأفـــراح
ذاك يوم انتصـــارنا حـــين ثرنا ... ثورة الحق والهـــدى والصـلاح
وحملنا السلاح جيشـــا وشـــعبا ... فبلغنـــا المنى بهـــذا الســلاح
وطـــردنا من ارضـــنا كل باغ ... عاث فيهـــا بظلمه الفضـــاح
ومشـــينا عـــلى ثراها كـــراما ... نرفـــع الراس للســـنا الوضــاح
وبدانا حـــين انتصرنا عـــلى الظـــا ... لم والظـــلم ثورة الاصـــلاح
ثـــورة الكادح الذى عاش بالفقـــ ... ـــر شقى المساء ، جهم الصباح
تصـــنع الربح كفـــه كـــل يوم ... ثـــم يمضى ســـواه بالأرباح
ثورة الزارع الذى يبـــذر العمـــ ... ـــر ، ويرثى لعمـــره المستباح
عـــاش نهبـــا لـــكل غاصب ارض ... ينـــزع القـــوت من يد الفـــلاح
كـــل شىء فيـــه يولول حتى ... كان مواله شـــجى النـــواح
عـــلم الله لـــم تكن ثورة الأحـــ ... ـــرار ملكا لشـــعبها السماح
انهـــا ملك امـــة انجبتهـــا ... للمعـــالى ام اللغات الفصـــاح
انهـــا شـــعلة أضـــاءت ، فعمت ... بســـناها الرحيب كل النـــواحى
فى جبـــال الأوراس شب لظـــاها ... وتـــرامى فى ســـلها الفيـــاح
يحـــرق الغاصب الدخيـــل ، ويرمى ... كل باغ بالعـــاصف المجتـــاح
ثـــورة قادها ابن بلا قـــويا ... مســـتعينا بعـــزمه الطمـــاح
ورفاق فى الحرب هم وهج النـــا ... ـــر ، وفى الســـلم هم سنا المصباح
ارخصـــوا النفس يوم ثاروا على البـــا ... غى ، وباعـــوا الأرواح بيع السماح
ودعوا دعوة الجهـــاد ، فهب الشـــــعب فى الرهم هبـــوب الريـــاح
يصـــرع البغى حيث كـــان ليحيـــا ... طـــول أيامه طليق الســـراح
لا يهـــاب الردى ، وان كان يلـــ ... ـــقى الهـــول فى كل غـــدوة ورواح
وعلى ثغـــره نشـــيد يغـــنى ... بلهيب الوغـــى ، ونار الجـــراح
لـــم يزل هكذا يكـــافح حتى ... جاءه النصـــر مشرق الأوضـــاح
ان شـــعبا فيـــه ابن بلا جـــدير ... بانتفـــاض ، فثـــورة ، فنجـــاح
ان شـــعبا فيـــه جميلة شـــعب ... فى ســـماء العـــلا طليق الجنـــاح
يجـــد الموت فى النضال مباحا ... واحتمال الهـــوان غـــير مبـــاح
ومضت شـــعلة الـــكفاح تنـــادى ... كـــل حـــر لوثبـــة وطمـــاح
فى ظـــلام الأدغال شـــع ســـناها ... فاذا الليـــل فلقة الاصـــباح

واذا الشعب وهو من قبل غافٍ ... يتجلى فوق الربا وهو صاح
ينفض الذل ، يحطم القيد ، يبني ... موطن المجد في الرحاب الفساح
قل لذاك الدخيل يستعبد الشعـ ... ـب ، ويزهى بلونه الوضاح
شعب افريقيا النبيل تبدى ... رائع الخطو فوق اكرم ساح
وجهه اسود الملامح لكن ... قلبه أبيض المشاعر ضاح
حينما ضمه السواد وشاحا ... صار هذا السواد خير وشاح
فاعتصم بالصواب ، واتبع خطاه ... في طريق الهدى ، ونهج الفلاح
واترك الأرض للذى قد رعاها ... بالهوى المحض ، والحنان الصراح
ليس في الروض موطن لغراب البـ ... ـين ، لكن للبلبل الصداح
آن يا شعب أن تفك قيود الأسر ... حتى تعود طلق السراح
آن يا شعب أن تدك حصون الظـ ... ـلم دكا بكل عزم متاح
آن يا شعب أن تسير صفوفا ... نحو اهداف قلبك الطماح
آن ان تسحق العداة كما يسـ ... ـحق باس الحديد شوك البطاح
آن يا شعب أن تعود فلسطـ ... ـين الى أهلها الأباة السماح
فارتقب شعلة الكفاح ، واوقد ... باللظى الحر ثورة الأرواح
وارتقب جيشك المظفر ياتي ... في دجى الليل مثل ضوء الصباح
هو جيش التحرير ارسله « النا ... صر » بالنصر والهدى والفلاح
ناصر الحق بالكفاح ، جمال الشـ ... ـرق ، حامى حماه يوم التلاحي
يمنح الشعب ما يريد ، ولا يا ... خذ شيئا لقلبه المناح
غير حب يفيض من كل قلب ... يمنح الحب كالنمير القراح
عبقري التفكير ، يدرك ما يعـ ... ـيي سواه بفكره اللماح
يسهل الصعب في يديه اقتدارا ... وابتدارا يروض كل جماح
علم المجد قومه ، فترى المجـ ... ـد نشيد الغادين والرواح
قسما باسمه وباسم علاه ... والمغاني وعطرها الفواح
وعروش الكروم فوق رباها ... ومروج الزيتون والتفاح
وشذا البرتقال في أرض يافا ... والشميم المعطر المراح
سيعيد المشردين اليها ... مثل عود الطيور للأدواح
ليس حلما اني أرى القدس تلقا ... ه بشوق وبهجة ومراح
ليس حلما اني ارى الشاطئ المشـ ... ـتاق يلقى سفينة الملاح
واذكروا موقف العروبة في « حطيـ ... ـين » من اجل حقها المستباح
يوم ان طهر البلاد صلاح الدين ... من كل معتد سفاح
قد حمى موطن الكرام صلاح ... وجمال أهل لمجد صلاح

إبراهيم محمد نجا

حول الذكرى الخالدة

الرسول غني عن هذا الإسفاف

بقلم محمد عبد الله السمان

مرت بنا خلال هذه الأيام ذكرى خالدة عطرة لايجهلها ولا يتجاهلها مسلم فى مشارق الدنيا ومغاربها ، انها ذكرى مولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

والعقول المستنيرة وحدها هى التى تستلهم هذه الذكرى المعانى الحية والمثل الرفيعة فى حياة صاحبها فى هذا الوقت الذى التهمت فيه غوغاء المدنية القيم الانسانية ، وافترست مخالب المادية القيم الروحية وحجبت الأهواء والشهوات كل مثل اعلى وخلق رفيع .

ولكن عقولا أخرى اصطبغت بالسذاجة محسوبة على الاسلام ، كلما حانت هذه الذكرى انطلقت السنتها فوق المنابر ، وافرغت اقلامها مدادها على صفحات الصحف الاسلامية المتواضعة ، تشيد هذه وتلك بشخصية محمد فى غير تعقل ، ملتزمة الغلو فى اسراف ، والاطراء فى سذاجة ، مستلهمة بعض كتب السيرة التى لم تنق بعد من اساطيرها وخرافاتها او مستوحية شعر الربابة الذى لم يتقيد بواقع التاريخ ومنطقه بل يعتمد على الخيال المنسوج ، والأسلوب المسجوع وعنصرى المفاجأة والتشويق ، ولم يكن مستغربا أن نسمع فى هذه الذكرى ونقرأ عن صاحبها — صلوات الله عليه — خوارق اتخمت حياته ، منذ ان كان ماء جاريا فى صلب ابيه ، ثم جنينا فى بطن امه الى أن ولد مختونا مكحولا ، ثم تسلمته مرضعته (حليمة) فرأت من الخوارق ماهالها ثم حين أتاه — وهو لم يتعد الثالثة من عمره — ملكان شقا صدره ، واخرجا منه مااخرجا ، ثم ملأه حكمة وعلما ونورا ، وهكذا تصاحبه الخوارق فى كل لحظة من حياته حتى يلقى ربه ، وقبيل لقاء ربه ، يطرق عليه الباب ملك الموت يستأذنه فى قبض روحه فيستسلم ويسلمها الى بارئها .

ولو أردنا أن نرجع الى كتب السيرة القديمة التى بين أيدى المسلمين اليوم ، لأيقنا أن الرسول لم يكن الا شخصية أسطورية ، وليس بشرا رسولا كسائر البشر والرسل ، أحيا أمة من العدم ، وأخرج عقولا من الضلال ، ورفع نفوسا من الحضيض ، واقام دولة اسلامية مثالية على الأخوة فى البشرية والمساواة فى الآدمية ، والاشتراكية فى الرزق ، والعدل فى الحكم ، والحرية فى الكلمة ، والعلو فى الهمة ، والمثالية فى الخلق .

القصاصون وصناع الاحاديث أعانوا — مع الاسرائيليات — كتب السيرة على الحفاوة بخوارق لايحصى لها عدد ، يتأذى منها الذوق السليم ، ويتقزز العقل المستنير ويترفع عنها قدر الرسول الكريم .

نسبوا الى آمنة — امه — انها حين حملت به ، رأت نورا يخرج منها ، أبصرت به قصور بصرى من ارض الشام ، وانه كان يأتيها فى كل شهر من أشهر حمله التسعة نبى من الانبياء السابقين يبشرها بأنها ستلد سيد البشر ، وزعموا انه فى يوم مولده اهتز ايوان كسرى ، وأخمدت نيران فارس ، وغارت بحيرة طبرية .

لم يرق لهم أن الله أيد رسوله بمعجزة خالدة ستبقى مابقيت السماء والارض انها كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فحاطوا حياته بهالة كبرى من الخوارق فالحصى سبح بين يديه ، والجزع حن اليه وبكى ، وعين قتادة لما فقئت فى احدى المعارك تفل فيها فردت اليه سليمة ، وسيف عكاشة حين تحطم التقط له عودا من الارض فأصبح فى يده سيفا بتارا فصل به عديدا من رقاب الأعداء ، وأم أيمن شربت من بوله فلم ير بطنها وجعا بعد ذلك ، حتى الغزالة التى صادها صياد لجأت اليه فاستمع الى شكواها ، والبعير الذى أبصر مدية القصاب هرب اليه فانقذ حياته .

والذى يقرأ شفاء القاضى عياض يصاب بدوار فى رأسه ، فهو يحرص على أن ينسب للرسول كل معجزات اخوانه من قبله ، وفوق ذلك يكدس من المعجزات ماتنفر النفوس منه ، فالرسول حين يفكر فى قضاء حاجته بالخلاء تلتف الأشجار والحجارة الضخمة حوله حتى تواريه عن الأعين ، ثم تنشق الارض لتبتلع فضلاته حتى لاتخرج رائحة نتنة ، ويصر القاضى على أن الرسول — صلوات الله عليه — كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ويرى فى الظلام كما يرى فى الضوء ، وحين يسير ما من شجر

(البقية على الصفحة التالية)

التجربة العربية في الطب البشري
بقلم الدكتور فؤاد حسنين

يزعم الحاقدون أن طبنا العربي طب مستحدث ، فهو مرة هندى وثانية فارسى وثالثة يونانى ، أو هو مزيج منها وفاتهم ان العرب امتازوا منذ فجر التاريخ بالعبقرية التشريعية أولا والطبية ثانيا • فالعرب البابليون الآشوريون خلفوا لنا شريعة حمورابى ، وأثرها فى التشريع عظيم وصداها يتجاوب فى كثير من الشرائع التى وصلتنا • اما الطب العربى البابلى فقد ذاع صيته قديمـــا حتى بلغ اليونان وبلاد الشرقين الأوسط والأدنى • ومن حسن الحظ انه وصلتنا فى مكتبة (آشور بنيبعل) نصوص طبية كثيرة تلقى ضوءا قويا على المكانة التى بلغها الطب العـــربى البابلى • وقد تفوق العرب أيضـــا فى الصـــيدلة فالعقاقير كانت تجهز ، كما هو الحال اليوم ، اما من العشب أو الحيوان أو المعـــادن وان كانت الأولى أكثرها انتشارا واستعمالا • وكانت تحضر اما دقا أو دعكا أو طبخا أو قلوا ، وهى قد تتناول بسيطة أو مركبة ، وقد توضع على العضـــو المريض أو تؤكل أو تشرب •

وقد سلك مؤلفو هذه الكتب الطبية مســـلكا مبســـطا يجعلها فى متناول الجميع ، فهى تذكر المرض ووصفه ثم الدواء وطريقة الاستعمال • مثلا : وجع الاسنان — جذور عباد الشمس — توضع على السن • وقد وصلتنا مؤلفات أخرى تعرض للأمراض التى قد تنتاب الانسان مرتبة حسب وظائف أعضاء الجسم ، فقد عثر علمـــاء البابليات الآشوريات على وثائق خاصة بالامراض العصبية ، وأخرى بالامراض الجلدية والتناسلية ، وثالثة تتصل بالحمل والولادة ، ووثائق أخرى فى مختلف الأمراض •

وتحدثنا مراجعنا القديمة أيضا أن أولئك العرب اخترعوا الآلات الجراحية وغيرها من الوسائل التى

(بقية المنشور على ص ١٨)

ولا حجر الا يقول : السلام عليك يارسول الله ، وحين يدعو مامن حائط أو ســـقف الا قال : آمـــين • • واسمع •

ان المعانى الحية فى رســـالة محمد لايمكن أن يبرز لها مكان وسط هذا الخضم من الخرافة والأساطير وان هؤلاء العاطفيين يسيئون بعاطفتهـــم الحرقاء الى شخصيته عليه السلام ، وماذا عليهم لو التزموا كتاب الله حين تواتيهم هذه الذكرى ، ولو كان قد حـــدث شىء مما زعموه ونسبوه الى الرسول لأشار القرآن اليه ، ولكن القرآن أشار الى الرسول الذى غـــير بدعوته وجه الارض والتاريخ فى عبارات متواضعة تتسم بالواقع فى فضل الله عليه :

(ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) •

ولم يرد الله أن يشغل حياته بالأســـاطير والخوارق ، بل أراد له أن يقيـــم دعوته على المنطق السليم والحكمة والموعظة الحسنة ، ويثبت دعائمهـــا بالقيم العظيمة ، والمثل الرفيعة ، والانسانية الكاملة، ترك له القرآن وحده ليكون معجزته الخالدة يتحدى بها العقول الكلفة بالمعارضة لوجه المعارضة ، والولهة بالخوارق لتتسلى بها :

(وقالوا : لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل انما الآيات عند الله ، وانما أنا نذير مبين — أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) •

وبعد ، فان على علماء الدين والكتاب الاسلاميين مهمة يجب أن تقوم على عواتقهم ، مهمة تنقية شخصية الرسول — صلوات الله عليه — مما خالطها من خرافات وأساطير ، قد لايشعر بها الكثير من سكان المـــدن لانتشار التعليم ، ولكن سكان الريف تمثـــل جزءا لايتجزأ من عقيدتهم ، ويرفضون أن يكون الرسول بشرا رسولا أخذ بيد الانسانية من غوائل الفتن ، وجرائم المحن ، دون أن تكون حياته قد اشتملت عـــلى آلاف المعجزات الخارقة والاساطير الساذجة •

أما الذين يتصدون للمنابر والصحف الدينيـــة المحدودة ، اما أن تتغير عقلياتهم فيبحثوا عن نواحى العظمة فى شخصية محمد، ويمسكوا عن هذا الاسفاف واما أن يلتزموا الصمت على الاقل ، فان عظمـــة الرسول أغنى ماتكون عن الاسفاف •

محمد عبد الله السمان

تعين على ايصال الدواء السائل الى داخل الجسم المريض سواء في العين أو الأنف أو عضو التناسل ، وقد بلغت هذه المهنة درجة من القداسة بحيث اتسع المجمع الآلهي لآله للطب الا وهو (ننجيزدا) وكان شعار هذه الآله صولجان الحكمة ، وقد التف حوله ثعبانان ، واختيار الثعبان كرمز للشفاء والحياة والصحة يتصل بالأساطير العربية القديمة حيث يلعب الثعبان في البابلية دورا هاما . وشعار (ننجيزدا) اله الطب العربي البابلي هو الذي انتقل الى سائر شعوب العالم ومازال حتى اليوم شعار الطب والشفاء .

* * *

وامتاز طبنا العربي وقتذاك بشعبيته حتى اضطر القانون الى الالتفات اليه فحدد أجر الطبيب مع التمييز بين الطبيب البشري وطبيب العظام والطبيب البيطري . كذلك حدد لكل اتعابه وهي تختلف باختلاف الحالة المدنية للمريض . ولم ينس المشرع ايقاع أقسى العقوبات على الطبيب الذي يتسبب باهماله في الحاق الأذى بالمريض سواء أكان انسانا أم حيوانا . فنحن نقرا في شريعة حمورابي ما نصه :

مادة ٢١٥ : اذا أجرى طبيب عملية جراحية لشخص ونجحت هذه العملية ، أو فتح خراجا ووالى علاجه حتى تم الشفاء تقاضى اتعابا قدرها عشرة اثقال من الفضة .

مادة ٢١٦ ان كان المريض عتيقا يدفع خمسة اثقال فقط .

مادة ٢١٧ : ان كان المريض عبدا يدفع سيده للطبيب ثقلين فقط .

٢١٨ : اذا تسبب طبيب في وفاة مريض اثناء اجراء عملية جراحية له ، أو أجرى لمريض عملية في عينيه نتجت عنها عاهة مستديمة تبتر يدا الطبيب .

مادة ٢٢١ : اذا جبر طبيب عظام مريض أو شفى عظاما رخوة ، تقاضى المجبر خمسة اثقال فقط .

مادة ٢٢٤ : اذا أجرى طبيب الثيران أو الحمير عملية جراحية لثور أو حمار ونجحت العملية تقاضى أتعابا من المالك قدرها سدس ثقل فقط .

مادة ٢٢٥ : اذا نفق الثور أو الحمار اثناء العملية وجب على الطبيب ان يدفع للمالك ربع الثمن .

هذه نظرة عابرة تبين لنا ولاشك مدى أصالة الطب في بلادنا ، وقد ظل بين مد وجزر حتى جاء الاسلام فبعث الحضارة العربية والثقافة العربية والعبقرية العربية التي اذهلت العالم .

ويعتمد المغرضون في دعواهم القائلة بعدم اصالة الطب العربي على ما يروى عن الاضطراب الذي طرا على جهاز هضم الخليفة المنصور والصداع المزمن الذي طالما شكا منه هارون الرشيد ، مما دفع دار الخلافة الى استدعاء الطبيب (منكه الهندي) وقد عرض له ابن أبي اصيبعة فقال :ـ

« كان عالما بصناعة الطب حسن المعالجة ، لطيف التدبير فيلسوفا ، ومن جملة المشار اليهم في علوم الهند متقنا للغة الهند ولغة الفرس ، وهو الذي نقل كتاب (شاناق الهندي) في السموم من اللغة الهندية الى الفارسية ، وكان في أيام هرون الرشيد ؛ وسافر من الهند الى العراق في ايامه واجتمع به وداواه ... »

***

ويذكر صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء عند ترجمته لصالح بن بهلة الهندي انه : « متميز من علماء الهند ، وكان خبيرا بالمعالجات التي لهم ، وله قوة وانذارات في تقدمة المعرفة ، وكان بالعراق في أيام الرشيد هرون ... فامرني امير المؤمنين بطلب جبرئيل .. ولم اقع له على اثر ، فاعلمت امير المؤمنين بذلك فطفق يلعنه ويقذفه ، اذ دخل عليه جبرئيل والرشيد على تلك الحال من قذفه ولعنه . فقال له لو اشتغل امير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح ... فقال جعفر بن يحيى يا امير المؤمنين ان طب جبرائيل طب رومي وصالح ابن بهلة الهندي في العلم بطريقة اهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم ... »

ثم انصرف العرب الى ترجمة مختلف أنواع الكتب من يونانية وهندية وسريانية وفارسية حتى أن الرازي لما وفد لأول مرة عام ٨٨٠م على بغداد وجد مختلف المراجع الطبية قد نقلت منقحة مشروحة الى العربية ، كما اطلع على المجهودات العظيمة التي قام بها امثال الكندي والكتاني ويحيى بن ماسويه وثابت بن قرة وحنين بن اسحق ، وهكذا وجد الرازي الطب العربي وقد قطع شوطا بعيدا مكنه من ان يعلنه علما كما اعلن بوقراط الطب اليوناني من قبل .

هذه هي حجة اولئك الذين يرجعون طبنا العربي الى أصول يونانية وفاتهم أن هـذا الطب اليوناني القديم استمد كما يقرر مؤرخو الحضارة اليونانية أصوله من الشرق القديم من العـرب البابليين والمصريين لذلك نبغ من نبغوا في الطب سواء قبل الاسلام أو بعده في هذه البيئة الشرقية العربية ولم يظهر من غير العرب الا أولئك الذين ثقفوا ثقـافة عربية وتأدبوا أدبا عربيا وأصبحوا عربا . لقد سادت اليونانية ايران كما سادتها الهندية وأصبحت البلاد الايرانية ملتقى الثقافات الثلاث الايرانية والهندية واليونانية ، وهي بعينها التي يرجع اليها الشعوبيون طبنا العربي . فلماذا لم تخرج ايران أو ما جاورها قبل الاسلام عباقرة في الطب جاءوا بالمعجزات التي جاءت بها المدرسة العربية ؟ ولماذا أتحدث عن ايران وأترك بلاد اليونان ذاتها . ان بيزنطة وهي وريثة للثقافة اليونانية الاصيلة ظلت بمنأى عن النشاط العلمي الذي حمل لواءه العـرب ، ولم تقدم في الطب رجالا في مستوى أطباء العرب وعلمائهم . وما قيل عن ايران وبيزنطة يقال عن السريان ايضا .

***

واذا تركنا مسالة اصـالة الطب العربي وتبعيته وانتقلنا الى الطب اليوناني وجدناه يغاير في قواعده وأصوله طبنا العـربي . الطب اليوناني لا يؤمن بالمستشفى وتجاربه ايمـانه بالمنطق والرياضيات لذلك ظل علمـا نظريا فقط ، وأدت هذه النظرة بدورهـا الى تردى الطبيب اليوناني في كثير من الأخطاء ، وحتى الآراء التي عرض لهـا جالينوس (١٣٠ - ٢٠١ م) لم تقو على الوقوف أمام الاطباء العرب الذين تناولوها نقدا ودرسا وتعليقا . فقـد جاء مثلا في (كتـاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) لعبد اللطيف البغدادي (١١٦٢ - ١٢٣١ م) ما يلقي ضوءا قويا على استقلال العربي في طبه وعلمه فهـذا الطبيب يقول : -

« ومن عجيب ماشاهدناه أن جماعة ممن يتتابني في الطب وصلوا الى كتـاب التشريح ، فكان يعسر افهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان ، فاخبرنا ان بالمقس تلا عليه رمم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به تحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفا فصاعدا وهم على طبقات في قرب العهد وبعده . فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علما لا نستفيده من الكتب . اما انها سكتت عنها أو لا يفي لفظها بالدلالة عليه . أو يكون ماشاهدناه مخالفا لما قيل فيها ، والحس أقوى دليلا من السـمع فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس أصدق منه ... فمن ذلك عظم الفك الأسفل فان الكل قد اطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثـيق عند الحنـك ، وقولنا الكل ، انما نعني ها هنـا جالينوس ... والذي شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحـد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا ، واعتبرناه ماشاء الله من المرات في أشخاص كثيرة تزيد على الفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجـه ثم اننا استعنا بجمـاعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ماشاهدناه منه وحكيناه... ولئن مكنتنا المقادير بالمساعدة وضعنا مقالة في ذلك نحكي فيها ماشاهدناه وما علمناه من كتب جالينوس . ثم اني اعتبرت هذا العظم أيضا بمدافن بوصير القديمـة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ، ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان أن تظهر وتتفرق ، وهذا الفك الأسفل لا يوجد في جميع أحواله الا قطعة واحدة ... »

***

واذا تركنا كتاب الافادة جانبا وعرجنا على الشفاء والقانون للرئيس ابن سـينا أو الحاوي وغيره من رسائل الرازي وفصـول موسى في الطب ومؤلفات ابن بطلان وغيرها وأدركنا مدى اصالة الطب العربي وموقف العرب من اليونان وأطبائهم فابوقراط مثلا لم يعلم أن الجنين يتحرك تلقائيا ويخرج من الرحم بفضل تقلصـات العضلات . وقد ظل الأمر كذلك حتى ظهر الطبيب علي بن العباس فاشار الى هـذه الحقيقة في كتابه المشهور الذي يعرف باسم الملكي ، لأنه صنف للملك عضـد الدولة ، وهو كما يذكر ابن أبي اصيبعة في ترجمته : كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها : . أمـا الرئيس ابن سينا فهو أول من دحض رأى الاطبـاء اليونانيين الخاص بعدم حدوث التهاب في العظـام أو المخ وأثبت العكس . أما رسالة الرازي في الجدري والحصبة فهي الرسالة الأولى من نوعها التي صورت هذا المرض تصويرا علميا صحيحا مما اضطر علمـاء

البقية على الصفحة التالية

(بقية المنشور على ص ٢١)

القرن الثامن عشر الميلادى الى الاعتراف لهذه الرسالة بأنها خير ما كتب فى هذا الموضوع .

ومن الأمراض الاخرى التى خالف فيها العرب مذهب اليونانيين الشلل وبخاصة شلل الوجه ، فابن سينا شخص هذا المرض وعالجه معتمدا على أسباب موضعية بخلاف اليونان الذين شخصوه فى حدود نظرية العناصر الاربعة وهى المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ، لذلك عالج اطباء اليونان الشلل عن طريق الوسائل الحارة وظلت هذه الوسيلة مستعملة حتى ظهر الطبيب العربى صاعد بن بشر بن عبدوس فخالف الاطباء اليونانيين وسفه آراءهم واستخدم طريقته التى مازالت مستعمله حتى الآن . وقد ذكر ابن أبى اصيبعه فى ترجمته :

(صاعد بن بشر بن عبدوس ويكنى أبا منصور .. اشتغل فى صناعة الطب وتميز حتى صار من الأكابر من اهلها والمتعينين من أربابها . نقلت من خط المختار بن حسن بن بطلان فى مقالته فى علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التى كانت تعالج قديما بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم فى ذلك لسطور القدماء . قال ان أول من فطن لهذه الطريقة ونبه عليها ببغداد وأخذ المرضى فى المداواة بها واطرح ما سواها الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب رحمه الله . فانه أخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء فانجح تدبيره ... فرفع عن البيمارستان المعاجين الحارة والأدوية الحادة ونقل تدبير المرضى الى ماء الشعير ومياه البرور ، فاظهر فى المداواة عجائب ..)

* * *

ويمتاز طبنا العربى بالاهتداء الى علل واكتشاف علاجها . فابن سينا كشف الحمى الفارسية واهتدى الى علاجها ، وابن زهر هو صاحب الفضل فى اكتشاف سرطان المعدة ، وابن رشد هو القائل بأن اصابة الجسم ببعض الأمراض المعدية مثل الجدرى يكسبه مناعة مدى الحياة . وقد انتهى ابن رشد الى هذه الحقيقة العلمية فى الوقت الذى أصدر فيه القيصر مكسيمليان الأول قرارا يؤكد فيه أن هذا المرض وسيلة من وسائل الله لتهذيب البشر ، ومن لا يؤمن بهذا فهو كافر . وقد ظلت هذه العقيدة سائدة فى أوربا حتى القرن الثامن عشر ، وفى ذلك الوقت فقط .. استخدمت الوسيلة العربية لمقاومته ، أعنى التطعيم .

وابن ماسويه هو مشخص البرص فى القرن التاسع الميلادى ، كما أن ابن الجزار هو الذى اهتدى الى علاجه وكان العرب يعزلون صرعى هذا الداء الوبيل فى مستشفيات خاصة تحت رعاية الاطباء المختصين بخلاف الحال فى أوربا التى جردتهم من حقوقهم الانسانية فنبذهم المجتمع وصلت عليهم الكنيسة صلاة الميت ففى فرنسا كانت الكنيسة تعتبر هذا المريض الحى الميت فتحرمه هى أيضا من حقوقه الكنسية فينقل المريض الى قبر مفتوح حيث يصلى عليه القسيس ويهيل عليه التراب ثلاث مرات كما يفعل مع الموتى الحقيقيين ، ومن ثم ترسله الكنيسة الى دار خاصة أعدت لهؤلاء المعذبين الذين يمضون بها البقية الباقية من حياتهم . وقد ظلت هذه الحالة سائدة فى أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادى .

* * *

وتصح الادلة على أصالة طبنا العربى من الأوبئة والوقاية منها ومقاومتها ، وتباهى العروبة بأطبائها فى هذا الميدان اليونان والهنود والعجم وغيرهم فأوروبا ظلت قرونا عديدة تعلل انتشار الأوبئة تارة بتسميم اليهود لآبار مياه الشرب وأخرى بصلواتهم وتعاويذهم التى ترسل الموت فى هيئة دخان متجمع كالسحاب أو زلازل تتفجر بسببها شرايين الارض فتخرج الأوبئة التى تفتك بهم ، لذلك اعتقد المسيحيون أن العلاج الوحيد هو التخلص من اليهود قتلا وحرقا . وقد وقع هذا عام ١٣٢١ فى (شينون) بفرنسا حيث ساقوا اليهود الى أخاديد امتلأت بالنيران ، وقد تكرر ذلك عام ١٣٢٨ فى (استيلا) و (نافاريس) بأسبانيا ، وفى عامى ١٣٣٦ و ١٣٣٧ فى ألمانيا ثم سويسرا ومختلف البلاد الأوربية .

وفى عام ١٣٤٨ نجد أستاذ الطب فى جامعة مونبيليه يعلن أن نظرة المريض تشع الموت لذلك يجب عند اقتراب الطبيب أو القسيس منه أن تسدل على عينيه ملاءة من الكتان .

ثم لا يقف الأمر من الوباء وانتشاره عند هذه الخرافات بل نجد الطبيب البلجيكى (سيمون ده كوفينو) يبشر برأى جديد وهو أن التقاء الكواكب ببعضها هو مصدر الوباء ، وبهذا علل انتشار طاعون عام ١٣٤٥ ، وقد أيده (بوكاشيو) ، وكتب تقريرا

(البقية على الصفحة التالية)

في موكب العلم

قمر اللاسلكي

يوصل أفريقيا بأمريكا

بقلم فوزي الشتوي

في أوائل هذا الاسبوع حدث أول اتصال لاسلكي بين القارة الافريقية، وقارة أمريكا الشمالية عن طريق قمر صناعي يلف حول الارض، والهدف هو استخدام الأقمار الصناعية في تأمين المواصلات اللاسلكية، التي يكثر أن تعطلها الزوابع المغناطيسية والاضطرابات، عندما تسري في منطقة التأين ووظيفتها اعادة هذه «الموجات» الى الارض، لتتيح لسكانها في فترات الهدوء أن يتصلوا بعضهم ببعض على موجات الاثير .

واذا مانجحت تجارب هذا القمر، ووصلت الى الحد العملي الاقتصادي، فان ثلاثة أقمار فقط ستتيح تأمين المواصلات اللاسلكية سواء هدأت منطقة التأين أو انتابتها التقلبات، فكل من هذه الاقمار سيكون في وضع يتيح له التقاط رسائل الارض وأذاعاتها ،ثم توزيعها على اي من انحاء كوكبنا الارضي . ومن المقرر لهذه الاقمار، أن تتولى نقل أذاعات الراديو والتليفزيون والاحاديث التليفونية والاشارات البرقية ونقل الصور .

تجربة أولية

وفي التجربة التي أجريت في أوائل هذا الاسبوع اقتصر النقل على اذاعات الراديو، والصور والاشارات التلغرافية . وعندما يحتل هذا القمر مكانه المقرر على خط الاستواء، وفوق حافة أمريكا الجنوبية، بعد عشرة أيام تقريبا، فستضاف اليه مهام أخرى، منها نقل اذاعات التليفزيون بين قارات افريقيا والامريكيتين الشمالية والجنوبية، وربما تشترك في التجارب بعض بلاد أوروبا .

اما الآن، فان هذا القمر يسبح فوق افريقيا، ويحلق فوق بقاعها من شمالها الى جنوبها، بين خطي عرض ٣٠ شمالا، ومثلها جنوبا، ويتخذ في سياحته هيئة دائرتين يلتقي طرفا هما فوق خط الاستواء . واذا مااستقر في وضعه المقرر، فانه يظل محلقا فوق تلك البقعة من المحيط الاطلنطي طول حياته .

واطلقت الولايات المتحدة الامريكية هذا القمر في يوم ٢٦ يوليه واطلقت عليه اسم «سينكوم» أي المعاصر الزمني الثاني، لانه يصل الى ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر . وهناك يدور حول الارض مرة كل ٢٤ ساعة . وبهذا يبدو محلقا فوق بقعة واحدة من الارض .

محاولات مختلفة

وهو الثاني لانه ثاني الأقمار من هذا الطراز، اما الاول فطلق في فبراير الماضي، وأخفقت تجربته اذ تعطل اتصاله بالارض عقب اطلاقه مباشرة، وأقمار «سينكوم» هي طراز من عدة أنواع يحاول بها العلماء تأمين الاتصال اللاسلكي بين أنحاء الكرة الارضية . ومنها طراز «تلستار» الذي أطلق منه قمران، ونجحت تجارب كل منها الى حد مقبول، اذ نقلت بعض اذاعات الراديو والتليفزيون واللاسلكي بين بلاد أوروبا وامريكا .

(بقية المنشور على ص ٣٢)

يدعو الى صلوات جامعة على الغمة تزول فزادت هذه الاجتماعات من انتشار العدوى وكثرة الضحايا .

وتطاولت الايام والوباء بين مصارعة ومقارعة حتى ظهر عام ١٣٤٨ الطبيب العربي الخالد ذو الوزارتين الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد المعروف بابن الخطيب (١٣١٣ ـ ١٣٧٤) م برسالته في الطاعون واسبابه وعلاجه والوقاية منه فكان كتابه هذا الى جانب مؤلفاته الأخرى الطبية مثل الرجز في عمل الترياق واليوسفي في الطب والمسائل الطبية ورجز الطب والوصول لحفظ الصحة في الفصول ورجز الأغذية غير مؤلفاته في البيزرة والبيطرة والموسيقى؛ التي كانت كالبدر وقد عسعس الليل والشمس اذا تنفس الصبح .. فادرك القوم خطر العدوى وانتقالها والاحتياطات التي يجب اتخاذها، فايقظ ابن الخطيب العقول الساهية وانقذ الاجيال من ويلات الطاعون ومصائبه، وما أجدر طبيبنا الاندلسي بسينيته التي وجهها الى السلطان ابي حمو وفيها يقول :

احكمت حيلة برئهم بلطافة

قد أعجزت في الطب جالينوسا

دكتور : فؤاد حسنين علي

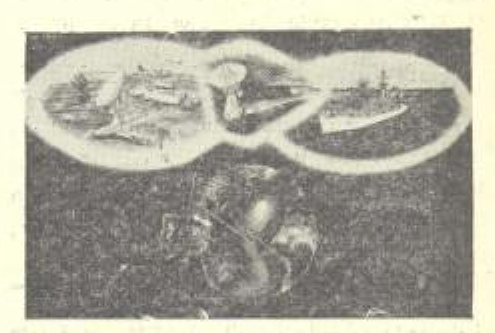
والفرق بين أقمار «تلستار» و «سينكوم» أن الاولى تلف حول الارض فى مدار قريب منها ، فكان مدار تلستار الثانى يتفاوت بين ٩٢٠ كيلومترا عندما يقترب من الارض ، وبين نحو ١٠ آلاف كيلومتر عندما يكون فى أبعد نقطة عنها ، بهذا يتم دورته حول الارض فى نحو ٢٢١ دقيقة ·

ومعنى هذا أنه لايبقى محلقا فوق بقعة من الارض سوى دقائق معدودة ، وبعدها يتعذر الاتصال به ، واذا ما أريد تأمين الاتصال اللاسيكى بهذا الطراز من الاقمار ، فان كرتنا الارضية تحتاج الى نحو ٥٠ قمرا ليكون واحدا منها على القليل محلقا فوق بقعة ما ·

* * *

أسرار السرعة والارتفاع

والسرعة والارتفاع عاملان هامان فى تحديد مدار الأقمار الصناعية ، فسرعة القمر هى القوة التى تقاوم شدة جاذبية الارض ، واذا ماقلت السرعة عن شدة الجذب سحبت الارض القمر وأسقطته اليها ، واذا مازادت السرعة عن قوة الجذب خرج القمر الى الفضاء ليقع تحت تأثير جاذبية الشمس ، أو أي جرم سماوى آخر ·



وكلما ابتعدنا عن الارض ، ضعفت جاذبيتها وبالتالى يتحتم أن نضعف سرعة القمر ، حتى لايخرج عن المدار المرسوم له ، بل يظل فى حالة توازن بين سرعته وبين شدة جذب الارض ، فيظل لاهو قادر على الافلات من قبضتها ولا هى قادرة على سحبه اليها ، بل يظل كشىء معلق بين قوتين متعادلتين تحاول كل منها الاستئثار به ، فتمنعها الاخرى ·

وقد درس الخبراء قوى جاذبية الارض فى الارتفاعات المختلفة ، وتبعا لهذه القوى يكسبون القمر الصناعى السرعة التى تتعادل مع هذه القوة ، وتعلق القمر فى المدار المرغوب فيه · ورأينا رواد الفضاء يسبحون بمركباتهم فى المدار القريب منها على ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر تقريبا بسرعة ٢٩ ألف كيلو متر فى الساعة ، وهى السرعة التى تعادل شدة جذب الارض فى هذا الارتفاع فان أرادوا الهبوط والعودة الى الارض ، خفضوا سرعة مركباتهم ، وعندئذ تقوى شدة الجذب على السرعة ، وتعيد المركبة الى الارض ·

قطر المدارين

وتبعا لارتفاع القمر «سينكوم» (٣٦ ألف كيلو متر) تنخفض سرعته أيضا الى نحو ١١ ألف كيلومتر فى الساعة ، وقد تبدو هذه السرعة عظيمة بالنسبة لسرعة دوران الارض حول محورها ، وهى تصل عند خط الاستواء الى نحو ١٦٦٤ كيلومترا فى الساعة ·

وينشأ هذا الفرق بسبب اختلاف مسافة قطرى المدارين ، فنصف قطر الارض نحو ٦٠٠٠ كيلومتر بينما نصف قطر مدار القمر «سينكوم» ٣٦ الف كيلومتر ، فهما أشبه بعجلة ذات اطار واسع من الخارج ، ثم آخر صغير يدور حول محورهما ، فاذا ماقطع الاطار الصغير مسافة قصيرة ، قوبلت فى الاطار الواسع بمسافة مضاعفة ، يتم قطعها بمعونة السرعة ليتحقق قطع المسافتين ، الطويلة والقصيرة ، فى زمن واحد ·

بهذه العوامل يزول فرق السرعة ، كما يستقر القمر سينكوم فى مداره ، ويستقر فوق منطقة تعلو المحيط الاطلنطى قرب أمريكا الجنوبية · وهو كأى قمر صناعى ، مما أطلق حتى الآن ، يتخذ خط الاستواء كمركز له ، فيعلو فوقه الى درجة ٣٠ شمالا ثم يهبط الى درجة ٣٠ جنوبا · أما سرعته فى اتجاه الشرق ، فتقابل سرعة دوران الارض حول محورها مما يجعله يلازم بقعة واحدة من الكرة الارضية ·

عملية معقدة

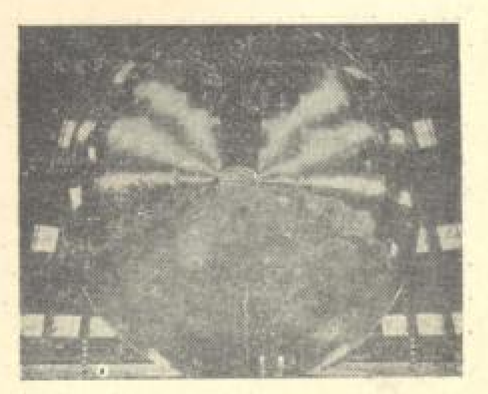
وكان اطلاق هذا القمر من أعقد العمليات التى احتاجت الى حسابات طويلة ، اشتركت فيها العقول الآلية التى اشتهرت بسرعتها فى فك الطلاسم ، وحل المسائل المعقدة ، التى تكفى واحدة منها لشغل وقت خبير رياضى بضعة أسابيع · ولعل خطأ فى أحد هذه الحسابات أو فى اصدار الاوامر الى أجهزة القمر «سينكوم الاول» هو الذى عطله وأفسد تجربته ·

وبلغ وزن القمر «سينكوم الثانى» ٨٦ رطلا ، واطلق من قاعدة «كيب كانافيرال» على شاطىء المحيط الاطلنطى ، فحمله صاروخ الى ارتفاع ٢٢٤ كيلومترا، واكسبه سرعة تتيح له الاندفاع فى الفضاء ليتخذ مدارا بيضاويا يصل الى ارتفاع ٣٦ الف قدم .

وقد وصل الى هذا الارتفاع بعد ٥ ساعات و ٣٣ دقيقة ، وكان مجهزا بصاروخ اضافى ، واليه صدرت الاوامر بأن ينطلق ويكسب القمر مزيدا من السرعة حتى يتحول المدار من بيضاوى الى دائرى وبفضل هذه السرعة التى بلغت نحو ١١ الف كيلومتر في الساعة، صار القمر يقترب من الارض الى بعد ٣٥ الف كيلو متر ، كما صار أقصى بعد له عنها نحو ٣٦ الف كيلومتر، ولولا انطلاق هذا الصاروخ، وما أكسب القمر من سرعة في الوقت المناسب بالضبط ، لاتخذ القمر مدارا بيضاويا لتكون أقرب أبعاده ٢٢٤ كيلومترا ، بينما اقصاها ٣٦ الف كيلومترا .

عملية ارتداد

وعندما تحقق هذا المدار الدائرى كان القمر يحلق فوق المحيط الهندى ، والشاطىء الشرقى لأفريقيا . ولو ترك لشأنه لظل محلقا فوق هذه البقعة طول حياته . ولكنه ماكاد يستقر فيها حتى صدرت الأوامر الى محركات أخرى ، لتجعله يرتد من مكانه ، ليحلق فوق المحيط الاطلنطى ، وهي ترده بسرعة ٤٢٠ كيلومترا فى اليوم الواحد .



ولتعقب هذا القمر فى حركاته ، واصدار الاوامر له تتبعثه محطات الارصاد فى شتى أنحاء الارض ، وكان اهمها الباخرة كنجزبورت التى أعدت لرصد الاقمار الصناعية وتبادل الاشارات اللاسلكية وكانت راسية في ميناء «لاجوس» فى اتحاد نيجيريا على الشاطىء الغربى لأفريقيا .

وبدأ اتصال الباخرة به عندما كان يحلق فوق أفريقيا ،فعندئذ ، وجهت الباخرة اشاراتها اليه فالتقطها ثم أرسلها الى احدى محطات الاذاعة فى امريكا . وكان الغرض الاساسى معرفة مدى نجاح أجهزة القمر فى التقاط الاذاعات اللاسلكية ، ثم نقلها الى المحطات الاخرى ، وقال خبراء اللاسلكى أن اذاعات القمر يمكنها أن تغطى مساحة ٧٢ الف كيلومتر من سطح الارض .



مشكلة الطاقة

وعندما يستقر هذا القمر بعد أيام أخر فوق غرب المحيط الاطلنطى ، فان الخبراء يستعدون لاجراء طائفة كبيرة من التجارب لمعرفة ما يحدث فى المواصلات التليفونية التى يتبادل الحديث فيها فردان فى قارتين مختلفتين ، كما سيدرسون قدرته على نقل اذاعات التليفيزيون ، والراديو ، والبرقيات والاشارات المختلفة .

واخطر العقبات التى تواجه هذا الطراز من الاقمار الصناعية هي مصادر القوة فيه ،وهى تستمد غالبا من خلايا شمسية تحول طاقة الشمس الى كهرباء تدير أجهزته . على أن هذه الخلايا سريعة العطب بفعل الاشعاعات المختلفة فى الفضاء. ويحاول الخبراء استخدام عدد من البطاريات الاخرى الطويلة العمر ،

كالبطاريات الذرية ، ولكنها لم تؤد الغرض المطلوب منها سواء بسبب ثقل وزنها ، أو لسرعة عطبها .

ومن العقبات أيضا ضبط مدار القمر وسرعته ، ليعيش أطول مدة ممكنة ـ لاتقل عن سنة ـ وهو يؤدى عمله . وواضح من تعقيد عمليات اطلاق هـذا القمر أن تحقيق الضبط مسالة عسيرة، فالقمر السابق تعطلت أجهزته ، وانطلق على غير هدى . والحـال يتم دورته حول الارض مرة كل ١٤٥٤ دقيقة ، بينما اليوم الحقيقى ١٤٤٠ دقيقة . وهذا الاختلاف رغم صغره سيجعل القمر بغير موضعه .

للخطأ قيمته

ولو أمكن أن يحتفظ بطاقة متجددة ، لتيسر تصحيح أى خطأ ينتابه باصدار الأوامر الى محركاته ليصحح هذه الأخطاء التى تنشأ بسبب جهل الانسان بالعوامل المختلفة فى الفضاء . وهى عوامل يواصل الخبراء اكتشافها واحدابعد آخر، ولعل الخطأ هو أكبر مرشد اليها ، فان كل خطأ مهما تضـاءل يتعرض لمجموعات من التحليلات والدراسات ، التى تؤدى الى اكتشاف الصواب .



واذا ماعرف الخبراء الوسائل العملية لاطـلاق هذه الأقمار لتحتل الموقع المضبوط، وتحتفظ بالطاقة المتجددة التى تدير أجهزتها ، ويجعـل الصـوت والاشارات واضحة عند نقلها من مكان الى آخر ، اذا عرف هذا ، فانه من السهل بمعونة صاروخ واحد أن تطلق ثلاثة أقمار تنتشر حول خط استواء الـكرة الارضية ، وعلى مسافات متساوية .

وفى برنامج الخبراء أن يتم هذا الاطلاق بمعونة صاروخ يحمل الاقمار الثلاثة ، فاذا ماوصل الى أول بقعة ، أخرج أول قمر ، ووضعه فى مداره، ثم يواصل السير الى البقعة الثانية ، ليلفظ القمر الثانى ،ويكرر العملية نفسها فى القمر الثالث .

وتكون مهمة هذه الاقمار أن تلتقط الاذاعـات اللاسلكية على اختلاف أنواعها من الارض . وينقلها كل منها الى منطقته ، كما يرسلها الى القمر التالى ، ليذيعها بدوره على منطقته ، ويلقنها للأخير ، وهكذا يتم الترابط اللاسلكى بين شتى أنحاء الارض ، ويمكن ضمان هذا النوع من المواصلات الذى يتعطل كلمـا أبدت الشمس بعض نشاطها ، أو اذا مانفجرت فى الفضاء قنبلة ذرية تثير الاضطراب فى اشـعاعات المناطق التى تتيح الاتصال اللاسلكى ، وتجعلهـا عاجزة عن أداء وظيفتها .

ارخص من مد الاسلاك

والغرض الاكبر من العمل على نجاح هذا الطراز من الأقمار اقتصادى وتجـارى ، وعندما درست النفقات التى تدفع على المواصلات السلكية التليفونية ظهر أن مد أسلاكها فى قاع المحيطات باهظ النفقات ويقل عن نفقات اطلاق هذه الاقمار فى الجو ، كمـا أن هذه المواصلات آخذة فى النمو بشكل سريع ، فقد كان عددها فى عـام ١٩٥٠ نحو مليون و٢٠٠ الف مكالمة فزادت خمس مرات فى عا ١٩٦٢ اذ بلغ عددها ٥ مليون مـكالمة ، وينتظر أن تزيد الى ٨٠ مليون مكالمة فى عام ١٩٨٠ .

وبالحساب ظهر أن مد الأسـلاك التليفونية السريعة العطب فى المحيط يستهلك نفقات باهظة ، ويمكن توفير جانب كبير منها باستخدام الاقمـار الصناعية كمحطات نقل فى استطاعتها نقل برامج التليفزيون والراديو والتليفون والتلغراف والصور.

وستكون الاقمار الصناعية فى الفضاء أشبه بمحطات النقل التى تنشئها لنقل الاذاعات المختلفـة فاشعة التليفزيون مثلا تسير فى خط مسـتقيم ، ويتعذر التقاطها فى دائرة تزيد على ٨٠ كيلومترا ، ولهذا تنشىء محطات نقل كل ٥٠ كيلومترا تقريبا ، لتلتقط الاذاعة ، وتذيعها فى منطقتها كما تنقلها الى محطة النقل التالية التى تتولى العملية نفسها .

فوزى الشتوى

فى عـالم الفن

٣ نماذج من مسرحياتنا

بقلم عبدالفتاح البارودى

عشرات من القضايا الفنية الهامة تثيرها ثلاث مسرحيات لفرق التليفزيون المسرحية التى تعمل فى الاسكندرية ... رواية (الشيخ رجب) تثير المشكلات المتعلقة بالتناول الفنى للاحداث التاريخية وخاصة الاحداث الوطنية ... ورواية (جلفدان هانم) تثير مشكلات التناول الكوميدى ... ورواية (أنا وهو وهى) تثير مشكلة تقييم الروايات الضاحكة .. الخ .

ونحن فى حاجة الى مناقشة كل هذه المشكلات لتعميق الوعى الفنى فى الجمهور الذى ازداد شغفه بالمسرح لدرجة مذهلة ، ولنستفيد من أخطائنا ، ولنجتاز مرحلة « التجربة والخطأ » بفهم يساعدنا الى توطيد دعائم الفن المسرحى .

***

خذ مثلا مسرحية الشيخ رجب ... انها قصة لعبد الرحمن الشرقاوى أعدها وأخرجها للمسرح فايز حلاوة ، فماذا فعل فيها ؟ أولا أسرف فى تطويل بعض المشاهد ،مثل مشاهد «المولد» ، وأوقف الحركة المسرحية فى بعض المشاهد ليلقى على المسرح مواويل غنائية على الأرغول .

ان اطالة مشاهد الموالد لا تزيدنا معرفة بها ، وكان من الممكن اختصارها الا اذا كان وراءها هدف فنى ... وفعلا عرض المخرج خلال حلقة الذكر حوارا بين أهل القرية يلقى الضوء على معتقداتهم فى الشيخ رجب وسره الباتع الذى تصوروا أنه هو الذى ألقى « بالباشا » فى السجن ، لأنه أراد أن يهدم « مقامه » ويبنى مكانه « اصطبلا » لخيوله ، ومع ذلك فان هذه المعتقدات والتصورات معروفة أيضا ، وكان من الافضل اختصار هذا الحوار ، أو على الاقل حذف المشهد الأول الذى دار فيه الحوار بين الفلاح وزوجة الباشا ، لأنه أولا كان يمكن تذويب مضمونه فى الحوار بين أهل القرية ، وخاصة أن زوجة الباشا اختفت بعد ذلك من المسرح نهائيا ، ومعنى ذلك أنها – كشخصية مسرحية – ليس لها أى أثر فى تنمية الاحداث المسرحية .. وثانيا كان وجود هذا المشهد من عوامل اضعاف المستوى الفنى للرواية بسبب الطابع الخطابى الذى غلب عليه حتى فى الاداء التمثيلى ، وهذه الخطابية حددت موقف المؤلف ، وأكدت أن له وجهة نظر معينة من أول لحظة .

***

ان المسرح ليس مجالا لالقاء أفكار المؤلف القاء مباشرا ، وانما هو مجال لعرض وتحليل وتصارع وجهات النظر التى تتمثل فى اختلاف أفكار وسلوك الشخصيات المسرحية ، ومما يسفر عنه التحليل والتصارع والسلوك من (فعل ورد فعل) تبدو أفكار المؤلف بأسلوب غير مباشر ، وباقناع قائم على البراهين والمنطق والاستدلال العقلى .

أيضا بالنسبة للمواويل الغنائية ... اما أن يكون لها دور فى الاحداث التى تظهر على المسرح ، أو تكون مرتبطة بها ومؤثرة فيها ، واما أن تنشد بين الفصول وقبل رفع الستار كفواصل أو مقدمات ممهدة لها ... وادخال الغناء فى المسرح ليس شيئا جديدا، بل ان «الكورس» كان يغنى فى التراجيديات الاغريقية ، ولكنه كان يؤدى وظيفة رئيسية فى تنمية الاحداث داخل المجال الدرامى .

لو أن هذه المسرحية تخلصت من الزوائد والخطابيات لازدادت تضوجا· فالفصل الاول مثلا، بعد المشاهد الاولى ، ارتفع مستواه الفنى لمجرد استخدام الحوار فى عرض « التصارع » بين زهران العارف بالحقيقة ، وعليش الدجال ... ان الدجال يروى لأهل القرية أن للشيخ رجب كرامات ، وأن كراماته ظهرت فى عهد امنحتب والحاكم بأمر الله والسلطان عبد السميع الاول، وأن الأسد جاء اليه صاغرا وقال له « اركبنى » ... الخ ... ويرد عليه زهران بان الشيخ رجب لم يكن شيخا ، ولم يركب أسدا ولا « معزة » ، بل كان فلاحا وجند فى الجيش ومات فى احدى المعارك ... ان هذا الفصل اكتسب حيوية بسبب البراعة فى تبادل الحوار ، واظهار أثر المناقشة فى تفكير أهل القرية ، والدقة فى رسم شخصيتى زهران وعليش ... كانا متناقضين فى العقلية

والمنهج ، لأن عليش الدجال كان غيبيا وسلبيا يرتدى زعبوط أدعياء الدين ويقرأ كتبهم المملوءة بالخرافات ، بينما كان زهران يقرأ الكتب الدينية الصحيحة ، ويفكر تفكيرا منطقيا ، وكان صاحب تجربة ، وكان فى شبابه محاربا من أجل الدفاع عن الارض التى عاش عليها طول حياته فلاحا .

***

الواقع أن فى هذه الرواية شخصيات كثيرة مرسومة بدقة ، حتى الشخصيات الثانوية .. فرغم أن الرواية تصور روح النضال فى الفلاحين حتى فى أيام الاحتلال فانها لم تسرف فى التعبير عن هذه الروح ... بل اننا رأينا أن أم رجب وخطيبته لا يكترثان بأى شىء قدر تلهفهما على عودة رجب من ميدان القتال أيا كانت نتائج القتال ... ورأينا بعض شباب القرية يرتدون مشاركة زملائهم فى محاربة الانجليز ولكنهم يتساءلون عما اذا كان فى استطاعتهم أن يهزموهم بلا أسلحة ، ورأينا كثيرين يتوهمون أنهم سيدافعون عن أرضهم بالنبابيت ، ورأينا ابن الصول يركب شيخ البلد، والعمدة يأتمر بأوامر الضابط الانجليزى ... وهكذا .

ومع ذلك لم تكن شخصية رجب بطل الرواية مرسومة بعناية ... لماذا ؟ ان زهران وعطوه وناظر المدرسة كانوا أكثر أهل القرية استنارة لأنهم نالوا قسطا من التعليم .. والشيخ عطوه كان يدعو للكفاح ومناصرة المجاهدين الوطنيين بقيادة عرابى لأنه درس فى الأزهر ، ورغم أنه كان مكفوف البصر، فانه كان يطوف بالقرية ليلا ونهارا للدعوة الى الجهاد ... هذا كله منطقى ، ولكن ما هى المكونات الفنية لشخصية « رجب » ؟! ان خطيبته تقدم له الخبز والحس والبصل وتسميها الوز والفطير المشلتت، فيثور ويسميها بأسمائها الحقيقية ... وهو يناقش شباب القرية فى القدر والواقع ،ويقول لهم : (لازم نبص لقدام) ... من أين جاءه هذا الوعى دونهم وهو أمى مثلهم لا يقرأ ولايكتب ، ولم يمارس اى تجربة ، ولم ينتقل من قريته اطلاقا ؟

جائز جدا ـ من الوجهة التاريخية ـ أن نجد آلافا من الذين ينضج فيهم الوعى نتيجة لشدة الذكاء وشدة الاحساس ، ولكن فى رسم الشخصيات المسرحية لا يجوز الاعتماد على الوعى التلقائى ... لا تجوز « التلقائية » فى أى شىء ، ولابد من التعليل الفنى .

***

هذه نقطة مهمة ، وخاصة فى الروايات التاريخية ... لأن المؤلف فى أى رواية يجد أمامه مجالا فسيحا للتكييف الفنى ، وأما فى الرواية التاريخية فالمجال محدود لضرورة الالتزام ـ بشكل ما ـ بوقائع ثابتة ، ومن هنا تبدو صعوبة التكييف الفنى ، ولكن لا بد من أن يتوافر الاقناع .

ان فى رواية الشيخ رجب أكثر من ٣٠ شخصية ليس من المحتم أن تكون لها نظائر حرفية فى التاريخ ولكن أحداثها الجوهرية مرتبطة بالواقع التاريخى ونجح معظم الممثلين فى تجسيدها ، والرواية فى مجموعها ناجحة كصورة فنية ، ولكن كان يمكن أن تزداد لو تخلصت من الزوائد والخطابية ، وتعمقت فى التعليل الفنى والتكييف الفنى .

***

رواية « جلفدان هانم » من نوع آخر ... انها أيضا تستلهم أحداثا مضت ولكن مؤلفها على أحمد باكثير لم يتقيد بأحداث معينة... ان رواية الشيخ رجب تعتبر تجربة فنية جديدة لاعادة كتابة تاريخنا بأسلوب مسرحى ، وهو طبعا لايعنى عن اعادة كتابة تاريخنا كتاريخ ... أما رواية جلفدان هانم فهى تجربة فنية لتصوير قطاع فى فترة من الفترات التى مر بها مجتمعنا حينما كانت تسيطر عليه غطرسة الارستقراطية الزائفة .

ان باكثير نجح فى الرمز الى هذا الزيف بسيدة تركية تعيش بعقلية متخلفة وتقتنى مكتبة أدبية وهى تجهل معنى الادب ، ولكنه أدار الرواية حول محاور متعددة بحيث كادت تختلط معانيها ... انه فى البداية أعطى صورة واضحة لمساوىء الارستقراطية ، ثم أظهر على المسرح مؤلفا قصصيا أدى به البؤس الى بيع مؤلفاته لتظهر فى السوق بأسماء مؤلفين زائفين ، ثم يثور على هذا الوضع ، ثم يرتضى فى النهاية حلا زائفا ...

من الصعب تحديد أهداف المؤلف ... جائز انه أراد أن يصور أن التزييف الارستقراطى أدى

البقية على الصفحة التالية

كلية اللغة العربية والدراسات المسرحية

بقلم دريني خشبة

لن أتعب مطلقا من تكرار القول بأننا نعيش فى عصر للمسرح فيه شأو بعيد وأثر شديد العمق فى حياتنا ، وأن المسرحية أصبحت شيئا أشبه بالخبز الذى نأكله فى الصباح ، ونأكله فى الظهر ، ونطعم منه فى العشاء ، ونأخذ منه حاجتنا كلما احسسنا بالجوع ، سواء كنا فى بيوتنا ، أو فى مجـالات أعمالنا ، أو فى رحلاتنا ، أو فى منتدياتنا ، او فى أى ركن من أركان هذه الدنيا ٠٠ فنحن ان لم تذهب الى المسارح صافحت آذاننا موجات الاثير حاملة الينا المسرحيـات الاذاعية من مصر ومن الشـام ومن السودان ومن العراق ٠ ومن أكثر الاقطار العربية التى لها اذاعات قوية ٠٠ فان سكتت هذه الاذاعات فوجئنا باذاعات لندن وصوت أمريكا وباريس وروما وبرلين وموسكو وايران والهند ٠٠ وغير هذه البلاد كلها، تذيع علينا فيما تذيعه مسرحيات باللغة العربية تهدف من وراء اذاعتها علينا الى اغراض حسنة احيانا وسيئة فى معظم الاحيان ، ولا سـيما اذا كان ثمة توتر بيننا وبين بعض هذه البلاد ٠ والذين هجروا الراديو وانشغلوا عنه بالتليفزيون يشاهدون يوميا عددا كبيرا من التمثيليات القصيرة والتمثيليـات المتوسطة الطول ، والتمثيليات الطويلة ٠٠ واذا كان عدد ساعات الارسال التليفزيونى يوميا هو احدى وعشرين ساعة فالمسرحيات والافلام العربية تذهب من هذا العدد بمـا يقرب من النصف ، ان لم يزد نصيبها على النصف فى أيام الخميس ٠٠ هذا عدا ما يرسله التليفزيون من المسرحيات الاجنبية ٠٠

والاحصـاءات تؤكد ان عدد الذين يترددون على دور السينما فى مصر ، ولا أقول فى العالم العربى ، يربو يوميا على مليون متفرج ، وأن الشعب يقبل اقبالا شديدا عادة على دور السينما التى تجعل من برنامجها دائما عرض قصة سينمائية باللغة العربية (الدارجة طبعا) ٠

ثم نحن نذيع هذا كله على موجات الاثير ليصل الى أقصى ما تستطيع اذاعاتنا أن تصل اليه من بلاد العالم التى يهمنا أن نذيع عليها لتتنبه الينا ، ولتقف على أحوالنا ، ولننفى من اذهان ابنائنا ما تنفثه اذاعات خصومنا من سموم ضدنا ، وما ترجف به من تخرصات علينا ٠٠ نذيع أخبارا عادة ، وأغانى فى كثير من الاحيان ، وتمثيليات قصيرة أو طويلة باستمرار ٠

(بقية المنشور على ص ٢٨)

الى تزييف المثل فى حياتنا الماضية ، ولكن تشعيب الاحداث أدى الى تفتيت الفكرة ٠٠ فهناك أحـداث كثيرة جدا صورها فى بيت جلفدان هانم بحيث يمكن أن تعتبر وحدها رواية مستقلة للسخرية من تصرفاتها كنموذج للفطرسة الارستقراطية ، وهناك ايضا أحداث عميقة المدلول حول المؤلف البائس بحيث يمـكن أن تعتبر وحدها كوميديا ساخرة من أدعياء التاليف ٠٠ ثم أن السيدة التركية نفسها ماتت بالشيخوخة ، وكان السياق الدرامى يقتضى أن تموت كرمز لموت أفكارها مثـلا ، ولـكن أفكارها عاشت فى أسرتهـا وبذلك استطالت الرواية وتصدع البناء الدرامى ٠

ان «التطويل» الذى لاحظناه فى رواية الشيخ رجب نلاحظه أيضـا فى رواية جلفـدان هانم ، ثم نلاحظه فى الرواية الثالثة (أنا وهو وهى) ٠

ان رواية أنا وهـو وهى من نوع آخر فخالف تماما للنوعين السابقين ٠٠ انهـا من النوع الخفيف الذى لا هـدف له غير الاضحاك ٠٠٠ ولا بأس بأن يكون الاضحاك هدفا ، فالضحك فن وله فلسـفة ، ولـكن الملاحظ أن الرواية أقحمت فيهـا موعظة فى النهاية بقصد أن يكون لها هدف فى آخر دقيقـة ، فكانت هـذه الدقيقة كالنكتة البايخة بعـد ضحك يستمر حوالى ثلاث ساعات ٠٠

***

ان فرق التليفزيون التى قدمت هذه المسرحيات الثلاث معا فى الاسـكندرية عرضت ثلاث تجـارب متنوعة ، الاولى معدة من قصـة ، والثانية مؤلفـة ، والثالثة مقتبسـة ، ومع أنها نجحت كلهـا فالمدهش أن العيوب الفنية فيها تكاد تكون مشتركة، وأبرزها عيوب التناول الفنى ٠٠٠ من واجبنا أن نتعمق فى بحث مسببات هذه العيوب لنستفيد من أخطائنا ٠

عبد الفتاح البارودى

وأنا لا أشك مطلقـــا في أن أساتذتنا واخواننا وأبناءنا من أسرة كلية اللغة العربية يعرفون هــذا ولا يمارون فيه .. فقد أصبح هذا من البديهيات التي لا تقبل المناقشة .. ولا شك أيضا أنه جل ما يعرضه المسرح المصرى ، أو تذيعـــه الاذاعات المصرية ، أو يرسله التليفزيون المصرى ، أو تعرضه دور السينما في مصر ، وفي العالم العربي كله .. انما ينطق باللغة الدارجة التي يحار بهـــا الازهر ولا يعترف بها ، وتحاربها كلية دار العلوم وتنعى على من يشجعون استعمالها في المسرح ، وتحاربها أقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية ولا تكاد تصنع شيئا للقضاء عليه أو التخفيف من أثره .

***

وأنا لا أشك أيضـــا في أن أساتذتنا واخواننا وأبناءنا من أسرة كلية اللغة بالازهر الشريف .. وأمثالهم بكلية دار العـــلوم وأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية .. يؤمنون بأن في أعناقهم دينا ثقيلا لهذه اللغة العربية التي طردتها اللهجات العربية الدارجة من المســارح ومن الاذاعة ومن التليفزيون ومن دور السينما . واستأثرت من دونها بالمسرحيات جميعا .. الا شيئا قليلا لا يؤبه به مما يذاع باللغة العربية المشحونة بالاخطاء غالبا .. والتي لا يقبل الشعب على الاستماع اليهـــا الا نادرا .. لان غلبة اللهجات الدارجة على التمثيليات المذاعة أو المرسلة أو الممثلة فـــوق خشـــبة المسرح أو المعروضة على الشاشة في دور السينما أكسبت الجماهير ميلا الى اللغـــة الدارجة ، كمـــا أكسبتهم نفورا من اللغة الفصحى ، وضيقا بها وازورارا عنهـــا ، لانها لقلة استعمالها في هذه المجالات المسرحية جميعا أصبحت غريبة عنهم ونابية في أســـماعهم .. وهى لذلك لا تدخل بسهولة الى أفهامهم ، ولا تصافح في تلطف آذانهم .

وأنا لا أشك في أن أساتذتنا واخواننا وأبناءنا من أسرة كلية اللغة العربية وســـائر الاسر التي تشبهها يعلمون أننا نعيش ثورة مجيدة وضعت في رأس برنامجهـــا وحدة عربية شاملة تجمع كلمة العرب من المحيط الى الخليج ، وتنتقـــل باللسان العربي المبين رسالة هذه الثـــورة الى الضاربين في أقصى الارض وراء الخليج ووراء المحيط من يعملون لنا في القارات جميعا رسلا أكرمين ، وممن هاجروا منذ زمن ولم ينسوا هذا اللسان العربي المبين ، بل ظلوا يعتزون به ويتكلمونه ويبرز من بينهـــم فيه الشعراء والكتاب والمؤلفون .

* * *

فاذا كان هؤلاء الاساتذة والاخوان والابناء يعلمون هذا كله ، واذا كانوا يسلمون بسلطان المسرحية في المسرح والسينما وفي الاذاعة والتليفزيون ، واذا كانوا لا يمـــارون في غلبة اللغة الدارجة على اللغة الفصحى في هذه الاوساط المسرحية كلها .. واذا كانوا يسلمون بما في أعناقهم من دين ثقيل لهذه اللغة الفصحى .. فماذا صنعوا لكي يقوموا بنصيبهم في هذا كله ، ولكي يوفوا ما في أعناقهم من ذلك الدين الثقيل نحو اللغة التي هي الوسيلة الوحيدة بيننا وبين سائر الشعوب العربية التي تطالب لهـــا ثورتنا بالوحدة الشاملة ؟!..

اللهم لا شيء !

فالقائمون على مناهج الدراسة بتلك الكلية .. وفي غيرها من الكليات والاقسام التي تشبهها .. لا يزالون ينظرون شزرا نحو المسرح ونحو ماتذيعه الاذاعات ويرسله التليفزيون وتعرضه دور السينما من تمثيليات تخاطب الجماهير كلهـــا ، وفي جميع البلاد العربية بلا استثناء .

فلماذا ؟ ..

أخشى أن أقول ان الســـبب هو أن روح الثورة لم تغسل بأنوارها بعـــد ما لا يزال يعلق بأرواح أساتذتنا واخواننـــا وأبنائنا هؤلاء من آثار العصر التركي الوبيل الذى كان الاســـلام في نظر رجاله الجهـــلاء دروشة ، والعلوم الاسلامية عندهم وقارا مصطنعا ودردشة ، وأن الدين بريء من الفن وان اشتمل القرآن على فنون من القول ومخاطبة النفوس والارواح والقلوب بأساليب من التمثيل والتشخيص والحوار المعجز المبدع لا تكاد تجد له نظيرا في كتاب آخر منزل أو غير منزل .

* * *

انهم لا يزالون يحســـبون ان حق اللغة العربية عليهم هو أن يعلموا الطلاب نحوها وصرفها وغريب أحكامها ومهجور ألفاظها وما تحويه دروس بلاغتها من معميـــات لا بد أن تســـتخرج من مأثور ألف وخمسمائة ألف من الستين أو يزيد ، من شعر حوشي ونثر لم يعد يســـتعمله أحد بل لا يكاد يعرفه أو

يتذوقه .. لانه اصبح شيئا بائدا وتراثا أكثره من مخلفات عصور الانحطاط وتدهور اللغة ، واشتغال المشتغلين بها بالصنعة والتكلف فى الكتابة والخطابة وفنون القول والتدوين .. فاذا تخرج هؤلاء الطلاب واصبحوا اساتذة ومدرسين شرعوا هم أيضا يكرثون ابناءنا بهذه الدروس النحوية والالغاز الصرفية ومعميات البلاغة على نحو تصبح معه اللغة العربية. هذا التراث الثمين والسلاح المفصح المبين .. عدوا لايكاد الطلبة يتخلصون من شره بالمرور فى الامتحان حتى يطرحوه جانبا ، وينأون عنه ازورارا ..

***

وهكذا تظل اللغة العربية بمنأى عن الجماهير وبمعزل عن تذوق اهلها بسبب تلك الجفوة التى يقيمها معلموها بينها وبينهم ، لا يعرفونها الا قراءة . واذا قرأوها أو كتبوها كثرت فى قراءتهم وكتابتهم الاخطاء وشاع التصحيف وفشا اللحن .. وهم لو تعودوا ان يسمعوها فى نسبة محترمة من تلك التمثيليات الكثيرة الغامرة التى يشهدونها فى المسرح أو السينما ، أو يستمعون اليها فى الاذاعة والتليفزيون ، لكانوا أحرياء أن يحبوها ويتذوقوا ما فيها من صنوف الجمال الآسر وألوان السحر والرشاقة والفتنة ، مما لا تتمتع به لغة أخرى من اللغات التى تفتن الباب أبنائنا وبناتنا ، مما يلوكونه فى المجالس ، ويؤثرونه على لغتنا الحبيبة التى تكاد ان تكون لغة مقدسة .

* * *

اننا لا نعيب على كلية اللغة وغيرها من الكليات والاقسام العربية تفرغها لدراسة العربية والتخصص فى فروعها .. لكن الذى نعيبه هو تجاهلها لأقوى وسائل الاتصال بالجماهير وبالافراد والجماعات والأسر فى العصر الحديث .. تجاهلها للمسرح والمسرحية وفنون التمثيل التى أصبحت سمة المدنية الحديثة ، كما كانتمن أقوى سمات المدنيات المصرية واليونانية والرومانية ومدنية عصر النهضة وما تلاه الى القرن التاسع عشر . وتجاهل كلية اللغة العربية ونظائرها ونظيراتها من الاقسام والكليات للمسرح والمسرحية وما يتصل بهما من فنون هو بلا شك الآفة التى مكنت للغة الدارجة فى أوساط التمثيل جميعا .. وتفشى اللغة الدارجة فى هذه الأوساط ذات السلطان القوى على أفهام روادها خطر لابد أن نتلافاه من الآن وأن نعمل على دفع شره علينا نحن شعوب العرب .. انه الخطر الذى يهدد بضعف اللغة الفصحى — ان لم يكن بفنائها — ضعفا ربما قضى على الاسباب التى نتذرع بها لوحدة العرب وجمع كلمتهم واعتصامهم بحبل واحد مكين متين .. لقد أخذت اللغة الدارجة فى العراق تختلف عن اللغة الدارجة فى الشام وعن اللغة الدارجة فى مصر واللغة الدارجة فى شمال افريقية ، واللغة الدارجة فى السودان .. واللهجات الدارجة فى الجزيرة العربية .. فاى نذير بعد هذا النذير يجب أن ينبهنا ويفتح عيوننا على ما يجب أن نبذله للغة العربية الفصحى من عناية لنشرها واحتفال بالطرق التى تحبب الناس فيها وتنشطهم الى تذوقها والاقبال عليها والتحمس لها بوصفها العامل الجامع المانع الذى يربط جميع تلك الشعوب بعضها ببعض ، والذى لا يمكن أن تتم لنا وحدة ما لم يتم لنا اصلاح ما اعوج من هذا العامل .. وأى وسيلة جماعية لاصلاح هذا العوج أقوى من الوسائل المسرحية التى بلغت من السلطان والقوة والجاذبية ما وصفنا ؟

فهذا هو الذى نعيبه على دراسة اللغة العربية فى كلية هذه اللغة .. لقد آن ان يكون للمسرح والدراسات المسرحية من تاليف ونقد (واخراج وتمثيل ايضا) نصيب كبير ضخم فى منهاج الدراسة فى تلك الكلية .. وفى أشباهها من الكليات وأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية .. ونحن انما نخص كلية اللغة العربية بالذكر لان الاوان قد آن لكى يكون لنا مسرح دينى ومسرحية دينية .. ومن من الدارسين المسلمين أحق بانشاء مسرحنا الدينى وأعرف بالمصادر الدينية التى يلجأ اليها كتاب هذا المسرح يتهاون منها لمسرحياتهم من ابناء الازهر فى كلية اللغة العربية ، وفى كلية اصول الدين على النحو الذى بينا من قبل ؟

***

ان أبناء الازهر فى هاتين الكليتين لو قاموا بذلك العمل الجرىء لأدوا لأمتهم وللغتهم ولدينهم اعظم خدمة لم يعد فى وسع المنابر والخطب والاحاديث ان تقوم بها ، بعد أن غلبتها المسارح والمسرحيات ودور السينما والاذاعة والتليفزيون على قلوب الناس ..

لقد اصبح التاليف للأوساط المسرحية الأربعة

فنا يدرس فى جميع جامعات العالم ، ولا تكاد توجد جامعة فى اوربا أو امريكا اليوم لا تجعل للدراسات المسرحية كرسيا مستقلا عن سائر الدراسات الادبية أو اللغوية ، وذلك بعـد أن اصبحت المسرحية أهم أدوات الاتصال بالجماهير فى العالم كله ، وبعد أن أصبحت أداة لا غناء عنها لبث ما تتوق الدول الى بثه من دعاوات ، فضـلا عن نشر ثقافتهـا وافكارها وفلسفاتها ورسالاتها الاجتماعية والانسانية ، وفضلا عما تخدم به لغتها وآدابها فى كلا الميدانين الداخلى والخارجى على السواء ، واكتساب الاصدقاء فى جميع أركان الارض .

* * *

فـلا بد اذن من أن يعيش برنامج الدراسة فى كلية اللغة العربية فى العصر الحـاضر ، ولا بد أن يدرك احتياجات هـذا العصر الثورى الذى يعيش العرب فيه .. ولا بد أن يدرك ان المسرح والسينما والتليفزيون والاذاعة أصبحت أهم أدوات الاتصال بالجماهير ، وأن المسـارح ودور السينما والاذاعة والتليفزيون أصبحت تؤثر اللغة الدارجة لانها لم تجد من يكتب لهـا باللغة الفصحى ، وأن طواحين هذه الاوساط المسرحية كلهـا لا تجـد ما تطحنه من المسرحيات والتمثيليات الا مما يكتبه لهـا الذين يفضلون الدارجة على الفصحى لسهولتها ويسرها واقبال الجماهير عليهـا ، لان كلية اللغة العربية وما اليها من الكليات وأقسام اللغات تؤثر أن تعيش فى العصر الجاهلى وسائر العصور التى تلته ، وأن تتكلم بلغتها وتشتغل بآدابها ، دون أن تحفل مثقال ذرة بالعصر الحديث وأدبه ووسـائل الاتصـال بجماهيره .. بل هى تستـعلى على هذه الوسائل وتعدها هزلا لا يليق برجال الازهر .. ناسيه أنها بذلك الموقف الرجعى الذميم تنقطع عن قافلة هذه الامة ، وتفصل نفسها عن أهم وسائل التفاهم العلمى والنفسى والثقـافى والاجتماعى فيه ، ملحقة الاذى أشد الاذى باللغة العربية نفسها ، وبالرسالة الدينية وبالتاريخ الاسلامى الذى نجح هيكل والعقاد وطه حسين وغيرهم نجاحا عظيما فى احياء الكثير من تراثه ولفت الانظار الى روائعه التى تسحر النفوس وتبهر الالباب ، ولم يكن باقيا الا أن يوجد كتاب مسرحيون يعرضونه لنا على خشبة المسرح أو شاشة السينما او عن طريق الاذاعة أو من خلال أنابيب التلفزيون لتلتفت اليه هذه الجماهير وتفتتن به وتسحرها لغته العربية الفصحى ، ثم لا تلبث أن تتعود الاستماع الى هذه اللغة والانصات اليها والتعرف على محاسنها ، وتكون هذه هى الخطوة الاولى لنصرة هذه اللغة التى اهملت فى المجالات المسرحية بجميع أنواعها ، بل اهملت اهمالا تاما فى عالم الاغنية والانشودة ، فلم نعد نسمع منها فى هذا الميدان شيئا .. اللهم الا القليل النزر الذى لا يشفى غليلا ولا يطفىء حرقة ، والذى يضيع فى زحمة الاغانى والاناشيد الدارجة التى يفيض الكثير منها ميوعة وبتهافت رخاوة .. وهذا بفضل تقاعس دهاقين اللغة الفصحى وانطوائهم الى أنفسهم ، وتركهم مجالات الفنون بحجة الوقار واستمساكا بأهداب الحشمة .. كأن الفنون الجمالية حرام على الازهر والازهريين ، وكأن نظم أغانى القوة وأناشيد الحمـاسة وكتابة المسرحية التى تسمو بالاذواق وترتفع بمسـتوى اللغة وترسم القدوة للضالين عبث من العبث الذى لا يليق بأبناء الازهر الشريف .

* * *

على أن تحريم هذا الميدان على الازهريين يحرمهم من ميدان عمل شريف أصبح يدر على العاملين فيه ارزاقا لم يكن المؤلفون يحلمون بها قبل عشر سنوات فقـط .. بل لم يكن الممثلون والمخرجون ومصممو المناظر يحلمون بها أيضا قبل ذلك التاريخ .. ونحن نقول هذا الكلام ونعنى مانقول ، ولمن يشاء ان يسأل عن هذا ويتحقق منه .. اننا نطالب بأن يكون من خريجى كلية أصول الدين وكلية اللغة العربية .. بل من خريجى كلية دار العلوم وخريجى أقسـام اللغة العربية بالجامعات المصرية مؤلفون مسرحيون وممثلون ومخرجون ومصممو مناظر .. لان وجود هؤلاء فى الوسـط الفنى المسرحى جزء ضخم من رسالة الازهر .. ان فيه احياء لرسالة الازهر فى العصر الثورى الحديث بوسائل العصر الحديث الذى نعيش فيه .. واعـود فاقول اننى اعنى ما أقوله واطالب به هنا لاننى عرفت فى المعهد العالى للفنون المسرحية طلبة من الازهر الشريف ومن المعاهد التى تربطها بالازهر الشريف صلة .. التحقوا بهذا المعهد وتخرجوا فيه وكانوا من النوابغ فى فنونه .. وكان منهم المؤلفون المسرحيون والممثلون .. وكانوا من المبرزين الممتازين بأخلاقهم وتدينهم .. بل أنا أعرف بعض المؤلفـين المسرحيين الازهريين الذين يحملون اجازة العـالمية .. وقد كانوا يشرفوننى بعرض

البريد الأدبي

القى الينا البريد جملة ضخمة من رسائل القراء الافاضل يستقبلون بها عودة الرسالة استقبال الابناء البررة لأمهم الحنون بعد غيبة طويلة فى منفى او مرضة ثقيلة فى مستشفى . فكانت كل رسالة من رسائلهم طاقة من الزهر المنثور او المنظوم تملأ العين بالجمال وتغمر النفس بالعطر . وقد رأينا من واجب التقدير والشكر ان نلخص طائفة منها فى هذا العدد ، لانها فضلا عن ذلك تعبير من الأدب وتوجيه من الرأى وتشجيع على التقدم .

فمن رسالة .. للاستاذ حامد بدر ..

« أكتب مهنئا بهذا الانتصار العظيم الذى احرزتموه فى عودة الرسالة ، بعد أن دار الزمن دورته ليثبت حاجة الأدب والأدباء الى ملء هذا الفراغ الكبير .

كان احتجاب الرسالة تعطيلا لأقلام ممتازة ، واطفاء لأشعة هادية ، وحرمانا لأدباء وذواقين ، وطلاب أدب وفن ومعرفة .. وكان – قفلا – وضع على أفواه شعراء يجيدون الشدو والانطلاق والتعبير

.. وكان كارثة اصابت الناطق المؤثر والأديب المعبر والكاتب المصور .. اصابت كلا بالوجوم فكل لايكاد يبين ! ولابد ان ينتج احتجاب الرسالة ما ذكرت ، لان تلك المجلة كانت صلة تصل انسانيات ممتازة بعضها ، أو كانت قطبا يجذب حوله خاصة من ذوى القلوب الموهوبة ، او مجالا فكريا للعرب فى شتى بقاع الارض . يقرب منهم البعيد ، ويجمع المتفرق ، ويكون منهم وحدة قوية مرموقة .

ومن كلمة للاستاذ سالم الخولى المستشار ..

ثم عادت الرسالة من جديد

فعاد لعارفى فضلها الأمل الباسم من جديد . وكان أليما ان تغيب . وان تحتجب عن ميدان الفكر الحر والادب الحر فى العهد الجديد وهى التى مهدت باقلام كتابها وعلمائها وشعرائها للعهد الجديد من قبل قيام الثورة بعشرين سنة . وكانت فى طليعة المجاهدين فى العالم العربى .

كان لصاحبها الكاتب الكبير الزيات مواقف يعرفها الجميع . مواقف رائعة فى مهاجمة الاقطاع ومحاربة بغى الامراء فى وقت كان الاديب فيه صورة متنافرة من القلق والملق والنفاق والتقية والجبن لان الاديب لم يجد رعاية من الملك لانه جاهل ولا عناية من الشعب لانه غافل ... »

كانت الرسالة مدرسة خالدة للأدب والشعر والفن . ولا زالت آثارها تشرق فى بوارق ابناء مدرستها . فلكتابها الاعلام آيا تبينات فى ضمير الادب العربى والفكر العربى .

ولشعرائها العباقرة روائع خالدة فى واعية الفن الشعرى .

ولقد كان احتجابها عن الظهور كارثة .. ومن عجب أن كبار كتابها وشعرائها امتنعوا عن الكتابة بعدها او أوشكوا ... وحرموا محبى أدبهم وشعرهم من روائعهم .. وكان ذلك وفاء منهم لمدرسة الرسالة .. وبالقسوة هذا الوفاء بالنسبة لمحبى فنهم وادبهم

ومن كلمة للاستاذ ايليا حليم حنا :

لا أدرى أى طريق أسلك لأقدم عاطر تمنياتى القلبية وأعبر عن فرحتى الغامرة بعودة الرسالة .. وهذه تحية يبعث اليكم بها أحد قراء الرسالة منذ أن صدرت ، وواحد من المعجبين بأدبكم الانسانى العميق وأسلوبكم الذى هو ظاهرة ابداعية معبرة فى أدبنا العربى ، وأحد أبنائكم الذين أفسحت لهم رسالتكم المجال وشرفنى أن أنتسب اليها وأكون واحدا ممن كتبوا فيها منذ عام ١٩٤٨ حتى احتجبت .. وللرسالة فضل كبير على كثير من الأدباء الذين اكتشفتم مواهبهم وأتحتم لهم امكانيات التشجيع وفرص التعبير عن المواهب المكبوتة .

احتجبت الرسالة فعشنا مع مجلداتها نرجع اليها

كلما شعرنا بالفراغ الكبير الذى تركته فى نطاق الثقافة العربية والعالمية ·· كنا نعيش مع مجلدات الرسالة بعد احتجابها لاننا لم نجدغيرها يحل محلها ·· وكان احتجاب الرسالة اختبارا لكل ما ولد بعدها ·· لقد مات كل وليد بعد أن تعثر فى الطريق وكان لابد أن تظهر الرسالة ويطلع بها علينا ربانها الماهر واديبنا الأصيل الزيات ، فان سر انتشار الرسالة ونجاحها فى العالم العربى يكمن فى نبوغ ودراية صاحبها فالزيات اديب عربى انسانى محبوب له أسلوبه الذى هو ريشة فنان بارع وله ذوقه العربى الأصيل وطول باعه فى الادب العالمى ·· العرب جميعا يعرفونه اديبا رصين الفكرة والاسلوب عميق الصورة والاحساس مخلصا لتراث العرب يعيش مع اسرار اللغة كما يعيش العالم الدؤوب المرهف الحس والعقل والعزيمة ، يحس الحياة القائمة من حوله احساس وعى ومرونة واصالة ذوق ··

لم تنجح المجلات الادبية الاسبوعية التى صدرت بعد احتجاب الرسالة .. واقف عند هذا لاقول أن الرسالة هى المسئولة عن موت كل وليد بعدها فقد أحب القراء الرسالة لانها جعلتهم يتابعون الحياة الادبية فى سيرها الدائب ولم تكن الرسالة كغيرها بعيدة عن عقل الشعب العربى وذوقه وشعوره وتطوره ·· كانت رسالة الرسالة نابعة من صميم الذوق العربى ·· اهتمت بالتراث العربى القديم ولم تهمل التراث العالمى وكانت تعمل على أن يتصل الشعب العربى بدنيا الفكر من جميع أطرافها اتصال معرفة وفهم ·· شعر القارىء العربى ان الزاد الذى تقدمه الرسالة يسمو به وعيا وتفكيرا وحسن مشاركة فى الامور الفكرية والثقافية والعلمية والاجتماعية والفنية والقومية ·· لهذا نشأ تجاوب عميق بين الرسالة وقرائها وفقدت المجلات التى صدرت بعدها هذا التجاوب رغم أنها ظهرت فى ثوب بديع ومظهر أنيق وورق جيد وحروف جميلة وصور فنية عديدة ·· لم تتمكن هذه المظاهر الزخرفية بما لها من أثر قوى أن تشوق القارىء وتجذبه الى اقتنائها وقراءتها ذلك لانها فقدت الطابع المميز للرسالة ، فقدت سر التجاوب بينها وبين قرائها ، ذلك السر الذى جعل الرسالة تحرز شهرة واسعة بين الناطقين بالضاد فى العالم العربى ···

ان عودة الرسالة يعد اضخم حدث ثقافى وقع فى هذا الاسبوع ونحمد الله ان احتجاب الرسالة لم يستمر وان كان قد طال ·· فأهلا برسالتنا رائدة النهضة الفكرية الحرة فى الشرق العربى ·· وأرجو أن تطلع علينا الرسالة حافلة بكل أبوابها القديمة فان معالجة الشئون الفكرية المختلفة هو أحد العوامل التى جعلت للرسالة مكانتها العظيمة فى العالم العربى ·· لقد حوت الرسالة كل ما يثقف العقل ونشرت كل انماط الثقافة فكانت الرسول الطبيعى للروح اليقظة وللفكر الذى لا يريد أن يتخلى عن رسالته ·

ومن رسالة للاستاذ حلمى احمد رمضان عضو البعثة التعليمية بليبيا :

عادت الرسالة فيورك التورة · لانها حققت أمل الأدباء ، ورجاء القراء ، ان عودة الرسالة بالنسبة لعشاق الأدب العربى حدث ضخم لا يقل فى نظرهم عن انشاء السد وتأميم القناة · عادت الرسالة لتصل ما انقطع · ولتجدد ما رث · وكنا قراء الرسالة وتلاميذها نتساءل فى لهفة محرورة · كل شىء فى عهد ثورتنا قد زاد وعاد . وفى ايام الصواريخ عادت شعلة الادب تنتج للصواريخ العربية الطريق · وعادت الرسالة لتأخذ مكانها القيادى والفكرى فى ركب الأدب ، وزحف الفن ، وموكب الثقافة · لقد تنبأت الرسالة قبل احتجابها بالزعيم البطل فظهر ·· وبالصاروخ العربى فانطلق وبهر ، وبالتليفزيون العربى فسبق وازدهر ··

ومن رسالة للاديب احمد حسيب رقيب أول الشرطة ـ الاسكندرية :

عودتنى أبى أن أكون عصى الدمع لا أبكى لألم أو حزن · وبعد أن جاوزت الخمسين وجدت الدمع يطفر من عينى فى مناسبات هى أولى بالغبطة والفرح · لا أدرى أوهن فى احتمال المفاجأة أم رحمة · كل الذى أدريه أن قلبى يخفق فتدمع عيناى فأشعر بالصفاء

الحمد لله على هذه القطرات التى أعتز بها واذكر منها ثلاثا أخيرات

أولاها عند صدور القرارات الاشتراكية سنة ١٩٦١ والثانية لقرار مجانية التعليم والثالثة مزدوجة فى يوم واحد كانت احداها ظهرا والثانية مساء

أما قطرة الظهر عندما فوجئت بعدد الرسالة معروضا على مشجب الصحف وأنا فى طريقى لزيارة

ولدى المريض بالمستشفى . فسارعت اليه وكأني وجدت نفسي واذا بى أجد أستاذنا الزيات كما عهدناه والرسالة هي ذلكم الأمل الذى كنا نفتقده في ميدان اللغة والدين والفكر الاسلامي .

ومن كلمة شعرية للاستاذ ابو نغم محمود هباير ربيع :

عود حميد

« زيات » يا « رب الرسالة »
اديت في الماضى الرسالة
وحملت راية « يعرب »
ورفعت من شأن « المقالة »
وحميت « شرعة احمد »
ونصرت بالاخلاص آله
« عشرون عاما » لم تدع
فيها البراعة والأصالة

« عشرون عاما » خلدت
في سفر « صاحبة الجلالة »
وحكت « عشرا » فانطوت
مهج الأحبة في ملالة
وتطلعت ملتاعة

وتشوفت ترجو عــلالة
فأعاد « ناصر » صفحة
وضاءة كانت مزالة
وتألقت مزهوة
في عيد ثورتنا « الرسالة »

ومن كلمة للاستاذ سعد توفيق حمدى :

اكتب اليكم اليوم مهنئا بعودة الرسالة لتصحح ما اعوج من المقاييس الأدبية ولتعيد الحق الى نصابه .. عادت لتقتلع ما علق بالادب العربى الأصيل وقت احتجابها من شوائب زائفة تافهة ادخلها عليه المضللون . عادت مجلة « الرسالة » لتضىء حياتنا الأدبية بشموع الحق والهدى لتقضى على كل انحراف ولتقوم كل اعوجاج . عادت « الرسالة » لتحتل مكانها في بيت كل عربى وهى التى كانت في الماضي جامعة للشعوب العربية على صفحاتها المضيئة ، كانوا يلتقون ومن ثمار الفكر الشهية التى كانت تقدمها لهم كانوا يأكلون .

وفقكم الله الى ما فيه خير الأدب العربى ورفعة شأنه ونهضته .

والسلام عليكم ورحمة الله .

سعد توفيق حمدى

ومن رسالة للاستاذ مصطفى محمود مصطفى المدرس بمدرسة سرس الليان :

ــ اهنئكم بصدور « الرسالة » الجديد ، وهذا ما كنا نتمناه جميعا نحن قراء العربية ، فقد كانت عودتها سدا للفراغ الخالى في الأدب والذى لم تقدر على ملئه مجلة ادبية عربية ظهرت بعدها في محيط الأدب العربى ــ

ولى أمل ــ ويشاركنى فيه الكثير من قراء العربية في جميع البلاد العربية ــ وهو ان تتفضلوا باعادة طبع أول عدد ظهر من الرسالة بشكله وموضوعاته لنحتفظ به كتذكار لهذه المجلة التى كنا نحبها من قلوبنا . وكان الكثير منا يحتفظ بهذا العدد ، ولكن كثرة تداوله بين أيدى الاصدقاء جعله غير صالح للاحتفاظ أو انه لجماله قطع عليه خط الرجعة ، فلم يعد الينا من هذه الأيدى المتداولة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن رسالة للاستاذ عبده حسن الزيات المحامى :

ــ ... وبعد فانى أبعث اليكم بتهنئتى الصادقة بعودة « الرسالة » الحبيبة ثم بكلمتكم المطمئنة المطمئنة التى اعجبنى منها بخاصة قولكم انها ستكون « مستقلة الرأى ، حرة الكلمة ، لاتستعين بغير الله ، ولا تستلهم غير الحق ، ولا تمالق شهوات العامة ، ولا تمالىء نزوات الخاصة »

ومن كلمة للسيد عزت طنطاوى الخولى :
ــ لقاء جديد مع فرحة غامرة . ونشوة باهرة .. الف مبروك يا سيدى . ونأمل كل الأمل بأن تظل « الرسالة » كما عودتنا محراب الأدباء . ومنار الفكر . ومصباح الأدبيم ــ

واخيرا كلمة رقيقة من السيد فاروق لوقا فبربال أمين صندوق النقابة العامة لعمال الحلاقة والتجميل يقول فيها :
ــ يسرنى ان اكتب هذه الكلمة معبرا عن شوقى لمجلة « الرسالة » قبل الصدور وسرورى بعودتها كل السرور وأتمنى ان يديم الله عليكم توفيقا ونجاحا

أخبار علمية وأدبية

كيف تطورت الاغنية خلال الاحدى عشرة سنة الاخيرة :

اصدر مصطفى عبد الرحمن كتابا بين فيه كيف تطورت الاغنية المصرية خلال سنوات الثورة الاحدى عشرة وقد اطلق على الكتاب اسم « اغنية الكفاح » وقد قامت الدار القومية للطباعة والنشر بنشر هذا الكتاب .

اقامة مكتب مركزى للاعلام بالامانة العامة للجامعة العربية :

قام المكتب الدائم للاعلام العربى برياسة يحيى ابوبكر وكيل وزارة الثقافة والارشاد المساعدورئيس المكتب المشار اليه باعداد مشروع بالاشتراكمع الامانة العامة للجامعة العربية يقضى بانشاء مكتب مركزى بالامانة العامة للجامعة العربية مهمته التخطيط والتوحيد والاعلام يضم خبراء ذوى مستوى عال فى التخطيط الاعلامى .

وقد تضمن المشروع تخصيص الجانب الاكبر من الاعتمادات النقدية للدعاية عنطريق المقالاتالصحفية والمجلات ومن طريق التليفزيون والسينما وذلك بانتاج افلام قصيرة للتعريف بالبلاد العربية وكذلك من طريق اصدار النشرات والكتيبات والصور التى تبرز معالم النهضة فى بلاد الجامعة العربية .

اختراع جهاز للنوم فورا .

وصل الى لندن جهاز « للنوم فورا » قامت بابتكاره احدى الشركات اليابانية ، ويتكون هذا الجهاز من صندوق صغير له زر يتحرك بين مكانين ويحدث صوتا متتابعا يشبه صوت حبات المطر المتساقط ، له نغم منوم ، ويوضع بجانب السرير فيكفل نوما سريعا هادئا . وذكرت الشركة انهلاخطر منه بل انه مأمون حتى ولو استخدمه الاطفال .

حياة الذباب فى كتاب .

اصدر الدكتور ديزان فالنتيرى فى الخارج كتابا من حياة الذباب وانواعهوالمضار التى يحدثها وكيفية مقاومته . وقد ذكر المؤلف أن الذباب له القدرةعلى الحياة فى الاعماق كالمناجم كما انه يحيا على ارتفاع يقارب ١٥٠ الف قدم فوق الارض وقد تحدث عن انواعه فقال انه يوجد اكثر من ٨٠ الف نوع منها مالايزيد حجمه على المليمتر ومنها مايصل طوله الى ١٠ سم ، ثم بين سرعة طيرانه فذكر أنها ٨١٨ ميلا فى الساعة الواحدة ، وانتقل الى كيفية تكاثره فذكر ان حياة الذبابة لاتزيد على بضعة اسابيع ولكن الانثى منه تضع خلال حياتها القصيرة هذه ما لا يقل عن ٥ الاف بيضة ، كما انه ذكر فى كتابه كيفية القضاءعليه والتخلص منه .



كرة من البلاستيك لتبريد المشروبات :

استطاع احد المصريين النابهين وهو الدكتور كمال الجوهرى رئيس مجلس مصانع الثلج من اختراع كرة من البلاستيك توضع فىالثلاجة ليتجمد الماء الذى بها ثم تقوم هى بدورها بتبريد ماتوضع فيه من مشروبات .

اول مطبعة علمية في الجمهورية العربية المتحدة :

قررت وزارة البحث العلمى انشاء اول مطبعة علمية بمركز الاعلام والتوثيق العلمى بالدقى وذلك بشراء ست ماكينات للطباعة العلمية تتكلف ٢٥٠ ألف جنيه ، كما قررت ايفاد أربع بعثات علمية للتدريب على فنون الطباعة العلمية في الخارج .. والغرض من انشاء هذه المطبعة هو طبع الكتب والمجلات والنشرات والابحاث العلمية الخاصة بالمؤتمرات المحلية والعالمية.

تقرر فى وزارة الثقافة والارشاد القومى شراء أجهزة ترجمة الكترونية تقوم بدور الترجمان للسياح الاجانب فى المناطق الاثرية ، وستقوم الاجهزة وهى فى حجم المذياع الصغير « الترانزستور » بالشرح بعشر لغات ، العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والاسبانية والروسية والسويدية والتركية واليونانية .

العلماء فى روسيا

أذاعت روسيا احصاء بعدد هيئاتها العلمية ، الباحثين فيها ، فبلغ عدد الاكاديميات العلمية ٢٥ اكاديمية موزعة على جمهورياتها المختلفة اما منشآت البحث ومعاهده فبلغ عددها ٤٢٠٠ معهد يعمل فيها نصف مليون عالم .

وكان عدد أعضاء اكاديمية العلوم الروسية ١٦٢ عضوا ، يضاف اليهم ٣٥٠ عضوا من الاعضاء المراسلين . وعهد اليهم بتوجيه البحوث لحل مشكلات الانتاج .

انابيب من الخزف

ـ للحصول على طاقة الايدروجين

لتقليد الشمس فى توليد الطاقة الذرية من غاز الايدروجين ، لجأ العلماء الى الخزف والسيراميك لصنع أنابيب وأوعية تتحمل حرارة أكثر من درجة حرارة جوف الشمس .

وتساهم فى صنع هذه الانابيب مؤسسة الطاقة الذرية فى ادكريدج . وتصنع الآن ٨ انابيب قطر كل منها ٥٧ سنتمترا ، ويتفاوت طولها بين ١٩٥ و ١٥٥ سنتمترا . وتصنع من آكسيد الالومنيوم ، وتتعرض لدرجة حرارة ١١٠٠ مئوية تحت ضغط ٣٠ الف رطل للبوصة المربعة .

واذا ما نجحت هذه الانابيب فى احتمال الحرارة التى تصل درجتها الى عدة آلاف من الدرجات ، فانه يمكن توليد الطاقة الذرية من الماء والهواء .

والايدروجين العادى يولد هذه الطاقة في الشمس بالبقاء في درجة الحرارة المرتفعة فترة من الوقت . وفيها تنصهر جميع المواد المعروفة على الارض وتتحول الى بخار .

سفينة الفضاء فى المستقبل

سجل الطيار جوزيف ووكر رقما قياسيا جديدا فى الارتفاع اذ ارتفع الى ٣٥٠ الف قدم (١٠٦٫٨ من الكيلومترات) بطائرة من طراز اكس ١٥ الصاروخية الامريكية . وكان الرقم القياسى السابق ٣١٤٫٧٥٠ قدما . وبلغت سرعة الطائرة ٦٠٢٥ كيلومترا فى الساعة .

وتطلق هذه الطائرة من بطن أخرى تحملها الى ارتفاع ٤٥ ألف قدم ثم تطلقها فتندفع بقوة محركاتها التى ظلت عاملة نحو ١١ ثانية . فرغ فيها وقودها بعد أن أوصلها الى ارتفاع ١٧٥ الف قدم ، ولكنها واصلت الارتفاع بقوة الدفع الذاتى حتى سجلت الرقم القياسى ، وعادت الى الارض بعد ١١ دقيقة .

ويعد هذا النوع من الطائرات سفن الفضاء فى المستقبل اذ يستطيع التحليق فوق طبقات الهواء الكثيفة ثم يعود الى الارض معتمدا على أجنحته . وعقبته الكبرى الآن هى صغر خزانات الوقود فيه .

لانقاذ الضالين والغرقى

لانقاذ الضالين فى الصحارى أو الغرقى فى المحيطات جرب جهاز صغير يثبت فى أطواق النجاة فيرسل موجات راديو تلتقطها الطائرات ، وهى على بعد ١٥٠ كيلومتر ، وبمعونتها تتجه الى الضحية وتنقذه . وقد جربها سلاحا الطيران البريطانى والكندى . وقالا ان بطارياته تصلح للعمل مدة ٦٠ ساعة . وان كانت مخزونة لمدة ست سنوات فانها تعمل ٣٠ ساعة فقط .

وقد استخدم هذا الجهاز فى انقاذ رجل الفضاء « كاربنتر » حين سقط فى العام الماضى بعيدا عن النقطة المقررة لهبوطه بعد ان دار حول الارض .

ابرد ضوء فى العالم :

هـذا الضـوء هو ذلك الذى تحدثه انثى الدودة المتوهجة (الحباب) لتحدد مكانها للذكر ، وهو ضوء اخضر لامع وقد أثبت العلماء انه ابرد ضوء فى العالم لانه طبيعى لايتولد من حرارة .

كيف تحمى بعض الحشرات نفسها من اعدائها :

تتخذ بعض الحشرات لنفسها اشكالا تتقى بها شر اعدائها وتحافظ بها على نوعها فمن الحشرات مايشبه العصا الى حد لايمكن التفريق بينها وبين اى عصا حقيقية كما أن بيضها يشبه تماما حبوب النبات الذى تعيش عليه وبهذه الطريقة تحميه من الطيور ، وهناك فى الحشرات ماتتخذ لنفسها شكل أوراق النبات الذى تعيش عليه .

طيور الباسفيك (المحيط الهادى) تبنى معامل تفريخ لها :

فى جزر المحيط الهادى وفى استراليا بعض انواع من الطيور تقوم ببناء مايشبه معمل التفريخ لتحتفظ فيه ببيضها وصغارها فى حالة من الدفء تكفى لفقس البيض وحماية الصغار من البرد القارس فهى تقوم بجمع الاوراق والاعشاب وتكومها أكواما تكون فى بعض الاحيان أكبر من احجامها ثم تتركها تتعفن وبعد تمام ذلك تقوم بوضع البيض فيها وتغطيه ، وبمرور الوقت تسبب الحرارة المرتفعة التى تولدت فى الاكوام نتيجة للتعفن على فقس البيض . وأحيانا تبقى الصغار فى هذه الاكوام مدفونة لتحميها من البرد ولايبرز منها الا رءوسها .

كيف يمكن تقدير عمر البناء المطمور فى الارض :

نسمع بين الحين والآخر عن اكتشاف مبان أومدن كانت مطمورة تحت الارض ويتبادر الى الذهن أن الارض قد انخفضت ففاص البناء فيها ، وعلى الرغم من وجود عوامل متعددة للطمر والدفن كالزلازل والانهيارات الارضية ، والرمال والاتربة التى تهيلها الرياح على المبانى القديمة خصوصا فى المناطق الصحراوية والمهجورة الا انه يوجد عامل آخر اكتشفه العلماء تقوم به مخلوقات حية تعيش فى باطن الارض وتعمل على رفع السطوح الارضية واضطرابها وتساعد على غوص البناء فى الارض وانهيار اجزاء منه فينطمر بمرور الزمن ، تلك المخلوقات هى الديدان الارضية وقد استطاع العلماء أن يحددوا القدر الذى ترفعه هذه الديدان من السطوح التى تعمل تحتها بمقدار ٣ سم اى واحد وخمس بوصة كل عشر سنوات ، ولذلك فمن الممكن تقدير عمر البناء المكتشف بقياس مقدار بعده عن سطح الارض فكلما ازداد العمق ، ازداد قدم البناء .

(بقية المنشور بصفحة ٣٢)

اعمالهم على .. تلك الاعمال التى كانت تثيرنى وتبهرنى .. والتى لم يكن ينقصها الا الاحساس بالمسرح الصحيح لتكون من الروائع المسرحية .. بل انى انتهز هذه الفرصة فاذكر بمنتهى الفخر والاعجاب تلك المجموعة الباهرة من المسرحيات الاسلامية التى أصدرها أخونا وابن الرسالة البكر منذ أن كان طالبا الاستاذ الخطيب المؤمن المتمكن السيد أحمد الشرباصى ..

اقول هذا الكلام لاعيب بالازهر العظيم أن يهتم بفنون المسرح والا يتحرج من جعلها من ادواته فى نشر رسالته ، لانها أدوات العصر الحديث .. رسالته الدينية والاخلاقية والانسانية .. رسالته فى نشر اللغة الفصحى والتقليل من غلبة اللغة الدارجة فى الاوساط المسرحية الاربعة .. رسالته فى السمو بالوسط المسرحى واشاعة روح الجد فيه ، والتسامى به فوق روح الهزل والطراوة والرخاوة والاسفاف . رسالته فى الوصول الى روح الجماهير بالوسائل التى تهواها هذه الجماهير ..

ولكن ... كيف !

هذا هو الكلام ؟

دريني خشبه

من أحسن القصص

نور الله على الجبال

للكاتبة الانجليزية ماري كوريلي
ترجمة احمد مصطفى حافظ

انقشعت السحب واحدة تلو أخرى ، وانجابت نقب الضباب المتكاثف متثاقلة .. وصارت الجبال الشم في صورة مرئية واضحة المعالم ، بازاء لون السماء اللطيف الداكن الزرقة . وجثم الجليد الرابض عليها أبيض متجمدا ، وبدت أعاليها شامخة قاصية الارتفاع .. ولكن نورا ذهبيا وهاجا اضاء اتجاهاتها نحو المشرق ، وأذاب الجليد المتحجر بدفء اشعته النفاذة ، وأزهرت براعم البنفسج ..

وتقدم رجلان قاتما الهيئة صوب دائرة النور، بعد أن كانا قد تسلقا الجبال ساعات عديدة ، فور رؤيتهما الاشراقة من بعيد .. وها هما يدخلان الآن دائرة النور معا ..

لقد كانا اخوين في قسمتهما ونصيبهما ، ولكنهما حينما انتهيا الى الالق الذهبي اكفهرت جبهتاهما بالحنق وفقدان الثقة .

وقال الاول :

ـ ماذا تفعل هنا يا صاح ؟ ان النور يخصني وحدي !

فقال الآخر :

ـ لا أيها الاحمق .. انك تكذب ، ان النور يخصني أنا !

وازدادت التقطيبة الشريرة تعمقا فوق جبينهما ، ونسيا أخوتهما .. واحتربا .. احتربا بشراسة وبلا هوادة ، باحتدام أعمى .. من اجل كل بوصة من هذا النور الغامر الذي لا يخصهما ولايمتلكانه.. احتربا حتى ذبلت بنفسجات المرج وذوت في قطرات الدم الصبيبة التي أريقت .. ولكن .. سقط بينهما ظل فجأة .. ظل اسمه : الموت ...

وهنا أجفل كلا المتنازعين وتراخت قبضتاهما بارتياع ، ووليا الادبار مسرعين وهما يحجبان عيونهما .. وانطلق الظل الرهيب في أثرهما متابعا .. وغاضت دماؤهما في ثنايا الارض اللزجة السمراء ، وازدهرت البنفسجات مرة أخرى ، وبقي نور الله متلألئا على الجبال ...

* *

وتقدم عابر سبيل عبر النور .. كان عاري الرأس ، مثقل الجفنين .. تريث هنيهة ، ثم نظر ، وابتسم ... لقد كانت أطرافه متعبة ، ويداه خشنتين .. وعلى الرغم من أن وجهه كان شاحبا مجهدا ، الا أنه كان رائعا وسيما .. وانفرجت شفتاه عن تنهيدة جذلة وهو يهتف :

ـ هذا هو النور ! شكرا يا الهي !

وزحف كائن الحب المجنح ـ الذي كان يبكي وحيدا ـ حتى موطيء قدميه ، وقبله .. ثم سأله وهو يشرق بالدمع :

ـ من أنت ؟ من أنت يا من كافحت طويلا كي تهتدي الى النور ـ بلا كلمة حسد فوق شفتيك .. اللهم الا ألفاظ السلام والحمد فحسب ؟..

فأجاب الغريب مبتسما :

ـ انني أعرف بالمنبوذ المتوحد ، وذلك لانني أحمل الاسم الأكثر كرها من الناس ، اسم : الحقيقة .. وفي طول الدنيا وعرضها لا أمتلك شيئا ، ولا حتى مثقال ذرة .. وقد بحثت وحيدا عن النور حتى وجدته ، بينما أنا أبتهل الى معطي النور الذي لم يتح لي أن أكون حاقدا او شانئا ..

* *

ومرة أخرى سقط الظل ، ولكنه استحال القا يتضوأ في النور نفسه .. وجفف كائن الحب دموعه الطفلية الغالية ..

ومن بعيد ، انسابت ترنيمات الملائكة في ريث ، واتسعت رقعة نور الله فوق الجبال ..

ترجمة : احمد مصطفى حافظ

« بالشئون القانونية بمحافظة السويس »

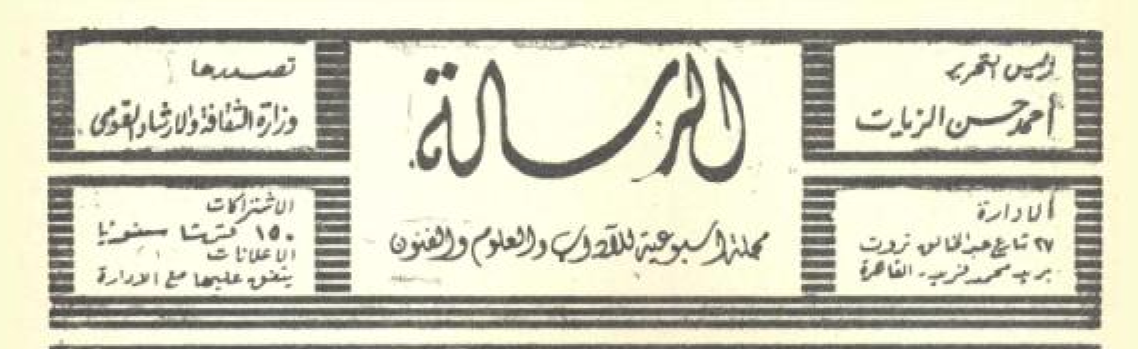

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٢ الخميس ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ - ١٥ أغسطس سنة ١٩٦٣ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

صورة من عهد الاقطاع

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان الفلاح في القرن الماضي يكابد صنفا من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمور وهيئة الناس ليكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه . كانوا من الأرناءود أو الجركس ، وكان عملهم جباية الضرائب على كل شيء ومن كل شخص ، وفي كل وقت ، وبكل صورة ، أو اقتحام الدور للبحث عن المحظور أو المحكور من الملح أو الصابون اذا اقتناهما أحد من غير طريق الحكومة . وكان سبيلهم الى ذلك سبيل الارهاب والعنف . فمتى دخل احدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع ، فلا يملك السائر أن يتقدم ، ولا الواقف ان يتكلم ، ولا الداخل ان يخرج . ثم تخشع في القرية الحياة فلا تسمع حسا ولا حركة الا هرير الكلاب وقوقأة الدجاج وصراخ الصبية ، فاذا خرج منها (الجندي) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة في البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب . فلما انتظمت أداة الحكومة بعد الثورة العرابية انكمش هذا النوع حتى انحصر رهبوته في ضباع الامراء و (جفالك) السادة .

وكانت قريتنا وسبع قرى أخرى متجاورة بمركز طلخا قطائع لعلي باشا شريف في أواخر القرن

الماضي ، وكانت الامارة والادارة فيها لهؤلاء الارناءوود او (الارانطة) كما كنا نقول ، فرضوا عليها نظاما في العيش أخذوه عن حياة الحيوان وعيشه العبد . فكان الناس كما يحدثنا الباقون منهم ، لا يملكون مالا ولا حرية ولا حياة ، وانما كانوا يعملون بالتعذيب ويغلون بالكره ، كما تعمل الماشية بلسعات السوط وهي صابرة ، وتغل الارض بضربات الفأس وهي صامتة .

كان لفظ (المامور) معناه الموت الذى لا عاصم منه ولا مهرب ، ذلك انه كان يخرج كل يوم على جواده الى الحقول ، شاكي السلاح ، كاشر الوجه ، منفوخ اللغاديد ، مفتول الشارب ، متوقد النظر ، كأنه تمثال الرعب او صورة الهولة ! ثم يسير متلفتا ذات اليمين وذات الشمال ، لا ليتفقد العمال ويتعهد الزروع ، ولكن ليبحث عن انسان يعذبه او حيوان يضربه . والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لا ينفكون طول النهار يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه ، حتى اذا أبصروه من بعيد غابوا في مخابىء الارض كأنهم لم يكونوا ! فاذا رجع من طوافه خائب السوط جلس أمام الدوار وأمر أن ترش الارض وان يلقى في وحلها من جاءه في طلب حاجة او رفع مظلمة ! ثم يصيح بالجلاد ان ينهال عليه بالكرباج وهو في خلال ذلك يميد من الغضب ويبربر من الغيظ حتى تهدأ ثورته وترضى كبرياؤه ، وكان العمد والمشايخ منوطين به فلا يسمعون الأمر والنهى الا منه ، ولا يرفعون مشكلات القرى وقضاياها الا اليه . لذلك ظل اهلوها يجهلون ان لهم خديويا غير علي شريف ، و (نظارا) غير نظار الزراعة ، و (مامورا) غير مأمور التفتيش ، وكان هذا (الحاكم) كسائر بنى جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة : يجهل الزراعة ولكنه يأمر ، ولا يعلم القضية ولكنه يحكم ، والجاني المحكوم عليه هو الذى يجرؤ على أن يعقب او يعارض . وكان سادته لا يفوقونه في الذكاء ولا في الرحمة ، فكانوا اذا زاروا هذه القرى – وقليلا ما كانوا يزورون – تنكبوا بنادقهم وخرجوا يقتلون الوز في البرك . والحمام في الاجران ، والكلاب على التلول ، والغربان على الشجر ، ويراهم الناس فيرنون اليهم دهشين من طرابيشهم الحمر على جباههم البيض ، ويظنون أن وراء هذا الرواء جمال القلب وكرم النفس ، فاذا دنوا منهم يطلبون الاحسان والعدل زموا بأنوفهم ومضوا مستكبرين لا ينظرون ولا يجيبون !

اذكر وانا صبى دون اليفاعة ان الناس كانوا يتحدثون عن جبار من هذا الطراز اسمه (زيتل) كانوا يتحدثون عنه كما يتحدثون عن البلاء ، ويؤرخون بعهده كما يؤرخون بالوباء ، لأنه أذل الفلاحين بالخوف والجوع ، وأضاع شبابهم بين التربة والغربة . ولا تزال الالسنة هنا وهناك تتناقل هذه المأساة من مآسيه :

يقولون انه كان في قرية من هذه القرى السبع شاب لم تلد نساؤها اجمل منه وجها ولا اشجع قلبا ولا ارق عاطفة . وكان هذا الشاب بحكم شبابه وجماله وكرمه حبيبا لكل فتاة وصديقا لكل فتى ، ولكنه كان كلفا ببنت عمه . فهى وحدها حافز عمله وغاية أمله وروح حياته

وفي ذات عيشة من عشايا الصيف كان على وليلى عائدين من الحقل وهما يتسمان بالحب الخالص ويبسمان للغد المرجو . فقال الفتى لابنة عمه وهو يقدم اليها آخر قطعة بقيت في يده من الحلاوة الطحنية : الا تشتهين شيئا غير الحلاوة ياليلى ؟ فقالت له بعد لحظة من الصمت الحالم : لا اشتهى يا على غير عنقود من العنب .

عنقود من العنب ؟ ان الثريا اقرب الى يديه من هذا العنقود : وهل رأى في دنياه العنب الا في حديقة (التفتيش) ؟ وماذا يصنع والدنو من سياجها هلاك محقق ؟ ولكن الحب لا يدرك البعيد ولا يعرف المستحيل . وكمن على بعد رجوعه من الغيط في كومة من دريس (الوسية) حتى جنه الليل فقام يتسلق السور من جانبه المظلم . فلما بلغ اعلاه سقط في الحديقة فكانت سقطة في يد الحارس .

وبات على في سجن الدوار ، واصبح الصباح فجلس المأمور والنظار والمعاونون ، ورشت الارض وطرح الجاني وتعاقبت على جسده المعرى ضربات الكرابيج والناس من حوله يضجون بالبكاء ، ويضرعون بالرجاء ، والأغوات يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأنات الضارعة والصرخات المتصلة ، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه الى السجن ! وشفع العمدة لاهله ان يأخذوه . فلما دخلوا عليه لم يجدوا فيه الا حشاشة نفس لفظها على صدر خطيبته أثناء الطريق !

من وحي القرآن

للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

***

نستطيع القول دون اغراق او تحيف للحق بان هذه الآية الكريمة تظهرنا على خاصة من خصائص الاسلام وهو انه دين المساواة والاخاء الانسانى ، وقد كان من الطبيعى ان تكون هذه خاصة من خصائص هذا الدين الذى رضيه الله لنا وللناس جميعا .

وذلك بانه دين عالمى جاء لكل الامم والشعوب الذين تقدم بهم الزمن او تاخر فكان رحمة لهم جميعا ، ولهذا نجد الله جل ذكره يخاطب رسوله المصطفى بقوله : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »، كما يامره صلى الله عليه وسلم ان يقول : « يأيها الناس ، انى رسول الله اليكم جميعا » .

على حين كان لكل نبى او رسول من السابقين قومه المخصوصون لايعدوهم الى غيرهم ، وزمنه الموقوت اذا انتهى خلفه بعده رسول آخر ، ولهذا نجد القرآن الكريم يقول : « والى عاد أخاهم هودا ، والى ثمود أخاهم صالحا ، والى مدين أخاهم شعيبا »، وهكذا .

واذا كان الاسلام هو الدين العالمى الذى ارسل الله به رسوله لكل الناس على اختلاف شعوبهم والوانهم ، كان من المنطق والطبيعى ان يكون ابناؤه جميعا اخوة فى الحقوق والواجبات ، ومن ثم يقول جل شانه «انما المؤمنون اخوة» . ومن شأن الاخوة وبخاصة التى تقوم على رابطة الدين التى هى فوق رابطة الدم والنسب ، أن تعمل على التآلف بين القلوب ، والترابط . بين النفوس ، والتحاب بين الجميع ، والتعاون فى السراء والضراء ، بلا تفرقة بين امة وامة وشعب وشعب ، فى كل مكان وزمان .

ولابد مع ذلك من بيان العامل الاقوى والطبيعى الذى تقوم عليه المساواة والاخاء الانسانى ، وهذا ما بينته تلك الآية الحكيمة . ففيها يخاطب الله جل شانه الناس جميعا بقوله : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » وهذا المعنى الذى تفيده

صورة من عهد الاقطاع ـ بقية ـ

رايت هذه الصورة فى قريتى وانا صبى . ثم تنفس بى العمر حتى رايت فيها صورة اخرى وانا شيخ : رأيت على انقاض (التفتيش) الاقطاعى مبنى للاصلاح الزراعى . ورأيت الارض الواسعة التى كان الفلاحون يسخرون لزراعتها ولا يملك منها الواحد منهم غير أمتار ينام فوقها وهو حى ، واشبار يرقد تحتها وهو ميت ، قد اصبحت بفضل العدالة الثورية ملكا لهم يتمتعون فيها بلذة الاقتناء وحرية التصرف وعزة المالك .

ورايت المستاجرين الذين كانوا يعملون فى خدمة هذه الارض العام كله دائبين ليل نهار ، لا تختلف امراة عن رجل ، ولا يتخلف صغير عن كبير ، ولا تفترق ماشية عن آلة ، حتى اذا اتت الارض الطيبة اكلها ذهب كله الى المالك المرهوب ، اما عينا فى مخازنه ، واما نقدا فى خزائنه ، فلا يبقى للفلاح الا أرغفة من الذرة يتبلغ بها كل يوم ، وجلبابا من القطن يرتديه طول السنة ، وارطالا من اللحم يتذوقها كل عيد ! رايتهم يعيشون افضل العيش : ياكلون اشهى الطعام ، ويشربون أنقى الماء ، ويسكنون انظف البيوت ، ويمشى الواحد منهم وراء حماره وفوق غبيط السماد راديو صغير يحمل اليه غذاء روحه من الثقافة ومتاع حسه من الترفية .

لقد كانوا أذلاء فعزوا واجراء فملكوا . ثم كانوا أداة انتاج لغيرهم فأصبحوا عامل استغلال لانفسهم وكانوا رعايا الاقطاعى كالدواب فأصبحوا رعايا الدولة كالناس ، وكانوا غرباء عن الحكومة فاصبحوا شركاء فى الحكم .

لقد انتقم الله لحرمانهم من المحارم ، وداول الايام بينهم وبين الظالم ، فكانت البؤسى لمن بغى ، وكانت النعمى لمن صبر .

أحمد حسن الزيات

هذه الكلمة الجامعة هو المعنى الذى افتتح الله به سورة النساء اذ يقول : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » .

فانه سبحانه وتعالى يريد بالذكر والانثى آدم وحواء عليهما السلام ، ومعنى هذاانا نرجع جميعا الى اب واحد وام واحدة ، فليس لاحد ان يفخر على غيره بنسبه ، ولا ان يصعر له خده لمال او نفوذ آتاه الله ، ولا أن يتكبر عليه ويجفوه ويتركه وحيدا لايمد له يد العون فى الشدة ، وذلك لانه فى الحقيقة اخ له ، ومن شأن الاخ ان يكون رفيقا رحيما باخيه، وان لم يكن من قبيلته ولا من شعبه ولا من جنسه او امته .

ثم يقول الله بعد ذلك : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وفى قوله « لتعارفوا » دليل واضح على انه يجب التعارف بين القبائل والشعوب والاجناس لا التناكر ، والتواصل لا التهاجر ، والتعاون فيما بينهم على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل جميعا لمصلحة الانسانية كلها .

وهذه الوحدة بين الشعوب لاشتراكها جميعا فى اصل واحد ، والمساواة بينهم جميعا فى الحقوق والواجبات العامة التى يدعوا اليها الاسلام ، نراها واضحة فى سائر تعاليم الاسلام ، كما نراها قد تجلت عمليا فى التطبيق فى قديم الزمن وحديثه .

وذلك كله على خلاف مانراه اليوم بالغرب من التفرقة بين الشعوب ، والسود والبيض ، وبخاصة فى امريكا ، حتى ادت هذه التفرقة الى قضايا ومعارك لاتزال حامية الاوار .

ويذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآيةالكريمة ان الرسول صلى الله عليه وسلم امر بنى بياضة أن يزوّجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا له : نزوج بناتنا موالينا ؟ فانزل الله هذه الآية .

وهناك سبب آخر لنزول هذه الآية لا يبعد عن السبب الاول فى معناه العام ، وهذا السبب ذكره ابن عباس اذ يقول كماجاء فى تفسير الامامالقرطبى:

« لما كان يوم فتح مكة امر النبى صلى الله عليه وسلم ، بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن ، فقال عتاب بن اسيد بنابى العيص الحمد لله الذىقبض أبى حتى لايرى هذا اليوم ، وقال الحارث بن هشام: اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ! وقال سهيل بن عمرو : ان يرد الله شيئا يغيره ، وقال ابو سفيان : أنى لا اقول شيئا اخاف أن يخبر به رب السماء .

فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا ، فدعاهموسألهم عماقالوا فاقروا ، فانزل الله تعالى هذهالآية زجرهم بهاعنالتفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال ، والازدراء بالفقراء .

وقد كان الرسول خلقه القرآن، فكان من الطبيعى ان يسوى بين الناس جميعا مهما اختلفت قبائلهم واجناسهم والوانهم ، ولذلك نجد فى مدرسته أناسا من قبائلوشعوب شتى ، مثلأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وغيرهم من قريش ، وأبو ذر من غفار ، وابو هريرة الذى ينتسب الى احدى قبائل اليمن ، وضماد بن ثعلبة من الازد منقحطان، وخباب بن الارت أخى بنى تميم ، ومنقذ بن حبان ومنذر بن عائذ من البحرين .

كما نجد فى هذه المدرسة المحمدية مع هؤلاء جميعا أناسا آخرين من أقطار شتى ، مثل فروة بن معان من الشام ، وبلال من الحبشة ، وصهيب من الروم ، وسلمان من فارس ، وفيروز من الديلم .

وهكذا نجد المدرسة المحمدية مفتحة للناس جميعا من كل امة ، ومن شتى الاجناس والالوان ، وكلهم يربط بينهم الاخاء الدينى والانسانى على السواء ، كما تسودهم المساواة .

وربما عالج الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الناحية فى مناسبات واحاديث اخرى ، ومن ذلك انه خطب بمنى فى وسط أيام التشريق وهو علىبعير له فقال : « ياأيها الناس ، الا ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لافضل لعربى على عمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود ، الا بالتقوى . الا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : ليبلغ الشاهد الغائب » .

وروى أبو مالك الاشعرى انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لاينظر الى احسابكم ، ولا الى

شخصية شرقية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

اخرجوه من البلاد اخراجا

قبضوا عليه بليل ، وقبضوا معه على خادم له يسمى « أبو تراب » وحملوا الاثنين معا الى مدينة السويس . وهناك طلبوا الى ربان احدى السفن أن يقلهما الى احدى موانى بلاد العجم فأقلهما الى «بوشيهر» ومنها اتخذا طريقهما الى «حيدر أباد» .

وفي مدينة السويس ، وقبل الابحار بلحظات قصار ، التفت حواليه نفر ممن علم بالنبأ ، أو ممن تسربت اليهم الاخبار ، ومن هؤلاء قنصل ايران ، وجماعة من التجار الايرانيين الذين قدموا له مبلغا من المال يستعين به في رحلته فأبى — قدموه على سبيل الهدية أولا ، وعلى سبيل القرض الحسن ثانيا ، ولكنه رفض في كل مرة وقال قولته تلك « احفظوا المال فأنتم اليه أحوج ، ان الليث لا يعدم فريسة أينما ذهب » .

كان رحمة الله ربعة في الرجال بادنا ، قوى البنية ، حاد النظر ، أسمر اللون ، مسترسل الشعر ، يلبس جبة وسراويلات سوداء ، وعمامة صغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة . أوتى حظا عظيما من سمو النفس ، ومتانة الخلق ، وتوقد الذكاء ، وقوة الذاكرة ، ودقة الملاحظة الى جانب العلم الغزير ، والنشاط الذى لا يكل ، والشجاعة التى لا تعرف الخوف .

***

عاش في مصر أيام اسماعيل وأيام توفيق وكانت البلاد تتمخض عن أزمات اقتصادية ، واجتماعية ، وفكرية ، وسياسية ، فلعب دوره على أتم ما يكون الدور .

كان يكره الانجليز لاستعمارهم بلاد الناس ، وكان يكره الخليفة لظلمه واستبداده ، وكان يكره اسماعيل لعبثه واستهتاره ، وسرفه وبذخه ، واغراقه مصر في الديون ، وكان يكره توفيق لضعفه وخوره . وكان يحارب كل أولئك ، ويحارب في جميع الميادين في وقت واحد دون أن يصيبه فتور ، أو كلال ، أو ضعف ، أو خور .

من وحى القرآن — بقية —

انسابكم ، ولا الى اجسامكم ، ولا الى اموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وانما انتم بنو آدم واحبكم اليه اتقاكم » .

واذا كان الاسلام يدعوا الى المساواة بين بنى البشر كما يظهر ذلك جليا من هذه الآية الكريمة ، فانه بذلك يدعو الى الاخاء بينهم ، وهذا امر بدهى لاحاجة لاطالة الكلام فيه بعدما ذكرناه .

وهذا الاخاء الانسانى الذى يدعو اليه الاسلام وتظهرنا عليه هذه الآية والاحاديث التى ذكرناها ، هو اخاء مثالى ، اخاء يربط بين القوى والضعيف ، والشريف والخامل ، وصاحب الجاه وغيره من المستضعفين ، بل انه ليربط بيننا وبين من يقيم بديارنا من غير المسلمين ، اذ يجعلهم شركاء لنا فى الوطن ولهم مثل مالنا من حقوق .

هذا وعمر بن الخطاب يقول لعمرو بن العاص والى مصر فى عهده : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » ، وذلك لان الحرية تستلزم بطبيعة الحال المساواة ، كما تستلزم الاخاء وبخاصة بين ابناء البلد الواحد .

وقد قال عمر بن الخطاب هذه الكلمة لوالى مصر حين ضرب ابنه ولدا قبطيا ضعيفا ، فذهب شاكيا اليه ، وكان أن انتصف له من عمرو وابنه .

ويختم الله تلك الآية الحكيمة بقوله : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وبذلك استحدث الاسلام مقياسا جديدا للاخلاق والمعاملة بصفة عامة ، غير المقاييس التى عرفها رجالات الاخلاق فى الزمن القديم والحديث ، فان الناس يتفاضلون فى الحقيقة وفى شريعة الله ورسوله بتقوى الله وبقدر مايؤدون للدين والوطن من خدمات ، وحرى بهذا المقياس ان يجمع بين الناس ويؤاخى بينهم ، مادام لايفرق بينهم فى التقدير بسبب اجناسهم والوانهم .

الدكتور محمد يوسف موسى

● قضى الله ان يكون هذا المقال آخر ما يكتب الاستاذ رحمه الله رحمة واسعة ●

كان يجيد فن المبارات السياسية ، ويرى أن العقل أعظم قوة تقدمية ، وأن الأمة الاسلامية لم تضعف وتصبح فريسة للاستعمار الا بعد أن ضعف عقلها واضمحل وعجز عن الانتاج . ومن هنا كان أسلوبه المفضل في الحرب العوان بينه وبين الخصوم أن يوقظ هذا العقل من سباته ، وأن يرد له قوته ونشاطه ، وأن يسلطه في كل ميدان من ميادين الحياة في الأمة الاسلامية .

***

وكانت وسيلته الى كل ذلك الاعتماد على الجدل في الاقناع ، وعلى الحوار والمناقشة في التربية والتعليم . ومن هنا جاء قولهم عنه بأنه قوى العارضة ، ميال الى المعارضة ، طويل الحجة ، واسع المحفوظ ، نبيه يكاد يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر .

***

اتخذ من بيته ، ومن المحفل الماسوني ، مدرسة يمرن فيها التلاميذ على الخطابة ، وعلى الكتابة ، ويعدهم للعمل ، ويوقظ فيهم عواطف الوطنية ، والميل الى النظم الدستورية ، والى الحياة الحرة الكريمة .

واتخذ من الصحافة منبرا يخاطب من عليه الناس، وكانت صحيفة مصر تحتضنه وتفتح اليه ذراعيها فكتب فيها الكثير من المقالات بالاسماء المستعارة ، لأنه كان يكتب في اليوم الواحد اكثر من مقال يوقع واحدا منها باسمه والآخر باسم مظهر بن وضاح .

واتخذ من فكرة الاصلاح الديني الوسيلة المفضلة لايقاظ هذا العقل الاسلامي ، ولمحاربة الانجليز والخليفة على السواء .

***

كان يرى أن الاصلاح الديني يؤدي حتما الى الاصلاح السياسي بما يبثه في الطليعة ، وفي رجال الفكر ، من بحث عن حكمة الخالق في كل ما خلق ، وفي كل ما اوحى به من تشريعات ، وفي كل ما أنزل من الأوامر والنواهي .

كان يرى أن الذي يبحث عن حكمة الخالق في كل ذلك منته حتما الى البحث عن حكمة المخلوق في كل ما يفعل . ان الذي يناقش ملكوت السموات لا يعجز عن مناقشة ملكوت الارض ـ وذلك في السياسة هو لب الاصلاح .

ان مناقشة السلطة التنفيذية فيما ترى ، ومحاسبتها عما تفعل ، كان المطلب الرئيسي الذي يطالب به رجال السياسة في ذلك الزمان ـ والاصلاح الديني موصل الى ذلك باعتباره حركة فكرية تقدمية .

على أن الرجل لم يقف من الاصلاح الديني عند هذا الحد من اليقظة العقلية والفكرية وانما مضى الى أبعد من ذلك فعمد الى عملية الربط بين المعاني الدينية والمعاني السياسية ، يقصد من ذلك امرين : الاول تثبيت المعاني السياسية في الذهن عن طريق ربطها بالدين . والثاني محاربة استبداد الخليفة ـ صاحب السلطة الدينية الاولى في المجتمع الاسلامي ـ ببيان بعده عن المعاني الحقيقية للدين ، ومخالفته لما يأمر به الدين . ومن هنا كان تفسيره لآيات الشورى في القرآن الكريم على أن القصد منها هو النظام النيابي أو البرلماني ، وكانت محاربته لفكرة التقليد . ودعوته العقل الاسلامي الى الرجوع الى المصادر الأولى للدين من قرآن كريم ، وحديث شريف . يريد بذلك زعزعة سلطان الخليفة ، وزعزعة سلطان أعوان الخليفة الذين يسيطرون على الناس ويوجهونهم الى حيث يريد الخليفة والحاكم ـ باسم الدين .

دعوة أخرى دعا اليها هذا الرجل ، واتخذ فيها الدين سلاحا قويا فعالا ، هي الوحدة الاسلامية ، يقصد من ذلك محاربة المستعمرين وفي مقدمتهم الانجليز .

والوحدة التي كان يدعو اليها هذا الرجل لم تكن الا وحدة الهدف ـ وحدة المبدأ والعقيدة ـ وتلك هي اقواله « أيا بقية الرجال ، ويا خلف الابطال ، ويا نسل الاقيال ، هل ولى بكم الزمان ؟ هل مضى وقت التدارك ؟ هل آن أوان اليأس ؟ لا ، لا ، معاذ الله أن ينقطع أمل الزمان منكم .

***

ان من أدرنه الى بيشاور دولا اسلامية متصلة الاراضي ، متحدة العقيدة يجمعهم القرآن ، لا ينقص عددهم عن الخمسين مليونا، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة ، أليس لهم أن يتفقوا على الذب والاقدام كما اتفق عليه سائر الأمم ؟ ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم فالاتفاق من أصول دينهم . هل أصاب الخدر مشاعرهم فلا يحسون

بحاجات بعضهم البعض ؟ أليس لكل واحد أن ينظر الى أخيه بما حكم الله فى قوله « انما المؤمنون اخوة » فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المندفعة عليهم من جميع الجوانب .

لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الامر في الجميع شخصا واحدا ـ فان هذا ربما كان عسيرا . ولكنى ارجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته بحياته وبقاءه ببقائه ، الا ان هذا بعد كونه أساسا لديتهم تقضى به الضرورة ، وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات .

هذا آن الاتفاق . هذا آن الاتفاق . الا ان الزمان يواتيكم بالفرص وهى لكم غنائم فلا تفرطوا . ان البكاء لا يحيى الميت . ان الأسف لا يرد الفائت . ان الحزن لا يدفع المصيبة . ان العمل مفتاح النجاح . ان الصدق والاخلاص سلم الفلاح . ان الوجل يقرب الأجل . ان اليأس وضعف الهمة من أسباب الحتف ...

ورجاؤنا ان اول صيحة تبعث الى الوحدة وتوقظ من الرقدة ، تصدر عن أعلاهم مرتبة واقواهم شوكة .

ولا نرتاب فى أن العلماء العاملين ستكون لهم اليد الطولى فى هذا العمل الشريف ... »

***

اما الأسباب التى دفعت الى اخراجه من البلاد وابعاده عنها فتتلخص فيما يلى :

كان توفيق من الذين ينتسبون الى المحفل الماسونى ويتصلون بالرجل اتصالا مباشرا ، وكان الرجل يوليه عناية خاصة باعتباره الخديو الذى يرث حكم مصر بعد اسماعيل ، وكان يعده لان يكون حاكما ديمقراطيا يؤمن بالدستور والحرية ومبدأ فصل السلطات ـ حتى لقد كان يسعى فى التعجيل لهذا الامر . ولقد واتته الفرصة حين اختلت أمور مصر المالية ، وارتبكت شئونها السياسية ، وعظم فيها النفوذ الاجنبى ، وتدخلت انجلترة وفرنسا وغيرهما لحماية شئونهما المالية . اذ فى ذلك الوقت تكلم بلسان حزب سياسى كبير يعمل فى مصر من أجل مصر . يعمل فى الخفاء ، وعلى استعداد لأن يعمل فى العلن ، ما دامت الامور قد وصلت من السوء الى هذا الحد . تحدث بذلك الى بعض قناصل الدول والى مكاتبى الجرائد الاجنبية وبخاصة صحيفة التيمس .

هال هذا الأمر الانجليز ، وأمراء البيت المالك ، وأخذت الوشايات طريقها الى كل من بيدهم الأمر ، وأصبح الرجل عند كل أولئك المهيج الخطير ـ لا الوطنى الكبير .

وعندما خلع اسماعيل وتولى توفيق أمور مصر خشى على نفسه وخاف على سلطانه من هذا الرجل ، فلقد عرفه ، وعرف كيف كان يربى الناس على الجرأة والشجاعة ، والتضحية بالنفس فى سبيل المبادىء الوطنية والنظم الدستورية . لذلك لم يلبث أن استجاب لمن يكرهون الرجل من الانجليز والأزهريين ، وقبض عليه وأخرجه من البلاد .

***

ولد هذا الرجل فى أسعد اباد من أعمال كابل . وقد عنى والده بتربيته وساعده على ذلك فطرة ابنه السليمة . ولما أتم دروسه الاسلامية على الطريقة التى كانت معروفة ببلاده رحل الى الهند وتلقى هناك العلوم الاوروبية وأساليبها فى تنمية العقل والفكر . ثم قصد بلاد الحجاز فحج بيت الله الحرام وطوف ما طوف فى بلاد الجزيرة .

بعد ذلك اشتغل بالسياسة ولقى فى سبيلها أكثر مما يلقاه أى مجاهد فى سبيل وطنه فقد عاش غريبا أكثر أيام عمره ماتكاد دولة تلقاه حتى تلفظه الى أخرى وهو فى كل ذلك البطل الشجاع الذى لا يدركه اليأس .

وكانت نهاية المطاف خمس سنوات قضاها الرجل فى قفص من الذهب أعده له خليفة المسلمين ليأمن شره .

***

ولد الرجل سنة ١٨٣٨ وتوفى سنة ١٨٩٧ وشاع يومذاك أنه قد مات مسموما . أشار بالسم خليفة المسلمين ، وقام بالتنفيذ أعوان أبى الهدى الصيادى أقرب المقربين الى هذا الخليفة .

أظنك قد عرفت الرجل .

لقد كان يدعى بالسيد جمال الدين ـ جمال الدين الافغانى .

دكتور محمد أحمد خلف الله

المادة فى موازين العلم المعاصر

للأستاذ فتحى عثمان

اذا كان الفكر المعاصر قد فتر حماسه للاستغناء بالمعرفة الحسية وحدها ، ذلك الحماس الذى استهلته كشوف العلم منذ مطالع العصر الحديث، ان العلم المعاصر قد نفى عن المادة صلابتها وكثافتها ايضا ، فلم تعد رمزا ساذجا للوجود المحسوس ، وانما غدت تعبيرا عن قوى وعلاقات وحركة دائبة ...

وهكذا اهتز الحس كوسيلة للمعرفة اليقينية اهتزت حقيقة المادة كموضوع للمعرفة اليقينية ..

فى مطالع عصرنا الحديث ، نقرأ عن جاليليو انه ادخل الرياضيات فى الطبيعة كنسيج داخلى وذاتى لها ، وتعبير صحيح عنها ، وارتأى العالم فى ذلك اداة كافية لحتمية السلامة والصواب بالنسبة لما يتوصل اليه العلم من نتائج . وكتب جاليليو : « ان المعرفة الانسانية تعادل العلم الالهى فى يقينها الموضوعى ، لانها تصل الى ادراك ضرورتها الى حد لا يمكن ان تقوم ثقة أعظم من ذلك » !! واذا تابعنا هذا التفكير امكننا القول بأن معرفة طرق سير الطبيعة قد ولد من الناحية الكمية . ولما اكتمل تكوين الميكانيكا بوساطة الرياضيات على يد نيوتن وموبير توبيس ولاجرانج ودالمبير كتب لابلاس يقول: ان العقل اذا توصل فى وقت ما الى معرفة كل القوى التى تحرك الطبيعة ، واحوال الكائنات التى تتكون فيها ، واذا كان هذا العقل من الاتساع بحيث يخضع هذه البيانات للتحليل الرياضى ، فانه سيجمع فى نفس المعادلة حركات أكبر الاجرام الارضية واصغر الذرات ، ولن يخفى عليه شىء ، وسيكون المستقبل والماضى ظاهرين لعينيه !! (١)

وتتابعت البحوث والكشوف ...

واذا بنا فى القرن العشرين ترى العلم قد صار اكثر تواضعا ...

لقد شهدت السنون الاولى من هذا القرن نظريتين خالدتين اصبحتا محور البحوث كلها ومنارا للباحثين عن حقيقة الوجود : عن المادة ، عن الاشعاع عن الطاقة ... نظرية الكم لماكس بلانك ونظرية النسبية لانشتاين : النسبية الخاصة سنة ١٩٠٥ او النسبية فى شكلها العام فى سنة ١٩١٦ م .

اما النسبية الخاصة

فقد خلص منها اينشتاين الى ادماج الزمان فى المكان واعتبارهما وحدة لا غنى لاحدهما عن الآخر . واستنتج اينشتاين بعبقريته من هذه الوحدة اعظم قانون للبشر : ذلك **ان المادة هى الطاقة ، وان الطاقة هى المادة** . واوجد المتساوية التى بمقتضاها تعرف قدر الطاقة من قطعة من المادة — ايا كان نوع هذه القطعة ، وهى علاقة ادخل فيها مربع سرعة الضوء. فالقلم مادة اى طاقة ، والوردة الجميلة مادة — اى طاقة . ولو امكن تحويلها كاملة الى صورتها الحقيقية لامكن تسيير قاطرة بها من القاهرة الى الاسكندرية وبالعكس ، ثم يبقى من طاقتها مايمكن به تكرار المسير ! وقالب الطوب الاحمر الذى وزنه كيلو جرام واحد فيه طاقة تعادل ٢٣٥٠٠٠ حصان ساعة !!

اما النسبية فى شكلها العام : فقد تناول فيها اينشتاين الجاذبية ، وفسرها بطريق تختلف عن طريق نيوتن ، وكان لتفسيره الجديد اثر فعلى فى معارف الكون وفى فهم الكون وتجديده فأصبحنا امام كون محدود ، لا كون لا نهائى — كما تصوره اقليدس !!.

وهكذا نزلت المادة بعد نظرية النسبية وابحاث الذرة من عليائها ...

يقول راندال : « لقد اعتبر علم القرن التاسع عشر ان حركة المادة هى العملية النهائية والشكل الاخير للطاقة ، **اما الطاقة الذرية فانها قد اصبحت فى هذه الايام اكثر اساسية من المادة وعلى ذلك فان علمنا لم يعد اليوم علما ماديا اذا اردنا الدقة فى** التعبير ، وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول **مثل ما لسلوك حقل الاشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص لذلك** السلوك » !!.

ومن هنا قال السير جيمس جنيز علامة الفلك : ان الكون فى نظرنا اليوم اشبه بفكرة كبيرة منه بآلة ضخمة » !!

« ويقول ان المادة اليوم لا تمد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فان الحقيقة

المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ولا تزال ترتد الى أصولها حتى تؤل الى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الاثير وميدان الفضاء !! **فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته ، وأصبحت في تقدير الثقات عملية رياضية أو نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب !** وقد جاز لعالم كبير كالسير جينز ان يعتبرها كذلك وان يقول : ان المعرفة الجديدة تضطرنا الى تفتيح خواطرنا العجلى التي أوحت الينا اننا وقعنا في كون لا يحفل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداء ، ويلوح لنا ان الثنائية العتيقة التي تقول بالعقل والمادة ويرجع اليها افتراض العداوة المزعومة آخذة في الزوال ، **لان المادة الجوهرية تحيل نفسها الى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف ان الكون يبدي الدليل على قدرة مدبرة او مسيطرة لديها العقل !!**

وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آثر ادنجتون ان يقول : « ان ملكات الانسان التي يمازجها الشعور الديني هي وقائع الكون اذا كان الانسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعي ، وهو من اهم العوامل الكونية » !!

وقد تلقى فلاسفة (الروحية) اعترافات العلم ليعيدوا للفكر والتأمل والتجريد سابق مكانتها الرفيعة ... وهذا هو القس البريطاني الدكتور كاربنو يقول في كتابه عن « المسيحية » :

« ان العلم على اختلاف أنواعه قد صار اكثر تواضعا ، واكثر رغبة في الاعتراف بأن مهمته هي ان يقيس ويصف اكثر من ان يفسر ! وقد اوضح اينشتاين امامنا ان معاييرنا ان كانت صادقة في اطار حياتنا على ظهر الارض فهي ليست مطلقة ، ثم ان الابحاث الطبيعية قد أحالت الذرة من صورة كرة البليارد المحكمة التي كانت مفروضة دهرا الى وحدة من طاقة او قراءة لمؤشر على لوحة مدرجة !!

ولم يعد التبشير بالحتمية القديمة كما كان ، وانقذ العالم من القالب الحديدي الذي ارتج عليه في القرن الاخير ، ولم يعد من الممكن اصدار التنبؤات في اعتداد كما كان يحدث في الماضي ! وأخيرا فان العالم كما يصفه علم الطبيعات مطلق للغاية ، وهو في جملته مجموعة من المعادلات ، حتى انه من الواضح تماما انه ليس العالم الحقيقي الذي نحيا فيه حياتنا ! ورجال العلم المسيحيين يخجلون من محاولة تبيان ما تجعله تفسيراتهم الجديدة للطبيعة او اشياء كالمعجزات واستجابة الدعاء بصورة مباشرة ، ولكن المغزى الواضح هو وجود أشياء في السماء والارض تربو بكثير على ما كان يراود أحلام الفلاسفة أو رجال الدين » !!

أما الدكتور ميلر بروز الاستاذ بجامعة ييل الامريكية فيقول :

« من الواضح ان هناك حربا باردة بين العلم الطبيعي والدين، هذا النزاع لايمكن حله بأن تختار بين العلم والدين ... ان العلم والدين هنا ليبقيا ، وان الحقيقة التي نزل بها الوحي لو جاءت في قالب من تصورات العلم الحديث عن الكون ما كان لها معنى عند القوم الذين أرسلت اليهم ، بل لم يكن من الممكن اطلاقا ان يعبر عنها بلغتهم اذ ذاك !! هذا الى انها كانت ستحتاج بالضرورة تعديلا فيما بعد ، لان تصوراتنا الحالية ليست كاملة ولا نهائية !! ومعضلة الانتفاع بمزايا العلم من غير تضحية القيم الروحية للدين ثارت أول ما ثارت عندما واجهت العقيدة الاسلامية علم الاغريق وفلسفتهم ، غير انها بعثت في شكل جديد عند الاحتكاك بالعلم الحديث كجزء مما نسميه المدنية الغربية ... ان الدين يجب ان يظل ثابتا في اصراره على اخضاع العالم الطبيعي والمادي للعالم الروحي ، وعلى اخضاع الزمني للأبدي، ويجب الا يسلم قيد أنملة للدنيوي والمادي. غير انه ينبغي له ان يعلم ان اهدافه تشمل توفير المعيشة الطبيعية والاجتماعية الحسنة للناس في هذه الحياة ، وألا يدع الحركات السياسية والدنيوية تحتكر الجهاد ضد الفقر والمرض والجهل، بل يقوم هو بهذا الجهاد ويقوده ... ان خدمة الانسان جزء أساسي من عبادة الله ، وهي اضمن طريق لرضوان الله في الدنيا والآخرة » .

وهكذا تواضع العلم ، وتعدل النظر الى المادة ، وتطامن الحس كوسيلة وحيدة للمعرفة اليقينية .. واصبح هناك مكان شاغر في بناء فكرنا المعاصر ، ينتظر ان يشغله ما وراء المحسوس من جديد ... ولكن بمفهوم جديد ، وبأسلوب جديد !!

فكيف حاول الانسان أن يملأ الفراغ ...مادامت الطبيعة تأبى الفراغ !!!

(فتحي عثمان)

نافذة على ديوان

أنا والليل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

ديوان يظهر وشاعرة تحتجب فصاحبة هذا الديوان السيدة الشاعرة جليلة رضا غدت بعيدة المزار حتى أصبح عارفوها يرونها في شعرها ويستطلعونه كما افعل أنا اليوم .. لقد حدثني ديوان (أنا والليل) طويلا وافاض في الحديث .. عن شاعرة ترهقها التقاليد بل تفنيها على حد تعبيرها وتؤرقها الوحدة التي تسرق أيامها فاذا الحياة ضياع وهدر .. شاعرة تشقى بالهجران بملء حساسيتها وشفافيتها تلك الشفافية التي تجعلها تعيش آلام الزهرة الذابلة والامبراطورية الحزينة بل تعيش آلام الثراء ساخرة من زيوفه سخرية مرة في قصيدتها (الى خادمة) التي تقارن فيها بين الترف المترف يشقى مع الوجدان وبين الضنى المجهد ينعم في الحرمان بسكينة الرضا وقناعة المؤمن .

واذا أحببت أن تأتي سريعا
جرس جنبي ينـاديك مطيعا
فاذا القهوة والشـاي أمامي
واذا طيفك يدنو في احترام

غـير أني أتمنى .. آه من قلبي المعنى
أن أكون اليوم أنت .. بيتك المضحك بيتي
فخذي الآن هدومي .. انها تحوي همومي
البسيها ... لاتخافي أن يراك النـاس فيها
انني كم أزدريهـا ... وخذي كيس نقودي
وحليي وعقودي، انها حمل كبير، انها حظي المرير
أنت تجرين كما تجري الحمامة ، وأنا حولي غمامة .

ويقول الديوان ان صاحبته حزينة حزنا تعكسه هذه العبارات : (أرض الخطايا) ، (أجوائي الدجية). (عيني كم تحمل أعباء وكم تطوى بلايا) .. الخ

حتى عنوان الديوان شاعري حزين حزنا غامضا ولعل هذا الحزن الكامن في روحها، قد زادها شفافية ورقة .

انها انسانة يتنازعها الشك واليقين ويمزقها صراع الخير والشر وهي لهذا كله انسانة منطوية تشرب الصمت وتسبح في الظلال ، وتسرح في عالمها الخاص تستبطن نفسها وتتحسس مشاعرها وتتعبه وهي لاتريد أن يقتحم عليها عزلتها النفسية أحد .

ان روحي مثـل أرواح الفراعين القـدامى
لم تزل تبعث من جوف « المسـلات » كـلاما
فاذا شئت وضـوحا ثم نقرت الرخـاما
ضج صوت الروح مذعورا صخوبا .. ثم ناما
اصغ في صمت ولـكن لا تفسر كلمـاتي
فأنا وحدي كتـاب مغلق يطوي حياتي .

ولكن انطواءها ليس خمودا . انه سكون البركان القديم الذي يبدو هادئ الصفحة وفي أعماقه نار تلتهب .

اني أخشى هذا الصمت .. إنه احتراق .. نعم احتراق يضني الشاعرة ويضني المقصود به .. انه صمت من ذلك النوع النافذ ، الساخر المتحدي الذي يعجز كثيرا عن بلاغته .. الكلام .. كلام المتكلمين .

اقرأ معي هذه النفثة :

اطمئن اليوم لن تسمع مني أي كلمـة
سوف يغدو عمرك الباقي معي أهدأ نغمة
كله عندي رضـاء وسرور

أي سخرية :

وبه استسلام أصحاب القبـور
لن اخالف.. لن أناقش.. لن أثور

توعـد :

واذا قلت يمينا أو يسارا ..سأسير

امتثال متهالك :

ولأني سوف أغدو كالغريبـة

أسر وعذاب :

فسـأبدي الاحترامات المهيبـة

ومرارة :

للذي أضـفى على عرش الديار
صـولجانا من وقار
جاهلا حكم الشعور، لاوربي لن أثور

لقد همت بالانفجار .

انما أنت الذي ـ رغم خضوعي ـ سوف تأسف

لقد ثابت ولكنها تتحدى في ثبات القوى وهدوء الواثق .

والى ثورة قلبي ولسـاني تتلهف
انني أعرف قلبي.. انه غر وأحمق
فـاذا لان وأرخى وترفـق
انمـا معناه اني لست أعشق

انها قصة .

ولكن يبدو أنها تريد ان تحتكر الصمت وحدها

فهي تضيق بصمت الآخرين خاصة الحبيب الذي يمزقها ، ككل امرأة ، منه ، سكون ممل يغيظ :

لم اعد اومن بالحب الصموت ، انه كالعنكبوت
فتكلم وتكلم ، لا تدعني اتألم
الحديث الحلو كم يغري ويسكر
انه من ثغرك الصخري سكر
ربما القبلة تبدو كاطار
انما الكلمة صورة ... والحوار
هو روح قد تستتر

انثى مشبوبة بها (حنين من نار) في روحها حب وفي قلبها حب وفي رأسها حب كما تقول .. امرأة شاعرة او نغمة حب سابحة في سماء الخيال او عفهفة شوق تعيش على الاحلام أو رفرفة حرمان غذاؤها الأوهام .. انثى رقراقة شفة تكاد من وجد تطير .. قلبها حرير او كما تقول طفل كالمولود واسع كالسهل آمن كالبيت المفتوح ... ماذا ؟ هنا تفاؤل ! ولكنه لا يلبث طويلا حتى يغلبه الحزن القديم أو الداء القديم فاذا بهذا القلب نفسه كرماد في جوف الموقد .. كالمسرح اذا ختم المشهد ! وبنفس السرعة تنتفض من جديد متخففة من الداء والاعياء حتى غدت خفيفة كعصفور تطير مع النور بعد أن لفظت حبها الغادر .. وانطلقت مع الحياة والاحياء ... انطلاقة قوية ترى كل شيء جديدا متوثبا فالارض تتنفس بقوة بعد أن طرحت عن نفسها ، مثلها ، همها ثقيلا .. والأنجم صارت حرة بعد أن أعتقتها من نظراتها المرة .. حتى (اللمبة) الباكية كفت عن البكاء مثلها وأخذت تبتسم وهي تمسح خديها .

غدت امرأة عالمها السعيد بيت هو عرشها الأكبر بيت ومدفأة وقطة و (أحاديث الجارة) .. ولكنها مرة ثانية أحست دبيب الجرح على الرغم من تأكيدها الفرحة في مثل قولها (وضحكت بقلبي وشعوري) .

ان حزنها له تاريخ فقد شفها الحرمان منذ الطفولة تجرعت القسوة من نبع الحنان .. كانت لها أم ولم تعرف طفولة الشاعرة حنان الامهات .. وجهلت الطفلة الشقية مع هذا المعنى الكبير الأبدي ، معنى آخر .. معنى الابتسام .. قلب رطب تقلقه جهامة وهو الذي يستشرف الى غمامة غاديه : ظل وري .. وترك هذا في القلب الشاعر ندوبا تنز حتى بعد كر السنين .. فيتمنى (كلما عانق حبا وحبيب) .

لو يذوق العطف من أم وتنساه القلوب !
اى أسى عميق

ان الشاعرة تخدع نفسها حين تعلل حزنها بانه طابع الشعراء :

نحن صنف الشعراء   لا نرى غير الكآبة
والأماني والضياء   حول عينينا سحابة

هل تصدق ؟ انها كما أحسب تعكس احزانها هي وتنبع عن نفسها وحسبها صدقا في الشعور والتعبير انها تنبع عن نفسها .

وهل في طاقة انسانة بله شاعرة الا تحزن وقد اجتمع عليها : بنوة محرومة ثم حظ عاثر وامومة جريحة وقلب ظامىء يهفو ولا ينال .

سيدة شاعرة فنانة ولكن الفن والزواج في حياتها يتوازيان ولا يتهادنان حتى رأت الحل في تقسيم حياتها :

لي الفن كفني   وله عمرى وذاتى
وانتهينا .

ولكنها ليست نهاية المتاعب .. ان اللفظ في موضعه من البناء الفني أو من القصة مشحون بالأسى ان الامر لايحتاج الى دليل .. لقد صرحت هي :

وانتهينا ... كتب الحزن على بابي كتابه
، ها هنا داري وهذا البيت لي حصن الكآبة

لقد غدت تسكن الى الظلام تنطلق فيه من قيودها وعذاباتها لم يبق لها الا هذا الليل .. ليل الشعراء فهي تحرص عليه وتذود عنه :

واذا الاشباح مرت ، ابعديها ، ابعديها
انها تقلق حلمي وانطلاقي ورؤاها
ان عندى كلمات دون بدء وانتهاء
واشارات تخاف اللمس في ظل الضياء

ولكنها تنسى حبها الليل عندما تتكلم عن غروب الشمس وتأسى للغروب وكان الأولى بها أن ترى في الغروب وجهه الآخر .. انه رسول الليل .. ليل الشعراء كما تسميه .

انها لاترى في الليل جمالا خالصا .. بل انها تنسى أحيانا انها شاعرة تفلسف المرئيات والحركات فلسفة جميلة وتحيلها جمالا خالصا .. وتذكر فقط أنها انسانة .. أقدارها غضبانة كما تقول .. انها

مهمومة مترعة الكأس بالدموع فاذا الدنيا الفاتنة التي تستحم بأمطار الشتاء عبر عابثة بالبرد من شبا بوحيوية وفرحة ، تبدو بعين الشاعرة الكسيفة البال :

كالسجن الأكبر والأرض عليها كسجينة
وحروف الأنجم كوشوم في صدر ووجه المسجونة
وسماء تعتصر بجهد حالبٍ مقلتها المحزونة
وثياب الأفق مهلهلة بجراح نجوم مطعونة
والجرح الاكبر يستسلم لضماد السحب الدموية
وأمامي الليل كعملاق ينفخ شدقيه بوحشية

وهكذا تنسى أنها شاعرة لها نفس زاهية وخيال ملون صناع يستطيع أن يوشي الاشياء ويخلع عليها سحره ، ماذا أقول .. انها مثقلة بقيودها .. بهمومها .. فاذا لاذت بالطبيعة ترمى فكاكا تبعتها كظلها فاذا بها ترى الطبيعة في مرآتها هي .. صورة منها :

الكروم الخضر تبدو متقلات
في مخاض مستمر وألم
والينابيع تأنت في ثبات
في انتظار السير من كف النسم
والمروج الخضر تحسو في تبلد
كأس شمس تتلظى محرقة
كل حين بعد حين تتنهد
تحت أعباء الأماني المرهقة

مسكينة الطبيعة طرحت الشاعرة عليها اثقالها ثم لم تتخفف .

لقد حدثني ديوان (أنا والليل) كثيرا فطالعني في مستهله بالقصائد الوطنية والسياسية وهي تشغل ما يزيد على ثلث الديوان ثم شرع يقص .. نعم في الديوان قصص فقصة هناء وليلة حب .. قصة صراع بين شباب امرأة وواجب الامومة (قصيدة فات الأوان) وقصة اعتراف وقصة (انسانة) وقصة نداء أو قصة حلم وقصة رسالة .. رسالة الى الله وقصة (قسمة) وقصة (وردتين) وقصة (الشيء المجهول) وقصة (ولدين) .. ولديها . .أو قصيدة (بين عالمين) .

وقصة (غزو) وقصة (صورة) وقصة (صدر) .. صدره وقصة (سجين القلب) أو قصة (الحب) قصة كيوبيد الخالدة وقصة غاية شعر .

وفي الديوان وصف جديد للحب .

أنت أنت المجلد الضخم في
حرفين خطا من عنصر التكوين

فرح متعب وحزن مريح
وانتفاضات طاعن مطعون
أنت خصر وساعد في صراع
واشتباك مسلح مأمون
وسماء في نظرة من صفاء
ومحيط في دمعة من شجون
أنت طفل مدلل وجميل
تحت خطويه عامتي وجبيني
انك الشر غير اني أهواك
مليئا بكل شر ثمين

وفي الديوان سانحات بعيدة .. فيه شاعرة تمشي بفكرها أو بخيالها وراء الماء في المواسير :

أتراه يشعر أنه يجري
تحت التراب نفاية كبرى ؟
أم يا ترى يشتاق للفجر
متمنيا دنيا له أخرى ؟

وهذا الماء دني بالأضداد مجموعه :

ميلاده في شرفة الأفق
وفناؤه في جوف بالوعة(٢)

واستوقفتني في الديوان قصيدة عاصمتنا القاهرة .. بخلجاتها .. بسيجارتها .. برؤاها بصورها الشعرية .. بموسيقاها القوية الزاخرة :

الحق اني أشفق عليها في وحدتها الظماى وهي تجلس الى القاهرة النائمة تتمتم :

لهف نفسي لكم أسائل نفسي وأنا أرقب البيوت حبية ماالذي خلف هذه الجدر الصم؟ وراء النوافذ الخشبية
كلها .. كلها تخبىء أحلاما ونجوى وصورة فنية
كم حياة بها كموت وموت كحياة وكم رؤى عكسية
كم عراء مقدس وبكاء ثمل ، كم من ضحكة دموية
انها قصة الحياة تجلت في ظلال السكون والحرية
فامضي ياحب نحو كل بناء وابعث النور تحت كل حنية
أنت أنت الربيع في كل قلب ومثار الالهام والشاعرية
هاأنا أسكب التأمل لحنا تحت أقدام طلة قدسية
انروحي تنساب بين شفاهي وهي سكرى بالوحدة الأبدية

ومن أجمل قصائد الديوان قصيدة (رب الدار) .. فيها تجربة وفيها زوجة يدفعها الغضب ويردها الكبرياء .. زوجة تتألم ولا تتكلم .

عارضت نفسي في الشكاية مثلما
يتصرف الأزواج في استهتار
وذهلت كيف نويت أكشف سرنا
وحياتنا قدسية الأسرار

واجاب عقل يا بنيــة انه
رغم الخــلاف المر رب الـدار

قصة انسانية شجية تلك التى ترويها هــذه القصيدة الجميلة المؤثرة .. قصة بودى أن احكيهـا لنبل فيها وحكمة وعاطفة عميقـــة ولكنى سأترك الشاعرة ترويها بألفاظها وموسيقاها .. تحكيها من اولها :

وتركت بعدك فى الصباح دیاری
وانا على غيظى وثــــورة نارى
وذهبت أشكو منك عند اقاربى
وبحـدة الافضـاء آخـذ ثارى
وعلى الطريق تبخرت من خاطرى
ذكرى الاهــانة والأسى والعـار
حتى وصلت فلم أجد بمشاعرى
ما يستدل به على الاعصـــار
راوغتهم وجلست أرغى بينهـم
وأخوض بالضحكات كل حوار
ولمحت فى قلق خيالك قائما
بينى وبين الأهل فى اصرار
وخشيت اروى عنك أية هفوة
لتظل فى الأذهان رمز وقــار

امرأة فى كبريائها .. وفى خضوعها الأبى .. انه ليس خضوعا .. انه استهواء الهوى .. امرأة في تلهفها على الوئام بعد الخصام .. فى تهيئهــا للرضا وان أبقت ملالا .

نادنى ! نادنى ! فمن آخر الدنيا البى النداء لن اتخلف
من وراء البحار من خلف هذا الأفق، من عمق ليل مغلف
لن اضل الوصول فالطير يرتد الى العش آمنا ومرفرف
ناذا ماتعذر الركب حينا فسأمشى بخطوى المتلهف
واذا كلت الخطى وتهاوت فساحبو على يدى وأزحف

امرأة تهفو الى ظل رجل سيد بالحب وحده :

سئمت التوغــل فى وحـدتى
وعفت التهـــرب من كـل شىء

امرأة تصرح :

خلقت اطيع فكيف اطـــاع
واحيـــا لأفرض شـــخصيتى
أريد احتـــكارى فمن يشترينى
ويأخـــذ منى حريتى ؟ (٢)

امرأة شعرا وشعورا فهى الثوية المشاعر .. أنثوية التعبير فشمس الغروب (هبطت سلم الفضاء عروسا تتهادى فى حلة ذهبية والازهار فى الربيع تحت الشمس تتفتح .

ثوب اغراء موشى بالضياء
الثنيـــات به تنأى فتفضح
موضع الفتنــة حسنا ووراء

وشعرها كله فيه الحنين والحب والاغراء والحضن والعش والبيت .. فيه حديث عن الأمومة فى موقف فذ .. فيه حديث المرأة الصريح عن الرجل .. فى مواقف شتى ــ ولعلها أصرح الشاعرات فى هــذا الباب ــ فيه التفاتات الى الاشياء .. الى الاحياء .. الى الدجاجة .. والكلب .. كما رأينا فى ديوانهـا السابق (الاجنحة البيضاء) .

امرأة لها قلب مرهف وأحاسيس شاعرة .

امرأة تشفق على الاسكندرية فى الشتاء .. انها نفس الحكاية :

هى قصــة امرأة بدت فى حسنها الصيفى آية
لم يبق للعشاق بعد شتائها امــل وغـاية
او تلك خاتمة الحصـــان الفيد ؟ يا بؤس النهاية

امرأة تعبد الشباب وتجن لذهابه .. امرأة تشتهى حظ الكائنات التى يتجدد ربيعها .. كالاسكندرية تهرب فى الصقيع .

حتى اذا مر الشتاء نفضت عنــك أسى الجمـــود
ورجعت ــ ياحظ الطبيعة ــ للأمانى والعهود
وبدأت ــ ياحسن النهاية ــ فجر عمرك كالوليد
ليت الأنام لهم ربيع كل عام من جديد .

انثى دافئة عذبة تتحدث حديث الأنثى فتطرب وتروع حين تحرص أخريات على التشبه بالرجـال فيتحدثن أحاديثهم بأسلوبهم بل يبالغن فى التماس القوة التى تزهد فيها المرأة السوية الذكيـــة .. فيتسلحن بالعنف والخشونة فيثرن السخرية ويبعثن النقد المر ، وهن الناقدات .

وبعد هذا الحديث الطويل ، لم اقل كل شىء عن الديوان فما كان للأحاديث ــ طالت أم قصرت ــ ان تستوعب التفاصيل كالأبحاث ، وباعها طويل .

لم أتحدث عن الاسلوب .. عن الرفيف الشعرى عن طبقة الصوت .. عن البناء الفنى لقصائد هـذا الديوان .. لم اقل كل ماله ، وما عليه .. انه حديث أقرب الى التحية منه الى النقد .. التحية لشاعرة مصرية أصيلة شاءت أن تحتجب فسفر بيننا ديوانها يؤدى عنها ويملى هذا الحديث .

القاهرة ١٩٦٣/٨/٥

دكتورة نعمات احمد فؤاد
المجلس الأعلى للأداب والعلوم والفنون

وسائل الانتاج بين خطط الميثاق ومنهج الشريعة

بقلم الدكتور محمد سعاد جلال

ــ ٢ ــ

تحليل وسائل الانتاج

بالقياس الى الشريعة

١ ــ شرعية الحياة للاحياء تستلزم استمرارها لهم ، ومولد الانسان على هذه الارض واقع يقتضى بقاءه عليها ، فان الناس لم يولدوا على الارض ليطردوا منها ولم يشرع لهم حق الحياة لينتزع منهم ، وحق الناس فى الحياة ، وفى البقاء يستلزم لهم حقا ثانيا ، هو الوفاء بجميع المطالب التى تمكنهم من البقاء ، والحياة فى صورة وجودية سليمة ، ثم فى صورة انسانية كريمة ، وانما يكون ذلك بتوفير مايقتضيه كيانهم المادى من الغذاء واللباس والمسكن ، على مستوى يعطيهم فرصة البقاء المقدر لتركيب اجهزتهم البدنية والنفسية ، ولا يختذلها، ثم بتوفير مايقتضيه وجودهم الانسانى ، من الحرية، والكرامة ، والثقافة ،واتساع التجربة •

وهنا تلعب وسائل الانتاج دورها التاريخى العظيم فى حياة الانسان ، لانها مصدر سداد احتياجاته التى يكون منها بقاؤه وترقية •

٢ ــ مصادر اشباع حاجات الانسان قسمان :

مصادر اشباع مباشرة ، وهذه تسمى وسائل استهلاك ، أو أموالا استهلاكية ، وذلك كالخبز الذى ناكله ، والسيارة التى تستعملها فى ركوبنا الشخصى والمنزل نعمره بذواتنا وأسرنا ، وهذه المصادر أو الاموال الاستهلاكية تختلف درجة بقائها فى القيام بوظيفتها ، فمنها ماينعدم بالاستعمال مرة واحدة ، كالمواد الغذائية، ومنها ما يمتد بقاؤه بنسب مختلفة كالملابس ، والمنازل ، وهذه الوسائل لم يختلف احد من العلماء فى اباحة ملكيتها واحرازها من غير قيد على المالك والمحرز ، وبقى النظر عندنا فى اباحة تخزينها هل يبقى ذلك مباحا أم لايعتبر مباحا: وبقى النظر فى اباحة الاسراف فى استعمالها هل يبقى مباحا أم تمتنع اباحته •

وبعبارة أكثر تصويرا : هل يباح لانسان أن يخزن عنده من الاغذية والملابس والادوية ، مؤونة سنة كاملة مثلا •

وهل يباح لانسان أن يكون عنده عشر سيارات ومائة ثوب ، وخمسين حذاء وأن يأكل اذا أكل : عشرين صنفا من اللحوم وعشرة أصناف أخرى من الحلوى والفاكهة •

لم نر علماء الاقتصاد يتعرضون لهذا الموضوع فلننظر اليه فى ضوء الفقه الاسلامى •

أما التخزين فقد روى عن سلمان الفارسى ، انه كان يدخر قوت سنة حياطة لنفسه عن الحاجة المحتملة ومن هنا يمكن القول بادىء الراى بانه يجوز تخزين وسائل الاستهلاك الى سنة ، ولكن مثل هذا القول يحتاج الى تفصيل : فان الوقت اذا كان وقت شح فى الأقوات ، وقلة فى المواد ، وزيادة فى احتياجات الناس ، فان التخزين عندئذ يعتبر ضررا ملحوظا ، والمعهود فى الشريعة نفى الضرر أيا كان نوعه ، ووجوب التعاون بين المؤمنين حيثما دعت الحاجة الى تحقيق هذا التعاون : وقد ورد فى ذلك الحديث : «من كان عنده فضل زاد فليجد به على أخيه، ومن كان عنده فضل مال فليجد به على أخيه » والفضل هو الزيادة فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أو أرشد الى الجود بالزيادة من وسائل الاستهلاك طعاما أو مالا ، أو مركبا ، على الغير ممن لا يملكون مثل هذه الوسائل أو الأموال ، وقد ورد فى السنة أيضا ، « من احتكر الطعام اربعين يوما برىء من الله وبرىء الله منه » فاذا كانت أحوال المجتمع أحوال رخاء ويسر ، فان « التخزين » يكون مباحا ، لأن احتمال الضرر ، والامتناع عن التعاون حينئذ يكون بعيدا •

وأما الاسراف فى المآكل والمشارب ، وفى الملبس والزينة المباحة ،ووسائل الانتقال : فقد نهى عنه الشرع نهيا صريحا فقال تعالى : «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين» والنهى عن الاسراف ، ومجاوزة الحد ، يملأ صفحات الكتاب والسنة •

ومصادر اشباع غير مباشرة ، يتوسط بينها وبين فعل الاشباع بعض الوسائط وهذه هى التى تسمى وسائل الانتاج أو أموال الانتاج ، وذلك كالآلات التى تنتج الملابس فانها مصدر اشباع لحاجة الانسان بواسطة الملابس التى هى وسيلة استهلاك، وكالارض فانها أداة انتاج تفضى الى الاشباع بواسطة المحاصيل

التي تنتجها، ثم بواسطة تعبير هذه المحاصيل من القطن والقمح ، والارز مثلا ، الى الصفة التي يتحقق بها مباشرة الاشباع ، وكالصناعات الثقيلة التي تنتج الآلات ، والصناعات التي تنتج أدوات الاستهلاك ، فهذه العناصر كلها مما يعتبر أموالا ينتج أموالا ، هو ما اصطلح على تسميته في العرف الاقتصادي : بوسائل الانتاج ٠

***

٣ ـ وقد ارتبط وجود الانسان في أطوار التاريخ بوسائل الانتاج صعودا وهبوطا ، وأمنا واضطرابا وسعادة ، وشقاء حتى ليذهب بعض فلاسفة الاقتصاد ، الى أن ظواهر التاريخ انما هي ظواهر لتطور وسائل الانتاج ٠

والمعنى الذي نريد بيانه هنا، هو النظر الاسلامي للكية وسائل الانتاج بين الاطلاق والتقييد ، هل يطلق للافراد أن يملكوا من وسائل الانتاج كما يشاؤون أم يحق للجماعة ، أن تتدخل للحد من هذا الاطلاق ؟

***

هل ندع لفرد ، واحد أو جملة افراد أن يتحكموا في وسائل الانتاج في آثارها وقواها ، ونشاطها بسطا ، وقبضا ، ويبغون سبيل التصرف فيها مع الناس عوجا أو صلاحا ٠

هل تقدر أن هذا التحكم مأمون العاقبة بالنظر الى تقدير حق الجماهير واحتياجاتها ، في عدالة المعيشة ،وكفالة أسباب البقاء المقدر لاصحابه ،

لقد دلت أحداث التاريخ التي تفيض جوعا ٠٠ ودموعا ،ودما مهراقا والتي تتراقص كالسفن التائهة المهزوزة في محيط الالم البشرى ، على أن تحكم « الفردية » في وسائل الانتاج بصورة مطلقة ، أدى الى ظلم الانسان وشقائه ، وجر الى فظائع الفتن والحروب، والاهوال التي اكلت بنارها الامم والشعوب والجماهير المغلوبة على أمرها ، والبشرية الكادحة المهيضة الجناح ٠

***

٤ ـ وقد عملت هذه «الفردية» المسيطرة على وسائل الانتاج للحصول من مشروعات الانتاج ، على اكبر ربح باقل تكلفة ـ فدعا ذلك أصحاب هذه المشروعات الى التفنن الذريع في اذلال الطبقة العاملة وافقارها ، واستغلالها ، وعدم المبالاة بسواد الشعب فيما يرهقه من غلاء الاسعار ، وبالتالي فيما يؤخره عن أسباب التقدم ويحرمه الطمأنينة والرفاهية ٠

اما في مجال الصناعة : فقد عملت « الفردية » المسيطرة على وسائل الانتاج على انشاء الاحتكارات الضخمة الواسعة تحت شعار «الكارتل» الذي نشأ في ألمانيا سنة ١٨٦٠ ، و «الترست» الذي نشأ في أمريكا حوالي سنة ١٨٨٠ ، وهي تكوينات وانشاءات تستهدف آخر الامر ارتفاع أسعار البضائع والسلع على سواد الشعب من المستهلكين، وتكتل أصحاب هذه الاحتكارات ، بصورة منظمة للصالح الفردي ـ ضد رغد الجماهير والطبقات الكادحة ، حتى لقد بلغ من قسوة السياسة التي تعمل بمقتضاها هذه الاحتكارات أحيانا أن تجعل سعر السلع المبيعة في داخل البلاد أغلى من سعر هذه السلع اذا صدرت وبيعت خارج البلاد لغير المواطنين ٠

وأما في مجال الزراعة فقد عملت « الفردية » الراسمالية على امتلاك اقطاعات واسعة من أرض الله واتخذت الناس القائمين عليها عبيدا ، يزرعونها ولا ينالون من بعض ثمرها مايقتمهم انفسهم أو يقنع الناظر اليهم بأنهم أحياء : وكانت الاموال التي تغلها هذه الاقطاعات تذهب على أيدي هؤلاء الاقطاعيين ، بعيدا عن الصالح العام ، بينما كانت ـ أجهزة الحياة والتقدم ـ من الصحة والتعليم ، وأسباب العمران في ركود لايتحرك للعمل الا بمقدار خدمة الاقطاعيين ومزاجهم ٠

٥ ـ هل يرضى الاسلام عن هذه المفاسد الكبيرة الممثلة في اتساع ملكية وسائل الانتاج واطلاق مداها فيما يتوقف عليه حياة الانسان ، ويبتنى على أساسه صلاح الأنفس والعقائد والاعمال ، واستقرار العلاقات بين عناصر الامة الواحدة أن صريح الاسلام ناطق بتحريم الاحتكارات ولعن المحتكرين : قال صلى الله عليه وسلم : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ٠ وقال : « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار » وقال من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله، وبرىء الله منه » ٠

ووجه الاستدلال من هذه الاحاديث : هو ان العلة التي جعلها الشارع مناطا لتحريم الاحتكار ، ولعن

من تاريخنا المعاصر

وسام الشعب

تحية لروح كاتب بطل

للأستاذ محمد رجب البيومي

يحمل كثير من الناس أوسمة عالية ، ولكنها على عظيم دلالتها، وروائع مغزاها لاترتفع الى وسام الشعب الذى حمله عبدالعزيز جاويش عن جدارة واستحقاق! اذ اكتتبت فيه جميع طوائف الأمة المصرية ، وسارع العامل والفلاح والتاجر والموظف الى الاسهام فى تقديمه، وخرج الرجل من سجنه ليجد جموع الشعب تتزاحم وتتراص هاتفة بجهاده مرحبة بحريته ، ثم حملته هاتفة محيية الى حيث أقيمت بفندق شبرد حفلة وطنية لتكريمه ، وقد اغرورقت عين البطل بالدمع حين رأى وسام الشعب مؤلفا من ثلاث قطع ذهبية بها رسم الهلال والهرم والشجر وآية من كتاب الله كريم ثم نيطت هذه القطع الثلاث بوشاح من الحرير الاحمر والابيض ، وتساقطت الاضواء على الحجر الكريم من كل ناحية فكانما أمدته بضياء العيون ورفرفت عليه بالمهج مع الشعاع :

أما قصة هذا الوسام، فهى حلقة ذهبية من سلسلة كفاح الرجل وعليها يدور هذا الحديث :

اتى على اللورد كرومر حين من الدهر اعتقد فيه اعتقادا جازما أن مصر ستكون محتلة الى أبد الآبدين وجعل يرسم من الخطط الماكرة ما يمكن هذا الاحتلال الأبدى من الثبات والرسوخ ، وقد رأى أن ينشىء من شباب الانجليز بجامعتى كامبردج واكسفورد جماعة يحذقون اللغة العربية كأبنائها المتضلعين فاذا تمكنوا منها تمكن العربى المسلم أتى بهم الى كبريات المناصب فى وادى النيل فخالطوا الشعب وشافهوه، وساعدتهم اللغة الجديدة فى زعم اللورد على التسرب الى النفوس واستمالة الكثرة الكاثرة من أعداء الانجليز ، ثم شفع الرأى بالعمل فاستدعى المستشرق الانجليزى الاستاذ براون ليختار من أساتذة اللغة العربية بالمدارس المصرية من يصلح للتدريس فى الجامعتين الكبيرتين ، وقد طاف المستشرق الداهية بجميع

وسائل الانتاج - بقية -

فاعله وتهديده بالالقاء فى لهب عظيم من نار جهنم يوم القيامة : انما هى : اغلاء الاسعار على الناس والتضييق عليهم فى أقواتهم وكفايتهم من حاجة العيش : فكل صورة من صور الاحتكار المتطورة المعقدة بتأثيرامتداد الزمان فهى محرمة بتحريم الشارع لامعدى عن ذلك أصلا .

والمانع من ظهور هذه «الاحتكارات الحرام - التى تفضى بطبيعتها الى الطغيان ، والتحكم فى رقاب الناس وحرياتهم وأرزاقهم هو افساح الطريق - أمام الشعب ليسيطر على وسائل الانتاج فهذا هو الضمان لمنع المفاسد الناشئة عن استئثار «الفردية» الراسمالية باحتكار المقادير الكبيرة من وسائل الانتاج فى ميدان الزراعة والصناعة .

٦ - ان سيطرة الجماعة على وسائل الانتاج هو الكفيل بتنظيم استخدام هذه الوسائل بصورة تجمع بين النظام ، والعدالة وتعطى الفرصة لهذه الوسائل أن تؤدى وظائفها الحيوية فى خدمة الانسان على الوجه الأكثر فاعلية ، والالصق بطبائع الاشياء ، والاحق فى دين الله وشرعه .

وكان أظهر ماجنح اليه : «الميثاق» لتحقيق هذه الغاية أمران : -

أولهما - خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

وثانيهما - وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال .

٧ - أما عن القطاع الخاص - وغاية تكوينه رقابة الشعب ومنع الاستغلال ، والمشاركة فى التنمية الاقتصادية - فليس فيما يتصل بعناصره مايناقى منهج الاسلام أو تتعلق به شبهة أصلا واما عن القطاع العام - وقد اتخذ شكل «التأميم» - فهذا ما يحتاج منا أن نضع له شرحا فقهيا لان تصورات الناس عن التاميم وعلاقته بالشريعة أخذت بتأثير سيادة النظام الراسمالى المستغل زمنا مستمرا تبتعد كثيرا عن ادراك الحقيقة فيه .

دكتور محمد سعاد جلال

المعاهد المصرية باحثا متفرسا حتى وقع اختياره على الاستاذ حسن توفيق العدل فرشحه لكامبردج ثم على الاستاذ عبد العزيز جاويش فرشحه لاكسفورد بتزكية المستشرق الانجليزى مارجيلوث ، وتهيأ الرجلان للسفر فقابلا المستر دنلوب ، وجعل يتقل سمعهما بما ظنه ينفع لديهما من النصح والتوجيه !

كانت بعثة الاستاذ جاويش للتدريس بانجلترا ، خيرا وبركة على المصريين والمسلمين بوجه عام فقد لمس الاستاذ مايدبر فى الجزر الانجليزيه من مكايد قاتلة للشرق والاسلام ، وقد كان جاويش طالبا بانجلترا من قبل ، ولكنه هذه المرة يشغل منصب الاستاذ ، ويملك من التوجيه والمعارضة ما يجعله مسموع الكلمة محترم الراى، فراعه أن يلتفت فيجد الصحف الانجليزية على اختلاف ميولها تجمع على رمى الاسلام بالتأخر والانحطاط ، ولاتعرف عنه الاأنه دين الجمود والحريم والرق وتعدد الزوجات فاذا تعرضت لنبى الاسلام قالت أنه فى نظر المسلمين اله يعبد كالمسيح فاذا تجاوزت الصحف هذه المزاعم الباطلة فالى الدعوة الحاسمة الى احتلال المسلمين فى كل مملكة، وانقاذهم من عصور الظلمات والهمجية والتعصب البغيض !! وقد أصبحت هذه الآراء الآفكة عن الاسلام أمورا مسلمة يعتنقها شباب الجامعات عن جزم ويقين ! وقد رأوا فى الاستاذ رجلا حر الفكر واسع الثقافة ، فعز عليهم أن يكون مسلما يدين بالتوحش والتعصب والجمود، وأخذوا يناقشونه فيما يصمون به الاسلام من منكرات، فرأى الاستاذ أن يهتبل الفرصة السانحة وجعل يستمع الى المفتريات ليدحضها بلسان الحق ملتمسا دليله الواضح من القرآن وسيرة الرسول ونهج السلف من صدور الأئمة العاملين، فكان يتحدث فى كل يوم عن مزعم كاذب ليفنده بالمنطق الخالص ، ثم رأى أن يلخص هذه الأحاديث فى كتاب خاص أسماه (الاسلام دين الفطرة) وقد حفل بخلاصة هذه الشكوك والاباطيل المفتراة مع النقد الصائب والنقض المستنير، وأنت تقرأ الكتاب فتجده صدى لهذه المزاعم المختلقة فهو يتحدث عن حرية الفكر فى الاسلام وموقف القرآن من العقل ونظرة الاسلام الى العلوم الكونية وعن النبوة فى رأى الاسلام ، وموقف القرآن من الفطرة البشرية والرق والمرأة والأسرة وتعدد الزوجات والحرية والمساواة وزواج النبى بامرأة زيد والطلاق وتعدد مراته ، كما يلم بالقتال فى الاسلام وانتشاره عن طريق السيف أو سواه ، مع صلاحيته لكل زمان ومكان! وهذه البحوث وان كانت سهلة ميسرة فى وقتنا الراهن الا أنها حين كتبها الاستاذ كانت مبتكرة جديدة لم يحم حولها كاتب اسلامى غير ما تعورف من خطرات محمد عبده وجمال الدين !! وما زال الاستاذ بطلبته محاورا موجها حتى قال أحدهم ويخيل الى ايها الشيخ أن الاسلام لايتنافى الفطرة فى شىء!! وكانت هذه العبارة موحية بعنوان صائب لهذه الابحاث جعله الاستاذ فيما بعد عنوان الكتاب .

وقد انعقد مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة ١٩٠٥ ودعت الحكومة المصرية عبد العزيز ليمثلها به فالقى فصولا مختلفة من كتابه كانت مثار الدهشة للمستمعين، وصفق لها الزعيم الوطنى محمد فريد تصفيقا حارا حتى اذا فرغ جاويش من حديثه سارع اليه فى شوق، وتعارف الرجلان الكبيران فوقفا على مايجمعهما معا من وحدة الاهداف والعواطف، وتدارسا الاوضاع السياسية فى مصر فاطلع جاويش صاحبه على حقيقة ما يدور فى بلاد الانجليز من تدعيم للاحتلال والسعى الى تركيزه بأقصى ما يستطاع من عنف وارهاب ، وافترق المجاهدان صديقين حميمين جمعتهما الآلام والآمال ...

دارت عجلة الحوادث شهورا عدة ، فمات الزعيم الاول مصطفى كامل وأخذ فريد مكانه فى رئاسة الحزب الوطنى ، فجعل يبحث عمن يصلح لرئاسة تحرير اللواء بعد مصطفى فاهتدى ببصيرته الناقدة الى عبد العزيز ، فأصبح ما بين يوم وليلة يحمل قلم مصطفى ويجلس فى كرسيه، ويقود السفينة الحائرة فى مصطفق الأمواج ومضطرب الرياح .

جلس جاويش مكان شيخ الوطنية مصطفى وكان - شهد الله - أقوى منه بيانا وأعنف أسلوبا واذا كان مصطفى أستاذه فى الوطنية فمن وحيه الصادق والهامه المخلص تدفق بيان الاستاذ زلالا يروى المؤمنين وانفجر حمما تلهب الغاصبين، وكان عجبا أن يترك جاويش منصبه الكبير فى وزارة المعارف لينضم الى كوكبة المستشهدين من زعماء الوطنية الصادقة ، رأى الناس من بصره بالسياسة وخبرته بأساليب الاستعمار وغيرته الصادقة على البلاد ما جعلهم يحرصون على استظهار مقالاته، ويتداعون الى استماع خطبه هاتفين مبجلين ، وطالما حملوه الى المنبر على أكتافهم فاذا استوى فى عليائه تجلت قدرة الله فى قوة منطقه وصادق لهجته ، ومخلص حملاته ونظر محررو الاجبشيان غازيت الى تأثير جاويش فى الشعب وتصويره فظاعة الاحتلال ومآسى الاستعمار

أبشع تصوير يدعو الى الثورة والانتفاض فكتب رئيس تحرير الجريدة الانجليزية يقول في حسرة « ربما كان من فائدة الغاء الاعانة وعدم امداد نظارة المعارف بمدرسي العربية في جامعات انجلترا ألا يعود منها رجال شديدو العداوة والكراهية ومن الد خصوم انجلترا كالشيخ عبد العزيز جاويش الجالس على كرسي مصطفى كامل باشا في دار اللواء » وقد رد الاستاذ على هذا القول ردا محكما حين قال في افتتاحية اللواء ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨ « ونحن نقول للغازيت أنها اخطأت فيما قالته فان سفر المصريين الى بلاد الانجليز لا يجعلهم أعداء للانجليز ولكن للاحتلال والمحتلين ، نصح الى المستر دنلوب أيام سافرت الى اكسفورد أن اقتدى بما أراه من الاخلاق الفاضلة في تلك الامة العظيمة فماذا جرى ؟ ذهبت الى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم فزادوني تمسكا بديني ، رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم فزادوني حرصا على لغتي ، أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شئونهم أو التصرف في أموالهم ورقابهم فأخذت أحاكيهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه ، رأيتهم يحبون الصراحة ولا يخشون معتبة ولا يتهيبون متعبة ما دام الحق رائدهم فأخذت أحاكيهم في تلك الفضائل التي نصح بها عمادهم بنظارة المعارف العمومية » .

وكانت الأيام تأتي بما يزيد ضراوة الاستاذ وحدته ، اذ أنه كان غيورا أبيا لا يرى أنصاف الحلول ولا يعرف غير الصراحة العالية ، وكانت الوطنية أصبحت لديه عقيدة دينية لايتطرق الشك الى ناحية من نواحيها المتشبكة بل تلزم رجالها بالجهر بحقيقتها الناصعة دون لف أو مواربة ! هكذا كان مصطفى كامل وهكذا جاء من بعده محمد فريد وجاويش وأمين الرافعي، ولعل الاستاذ كان أكثر هؤلاء جميعا حدة منطق وقوة عارضة . فهو في رأى نفسه صاحب رسالة يجب أن يقذف بنورها في ظلام المبطلين مهما كانوا عتاة متجبرين ! ، لم يكفه أن سلخ السير غورست بسياطه القارصة حين دعا الى سياسة الوفاق ففضح الاستاذ نياته الثعلبية وكشف عن أساليبه التي تنسج دواعيها في غواشي الظلمات ، حتى تعداه الى الخديوي عباس فجاهره بالعداء ونادى في افتتاحيات اللواء بأن الأمة لن تعتمد على أمير أو وزير ، وأن الخديوي يبحث عن مصلحته الشخصية في الاتفاق مع غورست غير عابىء بشعور أمته ! وأخذ يعاود الحديث في ذلك صريحا غير هياب ، وكان لحملات الاستاذ صداها المؤثر فقطع الوطنيون صلاتهم بالقصر وعدوا صاحبه ضالعا مع الاستعمار بعد أن تظاهر بالوطنية وقبل سياسة الوفاق !! ومن الطبيعي أن يتآمر الاحتلال والقصر معا على الكاتب الكبير مضافا اليهما رئيس النظار وقد سلقه الاستاذ بأحد السياط وأوجعهما ثالبا تارة ومتهكما تارات ، فهو صنم لا يتحرك ولا « يشتغل بالمصالح العامة الا بمقدار ما يضع اسمه على الاوراق الرسمية بل ربما خشى تأثير هذا العمل على صحته الغالية فيكلف غيره بختم الأوراق غير ملم بما فيها ولا عارف بما تحتويه » أجل كان من الطبيعي أن تتحرك القوى الثلاث للوقيعة بالبطل المناضل ، فقدم الى المحاكمة اذ كتب مقالا ناريا تحت عنوان « دنشواى أخرى في السودان » ألم فيه بما جرى في بلدة الكاملين من كارثة صاعقة حين شنق المحتلون سبعين سودانيا انتقاما لمصرع ضابط انجليزي تجاوز حده واعتدى على الآمنين فأعادوا مأساة دنشواى من جديد!! وقد دافع الكاتب عن نفسه فظهر الحق في براءته وخرج من المحاكمة بين تصفيق الوطنيين وحسرة المحتلين والاذناب .

ارتقى الاستاذ بجهاده الى قمة الزعماء فكانت منزلته بين المصريين ماتتضاءل معها مراكز الرسميين من الرؤساء والنظار ! بل أن المقارنة تكون أليمة حين يجد الناس قيود الحراسة المشددة تحيط برئيس النظار وأشياعه من المستوزرين فلا يكادون يتنقلون من مكان الى سواه دون ارهاب مزعج تحيطه الداخلية بشرطتها وعساكرها وجيادها ثم ينظرون فيجدون عبد العزيز يظهر في الطريق العام فيجتمع الشباب هاتفين ويتدفق الشيوخ مصطفين ثم يتحول المكان الى مظاهرة وطنية يقف فيها الرجل خطيبا يتحدث عن حوادث الساعة بما يعن له من الآراء ، لذلك كان التخلص منه في منطق الاحتلال وأذنابه أمرا لا مناص منه ، وقد تصعدت زفراتهم غيظا أن أفلت في المحاكمة السابقة عن مأساة السودان وأخذوا يترقبون مناسبة أخرى توجب تقديمه الى محاكمة لا تنتهي ببراءته مهما وضح الحق للعيان ، فما كاد الاستاذ يكتب افتتاحية اللواء ٢٨ يونية سنة ١٩٠٩ متحدثا عن ذكرى دنشواى حتى وجد هؤلاء الموتورون وقتهم المناسب للمكيدة فاختاروا صنائعهم من رجال النيابة

عنصر الحيوية والفوقية
في التاريخ السياسي والحضاري للعرب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

روى أنه لما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بيتيه المشهورين :

لسنا وان احسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

تعرض لهما ناقد بقوله : هلا قال أخو العرب :

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ، ونفعل فوق ما فعلوا

وهذه اللمحة البادرة من ناقد عربى تحمل أصدق الدلالة على ما فى الطبع العربى من عنصر التسامى والاستعلاء . فهو لا يكتفى بما فعل آباؤه . والا لم يكن له من فضل الا فضل المشابهة ، وان كان يصحبه فضل آخر هو الحفاظ على التراث ، بل يبعد غاية الفضل والمزية الى اكثر من هــذا ، فيزيد على ما فعل آباؤه ، حتى يكون بانيا بحق ، ومعليا فى الوقت نفسه .

والعربى دائما يلاحظ هــذا الملحظ فى سلوكه الخاص ســواء أكان فردا أم جماعة ، وسواء أكان واحدا أم قبيلا ، وسواء أكان شخصا ام امة ، كما يلاحظ فى سلوك الآخرين حين يتعرض لهم بمدح أو بذم . فالمفروض دائما ـ من وجهة نظر العربى البناء ـ أن العربى الاصيل يزيد دائما ولا ينقص ، ويسير دائما الى الامام ولا يقف ، ويتحرك دائما فى مجال العمل ولا يتوقف . وهذه اللفتة قد استغلها شاعر عربى فى المديح وفى التأثير على نفس ممدوحه بقوله :

رأيتك أمس خير بنى لؤى
وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا
كذاك تزيد سادة عبدشمس

وسام الشعب ـ بقية ـ

والقضاء ليدينوا الرجل ادانة صريحة لا لشىء، سوى أنه اعترف بالحق الصريح حين قال فى مقدمة مقال رنان باللواء .

« سلام على أولئك الذين كانوا فى ديارهم آمنين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان فأزعج نفوسهم وأحرق حصادهم فلما هموا بصيانة أرزاقهم التى أعملوا فى سبيلها اجسامهم ودوابهم وأرضهم وقاموا عليها نحو حول يتعهدونها بالسقى والحفارة ويرقبونهــا فى البكرة والعشى قيل انهم مجرمون فسيقوا فى السلاسل والأغلال ثم صلبوا على مرأى ومسمع من زوجاتهم وأمهاتهم وبنــاتهم وأصدقائهم وجيرانهم .

سلام على تلك الارواح البريئة التى انتزعها بطرس غالى رئيس المحكمة المخصوصة بقضاته من مكانها فى أجسامها كما تنتزع سلوك الحرير من خلال الشوك فقدمها قربانا الى ذلك الجبار الظالم الغاصب القاهر القائم فى بلادنا بتفاقنا وضعة مقاصدنا ، المستبد بالامر فينا لتفرقنا وضعف عزائمنا المسيطر علينا بنفر منا (يقصد الوزراء) يخشون الانجليز أكثر مما يخشون الله ويرغبون فى المال والرقى ولو شقيت فى سبيل ذلك بلادهم واستبيحت حرماتهم .

سلام على أولئك الذين وقف الهلباوى بك فثار فيهم ثوران الجبارين ثم انثنى على رقابهم فقضمها ، وعلى أجسامهم فمزقها ، وعلى دمائهم فأرسلها تجرى فى الارض تلعن الظالمين وتتوعد الآثمين » ظهر المقال فرن رنينه ـ وأجمع من قابلت من شباب هذا العهد أنهم كرروه حتى حفظوه وان شفى غلة الاحتلال حين قدم الاستاذ الى محاكمة دبرت وقائعهــا وصدرت أحكامها الغاشمة قبل انعقادها. فكان مفاجأة الشعب أن يحكم على الاستاذ بالحبس ثلاثة أشــهر فورا مع التنفيذ، فقامت المظاهرات الصاخبة محتجة مستنكرة، ثم كانت مفاجأة مذهلة للاحتــلال وأذنابه أن يجمع الشعب على تكريم السجين فينفتح باب التبرع لصنع وسام ذهبى يتقلده البطل حين يخرج الى فضاء الحرية ويحين الموعد المرتقب فتتقاطر الجموع كالموج ويتسلم البطل وسامه الرائع فيصبح وحده معجزة الاوسمة وينال به صاحبه من الكرامة العزيزة ما يظل حديث الناس ومفخرة التاريخ ..

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

وقد امتــاز العرب في تاريخهم الطويل الحافل بظهور عامل « الفوقية » واضحا في سلوكهم الفردى والجماعى ، وفى تاريخهم السياسى والحضارى · فهم يأبون الا ان يكونوا دائما الى الامام ، والى فوق مهما اصطلحت عليهم العقبات ، لان فضيلة الصبر عندهم تؤكد لهم اقتحام العقبة والتغلب عليها ·

ويؤكد عامل « الفوقية » في التاريخ العربي تلك « الحيـــوية » الدافقة التى امتازوا بها في جميع عصورهم ، جاهلية واسلاما ، على ما كان من فضل الاسلام في تقوية هذه الحيوية وتوجيهها وجهـــة صالحة لخير الانسانية جمعاء ، ولخير الامم على اختلاف اجناسها وعروقها ·

❊ ❊ ❊

وكانت هذه الحيوية الدافقة تعتمـــل في أرض العرب وفوق تربتهم ، ثم تمتد باندفاقها وتدفعها الى الارض المجاورة لهم ، فتعمل فيها ، وتطبعها بطابع خاص ، وتلونهـــــا بلون فيه كثير من الخصائص العربية الاولى ، التى لا تفقد على الهجرة أو على البعد عن اوطانها الاولى ·

وقد امتاز العرب في تاريخهم الطويل الذى يرتد الى ما قبل الاسلام بكثير من السنين بأنهم ــ بما أتيح لهم من أسباب وصفات خلقية خاصة يعرفون كيف يخلقون التاريخ وينشئونه انشاء ، وكيف يصنعونه، وكيف يوجهونه الى ما فيه تحقيق المنفعة لهم ، والى ما فيه حفـــظ كيانهم ، والابقاء على مقـــوماتهم الشخصية ، حتى لا يتسرب اليهم فناء أو يدركهم انحلال ·

❊ ❊ ❊

ولا شك أن هذه الحيوية وتلك الروح «الفوقية» المتوثبة تحتاج الى نوع من الصراع لا تدعو اليه الدعة والخمول والرضا بادنى ميســـور ، حتى ولو كان ذلك الصراع هجرة عامة عن الاوطان ، كمـــا حدث عقب تصدع سد مأرب نتيجة لسيل العرم الذى جاء ذكره في القرآن ، في معرض الحـــديث عن سبأ وما كان في مســـــكنهم من آية : جنتين عن يمين وشمال ·

ولقد أنصف العرب جمـــاعة من المؤرخين غير العرب ، وذكروا لهم في معرض تعـداد المآثر التى لا ينكرها الا كل جاحد ، فضيلة «الحيوية» ، وحب الفوق والاستعلاء ، وعدم الاكتفاء بما وقع في أيديهم أو بما حصلوه ، بل مجاوزة ذلك القدر الى الاضافة والمزيد ·

وقد أشـــــار المستشرق « براون » صاحب كتاب « التاريخ الادبى للفرس » الى هذه الحيوية العربية وهو يتحدث عن أدب الفرس وحضارتهم ، وكأنه لم يجد معدى من الحديث عن ذلك العنصر الفعال عند العرب ، وهو في مقام الحديث عن الفرس · وقد اسعفته موقعة « ذى قار » المشهورة بين العرب والعجم بهـذه الاشارة المنصفة الى حيوية العرب · فقال :

(لقد رأينا في موقعة ذى قار علامات تدل على حيـــوية العرب العظيمة وشدة بأسهم ، بينما كان جيرانهم ــ يعنى الفرس ــ ينظرون اليهم على أنهم كميات مهملة · وقد بدت هذه الحيوية بشكل غير مألوف في عصر ما قبل الاسلام) ·

ولم يرض المؤرخ المنصف « براون » أن يقف عند هذا الحد من حيوية العرب قبل الاسلام ، خشية أن يساء الظن بعصر الاسلام وما بعده ، أو مخافة أن تبتر الحقيقة العربية الباقية ، وهى موصولة على مر العصور قبل الاسلام وبعده ، فقال مضيفا الى النص الســـابق : (أما الاســـلام ، ذلك القانون الالهى الفريد ، الذى لا يستطيع متعلم منصف أن ينكر عظمته ، فقد جعــل العرب يأخذون نصيبا كبيرا ، ويلعبون دورهم في الحضارة) ·

والواقع أن موقعة ذى قار بين العرب والفرس ، والتى حدثت ابان ظهـــور البعثة المحمدية ، كانت حادثا قويا يدل على حيوية العرب وكرامتهم وعدم خضوعهم لما يراد بهم من ضيم ، مع انتهاز الفرصة المواتية لفك الاسار ، والتحرر من الاصفاد · فقد كان الفرس يستـــعلون على العرب وخاصة جيرانهم على الحدود في مملكة الحيرة ، بل كثيرا ما نظروا الى العرب على أنهم لا خطر لهم ولا وزن ، وأنهم « كميات مهملة » كما قال براون ·

ومن هنـــا كان نصر العرب على العجم في يوم ذى‌قار انتصارا للعرب‌كلهم، لاانتصارا لبكر وحدها، ومن هنا أيضا قال فيها النبى عليه السلام : (اليوم أول‌يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبى نصروا)·

ولم تكن حيوية العرب وحبهم للاضافة والفوق في الميـــدان السياسى والعسكرى فحسب ، بل ظهرت بجلاء في ميادين الحضارة وما يتبعها من العلم والبناء والعمران والكشـــوف · وقد اتهم بعض الاوربيين الجـــاحدين آباءنا العرب بأن دورهم في الحضارة لم يكن غير دور النقـــل والنسخ عن مؤلفات غيرهم

الاصيلة وخاصة من اليونان . وهذه تهمة لا نردها هنا بأكثر مما ردها به ، المستشرق الفرنسي المنصف « سيديو » الذى كان خليفة وتلميــذا للمستشرق المشهور «سلفستر دى ساسى» . فقد قال هذا المؤرخ الصادق : (وزعم - فى زمن غير قصير - أن العرب لم يصنعوا غير استنساخ مؤلفات اليونان ، ولايؤيد مثل هذا الزعم فى الوقت الحاضر غير جاهل ضال . ونشكر لمدرسة بغداد الشكل الذى خلعته على علم المثلثات الكروية ، فضلا عن حفظهـــا لاهم مؤلفات علماء الاسكندرية . والعرب قد أدخلوا المماس الى الحساب ، واستبدلوا بالطرق القديمة - حلولا أكثر بساطة ، حين وضعوا بضع قضايا تعد أساسا لعلم المثلثات في الوقت الحاضر فالمستشرق سيديو حين ينكر اتهام العرب بالوقوف عند حد النسخ والنقل يثبت اضـــــافات جديدة زادها العرب حين أدخلوا المماس الى الحساب وحين استبدلوا بالطرق القديمة يعنى الطرق الموروثة عن اليونان حلولا أكثر بساطة وحين وضعوا بضع قضايا تعد أساسا لعلم المثلثات .

فهنا ادخال واســـتبدال طرق بطرق ، ووضع قضايا جديدة . فماذا تكون الاضافة فى ميدان العلم غير هـــذا الذى صنعه العرب فى ناحية واحدة من نواحى العلم الرياضى ؟

واضافات العرب الى علم المثلثـــات مما لا ينكره عاقل منصف . وقد ادخلوا عليه تحسينات كثيرة (فاكتسب بذلك شكلا جديدا ، فجعلوه صــالحا لبعض التطبيقـــات صلاحا لم يقدر عليه اليونان الا بشق الأنفس) .

وماذا نقـــول فى علم البصريات وما صنعه فيه وادخله عليه « الحسن بن الهيثم » ؟ لقد اســـتعان « كيبلر » بكتاب ابن الهيثم فى البصريات ، وعده البروفسور « شال » : (مصدر معارفنا للبصريات) ، ورآه الدكتور غوستاف لوبون كتابا يحتـــوى : (فصولا دقيقة عن حرارة المرايا . ومحـــل الصور الظـــاهر فى المرايا ، وانحراف الاشياء وجسامتها الظاهرة . ويقول عنه المستشرق سيديو : (انتهى الينا كتابه ، فنراه جديرا بالاعتبار ، لما فيه من آراء هندسية صائبة واسعة المدى ، ومما يسترعى الانتباه فيه - على الخصوص - حله لمسألة خاصة بمعادلة من الدرجة الرابعة ، وهى : اذا علم موضـــع نقطة مضيئة ووضع العين عليها ، فكيف تجد على المرايا الكروية والاسطوانية النقطة التى تتجمع فيها الاشعة بعد انعكاسها ؟) .

ولم يسلم الحسن بن الهيثم أيضا من مغرض يقول فيه ان كتابه لم يكن اضافة فى علم البصريات ، وانه ليس الا تقليدا لكتاب بطليموس فى البصريات . نعم قال هذا الكلام «مونتوكلا» . ولكن «دولامبره» - مؤلف كتاب «تاريخ علم الفلك فى العصور الوسطى» الذى طبع بباريس سنة ١٨١٩ م - يدحض هذا الاتهام الرخيص لعالم عربى جليل أصيل مبتكر أو يقول - فيما يشبه التأكيد - ان الحسن بن الهيثم لم يطلع على رسالة بطليموس ، مســـتندا الى أن رسالة ابن الهيثم اسمى بكثـــير من رسالة بطليمـــوس فى البصريات ، ولا يجوز عقلا أن يأخذ الأســـمى من الأدنى ..

والحق أن الذى سهل على بعض العقليات العربية المبتكرة عملية الاضافة والابتكار والخلق ، هو فضيلة الصبر والدأب التى هى عون على البحث والوصول الى النتائج ذات الجدوى . فقد امتاز علمـاء العرب المبتكرون أو اصـــحاب الاضافات العلمية الجديدة بالغوص على أشد المســـائل صعوبة وتعقيدا ، ولم يكتفوا بالوقوف على الســـاحل أو عند السطح .. وتؤكد مناقشـاتهم ومجـــادلاتهم ومحاولاتهم المتكررة هذه المقولة التى نعتقد صدقها الى حد بعيد .

ولقـــد كان يمكن أن يكون هم العرب من المعرفة بالنبات الاقتصار على ما وصل اليهم من أعشاب عن طريق « ديسقوريدس » ، فقد كان يمكن أن يكون فى الالفى نبات التى ذكرها هذا العالم اليونانى غناء للعرب ، لو أنهم كانوا يقنعون بما يقع لهم أو بمـا يحصل لديهم من معرفة .. ولكنهم لم يقفوا عنـد الفى نبات ، بل أضافوا اليها ضعف عددها ، وكان أن اشتملت الصيدلية العربية على أعشاب كثيرة كان يجهلها الاغريق جهلا تاما ..

فهنا أيضا « اضافة » جديدة لم تكتف بماحصل ، وهنا أيضـــا ميدان يؤكد ولوع العرب بالاستعلاء والفوق وزيادة الفضل (كما تزيد سادة عبـــد شمس .. !)

وهلم بنا الى ميدان البناء والعمارة ، نر كيف كان العرب .. يضيفون .. ولا يكتفون . فحين دخل العرب بلاد الاندلس عمروها كما كان شأنهم فى كل أرض : فى فارس ، والشام ، ومصر ، وشـــمالى أفريقية . فلقد حدثنا المؤرخون أن استدارة قرطبة فى أيام العرب وحكمهم لهـا كانت ثمانية فراسخ ، تشتمل على ستين الف قصر ، و ٢٨٣٠٠٠ بيت . ولكن بيوتها بلغت فى القرن الماضى ٥٦٠٠٠ ستة

وخمسين ألفا ٠٠٠ بشهادة شاهد من أهلها ٠ فانظر الفرق بين العهدين ، وبين الحالين !! وكانت ناحية شلمنقة بالاندلس تشتمل في أيام الحكم العربي على ١٢٥ مدينة ، وهي في هذا القرن لا تشتمل الا على ثلاث عشرة مدينة فقط ٠٠

ثم تعال ننتقل الى ميدان الصناعة لنرى ما بلغه العرب فيها كما وكيفا ٠٠ اما الكيف فهناك صناعات كثيرة جديدة أدخلها العرب على البلاد المفتوحة ٠ ويكفينا هنا قول المؤرخ الحضاري «فياردو» : (يكفي ان نذكر ما اتفق للعرب من صيت بعيد عند جميع الشعوب في الدباغة والسبك والتكفيت والصقل والحياكة ٠ وما تلك السيوف المسقاة الباترة ، والدروع السابغة الخفيفة التي لا تخرق ، والزرابي الوثيرة ، ونسج الصوف والحرير والكتان الهيف الزاهرة ، التي ليس الشال الكشمير العصري الا مقتبسا منها ، سوى شهود عدول على تفوق العرب في الفنون الصناعية) ٠ واما الكم فحسبنا هنا أن نذكر ما قاله مؤرخ حضاري آخر هو الاستاذ « دوروي » من أنه كان باشبيلية أيام حكم العرب للاندلس ستة آلاف نول للحرير وحده، فصار مافي أسبانيا كلها اليوم ١٧٤٢ نولا ٠٠٠

واذا تركنا الاندلس وما اضفاه العرب واضافوه اليها جانبا ، وشددنا الرحال الى بلد آخر فتحه العرب مثل « صقلية » ، وجدنا القاعدة العربية الاصيلة مطردة من حيث الاضافة والزيادة والحيوية٠ فقد كانت صقلية قبل الفتح العربي وفي عهد القرطاجيين مقسمة الى ولايتين اثنتين من حيث الادارة ، وهما : بلرم ، وسرقوسة ٠ فلما دخلها العرب وجدوا من الناحية الجغرافية ان تقسيم الجزيرة الى ثلاث ولايات أمر تقتضيه الضرورة الادارية والجغرافية ، فلم يزيدوا فيها ولاية ثالثة حبا بالزيادة ، أو رغبة في الارباء على ما كان قبلهم ، ولكنهم كانوا دائما يدرسون الامور عمليا ويستجيبون لها بما تقتضيه طبيعة الاعمال والاحوال ٠

وهنا نرى اضافة حتى في التقسيم الادارى لبلد مفتوح ٠٠ ونقل العرب في القرن الثالث الهجري أمور صقلية من حال الى حال ٠ فقد كانت الزراعة فيها على حال من التأخر مع وجود الامكانيات الكثيرة للتقدم الزراعي ٠ فأقبلوا على تجويد الزراعة فيها (وأدخلوا – كما يقول الدكتور لوبون – الى صقلية زراعة القطن وقصب السكر والدردار والزيتون ، وحفروا فيها الترع والقنوات التي لا تزال باقية ، انشأوا فيها المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم) ٠

اما الصناعة فقد بلغت على يد العرب شأنا ذا بال في صقلية ، فاستغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية (واستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت والرخام والجرانيت وغيرها بأساليب فنية ، وأدخلوا فيها صناعة الحرير ٠٠٠ ويحمل كل شيء على القول بانتشار فن صياغة المنسوجات في أوربة من صقلية)٠

ومما يؤكد قولنا في حيوية العرب في مجال الحضارة والتوسع ، انهم لم ينقطعوا لحظة عن اداء رسالتهم الحضارية في صقلية بعد أن غلبوا على امرهم فيها وزال سلطانهم السياسي في القرن الخامس الهجري ، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي . فقد استمر العرب – بعد هزيمتهم السياسية في تلك الجزيرة – على القيام بدورهم الثقافي فيها زمنا غير قصير ، واذا كان لملوك النورمانديين – المتغلبين على صقلية من العرب – فضل في هذا باستخدامهم العرب في تلك الميادين فان العرب من ناحيتهم عرفوا كيف يحسنون الخدمة ، ويؤدون الرسالة الحضارية في بلاط ملك نورماندي جديد .

ومن المؤسف في تاريخ العرب ان تلتقي الحيوية الدافقة والانقسام الهدام على صعيد واحد ، وعلى تربة واحدة ، فيعمل كل منها عمله ، وينتهي الامر غالبا بفقدان الحيوية امام عواصف الانقسام . ولقد شاهدنا ذلك في الاندلس حيث كانت الحضارة العربية سائرة ، وكان انقسام ملوك الطوائف يمشي بخطى فساح . وشاهدناه في صقلية في القرن الخامس الهجري حيث سهل انقسام العرب وتشتيت كلمتهم فتح النورمان اياها واستيلاءهم عليها وانتزاعها من يد العرب جملة سنة ١١٩٤ ميلادية ٠ على أن ذلك لم يمنع العرب من ان يأخذوا دورهم في التاريخ بما توجبه حيويتهم وعناصر الطموح والاستعلاء فيهم ، فقد ضاعت الاندلس من يد العرب والمسلمين ، ولكن المسلمين والعرب لم يضيعوا ، لان حيويتهم وايمانهم بأنفسهم اكبر من ان تتأثر بحادث طارىء .

ومن كانت شواهد امسه مملوءة بهذا الحشد الزاخر من عناصر الحيوية والاضافة والاستعلاء ، فلابد ان يكون حاضره وغده مؤكدين لذلك الماضي الرائع الجليل ..

محمد عبد الغني حسن

من وحي اليمن

صنعاء

في طريق الشمس

.. مع صحوة الشمس على جبين صنعاء ، وهي تفجر النور والثورة من صدرها الأبي في كل مكان ،

ازدحم النور على بابك ..
والفجر اطل بأعتابك ..
والليل الرابض بترابك ،

***

فاجاه القدر المحتوم
وهته رياح ورجوم ..

هبت كالبغتة من قلبك
تتوهج نارا في دربك

***

وتبيد الليل ، وتحييه
نورا يتدفق لعذابك !!

***

اصغيت طويلا لفضائك
والصحوة تجرى بدمائك
والأمس يطل لأضوائك

***

مفزوع النظرة ، لا يدرى
من أين مزامير الدهر ..

***

.. عادت لتجدد أيامه ؟!
وترد اليه اعلامه ؟!

***

وصلاة الشمس ، وسجدتها
في كل صباح لسمائك !!

***

وسمعت طيورا ازليه
للرق صباحا وعشيه
تلغو بضياع البشرية

***

مسجاها الظلم وهدهدها
والقسوة غنت معبدها ..

***

واتاها من ياتي الأجلا
حصاد لا يعرف مهلا

***

سواها نغما ، وربابا
وملاحن عز ابديه !!

***

ورايت كهوفا مبهوره
تتثاءب حولى مقهوره
شابت كخريف الاسطوره

***

واتاها النور ، كما ياتي
حشر ينقض على موت !

صيرها كونا جبارا ..
يتوثب ليلا ونهارا ..

***

.. لترد ضحاه من الماضي
ويعيد الى الدهر سطوره !!

***

ورايت رفات الرجعيه
تشويه رياح عربية ..
تتفجر منها الحرية

***

فترد اباء الانسان
وتذيب هشيم الطغيان

***

وتهد بقايا الأغلال
وتبدد ظلم الأجيال

***

ومن الطاغوت وسطوته
لا تترك في الارض بقيه !!

***

« بلقيس » اتتك بسجدتها
لضياء الشمس ، وفرحتها
ورمتك بخاشع نظرتها

***

قدسا وصلاة لضيائك
ونشيدا يركع لسمائك !

واذانا بصباح اليمن
يترنم في سمع الزمن ..

***

سيرى بالنور وثورته
واعيدى الخلد لجنتها !!

محمود حسن اسماعيل

الفكر العربي والاسلامي في اسبوع

بقلم محمد عبد الله السمان

السنة قبل التدوين :

هذا البحث الذي يقع في حوالي ٦٥٠ صفحة ، موضوع رسالة تقدم بها مواطن سوري هو الاستاذ «محمد عجاج الخطيب» الى كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة لنيل الماجستير في العلوم الاسلامية ، واشرف عليها الاستاذ علي حسب الله استاذ الشريعة بالكلية .

مهد المؤلف لبحثه بتمهيد مسهب تناول فيه موضوعين : الاول التعريف بالسنة في اللغة ، وفي الشرع ، وفي اصطلاح المحدثين ، وفي اصطلاح علماء اصول الفقه ، وفي اصطلاح الفقهاء كما تناول بالشرح معنى الحديث والخبر والاثر . اما الموضوع الآخر فقد عرض فيه موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم .

واما ابواب البحث الخمسة ، فقد تناول في الباب الاول السنة في العهد النبوي ، وفي الباب الثاني السنة في عصر الصحابة والتابعين ، وفي الباب الثالث قضية الوضع في الحديث وذكر من اسباب الوضع الاحزاب السياسية ، والشيعة وخصومها ، والخوارج ، والزنادقة ، والتفرقة العنصرية ، والتعصب ، والقصاصين ، والراغبين في الخير ، والخلافات المذهبية والكلامية ثم التزلف الى الحكام .

وفي الباب الرابع أجاب باسهاب عن هذا السؤال : متى دون الحديث ؟

وفي الباب الخامس والاخير عرض لاعلام الحديث من الصحابة والتابعين . الحق أن البحث جيد ممتع بذل المؤلف فيه مجهودا طيبا ، فقد كان كما أشار الاستاذ علي حسب الله في تقديمه : أصيلا في بحثه لم يعوزه توجيه ولا ارشاد ، جمع بجده كل ما استطاع الوصول اليه من مراجع ، وتناول كل ما يلائم بحثه ثم عرض ذلك على مقاييس صحيحة في نزاهة وصدق وايمان » .

واقول : ان من يتصدون للحديث ينجحون تماما في تقديم ابحاث اكاديمية على جانب من الدقة والعمق ، ولكن المشكلة القائمة بشأن الحديث لا زالت تحتاج الى منهج علمي أيضا لعلاجها ، فالاحاديث النبوية من الكثرة بحيث يتعذر حصرها ، ولكن الصحيح المعتمد منها كما يقول : الدار قطني احد حفاظ الحديث كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود .

وهذه هي المشكلة ، ولا يستطيع باحث أو باحثان علاجها ، فهي في حاجة الى مجمع كمجمع اللغة العربية يسهم فيه علماء المسلمين من شتى الأقطار الاسلامية ، فلا زال كل من هب ودب يستشهد بالاحاديث دون تهيب لانه على يقين من أن عالما لن يحاسبه .

ديوان مجد الاسلام :

ديوان مجد الاسلام أو الالياذة الاسلامية للشاعر المرحوم أحمد محرم طبع منذ أيام لاول مرة ، واشرف على ضبطه وتصحيحه ومراجعته الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشي بالشئون الدينية بالاذاعة العربية ، وجاء الديوان في حوالي ٤٥٠ صفحة ، وقدم له بمقدمة جيدة الكاتب الاسلامي المعروف الاستاذ محب الدين الخطيب ، وهو صاحب فكرة ديوان مجد الاسلام ، اذ أرسل منذ ثلاثين عاما للاستاذ أحمد محرم يستحثه أن يسجل للاسلام امجاده ومفاخره ، كما سجلت الالياذة مفاخر الاغريق ، والشاهنامة مفاخر الفرس .

وقد استجاب الشاعر فتناول بالشعر الرصين أحداث الاسلام ، منذ مطلع النور الاول من افق الدعوة حتى آخر سرية لأسامة بن زيد قبيل وفاة الرسول .

وقد قدم الشاعر لكل حدث ببحث مقتضب يلقي أضواء عليه ، والتقط بعض اللقطات الحية فحولها الى شعر ، فمساومة قريش للرسول على يد عمه أبي طالب يقول فيها :

جاءه عمه يقول : اترضى
أن يقيموك سيدا او اميرا
ويصبوا عليك من صفوة الما
ل حيا ماطرا غيثا غزيرا
قال : يا عم ما بعثت لدنيا
أبتغيها وما خلقت حصورا
لو اتوني بالنيرين لاعرضـ
ـت أريهم مطالبي والشقورا

في موكب العلم

القمر وماذا نفيد من ريادته

للاستاذ فوزي الشتوي

عقد اخيرا مؤتمر القمر في مدينة «بلاكسبورج» بامريكا ، وحضره عدد كبير من الفلكيين وخبراء علوم الفضاء في بريطانيا وامريكا . وهو احد المؤتمرات الكثيرة التي تعقد في هذه الايام استعدادا لزيارة القمر سواء بذهاب اناس تكشف أسراره ، او بارسال محطات ارصاد واقمار صناعية ترتاد مجاهله ، ثم ترسل ماحصلت عليه من بيانات الى الارض .

ورغم ان القمر هو اقرب الاجرام السماوية الى الارض ، واننا نراه بالعين المجردة، فان معلوماتنا عنه قليلة ، وغير يقينية بطريقة مخجلة . واكثرها

الفكر العربي والاسلامي في اسبوع ـ بقية ـ

أن يشيروا بمـــا علمت فاني
لادع الهــوى واعصى المشيرا
دون هـــذا دمي يراق ونفسي
تطعم الحتف رائعـــا محذورا

اجل : لقد طبع الديوان في وقته ، فقد تطاولت الالسنة الموتورة على امجاد الاسلام ، وكاد المسلمون انفسهم أن ينسوا أمجاد ماضيهم .

تاملات في الادب والفن :

في العدد الاخير الذي وصلنـــا من مجلة الهدى الاسلامي التي تصدرها الجامعة الاسلامية في ليبيا، كتب الاستاذ أبو بكر الفقهي مدير مكتب الاتصال بالعالم الاسلامي بالجامعة تحت هذا العنوان بحثا مركزا ، ذكر فيه أن الاديب والفنـــان كليهما في طريق واحد ، وأن كلا منهما يحلق ويبدع ويصور باليراع والريشة انطبـــاعات الحياة وفلسفاتها ، وينقب في أغوار النفس عن سمو المبادىء وجمال الفكرة .

ويرجع الكاتب هذا الجفـــاء الشديد بين القديم والحديث والنفـــور المفرط بين رواد العهدين الى التشـــويش الذي تضفيه طبقة الدخلاء من المتأدبين والمتفننين ، الذين تعج بهم أسواق الكلام ومتاهات الفن ، فلاهم بالذين يحاولون تحديد خطوط سيرهم، ولاهم بالذين يكفون عن هذا الازعاج الفكرى ..

نحن مع الكاتب في هذا ، ولكن طبقة الدخلاء تجد من رواد العهدين من يشجعها ، ويدفعها الى هـــذا اللغو والعبث ، وبأيدى هؤلاء الرواد وحدهم يمكن لهذه الطبقة أن تنزوى في خبر كان .

ماساة الوثائق الاسلامية :

ذكرت جريدة الاهرام في ١٩٦٣/٧/٢٩ نقلا عن مدير مكتبها في نيويورك أن المصـــادر اليوغسلافية قالت : ان زلزال سكوبلي ادى الى فقـــدان بعض المخطوطات العربية الثمينة التي تعتبر بمثابة وثائق اســـلامية نادرة ، فقد كانت هذه المخطوطات من محتويات المتحف الذي انهار بفعل الزلزال .

لا شك في أن هذه خسارة فادحة للفكر العربي والاســلامي ، ولعـــل هـــذه المأساة تستحث مجمع البحوث الاسلامية بالازهر والذي لم يتحرك بعد ، والجـــامعة الازهرية والجـــامعة العربية والمؤتمر الاسلامي للعمل من أجل تصوير الوثائق الاسلامية والعربية في الشرق والغرب ، وبالاخص ما في دار الكتب الوطنية بباريس ، والمتـــحف البريطاني والمكتبة الوطنية في لندن ، ومكتبة دير الاسكوريال في مدريد ، وجامعة بريستون ، وجامع الزيتـــون بتونس ، وجامع القرويين في المغرب ووزارة الاوقاف في بغداد .

ان الاستاذ محمد أسعد طلس ظل سنوات يبحث في المخطوطات الراكدة في خزائن الاوقاف ببغداد ، فاستطاع ان يسجل في كتاب ٣٦١٤ مخطوطة ، ولكن أحدا لم يفكر مثـــلا في تصويرها ، والعراق معرضة للاخطار لا سيما بغداد . ومن يدرى مايخبئه القدر لهذا التراث الاسلامي والعربي النادر من أخطار اذا ما أصيبت وزارة الاوقاف في أحداث مفاجئة .

أرجو أن تكون أول مهمة مجمع البحوث الاسلامية هي الحفاظ على التراث العربي والاســـلامي ، وهي مهمة شاقة مضنية ليست بالهينة ولا باليسيرة .

محمد عبد الله السمان

نظريات وفروض حائرة لاتستقر على حال ، ولا يؤمن بها حتى اصحابها ، بل اطلقوها كاحتمال يساير بعض الحقائق ، ويفسرها

وشهد هذا المؤتمر واحدا منهم ، وهو العالم المشهور « هارولد يورى » الحائز على جائزة نوبل العالمية . وفي حديثه الى المؤتمر ، اعترف بأن كل النظريات التي قيلت عن تكوين القمر ونشأته ـ ومنها نظريته ـ بعيدة الاحتمال

تصرفات المادة والبيئة

وتتلخص هذه النظرية في ان القمر تكون من ٤٫٥ بليون سنة على اثر انفجار كبير اسفر عن سحابة ضخمة من الغازات الحارة . وبمرور الزمان بدأت اطرافها تبرد ، وتؤلف نثارا من الغبار الذي بدأ يتجمع ، ويؤلف الكواكب . ولسبب ما لم يلتحم نثار القمر مع نثار الارض ، ويتجمع فيهما ، بل تألف وحده ، وعلى مقربة منها ، فصار تابعا لها بحكم قوانين الجاذبية

ولريادة القمر ومعرفة أسراره أهمية كبيرة بالنسبة للارض ذاتها . فرغم اننا نعيش عليها ، فاننا لانعرف كيف نشأت ، ولا كيف بزغت فيها الحياة . اننا نعرف ان المادة تصرفت على الارض بطريقة خاصة تلاءمت مع بيئة الارض من هواء ، وجو ، وتربة . وبهذا التلاؤم ظهرت الحياة ، وتطورت الى الانسان

نعرف الكثير عن هذا التلاؤم والانسجام على الارض ، وفي بيئتها وحدها ، اما مايحدث للمادة اذا ماتغيرت البيئة ، وعاشت المادة في بيئة كبيئة القمر ، فاننا نجهله كل الجهل . وعلى كوكبنا الصغير نلمح خواص المادة وصفاتها ، وهي تتغير ، وتكتسب جديدا كلما غيرنا بعض بيئتها . ومن الامثلة المالوفة الماء ، فاذا خفضنا حرارته الى درجة الصفر صار صلبا ، ورأيناه على هيئة ثلج ، واذا ما رفعنا الحرارة الى درجة الغليان ، تحول الى بخار ، وغازات .

علوم تغيير البيئة

وفي مجال التبريد والتسخين ظهرت علوم جديدة هدفها اكساب المواد صفات وخواص جديدة غير معروفة ، ويمكن استغلالها في عالم الصناعة لتقدم للانسان سلما عجز عن الحصول عليها بالطرق المالوفة . ولعل اشهر المواد في هذا السبيل هي قطعة الياقوت التي لم تجد لها من نفع الا زجها في راس خاتم تتزين به ، ولكن خفض حرارتها الى درجة ٢٥٠ تحت الصفر تجدها ذات قدرة فائقة على التقاط موجات اللاسلكي ، التي يتعذر على اي جهاز آخر ان يلتقطها

وبمعونة قطعة من هذا الياقوت تيسر التقاط الموجات اللاسلكية من الاقمار السابحة على ارتفاع يزيد على الف كيلو متر من الارض . ومثل هذه الموجات تنطلق من القمر الصناعي ضعيفة بطاقة كيلووات واحد او اثنين . وفي هبوطها الى الارض تصدم ملايين الذرات في الغبار الكوني ، وفي الهواء ، فتتناثر ، وتضعف ، وتختلط بعشرات من الوان الضوضاء

وتصل الى الارض بمعدل واحد من مليون من قدرتها عند بدء انطلاقها ، ومع ذلك تقوى الياقوتة الباردة على التقاط هذه الموجات المتناهية الضعف وحدها ، وتستبعد كل موجات او ضوضاء اخرى . وبمعونة هذه الخاصية المكتسبة بفعل التبريد يسعى العلماء الى تحقيق ضمان المواصلات اللاسلكية على الارض بمعونة الاقمار الصناعية التي تعمل بمحطات لنقل الاذاعات .

التسخين والطاقة الذرية

واذا ما اردت مثلا على التسخين ، فانك تجده في الشمس ، التي عاشت كل حياتها وهي ترسل لهيبها بفضل حرارتها الدائمة ، فهي مجموعة ضخمة من القنابل الايدروجينية الدائمة الانفجار . في الشمس وبفعل الحرارة صار غاز الايدروجين الذي تجده في الماء ، وفي الهواء ، وفي جسمك

وهناك اكتسب غاز الايدروجين صفات طبيعية يسرت للشمس ان تتعامل مع نواته ـ لا مع قشرته ، كما نفعل نحن على الارض ـ وفي هذا التفاعل تلتحم نوى الايدروجين بعضها ببعض لتؤلف غازا

جديدا هو الهيليوم ، وفى الوقت نفسه تطلق الطاقة النووية التى نسعى جاهدين للسيطرة عليها

فى القمر سنعثر على كثير من اجوبة الاسئلة الخاصة بالمادة ، وكيف تغير صفاتها ، وتكتسب اخرى اذا ماتعرضت لتغير البيئة ، فهناك ترتفع الحرارة الى مافوق درجة الغليان على الارض ، فى اثناء النهار حين توجه الشمس اشعتها الى القمر ، فاذا ما اقبل الليل ، واختفت الشمس انخفضت الحرارة الى اقل من ١٥٠ درجة تحت الصفر ، وبين هذين النقيضين ، سيعرف الانسان جديدا عن المادة وخواصها ، مما يفيد اهل الارض ، اضف الى هذا تكوين فكرة عامة عن الكون وكيف نشأ اذ يعتقد الخبراء ان القمر احتفظ بحالة تكوينه الاولى

القمر علمنا

وجنى الارض الفوائد من دراسة القمر ليست جديدة على البشرية . فمنه عرفت ان الارض كروية ، اذ لاحظ الفلكيون فى القرن الرابع قبل الميلاد مظاهر الخسوف ، حين تتوسط الارض بين الشمس والقمر ، وتلقى بظلها عليه ، فيظهر الظل مستديرا ، ويدل على ان صاحبته الارض مستديرة وكروية

ورغم كل ماكتبه الشعراء والادباء عن القمر والتغزل فى محاسنه وضوئه ، ورغم ان فئة كبيرة من الناس عبدوه واتخذوه الها ، فان فضل دراسته بطريقة علمية منظمة يعزى الى « جاليليو » الذى وجه اليه منظاره فى عام ١٦٠٩ . ومنذ ذلك التاريخ والفلكيون يحاولون فك طلاسمه ، ولكن الجانب الاكبر مما حصلوا عليه مجرد نظريات وفروض لا تظفر بتأييد اجماعى للعلماء

وهم يتفقون على ان قطره ٣٤٥٧ كيلو مترا ، وان كثافة مادته ٣ر٣ ، بينما كثافة الارض ٥ر٥ ، وان كتلته تساوى واحد الى ٨١ من كتلة الارض ، وان معدل بعده عن الارض يبلغ نحو ٣٩٠ الف كيلومتر اما تاريخه ، وطبيعة مادته ، وما يحويه من ماء وهواء ، وما يقال عن جوفه وان كان حارا ام باردا ، وما قد يحويه من احياء ، فكل هذا مجرد نظريات وفروض لم تظفر باى تأييد اجماعى ، بل ينقسمون الى شيع متباينة الاراء . وقد شهد مؤتمر « بلاكسبورج » هذا التباين والاختلاف .

الجاذبية ولدت حرارة

وفى هذا المؤتمر عرض الدكتور « زدنك كوبال » نظرية جديدة قال فيها ان جوف القمر ساخن ، وتصل حرارته الى نحو ١٨٠٠ درجة ، ولم يدلل « كوبال » على وجود هذه الحرارة بما سبق قوله عن المواد الذرية المشعة التى قد يحويها ، فترسل الحرارة فى جوفه ، ولا على ضغط مادته بعضها على بعض ، بل عزاها الى جاذبية الارض وتأثيرها على حركة المادة فى القمر ، وقال انها تحدث فيه احتكاكا يولد حرارة داخلة الى فرن يصهر أية مادة .

واثارت هذه النظرية عدة تكهنات عن تضاريس صفحة القمر ومن اهم مظاهرها السهول المنبسطة



القمر .. ان معلوماتنا عنه قليلة ومخجلة وما نعرفه عن سهوله وجباله وفوهاته وقشرته نادر محير

احد الاقمار الصناعية التى ينوون ارسالها الى القمر لزيارته وفحص تربته وما ينتظر أن يحويه من بيئة واحياء

ـ أو البحار كما سماها الاقدمون ـ والجبال ، لم مايظهر كفوهات البراكين . وتظهر السهول والجبال للعين المجردة كمناطق معتمة واخرى مضيئة . ومن اختلاط هذه الظلال راى الناس وجه انسان فى القمر

٩٠٪ جبال

والاجزاء المضيئة هى الجبال ، وقدر كوبال المساحة التى تشغلها بنحو ثلثى صفحة القمر الظاهرة ، وتزيد الى نحو ٩٠ ٪ فى الوجه الخلفى للقمر ، كما صوره القمر الروسى فى عام ١٩٥٩ . ومن هذه الصور رأينا هذا الوجه لاول مرة . فبفعل جذب الارض وسرعة دوران القمر حول نفسه ، فانه يواجه الارض بأحد نصفيه فقط ، اما النصف الآخر فلا يرى منها

وتستطيع ادراك هذه الظاهرة اذا ما وضعت مقعدا فى منتصف غرفتك ، ثم درت حوله بوجهك متجها اليه فى نصف دائرة . سترى ان وجهك متجه الى المقعد ، ولكن تقدم الى الامام فى خط مستقيم لتقف فى وضعك الاول تجد ان ظهرك هو المواجه للمقعد . ومعنى هذا ، انك درت حول نفسك نصف دورة ، وهى نفس الحركة التى يؤديها القمر

على ان دورة القمر ليست منتظمة كل الانتظام، فالجزء الذى يظهر دائما من كرته يبلغ نحو ٤١ ٪ منه ، ومثله لايظهر امام الارض . اما الجزء الباقى وقدره ١٨ ٪ من صفحة القمر، فاحيانا يظهر واخرى يختفى تبعا لحركته ، واوضاع الارض ذاتها .

فوهات البراكين

وقاس الدكتور « كوبال » ماتعكسه فوهات براكين القمر من اشعاعات ، فوجدها متساوية الاشعاع . وان مظهرها واحد سواء اكانت كبيرة ام صغيرة اذ يتفاوت قطرها بين ٠٫٨و٢٤٠ كيلومترا، كما ان عددها كبير ، ويبلغ نحو ٣٠٠ الف فوهة يتفاوت ارتفاع حوافيها بين ٩٠٠ و ١٨٠٠ متر

واختلفت الاراء فى تكوينها فقيل انها نشأت بفعل براكين انتابت القمر ، كما قيل انها آثار نيازك ضخمة انقضت على صفحته من الفضاء ، ويساعد على ترويج هذه النظرية صغر حجم القمر ليحوى كل هذا العدد من البراكين ، ويؤيده ما يحدث على الارض من فجوات واسعة حين ينقض عليها نيزك كبير يحترق بعضه فى الهواء ، ولكن الكتلة التى تصل الى الارض تحدث مثل هذه الفجوات الواسعة والعميقة .

وايد فكرة النيازك التجارب التى اجريت على الارض لمعرفة شكل الفجوات التى تحدث من الانفجارات الذرية ، وضرب الارض بالقنابل ، واعترض سبيلها ان القمر لايزال يتعرض لآلاف النيازك والشهب ، ومع ذلك لم يلاحظ الفلكيون نشوء فوهات جديدة على سطحه . ويبرر الفلكيون عدم نشوئها بصلابة هذا السطح

الشهب وسطح القمر

وقال الدكتور « شوميكر » ان هذه الشهب والنيازك التى تنقض على سطح القمر فتنتهى الى نثار عميق يكفى لاغراق آية سفينة فضاء تحاول الهبوط عليه ، على ان دراسات اخرى قالت ان سمك هذه الطبقة غير عميق بل طبقة رفيعة تعمل كما هى للصدمات عند هبوط سفينة عليها .

ومرة ثانية ظهرت نظرية اخرى وهى ان سطح القمر يتألف من مواد صلبة كالحمم التى تلفظها البراكين ، وتنشأ من الحرارة التى تحدث عند سقوط النيازك ، وبفعلها تنصهر المواد فاذا ما بردت تماسكت فى صلابة .

وعرض الدكتور « فرد سنجر » ، وهو من الباحثين الذين اشتهروا بدقة تحرياتهم ، نظرية جديدة عن جو القمر ، فقال انه يحوى جوا ، ولكنه جو انتقالى لم يعرف مصدره بعد ، ويحتمل انه ينشأ من تفاعل فى سطح القمر ، كما يحتمل ان ينشأ من غازات تتجمع فى الفضاء وتصدم القمر.

حياة من لون جديد

وانضم اليه العالم « اوبيك » من جامعة ماريلاند ، فأكد وجود طبقة رقيقة من الهواء . وان بعض جزئياتها من الماء الذى يتحول الى جليد بفعل برودة القمر . ومن الملاحظات والدراسات المختلفة قال ان سمك طبقة الجليد التى تكونت بهذه الطريقة ترتفع ٩٠٠ متر

أما عن نشوء الحياة على القمر ، فكان نصيرها الدكتور « كارل ساجان » من جامعة هارفارد . وقرر ان بعض البحوث تدل على وجود مواد عضوية فى القمر ومثل هذه المواد لاتوجد الا حيث توجد حياة . وايد دراسته « بما عثر عليه العالم الروسى « كوزيريف » اذ كان يدرس فوهة اسمها « الفونسو » بالقمر ، وبمعونة اجهزة التحليل الطيفى اكتشف وجود احدى المركبات الكربونية التى لامثيل لها على الارض

والكربون هو المادة الاساسية فى بناء الاحياء على الارض ، ومنها يشيد النبات والحيوان والانسان اجسامهم ، والعثور على مثل هذا الكربون يدل على ان هذه المادة تلائمت على القمر بطريقة ما ، فأوجدت نوعا جديدا من الحياة التى رجع « ساجان » أن تكون نوعا من البكتريا والاحياء الدقيقة . فمثل هذه الاحياء تستطيع احتمال قسوة البيئة فى القمر .

اجهزة الرواد

ولمثل هذه الدراسات اهميتها فى صنع الاجهزة التى تستطيع زيارة سطح القمر ، ثم ارسال البيانات الخاصة بها . ومن البديهى ان كلا من هذه الاقمار تزود بأجهزة معينة لدراسة ظواهر خاصة . والجهاز الذى يدرس صفحة القمر ان كانت ترابية ، غير الجهاز الذى يدرسها ان كانت صخرية ، او من حمم البراكين .



رائد القمر .. هكذا تخيله الفنيون وهو داخل سترة توفر له هواء الارض وضغطها وتحميه من بعض مشكلات القمر

وتبعا لما عرضه العلماء من نظريات فستضاف الى الاقمار أجهزة جديدة كما يستبعد منها اخرى . ومن هذه الاجهزة ماسيدرس لون الحياة ، فيخرج منه شريط تلتصق به بعض مواد القمر ، ثم يرتد الى داخل وعاء لتتكاثر فيه الاحياء ان وجدت ، فاذا ماتم التكاثر ارسلت بيانات عنه ، على ان الغذاء الذى يقدم لهذه الاحياء مشكلة ، لان موارده من الجائز ان تقتل تلك الاحياء ، ومن الجائز ان لاتفيدها ، ولعل معرفة هذا النوع من الكربون تؤدى الى حل هذه المشكلة واختيار الغذاء الملائم لهذه البكتريا ان وجدت .

فى عالم الفن
أزمة المسرح الاستعراضى

للاستاذ عبد الفتاح البارودى

اخطأت كل فرق المسرح الاستعراضى فى شيء واحد : لم تشرح اتجاهاتها الفنية وأساليبها فى التنفيذ والاهداف الفنية التى تريد ان تحققها والخطوات التى اتخذتها لتطوير الفنون التى تمارسها ... الخ ...

صحيح ان مثل هذه المسائل من اهم واجبات النقاد ، ولكن هذه الفرق وكل الفرق المسرحية بلا استثناء مسئولة عن التعريف بأعمالها ... ان تقديم الأعمال المسرحية من التقاليد الفنية المسرحية التى لا ادرى لماذا أغفلناها ... ان عملية التقديم هذه تعتبر جزءا من العمل المسرحى نفسه ، وكانت فى المسرح الاغريقى أو الرومانى تسمى « البرولوج » وكان البرولوج مقدمة اساسية لمختلف الروايات .

وانا لا اطالب بعودة البرولوج الرومانى مثلا ، ولكنى الاحظ ان معظم الذين يناقشون مشكلاتنا الفنية ، والذين يتظاهرون بالتعمق مثلا ، لم يجدوا فى المسرح الاستعراضى « أعماقا » يغوصون فيها .. ومن اجل ذلك اريد ان تعد كل فرقة نشرة تشرح فيها بشيء من التفصيل أعمالها ، وعندئذ سيجد اصحاب الاعماق والابعاد ان المسرح الاستعراضى جدير بالمناقشة ، وبالبحث الاكاديمى ايضا ، او هو على الاقل أكثر جدارة من البحوث المتحفية التى يتناولونها بأفكار مجردة قد تكون رائعة ودقيقة ، ولكنها - غالبا - غير ذات قيمة فى التثقيف الشعبى الذى يحتم الارتباط بواقعنا الفنى .

***

اظن ان الفرق الاستعراضية التى ولدت فى هذا الموسم فقط ، اصبحت من مكونات هذا الواقع ، بل انها تنعشه بما تبذله من جهد متواصل ، وما تحرزه من نجاح مذهل ماديا وفنيا ... وليس نجاحها فقط هو الشيء الوحيد الذى يستلزم مناقشة اعمالها ، وان كان هذا سببا كافيا للمناقشة ، ولكن هناك سببا آخر ، وهو أنها رغم حداثة ميلادها شاركت مشاركة ايجابية فى تطوير فنون الموسيقى والرقص والغناء ، وقدمت نماذج متطورة من هذه الالوان اثارت اهتمام الجمهور بشكل واضح برهن على وعى الجمهور ، وعلى رغبته فى التخلص من ممارسة هذه الفنون بالاسلوب الارتجالى .

واذن فمن واجب الباحثين الدارسين ان يناقشوا هذه التطورات ، وان يساعدوا الجمهور على تعميق مفهوماته الفنية ، ويساعدوا هذه الفرق على مواصلة التطوير لتقل فنوننا نهائيا من مرحلة الارتجال الى مرحلة العلم ...

اننا اولا نريد القاء الضوء على هذه التطورات ونحللها لنتعرف ماهيتها ومدى فعاليتها ... ان فرقة الفنون الاستعراضية الغنائية مثلا قدمت لوحات متعددة اعتمدت فيها على الرقص والغناء والموسيقى ، فما هى التطورات التى احدثتها ؟ فى الرقص اتجهت الى التشكيلات الجماعية التى تعبر عن فكرة ، وتؤدى بايقاعات مرسومة ومدروسة وبميزانسين محدد على اساس تعبيرى ... بهذا ينتقل الرقص من « هز البطن » لمجرد الاثارة الجسدية ... وفى الموسيقى اتجهت الى التاليف القائم على « الفورم » الفنى اى الشكل المدروس ، والمكتوب بالنوتة اى باللغة الموسيقية ، والمعزوف على الاوركسترا ... بهذا تنتقل الموسيقى من التاليف البدائى القائم على مجرد استخدام انغام مكررة ومتعاقبة تعزف على التخت بلا رابط فنى.. وفى الغناء اتجهت الى الحوار الفنى والأداء الكورالى اى الذى يشترك فيه « كورس » ، والأداء الاوركسترالى ، والتوزيع ، والهارمونى .

نفس هذه الاتجاهات العلمية اتجهت اليها الفرقة القومية للفنون الشعبية فى مجالها الذى حددته طبيعتها ووظيفتها ... انها فرقة تعتمد فى اسلوبها على الرقص والموسيقى بدون غناء ، وفى موضوعاتها على الفولكلور ، ورقصاتها وموسيقاها تتوافر فيها نفس الخصائص الفنية المتطورة ، وموضوعاتها مستلهمة من الاحساسات الشعبية .

وفرقة القاهرة الاستعراضية تختلف عن ذلك فى اسلوبها وفى مادتها ، ومع ذلك فانها تقدم نماذج فى نفس الاتجاه العلمى ... انها تقدم رقصات

وباليهات من مختلف بلاد العالم وفى المستوى العالمى .

ليس معنى ذلك ان هذه الفرق بلا عيوب ... فيها عيوب كثيرة ... ان رقصات الفرقة الاستعراضية الغنائية تخللتها بعض الرقصات الفردية بلا مبرر ... بل اننا فى (اوبريت حمدان وبهانة) رأينا رقصة فردية توقف حركة الاوبريت. وموضوعات اللوحات فيها شىء من السذاجة من حيث التأليف ... وطبيعى ان الموضوعات الاستعراضية لا يشترط فيها العمق والدسامة .

ولكن لا بد من ان يتوافر فيها التكنيك الفنى ... ثم ان بعض الالحان الغنائية تؤدى اداء انفراديا .. فمثلا فى الاوبريت كانت المطربة الاولى تغنى بمفردها، والمطرب الاول يغنى بمفرده ، وكان من اللازم فنيا ان يكون غناؤهما حوارا بينهما ولو فى بعض المشاهد، بل انه من الضرورى الا يستخدم الغناء — حتى الغناء الانفرادى — الا لخدمة الموضوع ، اى لتنمية الاحداث فى داخل المجال الفنى .

ايضا فرقة الفنون الشعبية اخطأت فى استخدام موسيقى اجنبية فى اللوحة الفرعونية ..استخدمت موسيقى « فردى » نقلا حرفيا عن اوبرا «عايدة» وكان الاولى ان تحاول تأليف مقطوعة محلية ، كما فعلت زميلتها فى المشهد الفرعونى الذى وضع الحانه عبد الحميد عبد الرحمن .

كذلك فرقة القاهرة الاستعراضية تخللها رقصات فردية ، وبعض مشاهدها ينقصه الربط الفنى بين المجموع .

***

ورغم ذلك كله فان الغرض من تحليل اعمال هذه الفرق ليس مجرد معرفة المزايا والنقائص فى الاستعراضات التى تقدمها ... المهم هو ان نتعمق فى بحث الخطوات التى اجتازتها فى طريقها المتطور .. ان موسيقانا كانت متجمدة فى مرحلة التطريب .. لم يكن لها وظيفة فنية ولا تعبير موضوعى ... مجرد دندنة وسلطنة وتصوير بدائى للنزعات والاحساسات السطحية ... وحدثت محاولات كثيرة للتجديد ولكن فى نفس الدائرة الضيقة التى اختنقت فيها موسيقانا ... طبعا لا اتحدث هنا عن مسرحنا الغنائى القديم ، فان هذا المسرح تحطم وعادت موسيقانا الى مرحلة التطريب .. المهم ان كل التجديدات التى حدثت فى موسيقانا بعد ذلك كانت تجديدات موضعية وليست موضوعية ... ثم جاء المسرح الاستعراضى فى هذا الموسم فقدم تجارب عملية لممارسة الموسيقى فى النطاق الموضوعى ... ان الاعمال الاستعراضية ليست اعمالا موسيقية فى مستوى السمفونيات أو الأوبرات والاوبريتات مثلا ، ولكنها بالضرورة ذات موضوعات متكاملة او صور فنية متكاملة ، ومن هنا كان من الضرورى ان توضع لها موسيقى تتلاءم مع هذا التصوير الموضوعى .

وفى الرقص كذلك ... ان الرقصات المألوفة بيننا هى مجرد تحركات رتيبة أحيانا ، ولولبية احيانا ، ومثيرة فى كل الاحيان ، ولكن الموضوعية الفنية فى اللوحات الاستعراضية استلزمت نوعا آخر من الرقص وهو الرقص الايقاعى التعبيرى الذى يتلاءم مع التصوير الموضوعى .

***

هناك نقطة اخرى فى غاية الاهمية ... ان تهافت الجمهور على هذه الفرق يؤكد صدق احساسه الفنى، ويلغى حجة الفنانين الارتجاليين الذى كانوا يحتجون بأن الجمهور (عاوز كده) ... ان ظهور الفرق الاستعراضية اثبت بالتجربة العملية ان الجمهور يريد الاعمال المتطورة .

واذن فلكى ننتقل بفنوننا من المرحلة الارتجالية لا بد من مناقشة الاعمال المتطورة لندرك مواطن التطور ونستفيد من المناقشة فى مواصلة التطور.. ان الفرقة الاستعراضية الغنائية تعمل الآن بالاسكندرية بنفس النجاح الذى أحرزته فى القاهرة، وفرقة القاهرة الاستعراضية تعمل على مسرح نقابة المهن الهندسية بنفس النجاح أيضا ، والفرقة القومية للفنون الشعبية احرزت نفس النجاح كذلك،

وهــذا يدل على أن نجــاح الفن المتطور ليس نجاحا عابرا ، ولكن من المهم التركيز على المسببات الفنية لهذا النجاح لتعميق الوعى الفنى ... لا يكفى أن نقول ان « الباليه » أرفع مستوى من الرقص الذى نسميه بالرقص الشرقى ، وانما المهم ان نعرف مثلا اهمية « الميزانسين » ... اننا فى واقعنا الفنى المتطور لا نريد الغاء الفن الشرقى سواء فى الرقص او الموسيقى أو الغناء ، وانما نريد معرفة أسباب تخلف فنوننا ، ومعرفة كيفية معالجة هذا التخلف. لا نريد تحويل الرقص الشرقى الى رومبا وسامبة وانما نريد رفع مستواه الى مستوى الرقصات العالمية ... الفرق فى الميزانسين مثلا ، واذن فلندرس كيف تستخدم الميزانسين فى رقصاتنا ... وفى الموسيقى كذلك .. اننا لانريد تحويل موسيقانا الى موسيقى « الخواجات » ، سواء الخواجات الذين يعزفون الموسيقى الكلاسيكية او الذين يعزفون « الجاز » ، وايضا لا نريد ان نبقى فى المرحلة البدائية وايضا اصبحنا لا نريد استخدام الكلمات التى اصبحت جوفاء ، مثل (رفع مستوى موسيقانا الى الموسيقى العالمية مع الاحتفاظ بخصائصنا) ، فهذه العبارة وان كانت صحيحة الا انها تجمدت من كثرة ترديدها بلا فهم ، نتيجة لعدم الدراسة وعدم الممارسة ... اذن ماذا نريده ؟ نريد فقط أن تكتب موسيقانا بالنوتة ، ونعزفها على آلات اوركسترالية بعد التوزيع والهارمونى ، وفى الألحان الغنائية نريد فوق ذلك ان تكون معبرة عن موضوع ما ، وبهذا الشكل نمارس عملية (رفع مستوى موسيقانا مع الاحتفاظ بخصائصنا) ممارسة عملية تطبيقية ، وهذا هو ما فعلته فرق المسرح الاستعراضى .

***

ان نجاحها ليس مجرد نجاح مادى يتمثل فى ارقام شباك التذاكر، أو نجاح فنى يتمثل فى مستوى انتاجها ، وانما الأهم انها مارست عملها الفنى ممارسة متطورة ، اى حاولت رفع مستوى « فنوننا » بالاساليب العلمية ومن أجل ذلك كنت اريد ان تذيع خلال عرض انتاجها نشرات ايضاحية تعطى فكرة من اتجاهاتها الفنية ، وتساعد على تتبع معالم ووسائل التطوير فى انتاجها ، وخاصة اننا فى هذه الفترة من حياتنا الفنية نحتاج الى تطبيقات عملية اكثر مما نحتاج الى ترديد الكلمات الجوفاء التى حفظها معظم الفنانين دون ان يستفيدوا منها شيئا لأنها اصبحت بلا مدلول .

وفرق المسرح الاستعراضى فوق اهميتها كمجالات تم فيها تطبيق القواعد والنظريات الفنية فى تطوير انتاجنا الفنى ، فانها قدمت للحقل الفنى فنونا جديدة او على الاصح فنونا كنا نعتبرها ثانوية مثلا، بينما هى فى الحقيقة فنون اساسية فى المسرح الحديث ، مثل الديكور والمناظر والملابس .. ان مسرحنا الاستعراضى اهتم بتصميم وتنفيذ العمليات الخاصة بهذه الفنون اهتماما يدل على ادراكه لمعنى تكامل العناصر فى العمل المسرحى ، وخاصة فى المسرح الاستعراضى ... ان شرح هذا يساعد ايضا على تعميق مفهوماتنا الفنية.. فنحن فى حاجة الى معرفة معنى «الهارمونى» فى الالوان والتوازن والتناسق فى العلاقات بين المشاهد والديكورات ... ان هذه العناصر لها دور رئيسى ليس فقط فى تجميل مشاهد الرقص والغناء ، بل فى التعبير نفسه ... وفرق المسرح الاستعراضى استخدمتها بفهم ، ولو اننا لاحظنا ان بعض ملابس الرجال فى اوبريت حمدان وبهانة مثلا لم تكن مدروسة ، بل كانت منقولة من الواقع بدون تكييف فنى .

***

على العموم نحن فى حاجة شديدة الى الثقافة الفنية ، وهذه الفرق اعطت نماذج تطبيقية متطورة، وكان من اللازم ان نبحثها بعمق ووعى لتواصل التطوير ، فماذا فعلتموه ؟ سؤال للباحثين ذوى الاعماق والابعاد .. حاولوا النزول الينا من عليائكم .. حاولوا ادراك واقعنا الفنى ... صدقونى ان ادراك هذا الواقع اكثر دلالة على العمق من « الشعلقة » فى الفضاء !؟

عبد الفتاح البارودى

الكتب : نقد وتعريف

يقدمها

تحسين عبد الحى

لقد أصبح الكتاب من الضرورات الملحة لانسان القرن العشرين فالى جانب ما تحتويه صفحات الكتاب من تسجيل للتقدم الفكرى المعاصر فى مختلف المجالات ـ فى الآداب والعلوم والفنون **فهى تنقل الينا عبر الزمن ذلك التراث الفكرى الذى سطره عقل الانسان فى مختلف العصور لكى يستطيع كل** باحث ومفكر ان يتخذ من تفكير من قبله مرتكزا **لمواصلة بحث ما بداه غيره ..**

والثقافة والفكر الانسانى عامة أشبه ما يكون بالنهر لا بد له من منبع ومصب .. وبين المنبع والمصب .. لجج الامواج بارتفاعها وانخفاضها . وفى أجزاء كثيرة من النهر تصطدم المياه بالصخور لتعوق حركتها .. ومن ثم تتوق على مهل ـ وببطء .

ومن منبع الثقافة الذى يمثل التراث الانسانى ككل الى مصبها اللانهائى الممتد عبر المستقبل البعيد تزدهر أحيانا لتبلغ مرحلة متقدمة عن ماضيها بفعل تطور الانسان واستقراره وتطلعه لبذل مزيد من الجهد لصالح التقدم البشرى العام . وأحيانا وبنفس المستوى كثيرا ما تقف المعوقات أمام التقدم الفكرى فى عصور مختلفة لتجعله يسير ببطء . وما أكثر ماحدثنا التاريخ ـ عن ـ الاضطهاد الذى لاقاه المفكرون فى زمنهم فمنهم من حرق حيا .. ومنهم من حكم عليه بشرب السم .. هذا الى جانب اتهامهم بالهرطقة وغيرها .

ولكن الفلاسفة والعلماء يذهبون .. **ويبقى الكتاب لينقل حصيلة الذهن البشرى لكل من يريد.** ومشكلة عصرنا .. عصر الآلة والسرعة الرهيبة فى مختلف مجالات الحياة .. هى ان الكتاب لم يعد يأخذ المكان اللائق به فى تفكير الانسان المعاصر ..

فكما كان التطور الآلى سببا فى سعادة انسان القرن العشرين باستمتاعه بمباهج الحياة بأقل مجهود ممكن .. فانه كذلك سحق ذهنه وتفكيره .. لم يعد هناك ذلك الفراغ الذى يدفع الانسان للتأمل والسمو .. وانما هناك الصخب والاندفاع اللانهائى نحو المجهول .

وكما عودت الآلة الانسان المعاصر الانتفاع بمعظم الاشياء بأقل مجهود ممكن .. **أصبح كذلك يطلب الثقافة بأقل مجهود ممكن ـ وهنا وجه الخطورة ..**

اننا هنا لا ندعو الى التشاؤم ولكننا نوضح أوضاعا قائمة وأملنا كبير فى أن نفيق من عبودية التقدم لكى نوازن بين ذاتيتنا ومطالبنا .

وسوف تقوم الرسالة بارشاد القارىء الى ما تراه مناسبا من الكتب . ونحن هنا لا نهتم بالكم وانما نهتم بالكيف .. فليست العبرة أن تقدم كتبا كثيرة بقدر ما نقدم الصالح منها ..

—✻—

عالم بلا فاقة

تأليف : بول . ج . هوفمان

ترجمة : يسرى سلطان

يبحث الكتاب فى مشاكل الدول المتخلفة الاقتصادية منها والاجتماعية والاتجاهات والعقبات التى تعوق التنمية فى هذه الدول ويشير المؤلف الى أن الاعداء الاربعة لعصرنا هم : **الجوع والفقر والجهل واعتلال الصحة المزمن .. وان هؤلاء الاعداء المخفين يغيرون على الحياة اليومية لبليونين من سكان العالم.**

ويعرف المؤلف البلد المتخلف بأنه ذلك البلد الذى يفتقر الى الوسائل الكفيلة بالقضاء على فقره . فالطرق والسكك الحديدية غير كافية وشبكة المواصلات غير منتظمة والمصانع والادوات اللازمة للزراعة ناقصة الى حد كبير والناس ذوو التعليم والتدريب اللازم للاسهام بطريقة مفيدة فى عملية التنمية قليلون .. وقد أورد الكتاب نماذج من دول متخلفة مثل **توجو وكولومبيا والهند ونيكاراجوا والكونغو واندونسيا ومراحل التنمية التى تجتازها** .. مثل التخطيط للصناعة واقامة بنوك المدخرات .

وقد أشار المؤلف الى المساعدات التى قدمتها الامم المتحدة الى ليبيا كدولة من الدول المتخلفة . والنتائج المرضية التى توصلت اليها ليبيا نتيجة لهذه المساعدات .. ويرى المؤلف أن التقدم الاقتصادى للدول النامية **مرتبط بالمعونات الاجنبية التى تقدمها الدول المتقدمة . فيقول : « ان الدول الغنية يعتمد مستقبلها الى حد كبير على الدول المتخلفة ، وذلك لتوفير الاسواق والمواد الاولية »** .

ويقول كذلك ان المعونة الخارجية بمثابة الاستثمار لنا ولأولادنا فى عالم متمتع بالمزيد من السلام .

ويرى المؤلف أنه ليس من العدل القاء اللوم الكامل فى التخلف على الاستعمار .. **ولا يرى المؤلف أن**

الاستقلال وحدة وفى حد ذاته ـ يعد ضمانا للتنمية فى الدول المتخلفة ·

—❋—

والرسالة تقول :

ان الكتاب يعالج مشاكل التنمية فى الدول المتخلفة **من وجهة النظر الراسمالية الاستعمارية الصرفة ·· فقد** جانب المؤلف الصواب فى ادعائه أن الاستقلال ليس ضمانا للتنمية والتقدم ·· وذلك لانه من الحقائق الموضوعية التى لا تقبل الجدل أن جميع الدول التى نالت استقلالها أصبح لديها مزيدا من فرص التخطيط للتقدم بعيدا عن الاحتكارات العالمية· **والغريب أن المؤلف يناقض نفسه فى هذا البحث ففى صفحة «٥٩» من نفس الكتاب يذكر كيف أن الانحسار الاقتصادى فى الولايات المتحدة وغرب اوروبا فى عام ١٩٥٧ وعام ١٩٥٨ قد كلف الدول النامية ما يقرب من ـ بليونى دولار ·**

وكيف يؤكد المؤلف اهمية المعونات الخارجية للدول النامية فى الوقت الذى يذكر فيه ·· فى صفحة ١٧ « **ان المعونة الخارجية بمثابة الاستثمار لنا ولاولادنا** » فكيف تكون المعونة الخارجية قائمة على الاستثمار ·· ان لم يكن ذلك استعمارا اقتصاديا مقنعا ! وعلى رغم أن المعونة الخارجية لازمة فى عملية التنمية وذلك الى جانب المدخرات الوطنية ·· فان هذه المعونة هى بمثابة حق للدول المتخلفة على الدول المتقدمة ·· ان هذه الدول لم تتقدم وتتطور صناعيا الا على حساب **الاشلاء الممزقة للاقتصاد الوطنى فى الدول المتخلفة** واذا أورد المؤلف دولا مثل توجو وكولومبيا ونيكاراجوا كدول متخلفة·· فلماذا **لا** يوضح سبب هذا التأخر والعامل الاول له ·· أليست هى شركة **الفواكه المتحدة وغيرها من الشركات الاحتكارية الامريكية التى تسيطر على اقتصاد امريكا الجنوبية كله** وفى اعتقادنا أن المعونة الخارجية التى تكون الدافع الاول والاخير لها هو الاستثمار والاحتكار والتحكم ·· **ما هى الا عوامل معوقة لعمليات التنمية فى الدول المتخلفة ··** والمثال واضح فى دول أمريكا الجنوبية ·· وايران وتركيا ·· وهى من الدول التى تفوز بنصيب الأسد من المعونات الخارجية الامريكية ·· فان هذه **المعونات تذهب** الى جيوب طبقة معروفة فى هذه البلدان ولا تستفيد الشعوب اية فائدة من هذه المعونات **واصبحت المعونات الخارجية من العوامل التى تخلق القلاقل الداخلية فى البلاد التى تتعاطاها**

وفى رأينا أن التنمية الاقتصادية تعتمد **أولا على** ارادة الشعوب وتصميمها **وعلى مدخراتها الوطنية ثم على المعونات الخارجية النزيهة ·· اذا وجدت ··**

والكتاب يستحق القراءة لكى نعرف من خلاله نظرة غيرنا الى مشكلة من أهم مشاكل الساعة وهى التنمية الاقتصادية ·

ويقع الكتاب فى ١٠٩ صفحة من القطع الكبير · والناشر الدار القومية للطباعة والنشر ـ والثمن ـ ١٠ قروش ·

تاريخ الحضارة الهلينية

تاليف : ارنولد توينبى

ترجمة : رمزى عبده جرجس

ويحتوى على عرض **مفصل لتطور الحضارة الهلينية** ومظاهرها وقد تجول المؤلف فى معظم المناطق التى كانت تابعة لتلك الحضارة فى فترة ازدهارها ماعدا ابيروس ـ وبوتيا ـ وهى مقدونيا اليوغوسلافية الحالية ـ ورودس وغيرهما من البلدان ويقول المؤلف **انه من المتعذر أن تقرن الحضارة الهلينية بدولة بعينها أو بلغة بذاتها ·· ان جوهر الهلينية ليس جغرافيا أو لغويا وانما هو اجتماعى وثقافى لقد كانت الهلينية طريقة مميزة من طرائق الحياة تجسمت فى منظمة عليا هى المدينة الدولة ـ** وان أى امرىء استطاع أن يتأقلم مع الحياة على النسق الذى تجرى عليه داخل المدينة الدولة ليعد هلينيا · · · واشار الى مواجهة **خطر المنافسة الفينيقية والاترسكية ومواجهة خطر العدوان الفارسى وكيف فشلت اسبرطه واثينا فى تحقيق الوفاق السياسى وكذلك فشل الملكيات والاتحادات فى تحقق هذا** الوفاق · وكيف أن روما والديانات الشرقية قد تقبلت الحضارة الهلينية وأخيرا ـ انتصرت المسيحية على دين الدولة العالمية الهلينية وانهارت تلك الحضارة ·

والكتاب من الكتب التى تفخر باصدارها سلسلة الألف كتاب ويقع فى ٣١٠ صفحة من القطع الكبير · والثمن ١٩٫٥ والناشر مكتبة الانجلو المصرية ·· ولا غرو أن اضافة كتاب جديد مثل هذا الكتاب الى المكتبة العربية انما هو مكسب للثقافة العربية التاريخية **وخاصة ان مؤلفه·· المؤرخ المشهور ارنولد توينبى غنى عن التعريف ··**

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

لازال عدد من رسائل القراء يرد الى ادارة المجلة كتحية لعودة الرسالة ، والرسالة اذ ترحب شاكرة قراءها بنشر ما يتسع له المجال ، تنتظر ان يكون البريد الادبي مستقبلا آراء ومناقشات حية في موضوعات جديدة تتفق ومنهج الرسالة .

—❊—

عادت « الرسالة » الى الشروق

كنا مانزال طلابا في المرحلة الاعدادية ، وفي موعد وصول مجلة «الرسالة» الى بغداد ، كنا نتقاضى من آبائنا ثمنها مضافا الى مصروفنا اليومي .

وكان لنا نظام خاص للاحتفاء بالرسالة ، على كل واحد منا ان ينتهي من مطالعتها خلال يومين اثنين ، وفي اليوم الثالث ، نجتمع كلنا في بيت احدنا ، كل واحد يحمل مجلته ، ثم تبدأ مناقشة الموضوعات التي جاءت في ذلك العدد .

وكانت الخصومات الادبية التي تثور بين الكتاب على صفحات الرسالة ، موضوع مناقشات حامية بيننا ، بعضنا ينتصر للرافعي ، والبعض الاخر للعقاد . هذا يؤيد زكي مبارك ، والآخر يناصر طه حسين ، والجميع يتلذذ بذلك السحر الذي يفيض به قلم الزيات متصدرا كل عدد من اعداد الرسالة حاملا لواء الدعوة المباركة للنهوض بالادب العربي ، مقوما بقلمه الجبار الساحر كل دعوة معوجة تسيء الى العروبة والاسلام ، او تفرق بين قطر وآخر من اقطار الوطن العربي الكبير .

وعلى صفحات الرسالة ، عرفنا حملة الاقلام في ارجاء وطننا العربي كله . كانت الوحدة العربية قائمة على صفحات الرسالة تسخر بالحدود المصطنعة الفاصلة بين اجزائه وتزدري بالقوة الباطشة المستعمرة التي اقامت تلك الحدود .

—❊—

ومنذ ايام وصل الى القاهرة الحاج طه الفياض، نقيب الصحفيين العراقيين ، وحرص على زيارة صاحب الرسالة ، وضمنا مجلس حبيب في مكتب أستاذنا الزيات ، وراح احدنا يحدث الزيات عن تلامذته الذين يتولون الآن منصب العمادة في معظم كليات جامعة بغداد .

وهنا قال الحاج طه الفياض :

ـ ان تلاميذ الزيات ، ليسوا اولئك الذين درسوا عليه في الكلية فحسب ، فقد كانت مجلة الرسالة مدرسة كبرى ، وكل قراء الرسالة طوال عشرين عاما ، هم تلامذة الزيات ، ويشرفني انني احد تلاميذ مدرسته الكبرى .

ان الاعوام العشرة التي احتجبت فيها الرسالة، لم تستطع ان تمحو ذكرها وفضل صاحبها ، ففي مكتبة كل مثقف في العراق وفي اجزاء الوطن العربي ، مجموعة كاملة مجلدة لاعداد الرسالة منذ صدورها حتى آخر عدد منها .

قاسم الخطاط

—❊—

عبرات الحزن والأسى

على فقيدنا الدكتور محمد يوسف موسى

ليس أصعب على المرء من اداء واجب اليوم ، واي واجب اشق على النفس من أن يكون للانسان صديق حميم وأخ كريم يلقاه ما بين الفينة والفينة باسم الثغر منشرح الصدر يبادله عطفا بعطف وحبا بحب ثم ما يلبث أن يخط بيمينه عبارات التأبين الحزينة وآيات الرثاء الاليمة .

حقا ان فقيدنا العظيم افاد الناس حيا وميتا . فأما حيا فقد كان مثالا ممتازا في الهدى والرشاد والجد والعمل والاجتهاد . وأما ميتا فقد ادركنا ، وكأننا لم ندرك من قبل ان الانسان في هذه الحياة الدنيا مثله كمثل فقاعة من فقاقيع الماء التي تنتفخ وتشرق وتسطع وتتلألأ فاذا هفت بها نسمة عابرة اتت عليها وتلاشت ولم تعد شيئا مذكورا .

وما المرء الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق . كان فقيدنا الكريم شجرة طيبة مباركة ظليلة تؤتي اكلها كل حين ويتفيأ ظلالها كل ذي حاجة علمية وفقهية ودينية . بل كان مصباحا محترقا مسرفا على نفسه في الاحتراق لانارة السبل واضاءة ابواب الهداية .

ثم هادئا مطمئنا ايها الصديق الكريم فقد اديت واجب الحياة وملأت كفيك من زاد الآخرة وقمت بدور الجندى المجاهد الامين الذى خر شهيدا فى ميدان الجهاد ودفن طهوراموفور الثناء مخلفا وراءه احدوثة عطرة بلغ اريجها وشذاها كل الانوف .

واليوم تتوقف عن الكفاح المثمر تلك الحياة العامرة بأجل الخدمات الدينية والقومية والعلمية والوطنية وينتهى بها المطاف آخر الأمر الى هذه الضجعة الطويلة فى الوهدة المظلمة ، نهاية كل حى فما ولد الانسان الا ليموت .

طيب الله ثراك واضاء مثواك وجعل سعيك عند الله مشكورا .

عبده الشامى
المدرس

حول مصحف عثمان

قرأت مانشر فى العدد ١٠١٩ عن المصحف الذى استخرج اخيرا من مكتبة رواق المغاربة بالجامع الازهر واطلق عليه اسم «مصحف عثمان» . وقد رأيت من واجبى أن اقرر على صفحات مجلتكم أننى بادرت الى الاطلاع على المصحف المذكور فى نفس اليوم الذى نشر فيه نبأ استخراجه (١١/٧/ ١٩٦٣) ، ووقفت على مايأتى :

المصحف مسجل فى مكتبة رواق المغاربة تحت رقم خاص ٢٢ سنة ١٣٠٠ هـ .

وهو كامل . ولكن به خروم غير قليلة فى بعض الصفحات .

وهو مكتوب على رق غزال ظاهر القدم ، وبه بقع من اثر الايدى . ولكن ابتداء من منتصف سورة «المنافقون» يصبح الورق عاديا ظاهر الجدة .

وتتكون الصفحة من ستة عشر سطرا . وطول الصفحة ١٩ سم ، اما السطر المكتوب فطوله ١٧٫٥ سم .

والمصحف مكتوب بخط كوفى قديم مداده حائل فى مواضع مختلفة . وعلى الحروف نقط للاعراب مرسومة بمداد احمر احدث من مداد الكتابة ، وعلامات أخرى سوداء للشكل حديثة المداد كذلك . ومن الواضح تماما أن هذه العلامات أضيفت فى زمن متأخر عن زمن كتابة المصحف .

والسؤال الآن هو :

هل هذا المصحف ــ حقا ــ احد المصاحف التى امر الخليفة عثمان بن عفان بكتابتها وأرسلت الى الامصار ؟

المصاحف التى كتبها عثمان كانت مجردة تماما من كل علامة او نقطة او كلام غير الآيات القرآنية خشية أن تظن الاجيال الخالفة أن هذه الاشياء من صلب القرآن . ومن الثابت تاريخيا وماديا أن علامات الاعراب ، وعلامات الاعجام ، والعواشر ، وفواصل السور ، وعناوين السور ، وتحلية المصحف بالذهب أو الفضة امور تمثل مرحلة متأخرة نسبيا فى كتابة المصحف بدأت فى اخريات القرن الاول ، وقابلها رجال الدين بالاستهجان والانكار ، وعدوها « بدعة » تخرج بكتابة المصحف عن الكتابة التقليدية البسيطة المجردة التى كتبت بها مصاحف عثمان ، وتفتح الباب لادخال ماليس من القرآن عليه ، وقد عبر هؤلاء الرجال عن موقفهم فى ندائهم المستمر أن « جردوا القرآن » .

فما حقيقة هذا المصحف اذن ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ احمد محمد الكميشى شيخ رواق المغاربة بالجامع الازهر حاليا اخبرنى ان هذا المصحف احضره من المدينة المنورة الى القاهرة العالم المغربى الكبير السيد احمد الزروق اذ كان يدرس هناك وعاد الى القاهرة فى القرن التاسع الهجرى . ولما كان خط المصحف يعرف كذلك عند المختصين باسم الخط الحجازى القديم اصبح من الراجح ان المصحف حجازى الاصل ، كما ان صغر حجمه يرجح كونه مصحفا خاصا بأحد الافراد من العلماء ، أو الاثرياء فى الاغلب ، اما مابه من علامات وتذهيب فيقطع بانتمائه الى اخريات القرن الاول فى الاقل .

وايا كان الامر فالذى لاشك فيه هو أن مصحف رواق المغاربة مصحف اثرى عريق نفيس ، يعد نموذجا قيما لمرحلة مبكرة من مراحل كتابة المصحف ويستحق لذلك أن تعنى الدولة به وتصونه وتضعه بحيث يكون فى متناول الدارسين .

المخلص
عبد الله خورشيد البرى
مدرس بمدرسة الألسن

أخبار علمية وأدبية

● **تصدر دار العروبة بالقاهرة بعد ايام كتابا جديدا للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد وهو مناقشة للآراء التى تنشر فى الغرب عن الاسلام .**

● التفسير النفسي للادب عنوان كتاب اصدرته دار المعارف هذا الكتاب الجديد للدكتور عز الدين اسماعيل المدرس بكلية عين شمس
يتناول المشكلات الخاصة بعملية الابداع الفنى كما توضحها الدراسات النفسية لتكون مهادا عليها للدراسات النقدية سواء للادب أم للفن .

● **صاروخ لوقاية رجال الضفادع فى اثناء سباحتهم تحت الماء من الاسماك المتوحشة . وقد ابتكره الايطالى « لويس ماريتى » وهو ينطلق تحت الماء اذا احس الضفدع البشرى بالخطر ، فيضغط على زر فيه ليشعل محركه الذى يطلق صوتا ولهبا يفزع اسماك القرش والباركودا وغيرها من الاسماك التى تفتك بما يصادفها من احياء .**

● سنارة صيد سمك بناقوس يقرع اذا التهمت السمكة الطعم لتنبه الصياد لانتشال السمكة قبل ان تفلت . وقد ظهرت فى الاسواق الامريكية لتوفير وقت الانتظار على هواة صيد السمك وبمعونتها يستطيعون القاء عدة سنانير فى الماء وتركها حتى اذا قرع ناقوس احداها اخرجوا صيدهم من الماء .

● **دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية هذه الدراسة اصدرتها مؤسسة فرانكلين من انتاج اللجنة الثانية لكتابة التاريخ التابعة لمجلس الابحاث فى العلوم الاجتماعية الذى اسس فى الولايات المتحدة عام ١٩٢٣ لتشجيع البحث فى ميدان العلوم الاجتماعية المختلفة .**

وقد اشرف على الدراسة هيوج . اتكن ، وقام بالترجمة الدكتورمحمود زايد الاستاذ المساعد للتاريخ بالجامعة الامريكية ببيروت ، وقدم لها الدكتور قسطنطين زريق الأستاذ الممتاز للتاريخ بالجامعة الأمريكية ايضا .

● قصة طويلة تحت عنوان اقوى من الحياة تصدرها قريبا الشركة العربية بالقاهرة للاستاذ محمد كامل حسن المحامى تقع فى اربعة عشر فصلا والمعروف ان للمؤلف قصة اخرى ظهرت منذ سنوات تحت عنوان « اقوى من الحب » مثلت فيلما سينمائيا وقصته الاخيرة على ما يبدو لون من الدراما العنيفة .

● **لاعادة النطق والقدرة على الحديث ظهر فى بريطانيا جهاز جديد يوضع فى سقف الحلق ويعمل ببطارية كهربائية صغيرة فيتيح لصاحبه القدرة على الكلام وتحريك الاوتار الصوتية التى فقدت قدرتها على الحركة .**

وقد ابتكره جراح انجليزى معتمدا على نظريات الكهربائية المغناطيسية التى تحرك غشاء يحدث الذبذبات المطلوبة التى تسمعها الاذن كاصوات .

***

لغة السمك
تدعوه الى الشبكة

دعوة السمك وابو جلمبو وغيرهما من الأحياء البحرية ليحلوا ضيوفا على شباك الصيادين هى احدث الابتكارات اليابانية لعملية الاكثار من صيد السمك . ويقول الصيادون انهم استخدموا اجهزة تكبير الاصوات وتسجيلها وعرفوا لغة السمك وبمعونتها سيذيعون الانغام التى يصدرها عند دعوة فريق منه لآخر .

وقد تولت احدى جامعات طوكيو هذه الدراسة فى السنوات العشر الماضية وجربتها فنجحت الى حد كبير وخاصة فى مواسم تزاوج السمك .

● **ابتكر احد الميكانيكيين الاتراك فى استانبول جهازا يركب على خزان الزيت بالسيارات فيوقفها تلقائيا اذا انخفض مستوى الزيت فيها عن الحد الضرورى . وقبلها بفترة يعطى الانذار بنفاذ الزيت اذ يظهر ضوء احمر امام قائد السيارة لينذره فى الوقت الملائم .**

● يشترك ٢٥٠٠ من جميع انحاء العالم فى مؤتمر علماء الطبيعة الدولى المقرر عقده من ٩ الى ١٤ سبتمبر القادم . وسوف يناقش هذا المؤتمر ابحاث الفضاء ، ودراسات فى احدث تطورات الابحاث الطبية ، وتطبيق استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية .

قصة قصيرة :

يوم الفرح

للأستاذ نجيب كيلاني

كان يسير في شارع المدينة الكبير ، دون أن يعبأ بضجيج العربات ، أو الهرج الذي يثيره الفتيان من حوله ، ولا يكلف نفسه مؤنة النظر الى المباني الشاهقة على الجانبين ، حتى الصندوق الخشبي الذي تتراص فيه الزجاجات الملونة وعلب «الورنيش» والذي يتدلى من كتفه ، هذا الصندوق لا يشغل باله الآن ، عبارة قصيرة قالها ابنه ما فتئت تطن في رأسه بالحاح ، وترعش جسده الضامر «أبي مات» ، ويحاول عم «هنداوي» جاهدا أن ينسى هذه العبارة أو يهرب من الحاحها ، لكن دون جدوى ، ووجد نفسه يغمغم في ألم عميق : « أنا لم أمت يا بني .. أنا حي على الرغم من كل شيء .. أحمل صندوقي الخشبي ، وأنظف الأحذية .. وأكسب القروش ليسانس الآداب .. وجعلت منك «حسان بك» كما يزعم رفاقك .. أنا لم أمت .. وأنا الذي صنعتك وصنعت مستقبلك .. وحولتك من ابن ماسح أحذية الى «حسان بك» الرقيق المهذب الذي يرتدي الملابس أناجي . وحتى لو مت فسأظل حيا في أعماقك لأنك ابني وأنا أبوك .. »

وانحدرت دمعة حارة على جبينه الغائر ، فلم يحاول مسحها ، وخيل اليه أن لحنا حزينا دامعا ينصب في أذنيه .. ان هذا اليوم لن ينسى ، ففيه يعقد قران وحيده « حسان » ، سوف يتزوج من فتاة متقفة جميلة ، كانت زميلة له في الكلية ، وأبوها رجل من الكبار .. له كلمة مسموعة .. كان حسان يحب الفتاة ، وكانت تبادله نفس الشعور ، ولم يكن هناك من عقبة في طريق عقد القران الا أبوه ماسح الأحذية .. انه لا يليق بمقام صهره المحترم .. وأرقت هذه المشكلة نوم حسان ، وأورثته الهم والقلق ، حتى أنه صرخ ذات ليلة « لماذا ؟؟ لماذا يارب هذا العذاب ؟ أكان من الضروري أن يكون أبي ماسح أحذية يقضي عمره منكس الرأس لدى الأقدام .. لماذا ؟؟ » ولما أعيته الحيل ، واستعصى الحل ، قرر أن ينفصل عن أبيه كخطوة أولى ، ويقيم في مسكن خاص ، ثم يخبر أصهاره أن أباه قد مات منذ زمن بعيد ، ومن السهل عليه بعد ذلك أن يعترف أن أسرته رقيقة الحال .. وهمس في أذن أمه بالحل الوحيد الذي ارتآه ، وبدت الدهشة والامتعاض على ملامح وجهها ، وسادها شحوب مباغت ، لكنها استدركت قائلة :

ـ « أمرك يا حبيبي .. نحن لا نفكر الا في سعادتك ورضاك .. »

ـ « وأبي ؟؟ الن يضايقه هذا التصرف ؟

ـ « أبوك عاقل يابني .. وهو على استعداد لان يضحي بأعز ما يملك ..

بل بحياته كي تنعم وينشرح صدرك .. »

وتم الامر على هذه الصورة ، واعتصم الوالدان بالصمت ازاء كل ما يجري ، وان انطوت قلوبهما على مرارة وأسى عميق ، ولكن اباه لم يستطع أن يكبح جماح نفسه يوم عقد القران ، يريد أن يسعد بمرأى فلذة كبده في الليلة السعيدة التي طالما حلم بها في ليالي عمره الجافة التعسة ، سوف يتسلل متمسحا بالجدران ، وصندوقه الخشبي معلق في كتفه ..

ورأى الرجل الاعلام تخفق على باب البيت فخفق معها قلبه ، وعلى الباب يقف رجال نظفاء منسقو الهندام ، تلمع أحذيتهم لمعانا جميلا ، يستقبلون المدعوين بابتسامة حلوة ، وينحنون في رقة مهذبة .. وعدد من العربات ينتظر خارج البيت ، وبحث هنداوي عن مكان مناسب يأوي اليه بالخارج ، فالموتى لا مكان لهم وسط السادة الكبار ، ولمح عن كثب شجرة قميئة تقف وحيدة عند ناصية الشارع ، فتبع خلفها .. ولم يدر هل طال به الوقت أم قصر .. كل ما يذكره أنه رأى حسان وعروسه يتهاديان وهما يخرجان من البيت تلاحقهم الزغاريد ، والورود تتناثر من فوقهم ، ثم يفتح لهما باب عربة أنيقة يدلفان اليها .. ووجد هنداوي نفسه يجري على الرغم منه .. كانت قوة غامضة تجذبه الى العربة .. واطل برأسه الاشيب من النافذة وهمس بصوت مرتعش دامع : « ألف مبروك يا بني » وصاح حسان في سائق العربة وقد بان الضيق في عينيه : « هيا يا أسطى .. » وامتدت أيد كثيرة لتنحي هذا الفضولي المتسول عن العربة التي انطلقت مسرعة ، بينما قال أحد الواقفين : « الا تستحي يا رجل ؟؟ ليس هذا وقت الاستجداء .. خذ .. » ومد يده بقرش .. لكن هنداوي لم يلتفت اليه .. بل أخذ يغمغم : « ان ابني رائع المظهر حقا .. ما اسعدني .. »

دكتور نجيب الكيلاني



الدار القومية للطباعة والنشر

تليفون : ٤٠٨١٤ ـ ٤٠٥٨٨
: ٤١٠١٢ ـ ٤٠٧٥٣

الثمن ٣ قروش



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٣ الخميس ٣ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ ـ ٢٢ أغسطس ١٩٦٣ ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

نظرية الكم والكيف في الثقافة

للأستاذ الدكتور عبد القادر حاتم

كان الأدب قد أهمل اهمالا نزل به الى مرتبة دون التى كان يشغلها فى نفوس القراء والمؤلفين ..

وهجر الناس المسرح .. وكادت تقفل ابوابه ..

اما الكاتب الأديب الذى ينبغى أن يقدم نتاج قريحته ليكون زادا ومنهلا لطالبى الثقافة ، وليبقى ذخرا وتراثا للأجيال ، فقد انصرف عن فنه ..

والكتب الأدبية توقفت فيما عدا النزر اليسير ..

وطلق الشعراء الشعر ، وهجر الأدباء الأدب وسعوا الى وظائف جديدة تتفق مع مستلزمات المعيشة ومطالب الحياة ..

وتبينت الصحف والمجلات الأدبية انه لا بقاء لها

وكانت استوديوهات السينما خرابا قفرا فلا يجد موظفوها وعمالها مرتباتهم الشهرية .. لأن السينما المصرية اصبحت كارثة قومية ..

وهكذا وقفت نهضتنا الأدبية عن المسير ، ولكن الحركة الأدبية التى كادت تموت كان لابد لها ان تستيقظ ، وان تسير بدفع ثورى جديد ..

وما دمنا فى حياة ؛ فالثقافة من ضروريات الحياة ، والأدب لاينبغى أن تذبل شجرته .. فالثقافة غذاء لروح الأمة وعقلها .. والأدب أكبر مهذب لاحساس الشعب وشعوره ..

ومن المتعذر على اى امة ان تفجر طاقاتها الكامنة ، وان تعمق نظرتها الى الحياة التى تحياها ،

وأن تتبوأ مركزها الحضاري تحت شمس النصف الثاني من القرن العشرين .. الا بالثقافة .

***

وحينما اعلنت ، في اول عهدي بوزارة الثقافة ، نظرية الكم والكيف ، وشرحتها في وضوح لا لبس فيه ولا غموض ، وبصراحة لايتطرق الى الفاظها شك ، ولا تحتاج الى تفسير أو تأويل ، قلت ان هذه النظرية تقوم على أساس انه من الضروري زيادة الكم وتوسيع قاعدة الثقافة ليتسنى لنا الحصول على الكيف ، اذ لايمكن أن يتوفر الكيف في فراغ ، أي انه لايمكن أن يتوفر الكيف الا اذا توفر الكم .

وثمة هـــذه النظرية كمـــا اوضحتها ان من الضروري ايضا الا يطغى الكم على الكيف .

وقـــد اوضحت الأسس والعـــوامل التي بنيت عليها هذه النظرية ومن بينها :

العامل الاول : **انني أرى احتكارا للثقافة** ، وهذا الاحتكار يجب القضاء عليه ، فقد احتكرت الثقافة فئة قليلة تتمتع بكل شيء بينما الشعب كله لايتمتع بأي شيء . وضربت لذلك مثـــلا بالمسرح اذ كيف يمكن ان نكون في مجتمع اشـــتراكي ولا يتمتع بمشاهدة المسرح الا عـــدد لايتجـــاوز عشرة آلاف شخص في العام ، ولا يقدم هذا المسرح الا ثمـــاني مسرحيات في العام .. وثمة سؤال آخر هو كيف يمكن أن يرى هذه المسرحيات ٢٧ مليونا من ابناء الجمهورية بالاضافة الى ملايين كثيرة اخرى من ابناء العروبة من المحيط الى الخليج ؟

العامل الثاني : **انني أرى اقطاعا في الثقـــافة** ، وهذا الاقطاع يجب القضاء عليه ، فالحقيقـــة التي لايمكن أن ننكرها بل من واجبنا حين نذكرها ان نبرزها وتوضحها هي ان الاقطاع الثقافي لا يتفق مع اشتراكيتنا ..

والمثل مرة أخرى هو المسرح .. والمسرح القومي بالذات . فمن الذي يعتلي خشـــبة هذا المسرح ؟ انهم رواد المسرح وعباقرته في مصر ..

والسؤال الآن : هل يمكن لممثل ناشيء أن يجد مكانه على خشبة المسرح الوحيد الذي ترعاه الدولة وهو المسرح القومي ؟ وهل يستطيع الممثل الناشيء ان يناقش ، لو اتيحت له الفرصة ، كبار الممثلين؟ اعتقد ان من البديهي ان الجواب بالنفي ..

اذن فلابد من اتساع الرقعة ، ولا بد من ايجاد فرق مسرحية جديدة .. ولا بد ايضا من طبع كتب كثيرة ..

وبمناسبة الكتب ذكرت في ذلك الحين ايضا ان الذين يحتكرون التاليف والترجمة والطباعة عـــدد قليل فهل يمكن اذا استمر الحال على ما هو عليه ان نجد ادباء ومؤلفين ومترجمين يشقون طريقهم خلال الســنوات العشر القادمة ؟ الجواب بالنفي ايضا مادام الحال على ما هو عليه .

العامل الثالث : **انني ارى ارستقراطية الثقافة في بلادي** ، ونحن في عهـــد الاشـــتراكية ، وهـــذه الارستقراطية في الثقافة يجب القضاء عليها .

ولا اظن انه تحت اسم الثقافة الرفيعة يباح لنا ان نقضي على الفن الشعبي الذي يحسه الشعب ، هذا الفن الذي يؤثر فيه الشعب ويتأثر به وتمتد جذوره الى اعماقه ..

وقلت : أنه يجب أن يشعر الشعب بأن الثقافة له ونابعة منه وليست لطبقة ارستقراطية ، ويجب ان تتطور الفنون لتلائم الشعب .

وقلت : ايضا : ان من واجبنا أن نفتح النوافذ لنطلع على مايدور في العالم شرقية وغربية ، ولنرى الثقافات القديمة والجديدة .. ولكن بشرط ألا تقتلع هـــذه الثقافات ثقافتنا العربية النابعة من ظروفنا وحياتنا ودبنا وعاداتنا وتراثنا .

العامل الرابع : **أني أرى رجعيـــة في الثقـــافة** ، وهذه الرجعية يجب اســـــقاطها ويجب ان تكون الثقافة اشتراكية تخدم الشعب .. اذ ان فـــكرة الثقافة للثقافة امر لا يمكن ان نقبله لنفس الاسباب التي رفضنا من أجلها فكرة العلم للعلم . والثقافة يجب ان تكون للشعب .

ورفعنا شعار « الثقافة للشعب » ونعني بذلك الشعب العامل الذي يتكون من تحالف العمـــال والفلاحين والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية .

وهذا هو ما اراد ان يعبر عنه جان بول سارتر في سنة ١٩٤٥ عندما قدم لاول مرة مجلته الشهيرة Le Temps Moderne ، وهاجم بعنف وســـخرية انصار الفن للفن الذين ظهرت نظريتهم في فرنسا في وسط القرن التاســـع عشر من أمثال فلوبير وجوتييه وغيرهما ، وقال ان الفن للفن ما هو الا تهرب من المسئولية لان الفنان مسئول نحو عصره

ومعاصريه ، مسئول عما يكتب وعما يسكت عنه

Il est responsable de ses ecrits et ses silences

وقلت انه برحيل الاستعمار وبسقوط تحالف الرجعية وراس المال المستغل لا بد ان ترحل عنا الثقافة التى تخدم الاستعمار ، وان تسقط رجعية الثقافة ٠

الاثم الثقافى

واليوم بعد مضى اقل من عام تنظر الى الضجة والجدل اللذين اثارتهما نظرية الكم والكيف فى الثقافة . وبعد أن أراد من اراد أن يحرف الكلام الواضح الصريح الذى لا يحتاج الى كثير من التفسير او التوضيح ، وبعد ان ادعى من ادعى ان النظرية التى ذكرتها مبنية على التوسع فى الكم فقط ، وشطب من المحاضرة التى القيتها عن هذا الموضع بقية العبارة التى تشترط الا يضعف الكم الكيف، وتؤكد أن زيادة الكم يجب ان تساعد على تقوية الكيف !

الحقيقة انى لا اريد ان اسمى هذا الذى حدث اذ ذاك اثما ثقافيا كما اراد البعض ان يسميه لانه صادر من مثقف ، ولكننى افضل ان اسميه خطا فى الفهم او سهوا فى مجال التوضيح .

ولكن الذى اريد ان اسميه اسما ثقافيا هو اصرار احد الكتاب ، بعد ان اوضحت ما قلت ، وكررت ما ذكرت على ان ينسب الى كلاما لم اقله . وهذا فى رايى هو الاثم الثقافى ..

***

نتيجةنظرية الكم والكيف

والآن بعد مضى اقل من عام على هذه النظرية التى اعلناها نستطيع أن نلخص نتائجها فيما يلى :

أولا ــ ظهور وجوه جديدة ناجحة فى المسرح والسينما . ولم تكن هذه الوجوه لتظهر الا باتباع هذه النظرية . وقد تم تكوين ١٥ فرقة مسرحية وثلاث فرق استعراضية وبلغ ايراد احدى هذه الفرق ..٣٠ جنيه فى ليلة واحدة . وهكذا شهدت مصر اضخم نهضة مسرحية فى تاريخها واقيمت المسارح فى المحافظات واصبحت الفرق المسرحية تجوب البلاد العربية .

ثانيا ــ بدانا التحويل الاشتراكى فى الثقافة واصبح الشباب المثقف يعتلى خشبة المسرح بكثرة لم تشهدها بلادنا واصبح الفن شرفا للمواطن .

ثالثا ــ وجدنا وعيا مسرحيا قويا نشاهد الفرق الاستعراضية وحدها ربع مليون من أفراد الشعب ٠

رابعا ــ أصبح للكتاب العربى مؤلفوه كما زاد عدد المترجمين من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية .

خامسا ــ وجدنا الاسطوانة تدخل بيت العامل والفلاح لرخص ثمنها واقبال الشعب عليها فانتجنا ٢/١ مليون اسطوانة فى اقل من عام وأنشانا مصنعا جديدا ينتج مليون اسطوانة فى العام .

سادسا ــ اتيحت الرعاية الكاملة من الدولة لرجال الفكر والفن الخ الخ ..

***

واليوم .. ماذا نريد وقد تحققت نظرية الكم والكيف ؟

ما هو واجبنا بعد ان دحضنا النظرية القديمة التى كانت تزعم ان زيادة الكم لا بد ان تقضى على الكيف وان الكم والكيف عدوان ؟

يجب ان نعمل علىتحقيق التحويل الثقافى الاشتراكى باسرع ما يمكن ٠ ونجد مثلا أن الاستعمار حاول القضاء على ثقافتنا وكان أول مافعله هو محاولة القضاء على اللغة العربية وأدبها ٠٠

من واجبنا اليوم ان نبحث هذه المشكلة . فاللغة العربية من دعائم القومية العربية ، وهى لغة ديننا وبها حفظ تراثنا ٠٠

لقد عمد الاستعمار الى نشر العامية وتعميق الفوارق بينها وبين اللغة العربية الفصحى ليباعد بيننا وبين تراثناولغتنا ..

وينبغى علينا ان نلاحظ ان منهج دروس الادب العربى التىيتلقاها ابناؤنا فى المدارس لم يتغير من قديم الزمان ..

ولا غرابة فى ذلك فكيف يرجى ان تتغير مناهج دروس اللغة العربية وقد اغلقت النوافذ على مدرسيها وحيل بينهم وبين الهواءوالحرية والثقافة العالمية . فالهواء يبعث الحياة ، والحرية تدفع الى التقدم ، والثقافة العالمية ضوء له اثره فى انارة طريق الاشتراكية امام الشعب وفى قيادته الى مركزه العالمى ..

وقد وجدنا دروس اللغة العربية تعيد ما تبدأ وتبدأ ما تعيدوتكرر نفسها كل عام .. وهكذا تدور الكرة الارضية وتمر الايام والاعوام ومنهج الدراسة لا يتغير ولا يتبدل ، فلا تجديد ولا ابتكار ولا اخذا من الحياة العصرية بشىء ينفع المواطنين ..

وهكذا تخلفت اللغة العربية ، وتقدمت آداب اللغات الأخرى في العالم ..

ان الواجب علينا في هذا العصر الثوري ان نستحدث شيئا للغة العربية وآدابها ، ويجب ان تكون الثقافة على مستوى الثورة ، ولا يمكن ان نصل الى هذا المستوى الا اذا اسقطنا المفاهيم القديمة .

يجب ان ندرس ثقافة الشرق وثقافة الغرب بحيث لا تقتلع اي منهما ثقافتنا العربية . ولذلك يجب ان ننشر آداب الغرب والشرق وننقلها الى العربية . وحينما اذكر ادب العالم لا اقصد الماضي وحده وما فيه من كنوز بل الحاضر وما فيه من تقدم .. فالادب متصل كل الاتصال بالحياة . وهو يترجم لنا ما نراه وما نتمناه وما نحسه وما نبتهج له وما نحزن عليه ..

لذلك كان لنا كل العذر ونحن طلاب في ان ننفر من الادب العربي بالطريقة التي وضعها الانجليز في مناهج تدريس الادب العربي التي وضعوها لنا ، والتي سار في دربها اولئك المدرسون الذين كانوا يعيشون في القرن العشرين وعقولهم وافكارهم في القرون الوسطى ، او ايام الجاهلية . فكانوا يطالبوننا بان نعرب من الشعر الجاهلي ابياتا كمعادلات الجبر كلها رموز معقدة بينما في الشعر الجاهلي نفسه ما هو سلس محبب الى النفس ، وبينما في حياتنا المعاصرة ما يجب التعبير عنه باسلوب ادبي جميل .

لذلك كان طلاب الادب لا يميلون لقراءة كتب الادب ، لا كرها في الادب ، ولكن كرها في الطريقة التي يدرس بها وهي طريقة وضعت عمدا لتنفير الطلبة العرب من الادب العربي ، فكنا نلجأ الى المجلات الادبية ، الرسالة والثقافة وغيرهما ، وكنا نجد فيها ادبا من حياتنا يقدم الحاضر باسلوب الحاضر ويقرب الماضي الى الحاضر ، بترغيب وتشويق يجعل القراءة متعة لا عذابا .

لذلك فان من واجب وزارة الثقافة ان تكثر من المجلات الثقافية ، بل من واجبها ان تعمل على نشر الثقافات الاجنبية التي تتفاعل مع عصرنا لتؤثر في عقول هؤلاء الذين اغفلوا الحياة العصرية ، كذلك من واجب وزارة الثقافة ان تنشر السلس من الادب القديم احياء لتراثنا الادبي العظيم حتى تستكمل ثقافة الجيل الحاضر مقوماتها وتنطلق الطاقات الخلاقة المبدعة ...

والكم في ذلك كله لا يتعارض اطلاقا مع الكيف بل يغذيه وينميه ويفتح أمامه فرص الازدهار .

جيش وقائد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كل عربي رأى عودة جيشه من اليمن ، وسمع خطبة قائده في الاسكندرية ، لا بد أن يكون الزهو قد ملأه والفخر قد ملكه لأنه رأى في وطنه ما لم ير، وسمع من رجاله ما لم يسمع :

رأى وسمع أن الثورة قد حققت له ما وعدته من اعداد جيش قوي ترهب به عدو الله وعدو العرب ، وتضع به أغلال الرق عن أعناق الضعاف ، فاعدته اعدادا كان لقصر المدة ومناوأة الاستعمار أشبه بالمحال ، ولكنه بعزم القيادة الرشيدة المخلصة أمكن ! أمكن في صورة رائعة كالخيال واقعة كالحقيقة ، فأصبح للعرب كما أخبر النبي الكريم جيش من خير أجناد الارض ، له الكتائب المائدات بالبر كالزلازل ، والجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، والطوائر السابحات في الجو كالشهب ، والصواريخ المنطلقات في الفضاء كالشياطين ، وكان لابد لهذا الجيش العتيد من تجربة ! وشاء الله أن تكون هذه التجربة في هضاب اليمن • وهضاب اليمن وجباله ظلت على ما ارستها يد الطبيعة منذ آلاف القرون ، لم تمسسها يد الانسان باصلاح ، ولم تصل اليها رسالة المدنية بعمارة ، ولم يواكب أهلها ركب الحضارة منذ ألف سنة ! لا تجد فيها طرقا تؤدي ، ولا علامات تهدي ، ولا خرائط تبين ، انما هي الشعاف والشعاب والعقبات والاودية والغيران ، ثم الخطر الداهم في كل خطوة ، والكمين الراصد في كل فجوة ! فقدر أنت في نفسك كيف تكون حال الجيش الغريب الزاحف بدباباته ومصفحاته ومدافعه وعتاده في هذه الارض المطموسة وأمامه الرجعية متكتلة في الشمال ، والاستعمار متحفز في الجنوب ، والعصابات مترصدة في الشرق ، والاشاعات المضللة في كل بيت ، والاذاعات المعادية في كل بلد ! انها حال لم يكابد مثلها جيش في التاريخ ، ومعركة لم تهيىء لها الطبيعة أسباب النصر ! وكان البدر المخسوف وسعود الحاقد وحسين الطفل وبن جوريون المترقب والمستعمر المتوثب ، وشيعة الانفصال في سورية ، وعصبة الشيوعية في العراق ، وأعداء العروبة والحرية في كل مكان ، يعرفون هذه العوائق ويتوقعون أن فشل

مصر في معركة اليمن سيطامن من كبريائها ويطاطيء من مكانتهـا ويمهد للامامة أن تعود، وللملـكية أن تتوطد ، وللرجعيـة أن تستقر ، وللاسـتعمار أن يطمئن ، وللصهيونيـة أن تتوقح ، وللعـداوة أن تشمت ٠

ولكن جيشنا الباسل صنع المعجزة ! سـخر الطبيعـة لامره ، وانشـا الطرق لحشوده ، وانقض بالنار والدمار على العـدو الحاشد في اماكن تجمعه ومكامن غـدره ومداخـل تسلله ، فزلزل به الارض وأرعد عليه السـماء وقذف باشـلائه وفلوله وراء الحدود !

هنالك أيقن المتربصون بنا أن جيشنا بقوته وعدته وقيادته قضاء لا يرد وبلاء لا يدفع وحصن لا يهاجم. فكش منه الملكان في السـعودية والاردن ، وثار له الشعبان في سورية والعراق ، وارتاع منه العدوان في انجلترا واسرائيل !

وكان القائد الاعلى عظيما يوم سجل هـذا النصر المبين في خطبته البليغة بالاسكندرية فذكر فيما ذكر أن الجيش كان يحارب وهو على بعـد ألفي ميـل من قواعده ، ومع ذلك لم يعوزه تموين ولا تمويل ، ولم ينقصه امداد ولا عتاد ، لأن الألفي ميل كانت قنطرة من البواخر والطوائر قامت بين السـويس والحديدة فنقلت عليها الجنود والذخيرة والميرة والعلاج والمتعة من أرض الوطن الى كل مكان في اليمن بسرعة لا تني وحركة لا تفتر. وهذا عمل لم يقع في سماع التاريخ مثله ٠ واظنك لا تزال تذكر أن جيشنا دخل الحرب في فلسطين ، قبـل الثورة بأربع سـنين ، وكانت الحدود متاخمة للحدود ، والجنود متصـلة بالجنود ، والسكة الحديد ممتدة الى المعركة ، ومع هـذا القرب واليسر لم يستطع الملك والحكومة أن يمونا الجيش المجاهد ، لا بالاسلحة الحديثة ولا بالذخيرة الصـالحة ولا بالمؤونة الكافية ، وتركاه يجاهد بالصبر ويجالد بالايمـان ويدافع بالبطـولة حتى قضى الله أن يكون ما كان !

ان الفرق بين حـرب فلسـطين وحرب اليمن هو الفرق بين ماكنا عليه وما صرنا اليه ٠ لقد كنا أمة لاتدرك لذاتها وجودا مستقلا ، ولا تعرف لحياتها غاية معينـة ٠ كان عرشـها في القاهرة وملـكها في في لندن ، وكانت حكومتها في (لاظوغلي) ورئيسها في (دوننج ستريت) ، فلا وزارة تسقط أو تقوم ، ولا قانون يصـدر أو ينفذ ، ولا أمر يبرم أو ينقض ، ولا موظف يعين أو يقال ، الا اذا وافق قصر الدبارة ! فأصبحنا بعد أن بزغ فجـرنا من (عين شمس) ، وولد عصرنا في يوم ٢٣ يوليو من سـنة ١٩٥٢، أمة زعيمة لها في القضايا العالمية حكم ، وفي السياسة الدولية رأى ، ولها القوة الضاربة الأولى في أوسط الشرق ، والكلمة النافذة الأخيرة في مصير العرب ٠

ومن روح هذه الامة الزعيمة العظيمة استلهم رئيسها الزعيم العظيم خطبـة الاسـكندرية ، تبشر بنجـاح التجربة العسـكرية الأولى في اليمن ، وأنذر بوقوع التجربة الثـانية في فلسطين ٠ ومد يده القوية الى الاسـتار المسـدلة على مخازي (البعث) وجـرائمه فهتـكها للعيـون ونشرها على الاذان وكانت حديث الناس في كل مجلس ومادة الصحف في كل بلد ٠ واذا تكلم القائد الاعلى للجيش والشعب اصغى العالم ونقلت الاذاعات ونبضت البروق وعلقت الصـحف واقبل على كلامه الساسة والخصوم يتفهمون معانيه ويتبينون مراميه ويسـتدلون منه على مهب الرياح ومجرى الحوادث ٠ وقد ذكرتني خطب الرئيس بخطب السير ادوارد جراى وزير خارجية انجلترا أيام كانت بريطانيا العظمى قد اصبحت في غفلة الزمن المركز العصبي في رأس العـالم كله ! تقول للدولة كوني فتـكون ، وللحـكومة قومي فتقوم ، وللامة اخضعي فتخضـع ، لايخالف عن أمرها شعب، ولايدور في غير فلكها كوكب ٠ كان هذا الوزير اذا خطب أو تحدث أنصت لخطابه الدهر واشتغل بحديثه الناس ليعلموا كيف تتصرف الاقدار في الأمم ويتحكم الاستعمار في الارض ٠ ذلك لأن قوة الكلمة من قوة المتكلم ، وقوة المتكلم الانجليزي كانت من الاسـطول لا من الحق ، ومن المكيافلية لا من العبقرية. أما قوة المتكلم العربي فهي من ثورته التي بعثت الحياة في قارتين ولم تفتر، ومن أمته التي هزمت الاستعمار في دوله الثلاث ولم تستكن ، ومن جيشه الذى حارب في اليمن الطبيعة والرجعية والاستعمار والخيانة والتخلف ولم ينهزم ٠

أما بعد — فان جيشا قائده الاعلى عبد الناصر وسلاحه الأدنى القاهر والظافر ، لا يستغرب منه ما فعل ، ولا يستكثر عليه ما سيفعل ٠

أثر القرآن والسنة في القصاص والدية

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

كانت العرب قبل الاسلام قبائل متفرقة لايحكمها نظام موحد ، تخضع لعادات قديمة تأصلت جذورها في نفوسهم ، وكان عنصر القوة هو الطابع الغالب على حياتهم ، والثأر هو المبدأ المطبق بينهم . ولم تكن هناك سلطة تفرض ارادتها على من يعتدى على الآخر ، وانما كان لكل قبيلة رئيس مرهوب الجانب محترم ، يضيق نفوذه ويتسع بنسبة ثراء القبيلة ووفرة عدد أبنائها وقوتهم وشجاعتهم واقدامهم .

وكان أفراد القبيلة جميعا يذوبون في بوتقة القبيلة ، فاذا اعتدى أحد على الفرد هبت قبيلته تطالب بثأره . وقامت قبيلة المعتدى تحميه من العدوان .

فقبل الاسلام كان الثأر والانتقام . نقرأ ذلك في كتب الأدب القديم ونحفظه عن شعراء الجاهلية .

واراد الله بالعرب الخير والعزة ، فبعث فيهم من بينهم رسولا كريما يدعو الى العدل والمساواة ، وينفر من الظلم ، وانزل عليه القرآن فبين لهم فيه الأحكام العادلة ، التى تهدىء من نفوسهم الثائرة .

قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتل ، الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ، ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب لعلكم تتقون »** .

وقال : **« الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين »** .

وقال : **« وكتبنا عليكم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون »** .

وقال : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا »** .

وقال صلى الله عليه وسلم : **« من أصيب بقتل او خبل ، فانه يختار احدى ثلاث : اما ان يقتص ، واما ان يعفو ، واما ان ياخذ الدية . فان أراد الرابعة فخذوا على يديه . ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم »** .

وعن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« كان فى بنى اسرائيل قصاص ، ولم يكن فيهم دية . فقال الله تعالى لهذه الأمة : كتب عليكم القصاص فى القتل ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان »** يؤدى هذا باحسان **« ذلك تخفيف من ربكم ورحمة »** . مما كتب على من كان قبلكم ، انما هو القصاص وليس الدية ، أخرجه البخارى والنسائى .

من جميع ما تقدم من نصوص نجد أن الثأر انقلب فى الاسلام الى قصاص عادل حيث تتكافأ دماء المسلمين جميعا فلا فضل لواحد منهم على آخر مع ملاحظة أن الاسلام أتى بالقصاص فى صورة متقدمة عن الصور البدائية الاولى ، صورة مهذبة ، اذ صهر الاسلام جميع الفروق بين القبائل العربية وجمع المسلمين تحت راية واحدة وجعلهم اخوة . فالكل سواء ، ولذلك فالحر يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والأنثى بالأنثى مهما كانت الدرجات والأنساب .

وقد ترتب على أن الثأر أصبح عقوبة عادلة ترمى الى مصلحة عامة النتائج الآتية :

١ ــ أصبح القصاص شخصيا لا جماعيا .

كان المنتقم فى الجاهلية يشفى غليلا خاصا فى صدره ولذلك كان لا يهمه أن يقتل المذنب بقدر ما كان يهمه أن يقتل من هو أعز نفرا عند القبيلة .

ثم جاء الاسلام فمحى فكرة المساواة بين البرىء والمذنب بسبب وجودهم ضمن قبيلة بعينها وفصل المذنب عن مجموعة الأفراد الآخرين ليكون هو وحده محلا للقصاص فالقرآن أدخل مبدأ هاما على القصاص هو شخصيته . **« ولا تزر وازرة وزر**

أخرى » . « ومن قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا » .

٢ ـ المماثلة التامة بين الجريمة والعقاب .

لم يعد القصاص كما كان في القديم أمرا غير متكافىء ، ولكن أصبحت هناك مساواة تامة ، يعبر عنها استبدال كلمة القصاص بكلمة الثأر ، يقال : قصصت الشعر أي سويت بين كل شعرة وأخرى ، وسمى المقص مقصا لتعادل جانبيه ، وأصبح العقاب على قدر الذنب الذي ارتكب ، فان ترتب على الفعل المرتكب قتل النفس ، قتل قاتلها ، وان ترتب على الفعل جروح ، كان من الممكن القصاص فيها ان أمكن المماثلة بين الفعلين وفي المنافع المحلية .

٣ ـ ادخال فكرة النية في الجريمة .

لم يكن قبل الاسلام لعنصر القصد أي اعتبار في ادانة المتهم ، أو عدم ادانته ، فيثار منه سواء كان قاصدا الفعل او غير قاصد له ، اتجهت نيته للقتل او لم تتجه ، وقد أتى الاسلام بمبدأ هام في هذا الخصوص ، هو ضرورة توافر ركن النية والقصد عند القصاص .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **العمد قود** » أي القتل العمد يوجب القود .

وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **من قتل رجلا مؤمنا عمدا فهو قود به . ومن حال دونه فعليه لعنة الله وغضبه ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا»** أخرجه رزين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم** . فرفع ذلك الى النبي ، **فدفعه الى ولي المقتول فقال القاتل : يا رسول الله ، ما أردت قتله** . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للولي : **أما انه ان كان صادقا ثم قتلته دخلت النار** . قال : **فخلى سبيله** . قال : **وكان مكتوفا بنسعة فخرج يجر نسعته فسمى ذا النسعة »** . أخرجه الترمذي وأبوداود والنسائي .

٤ ـ الدية اجبارية في القتل الخطأ .

أصبحت الجناية على النفس . أو على مادونها في عضو تمكن فيه المماثلة ، اذا كانت عمدا ، تستوجب القصاص ، واذا كانت غير عمد تستوجب الدية .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن من قتل خطأ . فديته من الابل مائة ، ثلاثون بنت مخاض ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقة ، وعشرة ابن لبون ذكورة ـ أخرجه أبو داود والنسائي .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خطب يوم الفتح بمكة على درجة البيت ، فقال في خطبته : فكبر ثلاثا . ثم قال : لا اله الا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا ان كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي ، الا ما كان من سقاية الحاج ، وسدانة البيت . ثم قال : الا أن دية الخطأ شبه العمد ، ما كان بالسوط أو العصا ، مائة من الابل ، منها أربعون في بطونها أولادها .

ذلك هو حكم الاسلام شرحه الرسول ايماء لقوله تعالى : **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا ان يصدقوا »** .

وقوله تعالى : « **فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله »** .

ما بقي في القصاص والدية من آثار الماضي :

نتكلم عن فكرتين فكرة كون هذه العقوبة خاصة وفكرة العاقلة .

١ ـ القصاص عقوبة خاصة .

لا تزال عقوبة القصاص خاصة في رأي البعض ، لأن الذي يباشر القصاص هو ولي الدم ، ان شاء اقتص ، وان شاء ودى ، أو ان شاء عفى .

يستوقفنا هذا الأمر كثيرا . فكيف تكون جريمة القتل وهي أخطر الجرائم على كيان أي مجتمع ومبعث الفوضى والاضطراب فيه ، كيف تكون هذه الجريمة خاصة بينما كان يجب أن يكون لها شأن غير ذلك ؟

لقد كان للثأر تأصل فكري لدى العرب وكل بضاعتهم كانت الشجاعة ، والفخار بالأصل ، وقول الشعر ، ولم يكن من السهل على أي مصلح أن يسرع باجتثاث المساوىء والعيوب دفعة واحدة ، لذلك تدرج التشريع في التحريم في أمور كثيرة ، وسياسة الشرع في هذا الموضوع وغيره كانت أخذ

الناس بالرفق وعدم مفاجأتهم بتحريم المباحات دفعة واحدة ، وهي سياسة حكيمة ، ومع ذلك فجميع النصوص التي لدينا لا تقطع بان هذه الجريمة خاصة .

(أ) ورد في القرطبي جزء ٢ ص ٢٤٥ .

« لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه الا أولو الامر ، فرض عليهم النهوض بالقصاص ، واقامة الحدود ، وغير ذلك ، لأن الله سبحانه طالب جميع المؤمنين بالقصاص ، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعا أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في اقامة القصاص وغيره من الحدود » .

(ب) وورد في حاشية الصاوى على الجلالين جزء ٢ ص ٢٧٣ .

قوله : « تسليطا على القاتل » . اى فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعي أن يمكن ولى المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولى من القتل أو العفو أو الدية ، ولايجوز للولى التسلط على القاتل من غير اذن الحاكم لأن فيه فسادا وتخريبا » .

(ج) وورد في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير جزء ٤ ص ٢٥٥

« وعلى القاتل عمدا البالغ اذا لم يقتل لعفو جلد مائة وحبس سنة » .

من هذه النصوص يتبين لنا أن السلطة العامة لا تزال مهيمنة على جرائم القتل العمد .

٢ ـ فكرة العاقلة .

الاصل في العقوبة أنها شخصية لا تلحق الا الجاني ، ومع ذلك كانت قبيلة الجاني تساهم معه أو تتحمل عنه المقابل المفروض بدل الثار ، وقد استمرت هذه الخاصية بعد الاسلام . فاذا وجبت الدية في غير العمد فان الجاني لا يتحمل عبء الدية وحده ، وانما تشترك عاقلته معه .

وسميت كذلك لأنها تعقل الدماء من أن تسفك، اذ أن الانسان ضعيف بنفسه ، قوى بغيره ، فاذا كان الانسان قويا فهو لا يبالى بما يفعل معتمدا على كثرة أنصاره ، ولذلك فان العاقلة تغرم مع القاتل الدية لأنها قصرت في ارشاده الى سواء السبيل وكفه عن الأذى .

احمد فتحي بهنسي

التراث العربي

للدكتور حسين نصار

تراثنا العربي .. تراث ثرى ثراء طائلا ، امتد به الزمان ، واتسع له المكان ، وخصب الذهن ، وتنوع اللون . وكان العربى شعلة متقدة في كل بقعة حط رحله بها فشاركت جميع المواطن التى كانت منزلا للعرب في تلك الثقافة الرائعة ، التى منحها العربى للانسانية فكانت نعم الغذاء .

وكانت الثقافة العربية وحدة متجانسة ومتكاملة ، على الرغم من الانفساح الزمانى والاتساع المكانى ، وعلى الرغم من كل مبدأ أو مذهب ارتضاه العربى . كان الخارجي يحارب الاموى في النهار ، ثم يجالسه بالليل للسمر والجدال الادبى . وكان الشيعى والزبيرى يطعن في الامويين وخلافتهم ، فاذا انتقل اليهم رحبوا به كل ترحيب : كثيرا كان او الكميت او عبيد الله بن قيس الرقيات .

وكان الشاعر .. لاتستطيع أن ترده الى وطن واحد في العالم الاسلامى ، لانه يعد ذلك العالم كله وطنا له . فبينا هو في الحجاز ، اذ نراه في الشام او مصر ، او العراق . وينطبق ذلك على المشهور منهم مثل كثير عزة ونصيب وابى نواس وابى تمام والبحترى والمتنبى ، وعلى من قل حظه من الشهرة مثل ايمن ابن خريم ، وابى صخر الهذلى ، والشماخ ، ومنصور الفقيه .

والديوان يصدر في العراق ، او الشام ، فتعقد المجالس لدراسته في مصر ، كما قيل عن ديوان ابى نواس والمتنبى . والكتاب الادبى يصدر في الشام كالأغانى ، فتسرع الاندلس الى الحصول عليه .

بل الشاعر يعرف بنهج معين من الفن ، فتتنافس الاقطار العربية في مناقشة ذلك النهج ، واحتضانه او طرحه . وتقوم المدارس الفنية حول ذلك النهج في حياة صاحبه فقد وجد المتنبى في أهل الاندلس من يعجب به ويحتذيه في حياته .

وقد اتصل بعض علمائنا المحدثين بنظرية الحتم البيئى التى نادى بها بعض الجغرافيين وتأثروا بها

ونادوا بتطبيقها فى دراساتنا الأدبية . وطبقها فعلا بعض الدراسين وحاولوا أن يعثروا على ظواهر محلية فى تراثنا العربى ، تنفرد به بيئة عن أخرى ، فلم يكادوا يعثرون . أو كان ما عثروا عليه من الضآلة والتفاهة بحيث يغيب عن الابصار عندما يوضع الى جوار الظواهر المشتركة فى تراثنا .

فتراثنا العربى اذن مشاع بيننا بل لعله أهم عوامل وحدتنا : وحدتنا العاطفية قبل وحدتنا السياسية ، وفى أثنائها . بل انه لأبعد من ذلك اثرا ، واعظم خطرا ، انه أهم عوامل بقائنا فعندما ابتلعنا الغرب ، ووضعنا تحت نيره .. لم يقف فى سبيله ، ويعصمنا من الزوال ، ويدفعنا على البقاء والصمود غير ذلك التراث العربى . ولعل أقرب الامثلة وأسرعها حضورا الى الذهن : الجزائر ، التى قام بثورة البقاء فيها أبناء « الكتاتيب » الدينية العربية ، فحصلوا على النجاح الرائع الذى حصلوا عليه .. وقد رد ثائرو الجزائر الجميل الى « كتاتيبهم » فكانت دعوتهم « العربية» وحرصهم على « التعرب والتعريب » .

ونهضتنا الحديثة التى نعيش فى بحبوحة منها ، لم تكن أثرا من آثار اتصالنا بالغرب كما يظن كثيرون بل كان ذلك أحد العوامل وليس أهمها . انما هى أثر من آثار اتصالنا بتراثنا العربى الحق ، فما أصدرته مطبعة بولاق من ذلك التراث فتح الابواب أمامنا الى عالم زاهر ، كان لنا ثم جهلناه وكان ذلك الاتصال هو الذى بعث فينا الرغبة فى استعادة ما كان لنا من مجد ، وكانت تلك الرغبة هى التى حثتنا على حسن الاتصال بالثقافة الغربية . وهاهم أولاء رواد تلك النهضة ، لو أعدنا النظر اليهم لوجدنا أكثرهم ممن كانت ثقافته عربية دينية ثم أضاف اليها ثقافة غربية ، من أمثال رفاعة رافع الطهطاوى ، ومحمود سامى البارودى ، وأحمد عرابى ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم ، وسعد زغلول ، وغيرهم .

كل ذلك يجعل من الطبيعى أن يقترن بالدعوة السياسية التى تتجاوب بها أصداء العالم العربى الى الوحدة العربية دعوة أخرى الى الاهتمام بأهم دواعى تلك الوحدة : أعنى تراثنا العربى . والحق أننا نستطيع أن نجد ظواهر ذلك الاهتمام فى كل أرجاء الوطن العربى فمنذ سنوات قلائل لم يكن ذلك التراث يحظى بالعناية فى غير مصر من أقطار العروبة .

ولحقت سورية مصر ، فكان بها المجمع العلمى العربى ثم مديرية احياء التراث القديم التى أنشأتها وزارة الثقافة والارشاد القومى فى عهد الوحدة . وأصدرت الهيئتان كتبا من تراثنا ، عنى بتحقيقها على المنهج العلمى ولكن أهم من ذلك أنهم شرعوا فى عمل فهرست للمخطوطات العربية ، وأماكن وجودها . ولست أدرى ماذا تم فى هذا المشروع ، الذى يعده كل متصل بالتراث القديم أهم خدمة تتقدم لذلك التراث .

وأنشأ العراق المجمع العربى ، وعاونت وزارة المعارف فى اخراج عدة كتب ، لا زالت لا تبلغ مبلغ الكتب السورية من حيث التحقيق والطباعة ولكن مكتبة المثنى عوضت ذلك النقص بتصوير كثير من الكتب التى صدرت عن أوروبا ونفدت طبعاتها .

وأرادت امارات الخليج العربى أن يكون لها شرف الاسهام فى ذلك العمل الجليل . فاسندت الكويت ثم قطر ثم البحرين الى جماعة من الذين عرفوا بالتحقيق فى العالم العربى ، أسندت اليهم انتقاء بعض كتب التراث وتحقيقها .

وكان الحديث عن لبنان يجب أن يتقدم على كل ما ذكرت ، لسبق لبنان اياها فى العناية بالتراث ، الا أن النظرة التجارية أفسدت كثيرا من الكتب التى صدرت فى لبنان ، ولا تزال تفسد كثيرا ، والامل معقود بالحريصين على ذلك التراث الذين ظهرت محاولاتهم الطيبة فى الاعوام الاخيرة .

وفى مصر اليوم عدة مشروعات تقصد تيسير العمل فى التراث القديم ، وان كان كثير منها لم يقدر له الاستمرار . فقد حاول المشرفون على ادارة احياء التراث بوزارة الثقافة المصرية أولا : فهرسة المخطوطات المصرية وشرعوا فى تنفيذ تلك المحاولة ثم توقفوا ورغبوا أيضا فى فهرسة جميع الدواوين الشعرية فى جميع مكتبات العالم التى تضم كتبا عربية . ولكن هذه الرغبة لم يقدر لها التحقق فيما أعلم .

وكل هذه المشروعات التى تهدف الى فهرسة المخطوطات العربية على أعظم قسط من الاهمية ، لأن أول ما يعانى منه راغب التحقيق التعرف على المخطوطات وأماكن وجودها . فتقديم العمل فى هذه

المشروعات اولى من غيره ، فان كان ذلك امرا غير مرغوب فيه ، فالاجدر عدم اهماله ، وان يسير جنبا الى جنب مع اصدار الكتب المحققة .

وتقوم هيئة اليونسكو بخدمة جليلة اخرى لتراثنا فقد قررت اقامة مركز لهـذا التراث فى القاهرة ، تجمع فيه صور جميع المخطوطات المنثورة فى انحاء العالم ولا زالت هذه المحاولة قاصرة ومحدودة لأن الهيئة لا تصور الا مايختـاره القائمون على المكتبات ومهما كان اساس الاختيار ، فانه غير كاف ولا شامل ، الى جانب اختلاف وجهات النظر فيه .

ومنذ اسابيع قلائل اصدر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ما اسماه « مشروع المكتبة العربية » فاختلفت الانظار اليه ، والى بعض تفاصيله .

يقوم المشروع على اربعة اسس : تحقيق التراث العربى ونشره ، ووضع مؤلفات فى الموضوعات التى ترى اللجان ان المكتبة العربية لاتزال بحاجـة الى التأليف فيها ، وترجمة مختارات من نتاج الفكـر العربى الى اللغات الاجنبية الحية ثم ترجمة مختارات من انتاج الفكر الاجنبى الى اللغة العربية .

وقسمت لجان التراث الكتب حسب موضوعاتها الى : كتب الشعر ، النثر ، القصة ، الفنون الشعبية ، التاريخ والآثار ، الجغرافيا ، الفلسفة والاجتماع ، التربية وعلم النفس ، القانون والعلوم السياسية ، الموسيقى ، المسرح ، العمارة ، ثم الفهارس .

واختارت اللجان كتبا لازالت مخطوطة ، فعهدت الى بعض الدارسين تحقيقهـا . واختارت بعض اللجان كتبا طبعت اجزاء منها ولم يطبع باقيها ، او طبعت كلها على المنهج العلمى السليم . ولكنهـا قررت اعادة طبع ما طبع لنفادطبعه وتكملة ما لم يطبع كما قررت اعادة تحقيق بعض ما حقق ليكون اكثر وفاء بالغرض . والحقت بعض اللجان بالتراث كتبا حديثة التأليف ، قررت نفاد طبعاتها ، كما فعلت لجنة القصة فى آثار رفاعة الطهطـاوى ، وعلى مبارك ، وعثمان جلال وغيرهم .

ومهما كان الاسـاس الذى راعته اللجـان فى الاختيار ، فان اساسا واحدا لايمكن ان يرضى كل الرضى . واظهر مايكون ذلك فى كتب الشعر والنثر . فاننا اذا استثنينا ديوانى ابن سـناء الملك وابن الرومى من كتب الشعر وجدناها جميعا قد سـبق طبعها . بل طبع احد الكتب فى سنة ١٩٦١ ، وهـو المحاسن والمساوى للبيهقى،وبعضها فى سنة ١٩٦٠، مثل الفاخر . كذلك ظهر بعض النقص فيمن اختير من المحققين ، اذ اعطيت بعض الكتب الى غير من قام بتحقيقها اولا ، مثل محاسن البيهقى ، ودواوين حسان بن ثابت ، وعمر بن ابى ربيعة ، وابن سناء الملك . ولكن ذلك كله من المستطاع تلافيه عند التنفيذ . وقد الف المجلس لجنة استشارية للنظر فيما وصل اليه من مذكرات ووجهات نظر ومراعاتها عند التنفيذ فعلا . وارجو ان يطبق الامر نفسـه على الكتب المؤلفة ، التى لاحظت فيها امثال العيب السابق .

واقترحت لجنة النثر قواعد لتكون اساسا يجرى عليه تحقيق التراث ونشره . وصنفت هذه القواعد فى ٣ اقسام : قواعد عامة ، تراعى فى اختيار الكتاب الذى يقترح تحقيقه ، والبحث عن اصوله ، وترتيب نسخه على حسب درجتها فى الاصالة ، والرجوع الى الكتب التى استفاد منها المخطوط او استفادت منه . وقواعد فى التحقيق ، تراعى فى اثبات النص ، وما يضاف اليه من زيادات،ومعالجة مابه من سقط وخروم، وضبط الآيات والاحاديث والشعر . وقـواعد فى التعليق ، تراعى فى الاشارة الى الآيات والأحاديث وتخريج الشعر وتفسير الغامض من الألفاظ ، وما شابه ذلك . وهو منهج طيب ، يجب التمسك به عند اصدار الكتب ، ورفض مالا يحققه .

والحق ان المشروع — باعتباره خطوة أولى خاضعة للاصلاح حسب مايتوفر لدى اللجنة من آراء ، ويراد اتباعها بخطوات اخرى تكملها وتسد مابها من ثغرات— مشروع طيب ، وعلى قسط كبير من الاهمية ، يوجب على كل دارس ومعنى بالتراث ان يعنى به ، ويبدى مايعن له من آراء .

ومن الامور التى احب ان اضـعها بين هـؤلاء الدارسين ، الكتب الخاصة ، كتب التربية والموسيقى والقانون وما اشبهها . فالملاحظ انها وضعت بين علماء مختصين بموضوعاتها ، وليس من هؤلاء العلماء او بعضهم من عانى التحقيق قبل ذلك . وهذه مشكلة . فالتحقيق منهـج يقوم على التجربة والممارسة قيامه على التخصص . فالتخصص وحده غير كاف والتجربة فى بعض الكتب غـير كافية وحـدها . وربما كان الاصوب ان يعهـد بأمثال هذه الكتب الى

وسائل الانتاج بين خط الميثاق ومنهج الشريعة

بقلم الدكتور محمد سعاد جلال

« ٣ »

تفسير القطاع العام بالتأميم وشرعية التأميم

١ ـ المسألة التى بدت ذات لون صارخ فى تطبيقنا الاشتراكى هى مسألة التأميم . فقد جهل ناس واغرض آخرون ، وزعم هؤلاء وهؤلاء ان التأميم ليس من الاسلام .

فان ارادوا ان هذا الشكل من صور التأميم الحديثة لم يكن فى الاسلام ـ فهذا جائز ، ولكن لا حجة فيه لاحد ، لانه لم يكن من الممكن بالنسبة للاسلام ولا لأى شريعة ان تختزل العصور وتطوى الازمان ، ليظهر فى الزمن الاول بالنسبة للشريعة ، من الوقائع ، والاحداث ما تقضي سنة التطور وسير الزمن ، بظهوره المقدر له فى الازمنة اللاحقة والاعصر التالية ، ولا يقول بهذا عاقل من الناس ، كما اشرنا لذلك سابقا .

وان ارادوا ان الشريعة الاسلامية تمانع فى الاذن به فهذا خطأ صريح .

واذن الشريعة فى موضوع التأميم يرجع عندنا الى مبداين هامين : ـ

المبدأ الاول : تقرير الشريعة لثبوت « الحمى » .
والمبدأ الثانى : القول بالمصالح المرسلة .

٢ ـ فاما عن المبدأ الاول : فقد تكلم الماوردى فى الاحكام السلطانية ، كما تكلم القاضي ابو يعلى الحنبلى فى احكامه السلطانية ايضا : عن الحمى :

قال القاضي ابو يعلى الحنبلى :

« وحمى الموات هو المنع من احيائه املاكا : ليكون مستبقى الاباحة لنبت الكلأ ورعى المواشي : وقد حمى رسول الله (ص) جبلا بالنقيع : وقال هذا حماى: واشار بيده الى القاع وهو قدر ميل فى ستة اميال حماه لخيل المسلمين من الانصار والمهاجرين .

واما حمى الائمة بعده : فان عموا به جميع الموات او اكثره لم يجز :

وان حموا اقله لخاص الناس او اغنيائهم لم يجزو ان حموه لكافة المسلمين او للفقراء والمساكين فانه يجوز :

حمى الائمة بعد رسول الله (ص) .

انتهى كلام القاضي ابو يعلى :

وتفصيل قوله : « حمى الائمة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماذكره الماوردى : قال : قد حمى ابو بكر رضي الله عنه « بالربذة » لاهل الصدقة واستعمل عليه مولاه ابا سلامه : وحمى عمر من « السرف » مثل ماحماه ابو بكر من « الربذة » : وولى عليه مولى يقال له « هنى » .

وما رواه البخارى : وذكره ابو عبيد : ان عمر حمى ارضا « بالربذة » وجعلها مرعى لجميع المسلمين : فجاء اهلها يقولون : يا امير المؤمنين انها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية والاسلام : علام تحميها ؟ فاطرق عمر ثم قال : « المال مال الله : والعباد عباد الله :

التراث العربى ـ بقية

رجلين : محقق ومختص ، واعنى بالمختص الدارس للفن او العلم العربى القديم لا الفن او العلم الحديث الذى ربما كان منبت الصلة بالقديم .

كذلك يوجد من المحققين من عهد اليه باكثر من كتاب بل بخمسة كتب . وبغض النظر عن قدرة المحقق ، فانه لن يشتغل فى كل هذه الكتب فى وقت واحد . واذن فالتعاقد معه عليه غير سليم ، لانه يعطل كتبا ربما كان فى الامكان اخراجها من تحقيق رجل آخر . اضف الى ان تلك الظاهرة توهم باننا نعانى حاجة وقلة فى المحققين ، والحق بخلاف ذلك . ولعل من الخير للمشروع أن تفتح ابوابه للمحققين من جميع اقطار العروبة ليضم كل جيد ، وليكسب من كل مكان .

وجملة القول فى المشروع انه اذا برأ من السرعة الضارة،والتعقيد المعوق ، واتسم بالامانة،والاخلاص، والتزم الحرص والغيرة على « تراثنا العربى » الذى رأيناه توأم بقائنا ونهضتنا ووحدتنا » ، عند من عهد اليهم بالتحقيق ، كان من اعظم مشروعاتنا خطرا واثراء حالا ومستقبلا .

حسين نصار
استاذ مساعد بكلية الآداب

والله لولا ما احمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الارض شبرا فى شبر »

هذه فكرة الحمى فى الاسلام ذكرناها بنص كبار الفقهاء الذين سجلوها فى كتاباتهم : ويتبين منها : —

١ — ان الحمى — فى احدى صورتيه : منع الارض الموات ان يتملكها احد ، واستبقاؤها لمنفعة عامة المسلمين للانبات ولرعى الماشية وهذا مافعله النبى (ص) وحمى به ارضا قدرت مساحتها بميل فى ستة اميال : لخيل المسلمين من المهاجرين والانصار ، وفى صورته الثانية : انتزاع قدر من الملكية من ايدى مالكيه واخراجه من حيز الملكية الشخصية وجعله ملكا عاما للامة ينتفع به جمهور الناس : وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه فيما حماه من ارض « الربذة » الذى حكاه ابو عبيدة عنه .

٢ — وان المعنى الموجود فى الحمى هو المعنى الموجود فيما نسميه اليوم « التأميم » لان فى التأميم فى الصورة الثانية من الحمى : اخراج ملك خاص من يد اصحابه وتصييره ملكا للدولة : وجعل الانتفاع به لعامة المواطنين .

٣ — وانما قلنا لعامة المواطنين : لان الحمى أو التأميم اذا اطلق للناس يكون لعامة المواطنين بلا فرق بين مسلم وغير مسلم .

قال القاضي ابو يعلى : « فان كان « الحمى » لكافة الناس تساوى فيه جميعهم من غنى ، وفقير ، ومسلم وذمى ، فى رعى كلئه لخيله وماشيته .

وهذا الحكم من ادل الدليل على ان فقهاءنا — رضي الله عنهم — كانوا من اعلم الناس بمقاصد الشريعة المتجهة لتحقيق المثل الانسانية ، وعملية الاندماج والمزج بين اصحاب الوطن الواحد .

٤ — وان الحمى او التأمين انما كان يتضمن مصلحة الدفاع عن الدولة : بانشاء مرعى لخيل المسلمين التى يشد عليها فى الجهاد : وهو معنى قول عمر : « والله لولا ما احمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الارض شبرا فى شبر »

٥ — وان تشريع الحمى كان يقدم فى اعتباره الفقراء والمساكين وسواء الشعب على الخاصة والاغنياء فكان موافقا للمعنى الذى انبنت عليه فكرة « التأميم » اليوم :

انظر قول القاضي ابى يعلى : « وان حمو ائله — اى الموات — لخاص الناس أو اغنيائهم لم يجز ، وان حموه لكافة المسلمين ، او للفقراء والمساكين فانه يجوز » .

فقد جعل الاذن فى « الحمى » لكافة المسلمين أو يختص به الفقراء والمساكين ، ومنع من الاختصاص به الاغنياء او الخاصة .

وهذه وجوه خمسة احتواها النص الذى سقناه .

٣ — ولنا بعد ذلك حول هذا المحتوى : ملاحظة واستنتاج :

اما الملاحظة فذلك أن الرواية عن عمر فى «حمى» ارض « الربذة » من اصحابها — لم تذكر أن ذلك كان بالمجان ، ام كان بتعويض الدولة لاصحابها : والظاهر ان هذا « الحمى » لم يكن بتعويض : فانه لو كان بتعويض لكان من المستبعد أن يقدم اهلها على مناقشة عمر بقولهم له : هذه ارضنا قاتلنا عليها فى الجاهلية والاسلام ، فان انتقالها من ايديهم بعوض يمنع هذا السياق : ولما كان جواب عمر لهم : « المال مال الله والعباد عباد الله » : ولكان الظاهر من طبيعة المقام ان يقول لهم انه عوضهم عنها — ولكنه اذ اجابهم على اعتراضهم بغير هذا — وذكرهم بأن المال كله لله مشيرا بذلك الى ان الذى اخذه من ايديهم ، ليس خالص ملكهم على الاطلاق ، وانه مصروف الى عباد الله الذين لهم فيه حق .

هذا الجواب ، وهذا السياق : يثبت أن « الحمى » او « التأميم » الذى فعله عمر كان بغير عوض : لانه مال الله مصروف الى عباد الله ، والى حماية الدولة تلك الحماية التى تؤول ثمراتها آخر الامر الى استبقاء الملكيات الخاصة غير المؤممة فى أيدى اصحابها .

ويترتب على ذلك ان التأميم الذى يتم بتعويض الدولة لاصحابه عن الملكيات المؤممة ، يختلف حكمه اختلافا كبيرا عن هذا التأميم المنقول عن عمد : اذ يكون المنقول عنه اوسع من التأميم الراهن نطاقا واعمق جذرا .

واما الاستنتاج : فقد يبدو لنا ان نظام التأميم لازمة من لوازم كل النظم التى تستهدف تحقيق « العدل الاجتماعي » فى حياة الامة فان استهداف العدل

الاجتماعي ، يوجب النظر لمصلحة الطبقات الفقيرة ، ومعالجة بعض بشاكلها ويستلزم ذلك قدرا من التأميم قل او كثر ، وقد يظهر ذلك بصورة بسيطة بحسب حالة البيئة واحتمال الزمن : كما رأينا على عهد الاسلام الاول أو يظهر بصورة واسعة ومركبة ، كما في عصرنا الراهن وكما نقول دائما : العبرة — بالحقيقة والمبدا ، وليس بالصورة والشكل .

٤ — واما عن المبدا الثانى فيمكن ان يؤسس شرع التاميم على اساس من المصلحة المرسلة:وهى المصلحة التى لم يشرع الشارع حكما لتحقيقها ، ولم يدل دليل شرعى على اعتبارها او الغائها كما قال علماء الاصول : وقالوا شرط العمل بها : —

(أ) ان تكون مصلحة حقيقية لا وهمية .

(ب) وان تكون مصلحة عامة تحقق النفع لاكثر عدد من الناس .

(د) والا تصادم تشريعا ثبت بالنص أو بالاجماع.

والتأميم فى نظرنا مصلحة حقيقية ، عامة لاتصادم تشريعا ثبت بالنص ولا بالاجماع فصح العمل بها لمصلحة الكافة ، ويدخل ذلك فى مسئولية الحاكم عن رفع الظلم وتحقيق العدل ، وتأمين العيش للمواطنين، حتى ولو لم يرد بذلك حكاية من فعل النبى (ص) ولا قوله ولا فعل أحد من اصحابه بعده .

٥ — وقد يقع النقاش بين علماء الاقتصاد ، وخصوصا بين الاشتراكيين وخصومهم فى كون التأميم مصلحة أو غير مصلحة : غير ان هذا النقاش لاتاثير له على شرعيته من الوجهة الاسلامية لان الاسلام انما يحكم بشرعية التأميم : بعنوان كونه مصلحة فقط لا باعتبار كونه مضرة او مفسدة .

واعظم مايقال فى نقد التاميم انه يسبب ضعف الحافز الشخصي على العمل .

ومثل هذا القول ان وجد له مصداقا فى الامم التى شاع فيها الالحاد ونسي الناس فيها الحياة الآخرة ، ومراقبة الله رب العالمين ، فان تربية ضمير الامة على عقيدة الاسلام ، يقطع السبيل على مثل هذا النقد ، ويلغى مجاله فليس كل مايقال فى بلاد أخرى يمكن قوله عندنا ، على ان التأميم لن يكون فى كل القطاعات بل انما يلجأ الى تطبيقه حيث تحتم المصلحة ذلك ، ويكون احتمال تراخ الوازع الشخصي ، أن وجد ، اقل ضررا من ترك وسائل الانتاج ذات الاهمية الخطيرة بالنسبة لاقتصاد الشعب بغير تأميم :

فالأمر فى تطبيق التأميم او عدم تطبيقه ، منظور فيه الى جانب المصلحة الغالبة بصرف النظر عن احتمالات الضرر المغلوبة . عندما نؤسس نظرنا على مقاييس الشريعة فى هذا الصدد .

علاقة الملكية الخاصة والارث
بوسائل الانتاج المتطورة

(أ) الملكية الخاصة :

١ — اشرنا فى الفصول المتقدمة الى ان اقتضاء المد الثورى انتهى الى وضع وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب ورقابته : وتمثل ذلك فى تقسيم النشاط الاقتصادى ومجالاته ، الى قطاع عام : ظهر فى صورة« التأميم » .

والى قطاع خاص : وهو ترجمة عن الملكية الخاصة تحت رقابة الشعب ومقيدة بما يحدها عن سبيل الاستغلال .

ونسأل الآن هل تتاثر هذه الملكية الخاصة ، وهل يتاثر الميراث بهذه الصورة المتطورة لوضع وسائل الانتاج التى استحدثت فى حياتنا الثورية ؟

ان الصورة المستحدثة لوضع وسائل الانتاج لم تعدم الملكية الخاصة ولكنها رسمت للملكية الخاصة من حيث المقدار ، ومن حيث التوجيه حدودا — تجعلها متناسقة مع خطة الدولة الشاملة فى التنمية الاقتصادية ، والبعد عن منازع الاستغلال : واذن فالملكية الخاصة موجودة ، وغاية مافى الامر انه طرأ عليها تقييد : فلزم النظر فى شرعية هذا التقييد : هل هو جائز أم محظور ؟ .

وما ذكرناه من شرعية « التأميم » سابقا : يؤنس فى هذا المقام بشرعية تقييد الملكية الخاصة ، ذلك ان « التأميم » كما بينا فى احدى صورتيه ، انتزاع قدر من الملكية الخاصة من يد مالكيها وتصييرها الى ملكية الشعب : فيجوز بناء على ذلك : من قبيل ماهو اولى ، ان يجوز تقييد الملكية الخاصة ، بمقدار معلوم، وتصرف معلوم ابتغاء للمصلحة العامة الراجعة الى سواد الشعب ، كما اسلفنا القول .

٢ — هنا قد يقول بعض المتأثرين في فهم الاسلام بالعادات المألوفة في أمور الملكية وغيرها : ان الاسلام لايبيح الضرر بل ويطلب رفع الضرر عمن يلحقه ضرر بغير حق وفي تقييد الملكية ضرر ظاهر يلحق بالمالكين، فكيف ينسب للاسلام شرعية تقييد الملكية مع وجود الحديث الثابت المشهور « لاضرر ولا ضرار » .

ونحن نوافق مبدئيا على أن في تقييد الملكية نوع ضرر ، ولكنه الضرر الذي يلغي الشارع اعتباره بازاء المصلحة العامة التي ترجح عليه ؛ كما ترجح مصلحة الجهاد في سبيل الله الراجعة الى حماية الدولة والدين ، على المضرة الحاصلة من قتل المجاهدين في ميدان القتال واجتلاب اليتم على ابنائهم والترمل لنسائهم ، والاسي لاسرهم .

فاذا كان في تقييد الملكية عملية انهاض لسواد الامة الجاهد الفقير من مفاسد الفقر ، ومعاناة الابتلاء والجهد ، بصورة ما ، فلا شك ان الذهاب لمصلحة الاكثرية أولى في اعتبار الشرع من الجمود عن المساس ببعض حقوق الاقلية مما فيه نوع ضرر لهم .

هذا على التسليم بأن في تقييد الملكية المقصود منه تعادل الوضع الاقتصادي ضررا حقيقيا ينال مقوما اساسيا ، من مقومات وجود الانسان المالك في نفسه، او عقله ، او دينه ، او عرضه ، او يحد نشاطه لتكميل نفسه بالعلم ، والمنزلة ، أو يحرمه من عيشة الرفاهية والرغد ، على ما تتسع له كفاية حاجاته ، ونوازعه السليمة .

ولكنا نرى أن تقييد الملكية حينئذ بالنسبة للمالك يكاد يكون ضررا موهوما لم يقصد به ايقاع الاذى بأصحابه ، بقدر ماقصد منه منع اصحابه من ايقاع الاذى بغيرهم عن طريق الاستغلال ، وسوء الاستعمال .

٣ — وقد نقل عن النبي (ص) في بعض الحوادث الجزئية مايثبت اباحة تقييد الملكية فيما يعود ضرره على فرد بعينه : كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الانصار فكان سمرة يكثر من دخول البستان هو واهله فيؤذى بذلك صاحب البستان فشكاه الانصاري الى رسول الله (ص) فاستدعى سمرة وقال له : « بعه نخلك » : فأبى : فقال هبها لي ولك مثلها في الجنة : فأبى فقال (ص) لسمرة : « انت مضار » ثم قال للانصاري صاحب البستان اذهب فاقلع نخله » .

وروى يحيى بن آدم انه كان للضحاك بن خليفة الانصاري أرض لا يصل اليها الماء الا اذا مر ببستان لمحمد بن سلمة ، فرفض محمد هذا ان يجرى الماء في بستانه الى أرض الضحاك ، فشكاه الضحاك الى عمر بن الخطاب : فاستحضره وسأله عما اذا كان مرور الماء ببستانه الى أرض الضحاك يضره : فقال محمد بن سلمة : « لا » : فعندئذ قال له عمر : « والله لو لم اجد له ممر الا على « بطنك لأمررته » .

وظاهر من هاتين الواقعتين أن حق تصرف المالك في ملكه ليس حقا مطلقا — وانه حق مقيد برعاية مصلحة الغير حتى ولو كان هذا الغير فردا لاجماعة : وظاهر ايضا انه اذا كان مناط تقييد الملكية الخاصة مصلحة الجماعة في صورة الاستغراق ، او في صورة الكثرة ، كان هذا التقييد آكد حكما وأتم في القياس .

٤ — ثم ان اطلاق الملكية امر مباح ليس بواجب — فلم يوجب الشرع على الناس ان يملكوا ، ولم يوجب عليهم اذا ملكوا الا يخرجوا من ملكهم .

وقد تكلم الفقهاء في مدى حق « الامام » في تقييد المباح ووجوب طاعة الناس له على ذلك : و «الامام» في النظام الاسلامي المؤسس على عقد البيعة الصحيحة — هو رمز الارادة الشعبية ، نقل الالوسي في التفسير عن فقهاء المذهب الحنفي — كالامام الحصكفي وغيره ، انه يجوز للامام أن يقيد المباح ، وانه يجب على المسلمين طاعته في ذلك ، كما نقل عن بعض الشافعية مثل ذلك ايضا .

وهذا النقل يرمى في مضمونه الى شرعية القول بسيطرة الشعب على وسائل الانتاج لان « الامام » في نظام الحكم الاسلامي ماهو الا رمز لارادة الجماعة ، كما قلنا — فيكون عمله مضافا للشعب .

وهكذا نرى أن سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لايلغى الملكية الخاصة ، ولكنه يقيدها .

وهو امر لا يصادم الشريعة بل تأذن فيه الشريعة.

(ب) حق الارث :

٥ — لانتصور أن تكون سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لها مساس بحق الارث .

ان المساس بحق الارث له ثلاث صور :

الصورة الأولى : اعدام الملكية أصلا : بحيث تنتفى

ملكية وسائل الانتاج وملكية وسائل الاستهلاك : فينتفي الميراث والميثاق ابقى في نطاق القطاع الخاص على الملكية الخاصة ، مقيدة بشرائط معينة ذكرناها ، ولم يتعرض لملكية وسائل الاستهلاك ، بالسيطرة اصلا .

وما دامت الملكية الخاصة بنوعيها — انتاجية ، او استهلاكية قائمة فمجال الارث موجود لمن يستحقون ميراثهم الشرعي فيما تركه لهم مورثهم، من مال يخلفونه في وضع اليد عليه .

والصورة الثانية : منع الورثة بغير وجه شرعي ، من الحصول على مال مورثهم ونقله عنهم الى جهة اخرى قبل وقوعه في ايديهم .

الصورة الثالثة : التسوية بين حظ الذكر والانثى في الميراث على عكس ما نطق به القرآن الكريم او ادخال ما ليس وارثا شرعيا ، ضمن الورثة الشرعيين او ما شابه ذلك من الفروض التي تنافى اصل مشروعية الارث او نظامه .

وفي هذه الصور الثلاث لانجد في سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، ملمساً ، او يعطل محتواها الشرعي ، والميراث موجود حتى في الدولة الروسية وهي اشد الدول اتساعا في الاخذ بالنظام الاشتراكي فكيف نتصور في نطاق الاشتراكية المعتدلة التي تزكى « راس المال » الوطني ، ان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج امر له مساس بحق الارث ؟ .

٦ — على ان الفكر الذي يجب ان يكون له اعتبار خاص : هو ان نظام التوريث في الاسلام عملية اشتراكية فانه شرع بطريقة تؤدي الى تفتيت الثروة ، وتوزيعها على عدد من الوارثين تتفاوت انصبتهم منها، وكل واحد من هؤلاء الورثة يؤول ميراثه الى عدد آخر من ورثته من بعده ، فلا تلبث الثروة الكبيرة المركزة في يد واحدة ان تقل جدا او ان تذوب بعد جيلين او ثلاثة غالبا . ويتبعها تغير جزئي في اذابة الفوارق الطبقية وعدم الابقاء على الثروة في جهة واحدة — وكما قال القرآن الكريم : « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » .

ومن هنا يتضح ان نظام الميراث بالاسلوب الذي شرعه القرآن : يصادق الاشتراكية ، ويسير معها نحو هدف واحد : المساواة وعدالة التوزيع .

في طريق الوحدة العربية

للأستاذ محمد عطا

اني اعتقد كما يعتقد كل عربي مخلص ان الوحدة العربية هي الهدف الاسمى للقومية العربية فهي التي تسبغ عليها القوة ، وهي التي تحقق لها الاكتفاء الذاتي ، وهي الطاقة الدافعة لها في طريق البناء والتقدم ، وهي نقطة الانطلاق في تحرير الوطن العربي باسره من الاستعمار والصهيونية ، وهي اذا تحققت استشعر كل عربي العزة والكرامة ، وان له كيانا ووجودا ، وان له مستقبلا زاهرا كما كان له ماض مجيد .

ولا شك ان الراى العام العربي يدرك كل اولئك ، ومن اجل هذا تسعى طلائعه التقدمية لتحقيق الوحدة العربية ، وتعجل بقيامها ، وخاصة بعد النهاية المؤلمة التي انتهت اليها حرب فلسطين ، وضراوة الاستعمار في الشمال الافريقي ، وانبعاث روح القومية في الوطن العربي بعد وضوح الرؤية وتعرف الهدف ، وقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، هذه الثورة التي خاضت معركة النضال العربي على هدى وبصيرة ، وتصدرت الدعوة للقومية العربية ، ورفعت شعار وحدتها ، ونادت بالا امل في تحقيق القومية العربية الا اذا توحدت الدول العربية التي شاء الاستعمار ان يصطنع لها حدودا واهية ، وان يفرق ما اراد الله له ان يوحد مستهدفا من وراء ذلك اضعاف الروح القومية ، وان يظل الوطن العربي عاجزا من ان ينهض بمسئولياته او يحقق مطامحه او يسير في طريق التقدم ، والا اذا كانت بمنأى من الحرب الباردة والساخنة بين الشرق والغرب لتقوى على البناء والانشاء ، وتؤكد استقلالها وذاتيتها .

وقد كان من حظ الامة العربية وتوفيقها ان هيأ لهذه الثورة طريق النصر في معاركها ضد التخلف في الميادين العسكرية والاقتصادية والسياسية ،وكان لهذا النصر اصداؤه المدوية في المحيط العربي والمجال العالمي واستيقظ العالم العربي بعد هجعته الطويلة

وهو لايكاد يصدق عينيه فراى أحلامه البعيدة تتحقق على يد جزء من الوطن العربي قد آلى على نفسه ان يحارب الاستعمار بكل قوة وعزم وأن ينازله في كل مكان وفي كل ميدان ، وان ينتصر عليه انتصارا ساحقا ، وكان من الطبيعي ان يعتنق مبادئها احرار الوطن العربي ، وان يترسموا خطاها فهي ثورة رائدة على الطريق العربي ، وان يفيدوا من تجاربها ، ويخوضوا المعارك التي خاضتها لينتهوا كما انتهت الى وحدة الهدف ثم الى وحدة الصف .

وجرت احداث في الوطن العربي قربت من اجل تحقيق الوحدة ، وفي طليعة هذه الاحداث العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، العدوان المسلح من جانب الاستعمار والصهيونية ، وهدفه الرئيسي ضرب ثورة ٢٣ يوليو والقضاء على مبادئها التحررية والوحدوية والتقدمية ، ولكن مصر الثورة ومن ورائها قوى الاحرار في العالم العربي صمدت لهذا العدوان وقاومته مقاومة عنيفة ، وانتصرت عليه في الميدان السياسي العالمي ، وفي المجال العسكري ، وكان لهذا الانتصار نتائجه الخطيرة في الوطن العربي باسره فقد اكد بما لايدع مجالا للشك قوة الراى العام العربي وتماسكه على الرغم من وجود قيادات حاكمة خائنة في بعض الدول العربية ، وان الطلائع الثورية التقدمية في هذا الوطن بدات تثبت اقدامها على الطريق ، وتتحكم في قيادة الراى العام ، وتحمل القيادات الرجعية على رفع شعار الوحدة على الرغم منها ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان هذه الطلائع آمنت بقيادة ثورة ٢٣ يوليو وانها المرفأ الوحيد الذى يؤدى الى تحقيق الاهداف العربية وسلامتها ، وان الوحدة لاتتحقق الا بالطريق الثورى، وعون رواد ثورة ٢٣ يوليو ، ومنها ان الاستعمار والصهيونية اضعف من ان يقاوما تيار القومية العربية الجارف او يقفا في طريق الوحدة العربية المحتومة المقدسة .

ثم مضى عام وبعض عام اخفقت فيه الوسائل الاستعمارية من فرض الحصار الاقتصادى علينا ، وتجميد اموالنا وتدبير المؤامرات في الوطن العربي ، ولكن هذه الوسائل لم تؤد الا الى عكس المقصود منها فزدنا صلابة في الحق واصرارا على المشي في تحقيق اهدافنا حتى كان شهر فبراير عام ١٩٥٨ واذا العالم يفاجأ بقيام اول تجربة من نوعها في التاريخ حيث اتفقت ارادة الشعب العربي في مصر وسورية على الوحدة الشاملة . فكانت الجمهورية العربية المتحدة ، واختير رئيسا لجمهوريتها بطل ثورة ٢٣ يوليو جمال عبد الناصر . وكان قيام هذه الوحدة قنبلة زمنية انطلقت في القطر العراقي — الذى كانت تحكمه ملكية طاغية متمثلة في عبد الاله ، وعقلية استعمارية متمثلة في نورى السعيد — شدت من أزر الطلائع التقدمية في العراق فكانت ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ م التي قضت على الملكية ووقفت الجمهورية العربية المتحدة الى جانب الثوار منذ اللحظة الاولى التي اعلنت فيها الثورة ، وبقيام ثورة العراق تطلع العالم العربي الى انضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنه اصيب بالدهشة البالغة لعدم اقدام حكومة العراق على هذه الخطوة البالغة الاهمية لمستقبل الوحدة، ولعل مرد ذلك في مفهومى الى ان عبدالكريم قاسم في ذلك الوقت كانت تسيره قوتان ، قوة الشيوعية وقوة الرجعية اللتان رأتا أن من الخير لهما أن تتعاونا للحيلولة دون انضمام العراق الى الخط العربي الاصيل حتى لا تقوى روح القومية العربية ، وقوتها خطر عليهما، مما أضعف من جبهة القوميين العرب ، وعدم توفيق ثورة الشواف والطبقجلي .

ثم تعرضت وحدة مصر وسورية لنكسة اصابت الوحدة العربية في الصميم اذ انتهزت الرجعية صدور قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ م فاستجمعت قواها ، وانضمت اليها العناصر الشعوبية ومن ورائها المخطط الاستعمارى فكان الانفصال في ٢٧ سبتمبر عام ١٩٦١ م ، هذا الانفصال الذى يرجع فيما اعتقد الى عدم تصفية الرجعية تصفية نهائية وتسللها الى التنظيم السياسي الشعبي الذى اطلق عليه « الاتحاد القومي » انذاك .

على ان الانفصال في سورية ، وتجميد الثورة في العراق لم يدوما طويلا ، وخاصة بعد أن والت الجمهورية العربية المتحدة انتصاراتها في المجال العسكرى اذ استطاعت ان تنتج الصواريخ ، وان يثبت الجيش العربي كفايته في دعم ثورة اليمن ، وانتصارها على الرجعية والاستعمار معا ، وتخليصها من الحكم الاقطاعي المستبد ، فاذا العراق يثور على الوضع المقلوب فيه في التاسع من فبراير عام ١٩٦٣ (١٤ من رمضان) ولم يمض شهر حتى ثارت سورية هي الاخرى في الثامن من مارس (آذار) عام ١٩٦٣، وكلتا الثورتين اعلنت منذ اللحظة الاولى ان قيامها

الديانة البرهمية
وأسفار الفيدا وقوانين مانو
وفضل علماء الإسلام في الكشف عنها

للدكتور علي عبد الواحد وافي

الديانة البرهمية :

تعد الديانة البرهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية ، فإن تاريخها يرجع إلى عصر سحيق يصعد به بعض مؤرخي الديانات إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل عصر موسى عليه السلام بنحو قرنين . ويعتنقها الآن معظم سكان جمهورية الهند وبعض سكان جمهورية باكستان .

وهي منسوبة للإله « برهما » أو « برهمنا سبهاتي » وهو عند الهنود اسم للإله الموجود بذاته الذي يستمد منه كل شيء وجوده ، والذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، فلا يحدث شيء في العالم إلا بإذنه وإرادته . وإلى هذه الصفات يشير كتابهم المقدس ، وهو « الفيدا » الذي سنتحدث عنه في الفقرة التالية إذ يقول على لسان « براهما » : « إنني أنا الله ، نور الشمس ، وضوء القمر ، وبريق اللهب ، ووميض البرق ، وصوت الرياح ، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء ، والأصل الأزلي لجميع الكائنات ، وحياة كل موجود ، إنني صلاح الصالح ، أنا الأول والآخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن ، إنني أنا الله لا إله غيري ، رب العالمين ، وخالق السماوات والأرضين » .

في طريق الوحدة العربية — بقية

من أجل تحقيق الوحدة العربية ، وعلى هذا الأساس الواضح الصريح بدأت المباحثات في القاهرة بين وفود عربية ثلاثة ، الوفد السوري ، والوفد العراقي ، ووفد الجمهورية العربية المتحدة لعقد اتفاقية الوحدة في السادس من ابريل وانتهت في السابع عشر من هذا الشهر عام ١٩٦٣ بتوقيع اتفاق الوحدة الذي جاء في مقدمته : والتقت الثورات الثلاث لقاءها هذا الذي أكد من جديد أن الوحدة عمل ثوري يستمد مفاهيمه من إيمان الجماهير ، وقوته من إرادتها ، وأهدافه من أمانيها في الحرية والاشتراكية . إن الوحدة ثورة ، ثورة لأنها شعبية ، وثورة لأنها تقدمية ، وثورة لأنها اندفاع قوي في تيار الحضارة ..

وهذا يؤكد المفهوم الذي قامت على أساسه الثورتان ، بارتباطهما أمام شعبيهما بتحقيق الوحدة العربية مع مصر العربية قلب العروبة النابض ، وأنهما لن يستطيعا التخلي عن هذا الارتباط مهما يسوف المسوفون و يعوق المعوقون على أننا يجب أن نضع في اعتبارنا أن تسقط ثوراتنا من حسابها التعصب الحزبي ، فالثورات كما نعرفها لاتعرف الحزبية ، كانت الثورة الفرنسية كذلك بل الثورة الأمريكية فالثورة الكمالية فثورة سنة ١٩١٩ ومن قبل كل أولئك جميعها ثورة الإسلام باستثناء الثورة البلشفية على أن كل أمة لها تاريخها الذي تستلهمه ، وماضيها الذي يدعم حاضرها ، فالعرب في شتى عصورهم لم يؤمنوا بالحزبية أو التحزب بل أن القرآن دستورهم يحضهم دائما على الاتحاد والتعاون والترابط . هذا إلى أن حاضرنا يدعونا إلى الإفادة من كل الطاقات البشرية الصالحة ، وتجنب كل ما من شأنه إراقة الدماء وإزهاق الأرواح البريئة ، ويدعونا كذلك إلى ألا نلهو عن هدفنا الأسمى وهو تحقيق الوحدة الفعلية ، والسير بها قدما لتجتمع عليها الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ، وفي سبيل هذا الهدف الأسمى ينبغي أن نخلع عنا ثوب الحزبية ، وننزع من أنفسنا داء الأثرة والأنانية ، وأن نبرز من بين صفوفنا القيادات الثورية المتجردة ، ونعمل على تجميعها وتنظيمها ورعايتها في أسرع وقت حتى لاتنطفيء شعلة الوحدة المقدسة أو يخبو ضوؤها ، وهذا مالا نوده ولن يكون .

وأخيرا فإن الوضع الحالي يتطلب الحسم والحركة ، حسم الانحرافات والنزعات الانفصالية ، والحركة للالتقاء على الأهداف الرئيسية للوحدة ، ووضعها موضع التنفيذ حتى لاتتسع الهوة ، ويجد الاستعمار والصهيونية منافذ لضرب الوحدة وتمزيقها وليس هذا في صالح الأمة العربية ومستقبلها .

محمد عطا

وتذهب الديانة البرهمية الى ان جميع الكائنات التى صدرت عن الموجود الاول مستحيلة متغيرة متناسخة ، وان حركة الاستحالة والتغير والتناسخ مستمرة دائمة فى افرادها ، وان كل كائن منها بعد ان يتم حركته هذه يعود الى الله تعالى الذى نشأ منه والانسان احد هذه الكائنات ، يعرض له ما يعرض لها فروح كل انسان قبس من نور الله انفصل عن الله الى اجل مسمى ، واتصل بهذا الانسان ، ثم يتصل بكائن آخر وبثالث ورابع ... وهكذا بطريق تناسخ الأرواح ، ثم يعود فى النهاية الى الله متى حان الاجل المحتوم . فما اشبه روح الانسان — على حد تعبير اسفارهم — بقطرات من الماء العذب تصبها الانهار فى البحار ، ثم تصعد بخارا فى السماء ، وتنتقل من جهة الى جهة ، وقد تتناسخ فتتحول الى قطعمن الثلج او البرد او غير ذلك ، ثم تسقط ماء على قمم الجبال ثم تجرى فى الانهار راجعة الى مصدرها الاول الذى انبعثت منه ، أو بهواء حبيس فى قدح مقلوب يظل منفصلا من الهواء الخارجى وان كان منه ، حتى يتحطم القدح ، فيزول الفاصل ويتحدان . ومن ثم وجب أن يتجه كل حى ، فى اثناء حياته نفسها ، الى غايته المقدرة له ، وهى الفناء فى الله وخير وسيلة لتحقيق هذا الفناء تتمثل فى اهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق ، والاعراض عن متع الحياة ، والاكثار من الصوم والانابة الى الله ، والرجوع اليه ، والندم على ما فرط من المعاصى والآثام .

فالديانة البرهمية كانت فى اصلها — على ما يبدو — ديانة توحيد ، مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الارواح ورجوع الكائنات الى الخالق ، ونزعة التقشف وتعذيب الجسم...وما الى ذلك من المعتقدات والنزعات التى انتقل كثيرمنها الىالتصوف الاسلامى ونظريات رجاله وخاصة ابن عربى والحلاج .

ولكنها تغيرت وحرفت على مر الايام ، وحلت محلها عقيدة تثليث . وذلك انهم زعموا أن برهما كان قبل الوجود فى فضاء لانهاية له ، فرغب أن يكون كثيرا ، فخلق العالم بقوة ارادته وبفيض من ذاته وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الاله المدمر ، وهو الاله « سيفا » الموكل بالخراب والفناء فلا يذر من شيء أتى عليه الا جعله كالرميم . ولو ترك هذا الاله وشأنه لفنيت السماوات والارض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما اله ثالث حافظ مجدد ، يحفظ الكون ويجدد خرابه وهو الاله « فيشنو » . وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الاصلية فى الديانة البرهمية واستبدل بها هذا الثالوث — ويتجه البرهميون الآن بمعظم عباداتهم الى الاله «فيشنو» وهو الاله الحافظ المجدد لما الاله « سيفا » فهو اله مدمر يتقىشره ويستعاذ منه . واما الاله«برهما» وهو اصلهم جميعا ، فيزعمون انه قد ادى وظيفته . وهى الخلق وانه ينعم الآن براحة كاملة

اسفار « الفيدا »

يطلق الهنود البرهميون اسم الفيدا (ومعناها فى اللغة السنسيكريتية القديمة المعرفة أو العلم ، على مجموعة اسفار قديمة يعتقدون انه موحى بها من الاله براهما نفسه ، وانه قد جمعها حكيم منحكمائهم اشتهر باسم « فيدافياسا » اى جامع الفيدا .

وقد كتبت اسفار الفيدا فى الاصل باحدى اللهجات السنسيكريتية القديمة وكانت هذه اللهجة قد انقرضت منذ أمد بعيد من لغة الكتابة ولغة التخاطب ،واصبحت غير مفهومة الا لبعض رجال الدين من الهنود . وكانت عقائدهم تحرم عليهم أن يعلموا هذه الاسفار أو يبوحوا بمحتوياتها الا لاهل ملتهم . ومن اجل ذلك ظلت محتويات هذه الكتب مجهولة حتى القرن العاشر الميلادى . وفى اواخر هذا القرن استطاع العلامة ابو الريحان البيرونى (المولود سنة ٣٦٢ هـ الموافقة لسنة ٩٧٣ ميلادية) أن ينقل الى العربية طائفة كبيرة من محتويات هذه الاسفار فى كتابه الشهير الذى جعل عنوانه :

« تحقيق ما للهند من مقولة . مقبولة فى العقل أو مرذولة »

وكان ابو الريحان البيرونى قد ذهب الى الهند فى سن مبكرة ،رافقا للسلطان محمود الغزنوى فى حروبه وحملاته فى الهند ، وعكف على دراسة اللغات الهندية القديمة والحديثة وثقافة الهنود وآدابهم ونظمهم ، حتى اتقنها جميعا ، واستطاع بفضل ذلك أن ينقل الى العربية فى كتابه القيم المشار اليه اهم مايتعلق بعقائد الهند وشئونه وحضارته وثقافته وآدابه وتاريخه فى عصره والعصور السابقة له . فكان كتابه هذا اول مفتاح جدى لدراسة « الفيدا » واول كاشف لاسرارها . — وفى منتصف

القرن السابع عشر الميلادى استطاع احد علماء الفرس وهو دارا — شيكو ان يحصل على بعض اجزاء من « الفيدا » وبفضل تمكنه من اللغة الهندية القديمة استطاع أن يترجم هذه الاجزاء الى اللغة الفارسية ، وظهرت ترجمته هذه سنة ١٠٦٧ هـ الموافقة لسنة ١٦٥٧ ميلادية . ثم اتيح بعد ذلك فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لكثير من العلماء الاوروبيين المشتغلين بدراسة الثقافة الهندية ان يعثروا فى المكتبات القديمة على نسخ مخطوطة لاسفار « الفيدا » ، واتيح لهم كذلك ، بفضل تمكنهم من اللغة المؤلفة بها هذه الاسفار واهتدائهم الى فك رموزها ، أن يترجموها الى اللغات الاوروبية الحديثة . ويرجع اكبر قسط من الفضل فى هذا الصدد الى عالمين انجليزيين هما سير وليم جونس وكولبروك

قوانين مانو :

تشتمل قوانين « مانو »

أو مانافا دهارما ساسترا

على تفصيل للشريعة البرهمية عقائدها وعباداتها ومعاملاتها ونظمها الاجتماعية بمختلف فروعها ، كما تشتمل على تاريخ الكون ونشأته وخلق الانسان وتقسيم الطبقات .

وينسب هذا السفر لمشرع قديم اسمه « مانو » او « مانافا » .

ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين . وأرجح ما قيل فى هذا الصدد من آراء انه عاش حوالى القرن الثالث عشر . ق . م .

وينزل البرهميون هذا السفر منزلة التقديس ، حتى لقد اعتقدوا ان مؤلفه هو اول الآلهة الستة المنبثقين عن الاله الخالق والذين تتابعوا فى حكم العالم .

وهذا الكتاب هو اهم مرجع للباحثين فى الشريعة البرهمية، لانه قد استوعب جميع نواحى هذه الشريعة، ولم يغادر أى فرع من فروعها الا فصله تفصيلا . ويستمد اصول احكامه من اسفار « الفيدا » نفسها . فهو كالمؤلفات الفقهية الاسلامية التى تعرض لتفاصيل الشريعة مستمدة احكامها من الكتاب والسنة .

وقد الف فى شعر منظوم ، ويشتمل على ٢٦٨٤ مادة مقسمة الى اثنى عشر كتابا : الكتاب الاول فى الخلق (وهو يشبه سفر التكوين فى اسفار التوراة) ويعرض لخلق براهما للكون والعالم والانسان وتقسيمه للطبقات ، والثانى فى الادعية والصلوات والاخلاق ، والثالث فى نظم الاسرة والزواج وواجبات رب الاسرة .. وما الى ذلك ، والرابع فى النظم الاقتصادية وشئون المعاش والعمل ، والخامس فى الاستغفار والتكفير والتقوى والطهارة وواجبات المرأة، والسادس فى التصرف والزهد . والسابع فى النظم السياسية والحربية وواجبات الحكام والملوك ورجال الجيش ، والثامن فى النظم القضائية والقوانين المدنية وقانون العقوبات، والتاسع تكملة لهذه القوانين وبيان لواجبات التجار وطبقة الخدم والعبيد ، والعاشر فى طبقات المجتمع والنظم الخاصة بكل طبقة منها وما يراعى فى اوقات القحط والمجاعة ، والحادى عشر فى التكفير والاستغفار والتوبة من الخطايا والذنوب ، والثانى عشر فى تناسخ الارواح وهجرتها والسعادة الاخروية .

التفرقة العنصرية وطبقات الناس فى الديانة البرهمية .

من أهم النظم الاجتماعية التى تقوم عليها الديانة البرهمية النظم المتعلقة بتقسيم الطبقات والتفرقة العنصرية . فالكتب المقدسة للهنود البرهميين تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشأتهم الاولى فتذكر أن براهما قد خلق فصيلة « البرهميين » من فمه ، وفصيلة « الكشتريين » من ذراعه ، وفصيلة « الفيسائيين » من فخذه ، وفصيلة « السودرائيين » او « المنبوذين » من قدمه

ولما كان اشرف الاعضاء هو ماكان فوق السرة ، واشرفها واطهرها جميعا هو الفم ، ويليه فى ذلك الذراع ، ولما كان احط الاعضاء هو ماكان اسفل السرة ، واحطها جميعا هو القدم ، لذلك كان اشرف الناس جميعا واطهرهم بحسب العنصر والنشأة هم الذين انحدروا من فم براهما وهم « البرهميون » ، ويليهم فى الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم « الكشتريون » ، وكان احط الفصائل الانسانية الذين انحدروا من فخذه وقدميه ، وهم « الفيسائيون » و « المنبوذون » ، واكثرهم رجسا ونجسا المنبوذين المنحدرون من قدم براهما .

وتقسم هذه الاسفار الوظائف الانسانية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها وبحسب شرف الوظيفة نفسها واهميتها . فللبرهميين ارقى الوظائف وهى الوظائف الدينية ، فهم وحدهم الذين يعلمون الناس « الفيدا » ويشرفون على المذابح والضحايا ،

ميشيل عفلق الشاعر !

للأستاذ عبد المنعم عزاد

نشر ميشيل عفلق قصيدة يتيمة ، فأثارت زوبعة ادبية وادت الى سلسلة من الاتهامات .

الأمر الذى لا شك فيه ، أن ميشيل عفلق لم يكن معروفا ، قبل محادثات العرب ، الذين عـرفوه ، يلقى الى مريديه ببعض الشـعارات الغـالبة ، والعبارات الفارغة فى الضباب الفكرى والتهويمات غير المحددة .

اما الأمر الذى لا يعرفه احد عنه ، حتى هؤلاء المريدون ، فهو أنه قد حاول أن يكون يوماما شاعرا ، فقد نشر قصيدة يتيمة ، أثارت زوبعة ادبية ، وادت الى سلسلة من الاتهامات والسرقات ، اما متى كان ذلك ؟ فاليك القصة من مبدئها .

الى صديقى الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حبيب الزحلاوى ، فى العدد «١١٥» من مجلة الرسالة الصـادر فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، يقول :

« كنت شديد الاعجاب بقصيدتك «عاصفة روح» التى سمعتك تنشدها قبل نشرها فى العدد الأخير من « مجلتى » الصادرة فى أول سبتمبر ، ولتنى لما خلوت الى نفسى كنت كمن يفتش على مهل عن شىء ضائع فى ذاكرتى ! .. واخيرا لقيت هـذا الشىء الضائع ... لقيت مطلع قصيدة من ذات العنوان والوزن ، بل لقيت القصيدة كلها من نظم الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق منشورة فى العدد السابع من مجلة الدهور الصـادر فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٤ مطلعها :

اعصفى يا رياح واهـزئى يا سـماء
من يكن ذا جنـاح هل يهـاب الفضـاء

ولقيتك فى المطلع الثانى من قصيدتك تقول :

اعولى يا جـراح اسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبـان

لقد اوغلت فى قراءة قصيدتك ، ووازنت بين اقوالك ومعانيك ، وبين الاقوال والمعانى الواردة فى قصيدة الشاعر الدمشقى ، واخيرا لقيت الاليق أن اسألك عما اذا كان هذا مجرد توارد خواطر ، وقد الفنا تطوـل الاغارات الادبية بتوارد الخواطر » .

وهكذا اتهم الاستاذ الزحلاوى الدكتور ابراهيم ناجى بسرقة قصيدته من الشـاعر ميشيل عفلق ! ولسنا فى حاجة الى تفنيد هذا الاتهام ودحضه فهو اتهام منهار من اساسه ، فليس من المعقول أن يسرق شاعر كبير كالمرحوم ابراهيم ناجى قصيدته من شاعر لم تنشر له الا هذه القصيدة اليتيمة فماذا كان رد الدكتور ناجى على هذا الاتهام ؟

عفلق المعتدى :

وفى العدد التالى من الرسالة الصـادر فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، كتب الدكتور ناجى كلمة بعنوان « الى الأديب الزحلاوى » قال فيها :

الديانة البرهمية — بقية

وهم وحدهم الذين لهم الحق فى « التبول والرفض » على حد تعبير اسفارهم . وللكشـتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والعمل على استتباب الامن . وللفيسائيين القيام على تربية الانعـام وفلح الارض وشئون التجارة . واما السودرا او المنبوذون فلم يعطهم السيد الأعلى الا وظيفة واحدة وهى أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها . وهم فوق ذلك رجس ونجس ، فلا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم بأية علاقة غير السيد بالمسود .

وهذه الطبقات وهـذه الوظائف طبقات ووظائف وراثية . فأولاد البراهما يولدون برهميين ويزاولون وظائف آبائهم واولادهم الكشتريين يولدون كشتريين ويزاولون وظائف سلفهم ، وهكذا بقية الطبقات . ولا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب الى غير طبقته ولا أن يزاول وظيفة غير الوظيفة المخصصة له .

دكتور على عبد الواحد وافى

« اطلعت على كلمتكم المنشورة بعدد (الرسالة) الأخير . الخاصة بقصيدتي المنشورة في « مجلتي » ولما كنت لم اتشرف بقراءة شيء ، ولم اسمع مطلقا قبل اليوم من شاعركم الدمشقي عفلق افندى ، فاني ارجوكم ان تتكرموا بنشر قصيدتي وقصيدته معا واعتقد ان الاستاذ صاحب (الرسالة) لا يمانع في ذلك ما دام قد سمح لك ان توجه ما كتبت الي .

« والفت نظر زحلاوى افندى أن المقطعين اللذين انتخبهما لي ولعفلق افندى ليس بينهما ذرة من التشابه فما الشبه بين « اعولى يا جراح » و « اعصفى يا رياح » ، وما الشبه بين « اسمعى الديان » وبين « اهزئي بالسماء » ! ان هذا لتهم عجيب .

سرقة ادبية :

وفي العدد التالي الصادر في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ دخل الى حلبة المعركة الاستاذ (على الطنطاوى) حيث كتب يقول تحت عنوان « سرقة ادبية »:

« قرات كلمة في بريد الرسالة (١١٥) بتوقيع « حبيب زحلاوى » يتهم فيها الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى » بانه سرق قصيدته « عاصفة روح » من قصيدة الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق (أ) ، ونحن لم نقرأ قصيدة « عاصفة روح » ولا قصيدة (عفلق) ، ولكنا مع هذا نعلم ان الدكتور ناجى من نابغى الشعراء الشباب في مصر ، ونعرف له اشياء بالغة في نبلها حد الجودة ، فاحببنا ان نطمئن الدكتور الى انه ليس في دمشق شاعر يسمى ميشيل عفلق البتة ، وربما كان فيها كاتب مصحف أو ترجمان تصحي بهذا الاسم ، اما شاعر فلا ...

وقد سالنا عن القصيدتين صديقنا الشاعر انور العطار ، فاكد لنا ان قصيدة عفلق مسروقة من قصيدة لشاعر من شعراء سورية في المهجر ، وان هذا هو السر في انه لم ينظم في حياته غيرها » .

اما من هو هذا الشاعر السورى المهجرى الذى سرق منه ميشيل عفلق قصيدته — كما يقول الأستاذ العطار — فلم يعرف لأن احدا ممن تناولوا هذه القضية لم يحاول ان يتقصى الامر ويكشف عن شخصيته .

القصيدتان :

وفي العدد التالي من الرسالة الصادر في ٧ اكتوبر سنة ١٩٣٥ نشرت القصيدتان ، بعد أن قدمت لهما (الرسالة) بما يلى :

« علم قراء الرسالة من عدد مضى ان الأديب حبيب الزحلاوى اتهم الدكتور الشاعر ابراهيم ناجي بانه استعان في قصيدته (عاصفة روح) بقصيدة الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق (عاصفة) . وقد دفع الدكتور ناجي ذلك الاتهام ، وتحدى متهمه ان ينشر القصيدتين في الرسالة ، وامس ارسل الينا الناقد نص القصيدتين ومعهما نقد لاذع ، واليوم بعث الينا الشاعر بنصيهما ايضا ومعهما تعليق ساخر ، فاثرنا ان نطوى النقد والتعليق لخروجهما عن خطة الرسالة واكتفينا بنشر القصيدتين ، ليحكم القراء بين الرجلين »

وساكتفى هنا بذكر أكثر المقاطع تشابها بين القصيدتين ، مع التنويه الى ان هذا التشابه لا يعدو كونه تشابها في الوزن والقافية وبعض الالفاظ ، ثم في الجو العام لتجربة كل من الشاعرين ، واليكا ما اخترته من كل من القصيدتين :

قارن بين قول الدكتور ناجي :

اعولى يا جراح اسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

وبين قول ميشيل عفلق :

اعصفى يا رياح واهزئي بالسماء
من يكن ذا جناح هل يهاب الفضاء

ثم وازن بين قول المرحوم ناجي :

اسخرى يا حياه تهتمى بالرعود
الصبا لن اراه والهوى لن يعود

وبين قول ميشيل عفلق :

امعنت في المساء قاصفات الرعود
ذاك ضحك القضاء من قيود العبيد

ثم قارن اخيرا بين قول الشاعر ناجي :

اين شط الرجاء يا عباب الهموم
ليلتى انواء ونهارى غيوم

وبين قول الأستاذ ميشيل عفلق :

اعطشتنى الرغاب فشربت النجوم
وحدانى الشباب فامتطيت الغيوم

رد الأستاذ ميشيل عفلق :

وفي العدد (١١٩) من الرسالة : الصادر في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ ، كتب الأستاذ ميشيل عفلق يقول :

« ... لا شك ان الغيرة الادبية هي التي دفعت صديقي الأستاذ الزحلاوي الى فتح هـذا النقاش لاعتقاده ان ثمة تشابهـا كبيرا بين قصيدة الدكتور « ناجي » وبين قصيدتي « عاصفة » المنشورة في مجلة (الدهور) منذ عام ونيف . على انني أرى هذا التشابه ضئيلا جـدا ، ولا يجوز أن يعزى الا الى توارد الخواطر .

« أما من جهة رد الأستاذ الطنطاوي فهو ادعاء لا تدعمه حجة ولا يؤيده برهان ، لقـد ادعى هذا الأديب ان صديقه انور العطار قال له : ان قصيدتي مسروقة من احد شعراء المهجر ، ثم أردف أنه لايعرف مني سوى اني « ترجمان قصصي ! » فهل «للرسالة» أن تطلب منه أن ينشر على صفحاتها اسم الشاعر وقصيدته التي يقول أن قصيدتي سرقت منها ، وأصل القصص التي يدعى اني اترجمها ؟ »

سؤال :

الأمر الذي يثير الدهشة حقا اننـا لم نسمع أن ميشيل عفلق يكتب الشعر الا من خلال هذه القضية الادبية فحسب ، والامر الاكثر غرابة اننا لم نقرأ له الا هذه القصيدة اليتيمة ، وهو امر لم يحـاول هو نفسه في رده ان ينفيه ، ومعنى هذا انه لم يكتب الا هذه القصيدة ، ولو انه كان قد كتب غيرها لكان من الطبيعي ان يذكر ان لديه قصـائد اخرى غيرها ، ولكنه لم ينشرها بعد مثلا ، والأمر الاكثر غرابةمن كل هذا ان ياتي الأستاذ الزحلاوي ويتهم المرحوم ناجي بأنه سرق قصيدته من ميشيل عفلق صاحب القصيدة اليتيمة ، وهذا ما يجعلنـا نخرج الدكتور ناجي من الموضوع فالامر لا يعدو ان يكون بالنسبة له — وهو الشاعر الكبير ذو الانتاج الشعري الضخم — مجرد توارد خواطر بينه وبين مانسبه الى نفسه ،ميشـيل عفلق من شـعر ، باعتراف هـذا الأخير نفسه ، والسؤال الآن : هل يعقل ان شاعرا لا ينشر فيكتاباته كلها الا قصيدة واحـدة ؟ ثم اليس من المحتمل ان يكون كلام الأستاذ العطار صحيحا ، وان هناكسرقة مباشرة من قصيدة شاعر مهجري قام بهـا السيد ميشيل عفلق ، ثم لم يعاود الكرة بعد أن انكشف امره من المرة الاولى ؟

ان القضية — للأسف الشديد — قد انقطعت عند رد الاستاذ عفلق ، ولم يحـاول احد أن يستقصي اطرافها بعد ذلك حتى يكشف حقيقة هذه السرقة ، ومن هو الشاعر المهجري الذى سطا على شعره السيد ميشيل عفلق .

قصيدة ثالثة في الموضوع :

للمرحوم ابى القاسم الشابى قصيدة معروفة حتى لرجل الشارع عندنا ، فقد غناها عبد العزيز محمود بعد ان لحنهـا له الاستاذ مدحت عاصم في يوم من الايام ، والقصيـدة هى « الصباح الجـديد » ، ومطلعها .

اسـكنى يا جـراح واسكتى يا شـجون
مات عهـد النواح وزمان الجنـون

فهل كان المرحوم ابو القاسم الشابى حين كتبها متاثرا بهذا الشاعر المهجرىالذىذكر الاستاذ العطار ان السيد ميشيل عفلق قد سرق قصيدته منه ، أم ان الامر قد اختلط في ذهن الاستاذ العطـار — وكان يعتمد على ذاكرته مثلا — فكان يقصد الشابى ولكن ذاكرته خانته فنسب القصيدة المسطو عليهـا الى شاعر مهجرى بدلا من الشابى ، الـذى كان يعنيه بالفعل لتشابه شعر الشـابى مع شعر شعراء المهجر ؟

ان تصور الامر على هذهالصورة يجعل منالاستاذ ميشيل عفلق مجرد متاثر بالشابى — شأنه في ذلك شأن الدكتور ناجي — فحسب ، ولكن كيف يمكن تصور الامر على هذه الصورة ، وكل ما نعرفه للسيد عفلق من الشعر مجرد هـذه القصيدة الوحيـدة اليتيمة ؟

كلمة اخيرة في الموضوع :

يبدو ان السيد ميشيل عفلق ، في محاولته لاثبات وجوده في سنى شبابه الاولى قد حاول ان يكون شاعرا ، فلجا الى السرقة الأدبية ، فانكشف أمره ، فطلق الشعر الى الأبد ..

وبعد ان فشل في اثبات وجوده كشاعر اتجه الى السياسة ، ولكن يبـدو ان فيلسوف حزب البعث الاكبر لم يستطع ان يتخلى عن طبيعته الأولى ، مع تغيير نوع السرقات ، فلم يعد يسرق شعرا ، وانما اصبح يسرق الثورات !

عبد المنعم عواد

المارد الافريقى

للأستاذ على الصياد

أنا ذلك المتمرد الافريقى ... اطلعت من صخر الظلام شروقى
وعبرت شطآن الكفاح وفى يدى ... روحى مخضبة بلون عروقى
سأخوض أمواج المجازر ثائرا ... باسم الجباه السود باسم حقوقى
باسم التآخى باسم انسانيتى ... باسم الضحايا من أب وشقيق
لن انثنى حتى احرر جبهتى ... من نعل جلادى ولفح حريقى
ما جبهتى السوداء أدنى رفعة ... من كل أبيض فى دماى غريق
ان كان وجهى بالسواد ملثما ... فالفجر فى قلبى يضىء طريقى
وهل الغمام اذا تلبد وجهه ... الا نذير عواصف وبروق .. ؟؟
فليحذر الطاغون فحمة جبهتى ... فبها اللهيب لمن اراد عقوقى
كفنت ليل الرق منطلق السنا ... وغدوت حر الفكر غير رقيق

❊ ❊ ❊

ياناهبا كرمى وخمر دنانى ... لى مثل مالكَ فى الحياة امانى
أرضى هنا انا بالدما رويتها ... وانا الفداء اذا النضال دعانى
انسامها النشوى لغات عواطفى ... ومحبتى لاخى بكل مكان
ورياضها للظامئين الى العلا ... تنساب زيتونية الأغصان
وشفاهها للطامعين مقابر ... تشدو الليالى فوقها الحانى
لتفجرى بالنار افريقيتى ... وترنمى بملاحم النيران
هذا نشاكَ الحرشق طريقه ... بين الدجى فى صخرة الطغيان
ومضى عيونا لن يغمض جفونه ... الا على حرية وامان
انت التى علمته منذ الصبا ... قنص الغزاة اذا غزوا شطآنى
حسبى اذا جذفت فى لجج الردى ... ان المنايا بينها ربانى

❊ ❊ ❊

لبيكَ رغم الموت افريقيتى ... يافجر احلامى وسر طفولتى
ارضعتنى لبن البطولة صافيا ... فغدوت اعصر فى الكفاح بطولتى
ووهبت لى ما فى حقولكَ من جنى ... لم يبتسم اولا سواعد اخوتى
وابيت الا ان اعيش لامتى ... تقتات فى ليل الفدا من مهجتى
والماء بين رباى كم سلسلته ... فانساب حرا فى حنايا جنتى
وترابكَ الفحمى فى اعماقه ... ومضات فجر ترمزى الطلعة
فيه الحياة عزيزة عملاقة ... يحيا بها وطنى سخى العزة
هذا النعيم ولدت فوق مهاده ... ونهلت من ينبوعه حريتى
ايظل ينهبه العدا وحماته ... فى مصهر الحرمان ذرب مذلة
سأخوضها حمراء الهو بالردى ... واظل اسبق فى الكفاح مذلتى

« على الصياد »

الاشتراكية عند أبي العلاء

للأستاذ محمد العفيفي

فيلسوف ساخر ، لاذع السخرية ، مر التهكم ، يخلص النصح ، ويكثر من اللوم والتقريع ، وينقد المجتمع طبقة بعد أخرى نقدا لا يخلو من قسوة ولكنها قسوة رحيمة .. هكذا كان أبو العلاء يتمنى للناس الخير ويخلص لهم النصح ، ولكنه مع ذلك لم يشأ أن يشاركهم صخبهم ولا أن يجاذبهم أطراف الحياة التي يحيونها .. ولقد أتاحت له ظروفه ضربا قاسيا من العزلة اكتفى فيها بنيف وعشرين دينارا كل عام هي كل ما يملكه من وقف له .. فكان يؤدي معظمها لخادمه وكاتبه ويعيش بالباقي عيشة غليظة خشنة .. فهل تركه الناس بعد ذلك آمنا في سربه ؟!

لقد حاول داعي الدعاة بمصر وهو يرأس السبعيين أصحاب المذهب الاسماعيلي الذي يظهر أصحابه التقى ويضمرون الالحاد .. حاول هذا الملحد الملون أن يتحرش بأبي العلاء فحاوره وماراه وحدثه في اعراضه عن أكل اللحوم ولكن المعري يقول له وهو يقابل دهاءه بدهاء مثله « لي في السنة نيف وعشرون دينارا فاذا أخذ خادمي بعض ما يجب ، بقي ما لا يعجب فاقتصرت على فول وبلس وما لا يعذب بالالسن ثم ان أبا العلاء الذي استنكف أن يتكسب بالشعر وآثر الجوع والكرامة على الشبع والذل يحس أن داعي الدعاة ربما أحرجه بما يعرضه عليه من زخرف الدنيا فيستدرك قائلا : « ولست أريد في رزقي زيادة ولا أوثر لسقمي عيادة » .

وكان مولد أبي العلاء سنة ٣٦٣ هـ أي بعد سبع سنوات مضت على موت سيف الدولة في سنة ٣٥٦هـ وكان سيف الدولة صاحب سيف يدمي معه الى معاركه قاضيه أبو الحصين وشاعره المتنبي فيزين له قاضيه القتال والعدوان ويقول له « كل من هلك فلسيف الدولة ما ملك » وينشد له المتنبي أروع الملاحم الشعرية موقعة على صليل السيوف فاذا بأبي العلاء يحمل على النظام الملكي ..

❊❊❊

ومن شر البرية رب ملك يريد رعية أن يسجدوا له

يا ملوك البلاد فزتم بنسء
العمر والجور شأنكم بالنساء

ما لكم لا ترون طرق المعالي
قد يزور الهيجاء زير نساء

وطالما ارتفعت كفته السياسية وهبطت بين وزير يحبه ويجله كأبي القاسم المغربي وآخر يحمل عليه ويسعى في قتله كالوزير محمود بن نصر بن صالح أمير حلب الذي يقول فيه أبو العلاء ..

أسر ان كنت محمودا على خلق
ولا أسر بأني الملك محمود

ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها
وانما هو بعد الموت جلمود

ولم ينقد الملوك والساسة فحسب وانما نقد رؤساء الدين على أنواعهم والصوفيين والمنجمين والنحاة واللغويين والفلاسفة والحكماء وأرباب النحل والقراء والفقهاء وناهيك بتهكمه المرير وفنه اللاذع في رسالة الغفران التي لم يسبق اليها في الادب العربي كله ولم يستطع أحد حتى يومنا هذا أن يحذو حذوه في مثل ذلك .

والذي يعنيني هنا من أمر أبي العلاء هو نظرته الى تفاوت الطبقات في المجتمع بين الفقر المدقع والغنى الفاحش ..

ويا بلادا مشى عليها
أولو افتقار وأغنياء

اذا قضى الله بالمخازي
فكل أهليك أشقياء

كم وعظ الواعظون منا
وقام في الارض أنبياء

فانصرفوا والبلاء باق
ولم يزل داؤك العياء

ولقد عني كثير من أساتذة الادب ورواته العرب والاجانب بقراءة أبي العلاء واذاعة أدبه وفلسفته بين الناس .. وانما أردت بهذا المقال أن ألم الماما سريعا بأفكاره الاشتراكية التي هي – على سبيل المثال – أكثر انسانية من أفكار أديب ساخر من رجال

الاشتراكية الغابية هو برنارد شو مع تباعد الزمان والمكان ، بل ان أفكار أبي العلاء في هذا الشأن ضرب من الرومانسية الخيالية وربما كان أكثر مثالية مما تطيق الحياة بخيرها وشرها ..

لقد وعى أبو العلاء اشتراكية الاسلام الانسانية التي تريد أن تجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، ونظر بعين المقت الى فنون الالحاد كالمزدكية التي ذكرها ابن القارح في رسالته اليه وجاء ذكر صاحبها وشأنه مع الفرس والعرب في كتاب الاغاني، وكانت المزدكية هذه تدعو الى شيوعية جنسية داعرة لكيلا يتميز مال من مال ولا ولد من ولد .. فما هو موقف أبي العلاء من اشتراكية الاسلام الانسانية ؟ وما هو موقفه من النزوات الالحادية الفاسقة ؟

لقد تبرأ المعري من هذه الدعوات الفوضوية الالحادية ..

. . . .

شر النساء مشاعات عدون سدى
كالارض يحملن أولادا مشاعينا

فهل اجتهد المعري في تفسير الاشتراكية الاسلامية وتطبيقها بعد أن توفي عمر رضي الله عنه وهو يتمنى أن يستقبل من أمره ما استدبر ليفسر اشتراكية الاسلام ويطبقها !! .. كان أبو العلاء رجلا اشتراكيا حقا . أليس هو القائل :

لو كان لي أو لغيري قيد انملة
من البسيطة خلت الامر مشتركا

ولكنه اتخذ لاشتراكيته دربا آخر لم يسبق اليه وكانت اشتراكيته ذات تفكير مثالي لا يمكن تحقيقه ولكنه مع ذلك حلم من أحلام الانسان ..

كانت الاشتراكية عند أبي العلاء هي حق كل مخلوق من انسان عاقل وطائر صادح ودابة عجماء في حياة نقية لا يقطع أسبابها سيف الفاتح ، ولا سكين الذابح ، فاذا استقامت الحياة على هذا النحو وزعت الثروة توزيعا عادلا فلا يمشي في الارض أولو افتقار واغنياء كما تقدم ..

وطالما فكر في أن ينادي بهذا النوع من الحياة ولكنه كان يخشى أمثال الوزير محمود الذي كان يسمعه صليل السيف كل يوم ويرسل له جنده يتحرشون به في معتزله .. فاذا به يعرض الشق الاول من نظريته في تحريم ذبح الحيوان ويمسك عن الشق الثاني فيلمح به تلميحا .. ويقول في حائيته :

بني زمني هل تعلمون سرائرا
علمت ولكني بهما غير بائح

سر يتم على غي فهلا اهتديتم
بما خبرتكم صافيات القرائح

ويقول :

فان ترشدوا لاتخضبوا السيف من دم
وتلزموا الاميال سبر الجرائح

ويبدو مذهبه هذا أكثر وضوحا في قوله :

تسريح كفك برغوثا ظفرت به
أبر من درهم تعطيه محتاجا

كلاهما يتوقى والحياة له
عزيزة ويروم العيش مهتاجا

انه يقول ان الحياة في ذاتها أولى بالرعاية من القوت وان كان القوت يأتي في المحل الثاني من المحافظة على الحياة .. لا فرق في ذلك بين حياة البرغوث وحياة الانسان فكلاهما يتوقى الاخطار ويروم البقاء ..

ان فيلسوفنا العربي رحيم القلب ، فياض العاطفة ، يريد أن يشترك الناس في حق الحياة الحرة الكريمة وفي المساواة في الرزق لا فرق في ذلك بين مخلوق من مخلوقات الله ..

وابك على طائر رماه فتى
لاه فاوهى بفهره الكتفا

بكر يبغي المعاش مغتبطا
فقص عند الشروق أو نتفا

كأنه في الحياة ماقرع الغصن
فغنى عليه أو هتفا

فها هو مرة أخرى يجعل حق الحياة للمخلوقات جميعا أساسا تبنى عليه فكرة المساواة في الرزق فهو يطلب مساواة في الحياة والرزق معا .. رحم الله أبا العلاء فلقد كان قلبه الفياض بالرحمة الجياش بالحب يطلب الخير من الحياة أكثر كثيرا مما تستطيع ..

محمد العفيفي

عبد العزيز البشرى
الأديب الساخر
للدكتور جمال الدين الرمادى

مرت في صمت وسكون ، وهدوء وسكوت الذكرى العشرون للاديب الساخر عبد العزيز البشرى

ويعتبر البشرى من أئمة الادباء في العصر الحديث ممن حملوا راية التجديد وكان له طابع خاص في الكتابة يستهوى النفوس والعقول جميعا .

***

وقد ظهرت في كتبه العناصر المختلفة التى كونت شخصيته **واعنى بها العنصر العربى والعنصر الاوربى والعنصر الدينى .**

فهو قد درس في الازهر ، واتيح له أن يقرأ كتب الدين والحديث والتفسير وأن يخوض فيما كان يخوض فيه الازهريون من ابحاث دينية في اصول الفقه والتفسير غير أن طبيعة البشرى لم تلبث أن طغت عليه فعكف على كتب الاوائل بحثا ودرسا ، حتى قال لاحد اصدقائه المقربين انه كان يقول « لقد بلغ من فتنتى بالجاحظ والاصفهانى انى كنت ابسط الكتاب تحت ضوء مصباح النفط فاقرأ ولا ازال اقرأ غافلا عن نفسى حتى تغربنى الشمس » .. كما تأثر البشرى بالجاحظ وكان يقول « اقدر الجاحظ واستطيع ان اؤكد لك بانى اثار ، وارتضى صحبته وافاخر بها واحرص عليها . **فقد عرفته منذ امد بعيد** عرفته من الساعة التى ادركت فيها اثر القراءة القائمة على الدراسة والاقناع » ان اسلوب الجاحظ قد اربى على الغاية جودة واناقة ، وجمال توقيع وهو الاسلوب الجزل السهل الذى ينشده لنفسه كل من كان يريد الكمال لقلمه والابداع لفنه .

وان الجانب الفكاهى فيه يصور لنا مبلغ قدرة البشرى على التهكم كلما أراد أن يسخر وكلما شاء أن تجز نقداته في الرقاب .

***

ولذلك كان البشرى يستخدم اسلوب الجاحظ في السخرية والتهكم ويجول بقلمه في كل موطن — ويعتمد في عباراته على التلوين والترديد الذى كان يزين به الجاحظ كتاباته والواقع ان الجاحظ كان احد العوامل الهمة المؤثرة في ثقافة البشرى العربيه ، كما انتهت الى البشرى تعاليم السيد جمال الدين الافغانى في الحرية الشخصية والعزة القومية وآراء الامام محمد عبده في الاصلاح الدينى وتنقية الدين من البدع والشوائب ومسايرة ركب المدنية فطالب البشرى بما طالب به استاذاه ، وتأثر البشرى كذلك بحركة التأليف في الربع الاخير من القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين والتى كان من اعلامها البارودى ومحمد عبده وسعد زغلول وعلى مبارك والمويلحى وعلى يوسف وحفنى ناصف كما تأثر بالمدرسة الحديثة التى نهلت من مناهل الغرب وكان منها قاسم أمين ، واسماعيل صبرى ، ولطفى السيد وغيرهم .

تأثر البشرى بكل هذه التيارات الادبية من قديمة وجديدة وكان الى جانب ذلك يلم بالادب الاجنبى الماما ، ويحاول أن يتعلم اللغة الفرنسية ، ويعرف منها اطرافا ، ويتندر بها في مجالسه ونواديه

ورغم دراسته السطحية لهذه اللغة فانه قرأ كثيرا من الترجمات من الانجليزية والفرنسية في الادبين الانجليزى والفرنسى باللغة العربية .

وهو قد يلجأ الى الالفاظ الاوربية في وسط الكلام أو آخره ولا يأتى بهذه الالفاظ جزافا انما لنكتة بلاغية او غاية ادبية ، فتحدث في النفس تأثيرا خلابا .

***

فعندما يتحدث عن مختار الفنان ويعدد فنونه المختلفة يقول « وهو صافى الذهن ، عظيم الشجاعة ، وافر الذكاء ، لايعنى بشىء في الدنيا قدر عنايته بفنه الجميل ، وفي الحق انمختارا مجموعة ، Assortiment تضم الوانا من الغرائب والمتناقضات» ولعل ذلك هو الذى هيأ له كل هذا النبوغ العظيم

***

وعندما يتحدث عن حافظ رمضان السياسى العربى يقول « لقد يبدو لك أن حافظ رمضان كسول لايحب أن يجشم نفسه من الامر جليلا على انه اذا جد الجد كان انشط من الكوكب السيار ، ومن اعجب ما يؤثر عنه من هذه الناحية انه بدا له في صيف العام الماضى اذ هو في اوربا أن يتسلق قمة جبال الالب Mont Blanc وعبثا يحاول اصدقاؤه أن يصرفوه عن هذه النية ، فالعروج الى قمة الالب انما هو ضرب من العبث بالحياة نفسها ، ويجمع حافظ رمضان همته وعناده معا ويخوض مهاوى الموت خوضا حتى يبلغ غايته، ثم يتدلى من قمة الجبل « بالسلامة » والموت خزيان . ويظفر بتلك الشهادة شهادة المعراج الى قمة الالب .

ولم يظفر بها من المقاديم الا قليل فكان ايضا حق Sport رغم مايرمى به من فرط الكسل وشدة الخمول !!

***

وهكذا امتاز اسلوب البشرى باستخدام بعض الالفاظ الاوربية وبعض الالفاظ العامية كذلك . ولم يكن هذا الاستخدام يشوه جمال العبارة ، انما كان يزيدها ظرفا ولطفا ورشاقة وخفة دم .

ومن الطف عباراته في احدى مقالاته عبارة Chacun avec Chacune ، والاقرب من هذا انه حول هذه العبارة الى العربيه ، م جمعها جمعا مؤنثا سالما فقال « الشاكنيات »

وكان يعتمد في اسلوبه على الفن الكاريكاتورى في التحليل

وكان صاحب مدرسة في تحليل الشخصيات ينسج على منوالها كثير من الادباء والصحفيين في العصر الحديث ويعتبر كتابه « في المرآة » الذى يضم مجموعة من المقالات التحليلية من لفيف من الشخصيات البارزة من أرق كتبه بل من أرق الكتب الادبية في الادب الحديث .

❊❊❊

ومن أوصافه قوله في شاعر النيل حافظ ابراهيم « جهم الصوت « جهم الخلق كأنه قد من صخرة في فلاة ، موحشة ، لم فكر في آخر ساعة أن يكون انسانا فكان » والسلام » أما مايدعى فمه فكأنما شق بعد الخلق شقا وأما عيناه فكأنما دقتا بمسمارين دقا ، وأما لون بشرته والعياذ بالله فكأنما عهد به الى نقاش مبتدىء تشابهت عليه الاصباغ والالوان فذاب أصفرها في أخضرها في أبيضها في بنفسجها ، فخرج مزجا من هذا كله لايرتبط فيه واحد بسبب ولايتصل بنسب وانك لو نضوت عنه ثيابه ، والبسته ذراعة من دونها سراويله وأفرغت عليها من فوقها جبة شامية ، وتوجته بعمامة عظيمة متخالفة الطيات لحسبته من فورك دهقانا من دهاقين الفرس الاقدمين ، أما اذا جردته كله واطلقته من البحر خلته فيلا أو أرسلته في البحر ظننته درفيلا .

ولكن كشف بعد ذلك عن نفسه التى يحتويها كل هذا

فلا والله فما النور بعد الظلام ، ولا العافية بعد السقام ولا الغنى بعد البؤس ، ولا ادراك المنى بعد طول اليأس باشهى اليك ولا ادخل للسرور عليك من هذا حافظ ابراهيم »

ولم يسلم أمير الشعراء أحمد شوقى من دعابته ، ووصف حالته النفسية وصفا أخاذا خلابا ، فقال : « لو بعث الله الناس كلاما لكان شوقى قطعة شعرية جميلة نظمت في الحب والرحمة رقيق الجرم ، لطيف الحجم ، متناسق الاعضاء ، مستدير الوجه ، لاتزال عليه اثاره من ملاحة الصبا ، وان تكرشت بعض معارفه بقضاء مافوق الخمسين ، اذا اقبل عليك يحدثك مالت حدقتاه عنك الى ماعلى يمينك او شمالك او ظلتا تضطربان بينهما حتى لتحس أنه يوجه الى غيرك الحديث

وانه بعد ذلك لشديد الرقة للناس جميعا ، اضعفه الحب وفل من عزمه، فلا يستطيع أن يشهد مشهدا مؤلما ولا يستطيع أن يسمع قصة حزينة ، ولو قد عرض لسمعه او لبصره شيء من هذا لولى منه فرارا وللىء منه رعبا »

❊❊❊

ومن دعاباته التى أطلقها على الجراح الشهير الدكتور على ابراهيم طيب الله ثراه : لو كان لغيره تلك الاصابع التى تسرق « الكحل » من العين لآثر ان يكون نشالا . اذن والله لنشل الآلاف ، ولاحرز اكثر مما تجدى الجراحة اضعاف الاضعاف ، ولما ابقى في جيب على كيس ولا هنىء الناس بكريم ولا نفيس ! .. ولكن قدر فكان وسبحان من يعطى الحلقة لمن بلا ودان .. !!

❊❊❊

ومن النكات المأثورة عنه مع هذا الطبيب الراحل انه كان يصحبه ذات يوم في سيارة وتوقفت بهما السيارة لخلل أصاب اسلاكها الكهربائية . وعندئذ هبط منها الشيخ عبد العزيز البشرى فسأله الدكتور على ابراهيم : رايح على فين ياشيخ بشرى ؟ فقال الشيخ البشرى ضاحكا : سأذهب لاركب عربة أخرى حسنة السير والسلوك ؟ !!

❊❊❊

وللبشرى غير كتاب المرآة كتاب المختار بجزأيه وهو مجموعة من المقالات التى نشرها في الصحف والمجلات الادبية والصحفية المختلفة ، ولم ينشر البشرى هذه المقالات في كتاب الا بعد أن الح عليه أصدقاؤه في نشرها ، ولعله وافق على هذا النشر حينما أصابته شكاة الزمت جنبه الفراش ثلاثة أشهر تعلق فيها بين الموت والحياة ، ولعل جانب الموت على حد تعبيره كان أرجح ، وكانت حجته أسطع فلم يبق بد من أن يرى النساخ في المكتبات العامة فرجعوا اليه بكثير من المقالات .

ويضم كتاب المختار بجزأيه بين دفتيه مجموعة من المقالات في وصف الشباب المولى ، والطائرة والراديو ومقالات في في التقريظ « وتراجم حسين رشدى والشيخ على يوسف ومحمد المويلحى وبعض المراثى التى وضحت بلاغة البشرى وروعة أسلوبه اجمل توضيح ، كما يضم الكتاب بعض المقالات الفنية في الغناء والموسيقى والطرب وتراجم لمشاهير الفنانين أمثال سلامة حجازى وسيد درويش ومحمد العقاد .

❊❊❊

ويحتوى الكتاب فضلا عن ذلك بابا في المداعبات والافاكيه ، واعلام الدعابة والنكتة مثل امام العبد ، والبابلى ، وغيرهما كما يحتوى على نوادر التطفل والمتطفلين ، والحمقى والنوكى والبخلاء على النحو الذى كان يسلكه الجاحظ في كتبه »

وللبشرى غير كتاب « المختار » كتاب قطوف ويضم مجموعة أخرى من المقالات وقد طبع الكتاب مرتين بعد وفاة البشرى .

وعلى رغم الروح المرحة ، والنفس المنشرحة ، التى كان يمتاز بها البشرى ، وعلى رغم الدعابة الحلوة والنكتة العذبة اللتين لم تكونا تبرحان شفتيه حتى في أحرج الاوقات، واشد الازمات ، فانه كان يعانى مرضا شديدا ، وحموضة في المعدة ، وتعبا في الاعصاب . فيبدو بينه وبين نفسه حزينا كاسف البال، موزع النفس ، مفرق القلب بيد انه عندما يلاقى أصحابه ترتسم الابتسامة على شفتيه وتتلألأ الضحكة على ثغره من أعماق صدره .

وما زالت العلة تلح عليه حتى فاضت روحه الى بارئها في ٢٤ مارس عام ١٩٤٣ فلم يستطع الموت أن يخفى الابتسامة المتألقة على محياه .

جمال الدين الرمادى

في موكب العلم

مرآة صنعتها الطبيعة

للاستاذ فوزى الشتوى

ما هى طبيعة المناطق الجوية التى تتيح لسكان كوكبنا الارض سماع اذاعات الراديو ، وتناقل الاحاديث بالمواصلات اللاسلكية ؟ ولماذا تصفو هذه الاذاعات فترات ، وينتابها الاضطراب والضوضاء فترات أخرى يستحيل فيها تحقيق أى ألوان الاتصالات اللاسلكية ؟

وللاجابة عن هذه الاسئلة وغيرها، تعقد المؤتمرات العلمية ، وتطلق عشرات الاقمار الصناعية لدراسة جو الارض ، وما يعلوه من بيئة تطلق عليها اسم الفضاء · والتسمية مضللة ، فما الفضاء فى حقيقته الا خلو عقولنا من المعلومات ، أما ما يلى طبقات الهواء الكثيفة حول الارض ، فعالم جديد لا تجد فيه سنتمترا واحدا فارغا ، اذ يحوى مواد وعوامل طبيعية تؤثر حتى على جهاز الراديو الذى تسمعه

مرآة الطبيعة

والعوامل الطبيعية المؤثرة على شتى ألوان حياتنا من بيئات الكون اللانهائية ، أكثر من أن يحدها حصر ومنها ما نعرف لمحه،ومنها ما لا يزال من المجهولات· ونقصر حديثنا الآن على تلك البيئة التى تؤثر على مواصلاتنا اللاسلكية ، ونعنى بها الظاهرة الطبيعية التى يطلق عليها اسم «التأين» فهى المسئولة عن تحقيق حديث تليفونى لاسلكى بين القاهرة وطوكيو، ولندن ونيويورك ، وهى المسئولة أيضا عن طمس معالم الحديث اذ تدمر موجات الصوت ، فتعجز آذاننا عن التقاطها وتفسيرها كما تفعل عادة

فى البيئة المحيطة بالارض مرآة صنعتها الطبيعة ، وليست هذه العبارة بتشبيه ، واستعارة ، أو أى المحسنات اللغوية ، بل أعنى بها مرآة كتلك اللوحة الزجاجية التى ترى فيها وجهك · وكل ما بينهما من اختلاف فى مادة الصنع والحساسية· وكما اكتشف انسان الغاب الصفحات اللامعة ، وعرف أنها تبين صورة وجهه ، وتعكس صور المرئيات أمامها ،كذلك عرف ابن القرن العشرين كيف تنعكس موجات صوته على مرآة الطبيعة المحيطة بالارض ، كما تعلم كيف يستغلها فى أفضل أوضاعها ، وبالتالى شكل صورة اذاعاته على هيئة موجات طويلة ومتوسطة وقصيرة·

كيف تعمل المرآة

وعرف الباحثان «هنل» و «هفيسيد» من عشرات السنين ان فى البيئة المحيطة بالارض مرآة تعكس صور الصوت ، وتردها الى الارض ، أما طبيعة هذه المرآة ، وكيف تعمل ، فسر يتكشف الآن بمعونة الدراسات الذرية ، والصواريخ والاقمار السابحة فى المناطق المحيطة بكرتنا الارضية ، فالاكتشاف قديم قدم استخدامنا للمرآة ، وجديد لاننا بالكاد بدأنا نعرف فيه كيف تعمل المرآة حتى نجيد صقلها لتؤدى واجبها باتقان ·

سلم الأقدمون بأن المرآة تعكس الصور ، أما الجهاز الذى حوته،وجعلها تخالف غيرها من الاسطح، فمن تفسير العلوم الذرية التى عرفنا منها ان أية مادة تتألف من نواة ، وحولها تدور مجموعة من الجسيمات المعروفة باسم الكترونات · فى كل ذرة من المادة توجد هذه الالكترونات ، وكل واحدة منها تلزم مدارا معينا حول النواة ·

ويحدث فى التفاعلات الطبيعية أن تفلت بعض هذه الالكترونات من مدارها ، وتصير حرة ، وغير مقيدة بمدار معين · وهى بطبيعتها سالبة الشحنة الكهربائية وتحتل مكانها حول نواة الذرة لتحدث التعادل الكهربائى فى المادة ، ففى النواة جسيمات ذات شحنة كهربائية موجبة ، واذا ما انطلقت الالكترونات حرة ، فقدت الذرة تعادل شحنتها الكهربائية ، وظهرت النواة موجبتها بينما الالكترونات سالبتها · وهذا الخليط من الشحنتين الكهربائيتين هو ما تسميه بظاهرة التأين ·

الالكترونات الحرة

ويقول العالمان الروسيان «زدانوف» و «تيندو» ان السطح المعدنى لأية مرآة يتألف من ذرات انطلقت منها بعض الكتروناتها التى تتحرك بغير أى عائق

يعترض سبيلها • وهى كثيرة وفقا لعددها فى المعدن الذى انطلقت منه • وهو فى العادة الزئبق ، ويحوى ٨٠ من الالكترونات ، فهو أقدر على التخلى عن نصيب كبير منها ، بخلاف الايدروجين الذى تحـوى ذرته الكترونا واحدا ! أو الهيليـوم الذى تحوى ذرته الكترونين



القمر الصناعى « اريال » تعاونت بريطانيا وامريكا على ارساله فى الفضاء ليدرس مناطق التأين ويبعث بمزيد من المعلومات عن محتوياتها وما يحدث فيها

وعندما تقف أمام المرآة ، فان الضوء المنبعث من وجهك،وما يحوى من اشعاعات مغناطيسية وكهربائية يتجه الى المرآة ، ويصدم صفحتها المعدنية ، فيؤثر على الالكترونات ، ويجعلها فى حالة تذبذب يمتص قوى الموجات القادمة وفى الوقت نفسـه تنتج ذبذبة الالـكترونات موجات أخرى ترتد من المرآة بزاوية مساوية لزاوية الاشعة عند سقوطها ، فان سـقطت الاشعة على المرآة بزاوية ٦٠ درجة مثلا ، فان الاشعة الصادرة من المرآة تكون الزاوية نفسها فى الاتجـاه الآخر •

وتقدر الالكترونات الحرة على سطح المرآة بالبلايين، ولهذا ، فانها تعكس أقصر الموجات الضوئية ، ومنها ترى صورتك • والظاهرة نفسها موجودة فى مرآة الطبيعة ، وتبدأ فى مناطق الهواء من ارتفـاع ٥٠ كيلومترا • وكل ما فيها من اختلاف عن المرايا التى نصنعها بأيدينا ، ان مرايانا مصنوعة من المواد المعدنية، بينما مرايا الطبيعة مصنوعة من غازات • وفى مرايانا بلايين من الذرات والالكترونات الحرة فى السنتمتر الواحد ، أما مرايا الطبيعة فبها عشرات من الذرات وعشرات أو مئات من الالكترونات الحرة •

الالكترونات والموجات

وبسبب ندرة عـدد الالكترونات الحرة فى مرآة الطبيعة ، وقدره الباحثون بنحو واحد الى بليون مما فى مرايا الزئبق ، فان مرآة الطبيعة تعجز عن عكس او رد موجات الضوء القصيرة ، ولكنها تقوى على رد موجات الصوت الطويلة • ولزيادة الالكترونات الحرة فى البيئة المحيطة بالارض ، أطلق الامريكيون قمرا صناعيا لينشر ابرا رفيعة من النحاس على ارتفـاع مئات الكيلومترات من الارض وهناك ، وبفعل العوامل الطبيعية، تطلق ذرات هذه الابر عددا من الكتروناتها وتضاعف ثروة تلك المناطق بعاكسـات الموجات الصوتية أو الضوئية •

ولم تذع نتائج هذه التجربة التى اعتبرت عسكرية، ولكن الهدف منها هو تسليط موجات الضوء والصوت عليها لمعرفة مدى صلاحيتها لعكس أى منهـا ورده الى الارض • ومن الصعب التكهن بما أسفرت عنـه التجربة من نتائج ، ففى بيئة الارض عوامل كثـيرة منها ما يخلق هذه الالكترونات ، ومنها ما يمتصها •

ولم يصل العلم بعد الى قواعد ثابتة يستطيع أن يقرر فى ضوئها استنتاجا • وحتى الآن تقرأ عشرات البحوث الجديدة عن التأين ، فاذا الجانب الغـالب عليها ايراد معلومات لا تروى الظمأ ، ثم استنتاجات واحتمالات يسجل الكاتب نفسه ما يرجح نقضها ، فيد الطبيعة تعمل فى البيئة المحيطة بالارض بطريقة لا تزال شديدة الغموض •

علم جديد

ويقول البـاحث «روبرت بوردو» رئيس فرع مناطق التأين بمركز طيران «جودارد» الامريكى ان علم التأين بدأ يتخذ شكله الحقيقى فى عام ١٩٥٩ ، حين بدأت المعلومات تتجمع عنه بمعونة الصواريخ والاقمار الصناعية من ناحية ، وبمعونة الدراسـات الارضية من ناحية أخرى ، ثم المقارنة بين هـذه المعلومات لحل ألغازها ، واستخلاص الحقائق منها• وقد يتيسر لنا القول بأن مناطق التأين تبدأ من ارتفاع ٣٠ أو ٥٠ كيلومترا ، ويتعذر القول متى تنتهى •

فان الدراسات حتى الآن لم تقدم شيئا ذا قيمة عن ارتفاعات تزيد على ألفى كيلومتر .

وفى دراسة عرضها على أحد مؤتمرات الفضاء، وطبيعته الغى لفظة «طبقات» التأين ، وآثر أن تحتل مكانها لفظة «مناطق» فليس فى البيئة المحيطة بالارض من فواصل فى هذا السبيل . فظاهرة التأين موجودة فى كل ارتفاع ، وهى تنشأ بفعل اشعاعات الشمس والاشعة الكونية التى تضرب ذرات المواد ، فتخلع بعض الكتروناتها من غشائها . وتبعا لغزارة المادة أو ندرتها تتلاشى هذه الالكترونات أو تبقى . فقرب سطح الارض يكون الهواء كثيفا والمادة كثيرة ، وفيه تلتقى الالكترونات الحرة بما يمتصها ، ويلغى وجودها .

وكلما ارتفعنا عن سطح الارض قل عدد الذرات فى السنتمتر المربع الواحد ، وبالتالى يقل عدد الالكترونات التى تنخلع ، وتنطلق حرة ، ولكنها تنعم بحياة أطول لان عوامل امتصاصها قليلة ، وبالتالى نجد منها أعدادا أكثر ، كما نجد مزيدا من القدرة على عكس الموجات الصوتية وردها الى الارض فى الاحوال العادية .

أسرار مناطق التأين

وتقسم مناطق التأين عادة الى اربع مناطق تطلق عليها ثلاثة من حروف الهجاء ، فالمنطقتان العلويتان منها يطلق عليها حرف واحد ، وليكن حرف الفاء ، ويضاف اليه رقم ١ ليدل على السفلى من الطبقتين ، ورقم ٢ ليدل على العليا منهما . ومنذ بدأت دراسة هذه المناطق أحس الباحثون بنقص معلوماتهم ، فلم يبدأوا بأول حروف الهجاء ، بل تركوا منها ثلاثا ، وبداو بحرف الهجاء الرابع ، وليكن حرف دال D واطلقوا على التالية حرف E ، ثم الثالثة F وقسموها الى منطقتين .

والى هذه المناطق تصعد موجات الراديو ، ثم تهبط ، وتوالى صعودها وهبوطها حتى تلف حول الكرة الارضية كلها . على أن هذا الانتظام رهن بحالة مناطق التأين ، وقدرتها على رد موجات الراديو ، واعادتها الى الارض بصفاتها التى انطلقت بها .

وتتأثر كل من هذه المناطق باشعة الشمس ونشاطها ، وتختلف حساسيتها وقدرتها على عكس الموجات باختلاف أوقات النهار والليل .

والمعروف ان العوامل التى تطلق الالكترونات من ذراتها هى الاشعة الكونية ، والسينية ، والفوق البنفسجية ، والاولى تقدم من انحاء الكون ، اما الأخريتان فتأتيان من الشمس .



عندما تنشط الشمس وتظهر فيها البقع السوداء ، فانها ترسل من جوفها لهبا من المواد الاشعاعية التى تحدث زوابع مغناطيسية فى البيئة المحيطة بالارض . والدائرة البيضاء الظاهرة قرب اللهب تمثل الكرة الارضية

الشمس تصنع وتفسد

وتبعا لهذا الفهم كان المفروض ان تكون مناطق التأين فى افضل احوالها فى أثناء النهار ، ولكن عوامل أخرى تتدخل وتفسد هذه الأفضلية ، بل وتحولها الى الليل فتجعله أفضل الأوقات للمواصلات اللاسلكية . ولم يستطع الخبراء ان يحددوا تلك العوامل ، بل يرون أن المسألة شديدة التعقيد ، وتحتم أن نعرف الكثير عن المادة الموجودة فى كل مناطق التأين ، ثم الاشعاعات الشمسية المختلفة التى تصل الى كل منها ، والأشعة الكونية، وكيف تؤثر عليها .

واذا قلنا المادة فى هذه الارتفاعات ، فاننا لانعنى مادة كالمعروفة على الأرض ، بل شيئا آخر راى الخبراء لمحا منه ، كأن يكون الجزيء مؤلفا من ذرة واحدة ، أو من ثلاثة . وقد عرفناه على كوكبنا يتألف من ذرتين . ومن البديهى أن كل هذه المعلومات لا تزال فى مهدها ، لان عهد الصواريخ والأقمار الصناعية لم يبدأ الا فى عام ١٩٥٧ .

وفى هذه الدراسة يحتاج الباحث الى مئات من

الأجهزة الدقيقة الشديدة الحساسية التى لم يتيسر صنعها بعد . ويقول الدكتور « بوردو » ان عملية احصاء الالكترونات فى اقل مناطق التأين من أصعب الامور .

مناطق التأين

والمعروف بطريقة عامة ان منطقة « دال » بين ارتفاعى ٥٠ و ٨٥ كيلومترا . وفيها تتوفر الالكترونات ، فتسمح بعكس الموجات الطويلة للراديو . على أن الخبراء يختلفون فى الدور الذى تلعبه هذه المنطقة . ويرى بعضهم انها تمتص الموجات المتوسطة ، وتؤثر على القصيرة ، ومن الجائز أن تفسدهما .

وتبدأ المنطقة « هـ » من ارتفاع ٨٥ الى ١٢٠ كيلومترا وبها تزيد نسبة الالكترونات ، فتكون اكثر صلاحية لرد الموجات المتوسطة للراديو . واخيرا تأتى المنطقة « ف » بقسميها ، من ارتفاع ١٢٠ الى ٤٠٠ كيلومتر ، واليها تنفذ الموجات القصيرة بسهولة ، فتلتقى بمزيد من الالكترونات وبفعلها ترتد بسهولة الى الأرض

* * *

ويقول الباحثون الروسيون ان الدراسة بالاقمار الصناعية دلت على أن اذاعات اللاسلكى بالموجات المتوسطة والقصيرة تكون افضل بالليل منها بالنهار بسبب نقص عدد الالكترونات والعوامل الاشعاعية فى منطقة دال ، وبالتالى يقل امتصاص الموجات ، فتستطيع الصعود الى منطقتى « هـ » و « ف » ، ومنهما ترتد الى الأرض

موجات مكسورة

وقال الباحثون الروسيون ايضا ، ان النقاط موجات اذاعات الاقمار الصناعية ، وهى تسبح فى الفضاء ، لا تهبط الى الأرض فى خط مستقيم ، بل تقدم على هيئة اقواس بفعل الانكسارات التى تواجهها هذه الموجات ، كلما انتقلت من منطقة الى اخرى من المناطق التى تختلف فيها كثافة المادة ، او تغير عنصرها

وبمعونة الاقمار الصناعية احصى هؤلاء الخبراء عدد الالكترونات الحرة فى منطقة « ف » على ارتفاع ٣٠٠ كيلومتر ، فوجدوها تبلغ نحو مليونى الكترونا ، ويتناقص هذا العدد الى النصف على ارتفاع ٤٧٣ كيلومترا

* * *

ويوافق الباحثون الامريكيون على بعض النتائج الروسية ، وينكرون بعضها الآخر . ويرون أن معرفة التركيب الكيميائى للمادة فى المناطق المختلفة كبير الاهمية ، فمنه يستطيعون تقدير الالكترونات الحرة ، ثم ما يحدث لها ، وكذلك يتيسر لهم فهم العوامل التى تؤدى الى انحلال هذه الالكترونات

صانعات التأين

وفى دراساتهم المختلفة حاولوا العثور على الاداة التى تحدث التأين ، فقالوا مثلا ان الأشعة الكونية هى التى تحدثه فى غازى الازوت والاكسجين على ارتفاع أقل من ٧٠ كيلو مترا . وتنتقل هذه المهمة الى الاشعة السينية ، فتحدث التأين فى قاعدة منطقة « هـ » على ارتفاع ٨٥ ـ ١٠٠ كيلومتر .

ويعتقد بعض علمائهم ان مناطق التأين لا تقف عند حد . ففوق المناطق المعروفة توجد مناطق يتأين فيها غاز الهيلوم، اذ لاحظ العالم «هانسون» فى يناير من عام ١٩٦٢ وجود هذه الايونات على ارتفاع ١٦٠٠ كيلومتر ، كما سجل قاعدة تسود فيها الجسيمة المعروفة باسم « بروتون » على ارتفاع ٣٤٠٠ كيلومتر . والبروتون هو احد جسيمات نواة الذرة . وهو موجب الشحنة الكهربائية ، ولم يعرف بعد التأثير المضبوط له فى عمليات الاذاعات اللاسلكية

* * *

ويحاول الروس والامريكيون دراسة الشمس، ونشاطها ، وتحديد أوقات هذا النشاط الذى يصحب عادة بطمس معالم المواصلات اللاسلكية ، وقيل ان السبب هو ما ترسله من جسيمات وشحنات كهربائية تنفذ مناطق التأين . ويرسل كل من الفريقين اقمارهما الصناعية لدراسة العوامل المختلفة . والهدف الاول هو صنع خريطة تبين الأوقات المختلفة المناسبة لهذه الاذاعات . اما الهدف الثانى فهو محاولة التحكم فى هذه المناطق لتكون طيعة ، وصالحة فى كل الاوقات لضمان هذه المواصلات التى توطد التفاهم والسلام بين أجزاء العالم الأرضى

فوزى الشتوى

في عالم الفن

مسرحية اصل وصورة !!

بقلم عبد الفتاح البارودي

انزلوا من الابراج الانعزالية الى المسرح !! ان قضايانا الفنية موجودة فى مسرحنا وبين جمهورنا ، وليست موجودة فى جبل الأوليمب مثلا ... متى نناقش القضايا الفنية اذا لم نناقشها خلال التجارب التى يقدمها مسرحنا الآن ؟ وكيف نستفيد من اخطائنا اذا لم نعرفها على الاقل ؟ وهل يمكن أن نواصل التطور بلا دراسة مقارنة وتطبيقية ؟!

خذ مثلا رواية « اصل وصورة » التى قدمها المسرح الكوميدى التليفزيونى ... ان هـذه الرواية تثير قضايا فنية فى غاية الاهمية ، ومع ذلك لم يخطر على اصحاب الابراج ان يتناولوها لانهم نظروا اليها من ابراجهم فوجدوها اقل من مستوى تفكيرهم مثلا .. وفعلا فيها اخطاء ، ولكن المهم هو أن نبحثها فنيا ..

فاولا هذه الرواية تهافت عليها جمهور الاسكندرية فى الاسبوع الماضي وقبل ذلك تهافت عليها جمهور القاهرة والجمهور — كما يقول « سارتر » — ضلع فى المسرحية ، واظن أن سارتر ليس اقل علما وعمقا من اصحاب الأبراج ، فكيف يفسرون موقف الجمهور الذى اثارت هذه الرواية ضحكاته بصـوت مرتفع !! واظن اننا نستفيد كثيرا حتى من مجرد مناقشة راى سارتر بالتطبيق على هذه الرواية ، ومناقشة راى «برجسون» الذى اكد ان الجمهور لا يمكن أن يضحك على الفاضي .

فى الاخطاء ايضا سنجد مجالا فسيحا للمناقشات الفنية .. نبدأ بالاخطاء التى تبدو بسيطة او غير متعلقة بنص الرواية نفسه ... ان الجمهـور كان يخرج من المسرح فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فما معنى ذلك فنيا ؟ معناه ان الرواية ينقصها « احكام الزمن المسرحى » ... هذه غلطة لانكاد نكترث بها ، بينما اجمع خبراء المسرح على انها غلطة كبيرة .

كان يمكن أن نستفيد كثيرا من تطبيق آراء هؤلاء الخبراء على الرواية .. فان توسيع الزمن المسرحى قد يؤدى الى تصدع البناء الفنى ، وقد تفقد الرواية عنصر التركيز وهو من أهم عناصر التاليف المسرحى .. وفعـلا ليس فى هذه الرواية ما يبرر — فنيا — استغراقها اكثر من اربع ساعات ، بل بالعكس فيها تطويل فى بعض المشاهد وتكرار فى مشاهد اخرى .. ان المسرح يستلزم تناول قمم الاحداث خلال تدافعها فى تياراتها ، بينما هذه الرواية تناولت تفصيلات التفصيلات ، وكررت التفصيلات ايضا كما حدث فى الفصل الثانى مثلا ... اننى لا أدرى لماذا تكـررت احداث هذا الفصل مرتين متوازيتين ، ولا ادرى لماذا يشرب احد الممثلين اربع كؤوس ويسكى كاسا كاسا وعلى مهل ، وخلال ذلك يلقى اكثر من ٥٠ نكتة ، ويترنح من اليمين الى الشمال وبالعكس على خشـبة المسرح .

ان من اسوا ما لاحظته من عيوب فى التناول ان الرواية ابرزت اهدافها ابرازا مباشرا ، وانها فصلت بين عدة اهداف بحيث تحولت الى عدة روايات فى رواية واحدة ، وانها انتهت بمجموعة من الحكم والمواعظ التى امطرنا بها الممثلون ... الغريب انه كان من الممكن فى هذه الرواية بالذات تلا فى معظم هذه العيوب ، ولكن يظهر أن المقتبسين لم يفكرا فى ذلك ، وانهما استسهلا اعداد الرواية بهذا الشكل لانهما تصورا أن احكام البناء الفنى ربما يقلل عـدد ضحكات الجمهور .

هنا نصطدم بمشكلة فنية معقدة كنت ارجو ان يبحثها اصحاب الابراج الفكرية ... هل الافضـل فى التاليف المسرحى احكام البناءالفنى دون الاكتراث بضحكات الجمهور ، أم الافضل ارضاء مزاج الجمهور على حساب قواعد الفن ... واذا كان الجمهـور لايضحك على الفاضي فكيف وجدت هذه المشكلة ... ان البناء الفنى فى بعض مشاهد رواية « اصـل وصورة » غير محكم ، ومع ذلك فان هذه المشـاهد بالذات كانت اكثر من غيرها اثارة للقهقهة ، فكيف

تفسر ذلك ؟ خذ مثلا دور « الحانوتي » في الفصل الثاني ... ان وجود حانوتي في رواية ضاحكة شيء يثير الازعاج ، وكان المفروض ان يكون في هذه الرواية مزعجا جدا ، لانه لايخرج في الحوار المكتوب له عن ترديد عبارات الموت والدفن ،وكل النكت التي القاها تدور حول ذلك ، بل انه في ختام هذا الفصل طلب من زملائه ان يحملوه كما يحمل هو الموتى ، وحملوه وساروا به في جنازة ، ومع ذلك استقبل الجمهور هذا المشهد بالتصفيق ...

كيف حدث هذا ؟ ان هذا المشهد بل هذا الفصل كله من الوجهة الفنية يعتبر من عوائق نمو الاحداث، ولكن الجمهور نظر اليه كمجموعة من المشاهد ذات المفارقات الضاحكة ، ولم ينظر اليه كجزء من رواية الا بعد ان انتهت الرواية كلها ، وعندئذ سمعت كثيرين يسالون عن اسباب تجميع احداث الفصل الثاني في فصل مستقل ... وهذا يذكرني برأي طريف لجان كوكتو قال فيه ان المؤلف المسرحي يصعب عليه ان يختصر كلمة واحدة مما كتبه في المسودة التي تكون عادة مملوءة بالتفاهات ، ويحرص على اداء كل عباراته وتفاهاته على المسرح ، وانما يمتاز مؤلف على آخر بأن المؤلف الممتاز يجمع التفاهات في فصل معين أو مشاهد معينة ، بينما يستظهر براعته الفنية في البداية التي يخلق فيها معظم شخصياته ، وفي النهاية التي يصل فيها احتدام الأحداث الى الذروة ، قبل الوصول الى الحل او « المصالحة » او اسدال الستار ... كان من الممكن ان يفيدنا اصحاب الابراج الفكرية لو انهم ناقشوا مثل هذا الراي بتطبيقه على هذه الرواية ، او ناقشوا آراء الخبراء الذين بحثوا تفاوت المستوى الفني في الرواية الواحدة ، حتى في روايات عمالقة التاليف ... ان موليير مثلا، وهو من اعظم الكوميديين في العالم لاتخلو رواياته من مشاهد تافهة ، وهذه المشاهد كانت ولا تزال موضع دراسات عميقة افادت التفكير المسرحي ... وليس معنى ذلك ان هذه الرواية في مستوى مؤلفات موليير ، ولكنها تجربة يقدمها مسرحنا بنجاح ملحوظ جدا ، واذن فمن اللازم ان ندرسها وندرس اسباب نجاحها على ضوء الدراسات النقدية .

من المؤكد ان من اسباب استجابة الجمهور لها انها كشفت له من مساوىء المجتمع الماضي مساوىء ضخمة كان يشعر بها كل فرد ، ولكنه يعجز عن الوقوف ضدها او عن المطالبة باصلاحها ، او حتى عن المجاهرة بأنها موجودة .. كانت موجودة فعلا ، ومع ذلك فان اثبات وجودها كان يفتقر الى الأدلة المادية ... كان الناس يقرأون في الصحف مقالات وريبورتاجات وآراء نقدية يعرفون انها مزيفة « ومفبركة » ، ولكن اين الدليل الذي يمكن الجهر به ومن الذي كان يجرؤ على الجهر ؟ ان هذه المساوىء مرتبطة باداة خطيرة ، وهي الصحافة التي كانت في الماضي سلاحا في أيدي فئة لم يكن من مصلحتها استخدام الصحافة في وظيفتها الحقيقية والطبيعية اي التنوير والوعي والتثقيف ... الخ ... بل كان من مصلحتها أن تنتشر «الفبركة» في مجتمع «مفبرك» ان هذا هو جوهر موضوع رواية « اصل وصورة » موضوعها هو السخرية من فبركة الصحافة في المجتمع الماضي ، ونجحت لأن الناس وجدوا في هذه السخرية تنفيسا عن رغباتهم وتعبيرا عن آرائهم التي عجزوا عن توجيهها لاهل الفبركة في المجتمع الماضي ... ان الضحك تصاص ... وهو في الفن ايضا قصاص او عقوبة يحكم بها المجتمع على الخارجين عليه باي شكل ، ولهذا ضحك الناس بصوت مرتفع في هذه الرواية سخرية من الذين اشاعوا «الفبركة» في كل مجال ، في الافكار والثقافة والفن .

ان هؤلاء الذين عاشوا بالفبركة في صحف الماضي اضحكونا على ثقافتهم حينما اجتمعوا في جريدة ترمز الى انحطاط تفكيرهم وسلوكهم...ان المحررين يتنافسون في الحصول على خبر هام جدا ، ثم يتبين ان هذا الخبر هو وصول « مهراجا » من الهند ... ورئيس التحرير يطلب منهم ان يسالوه اسئلة ثقافية . ثم يتبين انه يريد ان يسالوه عما اذا كان يحب « الملوخية » أم يحب «المسقعة» ! هذا هو مستواهم الثقافي .. ومستواهم الفني يرمز اليه المحرر المختص بالفن عندما يدخل اليهم صارخا من اثر الجراح التي اصيب بها نتيجة (لكفاحه) في سبيل الفن ، ثم يتبين انه كافح فنقد فيلما ، ولم يعجب النقد ممثلي الفيلم فضربوه ، ومرة اخرى يتبين انه نقد الفيلم دون ان يشاهده اطلاقا : مجرد « فبركة » .. لم يكن هذا غريبا في المجتمع الماضي ، اي ان الرواية استمدت احداثها من واقع ذلك المجتمع ، ومع هذا فان التناول الفني لم يكن ممتازا ، لان تناول الواقع يستلزم تكييفه تكييفا فنيا ... هذه نقطة دقيقة جدا كان من اللازم ان يناقشها اصحاب الابراج الفكرية :

ان لخبراء الفن نظريات كثيرة جدا تشرح الصلة بين الواقع والفن ، والفروق الدقيقة بين الواقع

والواقع الفنى ، ومع ذلك يبدو ان هذه الرواية لم تكترث بخبراء الفن بقدر ما اكترثت بخبراء الضحك فانت ترى شخصيات كثيرة على المسرح لا عمل لها غير التمهيد لالقاء نكتة مثلا ... وانت تسمع نكتا كثيرة لا دخل لها اطلاقا فى موضوع الرواية ، بل ان الموضوع نفسه كان مفتقرا الى التماسك ... وانت تجد مثلا ان المحرر الفنى فى تلك الجريدة لم يكن له اى اثر فى تنمية احداث الرواية ، واكثر من هذا انه اختفى فجاة ، مع انه كان من الممكن ان يلعب دورا رئيسيا لو استمر مع الاحداث ... ان فتح كواليس المسرح لدخول او خروج الممثلين فجاة وبدون مبررات فنية من المسائل الفنية التى كنت احب ان اسمع آراء اصحاب الابراج فيها...فان من المسلم به ان الحبكة الفنية فى اى رواية تستلزم فتح واغلاق الكواليس باحتراس ، ولكن بعض خبراء المسرح يرون انه ليس من المحتم وجود المبرر الفنى لخروج او دخول كل الشخصيات الى المسرح وخاصة المسرح الحديث ، فان فى الحياة مصادفات كثيرة وشخصيات كثيرة تافهة ، وشخصيات كثيرة تتصرف بلا تعليل ، ولا بأس بتطبيق ذلك على المسرح ... ما راى اصحاب الابراج فى هذا ايضا . ؟

على العموم انا استبعد ان يكون الذين اعدوا رواية « اصل وصورة » قد فكروا فى هذه النظرية فان الواضح من دراسة مختلف الشخصيات والمشاهد انهم لم يهتموا كثيرا بتحليلها فنيا ، وانما اهتموا باعطاء صورة ساخرة من « الفبركة » التى تفشت فى المجتمع الماضى ... وفعلا نجحوا فى السخرية وان كانوا قد اسرفوا فى الاتكاء على خطوط الصورة وهذه عملية لا اعتراض عليها من الناحية الفنية ، فان من حق المؤلف المسرحى ان يستخدم «التضخيم» ولكن من واجبه ايضا ان يخرج الصورة المضخمة متماسكة الاطار الفنى ... ان اطار رواية « اصل وصورة » تزحزح كثيرا ليتسع للنكت والمبالغات والمشاهد الجانبية ... ان الحركة المسرحية هدات كثيرا لنسمع وصف المهراجا الذى ينتظره المحررون ، ولم يكن هو المهراجا المنتظر ، بل ان المحرر لم يقابله اطلاقا ، واستعد لانتظار قرار فصله من الجريدة ، ولكن احد زملائه انقذه « بفبركة » حديث ثقافى مع المهراجا ، سمعنا فيه ان المهراجا نزل من الطائرة راكبا فيله الابيض الناصع البياض ، وقبل ان يسترسل فى هذا « الفشر المكشوف » يعترض عليه زميله ويطالبه بشيء من المعقولية ، فيغضب تارة ، ويهدد بالامتناع عن «الفبركة» تارة اخرى ، ويتبادلان حوارا فى غاية الطرافة ... هذا المشهد يضحكنا رغم اننا نعلم انهما يتبادلان الفشر فيه بشكل واضح ومقصود ومتعمد ، فلماذا نضحك ؟ هنا كنت ارجو ايضا ان اسمع من اصحاب الابراج تطبيقات لنظريات تفيدنا بمعرفتها كثيرا .

لم يكن الاضحاك فى الرواية من هذا النوع ، فانها استخدمت مختلف وسائل الاضحاك ، فنية وغير فنية واستخدمت حتى النكت السطحية ، ولهذا هبط مستواها عندما التجأت الى النكت اللفظية ، وارتفع مستواها عندما استخدمت الوسائل الفنية ... فمثلا من النكت الفنية ما جاء على لسان « الناقد الفنى » عندما سئل عن الفيلم الذى ضربه بمثلوه وهل شاهده ام لم يشاهده قبل ان يكتب نقده ، أجاب « فى ثقة » : (لا ماشوفتوش .. هو فيه وقت ؟) هذه الاجابة فى غاية البراعة من حيث توافر مسببات الاضحاك فيها ، ولكن هناك عبارات كثيرة لم تتوافر فيها هذه المسببات ... ايضا هناك مشاهد فنية ومشاهد غير فنية .. فمن المشاهد الفنية « فبركة » المهراجا فى صورة حانوتى ومغازلة الحانوتى فى نفس المشهد للسيدة العجوز المتصابية ، ومن المشاهد غير الفنية مشاهد تبادل العبارات المضحكة باللفظيات فقط ، والضحكات المفتوحة ، والحركات المصاحبة للايقاعات المفتعلة ، مثل (تريبيت تيت تيت) .

ان هذه الرواية كان من الممكن ان يرتفع مستواها العام لو احكم بناؤها الفنى ... ونحن فى حاجة شديدة الى هذا النوع الذى يلقى الضوء على مساوىء الماضى التى تفشت حتى فى ادوات التنوير ... ومع ان الماضى انتهى واصبح من اللازم ان تدور رواياتنا حول الحاضر والمستقبل ، الا ان الاثر الذى تركته مساوىء الماضى فى كل شيء حتى فى « الكلمة » لا يمحى نهائيا بسهولة ... ومن اجل ذلك كنت افضل ان يزداد اهتمامنا بهذا النوع من الروايات ... وافرض انها رواية تافهة المستوى الفنى فمن واجب المفكرين ان يناقشوا كل عمل مقصود به خدمة المجتمع ، وان يرشدوا العاملين فى الحقل المسرحى الى وسائل وادوات التكييف الفنى ... فما راى اصحاب الابراج ؟ رايى — انا — فيهم انهم يتظاهرون بعدم الاهتمام بمثل هذه الروايات بحجة المستوى الثقافى ، والواقع انهم عاجزون عن تناولها بالمقاييس العلمية ... اتركوهم فى ابراجهم !

عبد الفتاح البارودى

الكتب : نقد وتعريف

لاشك اننا نعيش في عالم مضطرب .. بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .. مضطرب في قيمه وفي معتقداته بل في تقييم مشكلة وجوده !! لانه لو وعى عالمنا قيمة وجوده وتطوره الحضاري ما اندفع ذلك الاندفاع الجنوني نحو ابتكار الوسائل المدمرة القتالة – التي يوجهها الى تقويض صرح وجوده .. ان حضارة عصرنا – ليست ملكا لانسان اليوم .. ولكنها ملك للانسان منذ وجد ولان تلك الحضارة القائمة هي حصيلة التطور الانساني العام .. منذ العصر الحجري الى عصر الذرة .. فانه ليس من حق انسان اليوم أن يدمر عالمه الذي يعيش فيه .. لانه ليس ملكه .. وانما هو ملك ماقبله – وعالم ما بعده .

لقد اوجد عالمنا اسسا ونظريات تحت مسميات كثيرة – فتارة يسميها بالقانون وتارة اخرى بقواعد السلوك ..وغيرها من المسميات .. واصبح في جميع مجالات حياته عبدا مسيرا لما وضعت يداه .. وضع انسان اليوم اغلال كثيرة حول عنقه .. واحكم وضعها ويحاول بكل طاقته ان يتخلص منها ولكن ربما جاءت مرحلة اليأس التي لايستطيع فيها ان يتخلص مما فعله بنفسه فيجذب هذه الاغلال بعنف – فتكون نهايته ونهاية عالمه الذي يعيش فيه ..

ان عالمنا اليوم حافل بجميع انواع الصراع – والمتناقضات ومن خلال هذه المتناقضات سوف نقدم كتابين :

الاول يبحث في مجال القدرات الاستراتيجية وفاعليتها لكلا المعسكرين الشرقي والغربي بما في ذلك استراتيجية وتكتيكات حرب الجو والبر والبحر .. والآخر يبحث في معالجة الجانب الانساني من مشكلة التخطيط الاقتصادي ويلفت النظر الى خطورة اهمال هذا الجانب عند وضع اية خطة تهدف الى التنمية الاقتصادية .. ويرى ضرورة افساح المجال امام تطوير الشخصية الانسانية ..

الكتاب الاول :

دفاع او رد عدوان

تأليف : هلموت شميدت

ترجمة : جرانت اسكندر

ويعالج هذا الكتاب نواحي الاستراتيجية الدولية ومدى مساهمة المانيا الغربية في حل مشاكل الدفاع الخاص بحلف شمال الاطلنطي متناولا في ذلك الاستراتيجية الحربية والسياسية والدفاعية التي يقفها كل من المعسكرين الشرقي والغربي منها . ويقول المؤلف .. انه يجب أن تكون القرارات الاستراتيجية دقيقة وسليمة حتى لاتهدد وضع امتنا واستقلالها ، لذلك يجب التخلص من عوامل عدم التيقن والخوف ليمكن رسم سياسة سليمة ذات نتائج مضمونة

وبعد ان اشار المؤلف الى الحروب المحدودة وكيف ان هذه الحروب بامكانها أن تتحول الى حرب عالمية في المستقبل – وذلك رغم أن الحرب الكورية وحرب السويس وغيرها لم تتحول الى ذلك .وقدبين المؤلف فاعلية الاستراتيجية السوفيتية في الحرب الباردة – وفشل الاستراتيجية الغربية في مواجهتها .. ووازن الكتاب بين القوة الجوية لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .. فالولايات المتحدة تملك ١٢٠٠ طائرة من طراز (ى ٤٧) التي تسير بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة وتطير لمسافة ٣٠٠٠ ميل دون توقف الى حوالي ٥٠٠ طائرة من طراز (ب – ٥٢) وتطير ٦٠٠٠ ميل بدون توقف وسرعتها ٦٥٠ ميل في الساعة ويمتلك الاتحاد السوفيتي – ١٠٠ طائرة من طراز (بيسون) التي تقطع مسافة ٦٠٠٠ ميل في رحلة واحدة بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة هذا الى جانب ١٠٠٠ طائرة – من القاذفات المتوسطة طراز (بادجر) وسرعتها ٦٠٠ ميل في الساعة وهذه الاحصائية حتى عام ١٩٥٤ ..

وبعد ان أورد المؤلف موازنة مشابهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في مجال الصواريخ خرج بنتيجة هامة – يقول فيها .. ص ٣٢

« ان الاتحاد السوفيتي يقود العالم الآن – دون منافسة – في مجال انتاج الصواريخ الموجهة عابرة القارات الكثيرة الاشكال والاهداف » مشيرا بذلك الى الثورة التي خلقتها الصواريخ في مجال استراتيجية الدفاع .. وكيف استخدم الاتحاد السوفيتي تقدمه الصاروخي في اطلاق الاقمار الصناعية .. وبين كذلك اثر القوة التدميرية لهذه الصواريخ وكيف ان اية حرب مقبلة لن تترك حياة على وجه الارض – واشار المؤلف الى خطر تدخل عوامل العاطفة والعظمة والكرامة في قيام الحرب العالمية الثالثة ..

وبحث الكتاب المذهبية السوفيتية في الاستراتيجية وسيرها على الخطوط الكلاسيكية – ثم راى خروشوف بعد مؤتمر موسكو في عام ١٩٦٠ في الحرب ونظريته في التعايش السلمي .. ومخالفة الصينيين له وكيف ان الصين تؤمن بالمبدا القائل ..

« ان الحروب عبارة عن نتائج لايمكن تجنبها بسبب الاختلاف السياسي » .

اما فيما يختص بالمعسكر الغربي فقد بين المؤلف ان حلف شمال الاطلنطي بوضعه الراهن لايستطيع الوقوف امام القوة السوفيتية النووية الضاربة بدون مساعدة - وتغطية - من الولايات المتحدة نفسها وكيف ان الحلف يعانى الازمات الداخلية نتيجة لمواقف فرنسا منه وكذلك لعدم ثقة اوربا الغربية في الاستراتيجية الامريكية بعد حادث الطائرة (ى ٢).

وينادى المؤلف بضرورة ايجاد ايديولوجية غربية موحدة لمواجهة الايديولوجية السوفيتية في جميع انحاء العالم وذلك بدلا من الفراغ الايديولوجي الذى ينتج من التنافس والتناقض في العالم الغربى في اوجه الفراغ الايديولوجى القائم في الغرب الآن .

واشار الكتاب الى انه يجب على الغرب الا يعنى انه لايحارب من اجل وصول الراسمالية الى درجة الكمال من الناحيتين الفنية والاقتصادية وانما يفعل ذلك من اجل اقرار الحق في تقرير المصير والدفاع عن حق الافراد والشعوب في مثل هذا الحق .

والرسالة تقول :

اذا كان المخطط السوفيتى بعد مؤتمر موسكو سنة ١٩٦٠ قد امن بالتعايش السلمى كمرحلة - او - كغاية - وان الصراع القائم بين السوفيت الذين ينادون بهذا المبدا وبين الصينيين الذين يؤمنون بحتمية الحرب تقول انه اذا كان هذا الخلاف في داخل المعسكر الشرقى قد ساعد على تساهل السوفييت في عقد معاهدة الحظر الجزئى للتجارب الذرية مع المعسكر الغربى الذى تصدع هو الآخر نتيجة لتمرد فرنسا على هذا التحالف ومرقلتها لخطط حلف الاطلنطى ...

واذا كانت ظروف المعسكرين في جبهاتهما الدفاعية تبشر العالم بمزيد من فرص السلام .. فاننا نود الا تكون هذه المعاهدة عبارة عن فترة كسب للوقت لكى ينظم كل من المعسكرين صفوفه تمهيدا لصراع اكثر خطورة ..

اننا نؤمن بالسلام القائم على العدل .. والسلام الذى نؤمن به ليس تكتيكا مرحليا .. وانما هو غاية سامية ..

واذا كان المؤلف قد بين - بمرارة - ان وطنه - المانيا - مقسم الى قسمين ومجموع الجنود الذين يرابطون فيه - عرا مليون جندى من مختلف الجنسيات ويحاول وضع الصورة التى يمكن ان تكون عليها بلاده الموحدة المستقلة .. فاننا هنا نذكر ان في وطننا مليونى يهودى يعسكرون في اغلى واعز ارض عربية - في فلسطين .. يمثلون خطرا متحركا على وجودنا القومى .. من هنا كان السلام الذى نؤمن به لابد ان يكون سلاما عادلا .. وعدالة السلام لايمكن ان تتحقق الا اذا عادت فلسطين لاصحابها. والكتاب من الكتب التى يجب قراءتها لتفهم مشكلات العالم الذى نعيش فيه ويقع في ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط - (سلسلة كتب سياسية) والناشر الدار القومية - والثمن - ١١ قرشا .

❊ • ❊ • ❊

اتجاهات جديدة في التخطيط الهندى

تأليف شريمان نرايان

ترجمة فاطمة محمد بهجت

يعالج الكتاب الجانب الانسانى من مشكلة التخطيط وقد جاء فيه ان الذى يتتبع الفكر الاقتصادى من ادم سميث الى كارل ماركس الى - كينز - يكتشف ان رجال الفكر الاقتصادى او الفكر الاشتراكى - سواء كانوا مثاليين او ماديين - لم يهتموا كثيرا بالجانب الذاتى - والانسانى - والاختلاف لمشكلة التخطيط ويؤكد المؤلف ان استثمار البشر ليس اقل اهمية من استثمار الموارد والثروات بل ان استثمار البشر قد يضاعف من الثمار الناجمة عن استغلال الموارد المادية .

ويرى المؤلف ان القياس النهائى الذى نقيس به تقوم البلاد يجب ان يتمثل في طابع المواطنين وشخصيتهم وبين المؤلف كيف ان البيروقراطية تعوق التخطيط الاقتصادى عن تحقيق نتائج كثيرة - وذلك لانها تشل التطور الكامل للافراد وللجماعات الصغيرة .. وقد بين المؤلف الفرق بين التخطيط في ظل الديمقراطية والتخطيط الذى تم في ظل النظام الشيوعى فقال « اننا في الهند يجب ان نبتعد عن التيارين المتطرفين ..تيار الحرية الاقتصادية وتيار الاقتصاد الخاضع للنظام الصارم » واشار المؤلف الى التناقض بين المجتمع المثالى الذى كان ينادى به غاندى والمجتمع المادى الماركسي .. لان القيم الروحية بالنسبة لغاندى كانت جوهرا للوجود في كافة مظاهره - اما الماركسية فانها ترى في الدين والفلسفة «افيون الفقير» ورفض غاندى للمبدا القائل بان الغاية تبرر الوسيلة .. يخالف راى لينين الذى ينادى باستخدام الخداع والدهاء والوسائل غير المشروعة والمراوغة واخفاء الحقيقة ..

هذا الى جانب فصول متعددة تعالج اقتصاديات الدفاع الوطنى وصلة التخطيط الهندى بافكار غاندى المثالية والكتاب من الكتب النادرة في بحثه في اصول التخطيط الاقتصادى ومراحله وصلة ذلك التخطيط بعظمة الانسان وحريته في عالم التقدم والنمو الاقتصادى .

ويقع في ١٤٢ صفحة من القطع الكبير

والناشر الدار القومية والثمن ١٠ قروش (سلسلة اخترنا لك)

ت ٠ ع

البريد الأدبي

تعقيـــب

نشرت مجلة « الرســـالة » فى عددها رقم (١٠٢٢) **الصادر فى ١٥ اغسطس** نقدا لـكتاب **« عالم بلا فاقه »** الذى الفه « بول هوفمان » مدير الصندوق الخاص التابع للأمم المتحدة .

وقد ذكر الأستاذ الناقد تحسين عبـــد الحى : **« ان الكتاب يعالج مشاكل التنمية فىالدول المتخلفة من وجهة النظر الراسمالية الاستعمارية الصرفة »** ثم قال فى نهاية نقده : **« وفى راينا ان التنميـــة الاقتصادية تعتمد أولا علىارادة الشعوب وتصميمها وعلى مدخراتها الوطنية ، ثم علىالمعونات الخارجية النزيهة .. اذا وجدت »** .

واريد هنا ان اصحح وجهة نظر الاخ الناقد .. وانا لا أدافع عن الكاتب بقدر ما أريد توضيح وجهة نظره .

ويعتبر بول هوفمان من الكتاب الغربيين القلائل الذين يدعون الى توجيـــه المعونة عن طريق الامم المتحدة . وقد اثبت رايه كاملا — وهو راى سديد يتلاءم مع احتياجات الدول الآخذة فى النمو ويلائم اوضاعها — فى الفقرات التالية التى انقلهـــا من كتابه بالحرف الواحد ، وهى جزء ضئيل من مجموع الآراء الواردة فى الكتاب :

يقول المؤلف :

« والنصيب الاكبر من مسئولية تحقيـــق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى اى بلد انما يقع على شعب ذلك البـــلد ، ولكن يجب ان ينـــال هؤلاء مساعدتنا » (صفحة ١٠) .

« ولكن حتى لو افترضنا ان الدول ذات الدخل المنخفض سوف تساعد نفسها بنفسها بأقصى قدر ممكن ، تجد أنها فى حـــاجة الى النقد الاجنبى . وهناك اشياء ضرورية كثيرة لا يمكن شراؤها بالعملة المحلية ، اذ لابد من وسيلة او اخرى لشراء السلع والخـــدمات التى لا تأتى الا من الخـــارج » (صفحة ٥٩) .

« ولا يزال هناك خطأ جسيم آخر وهو ان الدول الصناعية لا تقبل مهمة دفع عجلة التنمية فى الدول ذات الدخل المنخفض على انهـــا هدف جديد بأن يتحقق من اجل ذاته . وبدلا من ذلك اعتبرت المعونة الخارجيةسلاحا تكتيكيا فى الحرب الباردة — اسلوبا لشراء الاصدقاء ، وكسب الحلفاء ، والتـــأثير فى الناس » (صفحة ٩٠) .

« وفى هذا المجال كان من الخطأ الـــكبير أن نتغاضى ، كما فعلنا ، عن المزايا الفريدة التى ترتبط بتوجيه المعونة عن طريق الأمم المتحدة ووكالاتهـــا المتخصصة » .

وفضلا عنه **وعلاوة على** ذلك ، فان المعونة التى تقدمها الامم المتحدة تعتبر محاولة تعاونية ، يكون لجميع الدول صوت فيها بصرف النظر عن حجم هذه الدول او ثروتها ، وتسهم جميع الدول فى تكاليفها (صفحة ٩١) .

ثم قال « وفى رايى ان نصـــف الاربعـــة عشر بليون — على الاقل — وهو المبلغ اللازم للاستثمار الاضافى فى البلدان المتخلفة فى خلالسنوات التنمية العشر ، يجب ان يوجه عن طريق هيئـــة التنمية الدولية ، وهى مؤســـسة جديدة تابعة للامم المتحدة ، وترتبط بالبنك الدولى. وتستطيع هذه الوكالة الدولية، التى تتولى اقراض البلدان المحتاجة ان تبدأ بدايةطيبة، ولكن نسبة ما تقرضه — ٢٠٠ مليون دولار فىالسنة — اقل بكثير من المبلغ اللازم . وهيئة التنمية الدولية متخصصة فى منح القروض على مدى خمسين سنة وبدون ارباح ، وذلك لتنفيذ ذلك النوع من المشروعات التى كنا نتحدث عنها ..(صفحة ١٠٤) .

والآن ، هل يمكن ان يستشف الاخ الناقد ، من هذه الآراء — وهى جزء من كثير — ان الـــكتاب يمثل وجهة النظر الاستعمارية .. !!

آمل ان اكون قد اوضحت راى المؤلف ...

يسرى سلطان
مترجم الكتاب

حول مصحف سيدنا عثمان

اطلعت فى (مجلة الرسالة ١٠٢٢) على ما نشره الأستاذ عبد الله خورشيد البرى فى شـــأن هذا

المصحف . وانقل اليها للبحث كلمة من (مقالات العلامة الكوثرى) عن بعض مصاحف الامصار .

اجمعت الصحابة فى عهد عثمان رضي الله عنهم على نسخ مصاحف من صحف ابى بكر ، وارسالها الى الامصار تحت اشراف قراء معروفين ليقابل أهل كل قطر مصاحفهم بالمصاحف المرسلة اليهم ، وليتخذوها ائمة يقتدون بها فى التلاوة والكتابة .

وقد استمر عمل الجماعة فى نسخ المصاحف خمس سنين (من سنة خمس وعشرين الى سنة ثلاثين) ، ثم ارسلوا المصاحف الى الامصار . واحتفظ عثمان بمصحف منها لأهل المدينة ، وبمصحف لنفسه غير ما ارسل الى مكة والشام والكوفة والبصرة .

اما مصحف عثمان الخاص به الذى اطلع عليه ابو عبيد فى بعض الخزائن ، على ما فى المقيلة وشروحها فلا يبعد ان يكون هو المصحف الذى يذكره المقريزى فى الخطط عند الكلام على مصحف اسماء فى جامع عمرو ، ثم نقل الى قبة الملك الغورى بالقاهرة مع الآثار النبوية ، ثم نقل الى المشهد الحسينى مع الآثار المذكورة . ويصفه العلامة الشيخ بخيت فى (الكلمات الحسان) .

وكثير من المكرين يلطخون بعض المصاحف القديمة بالدم ليظن انه الذى كان بيد عثمان حينما قتل ، وكم من مصاحف ملطخة بالدم فى خزانات الكتب .

واما ما ارسله الظاهر بيبرس الى ملك المغول فى (وولجا) وما والاها اثناء سعيه الموفق فى ارشادهم الى الاسلام — فليس هو بالمصحف العثمانى رغم ما اشتهر فى البلاد ، لأن رسمه يخالف رسم مصحف عثمان الخاص فى بعض الكلمات ، على ما حققه الشهاب المرجانى فى (وفيات الاسلاف) بمعارضة رسمه برسم مصحف عثمان المدون فى كتب الرسم كالرائية وغيرها .

ومصحف الكوفة هو المصحف الذى كان محفوظا بطرطوس فى عهد العلم السخاوى — كما يذكره السجقلى ، ثم نقل الى قلعة حمص . ويصفه النابلسى فى رحلته الكبرى ، ولم يزل محفوظا بها الى الحرب العامة الاولى ثم نقل الى عاصمة الدولة اسطنبول .

وكذلك كان مصحف المدينة المنورة محفوظا بالروضة المطهرة الى الحرب العامة ، ثم نقل الى القسطنطينية واما مصحف الشام فهو الذى كان بطبرية ثم نقل الى دمشق وكان محفوظا فى جامع التوبة فى عهد ابن الجزرى ، ثم استمر محفوظا فى حجرة الخطيب بالجامع الاموى الى الحرب العامة ، ثم نقل الى اسطنبول .

وفى (الحقيقة والمجاز للنابلسي) وصف ما شاهده فى حمص ومصر من المصاحف الاثرية .

وفى (منادمة الاطلال لعبد القادر بدران) وصف للمصاحف الشامية فى العهد الأخير ورسم مصحف عثمان تستطيع ان تعرفه من كتب الرسم كالمقنع للدانى والمحكم له .

حسام الدين الوراق

تحيــــة ودعاء

— وبعد — فما كادت « الرسالة » الحبيبة ، تهل علينا بطلعتها المهيبة حتى انتعشت الأرواح وعمت الأفراح .

اى والله ! ان احتجابها أصابنى بركود الحياة ، فعزفت بعدها عن قراءة غيرها ، وقد كانت القراءة نصف حياتى . وما اضيعنى اذ اعترانى الشلل فى هذا النصف !

وعلى الرغم من هذه الحياة الخامدة التى لحياها كنت اشتم اخبار عودة « الرسالة » واتتبع خطاك . وبين الحين والحين اعيد قراءة ما عندى منها ومن مؤلفاتك .

لم تسعد عيناى برؤيتك . ولكنى حرصت على الجلوس امام جهاز التليفزيون حين هتف المذيع باسمك الكريم فى عيد العلم . وكانت فرحتى كبرى بنيلك جائزة الدولة فى الادب ؟

فتحت المذياع مرة واذا بمتحدث يتحدث لم يكن صوته معهودا لدى ، فصحت على الفور : هـذا صوت الزيات الأديب ! باللتوافق ! اناقة فى الصوت واناقة فى الاسلوب . . .

ليس فى جعبتى شيء استطيع نفعك به ، فانت فوق المدح والثناء ولكن لك عندى ذخيرة من الدعاء فاللهم افتح على اديبنا الزيات بركات من الأرض والسماء ، واحفظه يا ربى بفضلك راضيا مرضيا متمتعا بنعمة الصحة والعافية والقوة .

وهيا ايها الربان القوى الحاذق الدءوب سر بنا على بركة الله الى شواطىء الحق والخير والجمال ويا كتاب الرسالة الأمجاد مرحبا بكم اعزاء علينا فى غيابكم وحضوركم . فمنازلكم فى قلوبنا هى منازل الاصدقاء الأوفياء . وعليكم سلام الرحمان .

بديعة محمد سبيع الله

المدرسة بمعهد الأمل للبنات بالحضرة بالاسكندرية

أخبار أدبية وعلمية

● ستنعقد اللجنة التحضيرية لاسبوع الكتاب العربي يوم الاحد القادم فى تمام الساعة الثامنة مساء فى مكتب الاستاذ عبد الواحد الوكيل

***

● العدد القادم من سلسلة أعلام العرب التى تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف بوزارة الثقافة والارشاد عن الأمير شكيب ارسلان بقلم الاستاذ أحمد الشرباصى ٠

هذا البحث موضوع رسالة كان قد تقدم بها الاستاذ الشرباصى الى معهد الدراسات العربية بالجامعة العربية ٠

***

● شيد فى موسكو برج ارتفاعه ٣١٠ امتار ، وقطره اقل من ٣ امتار ، وعلى قمته مرصد تلقائى يحوى منظارا وأجهزة لدراسة السحب والنجوم ودخان المصانع ودرجات الحرارة وارسال بياناتها الى الارض وقد شيده المعهد الطبيعى لدراسة طبقات الجوفى هذا الارتفاع ، لان كل الدراسات السابقة اتجهت الى ما تحته وما فوقه وتجاهلته وتجمع أجهزته المعلومات من دائرة حوله قطرها ٢٠ كيلو مترا ٠

***

● الجزء الثانى من أشعار الهذليين تصدره قريبا دار العروبة بالقاهرة وهو صنعة أبى سعيد الحسن ابن الحسين العسكرى ، وتحقيق الاستاذ عبد الستار فراج ومراجعة الاستاذ محمود محمد شاكر ٠

ومن المعروف أن (جون جودفيرى) طبع الجزء الاول فى لندن عام ١٨٥٤ م ٠

***

● تليفون يسجل يرد على من يطلبون صاحبه بتوجيه التحية ، ثم يسجل الرسائل التى يقولونها٠ ظهر فى لندن ٠ وجهاز تسجيله مستقل ، ويمكن تركيبه على أى تليفون بعد توصيل الجهاز بأى توصيلة كهربائية ٠ ومن الميسور وقف جهاز التسجيل أو تشغيله بالضغط على زر صغير فى مقدمته ٠

● تبدأ سلسلة الثقافة الاسلامية التى يصدرها بالقاهرة الاستاذ محمد عبد الله السمان عامها السادس فى أول سبتمبر القادم ببحث سياسى اسلامى للمرحوم رفيق العظم عن الجامعة الاسلامية وأوربا ٠

***

● مصنع تلقائى جديد يحول فضلات المدن الى ورق ، ويفصل المعادن لاعادة استخدامها، كما يحول الفضلات العضوية الى سماد عضوى للارض ، ومواد غذائية للحيوانات ، ومواد وقود لادارة المصانع وانارة المساكن ٠

وقد أنشىء هذا المصنع فى « سان فرناندو » ويتسع لنحو ١٥٠ طنا فى كل يوم توضع فى أحد أجزائه ، فتمر تلقائيا فى الاجزاء المختلفة التى تتولى تصنيفها ، وتحويلها الى سلع تخرج من الجانب الآخر ٠ ومن مزاياه ان لا يتصاعد منه دخان ، ولا روائح كريهة ٠ واذا كانت فضلات المدينة أكثر من هذا القدر ، فيمكن انشاء وحدات فى أطرافها لتتلقى نصيبها من أقرب الاحياء اليها ٠

***

● الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق ، عنوان بحث تصدره بعد أيام مكتبة وهبة بعابدين ، للاستاذ البهى الخولى مدير الثقافة بوزارة الاوقاف سابقا

يقع البحث فى حوالى ١٨٠ صفحة ناقش فيه مفهوم الاشتراكية الاسلامية وقواعدها فى ميدان التطبيق ٠

***

● عندما يزور الانسان المريخ ، فانه سيجد عليه الوانا غريبة من الحياة وفقا للدراسات التى أجراها بعض علماء سلاح الطيران الامريكى ، ومن صفات هذه الاحياء أن تحتمل اشعاعات ذرية ضعف ما تحتمله الاحياء على الارض مليون مرة ٠ وسبب هذه الاشعاعات هو العواصف أو الانفجارات الشمسية التى تقذف مقادير ضخمة فى الفضاء ، ولكنها لا تصلنا الى الارض بسبب الغلاف الهوائى السميك حولنا ٠



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٤ - ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ هـ - ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٣م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

العصبية داء الوحدة

بقلم : أحمد حسن الزيات

ترحب الرسالة وتؤهل بقدوم ابن من ابر ابنائها ، وقارىء من أعز قرائها ، هو المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية ، وبطل اليوم الرابع عشر من تموز يوم الحرية ، والمجاهد الصادق فى سبيل الوحدة العربية ، والعدو الكاشح للعصبية الاقليمية ، والسياسي المبرأ من آفات الحزبية . وهذه الخلال وما يصدر عنها من تقديس الاسلام وتمجيد العروبة وتكريم الأدب هى التى عقدت أسبابه بالرسالة منذ أن كان على مقعد الدراسة ، الى أن صار الى كرسي الرياسة .

لذلك رأيت من الخير أن أذاكره فى أمر الداء الذى ابتليت به الوحدة العربية فى ماضيها الطويل ولا يزال يعاودها منذ يوم (السقيفة) فى المدينة الى يوم (البعث) فى دمشق . ذلك الداء المخامر الملح هو العصبية فى شتى صورها ومختلف ألوانها من قبلية واقليمية ومذهبية وجنسية وحزبية ، وفيما يلازمها من حب الاستئثار وشهوة الرياسة .

لم تمت هذه العصبية من حياة العرب الا فترة موقوتة بحياة الرسول صلوات الله عليه . فلما استعز به الله انبعثت فى سقيفة بنى ساعدة بين الانصار والمهاجرين تقول : منا أمير ومنكم أمير . ثم سلطها الشيطان على الوحدة فانقسم العرب الى

هاشمية واموية ، ثم الى قيسيةويمنية ، ثم الى علوية وعباسية ، ثم الى عربيــــة وشعوبية . ثم افتراقها بالدين فافترق المسلمون اثنتين وسبعين فرقة تتقاطع بالضلال وتتعادى فى الباطل وتزعم كل فرقة انها هى الناجية ولا يزال من بقاياها فرقتا السنة والشيعة .

ثم انشعبت الخلافةالاسلامية ثلاث شعب : شعبة فى العراق ترفعالعلم الاسود ، وشعبة فيمصر ترفع العلم الاخضر ، وشعبة فى الاندلس ترفع العــــلم الابيض ، ولو كان تحزب العرب وتشعب المسلمين لمبادىء تعز الدين وتصلـــح الدنيا ، لكان ذلك اخلق بمن جعلهم الله امة وسطا يامرون بالمعروف وينهــون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات ، ولكنهم اختلفوا تعصبا للنفس او الجنس او الراى ، وتوسلا لبلوغ الحكم او خضوع الخصم او فتون العامة . وشهوة الحكم وحب الرياسة هما شر ادواء العصبية وبالا واشدها استفحالا فى الشرق القديم والحديث . ولو ذهبت تستقرى عوامل الشقاق والانشقاق بينالعرب فى جميع الاطوار والاقطار لما عدوت ماركب فى طباعنا منحب الظهور ورغبة التفرد ورذيلة الحسد! اذا جاء الامة خير لاتصيب لى منه ولا سلطانلىعليه جعلته شرا يستعان فى درئه ببدع تتسم باسم الدين وخدع تتستر بستار الوطن .

واذا نهضت فى الامة نهضة للاصلاح ولم يكن لى موضع الرياسة فيها ولا مرجع الفائدة منهـــا اشعت حولها الريب واطرت فوقها الظنون حتى يستوحش الناس من ناحيتها فتفشل .واذا هيا الله للامةمصلحا من اولى العزم يجعل من موتها حياة ومن ضعفها قوة ومن شتاتها وحدة ، قال كل طامع وكل مغـــرور وكل حاسد : لم لم اكن انا هذا القائد ؟ ولم لم يكن من بلدى هذا الزعيم?ولم لميكن مندينى هذاالمصلح؟ ثم يتناوحون جميعا بالرياحالعاصفة علىهذا المصباح الهادى يريدون ان يطفئوه ويابى الله الا ان يتم نوره.

كانت العصبية الاقليمية مندعايات الانفصاليينفى سورية .وكانت العصبيـــة الاقليميــــة من شعارات الشيوعيين فى العراق . ولعــــل الرئيس الكريم عبد السلام عارف كان يرمض قلبه وهو فيمعتقله ان يسمع الملونين الحمـــر يهتفون بالزعيم الاوحد امام وزارة الدفاع : (العراق يا عبد الكريم ، ما يصـــير اقليم !) فاذا لم تجتث اصول هذه العصبية الموروثة من قلوب الزعماء والساسة وضعاف الدين والعروبة وناقصي الثقافة ومحترفى القيادة استحال الاتجاه العــــلم الى القبلة والاتفاق التـــام على الوحدة .

واجتثاثها لايكون الا بمحو الفروق بالحرية والشورى، وشفاء الصدور بالاخوة والمساواة ، ورفع النفوس بالايثار والتضحية . وكانت الاشتراكية العربية التى تام عليهـــــا ميثاق الوحدة كفيلة بذلك لو بر حزب البعث به .

ان العصبية الحزبية فى البعث السورى تعصف بميثاق الوحدة عصفالرياح الهوجبالشجرة الغضة ، ولعله لم يترك منها الا جذعا سليبا يستند اليه فى خداع الاغرار وهيهات ان ينخدع به احد ! والرئيس العراقى وهو من رواد الوحـــــــدة الاوائل وقوادها القلائل جدير بأن يسكن هذه الريح العقيم فى سورية بحزمه . ويصد سمومها عنسياسة العراقبعزمه . ولا عليه من مصر ، فان مصر كما يعلم مؤمنة بالعروبة ايمانها بالله ، مخلصةللوحدة اخلاصها للتوحيد . وقد حاول الرجعيون والانفصاليون ان يحملوها بحماقتهم على الكفر بهما فما استطاعوا .

ان الوحدة ضرورة لافضلة ، ومطلب امة لا رغبة قطر . وما كان للعــــالم العربى وهو يرى الخطوب تتواثب على جوانبه ، والنوازل تتفاقم فى احشائه ، واسرائيل تنتشر كالسرطان فى قلبه ، ان تظل كـــل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها ، لا تفطن لكيانها المهدد ، ولا تستعد لعدوها الراصد ، كان غريزة حب الحياة التى جعلت من ضعاف النمل امما متحدة ، ومن بغاث الطير اسرابا متعاونة ــ لم تكن من غرائز اهله ولا من نحائز حاكميه !

ان العصبية داء الوحــــــدة ، وان الفـــردية داء الجماعة . وكلتاهما تنبعث عن طبع فج ، وتصـــدر عناثرة شحيحة . الفردية تسول للفرد انه فينفسه كل الناس ، وان شيئه فى عينه كل الاشياء ، وان رايه فى عقله كل الآراء . فاذا فشت فيمجتمع صعب فيه ان يتفاهم لســـان ولسان ، ويتآلف قلب وقلب ، ويتعاون يد ويد . والعصبية فردية مكبرة أو مكررة تصيب الجماعة وهى لا تزال فى معنى البدائيــــة فتعزلها عن المجتمع وتحصرها فى نطاق ضيــــق لا يتسع لغير المنافع الخاصة والمطامع القريبة .

وعلاج هاتين العلتين كمــــــا قلت شيوع الروح الاشتراكية فى الفرد والجماعة ، فانهـــا متى سرت فيهما تيقظ الضمير الاجتماعى فنخلص للأمة كمـــا نخلص للأسرة ونحب لعامة الناس ما نحب لخاصة النفس ، ونخرج منحدود العصبية الى آفاق الوطنية ويومئذ لا يستبد بأمرنا فرد ، ولا يسيطر على عقولنا حزب ، ولا تستقل بخيرنا شركة .

قادة الفتح الاسلامي

عمرو بن العاص السهمي

فاتح فلسطين ومصر وليبيا

للواء الركن محمود شيت خطاب
وزير البلديات في الجمهورية العراقية

اللواء الركن محمود شيت خطاب وزير البلديات بالجمهورية العراقية ، وعضو المجمع العلمي العراقي وعضو الوفد العراقي للمحادثات بالقاهرة ، كاتب مجيد ، ومؤرخ نابه ، وقد لاحظ أن هناك كتبا في طبقات الادباء والشعراء والاطباء وغيرهم من قادة الفكر الاسلامي ، ولم يجد من بينها كتابا عن طبقات قادة الفتح الاسلامي الذين رفعوا راية الاسلام في اقصى الشرق واقصى الغرب ، فأخذ على نفسه ان يكتب سلسلة عنهم للرسالة ، وقد بدأ اليوم بعمرو بن العاص .

••*•*•*•*•*•*

عائلتـــه :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد ابن سهم ، يكنى : ابا عبد الله . أبوه هو العاص ابن وائل احد اشراف قريش في الجاهلية وزعيم بني سهم وقائدهم في يوم (الفجار) الثاني قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ادرك الاسلام ولم يسلم ، وكان احد سادات قريش الذين ذهبوا الى ابي طالب يسألونه ان يكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان احد زعماء قريش الذين حاولوا صد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته وعرضوا عليه كل المغريات ليكف عنهم ، وكان احد المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وهو الذي كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوه فانما هو رجل ابتر لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه» ، فأنزل الله في ذلك قوله : (انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر) ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم « لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك » ، فأنزل الله تعالى : (وقالوا لولا انزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) . ومع ذلك كان يحترم حرية الراى ، فقد زجر الذين ارادوا سوءا بعمر بن الخطاب من قريش حين اعلن عمر على الملأ اسلامه قائلا لهم : « رجل اختار لنفسه امرا ، فماذا تريدون ؟ اترون بني عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل ! » وهذا يدل على انه كان عاقلا يستبعد التطرف بالاضافة الى احترامه لحرية الراى .

وام عمرو هي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بني عنزة اصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله ابن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فانجبت عمرا .

وعمرو من بني (سهم) ، وهم بطن من عشرة ابطن من قريش انتهى اليها الشرف قبيل الاسلام هم : هاشم وامية ونوفل وعبد الدار وتيم واسد ومخزوم وعدى وجمح وسهم ، وكان لكل بطن من هذه البطون واجب خاص ، فكان بنو سهم اصحاب الحكومة في قريش ، والحكومة عمل يشبه القضاء بحيث كان يحتكم القرشيون وغيرهم ممن يفد على مكة من العرب الى زعماء بني سهم فيما يقع بينهم من الخصومات وهذا يدل على انهم كانوا اصحاب راى وحلم ودهاء . وكان لبني سهم ايضا الرئاسة على الاموال الخاصة بآلهتهم ، وهي اشبه شيء بالاوقاف العامة ، وفي قبضة صاحب هذا العمل الاموال المحجرة (كما كانوا يسمونها) يتصرف فيها حسب ما تقتضيه القواعد التي جروا عليها في العمل باموال اوثانهم .

لقد اشتهر بنو سهم بالغزو والشرف والشعر وفصل الخصومات والكرم واليسار .

في الجاهلية :

كان عمرو جزارا كما كان يحترف التجارة ايضا ، وكان في قافلة فيها اموال لقريش وتجارة وهي التي

ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج عليها ، فكان خروجهم ذلك السبب المباشر لغزوة (بدر) الكبرى ، وكان يسافر بتجارته الى الشام واليمن ومصر والحبشة ، بعثته قريش الى النجاشي صاحب الحبشة ليسلمه جعفر بن ابى طالب وصحبه من المهاجرين الى ارض الحبشة ، فلم يفعل النجاشي فبقى المهاجرون فى الحبشة بأمان وبذلك فشل عمرو فى مهمته هذه .

شهد غزوة (احـــد) مع المشركين ونظم الشعر متشفيا بهزيمة المسلمين فى تلك المعركة ، وكان أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كان عمرو من فرسان قريش وابطالهم فى الجاهلية مذكورا بذلك فيهم ، وكان فوق ذلك معروفا بالدهاء وحسن التصرف بين رجالات قريش ، مما ادى الى ارساله سفيرا الى الحبشة لاقناع النجاشي بتسليم المهاجرين المسلمين الى الحبشة الى المشركين من قريش .

مع النبى :

١ ــ اسلامه :

اسلم عمرو سنة ثمان للهجرة ، فقد قدم مع خالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم عمرا وصاحبيه قال : « القت اليكم مكة افلاذ كبدها » يعنى انهم وجوه اهل مكة .

لقد كان عمرو يفكر بالاسلام قبل اعلان اسلامه ، وقد اسلم على يد النجاشي ، وكان هم بالاقبال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حين انصرافه من الحبشة ثم لم يعزم له حتى سنة ثمان للهجرة .

سأل رجل عمرا : « ما ابطأ بك عن الاسلام وانت فى عقلك ؟ ! » ، قال : « انا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى حلومهم الجبال . فلما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فانكروا عليه تلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الامر الينا ، نظرنا وتدبرنا ، فاذا حق بين ، فوقع فى قلبى الاسلام ، فعرفت قريش ذلك منى من ابطائى عما كنت اسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا الى فتى منهم ، فناظرنى فى ذلك ، فقلت : انشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك ، انحن اهدى ام فارس والروم ؟ قال : نحن اهدى ، قلت فنحن اوسع عيشا أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم ان لم يكن لنا فضل الا فى الدنيا وهم اعظم منا فيها امرا فى كل شيء ، وقد وقع فى نفسي أن الذى يقوله محمد عن ان البعث بعد الموت ليجـــزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته حق ، ولا خير فى التمادي فى الباطل » .

قال عمرو : ثم جعل الاســـلام فى قلبى ، فأتيت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فقلت : ابسط يمينك ابايعك يا رسول الله ، فبسط يده ! ثم انى قبضت يدي ، فقال : مالك ياعمرو ؟! فقلت : اردت ان اشترط ! ، فقـــال : تشترط ماذا ؟ فقلت اشترط ان يغفر لى . فقال : اما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله ، وان الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وان الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتنى وما من أحد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه ، ولو سئلت أن انعته ما اطقت لانى لم اكن اطيق ان املأ عينى اجلالا له » .

لقد اسلم عمرو بعـــد تفكير طويل ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامه : « اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » .

٢ ــ فى ذات السلاسل :

قال عمرو : « ما عدل بى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احدا من اصحابه فى حربه منذ اسلمت » ، فقد ولاه قيادة سرية مؤلفة من ثلاثمائة رجل من اشراف المهاجرين والانصار ، لصد جمع (قضاعة) الذين يريدون أن يهاجموا اطراف المدينة المنورة ، فسار عمرو الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه ان لهم جمعا غفيـــرا ، فاستمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح فى مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا . ولحق ابو عبيدة بعمرو فاراد ان يؤم الناس فقال عمرو : « انما قدمت على مددا وانا الامير » ، فقال ابو عبيدة : لا ، ولكنى على ما انا عليه وانت على ما انت عليه » فقال عمرو : « بل انت مدد لى ! » ، فقال ابو عبيدة : يا عمرو ان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا ، وانك ان عصيتنى اطعتك » ، فأطاع له بذلك ابو عبيدة وكان عمـــرو يصـــلى بالناس ، فســـار حتى وطىء بلاد (بلى) ودوخهـــا واتى الى اقصى بلادهم وبلاد (عذرة) و (بلقين) ، وثم لقى جمعا فحمل عليهم المسلمون

فهربوا في البلاد وتفرقوا ، وبذلك انتهى واجب عمرو فقفل راجعا الى المدينة .

ولما هزم المسلمون اعداءهم طمعوا فيهم ، فارادوا مطاردتهم ، فحال عمرو بينهم وبين ذلك . ثم ارادوا ان يوقدوا نارا يصطلون عليها من البرد ، فمنعهم عمرو ايضا ، فشق على المسلمين ذلك ولم يحتملوا تلك الشدة التي تهدد بقذف من يوقد النار فيهـــا ، فشكوه الى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، فكلمه في ذلك ، فقال له عمرو : « كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهـــم ، وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد ، فأعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما اعجاب وحمد له رايه .

وشهد عمرو بعد عودته من غزوة ذات السلاسل غزوة مؤته .

٣ — هدم سواع :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عمرا الى (ســـــواع) ، صنم هذيل ليهدمه . قال عمرو : « فانتهيت اليه وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ ، قلت : امرني رســــول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه ، فقال : لا تقدر على ذلك ، فقلت : لم ؟ فقال : تمنع ! ، فقلت : حتى الآن انتفى الباطل ! ويحك هل يسمع او يبصر ! ، فدنوت منه فكسرته وأمرت اصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئا ، ثم قلت للســـــادن : كيف رايت ؟ فقــــال اسلمت لله » .

٤ — في عمان :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا الى جيفر وعبد ابني الجلندى ، وهما من الازد وكـــان جيفر هو الملك ، يدعوهما الى الاسلام ، وكتب معه اليهما كتابا وختم الكتاب . قال عمرو : فلما قدمت (عمان) عمدت الى عبـــــد ، وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا ، فقلت : اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك ، فقال : اخي المقدم علي بالسن والملك ، وانا اوصـــــلك اليه حتى يقرا كتابك . فمكثت أياما ببـــابه ، ثم انه دعاني فدخلت عليه فدفعت اليه الكتـــاب مختوما ففض خاتمة وقراه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل قراءته ، الا اني رايت اخاه ارق منه ، فقال : دعني يومي هذا وارجع الي غدا ، فلما كان الغـــد رجعت اليه ، فقال : اني فكرت فيما دعوتني اليه ، فاذا انا اضعف العرب اذا ملكت رجلا ما في يدي . قلت : فاني خارج غدا ، فلما ايقن بمخرجي اصبح فارسل الي ، فدخلت عليه ، فاجاب الى الاسلام هو واخوه جميعا وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عونا على من خالفني فاخذت الصدقة من اغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم ازل مقيما فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وعاد عمرو من (عمان) الى المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جهـــاده :

١ — في حرب اهل الردة :

مات رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وعمرو بعمان ، فأقبل حتى انتهى الى (البحرين) فوجـــد المنذر بن ساوى في الموت . ثم خرج عنه الى بلاد بني عامر فنزل بقرة بن هبيرة وهو يقدم رجـــلا الى الردة ويؤخر اخرى ومعه جيش من بني عامر ، فاكرم قرة مثواه ، فلما اراد عمرو الرحلة خلابه قرة وقال : « يا هذا ! ان العرب لا تطيب لكم نفســـــا بالاتاوة ، فان اعفيتموها من اخذ اموالها فتسمع لكم وتطيع ! وان ابيتم فلا تجتمع عليكم » ، فقال عمرو : « اكفرت ياقرة ؟ ! اتخوفنا بالعرب ؟! فوالله لاوطئن عليك الخيل في حفش امك واحفاش بيت يتفرد فيه النفساء » . ومر بمسيلمة الكذاب فاعطاه الامان ، فقال له عمرو : « اعرض لي ما تقول » ، فذكر مسيلمة بعض كلامه ، فقال عمرو : والله انك لتعلم انك من الكاذبين » فتوعده مسيلمة .

ولما وصل عمرو المدينة وعقد ابو بكر احد عشر لواء لحرب اهل الردة ، عقد لعمرو وارسله الى (قضاعة) ، وكان قد حاربهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل ، وكانت قضاعة قد ارتدت بعـــد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما انفذ اليهم ابو بكر جيشـــا بقيادة عمرو سار عمرو بجيشه في الطريق الذي سلكه من قبل حتى وصل بلاد قضاعة ، فاعمل السيف في رقابهم وغلبهم على امرهم ، فعادوا الى الاسلام ، وعاد هو الى المدينة حاملا لواء النصر .

٢ ــ فى ارض الشام :

رد ابو بكر عمرا الى عمله الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه اياه فى (عمان) ، فلما اراد ارسال الجيوش لفتح ارض الشام كتب ابو بكر لعمرو : « انى كنت قد رددتك على العمل الذى ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به اخرى انجازا لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته ، وقد احببت ان افرغك لما هو خير لك فى الدنيا والآخرة ، والا ان يكون الذى انت فيه احب اليك » ، فكتب اليه عمرو : « انى سهم من سهام الاسلام ، وانت بعد الله الرامى والجامع لها ، فانظر اشدها واخشاها وافضلها فارم به شيئا ان جاءك من ناحية من النواحى » ، فعقد ابو بكر لعمرو وامره ان يسلك طريق (ايلة) عامدا الى فلسطين ، وكان العقد لكل امير من امراء الشام فى بدء الامر ثلاثة آلاف رجل ، فلم يزل ابو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل امير سبعة آلاف وخمسمائة ، وكان جيش عمرو مؤلفا من اهل مكة والطائف وهوازن وبنى كلاب ، وقال ابو بكر لعمرو « قد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى ارض فلسطين وكاتب ابا عبيدة وانجده اذا ارادك ولا تقطع امرا الا بمشورته » ، فاقبل عمرو على عمر بن الخطاب وقال له : « يا ابا حفص ! انت تعلم شدتى على العدو وصبرى على الحرب ، فلو كلمت الخليفة ان يجعلنى اميرا على ابى عبيدة ، وقد رايت منزلتى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانى لارجو ان يفتح الله على يدى البلاد ويهلك الاعداء » ، فقال عمر بن الخطاب : « ما كنت بالذى اكلمه فى ذلك ، فانه ليس على ابى عبيدة امير ، ولابو عبيدة افضل منزلة منك واقدم سابقة منك ، والنبى صلى الله عليه وسلم قال فيه : ابو عبيدة امين الامة» ، فقال عمرو : « ما ينقص من منزلته اذا كنت واليا عليه ؟ ! » ويلك يا عمرو ! انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى » ، فقال عمرو : « ان الامر كما ذكرت » .

وما كادت جيوش المسلمين تصل ارض الشام ، حتى بعث (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين ، فكان (تذارق) شقيق (هرقل) امام عمرو على راس جيش عدده تسعون الفا ، ولكن قادة المسلمين فوتوا على الروم فرصة ضرب جيوش المسلمين على انفراد اذ كاتبوا عمرا ما الراى ؟ فاجابهم : « ان الراى لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا » ، وكتبوا الى ابى بكر فاجابهم مثل جواب عمرو وقال « ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب ، فاحترسوا منها ، واجتمعوا باليرموك » .

واجتمع المسلمون باليرموك ، واجتمع الروم بها ايضا ، فنزل الروم (الواقوصة) :

وهى على ضفة اليرموك وصار الوادى خندقا لهم ، وانتقل المسلمون عن معسكرهم فنزلوا على طريق الروم وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو : « ايها الناس ، ابشروا ... حصرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير » .

وفى معركة اليرموك الحاسمة ، كان عمرو على الميمنة ، فكان له اثر كبير على انتصار المسلمين فى هذه المعركة . وفى معركة فتح (دمشق) نزل عمرو بجيشه فى ناحية باب (توما) ، وبعد فتحها سار المسلمون نحو (فحل) وعليهم شرحبيل بن حسنة ، وكان عمرو وابو عبيدة بن الجراح على المجنبتين ، فانتصر المسلمون على الروم ايضا ، كما شهد مع شرحبيل فتح (بيسان) (وطبريه) ، وصالحا اهل الاردن .

وعلم عمرو ان الروم حشدو جيوشهم وعلى راسها قائد فلسطين ارطبون (اريطيون) فى (اجنادين) ، فسار عمرو ومعه شرحبيل بن حسنة واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمى ، وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا ، وكان قد وضع (بالرملة) جندا عظيما و (بايلياء) جندا عظيما ايضا ، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب ، (يقصد عمرا) ، فانظروا عما تنفرج » . وكان معاوية بن ابى سفيان قد شغل اهل (قيسارية) عن عمرو ، كما جعل عمرو علقمة ابن حكيم الفراسي ومسروق العكى وجعل ابا ايوب المالكى (بالرملة) ، فشاغل هؤلاء القادة القوات الرومانية عن قوات عمرو الاصلية .

واقام عمرو على (اجنادين) لا يقدر على الارطبون ولا تشفيه الرسل ، فسار اليه بنفسه ودخل عليه كانه رسول ، ففطن به الارطبون ، وقال : لاشك ان

هذا هو الامير او من يأخذ الامير برايه » ، فأمر رجلا ان يقعد على طريقه ليقتله اذا مر به . وفطن عمرو الى غدر الارطبون ، فقال له : « قد سمعت مني وسمعت منك ، وقد وقع قولك مني موقعا ، وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاتفه ويشهدنا اموره ، فأرجع فآتيك بهم الآن ، فان رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى ، فقـد رآه اهل العسكر والامير ، وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم وكنت على راس امرك » فقال الارطبون : « نعم » ورد الرجل الذي امره بقتل عمرو ، فخرج عمرو من عند الارطبون ، فعلم الرومي بأن عمرا خدعه ، فقال « خدعني الرجل ! هذا ادهى الخلق ! » . وبلغت خديعته عمر بن الخطاب ، فقال : « لله در عمرو » .

وعرف عمرو من استطلاعه الشخصي هذا نقاط الضعف في مواضع الروم ، فهاجمهم واقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ، ولكن ارطبون انهـزم فآوى الى (ايلياء) ، ونزل عمرو (اجنادين) ، وانضم علقمة ومسروق وابو ايوب الى عمرو باجنادين .

ولما دخل ارطبول (ايلياء) فتح عمرو (غزة) و (سبسطية) و (نابلس) ، و (اللد) ، و (يبنى) و (عمواس) ، و (بيت جبرين) و (يافا) ، و (رفح) وقدم عليه ابو عبيدة ابن الجراح وهو محاصر (ايلياء) وهي بيت المقدس ، فطلب اهل (ايلياء) من ابي عبيدة الصلح على مثل ما صولح عليه اهل مدن الشـام على أن يكون المتولي للعقد لهم عمـر بن الخطاب نفسه ، فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك ، فقدم عمر وانفذ صلح (ايلياء) وكتب لهم به عهدا .

وحاصر عمرو (قيسارية) بعد فتح بيت المقدس ، ولكنه خرج الى مصر ، فتولى فتحها معاوية بن ابي سفيان .

لقد شهد عمرو اكثر معارك فتح ارض الشام ، وكان فتح اكثر فلسطين على يديه .

٣ — في مصر :

كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بعد الفراغ من فتح ارض الشام أن يسير الى مصر في جنده ، فخرج في ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، فنزل (العريش) فتحها ، ثم اتى (الفرما) وبهـا قوم مستعدون للقتال ، فحاربهم عمرو وهزمهم . ومضي قدما الى (الفسطاط) وكان اسمها (البونة) ، فنزل (جنان الريحان) وقد خندق اهل الفسطاط ، فحاصرهم عمرو ولم يلبث ان ورد عليه الزبير بن العوام في عشرة آلاف ويقال في اثني عشر الفا وقيـل اربعة آلاف عليهم اربعة من الصحابة الكبار : الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافه دون مسلمة ، واستمر الحصار سبعة اشـهر ، فرأى الزبير بن العوام خللا في السور ، فنصب سلما واسنده الى الحصن وقال : « اني اهب نفسي لله تعالى ، فمن شاء ان يتبعني ، فليفعل » ، فتبعه جماعة حتى اوفى على الحصن فكبر وكبروا ، فلما رأى الروم ان العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، ففتحت الفسطاط ابوابها للمسلمين .

وقبل فتح الحصن ارسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلا نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم » فبعث عمرو عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت فلم تنجح تلك المفاوضات ، فنشب القتال بين الطرفين حول حصـن (بابليون) ، فاحرز المسلمون النصر على الروم بعد ايام معدودة من مفاوضة عبادة بن الصامت والمقوقس .

ولما فتح عمرو حصن الفسطاط (بابليون) وجه عبد الله بن حذافة السهمي الى (عين شـمس) ، فغلب على ارضها وصالح اهل قراها على مثـل صلح الفسطاط ، كما وجه خارجة بن حذافة العدوي الى (الفيوم) و (الاشمونين) و (اخميم) و(البشرودات) وقرى الصعيد ، فصالحها ايضا على مثـل صلح الفسطاط . كمـا وجه عمير بن وهب الجمحي الى (تنيس) و (دمياط) و (تونة) و(دميرة) (شطا) و (دقهلة) و (بنا) (بوصير) فصالحها على مثل صلح الفسطاط ايضا . ووجه عقبة بن عامر الجهني ويقال وردان مولاه الى سائر قرى اسـفل الارض ففعل مثل ذلك ، وبذلك استجمع عمرو فتـح مصر فصارت ارضها ارض خراج .

❋❋❋

ولما افتتح عمرو بن العاص مصر اقام بها ثم كتب الى عمـر بن الخطاب يستأمره في الزحف الى الاسكندرية ، فكتب اليه يأمره بذلك ، فسار اليهـا

واستخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوى ، وكان من دون الاسكندرية بن الروم والقبط قد تجمعوا له فلقيهم (بالكريون) فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم سار عمرو حتى انتهى الى الاسكندرية ، فوجد اهلها قد اعدوا العدة لقتاله . ولكن القبط منهم كانوا يرغبون فى الصلح ، فحاصرها عمرو ، فارسل اليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة الى مدة ، فابى عمرو ذلك . وامر المقوقس النساء ان يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن الى داخله واقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فارسل اليه عمرو : « انا قد راينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من امره ما كان » ، فقال المقوقس لاصحابه : « قد صدق هؤلاء القوم ! اخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية ، فنحن اولى بالاذعان » فاغلظ له اصحابه القول وابوا الا القتال فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وحصروهم ثلاثة اشهر ففتحها عمرو بالسيف واستخلف عمرو على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمى فى رابطة من المسلمين وانصرف الى الفسطاط .

وفى رواية ان عبادة بن الصامت هو الذى فتح الاسكندرية ، وبذلك انجز عمرو فتح مصر واصبحت رايات العرب المسلمين ترفرف عليها .

٤ ـ فى ليبيا :

اراد عمرو القضاء على سلطان الروم فى المنطقة الواقعة غربى الديار المصرية ، فسار يخترق الصحراء حتى بلغ (برقة) ، فافتتحها عمرو وصالح اهلها على الجزية .

ووجه عمرو عقبة بن نافع حتى بلغ (زويلة) وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين ، ثم سار عمرو حتى نزل (اطرابلس) وكانت حصونها اقوى من حصون برقة وحاميتها اكثر عددا ، فامتنعت عن العرب شهرا واحدا ولكنها استسلمت للفاتحين ، فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب : « انا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين افريقية (تونس) تسعة ايام ، فان راى امير المؤمنين ان يأذن لنا فى غزوها فعل » ، فكتب اليه عمر ينهاه عنها ويأمره بالوقوف عند هذا الحد ، فعاد مكرها بعد أن استخلف على ليبيا عقبة بن نافع الفهرى الذى صار اليه بعد ذلك فتح المغرب .

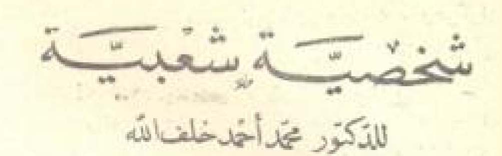
وبذلك انجز عمرو وفتح ليبيا .

٥ ـ فى النوبة :

اراد عمرو ان يؤمن مصر من الجنوب ، فبعث عقبة بن نافع الفهرى ، فدخلت خيولهم ارض النوبة ، فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديدا ، اذ كان اهلها ماهرين برمى السهام ، فرشقوا المسلمين بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقودة فلم يصالحهم عمرو ولم يزل يهاجمهم بين حين وآخر حتى عزل عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، فصالحهم ، فكانت بينهم وبين المسلمين هدنة : يعطيهم المسلمون شيئا من القمح والعدس ويعطيهم النوبيون رقيقا .

٦ ـ انتقاض الروم فى الاسكندرية :

كتب اهل الاسكندرية الى (قسطنطين) امبراطور الروم يهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة ما بها من حامية المسلمين وبما يعانى الروم فيها من الذلة واداء الجزية ، فبعث رجلا من اصحابه فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من المسلمين المرابطين الا من استطاع النجاة بنفسه . وبلغ عمرا الخبر فسار اليهم ، وكان (منويل) قائد الروم قد تقدم نحو الجنوب ورجاله يعيثون فى الارض فسادا : ينزلون القرى فيشربون خمرها وياكلون اطعمتها ، حتى وصلوا (نقيوس) حيث اشتبكوا بالمسلمين الذين كان عددهم خمسة عشر الفا بقتال عنيف فى البر والبحر ، وكثر الترامى بالنشاب حتى اصابت فرس عمرو ، فنزل عنه . وشد المسلمون على الروم وقاتلوهم قتالا مستميتا حتى غلبوهم على أمرهم ، فانهزم الروم ، وطاردهم المسلمون فتحصن الروم بالاسكندرية ، ولكن المسلمين قاتلوهم اشد قتال ونصبوا المجانيق حتى دخلها المسلمون عنوة .



للدكتور محمد أحمد خلف الله

تسع سنوات كاملة وهو فى الاختفاء • لم يرشد اليه احد ولم يدل عليه انسان . وليس يرجع ذلك الى براعته فى التنكر وقدرته على الاختفاء ، وانما يرجع الى جانب ذلك أو قبل ذلك ، الى ان الذين اختفى عندهم ، واظهر لهم حاله ، وكشف لهم عن حقيقة امره ، كانوا من الأوفياء . كانوا من الذين لا ينقضون لأحد عهدا ، ولا يخفرون لانسان ذمة .

وكانت الحكومة قد اعلنت عن مكافأة قدرها ألف جنيه ، الف جنيه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، الف جنيه تساوى اليوم عشرات الالوف من الجنيهات ، رصدتها الدولة لمن يدل على مكان الرجل ويمكن الحكومة من القبض عليه ، ولمن يأتى به حيا او برأسه ميتا . ولم يفد هذا الاعلان الحكومة فى شىء . فلقد التزم الناس جميعا الصمت . وآثر الذين يعلمون مكانه راحته على ازعاجه وعلى الألف جنيه ، وقدروا انهم انما يحمون مجاهدا وطنيا من استبداد الحكومة واضطهاد الاستعمار . ورأوا ان كل محب لوطنه معرض لمثل ما تعرض له الرجل ، وانه لم يفعل الا الواجب الذى يمليه عليه الضمير . الواجب المقدر على كل واحد منهم مهما يكن جنسه ، ومهما يكن دينه . ومن غريب الامر أن الكثيرين ممن آووه ونصروه على الدولة كانوا من موظفى الدولة من العمد والمشايخ ومن الموظفين العموميين بدوائر المراكز .

ولقد تعرض الرجل فى اختفائه لألوان من المفاجئات تغلب عليها جميعها فى براعة نادرة ، وسيطر فيها على الموقف بسيطرته على نفسه ، وسيطرته على الخصوم . وكانت أولى المفاجئات تلك التى جلبها عليه خادمه فلقد فرا معا واختفيا معا ولكن الخادم ضعف واخذ يبكى وينتحب ، وخشى السيد على نفسه من ضعف الخادم فعمد الى الجريدة الرسمية واخذ يقرؤها فى صمت ، وهو يظهر العجب ويضرب كفا بكف ، حتى استرعى انتباه الخادم وفضوله ، وتقدم الخادم يسأل عن الخبر واجاب السيد بأن الحكومة تعلن عن مكافأة قدرها الف جنيه لمن يأتى بالرجل ، وخمسة آلاف جنيه لمن يأتى برأس الخادم ، وخشى الخادم من ساعتئذ على نفسه . وظن أنه مقتول لا محالة ان افتضح أمره وافتضح حاله . فبالغ فى التنكر ، ولازم سيده فى السفر والاقامة . وجعل من نفسه الحارس الامين — على نفسه وعلى سيده •

وكانت ثانية المفاجئات على رصيف محطة طنطا • فقد كان الرجل ينتظر القطار الذى يقله الى كفر الزيات حين التفت حواليه فوجد جماعة من المباحث من المكلفين بأمر القبض عليه فعرفهم وهم له منكرون . وتقدم اليهم فى رباطة جأش ، وتحدث اليهم حديث الولى الصالح الذى يعرف الخفايا وينبىء عما يخبئه القدر . فاطمأنوا اليه ، وقدروا انه من اولياء الله الصالحين ، وحملوا أمتعته الى القطار ، وقبلوا يده ، وطلبوا منه الدعاء•

كان عضوا فى الحزب الوطنى القديم . وكان من زملاء محمد عبده وتلامذة جمال الدين ، وكان خطيب مصر الاول ، وكاتبها السياسى الاول ، قبل وايام الثورة العرابية .

كان يكره أسرة محمد على ولا يحب منها الا محمد سعيد . كان يكره عباسا الاول لانه وضع مقدرات البلاد فى أيدى الخدم ، ممن يلعقون الصحون ويمسحون الاحذية ، حتى مكن لهم وجعلهم سادة وأبناء البلاد هم العبيد — يقول رحمه الله « وكان الحكام فى هذه المدة من الطراز الاول ممن لا يركن اليهم ولا يعول . قانونهم خطرات أوهام لا خواطر الهام . اظهروا الظلم والفحش ، وساروا فى الناس بسيرة الوحش . ماراوا ذا نعمة الا سلبوه ، ولا رابح سلعة الا نهبوه ، ولا سيدا الا حطوا من مقامه ، ولا قارا الا كرهوه فى مقامه . تربوا فى خدمة الباب لا فى مدرسة الآداب . فهم بين سفرجى وتتونجى ، وابريقجى ومحرمجى ، يتبعهم محاسيب العادة كابن الكيخية وابن الدادة . وأبناء البلاد فى زوايا الاعمال لم يدخل واحد منهم بين الرجال — اللهم الا فى خدمة صغيرة ، ومهنة حقيرة . وكلهم يمقت الفلاح ويرى أن لا ذنب عليه فى قتله ولا جناح . فانهم يعتقدون انه فى الاسترقاق ، وأنهم يملكون بالاستحقاق • وأن ما بيده من الأطيان انما هو فضل منهم واحسان . فكنت لا ترى الا مخشب اليدين او مقيد الرجلين ، او طريحا تحت الكرباج ، او مسجونا عادم الابتهاج . . . وبهذا العدوان خرج صالح الاطيان وانتقل من ملك الاعيان بلا اثمان الى القسم المسمى بالذوات وذوى الهيئات • واصبح الفلاح أجيرا لا يملك نقيرا • » .

وكان يكره اسماعيل لجره الخراب الى البلاد .

يقول رحمه الله « هذا والخديوى غارق في لذاته سائر خلف شهواته لا يرفع الا الأراذل ولا يقرب الا الاسافل. ثم حمله الجشع على زيادة الطمع فاستعمل عكوش ، وعمر لطفي ، وسلطان ، لاكراه الاهالى على تسليم الاطيان فاغتصبوا له تفاتيش المنيا ، والروضة ، ومغاغة وغيرها مما اخذوه بلا ثمن واسكنوا اصحابه الاطلال والدمن .

ثم استعمل حسن راسم على الاقاليم البحرية ليتمم الخراب ويعمم الرزية . واستخلص له تفاتيش الصافية ، والشباسات ، وبلقاس ، وبيله ، وبشبيش وغير ذلك من التفاتيش — والعربون السلب وبقية الثمن الضرب . وخصص قسما منها لنفسه ، وقسما لوالدته ؛ وقسما لعرسه ، وقسما لابنائه وبناته . وقسما لمثيرات لذاته .

ثم اخذ في بناء السرايات وحشوها بالمحسنات فبنى سرايات الجيزه ، والجزيرة ، وعابدين ، والاسماعيلية ، وغير ذلك ....

ثم اخذ يبيع الرتب بيع القماش الى الأوغاد والأوباش ، ويستعملهم في الأحكام وهم لا يعرفون ما خطت الأقلام .

كل هذا ومعدة ظلمه تهضم الحديد ، وجهنم اطماعه تقول هل من مزيد ... »

وكان يكره الخديوى « توفيق » لاعتماده على الاجانب في الصغيرة والكبيرة ، ولجلبه الخزى والعار للشعب المصرى ، ولموقفه من الضباط المواطنين موقفه الذى ادى الى الثورة العرابية ، وادى الى جلب الاستعمار . يقول رحمه الله « ولما خلع وتولى توفيق ابتدأ الخلط والتلفيق فانفتح باب الحصن الحريز لفرنسا والانكليز ... ثم اخذ في حشو الدواوين بالافرنج والمتفرنجين فاستقدمهم رعاة حاشية واستخدمهم بطانة وحاشية . فان ليم على ذلك قال : ما في مصر رجال بل كل اهلها جهلة خانة لا يعرفون الا الديانة » .

* * *

وكان يكره الانجليز لاحتلالهم البلاد . ويدعو المواطنين لمقاومتهم بكل سلاح، ويتخذ من الدين عدة للنضال ، ويرى في الاعتماد على دار الخلافة وسيلة من وسائل النصر ، وفي التشنيع على المنافقين المارقين تخفيفا من الم الهزيمة . ولقد صور هؤلاء فابدع حين قال « عندما دخل العدوان وتربع الطغام في الديوان ، تجملوا بالثياب ، وبرموا الاشناب ، وانتفخوا بنفس الغير ، وتهتوا بصوت الحمير . وجردوا سيوفهم التى ما سلت ، وحركوا ايديهم التى قد غلت . وقابلوا الانكليز بالولائم وتقربوا اليهم بالجرائم . وقدم لهم المنافقون النفائس وصلت لهم النصارى في الكنائس . وتلقوهم بالموسيقى والمغانى وتراقصوا معهم بالغوانى — كأنهم الظافرون بالانكليز او انهم من غير الوطن العزيز »

ومن خير ما قال شعرا في هذه المعارك الوطنية ما قاله في محمد باشا سلطان الذى عده من اكبر الخائنين للامة وللوطن .

زعيم اصله هى بن بى
وضيع قد تناهى في الخساسه
جهول مظلم الافكار قدم
تربى من صباه في النجاسه
اضاع الدين والدنيا جميعا
بجهل عندما استلم الرياسه
وباع الناس للأعدا بنقد
واذهب من بنى مصر الحماسه
فمن يرجو صلاحا في ديار
بها الخنزير ينظر في السياسه

كان من الرواد الاوائل في العمل السياسى التحق بالحزب الوطنى منذ نشأته ولعله كان من الاعضاء المؤسسين . وكان كاتب مصر السياسى الاول ، وخطيبها السياسى الاول في النصف الثانى من القرن التاسع عشر . كان معاصرا لجمال الدين ومحمد عبده وعمل معهما وجرى على اسلوبها في تربية النشء تربية وطنية ، وفي ايقاظ العقل العربى عن طريق الجدل والحوار في المعانى السياسية . كان يعلم الطلاب في الاسكندرية التى اتخذها مقرا لعمله الخطابة والكتابة في المعانى السياسية . وكان يؤلف الروايات في الموضوعات القومية ويكلف الطلاب بتمثيلها ، ويدعو الاهالى لمشاهدتها رجاء ان تنفذ المعانى السياسية الى قلوبهم وعقولهم . الف رواية الوطن التى كانت دعوة صريحة للاصلاح الاجتماعى والوحدة القومية ، التى هاجم فيها تفكك المجتمع وعدم اهتمام الطبقة العليا بالطبقات الاخرى . والف رواية العرب التى كانت دعوة صريحة للقيم الانسانية التى تجعل الحياة الاجتماعية في ترابط وتماسك ينعكس اثرها على الامة مثل الشهامة والمروءة والايثار .

ثم كان من رجال الثورة العرابية . كان من اكبر الداعين لها وقد رصد قلمه ولسانه للدعوة لها وحمايتها وكان الى جانب زعيمها احمد عرابى في كل موقف حتى في المعارك الحربية في ميادين القتال ،

وحين انهزم العرابيون وقبض على الكثيرين منهم وقدموا الى المحاكمة تنكر هو فى أزياء مختلفة وتمكن من الهرب ثم من الاختفاء الى ان تم العفو عنه بعد تسع سنوات ونفى الى الى يافا مرة ثم مرة

ولد صاحبنا فى الاسكندرية عام ١٨٤٢ من والدين مهاجرين نزحا من اقليم الشرقية للاسكندرية . كان الاب يعمل نجارا فى بناء السفن ثم عمل خبازا فى مخبز أنشاه لنفسه .

تعلم صاحبنا كما كان يتعلم ابناء الفقراء فى ذلك الحين . حفظ القرآن الكريم وتلقى بعض الدروس الدينية على المشايخ فى مسجد الشيخ ابراهيم باشا . ثم تعلم صناعة التلغراف ليكسب منها مايقيم به الأود .

لكنه وهو صاحب الموهبة الفنية لم يثبت على حال أو يستقر على وضع وانما عالج اكثر من حرفة وشغل اكثر من وظيفة الى ان جرفته السياسة بتيارها فأخلص لحزبه ـ الحزب الوطنى القديم ـ ولمبادئه . واخلص للثورة العرابية التى كانت ثمرة من ثمرات هذا الحزب ، وعانى فى سبيلها ما عانى

وفى أخريات أيامه فعلوا به مافعلوه بالسيد جمال الدين الافغانى سجن فى قفص من ذهب فى دار الخلافة . وظل هناك الى ان توفاه الله فى الرابع من جمادى الاولى سنة ١٣١٤ هجرية ، ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش .

ويعلق الاستاذ احمد باشا تيمور على خبر وفاة هذا الرجل بقوله « ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الاحوال بالمترجم وماذاقه من حلو الزمان ومره وقاساه مدة الاختفاء ثم النفى حتى مات غريبا طريدا حق له العجب وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه .

نشأ المترجم فقيرا كما قدمنا وعاش فى قلة فان اصاب شيئا بدده بالاسراف ، وكان فى أول امره يرتدى الثياب الافرنجية المعلومة فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان واعتم بعمامة خضراء اشارة الى الشرف .

وكان شهى الحديث حلو الفكاهة ، اذا أوجز ود المحدث انه لم يوجز ، لقيته مرة فى آخر اقاماته بمصر فرايت رجلا فى ذكاء اياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ .

اما شعره فاقل من نثره . ونثره اقل من لسانه . ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا » .

رحم الله هذا الرجل . رحم الله السيد عبد الله نديم .

د. محمد أحمد خلف الله

مع الثورة الرابعة الدينية

للأستاذ محمود على قراعة

يطالب أستاذنا « أحمد حسن الزيات » بثورة رابعة دينية . ويقول : ان الوازع الدينى قد ضعف فى نفس المسلم ، لأن نور الاسلام قد انكفأ فى قلبه، وانطفأ فى ضميره . فلم يعد اسلامه اسلام الصدر الأول . الذى فتح الدنيا فى عهده . وأضوى العالم الى كنفه ، وانما أصبح خليطا عجيبا من العقيدة السالفة والصوفية الزائفة والأساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة ، يوهم معتقديه أن الاسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وان ما هم عليه من رتق العقيدة وظلام الفكر وخدر الشعور ، انما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة ! ثم لايعدمون أن يجدوا مصدقا لما يتوهمون فى بعض مايسمعون أو يقرأون من الاحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والآراء الملفقة ، فان من محن الاسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه ، أن امتزجت به كل نحلة وسرت اليه كل علة ، وتراءت فيه كل حالة ، فكل امرىء واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه : **فالثورة الدينية هى تحرير العقل من الاقتداء العاجز والمتابعة المسلمة ، وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة ، وتطوير الفقه فى حدود ما انزل الله وبلغ الرسول ، ليطابق مقتضيات العصر ، ويجابه مشكلات الحضارة ، ثم عرض هذا الاسلام الصادق الصافى ، على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم .**

ومن قبل الزيات قال صديقه أستاذنا المرحوم « أحمد أمين » : ان جناية أهل كل دين أن يبتعدوا ـ كلما تقدم بهم الزمان ـ عن روحه ويحتفظوا بشكله ، وأن يقلبوا الأوضاع ويعكسوا التقدير ، فلا يكون للروح قيمة ويكون للشكل كل القيمة ، وقد صدق من قال : ان هذا الدين لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله » . وهل كان أوله الا دين روح ، وهل كان آخره الا دين صناعة ! . . ويسترسل . . . ثم يقول : « لا اله الا الله » فى الدين الحق تزلزل الجبال . هى كل شىء . **هى ثورة على عبادة المال ، وثورة على عبادة السلطان .**

وثورة على عبادة الجاه ، وثورة على عبادة الشهوات ، وثورة على كل معبود غير الله .. ثم يحدثنا عن الدين الصناعى فيقول : الدين الصناعى يحمل صاحبه على أن يحيا به ويتاجر به ويحتال به ، وعلى أن يلوى الدين ليخدم السلطان ويخدم السياسة ، هو نحو وصرف واعراب وكلام وتأويل، هو عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام! (الشهادة) فيه اعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه (حاشية) وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه ! هو تحسين علاقة صاحبه بالانسان واستدرار رزق : وكسب جاه أو تحصيل مغنم أو دفع مغرم ! هو صناعة كصناعة التجارة والحياكة ، يمهر فيها الماهر بالحذق والمران ! هو دين حركات وسكنات وألفاظ ولا شىء وراء ذلك ! الصلاة فيه ألعاب رياضية ، والحج حركة آلية ورحلة بدنية ، والمظاهر الدينية أعمال مسرحية أو أشكال بهلوانية! (لا اله الا الله) فيه قول جميل ولا مدلول له ، فتذهب مع الريح » !

وبذا ترى (الزيات) يريد بالثورة الدينية تحرير العقل من الاقتداء العاجز وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة وتطوير الفقه فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، ثم عرض هذا الاسلام الصافى فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم ! وبذا نصل الى ما يريده (أحمد أمين) من هذه الثورة الدينية من ثورة على عبادة المال وثورة على عبادة السلطان وثورة على عبادة الجاه وثورة على عبادة الشهوات وثورة على كل معبود (غير الله) ، لنصل الى الاسلام الحق الذى يريده الله لنا والذى به أنزل قرآنه وأرسل رسوله !

وانى آمل فى قوة من أعماق قلبى أن تقوم الجامعات المصرية بما فيها الأزهر الشريف بنصيبها فى خدمة الشريعة الاسلامية ! ونصيبها أن يعقد مؤتمر تمهيدى لتلخيص كتب الفقهاء الضخمة ، تلخيصا لا يذهب اللب ، ويقضى على الحشو الممل الذى يعقد عبارتهم ويجعلها لغزا صعب الحل دقيقه، وكذلك يجب أن يعمل فى كتب الفلسفة الاسلامية. وآمل فى قوة من أعماق قلبى تخليص كتبنا الدينية من المبادىء الكاذبة والأحاديث الموضوعة مثل « المؤمن مصاب » و « الفقير فى الدنيا غنى فى الآخرة » و « أكثر سكان الجنة البله » و « الرزق كالظل ان سعيت وراءه يهرب منك وان تركته تبعك » وغير ذلك من مثبطات الهمم عن السعى ، وأحاديث الارز والباذنجان ونحوهما التى لا تليق الا بفقهاء الريف ، و «من أكل لقمة من الغائط غفر له» التى يستنكرها حتى الاطفال ، «ومن صلى كذا فله كذا فى الجنة سبعون دارا فى كل دار سبعون ألف بيت » وما بها من ركيك اللفظ وسخيف المعنى ، وكالتخرص على الكلام فى القرآن والسنة العربية مع العزوف عن علم اللغة الذى يفهم عن الله ورسوله، وكالانحراف عن الأصول الواضحة الى اتباع المتشابهات التى للعقول فيها مواقف وطلب الأخذ بها تأويلا ، وكالانحراف فى تحريف الأدلة عن مواضعها ، وتغالى البعض فى احترام شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه وأخذوا الأحكام عنهم ، وكاستنادهم فى أخذ الاعمال الى المقامات واقبالهم واعراضهم بسببها وقولهم رأينا فلانا الرجل الصالح ورأينا النبى فقال لنا اتركوا كذا واعملوا بكذا — كما يقول الشاطبى فى الاعتصام وكاعتماد الزائغين على الاحاديث الواهية والمكذوب فيها على رسول الله كحديث الاكتحال يوم عاشوراء واكرام الديك الابيض وأكل الباذنجان بنيته وكالافك فى التفسير وجعلهم للقرآن تفسيرين ، أحدهما باطنى والآخر ظاهرى ، وكالافتراء على الرسول بقولهم : « ان المسلمين الاوائل كانوا اذا بصق يلتزمون بصاقه ، واذا توضأ يلتزمون وضوءه مع أنه غير صحيح ، ولانه لو كان صحيحا صدوره منهم ، فليس بالصحيح أن النبى كان يقبله منهم ، لان الماء فى فم النبى طاهر ما كان فى فيه الشريف ، ولكنه اذا خرج منه ، كان كأى خارج ، لانه بخروجه من فيه ، ينفصل عنه ، أما الوضوء فتطهير، ولايكون التطهير الا من حدث ومن نجاسة!. وكاستمرارهم بالقسم على الله بالفاظ غير مفهومة، تعيدهم الى الوثنية كقولهم ، « بحق طهور به عن سقناطيس احوسة قاف آدم حم هاء آمين » .

وبعد فارجو أن يوفقنى الله تعالى الى أن أقف وقفات ثورية مع الثورة الرابعة الدينية ، على صفحات الرسالة الغراء ، لاخدم الاسلام والمسلمين والله الموفق والمعين .

محمود على قراعة

في التوازن الاجتماعي

للدكتور أحمد كمال زكي

تتعرض اليوم قيمنا الاجتماعية لموجة عاتيـة من النقد ، فقد القي فى الروع أن كثيرا منها يقف فى سبيل تطورنا ، ويعوق خط السير المبتغى ، والواقع أن مجتمعا تنهار فيه قيمه على ذلك النحو ، لا يمكن الا أن يكون تافها ، وليس من جدوى فى أن يعيش كما ينبغى أن يعيش .

ان كل الاذهان التى تستوعب جوانب الحيـاه لا شـك تقـدر علمية التفـكير الى جانب روحانية التبصر ، بل هى تتأثر بسحر الخيال قدر ما تأخذها تجربة العلم . وكلتا الطاقتين تأكيد مباشر لحقيقة واحدة ، هى أننا نكتشف العالم بشتى الأساليب !

واذا كان بعض المتفلسفين قد اختاروا احد مظهرى حياتنا مقيمين حواجز بين المادية والروحية ، فان التجربة أثبتت عقم ذلك الاختيار . وها هو ذا واحد من فلاسفة الغرب المحدثين – وهو اميل برييه – ينادى قبل أن يموت بضرورة التوازن بين العلم والحياة الروحية . وبندائه هذا يمكن أن نقضى على النزعة المادية التى ترصد للحياة فى قوانين جامدة ، والتى ترفض القاعدة التى تقرر أن للنشاط الروحى دخلا كبيرا فى تكييف وضعنا الانسـانى .

ومع ذلك فيجب ان نعترف بادىء ذى بدء بأن فى امكان عبارة « نشاط روحى » أن تثير نوعا من الشك او القلق على أقل تقدير . ولكن الحقيقة أن هذه الطاقة قابلة لأن يدركها الفهم السليم ، لانها قطاع من التاريخ ولانها جزء من الواقع ، وهى بعد دخلا كبيرا فى تكييف وضعنا الانسانى .

والا فكم يكون باردا ذلك العالم الذى لا تطلع فيه شمس الروح !

***

وقد يسأل قارىء : كيف يمـكن أن يتم التوازن والكثرة تؤمن بتطفل الروح على العالم ، وعلى فرض التسليم بوجود تلك الكثرة فاننا نجيب بأسئلة مختلفة نطرحها : أليست المجتمعات المادية تسلم بحقيقة الفن كطاقة تفسر الحياة تفسيرا وجدانيا ؟ وكيف هذا والفن روحانية واضحة ؟ أفتقبله وترفض غيره ؟ فان قبلته فكيف تقتطعه من جذوره وهـذه كان يرعاها الدين ؟

هانحن أولاء قد وصلنا الى الجزء التاريخى من القضية . وليس هذا معناه الا أن تطور الفن كان جزءا من تطور العقيدة !

ان علماء الأنثروبولوجيا يرتدون بالأسطورة الى طقوسيات الدين ، فقد كان الرجل البدائى يتقرب الى معبوده فى حركات معينة – بعضها كان رقصا – يصحبها كلام ، وهذا الكلام هو الأسطورة فى معناها الأول . فالأسطورة فى اللغة هى الحديث الذى لا أصل له ، او الأقاويل المنمقة المزخرفة . وما أشبه هذه الاقوال بأسجاع الكهان عند العرب مما نحار فى تأويله . وكانت هذه الاسجاع تلقى فى مجـالات الغيب او التنبؤ او استمطار السـماء او شفاء المريض، وكان يصحبها لون من التمثيل أو الاشارات أو شىء نحو ذلك .

فريزر عالم الأنثروبولوجيا ولويس سبنس الذى ينقل عنـه وهربرت ريد وغيرهم – ممن اشتغلوا بالانسان وفنه – يرون من الخطأ ابعاد الدين عن الفن اذا أرخنـا للبشرية جميعـا . ومنـذ نظمت عقائدها وأرسل الله رسله ثم تهدر روح الفن ، وكل ماحدث أن العقيدة استبعدت كل ما دل على وثنية .

***

لقد استطاع الفن السومرى آكادى مثلا – فى اقليم العراق – أن يصور الحالة القلقة التى اضطربت فيهـا العقيدة قبل أن تهتـدى ، وكشف عن فهمـه الحدسى فى أثناء عمليات التدبر والتأمل . وكذلك نقرأ فى التراث البابلى شعرا دينيا يصور بدقة الخير والشر ، ويقفنـا على البلبلة الاعتقادية التى عاشـها الاقليم قبل اليهودية فى عصور الطقوس والانفعال . وكذلك كان للبوذية أثر فى تشكيل الفن الشرقى، واتخذته واسطة للاتصال بالقدرة الالهية الكامنة فى الاشياء !

وعنـد المصريين القدماء نرى امتزاج الفنـان بالكاهن ، فالدين الفرعونى يؤثر تأثيرا بعيد المدى فى الانتاج الفنى ، ويكيفه ، ويحوطه بسياج قوى ليمثل فكرة الخلود خلاصة فلسفة المصريين القدماء. حتى ضخامة التمثال المنحوت وخامته كانتا من أجل تحقيق هذه الفلسفة ، فى حين كان الرقص احـدى شعائر العبـادة ، يؤدى فى المعبـد على ايقاعات مقدسة .

وهكذا نقتنع ـ تاريخيا ـ بسمو الروح ، حتى فى وثنيات الاغريق . بل نحن اذا أشرنا الى الديانة اليونانية وصلاتها بالفن بدت أمامنا سبل شتى لمناقشة الفن المسيحى فى أبعاد هائلة . ولكن يبدو أن الدين والفن كانا دائما فى حالة توازن طوال العصر الهيلينى ، ولذلك يهتم أغلب الدارسين ببحث الاتجاه الدينى عند الاغريق منذ كان مجرد طقوس الى أن اصبح فلسفة متكاملة .

***

وكما ثبت استعانة العقائد القديمة بالفن ، فليس شك فى وجود تصور غيبى جمالى قابل لان تدركه البشرية دائما . وهو موجود فى الاسلام وجوده فى المسيحية واليهودية . ولكن بعضنا يرى فى تصوير الاسلام داخل أى نمط فنى شيئا لا يتفق وطبيعته، بل يعتبرونه الدين الوحيد الذى يرفض أن يرتبط به فن تشكيلى ما .

ألم يحارب الصور ؟

والتساؤل تتبعه بتساؤل آخر هو : والمسيحية الم تحطم التماثيل المقدسة وتقضى على صور الصالحين فى احدى فترات تاريخها ؟

* * *

لا نريد أن نتتبع سير القضية على هذا النحو . فسنجد ألف قائل يقول ان هـذه الحركة سامية والسامية ترفض الصور والأوثان ، ثم سنجد فى الجانب الآخر من يقول ان اليهودية كانت توصى دائما بقولها « لا تصنع تمثالا منحوتا » ، وشبيه هذا عرض القرآن لسواع وود ويغوث ويعوق ونسر .. انها تماثيل القـديسين الذين أحبهم القوم ، ثم غدا حبهم لها عبادة !

اذن قضية الحرب الدينية للصور لا تدين الفن، بل قد تدل على أن الفن يصبح موضع ريبة ما تدخل فى الانحراف بالعقيدة السـايمة .

* * *

لقد كان الرسول عليه السلام يقبل أنماط الفن الأخرى وهو مشغول بدعوته .. يسمع الى الغناء فى بيته ودق الدفوف،ويدعو اليه الشعراء ويكافئهم، ويقول « ان الله جميل يحب الجمال » ثم يتلو على الناس من قوله تعالى فى الابل « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

فهو يدعو الى فن عف ، وهو يريد أن يتوسل به لتطهير المستوى المشبوه للمجتمع . ولم تكن الخطة التى رسمها ـ عليه السلام ـ هى التى شـكلت حركة العداء للفن ، وانما نزمت الفقهاء هو الذى خلق ذلك العداء ، حتى لقد كتب بعضهم ـ خطأ ـ فى تحريم الشعر عندما قرأ قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغـاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » ثم سكت دون أن يعقب بالاستثناء الذى يحدد طائفة دون طائفة « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

والشـعر فن .. بل أكبر الفنون ، ولم يحـرمه القرآن على وجه الاطلاق !

* * *

واقع العقيدة اذن لا يرفض الفنون ، أعنى أن وجود العقيدة مرتبطة بالفن هو مايمكن ان يـكون قاعدة للتوازن الذى دعا الى مثله اميل بريبه . وهو يمكن ان يـكون نواة لأعمال رائعة ، فلا نقول مع هيجـل قط ان أيام الفـن الاغريقى الجميلة قد انقضت .

***

اجل لا نقول ذلك .. والا فلنعد الآن ـ وعلى ضوء ما قدمنـا ـ الى مختلف مجتمعـات العـالم أيا كان لونها ، أفلا نرى عودة الى الايمان بقيم الدين ؟ وهـذا التكريم الذى يلقاه فنـانو العقيدة كصمويل بيكيت واليوت وغيرهما ، ألا يدل على أن روحانية الايمان الممتزجة بالفن لا تزال تعيش ؟ ان هذا لهو جوهر التوازن الاجتماعى المنشود .

دكتور ـ احمد كمال زكى

إلى النيل

بمناسبة الاحتفال الأخير بوفائه

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

منذ آلاف السنين يانيل ونحن نجعل من فيضانك عيدا (وبوم زينة) عيدا يقترن فى أذهاننا بمعان كثيرة أجلاها الوفاء وفاؤك لمصر ووفاؤنا لك . تعطى ونشكر ، وتجزل ونذكر ، وتجود فيزيد فى مصر كل حى ويغتنى .. وتخلد سجلات البشائر يانيل كرمك فى الصحائف وترفع للفرح رايات وتستيقظ القاهرة على صوت المنادى ومن حوله الصبيان يجوبون الأزقة والطرقات مبتهجين يهللون : البحر زاد عوف الله .

انك أنت البحر كما دعاك القرآن . البحر الطاهر كما يقسم أهلونا فى الريف .. هناك حيث يحسم كل خلاف اذا ألقى بين الحاضرين القسم العظيم « وحياة البحر الطاهر » .

هل معنى الاحتفال الاخير أن يختفى من لغتنا الريفية هذه الاصطلاحات الدافئة (أكل بحر) و (طرح بحر) .

كان العظيم القادم من قلب افريقيا فى صولته الجبارة يتدفع جياشا زاخرا هادرا طامى العباب وهو فى تدفقه الحر يفعل ما يشاء كملك مطاع أو غاز مظفر فيكتسح أرضا ويغيبها فلا يعترض أحد بل نسلم له ونسمى صنيعه (أكل بحر) حتى الحاكم يذعن ايضا مثلنا فلا يجبى عليها خراجا .

وككل بطل تقابل ناحية القوة فيه ناحية رقة مذهلة قد تغيب عن الناس .. قد يحجبها مظهر القوة ولكنه لايلغيها وهكذا أنت يانيل الرحيم الجبار زارتك تهول وبسمتك تروع وتأسر ، فاذا طامنت من جريك ، وتهاديت فى سيرك علت ابتسامتك الربى فتزهر وتغدو جنات خضرا وجزائر تدعوها (طرح بحر) .. كم طرحت وكم منحت ياوهاب .

كان العظيم القادم من جنوب افريقيا يدخل قلب مصر ويتملكه فيسرى حبه فى كل مكان ويترقرق فى كل نفس فاذا استوثق من أمره استبد كطبع المعشوق المرموق فندعه يفعل مايريد ثم تمضى يد الصقل وراءه تهذب المجرى هنا وهناك ونحن معه فى كل الحالات نتنسم رضاه ونحذر غضبه ونرقب خطوه ويظل نبضنا معلقا به يرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه فعلى ضوء «المقياس» تقدر الأرزاق وبحسب حساب الاموال فاذا تجاوز المدى فى فيضه تعلقت الانفاس واضطرب الناس وتعاون الكل على دره الخطر ، وفلاحونا يسمون السخرة فى سبيله (العونه) . والنشيد الفرعونى للنيل يقول ان الفيضان العالى (يستوى عنده الناس غنيهم وفقيرهم ويتكاتف كل مع الآخر بآلاته وما من أحد الا وقد تجرد من ثيابه ولا يستثنى من العرى أولاد النبلاء) .

وهو فى كل حالاته يشيع فينا جوا نفسيا ترتاح اليه من طول ماألفناه على مر السنين لانه يجدد علاقتنا به ويحيى تاريخنا معه ويؤكد نعمته اذا احتاج الشعور بالنعمة الى تأكيد .

ترى هل آذن هذا كله بانتهاء فيصبح النهر العظيم مجرى رتيبا وتغدو أيامنا مثله رتيبة لايلونها احتفال او انتظار أو توال أو انفعال .. ! لماذا لايستمر الاحتفال بالنيل من أجل هذه المعانى التى أعرقت فى القدم حتى غدت جزءا منا فعيد الفيضان عند الفراعنة وعيد الغطاس وعيد الشهيد فى العصر القبطى وكسر الخليج فى العصر الاسلامى وعيد وفاء النيل فى العصر الحديث .. لم ينقطع الاحتفال بالنيل بل اتصل آلاف السنين وتعددت مظاهره .

ان الاحتفال بالنيل عيد تقليدى انه عادة متأصلة فينا . لماذا يستثنى احتفال وفاء النيل ، السنا نحتفل بشم النسيم ؟ السنا نحتفل بمناسبات كثيرة ليس أدناها أقرب الى نفوسنا من النيل ؟ ألا يكون وفاء النيل وفاء الا اذا بلغ القاهرة ؟ فاذا ادخرناه وراء السد جحدناه ؟ ان النيل هو هو بعد السد كما كان قبله ، بل انى أحسبه اليوم أبعد اثرا فى حياتنا وأوسع احسانا .

كم الهمت يانيل القصيد ، وكم غنت لك الاناشيد وكم طافت بك المنى ، وكم اقيمت من أجلك الصلوات .. صلوات الشكر والوفاء ، وصلوات الاستسقاء وصلوات الدعاء .

حشد كبير من قصص تاريخك معنا وتاريخنا

معك يملأ على نفسى اليوم فى عيد فيضـانك الذى يقال انه الاخير فلا أصدق ولا أريد ٠٠ ان السـد العالى سيكسب نظرتنا اليك طابع العلم والسببية ولكن السد مهما علا يستطيع أن يحجز بعض مائك ولكنه لايستطيع أن يحجب بعض عاطفتنا نحـوك فانت بعده كما كنت أبدا صاحب النعمة مهمـا تنوعت مظاهر تعددت أسماء .

حضاراتنا المـاضية عبر تاريخك من صنعك وحضارتنا المستقبلة التى يبشر بها السد الواعد من صنعك أيضا ٠

يقولون ، صادقين ، ان الصناعـة تغير المجتمع وتكيف القيم والمفاهيم ولكن الصـناعة التى تأتى وراءها السد من صنعك أيضا لان السد يستمد منك فانت أنت فى مصر قديما وحـديثا صاحب الزراعة وصـاحب الصناعة وصـاحب العلم والفن والخلق والعادات والتقاليد ٠ صـاحب كل شىء فى مصر ٠ صاحب الحياة ٠

ان احتفلنا بوفائك أم لم نحتفـل فان معنى الاحتفال قائم فى قلوبنا كسائر معانيك ، انالفلاحة المصرية لم تشهد احتفالات القاهرة ، ولكنها حين تحس آلام الوضع تهرع اليك لتنال قبضة من الحما وتبتلعها أثناء الولادة ، لتهنأ بوضع سعيد ٠

فاذا رأى وليدها النور جمعت له من غـلاتك سبعة أصنـاف فى كيس يعلق على ثوبه من أثر تيمنها بك وكأنها تحصن حياته الجديدة بالخصب والخير من صنعك ٠

احتفلنا أم لم نحتفل بوفائك ياواهب الخـيرات ستظل الامهات المصريات فى الريف يتجهن اليـك كما يتجهن الى طبيب لايخيب له دواء ، وكيف وقد لقن صغارا أغرارا أنك اكسير الحياة ٠٠ يحملن مخلصات فلذات اكبادهن اليك ليلقوا فيك ماتسره اليهم الوالدات تبركا بك ، وتيمنا باقبالك الدائم أملا فى أن تشفى من الاكباد الساعية اليك، المريض وتبرىء المعتل ، وتسمن النحيف ! وهـكذا اذا تغلغل الحب فى القلب تحول الى عقيـدة تتجمع حـولها مع الزمن الخرافات ولكن هـذه الخرافات بعينها تزيد قلبى حنوا عليك ٠ فما كنا لنتعلق هذا التعليق بغير جدير بالحب أثير .

احتفلنا ام لم نحتفل بك سيتصـل الغناءالشعبى لك والمواويل يانيل يابو سيابيل ٠

احتفلنا أم لم نحتفل بك ياصاحب النعمـة ياصانع الجنة التى يدعوها الناس مصر ، سـيظل اهلونا فى الريف يعتقدون ان لك يوما فى السنة تنام فيه والسعيد من يحظى منك برشفة اثنـاء نومك ، ففيها روح من قوة ، ونفحة من حياة ، ولمحة من جبروت ٠

احتفلنا ام لم نحتفل بك سـيظل أهلونا فى الصعيد يرددون ولا يملون وهل ذكرك يمـل ؟ : فلان يمسح الريال بفركة من أصابعه ٠٠ وتسألهم كيف ؟ فيقولون عن ايمان ٠٠ انه قد مسه عرق الصبا ، لاعتقادهم انه فى ليلة القدر يقف الماء فيك يانيل لحظة ، فمن يشرب منه فى هذه اللحظة يمسه عرق الصبا ٠ وهو كما ترى ، امتداد لاعتقاد مصر القديمة فيك ٠

احتفلنا أم لم نحتفل بك سيظل القصص الشعبى يدور حولك ويطوف ، وهل تنسى قصة صندل مع ورد ؟ أو قصة حسن ونعيمة ؟ ان الفنان الشعبى يجعلك (صـاحب الامر) فى كل شىء ، فانت فى نظره يانيل ترى وتسمع وتحكم وتكيف الأحـداث وتضطلع فى الوادى بمطالب الحياة والروح٠٠ انت لاتقوت فحسب ولكنك أيضا تصـل الغريب ٠٠ وترد الغريق ٠٠ وتقرب البعيد ٠٠ وتزف العريس وتبارك المولود ٠

احتفلنا أم لم نحتفل بك سيظل الشعب المصرى يحتفل فى امبابه بمولد الشيخ اسماعيل الامبابى فى العاشر من بؤونه وهو اليوم الذى اعتبر قـدماء المصريين أن دمعة ايزيس نزلت فى ذلك الوقت ، وذلك المكان فى نهر اوزوريس أى النيل ٠ وكمـا كان عيد ايزيس فى زورق فان مظهر الاحتفال بمولد الامبـابى ، كما تعرف يانيـل ، السـباحة فيك (بالفلوكه) والزوارق البخارية ٠

ولامر ما يسعى كل من يحجون الى زاوية سيدى اسماعيل الامبابىالى شواطئك يانيل المقابلةللجزيرة حوالى أواخر شهر الفيضان الثانى .

احقا سيطوى يوم العقبة وهو من أيامنا المشهودة؟

أنا لا أنسى ذلك اليوم منذ بضعة أعوام حين كنت أكتب يانيل رسالتي عنك وتعلق قلبي وخاطري (بالعقبة) في يوم احتفالنا بفيضانك وركبت الباخرة (كريم) ورأيت (العقبة) وهي تسير من ساحل روض الفرج باعلامها بين عزف الموسيقى وقصف المدافع ، وخرير الموج تحدوها الزوارق البخارية لتحيتها وكلما أهلت على باخرة نيلية اطلقت صفارتها تحية لها وكلما لاحت لقرية تدافع الاهالي نحو الشاطيء يهللون متواثبين من الفرح ... ورأيت الأيدي المشققة والوجوه التي لفحتها الشمس ... الرجال والنساء يحملن الصغار على أكتافهن بيد ويلوحن بالاخرى .. رأيت سيدة ريفية تنزع خمارها لتلوح به ورأيت رجلا نزع جلبابه ومضى في التلويح حتى ابتعدت بنا (العقبة) عنه .

كان الشاطيء بعيدا نوعا فلم أميز وجوه المواكب الساعية اليك ولكنهم كانوا في خبب يصيحون ويغنون . وكانت العقبة تصفق لهم او معهم فاذا جدت الباخرة في سيرها هرولوا على الشاطيء ليحدوا ركبها وكان يوم الوفاء قد نسج من ضياء وماء ومناديل وأهازيج وزغاريد وهمرجة وزياط وحمائم بيض ورايات خضر وجنود وبنود وموسيقى . في ذلك اليوم يانيل .

رأيت مواكب الأحياء على شاطئيك
ومواكب الموج بين ضفتيك
ومواكب النور في السماء تترسل اليك
ومواكب الشجر والنبت على جانبيك

رأيتك رأيتك .. وساطل أراك ولو كان المنأى عنك بعيدا جد بعيد .

مما يحملنا الهوى لك أفرخ
ستطير عنها وهي عنك تزقّ

تهفو اليهم في التراب قلوبنا
وتكاد فيه بغير عرق تخفق

فاحفظ ودائعك التي استودعتها

أنت الوفي اذا اؤتمنت الاصدق

أنت الوفي يانيل وستظل تقابل وفاءك بوفاء مصريين جديرين بالانتساب اليك ايها العظيم .

نعمات أحمد فؤاد

حديث في النقد

للأستاذ علي متولي صلاح

في احدى روايات الكاتب الفرنسي « مارسيل اي ميه » نجد هذه الاقصوصة الصغيرة : —

« كان هنك رجل سيء الحظ منكود الطالع اسمه (مارتن) انحصرت كل امانيه في امنية واحدة هي ان يكون يوما كاتبا من الكتاب الذين تلمع اسماؤهم ويقرأ الناس لهم ما ينشرون من كتب .

وكان هذا الرجل كلما انتهى من قراءة كتاب من الكتب الجديدة التي يوالي قراءتها بانتظام وباستمرار خيل اليه أن مؤلفه قد سبقه الى ما كان يريد هو ان يقوله وانه عرضه في صورة احسن مما كان يستطيع هو ان يفعل .. فيعود الى اهله صفر اليدين حزينا كاسف البال لعجزه عن ان يكون واحدا من هؤلاء الكتاب .

واتفق يوما ان كان ذلك الرجل جالسا في نفر من اصدقائه يتناجون ويتحاورون ، فمضى هو يتكلم عما يهوى من الكتب وامعن في الحديث ، ولشد ما كانت دهشته عندما احس انه انفرد دون رفاقه بهذه الآراء ، وان احدا منهم لم يدرك ما ادركه ولم يقل شيئا مما قال ، فجعل من نفسه ناقدا ادبيا وفنيا ! »

.. تلك الاقصوصة الصغيرة تثير في النفس أسئلة عديدة حول النقد عندنا : —

هل عندنا نقد منهجي صحيح يقوم على الدرس والتمحيص ويهدف الى الاصلاح والتوجيه ، ويدور حول الجوهر والموضوع ، ويتجرد من الميل والهوى ، وينظر الى المكتوب لا الى الكاتب ، ولا يفرق في الحق بين عدو وصاحب ؟

وهل ارتفع (الناقد) عندنا الى مرتبة (الخالق) الذي يقعد بتوجيهاته القواعد ويؤصل الأصول ؟

وهل يجد ذلك الناقد المنشود — ان هو وجد — لآرائه المكان ، ولقلبه الامان ؟

وقبل أن نجيب عن هـذه الأسئلة التى تتردد فى الخاطر نرجع الى الوراء قليلا لنرى أن « النقد » ظاهرة طبيعية فى الانسان ، منذ كان .

فهؤلاء العرب الاقدمون يقيمون من «سوق عكاظ» محكمة تقوم بالحكومة بين شعرائهم.. ثم هم يصنفون الكتب الكبيرة فى « طبقات الشعراء » وفى « نقد النثر » وفى « نقد الشعر » وغير ذلك مما يدخل فى صميم النقد .

وهؤلاء اليونان الاقدمون ايضا يقيمون المسابقات فى فن التمثيل وتتخذها حكومتهم نظاما رسميا تشرف عليه الدولة وتعهد بالاشراف عليه الى احد قضاتها التسعة الذين كان بيدهم شئون الدولة وتصريف امورها .. وكانت تلك المسابقات تدوم ثلاثة ايام كاملة ، ويستفتى الشعب فيها ويمنح الفائز غصن الزيتون وينقش اسمه على لوحة مصنوعة من الرخام او من المرمر تسمى « لوحة الخالدين » ويتوج راسه باكليل من الغار .

وكان شعراؤهم يكتبون مسرحيات باكملها فى الموازنة بين الشعراء كما فعل « ارستوفانيس » عند ما كتب مسرحية « الضفادع » وعقدها على الموازنة بين شعراء اليونان التراجيديين الثلاثةوهم : سوفوكل واشيل ويور يبيديز وانتهى فيها الى تفضيل اشيل على صاحبيه .. وانه وان تكن « الموازنة » تعتبر فى راى العلم الحديث ليست « نقدا » بالمعنى الكامل ، لان النقد الكامل يقوم على الشرح والعرض والتفسير والتعليل ولا يكتفى بالموازنة الفجة بين عملين أو كاتبين ، الا انه نقد على كل حال .

بل كان شعراء الكوميديا اليونانيون فى القرن الخامس قبل الميلاد يسخرون من كل وجوه الحياة التى تحيط بهم وينقدونها نقدا مريرا ، وكان نقد الادب عندهم موضوعا مطروقا وشائعا منذ ظهورها فى « اثينا » الى آخر القرن الرابع قبل الميلاد .. ونجد لديهم تعبيرات لاتزال حية الى يومنا هذا مثل قولهم « ان هذا شاعر يولد المعانى » او « ان هذه مسرحية قد تراخت اوتارها » او « ارهقت اعصابها » او « ان هذا كاتب يتعمد الابهام والغموض ليقال انه اتى باللغز العجيب! » وهكذا !

كما نجد فى العصور الوسطى — تلك العصور التى تكون خالية من الانتاج الادبى او الفنى الرفيع — نجد رجالا مثل (ديديموس) فى عصر (اوجستوس) قد جمعوا الكتب القديمة وحاولوا ان ينقدوها .

اما فيما تلا ذلك من عصر النهضة والعصور الحديثة فقد اتسع نطاق النقد وساير الفنون جميعا ، وصارت له دراسات اكاديمية مستفيضة ومعاهد خاصة به نفاخر بأن لدينا واحدا منها متخصصا للنقد المسرحى .

اين نحن من النقد ؟

فاين نحن من النقد الصحيح ؟ وماذا يكون الجواب عن تلك الاسئلة التى اشرنا اليها فى صدر حديثنا ؟ اخشى ان اقول عن حالة النقد عندنا ما قاله شارل دى بوس وهو « ان النقد يتارجح بشكل غريب بين خطبة التكريم وبين سجل للأموات واعمالهم »

فالحقيقة ان النقد عندنا يحتاج الى دفعة قوية تدفعه الى الأمام ، والى التغيير الشامل في صورته وفي مضمونه ، وتزيل منه الشوائب والدخلاء والمتسلقين الذين ينقدون كل الفنون ويتناولونها جميعا على طريقة :

فكم رصد الافلاك في مصر اكمه
وكم هز اعواد المنابر ابكم !

نريد ان يزول تماما ذلك النقد « الببغائى » الذى لا يعدو ان يكون صورة مكررة للأثر المنقود !

نريد ان يكون النقد متجها الى الموضوع غير ناظر الى شيء سواه ، وان يرى الناقد بعينه البصيرة الواعية ما لا يراه الناس كانما هو وحى يوحى اليه او كانما تلهمه السماء بما لا تلهم به غيره ثم يطلع هو الناس على ما احس فيزيدهم علما بما راوا او شاهدوا لأن هذا الناقد كما يصفونه هو « المتفرج المثالى » او « القارىء المثالى » .

نريد ان يكون الناقد صديقا للمنقود يذكر حسناته، كما يذكر سيئاته ومعها التوجيه الصحيح والنصيحة الخالصة .

نريد ان تزول تلك الأحكام العامة التى يصدرها بعض الذين يتصدون للنقد دون ذكر الأسباب او « الحيثيات » كما يفعل القاضي فى حكمه ، فلا يقال جزافا ان فلانا « اعظم » كاتب او « اسوا » مؤلف او ما الى ذلك ، نريد ان يهلك من هلك عن بينة وان يحيا من حى عن بينة .

اثر الذات في النقد

وهناك مسألة هامة تثار بين الحين والحين وهي اثر « الذات » فيما يكتب النقاد ، وبخاصة نقاد الفنون ، فالبعض قد يتوهم أن الناقد الفني الذي ينبغي ان يكون امينا ومخلصا في نقده يجب أن يتجرد من ميوله واهوائه وذوقه الخاص ومن تاريخه وثقافته وكل مقومات شخصيته وتفكيره وما يدين به من قيم في الحياة .. وذلك لتكون الاحكام التي تصدر عنه صالحة لكل زمان ومكان اى ان تكون « عالمية » يرضي عنها ويقتنع بها جميع بني البشر !

قد يتوهم البعض ذلك .. ولكنه وهم باطل ، فالتجرد من «الذات» أمر يكاد يدخل في باب المستحيل والذى يحاول هذا التجرد انما ينتحل شخصية اخرى زائفة غير حقيقية !

كما ان مقاييس الجمال لم توزع على بني البشر بصورة واحدة وبنسب متساوية في كل مكان من هذه الارض ! فما يعجب ساكن جنوب افريقيا مثلا ليس لزاما ان ينال اعجاب ساكن القطب الشمالي ، فاين اذن تلك المقاييس العالمية التى يطالبون الناقد ان يتجرد من «ذاته» التي ركبه الله عليها ليقيس الامور بمقتضاها ليكون ناقدا « عالميا » ..

لقد قضي بصفة نهائية منذ القرن الثامن عشر على هذه الخرافة الزائفة ، والبدعة التي تطالب الناقد بخلع جلده الحقيقي ، وتركيب جلد آخر . وقال الناقد الفرنسي الكبير (ديدرو) انك اذا اعطيت مؤلفا لخمسة من النقاد وطلبت الى كل منهم ان يكتب فصلا في نقد هذا المؤلف ، فان ما يقدمون اليك من فصول تعبر عن ذوات هؤلاء النقاد أكثر مما تعبر عن المؤلف المنقود !

وليس وضوح ذاتية الناقد فيما يكتب بمنتقص شيئا من وضوح رؤية الاثر المنقود او بمغير شيئا من الأحكام أو بمنحرف بالناقد الى غير طريق العدل الخالص كما يتوهم بعض قصار النظر .. ولكنه في الحقيقة خصوبة لها ومضاعفة لثمرتها وكسب جديد اضيف اليها ، ذلك ان مثل هذا النقد يكون بمثابة مرآة ذات وجهين تعكس صورة الناقد وصورة المؤلف معا ! وتطلعنا على الصورة والنموذج معا !

فليثبت كل ناقد في مكانه الاصيل ، وليكن هو هو ، وليكف اولئك الذين يصيحون بين حين وآخر يطالبون النقاد أن يتجردوا من ذواتهم ويصطنعوا ذواتا اخرى مجلوبة مكذوبة ..

على متولي صلاح

جامعاتنا

واهمالها الفنون المسرحية

للأستاذ : دريني خشبة

لقد اصبح من المفهومات البديهية الحديثة أن الامة العظيمة هي الأمة التي تملك مسرحا عظيما . وقد كان لي شرف الاشتراك في ترجمة كتاب مسرحي تشرف على ترجمته وزارة التعليم العالي فاذا مؤلف الكتاب يطالب الحكومة الامريكية ببذل المزيد من العناية بشئون المسرح بأوساطه الاربعة : المسرح والسينما والمسرحية الاذاعية والتليفزيونية .. ويطالب الامة الامريكية كلها بمزيد من السخاء على فنون المسرح ، بل بمساواة المسرح بالابحاث الذرية والهيدروجينية وأبحاث الفضاء فيما ينفق على كل منهما !

لماذا ؟

لأن التماس أسباب القوة المادية يجب أن لا يطغى بأي حال من الاحوال على التماس أسباب القوة الروحية والتسامي بالمستوى الانساني بين شعوب الارض جميعا . وواجب الأمم التي ادركت سر الذرة فبلغت بذلك مناط القوة التي لم تحلم بها أمة من الأمم من قبل أن تفكر في قوة روحية هائلة تسيطر بها على هذا الشيطان الجديد المريد الذي اذا أفلت من قمقم القوى الروحية فعلى الارض العفاء .. ولا نقول عليها السلام !

والمسرح في نظر مؤلف هذا الكتاب الثمين هو أعظم أداة لبعث تلك القوى الروحية وتنميتها ، لا في امريكا فقط ، بل في كل امة من أمم العالم .. نووية كانت او غير نووية .

وقد ذكرني هذا الكلام بما كانت تبذله اليونان القديمة من عناية بشئون المسرح ، بل ذكرني بأنها كانت أول امة في التاريخ تساوي بين ما تنفقه على شئون الدولة — التي كانت تنحصر في ذلك الزمن في شئون الجيش والاسطول — وعلى شئون المسرح، فتجعل للجيش والاسطول نصف ميزانيتها ..

وللمسرح بفنونه المختلفة نصفها الآخر ٠٠ وأحسب أن مؤلف الكتاب المذكور لم يكن يقصد أن تفعل أمريكا ما فعلته اليونان من قبل ، لأنه انما طالب بالعدل في القسمة في الذي تنفقه بلاده من مال بين الابحاث الذرية وريادة الفضاء وبين الاوساط المسرحية الاربعة بفنونها المختلفة ٠٠ أما اليونان فكانت تخصص نصف ميزانيتها كلها لهذه الفنون ٠٠ لأن المسرح كان في رأيها الكلية الشاملة الكبرى التي تسهر على تربية اليونانيين وتكون من كل يوناني المواطن الصالح الذي يتلقى مثله العليا في قدس الاقداس الذي هو المسرح ٠٠٠ ولست اقول قدس الاقداس لارفع من شأن المسرح ، أو مبالغة في تقديره ٠٠ لانه كان قدس الاقداس بالفعل ٠٠ نشأ مع الدين وفي رحاب الآلهة ٠٠ وظل مسرحا شعائريا حتى حينما أخذ اسخيلوس يغمز الخرافات التي كانت تستعبد نفوس اليونانيين باسم الآلهة ٠٠ وكان غمزه لهذه الخرافات طليعة لظهور السوفسطائية ثم لظهور أرقى حركة عقلية فلسفية في تاريخ الانسانية ٠ تلك الحركة التي ازدهرت على أيدي سقراط وافلاطون وارستطاليس ٠٠ والتي لا نزال ندرسها الى اليوم ونتتلمذ عليها قبل أن نتتلمذ على أية فلسفة أخرى ، وسيطة أو حديثة ٠

وفي امريكا تعنى كل فروع التربية والتعليم بفنون المسرح وتنشيء المسارح العاملة للهواة وتنفق عليها بسخاء عجيب ٠٠ وها هي ذي موسوعة الآداب العالمية الامريكية تحدثنا عن ذلك فتقول : ان مسرح الهواة الامريكي قد استقر اليوم وثبتت دعائمه بعد ادخال مادة المسرحية علما وعملا في معظم المدارس والمعاهد والكليات والجامعات الامريكية ــ بل أنشئت مسارح المجتمع أيضا والمسارح الصغيرة ثمرة لمسارح الهواة المعهدية والجامعية هذه ٠٠ ولا تمر سنة حتى تقدم تلك المسارح (عشرات الآلاف !) من المسرحيات القيمة الجديدة في طول البلاد وعرضها ٠٠ تقوم بتمثيلها آلاف الفرق الصغيرة والكبيرة في أبهاء الفنادق والمساكن والاعراء ودور الاوبرا ، وفي (الكنائس !) وفي مدرجات المدارس وفي دور التمثيل ٠٠ وتسعون في المائة من معاهد التعليم والتربية ودور العلم عندنا تقدم ــ غير حفلاتها التمثيلية الخاصة ــ حفلة او حفلتين للجمهور كل عام مدرسي ٠٠ وقلما تجد جامعة امريكية أو مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين ألف نسمة ليس لها مسرح هواة قائم عامر بفرقة من الممثلين الهواة ٠٠٠ وكثير مما تقدمه تلك المسارح يفوق فنا واتقانا ما تقدمه مسارح المحترفين في حي برودواي من مسرحيات لا يهم القائمين عليها الا وجه المنفعة والارباح المادية فحسب ٠٠ ومن هنا كان أمل الفن الخالص رهنا بما تقدمه مسارح الجامعات والمعاهد والكليات من فن رفيع ، لأنهم انما ينشدون روح الفن وتخليصه من الشوائب التي يسوق اليها الروح التجاري ٠٠٠ والمسرح التجاري يستمد نجوم ممثليه عادة من مسارح الهواة هذه ٠٠ تلك المسارح التي لا يشرف بالوقوف على خشباتها ، كما لا يشرف بظهور مسرحياته عليها من الكتاب ، ولا يشرف بالقيام على اخراج مسرحياتها او الاشتراك في عملياتها الفنية المختلفة الا من تفوقوا في الدراسات المسرحية في معاهدهم وكلياتهم وجامعاتهم ٠

هذا في أمريكا ٠٠ وهو بعض ما ورثته امريكا عن اوربا التي لا تكاد تجد فيها قرية واحدة ليس لها مسرحها ٠٠ ولا مدرسة ــ ولا نقول كلية أو معهدا او جامعة ــ لم تدخل الدراسات والفنون المسرحية في برامجها علما وعملا ٠

فماذا نجد من ذلك في مصر ؟

معهد واحد للفنون المسرحية كانت الدراسة به مسائية ــ أي نصف وقت ــ ولم تصبح نهارية الا منذ خمس سنوات ! أما جامعاتنا فلم تعترف بفنون المسرح بعد ٠٠ اللهم الا في حدود تكوين فرقة في كل من الكليات النظرية تقوم بتمثيل رواية يخرجها لها مخرج محترف من الخارج نظير مبلغ متواضع جدا اذا كان مبلغا سخيا لم يزد على مائة من الجنيهات ! ٠ أما الدراسات المسرحية وفنون المسرح التي تهتم بها جامعات أوربا وأمريكا كل هذا الاهتمام فانها لاتزال غريبة على جامعاتنا ٠٠٠ ان المسرح وفنون المسرح في نظر المسئولين عن الدراسات الجدية في جامعاتنا ٠٠ ولا سيما في كليات الآداب ٠٠ لاتستحق أن تجد لها قسما مستقلا كما أن لدراسة التاريخ قسما ولدراسة الجغرافيا قسما ولدراسة اللغة العربية واللغات الشرقية قسما ولدراسة الفلسفة قسما وللغة الانجليزية قسما وللفرنسية قسما ٠٠٠ كل أولاء لها اقسام في كليات الآداب المصرية ٠٠ اما المسرح وفنونه التي هي واسطة العقد لدراسات هذه الاقسام كلها فليس لهما قسم بعد .. ونحن ان لم نقض

من قيمة الدراسات التى يتلقاها أبناؤنا فى كليات الآداب جميعها لا نملك الا أن نصارح القائمين بالامر فيها والذين يرسمون خطة التعليم فيها أن الدراسات المسرحية وفنون المسرح اهم بكثير جدا من كثير من هذه الدراسات النظرية التى اصبح ابناؤنا يحملون اجازاتها حلية .. مجرد حلية .. ثم لا يعمل أحد منهم شيئا فى حقل الدراسة التى تخصص فيها .. انهم لا يقبلون حتى فى وظائف التدريس بالمدارس الابتدائية أو الاعدادية أو الثانوية الا اذا عادوا فتلقوا نصيبا من مادتى التربية وعلم النفس يرشحهم لتلك الوظائف .. وكثير منهم تخرجوا فى اقسام مختلفة .. ولما لم يجدوا عملا فى الحقل الذى تخصصوا فيه اضطروا الى الالتحاق بالمعهد العالى للفنون المسرحية وظلوا يتلقون دراساته العملية والنظرية حتى تخرجوا فيه ، وعينوا فى نفس الشهر الذى تخرجوا فيه فى الاوساط المسرحية المختلفة التى كانت تنتظرهم ولاتزال تنتظر المئات بل الآلاف من امثالهم ... ذلك لأن الفنون المسرحية ودراسات المسرح اصبحت تدخل حياتنا وبيوتنا ومنتدياتنا وشوارعنا وحاراتنا وحقولنا وقرانا وكل ناحية من بلادنا ، وكل صقع عربى أو غير عربى تصل اليه اذاعتنا بنوعيها المسموعة والمرئية أو تعرض فيه أفلامنا أو يشهد مسرحياتنا .. تلك المسرحيات التى هى ثمرة دراسات تمشى وتتحرك وتقود الناس وتسرهم وتمتعهم وتعظهم وتهديهم الى مثلهم العليا وتتسامى بأذواقهم وترقق مشاعرهم وتخلق منهم المواطن الصالح .. المواطن الاشتراكى الذى يكره الانانية ويحب الخير للناس بقدر ما يحبه لنفسه .. المواطن الانسان الذى يقاسم لقمته أو ثوبه او مسكنه أخاه المواطن المحتاج راضيا قانعا .. بل يؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة .

ونحن نسأل — فى غير غض للدراسات النظرية فى كليات آدابنا — ماذا من دراسات أقسامها المختلفة يستطيع أن يقوم ولو بقدر قليل مما تقوم به تلك الدراسات والفنون المسرحية ؟

هل يستطيع قسم التاريخ أو قسم الجغرافيا أو قسم الاجتماع او الفلسفة .. او هذه الاقسام كلها مجتمعة ، أن تقوم بما تقوم به دراسات المسرح علما وعملا ؟

ونحن لانبالى اذ نقول ان العلم الذى يتلقاه أبناؤنا فى معظم أقسام كليات الآداب — مع جلالته وجزالته — هو لون من الترف الذهنى الذى لايزرع أرضا مجدبة ولا يشفى غليل الجماهير الظامئة ولا يعالج أمراض المجتمع الكادح ... وقد لا ترجى له ثمرة عملية تفتح لصاحبها أبواب الرزق أو تعود عليه بالخير اللهم الا أن يكون شخصا متعلما ، لكن، بلا عمل فى الحياة واللهم الا أن تبحث له الدولة عن وظيفة فى مؤسسة تجارية أو صناعية .. وما لهذا علمناه ! والدولة اذا وجدت الوظائف لأمثاله اليوم ، فماذا عساها فاعلة غدا ؟..

هذه كلمة لا تنقصها الصراحة يا كليات الآداب..

اما الدراسات والفنون المسرحية ، فهى فضلا عن كونها تتسع للدراسات الأدبية كلها ، أرحب صدرا وأبر بمن يتفرغون لها واضمن لمستقبل أبنائها فى هذه النهضة الاشتراكية الكبرى ... لأنها تعلم هؤلاء الابناء أدبا حيا وفنا متحركا لا يقوم اذ يقوم الا بمجموعات كبيرة من الادباء والممثلين والمخرجين والمصورين ومصممى المناظر والاداريين الاكفاء .. ممن تنتظرهم الاوساط المسرحية الاربعة : المسارح والسينما والاذاعة والتليفزيون .. وتبحث عنهم فلا تجدهم .. علما بأن المجتمع الاشتراكى الذى تحرص ثورتنا المجيدة على بنائه سوف يحرص هو ايضا على أن تكون له مسارحه الاقليمية وفرقه التمثيلية الاقليمية ، وكتابه ومخرجوه وفنانوه الاقليميون ... تماما كما حدث فى أوربا وفى أمريكا ... وفى اليابان والصين ... فمن أين لهذه المسارح وتلك الفرق الاقليمية بكل هؤلاء الفنانين ان لم تجدهم من خريجى اقسام المسرح والدراسات المسرحية بالجامعات ان المعهد العالى للفنون المسرحية لا يستطيع أن يسد احتياجاتنا المسرحية كلها ولابعد ثلاثين او اربعين عاما ... ومعاهد التمثيل فى المدن الروسية والامريكية لا تستطيع مع كثرتها امداد السوق المسرحية هناك بما تحتاج اليه من الفنانين والكتاب ، ولا سيما بعد انتشار التليفزيون .. تلك الطاحونة الحمراء التى تلتهم كل المسرحيات التى تقدم

اليها ... لذلك قامت معهـا الجامعات تسـد تلك الحاجة.. وترفع من مستوى الفنانين والكتاب العاملين في تلك الاوساط المسرحية الاربعـة .. مستواهم الفنى والخلقى والثقافى .. لأنهم سيكونون معلمى الشعب وأصحاب الرسالة الفنية والادبية والانسانية لشعوبهم .. ولشعوب الارض جميعا .. وهم الذين يسفرون لبلادهم فى أطراف الدنيا كلها بما تعرضه الافلام السينمائية والتليفزيونية التى يمثلون فيها ويعرضـون فيها فنونهم من ثقافات ورسالات وافكار وفنون .

ثم نحن نتساءل : أين يا ترى يسـتطيع اساتذة وطلاب الكليات النظرية تطبيق هذه النظريات الطويلة العريضـة التى لا تنتهى والتى تطفح بهـا بطون الكتب من اجتماع وتاريخ وفلسفة واقتصاد سياسى ومذاهب اشـتراكية وغير اشـتراكيـة وآراء فى الديمقراطيـة والتعـليم والتربيـة والفن .. الفن الجمـاهيرى والفن الارستقراطى وغير هذا وذاك من الوان الفكر ان لم تطبقه فى مسرحيات يقوم بتمثيلها الجامعيون أنفسهم ليلمسوا طابع كل منها فى نفوس الجماهير .. وفى أنفسهم حينما يضعون أنفسـهم موضـع الشخصيات المسرحية التى تصنع الفعل فى تلك المسرحيات ؟

أين يمكن أن يطبق الجامعيون جميعا – أساتذة وطلابا – تلك الآراء النظرية الصرفة ان لم يجربوها عمليـا فى مسرحيات تتصارع فيهـا الآراء وتختلف وجهات النظر وتسفر أخيرا عن التجربة الحية الناطقة الملموسـة التى جـرت أمام الجمـاهير وملء أعينهم وأسماعهم فى صالة المسرح ورأوها تتحرك وتتكلم وتمشى فى دماء أبطالها وعلى ألسنتهم وتضطرب بها أذهانهم ؟

الى متى تظل هـذه الآراء والنظريات كلاما ميتـا حبيسا فى رسائل الطلاب وكتب الاساتذة ومذكراتهم .. لا يشاركهم فيه الشعب ولا تحس به الجماهير ؟

وكيف نسيت كليات الآداب عندنا أن اليونانيين قد جعلوا فلسفاتهم شيئا حيا يمشى ويتكلم ويعرض على الجماهير فى المسـارح فى صورة مآسى يكتبهـا اسخيلوس وسوفوكلس ويوريبيدز ومئات آخـرون من كتابهم وشـعرائهم المسرحيين وفى صورة ملاه ضاحكة هازلة ساخرة يكتبها أرستوفانز وميناندر وعشرات غيرهما من أساطين كتاب الملهاة اليونانية ؟

اننا نصرخ فى مصر مطالبين برفع مستوى التاليف المسرحي والسينمائي والتليفزيونى الذى أصبح معظمه عمليات سـطو على روائع التاليف الغربى وتقـديم هذه الروائع مرقعة مهلهلة ممزقة الاوصال الى الجمهور المصرى على أنها مؤلفة بأقلام مصرية... فكيف يرتفع هذا المستوى ان لم يقم به أساتذة وخريجون جامعيون درسـوا مع فنون المسرح علوم الاجتمـاع والتربية والاقتصاد والسياسـة والتاريخ وما الى هذا كله مما تتالف منه ثقـافة الانسـانية كلهـا وما تتالف منـه المدنيات الانسانية فى أرقى صورها !

من يقوم بهذه المهمة ان لم يقم بهـا الجامعيون ايها الجامعيون ان المسرح هو الحقل العملى الذى تستطيعون أن تحرثوا فيه أرضـكم وتضعوا فيهـا بذور افكاركم وتتعهدوها بالرى والعناية حتى تؤتى أكلها وتعطى ثمرها ... وكل حقل عمل آخر يأتى فى المرتبة الثانية أو الثالثة .. او ربما فى المرتبـة العاشرة بعد مرتبة المسرح بأوساطه الأربعة فى اجراء تجاربكم بطريقة عملية فى جميع فروع الفكر والمعرفة التى تدرسـونها بتلك الطرق الببغائية القديمة التى تقتصر على بطون الكتب وصفحات الرسائل والمذكرات

فلننظر اذن ماذا تصنع جامعات أمريكا لخلق أدب مسرحى خالص وفنـون مسرحيـة خالصة وانشـاء مسارح جامعية لتطبيق الدراسات الجامعية بمختلف فروعها وللاتصال بالجماهير عن طريق المسرح وفروعه الثلاثة الاخرى لتثقيفه بما يدرس فى هذه الجامعات ولرفع مستواه الفكرى والثقافى والتسامى بمشاعره واحاسيسـه عن المستوى الغرائزى الذى تهبط اليه المسارح والسينما التجارية التى لا تنشد الا الارباح المادية ...

لنحذ حذو هذه الجامعات فى هذا كله .. ولنشق لأبنائنا طريق حياة عملية شريفـة تغنيهم عن طلب الوظائف التى لا تتصـل بما درسوا فى الجامعة من قريب أو بعيد ...

بهذا نبعد عن ميدان المسرح والسينما والتليفزيون الوالغين فيه .. والغرباء عنه .. ولمده بدم جديد مثقف صالح .

فهل من سميع ؟

دريني خشبة

من أساطير الشرق

قصة الخلق عند الملاويين القدماء

للأستاذ سمير عطا

(الكاه هاتس) احدى العشائر الملاوية الاصيلة التى مازال تعيش ـ شأنها فى ذلك شأن كثير من السكان الاصليين للملايو ـ فى بدائية ، ويتبعون ماجرى عليه اسلافهم منذ آلاف السنين فى اطوار حياتهم اليومية وتقاليدهم وسننهم الاجتماعيـــة والثقافية والدينية • ولقد امكن حصر خمسين الفا من هؤلاء السكان الاصليين بغية دراستهم ومحاولة تطويرهم اجتماعيا وتقريبهم بدرجة ما الى الحياة العصرية والثقافة الحديثة •

ولقد كان للبدائيين منذ آلاف السنين ـ المنقرضين والذين مازالت اشباحهم تعيش بين سطور الحيـــاة الحديثة ـ حضارات معينة تتفاوت درجاتها ومقوماتها بتفاوت البيئات والثقافات الفكرية وبخاصة ما يتعلق بشئون الدين والعقيدة • وكان للكاه هاتس وغيرهم من سكان الملايو الاصليين ثقافات وتقاليد اظهرتهـا الدراسات التى أجريت عليهم فى السنين الاخيرة ، وبدأت هذه الثقافات والتقاليد تحتل مكانها فى التراث القومى الملاوى بل والحياة الملاوية المعاصرة ، ومن أبرز أوجه هذا النشاط الثقافى الاشغال اليـدوية والصناعات البسيطة •• ويعيش الكاه هـــاتس فى أواسط منطقة باهانج باتحاد الملايو وبرغم أن ثقافتهم الفنية بدائية الا أنها غنية فى النواحى الروحية والتى تظهرها رسومهم وتماثيلهم • وحياتهم الروحيـة خليط من الانعكاسات والتأثيرات المختلفة للعقـائد الدينية البدائية التى شهدتها أرض الملايو مع تأثر كبير بالديانتين الهندوكية والاسلامية وهذه ظـاهرة عامة فى جنوب وجنوب شرق آسيا •

ومن أهم آثار الكاه هاتس قصة الانسان الاول وخلق العالم التى كتبها باسلوب عصرى كاتب من الكاه هاتس أنفسهم يدعى باتين هيتام بن واهى وهو زعيم الكاه هاتس المعاصرين • ومن أبرز مانلمحه خلال هذه القصة التسلسل الزمنى لظهور أبناء آدم وهو مايتفق زمنيا مع ظهور الانبياء المرسلين موسى وعيسى ومحمد ويشبه الملك الفيل الذى جاء فى سياق القصة جانيشا ذو الراس الذى يشبه رأس الفيل ، وجانيشا هو ابن شيفا أحد الاقانيم الثلاثة فى الثالوث الهندى •

كذلك نرى كثيرا من الاشارات الدينية المعروفة فى سياق القصة مثل حديث آدم مع ابراهيل بكثير من اللفتات وهو ما يذكرنا ببرج بابل وقصة السـفينة المحطمة التى كانت سبب بدأ الخلق من جديد وهى قريبة الشبه بقصة سفينة نوح •



آدم الرجل الاول

ونبدأ القصة بالحديث عن روحين هائمين كانا أول من وجد على الارض • الروح الاولى هى برومان أو الشمس المشرقة ، والاخرى هى ابراهيل أو الشمس الغاربة •• ولقـــد جاءت الروح الاولى من الشرق والثانية من الغرب ، ثم تقـابل الاثنان عنـد مركز الارض وثار بينهما نقاش طويل كل منهما يحـاول أن يثبت سـموه على الآخر • ثم قـررا أن يفضـا نزاعهما بلعبة «الست غماية» •• وبدأ ابراهيـل اللعبة بأن خبأ نفسه وكان على برومان أن يبحث عنه ويجده ـ واستطاع برومان أن يعثر على غريمه بسرعة ثم جاء دوره هو فلجأ الى حيلة يختفى بها عن نظر ابراهيل فلا يعثر عليه اذ خبأ نفســـه تحت جفن ابراهيل • وبحث هذا كثيرا وفى جميع بقاع الارض ولكن جهوده ذهبت عبثا فجلس يبكى من اليأس وهنا

ظهر له برومان وأخذ يخفف عنه ، ثم قرر الاثنان ان يدفنا أحقادهما ويعيشا معا فى سلام . لكنها لم تكن النهاية . فلقد تذوق ابراهيل غصـــة الخوف والوحدة القاتلة فطلب من برومان أن يسير معه أينما ذهب . وهكذا أخذا يضربان في بقاع الارض القاحلة حتى وصلا الى جبل بركانى فقال ابراهيل لبرومان :

ــ لماذا لايكون لنا مخلوقات مثلنا على هــــذه الارض ؟ .

فساله برومان بدوره :

ــ ولماذا ؟ فقال ابراهيل :

ــ لابد من رفقة لنا تذهب عنا هذه الوحشـــة . فاخذ برومان يفكر بعمق .

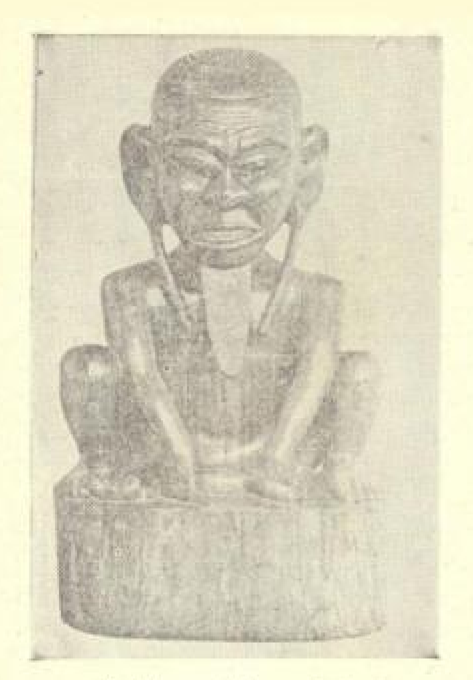
وقاد ابراهيـــل الى بركة ماء يعـــكس ســطحها ضوء الضحى وكأنه لوح من الزجاج وقال له :

ــ ياابراهيل خـــذ كل مافى البركة من زنابق واسحقها فوق كتلة من الصخر ، ثم قسمها أخــيرا الى ثلاثة أجزاء .. فبالجزء الاول سوف أسوى الارض حولنا ، أما الجزءان الآخران فساحتفظ بواحد منهما وتاخذ انت الآخر فتقسمه الى قسمين جديدين تصنع منهما الرجل الاول .

واطاع ابراهيل ، لكنه لم ينجح فى تحويل هذين القسمين الجديدين الى رجل كما تقضى تعليمـــــات برومان ولكنه خلق فيلا بدلا من ذلك . فعنفه برومان على فشله ثم قاده الى صخرة عاليـــة حيث أمره بأن يعيد الكرة ، فاطاع ابراهيل ونجحت محاولته الثانية ونفخ برومان روح الحياة فى كفى ابراهيل طالبــا منه أن يضعها فى الجسد الذى انتهى من صنعه .

وعجب ابراهيل من الامر ، وما كاد يقف أمـام الشكل الجامد الذى صنعه حتى أبرقت عيناه وتملكه الفضول وراودته نفســـه أن يتطلع الى الروح التى تضمها كفاه المرتعشتان والتى سوف تبعث الحيـــاة فيما صنعه بيديه ، وغلبته الرغبة الهادمة ، ففتح ابراهيل كفيه رويدا رويدا ليجد الروح التى بينهما تنساب سريعا وكأنها السهم فعاد مغموما الى سيده .

ومع ذلك فقد سامحه برومـان ونفث فى يديه روحا ثانية وكم كانت دهشة ابراهيل حينما دفع الروح فى الجسد الجامد أمامه فاذا به يحدث انفجارا هائلا تدب فيه الحياة بعدها ويستوى أمامه انسانا حيا .



ابراهيل روح الشمس الغاربة

وعرض ابراهيل صنيعه على برومان وساله كيف يسـ.ـوته فقال سيده : سمه آدم ولسوف يعيش فى الوقت الحاضر مع الفيل .

وعاش آدم مع الفيل ولكن كان لكل منهما طريق خاص وسبيل مختلف عن الآخر فى العيش .

ولقد قابل آدم صعابا كثيرة فى بدء حياته أولها انه لم يكن يستطيع التحدث فقال برومان لابراهيل .

ــ احفر اذنيه وانفه وفمه . واطاع ابراهيـــل وحفر لآدم اذنيه وانفه وفمه مستخدما عصا حادة الا أن كلمات آدم لم تزد عن تهتهات هى صورة ضعيفة متطورة من لغة الطير والحيوانات فاخبر ابراهيـــل برومان بذلك فقال له برومان :

ــ شد لسان آدم وضع على طرفه بعض الاعشاب وسرعان ماتحدث آدم عن نفسه بلغات عـــــدة الى ابراهيـــل . قال آنه وحيـــد ويود لو كان له رفيق يؤنسه . وكان برومان وهو يفكر فى امره قد وصل الى حل لذلك فقال لابراهيل :



برومان روح الشمس المشرقة

– ابن بيتا لآدم ثم اصنع امرأة لتكون رفيقا له. ولكى تصنع المرأة اسحق زهور شجر الليمون وصب العجينة فى الشكل المطلوب . ثم انفث روح آدم فيها تدب بها الحياة . وصنع ابراهيل زوجة آدم ولكن ظهرت لهما مشكلة جديدة وهى أنهما لايعرفان كيف يفلحان الارض ويصيدان الحيوانات لغذائهما .

وذهب ابراهيل الى برومان ليتعلم منه ، ثم يعلم آدم بدوره لاسيما فيما يتعلق بطريقة انجاب الاطفال ومع مرور الايام ولد لآدم طفل فى هيئة سوية سماه (نبى) .. ثم رزق طفلا آخر سماه موسى واعقبه بنتا سماها مايان مها . وبعد مايان جاء بنى عيسى ثم دياندساني وهى بنت ثم بنى محمد وأخيرا بنت ثالثة سماها ويباندسرى جادى .

ولما بلغ الاطفال السعداء دور البلوغ عمل آدم على تزويج بعضهم لبعض ما عدا (نبى) الذى قتله رأفة به ووافقه ابراهيل على ذلك فقد كانت حياة نبى حياة طويلة بالنسبة شقية . وبلغ برومان الامر فأمر بان تقطع جثة نبى الى قطع صغيرة وتنثر فى جميع بقاع الارض ويعتقد الكاه هاتس أن لحم نبى قد تحول الى حقول للشعير والحبوب والتابيوكا واليام والفواكه والاسماك والحيوانات .

وجلس برومان ذات يوم فى مجثمه على قمة جبل عال يحصى ماحدث من تغيرات فى الارض الواقعة تحت سلطانه فرأى فى كل مكان منازل وحقولا وطرقا .. ورأى أن الارض يمكن أن تزدحم على مر الايام بأكثر من ذلك فاستدعى ابراهيل اليه وقال له :

– أبدأ العمل فى القطاع الثانى من الارض وسمه (ناناه جيها باباسا نجيرى) وضع الفيل فى هذه الارض الجديدة ولسوف تخصب مخلفاته تربة الارض . ثم أرسل فيها بعد رجلا وامرأتين لاستعمار ذلك المكان .

كان ابراهيل سعيدا جدا . لم يعد وحيدا ، وبدأ العالم يغص بالخلق وبعد لأى أرسل الفيل الى الارض الجديدة وتزوج احدى النساء واعقبا نسلا كان له هيئة الفيل وانما بطبيعة بشرية . ورغم أن الفيل وزوجته قد رزقا بابنتين اخريين وكانا على شكل انسانى سوى فان الولد هو الذى أصبح ملكا على هذه الارض الجديدة ويقرر الكاه هاتس أن ارض هذا الملك الفيل هى ماتسمى الآن تايلاند (سيام) حيث مايزال الفيل حيوانا ملكيا له حرماته .

غصت الارض بأولاد آدم واصبح الغذاء نادرا . كان بينهم ثلاثة ملوك: راجانور وراجا عليم ، وراجا سليمان . وكان سيدهم جميعا بنى محمد . وذات يوم دعا بنى محمد رعاياه الى احتفال عند مصب نهر باعانج . وطلب منهم أن يبنوا قاربا كبيرا .. وتم بناء القارب مع انتهاء أيام الاحتفال الثلاثة .

وفى اليوم الرابع انباهم بأن برومان يريد ان يرتحل نصف السكان على ظهر القارب وأن يستقروا فى أرض جديدة . وقام الذين تخلفوا بدفع القارب بمن فيه الى البحر بعد أن زودوه بمؤونة كافية ومياه.

لكن القارب قابلته أثناء الرحلة عاصفة هوجاء قلبته بمن فيه الى خضم الماء ولكنهم استطاعوا السباحة وسط الأنواء الى شواطىء كثيرة . وكانت تلك ارادة برومان ألا يفقد هؤلاء الناس حياة واحدة . وانتشر هؤلاء المستعمرون فى بقاع كثيرة من الارض مكونين مجتمعات وممالك تغيرت لغاتهم وألوانهم تبعا لبيئاتهم .. فاكتسب الكاه هاتس ومن شابههم لونا بنيا غامقا وهم يعيشون فى مناخ حار . أما أولئك الذين عاشوا فى مناطق باردة فقد ظل لونهم صافيا مثلما كان آدم الرجل الاول .

وداع

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ودعيني .. ربما كان الوداع   آخر الومضات في مصباح عمري
ربما كان كرعشات الشراع   حينما يهوي الى لجة بحر

***

ودعيني بالدموع الغاليات   وانظري كيف تناجيك دموعي
ربما لم يبق الا الذكريات   حينما امضي الى غير رجوع

***

حينما امضي ، فيطويني الخفاء   ثم آهات ، ودمع ، وأنين
ثم ينسى الناس حتى الشعراء   شعري الباكي على عمري الحزين

***

غير قلب ليس ينسى ابدا   اي حب كان حبي ووفائي
لم يضع في حبه عمري سدى   لو تمنيت العمر اصفيه ولائي

***

ودعيني بابتسامات الحنان   علني اقوى على مر الفراق
ربما القاك في هذا المكان   بعد عام من حنين واشتياق

***

ودعيني بيد تهمس لي :   ابق .. لا ترحل .. فاني مشفقة
حسرتي بعدكَ تطوي اجلي   حيرتي بعدك نار محرقة

***

وامنحيني منك احلى نظرة   نظرة المح فيها نور حبكَ
نظرة تشعرني في رقة   انني ، حتى على البعد ، بقربكَ

***

ودعيني .. ودعيني بالعناق   لا تخافي همسات الناظرين
كلهم يعرف احزان الفراق   كلهم يذكر نيران الحنين

***

وارفعي منديلكَ الحاني النبيل   حينما اخطو على ارض البعاد
انه يخفق لي عند الرحيل   خفقات القلب في ليل السهاد

***

ودعيني .. آه ، ما اقسى المدى   بيننا .. والسحب من تحتي وطاء
غير ان القلب مهما ابتعدا   لا يرى الا اعز الأوفياء

***

انني ارنو بعيني ، فأرى   صورة اجمل من سحر الربيع
المح الدمع بعينيها جرى   وانا انظر من خلف دموعي

آه من دمع جرى فى مقلتيك   نائر الدمع فى عينى وقلبى
ككفيه .. اننى اخشى عليك   قسوة الدمع على عين المحب

***

انتنا نمضي معا منذ سنين   فى طريق نحن فيها غرباء
انا وحدى ذقت غدر الاقربين   وتحملت عذاب الابرياء

***

لا تظنى حين تجرى ادمعى   اننى ابكى على ما ضاع منى
كيف ابكى بينما انت معى   مسرح الشوق ، وآفاق التمنى ؟

***

انا لو سرت على الشوك وحيدا   ورمانى العمر فى ليل الحيارى
كان حسبى منك كى احيا سعيدا   بسمة تشرق فى ليلى نهارا

***

نظرة تنبت لى زهر الحنان   غارى فى نوره زهر الأمل
لمسة تهمس : انا توءمان   فى ضمير الحب من فجر الازل

***

انت اهلى .. انت لى كل الوجود   وملاذى انت من كل ضياع
فى الربيع البكر لا تشقى الورود   حين تلقى الشوك محسور القناع

***

انما ابكى على طير بعيد   عن اليف الروح فى العش الرطيب
ذلك الطائر ، قلبى ، هل يعود   مرة اخرى الى الطير الحبيب ؟

***

آه من ليلى اذا ما الليل طال   ورمانى فى متاهات بعيدة
لا ارى الا سرابا من خيال   خلفه تجرى سدى روحى الشريدة

***

آه من ليل يرانى مفردا   وانا اخطو على ارض المدينة
تائها فيها ، حزينا ، مجهدا   لا يرى دمعى سوى نفسي الحزينة

***

ثم آه حين التى حجرتى   فيلا قينى فراغ .. وعدم
كيف اجتاز المدى يا غربتى ؟   هكذا يسأل فى قلبى الالم

***

اين عش الحب ؟ لا ، بل اين انت   يا هوى عمرى ، من الروح الغريب ؟
اين شدو ضاع فى اغوار صمتى ؟   هكذا اسأل .. والصمت يجيب

***

انا من اجلك احيا ها هنا   علنى اعطيك اغلى ما اراه
فاذا عشت ، فقد تلك المنى   واذا مت ، فما اقسي الحياة

***

امض يا مقدور بى حيث تشاء   امض .. هل نملك تغيير المصير ؟
كلنا تمضي بنا كف القضاء   ثم لا نملك الا ان نسير

معركة ذات الصوارى

للأستاذ مصطفى الشهابى

فى يوم ٢٩ اغسطس من كل عام تحتفل قواتنا البحرية بعيد البحرية العربية . وهذا اليوم هو ذكرى انتصار الأسطول العربى على اسطول الروم فى اول معركة بحرية هامة . انه يوم من أيام المجد التى سطرها التاريخ للعرب بحروف ذهبية ..

* * *

خاض العرب لجج البحار وعرفوا الشئون البحرية قبل ظهور الاسلام بقرون عديدة . وقد سجلوا فى التاريخ امجادا بحرية لتفوقهم فى هذا المضمار . وعلى الرغم من أن البدوى اشتهر بركوب الابل وامتطاء ظهور الخيل فقد اشتهر كذلك بأنه كان فى يوم من الايام سيد البحار شقها فى روحاته ومجيئه اذ كانت له بحرية ممتازة .

فلما أشرق نور الاسلام وامتدت فتوحات العرب الى فارس وسوريا .. شاهد العرب سفن الاسطول الرومانى التى كانت ترسو هناك .. فتاقت نفوسهم لان يكون لهم اسطول عربى لا يقل فى قوته عن قوة الاسطول الرومانى ... أقوى أساطيل العالم فى ذلك الوقت .

ولكن ظل الخوف من البحر يتردد فى النفوس وأول عربى ركب البحر فى الجنوب بعد الاسلام هو العلاء ابن الحضرمى ـ وكان ذلك فى أيام عمر بن الخطاب ـ عندما كان واليا على البحرين اذ اراد ان يفتح سواحل فارس المواجهة للبحرين فعبر الخليج دون أن يستأذن عمر فلما فشلت حملته شق ذلك على عمر فكان قصاصه ان اصبح تحت امرة سعد بن ابى وقاص امير الكوفة .

وفي عهد عمر أيضا أراد معاوية بن أبى سفيان وكان واليا على الشام أن ينشىء أسطولا ولكن عمر رفض وذكره بما حدث للعلاء .

ولما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ من الاسكندرية حاضرة لمصر بعد فتح العرب لها ارسل يستأذن عمر ابن الخطاب قال عمر رسول عمرو : « هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ » فقال الرسول : « نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل » فكتب عمر الى عمرو : « انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف فلا تجعلوا بينى وبينكم ماء ، متى اردت أن أركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم ، قدمت » . واشار عليه باتخاذ مدينة أخرى غير الاسكندرية لتكون عاصمة .

وفى عهد عثمان بن عفان أعاد معاوية الطلب فقبل بشرط أن يكون ذلك تطوعا . بذلك انفسح المجال أمام معاوية فكون اسطولا عربيا استعان فى انشائه وتسييره بمن كان تحت سلطان العرب من الروم الذين تقربوا للعرب باظهار مبلغ مهارتهم البحرية . فلما تم له ذلك قام بدعاية كبرى ليجذب المتطوعين من العرب وتردد على السنة العرب يومئذ حديث الرسول « ان الجهاد فى البحر فيه عشرة أمثال الجهاد فى البر » فاشتد الاقبال على التطوع وبلغت الحماسة درجة جعلت النساء أنفسهن يغزون فى البحر ومن هؤلاء أم حرام زوجة أحد الصحابة التى استشهدت فى أول غزوة بحرية قام بها معاوية لفتح قبرص سنة ٢٨ هـ (٦٤٩ م) وقد نجح الغزو اذ قبل اهلها دفع جزية سنوية لمعاوية قدرها سبعمائة دينار .

اما فى مصر فقد اهتم عبد الله بن سعد بن ابى سرح واليها بانشاء أسطول بحرى كبير . وحدث فى سنة ٦٥٤ م (٣٣ هـ) أن أعد الامبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى بن هرقل اسطولا عظيما لا يقل عن الف سفينة ليهاجم به الاسكندرية التى كانت آخر معاقل البيزنطيين فى مصر فلما علم بذلك ابن أبى سرح والى مصر أعد أسطول مصر للقاء أسطول البيزنطيين كما قدم معاوية من بلاد الشام وانضمت وحدات الاسطولين .

بدأ القتال بين الاسطولين بالنبل والنشاب وادرك ابن هرقل تفوق العرب ولذلك لجأ الى الابتعاد عن السفن العربية حتى يستنفد العرب أقواسهم وحرابهم فى ضربات طائشة .

ولكن العرب أدركوا تلك الحيلة فبادروا بالاقتراب من سفن الاعداء وأخذوا يقذفونها بالحجارة وقدور الحيات والعقارب وقوارير النفط لاشعال الحرائق وبجرار ملأى بمسحوق ناعم يعمى لانه مزيج من الكلس والزرنيخ ثم نفدت من الجانبين ذخيرة النبال وسهام الاقواس فهجمت السفن العربية على السفن الرومانية حتى التصقت بها .

وعمد العرب الى خطة رائعة ذلك أنهم ربطوا سفنهم بعضها ببعض ثم اقتربوا من سفن العدو حتى التصقوا بها وشدوها الى سفنهم بالخطاطيف .

وقفز العرب الى سفن الرومان لتدور المعركة

الفاصلة بالسيوف والخناجر وتحولت المعركة البحرية الى معركة بريه وتجلت شجاعة الجندى العربى واستحالت صفحة البحر الى بحيرة من الدماء ، لكثرة عدد قتلى الروم ، « حتى رجعت الدماء الى الساحل تضربها الامواج وطرحت الامواج الرجال ركاما » كما روى الطبرى .

وحاول الروم أسر سفينة القائد العربى عبد الله ابن ابى سرح حتى يضطرب الاسطول العربى ولذلك قذف جنود الروم بخطاف علق بسفينة امير البحر العربى وشرعوا يجذبونها ولكن أحد رجاله البواسل تصدى لانقاذها واعمل سيفه فى سلسلة الخطاف ، غير مكترث لما صوب اليه من سهام ، حتى تمكن من قطعها وبذلك انقذ سفينة القيادة .

ولما انتهت المعركة سأل عبد الله بن ابى سرح زوجته — وكان الجنود يغزون بنسائهم كما قدمنا — « من رأيت أشد قتالا ؟ » فقالت : « علقمة ، صاحب السلسلة ! »

وكان القائد العربى يتمنى أن يلقى القائد الرومانى وجها لوجه .. ولكن الحظ لم يساعد القائد العربى بهذا اللقاء اذ تمكن أحد القناصة العرب من اصابة القائد الرومانى بسهام قاتلة حمل على اثرها الى قاع احدى السفن ثم أسر بعد قليل .

وفى الساعة السابعة مساء كانت المعركة قد أوشكت على الانتهاء وكان العرب قد قضوا تقريبا على ٧٠٠ سفينة رومانية .. اما السفن الباقية فقد تمكنت من الهرب أثناء الليل . وعلى احداها هرب الامبراطور بعد أن اختفى فى زى أحد ضاربى الطبول .

وهبت عاصفة هوجاء فاغرقت السفن الا قسطانز ابن هرقل فانه نجا بمركبه والقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم بما حدث فقالوا « شتت النصرانية وأفنيت رجالها ولو دخلت العرب لم نجد من يردهم » فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا .

فأعدوا له الحمام ودخلوا عليه فقال : « ويلكم أيذهب رجالكم وتقتلون ملككم ! » فقالوا : « كأنه غرق معهم » ثم قتلوه .

وقد خسر الرومان ٧٠٠ سفينة وحوالى ٣٠ الف رجل بين قتيل وجريح . اما العرب فكانت خسارتهم فى الرجال فقط وبلغت حوالى ثلاثة آلاف بين قتيل وجريح وهكذا انتهت المعركة التى كان يمكن أن تغير مجرى التاريخ ولولا بعض الاحداث السياسية كقتل الخليفة عثمان بن عفان لانفسح المجال أمام العرب للاستيلاء على القسطنطينية عقب المعركة .

ومما يذكر بالفخر أن أقباط مصر اشتركوا فى هذه المعركة وهم على دينهم وقد روى الطبرى أن ابن أبى سرح اختلف مع محمد بن ابى بكر وآخر فقال « لا تركبا معنا » فركبا فى مركب ليس فيه من المسلمين أحد .

بذلك تمكن عبد الله بن سعد بن ابى سرح من أن يبنى للعرب أول أسطول لهم . وأن ينتصر فى أول معركة بحرية هامة للعرب : معركة ذات الصوارى : المعركة التى أطلق عليها هذا الاسم نظرا لكثرة صوارى السفن التى اشتركت فيها .

ويرى بعض المؤرخين وفريق من المستشرقين أن هذه الواقعة البحرية حدثت جنوبى آسيا الصغرى عند ثغر فونيكس غير أن الاغلبية تميل الى ترجيح الاسكندرية لان البيزنطيين سبق أن أرسلوا حملة بحرية لاسترداد الاسكندرية سنة ٢٥ هـ بقيادة « مانويل » الذى سبق أن دافع عن الاسكندرية أثناء حصار العرب الاول لها وبعد أن استولت تلك الحملة على الاسكندرية تقدمت حتى كادت تقترب من حصن بابليون ولكن جيوش العرب ردتها الى الاسكندرية ثانية فاعتصمت بها غير أن عمرا تغلب على البيزنطيين وخر قائدهم مانويل قتيلا فاضطروا للجلاء عن الاسكندرية ومن المعقول أن يعيد البيزنطيون الكرة على الاسكندرية انتقاما لما لحقهم من هزائم فيها ، من جهة ومن جهة أخرى ، لان الاسكندرية كانت يومئذ فى الاطراف الغربية للدولة العربية ولا يحتمل أن تصلها أمداد سريعة .

وسواء أكانت معركة ذات الصوارى قد حدثت غرب الاسكندرية أو جنوبى آسيا الصغرى فقد كانت لها نتائج خطيرة اذ أنها حققت للعرب :

١ — السيادة على البحر المتوسط وانتهاء آمال الروم فى استعادة البلاد التى فتحها العرب .

٢ — انشاء أكبر عدد من الموانى والقواعد البحرية على سواحل مصر والشام وتدريب الجنود على معارك البحر .

٣ — أصبحت هذه المعركة الحلقة الاولى فى سلسلة الانتصارات البحرية العربية وظهرت للعرب أهمية وحدتهم التى حققت انتصاراتهم على مر التاريخ .

٤ — نشأت الصناعة البحرية فى البلاد العربية وكانت نهضة الاسطول العربى من الاسباب المباشرة لانتشار حضارتهم التى وصلت الى غرب أوربا وقاربت حدود الصين .

مصطفى الشهابى

في موكب العلم

أسرار الفضاء

بقلم : فوزي الشتوي

روت الانباء أن العلماء يبدون دهشتهم لما يظهر في الفضاء من عوامل تعطل الاقمار الصناعية عن العمل ، فتتوقف عن البعث برسائلها وبياناتها . وعبثا يحاولون تشغيلها بما يصدرون اليها من اشارات بغية تنشيط اجهزتها التي تصر على التوقف لاسباب غير معروفة . وفجاة وبغير سابق انذار ولاسباب مجهولة أيضا تدب الحياة في الاجهزة العاطلة وتستأنف ارسال بياناتها ورسائلها ، ويواصل القمر اداء المهمة التي ارسل من أجلها

وليس في الفضاء أو البيئة المحيطة بالارض من عفاريت ، أو أرواح تعبث بتلك الأجهزة ، فتوقفها عن العمل فترة ثم تدفعها اليه مرة اخرى ، بل هناك عوامل طبيعية لم نعرف من أمرها الا لمحا بسيطة . هناك توجد المادة على هيئة غير التي نعرفها على الارض ، وهناك تخضع لجو الشمس لا للجو الذي عرفناه على كوكبنا . ولهذا كان من الطبيعي ان تتم هناك التفاعلات من كيميائية وذرية بطريقة غير معروفة منا

حيرة تؤدي الى اكتشاف

والعلماء لا يغضبون لظهور مثل هذه العوامل المحيرة ، بل يرحبون بها ، فقد تكون المفتاح لاكتشاف عظيم ، من امثلته : ما حدث للدكتور جيمس فان الن « العالم الامريكي ، فقد زود أحد الاقمار بجهاز خاص ليحصي به بعض الجسيمات الذرية على ارتفاع آلاف الكيلومترات من الأرض . وادى الجهاز بعض مهمته ، وفجاة توقف عن العمل وكان السؤال المحير ما الذي اوقفه ؟ ودرس « فان الن » خواص جهازه ، ومادته ، فاستنتج وجود طبقات اشعاع من الجسيمات الذرية المعروفة باسم بروتون فمن شأنها أن تعطل جهازه عن العمل . وفي قمر آخر اعد جهازا جديدا ليسجل انباء جسيمات البروتون ، وانطلق الجهاز يخترق الارتفاعات حتى وصل الى هدفه ، فاذا هو يرسل انباء هذه الجسيمات التي تنتشر في تلك الارتفاعات

وواصل الدراسة فاذا هو يكتشف طبقات الاشعاع التي عرفت باسم « احزمة فان الن » . وتبدأ احداها من ارتفاع ١٦٠٠ كيلومتر تقريبا ، وتمتد الى ارتفاع ٤٨٠٠ كيلومتر ، ثم تحدث فجوة خالية منها ، لتبدأ من جديد من ارتفاع ١٢٫٨٠٠ كيلومتر الى نحو ٢٤ الف كيلومتر

سر الفجوات

والمفهوم ان هذه الجسيمات تقدم من الشمس، ثم تنتظم في طبقاتها او مناطقها بفعل المجالات المغناطيسية حول الارض ، فكوكبنا مغناطيس ضخم ينظم المادة بين طرفيه ، كما ينظم قضيب المغناطيس برادة الحديد . ولكل مادة مهما اختلفت شأنها قوى مغناطيسية ، وتخضع لعواملها المختلفة . واذا كانت الاجهزة المعروفة منا لا تبين هذه الخواص المغناطيسية في بعض المعادن كالنحاس مثلا ، فان العجز يرجع الى قصر الاجهزة لا الى خواص المعدن

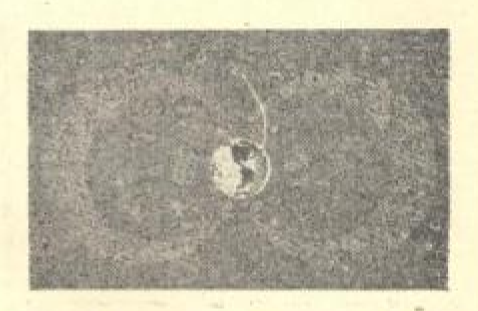
ومما يحير الخبراء في تلك المناطق ما بينها من فجوات خلت تقريبا من البروتونات وهي لا تثبت على حال ، بل كثيرا ما يحدث أن تنشق المنطقتان ، فتظهران كثلاث أو أربع أو أكثر . وفي حديث مع

أحد علماء الفلك الامريكيين حاولت أن أعرف سر هذا التشقق او الانفصال مما يستغله بعض الفلكيين ويذيعون أنباء اكتشافهم لاحزمة جديدة وفهمت منه أن الجانب الاكبر من المعلومات الخاصة بهذه المناطق لا يزال من الطلاسم . وفي وسع أى فلكي يتبعها أن يذيع عشرات الاكتشافات لمناطق جديدة ، ولكن كبار الفلكيين يؤثرون الاكتفاء بالحديث عن الحزامين اللذين اكتشفهما « فان الن » ، وينتظرون أن تكتمل دائرة الحقائق التي تكشف عن أسرار هذه المناطق ، وما بينهما من فجوات لا مثيل لها في المجالات المغناطيسية العادية .

ويرجع الابهام في معرفة هذه المناطق وغيرها الى حداثة العهد باكتشافها ، بل ان النظرة الى الفضاء ، وجو الارض نفسه تغيرت منذ ظهرت الصواريخ والاقمار الصناعية . كنا الى ما قبل عهدها نظن ان الارض وجوها شيء له كيانه الخاص، ولا يقع تحت مؤثرات خارجية .

اننا جزء من كل

وظهرت الصواريخ والاقمار وكشفت جو الارض ، وما وراءه ، فاذا جونا لا يتجاوز ان يكون جوا محليا ، ولكنه جزء من جو أكبر هو جو الشمس . فهو اشبه بجو القاهرة او بغداد ، اذا ما



(الكرة الارضية في الوسط وحولها احزمة «فان الن » ان اسرار تكوينها والفجوات حولها لا تزال من الامور الغامضة التى لم يعرف حتى منطقها العلمي . وهذه الاحزمة قوية الاشعاع وخطر على رجال الفضاء . وبسببها يقترحون ان تنطلق السفينة الى القمر عن طريق القطب ففيه يكون الاشعاع على اقله . ويظهر خط الانطلاق في الخط الابيض)

قورن الاول بجو افريقيا ، والثاني بجو اسيا ، فكل منهما جزء من كل . وقد يحتفظ الجزء بسمات خاصة بالبقعة ، ولكنه يتأثر بجو الكل

انطلقت الصواريخ والاقمار الصناعية ملايين الكيلومترات فيما نسميه بالفضاء ، فذهب احد الاقمار الامريكية الى كوكب الزهرة ، وقطع نحو ٣٠ مليون كيلومتر ، وهو يرسل البيانات المختلفة ، ومنها عرفنا شيئا من هذا الكوكب . وارسلت روسيا قمرا آخر الى كوكب المريخ ، وظل يرسل بأنبائه نحو ٢٥ مليون كيلومتر قبل ان تنقطع صلته بالارض

ضغط الضوء

وفي الحالتين اضيفت الى المعلومات البشرية معلومات جديدة لها اثرها البالغ في علمنا بجو الارض ومغناطيسيتها . وبمعونتها تأيد القول من ان لضوء الشمس ضغطا يؤثر على البيئة المحيطة بالارض . ففي وقت النهار يضغط هذا الضوء على الجزء المواجه له ، فيرده الى الارض ، وتواصل الاشعة الضوئية ضغطها على الجانبين ، فتبدو الارض وكان لها ذيلا كذيول المذنبات التى تظهر في الافق ، ولها راس مستدير ، ثم ذيل طويل

ولا تكتفى الشمس بهذه الظاهرة الطريفة التى سجلها العالم الروسى « فيستكوف » ، بل لها آثار أخرى أكثر توغلا في حياتنا . فالشمس كما نعرف عبارة عن مجموعة من القنابل الايدروجينية الضخمة وفيها يحدث التفاعل الذرى باستمرار ، ويرسل حرارته الى كواكب العالم الشمسي

على ان للشمس دورة نشاط وخمول تستمر نحو ١١ سنة وكان اقصى نشاطها في عام ١٩٥٧ . ولدراسة هذا النشاط ومعرفة نتائجه اتفقت أكثر دول الارض على اجراء تعاون علمى دولي فيما اطلقوا عليه اسم السنة الدولية للطبيعة الجغرافية

وتمر الآن الشمس بفترة الخمول الذى سيصل الى اقله في السنة التالية وما بعدها ، ولاستكمال حلقة الدراسات تألفت السنة الدولية لهدوء الشمس ، وفيها ستدرس حالة هذا الهدوء او الخمول لمعرفة ظواهره ومدى تأثيرها في الارض ، ومظاهرها الطبيعية

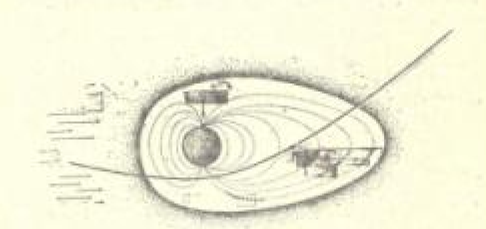
البقع السوداء

وكان من مظاهر النشاط الشمسي ما نسميه بالبقع السوداء ، وفيها تظهر على سطح الشمس بقع مساحتها ملايين الكيلومترات . وكان ظهورها في العادة نذير بحدوث اضطرابات في الاذاعات اللاسلكية . وبمعونة الاقمار الصناعية تأكد الاستنتاج العلمي القائل بأن الشمس ترسل السنة لهب تحدث الاضطراب في مناطق التأين ، وتجعلها غير قابلة لعكس موجات الراديو وردها الى الارض

ويسعى العلماء دائما الى معرفة طبيعة الجهاز الذي يحدث اية ظاهرة ويحاولون دائما فهم المسائل في صورها الطبيعية . فاذا قلنا ان مناطق التأين تفسد ، كان من واجبهم معرفة العوامل التي تحدث هذا الفساد ، وكيف تطغى وتزيل العوامل العادية وفي هذا المجال تتشعب البحوث ، وتتناقض في رواياتها ، ومنطقها ، ما يجزم بأننا لا نعرف كل ما يجري هناك

رسل الشمس

وكان مما عرفناه ان الشمس في اوقات نشاطها انها تقذف من جوفها سيلا قويا يندفع ملايين الكيلومترات . وفي بعض الاحيان يكون شديد العنف والاندفاع حتى يكتنف الارض كلها ويطويها مع جوها



(الكرة الارضية واشير اليها بالسهم الرأسي وحولها خطوط المجال المغناطيسي الخاص بها ، وما يضم من مادة البيئة حولها ولكن هذا كله تغيرت اوضاعه بفعل الرياح الشمسية وتمثلها الاسهم الكثيرة الى اليسار . ان ضغطها جعل بيئة الارض اشبه بالبيضة . والخط الاسود الطويل يمثل خط سير القمر الامريكي مارينر الذي ذهب الى كوكب الزهرة وبمعونته عرف هذا التأثير في بيئة الارض)

في بيئته وفي أحوال أخرى كان يقترب منها . وفي أكثر هذه الحالات كان يضغط على البيئة المحيطة بالارض .

فمرة يجعلها كالبيضة براس مستدير ، والارض في وسطه، ثم شكل بيضاوي يمتد ملايين الكيلومترات في الفضاء ، ومرة أخرى يحدث انبعاجا في البيئة المحيطة بالارض ويجعلها متقوسة في شكل غير منتظم ، اذ يخضع للمكان الذي يتعرض للضغط وتبعا لقوة المجال المغناطيسي للارض تنسجم البرتونات القادمة من الشمس في خطوطه النظامية ولكن هذه البرتونات نفسها ذات طاقة كهربائية ولها قوى ومجالات مغناطيسية تؤثر بدورها على المجالات المغناطيسية للكرة الارضية .

وبسببها لا تكاد الابرة المغناطيسية تستقر على حال ، بل ان مغناطيس الارض نفسه يتحرك عن موضعه ، ويتذبذب من وضع الى آخر ، مما حتم صنع خرائط مغناطيسية دائمة التجدد حتى لا تضل السفن في البحار اذا ما استعانت بخرط قديمة لا تنطبق على الحالة الفعلية لمغناطيسية الارض

تطرد الاشعة الكونية

وظهر ايضا ان لسيالات الاشعاعات التي ترسلها الشمس تأثيرا كبيرا على ما نسميه بالاشعة الكونية . وهي اشعة لم يعرف مصدرها بالضبط ، والمرجح انها تأتي من خارج النظام الشمسي . وهي كما تدل الدراسات المتعددة تقدم باحجام كبيرة حتى اذا ما دخلت البيئة المحيطة بالارض اصطدمت الاف المرات بما تحويه من مادة

وفي كل تصادم تتفتت الاشعة الكونية الى أجزاء اصغر ، حتى تصل الى الارض في اصغر تكويناتها . وهي سريعة للغاية ، ولهذا فانها تخترق اجسامنا كما تخترق ما قد يصادفها من صخور حتى انها وجدت في أعماق المناجم .

ويعتقد اكثر علماء الحياة ان لهذه الاشعة اهميتها بالنسبة لعمليات التطور والارتقاء ففي كل منا عوامل تورث هي التي تعطي سماتنا وخواصنا لابنائنا . وهذه المواد المورثة تتأثر بهذه الاشعة ، وتحدث في اطفالنا تغيرا يجعلهم يختلفون عنا . والاختلاف صغير وتافه ، حتى اننا لا ندركه ،

وتعجز عن تمييزه . ولكنه فى رأيهم احد العوامل التى ارتقت بالاحياء من نبات الى حيوان الى انسان

اسرار بيئة الارض

هذه الاشعة السريعة التى تتدفق على الارض من انحاء الكون تتنافر بطريقة ما مع الجسيمات الذرية القادمة من الشمس . وعندما درستها الاقمار الصناعية ابان النشاط الشمسي وجدتها لا تسير فى طريقها المستقيم ، بل تنحرف ، وتبتعد عن الاشعاعات الشمسية

وفى البيئة المحيطة بالارض كثير من الاسرار التى لم نعرف شيئا عنها ، وتعد من الاسباب التى تجعل ذهاب انسان الى القمر من المغامرات الخطرة التى يتعذر ضمان نتائجها ولعل هذه الاسرار هى أقوى الاسباب التى تجعل بعض العلماء يفكرون فى تأجيل الرحلة ، اذ يجب أولا ان نوقن بما تحويه هذه البيئة من عوامل لا ريب انها شديدة العداوة للحياة، كما عرفناها على الارض .

رسول من الفضاء

ومن الدراسات الثمينة فى هذا السبيل العثور على النيزك الذىسقط فى أغسطس١٩٦٢ فى منطقة الفولتا العليا بافريقيا . ويرى العلماء انه رسول قدم من السماء ، ويحمل الكثير من أسرارها . ورغم أنه ليس بالنيزك الوحيد الذى سقط على الارض ودرسه العلماء ، فانه يعد فريدا فى نوعه اذ أمكن العثور عليه فى سرعة، كما أن تاريخ سقوطه على الأرض معروف .

ويوجد مثل هذا النيزك ٤٠ واحدا سقطت على الارض ، ولكن العثور عليها تم بعد فترة طويلة تلوثت فيها ببيئة الارض . وصار من العسير معرفة طبيعتها الاصلية ، والآثار التى حلت بها فى رحلتها ، ثم الاثار التى حلت بها على الارض

وقد بدأ العلماء الامريكيون يدرسون هذا النيزك فكان وزنه ١٩ رطلا من مادة كالحديد . ولما درس عمره بمعونة ما يرسله من اشعاعات ذرية قالت لجنة الطاقة الذرية انه يبلغ نحو نصف بليون سنة ، ولا ريب انه امضى منها فترة طويلة ، وهو يجوب الفضاء ، ويتعرض لقذائف الاشعة الكونية ، وهى فى اشد حالات ضراوتها

ويعتقد العلماء أن دراسة هذا النيزك ستؤدى الى معرفة المزيد عن هذه الاشعة . ومن الجائز ان يحوى مواد تبين ان كان فى الفضاء احياء ، كما ان تكوينه الكيميائى يحتمل ان يكشف عن بعض الوان التفاعلات الكيميائية فى الكواكب الاخرى .

ومما لا ريب فيه ان البشرية مقبلة على فتح جديد فى عالم مجهول واسع ، فهو ببساطة عالم الكون ، وما يحوى من بلايين النجوم ، وبلايين البلايين من الكواكب. وفى خضم الحيرة التى تكتنف العلماء فيما يخفيه الفضاء من أسرار سنعرف الكثير عن انفسنا عن الكون الذى لا نتجاوز ان نكون احدى حبات رمله



« رسم يبين الشمس (الى اليمين) ومنها خرج سيال من الجسيمات الذرية التى طردت الاشعة الكونية (السهمان المنحرفان) وقد اثر سيال الشمس على بيئة الارض أيضا فجعلها تنبعج بفعل الضغط »

فوزى الشتوى

فى عالم الفن

كيف نحتفل برائد المسرح الغنائى

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ماذا فعلناه للاحتفال برائد المسرح الغنائى سيد درويش ؟ ان الاحتفال بمرور ٤٠ سنة على وفاته سيبدأ بعد أيام (فى منتصف سبتمبر) ، وكان المفروض ان نستعد لهذا الاحتفال استعدادا فنيا ، ولكن استعداداتنا تكاد تكون — الى الآن — استعدادات مظهرية او شكلية .

فمثلا اطلقنا اسمه على مسرح كبير بالاسكندرية، وهذه خطوة مهمة تم تنفيذها منذ شهور ، وكان يجدر بنا تعزيزها فنيا بتحضير بعض أوبريتاته او الحانه المسرحية لعرضها على نفس المسرح فى مناسبة ذكراه على الاقل ... مثل آخر : تم تشكيل عدة لجان لوضع برامج الاحتفال ، ولكن القرارات التى اتخذتها تعتبر — رغم اهميتها — قرارات روتينية ، مثل اقامة تماثيل وبناء مقبرة وانشاء متحف لتراث سيد درويش .. الخ

ما اثر هذا كله فى تطوير موسيقانا ، او فى تكريم سيد درويش كفنان ساهم مساهمة جادة في تطوير موسيقانا ؟ اننا نحتفل به على هذا النحو الروتينى منذ ٤٠ سنة ، ومع ذلك فلا يكاد يشعر احد بقيمته الفنية بالمعنى الحقيقى ... حتى الموسيقيون — او معظمهم — يجهلون اثر موسيقى هذا الفنان في خلق المسرح الغنائى ، بل يجهلون اهمية المسرح الغنائى نفسه

اذن ماذا نفعل ؟ هل نذيع الحانه ؟ تعالوا نواجه هذه المسألة الدقيقة بصراحة ... لو اذيعت الحانه بجوار الالحان المألوفة الآن فان كثيرين ربما يدهشهم مجرد اهتمامنا بالحان سيد درويش،وربما يتوهمون — وهم معذورون — ان الحان الموسيقيين الحاليين اكثر منها تطورا ... لماذا ؟ لان خط التطور الموسيقى غير واضح فى اذهاننا ... والمسألة فى غاية البساطة ... ان الموسيقى تتطور من المرحلة البدائية الفردية الذاتية ، الى المرحلة الموضوعية التركيبية التى تتمثل فى السيمفونيات بالنسبة للموسيقى البحتة ، وفى الاوبرا والاوبريت بالنسبة للموسيقى التى يتخللها او يصاحبها تعبير بالالفاظ ... اى ان التطور الموسيقى يسير فى خطين رئيسيين ينتهيان بالتركيب السيمفونى من جهة ، والتركيب الاوبرالى من جهة اخرى .. ان هذا هو المقياس العملى الوحيد لاى محاولة موسيقية ... وعلى ضوء هذا المقياس نجد أن محاولات سيد درويش فى الالحان المسرحية محاولات متطورة جدا سواء بالنسبة للملحنين الذين سبقوه او عاصروه او خلفوه ...

لان الذين سبقوه اما انهم لم يفكروا فى التلحين للمسرح واستمروا فى الاغنية الفردية ، واما انهم لحنوا للمسرح باسلوب الاغنية الفردية ... ان سلامه حجازى مثلا صعد الى المسرح . ولكن « بالتخت » .. ان مجرد صعوده الى المسرح يعتبر خطوة كبيرة فى طريق التطور ، وهذا هو سر عظمته الفنية ، ولكنه رغم ذلك لم يكن اكثر من ممهد لسيد درويش الملحن المسرحى ... واما الذين عاصروا سيد درويش ولحنوا للمسرح ايضا فقد قاموا بدور كبير فى تدعيم « فكرة » المسرح الغنائى ، ولكن الحانهم المسرحية كانت غالبا مجموعة من الالحان الغنائية غير المترابطة ترابطا موضوعيا ... واما الذين خلفوه فانهم نزلوا من المسرح وعادوا الى الاغنية الفردية واستمروا فيها الى الآن ، ومن اجل ذلك توقف التطور الذى كان يجب ان نواصله نحو الأوبريت والأوبرا .

واذن فاذاعة الحان سيد درويش فى هذه المرحلة التى توقف فيها التطور نحو الاوبريت لا يكاد يفيد فى احياء ذكراه او بعث تراثه او مواصلة خطواته المتطورة ، الا اذا تعاون المتخصصون الدارسون فى القيام بعملية « تحضير فنى » لالحانه ، « وتحضير ذهنى » ليدرك الجمهور قيمة هذه الالحان واهميتها الفنية ... اننا بسبب عدم التحضير الفنى والذهنى نذيع الحانه فى مناسبات ذكريات ميلاده ووفاته فلا يجد فيها اغلبية ابناء الجيل الجديد من المستمعين والفنانين ايضا ما يدفع المتخصصين الدارسين الى

تقدير فنه هذا التقدير الذي يراه الناشئون مبالغا فيه مثلا ... وبعضهم يردد اسمه كفنان عبقرى لمجرد التعالم، ودون ادراك لمقومات عبقريته ... وكثيرون يتظاهرون بالرغبة فى تقريب فنه الى الجيل الجديد عن طريق المطالبة بتعديل نصوص اوبريتاته بحيث تناسب الفاظها ومعانيها الذوق الحديث ... وصحيح أن بعض الالفاظ تحتاج الى تغيير، ومع ذلك فلو اننا استخدمنا المعايير الفنية لتبين لنا أن التهذيب اللفظى مسألة ثانوية جدا فى الاعمال الأوبرالية، لان الموسيقى هى اساسها الموضوعى ... ان الاوبرات الايطالية التى الفها فردى وبوتشينى مثلا يسمعها ويشاهدها ويتذوقها المتفرجون فى مختلف بلاد العالم دون ان يكونوا بالضرورة ممن يفهمون حوارها بلغتها الايطالية ... وانت اذا حللت اى اوبرا عالمية لما وجدت فى معانى نصوصها قيمة كبرى، وانما ارتفعت الى المستوى العالمى بقيمتها الموسيقية

ومسألة اخرى: ان كثيرين يتظاهرون بالرغبة فى تقريب فن سيد درويش الى الجيل الجديد عن طريق استخدام « التوزيع الموسيقى » لبعض الحانه، كما حدث فى لحن (زورونى كل سنة مرة) او لحن (طلعت ياما احلى نورها شمس الشموسة)، وهذه محاولة براقة يبدو ان الغرض منها هو تجديد الحانه، بينما اذا نظرنا اليها نظرة فنية وجدنا ان الالحان الميلودية، اى الغنائية سواء لسيد درويش او غيره لايجددها « التوزيع »، بل ان الميلوديات بصفة عامة، وميلودياتنا بصفة خاصة، يفقدها التوزيع اهم عناصرها المميزة لها وهو عنصر الميلودى، مما دمنا نعتبرها الحانا فردية، اى اغانى

ان كل المحاولات التى تبذل لتقريب او تجديد موسيقى والحان سيد درويش، تعوق ادراك قيمتها الحقيقية، ما لم تدرك قيمة هذا الفنان كملحن مسرحى...ولكن الذين حطموا المسرح الغنائى بعده، بالاتجاه الى الاغنية الفردية، من غير المعقول ان يقوموا بالتحضير الفنى والذهنى لالحانه كالحان مسرحية، لانهم نزلوا من المسرح فعلا، واثروا فى مزاج الجمهور بالالحاح المتواصل على الاغنية الفردية، وبذلك حدثت فجوة كبيرة بين الحان سيد درويش والجيل الجديد الذى لم يجد امامه غير الاغانى الفردية، وطبعا حدثت نفس الفجوة فى طريق تطورنا الموسيقى، فان الاغانى الفردية يستحيل ان تعتبر امتدادا للمرحلة التى تطور اليها سيد درويش، بل هى بالبداهة ارتداد الى المرحلة التى سبقته ...

وصحيح ان الاغنية الفردية حدثت فيها تجديدات كثيرة، ولكنها تجديدات « موضعية »، وليست تجديدات موضوعية، وبالتالى لا يمكن أن تؤدى الى اى تطوير فنى، لان التطوير كما اسلفنا يتجه اما نحو الاوبريت واما نحو السيمفونية

واذن فمن الضرورى اعادة تقييم سيد درويش عن طريق ارشاد الجيل الجديد الى حقيقة الفوارق بين التجديدات الموضوعية والموضعية، وبين الالحان المسرحية والغنائيات الفردية، قبل تقديم اوبريتاته على المسرح، وبذلك نساهم فى التحضير الذهنى لتراثه ... ان الحانه تتعرض للفشل او لعدم فهمها فهما حقيقيا بسبب الافتقار الى هذا التحضير، وفعلا عندما عرضت « اوبريت البروكة » فى الموسم الماضي — وهى من انضج اوبريتاته فنيا — لم تجد ما هى جديرة به من اهتمام الجيل الجديد، وكذلك تواجه معظم الحانه نفس المصير، ليس بسبب حاجتها الى التعديل اللفظى مثلا، بل بسبب الحاجة الى ادراك قيمتها الفنية

الدليل على ذلك ان الحانه تنال تقدير الموسيقيين العالميين كلما اتيحت لها فرصة الظهور فى الأوساط العالمية ... فمثلا فى العام الماضي سمع اساتذة الموسيقى فى اكاديمية الموسيقى بفينا احد الحانه، فادهشهم ان يصل موسقار عربى الى هذا المستوى... والذى حدث بايجاز ان عازف التشيللو كمال هلال الذى اوفد فى بعثة لدراسة الموسيقى بالنمسا سئل فى احد المهرجانات الفنية التى تقام هناك عما اذا كان من الممكن ان تعزف او تنشد فى ذلك المهرجان اية انشودة او مقطوعة موسيقية من المؤلفات العربية ؟ فاسعفته بديهته ان يكتب « نوتة » لاحدى مقطوعات سيد درويش، وفعلا كتب نوتة لحن « الحلوة دى قامت تعجن فى البدرية، والديك بيدن كوكوكوكو فى الفجرية »، وعندما انشد هذا اللحن احدث ضجة بين الموسيقيين هناك، لانهم وجدوا فيه دقة البناء الفنى فى التاليف، واصالة التعبير عن بيئته المحلية... ان سيد درويش وصل الى هذا المستوى، لانه ثار على الاغنية الفردية واتجه نحو الاوبريت

ان ذكرى سيد درويش تذكرنا بتعميق المرحلة الفنية التى وصل اليها كرائد لمسرحنا الغنائى، ومواصلة تطويرها، وبحث الاسباب التى حطمت المسرح الغنائى والتى ارتدت بنا الى الاغنية الفردية، واعادة

بناء هذا المسرح وتدعيمه حتى لا يتعرض للتحطيم مرة اخرى ... كيف ؟ بالدراسة

ان سيد درويش نفسه لم يكن دارسا متمكنا ، فقد ولد ونشأ فى المرحلة الارتجالية ، ولكنه بفطرته الفنية السليمة واستعداداته ثار على الاغنية الفردية، ووجد فى الاوبرات العالمية التى تهافت على مشاهدتها نماذج للمستوى الفنى الذى كـــان يريد أن يرفع موسيقانا اليه ، واعرب عن رغبته الملحة فى السفر الى اوروبا ليدرس الموسيقى التى درسها اعـــلام الاوبرا ، ومع أن هـــــذه الرغبة لم تتحقق ، فانه بالمشاهدة الفاحصة والممارسة الواعية ادرك كثيرا من اسرار التاليف الموسيقى والتلحين للمسرح بدليل أن الحانه المسرحية جميعا خالية من (ربع التون) المألوف فى غنائياتنا ، وفيها (الكونتربوينت) والصراع الفنى والتركيب البوليفونى وما الى ذلك من عناصر تاليف الدراما الموسيقية ، دون أن يتعمق فى دراسة هذا اللون الناضج العميق من التاليف الموسيقى ، بل بالسليقة ووعى الموهبة الجارفة

***

ان سيد درويش اقام مدرسته الفنية على اساس مواهبه واستعداداته ، وهى طبعا لاتكفى لانشـــاء مدرسة فنية ... لو كانت تكفى لما تهدمت بعـــد موته ، ولما انحرف التلحين الى الاغنية الفردية ... واذن فأفضل ما نفعله لاحياء ذكراه أن نعيد انشاء مدرسته على اسس علمية ... ان لدينا معــــاهد موسيقية كثيرة ولكن بعضها يخرج مدرسين تربويين لتدريس ابجديات الموسيقى ، وبعضها يخرج مدربين لتدريب التلاميذ فى طوابير الصباح ، وبعضها يخرج عازفين ، وهكذا ... ان معظم دراساتنا الموسيقية غير متكاملة وغير منهجية ، ولهذا فلا بد من استكمالها حتى تؤدى الى تغيير تفكيرنا الموسيقى بحيث ندرك أن المسرح الغنائى ضرورة لتطوير موسيقانا

ولكى ناخذ فكرة عن مدى النقص فى دراساتنا نذكر بعض المواد التى يدرسها طالب السنة الاولى فى معاهد الموسيقى بالخارج ... ان هذه المعاهد تقوم فى اول مرحلة بتقديم دراسات مبدئية للنورم والهارمونى ، « وادب الفن » ، وتاريخ وتكنيك وطرز الموسيقى القديمة ، ودراســـة عامة عن الاوبرا ، والبيانو باعتباره اســـاسا للعزف الموسيقى ، والتدرب على عزف السيمفونيات ، ومعـــــرفة تاريخ الآلات وتطورها ، وكيفية الكتابة الغنائية للكورال ، ودراسة المقامات الموسيقية الخاصة بالموسيقى الكنسـية القديمة ... الخ

هذا هو ملخص برنامج واحد للدراسات الموسيقية فى مرحلتها الاولى ، فماذا تدرسه معاهدنا ؟ ان سيد درويش لم يستطع أن يقيم مدرسته الفنية على اسس علمية لأن المرحلة الارتجالية التى عاش فيها لم تتح له فرصة التعليم المنهجى ... فاذا كان من اللازم الآن أن نعيد مدرستة اعادة علمية فمن اللازم ايضا أن نجمع كل مؤلفاته ونسجلها تسجيلا علميا ايضا.. ان هذا يقتضى التدقيق فى تجميع تراثه ، وفى توزيعه توزيعا فنيا يختلف عن التوزيع الذى قصد به تفتيت تراثه الى اغنيات فردية ... وبالنسبة للمقطوعات الفردية من الممكن اعادة صياغتها واداؤها بالكورال والهارمونى والاركسترا ، كما حدث فى التجربة التى قام بها الدكتـــور ابو بكر خـــــيرت فى لحن (ايه العبارة) ... المهم هو اداء مؤلفاته اداء علميا سواء كانت مؤلفات بسيطة او مؤلفات مركبة مثل الالحان المسرحية التى يجب اعادة توزيعها بحرص شديد. من الممكن ايضــــا القيام باعداد مؤلفاته للاذاعـــة والتليفزيون وعرضها فى الميكروفون والشاشة ، مع شرح خصائصها ومزاياها كأعمال فنية متطورة ... ومن الممكن اقامة ندوات يشترك فيها المتخصصون فقط لتحليل هذه الاعمال تحليلا علميا والقاء الضوء على الخطوات التى اجتازتها فى طريق التطور ، وكيف تراكمت العقبات بعد ذلك فى نفس الطريق ، وكيف تزال هذه العقبات لمواصلة التطور ... كذلك من الممكن أن تتناول الندوات الحفلة الشعبية التى يقيمها اهالى الحى الذى ولد فيه (كوم الدكة بالاسكندرية) لمعرفة مدى ارتباط هذا الفنان الشعبى بالارض ،ومدى ارتفاعه فى التكنيك الى المستوى الفنى الرفيع ، وكيف حقق بموهبته اهم مقومات الفنان الكبير بالجمع بين الاحساس بواقعه ، واستلهام هذا الواقـــع ، ومحاولة التعبير عنه بالادوات الفنية

ان هذا افضل واجدى على الفن من اقامة التماثيل والنصب التذكارية والحفلات الروتينية .

عبد الفتاح البارودي

البريد الأدبي

تهنئة

من رسالة بعث بها اللواء الركن محمود شيث خطاب وزير البلديات بالجمهورية العراقية

اهنيء نفسي والامة العربية خاصة والمسلمين عامة بعودة « الرسالة » الحبيبة الى الصدور

لقد كنت من عشاق قراءتها ، ولدى مجموعة تضم من العدد الاول منها الى العدد الاخير ، وكم هتفت من صميم قلبي : لماذا لاتعود « الرسالة » الى الصدور !

كنت ارسلت اليكم منذ عامين كتابي : الرسول القائد ، مع الاستاذ محمد سعيد العريان ولا اعرف هل وصلكم ام لا .

كيف يكتب التاريخ القريب ؟ !

صدر اليوم — الاربعاء — السابع من اغسطس ١٩٦٣ — كتاب عن « قاسم امين » الفه الدكتور ماهر حسن فهمي . وقد بادرت الى شرائه واخذت اقلب صفحاته فبدا لى ان الفكرة التى ارجح انى ساخرج بها عنه بعد قراءته هى انه كتاب قيم بذل فيه جهد طيب واضح .

ولكنى حين بلغت ثبت « أهم مراجع البحث » قرات فيه — ص ٢٣٦ — تحت رقم ٢٦ مايأتى :

« سعد زغلول من اقضيته لمحمد عبده عزام القاهرة — ١٩٢٦ »

وأنا لا اعرف ان ثمة كتابا يحمل هذا العنوان غير كتابى الذى طبعته مطبعة الرسالة ونشر فى فبراير ١٩٤٢ ولو وجد كتاب بهذا العنوان سنة ١٩٣٦ لما صح لى اتخاذه لنفسى فضلا عن ان السيد الدكتور محمد عبده عزام مع فضله وادبه ليس من رجال القانون . ولا نزاع ان المرجع المقصود هو كتابى انا وقد اشار اليه مؤلف « قاسم امين » فى ص ٦٥ واحال الى ص ٥٩ وما بعدها من هذا المرجع اى « سعد زغلول من اقضيته » فكيف نزعت منى ملكيتى على هذا الوجه السهل ! ان الشارع الذى يغير اسمه يكتب تحت اسمه الجديد اسمه الذى كان « سابقا » ! ..

بيد أن الامر لاتنحصر اهميته فى هذين الخطأين فى اسم المؤلف وتاريخ النشر ، ان الامر يتصل بسائر التحقيقات والمعلومات ولا سيما ان المؤلف قد بين بمقدمته انه كان « لابد أن يجمع بعض مادة هذا الكتاب عن قاسم أمين من أحفاده وأقربائه » .

وانى اتحرز فأؤكد ان هذا ليس ادانة للكتاب أى كتاب قاسم امين وانى ساكون مسرورا اذا انتهيت بعد قراءته الى تثبيت فكرتي الاولى عنه . وانما هو تصويب واجب لوجه العلم والحق والتاريخ ودعوة مخلصة الى المؤلفين والكتاب ان يلتزموا مايلزم من الدقة والصبر والمراجعة وبخاصة حين يتصل الامر بالتاريخ القريب والاسماء الواضحة والارقام الظاهرة والامور التى لاتحتاج الى تنقيب مضن او عناء فى التحقيق وفك الالغاز والرموز

عبده حسن الزيات
المحامى

من بغـــــداد

لقد صفقت عاليا حين قرات مجلة الرسالة بعد غيبة طال امدها ، وهجر اسلمنا الى الياس ، ولقد والله ما قامت مجلة بعدها بمقامهـــا ، ولا سدت من بعدها فراغها الى اليوم ... ومن الخير لها ولقرائها أن تصل ما انقطع من خط سيرها فلا تحيد ولا تميل فنحن ظماء الى الادب والفن ، ولغيرهما غيرها .

بغداد — عبد الحليم الالوسى

هلـــــم

هلم الى الربع الـــذى أنت أهلـــه
الى قلبى الصـــادى الى صـــدرى الحانى
هلم الى الروض الـــذى أنت زهـــره
الى الطائر الشـــادى الى عذب الحانى
هلم بلا عـــذل .. هـــلم بلا قلى
هلم بلا لوم كــلانا هو الجـــانى
كفانا من الهجـــر المبـــرح ما مضي
فانا عـــلى ما بيننـــا .. اخـــوان

نانان تاوضروس عبيد
الشامية — اسيوط

بين امير وشاعر

اثنى الامير الكويتى الشيخ عبد الله الجابر الصباح على الشاعر الكبير محمود غنيم فى بعض المناسبات فاهدى اليه الشاعر نسخة من ديوانه « فى ظلال الثورة » الذى نال جائزة الدولة فى العام الماضي وصدر الاهداء بالابيات التالية .

لما رايت جميل عطفك غامرى
ورايت فضلك فوق شكر الشاكر
عبرت عن شكرى بذوب حشاشتى
وعميق احساسي وفيض خواطرى
اهدى اليك ـ ولا امن اعزما
ملكت يدى . والشعر كنز الشاعر
قدمت ديوانى اليك وحسبه
شرف القبول من الامير الجابر
فاذا تبلت فتلك عندى منة
اخرى وفضل ماله من آخر

كلية دار العلوم والدراسة المسرحية

قرات مقالة للأستاذ دريني خشبة فى عدد اخير بالرسالة (١٠٢١) اشار فيه الى وجوب اهتمام كلية اللغة العربية الازهرية بالدراسات المسرحية للمحافظة على اللغة العربية وتقويتها ، والتفت فى سياق الحديث الى الكليات الجامعية الاخرى التى تدرس اللغة العربية ، فقال : « لكن الذى نعيبه هو تجاهلها .. للمسرح والمسرحية وفنون التمثيل » . والحقيقة ان كلية دار العلوم تدرس المسرحية ، وتجعلها ضمن دراسة مادة « تاريخ الادب العربى » بالليسانس ، ويوضع لها سؤال اجبارى من ثلاثة اسئلة بورقة الامتحان النهائى ، ويقوم بتدريسها حاليا الاستاذ عمر الدسوقى الاستاذ بالكلية فى كتابه « فن المسرحية » .

فدار العلوم اهتمت بالدراسة المسرحية نظريا وعمليا فهى تقوم بحفل تمثيلى كل عام ، ويساهم ابناؤها المدرسون بالمدارس فى عمل المسرحيات وتدريب الطلبة على التمثيل للنهوض باللغة العربية .

مصطفى محمود مصطفى

صرخة الاقليم السورى

الوحـــدة

نبقى عشاقك يا وحده
فالذهب الخالص لا يصدا
والقلب الثائر لا يهدا
والنجم الثاقب لا يطفا
يا عرفت سوريا الرده
اعداء الشعب هم ارتدوا
هبوا للثورة واشتدوا
ويل للشعب اذا بدوا
حكاما ليس لهم مبدا
الجرح الاعمق لن يبرا

خالد مصباح مظلوم

من الخرطوم

اننى اذ ابعث اليكم بهذا الخطاب انما اهنئكم فيه تهنئة حارة خالصة بالعود الحميد والقدوم السعيد لمجلة « الرسالة » الغراء الزاهرة ، فقد طال غيابها عنا حتى عادت كما يعود الصاحب لصحابه او الاسد الى غابه لذا فقد كانت فرحتنا بعودتها جد طاغية وكيف لا تكون كذلك وهى مدرسة قائمة بذاتها تخرج وستخرج منها جيل باكمله فكل مجلة غيرها لم تسد فراغا مثلها حتى اصبحت لا نظير لها او قل ان شئت كل الصيد فى جوف الفرا وكل هذه الحالة الطيبة بلغتها حتى تبوات منزلة عالية ومكانة سامية بفضل ما تبذلونه من جهود عظيمة فى سبيل تقدمها فانا لا اهنئكم بعودتها وحدكم بل اهنىء العالم العربى كله لانها لم تعد وقفا على مصر وحدها .

الخرطوم ــ هاشم مصطفى المأثم

خواطر منظومة
عودة الرسالة

عادت الرسالة والعود احمد .. واننا لعودتها فى غاية الشوق لنتعلم منها الادب والذوق ... فهى امنا الرءوم .. ومدرسة لنا ودار علوم ــ بعد ان عشنا معها عشرين عاما ــ كانت علينا بردا وسلاما فاهلا بك يا رسالتنا الحبيبة .. ويا امنا النجيبة .. لقد جئت مع اعياد الثورة .. ونرجو أن تدور بك الايام الف دوره .

حسن عبد العزيز الدالى

أخبار علمية وأدبية

● الاستاذ مالك بن نبي الكاتب الجزائري المعروف، سيغادر القاهرة الى الجزائر بعد استقلالها للاقامة فيها . والاستاذ مالك ظل محجورا عليه في باريس خلال سنوات الثورة، الف هناك في الدراسات الفلسفية الاسلامية عدة كتب باللغة الفرنسية ترجمت في القاهرة الى اللغة العربية .

ابرز كتبه : الظاهرة القرآنية ووجهة العالم الاسلامي والصراع الفكري في البلاد المستعمرة

● اصدرت دار الهلال بالقاهرة ضمن سلسلة « روايات الهلال » الحلقة الاولى من السيرة الشعبية « سيف بن ذي يزن » تناولت السيرة والبطل ، اخرج هذه الطبعة اخراجا جديدا ، وعرضها عرضا شائقا الاستاذ فاروق خورشيد ، وقد حرص جاهدا على المحافظة على روح النص الاصلي واحداث السيرة .

● افروديت رمز الجاذبية الجنسية توشك ان تفقد شهرتها كالهة الاغراء الجنسي وتصير رمزا للامومة ، وفقا لاكتشاف تمثال جديد لها في تركيا . ويرجع عهده الى ١٠٠ سنة بعد الميلاد . وكان جزءا من معبد ، ولكنه كسر الى جزئين ووضع في اساس معبد آخر .

وقال خبراء الآثار ان التمثال الجديد لامراة بدينة ترتدي ملابس كاملة ومجردة من مظاهر الاغراء الجنسي ، وان ظهرت عليها تعبيرات الامومة الناضجة، مما يخالف المعروف عن تمثال «افروديت دي ميلو » العارية تقريبا ، وكل جزء من جسمها يفصح عن الاغراء الجنسي

● ظهر الجزء السابع عشر من كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المتوفى عام ٤١٥ هـ حرر نصه الاستاذ امين الخولي واشرف على احيائه الدكتور طه حسين .

هذا التراث تصدره وزارة الثقافة والارشاد القومي بدون ترتيب في صدور الاجزاء ، وتقوم بنشره المكتبة العربية بالقاهرة .

● العقول الآلية المتصلة بمناظير الراديو هي افضل الاجهزة لفهم اشارات الاحياء العاقلة التي توجد في الكون ، ومن الجائز ان يكون بعضهم في النظام الشمسي المحيط بالارض ، ويبعثون الينا برسائلهم ، ولكننا لا نفهمها .

ابدى هذا الراى الدكتور « رونالد براسويل » من خبراء مناظير الراديو بجامعة ستانفورد . وقال اننا يجب ان نعنى بكل اشارة راديو تصل الى الارض . ومن البديهي ان لانفهمها ، ولكن العقول الآلية تفهمها لان مبادئها يرجح أن تكون واحدة عندنا وعند اولئك الناس النابهين

● اخترعت احزمة مضيئة يستخدمها من يتعرضون للخطر في الاماكن المعتمة كرجال الحريق، والشرطة ، وحالات الطوارىء . ومن يعملون في المطارات . وقد وزعت اخيرا في المؤسسات الامريكية حتى يظهر مستخدموها من بعيد . وبها يمكن انقاذهم في حالات الطوارىء

● اخترعت ملابس جديدة لرجال الفضاء لتقيهم الحرارة التي تنشأ عند عودتهم الى الارض واحتكاكهم بطبقات الهواء الكثيفة ، وقد كادت تحترق احدى مركبات رجال الفضاء. وستستخدم هذه السترة في حالة الطوارىء عندما تفقد مركبتهم ويضطرون الى مغادرتها وهم في الفضاء

وتصنع هذه السترة من ثلاث طبقات . والخارجية منها تتألف من نسيج اشبه بقلوع المراكب ، وتحتها طبقة من الاقمشة القطنية . اما الطبقة الثالثة الملاصقة لجلد رجل الفضاء ، فتصنع من خليط من نسيج النيلون والالومينيوم، وقد جربت في صاروخ اخترق طبقات الهواء بسرعة ٢٠ الف كيلو متر في الساعة ، فسجلت قدرتها على احتمال الحرارة

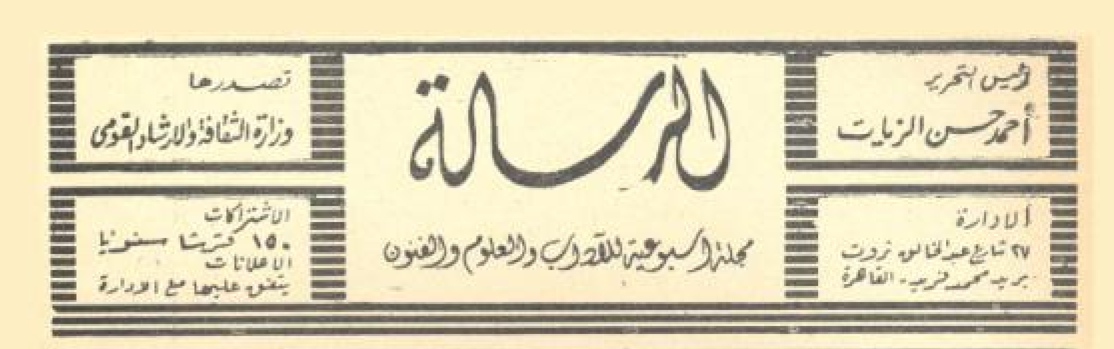
● انتهى الاستاذ سامي بشارة مفتش التحقيقات بوزارة التربية والتعليم من اعداد دراسة واسعة عن « محمد خاتم الانبياء » تقع هذه الدراسة التي اتسمت بالصراحة والصدق الادبية في اكثر من ٣٠٠ صفحة ، وقد استغرقت زهاء سبع سنوات .


الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٥ - ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ - ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

مدرسة الرسالة

بقلم: أحمد حسن الزيات

طلب الى محرر هذه المجلة ان اكتب عن مدرسة « الرسالة » . ولا يملك الزيات أن يرفض طلبا « لقافلة الزيت » ، وربما كان من الأفضل والاعدل أن يكتب هذا الفصل غيرى ، ولكننى سأتسلى انى كنت مديرا لهذه المدرسة لأكتب ما لا ريب فيه ولا بد منه لتاريخ الأدب .

ظهرت مجلة « الرسالة » في يناير من عام ١٩٣٣ على فترة من المجلات الأدبية الجدية فملأت فراغا وسدت حاجة . كانت مجلتا (البلاغ الاسبوعى) و (السياسة الاسبوعية) قد غابتا من سماء الادب فتركتا بعدهما ظلاما يتقطع به الطريق ويضل فيه الدليل ، وكانت المجلات الخفيفة الفكهة قد حاولت ببصيصها الخافت ان تدل على نفسها فى هذا الظلام الحالك فلم تستطع ، لان الوعى الادبى كان قد جاوز طور الحداثة فلم يعد يرضي باللذة دون الافادة ولا بالاثارة دون الانارة ، فعاف هذا اللون من الغذاء التافه وظل طاويا ينتظر من القرائح الناضجة ان تجود له بغيره .

✽ نشرت هذا المقال مجلة (قافلة الزيت) في عدد اغسطس من هذه السنة فرأينا من الخير ان ننقله عنها خدمة لتاريخ الصحافة في الادب الحديث .

وكان الادباء الموهوبون من الكهول والشباب يعانون الكبت الفكري من طول ما كظموا على تراثهم منذ شق عليهم ان يجدوا متنفسا او مفيضا في مجلة يكون لها مستوى ارفع ورسالة اعلى وهدف ابعد .

وكان العالم العربي على اثر خروجه من جهالة الترك الى ضلالة الاستعمار يشكو شتات الوحدة وضعف القومية وذل التبعية ، فهو يريد ان يتعرف بعضه الى بعضه ، وينضم قاصيه الى دانيه ، ويرتبط حاضره بماضيه ، عن طريق اللغة الواحدة والكيان المتميز والوطن المستقل والادب الموروث والتاريخ المشترك والأمل الحافز — مجتمعا كل اولئك في مجلة تترفع عن الاقليمية ، وتعتز بالعروبة والعربية ، وتساير ركب الثقافة والمدنية ، وتضطلع بعبء السفارة الفكرية ، بين المصري والمغربي والجزائري والتونسي والسوداني والفلسطيني والسوري والسعودي واللبناني والعراقي ، فكانت تلك المجلة المرجوة التي قربتالبعد ووشجت القرابة وجمعت الشمل وسهلت الوحدة وحققت الأمل هي (الرسالة) . لذلك لم تكد تظهر وتذيع حتى اقبل عليها عشاق الأدب وطلاب المعرفة وكتاب الطليعة من جميع اقطار العروبة ليخرجوا في ضوئها الى النور ، ويسيروا من طريقها الى الظهور ، وينشروا على صفحاتها ما انطوى في صدورهم طويلا من معاني القومية واماني الحرية . وكانت الرسالة قد وضعت منهاجها على قاعدة ثابتة من مزج الدين بالدنيا وربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب باللغة الفصحى والاسلوب الصحيح والفكر المتزن ، فلم تنشر العامي ولا الركيك ولا المنحرف ، واتبع كتابها هذا النهجواوضحوه حتى وقف بهم عندالغاية المقصودة فتعارفوا على بعد الدار ، وتآلفوا على انقطاع السبب ، وتميزوا على نظرائهم من سائر الادباء بالتعبير العربي الخالص والتفكير الاسلامي الصادق والاتجاه التقدمي المستقيم ، فتكونت منهم مدرسة في الادب كان لها الاثر البالغ في انعاش اللغة وانهاض الاسلوب فيالمقالة والقصيدة والقصة والبحث والنقد والترجمة . كان اتباع هذه المدرسة كاعضاء الاسرة الواحدة تجمعهم آصرة الحب ، وتؤلف بينهم وحدة الهوى ، فاذا تدانوا تراءوا بالعين ، واذا تباعدوا تلاقوا بالروح . ولا يزالون بعد احتجاب «الرسالة» اخوان صدق والف مودة .
وكان المقيمون منهم في القاهرة يجتمعون مرتين في الاسبوع : مرة في ندوة « الرسالة » مساء الاثنين ومرة في « لجنة التأليف والترجمة والنشر » مساء الخميس . وكان اجتماعهم في المرتين اجتماع قلوب تنبض بالعاطفة اوروؤس تشع بالفكر والسنة تجادل بالمنطق ، ثم لا يلبث ما تشاجن من هذه الاحاديث ان يرتسم على وجه « الرسالة » في بحث او مقالة .

كان من اساتذة هذه المدرسة العقاد وطه حسين والرافعي واحمد امين والبشري والمازني وشكري والحكيم والنشاشيبي وعبد الوهاب عزام واحمد زكي وفريد ابو حديد ومحمد عوض محمد والعبادي والغمراوي ومحمود شلتوت والمدني والزهاوي والرصافي والمغربي والخوليومصطفى عبدالرازق .

وكان من خريجيها والكاتبين فيها محمود الخفيف وسعيد العريان ومحمود الشرقاوي والطنطاوي وانور العطار والافغاني ومحمود شاكر وسيد قطب وامجد الطرابلسي وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وعباس خضر وانور المعداوي ونجيب محفوظ ومحمود البدوي وزكي نجيب محمود ومحمود ابو ريه وابو القاسم الشابي والتيجاني ويوسف بشير وعبد الرحمن الخميسي وفخري ابو السعود وعبد الفتاح البارودي وعبد القادر الناصري وكامل حبيب وابراهيم الوائلي وابراهيم العريض ودريني خشبة وعبد المنعم خلاف والزحلاوي وبشر فارس وصلاح الدين المنجد وعدنان مردم بك ومحمد رجب البيومي وكامل السوافيري وعمر حليق ، وآخرون منهم لم يكتبوا كثيرا فغابت اسماؤهم عن الذاكرة .

اما الذين تأثروا بها وتعصبوا لها من طريق القراءة فهم الوف الالوف من بني عدنان ، كانوا يرتقبونها في كل اسبوع ارتقاب المحبالوامق لقدوم الرسول المبشر ، ولا يزالون يفتقدونها فيكلمشروع افتقاد السائر الحائر لهداية الدليل المجرب . ولم يحدث في تاريخالصحافة قبل الرسالة ان مجلة احتجبت عن قرائها ثم ظلوا يهفون اليها ويتحسرون عليها ويتمنون عودتها عشرسنين كوامل ! وسر ذلك ان صفحاتها كانت ملتقى الاذهان لامة متفرقة ، وان مدرستها كانت مصدر التوجيه الى وحدة مرجوة ، وان سياستها كانت واضحة الخطة لغاية مقصودة ، وان طريقتها كانت موضع الرضا من الشيوخ الذين يميلون ببرودهم الى المحافظة ، ومن الشباب الذين ينزعون بحرارتهم الى التجدد .

ومصداق ذلك ان مدرستها لم تنحرف ابدا بلغة القرآن وادب العرب ، وهما وليدا الشمس المشرقة والجو الصافي ، الى تلك المذاهب الشاذة التى ابهمتها العقد النفسية والجو الغائم كالرمزية والوجودية والسريالية وهلم جرا الى اللامعقولية ، وانما ظلت على الطريق الاوسط تعتقد ان الادب رسالة ، وان الرسالة بلاغة ، وان البلاغة بيان ، وان البيان وضوح ، وان الوضوح فهم ، وان الكلام الذى لا يترجم الا بالتخمين والتأويل يختلط مدلوله فى كل ذهن ، ويختلف اثره فى كل نفس . ومثل هذا الكلام الذى يجافى منطق اللغة وينافى طبيعة البيان يكون بهذيان المحموم اشبه ، وفى اصوات العجماوات ادخل .

كانت مدرسة الرسالة تنظر من عل الى هذه البدع والاضاحيك يستوردها النشء المتأدبون من شعوذى الادب الغربى يريدون بها الاغراب والحذلة والظهور ، فتحاول ان تردهم الى الجادة بمنطق العقل وتقول لهم ان هذه الاساليب الملتوية لم تلهمها طبيعة ولم توجدها ضرورة وانما هى عبث من العبث سوله الطبع المنحرف والعقل المريض لعبقريات جامحة فابتدات بكتابة ما لا يفهم ثم انتهت الى كتابة ما لا يعقل ، والبدعة تنتقل من المنحرف الى المنحرف فيكون المذهب ، كما تنتقل العدوى من المريض الى الضعيف فيكون الوباء . ومما حبب «الرسالة» الى النفوس انها كانت تعالج مادية العلم بروحانية الدين ، وتحارب فردية الاقطاع بعدالة الاسلام ، وتعنى باعداد القادة من الخاصة قبل عنايتها باعداد الجند من العامة . وتحاول اصلاح المجتمع باصلاح العقيدة واصلاح العقيدة باصلاح الازهر .

وجملة القول فى مدرسة «الرسالة» انها انشأت جيلا من الادباء تزعم النهضة الفكرية بحق ، والفت موسوعة فى عشرين مجلدا من آداب العرب وعلوم الشرق ، وقادت ثورة النفوس المؤمنة بالاصلاح على الفساد والاستبداد والحزبية والاقليمية والتخلف ، حتى قرت فى الاذهان معانى الحرية والديمقراطية والعدالة والقومية واصبحت من مآرب الافراد ومطالب الشعوب تجيش فى صدورهم املا ، وتظهر فى جهادهم عملا ، وتضطرب فى نفوسهم حاجة .

احمد حسن الزيات

***

والرسالة العائدة ستصل ما انقطع من جهادها فى هذا الطريق الذى اوفى بها على هذه الغاية .

أكلة التفاح

للدكتور محمد أحمد خلف الله

لم يكن الوحيد من بين الناس أجمعين الذى حدثت له هذه الواقعة . فلطالما حدثت لأناس من قبل ، ولطالما حدثت لأناس من بعد ـ لكنه كان الوحيد من بين كل أولئك الذى تمت على يديه المعجزة .

لقد حدثت هذه الواقعة لأناس كثيرين من الشرق ومن الغرب . لكنهم لم يأبهوا لها ، ولم يهتموا بها ، ولم يقفوا عندها الوقفة التى تدرك السر وتعرف الحقيقة . اما هو فقد وقف وأطال الوقوف ، واهتم واكثر من الاهتمام ، واخذ يسأل نفسه السؤال تلو السؤال ، ويجيب عن اسئلته الاجابة تلو الاجابة ، وظل فى هم مقيم حتى كشفت له الحقيقة عن نفسها وكانت المعجزة .

ان الثمرات تسقط دائما من أعلى الشجرات . تسقط امام أعين الناس على اختلاف اجناسهم والسنتهم والوانهم . لا يحول بينها وبين السقوط حائل من زمان أو مكان . ومضى الناس جميعا على أن هذه الثمرات الساقطة من نضج ليست الا الرزق الحلال الذى ساقه الله اليهم ليكون منه طعامهم والشراب . ومضى الناس أيضا على أن يلتهموا هذا الزاد الشهى ، وأن يحيلوه الى عنصر آخر كريه الرائحة يقذفون به الى خارج بطونهم . أما هو فلم يفسر هذا التفسير ، ولم ينظر الى التفاحة التى سقطت عليه ، أو بين يديه ، نظرته الى طعام أو شراب . وانما نظر اليها على أنها واقعة يجب التفكير فيها ، والتدبير فى أمرها . ومن هنا راح يسأل نفسه ، وراح يبحث عن السر المجهول فى هذا السقوط . ولم يزل هذا شأنه حتى كانت الحقيقة التى أحدثت ثورة علمية .

لقد اكتشف نيوتن قانون الجاذبية من هذه الواقعة التى حدثت أمام بصره وبصيرته . وحدد نيوتن بهذا الكشف العلاقة بين الاشياء بعضها وبعض ، وبين الارض والسماء ، وبين الاجرام السماوية بعضها وبعض ، وأحدث ثورة علمية فى كثير من الميادين ، وقاد الى تقدم حضارى اعترفت له بالقيادة فيه ملايين وملايين .

ترى لماذا اهتدى نيوتن الى ما لم يهتد اليه غيره ؟ أو ترى لماذا لم يهتد احد من قبل الى مثل ما اهتدى

اليه نيوتن ؟

لقد سمعنا من قبل ، ومن أناس عديدين ، ان الصدفة وحدها هي التي قادت نيـــوتن الى ذلك الاكتشاف العلمي الخطير · وصدقوني حين أقول لكم : اني لا أجد تعليلا أسخف من هذا التعليل في مثل تلك الميادين العلمية التي لا تؤمن الا بالتجربة وسيلة ، وبالقاعدة دليلا ، وبالقانون برهانا ـ على صحة ما تذهب اليه ·

ان الصدفة قد تقف عند حدود سقوط التفاحة من أعلى الشـــجرة على رأس نيوتن ولكنها لا تمضي الى أبعد من ذلك في الكشف عن هذه الحقيقة العلمية .. وليس أدل على ذلك من أن هذه الصدفة قد تكررت ، ولا تزال تتكرر ، فلم يقف سقوط الثمر من أعلى الشجر في أي وقت ، وفي اي مكان ، انه يحدث في كل لحظه · وهو حين يحدث لا يوحي لانســـــان ، ولا يكشف له عن سره ، مثل ما فعل مع نيوتن ·

ان رأس نيوتن هي التي تحمل الاجابة · ان عقله المفكر ، واستعداده العلمي الطيب ، والمناخ الثقافي الذي كان يعيش فيه ، ان كل ذلك هو الذي تفاعل مع هذه الواقعة ، وهو الذي أسبغ عليهـــا الصفة العلمية ، وهو الذي أحالها الى قانون علمي يعرف بقانون الجاذبية ·

والآن نطرح على أنفسنا هذا السؤال · هل من بين رجال العلم والفـكر فينا من تسمو به همته . وثقافته ، الى الوقوف عند واقعنا ومشكلاتنا ، مثل تلك الوقفة التي وقفهـــا نيوتن مع تفاحته ، بحيث ينتهي الى قاعدة علمية ، أو نظرية فلسفية ، أو تفسير صحيح لهذا الواقع ، وحلول مستقيمة لمشكلاته · أو انهم جميعا من أكلة التفاح ؟ اي من الذين يمرون بالاحداث وهم عنها معرضون · أو تمر بهم الاحداث وهم عنها لاهون · ؟

أخشى أن أقول ان معظمنا من أكلة التفاح ·

أخشى أن أقول انه ليس بيننا اليوم من يمكنه أن يدعي أنه صاحب نظرية فلسفية أو اكتشاف علمي أو اختراع حضاري أو أن له موقفا من الحياة ·

اننا جميعا نعتمد على غيرنا أكثر من اعتمادنا على أنفسنا · ومن هنا اضطربت الحيـــاة العلمية في معاهدنا وجامعاتنا · واضطربت الحياة الفكرية في كتبنا ، ومجلاتنا ، وصحفنا · وتعقدت الامور في أيدينا ، وكثرت المشكلات من حولنا ·

ان رصيدنا الثقـافي يكتنفه الغموض ، وتكتنفه الفوضى · انه يوحي بالبلبلة الذهنية · وليس يخفى أن من يرتضي الفوضى والبلبلة لايمكنه أن يفهم نفسه ، أو يجد حلولا لمشكلاته فضلا عن ان يكون صاحب رسالة يهتدي بها ، ويهدي بها العالم ·

لقد كان العقـل العربي في يوم من الايام عقـلا شخصيا منتجا · عقلا خالقا مبدعا ، له في كل ميدان أثر وفي كل واد تجربة · ولقد ساهم هــذا العقل في الحضارة الانسانية وفي التراث البشري ، وقاد الأمة العربية أولا وبعض الامم الاخرى الى طريق السعادة ، فحررها من الظلم والطغيان وا تسبها من القيم الروحية والقيم الخلقية ما جعل العدالة اصلا من أصولها في حياتها العادية · وما جعل المساواة أساسا من أسسها الاجتماعية والقانونية · وما جعـل الحرية الفكرية المنار الذي يهتدي به كل انسان فضلا عن أن يكون عالما أو مفكرا ·

لقد كان العقل العربي في يوم من الايام عقلا قائدا فما باله اليوم اصبح عقلا مقودا · عقـــلا متخلفا ومتأخرا · عقلا لا ينهض بنفسه وانما ينهض بغيره ، ويستجلب حلول مشكلاته من الخارج كما يستجلب الآلات والاشياء المادية سواء بسواء ·

لقد استحدثنا من المؤسسات العلمية والثقافية الشيء الكثير · استحدثناها من أجل أن ينشط الفكر العربي ويقوم بدوره في بناء الحيـــاة الجديدة على أسس علمية ، ولكنا لا نزال بعيدين عن المشـــاركة في خلق حضارة عالمية ·

ان رصيدنا الثقافي لم يســـتكمل بعد كل القيم الثقـــافية السليمة التي يمكنها أن تدفع الحياة في المجتمع العربي دفعا قويا · فلا يزال في رصـــيدنا النقد الزائف ، ولا يزال فيه النقد الضئيل القيمة الذي لا يسمن ولا يغني · وكم نتمنى أن يصبح هذا الرصيد الثقافي قويا ، متينا ، باعثا على النهضة ! دافعا الى التقدم ·

يقولون ان أهم ما يقاس به الفرد أو المجتمـــع او الحضارة هو مقدار ما يتضمن كل منها من قيم عقلية ، وخلقية ، وروحية · هذه القيم هي لب الحياة البشرية بها يمتاز الانسان عن الحيوان ، وبقوتها يصـــمد للعواصف والنكبات ، وبتراكمها الايجـــابي تبنى الحضارة ويرتفع العمران ·

ويقولون أيضا ان أعظم المشكلات التي تواجهنـــا ليست في قلة الخبرات الفنيـــة ، وليست في نقص الآلات الميكانيكية ، وليست في شدة احتياجاتنـــا للاموال اللازمة لتنمية مجتمعنا ، ولكنها في شيء آخر في قدرتنا على الاستجابة الثقافية للحضارة المعاصرة

ونحن استنادا الى كل ما تقدم نقول بأن المرحلة التى نمر بها ليست الا مرحلة الوعى الثقافى . الوعى بكل ما هو كائن ، والوعى الذى يقود الى ما يجب ان يكون .

انما بغير الوعى الثقافى نعجز عن المضى فى الحياة ، فمشكلاتنا جميعها من اقتصادية الى سياسية الى اجتماعية ليست فى حقيقتها الا مشكلات ثقافية . والذين يفصلون بين الثقافة وبين الاقتصاد والسياسة ليسوا الا سطحيين .

***

ان هذه الميادين انما تتداخل تداخلا عميقا فلا يتحكم الاقتصاد وحده فى علاقاتنا الاجتماعية وفى وعينا كما تزعم الماركسية لأن الانسان ليس مجرد مستهلك ومنتج وانما هو انسان قبل كل شيء وبعد كل شيء . انه انسان وان تكن انسانيته الحقيقية لا تبدأ وتأخذ مظهرها الانسانى الا عندما يتخطى عتبة الحاجات الضرورية ويعلو فوق عالم الضرورات . ان ما يقلق فى هذا الأمر هو أن يحول البؤس دون الانسان أن يكون انسانا .

والسياسة كذلك لا تنفصل عن الثقافة لأن العلاقات بين الجماعات انما تقوم على ارتباط المصالح الاقتصادية والتجاذب الثقافى .

واذا كان الأمر كذلك فقد أصبح من الواجب علينا اذا أردنا حقا ان ندرك كنه هذا العالم الذى نعيش فيه أن ننفذ الى ماوراء السياسة والاقتصاد . الى الدوافع الاولى التى تحرك هذا العالم وتكيف حياته بكاملها .

هذا الفهم الذى نريد ، لا يكون الا على أساس من الثقافة . وليس يخفى انها الأصل الذى تتفرع عنه جميع مظاهر الحياة .

***

انا أردنا أن نكون مثل نيوتن والا نكون من آكلة التفاح فان علينا أن نبذل الجهد الشاق فى اكتساب المعرفة وفى خلق الوعى الثقافى بالاشياء وبالانسان انا بدون هذا الوعى الثقافى لا نكون شيئا ، ونظل بعيدين وغريبين عن ميدان المعرفة .

ان تقدم الحياة فى مختلف الميادين انما يتم ارتكازا على جهود العلماء والمفكرين ـ المنصرفين الى البحث المنتظم المتكامل ، والمتعلقين بالنظر والتأمل . وما أشد حاجتنا الى كل أولئك .

ما أشد حاجتنا الى تكوين جيل من العلماء والمفكرين .

د . محمد أحمد خلف الله

عمرو بن العاص السهمى

فاتح فلسطين ومصر وليبيا

اللواء الركن محمود شيت خطاب

وزير البلديات بحكومة العراق

- ٢ -

الانسان :

مفتاح شخصية عمرو ، انه كان يستعرض جوانب (القوة) دائما ، ويوازن بين ما لدى اعدائه واصحابه على حد سواء من (القدرة) موازنة طويلة حتى لا يخفى عليه منها وجه من وجوه الراى ، فقد كان رجلا يتقن الحساب ويجيد المساومة . . . يقف ساكتا ويفكر طويلا . . . ثم يساوم فى حرص . انه كان يشترط دائما . . . هكذا كان موقفه فى كل امر !!

لقد كان يحب الامارة ويحرص عليها وفى سبيل الحصول على الامارة كان مستعدا ان يفعل كل شيء .

كان بارزا فى الجاهلية ، وقد اختارته قريش للسفارة بينها وبين النجاشي صاحب الحبشة ، لاقناع النجاشي بتسليم المسلمين المهاجرين الى قريش ، فراح عمرو يتقرب الى النجاشي ويستدر اهتمامه وتقديره ، ثم انهى اليه بأمر هؤلاء المهاجرين الهاربين من قومهم ، وناشده ان يستجيب لقريش فى رد ضيوف بلاده من المسلمين . ولكن النجاشي اراد ان يقف على الحقيقة ويستجلى بواطن الأمور، فجمع الطرفين فى مجلس واحد ، فتكلم عن المهاجرين جعفر بن ابى طالب وعدد مبادىء الاسلام وقرأ ما تيسر من سورة مريم ، فاختتم النجاشي هذا المؤتمر بقوله لعمرو وصاحبه سفيرى قريش : « انطلقا ، والله لا اسلمهم اليكما » .

ولما أسلم عمرو ، قربه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل واستعمله على (عمان) ، فمات النبى صلى الله عليه وسلم وهو اميرها ، وكان النبى الكريم يقول عن عمرو:«عمرو بن العاص من صالحى قريش»قال عمرو : « بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته ، فقال: انى اريد أن ابعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وارغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت : يا رسول الله ! ما أسلمت من اجل المال ، بل اسلمت رغبة فى

الاسلام . فقال : يا عمرو ! نعما بالمال الصالح للمرء الصالح» والحق أن عمرا اسلم وحسن اسلامه واخلص لدينه الجديد ، وكان ايمانه ايمانا عميقا ، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه أبو بكر الصديق احد الأمراء الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما حولها ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصرففتحها ، فولاه عمر بن الخطاب مصر الى أن مات عمر . لقد كان عمر بن الخطاب اذا نظر الى عمرو يمشي يقول : « ما ينبغي لابي عبدالله ان يمشي على الارض الا اميرا » ، وكان اذا راى الرجل يتلجلج يقول : اشهد ان خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد » وكان عمر اذا استضعف رجلا في رأيه وعقله قال : « اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد » يريد خالق الاضداد .

والحق ان عمرا اثبت كفاءة ادارية ممتازة عند ولايته لمصر ، فقد بنى مدينة الفسطاط وحفر خليج امير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الاحمر ونظم قضايا الري ، وكان عمر بن الخطاب يقدر لعمرو كل ذلك ، ومع هذا كان يحاسبه اشد الحساب على الخراج وحتى على ماله الخاص ، ويرسل من يسأل عمرا : من اين لك هذا ؟! ، وقد قاسمه عمر ماله كما قاسم غيره من الامراء ، واستقدمه مع ابنه محمد ليحاسبه حسابا عسيرا على ضرب ابنه محمد احد المصريين دون مبرر .

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن عمرو ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنه راضيان .

واقره عثمان بن عفان على مصر اربع سنين او نحوها ثم عزله عنها وولاها عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو وعثمان ، فقدم عمرو على عثمان مغضبا ومضى يستثير الناس على الخليفة ويقضي وقته متنقلا من مجلس الى مجلس يبسط للناس اخطاء عثمان ويحرضهم على الثورة ، فارسل اليه عثمان يوما فقال له : يا ابن النابغة ! ... اطعن على وتاتيني بوجه وتذهب عني بآخر ؟! ... » فقال عمرو : « ان كثيرا مما يقول الناس وينقلون الى ولاتهم باطل ، فاتق الله يا امير المؤمنين في رعيتك » ، فقال عثمان : « والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك » ، فقال عمرو : « قد كنت عاملا لعمر ابن الخطاب ، ففارقني وهو عني راض » ، فقال عثمان : « وانا والله لو اخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت عليك فاجترأت على ، اما والله لانا اعز منك نفرا في الجاهلية وقبل ان الى هذا السلطان » ، فقال عمرو : « دع عنك هذا فالحمد لله الذي اكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به ، قد رأيت العاص بن وائل ورأيت اباك عفان ، فوالله للعاص كان اشرف من ابيك » وخرج عمرو الى منزله بفلسطين ، فكان يقول : « والله ان كنت لألقى الراعي فاحرضه عليه ، ولما بلغه مقتل عثمان فرح ولم يكتم فرحه وقال : « انا ابو عبد الله ! اذا حككت قرحة نكأتها ! » .

وفرق علي بن ابي طالب عماله على الامصار ، فلم يكن عمرو من بينهم فعلم انه لاحظ له في حكومة علي ، فاخذ يتربص حتى جاءه كتاب معاوية بن ابي سفيان : « اما بعد ، فانه كان من امر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط الينا مروان في رافضة اهل البصرة وقدم علي جرير بن عبدالله في بيعة علي ، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فاقدم على بركة الله تعالى » ، فلما انتهى اليه الكتاب دعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما ، فقال له عبد الله : « ايها الشيخ ! ان رسول الله قبض وهو عنك راض ، ومات ابو بكر وعمر وهما عنك راضيان ، فانك ان تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غدا في النار » ثم قال لمحمد : « ما ترى ! » ، فقال : « بادر هذا الامر فكن فيه رأسا قبل ان تكون ذنبا » ، فقال عمرو يخاطب ابنيه : « اما انت يا عبد الله ، فامرتني بالذي اسلم في ديني واما انت يا محمد فامرتني بالذي انبه لي في دنياي واشر لي في آخرتي ، وان عليا قد بويع له وهو يدل بسابقته وهو غير مشركي في شيء من أمره . ارحل يا وردان » ... فلما اصبح دعا وردان مولاه فقال له : «ارحل يا وردان» ثم قال : « حط يا وردان فحط ورحل ثلاث مرات ، فقال وردان : « لقد خلطت ابا عبد الله : فان شئت اخبرتك بما في نفسك » ، قال : هات » ، قال : « اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ؛ وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدرى ايهما تختار !! » .

وخرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فبايعه على الطلب بدم عثمان ، وكتبا بينهما كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد قتل عثمان بن عفان ، وحمل كل واحد صاحبه الامانة ، ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح فى امر الله والاسلام ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابدا ما حيينا فيما استطعنا فاذا فتحت مصر ، فان عمرا على ارضها وامارته التى امره عليها امير المؤمنين ، وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الامور ، ومعاوية امير على عمرو بن العاص فى الناس وفى عامة الامر ، حتى يجمع الله الامة ، فاذا اجتمعت الامة فانهما يدخلان فى احسن امرها على احسن الذى بينهما فى امر الله الذى بينهما من الشرط فى هذه الصحيفة » .

وشهد عمرو معركة (صفين) مع معاوية ، فلما راى ان امر اهل العراق قد اشتد وان الدائرة تدور على اهل الشام ، قال لمعاوية : هل لك فى امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة ؟ » ، فقال معاوية : « نعم » ، فقال « نرفع المصاحف ثم نقول : هذا حكم بيننا وبينكم ، فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغى لنا ان نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل » ، فرفعوا المصاحف بالرماح ، وقالوا : هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . من لثغور الشام بعد اهله ؟! من لثغور العراق بعد اهله ... فلما رآها الناس قالوا : نجيب الى كتاب الله ! ، فقال لهم على : « عباد الله ! امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ... ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة » . فقالوا : لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنابى ان نقبله ... فدب الخلاف بين اصحاب على ! فقالت طائفة : اولسنا على كتاب الله وبيعتنا ؟ وقال آخرون كرهوا القتال : اجبنا الى كتاب الله ! فلما راى على وهنهم وكراهيتهم للقتال ، قارب معاوية فيما يدعو اليه ، واختلف بينهم الرسل ، فقال على « قد قبلنا كتاب الله ، فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك ؟ » فقال معاوية : « ناخذ رجلا منا نختاره وتاخذ منكم رجلا تختاره » ، فاختار معاوية عمرو ابن العاص واختار على ابا موسى .

والتقى الحكمان فى (دومة الجندل) ، فقال عبد الله بن عباس لابى موسى الاشعرى : « احذر عمرا ، فانما يريد ان يقدمك ويقول : انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن منى ، فكن متدبرا لكلامه » ، فكان اذا التقيا يقول عمرو : « انك صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلى وانت اسن منى ، فتكلم ثم اتكلم ! » وانما يريد عمرو ان يقدم ابا موسى فى الكلام ليخلع عليا ، فاجتمعا على امرهما ، فاراده عمرو على معاوية فابى ، وقال ابو موسى : « عبد الله بن عمر » ، فقال عمرو : « اخبرنى عن رايك » ، فقال ابو موسى : « ارى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الامر شورى بين المسلمين ، فيختارون لانفسهم من احبوا ! » ، فقال عمرو : « الراى ما رايت ! » ، فاقبلا على الناس وهم مجتمعون ، فقال له عمرو : « يا ابا موسى اعلمهم بان راينا قد اجتمع » . وتكلم ابو موسى فقال « ان راينا قد اتفق على امر نرجو ان يصلح به امر هذه الامة » ، فقال عمرو : « صدق وبر ونعم الناظر للاسلام واهله ! ، فتكلم يا ابا موسى » ، فاتاه عبد الله بن عباس فخلا به وقال له : « انت فى خدعة . الم اقل لك لا تبداه وتعقبه ، فانى اخشى ان يكون اعطاك امرا خاليا ثم ينزع عنه على ملأ من الناس واجتماعهم » ، فقال الاشعرى : لا تخش ذلك ، قد اجتمعنا واصطلحنا » . فقام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « ايها الناس ! قد نظرنا فى امر هذه الامة فلم نر شيئا هو اصلح لامرها ولا الم لشعثها من ان لا تبتز امورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك على رضى منها وتشاور . وقد اجتمعت انا وصاحبى على امر واحد . على خلع على ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الامر فيكون شورى بينهم يولون منهم من احبوا عليهم ، وانى قد خلعت عليا ومعاوية ، فولوا امركم من رايتم » ثم تنحى . واقبل عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « ان هذا قد قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه . وانى اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية ، فانه ولى ابن عفان والمطالب بدمه واحق الناس بمقامه » .

تلك هى نماذج من دهاء عمرو ، لذلك كان الشعبى يقول : « دهاة العرب اربعة : معاوية

ابن ابى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . فاما معاوية فللحلم والاناة ، واما عمرو فللمعضلات . واما المغيرة فللمبادهة » واما زياد فللكبير والصغير » . لقد كان بحق احد الدهاة المقدمين فى المكر والراى ! وكان من شجعان العرب وابطالهم ودهاتهم .

وسيره معاوية الى مصر ، فاستنقذها من محمد ابن ابى بكر عامل علىبن ابى طالبعليها فاستعمله معاوية عليها الى ان مات .

واخيرا ، داهم الموت هذا الداهية ، قال احد شهود احتضاره : « حضرنا عمرا بن العاص وهو فى سياقة الموت ، فحول وجهه الى الحائط يبكى طويلا وابنه يقول له : يا يبكيك ؟ اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ اما بشرك بكذا ؟ وهو فى ذلك يبكى ووجهه الى الحائط ، ثم اقبل بوجهه الينا فقال : « ان افضل مما تعد على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول اللهصلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت على اطباق ثلاث : قد رايتنى ما من الناس من احد ابغض الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احب الى من ان استمكن منه فاقتله ، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من اهل النار . ثم جعل الله الاسلام فى قلبى ، فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابايعه ، فقلت : ابسط يمينك ابايعك يا رسول الله ، فبسط يده ، ثم انى قبضت يدى ، فقال : مالك يا عمرو ؟ فقلت : اردت ان اشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : اشترط ان يغفر لى . فقال : اما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رايتنى ما من الناس احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه ، ولو سئلت ان انعته ما اطقت لانى لم اكن اطيق ان املأ عينى اجلالا له ، فلو مت على تلك الطبقة رجوت ان اكون من اهل الجنة . ثم ولينا اشياء بعد ، فلست ادرى ما انا فيها او ما حالى فيها . فاذا انا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فاذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ، فاذا فرغتم من قبرى فامكثوا عند قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها ، فانى استانس بكم حتى اعلم ماذا اراجع به رسل ربى » . ثم قال : « اللهم لا بريئ فاعتذر ولا عزيز فانتصر ، والا تدركنى برحمة اكن من الهالكين » ثم اخذ يردد : لا اله الا الله ، فلم يزل يرددها حتى

مات يوم الفطر بمصر سنة ثلاث واربعين للهجرة (٦٦٤ م) فى خلافة معاوية وكان له من العمر تسعون سنة . فقد عاش بعد عمر بن الخطاب عشرين سنة وكان عمر عمر بن الخطاب ثلاثا وستين سنة ، وقد كان عمرو يقول : « اذكر ليلة ولد عمر ابن الخطاب » ، فكان عمره لما ولد عمر ابن الخطاب سبع سنين . اى انه ولد سنة سبع واربعين قبل الهجرة (٥٧٧ م) ودفن بالمقطم .

لقد كان عمرو يحب الامارة ويحب المال ، قال له معاويةيوما وهو شيخكبير : «ما بقى منك يا عمرو ؟ فقال : « مال اغرسه فاصيب من ثمرته وغلته » : وقيل لعمرو : ما المروءة ؟ فقال : « يصلح الرجل ماله ويحسن الى اخوانه » ، فلما مات عمرو خلف الف الف درهم ودورا عديدة فى مصر وارض الشام .

وكان ذكيا كاتبا وقارئا ، بليغا فى نثره ونظمه ، ولعل كتابه الى عمر بن الخطاب يصف فيه مصر يعد من ابلغ الرسائل ليس فى العربية فقط بل فى كل لغات العالم ، فلما ورد هذا الكتاب الى عمر بن الخطاب قال : « لله درك يا بن العاص ! لقد وصفت لى خبرا كانىاشاهده » . وقد اشتهر عمرو بحكمه البليغة ، وله اقوال مأثورة منها : « ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرين » . وقال يوما لمعاوية : « ان الكريم يصول اذا جاع ، واللئيم يصول اذا شبع . فسد خصاصة (حاجة) الكريم واقمع اللئيم » . قال معاوية لعمرو : « من ابلغ الناس ؟ » ، قال من كان رايه رادا لهواه » . فقال : من اسخى الناس ؟ » ، قال « من بذل دنياه فى صلاح دينه » ، قال : « من اشجع الناس ؟ » فقال : « من رد جهله بحلمه » . ومن غرر اقواله : « موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة » . وقال : « اذا انا افشيت سرى الى صديقى فاذاعه فهو فى حل » ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « انا كنت احق بصيانته » .

وقد رويت له آثار فى الشعر والخطب الطوال تسلكه بين الشعراء والخطباء ، فمن شعره :

اذا المرا لم يترك طعاما يحبه
ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة
اذا ذكرت امثالها تملأ الفما

وقال :

معاوي لا اعطيك ديني ولم انل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع

فان تعطني مصرا فاربح بصفقة
اخذت بها شيخا يضر وينفع

وله شعر كثير ، وكل ما ينسب اليه من شعر فهو منهذه الطبقة التي لا تسف ولا تعلو الى الذروة بين بدائع الشعراء .

وكان محدثا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثين حديثا ، وكان فقيها من اصحاب الفتيا من الصحابة ، وقد وصفه رجل بقوله : « صحبت عمرو بن العاص ، فما رايت رجلا ابين قرآنا ولا اكرم خلقا ولا اشبه سيرة بعلانية منه » .

بل كان مجتهدا في أمور الدين ، فقد روى انه لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل ، قال : « احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك ، فتيممت ثم صليت باصحابي صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : ياعمرو ، صليت باصحابك وانت جنب ؟! فقلت : نعم يا رسول الله ! انى احتلمت فيليلة باردة شديدة البرد ، فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك ، وذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا » ، ولا عجب من ذلك فهو الذى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضي بين خصمين جاءاه ، فقال « اقض بينهما يا عمرو ! » فقال عمرو : « انت اولى بذلك مني يا رسول الله » قال : « وان كان » ، كما انه هو الذي كان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلمانه قال : « اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران وان اخطا فله اجر » .

وكان حليما ، فقد ذكروا انه جعل لرجل الف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص عن امه وهو على المنبر ، فسأله فقال امي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة من بني عنزة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة ابن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فولدت له ، فانجبت ، فان جعل لك شيء فخذه » .

وكان يعتز بنفسه وبكرامته ، فقد كتب عمر ابن الخطاب الى عمرو وهو على مصر يسأله فيه عن اصل المال الذى جمعه ، فغضب ابن العاص ، وكان مما اجاب به : « ... ووالله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك وقد ائتمنتني ، فان لنا احسابا اذا رجعنا اليها اغنتنا عن خيانتك » .

وكان اداريا حازما : تحبب الى سكان البلاد الاصليين ورد اليهم حقوقهم المغتصبة وقطع دابر ما كان يثير تذمرهم ، ومنحهم الحرية الدينية الكاملة وابقى ارضهم على حالها لم يقسمها بين الفاتحينمن المسلمين ، وحرص على رفاهية السكان وعدم ارهاقهم بالضرائب ، فقد جبى خراج مصر وجزيتها الفيالف وجباها خلفه عبدالله بن سعد بن ابيسرح اربعة آلاف الف ، فقال عثمان لعمرو : « ان اللقاح بمصر بعدك درت البانها » ، فقال عمرو : « ذاك لانكم اعجفتم أولادها » ... ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبط نصا وروحا : « اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » .

وكان ادعج ابلج قصير القامة يخضب بالسواد ويهتم بقيافته وبمسكنه وماكله وملبسه .

وليس من شك انعمرا كانيتمتع بخصال انسانية ممتازة تجعله بين صفوف الخالدين من ذوى المواهب والعقول ، وقد انصف عمرو نفسه حين قسم حياته الى ثلاثة ادوار : دور الجاهلية ، ودر الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخين والصدر الاول من عهد عثمان بن عفان ، ودور الاسلام بعد عزله عن مصر في أيام عثمانحتى توفاه الله ، ولعله قد جزع حين وفاته مما جنت يداه في الدور الثالث من حياته ، فأخذ يردد وهو يحتضر : « اللهم أمرتنى فلم اتمر ، وزجرتني فلم انزجر » ، ودخل عليه ابن عباس في مرضه فقال : « كيف اصبحت يا أبا عبد الله ؟ » ، فقال « اصلحت من دنياى قليلا ، وافسدت من ديني كثيرا ، فلو كان الذى اصلحت هو الذى افسدت والذى افسدت هو الذى اصلحت لفزت ... »

وارى ان شعور عمرو بالحزن والاسي والندم على ما فرط في جنب الله ، دليل قاطع علىايمانه العميق اذ لو لم يكن مؤمنا حقا ، لما انب نفسه علنا أمام الناس قبل أن يؤنبه غيره ، لذلك قال النبي الكريم

عنه وعن اخيه : « ابنـا العاص مؤمنان : عمـرو وهشام » .

وليس ادل على ايمانه من قوله من على منبره : « لقد اصبحتم وامسيتم ترغبون فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه : اصبحتم ترغبون فى الدنيا وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يزهد فيها . والله ما اتت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من دهره الا كان الذى عليه اكثر مما له » ، وكان يقـول : « والله ان كنت لاشـد الناس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأت عينى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راجعته بما اريد حتى لحق بالله عز وجل حياء منه » ، فهل يمكن أن تصدر مثل هذه الاقوال الا عن مؤمن قوى الايمان ؟

القـائد :

كان عمرو من فرسـان قريش وابطالهم فى الجاهلية مذكورا بذلك فيهم ، وكان جريئا مقداما وذا راى قريش كما وصفه ابو بكر الصـديق ، وبذلك اجتمعت لعمـرو اهم عناصر القيـادة : الشجاعة الشخصية والبطولة والجراة والاقدام والراى السديد والعقل الراجح والمنطق السليم .

فاذا اضفنا الى ذلك حرص عمرو على استكمال جمع المعلومات عن عدوه وعن طبيعة الارض التى يقاتل فيهـا ، وذلك بالاستطلاع الشـخصى ، والاستطلاع بالعيون والارصاد ، فقد تيسرت لعمرو كافة عوامل اعداد خطة مناسبة ناجحة .

لقد كان عمرو يقدر قيمة الاستطلاع حق قدره ، لذلك كان يتقدم لمواجهة عدوه وهو يعرف عنه كل شيء ... يتقدم نحوه مفتوح العينين فى نور لا فى ظلام ..

كان من أسباب نجاحه فى غزوة ذات السلاسل ، ان ام العاص بن وائل والد عمرو من بنى (بلى) لذلك عاونه اخواله فى تيسير مهمتـه وامـدوه بالمعلومات الضرورية للنجاح .

وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة ارض فلسطين وبمناطقها المناسبة للقتال وبالطرق التقريبية اليهـا وبمزايا اهلها ومزايا الروم ، اثر حاسم على انتصاره فى معارك فتح هذه البلاد .

والظاهر انه لم يكتف بالمعلومات المتيسرة لديه عن فلسطين ، بل اقدم على مغامرة استطلاعية فذة ، فقام بالاستطلاع الشخصي لمقر قائد الروم (ارطبون) فاطلع على نقاط الضعف فى مواضع الروم — وبذلك انتصر عليهم ، وكاد هذا النصر يكلفه حياته من جراء مغامرته باستطلاعه الشخصي .

وكان لحضور عمرو الى مصر فى جاهليتـه اثر كبير على معرفته باحوال مصر واخبارها : طرقهـا وطبيعة ارضهـا ومدى الاضطهاد الدينى والسياسى الذى يتحمـله اهل مصر من الروم — فلا عجب أن يقدم عمرو على دخول مصر على راس ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فقط ، اذ لولا تيسر المعلومات الكافية لديه عن مصر واهلها وضعف حاميتها لمـا كان من المعقول ان يقدم على فتح مصر بمثل هـذا العدد الضئيل من الرجال .

وكان عمرو يتمتع بحاسة معـرفة تاثير طبيعة الارض على المعركة فهو الذى اشار على قادة المسلمين فى ارض الشام بالاجتماع فى (اليرموك) ، فلما نزل الروم معسكرهم انتقل المسلمون الى معسكر مناسب ونزلوا على طريق انسحاب الروم وليس للروم طريق الا على المسـلمين ! ... حينذاك هـتف عمرو : « ايها الناس ! ابشروا ، حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير ! »

وكان يؤمن باهمية (الضبط) والطاعة والسيطرة ، لذلك كان يفرض على رجاله ضبطا عاليا ويطالبهم بالطاعة المطلقة لاوامره ويسيطر عليهم سيطرة تامة ولعل منع رجاله — وفيهم بعض كبار الصحابة مثل ابى بكر وعمر وابى عبيدة بن الجراح — من اشعال النار ليلا على الرغم من شدة البرد ، ليحول دون كشف مواضعهم للعدو ، مثال رائع لشدة ضبط عمرو وسيطرته النافذة على مرؤسيه بصرف النظر عن قيمتهم الاجتماعية .

وكان بعيد النظر ، يحسب لكل شيء حسابه بدقة واتقان ، ولا يترك امرا تحت رحمة الصدف . فحين فزع اهل المدينة لبس عمرو سلاحه وقصد المسجد على حين تفرق المسلمون ، فخطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « الا كان مفزعكم الى الله ورسوله الا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان ؟ . كما ان بعد نظره جعله يمنع رجاله من مطاردة قضاعة بعد هزيمتها خوفا من وجود مدد لها ، فيتبع رجاله فى كمين يكبدهم خسائر فادحة .

وكان عمرو يحارب بسيفه وعقله على حد سواء كان يباشر القتال بنفسه ، وقد باشر القتال فى القلب ايام صفين بنفسه ، فلما كان يوم من تلك الايام اقتتل اهل العراق واهل الشام حتى غابت الشمس ، ثم اقتتلوا ساعة من الليل حتى كثرت القتلى بينهم ، فصاح عمرو باصحابه : الارض يا أهل الشام ، فترجلوا ودب بهم وترجل اهل العراق ايضا ، فكان عمرو يقاتل وهو يقول :

وصبرنا على مواطن ضنك
وخطوب ترى البياض الوليدا

فاقبل رجل من اهل العراق وضرب عمرا ضربة جرحه على العاتق فادركه عمرو فضربه ضربة قضت عليه .

وكان يحارب بعقله كما يحارب بسيفه ، بل كان عقله امضى حدا من سيفه ، فكان يحاول ان يحول المعركة بين معاوية وعلى من حرب السيوف الى حرب الفكر واللسان لكى يشل قوة رجال على !

لقد عمل جاهدا على تشكيك على بن ابى طالب باخلص رجاله ، واغرى بعض اهل الكوفة بالمال وبالوعود ليكونوا رتلا خامسا بين صفوف قوات على .

وقد منع اصحاب معاوية الماء عن اصحاب على ، فلما غلب اصحاب على على الماء استنقذ عمرو منه شهامة على وايمانه فاورد رجاله الماء بدون قتال .

ولما حاقت الهزيمة باهل الشام اشار عمرو على معاوية برفع المصاحف ، فدب الخلاف بين رجال على ، منهم من اجاب ومنهم من خالف لعلمه بأن رفعها خدعة ، وبذلك نجى اهل الشام من انحدار اكيد ، وتفرق شمل اهل العراق فلم يجتمع بعدها ابدا .

لقد كان عمرو يجيد حرب الدعاية ويؤمن بمبدأ : الحرب خدعة .

وكان يقدر اهمية توحيد القيادة وضرورة وجود قائد واحد يدير معركة واحدة على راس قوة واحدة ، وعلى الرغم من حرصه الشديد على الامارة ، الا ان التفاتته البارعة الى حصر القيادة بيده فقط فى معركة ذات السلاسل كانت ذات اهمية بالغة من الناحية العسكرية البحتة ، لان وجود قائدين على راس قوة واحدة يؤدى الى الارتباك والبلبلة وضياع المسؤولية وتفرق الشمل وبعثرة الجهود .

لقد كان عمرو أوسع قواد المسلمين حيلة واشدهم ذكاء ، وكان قائدا عقائديا يتمتع بشخصية جبارة وارادة حديدية وذكاء خارق ودهاء عجيب ، وكان يتحمل المسئولية كاملة مهما تكن النتائج .

وكانت معاركه (تعرضية) ، يعمل على مباغتة عدوه كما فعل فى فتح حصن بابليون ، وينجز (تحشيد قوته) قبل الاقدام على خوض معاركه كما فعل فى طلب المدد قبل معركة ذات السلاسل وكما اشار باجتماع المسلمين فى اليرموك قبل خوض هذه المعركة الحاسمة .

كما كان يحرص على تطبيق مبدأ (الأمن) ، لذلك حرص على السرى ليلا والاختفاء نهارا فى مسير الاقتراب الى غزوة (ذات السلاسل) ، كما حرص على عدم ايقاد النار وعدم المطاردة فى تلك المعركة، وتلك امثلة على تطبيقه مبدا (الامن) فى المدى التعبوى . اما تطبيقه هذا المبدا فى المدى السوقى فيظهره فى فتح ليبيا لتأمين مصر من الغرب ومحاولته فتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .

وكان يبذل قصارى جهده لتأمين (تعاون) قواته وارتاله فى القتال ، كما كان (يديم معنويات) رجاله بشتى الوسائل قبل المعركة وفى اثنائها وبعدها ويسهر على توفير (الامور الادارية) لقواته .

لقد كان قائدا مثاليا بكل ما فى القيادة المثالية من معنى .

عمرو فى التاريخ :

هناك اختلاف بين المؤرخين فى تقدير اعمال عمرو انسانا ، ولكن هناك اجماعا بين المؤرخين على تقدير اعمال عمرو قائدا .

لقد كانت من ثمرات جهاد عمرو فتح فلسطين ومصر وليبيا — وهى بلاد لم يفتح غيره من قادة العرب فى عهد الاسلام أوسع منها واكثر خيرا .

ان التاريخ يذكر لعمرو دهاءه الفذ وادارته الحكيمة للبلاد التى يحكمها ويذكر له جهاده فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وجهاده فى حروب الردة وفتح فلسطين ومصر وليبيا .

انه يحتل انصع صفحات الفتح الاسلامى فى كل تاريخ العرب والمسلمين . رضى الله عن الصحابى الجليل ، القائد الفاتح ، الادارى الداهية ، عمرو بن العاص السهمى .

محمود شيث خطاب

تفاقم النسل مسغبة وإملاق

للمستشار أنور حجازى

شئت اول ماشئت ان اضفى على هذه الظاهرة الاجتماعيةالهامة وصفا غير هذا الذى انتهيت اليه؛ اذ دار بخلدى ان انعتها بالرزء الفادح والخطر المحيق ، ولكن آداب الحديث والبدء فيه ، و « براعة الاستهلال » استوجبت قولا رفيقا فيه رفق بالمشاعر والأحاسيس .

فكانت المسغبة وكان الاملاق هما اضعف الايمان وصفا وتعبيرا عما يصير اليه مجتمعنا ان تفاقم النسل فى اضطراد . على هذا النحو الذى تنبأت به الاحصاءات الرسمية الأخيرة ، وما تنبأت به الاحصاءات الغذائية والاجتماعية التى تضطرد مع تلك الزيادة الهائلة المتدفقة فى انجاب الذرارى والوارثين

قالت الاحصاءات الرسمية :

اننا كنا فى سنة ١٨٩٧ ٩٫٧١٤٠٠٠ نسمة
وصرنا فى سنة ١٩٤٧ ١٩٫٩٢٠٠٠ نسمة
وفى سنة ١٩٥٧ ٢٢٫٩٩٦٫٩٠٤ نسمة

وتكهنت مصلحة التعداد والاحصاء بان سكان مصر فى سنة ١٩٨٢ سيصبحون ٤٤٫٦٨٢٠٠٠ نسمة

وفى يقينى ان مصلحة التعداد والاحصاء فى تكهنها قد اغفلت التقدم الصحى الرائع الذى ستبلغه بلادنا فى تلك السنين بمؤازرة الجهود الصحية العالمية ، وفى يقينى ايضا ان حتمية النمو الصاعد فى التسابق التناسلى ستزيد على هذا التكهن المذكور لتقترب بالاحصاء من الخمسين مليونا

فاذا كنا فى تلك الايام نستجلب من بلاد شتى مثل امريكا والصين والسودان وليبيا وغيرها ، نستجلب منها كميات هائلة فى كل عام وعلى مدار السنة من غلال ولحوم ومواد غذائية كثيرة لنسد نقصا تعجز عن الوفاء به امكانياتنا الزراعية وثروتنا الحيوانية

ذلك هو موقفنا ونحن نقترب فى تعداد الانفس من خمسة وعشرين مليونا او تقل عنها بكثير، فما هو المصير المرتقب حين يتضاعف العدد ويبلغ التعداد خمسين مليونا من الأنفس الراغبة ، المحتاجة لمتطلبات العيش التى سيرتفع مستواها حتما ولزاما ، تمشيا مع طفراتنا الاجتماعية التقدمية التى نحرزها كل يوم فى سلم التصاعد الانسانى .. ؟ وما هو المصير ان قامت حروب او عوائق تمنع عنا ماتستجلبه من تلك البلاد .. ؟

واسجل هنا الزيادة فى الدخل القومى المترتبة على معجزة الفن الحديث ، والحدث التاريخى المتطور الناهض الذى بذلنا من اجله المال والوقت والكفاح ، واعنى به « السد العالى » !

١ – تتسع الرقعة الزراعية مليون فدان جيدة مع تحويل حياض الوجه القبلى فى مساحة ٧٠٠ الف فدان الى الرى المستديم – بما يزيد المساحة المنزرعة ٣٠٪

٢ – ضمان احتياجات الرى لجميع الاراضى المنزرعة

٣ – تحسين صرف جميع الاراضى الزراعية بما يزيد غلتها

٤ – ضمان زراعة ٧٠٠ الف فدان من الارز سنويا .

وما الى ذلك من مزايا عديدة تتصل بالوقاية من خطر الفيضانات وتحسين حالة الملاحة وتحسين اقتصاديات كهربة خزان أسوان وتوليد طاقة كهربية ضخمة من السد العالى تقدر بحوالى ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا مما يساعد على خلق صناعات جديدة وازدهار الصناعات الحالية .

وان خير ما وصفت به الطفرات المتتابعة فى زيادة النسل « انها عمليات افقار وهبوط بالمستوى » ذلك لانه مهما ازدهر دخلنا القومى وتضاعفت امكانياتنا المعيشية فانها لا تتناسب مع زيادة النسل هذه التى تلتهم كل تقدم أولا بأول حتى تفيض عن قدرته ، فكلما خطونا خطوة الى الامام ارتد بنا ثقل عبء النسل وكثرة الوارثين الى الوراء ، والتراجع على هذا النحو النسبى تخلف مضاعف يزيد على طاقات الازدهار واليسار وقدرة القادرين .

فالمصير الى الافتقار والهبوط بالمستوى ، والمسغبة والاملاق ، مترادفات تعنى الحاجة والعوز وشدة الضنك ، وهى حين تمس مجتمعنا تصيبنا فى كثير من المقومات التى تلزم للعيش فى صورة افضل .

علينا اذا ان نمعن الفكر ونتبصر بمفهوم الوعى الحديث ، حسب مقتضيات عيشنا وظروفنا ، وان نبادر الى علاج الامر فى شجاعة متمثلين بكثير من دول العالم التى فطنت الى الغبة وسوء المصير من جراء ترك الامر مرسلا للغافلين من الناس الذين

يكثرون من الانجاب بلا وعى ويلقون بالابناء فى تيه الوجود مجردين من السند والحفاظ والعون والمؤازرة ، فينطلقون فى دروب الحياة وبيداء المجتمع غير محصنين ، فتخسرهم رجالا نافعين منتجين .

ان الهند التى تتسع رقعتها وتزدهر عناصر الدخل القومى فيها تسعى جاهدة الى تحديد النسل بكل الوسائل العلمية المدروسة ، ومن بينها استعمال اقراص منع الحمل وكذلك بورتوريكو اذ كان معدل المواليد سنة ١٩٤٧ ٤٢٫٢ فى الألف فى بداية التجربة وانخفض المعدل بعد سنتين الى ٣٩ فى الألف وفى سنة ١٩٥٦، انخفض المعدل الى ٣٤ فى الألف وهذه النتيجة الطيبة وصلت اليها بورتوريكو باستعمال اقراص الحمل .

وهذا بعض ما دعا اليه مؤتمر الجريمة الذى انعقد فى القاهرة خلال شهر يونيو سنة ١٩٦٣ ، دعا الى وجوب تنظيم النسل وتحديده ، وان تستعين الدولة لذلك بكل وسائل الاعلام وما تزخر به من امكانيات

ويدعو اليه كل منصف يتدبر الامر ببصيرة العارفين ، ويمحصه بتعقل وامعان ، ...!!

واما ان يقال ان تحديد النسل يتعارض مع تعاليم الدين ، فانى اتدرع بما يأتى ردا على هذا القول : —

١ — ان ترك امر تحديد النسل بلا قيد تنظيمى يودى بنا الى بوار وسوء مصير ، وسوء المصير هلاك وخطر محيق ، وقال تعالى « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ... »

٢ — الضرورات تبيح المحظورات ، اصل من اصول شريعتنا الاسلامية الغراء ، وضرورات الحياة والمجتمع الذى نحيا فيه والكيان العالى الذى يضم اسرةبلادنا تنادىبوجوب تنظيم النسل وتحديده رعاية للبشرية وصونا لكيانها من التعثر والاضطراب والامراض والتخلف والارتجال .

٣ — ان شريعتنا الغراء التى اباحت قتل الجنين فى بطن أمه ابقاء عليها ، لا يمكن أن تمنع جنينا من التكوين ابقاء على الاحياء وتكريما لآدميتهم التى تهدرها فوضى التناسل وانطلاقها فى جماعات كالسائمة لا تعى ولا تبين •

٤ — قال تعالى « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » ، وتحديد النسل ليس جريمة قتل وانما هو دعوة لمنع تكوين جنين قد يولد فلا يرى النور وانما يرى العدم والفاقه والاملاق ، فيتناحر الناس فى تطاحن بشرى رهيب ويقترفون ما حرم الله من صراع يؤدى الى الحروب وقتل النفوس التى حرم الله قتلها •

٥ — قال الامام على رضى الله عنه « لو كان الفقر رجلا لقتلته » ولا مراء فى ان كثرة النسل مجلبة للفقر والهم والعوز . فاذا زعم صاحب القول الاول أن الدين بظاهره وسكت عن الايضاح فى التواء مطموس ، فانما الدين يظاهرنا فيما نقول وتظاهرنا الشريعةالغراء واحداث الوجود وتطورات الحياة .

والدعوة الى تحديد النسل وتنظيمه انما هى مسايرة لركب الحياة الصاعد ، واستجابة لحتمية التطوير الاجتماعى توسلا الى غايات مثلى هى السمو بمكانة الانسان والارتفاع بشأنه ، وحتى لا تحتدم البشرية من بعد فوضى تناسلية احتداما يصيبها فى عزتها وكيانها وكمالها ، وحتى لا تضطرب معايير الحياة من خلال تلك الفوضى فيكون التباين الاجتماعى الشاسع الذى يولد الحقد والكراهية والبغضاء .

والقائلون بأن تعاليم الدين تتعارض مع تحديد النسل يعقبون على قولهم هذا دائما بقول المتواكل المستضعف المستكين ، فيؤكدون أن خيرات البلاد وفيرة ... ولكن على الدولة أن توفر لكل انسان زرقة، فما دامت خيرات البلاد وفيرة، فعلى كل انسان أن يسعى فى مناكبها ليوفر الرزق لنفسه وبنيه .

ومع ذلك فان هذا القول المرسل محل نظر وتعقيب ، لان الخيرات فى بلادنا فى أقصى المدى واقصى التصور بعد انشاء السد العالى ستزيد الارض حسبما اسلفنا القول حوالى مليون فدان ، و ٧٠٠ الف فدان تروى ريا مستديما بدلا من رى الحياض ، اى ان الزيادة الفعلية فى مساحة الارض حوالى مليون وثلاثمائة وخمسون الف فدان ؛ فضلا عن المكاسب الصناعية والتجارية الاخرى ، ولكن ذلك كله لايجدى نفعا أمام هذا التيار الجارف من التزايد البشرى الذى سيستنفد حتما تلك الخيرات جميعها ومايجلب من الخارج أضعافا مضاعفة.

هذا ان سارت النسبة فى التزايد على هذا النحو الخطير ، فان جميع المكاسب التى نجنيها من السد العالى ومن جهادنا وكفاحنا ستضيع مغمورة فى جوف الطوفان المدفوع الى الوجود بلا حساب او تدبر او امعان .

فان ضاقت الارض بالناس ، وضاقت بهم

الارزاق ، فمن اين تأتيهم الدولة بما يوفر لهم الرزق عزيزا سخيا ... ؟

انه قول مرسل بلا حساب يردده القائلون به كمن يعيشون في ابراج من ذهب بعيدين عن مشاكل الناس واحداث الحياة وصروفها التي تحيق بالبشر وتظهر مكنون اسراره ، فما عليهم الا ان يلقوا بالكلم على عواهنه ملوحين بتعاليم الدين مذكرين اولى الامر باعباء فوق اعباء فيرهبوا الناس ويلهبوا مشاعرهم ، كما يرهبون المصلحين والمسئولين العاملين في حقل الاصلاح الاجتماعي ، ثم يخلدون هم الى راحة ذهنية تنأى بهم اكثر بعدا عن مشاكل الحياة واثقالها ، تلك المشاكل التي تتبدى في صورة قضايا وحادثات وخصومات تزخر بها ساحات المحاكم ودور العدالة .. !

فيا اولى الامر فينا !

تبصروا في الامر بحكمتكم ، تبصروه في حزم عاجل :

استبينوا مدى المواءمة والتنسيق ، لتنطلق من بعد ذلك اسباب العلاج حاسمة قوية في صور من التشريع والتطبيب والتنوير ، حتى اذا ورثنا الاجيال القادمة ما حققناه من خيرات لا نورثهم معها طوفانا من النسل المتكاثر المريض الذي يعوق التقدم والانطلاق في مضمار الحياة ، وانما نورثهم نسلا قويا محدودا ، مستكفيا قادرا ، نساير به ركب الوجود الحديث ونبلغ بالوطن مكانة رفيعة في رفعة السمو والسماء .

• ❋ •

مما نشرته الرسالة سنة ١٩٤٠ . . . (فيضان النيل)

في ذات بكرة من بكر المنصورة الغريقة في النور والفتور والهدوء والعطر ، رأيت من مشرف القهوة شاطئيه الظامئين قد شرقا من فيضه بدم الحياة او بذوب النضار ، فهما يفهقان كما يفهق اليهودي ذو الربو الهرم ! وابصرت الزوارق التي كانت تجر بالامس على رمال القاع قد غدت على صفحته الذهبية المتموجة اشبه شيء بالحمام الطائر على حقول القمح اذا استحصدت ، او بالفراش المبثوث على رياض الشقائق اذا توردت . ثم صور لي ان المدينتين المتقابلتين على ضفتي النهر المقدس الخالد قد صفتا اليه بوجوههما وقلوبهما كأنهما تؤديان اليه تحية العرفان ، والى الله صلاة الشكر ، حتى الكافورة بالغت اغصانها الشمالية في التدلي حتى اوشكت ان تقبل امواجه المسلسلة وهي تنساب في ظلها الظليل شادية بالثراء والغبطة .

حينئذ وجدتني على الرغم مني عاني الوجه له ، مستغرق الفكر فيه ، يتردد في خاطري ما يردده الحيوان والشجر من تقديسه وتمجيده . ثم قر في نفسي ان بيني وبين هذه الشجرة القريبة وذلك الرجل البعيد قرابة شابكة ، لاني شعرت ان بيني وبين من يسقيه النيل اخاء من رضاع الماء كما يكون بين الولد والولد اخاء من رضاع اللبن ! ووضح في ذهني الآن معنى ما يقول الناس من ان علاقة الفرد بالامة هي علاقة الاخوة ، وعلاقة الامة بالوطن هي علاقة الامومة ، وكما يتجه في لحظات الصفاء الروحي فكر الاخ الممنوح الى اخيه المحروم ، اتجه فكري في هذه الجلوة النفسية الى ثرانا المكروب واكبادنا الحرى في صحارينا الشرقية والغربية . فقلت لنفسي وانا اردد الطرف الساهم في تيار النهر الجارف ودوارته المدومة ولججه الفائرة : كيف خف على ضمائر ذوي العلم والراي في وزارة الاشغال ان يدعوا هذا الفيض الحيوي العظيم يتدفق اربعة اشهر في لهوات البحر الابيض دون ان يحبسوه بحيلة من حيل الفن الهندسي ليحيوا به موات الناس والارض !

لو كان لمهندسي الري في بلادنا مطمح تشرف نفوسهم عليه غير ان يكونوا موظفين يسجلون المناسيب ويضبطون المثاويات ويتعهدون الجسور ويترقبون العلاوات ، لوصلوا ما انقطع من ابحاث « ولكوكس » و « سري » حتى يبلغوا بها الغاية التي يكون بعدها كل سهل واحة ، وكل تل غابة . ولكن مهندسينا كسائر اهل الفكر فينا لا يعملون الا للعيش ، فاذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخي اللذيذ على كرسي العمل الدوار في المكتب ، او على كرسي الهضم الهزاز في المنزل .

الزيات

❋❋❋

والرسالة العائدة تحمد الله على ان حقق لها بالسد العالي ماتمنته في العهد الخالي .

الفن بين المحسوس وما وراء المحسوس

للأستاذ فتحي عثمان

اذا كان العلم قد انتهى الى أن المادة هى الطاقة ، والى ان الكون اقرب الى ان يكون فكرة من ان يكون آلة ... فان الفن بطبيعتـــه يتفاعل فيـه الحس والخيـال ، والشعور ، واللاشعور ، وهو المجـال الذى يومىء فى جـــلاء الى شيء وراء الحس فى عالم الانسان !

وليس ثمة داع للوقوف طويلا عند مفهوم الفن ، وتحديد التعريف الجـامع المـانع له ، فهــذا أمر اختلفت فيه الآراء والمذاهب ، وحســـبنا ان نرصد ما يشـــير الى ما وراء المحســوس فيما تنطق به العبـارات والتعبيرات لاســتجلاء كنه الفن ومفهومه الغائر العميق !!.

واذا كان الكثيرون من المحـــدثين يربطون بين مفهوم الفن ومفهوم الجمـــال ، فيعرفون الفن بأنه **القدرة على توليد الجمال او المهارة فى اســـتحداث متعة جمالية** — كما نقرأ فى معجم لالاند الفلســفى ودائرة المعـارف البريطانية ومعجم اكســفورد وفى احد أقوال ســـانتيانا ، فان تولســـتوى لا يرى ما ترتأيه المذاهب الجمالية فى الفن وما يسببه من المتعة أو اللذة ، وهو يرى أن ميزة الفن الكبرى انما تنحصر بالتحديد فى قدرته على محو شتى الفواصل **بين الناس** ، وهذا هو الدور الجليل الذى يلعبه الفن فى حياة الانسانية بصفة عامة باعتباره مظهرا من مظاهرها ووسيلة للاتصال بين أفرادها .

ويرى أوجســت رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧ م) ان « الفن هو التأمل ... هو متعة العقل الذى ينفذ الى صميم الطبيعة ويستجلى مافيها من عقل يبعث فيها الحياة ، هو فرحة الذكاء البشرى حين **ينفذ بابصاره الى أعماق الكون ، لكى يعيد خلقه مرسلا عليه أضواء من الشعور** » !!

فاذا لم يكن مجرد تعبير عن الخيال أو الوجدان أو العاطفة ، فهو ليس أيضـــا مجرد نسخ لـــا تنقله الحواس ، وانما هو لغة نوعية خاصة تعبر عن حاجة الانسان الى الخلق والانتاج من أجل تحقيق **ضرب من النشاط الابداعى الذى يستطيع عن طريقه ان يخلع على الكون نفسه صبغة انســـانية محضة !!**

وهذه القـــدرة الابداعية — على حد قول ســـوريو — هى التى تجمع بين العمارة الشاهقة والسيمفونية الرائعة واللوحة الناطقة والقصيدة المعبرة ! على أن ما يخلقه الفنان لا بد أن يكون **عملا فرديا يتسم بطابع خاص أو اصـــالة شخصـــية بحيث يصح أن نقول انه نسيج وحده** !! وما يميز الفن عن العلم هو الدور الهـــام الذى تلعبه الحواس فى دائرة الخبرة الجمالية ، فضـــلا عما فى الفن من **اعتماد على الخيال** . فلا بد لشتى المنبهـــات الاســـتطيقية (الجمالية) أن تمثل أمام الحس أو الحواس ، حتى يمكن أن تستثير استجابات **التاويل او التخيل أو التامل أو الانفعال** . وليس من شان الفن بالضرورة ان يستثير الاحساس والخيال بنفس الدرجة ، ولكن لابد من أن يمسهما على السواء .

هناك آثار جلية لما وراء المحسوس فى عالم الفن ، ومن هنا فان العلاقة بين الموضوع الجمالى والموضوع الطبيعى ليست مجرد المحاكاة ... لقد كان النزوع الى محاكاة الطبيعة فحسب هومذهب روسو وديدرو وربتان ورسكين ، ولكن كان النظر الأحدث والأقوم ان الفنان يستمد موضوعه من عالم الفن لا من عالم الطبيعة.والى هذا ذهب أندريه مالرو (١٩٠١) وهذا بباسكو (١٨٨١) ينفذ الى أعماق التفاعل الخلاق بين الطبيعة والانســان فى نفس الفنـــان فيقول : « انه ليس ثمة فن مجرد ، فلابد **من نقطة انطـــلاق ، ثم تعود فتمحو كل آثار الواقع** . ولكن فكرة الموضوع تكون قد خلفت أثرا لا سبيل لمحوه ، وهذه الفكرة هى التى حركت الفنان بلا شكمنذ البداية وهى التى ولـــدت لديه افـــكارا خاصـــة وهى التى أثارت عواطفه وانفعالاته، ولابد فى النهاية من ان يأتى العمل الفني فيحتبس تلك الأفكار والانفعالات وكأنما هى مجرد أسرى له ... وهكذا يمكن القول ان علاقة الطبيعة بالفن هى **علاقة العـــالم الطبيعى بالعالم الانسانى الذى يلتمس الخلود عبر الصور المخلوقة !!**

وبجانب علاقة العمل الفني بالبيئة الطبيعية تثور

علاقته كذلك بالبيئة الاجتماعية ، وقد أبرز جيو (١٨٥٤ : ١٨٨٨ م) هذه العلاقة الاخيرة ، فالجمال ليس الا شعورا خصبا مليئا بالحياة ، والفن يحمل فى ذاته مجتمعا مثاليا تبلغ فيه الحياة أعلى درجة فى شدتها وانتشارها ، وميزة العبقرى الأولى هى قدرته الهائلة على التعاطف ونزوعه نحو التواصل الاجتماعى مما يجد معه نفسه مضطرا الى **خلق عالم** جديد من الموجودات الحية !!

نحن اذن نحس فى العمل الفنى اشياء غير المادة مهما رقت ولو استحالت نغمات أو ومضات ، وغير الحسى ـ مهما كانت الحواس دقيقة لماحة واعية نفاذه ٠٠٠٠ ونحن نرى برجسون فى فلسفته عن (الحدس) يجعل الفن بمثابة عين ميتافيزيقية فاحصة ، فالفنان ينفذ عن طريق الادراك المباشر الى أغوار الواقع ٠ والى هذه الوجهة نزع شوبنهور (١٧٨٨ : ١٨٦٠ م) الذى ارتأى فى الفن نظرا وتأملا وتعاطفا مع الموجودات أو تطابقا مع الموضوعات ٠

وقد ثارت عدة تساؤلات حول الابداع الفنى : هل هو من موهبة الفرد أم نتاج المجتمع ، هل هو من الهام العاطفة أم (تكنيك) الصنعة ؟؟٠٠٠٠ والاجابة على هذه التساؤلات تحمل الاشارة الى قدر له اثره وخطره من وراء المحسوس فى عالم الفن٠٠

وقد حرص أصحاب المدرسة الاجتماعية فى علم الجمال على تفسير عمليات الابداع الفنى بالرجوع الى المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة ، مع تأكيد اهمية (الصنعة فى عمل الفنان ، ودور الوعى الجمالى للمجتمع نفسه فى توجيه الفنان نحو نزعة بعينها من النزعات الفنية المعاصرة ٠ على أن الابداع اذا لم يكن خلقا من العدم أو شرارة من الالهام ، فان من المؤكد ان **لكل عمل فنى حقيقى طابعا أصيلا متفردا** قد لا يسهل ارجاعه الى غيره أو تفسيره بغيره ، وهذه هى الاصالة فى الفن ، التى قد تحدث فى مجرى التاريخ ـ على حد تعبير بولان ـ ضربا من الانفصال ٠

وكأنما هذا العمل الفنى حقيقة فريدة تند عن كل تفسير وتتفلت من كل مقارنة ٠ وتنطوى عملية الابداع الفنى على كثير من **العناصر الشعورية واللاشعورية** التى تتداخل وتتشابك ، وقد تتشابه مع عملية الولادة ، بما تستلزم من تلقيح وحمل وحضانة ٠ وهناك كثير من الأحداث الباطنية التى تتحقق فى أعماق الفنان أثناء عملية الابداع الفنى دون أن يكون هو على علم واضح بما يحدث فى باطن نفسه ٠ ويرى دى لاكروا أنه الى جانب القوة الملزمة التى تنفجر فجأة فى صميم الحياة العادية للشعور هناك عمليات سيكلوجية عديدة تتمثل فى الاستعداد المنهجى والخبرات الحسية وشتى المحاولات القصدية والارادية ، على أنه لابد أن يكون للتلقائية الفردية دورها فى الابداع الفنى ، وليس يكفى الذكاء والذاكرة والخيال لكى يغدو المرء فنانا !! كما أن الفنان ليس مجرد أداة فى يد قوة عليا لا شعورية ـ اللاشعور الجمعى عند يونج ـ حتى لكأن النوع هو الذى يعيش لا الفرد !! ان الابداع الفنى عملية انتاجية تنطوى على الكثير من المخاطرة والمحاولة والمراجعة والمجاهدة والمثابرة !!!

ويرى كروتشه ان وظيفة العمل الفنى **هى التعبير عن شخصية الفنان بأكملها** ، ويرى البعض ان العمل الفنى لا يكون ترجمة ذاتية لصاحبه بل « **بلورة لحياة الفنان** » لا مجرد امتداد لها ٠ أما شارل لالو فيرى للفن وظائف متعددة الجوانب : فللفن وظيفة تكنيكية يمارس بها الفنان نشاطه الفنى لذاته ويحيا فى عالم من الصور الجمالية أو وظيفة كمالية يحقق بها الفن المتعة والترفية ووظيفة مثالية يجمل بها الفن واقعنا او يجسم لنا المثل الأعلى ،**ووظيفة تطهرية لانفعالتنا** اذ تستوعب المأساة فى نطاق الخيال بصورة غير ضارة احتياجاتنا من الشعور بانفعالات الخوف أو الحب وما اليه ! ـ كما ذهب أرسطو ٠ كما أن للفن وظيفة تسجيلية للواقع ، يثرى بها الفن الحياة بزيادة شدة الاحداث ٠ أو باعادة عرض الحقائق مع لمسات من التغيير للتعبير !! ويقر (لالو) بأن الانسان بطبيعته حيوان ميتافيزيقى شغوف بالمطلق ، على أنه يضيف ان هذا الموجود المولع بالقيم تتوالى عليه المآزق لاستحالة قيام قيمة مطلقة

وقد أراد فى مجال الفن ان يلتمس الجمال المطلق ، فراح **يخلط بين الخير والجمال** ليعثر على دعامة أخلاقية يقيم عليها ايمانه بالجمال ، ومن هنا جاء الاتجاه قديما وحديثا الى مزج الكمال الأخلاقى

بالكمال الجمالى . فالجمال هو بهاء الخير والأخلاق هى جمال العادات !! ولكن وقع الخلاف بين المتطهرين ودعاة الاخلاق وبين دعاة الفن والجمال .

وقد يمثل هذا الخلاف ما بين تولستوى وبودلير من اختلاف !! .

وميما يكن من أمر فان الفن ـ كما يقول برنشفيك ـ يسدى الى الاخلاق خدمة جليلة بانتزاعنا من أسر التمركز الذاتى .

لكى يحقق بيننا وبين الآخرين ـ عن طريق التذوق الفنى ـ مشاركة وجدانية فعالة !

والتذوق الفنى : تأمل ومشاركة فى الوقت نفسه .... فالموضوع الجمالى ينقل عن طريق المحسوس عاطفة خاصة تجعل الموضوع حاضرا حضورا واقعياعينيا . والادراك الجمالى يصرف النظر عن الذات لكى يوجه الاهتمام الى الموضوع المدرك ، وهذا يزيد من ثراء الذات ـ لانه ينمى الذوق

وهو القدرة على اصدار حكم جمالى يتجاوز الآراء الشخصية والميول الذاتية والافكار المسبقة ، حتى ليقال : **ان معايير الحكم الجمالى تحكى أخلاق الصدور !!**

ويحمل الاعجاب والتذوق الفنى معانى المشاركة أو التبادل .. وهكذا يحاول الانسان أن يرتقى الى مستوى الانسان الكلى :

ـ ولعل هذا ما عناه (كانت) حين نسب الى حكم الذوق طابعا كليا .

وهكذا لا يستطيع الفن فى مفاهيمه وتعاريفه أن ينفك عن الحديث : عن التذوق والابداع والأصالة ، عن الشعور واللا شعور والخبرة والتلقائية ، عن الجمال والقيم ...

والفن حتى عند أصحاب النزعة الواقعية أنفسهم لا يمكن أن يتخلى عن الجذور الوجدانية التى تضرب فى مجال وتتغذى على رحيق .. مهما قيل فيهما ، فهما مايزالان يتفلتان من قبضة الحس المباشر بأدواته المعروفة من حواس الانسان أو الآلات التى تضاعف طاقات ، الحواس فى الاحساس !!

فتحي عثمان

أساس العقاب فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ أحمد فتحى بهنسى

انتهى بحث فقهاء القانون الغربيين الى أن العقوبة تدور فى فلك افكار ثلاثة :

فكرة العدل والتكفير ، فالمجرم يجب أن يكفر عن خطيئته بجزاء رادع يتناسب مع درجة اختياره وقت الجريمة بصرف النظر عن ظروفه الشخصية .

وفكرة مصلحة المجتمع ، ومقتضاها أن المجتمع يجب أن يحمى كيانه ونظامه بمنع الاجرام كلية ، اما بمعالجة المجرمين أو استئصالهم طبقا لكل حالة بصرف النظر عن جسامة الجريمة .

وفكرة توفق بين العدل ومصلحة المجتمع دون أن تطغى فكرة على الأخرى .

وهذا الاساس هو الذى بنيت عليه التشريعات الحديثة ، فالعقاب فى العصر الحديث مفروض فيه أن يؤدى وظيفتين وظيفة خلقية ووظيفة اجتماعية .

وباستقراء العقوبات فى الشريعة الاسلامية نجد أن فهم فقهاء الغرب لمعانى العقوبة لم يخرج عما نهجت عليه نظرية الشريعة الاسلامية مع التفريق بين الحدود والتعزير :

الحدود :

الحد فى اللغة هو المنع ومنه يسمى البواب والحاجب حدادا لمنعه الناس من الدخول ويقال حده عن كذا : منعه منه ويسمى السجان حدادا لانه يمنع من فى السجن من الخروج منه .

والحدود فى الشريعة الاسلامية هى الجرائم التى تقع من الافراد وتخل بنظام المجتمع ، ويتدخل ولى الامر لعقاب مرتكبها . والمبدأ العام أنه لا يجوز فيها عفو ولا تقبل فيها شفاعة ولها عقوبة محدودة فى الشرع .

والحدود هى : حد الزنا وحد الشرب والسكر ، وحد القذف وحد السرقة والحرابة ويضيف اليها البعض حدى البغى والردة .

١ ـ حد الزنا :

قال الله تعالى :

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليـــوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ٠ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خذوا عني ، خذوا عني فقد جعل الله لهـــن ســـبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ٠ » .

فهذه النصوص تلحق بالجاني عقوبة قاسية ، ولكنها لم تهمل شخصيته ، فان كان غير محصن فعقوبته غير مهلكة ، وان كان محصنا فعقوبته الموت رجما ٠

ولكن الشريعة وقد وجدت أن هذه العقوبة شديدة جدا ، فرضت لاثباتها أمرا عسيرا ، فان كانت بالبينة فشهادة أربعة يشـــهدون بالرؤية فان كانوا ثلاثة جلدوا حد القذف حتى لا يتقدم للشهادة الا الواثق ، وحتى لو ثبت الامر بشهادة الاربعة فيلزمهم البدء بالرجم ، فان تخلفوا لا تجب العقوبة ٠

اما ان كان الاثبـــات باقرار المذنب فيجوز له العدول فيه ٠

من كل ماتقدم نجد أن الشريعة مع رغبتها الاكيدة في تحريم الزنا ، اذ أن فيه ضياعا للانســـاب وللحرمات ، وهتكا للاعراض لم تهمل شـــخصية الجاني بل تدرجت في العقاب بحسب حال الجاني في نفسه ٠

٢ ـ حد الشرب وحد السكر :

قال الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انمـــا يريد الشـــيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ٠

وقد اختلفت الروايات في عقوبة شارب الخمر ، فقد جلد علي بن أبي طالب الوليد بن عقبة اربعين جلدة وفي البخاري أن عليا جلد الوليد ثمانين ، وفي الموطأ أن عمر استشار في حد الخمر فقال له علي : أرى أن تجلده ثمانين جلده ، فانه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، فجلد عمر في حد الخمر ثمانين ٠ وقد ثبت أن أبا بكر ضرب أربعين جلدة في شرب الخمر ٠ وفي رواية ان عليا ضرب اربعين وضرب عمر ثمانين جلدة ٠

ويلزم أن تعلم أن اجماع الصحابة لم ينعقد على الثمانين جلدة التي جلدها عمر لشارب الخمر وتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها اذا رآها الامام ٠

وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستقر الحد في زمنه على عدد معين وهذا فيه مراعاة لحال الجناة ، فمنهم من يستحق أن يضرب اربعـــين ومنهم من يستحق أن يضرب أكثر ٠

كذلك لم تكن هذه العقوبة الجلد دائما ، فقد قال أبو هريرة : ان الرسول أتي برجل قد شرب الخمر فقال : اضربوه ٠ فقال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه ٠

كما أن اي عقوبة ، تتعلق بالضرب ، يرى الشارع الوضعي أنها تجدي في منع هذه الجريمة فهي شرعية اذ أن التجريم في هذا الشأن لم تقدر له عقوبة بنص القرآن ، انما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحري بها المصلحة العامة ونحن نتبعه ٠ فمرد العقوبة هـــنا حفظ عقول الافراد اذ أن في حفظها حفظا لكيـــان المجموع ولم تهمل الشريعة شخص الجاني فمن كان مضطرا أو كان مكرها أو جاهلا فلا اثم عليه كمـــا أن تحديد العقـــاب متروك في هـــذه الجريمة للقاضي وفقا لما يحقق المصلحة العامة ٠

كما قال بعض الفقهاء ان مدمن الخمر المشـــهور بالفسق لا بأس أن يطاف به ويفضح ، ومثل ذلك روى عن أشهب عن مالك في العتبية ٠ ووجه ذلك أنه اذا بلغ هذا الحد من الفسق والفجور فواجب ان يفضح لأن في ذلك ردعا واذلالا له فيما هو فيه واعلاما للنـــاس بحاله فلا يغتر به احد من أهل الفضل ، كما أن الامام مالكا استحب لمدمن الخمر المشهور بالفسق أن يلزم السجن قاله ابن حبيب ٠

٣ ـ حد القذف :

أصل هذه الجريمة هو ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » ٠

فالمصلحة العامة تقتضي معاقبة القاذف بالزنا أشد العقاب ، فالقاذف غيره بالزنا لا سبيل للناس الى

العلم بكذبه فجعل حده تكذيبا له وتبرئة لعرض المقذوف منعا لهذه الفاحشة التى يحد بالجلد من قذف بها ٠

وان الله تعالى قد كره اظهار الزنا والتكلم به وتوعد من يحب اشاعته فى المؤمنين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ٠ قال تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ٠

٤ ـ حد السرقة والحرابة :

حد السرقة :

ان قطع اليد عقوبة شديدة فرضت لمصلحة المجموع وقد شرط الشارع شروطا مختلفة لاكتمال أركان السرقة فراعى بذلك حال الجانى فلا قطع فى أيام المجاعة والفقر ولا قطع لسارق القليل ولا قطع لمن يسرق الثمار من على الشجر ولا قطع لمن يسرق ليقتات أو يسد رمقه ٠

روى عن الامام مالك فى الموطأ : ان رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها ٠ فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فامر عمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ٠ ثم قال عمر : أراك تجيعهم ثم قال : والله لأغرمنك غرما يشق عليك ، ثم قال للمزنى : كم ثمن ناقتك ؟ فقال المزنى : قد كنت والله أمنعها من أربعمائة درهم فقال عمر اعطيه ثمانمائة درهم ٠ قال عمر لعبد الرحمن بن حاطب : أما لولا أنى أظنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى لو وجدوا ما حرم الله لأكلوه لقطعتهم ٠ ولكن والله اذ تركتهم لأغرمنك غرامة توجعك ٠ »

ومن هذا الأثر نرى أن الفاروق فهم من تشريع قطع اليد أنه عقوبة رادعة لمن يرتكب هذه الجريمة من غير حاجة تلجئه الى الاعتداء على مال الغير ٠ وحين تبين له أن هؤلاء الغلمة اضطروا لما اجترموا بسبب ما نالهم من الجوع والحرمان ، لم ير أن يمضى عليهم حد السرقة ٠

حد الحرابة :

قال الله تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ٠ ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ٠

عقوبة شديدة مقصود بها حماية الناس وأمنهم وحماية المجتمع من قطاع الطريق ٠ ومع ذلك فان المشرع ٠ أخذا بيد المجرم وتشجيعا له على الاستقامة والتوبة وتيسيرا عليه طمأنه على نفسه وعفا عنه ان حضر تائبا قبل القدرة عليه ، ولن يتوب الا من هو قابل للاصلاح وبقى عنده بعض من ضمير ٠

٥ ـ حد البغى :

قال تعالى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ٠ فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » ٠

وقد اتفق الفقهاء على أنه اذا خرج على امام المسلمين أو عن طاعته طائفة ذات شوكة وان كان لهم تأويل فانه يباح للامام قتالهم حتى يفيئوا الى أمر الله تعالى فاذا فاءوا كف عنهم ٠

وعلى ذلك فعقوبة المصر على البغى والخروج على الامام هى القتل ، وهى عقوبة منطقية ، لأن مرتكب هذه الجريمة يسبب فتنة واخلالا بالامن الداخلى قد يؤدى الى فساد كبير يترتب عليه ضرر على الأمة ٠

روى مسلم فى صحيحه عن عرفجة الأشجعى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه ٠

وفى رواية : ستكون بعدى هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان ٠

٦ ـ حد الردة :

قال تعالى :

« ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم :

من بدل دينه فاقتلوه ٠٠٠

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى وردت فى المرتد ٠

وقد اتفق جمهور الفقهاء أن من ارتد عن الاسلام وجب قتله ٠ وهذه الجريمة فيها شىء من المماثلة لجريمة تغيير النظام الاجتماعى فى الفقه الحديث وكلتاهما لها أثرها فى المجتمع ٠ وحكم المشرع فى الجريمتين كان شديدا نظرا للآثار الخطيرة التى تتولد عن هذه الجرائم ٠

ومع ذلك فان المرتد تترك له الفرصة ليتوب الى رشده ويرجع عن غيه فيحبس ثلاثة ايام بلياليها يستتاب فيها وهو قول عمر وعلى والامام مالك واصحاب الرأى وأحد قولين للشافعي . روى عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قدم عليه رجل من جيش المسلمين فقال : هل عندكم من مغربة خبر ؟ قال : نعم . رجل كفر بالله تعالى بعد اسلامه فقال سيدنا عمر رضى الله عنه . ماذا فعلتم به قال : قربناه فضربنا عنقه : فقال سيدنا عمر : هلا طينتم عليه بيتا ثلاثا، وأطعمتوه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب ويرجع الى الله سبحانه وتعالى ؟ اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرض اذ بلغنى .

فالعقوبة فى الحدود الشرعية يتحقق فيها الشقان العدل والتكفير ومصلحة المجتمع . قال أبو يوسف : حدثنى الحسن بن عمارة عن جرير بن يزيد قال : سمعت أبا زرعة بن عمر بن جرير يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حد يعمل به فى الارض خير لأهل الارض من أن يمطروا ثلاثين صباحا .

القصاص والدية :

ونستطيع أن نلحق بالحدود الجرائم التى يعاقب فيها بالقصاص او الدية ، ان العقوبة هنا مقدرة حقيقة ، فالقاضى لا يستطيع أن يزيد او ينقص منها ولا أن يعفو عن مرتكب الجريمة فيها ، ومع ذلك فقد فرض جميع هذا للمصلحة العامة . قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » .

كما أن الشرع بجانب مراعاته للمصلحة العامة راعى حال الجانى فقد استقر الرأى على التفرقة بين العمد والخطأ والقضاء والقدر . فتتدرج العقوبة اذا استوفت الجريمة أركانها من القصاص الى الدية الى الارش الى حكومة العدل فيما لا تكون فيه المماثلة فى المحلين بين المنافع والفعلين وهى تعدل التعزير .

وان كان الجانى مجنونا او صبيا أو مكرها فلا يجب القصاص ــ فكل ذلك فيه مراعاة لحال الجانى ..

التعزير :

التعزير من العزر بمعنى الرد والردع وهو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ونظرية التعزير اكثر من سابقتها الحدود تظهر فيها النظرية الحديثة فى العقاب بشقيها . فالقاضى يجد أمامه المجال الواسع فى تطبيق العقوبات وان اتحد الجرم على مختلف الأفراد وفقا لما يراه يصلح كل واحد منهم فهناك من المتهمين من يصلحه مجرد التأديب وهناك من لا يصلحه الا الجلد أو الحبس . قال القاضى أبو يعلى الفراء :

ان تأديب ذى الهيئة من أهل الصيانة أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة لقول النبى صلى الله عليه وسلم « اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » فان تساووا فى الحدود المقدرة فيكون تعزير من جل قدره بالاعراض عنه وتعزير من دونه بزاجر الكلام وغاية الاستخفاف الذى لا قذف فيه ولا سب ثم يعدل بمن دون ذلك الى الحبس الذى ينزلون فيه على حسب ذنبهم وبحسب هفواتهم ، فمنهم من يحبس يوما ومنهم من يحبس أكثر من ذلك الى غير غاية مقدرة ثم يعدل بمن دون ذلك الى النفى والابعاد اذا تعدت ذنوبه الى اجتلاب غيره اليها واستضراره بها » .

ويجب أن نعلم أن المقصود بمن جل قدره هو من ارتفع شأنه بالعلم والأدب لا بالغنى والجاه .

مما تقدم نلاحظ أن الشريعة وان اهتمت بمصلحة الجماعة فى الحدود اهتماما بالغا فانها لم تهمل شخصية المجرم اهمالا تاما مع أن الحدود من التشريعات الاساسية فى نظامها . وفى التعزير يلاحظ القاضى شخصية الجانى ملاحظة تامة فقد يشترك فى الجرم الواحد كثيرون ومع ذلك تتنوع العقوبات عليهم ، فما يزجر هذا قد لا يزجر ذاك . وهذا أرقى ما وصل اليه الفقه الغربى فى تفريد العقاب .

احمد فتحى بهنسى

* * *

من شعر شوقى

لاتحذ حذو عصابة مفتونة — يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا — من مات من آبائهم او عمرا
ولكل ماض فى القديم وهدمه — واذا تقدم للبناية قصرا
وانى الحضارة بالصناعة رثة — والعلم نزرا والبيان مثرثرا

احمد عبد الصمد

روايـة لـم تتـم

للأستاذ فـؤاد دوّاره

كثيرا ما يخيل الى أن أدبنا المصرى الحديث ، على قرب عهدنا به ، قد اصبح غموضا من أدبنا فى عصره الجاهلى ، على بعد الشقة وكر السنين . ويزيد من هذا الاحساس ما يردده بعض نقاد الصحافة بين الحين والآخر من ان فلانا من كتابنا الشبان هو رائد القصة القصيرة بلا منازع وان زميله «علانا» هـو أول من ارتاد طريق المسرحيـة المصرية .. وهكذا ..

ويترتب على هذه المزاعم الخاطئة اختلاط تاريخنا الادبى فى الاذهان ، وضياع كثير من حلقاته الهامة وسط غمهمات المجاملة التى لا تعتمد على درس أو استيعاب جاد لآثار السابقين ومحاولة وصلها بانتاج اللاحقين .. واذا بهـذه النظرة الجزئية القاصرة تحول انتاجنا الادبى الى لبنات مفككة متناثرة فى عرض الطريق لا يقوم منها بنيان ، ولا يتكون منها أدب متماسك الحلقات على النحو الذى تعرفه كل الشعوب ، فضلا عما فيها من جحود لجهود الرواد الحقيقيين ونكران لفضلهم .

ومحمد تيمور ـ الشقيق الأكبر للاديب المعروف محمود تيمور من هؤلاء الرواد الذين لم يأخذوا بعد مكانهم الحق فى تاريخ أدبنا الحديث . لقد قضى عام ١٩٢١ فى ريعان شبابه ، بعد أن ضرب بسهم وافر فى ميادين المسرح والقصة القصيرة والشـعر والنقد الادبى والاجتماعى ، كما كان له أعمق الأثر على مجموعة كبيرة من معاصريه من الادباء والفنانين من أمثال شقيقه محمود تيمور ، وأحمد خيرى سعيد ، وطاهر لاشين ، والدكتور حسين فوزى ، وزكى طليمات .. وغيرهم من أعضاء « المدرسة الحديثة » التى كان لها دور واضح فى تطوير حياتنا الفكرية والفنية منذ أواخر الربع الأول من هذا القرن .

لقد اتجهت هذه المدرسة بحماسة شديدة الى الثقافة الأوروبيـة تنهل من آثارها وتثرى تفكيرها ووجدانها ، وعملت فى الوقت نفسه ، وبالحماسة نفسها ، على تدعيم الطابع القومى فى انتاجنا الفنى والأدبى . وكان محمد تيمور هو روح هذه المدرسة ، وواضع مخططها باتجاهيه .

اننا حين نذكر محمد تيمور اليوم ، وقلما نفعل ، فانما نذكره كرائد من أوائل رواد المسرحية والقصة القصيرة فى أدبنا ، ولكننا لا نذكره شاعرا أو ناقدا أو روائيا ..

فاسماعيل أدهم حين يذكره فى كتابه عن «توفيق الحكيم» ، يقول عنه :

« أما محمد تيمور فكان صاحب فن فيه روح البناء والانشاء ، فسرعان ماقدم مجموعة من القصص عرفت باسـم « ما تراه العيون » كما كتب عـدة مسرحيات رفعت المسرحية العـربية فى مصر من الحدود المحلية التى أوقفها عندها ابراهيم رمزى وفرح انطون وعباس علام وحسين رمزى الى المستوى العادى للمسرحية الاوروبية .. »

ويكتب عنه يحيى حقى فصلا شيقا يعرف فيـه بحياته ، ويشـير الى مسرحياته ، ثم يقول عن قصصه :

« .. لم تشغل القصة اذن من أدب محمد تيمور الا جزءا ضئيلا ، فان غرامه انصرف الى المسرح كما رأيت ، ومع ذلك فلا يكمل تاريخ القصـة الا بالوقوف عند آثاره القليلة ، وتأمل دلالاتها .

والى جانب هـذه الجهود الرائدة فى القصـة القصيرة والمسرحية ، وضع محمد تيمور كذلك لبنة فى بناء الرواية المصرية لم يقدر لها أن تكتمل ، ولا نريد نحن أن نغالى فى تقدير قيمتها الفنية ، ولكننا نراها مع ذلك حلقة من المحاولات الروائية المبكرة فى أدبنا جديرة بأن نتوقف عندها لنتأمل دلالتها الفنية والفكرية .

يحدثنا محمود تيمور عن هذه الرواية قائلا :

« .. الظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ، ولم يكن قد كتب شيئا من قصصه قبل ذلك الوقت ، فكانت بمثـابة تمرين له على الكتابة القصصية ، ظهرت فيها مواهبه ، وتجلت تلك القـوة الخفية المنبئة بمستقبل جميل فى هذا النوع . «فالشباب الضائع» بأوصافها ومشاهدها وأحاديثها وأشخاصها وتحاليلها النفسية جلية واضحة يعلم منها القارىء انبثاق عبقرية تيمور واشراقها ، فهى فجر تآليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .. »

ومعنى هذا أن محمد تيمور ألف روايته حوالى عام ١٩١٤ ، وهى السـنة التى ترك فيها مدرسـة الزراعة بعد بضعة أشهر من التحاقه بها .

فاذا تذكرنا أن رواية «زينب» للدكتـور محمد حسين هيكل ، وهى التى يجمع النقاد والدارسون

على اعتبارها أول رواية مصرية ، لم تظهر الا عام ١٩١٤ ، وانها لم تثر اهتماما كبيرا فى ذلك الحين، أصبح بوسعنا أن نرجح أن محمد تيمور لم يقرأها قبل أن يكتب روايته ، فليس بينهما أى تشابه فى الاسلوب او المضمون ، هذا اذا لم يكن قد كتب روايته قبل أن تظهر « زينب » · وفى الحالتين لا يكون قد تأثر بها ، وانما تأثر بما قراه من روايات أجنبية مترجمة الى العربية ، ثم روايات فرنسية قرأها اثناء اقامته بباريس فيما بين عامي ١٩١١ ، ١٩١٤ .

ان رواية « الشباب الضائع » لمحمد تيمور تقف من حيث التسلسل الزمني الى جوار «زينب»لهيكل، وهذه الحقيقة وحدها تكسبها اهمية خاصة ، فاذا كانت لا ترتفع الى مستواها الفني والتعبيري ، فلا شك انها تتفرد عنها بمزايا خاصة تسمح لنا أن نزعم انها لو تمت لـكانت جديرة بان تأخذ مكانها فى تاريخ الرواية المصرية ·

تعرض الرواية حيــاة طالب فقير بالمدرســـة الخديوية الثانوية يدعى « حســن » يهوى الادب والكتابة ، ويتمنى لو يصبح كاتبا مشهورا كهؤلاء الكتاب الكبار الذين يقرأ لهم فى الصحف · وهو يعيش وحيدا مع امه بعد أن توفى أبوه ، وفى المنزل المقابل يسكن خاله ، و «حسن» يهوى ابنة خاله « لبيبة » ، ويخلص لها الحب ، ويقضى الساعات فى نافذته يناجيها ويشكو لها متاعبه فى المدرسة ، ويبوح لها بآماله فى المستقبل ·

وتتعثر محــاولات حسن فى نشر مقــالاته فى الصحف ، اذ يغار منه بعض زملائه ويدبرون له المؤامرات كى يفشل فى مسعاه .

وحين يوفق أخيرا فى نشر مقال بجريدة «الفاروق» تصيبه الاقدار بسهم آخر ، فينقل خاله الى أسيوط ويحرم من رؤية ابنة خاله التى ملكت عليه قلبه وكل مشاعره ·

ويبدأ القسم الثانى من الرواية بعد مرور عامين، فنرى « حسن » وقد أصبح طالبا فى السنة الرابعة الثانوية ، لم يبق على امتحانه سوى أسبوعين ، انه الآن ينشر مقالاته بانتظام فى جريدة « الفاروق » ، وصاحبها معجب بمواهبه حتى ليعرض عليه وظيفة رئيس قسم الترجمة بالجريدة بمجرد تخرجه ·

وبهذه الفصول ينتهى ما كتبه محمد تيمور من الرواية ، ولكنه ترك بين أوراقه تخطيطا عاما لبقية أحداث الرواية هذا نصه :

١ ـ حسن يرسل لحبيبته خطابا باسم صاحبة لها مدرسة ·

٢ ـ امتحان البكالوريا ـ سقوط حسن .

٣ ـ خطاب من حبيبته ·

٤ ـ مشاجرة مع أمه · لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى · أول مرة أهان أمه فيها ·

٥ ـ يرد على خطاب حبيبته ويعتذر اليها ·

٦ ـ دخوله الفاروق كمحرر ·

٧ ـ أصبح محررا وأصبحت حياته كما يأتى : يقضى عصر يومه فى القهاوى وليله فى محال الخمور·

٨ ـ يتعرف بشبان أغنياء يغرونه على القمار ·

٩ ـ أصبح حسن مقامرا ·

١٠ ـ مشاجرة مع والدته من أجل القمار ·· انه فى احتياج شديد للدراهم تقرضه والدته ·

١١ ـ الوالدة تبيع حليها ·

١٢ ـ يتعود الذهاب متأخرا لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله ·

١٣ ـ يذهب الى احدى الحانات ليلا فيقضى فيها ليلته للصباح ثم يقصد دار الفاروق ثملا مترنحا ·

١٤ ـ يطرد نهائيا من دار الفاروق ·

١٥ ـ أصبح حسن محررا صعلوكا يعيش عيشة الأدنياء الســاقطين » .

من اهم مايلفت النظر فى هذه الرواية الناقصة أنها أول محاولة فى أدبنا ـ فيما نعلم ـ لتصوير حياة المراهق وازماته.وهو موضوع اصبح مالوفا فيما بعد ، وخاصة بعد أن عالجه توفيق الحكيم باسهاب واقتدار فى رائعته « عودة الروح » التى كتبها عام ١٩٢٧ ونشرت عام ١٩٣٤ ، بحيث يجوز أن نفترض نوعا من التأثر بين الروايتين ، على الأقل من ناحية اختيار المجال النفسى الذى تدوران فيه ·

واذا كان من المسلم به أن « عودة الروح » تمثل نوعا من الترجمة الذاتية لكاتبها فى فترة معينة من حياته ، تدخل فيها الخيال بقدر ليخفى بعض معالم الشخصيات الحقيقية ، ويساعد على حبك الاحداث وترابطها . فالشيء نفسه يمكن أن يقــال عن رواية « الشــبابالضـائع » لمحمد تيمور فالتشــابه واضح بينه وبين بطل روايته ، فكلاهما كان طالبا بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وكلاهما اغرم بالأدب والكتابة منذ مرحلة مبكرة من حياته ، وكلاهما نشرت له

الصحف الكبرى وهو مازال تلميذا . كل هذه صفات مشتركة بين بطل الرواية كما وصفه مؤلفها، وبين المؤلف نفسه كما وصفه شقيقه في مقدمة المجلد الاول من مؤلفاته ·

ويصف محمد تيمور بطله بانه « ·· شاب اسمر اللون ، نحيف القوام ، اقنى الانف ؛ اسود العينين يرى الناظر فيهما اثرا للحزن والتفكير » وهي نفس سمات محمد تيمور نفسه كما تبدو في كل صوره · وكما يؤكد معاصروه · ومن ناحية التكوين النفسي نجد البطل شديد الحياء ضعيف الارادة ، بطل المؤلف يلح في الصاق هذه الاوصاف وامثالها به ، فاذا قرانا المقدمة التي كتبها زكي طليمات للمجلد الثاني من مؤلفات محمد تيمور ، ومن المعروف انه كان اقرب اصدقائه اليه والصقهم به ، وجدناه يحلل شخصيته ويصفه كذلك بانه شديد الخجل ، متردد ؛ ضعيف الارادة يفتقر الى الجراة والصراحة .

***

وهكذا يتاكد لنا بما لا يدع مجالا للشك ان «الشباب الضائع» نوع من الترجمة الذاتية لمؤلفها، لم يتدخل فيها الخيال الا بقدر ، تماما كما جاءت «عودة الروح» بعد ذلك ترجمة ذاتية لتوفيق الحكيم، لم يتدخل فيها الخيال الا بقدر ..

***

وتمتاز « الشباب الضائع » كذلك باسلوبها البسيط القريب من النفس لبعده عن الافتعال والأسجاع والمحسنات البديعية ، واستخدام الكلمات الصعبة والصيغ المحفوظة وهي السمات الغالبة على أسلوب الكتابة حتى ذلك الحين ، ولا يمكن ان نقدر هذه الميزة حق قدرها الا اذا رجعنا الى بعض كتابات العصر ولمسنا ما فيها من تكلف وتصنع واغراب ، لندرك الى اي حد كان اسلوب « الشباب الضائع » البسيط المباشر نقلة هامة في اساليب الكتابة الفنية ، مهدت لما جاء بعد ذلك من نقلات وتطورات ·

***

فاذا تأملنا بناء الرواية لاحظنا – رغم نقصه – أنه يميل بشكل عام الى البساطة والبعد عن التعقيد، وان مثل مع ذلك مرحلة متقدمة نسبيا . فالاحداث تجرى في تسلسل منطقي مقنع ؛ والشخصيات تتطور دون افتعال او مفاجآت قدرية ، والكاتب يحسن وصف الاجواء والاشخاص، ولا يتدخل كثيرا في سياق الاحداث ليعلق عليها ، او يسترسل في أحداث ومواقف فرعية بعيدة عن موضوعه الاصلي وشخصياته الرئيسية . ولكننا نلاحظ في الوقت نفسه ، وهو أمر طبيعي جدا في هذه المرحلة ، غلبة الوصف التقريري المباشر للشخصيات دون محاولة التغلغل في نفوسها ووصفها من الداخل الا في موقف أو موقفين ·

***

ويستعين الكاتب بالحوار في معظم مواقف الرواية ، وان كتبه باللغة الفصحى على غير ما نتوقع من كاتب‌شاب متحمس لتمصير الادب والفن · وهذه الحقيقة تذكرنا بمسرحيته الاولى « العصفور في القفص » فقد كتبها باللغة الفصحى في بادىء الامر ومثلت بها بالفعل ، ولكنه أعاد كتابتها بالعامية لانه وجدها اقدر على التعبير عن شخصياته ثم كتب كل مسرحياته التالية بالعامية · وهذه الحقيقة تؤكد ان « تيمور » ألف « الشباب الضائع » في مرحلة مبكرة من حياته كما اشار الى ذلك شقيقه محمود تيمور ، بحيث يصح أن نفترض انه لو عاد اليها بعد ذلك لكان من المحتمل أن يعيد كتابة حوارها بالعامية كما صنع في مسرحية «العصفور في القفص» وفي حوار بقية مسرحياته · ومع ذلك فالحوار العربي في الرواية يقوم بدور فني هام ويؤكد ملكته المسرحية التي استأثرت فيما بعد بجل جهوده ·

***

وتبقى بعد ذلك سمتان رئيسيتان تلمسهما في الرواية بنفس الوضوح الذي تلمسهما به في معظم ماكتبه محمد تيمور · أولاهما : ذلك الحزن الرومانسي الغالب على معظم أجزائها ، وبصورة ساذجة مبالغ فيها معظم الاحوال ، فما يكاد البطل يتعرض للفشل حتى تتساقط دموعه مدرارا ، بل يصل به الأمر في أحد المواقف الى أن يهشم الدواة ويمزق الورق ويلقي بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه !

***

أما السمة الاخرى فهي ميل الكاتب للنقد

الاجتماعي وانشغاله باصلاح الفاسد من أوضاع المجتمع وعادات قومه . فينجح حينا في تحقيق هذا الهدف دون أن يخرج كثيرا على مقتضيات الفن القصصي وسياق روايته ، ويفشل حينا آخر حين يتحول النقد الى وعظ اجتماعي مباشر لا يمت للموقف الروائي بصلة . ومن امثلة توفيقه تلك الصورة الصادقة التي قدمها لبعض الصحفيين المرتزقة وبعض الاعيان المنافقين اما امثلة الوعظ المباشر فهي قليلة في الرواية .

***

هذه هي المحاولة الروائية لمحمد تيمور ، لانريد أن نغالي في تقدير قيمتها ، ولكننا لا نريد لها كذلك أن تنسى تماما ، فلا تعتبر من الحلقات التي أسهمت في تطور الرواية المصرية بصورة او بأخرى .

***

ولعل من الخير أن نذكر هنا ، أن محمد تيمور له محاولتان اخريان في ميدان الرواية ، الاولى باللغة العربية ، لم يكتب منها سوى فصل واحد عنوانه « جلال الموت » وصف فيه جنازة تسير في شارع محمد علي ، وهو يتمشى مع ذلك الطابع الحزين القاتم الذي لاحظنا غلبته على معظم شعره ونثره ، والمحاولة الاخرى باللغة الفرنسية عنوانها «الفتوة» ، لم يكتب منها كذلك سوى فصلها الاول . وكان يريد كذلك أن يؤلف كتابا عن تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصي ، نشر منه فصلا في مجلة «السفور» وعثر بين اوراقه على مذكرات حول هذا الكتاب وشذرات منه .

***

كل هذه الاعمال كان المفروض أن تتم وتسهم في اثراء أدبنا الحديث في تلك المرحلة المبكرة من تاريخه .. ولكننا لا نعجب مع ذلك لانها تركت ناقصة .. فالرواية الكبيرة ذاتها التي قام فيها محمد تيمور بدور البطولة حقا دون اي تدخل من الخيال .. هذه الرواية نفسها لم تتم فصولا .. ومات بطلها قبل أن يتم عامه التاسع والعشرين .. فهل نعجب بعد ذلك اذا ترك وراءه رواية أخرى ــ أو روايات ــ لم تتم ؟!!

فؤاد دواره

العقيدة والشريعة في أسفار اليهود
وما أصابهما من تزييف وتحريف

الدكتور علي عبد الواحد وافي (١)

كانت الديانة اليهودية في اصلها ديانة توحيد ، تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والتجرد من جميع مظاهر النقص والمخالفة للحوادث في كل شيء ، كما هو الشأن في الدين الاسلامي .

ولكن يظهر من التأمل في اقدم اسفار توراتهم المزعومة ، كسفر التكوين ، ان فكرة الالوهية لديهم كانت قد انتكست في عصر تدوينهم لهذه الأسفار ، فتصوروا الله تعالى في صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وظهر تصورهم هذا في كثير من قصص هذه الأسفار .

فمن ذلك مثلا ما يرويه سفر التكوين في قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة واخراجهما من الجنة ، اذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الاكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللا بهما ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما ان الاكل منها يفضي الى الموت ، مع أن الاكل منها يفضي الى رقي التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ، ولكن الاله كان يريد ابقاءهما جاهلين . ولما أغرى الثعبان حواء بالاكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ادركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين ، وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما وهما على هذه الصورة . ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة وسمعا صوته وحركته في أثناء سيره ، اختبآ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة . فناداهما ربهما واخذ يستجوبهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنهما لا بد أن يكونا قد أكلا من الشجرة ، وان ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الانسان قد اصبح بذلك « احد الآلهة ، لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد اصبح لزاما أن يطرد من الجنة حتى «لا تمتد يده كذلك الى شجرة أخرى هي شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الآلهة وهي صفة البقاء .

ومن ذلك أيضا ما يرويه سفر التكوين في قصة اهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سودوم وجوموره اذ يذكر أن ثلاثة «رجال» ، وهم الله وملكان معه ، قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن ابراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم، وقدم لهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة ، وأخذوا يأكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم . ثم تفقد الله زوجه سارة وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر ابراهيم بأنه سيمر عليهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه ابراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد اهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لان بعض أهلها اتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء .. الى آخر ما جاء في هذه القصة .

بل ان هذه الاسفار لتدل على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة . فكانوا يرون أن ثمة الها خاصا بشعب اسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الاخرى .

ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئا ، ويتخلص من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك في أحدث أسفار توراتهم المزعومة ، كسفر التثنية وسفر اللاويين . غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم الها خاصا بهم ، وهو اله اسرائيل ، وأنهم هم أبناؤه وأحباؤه ، وأن لغيرهم من الامم آلهة أخرى . ولم يتخلص الههم هذا كل التخلص من جميع صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به في نظرهم بعض هذه الصفات . فمن ذلك ان احدث أسفار توارتهم المزعومة وهو سفر اللاويين يذكر في اكثر من موضع أن الضحايا « المحرقة » (وهي التي تحرق أجزاؤها في المذبح تحت اشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الاله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم .

وعلى مزاعمهم هذه يرد الله تعالى في القرآن الكريم اذ يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ، ويقول في هدى الحج : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » . بل لقد اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله ، واتخذت بعض فرقهم احبارهم أربابا من دون الله كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى اذ يقول : « وقالت اليهودى عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بافواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون . اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » .

وفي هذا دليل على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، على مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى « نورا وهدى للناس » .

وأما فيما يتعلق بشرائعهم فقد تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشئون الدين والدنيا معا، فلم تغادر أية ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والاسرة والقضاء والتربية والاخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وامرته ووطنه... وما الى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها الا وضعت لها حدودا وقواعد ، وبينت ما ينبغي أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه في حالة الخروج عليها، حتى شئون الاكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الانعام في الحرث : كل ذلك عرضت له في صورة مفصلة دقيقة على النحو الذي تسير عليه الموسوعات في كتب الفقه الاسلامي .

غير أنه يلاحظ في هذه الشريعة مظهران كبيران من الانحراف والتضارب : أحدهما قيامها على التفرقة العنصرية ، والآخر عدم وحدتها واختلاف الاحكام الواردة في كثير من الشئون باختلاف أسفارها .

١ ـ أما قيامها على التفرقة العنصرية فذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر الى ما عداه من الشعوب نظرتها

الى شعوب وضيعة في سلم الانســـانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذ االاساس ، تتفرق بين هؤلاء واولئك امام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع • فمن ذلك مثلا أن الاسرائيليين محرم عليهم ان يقتل بعضهم بعضا وان يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أنه مباح للاسرائيليين ، بل واجب عليهم ، غزو الشعوب الاخرى ، وخاصة شـــعب كنعان ، وواجب عليهم بعـد انتصـارهم على بلد ما ، « ان يضربوا رقاب جميع رجالهـا بحد السيف » ، « والا يبقوا على أحد منهم ، ويسترقوا جميع نسائهـــا وأطفالها ، ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع ، أو « ينهبوه » نهبا حسب تعبير أسفارهم • ومن ذلك أن الاسرائيلي اذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلي فى حالة عوزه وحاجته الى المال فان رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده الى حريته ، على حين ان الرق المضروب على غير الاسرائيلي يظل أبد الآبدين • ومن ذلك أنه ما كان يجـوز للاسرائيـلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الاسرائيلي ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، واذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا وما اليها وجب أن يرده اليه فى المساء ، اما غير الاسرائيلي فمباح للاسرائيلي أن يمتصه ويتعامل معه بأشـنع أنواع الربا الفـاحش • بل ان أســفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الازل أن يكون رقيقا لبنى اسرائيل ، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هـذا الشعب وظيفـة ما فى الحياة غير هـذه الوظيفة ، فان تمردوا عليها أو طمحوا الى الاستقلال وجب على بنى اسرائيل أن يردوهم اليهـــا بحــد السيف • وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله • وذلك أن نوحا ـ حسب ما يزعمه سفر التكوين ـ قــد شرب مرة من نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيــده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت ســـوأته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة ، فسخر منه ، وحمـــل الخبر الى أخويه ســـام ويافث • ولكن هذين كانا اكثر أدبا منه ، فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لايقع نظرهما على عورته ويسترا به ما انكشف من جسمه • فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله لعن كنعان بن حام ، ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث •

٢ ــ وأما عدم وحدتها فذلك أن أحكام أسفارها يتضــارب بعضهـا مع بعض فى كثير من الشئون • فقد يقرر سفر فى حادث ما حكما ، ويجىء ســـفر آخر فيقرر فى الحادث نفسه حكما آخر • فمن ذلك مثلا أن سفرى الخروج والتثنية يقرران أن الاسرائيلي الذى يبيع نفسه اختيارا لاخيه الاسرائيلي فى حالة عوزه وحاجته الى المـــال لا يدوم رقه الا مدة ست سـنين ، على حين ان سـفر اللاويين يقـرر ان رقه لا ينتهى الا بحلول « اليـــوبيل » الاسرائيلي (وهو العيد الذى يجىء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التى قضـاها فى الرق قبل ذلك ، فيمـكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة الا يوما أو أياما اذا استرق عقب العيد الخمسيني مبـــاشرة • ومن ذلك أيضــا أن توراتهم المزعومة تبيح للاسرائيلي ، رجلا كان أو امرأة ، أن يبيع نفسه لاخيه الاسرائيلي فى الحالة السابق ذكرها ، وفى ذلك يقـــول سفر التثنية : « اذا باعك نفسه أحد من اخوانك ، سواء أكان رجــلا أم امرأة ، فانه يخدمك ست سنين » ، على حين ان أسفار التلمود لا تجيز ذلك الا للرجل وحده •

وفى هذين المظهرين اللذين تتسم بهمـا شريعة اليهود دليل آخر على ان اســـفارهم هذه من صنع أيديهم ، وعلى أن كل سفر منهـــا يعكس التقاليد والنظم التى كانوا يسيرون عليهـا فى العصر الذى ألف فيه ، وعلى مبلغ الفرق بين توراتهم المزعـومة والتوراة الصحيحة التى انزلها الله على موسى • فان كتابا من عند الله لا تتضــارب أحكامه بعضها مع بعض : « أفلا يتدبرون القرآن ؟! ولو كان من عند غـير الله لوجدوا فيــه اختلافا كثـيرا ! » وان شريعة من عنـــد الله لا تقر التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عنــد الله أتقـاكم ان الله علم خبـير » ، « لا فضــل لعربى على عجمى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، الا بالتقوى •

دكتور على عبد الواحد وافى

من تاريخنا القريب

جهالة حاكم مستبد

للأستاذ محمد رجب البيومي

تثبت التجارب أن تكتم الانباء يزيدها انتشارا وذيوعا ، وان اعلان الحقيقة السافر يحد من التزيد والاختلاق، وقد كان حاكم مصر الغشوم عباس الاول يعيش حياته الخاصة – فى صمت ساكن مريب فهو يتنقل بين قصوره المختلفة فى شتى البلاد دون أن يجرأ أحد من المقربين اليه على سؤاله حتى عن موعد عودته الى القاهرة ، وكانت له مآس انسانية صارخة جاهد فى اخفاء حقيقتها عن الناس ، ومع ذلك فقد وكلت بها الالسن رواية وتحليلا ، فعرفها القاصى والدانى من أبناء الشعب ، وكأنها نشرات سياسية تذاع طوال اليوم على فترات! بل ان غرامه بزوجته البدوية على ضآلة أثره وتفاهة موقعه كان يروى فى المنازل مسرود الحوادث مسجل الوقائع ، فى وقت أطبق فيه الطغيان بجبروته الفردى المستبد ، وتحكم الجهلة من الأغوات وبقايا المماليك والخدم فى الناس اذ يرجفون بالمكيدة ويختلقون الدسيسة ثم يسوقون صاحبها البرىء الى حتفه المبيد بعد أن يكونوا قد أوغروا عليه صدر الطاغية بما يأفكون، فيأتيه الموت من كل مكان ارضاء لنزوة جامحة ، واشباعا لجبروت صوال !

أما ما يمكن أن يفيدنا من عظات هذا الرجل المستبد : فسيتضح من متابعة بعض كوارثه التى نشير اليها بهذا المقال .

كان طوسون نجل محمد على مثال الغلظة والقسوة، وهو بطل مذبحة المماليك الذى أشرف على تنفيذها بجرأة لا تتخللها الانسانية والوفاء ، وقد شاءت له الاقدار أن يموت مصابا بالطاعون فى جذوة شبابه تاركا نجله عباس فى رعاية جدة عجوز تدلله وتمنيه، ولم يجد محمد على من الفراغ ما يسمح له بتعهد حفيده، وتركه مهملا فى أحضان الاغوات والخدم ممن أخذوا يتملقونه ويملأون آذانه بما يضخم كبرياءه ويضرى شهوته ، ثم زادوا فأوهموه أن عمه ابراهيم هو الذى تسبب فى مقتل والده طوسون كيلا يزاحمه على عرش البلاد .فنشأ ناقما ساخطا يرى عمه بعين الكراهية والحقد ، ولو استطاع أصابه بشره الناقم ! وأنى له ، وابراهيم فتى المعارك ، ورجل السياسة ، يمهد اليه محمد على بما جل من الامور ويلتف حوله أعيان البلاد ورؤساء الادارات والمصالح ! بينما يقبع عباس فى أحد قصور القاهرة، يقتل فراغه بما يسمع من نكات الاغوات وأضاحيك الخدم دون طموح الى معالى الامور :

وكان محمد على أدرك فى أخريات أيامه ما يجب ان يتعوده هذا الشاب من تحمل المسئوليات ، ومواجهة الاعباء ، فأمر بتعيينه مديرا للغربية ! على غير دراية بأبسط ما يلم به المدير الكفء من مدارك واتجاهات، بل غادر القاهرة الى طنطا وهو يعتقد أنه وال مصغر أتيح له أن يتحكم فى شقة واسعة من الارض بما تضم من منازل واناسى وحيوان ونبات ومياه ! وبدأت حماقته الرعناء فى سفك الدماء ونهب الاموال والتنكيل بمن يعلم عنه – كذبا أو صدقا – بعض ما لا يروق فى عينه جل أوهان ، حتى اضطر كثير من الفلاحين الى الفرار بأرواحهم الى مديرية البحيرة التى تجاور مملكته الموهومة ! وقد أغضبه أن يتمرد هؤلاء العصاة ! فأمر مدير الاقليم باسترجاع من لجأوا اليه من الفارين ، ثم أوقفهم صفوفا فى ساحة المديرية وأطلق مدفعا ضخما يلتهم من أمامه من البؤساء! وترامت الانباء المزعجة الى محمد على وذويه فثار ابراهيم وضج ! واكتفى رأس الاسرة بتوجيه النظر ومعاودة الانذار ...

تبدلت الامور وجاء ابراهيم واليا مكان ابيه ، فتذكر رعونة ابن أخيه وطيشه المغرور فبادر باستدعائه وأفهمه انه يريد أن يبعثه الى مكة ليحج بيت الله ، ويكفر عن آثامه المخزيات ! ففهم عباس انه يتهيأ لنفى اجبارى محتوم ، وكتم غيظه الثائر ثم غادر عمه ليجد المطايا مهيأة لحمله السريع الى النفى البعيد !

وفى أرباض تجد أخذ الرجل المبعد يرسل آهات الحقد والنقمة، ويجمع حوله العرافين وضاربي الرمل من خيام البادية ليقرءوا له صفحات الغيب ، وكانوا ذوى خبث ودهاء ، تعرفوا مكامن ضعفه وأخذوا يبشرونه بالملك عن قريب بعد ممات ابراهيم ، كان المنجم الداهية (منتظر) أحد هؤلاء الذين تسربوا الى نفسه وتدسسوا الى طواياه فكان يفسر أحلامه ، ويهيىء أحجبته ، ويهدى اليه ماء الزعفران ، ونبات البادية ليحفظه من عيون الحسدة ويقيه مكيدة الحاقدين .. ثم أوصله ببعض شيوخ البادية ليرى ابنته الحسناء تتمتع بالجمال الصارخ والشباب الريان، فهام بها هيام الكلف المشوق ثم طلب يدها ، فأجيب الى ما اراد ، واصبحت البدوية الحسناء مالكة زمامه وقائدة أمره فهو معها كالطفل يرقب اشارتها فى تودد وانجذاب .. وكان المنجم الداهية قد أدرك جزيل ما أسدى للامير من ذخيرة حسناء ، فازداد تسلطه على نفسه وأصبح سمير خلوته ورفيق مغداه ... انتهت حياة ابراهيم على نحو أسرع مما كان عباس يتوقع فى منفاه، ورأى نفسه ذات مساء صاحب الامر فى البلاد ، فاستشعر فرحة عنيفة كان لها أثرها من بعد فى أعصابه اذ اختل توازنه الشخصى فوق ما به من قصور ذاتى لا ينهض بتحمل الاعباء - وشهد الحجازيون ركب الوالى يخف من نجد بعروسه وحاشيته ومنجميه ومضاحكيه ! ليصبح بعد حين قبلة الانظار فى القاهرة ! وقد اشتعل حقد عباس على ابراهيم الميت فأخذ يسأل عن ذوى مودته وأصحاب شوراه ورجال حاشيته فصرفهم جميعا عما كانوا يزاولونه من المهام ، واختار مكانهم من لا عهد له بهذه المصاعب من خدمه ومماليكه ، ودعاه حقده الألد أن يسأل عمن أظهر البكاء فى جنازة الوالى الراحل فكتب له أسماء بعضها مموه مكذوب فانتقم من أصحابها ثم رمى بهم الى المنافى السحيقة فى السودان وأقصى الصعيد بعد أن جردهم من منازلهم وأموالهم وما كان شائعا لعهده من الجوارى والعبيد . ووجد دجاله المحترف (منتظر) فرصته المناسبة لمزاولة شعوذته المارقة فجعل يشير عليه بما يراه من الطالع ويتسلط بتمويهه الاخرق على أزمة قياده ! الى حد يقرب من العته المجنون ، فقد أشار عليه أن يتولى أمور القاهرة محافظ يبتدىء اسمه بحرف الهمزة فأذعن الوالى للمشورة وأخذ يبحث حتى اهتدى الى ابراهيم الالفى فكان اسمه فقط أساس الاختيار

وعمدة الترجيح! ولم ترق القاهرة بمنازلها الشاهقة وميادينها الفسيحة فى عينى زوجته البدوية ودجالها منتظر فكره عباس البقاء بها وأخذ ينشىء قصور الامارة فى بنها والدار البيضاء بصحراء السويس ليهيىء لهما جو البادية فى نجد ثم أحاط تنقلاته الى قصوره المتباعدة بجو من الكتمان بحيث يجعلها مفاجأة مدهشة لمن يراه صباحا فى مكان ومساء فى مكان آخر رغم وعورة الطريق وصعوبة المواصلات !! ثم اختص عرب الهنادى بصداقته فجعلهم حراس قصوره وأدوات بطشه وارهابه ، فاذا غضب على انسان ما ولو كان من عائلته وبنى اعمامه سلط عليه هؤلاء المناكيد فسلبوه راحته ، واضطروه الى الفرار من مصر نهائيا، او الارتماء على قدم الحاكم كاللائذ المستجير، وقد أتى من المتناقضات المذهلة ما جعل المؤرخين يحارون فى تفسير أعماله ، فهو يقرب زيدا من الناس فيمنحه القصر والارض والمنصب والخيل حتى اذا اطمأن الى سيده داهمته النقمة العاجلة من حيث لا يحتسب فرأى نفسه يساق فى القيود الى عباس متجردا من ملابسه ، وسياط الخدم من المماليك تنهال على جسمه ثم يلبس ثياب الفعلة فى اصطبلات الخيول ويقوم بالعلف والرى وتنظيف المكان للجواد .. واحيانا يطاف به على حمار فى أنحاء القاهرة ليفتضح بين الناس بما يعود على سمعته وأسرته بالفضيحة والشنار .. وكانت كارثة الكوارث حقا فى تاريخ مصر جرائه الجاهلة على معاهد العلم ومصانع الغزل والنسيج ، ومستشفيات المرضى ، ودار الاعمال الحربية اذ أجرم اجراما شنيعا حين أصدر أمره باغلاق هذه المرافق الحيوية الهامة وترك البلاد تعيش خمس سنوات فى ظلام الجهل والفقر والمرض دون أن تعرف مبررا لهذا العبث المجنون !! وقد أدى اغلاق المصانع الى تشريد أسر كثيرة كان أصحابها يعملون بها متكسبين! ويقول بعض الكتاب: ان القنصل الانجليزى قد استطاع بدهائه أن يقنعه باغلاق المصانع لتظل حاجة مصر الى انجلترا شديدة ماسة ! ولئن صدق ذلك فى مصانع النسيج والغزل فمن الذى أشار عليه باغلاق معاهد التعليم ومستشفيات المرضى الا أن تكون لوثة أعصابه قد دفعته الى تهوره المشين!! أما انتقامه من الاقباط بدون مبرر ما فقد بلغ ذروة الطيش ، حتى اضطر شيخ الازهر الشيخ ابراهيم الباجورى رحمه الله الى الوقوف فى وجهه مذكرا اياه بحكم الاسلام فى رعاية أهل الذمة وقد أعلمه أن

الفرنسيين يحتلون الجزائر ومن قبل قد احتلوا مصر فلو واصل تعنته الظالم لجر البلاد – أكثر مما هي عليه – الى هاوية الاحتلال من جديد ! ولعل الشيخ الباجورى هو الرجل الوحيد الذى استطاع ان يجابه الطاغية بما يقترف من مظالم ، وقد كان عباس يستشعر خوفا باطنيا من نفوذه الروحى ويستمع الى رأى من يشيرون فى حاشيته بتجنب (شيخ الاسلام) فهو متصل بالله !! لذلك نرى عباس على عظموته الباطش يزور الجامع الازهر ويدنو من حلقة الشيخ ثم يجلس على كرسى ليستمع ما يفيض به فى دروس الفقه والتوحيد وكان الباجورى لا يعيره أدنى التفات مع أن عباسا نفسه لا يفهم شيئا مما يقرره الاستاذ اذ أن دروسه كانت حواشى وتقريرات على شروح ومتون وسامعها لا بد أن يعرف نص المتن وكلام الشارح قبل ان يسمع حاشية الباجورى وتقريره ! ولعله كان يستمع اليه كما يستمع الأمى الساذج الى آية عالية من كتاب الله يتعبد بسماعها دون أن يستشف ما تحمل من توجيه !! وقد رأيت من المؤرخين من يقرنون عباسا بالحاكم بأمر الله فى تناقضه وتخبطه وجنونه ، وهذا مقبول من ناحية ، وبعيد من ناحية ثانية فالحاكم يشارك هذا الاحمق فى اضطراب سياسته والتياث أموره ، وولوعه بالمفارقات المتناقضة فى الاخذ والرد والتقريب والتبعيد ، والرضا والغضب ، ولكن الحاكم على تناقضه الفاحش – صاحب دراسات وتنسكات تصرفه عما انهمك فيه عباس من فنون اللذة الجسمية فهو لا يتوحش فى التهام المآكل والمشارب ولا يبنى القصور للحظايا والحرائر، ولا يشتغل بهؤلاء زوجاته وعشيقاته كما انصرف الى ذلك كله هذا الحاكم الجهول ولعل ما يذكر له من الاصلاح فى عهده الرهيب – ان عد ذلك اصلاحا – هو موافقته على انشاء خط حديدى بين النيل والبحر الأحمر ولم يقدم على ذلك التماسا لرقى بلاده ! ولكنه خضع لرغبة القنصل الانجليزى الذى كان ينافس زميله القنصل الفرنسى حينئذ فى التقرب من رجال الحكم بمصر ، ليستطيع أن يثبت أقدامه عن طريق المشروعات العمرانية ! وكان لعباس رغبة شديدة فى استرضاء القنصل الانجليزى اذ أوهمه كاذبا أن دولته تستطيع أن تتصل بالباب العالى فى تركيا كى تغير نظام ولاية العهد فى مصر فيصبح لابن الحاكم مباشرة بدل أن يكون لأكبر رجل فى الاسرة العلوية ! والحق أن ولاية العهد هذه كانت تؤرق عباسا وتضنيه اذ عز عليه أن ينتقل حكم البلاد الى عمه سعيد متخطيا ولده الامير (الهامى) لذلك كان اضطهاده لسعيد مضرب المثل فى الغلظة وقلة الذوق فهو يعاقب من يتصل به من الوجهاء والاعيان ! كما يصادر أكثر ممتلكاته كيلا يجد من المال ما يستطيع به أن يجذب اليه الانظار ثم اعتقله فى قصره «بالقبارى» محتما عليه الا يفارقه فى شأن من شئون الناس ! وكاد سعيد يستشعر اليأس من الحياة والحكم معا لولا أن الحظ الذى ابتسم فجأة لعباس فى منفاه بنجد على غير انتظار قد كرر البسمة لسعيد على غير انتظار أيضا، فحين كان الوالى الغشوم ممتعا بالصحة والسلطان أتاه الموت على غير موعد ، فاغتيل على أيدى خدمه المقربين بقصره فى بنها اذ شاء القدر أن يسقيه من الكأس التى يسقى بها الناس ، وخلاصة ما قيل فى مصرعه أنه غضب على فريق من مماليكه فجردهم من ملابسهم ، ووضع الاغلال فى أعناقهم ورماهم فى السجون بعد أن شرد أسرهم وصادر أموالهم ثم اجتهد أحدهم فسعى لابراهيم الالفى صديق الوالى وموضع سره وحظوته فأخذ يستميله ويستعطفه ليشفع لدى عباس فيمن جعلهم مضغة الافواه ، وعزاة الايام فتأثر الألفى وبذل مسعاه جاهدا حتى رضى عباس بعد جموح وسمح لهؤلاء المضطهدين أن يعودوا الى وظائفهم وقصورهم وممتلكاتهم من جديد ، فرجعوا مذعنين متوسلين ، وقد أضمروا الغدر لهذا الذى لا يؤمن جانبه أو يتقى شره الا باجتثاثه من الحياة ، ووجدوا من خدم القصر فى بنها من يشاركهم الرأى فى الطاغية الظلوم ، وتقاسموا أن يقوموا باغتياله حين يذهب الى مضجعه بعد انتهاء السهرة وانفضاض الناس ، وفوجىء الرجل بمن يهجمون عليه وحاول المقاومة بما عرف عنه من بأس ولكنه خار امام الكثرة والعدة والتصميم، ولقى حتفه دون ان يشعر أحد ٠٠ حتى اذا مضى أكثر اليوم دون أن يراه منتظروه انكشف السر الرهيب وسارت جثته الى القاهرة ليشيعها بضعة أشخاص من خاصته فى وهج الظهيرة والتهاب الهجير ٠

محمد رجب البيومى

من وحي ثورة العراق

عودة تموز

للأستاذ علي الصياد

كان بالامس غارقا فى الدماء ... ونهار المنى كطيف الضياء
حين كان الطغاة يشدون ... الحان الردى فى موكب الشهداء
وشفاه الرصاص بين الضحايا ... تتغنى بمصرع الابرياء
وربا الرافدين يسقط منها ... كل طير يصوغ لحن الفداء
والثكالى على ضفاف المنايا ... يتحرقن داميات البكاء
انه شعب دجلة الحر قد ... ثار فاسقى الطغاة كأس الفناء
واراق الجهود فى اكؤس النصر ... فرد الحياة فى الاشلاء
وغدا دجلة الحزين مزامير ... انتصار تشق سمع السماء

***

واستفاقت بغداد بعد سبات ... تشهد النصر خافق الرايات
وتريق السلام فى كل قلب ... كان يحيا مفزع الخفقات
وترى صانع الملا بين تموز ... الى الحكم عاد حر الحياة
عاد والشعب حوله راقص ... الفرحة يشدو ملاحم التضحيات
كيف ينسى الاحرار وثبته الكبرى ... بتموز فوق عرش الطغاة
فتهاوت امامه قلعة الظلم ... فاحيا العراق بعد ممات
وتلاقت مواكب الدهر فى ... بغداد تعنو لصانع المعجزات
فاذا الرافدان فى شفة ... الخلد نشيد مخلد النغمات

***

ومضت اشهر كعمر الازاهير ... تلف العراق ليل الهوان
خاله قاسم الجهود فاسقاه ... الردى فى غياهب الحرمان
بعد ماخان (عارفا) وحواريه ... فى نزوة الضعيف الاناني
وغدا بالعراق فى النار يلهو ... والعراق الابى فى غليان
ينتشى بالدماء تجرى من القتلى ... بحارا خضيبة الشطآن
ناسيا ان فى دم الشعب طوفانا ... سيجتاح قلعة الطغيان
فاستدار الزمان يطلع تموزا ... جديد النضال فى رمضان
فاذا بالعراق يصنع ما تعجز ... عن صنعه بنات الزمان

***

ورأى الشعب فى الوجود شروقه ... ومناة من الغيوب طليقه
نهفا كل حائر يحضن النور ... وفى ظله يناجى رفيقه
ويرى دجلة الطروب وقد ... صارت بشطآنه الصخور وريقه
والشحارير فوقه صادحات ... نشوة المجد والامانى العريقه
لحنها وحدة تلملم شمل العرب ... كالطير فى ضلوع الحديقة
امل فى غد سيورق فى النيل ... وفى الرافدين نحو رحيقه
وبسوريا وبالجزائر ينمو ... ويصنعاوكل ارض شقيقه
سوف نجتنيه فى غد عابق ... الزهر ولو صارت المنايا طريقه

من وحي ٢٣ يوليو

مراحل النور

للأستاذ إدوار حنا سعد

سناك فى الصفحات الغر منفرد   وعمرك الغض فى امجادة ابد
يوم البطولة لا زالت مفاخرة   باليمن تترى وبالآلاء تطرد
كالشمس لم تسر الا فى سنا بهج   الدفء فى ركبه والامن والرغد
مهما يطل مكثها فينا فبهجتها   وليدة فى الضحى انوارها جدد
مثى صباحك فى يوليو وبشرنا   بجذوة طال فى استشرافها الامد
عصماء رائعة الضدين صادقة   بالنور يضحد او بالنار تتقد
لاحت على بلد كانت مضيعة   عجفاء لم ينج منها الروح والجسد
تد عوفيت واستعزت حينما وجدت   من بعد طول ضلال ــ نفسها البلد

***

ياقرية فى الشفاف الخضر وادعة   والحسن مطرف فيها ومتلد
ران السكون عليها غير ساقية   انت وعارضها فى انقة غرد
ظلال اشجارها فى النيل سابحة   كانها نزلت فى الماء تبترد
والارض من زرعها فى سندس بهج   والقطن فى سوقة تحت الندى برد
ما كان اجملها لولا ذوو شظف   تد تجروا ارضها رزقا وما وردوا
جوعى وقمحهم فى مخزن شبم   فى بطن رابية تردى ، ولا تلد
مفتاحه فى اكف كلها خرق   تعطى وتمنع لا عقل ولا رشد
المالكو الارض .. جل الله مالكها   بالسلب والغصب ما نالوا وما حشدوا
ردت ودائعنا من كف غاصبها   وساد فى الارض بعد الصبر مضطهد

***

من ذلك الشعب من اصفى جواهره   من ريفنا السمح هب الفارس النجد
الناصر الحق لم تفلل عزيمته   تلك العوائق دون الحق والسدد
الباسق النصل لا ترقى لغايته   امنية ترتجى او خاطر يرد
صعب الكريهة سهل الود مقتدر   بالعزم مندفع بالحزم متئد
موفق الخطو سباق لطيته   عالى الجبين علية الغار منعقد
لعزة العرب ما تطوى جوانحه   وللكرامة ما يمضي وما يعد
فى كل ناحية من عالم قلق   مستضعفون لهم من عزمة سند
وسناه كالحدق الغالى باعيننا   والشانئون بهم من شأنه رمد
بنوا الحبائل فى ختل فما انتفعوا   وانذر الحقد بالعدوان فاحتشدوا
ظنوا الظنون بوادينا فراعهم   تحت العجاج نيوب الاسد واللبد
اودى بهم نتية صيدوكم نشة   قليلة لم يرعها الزاد والعدد
بنى العمومة ما ذا فى سرائركم   فيم الخلاف واطماع العدا رصد ؟
مافت فى عضد القربى ومزقها   الا الذميمان غدر الاهل والحسد
البعث عودة روح وانتفاضتها   وبعثكم يصرع الآمال او يئد
لا تفسدوا فيقولوا عنكم فسدوا   ويبرأ الاهل مما كان والولد
يبقى على هامة الدنيا وخاطرها   ما ينفع الناس لا البهتان والزبد
لا تجعلوها بلادا وهى من قدم   من المحيط الى خلجاتنا بلد

فى عالم الفن

كيف نستفيد بمهرجان التليفزيون

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان مهرجان التليفزيون يلقى علينا مسئوليات ضخمة ، فكيف نواجه هذه المسئوليات ؟!

انني اتحدث عن النواحي الفنية والثقافية فقط ... ان المكاسب المادية ، والاتفاقات الدولية والحصول على دخل ضخم من العملات الصعبة والدعاية لبلادنا ، والرواج السياحي ... الخ ... كل هذه مكاسب وان كانت متصلة بالفن والثقافة لا انها لا تحتاج الى شرح .. انها مسائل تؤكدها الاحصائيات والارقام .. ولكننا في حاجة الى تناول المهرجان كمناسبة عالمية لمناقشة مشكلات الفن والثقافة في المستوى العالمي من خلال التليفزيون وكيف يساهم التليفزيون العربي في حل هذه المشكلات ، وفي التطوير الفني والثقافي ، وفي رفع انتاجنا الفني والثقافي الى نفس المستوى ، اى المستوى العالمي

الواقع أننا بدأنا نواجه هذه المشكلات التليفزيونية منذ أن بدأ الارسال التليفزيوني في بلادنا ... ان التليفزيون لم ينشأ بيننا كمجرد فن جديد نقل الينا لانه جديد ، او لاننا نريد مجرد محاكاة البلاد المتحضرة ، وانما نشأ بدوافع حتمية ، نتيجة للتغييرات الجوهرية التي حدثت في مجتمعنا الجديد ... نتيجة لانتقالنا من مجتمع متخلف الى مجتمع متقدم ... نتيجة لتغير تفكيرنا من تفكير غيبي الى تفكير واع ... ان تغيير اقتصادياتنا ومثالياتنا وحياتنا كلها ، هذا التغيير الذي حدث ابتداء من يوليو ١٩٥٢ كان من بعض نتائجه ان ولد التليفزيون العربي « عملاقا » منذ ثلاث سنوات ، وكان من البديهي ان يولد عملاقا بلا اى اسراف او مغالاة في هذا الوصف ، لانه ولد تعبيرا عن ارادة المجتمع الجديد في النضال والتقدم والدفاع عن الحرية واحترام الانسان وخدمة الشعب ، ولد كجهاز فني لتحقيق هذه الاهداف ... وطبعا ليس معنى ميلاده عملاقا انه « ليس في الامكان ابدع مما كان » ، فان النظرة الى التفاصيل والجزئيات تعتبر نظرة سطحية ، وانما المهم هو ان هذا الفن لم يولد منفصلا عن المجتمع ، او رغبة في التقليد ، او للزخرفة ، او للمظهريات مثلا ..

ان هذا يفسر لنا الفرق بين ميلاد التليفزيون وميلاد المسرح او السينما في بلادنا ... فالمسرح مثلا نقل الينا في اواخر القرن الماضي لمجرد محاكاة الغرب محاكاة عمياء ... لم يكن تعبيرا عن وجدان الناس ولا استجابة لاحساساتهم او احتياجاتهم الى التطور او المشاركة في الفنون الحضارية ... والسينما نقلت الينا كما تنقل اى « موضة » ... لم يكن من الممكن في المجتمع الماضي ان يتولد الادراك الفني ، اى ادراك ان للفن وظيفة ، وان هذه الوظيفة هي خدمة المجتمع ، ولذا ظهر - مثلا - مبنى فخم اسمه دار الاوبرا دون اى فهم لشيء اسمه فن الاوبرا ... وهكذا .

من اجل ذلك لم نشعر في المجتمع الماضي بمواجهة اى مشكلة فنية مواجهة حقيقية ، لاننا لم نكن نمارس الفنون ممارسة حقيقية ... كانت فنونا مظهرية ، وكنا نمارسها ونشترك في انتاجها واحيانا نشترك في مهرجاناتها بشكل مظهري ... وفعلا اشتركنا في مهرجانات كثيرة كمتفرجين ، وحضرناها كمناسبات لتناول الشاى وتبادل الزهور فقط

وبديهي ان هذا تغير في مجتمعنا الجديد ... ان فنوننا وان لم ترتفع بعد الى المستوى العالمي فان اهتماماتنا الفنية اصبحت اهتمامات حقيقية

جديرة بأن ترفع فنوننا الى المستويات العالمية فعلا .. كيف ؟ بمواجهة مسئولياتنا مواجهة حقيقية ... اننا عندما نقول مثلا ان التليفزيون العربي ولد عملاقا فاننا لا نكتفي بالنظر الى ضخامة المبنى أو ضخامة الاجهزة ، وانما نستشعر أولا ضخامة المسئولية الفنية والثقافية ، لان المعنى العميق لميلاده عملاقا هو أنه ولد وفيه امكانيات الالتزام والمسئولية ، وفيه ايضا مكونات ومتطلبات الالتزام والمسئولية بشكل حتمي ... على هذا النحو ندرك ايضا معنى التوسع فى الارسال التليفزيوني ، وزيادة عدد القنوات الى ثلاث قنوات ، وزيادة الساعات التى تستغرقها البرامج بحيث اصبحت تستغرق أكثر من ٢٥ ساعة يوميا ... الخ ...

ان هذه المعاني أدركها خبراء التليفزيون فى العالم، ومع أن سرعة تحقيقها ادهشتهم فانهم نظروا بعين التقدير الى التليفزيون العربي باعتباره حقيقة واقعية ، وظهر هذا التقدير بوضوح فى آراء جميع الخبراء العالميين الذين زاروا القاهرة تباعا ، ثم ظهر بشكل جماعي فى المهرجان الدولى الذى اقيم بالاسكندرية فى العام الماضى ، ثم ازداد وضوحا فى المهرجان الحالي الذى تزايد عدد المشتركين فيه من الخبراء والدول والمحطات التليفزيونية العالمية ... ان هذا كله يزيد مسئولياتنا ... ان أكثر من ٢٠٠ مهرجان فنى تقام سنويا فى مختلف بلاد العالم دون ان ينال التقدير العالمي اكثر من بضعة مهرجانات تقام فى أربع أو خمس دول ، بينما نال المهرجان التليفزيوني فى الاسكندرية فى العام الماضى ، وفى هذا العام على وجه الخصوص تقديرا عالميا ملحوظا ، ومعنى ذلك أن التليفزيون العربي توج انتصاراته بتأكيد مكانته فى المحيط الدولى ، ولا جدال فى ان هذا يلقى علينا التزامات ومسئوليات كبيرة، لا فرق فى ذلك بين العاملين فى التليفزيون أو المتعاملين معه او الفنانين او الجمهور

ولكن كيف نواجه هذه المسئوليات عمليا ؟

خذ مثلا مسئولية الجمهور ... ان الدكتور عبد القادر حاتم قرر اذاعة حفلات المهرجان على الهواء يوميا ، ووضع تقليدا جديدا اتاح للجمهور ان يشترك اشتراكا فعليا فى المهرجان ... لم يحدث هذا فى مهرجان العام الماضى ، ولا فى أى مهرجان تليفزيوني ، لان المتبع أن برامج المهرجانات تعرض على لجان التحكيم فقط ... ان التليفزيون استفاد من المهرجان الماضى وقدم هذه التجربة الجديدة التى تعطى الجمهور فرصة مشاهدة البرامج التليفزيونية العالمية ، ليس لمجرد المشاهدة فقط ، بل ايضا للاستفادة ضمنا عن طريق المقارنة والمناقشة ، ومتابعة المناقشات التى ستدور حول هذه البرامج عندما يعيد التليفزيون عرضها

ان المهرجانات من اهم المجالات الفنية التى تعرض فيها أحدث التجارب الفنية ، فلماذا لا نستفيد من هذه التجارب ؟ سنستفيد من تجارب هذا العام لو اهتم التليفزيون باعادة عرض جميع البرامج بلا استثناء ، ومن الافضل تخصيص برنامج اسبوعى لهذا الغرض يقام فى شكل « ندوة فنية لمناقشة كل برنامج على حدة ، ويشترط أن يشترك الجمهور فى هذه الندوات ، وتعرض فيها ايضا آراء أعضاء لجان التحكيم لتكون المناقشة تطبيقية ومقارنة على أوسع نطاق ممكن

ثم ماذا يمنع من طبع كتاب عن المهرجان تسجل فيه جميع البرامج وقرارات لجان التحكيم بشأنها بالتفصيل ... ان مثل هذا الكتاب يلقى الضوء على النظريات التليفزيونية فى مختلف بلاد العالم ، وخاصة ان الدول التى اشتركت فى المهرجان تمثل اهم الاتجاهات الفنية فى العالم ... لا شك فى ان معرفة النظريات العالمية تعمق معرفتنا بالفن التليفزيوني ... وطبعا من اللازم ايضا مناقشة هذه النظريات فى ندوات تليفزيونية يشترك فيها العاملون فى التليفزيون كل فى اختصاصه ... الواقع اننا فى حاجة الى توسيع وتعميق ثقافتنا التليفزيونية ، ليس فقط لأن التليفزيون فن حديث سواء عندنا او فى العالم كله ، بل ايضا لان هذا الفن عبارة عن تجارب مستمرة يقوم بها خبراء التليفزيون، وهذه التجارب تنضج بممارستها وبمناقشتها وباحتدام الخلاف حولها ، ونحن فى حاجة الى معرفة هذه التجارب ومتابعتها والمشاركة فيها ، ثم اننا ايضا فى حاجة الى « اقلمتها » فى بيئتنا وتكييفها حسب مفهوماتنا ومواضعاتنا الفنية دون تجاوز الاسس الجوهرية للفن طبعا .. كل ذلك كيف يمكن ان يتحقق بغير ثقافة تليفزيونية

ان مهرجان التليفزيون يتيح لنا فرصة الاحتكاك بالثقافة التليفزيونية العالمية وبالتجارب الفنية وبالخبراء الذين مارسوها وبالفنيين الذين نفذوها ؛ واذن فمن اللازم أن نناقش ونفسر وتحلل كل تجربة والمهرجان يقدم لنا نماذج من هذه الجهود ، واذن فمن اللازم أن ندرسها لندرك مثلا مدى ارتباط البرامج

بالمجتمعات التى تذاع فيها والجمهور الذى يشاهدها ... ان البرامج المشتركة فى المهرجان تمثل شعوبا مختلفة الطابع والمزاج ، وتمثل اساليب مختلفة فى التناول الفنى ، وتمثل مناهج مختلفة فى التفكير . فاذا درسنا هذه البرامج بعمق امكن أن نزداد خبرة فى النواحى الموضوعية ونواحى التكنيك ... الخ

ولا شك فى ان للتليفزيون مجالات ترفيهية ايضا . ونحن لا نزال نمارس الفنون الترفيهية ممارسة متخلفة .. اننا للآن نستخدم النكت اللفظية والمواقف المفتعلة فى الاضحاك ، وللآن لم تصل الى الاغنية التليفزيونية ، وللآن لم تؤلف « الاسكتش » التليفزيون ... الخ ... وصحيح أننا بدأنا نمارس الفنون الاستعراضية ، ونجحت التجارب الاول ، ومع ذلك فان من المفيد جدا أن تدرس تجارب الآخرين ، ونبحث مع الخبراء وظيفة الفن التليفزيونى باعتباره فنا يعطى المتعة والتسلية كما يعطى الثقافة والمعرفة

ونحن فى حاجة الى معرفة « الشخصية التليفزيونية » ومكوناتها ، والحقل التليفزيونى ومجالاته ، وطبيعة الفن التليفزيونى وعلاقاتها بوظائفه وادواته،والجمهور التلفزيونى وسيكولوجيته ... اننا لا نزال نعانى فى التاليف مثلا تناول الموضوعات التليفزيونية بعقلية سينمائية أو مسرحية او اذاعية ، ولا نزال نفتقر الى ادراك الفروق الكثيرة بين الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة ، وبين الجمهور الذى يخرج من بيته ليشاهد فيلما او مسرحية والجمهور الذى يجلس فى بيته ليشاهد فيلما تليفزيونيا او تمثيلية تليفزيونية ... وفى الاخراج لانزال نفتقر الى ادراك الفروق بين الكاميرات السينمائية والكاميرات التليفزيونية والكاميرات البشرية اى عيون المتفرجين ... وهكذا ... كل هذه المسائل - وفيها مسائل دقيقة جدا - يتيح لنا مهرجان التليفزيون معرفتها لو تعمقنا فى فحص برامجه ، ومناقشة أساليب اعدادها وتنفيذها .

من الممكن بحث هذه المسائل كلها فى ندوات دورية متتابعة تخصص لهذا الغرض ... ومن الممكن اعداد دراسات منهجية يقوم بها أساتذة متخصصون ويتفرغون لاعدادها فى فترة معينة وتناقش النتائج التى يصلون اليها ... منها - مثلا - دراسات عن النظريات والاتجاهات والاساليب الفنية فى مختلف برامج المهرجان ... ومنها دراسات لآراء الخبراء والفنيين الذين اشتركوا فى هذا المهرجان او فى اعداد وتنفيذ برامجه ... ومنها دراسات عن المراجع والكتب والأبحاث التى تتداولها الدول التى اشتركت فى المهرجان للعمل على ترجمتها ... ومنها دراسات عن النتائج التى اسفرت عنها ممارستنا للفن التليفزيونى خلال هذه السنوات الثلاث ، لنتبادل هذه الدراسات مع الدول الاخرى ... ومنها دراسات عن احتياجاتنا سواء من الخبرات او الخبراء لاستكمال النقص فى الحقل التليفزيونى ... ومنها دراسات لآراء الخبراء فى برامجنا وأساليبنا فى التناول التليفزيونى ... وهكذا

من الممكن أيضا اعداد دراسات عامة ... ان مهرجان التليفزيون يدفعنا الى اعداد هذه الدراسات باعتباره عيدا فنيا يثير قضايا فنية سببها الاول ظهور التليفزيون فى الحقل الفنى ، وهدفها الاول تعميق المعرفة بأسراره ... منها - مثلا - دراسات عن موقف التليفزيون بين الفنون الاخرى ، وعلاقته بها ، ومدى تأثره بها وتأثيره فيها ... وطبعا سبق ان ظهرت أبحاث كثيرة عن علاقة التليفزيون بالسينما او بالمسرح ، ومن السهل - والواجب ايضا - ترجمة هذه الابحاث ، ولكن فى نفس الوقت حدثت تطورات كثيرة فى هذه العلاقات ، ومن المفيد دراستها دراسة تطبيقية على البرامج التى اشتركت فى المهرجان

ونحن أيضا لنا تجارب محلية فى هذا الصدد ... لنا تجارب فى الافلام السينمائية التليفزيونية، ولنا تجارب هامة جدا فى المسرح التليفزيونى بالذات، ومن اللازم اعداد دراسات عن هذه التجارب وعرضها للبحث فى المحيط الدولى ... ان هذه التجارب تحتاج الى تقييم فنى ... فنحن بالمسرح فقط لم نستطع نشر الوعى الفنى،بينما نجح المسرح التليفزيونى فى نشر الوعى الفنى ، وليس هذا فقط، بل نجح فى نشر الوعى المسرحى ، بمعنى انه خلق الشغف بالمسرح . وكان هذا الشغف هو اهم ما نفتقر اليه ... كيف حدث هذا ؟ ان هذه ظاهرة تحتاج الى ابحاث علمية

اننا نستفيد كثيرا من مهرجان التليفزيون لو ادركنا انه لا ينتهى بانتهاء موعده ... ان انتهاء هذا المهرجان - وكل مهرجان - معناه بداية دراسات عميقة ومتشعبة ومستمرة ... ابدأوا الدراسة فورا .

عبد الفتاح البارودى

الكتب : نقد وتعريف

سفير يتحدث

تأليف : محمد كريم شاجلا

ترجمة ـ عبد النبي الصواف

والكتاب عبارة من محاضرات القاها المؤلف حين كان سفيرا للهند في الولايات المتحدة الامريكية فسر فيها مبادىء الهند الخاصة بالتعايش السلمي وعدم الانحياز والحرية والديمقراطية والدستور وموقفها من الشيوعية ودورها في المشاكل الدولية . وحاول المؤلف اقامة موازنة بين المجتمع الامريكي والمجتمع الهندي فبين كيف يتمتع القضاء في الهند بالسلطة العليا على الهيئة التشريعية ـ كما هو موجود في الشكل الدستوري للولايات المتحدة .. بأن يكون للمحكمة العليا حق الاعتراض على اى قرار تصدره اللجنة التشريعية (الكونجرس) وكذلك بين المؤلف أن كفاح الهند في سبيل القضاء على مشكلة (طائفة المنبوذين) يماثل تماما كفاح الولايات المتحدة في القضاء على التفرقة العنصرية وكيف أن الهند قد سبقت الولايات المتحدة في ذلك المضمار .. وفي مجالات التنظيم الديمقراطي بين المؤلف انه يوجد في الولايات المتحدة مايمكن تسميته بالمواطنة المزدوجة ـ مواطنة الولاية والمواطنة الاتحادية ـ اما في الهند فيوجد المواطن الاتحادي فقط ـ وذلك لتجنب الاتجاهات الانقسامية .. ويوجد كذلك الازدواج القضائي في الولايات المتحدة ـ والازدواج القانوني .. فلكل ولاية قوانينها الجنائية وغيرها من القوانين الخاصة بها .. اما في الهند فالقضاء واحد في الولاية والاتحاد ..

والبرلمان في الهند كهيئة تشريعية هو السلطة العليا بعد الهيئات التشريعية في الولايات وذلك بعد تنفيذ لائحة الموضوعات التي يجب مناقشتها في اى من الهيئتين ـ الاتحادية ـ أو في الولايات . اما في الولايات المتحدة فتوجد قوانين مختلفة ـ ولايملك البرلمان « الكونجرس » الامريكي سلطة فرض او تغيير اى من هذه النظم او القوانين في هذه الولايات .. هذا بالاضافة الى ان تمثيل الولايات في الكونجرس بصورة متساوية للولايات . اما في الهند فالتمثيل في البرلمان يتم بالنسبة العددية لسكان الولايات ..

وقد أشار المؤلف الى الاشتراكية الهندية قائلا في صفحة ٢٨ « وينتشر في امريكا فهم خاطىء بالنسبة لما تعنيه الاشتراكية في تفسير المجتمع الهندي .. ان اشتراكيتنا ليست اشتراكية مذهبية انما هي اشتراكية عملية » .

اما بالنسبة لسياسة الهند الخارجية : فقد ذكر المؤلف « انها سياسة نشيطة متحركة .. اننا قد نكون اى شيء الا أن نكون محايدين .. اننا مخلصون لقضية السلام اخلاصا صادقا ـ اننا نكره القوة والظلم والطغيان اننا نؤمن ايمانا اصيلا بأن الروح الانسانية لايمكن أن تزدهر الا في جو من الحرية » .

اما بالنسبة للديمقراطية في الهند .. فقد ذكر المؤلف في صفحة ٣٤ ، ٣٥ .

« وفي الهند تعتبر الديمقراطية والحرية كلمات جوفاء مالم تسهما في القضاء على الفاقة والعوز وفي توفير الطعام والمأوى للشعب ورفع مستوى معيشته » ..

« اننا لانصنع من القومية أو غيرها من المذاهب أصناما مقدسة » .. وقد بين المؤلف ضرورة بناء المجتمع الاشتراكي الهندي دون التضحية بالحرية الفردية وبالمحافظة والابقاء على حكم القانون .

ويرى المؤلف أن الملايين في آسيا وافريقيا « سيتوقفون عن العبادة في محراب الديمقراطية

اذا فشلت تجربة الهند فى التنمية الاقتصادية . فى ظل الديمقراطية السائدة فيها — ويرى كذلك ان مساعدة الولايات المتحدة للهند هى مساهمة من الولايات المتحدة فى دعم قضية الديمقراطية فى الهند وفى آسيا » ..

وانه لابد من قيام صداقة بين اكبر ديمقراطيتين — ديمقراطية الغرب وتمثلها الولايات المتحدة وديمقراطية الشرق وتمثلها الهند .. وقد شرح المؤلف موقف الهند من الشيوعية ·· وبين انه ليس معنى صداقة الهند للصين الشعبية والاتحاد السوفيتى قبولها (اى الهند) للايديولوجية الماركسية » .

***

واوضح كذلك ان تصويت الناخب الهندى فى ولاية كيرالا الى جانب الحزب الشيوعى ليس اقتناعا بالماركسية بقدر اعتباره بديلا لحكومة حزب المؤتمر السابقة فى الولاية والتى كان شعب كيرالا غير راض عنها ..

ولايعنى وجود حزب شيوعى فى الهند اكثر من تحقيق الديمقراطية والحرية للمواطن الهندى فى ان يختار مايشاء من الافكار .

وذكر المؤلف ·· أن الخطورة على الهند ليست من الشيوعيين مثل الصين والاتحاد السوفيتى .. وانما من باكستان .. التى تهدد دائما بالحرب .

ويرى المؤلف ان العالم يواجه ازمة انقسامه الى دول متقدمة ودول متخلفة .. الى دول تغمرها الوفرة ودول تهلكها المجاعة ..

***

ويتساءل المؤلف عن معنى الحرية فيقول ص ١٠٥ ما مضمون الحرية ؟ وماذا تعنى بالنسبة للانسان العادى هل حسنت نصيبه من الحياة ؟ هل رفعت مستوى معيشته ؟ هل منحته التعليم والعمل — واذا لم تنتج الحرية سوى زخارف الديمقراطية من تصويت فى مؤسسات برلمانية وحكومة مسئولة فانها تكون قد فشلت فى أن تعطى للشعب اهم مايقصد بها ؟ الا وهو العدالة الاجتماعية والاقتصادية ·

والرسالة تقول ..

لاشك ان تجربة الهند الديمقراطية — هى تجربة رائعة حقا وخاصة انها دولة تحاول اللحاق بركب التقدم الصناعى — اى انها دولة نامية .. وللدول النامية — دائما — ظروف خاصة بالنسبة لقضايا الحرية والديمقراطية .. وايمان الهند بالسلام — والحياد والتعايش السلمى .. نابع من مفهومها العميق لمبادىء غاندى الخالدة فى الجنوح للسلم حتى فى معارك الاستقلال ولقد كانت تجربة رهيبة حقا . تجربة الاختيار — بين السلام كروح للعمل ومحتوى للنضال من اجل التقدم .. خاصة بعد الاعتداءات الصينية الاخيرة على الحدود الهندية ..

ومنذ ذلك الوقت والصراع قائم على اشده فى الهند .. حول معنى السلام هدفا وغاية ..

لقد كان كريشنا مينون وزير الدفاع الهندى السابق وتلميذ غاندى المتشبع بآرائه وفلسفته يمثل روح الهند الحديثة فى نظرتها لكثير من المشاكل الدولية .. وهزت الاعتداءات الصينية على الحدود الهندية — كريشنا مينون بعنف وذلك لانه لايمكن ان يعنى اعتناق السلام — الاستسلام — وانما يجب ان يكون سلاما مرتبطا بقوة عسكرية تستطيع ان تفرضه اذا استعصى طلبه . وتعرضت تجربة الحياة ووسائلها فى الهند ذاتها .. لهزة بالغة الخطورة ايضا ..

فالصين دولة نامية — والهند دولة نامية .. ولكن الفرق بين الاثنين ان فى الصين مجتمعا عسكريا وفى الهند مجتمعا غير ذلك ..

فكان السؤال هو ..

هل تترك الهند مبادىء السلام والحياد وتتحول من دولة ديمقراطية الى دولة يتسم نظامها الداخلى بنزعة غير ديمقراطية ·

وكان صراعا مريرا انتهى بفوز حزب المؤتمر الهندى باغلبية ساحقة .. وتأييد سياسته فى السلام والحياد الايجابى . ولقد اشار المؤلف ان الخطر على الهند ليس من الدول الشيوعية .. ولكنه من باكستان .. وقد أثبتت التطورات الاخيرة عقم هذه النظرة وخطئها .

والكتاب من الكتب الهامة التى يجب قراءتها ويقع فى ١٤٨ صفحة من القطع الكبير — والناشر الدار القومية — سلسلة كتب من الشرق والغرب .

ت · ع

البريد الأدبي

عقدة النقص في البرنامج الثاني

عودنا البرنامج الثاني من اذاعة الجمهورية العربية المتحدة عرضا وتلخيصا لواحد من شوامخ الكتب العالمية في مستهل اذاعة برامجه كل ليلة .. وهذا في واقعه عمل يشكر عليه القائمون على امر البرنامج بيد أن السمة المميزة لعملية اختيار الكتب أنها كلها أجنبية الوضع .. والفكر العربي مهما قال القائلون في قصوره واقليميته لا يمكن أن يخلو من كثير من الامهات في فنون المعرفة المختلفة .. وعندنا من أساتذة الاقتصاد والدراسات التخطيطية ومن المتعمقين في الفنون على تباينها والدارسين للحضارات ومناهج التفسير التاريخي .. عندنا في الوطن العربي الكبير لا شك عدد منهم يمكن ان يتناولهم السادة كتاب هذه الملخصات ...

ولعلى بكلمتي هذه أزيح صورة تكاد تعلق بعقول المثقفين عن الوطن العربي ... ثم هي ايضا همسة في اذن القائمين على أمر البرنامج الثاني في ناحية المواد والاعداد عساهم يتفهمون الوضع الفكري في الأمة العربية ومدى تقدمه ومساهمته في الفكر الانساني على اختلاف فروعه .. فلنثق بأنفسنا .. وكفانا ما مضى من عقد النقص التي خلفتها لنا يد المستعمرين !!

عبد الحليم عويس – المحلة الكبرى

***

الى الاستاذ دريني خشبه

.. ادرس يا استاذ مناهج كلية اللغة العربية وكليتي دار العلوم والآداب تجد أن للمسرحية مكانها في مناهج الدراسة ، ورءوس الاساتذة ، وقاعات الدرس.. ستجد كتبا كاملة عن المسرحية . تاريخها وانواعها ، وأشهر كتابها في القديم والحديث !

ولا شك انك تعرف أن الدراسة الجامعية تخطط ، وتفتح الطريق ، وتهدى الى المراجع . وكتبك التي ترجمتها عن المسرحية في سلسلة الالف كتاب وغيرها عن الاخراج كانت احدى المراجع الكثيرة التي هدانا اليها استاذ الأدب الحديث بالدار الاستاذ عمر الدسوقي .

بل ان للدكتور غنيمي هلال بكتبه الجادة ، ودراساته الهادفة للاجناس الادبية والنقد الادبي والادب المقارن لخطة ينتهجها طلابه في الدراسة .

وهل نستطيع أن نغفل ياسيدي شعبة الفلسفة والادب والتاريخ ولكل منها دوره في الدراسة الجادة للمسرحية !

وستسير دراسة المسرحية في طريقها المرسوم ، وسيكون هناك كتاب مسرحيون ومخرجون ومصممو مناظر ، ولكن لا لأنهم درسوا المسرحية فحسب ، ولكن لان استعداداتهم ومواهبهم هي التي هدتهم الى ان يتجهوا هذا الاتجاه وأن يعمقوه بالدراسة !!

ومن الواضح أن كثيرا من كتاب المسرح ليسوا من دار العلوم ولا من الآداب ، لان المواهب لن تحصر في طلاب هذه الكليات !!

ولقد عالج توفيق الحكيم المسرح الديني في أهل الكهف دون أن يدرس في الازهر ، بينما أخفق مثلا العالم الأزهري الشيخ كامل عجلان وهو من هواة التاليف للمسرح الديني !!

يا سيدى ستستمر هذه الكليات في دراسة الشعر والنثر الجاهلي لان هذا العصر لا يقل خصوبة عن عصر الاساطير الذي نحبه ونعجب به في بلاد الاغريق القدماء .

محمد عبد المنعم خاطر

***

كلمة تحية وتقدير

يسرني أن اتقدم بأخلص عبارات التهنئة والتبريك على اعادة ابراز مجلة الرسالة الغراء الى حيز الوجود وانه ليسعدني حقا ان أقول انه لو اتيح لسيادتكم سماع همسات قلب كل قارىء عرف فضل مجلة الرسالة في نشر كل ما يحبب الى النفس من علم وتربية وأخلاق وتاريخ وفن الخ مما فيه جلاء للذهن واطلاق للفكر ودفع للخير لامكنكم الوقوف على مدى محبة السادة قراء الرسالة لكم ولكتابها الأفذاذ .

وانه لخير دليل على ذلك وقوفهم صفا طوال المدة التي احتجبت فيها المجلة القيمة وكلهم أمل في اعادة الارتشاف من معينها الذي لا ينضب ولو بعد حين . كما أن لهم في حياة الاستاذ صاحبها الخير الكثير المرجو من اعادة اصدار مجلتهم الحبيبة حتى وفقه الله بتأييد وزارة الثقافة والارشاد القومي لها ، وآن للمجلة الظهور مرة أخرى في ثوبها القشيب فاهتزت

لها القلوب فرحا وقرت بصدورها العيون وآتت أكلها كل حين .

وإني لا افخر بجهودكم القيمة في اعادة ابراز المجلة الغراء نزولا على ارادة السادة القراء في هذا الوقت الذي نحن أحوج فيه الى نشر خير ما أنتجته الافكار والحث على أسمى معاني الخير والرحمة في الدارين ـ أسأله تعالى أن يمتعكم بالصحة وطول العمر .

السيد الصباحي

***

سفور بعد احتجاب

لقد كان احتجاب الرسالة في بدء الثورة مثار أسف وأسى !! وجاءت عودتها بفضل الثورة بعثا لصالح العمل وخلقا لنور الامل في مسايرة ماتصبو اليه آمال رجالها العظام لرفعة الامة العربية وتقوية شأنها واعلاء كرامتها ..

ولا زلنا يا صاحب الرسالة نذكر ارهاصاتك المتعددة لبعث الثورة والتبشير بمولدها في كلماتك المتعددة التي نذكر منها (هبي يا رياح الخريف هبي ـ وتجلد يافاروق باشا ـ وآفة الرأى الهوى) .

ولا عجب فليس مثلك في مصر من يجيد الابانة عن مساوىء الاقطاع والرأسمالية والملكية العاهرة ، اذ كان مسقط رأسك تحوطه هذه المساوىء جميعا !!

ان مجال القول في هذه الشئون ياصاحب الرسالة ذو سعة وأنت أعلم بما في قلبي من أحاسيس وشجون قد نعبر عنها في كلمات تالية ، فطب نفسا وقر عينا بما اتاه الله عليك وعلينا وعلى الناس أجمعين وسلام الله عليك .

خورشيد عبد العزيز ـ الاسكندرية

***

حول بيت من قصيدة « شعلة الكفاح »

يقول الشاعر ابراهيم محمد نجا في قصيدته « المنشورة بالعدد ١٠٢١ من الرسالة » :

ناصر الحق بالكفاح
جمال الشرق ... الخ
يمنح الشعب ما يريد
ولا يأخذ شيئا لقلبه المتاح

ويبدو جليا ما يعنيه البيت ، فقد فرق الشاعر ـ بكلمة يمنح ـ بين الرائد الثائر وبين شعبه ، فجعل الانتصارات الثورية منحة من القائد لشعبه !

وهذه فكرة خاطئة ساذجة معا ، تذكرنا بالعهود البائدة التي تخلصنا منها الى الابد .. وبشعراء تلك العهود ، وما يزال عالقا بالاذهان من أن أول دستور مصرى ، كان منحة من الملك !

وبالرغم من انه واضح من القصيدة أن الشاعر لم يعش التجربة الثورية في أعماقه ، قبل أن يعبر عنها ، تعبيرا شعريا ، يرتقي الى مستواها ؛ فانه من الاوضح أن الشاعر لم يدرك تماما الفقرة الثالثة من الباب الاول من الميثاق :

« وتمكن هذا الشعب بصدقه الثوري ، وبإرادة الثورة العتيدة فيه ، أن يغير حياته تغييرا أساسيا وعميقا في اتجاه آماله الانسانية الواسعة :

بقيت كلمة أود أن أقولها للشاعر : ان الميثاق كتب نثرا !

محمد محمود شمس
مؤسسة الصوامع والتخزين

***

من لبنان

الرسالة عادت من جديد . ورحت ازف البشرى الى الاصدقاء ناقلا اليهم البشر والحبور للحدث الفريد ، كنت أقول لهم : تصوروا .. رقم العدد استمرار للسلسلة نفسها .. الاستاذ الزيات هو نفسه .. حتى لون الغلاف البني هو نفسه ؛ نعم هكذا استقبلنا الحدث .

وبعد . فانني لاتساءل عن سر هذا الوقع السحري الذي تركته عودة الرسالة في النفوس مع وجود هذا الفيض اللامتناهي من المجلات الاسبوعية والشهرية والفصلية في الاسواق . وجلاء هذا السر يكمن في كون الرسالة مجلة الادب الرفيع فهي المجلة التي ترفع الجماهير اليها ولا تنحدر اليهم .

اننا لانزال نستشعر الحنين الى مقالات الاستاذ الزيات الطلية ودراسات احمد زكي لقصة الميكروب ولابحاث ابراهيم بدكور في الفلسفة العربية ولتعريفات محمد عبد الله عنان بالمؤرخين العرب وآثارهم ولعرض دريني خشبه للميثولوجيا الاغريقية وللفلسفة الالمانية كما ارخ لها خليل هنداوي ولاسبوعيات المازني ورحلات عزام وتصوف الرافعي .

نعم هذه هي الرسالة التي ملكت مشاعرنا وقلوبنا فتبادلنا التهاني في يوم بعثها على أمل أن يكون لنا فيها دفع ثوري جديد بيسر وجود مجتمع عربي مثقف بميسوره تحقيق الوحدة والاشتراكية .

حمزة الطفيلي
بعلبك ـ لبنان

أخبار علمية وأدبية

● يصدر اليوم العدد التاسع من سلسلة تراث الانسانية ، التى تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التى أثرت فى حياة الانسانية . هذه السلسلة تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى . ويشرف عليها : الاستاذ العقاد ، والدكتور زكى نجيب محمود والاستاذ ابراهيم زكى خورشيد والدكتور عبد الحليم منتصر ، والاستاذ على ادهم ، والاستاذ ابراهيم الابيارى .

● كلمتان فقط طبعتا بمداد مختلف فى دائرة معارف ضخمة تتالف من ٣٠ مجلدا ، ولكن جهازا جديدا استطاع ان يحدد مكانهما فى تجربة اجريت لاختبار مدى حساسية الجهاز فى تمييز مثل هذه الحالات . وقد ابتكرته احدى الشركات الامريكية لاستخدامه فى الفضاء ودراسة طبيعة الكون .

وهو يصنع عادة من مادة الكوارتز التى توجد بكثرة فى رمال الصحراء . وقال احد الخبراء : ان التوسع فى استخدام هذا الجهاز سيؤدى الى اكتشاف كثير من اسرار الكون وطبيعة المادة فى الفضاء .

● تتجه الدوائر المسئولة فى وزارة المعارف الليبية الى اصدار مجلة ادبية . قد تشرف عليها الجامعة الليبية . بعد ان اصدرت الجامعة الاسلامية هناك اخيرا مجلة دينية اطلق عليها (هدى الاسلام)

● تقرر انشاء اكبر منظار فلكى فى نصف الكرة الجنوبى . وسيكون قطر عدسته ١٤٠ بوصة وتبلغ نفقاته ٨ مليون دولار وينتظر اتمامه فى عام ١٩٧٠ .

وستتولى الانفاق على انشاء هذا المنظار خمس دول اوروبية : هى هولندا ، وبلجيكا ، والمانيا الغربية ، وفرنسا ، والسويد . ولم يتقرر بعد مكان انشائه ولكن الخبراء يفضلون شيلى او جنوبى افريقيا ، فمنهما يمكن دراسة الكون المواجه للنصف الجنوبى للكرة الارضية بطريقة افضل .

● يدرس مائة طالب وطالبة فى قسم الدراسات الاسلامية فى جامعة كاليفورنيا للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه . ومما يؤسف له ان معظم المهيمنين على الدراسات الاسلامية فى الجامعات الامريكية من المستشرقين اليهود .

● اكتشفت فى العراق وثيقة زواج قيل ان عمرها ٤٠٠٠ سنة . وهى مكتوبة على لوحة من الحجر ، وتقول نصوصها .. ان الرجل المسمى (بوزدر هايا) قبل الفتاة المسماة (أوبارتوم) كزوجة له وكان الشاهدان (أوردامو زيدا بولانى ابن ادرم) واولدوجا بن أوردامو زبن)

● « الوفا باخبار المصطفى » عنوان كتاب من التراث الاسلامى لابن الجوزى ، تطبعه لاول مرة دار الكتب الحديثة بعابدين ، ولقد اعتمد الاستاذ مصطفى عبد الواحد فى ضبط الكتاب على مخطوطتى تيمور ودار الكتب العربية ، وقام بمراجعته الشيخ محمد الغزالى .

● ابتكر مخترع المانى منظارا يرى ما فى الخلف ويبين لسائق السيارة ما يجرى وراءه وذلك ليوفر على قادة السيارات متاعب استخدام المرايا .

وقال : ان منظاره قادر على كشف كل شيء خلف السيارة ، بخلاف المرآة التى تبين جزءا ، وينحجب عنها آخر . وهو كذلك افضل من المرآة التى ينعكس عليها وهج المصابيح القوية من السيارات الخلفية فيؤثر على عينى السائق ومن الجائز ان يمنعه من الرؤية .

● يصدر قريبا كتاب (الاخطاء الشائعة فى الفاظ العلوم الزراعية والنباتية) للعلامة الامير مصطفى الشهابى رئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق .

● تمكن خبراء استراليا من تقليل تبخر مياه الخزانات والبحيرات بمعدل ٥٠٪ باستخدام مادة اسمها (سيتيل) ورش نثارها بطريقة نظامية على سطوح المجارى المائية .

ومن المعروف ان الجانب الاكبر من استراليا صحراء جرداء بسبب نقص كميات المياه فيها . ولهذا يجرى الخبراء مجموعات من البحوث لانزال ماء المطر بالوسائل الصناعية كما يعملون على منع تبخر ما يوجد لديهم من الماء .

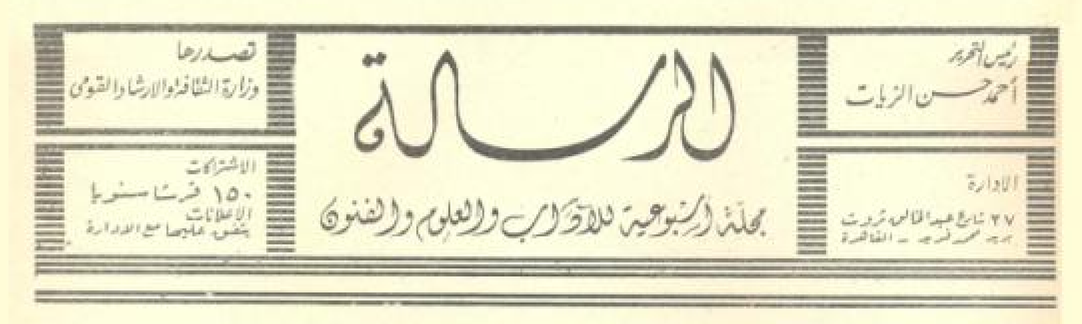

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٦ - ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ هـ - ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الإنسان في شريعة محمد

على ذكر التفرقة العنصرية

بقلم : أحمد حسن الزيات

زعم الساسة في أوربا وأمريكا أنهم أعلنوا في ديسمبر من عام ١٩٤٩ حقوق الانسان في (هيئة الامم المتحدة) وبشروا الناس بالنعيم المقيم والخير العميم والسلام الدائم .

ومن قبلهم أعلن قواد الثورة الفرنسية هذه الحقوق في عام ١٧٨٩ وصاغوها في سبع عشرة مادة وجعلوها ديباجة لدستور ١٧٩١ والذين يسمعون اليوم أنين السود في أمريكا وافريقيا من سوء المعاملة واهدار الكرامة ، ويرون مسيرات الزنوج تزحف بهم من كل مكان الى (البيت الابيض) في هدوء ثائر وألم مكظوم ليحتجوا على التفرقة بينهم وبين البيض في الحقوق التي أعلنوها ودونوها ، يسألون ماذا يريد الاوربيون والامريكيون من لفظ (الانسان) الذى أعلنوا له هذه الحقوق وظاهروا عليه هذا العطف . أهو الانسان كما برأه الله من كل جنس وفي كل ارض وعلى كل لون ، أم هو الانسان الابيض المترف الذى تحدر من أصلاب اللاتين او السكسون أو التوتون ؟

أغلب الظن انهم يريدون هذا . أما الاسود أو الاحمر في أمريكا فلا يزال في رأى أبناء العم سام ضربا مهينا من الخلق عليه كل واجب ، وليس له اى حق ، ووجوده المعدوم في بلاد الديمقراطيين الاحرار لا يزال أغلظ كذبة في دستور الديمقراطية بواشنطون ، وأكبر لعنة على تمثال الحرية بنيويورك !

وأما الأسمر والأسود في أفريقيا أو الأخضر والأصفر في آسيا ، فهو في نظر الأوربيين نوع من بهيمة الأنعام . وجنس من المواد الخام ، يولد ليسخر ، ويروض ليستثمر ، وينتج ليستهلك ، وهو موضوع الخصومة في السلم ، ومادة الغنيمة في الحرب . ومن هذا التفسير المزور لمعنى الانسان في القديم والحديث اضطرب الاساس وفسد القياس واختلف التقدير . فلكل جنس وزنه ، ولكل لون قيمته ، ولكل دين حسابه . ومدار الوزن والتقويم والحساب على قدرة الانسان وعجزه، لا على انسانيته وفضله . فالعلم والغنى والقوة سبيل السيادة ، والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية . والسيادة حق ليس بازائه واجب . والعبودية واجب ليس بازائه حق .

***

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح لأنهم أتباع محمد . ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذى الهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة .

أرسله رحمة للذين استضعفوا في الارض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالى ، أو لضعف النصير كالارقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالة محمد لم يكونوا من جنس معين ولا من وطن معين ، انما كانوا أمة من أشتات الخلق وأنحاء الارض اجتمع فيها العربى والفارسى والرومى والتركى والهندى والصينى والبربرى والحبشى على شرع واحد هو الاسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة .

والاسلام الذى يقول شارعه العظيم : « ولقد كرمنا بنى آدم .. » لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة . انما ربا ببنى آدم جميعا ان يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

كان اليهود يزعمون انهم أبناء الله وأحباؤه وسائر الناس سواء والعدم ، وكان الرومان يدعون أنهم حكام الارض ومن سواهم خدم . وكان العرب يقولون انهم أهل البيان ومن عداهم عجم . وكان الهنود يعتقدون أن الله خلق البراهمة من فمه والرجبوت من عضده والمنبوذين من رجله ، ولا يستوى الامر بين رأس وكتف وقدم . وكان النظام الاجتماعي كله قائما على الامتياز بالجنس أو بالدين ، وعلى السيادة بالنسب أو بالمال ، حتى جاء محمد اليتيم الفقير الامى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فأعلن المساواة بقول الله عز اسمه : « انما المؤمنون اخوة » (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . وأكدها بقوله صلوات الله عليه : « الناس سواسية كأسنان المشط » . « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » . « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

ثم كان الرقيق والمرأة شيئين من الاشياء لا يملكان ولا يتصرفان . فضيق الاسلام حدود الرق ، وجعل كفارة الذنوب بالصدقة والعتق ، وسوى بين الرجال والنساء في الحق والواجب .

ثم أعلن حرية العقيدة بقول الله تعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى » . « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا . افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟» واحترم عقائد أهل الكتاب وضمن لهم حرية العبادة وأمان العيش وعدل القضاء . وأمر الولاة أن يرعوهم ويعطفوا عليهم . وأوصى المسلمين أن يبروهم ويقسطوا اليهم . ثم أعلن الاسلام حرية الفكر والرأى فلم يقبل ايمان المقلد ولا حكم المستبد . وأمر بالنظر في ملكوت السموات والارض . ووسع صدره لأهل السياسة حتى تعددت الاحزاب ، ولأهل الجدل حتى كثرت الفرق ، ولرجال الفقه حتى تنوعت المذاهب . وسمح لأهل الذمة وأصحاب النحل أن يدعوا الى أديانهم ويدفعوا عنها في المدارس والمجالس والبيع . ونهانا الا نجادلهم الا بالتى هى أحسن .

ثم احترم الملكية وثبت لها الاصول ، ونظم المواريث ورتب عليها التعامل . وهذه هى جماع الحقوق الطبيعية التى كفلها الاسلام للانسان على اختلاف ألوانه وأوطانه والسنته . أعلنها محمد بن عبد الله منذ قرابة أربعة عشر قرنا والأمر يومئذ للجهالة والرأى للضلالة ، والحكم للطغيان ، فانقذ بها الانسانية من اسار المادية والعصبية والأثرة، ثم اكرمها ونعمها وهداها الطريق المستقيم الى نظام أكمل وعالم أفضل وحياة أسعد . ولكن الانسانية وا أسفا أضلت هذه السبيل ! أضلها أولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يسرون في أنفسهم تأكيد الامتيازات وتأبيد الفروق .

أحمد حسن الزيات

مسألة

للدكتور محمد أحمد خلف الله

يقول بعض الناس فيها قولان .

ويقول بعض آخر – أنا منهم – فيها نظر .

والفرق بين أولئك وهؤلاء فرق منهجي – فرق في أسلوب التفكير ووسيلته . فالذين يؤمنون بالعقل ، ويؤمنون بقدرته على اكتشاف الحقيقة والكشف عن المجهول . والذين يؤمنون بالاسلوب العربي ويرون أن الضمير العلمي ضمير خلقي أولا وقبل كل شيء ، وأن مهمة العقل هي اكتشاف الحقيقة ومهمة الضمير هي اعلان هذه الحقيقة دون خوف أو وجل . هؤلاء يرون حين يلتبس عليهم الامر ، أو تشكل امام عقولهم المسالة أن القول الذي يجب أن يقال هو – فيها نظر . ولا يقولون أبدا فيها قولان . والسبب عندهم أن الحقيقة واحدة ، وأن لها وجها واحدا ، وأنها انما تستبين أو تلتبس . وأنها حين تستبين تعلن الى الناس ، وأنها حين تلتبس يطلب الى الناس الانتظار حتى يستطيع العقل الكشف عنها ، والوقوف عليها .

أما الذين لا يرون في العقل أداة صالحة لمعرفة المجهول والكشف عن الحقيقة ، والذين يؤمنون بعجز العقل عن ادراك كنه الكثير من الامور . وأما الذين يرون أن الحقيقة حين تعرف لا يلزم أن تعلن ، وأن اعلان الحقيقة أو كتمان أمرها لا يرتبط بالضمير بقدر ارتباطه برضى الحاكم أو غضبه ، وبثورة الجماهير أو غبطها ، فهؤلاء يرون القول في هذه المواقف هو القول الذي يجنبهم السخط والثورة ويجلب عليهم الهدوء والطمأنينة وهو – فيها قولان .

والمسالة التي أريدها اليوم مسالة قديمة ولكنها مرتبطة بالحديث باقوى رباط . انها تتصل بالاطار الذي يتحرك من داخله واقعنا الاجتماعي . واقعنا القومي . انها العروبة .

لقد دخل العرب مصر فاتحين ، وكان همهم الاول هو التبشير بدينهم الجديد – وهو الاسلام . ولقد نشر العرب فعلا دينهم هذا – وان يكن من الملاحظ أن هذا الدين لم ينتشر الانتشار الكافي من حيث أنه لم يعم السكان أجمعين . فلقد بقي منهم من يدين بدين سماوي غير الاسلام . بقي منهم اليهود والنصارى .

ولقد نشر العرب الى جانب الاسلام شيئا آخر لم يقصدوا اليه قصدا – وهو اللغة العربية . لغة الفكر والفن . لغة الثقافة العربية . ومن الملاحظ هنا أن هذه اللغة قد انتشرت – باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وباعتبارها وعاء ثقافيا – أكثر مما انتشر الاسلام نفسه . فلقد عمت السكان أجمعين . بحيث لم يبق منهم من لم يتكلم العربية ، ومن لم يتخذها وسيلة لاكتساب العلم والمعرفة . انها عندهم أجمعين لغة الحياة . الحياة بكل ما فيها من ظواهر اجتماعية – بدائية أو مدنية . بدوية أو حضارية .

والظاهرة الواجبة التسجيل في هذا المقام هي أن الهدف الاصيل الذي قصد العرب الى تحقيقه قصدا لم يتحقق بكامله . وان الهدف الذي لم يقصد احد الى تحقيقه – وانما ترك للعوامل الاجتماعية – قد تحقق بكامله .

الى جانب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى لا بد من تسجيلها في هذا المقام هي أن العرب حين حققوا انتشار اللغة – باعتبارها وعاء للفكر والفن – قد حققوا اصعب الامور . ذلك لان تغيير الدين أيسر بكثير من تغيير اللغة . فامم كثيرة قد غيرت دينها ، وغيرته أكثر من مرة . غيرته بفعل عوامل داخلية من تطور فكري وفلسفي ، أو بفعل عوامل خارجية بفرض الدين فرضا . ولكن أمما قليلة جدا هي التي غيرت لغتها . وكان هذا التغيير أبدا بفعل عوامل خارجية . حتى لنراهم يقولون بأن الامة التي تغير لغتها تفقد شخصيتها لانها تفقد ثقافتها ، وتخلق خلقا جديدا ، لانها تبدأ حياتها على أسس من القيم الثقافية الجديدة .

لقد صنع العرب معجزة جديدة حين غيروا من لغات الامم التي فتحوها ، وأحلوا محلها لغتهم وثقافتهم العربية .

والتاريخ المصري يمدنا بالشاهد والمثال ، فلقد وفدت المسيحية على مصر كما وفد الاسلام سواء بسواء . جاءت المسيحية من الخارج وجاء الاسلام من الخارج أيضا – ولكن المسيحية بدلت ديانة المصريين ولم تبدل ثقافتهم ولغتهم ، على الرغم من

انها قد انتشرت بين المصريين اكثر مما انتشر الاسلام .

وهنا لابد من وقفة نكشف فيها عما نراه الحقيقة في هذه المسألة التي تفترق فيها المسيحية عن الاسلام .

لقد دخلت المسيحية مصر بفعل الحكام الرومان ، وكان لا بد لها من أن تشمل السكان جميعا لان الناس في ذلك الوقت كانوا دائما على دين ملوكهم . فلقد كان الملوك يفرضون على الناس دينهم فرضا ـ وما كان لأحد من الناس أن يشذ عن هذه القاعدة والا أصابه الضر ، ووقع تحت طائلة الاضطهاد . أما الاسلام فلم يفرض أبدا ، وخير الناس بين الجزية والاسلام . واختار كل واحد من الناس ما رأى فيه المصلحة ـ وليس من وراء هذا الا القول بأن المسيحية قد فرضت ومن هنا عمت الناس أجمعين ، وان الاسلام لم يفرض ومن هنا بقى بين المصريين من يدين بأديان سماوية أخرى غير الاسلام .

لقد دخلت المسيحية مصر فرضا ، ودخلوا الاسلام اختيارا ـ اختيارا لأقوى المصلحتين .

بقيت مسألة اللغة . لماذا استطاع العرب أن يفرضوا لغتهم وثقافتهم على أمة تفوقهم في كل ميدان حضارى ؟

لماذا أحدث العرب في مصر هذا التغيير الجذرى وجعلوا المصريين يدركون الحياة على أسس من القيم الثقافية العربية ؟ .

لم يكن ذلك لأسباب دينية والا لحدث هذا الامر في كل بلد دخله الاسلام ، أو في كل بلد دخله دين جديد .

لقد عجزت المسيحية عن أن تغير من لغة المصريين وتفرض عليهم لغة المسيحية الاولى وهى العبرية أو لغتها الثانية وهى اللاتينية .

ولقد عجز الاسلام عن أن يفرض اللغة العربية في بلدان كثيرة . فلقد أسلم الناس في كل من البلدان التي تعرف اليوم بتركيا ، وايران ، والافغانستان ، وباكستان ، وتركستان ، والهند ، واندونيسيا وما أشبه ولم تتعرب أي بلد من هذه البلدان .

ان الاسباب فيما أرى اجتماعية وترتكز على أساسين تقريبا . أحدهما الرابطة اللغوية ، والثاني المهاجرة والاستقرار .

وهجرة العرب الى البلدان المفتوحة لها المقام الاول فيما أرى . وأخص مصر من بين هذه البلدان لهذه الظواهر .

حين فتح العرب مصر اتخذوا منها قاعدة ومنطلقا. قاعدة للجند العرب . ومنطلقا للفتح العربى للشمال الافريقى .

ولقد كانت مصر عند العرب هى أم الدنيا حتى لقد كان الخلفاء الأولون وخاصة في العهد العربى من تاريخ الامة الاسلامية يعينون الولاة في مصر من قرابتهم . من أبنائهم أو أبناء عمومتهم أو اخوتهم .

ولقد هاجر الى مصر من القبائل العربية الشيء الكثير . بعضهم جاء من الجزيرة أو بلاد الشام ، وبعضهم جاء من الشمال الافريقى بعد فتحه أو من بلاد الاندلس بعد خروج العرب منها .

ولقد اختلط هؤلاء جميعا بالمصريين وصاهروهم ، وانتشروا في القرى والكفور والعزب وأحدث ذلك كله الى جانب القرآن الكريم أثره في التعريب . فبدا المصريون عربا في كل شيء . في اللغة . في الفكر والثقافة . في العادات والتقاليد .

لقد غير العرب الحياة المصرية تغييرا كاملا . وجعلوا من المصريين أمة جديدة . أمة نسيت ثقافتها الفرعونية وتثقفت بثقافة عربية ، وأصبح رصيدها الفكرى ورصيدها الثقافي عربى الطابع ، وليس فرعونى السمة والنزعة .

والآن ما الاطار القومى الذى يقوم على الاساس العلمى والثقافى ؟

انه العروبة بدون شك .

ان قوميتنا عربية أراد المضللون أم لم يريدوا .

ان العروبة هى التي تضمنا جميعا مهما تكن الخلافات العقائدية او المذهبية . وذلك أمر صنعه التاريخ ولم نصنعه بأيدينا .

فلنساهم في مجد العروبة بكل اخلاص . ولتكن تضحيتنا في سبيل العروبة بقدر ارتباطنا بها .

دكتور محمد أحمد خلف الله

المازني يسخر من ناقديه

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

فى شهر اغسطس من عام ١٨٩٠ ولد المازنى ، وفى شهر اغسطس من عام ١٩٤٩ غاب عن دنيانا الكاتب الساخر الاستاذ/ابراهيم عبد القادر المازنى لقد كان المازنى شاعرا وأديبا وقصصيا وناقدا وصحفيا ومترجما .

وكان فى هذه الالوان كلها ساخرا فهو يسخر حين يتناول بالوصف قطاعا من الحياة المصرية التى لم يترك منها جانبا لم يصوره ، وهو يسخر حين يتناول كاتبا او كتابا بالنقد وهو يسخر قصاصا من ابطال قصصه ، ويسخر صحفيا من السياسة والصحافة والاحزاب ولم تستطع الترجمة بالتزامها وتحريها الدقة والمطابقة أن تحجب هذا الجانب فى شخصيته الفذة .

والكلام عن سخرية المازنى فى الشعر والمقالة والقصة والنقد لا تعوزه الشواهد بل لعلها من الكثرة بحيث يتنوع ويمتع ويشوق . ولكنى ساقصر حديثى اليوم على شاهد طريف من باب الترجمة .

نشر المازنى مسرحيته (غريزة المراة او حكم الطاعة) فتناولها الاستاذ (محمد على حماد) الناقد الفنى للبلاغ . واعلن فى نقده ان المازنى انما ترجم بتصرف رواية (الشاردة) للكاتب الانجليزى جالسورذى .

ودفع المازنى التهمة الموجهة اليه على صفحات البلاغ بأن ترجم على صفحات جريدة السياسة (الشاردة) وقابلها فى نفس المكان بروايته (غريزة المراة) ليدع من يشاء ان يقارن بينهما .

ولكن ناقده اتهمه فى هذه المرة بانه تمسك بحرفية اللفظ فى الترجمة محاولا خلق بعض الاختلاف بينها وبين الترجمة الاولى . وضرب لذلك مثلا المشهد الختامى من الفصل الاول فقابل الحوار الذى يدور بين الزوجين فى (غريزة المراة) بنظيره فى ترجمة المازنى (الشاردة) . وصنع مثل هذا فى الفصل الثانى كله .

وهنا نذكر ان الاستاذ/محمد على حماد جعل نقده فى كتاب سماه (المعول) وبهذا نقل المعركة من الصحف الى مجال البحث والدراسة .

ومضى الناقد فى مقابلته حتى الفصل الثالث الذى قدم بين يديه بانه مزيج عجيب من مشاهد كثيرة فى رواية (الشاردة) صنعه الاستاذ /المازنى فى معمله فاخذ قطعة من هنا وقطعة من هناك ونقل الحوار الذى يجرى بين (كلير) و (ماليس) فى ختام الفصل الثانى فى الشاردة واضاف عليه نبذا متفرقة من الفصل الرابع .

وقد ترجم الناقد الفصل الرابع من (الشاردة) واثبت النص الانجليزى الذى ترجم عنه . وقابل بعد هذا الحوار الذى دار بين بطلة غريزة المراة والشاب الذى رآها فى منزله بالحوار الذى دار بين بطلة الشاردة والشاب الذى التقت به فى الحانة . والحوار الأول من تاليف المازنى والحوار الثانى من ترجمة الاستاذ / الناقد عن (الشاردة) فى الانجليزية .

كما اخذ الناقد على المازنى عمده الى النص المطبوع لغريزة المراة وتغيير معالمه بالحذف فى مواضع والاضافة فى مواضع اخرى . وراح يعرض نماذج من غريزة المراة فى ثوبها الاول ويقابلها بنظائرها فى غريزة المراة التى نشرها المازنى فى السياسة وهو يساجله .

بل انه آخذه بنقل ملاحظات جالسورذى حتى البسيط منها الذى يتصل بالحركات من دخول وخروج وكان (كلير) بطلة جالسورذى (وليلى) بطلة المازنى تلميذتان فى فصل واحد فاذا قيل « قيام » وقفت الاثنتان ، واذا قيل « جلوس » جلستا . كل لفتة او اشارة من (كلير) تقابلها حركة مماثلة من (ليلى) كما يفعل الجيران .

وقد كتب المازنى مقدمة للطبعة الثانية من روايته (غريزة المراة او حكم الطاعة) نص فيها على انه نقح الرواية وزاد عليها فصلا هو الثالث .

والحقيقة ان (التعديل الجسيم) ـ والوصف من عند المازنى ـ الذى يشير اليه انما هو فى اضافة شخصية جديدة يوسعها سبا وتشهيرا وتنديدا على لسان (اليوزباشى) الذى وضع المازنى على لسانه كل ما يريد أن يقوله لناقده ، وليس من

قبيل المصادفة أن يخلع عليه اسم الناقد حرفيا .
وبغض النظر عن الشتائم فان الفكرة طريفة شيقة ساخرة كصاحبها . وأى وصف لها لا يصورها بل ان أى وصف عاجز أيضا عن نقل الجو الفكاهى الذى خلقه المازنى . لهذا انقل هذا الجزء من المسرحية وهو ليس كبيرا على اى حال ــ لنضحك مع المازنى الذى كان مولعا برسم الابتسامات على شفاه الناس وأشاعة الضحك فيهم . حتى انه كتب رثاء بنفسه قطعة ضاحكة من الادب زاعما انه يريد ان يبتسم الناس عندما يسمعون نبأ موته لان الدموع تجف سريعا ولكن الضحكة تعيش طويلا .

فلنضحك مع المازنى الآن الضحك الذى عجزنا عنه فى موته ، كما كان يريد ... نفتح الآن مسرحيته (غريزة المراة او حكم الطاعة) على الفصل الثالث وفيه يشير شوقى ضابط البوليس الى الجندى الذى اضافه المازنى الى المسرحية وسماه « حماد » أيضا ...

شوقى : تعال يا حماد .

(يتقدم حماد بملف الاوراق ويحيى التحية العسكرية ويمد يده بالملف) .

شوقى : كلا . اجلس هنا واكتب ما أمليه .

(حماد يخرج اوراقا ويبحث فيها ثم يعيد بحثها وتقليبها ويطول ذلك منه) .

شوقى : ما هذه البلادة ؟ أسرع .

حماد : خلاص يا أفندم .

شوقى : هات صورة الحكم .

حماد : « يمد يده بورقة » أهه .

شوقى : (يتناولها وينظر اليها ثم يعبس ويظهر الضجر) ياغبى انى اريد صورة الحكم الصادر من المحكمة الشرعية .

حماد : ماهو .

شوقى : باحمار (يهز الورقة ثم يرميها فى وجهه) ان هذا هو الطلب المقدم من البك الى المحافظة ..

حماد : يعيد تقليب الاوراق .

شوقى (بملل) (يجر الملف) لست أدرى من اين جاءوا بك (يخرج ورقة بيضاء ويرمى بها اليه) خذ اكتب .

حماد : «يسوى الورقة ويخرج قلما من اقلام سوان » افندم .

شوقى : « أنه فى يوم .... الساعة .... » أول « السطر » نحن اليوزباشى « الا تعرف اسمى؟ باللغباوة ..

حماد : يا افندم ..

شوقى : « مقاطعا باشمئزاز » حسن حسن .. نحن اليوزباشى « لا يزال الغبى منتظرا ان امليه اسمى ؟

خيرى : وماذا تنتظر من آلة بلا ارادة أو عقل ؟

شوقى : صحيح ، نهايته ، اعذرونا يابك ؟

خيرى : ولماذا لا تكتب انت وتريح نفسك ؟

شوقى : لقد بدا المحضر بخطه فيحسن أن يتمه بخطه (ويلتفت الى حماد وينظر فى الورقة التى أمامه) اليوزباشى بالواو يا حيوان .

(حماد يضطرب ولا يدرى كيف يصلحها) ...

لا تفعل شيئا دعها كما هى (اليوزباشى شوقى المعاون بقسم) ... بناء على اوراق الحكم الشرعى مر .. فو .. قه ، واوقاف هه مرفوقة ... ايوه لا تكتب ايوه يابهيم ــ الواردة من المحافظة قد انتقلنا ومعنا المرشدة .... الخ .

***

وبعد فان الحقيقة أن النقد صحيح فى جملته ولكن الذى نريد ان نقوله هنا ان المازنى حين أحرج ناقده وضيق عليه ، احتال على الانتقام منه باضافة فصل جديد الى المسرحية المقتبسة يبعد عنها شبح التهمة ولو قليلا ويفسح فى الوقت نفسه لشخصية مسكينة تتلقى الشتائم واللعنات بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن الناقد الخبيث الذى كشف السر .

وبغض النظر عن (الشتائم) كما قلت ــ وهى مما لا يرضاه احد لنفسه أو لغيره ــ فانها بلا شك حيلة بارعة من الاستاذ/المازنى فيها من فكاهته وخفة روحه الكثير .

د. نعمات احمد فؤاد

الرائد القصصي شحاته عبيد
هل هو حي يرزق؟

للأستاذ عباس خضر

رأيت « اسمه » فقط فى كتب حاولت أن تؤرخ للقصة المصرية الحديثة . وسألت عنه بعض لداته المشتغلين بالفن القصصى ، فلم اظفر بغير «اسمه» وبأن له مجموعة قصص قصيرة .

حتى الصحف التى رحلت اليها فى مخازن دار الكتب بالقلعة ، والتى كانت تصدر فى الفترة التى كان يكتب فيها ومابعدها ، لم اعثر فيهـا على اى شىء عنه ولو اسمه ..

شحاتة عبيد ياناس .. احـد رواد القصـة فى مصر .. لا يعرف احد عنه شيئا غير مجرد الاسم .. وغير انه اخو عيسى عبيد !

اما عيسى فقد انصفه يحيى حقى بفصل فى كتابه الصغير الحجم الكبير القيمة «فجر القصة المصرية» وقد جاء فى هذا الفصل ان عيسى له اخ كان «يكتب القصص ايضا اسمه شحاتة عبيد » .

واخيرا قال الاستاذ يحيى حقى :

ـ اما عيسى فقد مات ، واما شحاتة فلايزال حيـا .

قلت بلهفة :

ـ اين اجده ؟

ـ فى محل قماش بشارع قصر النيل ..

ـ الشارع كبير ، فأين هو منه ؟

ـ اسأل عنه فى كل محل قماش فى الشارع .. وسلم لى عليه ..

لم اجد امامى غير ان امسك شارع قصر النيل بالقاهرة من اوله .. وانا اقول فى نفسى : هذا هـو اول الخيط ..

ورحت اسـأل .. عمن الذى جهلتـه الحيـاة الادبية ان يكون علما فى عالم التجارة والاقمشـة .. ولكنى وجدتنى فى موقف المستجوب الثقيل الذى يعطل البائع والجالس على « الكيس » دون فائدة منه ، فمـا هو بالشـارى ولاحتى بالمتفـرج على البضاعة ..

واخيرا حسبت اننى اهتديت الى اول الخيط المنشود .. اذ قال لى الرجل الواقف فى مدخـل محل من محال الاقمشـة :

ـ من انت ؟ وماذا تريد منه ؟

لمحت فى اسئلته انها من نوع آخر .. وان كانت هى ايضا ضائقة بهذا الذى لانفع فيه للمحل ..

وكانت نتيجة الاسئلة والاجوبة ان شحاتة عبيد توفى منذ سنتين .. وكان يدير هذا المحل ، وانه لا اولاد ولا اقارب له ، ولم يترك الا زوجته ، وهى ست كبيرة فى السن لاتعرف شيئا ، وقـد سافرت عقب وفاته الى لبنان .

هكذا قال لى الرجل الذى يدير المحل الآن مكان « المرحوم » .

اهكذا انتهى احد رواد القصة العربية الحديثة ؟ ابتلعه النسيان ، لم ينل تقديرا على باكورة انتاجه ، فهجر الادب بعد الجولة الاولى ، او على التحقيق هجر الانتاج الادبى . وظل نحو اربعين سنة يعيش فى قلب القاهرة التى ظلت تعج بالنشـاط الادبى طيلة هذه المدة دون ان تلتفت اليه .. هل كان يتابع الحركة الادبية ومدها وجزرها وتطوراتها فى هـذا الزمن الذى يعد طويلا فى حياة انسـان ؟ هـل كان يطلع على مايكتب عن الواقعية و « مبتدعيها ! » فى مصر .. بعد نحو نصف قرن مما كتب هو وشقيقه عيسى من قصص ومقدمات لمجموعاتهم يهـاجمون فيها الرومانسية اشد هجوم ويدعـون بحماسـة وحرارة الى مذهب الحقائق (الريالزم) ؟ هل كان شحاتة عبيد يقرأ الكتابات الاخيرة التى لا جديد فيها بالنسبة لما كتبوه غير كلمة « الواقعيـة » بدلا من « مذهب الحقائق » ؟ وماذا كان شعوره يا ترى ؟

كنت اود ان القاه واعرف منه كل ذلك ، واعرف على الاقل متى ولد ، واين ، هو واخوه ، ومتى توفى عيسى ، وماذا كان يعمل .. الخ ، ولكن .. هـل سبقنى الموت اليه ؟

وبحثت فى فهـارس دار الكتب ، فى الكتب الموضوعة عن المؤلفين ومؤلفاتهم ، فلم اجد لشحاتة شيئا ، بل لم اجد له ذكرا اى ذكر .. ووجـدت لعيسى مجموعتين قصصيتين ، احداهما « احسان هانم » وفى الدار منها نسختان استعرت احداهما ، والثانية « ثريا » وليس فى الدار منها الا نسـخة واحدة اخذتها بتصريح خاص من امين الدار .

ولمحت على المجموعة الاولى عنوان المؤلف فى هذه

العبارة « يطلب من المكاتب الشهيرة ومؤلفه بعنوانه بشارع الازهر عطفة الاكراد نمرة ١ » وقال لي الاستاذ يحيى حقي : « لا فائدة ، ربما لا تجد العطفة نفسها » .

ولكن التعلق بأوهى الاسباب دفعني الى شارع الازهر »

وهناك وجدت عطفة الاكراد ، والمنزل الاول فيها «رقم ١» . منزل عتيق عمره — ولا شك — اكثر من الاثنتين والاربعين سنة التي مضت على ظهور الكتاب الذي جئت ، لا لاطلبه من مؤلفه ، بل لأطلب مؤلفه منه ..

وعدت الى الكتاب .. كتاب «الريا» فرأيت بآخره اعلانا عن كتب تطلب من «مكتبة الوفد بشارع الفجالة بمصر» بينها الضالة المنشودة «درس مؤلم — مجموعة قصص عصرية لشحاته افندي عبيد » .

اذا كان خيط حياة شحاته عبيد قد افلت مني أو من التاريخ ، تاريخ مصر الادبي الذي تبدأ كتابته، فهذا خيط آخر لانتاجه ..

امسكت بالكتاب رفيقا به حانيا عليه ، اذ رأيت ورقه الاصفر يكاد يذوب في يدي (صدر سنة١٩٢٢) ورأيت اوله مقدمة لمحت فيها كلاما على « مذهب الحقائق » وحملة على الكتاب الخياليين ، كما رأيت في ختام المقدمة قوله : « واما قصصنا فهي الحياة المادية البسيطة بما فيها من آلام وآمال ، نصورها وغايتنا اتقان تصويرها مع تحليل كل ما يعتورها من الصدمات والنزعات ، وغاية ما نؤمل ان تتمكن الاجيال القادمة من معرفتنا معرفة حقيقية من نفس كتابتنا » .

قال لي صاحب المكتبة وقد رأى ما لا بد قد بدا علي من الفرح بالكتاب الذي اسندته الى صدري باحدى يدي كأنني احتضنه .. ورحت اخرج لمته باليد الاخرى ، قال الرجل وكأنه يستعيد ذكريات قديمة :

— هذه قصص زمان .. اين منها ما ينشر في هذه الايام ؟

— الا قل لي .. اين شحاته عبيد الآن ؟

— هيه .. من يعرف .. لا بد انه مات .

— هل كنت تعرفه ؟

— طبعا .. كانوا تلامذة .. هو واخوه عيسى .. وطبعنا لهم هذه الكتب على سبيل التشجيع ..

ومجموعة « درس مؤلم » هي الكتاب الوحيد الذي نشره شحاته عبيد ، وان كان قد اعلن على ظهر الغلاف عن مجموعة أخرى اسمها « الاغلال » قال انها « تحت الظهور ووصفها بانها » مجموعة قصص يبين فيها المؤلف الاغلال المطوقة لأعناق الأسر المصرية بدرس تحليلي حاول أن يتحدى فيه كتاب الغرب العصريين » .

ولكن هذه المجموعة لم تصدر .

و « تحدى » كتاب الغرب كان من مقتضيات الدعوة الى ادب مصري والثورة على الوقوف عند الترجمة والاقتباس من الآداب الاجنبية واثبات ان المصريين لا يقلون عن الغربيين في المقدرة القصصية. ومن ذلك قوله في المقدمة :

« قد يزعم البعض أن ليس لدينا من الكتاب من يجاري كتاب الغرب في تاليفهم ، وذلك لا ينكر، غير اننا رأينا اكثر من واحد من كتاب الناشئة الجديدة الناهضة يترسم خطى كتاب الغرب ويحاول محاولة لو سوعد فيها لضارعهم بعد زمن يسير » .

وكتاب الناشئة الذين يشير اليهم كان منهم في ذلك الوقت عيسى عبيد ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين وابراهيم المصري وحسن محمود وحسين فوزي وأحمد خيري سعيد ويحيى حقي . وهم رواد الفن القصصي في الادب العربي الحديث. منهم رواد بالانتاج ، ومنهم رواد نظريون دعاة ، ومنهم من جمع بين النظرية والتطبيق ، ومنهم من يئس بعد الشوط الاول ، ومنهم من اختطفه الموت من على غصن الادب قبل ان يأتي اكله كاملا ، ومنهم من دأب وظل يشق الطريق الوعر حتى اليوم ، وان كان الطريق قد صار اليوم ممهدا مرصوفا .

وكان شحاته عبيد ممن يئسوا بعد الشوط الاول ، وعاش بعيدا عن الحركة الادبية في قلب القاهرة نحو اربعين سنة .. ولست أدري أمات حقا أم انه ما يزال حيا يرزق ..

ولقد شككني في رواية مدير محل الاقمشة ان الاستاذ ابراهيم المصري قال لي انه رأى شحاتة عبيد من نحو ستة اشهر ، كما قال انه لا يعرف له مكانا .

يا أولاد الحلال .. رائد قصصي .. من رآه ؟ والاجر والثواب على الله ...

عباس خضر

مسرح شوقي

للأستاذ علي متولي صلاح

اما ان شوقي امير الشعراء فذلك امر انعقد الاجماع عليه ، وغنى له حافظ ابراهيم في حفل التكريم الكبير الذى اقيم له بدار الاوبرا فقال : —

امير القوافي قد اتيت مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معى

واما انه مؤلف مسرحي فذلك هو ما سنتكلم عنه اليوم !

.. وقبل ان نتكلم من خصائص شوقي المسرحية نقرر حقيقة تاريخية وهي أن شوقي يعتبر اول مؤلف مسرحي جاءنا بآثار يمكن ان توصف بأنها آثار فنية وأدبية ذات قيمة، وبأنها آثار يمكن ان تدخل الى معاهدنا وجامعاتنا لتكون موضعا للدراسة بها ، وان شوقي بتأليفه للمسرح قد حل « عقدة » كبيرة كانت تفشى مجتمعنا وتتغلغل فيه ، وتلك هي ذلك « التحرج » الذى كان عليه الناس في نظرتهم الى المسرح !

فقد كان الناس ينظرون الى المسرح نظرة ريبة وحذر بل نظرة احتقار وازدراء للمشتغلين به من النساء ومن الرجال معا ! حيث لم يكونوا يرون فيه الا لهوا وتسلية رخيصة لايجوز ان يهبط اليها علية القوم واكابرهم المحافظون ! وكان الكثير منهم يكف عن الذهاب الى المسارح تصونا وحفظا على منزلته و «مركزه» ! والبعض يذهب اليها مستخفيا حذار ان يراه الناس فيحتقروه .. !

فلم يكن معقولا — مع وجود هذه النظرة — ان يشارك كبار الكتاب في التاليف لذلك المسرح المهين المحتقر لدى الناس حتى لا تنتقل عدواه اليهم فيهانوا ويحتقروا !

فلما اشترك شوقي — وهو من عليه القوم بل من الطبقة الارستقراطية فيهم — بهذا الانتاج الضخم للمسرح ، تغيرت النظرة الى المسرح ، والى المشتغلين به تمثيلا وتأليفا ، وشارك في الكتابة له من لم يكن يشارك من الكتاب ، وذلك فضل عظيم لشوقي على المسرح .

ونحن — كما هو معلوم — قد عرفنا المسرح منذ عام ١٨٤٨ حيث ظهر — اول ما ظهر — ببيروت على يد تاجر اسمه « مارون نقاش » في صورة هزيلة ضعيفة ، واستمر على ذلك الهزال والضعف متنقلا بين البلاد العربية المختلفة نحو ثمانين عاما الى ان جاء العملاق « شوقي » فاضفى عليه حياة وقوة واكسبه ثروة طائلة ..

بدا « شوقي » يؤلف للمسرح منذ سنة ١٩٢٧ فاخرج عددا من المسرحيات كانت اولاها « مصرع كليوباترا » التى احدثت ضجة كبيرة في دنيا الادب والفن ، بل احدثت ما يمكن ان نسميه « انقلابا » في هذا الميدان ، وظل حديثها شغل الاندية والصحف في البلاد العربية وقتا غير قصير .

ثم تلتها مسرحيات «على بك الكبير» ، «قمبيز» « مجنون ليلى » ، عنترة » ، اميرة الاندلس » ثم كوميديا « الست هدى » ..

وجميع هذه المسرحيات كتبها شوقي — كما هو معروف — شعرا ! فما هو مدى صلاحية الشعر للمسرح ؟

نحن نعلم ان المسرح — كما يقول فقهاؤه — للناس جميعا ، وانه يجب ان يفهمه الناس جميعا ، وأن يؤثر فيهم جميعا تاثيرا ما .... وانه يقوم الآن على نظرية « الحائط الرابع » وهى تلك النظرية التى تقرر ان ما يراه الناس في المسرح هو عين ما يرونه او ماينبغى أن يكون هو عين ما يرونه في حياتهم اليومية المتكررة داخل جدران أربعة ، ولكن هذه الجدران الأربعة او الحيطان الأربعة قد ارتفع حائط منها — بارتفاع الستارة — فاذا بنا نرى كل ما يجرى داخل الحجرة دون حجاب ! ... فهل يتكلم الناس داخل بيوتهم شعرا أو يتكلمون باللغة الفصحى !

ولكننا لا نذهب هذا المذهب البعيد الذى يضرب في الخيال كثيرا ، ونقرر الراى الذى اصطلح عليه وهو ان لغة المسرح — عندما تكون لغته الفصحى لا العامية — هى اللغة التى يمكن أن نسميها اللغة « الوسطى » وهى العربية السهلة السمحة التى لا تشق على القارىء او المستمع العادى بجزالتها وفصاحتها ولا تهبط الى مستوى العامية .

فما موقف الشعر من هذا ؟ وهل تصلح كل بحوره للمسرح ويمكنها أن تساير أحداثه المتلاحقة السريعة بحيث لا تعطل المشاهدين ولا تعرقل متابعتهم لهذه الاحداث وفهمها ؟

قال بعض القائلين بان الشعر لا يصلح ـ على الاطلاق ـ لان يكون لغة للمسرح ..

لانه بطيء تقيل الحركة وئيدها ... ولانه قيود واغلال تعوق السرعة والانطلاق ... ولانه فن يقوم على المجازات والرموز والظلال التي قد تضلل بعض القراء أو بعض المشاهدين فلا يفهمون الكلام على وجهه الصحيح !

وقال بعض القائلين ان بحرا واحدا من بحور الشعر هو الذى يصلح للمسرح هو بحر « الرجز » لسهولته وخفته وقربه من الكلام النثرى بحيث لا يشعر القارىء أو المشاهد بفارق كبير يبعده عن الواقع الحى الذى يعيشه ويرغب فى أن يراه ممثلا امامه على خشبة المسرح ... ولقد استشعر شوقى نفسه مدى طواعية هذا البحر وسهولته فاختاره لكتابه الذى عقده على عدد من القصص والسير العربية الشهيرة وسماه « دول العرب وعظماء الاسلام » وجعله كله من بحر « الرجز » دون سواه ومهد له بقوله : ـ

واخترت بحرا واسعا من الرجز
قد زعموه مركبا لمن عجز
يرون رايا ... وارى خلافه
والكاس لا تقوم السلافة

ولاندرى كيف استشعر شوقى ذلك فى كتاب للتاريخ والقصص ولم يستشعره فى المسرحيات التى تتطلب سهولة أكثر لتدنو من افهام « جميع » الناس الذين يختلفون اليها .

وقال غير هؤلاء وهؤلاء بأن «الشعر» لا يلقى على خشبة المسرح القاء لانه ليس كلاما عاديا كالذى يتكلم به الناس ، وانما هو غناء يتغنون به ، فلا يجوز أن تعرض مسرحية شعرية الا على طريقة « الاوبرا » اى تلقى غناء متصلا لا يتخلله شىء من الالقاء .

وهذا هو عندنا الراى الصحيح ... فلو ان مسرحيات شوقى يعاد عرضها فى صورة «الاوبرا» بعد اجراء بعض التعديلات بها وبعد تلحينها ... لاكتسبت الفن المسرحى عندنا ثروة ما بعدها ثروة، وهذا ما نرجو ان تنهض به وزارة الثقافة والارشاد القومى فى عهدها الزاهر الذى تعيشه الآن ، والذى ليس شىء فيه بمستحيل .

وشوقى شاعر يملك الشعر كل نواحيه واقطاره ، ومن هنا كان ماتى مسرحياته !

فهو ينظر ـ أول وآخر ما ينظر ـ الى الشعر !

..... ينظر الى اجادته والى جزالته وفخامته واطرابه وجرسه وجميل وقعه لدى السامعين !

وهو فى مسرحياته هذه يطلق القصائد أو على الاصح « المطولات » مجلجلة تذكرنا باعواد المنابر وتنسينا خشبة المسرح التى نراها امام اعيننا ! وهذه « المطولات » مبثوثة فى المسرحيات جميعها لاتكاد تخلو منها بضع صفحات كأنها دواوين شعر ..

ولو اردنا ان نحصى هذه « المطولات » عدا لاعيانا ذلك ، ولكننا نشير الى البعض منها ، كتلك القصيدة التى تناجى بها « كليوباترة » نفسها عندما همت بالانتحار والتى تزيد على الستين بيتا والتى مطلعها : ـ

اليوم اقصر باطلى وضلالى
وخلت كأحلام الكرى آمالى
وصحوت من لعب الحياة ولهوها
فوجدت للدنيا خمار زوال
وتلفتت عينى ... فلا بمواكبى
بصرت ... ولا بكتائبى ورجالى

والتى تختتمها بقولها : ـ

اموت كما حييت لعرش مصر
وابذل دونه عرش الجمال
حياة الذل تدفع بالمنايا
تعالى حية الوادى ... تعالى

ثم تتناول « كليوباترة » الافعى بعد القاء هذه القصيدة مباشرة وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت كيلوباترا بعد لحظة !

ولا ندرى كيف يمكن أن يقول شخص وهو فى موقف الانتحار مثل هذه « المطولة » مع أن الثابت الذى يجمع عليه علماء النفس أن الانسان لا يمكن أن ينتحر وفيه مسكة من « عقل » ولن يقدم على الانتحار الا اذا صار الى حالة « جنون » ... وانه اذا وقف ساعة الانتحار موقفا بطيئا ولم يندفع الى عمل حاسم فانه سيعدل حتما عن انتحاره ويعود فيتمسك بالحياة !

وكذلك « المطولة » الاخرى التى تبلغ أكثر من ستين بيتا والتى قالها صاحبها « انطونيو » عند ما بلغه انها انتحرت والتى مطلعها : ـ

روما حنانك واغفرى لفتاك
اواه منك ... وآه ما اقساك
روما سلام من طريد شارد
فى الارض ... وطن نفسه لهلاك

اليوم يلقى الموت .. لم يهتف به
ناع ... ولا ضجت عليه بواكى

ثم تنتهى بأن يطعن هو الآخر نفسه بخنجره فيخر على الارض جريحا ثم يموت بعد قليل !

وكذلك « المطولات » الكثيرة التى يمكن الرجوع اليها بسهولة فى كافة المسرحيات وخصوصا فى مسرحية « مجنون ليلى » التى تلمح فيها ظاهرة أخرى وهى عناية شوقى المسرفة بأن يجعل شعرها قريب الشبه جدا بشعر « المجنون » حتى قيل عنها انها صفحات لم تنشر من كتاب الاغانى لأبى الفرج الأصفهانى !

وهذه « المطولات » هى ما كان يسمى عند اليونان الاقدمين باسم المنولوجات ، وقد صارت اليوم من أقبح عيوب المسرح المعاصر .

وشوقى اتخذ جميع موضوعات مسرحياته من التاريخ اللهم الا واحدة هى « الست هدى » .. والتاريخ فوق انه مركب ذلول لا يجهد المؤلف نفسه كثيرا فى ابتداع مادته لأنها بين يديه ، ويلجأ اليه عادة المؤلفون المبتدئون الذين لا يجدون فى انفسهم القدرة الكافية على الخلق والابتكار ... نقول ان « التاريخ » فوق ذلك لم يعد المادة الوحيدة التى يمكن ان يقال انها اكثر المواد صلاحية للمسرح الذى تعتبر مهمته الاولى هى علاج مشكلاتنا المعاصرة التى تلاحقنا فى حياتنا اليومية كما هى الحال فى المسرح الاوروبى — الذى استقينا منه مسرحنا — منذ القرن الثامن عشر .. ولهذا كانت مسرحية « الست هدى » التى تمثل نطاقا من حياتنا الراهنة انجح مسرحياته كلها مع انها اخفها مئونة واقلها احتفاء بالشعر !

على ان « شوقى » قد خالف التاريخ فى كثير مما كتب من مسرحياته مثل مسئولية انتحار كليوباترا حيث فسر انتحارها بأنه خوف من ان تمتهن فى روما مع ان التاريخ يقرر ان ذلك الانتحار ما كان الا لفشلها فى تصبى عدوها الظافر ... وكتبرئتها من مسئولية انتحار « انطونيو » على حين أن التاريخ يحملها هذه المسئولية كاملة .... وكتفسيره غزو « قمبيز » بأنه راجع الى خديعة فرعون بتزويجه ابنة فرعون السابق وايهامه بأنها ابنته ، مع ان التاريخ يحدثنا بأن ذلك الغزو يرجع الى عامل آخر هو السباق الذى كان قائما بين دولتى اليونان والفرس على الجاه والنفوذ والسلطان وتوسيع الرقعة .... وغيرها

ومسرحيات شوقى يقام فيها الكثير من الولائم وحفلات الغناء والطرب ومعاقرة الصهباء ، كما تقام فيها أسواق للخطابة ومنابر للوعظ والارشاد، وللمباريات بين الشعراء كأنها « سوق » عكاظ ..

كما اننا نراها تموج بالناس من هنا ومن هناك على انماط ودرجات مختلفة ... كما نرى بين ثناياها الوانا من « الحب » الخفى أو الواضح الذى يتأجج بين بعض الاشخاص الذين لا تربطهم بموضوع المسرحية رابط ... كما نسمع فيها كثيرا من القصص بل من « الحواديت » !

وكل هذا الذى نراه أو نسمعه لا يمت بصلة الى موضوع المسرحيات ولكنه ليس الا « حشوا » او ملء فراغ ! وتلك امور لا تمت الى التأليف المسرحى الصحيح بشىء ...

وبعد : —

فانه يكاد يكون ضربا من المستحيل ان نلم هنا بكل مسرحيات شوقى الماما كافيا ولكنها اشارات سريعة الى بعض الظواهر البارزة بها

ويمكن أن نقولها كلمة واحدة : —

وهى أن مسرحيات شوقى — دون شك — ثروة كبيرة لنا ، ولكنها فى صورتها الحالية لا تدخل فى اطار المسرح الصحيح بقواعده والتزاماته التى اصطلح عليها فى عصرنا الحاضر .

وهى تفيض بالشعر العالى الرفيع الذى نفتقده الآن ، ولكنه على أية حال « شعر » فقط !

والرأى عندنا هو اما ان يلتقط هذا الشعر الرفيع من تلك المسرحيات ويتحول الى غناء — لأنه أقرب ما يكون الى الغناء — نثرى به اغانينا ونرفع مستواها ، وأننا لواجدون فيها الكثير من ذلك

واما ان تلحن هذه المسرحيات وتعرض علينا عرضا جديدا فى صورة « اوبرات » غنائية ، وبهذا نكون قد كسبنا كسبا كبيرا ، وانتفعنا بها اعظم انتفاع ونكون قد صنعناها فى موضعها الصحيح الذى يضمن لها الخلود

اما أن نتركها هكذا لا هى بالمسرحيات الحية ذات الحرارة ، ولا هى بالاغانى ، ولا هى بالاوبرات، فان شأننا معها يكون كالذى يهمل ثروته ويصر على اهمالها حتى تفنى وتزول !

على متولى صلاح

الشعور الديني والشعر في المحنة العرابية

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

من المباديء التي تضمنها الميثاق : «ان القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الاديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

ان بلادنا العزيزة قد شهدت محنة قاسية بين الحادى عشر من يوليو عام ١٨٨٢ يوم ضرب الانجليز الاسكندرية بقنابلهم غير مراعين سلطانا لضمير ، ولا احتراما لقانون ، ولا معنى لانسانية ، وبين الثالث عشر من سبتمبر من ذلك العام الحزين ، يوم استسلم عرابى وصحبه الابطال .

***

ولقد ظهرت فى تلك الفترة روح الوطنية المصرية قوية مؤمنة بحقها فى حياة كريمة ، وقاومت ماوسعتها المقاومة ، ولم تحن الراس امام غطرسة الخديو توفيق ولا جبروت الغاصبين ، كما ظهرت روح الخنوع والمذلة من جانب الخديو ، الذى لم يكن يفكر الا فى بقائه حاكما ولو على اسنة الرماح واشلاء الوطنيين المصريين ، فهو لم يكن مصريا ولا عربيا حتى يغضب لاغتصاب الديار المصرية ، وهو ليس من سلالة أمراء البيت العثمانى حتى يلجأ الى آبائه وعشيرته ان هو لبث وقاوم وانهزم . وانما كان من سلالة رجل من عامة الرعايا العثمانيين ، وصل الى ما وصل اليه هو وذريته بالدهاء والمكر والخديعة ..

***

واستمر الصراع حوالى ثلاثة اشهر مريرا عنيفا : كان الخديو ومن انحاز اليه من ضعاف النفوس فى جانب ، يعتمدون على تأييد الانجليز ووعودهم المعسولة بالحماية والرعاية ... وكان عرابى ومن وقف الى جانبه من العلماء والضباط والاعيان فى جانب ، يعتمدون على ايمانهم بحقهم وعلى تأييد الشعب ومناصرته ، وبذله النفس والنفيس فى سبيل دحر الانجليز ، وخذلان الخديو واعوانه المارقين .

وفى دوى هذا الصراع الاليم حاول كل فريق من المتحاربين ان يستغل العاطفة الدينية لدى عامة الشعب ليبرر موقفه امام جموعهم ، ويكسب عطفهم ومعونتهم ، او يامن جانبهم ويخفف من حدة سخطهم وغضبهم .

ولقد نشط خطباء المساجد فى طول البلاد وعرضها ، وكذلك الشعراء وكان اكثرهم من العلماء ـ فى الدعاية ضد الانجليز ، وما يترتب على انتصارهم من عدوان على حرمات الدين ، وهدم المساجد ، وتعطيل شعائر الاسلام ، وانهم لن يكونوا خيرا من اسلافهم الفرنسيين الذين اتخذوا من الازهر الشريف مرابط لخيولهم ..

***

وعندما انحاز الخديو علنا الى جانب الانجليز ، واقام تحت حمايتهم هو ووزراؤه بالاسكندرية تألف مجلس عرفى بالقاهرة يضم وكلاء الوزارات ، وكبار الضباط الموالين لعرابى ، وتولى هذا المجلس ادارة شئون البلاد ، واخذ يصدر القرارات المختلفة ، ولا سيما ما يتعلق بالاستعدادات العسكرية ، واستمرار المقاومة ، غير عابيء بأوامر الخديو لوقف القتال ، ولا بمنشوراته التى يعلن فيها عزل عرابى من منصبه ، ويبرر العدوان الاثيم . ثم تألفت لهذا المجلس جمعية عمومية تضم كبار العلماء والضباط والاعيان وبعض الامراء ، وبلغ أعضاؤها حوالى خمسمائة من خيرة الرجال .

***

وكان من مظاهر استثارة العاطفة الدينية لتحميس الشعب ، وحثه على البذل والفداء ، ذلك القرار الخالد الذى أصدرته الجمعية العمومية فى ٢٣ يوليو تعلن فيه ما أفتى به كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عليش بصراحة وقوة : من ان انحياز الخديو الى جانب الجيش المحارب يعتبر خروجا على الدين ، وان طاعته قد سقطت عن المحكومين ، وعصيانه أصبح امرا يوجبه الصالح العام ، ويقره الشرع الشريف ، وقد جاء فى ختام هذا القرار . « ورأينا وجوب توقيف اوامر الخديو مما يصدر من نظاره الموجودين معه فى الاسكندرية ، كائنة

ما كانت لأية جهة من الجهات ، وعدم تنفيذها ، حيث (ان الخديو) خرج عن قواعد الشرع الشريف، والقانون المنيف ..» .

ولم يتورع الجنرال « ولسلى » القائد الانجليزى من ان يحاول استغلال الشعور الدينى فى تهدئة الخواطر الثائرة ، ويخفف من حدة قرار الجمعية العمومية السالف ، فأرسل منشورا ملأ به جدران المنازل فى كل شارع يعد المصريين بانه لن يصيبهم منه أدنى ضرر ، بل انه « سيحترم دينهم وجوامعهم وعائلاتهم » ، وانه يود المساعدة « لردع العصيان الذى هو ضد الخديو الوالى الشرعى ، المعين من لدن الذات الشاهانية » .

وكانت الطامة الكبرى فى استغلال الشعور الدينى ، ذلك المنشور المشئوم الذى اصدره الخليفة بدسائس الانجليز ومكرهم وسعة حيلتهم — يعلن فيه عصيان عرابى وانه بمخالفته اوامر الخديو الوكيل المطلق للسلطنة السنية يعتبر خارجا على طاعة الخليفة ، وتعتبر اعماله مخالفة للشريعة الاسلامية .

وقد ابتهج الخديو بهذا المنشور ايما ابتهاج ، وراح يرسل اعوانه لتوزيعه على الضباط والجند وسائر الرعايا .

ولا جرم احدث هذا المنشور تأثيرا كبيرا فى حالة كثير من الضباط المعنوية واحس عرابى بخطره، فراح يحذر اعوانه ، ويحاول اقناعهم بأنها دسيسة انجليزية ، غير ان السموم قد سرت ، واتلفت من القلوب ما اتلفت .

***

ولقد كان للشعر فى تلك الفترة مجال اى مجال، ولما كان الشعراء حينذاك اكثرهم من علماء الازهر الشريف ، فقد كان الهدف الاول للقصائد اثارة العاطفة الدينية وحث الامة على متابعة الجهاد المقدس لحماية الدين والوطن والاعراض .. ودحر الكفار اعداء الدين ، المتربصين بالمسلمين وديارهم الدوائر .

***

ومن اطول القصائد التى نشرتها الوقائع المصرية قصيدة من ثمانية وسبعين بيتا للشيخ محمد التجار بمناسبة ما اذيع من نصر العرابيين فى بعض المعارك ، ومطلعها :

بالنصر قد جاء الكتاب مشيرا
وبه الى هادى الانام بشيرا

وبعد ان يصف استجابة الامة بمختلف طبقاتها لمعاونة عرابى ، ينتقل الى بيان ما كان يخشاه رجال الدين على المقدسات الاسلامية :

ورجال دين حيث قد خافوا على
ذرية من بعدهم تكفيرا
خافوا على اوطانهم من امة
خانت . وكم فضحت وقضت حورا
خافوا على جعل المساجد مربطا
للخيل . او جعل الرجال حميرا
خافوا على الكتب التى قد دونت
ولكم حوت علما يزيدك نورا
خافوا على آل الرسول وبيته
والله فضلهم عليك كثيرا
خافوا على الدين القويم واهله
من اشبهوا فى الاهتداء بدورا
خافوا على مفتاح بيت الله وال
بقع التى قد طهرت تطهيرا

***

وهكذا يستمر فى وصف ما يخشاه من فظائع الانجليز اذا هم انتصروا ، ويشرح اعمالهم السيئة ومطامعهم الاشعبية فى الوطن العربى كله . ثم يأخذ فى بعث الامل فى النفوس بقرب النصر للعرابيين :

عما قليل سوف يظفر جيشكم
ويجى عرابينا لنا منصورا
وترى الألى حملوا لواء النصر فى
حفظ البلاد ، وانجزوا المأمورا
ويسرنا تقبيل ترب نعالهم
فلقد بنوا لحمى الشريعة سورا

الخ ...

ثم قصيدة اخرى للشيخ محمد عبد الغنى من العلماء وهى من اربعة واربعين بيتا ومطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى
ولا وقت السماع على الشراب

وبعد أبيات يقول :

ولكن ذا زمان الجد وافى
وذا وقت الفتوة والشباب

ووقت الاتحاد مع التصافى
وعقد عرا الاخاء والانتساب

ثم يشير الى ان حركة عرابى ليست الا دفاعا عن الوطن والدين :

وزير نال بالسيف المعالى
وانقذ مصر من أيدى الذهاب

وقام لنصر دين الله فيها
باخلاص وحزم وانتساب

وغير الحق لم يسلك سبيلا
وغير الصدق لم يدخل بباب

ثم قصيدة للشيخ احمد يوسف العبادى ومطلعها :

الام يسود فعل الجاهلينا
ونمنحهم بفضل (الجاه لينا)
ونخفض للعلوج جناح ذل
لترفع نصبهن فيجزمونا
(وتلاحظ أثر الصناعة اللفظية)

ثم يبين فضل الشهداء ، وأثر النصر فى بعث الروح الاسلامى :

وقل : لا تحسبوا الشهداء هلكى
بلى والله . احيا يرزقونا

ويبين فضل عرابى وصحبه :

واحييتم معالم دراسات
فدبت نشوة الاسلام فينا

ومن تلك القصائد قصيدة الشيخ المرصفى يشير فيها الى فضل عرابى فى مدافعة الانجليز وحماية الدين . ومن ابياتها :

يا صاح : قم واشكر الهك واحمد
فالدين منصور على يد احمد
بطل همام فى الخطوب مدبر
ذو همة بسديد راى اوحد

وللشاعر الاديب احمد رشوان الذى كان مصححا بديوان الزراعة قصيدة رائعة من أربعة واربعين بيتا نشرتها الوقائع ضمن ما نشرت فى تلك الفترة ومطلعها :

نوال المعالى من طعان الكتائب
ونيل الامانى من ثمار المتاعب

ثم يأخذ فى حث الاهلين للتجمع فى صفوف القتال معللا اسباب ذلك :

فهيا بنا يا آل مصر لنصره
لتعزيز اوطان ، ودفع مصائب

فلا دين ان حل العدو بأرضنا
ولا عرض يبقى فى شباب وشايب

وبعد : فتلك هى الروح التى سادت الصراع ، ولقد وقف العرابيون ومن ورائهم طبقات الشعب جميعا مؤمنين صادقين ، باذلين أعز ما يملكون ، غير ان الدسائس والمكايد ، وضعف من لانت عزائمهم فاستجابوا لمجاملة الخديو ، وحسن النية عند من انخدعوا بمنشور الخليفة ، واستبسال الخديو فى المحافظة على كرسى الحكم ، ومطامع الانجليز الاجرامية ... كل هذه الامور وامثالها اضعفت المقاومة فى صفوف العرابيين ، واسلمتهم آخر الامر للهزيمة .

ولكن : استمع الى نظرة الميثاق لهذه الهزيمة:

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير ، لم تكد تخفت حتى انطلقت اصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل . وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » .

نعم . ولقد استمرت تلك الاصوات مدوية قوية حتى كانت ثورتنا المباركة فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، وقد تم بفضل الله على يديها اقتلاع جذور الشر جميعا ، فطرد المستغلون والمستعمرون . وفى احد عشر عاما خطت بلادنا العزيزة فى مضمار التقدم والحضارة خطوات ، لم تكن لتخطوها لولا هذه الثورة المباركة فى مئات من السنين .

سعد الدين الجيزاوى

ركب القصة في العالم العربي

نهضة قصصية في شمال افريقيا

للأستاذ فوزي عبد القادر الميلادي

الفكرة السائدة في المشرق العربي أن الادب القصصي في المغرب العربي لايزال يعيش حتى اليوم عالة على الادب القصصي في اوربا وعلى الاخص الادب الفرنسي يؤلف الاديب بالفرنسية او بلغة عربية غير سليمة اقاصيص تدور في فلك الادب الاوربي سواء من حيث الاسلوب او المضمون ، لذلك كانت فرحتي عظيمة عندما تلقيت في وقت واحد ستة كتب قصصية صدرت مؤخرا في تونس باللغة العربية لأدباء عرب من شمال افريقيا وهذه الكتب هي الاشعة السبعة ــ القلب الكبير ــ دخان من قلبي ــ بودودة مات ــ فوارة الظما ــ برق الليل .

وما ان أخذت اطالع هذه الكتب حتى شعرت بأن هذه النهضة الوليدة لها ما بعدها وان هذه الكتب وان تفاوتت في الجودة الا انها تتفق في شيء واحد هو تصوير مجتمع الشمال الافريقي باسلوب عربي رشيق تخلص أو كاد من آثار الثقافة الفرنسية .

ومجموعة « الاشعة السبعة » التي رايت ان ابدا بعرضها في هذا المقال تضم احدى عشرة اقصوصة تستطيع ان تقطع بعد قراءتها ان مؤلفها ــ الاستاذ عبد الحميد بن هدوقه ــ ان لم يكن جزائري الاصل والمولد فهو على الاقل قد قضى شطرا كبيرا من حياته بين ربوع هذه الارض الطيبة التي شهدت في السنوات الاخيرة اعنف واشرف معركة في سبيل الحرية والاستقلال .

ففي قصة المسافر » وهي اولى قصص المجموعة ــ يروي المؤلف على لسان البطل قصة لقائه الاول مع خطيبته التي اختارتها له والدته شريكة لحياته ودعتها لقضاء ايام عيد الاضحى مع الاسرة التي تقطن على سفح جبل «اولاد ثائر » الذي يقع غرب برج بوعريج بالجزائر ــ وفي ليلة العيد يخرج الفتى والفتاة في جولة حول الدار ويصف لك المؤلف جو القرية والشعور العام في تلك الليلة باسلوب شاعري لايخلو من نبرة حزن (كانت الشمس تلفظ آخر اشعتها على جبال «أولاد ثائر» وكانت السماء صافية كمرآة العذراء ، وكان الفصل صيفا .. ولكن الجو كان جو شتاء وكانت الليلة ليلة عيد ولكن البيوت كانت خاوية من آثاره خاوية من افراحه . كان نوع من الاطمئنان الحزين يسود القرية ولكن في قلب ذلك الاطمئنان كانت الثورة ثائرة فقد قرر سكان القرية ان يكون يوم العيد يوم اضراب لا عن شغل او اكل او احتفال بالعيد ولكن عن شيء آخر عرفه سكان قريتنا وحدهم .. كانت السلطة العسكرية الفرنسية فرضت في صيف تلك السنة الثانية للثورة على القرية ان يذهب يوميا جميع السكان الى قرية اخرى حيث المركز العسكري لمبايعة العلم الفرنسي اعرابا عن ولائهم وضج الاهالي من هذا الولاء المفروض فقرروا ان يكون العيد نهاية الولاء الاجباري وبدء العصيان الحر ..)

ويتجول الخطيبان قرب جدول رقراق وفجاة تسال الفتاة خطيبها .

ــ امسافر انت حقيقة ؟

ــ نعم مسافر .

ــ الى اين تذهب ؟

ــ لست ادري .

ــ كيف لاتدري هل هناك مسافر لايعرف الى اين هو مسافر ؟

ــ نعم هو انا .

ــ وانا .

ــ انت ساعود اليك متى عدت .

وتصمت الفتاة ثم تقول في اسى .

اخشى ان لاتجدني عندما تعود .

ويسالها الفتى في عجب .. لماذا ؟ فلا تحير جوابا وانما تنظر الى كرمة تين كثيفة الاوراق وتقول كم هي كبيرة هذه الكرمة ..

ويدور حديث حالم هامس بين الخطيبين عن شجرة الرمان وكرمة التين واغاني الساقية واغاني الجبال وخرير المياه وفجاة تمسك الخطيبة بزهرة من زهور الرمان وتقول في نبرة حزينة . ــ مسكينة هذه الزهرة ، لماذا يسقط زهر الرمان هكذا ؟

ــ ليثمر الباقي نوع من التضحية تعرفه الطبيعة ولا نعرفه .

وتعود لتسال ثانية .

ــ ولماذا لا يثمر الجميع ؟

ـ لان الريح قاسية .
وتلقى بسؤال اخير .
ـ هل صحيح ان ارواح المحبين تتلاقى بعد الموت ؟
ويصمت الفتى قليلا قبل ان يجيب .
ـ ذلك اقل ماينبغى ان يكون .

ويدوى فى السماء ازيز رهيب اسود يملأ النفوس ذعرا .. انهازيز الطائرات الفرنسية وتلقى الطائرات حمولتها على القرية الآمنة المطمئنة ويرتفع لهب القنابل المحرقة من الدور والشجر عاليا الى السماء ويطغى على صوت القنابل وازيز الرصاص صوت يهتف . « امسافر انت .. هل صحيح ان الارواح تتلاقى بعد الموت ـ هل تخاف من الموت ... » ثم يغوص الفتى فى غيبوبة تشبه العدم وفى الصباح يجد نفسه فى مكان كثيف الاشجار لايبعد كثيرا عن القرية تقف بجواره ممرضة تابعة لجيش التحرير تضمد جروحه ولكنه لم يكن يفكر فى تلك الجروح وانما كان يفكر فى خطيبته وفى القرية وفى عيد الأضحى .

ويختم المؤلف القصة بهذه الكلمات « كانت جروحى بالغة ولكنها كانت تافهة كحياتى وكان الألم شديدا ولكن لامعنى له كوجودى فقد ماتت خطيبتى .. جاءت لترانى قبل السفر وقد انمحت من الارض دارنا وقريتنا فلم اعد فى حاجة الى السفر اذ اصبحت مسافرا فى كل مكان ..) والذى يستلفت النظر فى هذه القصة ان المؤلف استطاع ان يعرض صورا من كفاح الشعب الجزائرى ضد الطغيان فى اطار شاعرى انسانى بعيد كل البعد عن العبارات الحماسية الخطابية وهى آفة كثير من القصص التى تصور البطولة وتمجد التضحية .

ففى القصة تصوير للكفاح الجماعى لاهالى القرية ضد الاستعمار الفرنسى الذى اتخذ مظهر عدم الاذعان للجيش المستعمر ورفض الولاء لعلم الدولة الباغية مما اثار ثائرة الفرنسيين واطاش صوابهم وحدا بهم الى ازالة القرية من الوجود .

وبجانب ذلك نستطيع ان نلمح من بين ثنايا الحوار الرقيق الهامس تحول الشباب الجزائرى فى السنة الثانية للثورة الى الانخراط فى سلك المجاهدين ... فالفتى لايستطيع ان يبقى بجانب خطيبته يستمتعان بالحياة الوادعة المطمئنة فى القرية الجميلة التى تحيط بها من كل جانب الخضرة والجداول والتلال ... انه سيسافر حتما الى اين .. انه لايدرى المكان .. ولكنه يدرى قطعا المهمة التى سيسافر من اجلها .. وهى الاشتراك فى معركة التحرير وهو سيعود الى فتاته عندما تنتهى المعركة بالنصر .. وفتاته تخشى الا يجدها عندما يعود .. فهى ايضا قد بيتت النية على الاسهام فى المعركة وقلبها يحدثها انها قد تقضى نحبها قبل يوم النصر . وكنت اود لو حذف المؤلف العبارة الاخيرة من القصة التى يفهم منها ان البطل سيظل مسافرا فى كل مكان بعد ان انمحت قريته من الوجود..اذن لابقى لكلمة السفر مدلولها ومهابتها وروعتها . وقد أحسن المؤلف فى استعمال الرمز فزهر الرمان الذى يتساقط بعضه ليثمر البعض الآخر رمز على تساقط المجاهدين فى ميدان المعركة ليعيش الباقون احرارا كما وفق فى اختيار يوم عيد الاضحى وهو عيد التضحية موعدا لتنفيذ ماعقد عليه اهل القرية العزم من شق عصا الطاعة على الفرنسيين .

ولعل القارىء قد لاحظ مما اوردته من مقتطفات ان اسلوب المؤلف اسلوب عذب رقيق تتدفق عباراته فى سهولة ويسر وهو وان زخر فى كثير من المواقف بالوان من البيان والبديع الا انه ظل رغم ذلك بعيدا عن التعقيد وعن تصيد الالفاظ الغريبة المهجورة .

وقصة « الاشعة السبعة » التى اتخذ المؤلف من عنوانها عنوانا للمجموعة كلها تدور حول حياة شاب ولد وعاش ابكم اصم كانت له ام يعرفها فى اعماق نفسه ولكنه كان لا يراها كما يرى الفتيان امهاتهم وكان يختلف من وقت لآخر الى بركة قريبة مهجورة تدعى «بركة العذارى» كان يشاع ان عملاقا ايضا ذا قرون سبعة يختطف العرائس فى ليلة زفافهن اتخذ له سكنا فى قرارها ولم يكن يثنيه عن الاختلاف الى تلك البركة تحذير اهله ومعارفه له فقد كان اصم لايسمع مايقولون ..

وذات يوم والفتى يجلس على حافة البحيرة خطر له ان يلتقط حجرا ويلقيه فيها فارتسمت على سطحها سبع دوائر متلألئة لامعة مرتعشة كالزئبق فاحس الفتى بصوت بعيد عميق امتد من قرار البحيرة امتدادا حتى اتصل بقرار نفسه اتصالا رقيقا وشعر بنشوة تتدفق من اقاصى روحه فتسرى فى كيانه واحس بما كان يربض على قلبه وسمعه ولسانه

ينحل ويذوب ويتلاشى فى غمرة الصوت الهامس المنبعث من قرار البحيرة .

وتابع الفتى القاء الحجارة حتى كان الحجر السابع فرأى رؤية عابرة كأغرب واجمل مالكون الرؤى رأى الدوائر المرتعشة تنبع من شمس ذات اشعة سبعة مستقرة فى اعماق البحيرة واعماق نفسه واعماق السماء وبعد ذلك عاد الى منزله واتى بدلو ماء واخذ يصبه على جوانب البحيرة سبع مرات واستمر يكرر ذلك اياما متتالية حتى كان اليوم السابع فاذا بشىء جديد يحدث ففى هذه المرة لم تفارقه الرؤية العابرة ، كان يرى الشمس ذات الاشعة السبعة مستقرة دائما فى اعماقه وكان الصوت الحنون الهامس الغامض يسكت بزوال آخر دائرة من وجه البحيرة .. فى هذه المرة لم يسكت بل بقى يجوب كيانه حتى كأنه يزيح شيئا عن حلقه المسدود وكان واضحا فى هذه المرة فقد عرف الفتى مصدره وادرك معناه كان منطلقا من اعماق قلب امه الحنون التى فقدها فى احد الايام وكان يقول له انى عائدة .

ويقطع المؤلف سرد الاحداث ليعود الى الوراء قليلا وقت ان كان الفتى فى الثانية من عمره واخذته امه الى هذه البحيرة فى يوم قائظ شديد الحرارة ضاربة عرض الحائط بأسطورة العملاق الذى يسكن البحيرة ويخطف العرائس . وانغمست الام فى البحيرة واخذت تسبح وطفلها يضحك ثم تصلبت عضلاتها فجأة وعبثا حاولت الخروج فغاصت فى الماء وصرخ ابنها وكانت صرخته آخر صوت خرج من فمه ..

ونترك ماضى الفتى وامه ونعيش معه فى حاضره فنراه يحث الخطى الى البحيرة كعادته واذا بسحابة من الطائرات تغطى السماء متجهة من الشمال الى الجنوب فامتلأ بشعور غامض وجلس الى البحيرة ولاحظ على اديمها صورا سوداء فرفع رأسه الى السماء فاذا به يرى سحابة من الغربان سالكةطريق سحابة الطائرات فاحزنه منظرها . واخذ فى رمى الحجر وعندما استعد لرمى الحجرة السابعة سقطت قنبلة من احدى الطائرات على البحيرة فتدفق الماء من بطنها الى السماء فى عنف ورأى الفتى فى تلك الغمرة العارمة فتاة عذراء رأسها شمس ذات اشعة سبعة ارتفعت مع دفعات الماء الى السماء عاليا ورأى نور تلك الشمس يغمر الارض والسماء فصاح بكل قواه « أمى » .

وواضح ان هذه القصة تستمد اصولها من اساس اسطورى وهى لاتبعد فى جوهرها كثيرا عن الاساطير الشعبية القديمة التى سادت فترة من الزمن فى بلاد الشرق الاقصى .. ومع ذلك فقد افلح المؤلف فى صياغتها صياغة عصرية حديثة بل وافلح فى الربط بين الاسطورة وبين احدث اسلحة الدمار المستعملة فىالحرب وهى الطائرات ولم يتخل المؤلف عن الرمز كعادته فاتبع سحابة الطائرات سحابة من الغربان وهى رمز لما تجلبه الطائرات بحمولتها المدمرة من شؤم وفراق .

ومع ذلك فالقصة فى مجموعها من الممكن ان ترمز الى معنى انسانى ووطنى كبير لاادرى هلاستهدفه المؤلف ام غفل عنه .. ذلك هو صحوة الامة الجزائرية ... فعندما ازدادت ضربات المستعمر وبلغ الطغيان اشده فاض كأس الصبر كما فاضت مياه البحيرة وتفجرت ينابيع القوة فى الامة ونطق لسانها الذى كان معقودا السنوات الطوال كما نطق الفتى باسم امه بعد طول عى وصمت وكانت لغة الكلام هى اللغة التى يفهمها الطغاة فى كل مكان .. القتال ..

وهذه القصة التى كتبها مؤلفها فى ١٧ اغسطس ١٩٦١ لو تأخرت عن موعدها عاما واحدا لاكتمل معنى الرمز فى الاشعة السبعة « ذلك ان حرب التحرير الجزائرية كما هو معروف قد استمرت مايقرب من سبع سنوات .

وقصة منتصف النهار « تدور احداثها فى مدينة بنزرت وقت الاعتداء الفرنسى عليها « حميده » شاب تونسى متزوج من فرنسية « كاترين » ويبين من سياق القصة انه عاد الى منزله فوجده خرابا ولم يجد زوجته الفرنسية ووقر فى ذهنه انها هربت حتى لا يلحقها العار ان وجدها أبناء عمها فى دار تونسية .. ولكنالقصة تبدأ هكذا من قمةالحدث:

(لن تعود الى هذا البيت ولن اسمح لها بالعودة اليه ، سأعيد بناءه من الاساس واجعل بابه شرقيا هى التى ارادت فى الماضى ان يكون الباب غربيا فى اتجاه البحر ولكن فى هذه المرة لن يتجه باب بيت أسكنه الى الغرب ..)

وهذا القرارالحاسم يمثل التحولالذى طرأ على تفكير كثير من الشباب العربى فى شمال افريقيا بعد معركة بنزرت ... فقدان الثقة فى فرنسا والكفر

بصداقتها والتحول نحو الامة العربية فى المشرق . ويقول لنفسه .

ويستعيد حميده ذكرياته فيرى نفسه شابا رقيق الحال يهاجر الى فرنسا حيث يعمل سنوات فى مرسيليا وليون وباريس وغيرها من المدن الفرنسية ويعود الى تونس سنة ١٩٥٢ ليشارك فى تحرير وطنه وما ان تنتهى الثورة حتى يتخذ بنزرت مقرا له ويقيم فيها منزلا ويتزوج كاترين وما ان يصل به التفكير الى كاترين حتى يغلى الدم فى عروقه ويقول لنفسه :

(عدت من الغربة لاعيش غريبا .. باللغباوة لو تزوجت تونسية لوجدتها هنا ميتة .. ولكنت الآن ابكى عليها بكاء له معناه وله قيمته ولو كان مرا ولكننى عدت من الغربة لاعيش فى الغربة اليس الزواج باجنبية غربة) .

ويتجول حميده بين الحطام وهو غاضب ثائر وعند الباب يتوقف فجاة ليرى معصما مخضبا بالدم تحت الردم معصم كاترين ، وكانت وقتها الساعة تدق الثانية عشرة منتصف النهار .. وليأذن لى السيد المؤلف ان اقول اننى عجبت اشد العجب للنهاية التى ارادها لقصته هذه ..

فهذه المجموعة القصصية تتسم بروح المقاومة ضد الفرنسيين فى الجزائر او تونس وكانت مقدمات القصة تتفق مع هذه الروح .. كراهية للمستعمر وندم على الزواج من اجنبية .. وعزم وتصميم على ان يعيد المواطن التونسى بناء حياته على اساس جديد الاتجاه الى ابناء عمومته فى المشرق وقطع الصلة بالدولة الباغية .. فجاءت الخاتمة وقلبت هذه المفاهيم راسا على عقب واظهرت الزوجة الفرنسية بمظهر الانسانة المظلومة التى قضت نحبها وهى فى رحاب المنزل ــ الذى ارتضته مثالها .

ولا ادرى هل اراد المؤلف بذلك ان يستدر عطف القارىء على الزوجات الاجنبيات ام انها الحبكة القصصية التى الحت عليه فى ابراز مفاجاة فى السطور الاخيرة للقصة ؟

ومن القصص التى تدور حول معركة بنزرت قصة «البطل» التى جاءت فى ختام المجموعة والبطل هنا جندى تونسى وقف فى عمارة قريبة من مقر الولاية فى بنزرت يدافع عن شرف امته والمدينة غارقة فى اللهب من اقصاها الى اقصاها ويصف المؤلف شعور الجندى وهو فى موقف الدفاع هذا باسلوب حماسى يستغرق معظم صفحات القصة . وفى اللحظات الاخيرة قبيل وقف اطلاق النار يشاهد الجندى فى النهج اسفله طفلا وشيخا وامراة يركضون وصرخات الفزع تجلجل فى افواههم وكان فى نهاية النهج احد جنود المظلات الفرنسيين يسدد مدفعه الرشاش نحو الهاربين فصوب الجندى التونسى بندقيته اليه وارداه قتيلا قبل ان يطلق النار من مدفعه .. ولكن البطل يسقط بدوره شهيدا برصاصة غدر وهو يهتف «الآن ان مت امت حرا» .

ويختم المؤلف قصته والمجموعة كلها بهذه الفقرة « هكذا كانت نهاية هذا البطل العظيم تحدثت عنه الصحف والاذاعات وشاهده عدد من مراسلى الاذاعات والصحافة الاجانب ولكن واحدا لم يعرف اسمه ولم يذكر من هو » .

من هو ؟ هل هو فى حاجة الى تعريف اكثر من هذا .. انه جندى انه تونسى حر انه بطل) وقد رايت ان اعرض هذه القصة من باب الامانة حتى يقف القارىء على مستويات الكتاب المختلفة فلولا شخصيات الطفل والشيخ والمراة التى ظهرت فجاة قبيل نهاية القصة وتضحية الجندى التونسى لانقاذهم من براثن جنود المظلات لما امكن القول ان قصة البطل « هذه تتضمن اى عنصر من عناصر او مقومات القصة بمفهومها الحديث فقد انزلق المؤلف فى ختام كتابه الى ما استطاع تجنبه فى قصصه الاولى وهو الاسلوب الخطابى الحماسى الذى يصلح للموضوعات الانشائية اكثر مما يصلح للقصة وقد طغى هذا الاسلوب على سياق القصة فجاءت فى مجموعها بمثابة « خطبة » او « تقرير » عن موقعة او معركة .. وكان المؤلف يستطيع بقليل من الجهد ان يبرز من خلال جو المعركة بعض المواقف والعلاقات الانسانية وينسج من هذه المواقف والعلاقات قصة وطنية جيدة الاسلوب متكاملة البناء ..

والكتاب فى مجموعه بعد ــ لاشك ــ خطوة هامة وعزيزة على الدرب الطويل درب القصة العربية الحديثة التى بزغ فجرها فى شمال افريقيا مع ازيز الرصاص وقصف المدافع واخذت تتوطد دعائمها مع مطلع الاستقلال .

فوزى عبد القادر الميلادى

شعرُ القلبِ عند فرحات

للأستاذ وديع فلسطين

من وراء الاوقيانوس المحيط ذاعت شهرة الياس فرحات بوصفه صناجة العرب . يجلجل بشعره فى الجليل من المواقف القومية ويضرب على أوتار قريضه نغمات النذير والتحذير ، فهو شاعر القوم ولسانهم الجهير فى مهجره القصى وموطنه الام .

وارتسمت فى الاذهان صورة جد صارمة لهذا الاديب الشاعر المهجري الكبير الذى انقبضت اسارير وجهه وارتفعت هامته فوق الناس، يعتلى أعواد المنابر فلا ينشدهم الا شعر الخطوب ولا يلقى فى اسماعهم الا شعر الساعة ، فهو ابن العروبة البكر ، ورسولها المجلى وصوتها المدوى فى الآفاق .

ولقد طالما حسبت الياس فرحات رجلا ذا جهامة وكدر ، اذا تكلم ففى رزانة ، واذا تغنى ففى حماسة، رجلا لا ينفعل الا للحرب ! ولا ينبعث الا الى الجهاد ، ولا ينطلق الا فى طريق الكر دون الفر ، رجلا بلاقلب ولا عاطفة ، يتجهم فى وجه الزمن ، وينصرف عن مجالس السمر ومنتدياته . فهو مشغول الذهن بهموم أمته ، زاهد فى كل ليلى ولبنى وهند ودعد واترابهن .

بيد أن هذا التمثال المنتصب الجامد الملامح سرعان ما لان ، وهذا الوجه المكمد المربد ما لبث أن أشرق ، وهذه الرزانة « البروتوكولية » ما انفكت أن زايلته بعدما أنس الى حديثى المرسل معه ، فعرفت فيه ، وبالدهشتى ، شاعرا وجدانيا بارع اللفتات مرهف النبضات يترك لغة الخطابة الى لغة العشق والهوى ، ويقول شعرا يطويه دهرا فى « هنـد » ، هند التى ابهجت أيامه وحولت صحراءه الى واحة وجددت فكره وحسه ، هنـد ذات الملاحة والذكاء التى ذاب تدلها فيها وتعشقا لدنياها ، هند التى غناها لا قصيدة واحدة بل ديوانا برأسه ما زال طى الكتمان .

وكان لا بد من استدراج اليـاس فرحات ليزيل الحجب الكثيفة التى طالما لفت قلبه ، لنرى الشاعر على حقيقته فى انسانيته وضعفه بعد أن رأيناه فى عنجهيتـه وجبروته ، ولنعرف من اقاصيص قلبه ما ترسبت عليه أتربة الذكريات فكادت تمحوها وتطمرها ، ولنتأمل حظ الشاعر من التوفيق فى شعر القلب بعدما عرفنا حظه من الامتياز فى شعر الخطوب والنوب والحماسة .

وكان ان تلقيت نماذج من هذا الشعر الراقص المطرب الذى فاضت به عاطفة فرحات فى زمان الصبا ، فصفى به حسابه مع تجارب الشباب ، وسجل فى خطراته اشواق قلبه وأعراس عاطفته ومباهج أيامه .

فمن قصيدة له عنوانها « الشيب كذاب » قوله :

يا هنـد يا بهجة أيامى ... يا كوثر الحب
يا نفحة من غوطة الشام ... هبت على قلبى
يا جنة يسرى مع السارى ... من زهرها عطر
لونت بالآمال افكارى ... فاخضوضر القفر
حولت صحرائى الى واحه ... وارقة الظل
أطيارها بالشعر صداحه ... سكرى من الطل
جددت تفكيرى واحساسى ... والروح والجسم
حتى لأمشى رافعا رأسى ... للنجم أو أسمى
فى مهجتى نار وفى قلبى ... حب يضاهيها
ما قيمة الاعوام للصب ... ما شأنه فيها ؟
ما فى هيامى فيك من عيب ... ضل الألى عابوا
قد قدروا سنى على شيبى ... والشيب كذاب

ومن قصيدة نظمها فى عينى « هند » قوله :

لعينيك ما ألقى من الهم والأسى
وصبرى على شوك ونومى على جمر
ويفديك قلب مستهام ومهجة
يذيبهما حر الصبابة فى صدرى
تظلين فى عينى أندى من الندى
وان كنت بعض الوقت أقسى من الصخر
ألا فاصنعى بى ما تشائين اننى
وهبتك يا هند البقية من عمرى

ونام الشاعر ليالى مسهدة طوالا ، وليل العاشقين طويل ، فخاطب هندا قائلا :

يا هند هذا الليل طال على الذى
اقصته كف البين عن ناديك
نام الجميع ولم أزل متقلبا
فوق الفراش جوى أفكر فيك

والله لا أبغى الرقـــاد تنعمـــا
او راحة للخـــافق المنهـــوك
لكن عساى أرى خيالك فى الكرى
وعساى أسمع لفظة من فيك

ومن قصيدة طويلة اطلق عليها عنوان « شريط سينمائى » قال :

يا هند يا قيثارة الحب
يا أقرب الناس الى قلبى
يا بسمة فى ثغر نيسان
يهدى سناها كل حيران
يا قطرة الطل على الورد
يلمحها السارى فيستهدى
واحيرتى ماذا أسميك
كل الملاحات التقت فيك

***

الليلة القمراء والفجر
والواحة الخضراء والنهر
والبلبل الصداح والطل
والنرجس الفواح والفل
والفن من شعر والحان
والروض فى عطر والوان
ما حار مثل شاعر صب
فى وصف ما أبدعه الحب

ومن قصيدة ملحمية عنوانها « حديث شبابى » قال :

سقى الله أيام الشباب فانها
اذا ذكرت أعمارنا كانت العمرا
عرفنا بها لب الحياة ولم نعش
الى يومنا الا لكى نعرف القشرا
يعود ربيع الدهر فى العام مرة
ولكن ربيعى لن يعود وقد مرا

الى ان يقول :

تمنيت أيام الشباب لاننى
تذكرت هندا والبشاشة والطهرا
ولو رجعت يا هند دونك عفتها
واشبعتها شتما واوسعتها هجرا
فان شبابا لست فيه رفيقة
لصبك أحلى منه شيخوخة عسرى

على أن العاشق لم يكن ممهد السبيل الى أثيرة قلبه ولا الى غازيات لبه . فشأنه فى هذا شأن المحبين جميعا ، يذوقون ألوان الجوى وصنوف الحرقة ، ومع هذا يغلون فى العشق وينفلتون مع تياره الجارف مستعذبين فى سبيله كل صعب . وعذا الياس فرحات ، لا تستثنيه الحياة من ناموسها فى الشقاء، فحتم عليه أن يركب متون المخاطر ليبلغ مأرب قلبه ومرسى عاطفته . وقد أجاد الشاعر تصوير شقوته، حين قال فى احدى ترانيمه :

الحب ، يا ويلى من الحب
كم فيه من مستسهل صعب
ساعاتنا الزهراء يا هند
مرت ولم نشف الجوى بعد
لم نفرغ الكأس التى رحنا
نمتصها مذ بالهوى بحنا
هذا لهيب الشوق فى صدرى
ما زال يشتد ويستشرى
لى فيك آلام وآمال
ان الهوى العذرى قتال
آليت أن اكتم أوجاعى
حتى ولو فاجاك الناعى
أشقى وما ألتمس السعدا
كى لا تقولى : أخلف الوعدا

ثم ان الشاعر المستهام لا يريد أن يلقى السلاح فى معركته الازلية مع حواء ، فالحرب سجال ، والقتلى كثيرون ، ولكن عاطفته أقوى من المخاطر ، وسلاحه أمضى من أن يوسده القراب . وما جنون الحب بمنفر من الحب ، وكل الشعراء مجانين ليلى وأخواتها ولا لوم عليهم ولاتثريب . وهذا الياس فرحات يقول فى قصيدة عنوانها « أنت مجنون » :

أيذنب صب مذ تفرحيل بينه
وبين التى يهوى اذا قلبه جنا ؟
ورثنا تباريح الهوى عن جدودنا
فما بيننا والقيد لا ينثنى عنا
معارك حب بوشرت منذ آدم
فلا نحن ألقينا السلاح ولا هنا
وانى وهندا شأننا شأن غيرنا
ينفذ كل ما له جنسه سنا
فتعشق منى الشعر والخلق والحجى
وأعشق منها الحسن والفهم والغنا

فماذا رأت غير الصبابة والوفا
لتزعم هند أن صاحبها جنا ؟
وماذا رأت منا ـ رعى الله عهدها
سوى الحب والاخلاص؟ ماذا رأت منا

ويحتمل الشاعر المدنف تباريح الهوى حتى آخر الشوط ، وهو في هذا صادق مع سليقته مؤتم بسنة الحياة، راض بانفطار المهجة وتوزع العقل والصواب. بل انه لينفعل في غيظ وحنق حين تتكسر سهامه فلا تصيب هدفا ولا تستقر بمقتل . وما أتعسه في مغامرته التي أبدع تصويرها بعنوان « أأنت حبيبتي » فقال :

ترى من في الانام يزيل ذل
بحب مليحة جهلت محلي ؟
تطل على ضحوة كل يوم
بقامة بانة وعبير فل
وتذهب بي الى احدى الضواحي
ولا أرب لها غير التسلي
رضيت بكل أمر ترتضيه
فأغراها رضاي بشد غلي
الـــور على من المنى لأني
أقصر في الهوى وأنا المجلي
فذل العبد في قلبي مقيم
وفي نفسي اباء المستقل

***

فياشمس الغرام أضاع رشدي
ظلام الروح في البرد المعل
اذا لم يأت منك سنى ودفء
فما يجدي المعذب أن تطل
فؤادي حار فيك وحار فكري
وحارت مقلتاي وحار كلي
سألتك قبلة فمنحت صدا
وملت علي بالوعظ الممل
كؤوس الحب من خمر وخل
أمامي في كؤوسك غير خل
يولي العمر في أخنة ورد
فوالهفي على العمر المولي !

وهكذا وهكذا تدور على الياس فرحات كأس الهوى فلا يعافها ولا يستعلي عليها ، وانما هو يقبل عليها كشاعر بشر ، تتأجج في صدره عواطف الشباب ، وتعتلج في فؤاده مشاعر الحب وتذوب نفسه حرقة في بوتقة الحنين . ولئن كان قد طوى هذا الشعر في أوانه ، يوم كان الشباب مشتعلا والعاطفة فوارة والقلب دفاق بالاشواق ، فلا حرج عليه اذا طالع به الناس بعد أن قطع السبعين من عمره المديد ، واذا بعث هذا الشعر الغني بحلاوة موسيقاه ، المترف بأوصافه الجميلة ، العذب بمعانيه القريبة المأتى ، السخي في صوره الطبيعية الخلابة ؛ الصادق في التعبير ، الساذج في الفرحة . انه شعر منبعث من قلب انساني رقيق تعاورته النوب وتناوشته التجاريب فاهتز كما تهتز القلوب الشديدة الحس ، وعاش في فرح ومرح آنا وفي حزن وترح آنا ، فلا هو بالحب كافر ؛ ولا الحب مدبر عنه .

ولا بأس علينا ، وقد كشفنا هذه الناحية المجهولة من تراث فرحات الشعري ، أن نحشره في زمرة العشاق وفي منتدى المجانين . فعالمه جنة للغرام ـ على حد قوله ـ وحرام أن ننكر عليه هذا الملك . أفليس هو القائل :

عالمي جنة اذا سرت فيها
صار فيها التراب مسكا وندا
جنة للغرام تنشد فيها
الطير لحن الخلود خطفا ومدا
تكتسي أرضها اذا هزت
الريح الأماليد ياسمينا وردا
والأزاهير تكسب الطل لونا
مستحبا من لونها مستمدا
فهو در وعسجد وعقيق
فوقها ، آه لو تنظم عقدا
لتقدمت ، غير وان ، الى من
هي أسمى منه وأسنى وأندى
ربة الحسن والذكاء ومن تقطر
ألفاظها رحيقا وشهدا
قائلا هذه نجوم من الشمس
الى أختها الصغيرة تهدى
فاقبليها فهي التي صاغها الفجر
نجمات بلطفها لك تندا
واعذريني مقصرا فأنا أملك
قلبا ولست أملك نقدا

وديع فلسطين

أنا أحيا..

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

أنا أحيا حينما أشعر أنى ... مثل عصفور يغنى فوق غصن
أو على شط غدير لم يزل ... بين همس ، وغناء ، وتثن
ماؤه ينساب نورا صافيا ... ينهل الاشراق من جنات عدن
ماؤه ينساب لحنا شاديا ... كانسياب الفجر فى الروض الأغن
انه يشدو بقلب هانىء ... لم يلق يأسا ، ولم يشعر بحزن
ليله قرب وحب دافىء ... والنهار الطلق شوق وتمن
ان أردت السكون روضا يانعا ... فاحى فى الدنيا كعصفور يغنى

***

واذا أبصرت طفلا باكيا ... بدموع أو بلا دمع أراه
ينزوى متكمشا فى ذلة ... بينما ينساب فى اللهو سواه
وأراه عاريا فى ثوبه ... وثياب الفقر لا تكسو العراه
فتمثلت وقد أبصرته ... صورة ابنى لو طوى الموت أباه
فبكى قلبى لمرآه كما ... رق للأسوان من ذاق أساه
وطويت البؤس عنه مثلما ... ينطوى الليل اذا الفجر طواه
حينما أفعل هذا مشفقا ... أن يرى الحزن فؤادى وأراه
فأنا أحيا لأنى شاعر ... يذرف الدمع لآلام الحياه

***

واذا أبصرت طفلا ضاحكا ... بين أتراب كأمثال البدور
يرتوى من عالم عذب الرؤى ... رائع البهجة ، نشوان السرور
قلبه عطر ونور ، مثلما ... صيغت الازهار من عطر ونور
لو تراه قلت عصفور الربا ... يسكب الالحان فى قلب الزهور
أو فراش الحقل يمضى طائرا ... ومع النور اذا دار يدور
فتمثلت وقد أبصرته ... صورة ابنى وهو فياض الحبور
واذا قلبى يغنى بلبلا ... شاقه للشدو تغريد الطيور
فأنا أحيا لأنى شاعر ... ينتشى من بسمة الطفل الصغير

***

واذا أبصرت شعبا ثائرا ... مثل شعبى فى عمان والجزائر
يبتغى حرية من أجلها ... يركب الاهوال فى أرض المخاطر
ويرى العزم سلاحا باترا ... حينما يلقى سلاحا غير باتر
فتقدمت اليه ثائرا ... مثله فى وجه تجار المجازر
ومضينا فى كفاح رائع ... يصمد الاحرار فيه والحرائر
لم أفكر فى مصيرى ، لم أره ... غير أن تهتف بالنصر البشائر
حينما أفعل هذا فأرى ... أرضنا الحرة تكسوها المفاخر
فأنا أحيا لأنى ثائر ... يستمد العون منه كل ثائر

واذا كنت وحيدا في المساء   ورؤى الظلماء تسرى في الفضاء
وسكون الليل شعر رائع   مستتر في قلوب الشعراء
كل ما حولى ظلام ، موجة   سابح ما بين غيب وخفاء
فاذا نور بقلبي ينجلي   مثلما تشرق انوار السماء
هو فيض من ضياء الله ، ثم   نهلت منه قلوب الانبياء
وارتوى العشاق منه مثلما   يرتوى من منهل طير ظماء
حينما يبلغ قلبي ما اشتهى   من وصول ، وامتزاج وفناء
فانا احيا لانى مؤمن   ينهل الاشراق من نبع الضياء

***

واذا رانت على قلبي الذنوب   مثلما رانت على عمرى الخطوب
وذنوبي ليس يدرى سرها   ومداها غير علام الغيوب
فرأيت القلب يبكى ندما   وهو في ادمعه الحرى يذوب
يرفع التوبة من اعماقه   للذى يعلم أسرار القلوب
ورأيت الروح يمضى عابرا   ظلمة الليل الى الفجر القريب
علـه يلقى لدى أنواره   عشه الحانى ، ومثواه الحبيب
حينما يذرف قلبي دمعه   ويعود الروح للنور الرطيب
فانا أحيا لانى مذنب   يذكر الله فيبكى ويتوب

***

هكذا احيا على أرض البشر   كالربيع السمح فياض الثمر
قلبى الحانى ـ وما أكرمه   يبذر الحب ، فيجنى مابذر
انا لا أحيا لنفسى وحدها   ان يعش غيرى اناني الأثر
لو رنا البدر الى دنياه ما   اشرق البدر على دنيا البشر
اترى الزهرة فى صحرائها   تقطع العمر هباء وهدر
انها تحيا لطير يرتجى   عندها الراحة من طول السفر
ونسيم منحته عطرها   فمضى يمنحه انى عبر
ولقد تظما فى صحرائها   فيوافيها ويرويها المطر
فاذا غاب واضناها الصدى   فمن الأنداء ما يروى الزهر
حينما احيا كبدر ساطع   سلسل النور الينا فانحدر
او كازهار الروابى ، عطرها   ان نأت عنا ، قريب منتظر
فانا احيا لانى موجة   عانقت فى البحر موجات اخر

ابراهيم محمد نجا

الفنّ فى مجتمع العراق العشائرى

للدكتور مصطفى حسنين

(١)

الفن تعبير وانتاج ، ولا يمكن الحكم فى يسر على الفن من حيث قيمته الا بعد ان يتم انتاجه فى مادة . ولست اريد ان ادخل فى مناقشة المعايير التى يوزن بها الفن ، ولكن كل ما اريد اجلاءه هو ان الفن — اى فن — لا يمكن الا ان يكون تعبيرا عن انفعال معين ، وان يتخذ هذا التعبير درجة من الصدق ، وان يوضع التعبير ويتجلى فى قالب مادى محسوس ينقل به الفنان انفعاله الى حواس الناس المختلفة فيدركونه عن طريق الأذن فى موسيقى او كلمة مسموعة ، او عن طريق العين فى قالب كلمات مسطورة تنقل انفعالا فى شكل شعر او نثر من قصة او مسرحية او فى قالببحركة جسدية معبرة كالرقص او فى قالب مادة منحوتة — ايا كانت هذه المادة — الى آخر الوان الفنون المختلفة . ولا يمكن ان يخلو مجتمع بشرى — لافراده انفعالاتومشاعر مختلفة — من الفن اى من وسائل التعبير عن هذه الانفعالات والمشاعر .

والمجتمع العشائرى بالعراق : فى البادية والريف — كاى مجتمع آخر — فيه من وسائل التعبير الوان فنية — اذن يجب ان يكون له نصيب من دراستنا . واذا كنت قد عرفت الفن بأنه تعبير من انفعال ، وانه — بعد ذلك انتاج محسوس ينقل هذا التعبير ، فلابد اذن من وسيلة او اداة يتخذها الفنان ليعبر بها ، وتكون هذه الاداة هى واسطته فى التعبير عن انفعالاته ونقلها الى احساسات الاخرين والواقع ان دراسة الفن فى مجتمع ما هى الا دراسة لهذه الوسائط والأدوات التى يتخذها الفنانون فى هذا المجتمع للتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم . فما هى اذن ادوات الفنان فى العشيرة ووسائله فى التعبير ؟ هذا هو ما اريد تحديده هنا ، والذى لاريب فيه ان الذى يحدد أدوات الفنان هى بيئته : منطبيعة ونابس . والناس ، اى اولئكم الذين ينقل اليهم الفنان مشاعره ، عنصر هام يجب ان يراعى اذا ما اراد الفنان ان يأمن مشاركتهم له ، فمن العبث ان يكتب الفنان شعرا او قصة او مسرحية — مثلا — ويدفعها لأشخاص لا يعرفون القراءة من حوله كى يفهموه ففى المجتمع الذى تسود فيه الأمية لا تكون للكلمة المكتوبة من اثر فى مشاعر الناس الا اذا تليت عليهم ووصلت الى اسماعهم ، وفهموها ، كى ينفعلوا بها . ولكى يفهموها يجب ان يستعمل الشاعر او القصاص كلمات معروفة فى مجتمع الناس الذين ينتج فنه بينهم والا تعطلت وسيلة النقل الى مشاعرهم ، وانعدم هدف الفن الرئيسي فى تحريك مشاعرهم بانفعاله .

ولما كانت الأمية متفشية فى المجتمع العشائرى فى العراق بصورة كبيرة ، حتى تكاد تكون هى الأصل والاستثناء هو معرفة القراءة والكتابة فحسب ، فان الكلمة المقروءة اذن لا مكان لها كاداة للفنون عند عشائر العراق ، وانما تعد الكلمة المسموعة هى اداة الفن الرئيسية هناك وهذه الكلمة المسموعة — مشتقة دائما من ذلك المجتمع البسيط الذى يعيش فيه رجل العشيرة فى العراق .

ومعارف البدوى — تلك المعارف التى يعبر عنها فنان العشيرة — محدودة بالبيئة التى يعيش فيها كما قلنا ، ولهذا كان منالضرورى هنا انتحدد معارفه التى يشتق منها صياغاته الفنية . والبدوى يميل الى معرفة الأمور حوله عن طريق الحس ، فلا يميل الى التخيلات والتصورات والاوهام ، ومن ثم فان مجموع معارفه تدور حول المحسوسات حوله ، من معالم جغرافية ، ومن اسماء النجوم والشمس واوجه القمر وللنجوم اهمية كبرى فى حياته ، اذ يهتدى بها خلال ظعنه فى الصحراء ، ومن اوجه القمر يعرف مدى تقدم الأيام ، وان جهل فى اكثر الأحيان تاريخ اليوم على التحديد ، كما انه يعرف من مكان الشمس فى السماء الوقت خلال النهار ، وان كانت معرفته تلك ايضا غير دقيقة ، كما انه يتعلم اسماء السحب ويعرف ايضا اسماء الرياح ومن اين تأتى ، ومجموع ما ينبت فى باديته من اعشاب ونباتات وما يعيش فى ربوعها من حيوانات ، وينبغ بعضهم فى تقفى آثار اقدام الناس والحيوانات فى الرمال ، واما المقاييس والمكاييل فلا تهم البدوى العادى كثيرا ، واما مسافاتالطريق فانه يحددها بالمعالم التى يمضى

خلالها عبره ، أو بعدد صلواته التى يؤديها خلاله ، واما الابعاد فهى على مرمى الحجارة او العصا .

والبدوى يميل الى الرمز ، وهو دائما يهدف الى اختراعه ، فاذا ما استعان بنموذج أنشأ شكلا جديدا شكلا مجردا بعيدا عن الشكل البشرى ، لا يخضع للقوانين المألوفة ، ولعل هذا التفسير يغنينا عن فهم معنى تلك الرسوم التى يبتدعها البدوى حينما يبتكر صورا من « الوسم » التى يسم بها حيواناته ، كما يرسمها على الآبار والاحجار التى يمتلكهـــــا . وقد لاحظ « هنرى فيلد » ان الرسوم التى خططها العرب فى الصحراء العربية كانت خطوطا بغـير هدف فى رأيه كما لاحظ ان الرسوم التى جمعها تبدو احيانا رسوما لحيوانات او اشياء موجودة .

ويقرر ان الفن البـدوى ليس فنـــــا مصورا للانسان وهو يناقض الفكرة الفنية التى اخذت بها ثقافات البيوت ، فلا يقتبس وحداته الفنيـة الا عن الحيوان . ونلاحظ ايضا انه فى تخطيطه لا يلتزم قواعد زخرفية معينة ، وان كنا نراه يلتزمها بشـــكل أولى عندما يرسم الوشم على الايدى او الاقدام .

ولست اظن ان البدوى — لم يجعل من القاعدة المعروفة فى الفن الاسلامى — فى تحريم رسم اشكال آدمية كاملة — قاعدة احترزها وهو يخطط رسومه ، ولكن رسومه وان بدت عشوائية — الا انها كرسوم الأطفال فى المراحل الأولى تحمل معـــــانى ورموزا يرونها بعين الخيـــال ماثلة امامهم ، وهو يعنى الرمز حتى ولو رسم شكلا مفهوما . وقد ضرب هنرى فيلد مثلا بذلك فكرة رسم اليد التى نراهم يرسمونها احيانا فان رسمها يصدر عن فكرة « الخمسة » او « ضد الحسد » او اية وظيفة اخرى لليد ، ويمكن أن تتحول هذه العلامات بعـد ذلك الى معان اخرى كالاشارة الى الاعداء او الحرب ومن العلامات التى رسمها رجل العشيرة فى العراق ، وكان لها معناها الرمزى الهام عنده ، ما خططه على الأعلام التى استعملوها . فهى شارة على العشيرة وتدل عليها . فمثلا عشائر آل زياد فى لواء الديوانية أعلامهم بيضـــــاء او فى الوســـط هلال احمر او كوكب احمر ، او هلال وفى وسط الهـلال كوكب او كوكبان ، واعلام آل فتلـــة معظمها احمر مثبت فى وســـطه هلال منعطف الى الامام ومحتضـن كوكبا مسبعا . وهذه الاعلام بشتى انواعها غير محرمة على بقية العشائر وهـــذا يزيل اهمية الرمز فى الرسم الموجود فى العلم بلا ريب . ولعل مرد هذا هو انه لا يكاد يكون هنـــــك تلازم اقليمى بين العشيرة والعلم ، ممـــا يتولد منه معنى الوطنية المرتبطة بفكرة الاعلام عند الدول .

ولم يكن للشعوب البدوية بطبيعة الحـــــال فن معمارى ، فلم يكن الفنان البدوى يواجه مشكلة اقامة مسكن مستقر متين البنيان ، وكانت الحيـــاة تضطره الى الانتقال من مكان الى آخر بخفة وبغير مشقة ، فكان لا يستطيع ان يحمل من الامتعة ما يرهقه وما يصعب نقله . والملاحظ ان فن المعمـــار لا وجود له تقريبا عند عشـــــائر العراق — ليس فى البـــادية فحسب — بل فى الريف أيضا .

كما نلاحظ ان الفنان البدوى لا يحاول ان يفرض ارادته او قانونه الانسانى على المادة التى يستخدمها بل هو على النقيض يحاول فى غاية التواضـــع ان يزيح الستار عن روح المادة وعن القانون الكامن فى هذه المادة بطبيعتها ، فهو يطلق هذه القوى الكامنة ويعمل على ابراز هــــذه القوانين الخفية ، فيظل الخشب ان استعمل الخشب — بعد استعمـــــاله خشبا او يصبح اكثر خشبا مما كان . وربما انكرت العين التى تعودت رؤية آثار الثقـــافات الرفيعة — لأول وهلة — هذه الأشياء ذات المظهر البسيط المعتدل ، اذ لا تجد تلك اللمسة الانسانية . غير ان بصيرة اكثر نفاذا واقوى حساسية لابد ان تدرك هذه الصفة القوية التى يتميز بها كل فن صحيح اصيل . وحينئذ ترى فنا ليس له اسلوبه الجمـــالى فحسب بل له ايضا اسطوريته بكل معنى الكلمة .

والواقع : ان كل ما استطاع البـدوى ، او رجل العشيرة بصورة عامة ، التعبير عنه من معنى — باســـتعمال يده — هى تلك الخطوط الرمزية التى رسمها عندما صـــور خطط الوسم او الوشم . واما الكلمة ، تلك الاداة التى تعد فى مقدمة أدوات التعبير فى المجتمعات المتحضرة اليوم والتى تعلمت القراءة والكتابة ، فليس لها مكان على الاطلاق فى مجتمع العشائر العراقية التى تسوده الامية كمـــا قلنا ، ولكن الكلمة المسموعة لها مكانها الأكبر عنـدهم ،

بالاذن حاسة هامة ، والكلمة المسموعة فى فنونهم تنغم ، وتوزن ، فتنتهى الى صياغة تراث ضخم من الشعر بألوانه المختلفة كما سنرى . ولهذا النوع من الفنون خطره واهميته فى البادية والريف العراقى على السواء . كما انهم يلجأون ايضا الى الموسيقى وحدها كاداة للطرب ، او مصحوبة بالكلمات المنغمة تينشا الغناء .

ولغة البدو العامية الحاضرة يمكن ان تعتبر لهجة خاصة بهم ، يتفاهمون بها ، والفاظها بوجه عام عربية فصيحة مع تصحيف او تحريف فيها . غير ان فيها الفاظا لا يعرف تاريخ استعمالها . والذى لا ريب فيه هو ان لهجة رجل العشيرة فى العراق قد تأثرت تأثرا كبيرا بعاملين :

أولهما : عامل القرب او البعد من المدينة والحضر ، او الاختلاط وعدم الاختلاط بسكان المدن ، وسكان المدن خليط من اجناس مختلفة ، وعامتهم ابعد عن الفصحى من عامة البدو ، فيأخذون منهم الفاظهم الغريبة ، وتظل لغة الضاربين فى الصحراء انقى من لغة الذين يتركونها ويتصلون بالمدينة والحضر .

والعامل الثانى : وهو مدى ما اتاحه تاريخ العشيرة من الاختلاط بغير العرب من الاجانب الذين دخلوا العراق . ويذكر الاستاذ محمد رضا الشبيبى عضو مجمع اللغة العربية فى العراق أن اشياء كثيرة قد تغيرت فى عصر الانقلاب المغولى . وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتأثر فى الانقلاب المذكور نصيبا موفورا ، فقد تسرب اليها كثير من المفردات والمركبات والمواد والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية ، بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية ، وغيرها من اللغات ، وقد ولدت فى هذا العصر لهجة جديدة او غريبة فى العراق ، وهى اللهجة الشائعة الآن على السنة العراقيين او شبيهة بها .

ويقول : « **ومن ذلك يستفاد ان لهجتنا الشائعة اليوم ، او لهجة جمهور العراقيين المحلية الآن ، كانت دائرة على السنة اسلافهم القدماء نحوا من سبعمائة سنة » وقد قسم اللهجة العراقية الى اقسام :**

(١) الفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية ، التى عرفت فى العراق بعد استيلاء المغول على البلاد .

(٢) الفاظ عربية مولدة ، استعملت فى موارد لم يرد عن العرب استعمالهم لها فيها .

والعشائر العراقية جزء كبير من جمهور العراقيين هم قد تأثروا ولا ريب بكل ما أثر فى اللهجة العراقية من عوامل اجنبية دخيلة ، ونلاحظ ان هذا الأثر مستمر حتى اليوم ، وقد ادخل الاحتلال التركى للعراق كلمات تركية عديدة الى اللغة المستعملة فى العراق . ويتفاوت التأثير الاجنبى حسب اختلاط العشائر بأجانب لهم لغاتهم غير العربية ، فان العشائر القريبة من حدود تركيا كعشائر شمر ، نجد فى لغتهم كلمات ذات اصل تركى اكثر من غيرها من العشائر ، والعشائر القريبة من حدود ايران كالمزة مثلا ، نجد فى لغتهم كلمات فارسية أكثر من غيرهم كما أن كلمات انجليزية كثيرة قد دخلت لغة العشائر ، وخصوصا تلك التى تعيش بالقرب من مناطق كان يسكنها الانجليز كأكثر العشائر الساكنة بالقرب من بغداد او الموصل او البصرة . ورجل العشيرة اذا ما اضطر الى استعمال كلمة اجنبية فى محاولته تفهم الحياة الجديدة من حوله يأخذ الكلمات الافرنجية مثلا ويصوغها صياغة عربية او شبه عربية ، وتصبح لغته بالتدريج فى حياته الجديدة مزيجا غريبا من الكلمات العربية والكلمات الانجليزية ، فهو يقول : الكالاس (بالجيم الفارسية) قاصدا الكوب ، والبايسكل ، قاصدا الدراجة ... الخ .. كما ان العشائر التى تجاور الاكراد فى العراق وتختلط بهم ، كثيرا ما يستعملون كلمات كردية كثيرة ، بل ان منهم من يتكلم الكردية اصلا ويتقنها اكثر مما يتقن العربية على رغم اصله العربى .

وسوف اتناول بعد ذلك بالبحث اهم فنون العشائر العراقية وهى الشعر والغناء والرقص ..

الدكتور مصطفى محمد حسنين

شهد وعلقم

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

في عودة الرسالة الزهراء استعادة الادب الرفيع البعيد عن ضحولة الفكر وسوقية الاداء ، وسذاجة السطحية ، وركة التعبير ·

نقول هذا في غير تحرج ، لان هناك من لاقدرة لهم على الصعود الى مصعدها ، ويدعون انها متمسكة «بالقديم»والحياة قد تغيرت، حاسبين أن «اللغة» لاتحيا الا في نطاق الارتجال في التعبير ، والتصوير والضآلة القميئة في تفاهة المحصول اللغوى حتى تغلبت لغة «الصحافة» على لغة الادب ·

هذه السطور تنفيس عما في النفس وقد ضاقت بالادعاء، وتغيظت بدعوى «الأستذة» مندون مقوماتها

والنقد الادبي لم يعد ذا أصالة في التناول ، والفهم والالمام ، والاصالة التي نعنيها هي الجامعة بين «سلامة الطبع» ، و «سعة المعرفة» ·

لقد حمل الى البريد مختارات شعرية ونثرية في الادب ، والنقد ، والفكاهة ، والاجتماع من آثار أديب فلسطين الكبير المرحوم «ابراهيم الدباغ» وقد تفضل باهدائها الاديب الوفي الاستاذ «مصطفى الدباغ» قاضي محكمة استئناف القدس فرأيت ، تجاوبا لوفائه ، نشر هذه الكلمة الموجزة بعد قراءتي هذه المجموعة الجامعة بين « حلاوة » الشهد في العذوبة التعبيرية الشائقة وبين مرارة العلقم في قسوة التعريض المفرقة ·

والاديب الذي «ادركته حرفة الادب» يكون مطويا على صخب الاحساس وضجيج الوجدان ، لأثرالحرمان أو سوء معاملة الزمان ، لكن أديبنا رجل يعبر عن مشاعره تعبيرا انبعاثيا أساسه «التجربة» وقوامه الانفعال الصادق ، ولقد جمع بين «نثره» مضامين ما يجمع فكره ، وبين « شعر » ما يودع مكامن مشاعره فجاء صادقا ، مخلصا لا افتعال في أدائه ولا اصطناع بل جرى على طبعه ، وخير نتاج الاديب ما صور طبيعته ودل على أصالة أحاسيسه ·

انى – في هذه العجالة – أشير الى بعض الاتجاهات «النقدية» التي اتجه اليها الاديب الكبير حتى تكون ذات دلالة على مدى فهم النقد الأدبي مع تفاوت الزمن ولعل أبرز مافيها «السرقات والنقد» ، و «الاغاني العربية في مصر» ·

ولقد تقصدت الى هذين الموضوعين، لانهما يلمسان جوانب بعيدة في «ملاقاة الاحساس» ، وفي التعبيرعن «الوجدان» ، فالسرقة الشعرية قد تكون فضيلة اذا انفرد الشاعر بمعنى مبتكر ، او اداء موجز، أو خيال بديع ، ولعل حادثة «الخاسر» مع استاذه «بشار» مألوفة معروفة حين أخذ معناه وقتله في بيته :

من راقب النــــاس مات هما
وفاز باللــذة الجســور

وان أديبنا الكبير قد وضع في ميزانه شعر «حافظ ابراهيم» بعد أن عرض بالبارودي ونسباليه السرقة في قوله :

فياسعد حدثني بأخبار من مضى
فأنت «خبير» بالاحاديث · ياسعد

وقال : انه مأخوذ من بيت ابن المعتز القائل :

وحدثتني ياسـعد عنها ، فزدتني
شجونا«فزدني» منحديثك ياسعد

وعلى مجهر النقد أرىأن الالفاظ المتماثلةوالتسمية «بسعد» والرغبة في الاستماع الى الحديث فداوهمت بالسرقة ، لكن المراد على خلاف الايراد ، فالبارودي يريد زيادة الاستماع لاكتساب «الخبرة» بمعرفة أخبار الماضين ، وابن المعتز يشتاق الى الحديث عن الحب لاستثارة الوجدان !

وشتان مابين الاتجاهين وان اختلف الهدف واتحد اللفظ !

وعلى هذا المقياس يسير السيد الناقد في مؤاخذة «حافظ ابراهيم» في عنف وشدة وصرامة ، فقال : انه أخذ بيت «البهاء زهير» :

على أن لي نفســا علــى عزيزة
وفي النـاس عشاق بغير نفوس

فقال حافظ :

عوينا فما هنا ، كما هان غيرنا
ولكننا ازددنا مع الحب سؤددا

لكنى أرى أن الاتجاه مختلف ، فان «البهاء» يقول: «انه غير متبذل فى غرامه» وان حافظا يقول : «ان فى غرامه زيادة مجده» ، هـــذه الزيادة تدل على عمق احساسه مع تحفظه على حفاظ كرامته ــ وهو معنى زائد ، فلا سرقة هناك ولعل حماسة السيد الناقد ــ فى صدر شبابه ــ هى التى دفعته الى انطلاقتــه وكلنا ذلك الرجل !

* * *

ونعود الى «الاغانى العربية فى مصر» ، فالأغنية ــ فى اعتقادى ــ تصوير مبــاشر لطبيعة الشعب ، لهذا كان لها تقديرها فى التقويم ، ولا شك فى أن مقال السيد الناقد منشور منذ عهد بعيد (١٩٢٧) ، أعنى الفترة الانتقالية بعد نكسة ثورة ١٩١٩ ، وقد أوغل المحتل فى انكاره حق الشعب ، فنام على الضيم واستكان للهوان ، ولم يحفل بغـــير التهافت على الشهوات النفسية ، فانعكست المشاعر على الاغانى، فكان فيها اللفظ المبتذل ، والمعنى المهين المهان ! وان أروع ماقال الرجل قولة تقال فى كل زمان ومكان من حيث يقول :

« يجب علينا أن نتخذ الموسيقى سلاحا نقضى به على جرائم المفاسد الخلقية ونكون من الاغانى أداة تهذيب لتربية النفوس ، وتشريف العواطف واعلاء كلمـــة الاخلاق على مفاسد المجتمع ٠

وبهذا يريد الرجل أن يتجه الغناء اتجاها رفيعــا نحو تصوير نوازع النفس العالية باعلان المبــادىء السنية القيمة المقومة ، والســـو بالعواطف نحو الصلات الروحية البعيدة عن الاشتهاءات المــادية ، والجهر بالاخلاق لتربيـــة النفوس على معانى الحق ، والخير ، والفضيلة ، وهى المعانى الثلاثة التى دعت اليها فلسفات الاديان كلها ٠

لقد كان المغالون فى التبذل يظلمون الشعب حين ينسبون اليه كل ماهو نازل ولم يعلموا أن «التوجيه» أمثل فى الاعتلاء ، وان الاداء الغنـــائى يتعمق فى النفوس بمطاولة الترديد ، ومعاودة الانشاد ، فالامر بيدهم من حيث يصوغون الالفـــاظ ، وينســـقون الانغام ٠

وفى « شهد ، وعلقم » طرائف كثيرة دالة على نفس شاعرية مفطورة ، وروح لطيف شفيف يرسل اللمعة المتألقة ، واللمحة المليحة ، وبخاصة فى مقطعـــاته الشعرية ، فينادى فلسطين سنة ١٩٢٨ قائلا :

نحن ياعيد ، والعلا لم تكن منــ
ـــك بخير يرجى ، ولا أنت منـــا
أمم الشرق قسمت فشـــعوب
تتلظى ، وأمـــة ٠٠٠ تتغنى
يافلســـطين ! ، لا يروعك الهدم
فان البـــلاد بالهـــدم تبنى !

* * *

والشطر الاخير من البيت الثالث مصور حقيقـــة الفناء فى سبيل البناء !

ويقول فى تعبير مباشر عن الرزق :

لا تضق بالرزق صدرا ... لاتذب حزنا عليه
رزقنا يسـعى الينـا ... مثلما نسعى اليه !

* * *

وتكرر بيتان لهما عنوانان «جهل ورشد» و «حيرة» فى ص ١٤٤ ، ص ١٤٦ ، ولعل التـكرار من صنيع الاستاذ الجامع :

لسانى يقول ، ولا أفعـــل
وقلبى يريد ، ولا أعمـــل
وأعرف رشـدى ، ولا أهتدى
واعلم لـكننى ٠٠٠ أجهـــل

* * *

وعلى هذا النسق تبدو تلك « المجموعة » الطريفة وفيها اشباع ، وامتاع ، وأنت ترى من جوامع الكلم قول الرجل :

* متى نام الضمير فى الافراد ماتت الذمم فى المجموع !

* الخاذل للحرية مخذول من العدالة الالهية !

* تدبير الامة فى يد اقطابها ، وتحريرها فى يد طلابها ، وتقرير مصيرها يجب أن يكون فى يد الشعب كله !

وهذه القولة عجيبة ، لانها قسمت « المسئوليـة الوطنية» ، وأرجعت تكييف حياة الشعب لذاته ليدل على وجوده بتحقيق آماله ٠

كنت أود الافاضة لكن الحيز ضـــيق ، والكتاب جدير بالتقدير ٠

احمد عبد اللطيف بدر
المدرس الأول ببور سعيد

في موكب العلم

هواء الأرض ومنطقة الحياة

بقلم : الأستاذ فوزى الشتوى

الى اى ارتفاع تصل حدود الغلاف الهوائى المحيط بكرتنا الارضية ؟ وما هى المناطق أو الطبقات المحيطة بكوكبنا الصغير ؟

ظنوا من سنوات قليلة ان حدود الهواء على ارتفاع ٥٠٠ كيلومتر . وبعدها بأتى عالم الأثير الذى لم يعرفوا كنهه ، ولكنهم ابتكروا التسمية لشيء يمتطيه ضوء الشمس والنجوم عند قدومه الينا . وظنوا ايضا ان غلاف الهواء المحيط بكرتنا يعطينا جوا وبيئة مستقلة تقتصر على التمتع بحرارة الشمس ودفئها ، وتنعزل عن جوها وتقلباته .

وفى القرن الماضى عرف الانسان البالونات ، واطلقها مزودة بالأجهزة العلمية لتكشف اسرار الهواء ، وفى القرن الحاضر عرف الطيران ، فكان من الضرورى لسلامة مواصلاته الجوية ، ان يعرف اسرار طبقات الهواء وما بعدها . وفى نهاية الحرب الماضية عرفنا الصواريخ التى تقدم تحسينها حتى استطاعت اطلاق أقمار صناعية دارت حول الشمس وكوكب الزهرة ، كما دارت بانسان حول الارض .



لدراسة مناطق الهواء فى طبقة الحياة لجأ الخبراء من زمان بعيد الى الاجسام الطائرة لترسل لهم البيانات، وتبين الصورة خبيرين فى الارصاد الجوية فى عام ١٩٠٨ وهما يهمان باطلاق « طيارة » كالتى يلهو بها الاولاد .

هالة حول الأرض

وارسلت بياناتها من ارتفاع عدة ملايين من الكيلومترات ، ومنها عرفنا ان جو الأرض انما هو جزء من جو الشمس ، ومن الجائز ان يكون جو الشمس ذاتها متأثرا بالجو الخاص بالمجرة التى تحوى عدة ملايين من نجوم لا تقل اهمية عن شمسنا . وان كان لجو ارضنا من مظاهر وسمات خاصة ، فاختلافها محلى ، ويشبه الاختلاف بين اجواء القاهرة واسوان ودمشق وبيروت

وظهر من البيانات التى ارسلها القمران الأمريكيان المستكشف السادس (٧ اغسطس ١٩٥٩) والرائد الخامس (١١ مارس ١٩٦٠) ، ان الأرض تخضع لمجالات مغناطيسية تحدث على بعد ٤٥ الف كيلومتر من الارض . هناك تتألف طبقة كهربية مغناطيسية تمتد نحو ٤٠ الف كيلومتر ، ولها تأثيرها على مغناطيسية الأرض التى لا تستقر على حال ، فتؤثر على بوصلة البحار فى المحيط ، ولو سار على هديها وحده لكان من الجائز ان يحاول الوصول الى نيويورك ، فتقوده البوصلة الى احد موانى كندا على بعد عشرات الاميال ، وتؤثر ايضا على المواصلات اللاسلكية ، فيتعذر بفعلها سماع الراديو او التليفونات

وظهر من البيانات التى أرسلتها الاقمار الروسية ان مادة الأرض والهواء تمتد نحو ٢٢ الف كيلومتر ، وتؤلف حولها هالة تشبه هالة الشمس . وقال العالم الروسى « شكلوفسكى » ان حسابات كميات مادة هذه الهالة تعادل كميات الماء التى نقصت من مستوى البحار . وفسر حدوثها بأن ماء البحار يتبخر ، وبعضه يعلو الى الطبقات العليا ، فتحلله اشعة الشمس الى اكسجين وايدروجين ، فيرسب الاكسجين بفعل ثقله ، ويطفو الايدروجين ، ويؤلف هالة الأرض

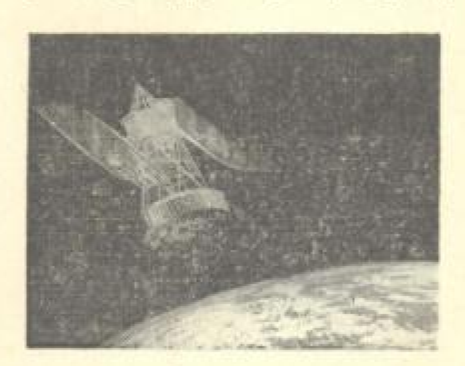
طبقة الحياة

وفى الدراسات المختلفة قسمت الارتفاعات الى مناطق ، وفى قاعها الملاصق للارض الطبقة الحيوية،

وفيها شتى الوان الحياة من نبات وحيوان وانسان . وبفعل جاذبية الأرض يتاخمها الجانب الاكبر من الغازات والأبخرة المؤلفة للهواء ، فالغازات كما عرفها الخبراء مادة كالحديد والنحاس . كما تجذب الأرض قطعة المعدن ، فهى تجذب أيضا الغازات المختلفة التى يجوز أن تتصاعد وترتفع بفعل الحرارة والحركة ، ويجوز ايضا هبوطها بفعل البرودة

وبفعل الحرارة والبرودة ، واصطدام ذراته بأخرى ، تجد الهواء فى حركة دائمة بين صعود وهبوط ، وفى الاتجاه الى الشرق ، او الغرب ، او اى الاتجاهات . وبفعل هذه الحركة يحدث نسيم البر والبحر ، وتيارات الرياح المختلفة . ومن طبيعة الرياح ان الباردة منها تزحف الى المناطق الحارة حيث تسخن ، وترتفع ، وتخلى مكانها لأخرى باردة ، والساخنة منها تواصل الارتفاع حتى تبرد ، فتعود الى سطح الأرض ، مما يجعل الكرة الارضية محاطة دائما بتيارات الرياح المختلفة الاتجاهات

وتجذب الأرض كل مادة الى مركزها ، ولهذا تجد اكثر طبقات الهواء كثافة وثقلا على سطح الأرض او قريبة منه ، ولو ركبت طائرة حلقت بك الى ارتفاع ثلاثة كيلومترات او اكثر لشعرت بقلة الهواء هناك ، فتجد نفسك تتنفس بسرعة كى تظفر بحاجتك من الاكسيجين الذى قلت كمياته



القمر الصناعى تيروس ومهمته هى دراسة العوامل الخارجية . وستكون دراسة الجو احدى المسائل التى تعاون روسيا وامريكا فى دراستها وتبادل معلومات الاقمار عنها .

فى تلك الطبقات من الهواء . فالسرعة فى تنفسك تعوض القلة فى الهواء .

الانسان والهواء

وهناك تحس المراكز العصبية فى مخك بهذا النقص ، فتامر رئتيك وصدرك بأن تعمل بسرعة اكثر لتسحب مزيدا من مادة الهواء ، وتعوض النقص . فالشهيق الواحد على مستوى سطح البحر يعطيك الاكسيجين اللازم لجسمك . ولكن هذه الكمية تقل بحكم تخلخل الهواء ، فتحتاج الى مرات اكثر من التنفس .

والحالة نفسها تواجه متسلقى الجبال . وكانت قلة الاكسيجين عند قمة جبال هيمالايا ، وارتفاعها نحو ٢٩ الف قدم (نحو ٩ كيلومترات) ، من الأسباب الرئيسية التى منعت كثيرين من روادها من الوصول اليها ، فان نقص الاكسيجين هناك كان يؤدى الى اصابتهم بالدوار ، وعدم القدرة على الحركة . وتغلب سير « هيلارى » على هذه المشكلة باستخدام قناع زود جسمه بحاجته من الاكسيجين ، فكان أول انسان وصل الى هذه القمة

وتمتد الطبقة الحيوية فى الهواء نحو عشرين كيلومترا فوق مستوى سطح البحر . وفى قاعها تجد الاحياء الحياة سهلة لوفرة غاز الاكسيجين فيها . وكلما ارتفعوا عنها ، زادت مشكلة التنفس حتى تصير مستحيلة على ارتفاع ٤٠ او ٥٠ الف قدم . فهناك يصاب الطيارون بالاختناق ، اذا لم يزودوا انفسهم بأقنعة الاكسيجين اللازم لحياتهم .

والاكسيجين فى الجسم يشبه الشرارة او الشعلة التى تلهب البنزين وتحوله الى قوة وطاقة تدفع آلات السيارة الى العمل ، فمن الجائز ان تملأ الخزانات به ، ولكنه يكون عديم الفائدة ، اذا تعذر عليك أن تشعله . وكذلك الجسم ، من الجائز ان تمتلأ معدته بالطعام ، فاذا نقص الاكسيجين فى الدم استحال عليه ان ينقل الغذاء او الوقود الى الخلايا والأنسجة والعضلات

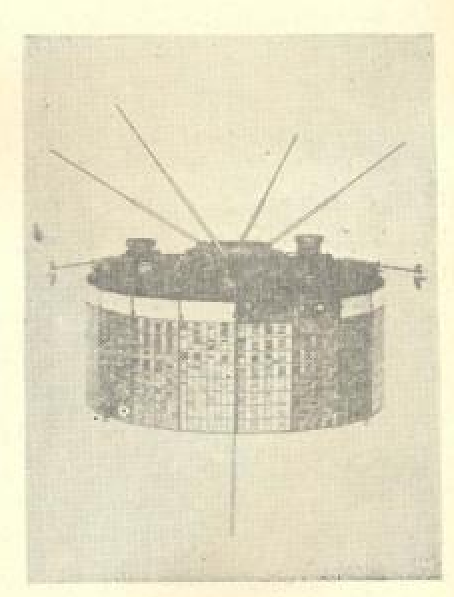
الوقود وشعلته

والطعام كما تعرف يؤدى عدة وظائف هامة منها تزويد الجسم بالقوة اللازمة لحركته ونشاطه ، وبالمواد البانية للخلايا والأنسجة المتجددة . ومن الجائز ان يختزن الجسم غذاءه

عدة ايام ، يعيشها الفرد بغير طعام ، ولكن هـذا الغذاء المخزون يستحيل على الجسم استخدامه اذا لم يتغذى الدم بالاكسجين او الشـعلة اللازمة لحرق الطعام ، فالدم بخلاف شتى اجهزة الجسم لا يختزن اكسجينه الا لبضـع دقائق تعد على الأصابع

واذا تعذر على الدم تقديم الشعلة ، تعذر على الخلايا والانسجة ان تظفر بالوقود الضرورى لها ، فتصـاب بالجوع ، وتتوقف عن اداء وظائفها . واكثر الخلايا تأثرا بالنقص الاكسجينى هى خلايا غشاء المخ . وهى الحاكم الذى يسيطر على شتى اعضاء الجسم ، فبامرها وحده تعمل شتى اعضاء جسمك . واذا ما عجزت عن اصدار الأوامر بسبب الجوع ، توقفت شتى الأعضـاء ، ومنها القلب والرئتين ، وكانت نهاية الحياة

وحلل الخبـراء الهواء الجاف الخـالى من الرطوبة وبخار الماء على سطح مستوى البحـر ، فوجـدوه يتالف من ٧٨٪ من غاز الازوت ، ٢١٪ من الاكسجين ، و ٣٪ من ثانى اكسيد الكربون ، والباقى غازات نادرة كالهليوم والارجون وغيرها • وغيرها .



القمر الصناعى تيمبوس التى تستعد امريكا لاطلاقه لدراسة منطقة الحياة وما يؤثر عليها من جـو الارض وما يطرا على الطقس من تغيرات

توزيع الهواء

وتجد هـذه النسب فى اى ارتفـاع بالمنطقة الحيوية ، ولكن الكميات تقل كلما ارتفعت ، فتجد ٧٥٪ من هواء غـلاف الارض تحت ارتفـاع ٩ كيلومترات . واذا واصـلت الارتفاع الى ١٧ كيلومترا ، فان كمية الهواء تنقص الى ١٪

وحسب الخبـراء عـدد ذرات الهواء فى السنتيمتر المربع على سطح الارض ، فوجدوه ٣٠ كانزليون (٣ وامامها ١٩ صفرا) ذرة ، وتقل هذه الكمية الى ١٧٠ مليون ذرة فى السنتيمتر المكعب على ارتفـاع ٣٢٠ كيلومترا ، واذا ما وصـلت الارتفاع ١٠٠ الف كيلومتر قل عدد الذرات الى ١٠٠٠ فى السنتيمتر المكعب ، حتى المسـافة بين النجوم كالشمس والفاستنورى ـ اقرب النجوم الينا ـ ليست خالية من المادة ، بل تجد فيها نحو ١٠ ذرات فى كل سنتيمتر مكعب

وتسمى الطبقة الملاصقة للارض بالطبقة المتغيرة لـما يحدث فيها من تقلبـات جوية من زوابع ، واعاصـير ، وبرق ، ورعد ، وامطار . ومعدل الحرارة على سـطح الارض ٢٠ درجة مئوية . وتنخفض كلما ارتفعنا حتى تصـل الى ٦٠ تحت الصـفر على اطراف المنطقة الحيوية التى تنتفخ وتتسع عند خط الاستواء ، وتنبعج فوق القطبين بسبب دوران الارض .

سر لون السماء

واذا ما صعدت الى ارتفاع ٩ كيلومترات تقريبا ، فانك تشاهد سـماء صـافية بلون ازرق عميق لا سبيل الى رؤيته من سـطح الارض . وقد تعجب لـماذا لا تظهر القبة بلون احمر او اخضر او اصفر ، وهى الوان موجودة فى ضوء الشمس ، وتراها فى قوس قزح عقب حدوث المطر، وتراها اذا ما وضعت منشورا زجاجيا فى طريق حزمة ضـوء شـمسية . تنفذ منه الأشعة على هيئة مروحة مؤلفة من شتى الالوان السبعة

وتامل هذه المروحة بالوانها تجد فيها بعض سر

زرقة السماء فهى تبدأ بالبنفسجى ، والنيلة ، والأزرق ، فالاخضر ، فالاصفر ، فالبرتقالى وفى النهاية الاحمر . وفيها ترى الالوان الزرقاء شديدة الانكسار وبعيدة عن مهبط الحزمة الضوئية على المنشور . وهذا الانكسار الشديد مع قوة توزيع جسيمات الهواء للالوان البنفسجية والزرقاء ، وقلة هذا التوزيع للالوان الصفراء والخضراء هو سر زرقة السماء

وعندما تلتقى اشعة الشمس بجسيمات المادة او الهواء ، فان الاشعة تنكسر ، وتنعكس ، ويتضاعف هذا الانكسار بلايين المرات فى خطوط شديدة التعرج تبعا لتناثر المادة أو الهواء فى الجو . واخيرا يصل الينا وقد ساده اللون الازرق ، بعد ان تشتت الالوان الاخرى . ويخيل الينا أنه قادم من الشمس مباشرة ، بينما الواقع أنه قادم من كل اتجاه

سر الاضاءة

والمظهر الشمسى الوحيد الذى يصلنا مباشرة ، او باقل كمية من الانكسارات هو قرص الشمس نفسه ، فنراه اصفر . فاذا ما أقبل المساء ، وهمت الشمس بالغروب ، تعرضت اشعة قرصها لنوع من الترشيح الجوى الذى يمتص اللون الاصفر ، ويسمح للاحمر وحده بالنفاذ الينا . وعندئذ نراها فى ذلك اللون الذى يتغنى بجماله الشعراء

والظلام والنور مسالة انعكاسات . ومن الجائز ان تجلس الى جوار مصباح مضىء ، ومع ذلك تظهر فى الظلام ، بينما يتوهج جسم آخر بعيد تقع عليه حزمة الضوء ، وترتد منه ، فتضىء ما حوله . وهى الخاصية التى استغلت فى انواع الاضاءة الحديثة التى لا ترى فيها مصادر الضوء ، اذ توضع المصابيح فى مخابىء ، وترسل ضوءها الى الجدران ، وهذه تعكسها ، وتوزعها على شتى انحاء الغرفة

والظاهرة نفسها تنطبق على مصباحنا الشمسى الكبير ، فمنه تقدم الاشعة ، وتنعكس فى النهار على كل جسم يصادفها ، وتبعث ضوءها فى كل اتجاه ، وبهذا تظهر الظلال مضيئة بفعل ذرات الهواء المتناثرة . وهى ظاهرة لا تجدها فى القمر بسبب قلة الهواء فى جوه ، واذا ماراقبته تجد بعض اجزائه شديدة التوهج والاضاءة ، بينما تجد الظلال قاتمة شديدة السواد

وبسبب قلة الهواء فى طبقات الجو العليا ، تقل الاضاءة ايضا لان ضوء الشمس لا يجد مادة كثيرة ينعكس عليها ، كما هى الحال على سطح الأرض . هناك الانعكاسات قليلة ، ويتبعها قلة الاضاءة .

وطبقة الهواء فوق سطح الارض اشبه بتلك الصحاف او الأوانى التى نضعها فوق المصابيح لتعكس كل ضوئها وتوزعه فى الغرفة

حرارة الارض والسماء

ولكثافة الهواء على سطح الأرض وتخلخله كلما ارتفعنا اهمية بالغة فى تفسير كثير من مظاهر الطبيعة والحياة . ولهذه الكثافة نحن مدينون بالدفء والحياة . وقد تسمع أن درجة الحرارة على ارتفاع ٢٠٠ ، و ٣٠٠ كيلومتر ، تصل الى ١٥٠٠ درجة . وليس معنى هذا انها صالحة لصهر الحديد مثلا . بل الواقع انك لو ارسلت اليها كمية من الماء لتحولت الى جليد بفعل البرودة العامة وبفعل نوع من سوء الفهم بين رجال العلم وعامة الناس

فالحرارة فى عرف العلماء هى الحركة ، فان كانت المادة ولو ذرة واحدة سريعة الحركة فهى مرتفعة درجة الحرارة ، وان كانت بطيئتها فهى منخفضة درجة الحرارة . وعندما تتعرض المادة لدرجة حرارة الشمس فانها تمتص بعض طاقتها او حرارتها ، وكلما زادت كمية المادة زادت ايضا درجة الحرارة . وعلى سطح الارض يحوى السنتيمتر المكعب ٣٠ كالزليون ذرة . وينخفض هذا العدد الضخم الى ١٠٠٠ فقط على ارتفاع ١٠٠ الف كيلومتر . وبالتالى يكون مخزون المادة من الحرارة قليل ، بل تافه ولا تجوز مقارنته بالحرارة على سطح الارض

والحرارة تنتقل من مادة الى اخرى اذا ما لامستها او احتكت بها . وطبيعى انه كلما زادت كثافة المادة زاد الاحتكاك وزاد انتقال الحرارة . وبالتالى نحس بالدفء على سطح الأرض ويقل احساسنا بالحرارة كلما قل وجود المادة

الكتب: نقد وتعريف

مؤتمر القمة الأفريقي

وما بعده

تأليف: أحمد سوار

يبين الكتاب الأساس الذى قامت عليه فكرة انعقاد المؤتمر مشيرا الى أن المؤتمر كان تجميعا لثلاث مجموعات افريقية – هى مجموعة الدار البيضاء ومنروفيا وبرازافيل .. وكيف انصهرت هذه المجموعات – مبدئيا – فى صورة موافقتها بالاجماع على حضور المؤتمر وذلك على رغم المحاولات المتكررة من جانب الصهيونية والاستعمار فى اعاقة اجتماع الرؤساء الافريقيين حول مائدة واحدة مثال ذلك اثارة نزاع الحدود بين كينيا والصومال والتركيز عليه.. وربط كثير من الدول الافريقية الحديثة الاستقلال بالسوق الاوربية المشتركة وذلك للحيلولة دون اقامة السوق الافريقية المشتركة ثم اثارة مشكلة عدم حضور توجو للمؤتمر – هذا بالاضافة الى اختلاق التحديدات المزعومة لافريقيا – مثل – افريقيا البيضاء – وافريقيا السوداء بقصد التفرقة بين شعوب القارة الواحدة – وقد كانت هذه المخططات الاستعمارية والصهيونية موجهة لعرقلة انعقاد المؤتمر

وقد قارن المؤلف بين مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ الذى قسمت فيه افريقيا بين دول أوربا الاستعمارية وبين مؤتمر القمة الافريقى سنة ١٩٦٣ الذى خطط لمستقبل أفريقيا المستقلة..وقد احتوى الكتاب أيضا على النص الكامل لخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر .. الذى بين فيه سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه القارة الافريقية – محددا اتجاهها موضحا أبعادها مشيرا الى النقاط الحيوية الحساسة فى واقع القارة وماضيها ومستقبلها ..

وأورد المؤلف – نبذا – عن حياة ٢٨ رئيسا من الرؤساء الافريقيين وكفاحهم فى سبيل استقلال بلادهم مبينا ميولهم واتجاهاتهم السياسية هذا بالاضافة الى النص الكامل لميثاق منظمة الوحدة الافريقية ومناقشات مؤتمر داكار وقراراته والقرارات الخاصة بلجنة تحرير افريقية .

والرسالة تقول : لا شك انه ما زال ينقصنا الكثير من المعلومات الخاصة بافريقيا .. لأنه لابد لنا من معرفة الكثير – لا فيما يتعلق بالاتجاهات السياسية للدول الافريقية بل فيما يتعلق بحياة شعوبها وعاداتهم وطرق معيشتهم .. اننا نقع فى الجزء الشمالى الشرقى لافريقيا..وعندما ذهب جنودنا الى الكونغو تحت علم الامم المتحدة لحماية استقلالها والمحافظة على وحدتها الوطنية كنا نؤكد مسئولياتنا كافريقيين بالمساهمة فى تدعيم قضية الحرية والسلام فى وسط افريقيا .. ولقد كانت تجربة مفيدة حقا

ذلك لاننا استطعنا من خلالها تفهم دراسة الوسائل الاستعمارية الملتوية – على الطبيعة الافريقية – فى تفتيت الحركات التحررية الافريقية ..

ولكننا نتساءل .. أيكفى اصدار بعض الكتيبات الصغيرة عن افريقيا لاشباع رغبتنا فى معرفة مايدور فيها من صراع الآن ..؟

وهل التركيز على ترجمة الكتب الاوربية عن افريقيا يفى بالغاية التى نريدها ؟

فى رأينا انه لا هذا ولا ذاك ..!! لان الكتب الصغيرة والمقالات التى تنشر على فترات متقطعة لا تتعمق ولا تنفذ الى ما وراء الاحداث والاتجاهات العامة وخاصة الرسمية منها .. أما الكتب المترجمة .. فاننا وان كنا نود ان ندرس وجهة نظر الفكر الاوروبى الخاص بافريقيا..الا اننا يجب ان ندخل فى اعتبارنا – ان الكثير من الكتاب الاوربيين ما زالت افكارهم مرتبطة – بالمواد الخام – والاسواق المفتوحة

لتصريف المنتجات الاوربية .. وهي امتداد لفكرة رسالة الرجل الأبيض .. ولكنها في صورة مغلفة .

نريد أن نقول .. انه اذا كان الأوربيون ، قد غامروا كثيرا في زمن التوسع الاستعماري وقام الكثير منهم باستكشاف مناطق عديدة في افريقيا . ومهدوا لاستعمار هذه المناطق ـ في وقت كانت فيه طرق المواصلات صعبة ومرهقة ..

فلماذا لا تقوم من هنا بعثات الى داخل افريقيا لا للاستكشاف ولكن لدراسة ماتنتج عن الاستكشافات ومن بعدها الاستعمار على المستويات الشعبية الافريقية .. وتخرج لنا هذه البعثات دراسات مستفيضة عن حياة شعوب افريقيا ـ تكون مصادر أبحاثها هي الشعوب بحياتها وتطلعاتها لا بضعة سطور من مراجع اجنبية ـ لا ندرى مدى أمانتها العلمية .. وعندما يعرف أولئك الذين نرسلهم في بعثاتنا التعليمية الى دول افريقية المختلفة طبيعة حياة من يذهبون اليهم سوف تكون لديهم القدرة ـ ليس على تثقيفهم فقط .. وانما على شرح وجهات نظرنا المتعددة في مشاكل كثيرة على المستوى الشعبي الافريقي .. وخاصة موقفنا من اسرائيل وعدالة قضيتنا .. انه لا يكفي مطلقا توقيع البيانات الرسمية عقب زيارة أحد الخطاب افريقيا لنا واعلان اتفاق وجهات النظر بخصوص اسرائيل كقاعدة للتسلل الاستعماري في افريقيا .. وانما يجب أن تكون هذه البيانات مقدمة لتفاعل شعبي يتم على مستوى الافراد الذين يذهبون الى افريقيا لتنفيذ الاتفاقات الحكومية ..

وكيف يعمل هؤلاء ـ بدون الاساس الفكرى الذي يجب أن يتزودوا به عن افريقيا ـ قبل رحيلهم ـ يجب أن نواجه التسلل الاسرائيلي الى افريقيا بالمرونة وسرعة الحركة لتجميد هذا التسلل تمهيدا للقضاء عليه ولا بد لتنفيذ ذلك من تخطيط شامل واعى ..

والكتاب من الكتب التي يجب قراءتها ويقع في ٧٤ صفحة من القطع المتوسط ـ والناشر الدار القومية ..

تحسين عبد الحي

التطورات والثبات في حياة البشرية

تأليف : محمد قطب

هذا الكتاب الجديد للاستاذ محمد قطب نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، ويقع في حوالى ٣١٥ صفحة

المؤلف يذكر في مقدمة كتابه ان هذا العصر هو عصر التطور ، كل شيء فيه يتطور .. الافكار والعقائد .. القيم والمفاهيم .. الاخلاق والتقاليد وحين تستولى فكرة التطور على افهام الناس .. فلا بد أن يصطدم تفكيرهم بالدين ، لان الدين في حس البشرية يمثل الثبات ، ثبات الاله وثبات العقيدة ، وثبات العبادة .

***

وعندما عرض المؤلف لليهود الثلاثة : ماركس وفرويد ودوركايم ، ذكر ان اليهود ـ وان لم يكونوا هم الذين انشأوا الفرقة بين اوربا وبين المسيحية، لان الفرقة قامت بالفعل منذ قيام النهضة دون تدخل من اليهود ـ الا أن الدور الذى قاموا به كان شديد الخطورة ، وهو احداث الفرقة بين الدين والعلماء ، وبين الدين والمفكرين ، واستطاع اليهود الثلاثة أن يتدخلوا في الامر ليجعلوا من كل ذلك نظرية يسندها العلم ، بعد ان كان مزاجا شخصيا أو كضرورة يتلمس الناس اليها الاعذار .

***

ويواصل المؤلف بحثه ، فيتناول الثابت والمتطور في كيان الانسان ، والاسلام وحياة البشرية ، والاسلام والرجعيات، والانحراف بيننا وبين الغرب، ومستقبل البشرية ، ثم دور المسلمين ، حيث يريد لهم أن يكونوا دائما في الطليعة ، وان يمسكوا في أيديهم مقدم الزمام ، أن يكونوا ـ باختصار ـ خير امة أخرجت للناس ، شهداء على الناس وقادة للبشرية .

محمد عبد الله السمان

البريد الأدبي

عمرو بن العاص لم يشهد مؤتة

ذكر السيد اللواء الركن محمـــود شيت خطاب وزير البلديات بحكومة العراق في مقاله الأول (قادة الفتح الاســـــلامي) الذي نشر بالعـدد ١٠٢٤ ان عمرو بن العاص شهد موقعة (مؤتة) بعد عودته من غزوة ذات السلاسل .

ووجه الصواب : أولا ان عمرو بن العـــاص لم يشهد غزوة مؤتة ، وقد كان قوادها : زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وعبـــد الله بن رواحة ، وقد استشهد ثلاثتهم ، ثم تولى القيادة خالد بن الوليد الذي أنقذ الموقف .

وثانيا : أن غزوة مؤته كانت سابقة لغزوة ذات السلاسل ، الاولى في جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة والثانية في جمادى الآخرة من السنة نفسها .

محمد عبد الله السمان

هكذا يفهم الشعر :

قرأت في البريد الادبي من الرسالة الغراء تعليق الســيد محمد محمود شمس على هـذا البيت من قصيدتي : « شعلة الكفاح » :

يمنح الشعب مايريد ، ولا يأخذ شيئا لقلبه المتاح

فوجدته يعترض على استعمال كلمة « يمنح » لانها تجعل الانتصارات الثورية منحة من القائد لشعبه، وهذا منتهى السذاجة في فهم الشعر ونقده ، لأن من أوليات النقد أن ينظر الناقد في القصيدة نظرة كلية عامة تساعده على ادراك المقصود من جزئياتها ، وبعد ذلك يبني حكمه عليها . ولو أن السيد المذكور فعل ذلك لرآني أمجد الشعب ، وأبين انه صاحب الثورة وصانعها : ثورة الكادح .. ثورة الزارع .. آن يا شعب ... الى آخر ما قلته في قصيدتي ..

اما ان الزعيم يمنح الشعب فهذا حق ، لانه حقق له العزة والكرامة ، وخلصه من الذل والمهـــانة حين دفعه الى الثورة فاستجاب له ، ومنحه حبه واخلاصه، فالمنحة متبادلة بين الشعب والزعيم ، بل بينه وبين كل من يخدمه بالعمل النافع والتوجيه السديد .

وبعد .. فهكذا ينبغي أن تفهم الشعر يا سيد محمد محمود شمس ..

ابراهيم محمد نجا

الدين روح الاشتراكية وضميرها

روح الدين تمجيد للحق والخير والجمال وكراهية لدمامة النفس وموت الشعور وطريقه الى ذلك ان يخاطب المشاعر ويرهف العواطف ويسمو بها الى آفاق انسانية عالية ، على شطآنها وضفافها يتآخى الانسان مع أخيه الانسان فان لم تجد هذه الطريق مع غلاظ الاكباد فعدل الحاكم ومسئوليته مع المجتمع في اقامة الحق وانصاف الطبقات وتوزيع الموارد والثمرات واعطاء كل ذي عمل أجر عمله ، وقد كانت حروب الردة اقتصادية أخذت حق المجتمع من مانعيه وغاصبيه وأول شيء فعله المرسلون في سبيل تحقيق غاياتهم هو الحب العظيم للحياة والبشر فكان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن شيء الا اعطاه . وكان يعيش مثلما يعيش أصحابه لا يتميز دونهم بشيء ، ففؤاده نهر عظيم يسبح في ضفافه الصادح وموجه الهادر القـــوى . كل المعذبين والمشتاقين للرحمـــة والمحتاجين للحنان يمنحهم حبه وحنانه ورحمته من قلبه الغامر بالاشواق الصادقة الرفيعة وهو لا يمنح هذا الحنان شفقة ومنة بل عرفانا بالحق وفيضـــا نبيلا من مصـدر اعظم هو الحب المطلق الاكبر الذي تفجر من الحق وانهل جمالا من الجمال المطلق رب البرايا ورحيم الحيـاة ورحمانها مالك الـكون كله والرسول وهو من المثل الاعلى مشكاة ونبراس يمنح هذا الحب ويعطيه حقا واجبا من أشـواقه وأفكاره وأخلاقه وصفاته التي تكره الذل والعبودية لغير الله سواء للمال او للطبقة ويتقبل بعد ذلك أن يقول له رجل من عرض البشر : اعطني حقي يا محمد فانك لا تمنحني من مالك ولا من مال أبيك .. وينهر أصحابه حين حاولوا أن ينهروا الرجل لعنف أخلاقه .. فهو يؤمن بأن حق الحياة لكل موجود ... لكل الأحياء ، للبائس المحروم والمتعب المكدود والمرهق الغريب واليتيم والاجير المعنى صاحب اليد الخشنة وغيرهم من الذين كانوا يقعون في براثن الحاجة والعوز بل هو حق كذلك للحيوان كالفرس والكلب والهرة ، وللاصدقاء والمخالفين في الرأى .. فالحب العظيم هو سر باله ومنهاجه وشرعته ، يعطف على الكادحين ويكره من اجلهم الفقـر ويستعيذ منـــه ويحاربه بالعمل ويأمر ان يعطوا أجورهم قبل جفاف

عرقهم ، ويعمل على ابادة هذه الشرور من جذورها ليسعد الناس والاحياء جميعا ٠٠ وقد صوب المرسلون جميعا أبصارهم وبصائرهم وثوراتهم الى محاربة الجشع واللؤم والخسة والضعف ، « وما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » ، وهم جميعا صلوات الله عليهم قد انبثقوا من بيئة الفقراء البسطاء ٠٠ رعاة الاغنام ٠٠ والاجراء ٠٠ من أجل أن يشعروا بهم ٠٠ ويتألموا لهم ٠٠ وينفعلوا معهم ايجابيا من أعماقهم وايمانهم كى يغيروا الاوضاع الظالمة السائدة فى المجتمعات المنحرفة ويحولوها تحويلا أساسيا نحو التآخى والاشتراك والتعاون ٠٠ ومن هنا كانت رسالاتهم حروبا فكرية وروحية على الظلم والاكتناز والاثرة واحيانا تتحول الى حروب عسكرية ضد الطبقية الراسمالية حينما تحاول قتل الافكار العادلة ووأد الرسالة الجديدة التى تنادى بالعدل والحق والاخاء والمساواة فى الحقوق والواجبات وحينما نادى صلى الله عليه وسلم داعيا « اللهم احيني مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » لم يكن داعيا الى الفقر فهو يستعيذ بالله منه ٠ انما كا فى أشواقه العليا من حبه للبشر المحتاجين للحنان وابائه ان يتركهم وحدهم فىمعركة الحياة فرائس للذل والفاقة والهوان ٠٠ فدعاؤه هذا ليس دعاء مستضعف بل هو دعاء قوى صارخ جدد الطبقة التى يكافح من اجلها ويتبنى الحق الذى شيده لها فهو منهم ومعهم ولهم وهم اول من لبى نداءه كيما يجدوا تحت جناحه الايمان والامان والطمأنينة والحب والرحمة والانصاف والكرامة والعزة والرفاهية والانسانية وصداقة الكون كله وعبادة الله وحده ٠

محمد أبو المجد على

من علماء الازهر الشريف

***

اسخيلوس لا أشيل

قرأت فى العدد ١٠٢٤ من الرسالة مقالا للاستاذ على متولى صالح تحت عنوان « حديث فى النقد » وقد ذكر فى الصفحة ١٨ أن أرستوفانيز فى مسرحيته الضفادع قد عقد موازنة بين شعراء اليونان التراجيديين الثلاثة وهم : « على حد قول صاحب المقال » سوفوكل واشيل ويوربيديز ٠٠٠ ولمنهجية النقد التى يدعو اليها الكاتب ٠ اذكر ان ارستو فانيس لم يوازن بين سفوكل واشيل ويوربيديز بل وازن بين ايسخولس وسفوكليس ويوربيدس ٠ اما اشيل هذا أو أخيل أو أخيلوس ، فهو بطل الالياذة ملحمة هوميروس الخالدة (٩ ق م ؟) وقد ذكر ذلك صراحة فى أول بيت منها عندما قال هوميروس « غنى غنى يا ربات الشعر ، فقد غضب اخيليوس بن بليوس » وبعدها يتناول أعماله وبطولاته بما يجعلنا نسمى الالياذة بملحمة اخيليوس أو ملحمة اشيل ٠ أما ايسخولس (٥ ق م ؟) فهو الكاتب المسرحى اليونانى العظيم الذى أعجب به أرستو فانيس وقدمه لسبب ما على زميليه سفوكليس ويوربيدس فى مسرحيته الضفادع وهو الذى كان يقصد الاستاذ الكاتب ٠

باهر النحال

الزقازيق

الى الاستاذ السمان

فى عدد الخميس ١٥ أغسطس سنة ١٩٦٣ من مجلة الرسالة ٠٠ كتب الاستاذ (السمان) مقالا دار حول « الفكر العربى والاسلامى فى أسبوع » عرض فيه لثلاثة من المؤلفات التى ظهرت خلال هذا الاسبوع ٠٠ أولها : « السنة قبل التدوين » للاستاذ محمد عجاج الخطيب ــ وثانيها : « ديوان مجد الاسلام » للمرحوم الشاعر الاستاذ احمد محرم ــ وثالثها : « تأملات فى الادب والفن » وهو بحث ظهر فى احدى المجلات الاسلامية الصادرة فى ليبيا قام به الاستاذ أبو بكر الفقهى ٠ ٠ ٠ ومن عجب أن الاستاذ السمان قام عقب ظهور عدد الرسالة بعدة أيام ٠٠ وفى يوم الاثنين الموافق ١٩ من نفس الشهر باذاعة هذا المقال ضمن مواد عدد مجلة الادب الذى أذاعه البرنامج الثانى باذاعة الجمهورية العربية ٠٠٠ اننا نريد لمجلة الادب الاذاعية الجديد من المقالات والتعليقات ٠٠٠ ثم نريد للرسالة أن تنفرد بنشر موادها حتى تحفظ ــ كما عهدناها ــ لموادها قيمتها غالية غير رخيصة ٠٠ لا ينافسها فيها منافس ٠٠٠ ثم نريد من الاستاذ السمان ــ مزيدا من الجهد حتى لا يكرر نفسه ٠

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

أخبار علمية وأدبية

● يبحث مجلس جامعة اكسفورد اعادة كرسي اللغة العربية لتدريسها بالجامعة ، ومن المعروف أن هذا النظام كان معمولا به منذ ثلاثين عاما ، وكان يتولى كرسي الأستاذية هناك المرحوم جاد المولى المفتش للغة العربية بوزارة المعارف بالقاهرة سابقا .

● اكتشفت طريقة جديدة ينتظر أن تكشف عن بعض أسرار السرطان والمخلوقات المعروفة باسم فيروس ، مما يجعلها تعبث بالخلية وتحولها عن طريقها الطبيعي . وذلك باستخدام الأيدروجين المشع المعروف باسم تريتيوم .

وابتكر هذه الطريقة فريق من الباحثين بمعهد سلون كيترينج لبحوث السرطان بنيويورك ويرجع سر الكشف الى خواص التريتيوم القوى الاتحاد بنواة الخلية التي تحمل جسيمات التوريث ، والتحولات التي تحدث فيها تعد مسئولة عن عدد كبير من الأمراض القاتلة .

ومن خواص التريتيوم أيضا اشعاعه لموجات قصيرة يمكن بمعونتها تتبع مايحدث داخل الخلية وهذا من الاسرار التي لاتزال مجهولة وخاصة حين يفرز الفيروس نواته في الخلية ويسخر موادها في انتاج فيروسات أخرى تعمل بدورها على قتل عائلها وهو المريض .

● أصدر الاتحاد السوفييتي اول أطلس في العالم لكوكب المريخ ، وهذا الأطلس كما ذكرت وكالة تاس يحتوى على اربعمائة واربعة وسبعين رسما للمريخ عند ماكان في أقرب نقطة الى الارض عام ١٩٥٦ ، وقد اشترك في وضعه العلماء السوفيت من مختلف مراكز المراقبة بالاتحاد السوفيتي .

● صدر حديثا «كتاب الوحشيات» لابي تمام ، وهو المسمى بالحماسة الصغرى ، وقد حققه العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى من عليكرة بالهند ، كما راجعه وزاد في حواشيه الاستاذ محمود محمد شاكر .

هذا وقد اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على أصله الموجود بكتبخانة السلطان احمد الثالث في لا توب قيوسراى باستنبول ومصوره بدار الكتب بالقاهرة .

● ثبت الخبراء في مدينة طوكيو باليابان جهازا الكترونيا فيأحد احيائها ومهمته تسجيل الضوضاء وتقديرها في كل من أوقات الليل والنهار .

وبعد ايام قال الخبراء والرسميون : ان الناس لو سمعوا الاصوات المنكرة التي يطلقونها لالتزموا الهدوء ولعاشوا حياة أفضل ، ويقترح بعض الخبراء اذاعة هذه التسجيلات حتى يعرف الناس مايصنعون ، ويدركون أن ضوضاءهم مسئولة الى حد كبير عما يصيبهم من أمراض عصبية .

● صدرت في تونس سلسلة ثقافية جديدة عن أعلام المغرب العربي ، يشرف عليها الاستاذ أبو القاسم محمد كرو من أدباء تونس ، وكان أول كتاب صدر من هذه السلسلة عن شاعر الفاطميين «ابن هانيء» الذي لقبه النقاد بمتنبي المغرب .

● يستطيع الاحياء أن يعيشوا اثنى عشر قرنا من الزمان وهم في حالة نوم كنومة أهل الكهف . أما سر النومة فتعرفه «مجموعة من الميكروبات التي عثر عليها أخيرا في مقبرة مغلقة لأحد زعماء قبائل المايا الذين عاشوا في جواتيمالا .

وقال الخبراء : ان أهم مالاحظوه في تلك المقبرة هي حرمانها من الرطوبة ، ولكنهم وجدوا مجموعة من الميكروبات التي ظهرت خاملة وليس حولها اى طعام يصلح لتغذيتها ، ولما وضعت في جهاز حضانة استأنفت حياتها وبدأت عمليات تكاثرها .

وصرح احد الخبراء بأنه اذا جاز للميكروبات أن تعيش كل هذه الفترة في حالة خمول ، فان هذا جائز أيضا للحيوانات العليا كالانسان ، ولكنه يحتاج الى دراسة أكثر لانه أشد تعقيدا منها . . ويدرس الخبراء البيئات المختلفة التي تجعل الميكروبات في حالة خمول ومنها ينتظر التدرج لمعرفة مايحدث للانسان .

● نظمت الجمعيات الثقافية في تطوان بالمغرب العربي معرضا للكتاب العربي يضم مخطوطات قديمة وكتبا حديثة ، وقد شاركت المكتبات العربية بتطوان في هذا المعرض الذي أقيم بمقر الجامعة الشعبية واستمر أسبوعين .

● أحدث كتاب في السوق عنوانه (كل شيء عن كليوباترة) وقد ألفته باللغة الانجليزية الكاتبة الامريكية اليانورهرن بلو .

الرسالة الناقصة

للأستاذ قاسم النطاط

ــ ان كنت شريفا فطلقني ..

بهذا صرخت لطيفة في وجه زوجها . ووقف ابراهيم ينظر اليها ذاهلا . كانت اهانة فظيعة في هذا المجتمع العائلي .

وارتفعت رؤوس الحاضرين ، واستقرت عيونهم جميعا تتطلع الى ابراهيم لترى اثر هذه الجملة القاسية في نفسه . وما سيفعله بهذه الزوجة المتهورة الحمقاء .

وصعد الدم في وجه ابراهيم حتى بدا محتقنا شديد الاحتقان ، ودارت الافكار في رأسه بسرعة جنونية وكأنها سكاكين حادة تحز في طوايا رأسه .

ماذا يفعل ؟ هل يستجيب لهذا التحدي الفظيع ، فيطلق هذه الزوجة الحمقاء ؟ ولكن اهلها لايكادون يسدون الرمق . امها عجوز بلغت من الكبر عتيا ، واخوها الوحيد عامل فقير يشكو من مجموعة من الامراض طالما الزمته الفراش ، اما ابوها فقد مات بعد أن باع آخر دار يملكها ، وانفق آخر فلس من تلك الثروة الطائلة التي خلفها له الاجداد ..

وفوق هذا كله فهو مازال يحبها اعمق الحب ، ولكن كبرياء الرجل اعز عليه من قلبه وحبه ..

هل يسكت ابراهيم على هذه الاهانة الفظيعة ، وهناك عشرات العيون تتطلع اليه ، تنتظر ان يفعل شيئا يرد به على هذه اللطمة القاسية ؟

وانطلقت لطيفة تبكي بحرارة وحرقة ، وتحولت العيون اليها ، فوجدها ابراهيم فرصة مناسبة ، وانسحب من الغرفة بخطى ثقيلة رتيبة .

منذ عدة أعوام تزوج ابراهيم من لطيفة ، وكان موظفا صغيرا ، وكانت الحرب العالمية الثانية قائمة على قدم وساق ، والعالم يضطرب في حمى مضطرمة من القلق ، ويقاسي ويلات تلك الحرب الضروس . فلقد كان كبش الفداء في البلاد التي لم تسمع أزيز الرصاص ورعود المدافع ، تلك الطبقة التي ابتليت بمورد محدود ، فكان الغلاء على هذه الطبقة المسكينة اشد ايلاما واكثر فتكا من القنابل والرصاص .

كان ابراهيم اذن واحدا من الضحايا ، له مأتم في نهاية كل شهر ، هو مأتم يوم الراتب ، اذ يحار في امره ، لمن يعطي هذه القبضة الصغيرة من الدنانير ، وهي كل مورده الشهري ؟ ايعطيها لبائع الاقمشة ، ام يعطيها للخياط ، ام لصاحب الدار الآيلة للسقوط التي يسكنها مرغما . ام للعطار ام للبقال ؟ .

كان صاحبنا يعيش في هذا الجحيم هو وزوجه لطيفة .

ومع هذا ، كان هذان الزوجان يعيشان حياة زوجية مثالية ، تغمرها السعادة وتفيض بالحب والتضحية والايثار . لقد كان كل منهما يريد أن يضع اللقمة التي تصيبه في فم صاحبه ، فاذا اراد أن يشتري لها حلة جديدة ، راحت تتوسل اليه أن يشتري بدلة لنفسه لأن بدلته لم تعد تليق بانسان موظف .

وكان ابراهيم يكبر في زوجه ذلك الايثار وتلك التضحية ، فكان في غالب الاحيان يفضلها على نفسه فيدع الضروريات من حاجاته ليجيء لها بحلة جديدة

ولقد ظل ابراهيم وزوجه ، بالرغم من كل تلك الظروف القاسية ، يعيشان في سعادة وغبطة ، الى أن امتدت يد الغيرة ، لتلقي بالوساوس والاوهام في قلب لطيفة ، تصور لها زوجها وقد اشتغل قلبه بحب امرأة جديدة لاتدري من هي !.

كان ابراهيم كثير الشرود كثير النسيان ، اذا اشتغل فكره بأمر انصرف اليه بكل نفسه ، فلايعود يسمع مايقال حوله ، ولاينتبه لمن يناديه الا بعد ان يكرر النداء عليه بضع مرات . ولم تكن زوجه لتؤاخذه على حاله هذا ، فقد عرفته عليه منذ زواجهما ، وألفته منه ، ولكنها حين بدأت الوساوس تراود نفسها ، راحت تفسر شروده هذا وانصرافه عنها بانشغاله بالحبيبة الجديدة المجهولة . وان اسر كلاما لبعض اهله وذوي قرباه ، حسبت انه انما يتحدث عن حبيبته وموعد زفافها له .

وهكذا راحت لطيفة تضرب اخماسا لاسداس ظانة ان عهدها بهذا الزوج الحبيب قد انتهى ، وانها على وشك ان تخرج من حياته ، لتحل محلها الزوجة الجديدة ، بعد تلك السنين السعيدة التي قضتها معه . وكأنها كانت في حلم من الاحلام الجميلة .

لم ينتبه ابراهيم الى هذا التبدل في تفكير زوجته واوهامها ، بل اخذ يلاحظ انها اصبحت

عصبية المزاج ، تثور لاتفه الأسباب ، فتبكي بحرقة دون ان يكون لبكائها هذا سبب ، وكان ـ على طبيعته المنطلقة من كل قيد ـ كان يشاكسها ويحاورها ، فاذا ماردد ابياتا من الشعر واحس بانزعاجها ، راح يترنم بالكثير من الشعر دون ان يعلم مايدور في خلد زوجه ، ودون ان يدرى بأن كل بيت من الشعر يردده ان هو الا سهم يسدده الى قلب هذه المسكينة ، واذا ما اسر بكلمة هامسا مداعبا في اذن جدته العجوز او خالته ، واحس منها انزعاجا ، راح يكثر من هذا الهمس .

وكانت احاديث الجيران وتلميحاتهم وغمزاتهم تزيد النار اشتعالا . فقد مضت بضع سنوات منذ تزوجت لطيفة دون أن تنجب اطفالا ، وراحت نساء الجيران يتحدثن امامها كل يوم عن زوج لم تنجب زوجه اطفالا فتزوج غيرها .

وبدا الشذوذ يزداد وضوحا وخطورة في تصرفات لطيفة ، واخذت تصيبها نوبات عصبية حادة ، فترفع صوتها بالصراخ احتجاجا على زوجها لاتفه الاسباب ، كانت تريد أن تفعل اى شيء لتدفع عن كرامتها هذه الاهانة الفظيعة التى يصفعها بها زوجها حين يريد ان يجعل لها شريكة جديدة في قلبه وحياته . كانت تريد أن تحطم ذلك الشعور بالدونية الذى بدا يشتد عليها ، تريد ان تمحو هذا النقص الذى الم بها حين لم تنجب أطفالا ولم تصبح اما مثل الاخريات .

وتطور الحال حتى جاء ذلك اليوم الذى وقفت فيه امام زوجها لتقول له بعصبية وعناد :

ـ لا أريدك .. هل تفهم ؟ لن أعيش معك .. ان كنت شريفا فطلقنى ..

وانطلقت لطيفة تبكى بحرارة وحرقة ، وانسحب هو بخطى ثقيلة رتيبة ، وما لبثت أن لبست عباءتها ، وغادرت البيت الى اهلها .

كانت لطيفة تجلس في بيت اهلها حين دخلت عليهم عجوز من ذوى قرباهم تنبئها ان ابراهيم قد طلقها . وصعقت لطيفة ، ومرت في ذهنها المكدود صور ماضيها الملىء بالسعادة والشقاء .

لقد حطمت بيديها ذلك العش السعيد الذى كانت تعيش فيه مع زوجها الحبيب ، فاصبحت حياتها اشبه بالصحراء المجدبة ، بعد ان فقدت كل شيء .

وتلفتت حواليها تفتش عن وسيلة تضع بها حدا لهذه الحياة الكئيبة المروعة .. ولمعت في ذهنها الفكرة ..

ملأت الكانون فحما اشعلت بعضه ، ثم ادخلته الغرفة واغلقت بابها ، وجلست في ركن من اركانها تكتب الى زوجها رسالة تودعه فيها الوداع الاخير .

وبعد قليل ، اخذت تشعر بدوار بسيط ، ثم بدا القلم يسير ببطء على الورق . وشعرت أن غشاء خفيفا يتارجح امامها ليحول بين عينيها وبين الورقة .. وان يدها اصبحت ثقيلة قليلا .. وبدا الخدر يسرى خلالها ببطء .. وذعرت حين احست انها النهاية .. ماذا ؟ هل تترك لزوجها الحبيب رسالة ناقصة ؟ انها تريد أن تبثه كل ماق نفسها من نجوى .. وحاولت أن تنهض لتفتح احد الشبابيك ، ولكن جسمها كان ثقيلا .. وحاولت أن تصرخ ، ولكن لسانها لم يتحرك ، واحست كان خدرا لذيذا يسرى في اجزاء جسمها كله .. وسقط القلم من يدها ..

وفى تلك اللحظة فتحت الباب وشعرت بموجة من الهواء البارد تلفح وجهها ، ورفعت راسها المكدود الثقيل لتجد ابراهيم يقف امامها بقامته الفارعة ، لكنه بدا كمالو كان يقف وراء ستار ابيض شفاف .. هل هى احلام الموت ؟ .. وحاولت ان تنهض .. ولكنها سقطت على الارض مغمى عليها .

وامتلات خياشيم ابراهيم برائحة الغاز النفاذة .. وعرف كل شيء ..

وفى المساء ، فتحت لطيفة عينيها لاول مرة منذ الصباح لتجد غرفة نومها الجميلة .. وعلى جدرانها تنتشر اللوحات التى اختارتها هى وزوجها منذ زفافهما ..

هل هى في حلم ؟ وادارت بصرها الى جانب السرير لتجد ابراهيم جالسا على الكرسى وبيده الرسالة التى بدات تكتبها اليه ولم تتمها ، فرفعت اليه وجهها الشاحب لتقول بخفوت :

ـ هل طلقتنى ياابراهيم ؟

وكان جوابه قبلة طبعها على شفتيها الباهتتين فاحاطته بذراعيها الواهنتين وراحت تنشج باكية .

وحاولت لطيفة ان تقول شيئا ، فاشار اليها ان تسكت ومر بيده على شعرها وهو يقول بحنان :

ـ لاتقولى شيئا .. لقد عرفت كل شيء .. من هذه الرسالة الناقصة .

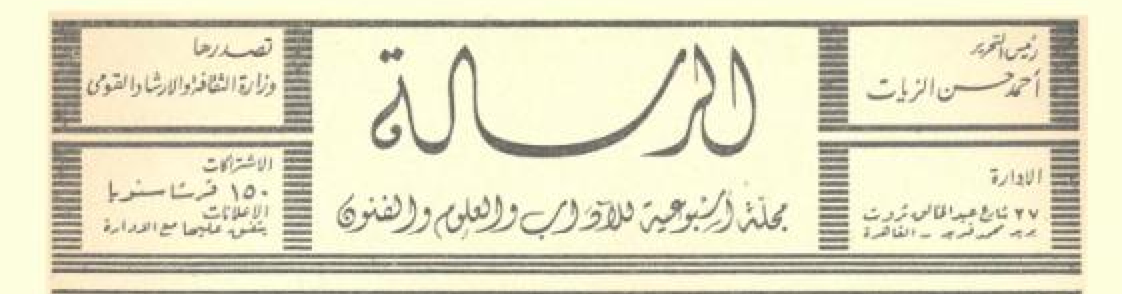

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٧ ـ أول جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

ثورة في وزارة الثقافة

بقلم : أحمد حسن الزيات

كانت وزارة الثقافة والارشاد القومي تسير في صفوف الزحف الثوري العـــارم بوقار العالم وأناة الأديب وتؤدة الفنان ، تجيش بالحياة ولا تفيض ، وتقرر المشروعات ولا تشرع ، وكنا نقول انها فترة الحشد قبل الهجوم ، وتنظيم الهجوم قبل المعركة ، ولكن الروح الثوري الذي انبث في كل شيء وانبثق في كل عمل ، كان يضيق بهذا البطء ويحاول أن يدفع بقيادة الثقافة الى الصف الامامي من ميدان الانشاء والاحياء والتوعية حتى تولاها الرجل الهادئ الثائر العمول وزيرها القائم ففجر في اقسامها المختلفة وأجهزتها العاملة طاقات الذهن المكنونة في رءوس خمسمائة من نابغي الشيوخ ونابهي الشباب ليقيموا للامة العربية (السد العالي) للثقافة يجمع وراءه العلم والادب والفن والمعرفة ليوزعهـــا على العقول والقلوب والارواح ، كمـــا يجمع وراء السد العالي للاقتصاد الخصب والنماء والرخاء والقوة ليوزعهـــا على الموات والزروع والنـــاس . وبهذين الخزانين الادبي والمادي يجتمع لنا مقومات الروح والجسد ووسائل الرفاهية والامن ودوافع السبق والتفوق .

هذا السد الثقافي الذي تريد الوزارة أن تقيمه بجانب السد الاقتصادي أسمته (المكتبة العربية) ورصدت له الأهب ووضعت له الخطط وأرادت منه تطوير الحياة العلمية والادبية والفنية باحياء ما درس وتجديد ما رث وتحقيق ما انبهم وتكميل ما نقص

وترجمة ما راع من آداب الأمم ونشر كل أولئك على القراء في معرض مستحدث ومظهر مستطرف ·

وهـــذا التخطيط باعتباره فاتحة للعمل وبداية للسير واف بالغرض موف على القصد ، ولكن الشيء الذى حك فى صدرى منه أن مكان الترجمة فيه مكان الفضلة لا الحاجة ، وان تصيبها منه نصيب الكمال لا الضرورة · والترجمة هى الوسيلة الاولى لدرء القصور عن اللغة وسد النقص فى الادب وكشف الظلام عن الامة ، ودفع النهضة الفكرية دفعا الى عصر الذرة وعالم الفضـــاء بعـد ما عوقها الجهل والاستبداد والاستعمار قرونا عن ركب الحضـارة · ذلك لاننا اذا نقلنا الى لغتنا نتائج القرائح لاقطاب العلم والادب والفن من الانجليز والامريكان والفرنسيين والالمـان والروسيين والطليان أصبح هؤلاء العالمون جزءا من كياننا الادبى وركنا من بنائنا العلمى نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه كما فعل آباؤنا الاولون · بما نقلوه من علوم الاغريق والهنود واليهود والسريان والفرس ·

ان أدبنا الحديث لا يزال ناقصا فى نوعه وبيانه ، لانه أنكر قديمه وجهل جديد الناس ، فلم يغذه ماض ولم يتمه حاضر ، فظل خديج الخلق لا هو حى ولا هو ميت · ولقد كان أدبنا القـــديم فى حـدود مراميه اللســـان العـــام لخوالج النفس الانسانية فى أكثر بقـــاع الارض ، فلم تـــكن هناك فكرة تجـول فى ذهن كاتب ، ولا صـــــورة تتمثل فى خاطر شاعر ، الا وجدت فى هـذا الخضم المحيط صـدفة تستقر فيهـــا · فلما تحولت عن مذاهبه الانهار ، وجفت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها الا قطرات المطر ودفعات السيل حينا بعد حين · فالقارىء العربى الحديث لا يجد فيما أثر منـه ولا فى أكثر ما اسـتجد فيـه غذاء عقله ولا رضا شــــعوره ، لان المأثور منه ناقص لانقطاعه عن ســير المدنية ، والجـديد منه ناقص لانعزاله عن الآداب الاجنبية · والغريب المخجل ان المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن الا فى اللغة العربية · حتى التركى يستطيع أن يقرأ فى لغة هوجو كله وشكسبير كله وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين الا كتابا أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه ! فاذا أردنا لادبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه فليس لنا اليوم من سبيل الا سبيل الأمس ، نرفده بآداب الامم الاوربية ، ونصله بتيار الافكار الحديثة ، فان لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص ، ولن يكون أدبنـا كاملا ما لم يلقح بآداب العالم · والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثرا فى الادب ·

وما قلته فى الادب أقوله فى العلم والفن ، فان ما فى العربية منهمـا لا يعدو فى الغالب أن يـكون ملخصات مجهولة النسب أو مقتبسات قليلة الغناء ، اذا نفعت أحـدا فانما تنفع طلاب المـدارس ، أما الشعب الظامىء للمعرفة فلا يجد بين يديه من أمهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه ، وما دام الامر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصـــورين فى حـدود القرون الوسـطى لا يواكبان ركب الحياة ولا يسايران تقدم الفكر ·

ان العلوم اليـــوم أوربية وامريكية مافى ذلك شك ، وان الفروق التى باعدت بين الشرق والغرب فى مدلول الانسانية الراقية انما يجمعها كلها لفظ العلم ، وهذا العلم الذى سخر السماء والارض وما بينهما للانسان الضعيف ، سيبقى غريبا عنا ما لم ننقله الى ملكنا بالتعريب ونعممه فى شعبنا بالنشر ، ولا يمكن أن يصلنا به او يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فان من المحال أن تنقل الامة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله الى الامة عن طريق الترجمة لذلك أرى من تمام الخير لهذه الثورة الثقافية المباركة ان يعاد النظر فى مخطط الترجمة ، فلعله يوضع على أن يكون لها فى (المكتبة العربية) ركن شامخ رحب يختار له عدد وفر من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى لغات التمدن المختلفة ينقلون عنها الثقافة نقلا منهجيا كاملا فلا يدعون علمـا من اعلام الادب والعلم والفن والفلسفة الا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الاصلية · فاذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا او امريكا وظهوره فى مصر الا ريثما يترجم ويطبع · هـــذا الركن سيكون بتجديده اللغة وتطعيمه الادب وتعريبه العلم وتعميمه الثقافة وتدعيمه النهضـــة وتيسيره القراءة جامعة شعبية لا تقل فى الاثر ولا فى الخطر عن جامعاتنا الخمس ، أو قل انه الميادين المتقدمة وهو مركز التموين الذى يمدها بالميرة والذخيرة والمدد ·

فاذا أقامت وزارة الثقافة بثورتها البناءة هـــذا

شخصية تونسية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

اجمعوا امرهم بليل ، فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء .

اجمعوا أمرهم على ان يغتالوه ، فلما اصبحوا ترصدوا له في الطريق فيما بين رادس وتونس . فيما بين البلدة التى يسكنها والمدينة التى يعمل فيها . وحين مر عليهم يقود سيارته ـ وهو وحيد اعزل من كل سلاح ـ جروا خلفه الى ذلك المكان المقفر ، الموحش ، الذى قدروا انه خير مكان لارتكاب الحادث ، ـ وهو حافة احدى المقابر ـ امطروه بوابل من رصاصات مدفع رشاش ، فاصابوه بجراحات وأصابوا سيارته بعطب حتى انكفأت .

***

كان هناك راع يرعى الغنم ، وفلاح يستنبت الارض ، وسيارة نقل كبيرة تنهب الارض . واشار الرجل الذى ينزف دمه من اكثر من مكان الى السيارة ، وطلب الى قائدها ان يحمله الى المستشفى الصادقى بتونس لعله ان يشفى مما اصابه . ولبى السائق ، وكاد أن ينقذ الرجل . ولكن سيارة اخرى وقفت وطلب سائقها ومن معه ان يكونوا رسل الرحمة ، فهم بالرجل اعرف ، وسيارتهم به أسرع ، ومكانه بينهم اليق ، وهم الى جواره حتى يأذن الله بالبرء من الجراح . ولبى سائق سيارة النقل هذه الدعوة كمالبى الدعوة السابقة ، وخلى فيما بينهم وبين الرجل .

حملوه معهم ، ومضوا به الى مكان آخر ليس هو المستشفى . وهناك اجهزوا عليه ، وشدخوا منه الراس ، وشوهوا منه الوجه والجسد ، وحملوه بعيدا عن مكان الجريمة ، والقوا به على قارعة الطريق .

***

علم البوليس الفرنسى بالخبر ـ كيف لا تدرى ! فلم يخبره مخبر ، ولم يبلغه انسان . ووصل من البوليس الفرنسى ـ وفى وقت معا ـ فريقان من العسكر : فريق الى مكان الحادث الاول حيث السيارة موجودة . وفريق الى الجثة الملقاة على قارعة الطريق . ومضى الاولون بالسيارة ، ومضى الآخرون بالجثة ، وطمس كل منهم معالم الجريمة . وبدا الامر وكان لم تحدث جناية ، وكان لم يكن هناك قتيل يستحق الرثاء او يستحق البكاء .

***

لقد تأخر الرجل عن موعده المضروب له فى مكان العمل ، وسأل عنه الزملاء أهل بيته فأجابوا ان قد خرج فى الموعد الذى يخرج فيه كل يوم . واصاب القلق الزملاء واهل البيت فقد كانوا جميعا يعلمون أن الرجل قد وصله تهديد بالقتل اكثر من مرة . ومضى كل فى طريقه يسأل عن الرجل ويستفسر من البوليس . واجاب البوليس الذى يعلم كل شىء انه لا يعلم شيئا . ومضى رجال البوليس فى عملهم العادى وكان ليست هناك جناية تستحق بعض العناية ، وكان لم يكن هناك قتيل يستحق شيئا من الرثاء او بعضا من البكاء .

(ثورة فى وزارة الثقافة ـ بقية)

الركن الركين فى (المكتبة العربية) بجانب الاركان الاخرى على اعتباره تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ ، رجونا أن تعود لغتنا وأدبنا الى الحال التى قال فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الاندلس « انا نحب أن نقرأ الشعر والقصص وندرس الدين والفلسفة فى اللغة العربية ، لانها لغة عذبة الالفاظ بليغة الاداء ، ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية . وشبابنا الاذكياء لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم . وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها اعجبوا بها . فاذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا « ان الفائدة منه لا تساوى التعب فى قراءته » ذلك ما قالوه فى لغتنا وادبنا بالامس ، وهو نفسه ما نقوله فى لغاتهم وآدابهم اليوم فهل فى ذلك لقوم بلاغ !

أحمد حسن الزيات

وفي الساعة الواحدة ، وبعد وقوع الحادث بخمس ساعات تقريبا ، أعلن الامن العام النبأ ، ونقل الرجل الى قريته التي فيها ولد ، ودفن الرجل في تلك القرية بمعرفة البوليس الفرنسي ، واطلق الأمن العام الشائعات - اذ لعلها أن تضلل الناس أو تصرفهم عن الوقوف على الحقيقة . ولم يسلم الامن العام الفرنسي القضية للقضاء التونسي وانما اسلمها للقضاء الفرنسي - مخالفا بذلك كل شريعة وقانون - حتى تظل الحقيقة مجهولة ، ويظل الناس في حيرة من امر هذا الحادث .

***

كانت تهمة الرجل عند قاتليه انه وطني مخلص ، وانه خصم نزيه ، وان شعاراته تحث دائما على المضي في الكفاح والنضال الى أن ينال الشعب التونسي حقوقه كاملة من المستعمر الغاصب .

كان مخططه السياسي يستمد مقوماته من تجربة الشعب التونسي في ميدان الكفاح والنضال، ومن تجربته الشخصية في ميدان العمل والعمال .

***

كان يرى ان الحركة النقابية هي الاساس الاول في سبيل وصول العمال الى حقوقهم والا ظلوا طبقة ، بائسة ، محرومة من كل حق - حتى من حقها في بعض ما تنتج من كسب مادي « **ان اتساع كفاح العمال ضد من يستغلونهم يكون في الواقع على نسبة تنظيم حركتهم ، ومدى تعزيز جهادهم وصفوفهم** » . « **وان الراسمالية الاستعمارية التي استقرت ببلادنا قد ضاعفت هجماتها على حركتنا ورجالها ، لان تلك الراسمالية ادركت ان كفاح الاتحاد العام يهدد امتيازاتها تهديدا مباشرا . وقد ازدادت قوة حركتنا ازاء هذه التهجمات بحيث ان العمال يبدون نحو مؤسساتهم العظيمة تعلقا لا حد له بالاضافة الى ما يظهرونه نحوها من ثقة عظيمة خصوصا في الاوقات الحرجة** » .

***

وكان يرى ان الطبقة العاملة في البلاد المستعمرة - اي الخاضعة للسيطرة السياسية التي تهدف الى الاستغلال الاقتصادي - تقع تحت طائلة نوعين من الاستغلال ! الاستغلال الراسمالي الذي يقاسي منه جميع العمال في البلاد الحرة المستقلة ، والمرتبط بطرق الملكية ووسائل الانتاج . والاستغلال الاستعماري الذي يجثم فوق صدور جميع السكان ، في البلدان التي لم تتحرر بعد ، ومن بينهم طبقة العمال . وهذا النوع الاخير يعاضد النوع الاول ويسانده ، ويجعله اشد خطورة .

ومن هنا كان ربطه بين العمل النقابي والعمل السياسي ، وكان قوله الى بعض محدثيه ممن يعيبون عليه اشتغاله بالعمل السياسي «**ولكن السياسة في كل ميدان ، واذا سمحنا لانفسنا بتجاهلها فانها لا تتجاهلنا .**

ان العامل التونسي في كفاحه من اجل التحرر من الاستغلال ، وفي سبيل التقدم الاجتماعي يصطدم بعقبات سياسية يجب عليه أن يجتازها . ولن يستطيع اجتيازها الا اذا اهتم بالميدان السياسي» . وقوله : **بان كل مشروع تحريري يجب ان يحارب النوعين في وقت واحد . وقوله : بان الرجال الذين يقودون الكفاح في الميدان القومي سيجدون طبقة العمال في جانبهم ما داموا يسعون الى تحقيق اهداف الوطن السامية ، وان النظام الاستعماري الظالم سيجد طبقة العمال واقفة في وجهه على مر الازمنة مادام يتحكم في مصير الوطن التونسي او في صرخته المدوية « ان جزء منه . بل من هنا كانت النظام الاستعماري يتنافى منافاة بانة اصلية مع المصالح القومية سواء في اتجاهاته الاقتصادية والاجتماعية ، او في طرق عمله القانونية والادارية والحربية والاقتصادية والسياسية . ومن العبث محاولة تحسين الحالة الاجتماعية او قلب نظام المجتمع قبل التخلص من النظام السياسي والاقتصادي الاستعماري - وبعبارة اخرى لسنا ببالغين هدفا من اهدافنا ما لم نبدل النظام السياسي الاستعماري الموجود حاليا بنظام سياسي أو اقتصادي يخصنا وينبت في ارضنا .**

ان الرسالة التي نؤديها لا تهدف الا الى تحقيق مصلحة طبقة العمال ، وسعادة شعبنا ورفاهيته ، وتحرير بلادنا - ولن نحيد عن طريقنا هذا ابدا » .

***

وكان يرى ان الحركة النقابية في تونس يجب ان تخرج عن أن تكون محلية . ويجب أن يسمع العمال التونسيون اصواتهم وكل القضايا التي تخص الشعب التونسي والوطن التونسي الى كل

عمال العالم . ومن هنا راح يتصل بالنقابات العمالية الدولية . وراح الفرنسيون يعاكسونه فى المجالات الدولية ــ وصبر حتى ظفر ، واعترفت النقابات الحرة العالمية « س ــ ى ــ س ــ ل » بان الاتحاد التونسى هو المنظمة النقابية القومية التونسية الوحيدة ، وانها تؤيدها وتتضامن معها ، وانها مستعدة لاعانتها على تكوين نقابات وطنية فى الجزائر ومراكش . وانها توافق على توحيد العمل النقابى فى المغرب العربى كله ــ ثم وعدت باعطاء اللغة العربية حقها فى نشراتها ومجلاتها .

***

اغضبت هذه الاعمال المستعمرين الفرنسيين ، ولم يكن فى مكنتهم الكيد للرجل عن طريق اعتقاله او تدبير التهم له فقد أصبح رجلا دوليا تتزعج النقابات العمالية فى العالم من اجله ، وتسعى فى سبيل الافراج عنه ورد حريته اليه . ومن هنا كان التفكير فى اغتياله وتدبير امر تلك الجريمة البشعة المنكرة التى وصفناها من قبل .

***

ولد الرجل من أسرة فقيرة بائسة فقد كان ابوه صيادا من صيادى الاسماك . وضحى أبوه فى سبيله بكل مايملك من جهد ومال وارسله الى المدرسة ولكن فقره حال بينه وبين الاستمرار فى التعليم . لذا لم يلبث ان انقطع عن التعليم وهاجر من قرية العباسة الى مدينة صفاقس ليعمل كاجير بسيط . وبعد سنوات استأجرته الشركة التونسية للنقل بالسيارات ليقوم بالعمل فى مكتبها بصفاقس كمحصل . ثم نقلته الى مكتبها فى مدينة سوس كمحاسب . وبعد ذلك بفترة اشترك فى مسابقة لاختيار بعض الموظفين فنجح وعين كاتبا للحسابات بفرع ادارة الاشغال العامة بصفاقس .

***

وفى كل هذه الاعمال كان مثال العامل المخلص ، والمواطن النزيه ، وكان يسهر على مصلحة اخوانه اكثر من سهره على مصلحته . ومن هنا احبوه ، وتبعوه فى غير تردد ، وانقادوا له فى غير احتراز ، واصبح عقلهم المفكر وعاطفتهم الثائرة وممثلهم النقابى الممتاز .

كانت أولى المشكلات التى واجهها فى عمله النقابى مشكلة وطنية صرفة فقد كانت النقابات الفرنسية لا تسوى بين العمال الاوروبيين والعمال التونسيين ، وكانت تستخدم قوة العمال التونسيين فى تحقيق اهداف بعيدة كل البعد عن مصلحة الشعب العربى فى تونس . ومن هنا نراه يدعو الى الانسحاب من المنظمة الفرنسية ، والى تشكيل نقابات مستقلة عنها .

***

بدا بتشكيل النقابات المستقلة فى الجنوب . فى مدينة صفاقس . وعاونه فى ذلك نقابى آخر ووطنى مخلص هو الحبيب عاشور . وحين رأى الرجلان ان نبتهما قد اثمر وان نقابات الجنوب قد اشتد ساعدها الى الحد الذى جعلها تسيطر تماما على الحركة العمالية فى المنطقة ، عمد الى تكوين نقابات مستقلة فى القطر كله ، وتفاهما فى ذلك مع الحزب الحر الدستورى ، واتفقا على أن يبقى الحبيب عاشور ساهرا على القوة الأصلية بمدينة صفاقس ، وأن ينتقل فرحات حشاد الى تونس .

وفى تونس نجح حشاد فى كل موقف ، وحقق كل ماكان يصبوا اليه من هدف ، وأصبح ملء سمع البلاد وفؤادها ، وانتقل من الحيز الضيق الاقليمى الى الحيز الدولى العالمى واصبح لا ممثلا للعمال فحسب وانما ممثلا للحركة الوطنية فى تونس . واحنق ذلك الفرنسيين ، وملاهم على الرجل غيظا وحقدا ، ففكروا فى الخلاص منه ، وكانت نتيجة تفكيرهم تلك الحادثة البشعة المنكرة التى دبروها بليل ، ونفذوها فى صباح .

***

ولد فرحات حشاد بجزيرة قرقنة ، فى قرية العباسة ، يوم ٢ فبراير سنة ١٩١٤ . واغتيل يوم الجمعة ٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ .

فرحم الله فرحات حشاد ورحم الله امثاله من كل وطنى غيور يضحى بنفسه فى سبيل مجد شعبه وامته .

د . محمد احمد خلف الله

الأصول العامة لنظرية الإسلام الاشتراكية

للدكتور محمد سعاد جلال

١ - نؤثر ان نقدم لهذه المقالة بكلمة «لبرناردشو» يقول : « لقد وضعت دين الاسلام موضع الاعتبار بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى انه حائز اهلية الهضم لاطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع ان يكون جذابا لكل جيل من الناس » وبالكلمة التى قالها « دوزى » احد المستشرقين الفاهمين ان المبادىء الاشتراكية هى من وضع الاسلام وانها وأيم الحق الناحية الحساسة جدا فى صميم قواعد الدين الاسلامى - ولها جهات تنطوى على نبالة القصد لازالة ضغط الحاجة الملحة عن الفريق الرقيق الحال فى مجتمعنا البشرى ويخيل الى كلما توغلت فى الاهداف الشرعية التى نص عليها قرآن المسلمين فيما يتعلق بالحياة الاشتراكية انى أرى دموع محمد تنسكب على محياه الصوفى كلما ورد اسم فقير على لسانه . أو تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر والفاقه »

ونحن وان كنا نعتقد أن الاسلام · حيث يتخذ مكانه فوق النجوم - اعلى قدرا من الحاجة لأمثال هذه الكلمات - وان واقع احكام القرآن وتشريعاته اكبر من كل شهادة - الا أننا تنتزل فى سوق مثل هذه الكلمات الى بعض العقول التى الفت الاهتمام بتفكير اهل « أوربا » لأن حظهم الثقافى من تراثهم العلمى التاريخى بحاجة الى زكاة واستكمال .

٢ - يحدد الاسلام طريقه لايجاد الوضع الاقتصادى الذى يريده - والذى سنصوغ لتمثيلة نظريتنا عن الاشتراكية الاسلامية بوسائل نفسية ، وتشريعية - اكثر فاعلية ، واقوى اجتذابا لانقياد الناس من كافة الوسائل التى تتذرع بها الاشتراكيات الأخرى لتحقيق هذه الغاية المثلى

اولا : بتحديد وظيفة المال وعلاقته بمالكه

ثانيا : بتهوين شأن الدنيا ولفت النظر للتعويض الاخروى

وثالثا : باعلان الحرب على الشح ، والترف ·

ورابعا : بالدعوة المتكررة المصممة الى انفاق المال فى سبيل الله ، ومحاربة الفقر .

تحديد وظيفة المال :

٣ - لم يعتبر القرآن المال منفعة متحجرة فى يد من يملكونها من الافراد ، يتصرفون فيها بحسب اهوائهم من غير تقييد لهذا التصرف برعاية المصلحة لانفسهم وللجماعة : بل اعتبره اداة عاملة متحركة لمصلحة الجماعة : ووضع عليه قيودا فى هذا التصرف . فقال : فكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال : « ولا تبذر تبذيرا » وقال : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم · التى جعلها الله لكم قياما » اى اساسا يقوم به معايشكم ومصالحكم الفردية والجماعية ، وان هذا المال مردود فى اصل اعتباره - الى انه مال الجماعة

واعتبر المال فى أيدى مالكيه كأنه وديعة عندهم وانهم مستخلفون فيه يخلف بعضهم بعضا فى احرازه والانتفاع به : واذا كانت علاقة صاحب المال بالمال انه قيم عليه فقطوانه مستخلف فيه بغيره من الناس فما أجدره ، ان ينتفع به بحذر واعتدال وعلى اساس من النظر لحقوق الغير : قال تعالى « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » : وقد قرن الكتاب فى هذه الآية بين الايمان وانفاق المال ليشير بذلك الى أنه لا يتم ايمان مسلم ذى مال يضن بانفاق ماله حيث امره الله : واعتبر المال الموجود فى ايدى الناس هو مال الله ، ليشير بذلك الى ثبوت حقوق من فرض لهم حقا فى هذا المال - لانه مال الله ؛ وليقطع من نفوس الاغنياء الاعتراض على ابتاء المال فى وجوهه التى الزمهم بها الشرع ؛ فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ومرة أخرى اعتبر المال مال الجماعة كلها : فقال « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ليرشد بذلك الى أمرين : أولهما أن العدوان على هذا المال بالاتلاف أو الانفاق فى غير الوجوه المأذون فيها شرعا، انما هو عدوان على مال الجماعة : فيجب ان تتضامن الجماعة فى منع وقوع مثل هذا العدوان بالوسائل التى تراها رادعة نافعة

وثانيهما : التذكير بان الثروة التى يكونها اى انسان ، قد اشترك فيها على الحقيقة مجهودات الجماعة كلها بالوسائط القريبة والبعيدة : فليس له أن يضن بحق ذوى الحقوق فى ماله عليهم وقد قصد القرآن قصدا - لأن يكون المال متحركا فى أيدى الطبقات كلها لا طبقة بعينها : فقال « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا

يكون « دولة » بين الاغنيـاء منـكم » والمـراد بقوله « دولة » ان يكون متـداولا مستعملا بين ايد كثيرة لا محبوسا متحجرا في يد طائفـة الاغنياء وحدهم : وقد لمح هـذا المعنى كانت » اذ يقـول » ان المـال كالسماد لا يكون نافعا الا اذا وزع على مساحة كبيرة من الارض » ٠

وهكذا حدد الاسـلام وظيفة المال تحديدا اشتراكيا واضحا

تهوين الاسلام من شان الحياة الدنيا

٤ ـ يهون الاسلام على نفوس المسلمين من شان الحياة الدنيـا تهوينا منطقيـا حكيما ـ وانمـا نعنى بالنص على التقييـد بالمنطقية والحـكمة ٠ فى شـأن هذا التهوين ، لان الاســلام دين واقعى عملى ٠ لا يذهب فى التهوين من شـان الدنيا الى القدر الذى يصرف الناس عن القيام بواجبات الحيـــاة ٠ ويغريهم بترك العمل ، والتهرب من المسئوليات الشخصية والاجتماعية وانما نقصد ان الاسلام يهون من شان الدنيا بالمقدار الذى يرد النفس الى القصد والاعتدال فى مطالبها ورغباتها ويصونها عن سعار المطامع الذى يسبب لها المذلة والهوان ويحرمها من طمأنينة القلب، وسلام الضمير ، ويوقظ فى أعماقها المشاعر الطيبة التى تتجه بها فى أعمالها ، الى ايثار الخير والمحبـة والتنزه ـ اذا كانت فى منـازل الغنى واليسار ـ عن الشح والتقتير قال تعـالى : « اعلموا انما الحياة الدنيـا لعب ولهو وزينة وتفـاخر بينكم وتكاثر فيالاموال والاولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما » وقال وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الاخرة لهيالحيوان لو كانوا يعلمون» وقال : « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» وغير ذلك منالآيات الكثيرة" الدالة على هذا المعنى ٠

فهذا التهوين من شــأن الدنيا ولفت نظر المؤمن الى طلب الحياة الآخرة ، لانها الحياة الباقية السرمديه ، من اقوى العوامل ، النفسية التيتخفف من حرص المؤمن على المال ، وتدعوه الى البذل فى سبيل الله ، وطلب الآخره : وهذا العامل له اعتباره، وتأثيره العظيم : فان الضـوابط المادية على الناس فيما يلزمهم ببذل اموالهم ، او ترك التنافس فى تحصيل المـال واحراز مازاد عن حاجتهم منه ، موقوتة الأثر بمقدار بقائهـا غالبا اما جذبهم لعوض الآخرة فهو العـامل المستمر وهذه احدى ميزات الاشتراكية الاسلامية فانما يراد لها ، أن تكون احساسا نابعا من النفس ، وانقيادا آتيا من القلب لا ان تكون عملية قهر وتنظيم بالضـوابط المـادية واساليب العنف والارهاب ٠

ويتفرع على مبدأ التهوين من شان الدنيا ان الاسلام عمل على محاربة الرذائل الآتية

(أ) الشح

ـ تبعا لسنة القرآن فى التهوين من شأن الدنيا نعى على الشح وذمه ، وجعل الفلاح فى التنزه عنه : قال تعـالى : « ومن يوق شح نفســه فاولئـك هم المفلحون » قالها مرتين : مرة فى سورة الحشر ، ومرة فى سورة التغابن ، وقال فى وصف المنافقين : « اشـحة على الخير أولئـك لم يؤمنوا فاحبـط الله اعمالهم » والشح امساك النفس عن الخير ، والبخل وليد الشـح ، وقد ذم الله المتصـفين به ايضـا ـ فقال « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سـيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ٠

وقد فسرت السـنة حقيقـة الشح وضرره ، فى قوله (ص) « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلـكم حملهم على ان يسـفكوا دماءهم ويسـتحلوا محارمهم » وقوله « اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشـــح ٠ امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وامرهم بالبخل فبخلوا ، وامرهم بالفجور ففجروا»

وهذا ايضا علاج نفسى ايمانى مقرون بتبصير المخـاطبين بواقع الشـح وعواقبه ، يراد به توطين النفس على ما يطالب منها من البذل فى سبيل الله وما سبيل الله الا مصلحة الجماعة المشتركة فى كل صورها ، كما سيتبين ذلك قريبا

(ب) العنجهية :

١ ـ من لوازم الراســـمالية ، ومضــــادات الاشــتراكية رذيلتان كبيرتان احـداهما العنجهية وثانيتهمـا الترف وهمـا من اكبر بواعث الفســاد المادى والادبى فى الارض ، وطريق الامم التى تصاب بفتنتهما ـ الى الهـلاك ، والانقضــــاء ، ولعـل الراسمالية فى صورها الفليظه لم تكن بغيضه الى الله ورسوله وسائر العقلاء الا من حيث استلزامها لهـاتين الرذيلتين ٠ الفاحشـتين التجهتين لتسعير

الانسان والعمران فان العنجهية وهي شر مظاهر الخيلاء ، والكبرياء والتجبر تستفز أصحابها الى الظلم والاستطالة والبغى على الناس بغير الحق ، اذ يخيل لبعض الموصوفين بهذه الرذيلة — من حيث كثر مالهم وتفاحش استغلالهم لنفس الغير ، وثقلت أيديهم على أعناق الذين يعملون فى نطاق ثرواتهم — أنهم بشر أعلى من البشر ، جنس متفوق فريد لا يرى بهم غيرهم من سائر ولد آدم : وينعكس هذا الخيال المريض على تصرفاتهم ، واعمالهم ، وتقديرهم لفكرة الحق والاعتبارات الانسانية فيظلمون ، ويفسدون ، ويقسون ، ويشوهون بأعمالهم وجهالانسانية وجمالها ويضعون بفسادهم وافسادهم فى طريق الانسانية أعتى العوائق التى تمنع التقدم ، والأمن الملتمس فى المناطق التى يوجدون فيها : قال تعالى حكاية عن موسى : « ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك » .

وبلغ من عنجهية هؤلاء الراسماليين المتكبرين ، انهم كانوا يعيرون الانبياء بمسارعة الجماهير الشعبية الى تلقى دعوتهم : ويتذرعون بذلك للصد عنهم وعدم الاستجابة لدعوتهم : يقول قوم نوح له وهو أقدم المرسلين : ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى لراى وما نرى لكم علينا من من فضل» فيجيبهم بما حكى القرآن على لسانه « وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ، ولكنى اراكم قوما تجهلون » وتتكرر القصة هكذا مع غير واحد من الانبياء المرسلين : حتى سيدنا محمد (ص) فتكرر نفس المنظر ، ونفس المقالة ونفس الجواب من قبل النبى — ص —

فان كفار قريش كانوا يضيقون بمجالسة فقراء الصحابة للنبى كبلال وغيره ، فأنزل الله على النبى (ص) «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهة ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين» فأكد الله بذلك حق الفقراء الكامل ومساواتهم الكاملة للاغنياء فى حفاوة النبى واهتمامه بمكانهم فى صفوف الدعوة — وانهم بمجرد الايمان اكتسبوا فى الكرامة حقا لا يستطيع النبى سلبه منهم اذ أصبح شأنهم مع الله مقدما على شأنهم معه : وهدد بأنه لو صانع على حسابهم لاخذ بعقاب الظالمين

(ج) الترف :

وهو الرذيلة التى اناط الله بها تدمير الامم فقال « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ومعنى الآية : واذا حقت ارادة الهلاك لامة من الامم كان السبب لذلك فعل أنفسها وانحراف بنيها عن الصراط المستقيم : اذ يؤمرون من الله بالحق والشريعة الدالة على سبل الخير والحكمة فى امر معاشهم ومعادهم ، فيفسقون عن هذا الامر ويتمردون عليه ، ويحملهم شيطان الترف ويسر النعمة ووفرة المال . على ارتكاب الفواحش ، والدخول مداخل السوء والاستذلال لمطالب الشهوات ، والخنوع لداعية الغرائز . فيكون سعيهم فسادا وفكرهم ضلالا . وبصرهم عمى ونشاطهم موجها ضد مصالحهم . نعند ذلك تختلف قلوبهم وتتمزق جماعتهم وتتصدع وحدتهم فاذا هم على سطح الحياة غثاء كغثاء السيل . لايملكون لانفسهم منعة ولا دفعا . فيغلب عليهم عدوهم ويزيل من الارض كيانهم ودولتهم : وهذا هو تفسير الدمار الذى نصت الآية على أنه المآل الحتمى للترف والمترفين .

ونلاحظ ان اهلاك القرية مسند الى ارادة الله كما ان التدمير فى الآية مسند الى الله أيضا فيخيل لمن لم يتمرس بأساليب القرآن ان فى الامر اشكالا : وليس الامر كذلك . فقد درج القرآن على ان ينسب تأثير السنن الكونية فى مفعولاتها الى الله سبحانه وتعالى . من حيث ان الله هو خالق الكون كله وخالق ما فيه من سننه . وذلك فى القرآن كثير مثل قوله تعالى «هو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت » وقوله . وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » فان سوق الرياح وانزال المطر حاصل بفعل السنن الكونية لا محالة وليس من فعل الله المباشر لكن لما كانت السنن نفسها من فعل الله صح اسناد الفعل لله ولا يجوز عقلا ان يسلط الله ارادته الفاعلة على اهلاك امة بغير سبب اقتضى ذلك من فعل انفسها : وكانما قصد القرآن قصدا الى توضيح هذا المعنى فقال . فى آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » وقال « ان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دكتور محمد سعاد جلال

بين المسايرة والاحتجاج فى أدبنا

للدكتور أحمد كمال زكى

حين تحول هنريك ابسن فى مسرحياته المتأخرة من الواقعية الى الرمزية قيل : لقد اراد ان يحتج ! باعتبار أن التعبير الرمزى بما فيه من توجيه يرأبا ما فى الكشف الواقعى من صدع ، أو يكمل ما فيه من نقص . فالذهن لا يقنع ابدا بما هو موجود، وهو يحاول دائما أن يتعمق لينتقد ، وليس ثمة أقدر من الرمز على تخطى السطوح الى الاعماق .

ولكن « حالة » ابسن ليست قاعدة ، وان يكن نظيرها موجودا فى كل العصور . بل قد تجد من الرمزيين من يحس ان معاناته لا يبلورها حدسه ولا احجيته ، ومن ثم يلجأ الى التعبيرية كبديل مباشر للرمز .

واذن فقد نستطيع أن نثير من هنا قضية أدبية، ونستطيع فى الوقت نفسه أن نبسط هذه القضية بجملة أسئلة هى على النحو التالى :

لماذا يتحول الادباء من أسلوب فنى معين الى أسلوب آخر ؟ ألأنهم متقلبون أم لانهم يصلون الى مرحلة يحسون فيها بعجزهم عن الاستمرار على النحو القديم ؟ فاذا لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا يستمر بعضهم ويتخلف الآخر أو يخلد فريق ويتوارى فريق ثان فى زوايا النسيان ؟

القضية ضخمة كما نرى ، وهى تمس الجميع.. حتى هؤلاء الذين يعالجون مشكلات الانسان ، وقد كان من هؤلاء طائفة خلطت لهذا العلاج على نحو تساير به أوضاع العصر !

وكان البحث السيكلوجى قد أكد ان الاديب الكبير يصل غالبا الى مرحلة يحس فيها بالخلف مع مجتمعه، ويرى أن من الضرورى أن يقوده الى المثل التى تتكشف فى عالمه . وهو أحيانا يجد من الشجاعة ما يدفعه الى مجابهة مجتمعه بهذه المثل ، وأحيانا يلتوى التواء ابسن ، أو يسلك مسلك ابن المقفع فى « كليلة ودمنة » ان شئنا أن نقيس الحالة بنظيرها العربى .

وربما يعجز الاديب نهائيا عن أن يبوح ، فيكون الانغلاق ، أو يقع ذلك الغموض الذى يجعل العمل الادبى غالبا عملية ذهنية لا ضابط لها .

ونحن لا يعنينا هؤلاء ، وانما يعنينا الادباء الذين يحاولون أن يكونوا أنفسهم فى العمل الادبى .. الادباء الذين يصدقون ، وتكون نتيجة صدقهم مواجهة المجتمع باحتجاج محدد ويوطوبيا لها معالمها الواضحة

وفى هذه الحالة يفسر تحول ابسن الى الرمزية بوقوعه تحت تأثير هذا المبدأ الاخلاقى وهو الصدق، كما يفسر تحول ابن المقفع الى القصص الرمزى برغبته فى أن يعترض على ما هو كائن ليستبدل به ما ينبغى أن يكون .

وبعبارة واضحة رفض أن يساير ، وقرر أن يحتج !

وبوصولنا الى هذه النقطة نصل حقيقة الى جوهر ما نريد ، وهنا يعن لنا أن نسأل من جديد : ماذا كنا نحن فى آثارنا الفنية المكتوبة ؟ أغلب علينا الاحتجاج فى الادب أم استأثرت بنا المسايرة ؟

والاجابة ليست سهلة اذا عرضنا لتاريخنا الادبى فى شتى بيئاته ، وكانت كل بيئة ـ داخل الاطار الفنى التقليدى ـ تفرض أسبابها وتلون آثارها الالوان التى يصعب انكارها ، غير اننا لاحظنا أنه بالاضافة الى الهوة السحيقة التى كانت بين غايات الادب وغايات المتلقين لهذا الادب ، بدا أن جزءا ضخما من تراثنا الفنى قد ضل الطريق . وكانت القرون الطويلة التى قطعتها رحلة الادب قد كشفت عن أن الخلق الادبى لم يكن خالصا لوجه الفن،وكان لوقوعه فى سر نظريات الاغريق البلاغية ـ التى تقوم على المنفعة آنا واللذة آنا آخر ـ أثر فى انحرافاته التى لم تشكل وحدة متطورة بقدر ما صورت قفزات بعضها مضىء وأغلبها معتم !

هذا التخلخل القائم أساسا على فقدان الاتجاه الفنى المسدد هو اول الصعوبات التى تواجه مؤرخ الادب . غير أنه يلحظ بسهولة ان الجاهليين ـ باستثناء صعاليكهم ـ أضفوا على الشعر طابع المسايرة ، وكان النثر الفنى مخنوقا بحاجات الخطيب ومطالب الكاتب المحدودة .

وفى أيام الأمويين لم يواجه الاديب تحديا ، بل قل أن نجد أديبا يقيم مثلا يدعو اليها أحدا . حقا نجد واحدا كالفرزدق يحتج على الخليفة فى دمشق ، الا أن احتجاجه لم يكن ليبقى بعد أن يرفع الخليفة ما وقع على تميم ـ قبيلة الشاعر ـ من ظلم .

واما شعراء الاحزاب ، فلم يكن احتجاجهم بالقوة التى يضمنون له البقاء بها . وكان واحد كالسيد الحميرى يمالىء العباسيين ، وكان دعبل الخزاعى

يتورط في مدح بعض من يهاجمون الشيعة ، وهكذا ..

وخارج ذلك النطاق نرى المسايرة يضطرب فيها المدح والفخر والهجاء والرثاء وماشاكل ذلك مما يسمى - في عرف القدماء - بفنون الشعر ، ولم يشذ الشعراء الكبار الا نادرا . ومن ثم التقى شعر المتنبي بكثير من شعر سابقيه ، وكان حريا أن يضيع لولا هذه الومضات الانسانية التي تنكشف حينا بعد حين .

وربما كان بقاء انتاج المعري أضمن وأوثق ، لوجود تلك الومضات من ناحية ولوجود الاحتجاج التي تفسرها فلسفته من ناحية ثانية . ولعلنا من هنا نعجز عن أن نجد في أدبنا واحدا كالمعري يجمع في آثاره التعبير عن قضايا الانسان الكبيرة والتعبير عن سخطه وتفكيره في يوطوبياه الهادئة .

ولعل حازما القرطاجني المتوفى في القرن السابع الهجري كان أعمق بلاغيي العرب في تحليله طبيعة فن القول من حيث الصدق والكذب ، كما استطاع أن يقدم تبريرا عقليا للقاعدة التي وضعت للقصيد منذ قديم وهي : أعذب الشعر أكذبه !

قال في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » الذي نشر بعضه الدكتور عبد الرحمن بدوي : ان الاديب شاعرا كان أو خطيبا له أن يكذب ، ولكنه الكذب الذي هو أقاويل مخيلة في الشعر والذي هو يقنع عن طريق الاستهواء والتمويه في الخطابة ، على أنه لا يليق الكذب اطلاقا حين يقصد الاديب الى « مناصحة ذوى التصافي » .

هكذا ببساطة وبصراحة . وان يكن بعض الدارسين أجمع على أنه كان يناقش مبدأ الخير في « جماليات » الادب . ولم يختلف عنه أدباء العصور الوسطى في أوروبا ، حيث لم يكونوا يسمحون للخيال بأن ينشط الا حيث يكون الخير محك كل شيء !

تلك المشكلة موضوع آخر جدير بالبحث ، غير أن مبدأ الكذب الذي يلازم دائما أدب المسايرة كان موضوعا جديا للبحث الرشيد . وقد بقي سائدا عصرنا هذا ، وعاش في ظله معظم الادباء العرب حتى ثلاثينات هذا القرن . وكانوا يصدرون عن ايمان بأن أعذب الشعر لا يزال أكذبه ، وأن أجمل النثر ما كان صنعة بيانية لا تكشف عن شيء أصيل .

كان أدب هؤلاء أدب الممالأة ، ولم تجد لهجات الحجاج البليغة ، وشذت فئة قليلة كان المازني بعض آثارها ، وكان طه حسين في قسم من قصصه من هذه الفئة ، بينما غلب على الشعراء روح المسايرة بصفة عامة . واليوم نجد نجيب محفوظ ، وهو في أعماله الاولى لم يناقش قضايا ضخمة كما فعل في « أولاد حارتنا » أخيرا ، ولكن نغمة الاحتجاج هي التي كفلت لتلك الاعمال بقاءها . وهي نفسها التي تسم أعمال الشرقاوي ، ثم هي التي لم تخل منها بعض أعمال شباب هذا الجيل في العالم العربي كله .

والا فلنعد نقرأ أعمال صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب والبياتي وعلي أحمد سعيد من الشعراء ، ويوسف ادريس وسميرة عزام وغسان كنفاني وزكريا تامر ومحمد ديب من القاصين .

الادب عند هؤلاء لا يسلم بما هو كائن ، ولا يرضى عن كثير مما يراه .. فقد تغير منطقه ، وتغير بالتالي حكمه على الاشياء ، ولم يعد يؤمن بجبرية القدر ، لان له عقلا واعيا ، ولان الحياة تجبر الانسان على ألا يواجهها بالتسليم المطلق .

الادب عند هؤلاء تفسير للحياة .. عملية اسهام في وضع المفاهيم الجديدة التي تكفل شتى الحلول لشتى المشكلات .

الادب عند هؤلاء نقد واعتراض ، وهذا النقد نقله من محليات الاقليم الى عالميات الكون .. هو خطوة لان يبعد الاديب ببصره ، وتتسع آماله حتى تعانق رغبات الانسانية جميعا .

زكريا تامر مثلا قد يقف عند المجتمع السوري معترضا ، غير ان اعتراضه هذا يهيىء له أن يعالج التجربة في علاقاتها الانسانية كلها ، لان القياس لا يتحقق الا بوجود الكل ، واذا خرجت التجربة من اطارها المحلي فلا بد من أن تزهر وتثمر .

وصلاح عبد الصبور .. في رموزه وأساطيره وفي صوره ، يؤكد أن اغناء تجربته عن طريق الاحتجاج احد مدارج العالمية ، وليس من ريب في أن النمو الذي نلحظه اليوم في شعره يدل على أنه في الطريق الى المشكلات الكبيرة للانسان .

وغير زكريا وصلاح كثيرون ..

انهم على الدرب ولن يتوقفوا ، وفي غد سيأتي الجيل الذي يقول : هؤلاء نقلوا أدبنا من طبيعة المسايرة الى الاحتجاج ، فخرجوا به من محليته الى الاطار الانساني الكبير .

دكتور
احمد كمال زكي

عُبادة بن الصّامت

للواء الركن محمود شيت خطاب
وزير البلديات في حكومة العراق

مع النبي :

قدم مكة الحيسر أنيس بن رافع في مائة من قومه من بني عبد الاشهل يطلبون الحلف مع قريش ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ؛ فقال اياس بن معاذ وكان شابا حدثا : « يا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ! » ، فضربه الحيسر وانتهره ، فسكت ! ولم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا الى المدينة .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند (العقبة) ستة نفر من الانصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم الى الاسلام فآمنوا وأسلموا ، وقالوا : « انا قد تركنا قومنا وبينهم حروب فننصرف اليهم وندعوهم الى ما دعوتنا اليه ، فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك ، فان اتبعوك فلا أحد أعز منك » .

وانصرفوا الى المدينة فدعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم ، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اذا كان العام القادم ، قدم الانصار اثنا عشر رجلا ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وحضرها سبعة آخرون كان أحدهم عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي .

وشهد عبادة العقبة الثانية ، وبايع مع من بايع من الانصار على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، وان يرحل اليهم وأصحابه .

لقد كان عبادة أحد النقباء الاثني عشر ، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي . وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عقبيا نقيبا بدريا انصاريا ، وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وقال له : «اتق الله ! لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها ثؤاج » ، قال : « فوالذي بعثك بالحق ، لا أعمل على اثنين » . وكان قد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الا يخاف في الله لومة لائم .

وكان بنو قينقاع حلفاء عبد الله بن ابي بن سلول ، كما كانوا حلفاء عبادة ، فلما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبدالله ابن أبي دونهم فقال : « يامحمد ! أحسن في موالي » ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا . اما عبادة فقد مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلعهم وتبرأ من حلفهم ، وقال « يا رسول الله (أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » ، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزل قول الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين) . وقد أمر الرسول القائد أن يجلوا من المدينة وولي اخراجهم منها عبادة .

لقد كان عبادة مثالا للامانة والاخلاص والايمان العميق .

جهاده :

كتب يزيد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب : « قد احتاج أهل الشام الى من يعلمهم القرآن ويفقههم » ، فارسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء ، فأقام عبادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح عندما سار لفتح (اللاذقية) ثم صرفه لفتح (انطرطوس) ففتحها .

وشهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد ، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص فارسل الزبير ابن العوام في أثره في اثني عشر ألفا ، وفي رواية أن عمرا مد عمروا بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة وقال عمر : « اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام ألف » .

وأرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ماعساه يكون فيه صلاحنا ولكم » ؛ فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة ، وكان أسود اللون ضخما طويلا ، وأمره أن يكلم القوم وألا يجيبهم الى شيء دعوه اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث . ودخل القوم على المقوقس وأراد عبادة مخاطبته ، فلما رآه قال : « نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني » ، فأجابوه جميعا : بأنهم يرجعون الى قول عبادة ورأيه . وتكلم عبادة

وذكر ما أمر الله ورسوله المسلمين به من الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، والجهاد فى الله وحب الاستشهاد فى سبيله . فقال المقوقس لعبادة : « لقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وانا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا شهرا وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، وتطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوة لكم به » ، فأجاب عبادة مزدريا جمع الروم وعددهم ، ذاكرا قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) ، وأن كل رجل من المسلمين يدعو ربه صباح مساء أن يرزقه الشهادة ، وأنهم الى ذلك فى أوسع السعة من معاشهم وحالهم ، ثم قال : « فانظر الذى تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك أو نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا » . ثم ذكر له أنهم ان أسلموا انصرف العرب عنهم ، وان أبوا الاسلام وأدوا الجزية أدخلهم المسلمون فى حمايتهم ودافعوا عنهم ، وان أبوا الاسلام والجزية جميعا ، فليس الا الحرب .

وحاول المقوقس عبثا أن يصرف عبادة الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ، والتفت الى من معه يستطلع رأيهم فأبوا اجابة المسلمين الى شيء مما طلبوا ، فانصرف عبادة وأصحابه لم يغيروا مما قالوه حرفا .

ونشب القتال بين الطرفين حول حصن بابليون ، فأحرز المسلمون النصر بعد أيام معدودة من مفاوضة عبادة والمقوقس .

وشهد عبادة معارك فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وفى رواية أنه فتح الاسكندرية ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر . انكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذلك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم . وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم . وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ماكنت أعرف الآن يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم . فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية ، وقدم أولئك الاربعة فى صدور الناس ، ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة ، فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة ، وليعج الناس الى الله ويسالونه النصر على عدوهم » ..

وتلا عمرو كتاب أمير المؤمنين وأخذ يفكر فى خطة يفتح بها الاسكندرية ، ثم دعا عبادة فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية .

وعاد الى أرض الشام فشهد مع معاوية بن أبى سفيان فتح جزيرة قبرص ، وكان له أثر حاسم فى فتح هذه الجزيرة .

الانسان :

كان عبادة من المسلمين الأولين وكان نقيبا وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وكان يقول : « أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة » وكان ممن جمع القرآن الكريم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يخاف فى الله لومة لائم ، فكان فى كل عمره يعمل بذلك . كان معاوية قد خالفه فى شيء أنكره عليه عبادة فى الصرف ، فأغلظ له معاوية فى القول ، فقال له عبادة : « لا أساكنك بأرض واحدة أبدا » ، ورحل الى المدينة . فقال له عمر : « ما أقدمك ؟ » فأخبره ، فقال عمر : « ارجع الى مكانك ، فقبح الله أرضا لست فيها ولا أمثالك » . وكتب الى معاوية : «لاامرة لك على عبادة!» . وقد ذكر معاوية الفرار من الطاعون ، فأنكر ذلك عليه عبادة ، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر ؛ فقال : « الحديث كما حدثنى عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو أفقه منى » . ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وانكاره عليه أشياء ، وفى بعضها رجوع معاوية له ، وفى بعضها شكواه الى عثمان منه ، وكل ذلك يدل على قوته فى دين الله وقيامه فى الامر بالمعروف .

ولماذا نعجب من ذلك ، وقد كان عبادة يعاتب حتى عمر بن الخطاب ، فقد قال عمر لجبلة بن الايهم : «ان أقمت على دينك فأد الجزية » فأنف منها جبلة ، فقال له عمر : « ما عندنا لك الا واحدة من ثلاث : اما

الاسلام ، واما أداء الجزية ، وأما الذهاب الى حيث شئت » ، فدخل بلاد الروم ، فلما بلغ ذلك عمر ندم وعاتبه عبادة فقال : « لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم » .

لقد ارسله عمر الى الشام يعلمهم القرآن ويفقههم : وكان قبل ذلك يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من ولى قضاء فلسطين ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وواحد وثمانين حديثا ، وكان أحد أصحاب الفتيا من الصحابة وكان قد تفقه في دين الله .

ولاه أبو عبيدة امرة حمص ثم صرفه الى الجهاد ، ولما توفى أبو عبيدة ولاه عمر حمص ثم صرفه الى الجهاد في مصر ، ولكنه عاد الى أرض الشام فلم يزل بالشام حتى توفى بالرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين (٦٥٤ م) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، أي أنه ولد سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة (٥٨٦ م) ، وكان رجلا طوالا جسيما جميلا ، وله عقب .

لقد كان عبادة من سادات الصحابة وكان محدثا فقيها عالما ورعا غاية الورع .

يعمل لعقيدته أكثر مما يعمل لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته .

القائد :

كان عبادة رجلا معدودا بألف رجل ، وقيمته المرموقة هذه لها سببان: شجاعته الشخصية واقدامه اولا ، وعقيدته الراسخة وايمانه العميق ثانيا .

كان وجوده – مجرد وجوده في جيش من جيوش المسلمين كافيا لرفع معنويات ذلك الجيش واقدامه على تحمل أشق أعباء القتال ... اذ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والاقدام ، كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع الايمان بالقضاء والقدر والتطلع الى الشهادة في سبيل الله .

لم يكن عبادة يكترث بالموت ، بل كان يسعى اليه سعيا حثيثا ، وكان شعوره هذا ينتقل الى نفوس من يحيط بهم فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال .

لقد كان بالاضافة الى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها ، راجح العقل ألمعي الذكاء ، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائما . كما كان لماضيه المجيد في خدمة الاسلام أثر كبير في حب رجاله له وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حبا بحب وثقة بثقة .

وكان يدقق كثيرا في (اختيار مقصدته وادامته) ويبذل كل جهده لانجاز (تحشيد قوته) ويحرص غاية الحرص على عدم اعطاء خسائر لا مبرر لها بالارواح وذلك باتخاذ تدابير (الأمن) ، وكان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لها احتياجاتها (الادارية) .

ان عبادة قائد عقائدي من الطراز النادر .

عبادة في التاريخ :

يذكر التاريخ انه كان أحد اثني عشر نقيبا كان لهم الأثر البعيد في نشر الاسلام بين الأوس والخزرج من اهل المدينة المنورة ، فمهدوا بذلك لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليها وجعلها القاعدة الأمينة لنشر الاسلام بعد الهجرة .

ويذكر له جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية .

ويذكر له جمعه القرآن الكريم ، وروايته لكثير من السنة النبوية ، وعمله الدائب في تفقيه الناس بالمدينة وأرض الشام .

ويذكر له انه كان من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا باقوالهم واعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان .

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه أمير المؤمنين وأمراء الأمصار وقادة الجيوش .

ويذكر له فتحه بلدا في أرض الشام ومدينة في مصر ، واثارته ينابيع التضحية والفداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر .

انه أمة في رجل ... انه مدرسة كاملة ... انه نسيج وحده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، النقيب الأمين ، المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، عبادة بن الصامت الانصاري .

محمود شيت خطاب

أبو تمام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ١ -

أبو تمام شاعر فحل، وصاحب مدرسة فى الشعر العربى كله . والتعريف به هنا لا يتناول كل جوانبه الفنية التى تزاحمت أخبارها فيما كتب عنه قديما وحديثا ، وانما هو تعريف قصدت به القاء أضواء على جوانب تلك الشخصية العظيمة، ولا على بعد ذلك اذا انحسرت الاضواء عن بعض جوانبه الشامخة ، فالرجل عظيم ، وحديثنا عنه محدود بما أخذنا به أنفسنا من وجازة وهدف معين .

والخطوط العريضة التى رأيت أن أرسم بها شخصية الشاعر وفنه ، تلوح فى الاطار التالى :

١ ـ عرض سريع لحركة التجديد والتطور فى الشعر العربى .

٢ ـ التعريف بكل ما يتصل بمولده ، ونشأته ، ونسبه ، ورحلاته وآماله ؛ ومن اتصل بهم ؛ ووفاته .

٣ ـ ثقافته وأثرها فى فنه .

٤ ـ مذهبه الفنى ، وينتظم هذا : التكلف والصنعة ، وعمود الشعر العربى .

٥ ـ ما له ، وما عليه ، مع كلمة عن أغراضه الشعرية .

* * *

الجمود والتجديد

وصف الأصمعى الشعر العربى بقوله : « الشعر جزل من كلام العرب، تقام به المجالس، وتستنجح به الحوائج ، وتشفى به السخائم » ، والاصمعى ـ كما نعلم ـ مخضرم عاش فى الدولتين الأموية والعباسية ، وشهد حركة الترجمة ، واستمع الى المحدثين من أمثال بشار ، وأبى العتاهية ، ومسلم ابن الوليد ، كما نعلم عنه كذلك ، أنه عاش حياته كلها لا يؤمن الا بالشعر القديم ، ولا يرى حسنة لهؤلاء المحدثين الذين يلتقى بهم فى المحافل وفى قصر الخلافة . ولئن كانت أغراض الشعر فى تقديره كما وصف حينذاك ، فان المولدين يرون فى موضوعات الشعر ما هو أبعد من ذلك مدى ، وأكثر تنوعا ، فالشعر القديم كانت له أغراضه التى استمدها من بيئته ، والشعر الجديد فى عصر التحول الفكرى يجب أن يبسط سلطانه على كل ما فى هذه الحياة التى اتسعت آفاقها بما جد فيها من أمور ، وما طرأ عليها من تغيير . فالشعر فى نظر المولدين لا ينبغى أن تقتصر رسالته على ما أجمل الاصمعى ، بل لا بد ان يتناول كل شىء فى بيئته ، وأن يساير فى نهجه وأخيلته تلك الثقافات التى ترجمت ، بأن يقتبس منها ما يكسبه جمالا على جماله بحيث يسيغه الذوق الذى صقلته الحضارة وأخصبته الثقافة المترجمة .

وهذا ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) يقرر فى كتابه الشعر والشعراء حين يتحدث عن الشعر القديم والجديد فيقول : « ... فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه مواضع متخيرة ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل فى زمانه ورأى قائله . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم . بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثا فى عصره » .

وعلى ضوء ما قرر ابن قتيبة نتناول أمر التجديد فى الشعر على عصر العباسيين ، لان الذى أحدثه قيام دولتهم ظهر واضحا فى ضعف الملكة ،واستعارة المحسنات البديعية ، والالحاح على المعنى ، والمضى فى المبالغة ، ثم تناول الشعراء فى شعرهم أغراضا شتى يسرتها لهم البيئة واضطرهم اليها أسلوب الحياة الاجتماعية ، والعقلية ، والنفسية ، وبما أن الشعر مظهر من مظاهر النفس ، وتعبير صادق عما ينطبع عليها من شئون العيش الجديد ، فان الشعر سيصورها للناس كما وجدها وكما يجدونها ، وسيترجم للمجتمع آلامها التى يحس بها هؤلاء وأولئك ، وآمالها التى يعيشون من أجلها . فاذا جانب هذا النهج كان كالببغاء تحكى ما لا تفهم ، وجاء تأثيره على النفوس فاترا لا ظل للواقعية فيه .

واذن فمن الطبيعى أن يجد على الشعر جديد فى : فنونه وأساليبه ، ومعانيه وأوزانه حتى يساير شعور الجيل الذى تأثر بالحضارة . وعب من معين الثقافات الاجنبية حتى ارتوى .

وكان الشعر يروى فى عصر بنى أمية للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة ، ولم يهتم العلماء بتدوينه حينذاك ، فلما آلت الخلافة الى العباسيين، وتغير الدم العربى فى الربع الاخير من القرن الثانى تأثر الشعر العربى فى طريقته ، فنحى منحى الرقة،

ونزل عن أساليبه القديم ونهجه الذي كان يصدر عن ذوق عربي خالص ، فوصف للعـــرب وهم خارج جزيرتهم بيئتهم الجديدة ، ومال في بعض أوزانه الى الخفة التي تجتذب العوام ، وتحرك النفوس ، « وفي سنة ١٤٣ ، شرع العلماء في تدوين كتب اللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة » ، ثم بدأ العلماء في عصر المهدي (١٥٨) يدونون الشعر على ما سنعرض له في مناسبة أخرى .

وبقيام الدولة العباسية ، انتقلت الزعامة الادبية من الحجاز ودمشق الى عاصمتهم بغداد ، فقصدها الأدباء من كل فج ، وهوت اليها أفئدة الفنانين من شتى الآفاق ، لانها قلب المملكة الاسلامية الخافق بالشعر ، والعامر بحب الفنون ، ولان في بغداد علية القوم من مصابيح بني هاشم وأجاويد بني برمك ، وديدن الشعراء أن تجتذبهم المنح ، وأن تستهويهم حياة الترف والنعيم :

تسقط الطير حيث ينتثر الحب
وتغشى منازل الكرماء

وقد تواترت الاحاديث عن ساكني بغداد في هذه الفترة بأنهم قوم ظرفاء، برعوا في فن المنادمة، وكلفوا بتناشد الاشعار في انديتهم وفي اسواقهم ، يقبلون على الآداب في شوق ورغبة ، ويسعون الى الشعراء في اعجاب واكبار، فلا عجب أن تضم بغداد مثل هذه النخبة التواقة فلقد انتهى اليها المجد الادبي الذي كان للبصرة والكوفة وعقد لها لواء الشعر الذي كان يرف على دمشق عاصمة الامويين ، ومن ثم جذبت مكانتها الادبية شعراء البادية ، أولئك الذين وفدوا عليهــا ابتغاء الرزق من أكف الخلفاء والوزراء ، أو التماسا لحياة أهدأ من حياة البادية .

وهكذا ظهر في مجامع بغداد ضربان من الشعر، يختلفّ أحدهما عن الآخر اختلافا واضحا :

(أ) شعر أولئك الذين انحدروا اليها من البادية، تهدر به ألسنة البغداديين قويا جزلا ، ففي الفاظه جهامة الصحراء وصلابتها وفي معانيه سذاجة البادية وضحل ثقافتها ، وان حمل الى ذلك صراحة وجدها ، وصدق احساسها ، وقرب معانيها، والوفاء لتقاليدها الموروثة فهذا محمد بن المولى الاعرابي كان يختلف الى الحواضر ، وينشد فيها نسيبه الرقيق كقوله :

أحن الى ليلى وقد شطت النوى
بليلى ، كما حن اليراع المثقب
تقربت ليلى كي تثيب ، فزادني
بعادا على بعد اليها التقرب
وأبكي ، فلا ليلى بكت من صبابة
الي ، ولا ليلى لذى الود تبذل

ولان الشاعر كان يجري في نسيبه على عادة عربية بريئة في بعض أحوالها ، لم يتحرج أن ينشد ذلك في المساجد على سمع العابدين وبصرهم ، ولكن واليا ورعا رأى في تلك الظاهرة مايشجع على الفساد أو يمس ضمائر الاتقياء ، فاستدعى محمد بن المولى، وأغلظ له بقوله : أتشبب في حرم المسلمين؛ وتنشد ذلك في المحافل والمساجد ظاهرا ؟! » ، فقال ابن المولى : امرأتي طالق ثلاثا ان كانت ليلى الا قوسي هذه ، ذكرتها على سبيل التشبيب ، لان القريض لا يحسن الا بالنسيب .

وقد يوضح لنا مذهب أهل البادية في الشعر ، قول شاعرهم :

سلا دار ليلى : هل تبين فتنطق
وأنى ترد القول بيداء سملق ؟
عفتها الرياح الدامسات مع البلى
بأذيالهـــا ، والرائح المتعبق
بكل شآبيب من الماء خلفها
شآبيب ماء مزنها متآلق

* * *

(ب) وشعر المولدين وأهل الحضر الذي ينساب من افواههم رقيق الحاشية ، عذب النغم ، تجمله الزينة ، وتلمع في نسجه ومضات الثقافة الاجنبية ويجري في مائه انس الحضارة وعمق الجيل الجديد، ويجيء على رأس هذه الطائفة :

بشار بن برد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ؛ ومسلم بن الوليد ؛ والعتابي وديك الجن ، ثم أبو تمام ومدرسته مما سنعرض له في الحديث عنه

وبهذين اللونين من الشعر كانت تعمر محافل بغداد، وتسمر أنديتها فما يودع قصر الخليفة شاعرا الا ليستقبل فنانا ، ومجالس الامراء والوزراء والقواد ما كان جل حديثها الا عن الشعر والشعراء والظرف والظرفاء ، وفي غير هذين من أحياء بغداد ترى في المساجد حلقات للادب ، وفي الحدائق معارض أخاذة لهذا الفن الجميل .

وعلى صفحة الشعر المتألقة تتحدد قسمات الحياة وترتسم صور المجتمع وفي مرآته المجلوة تتعاقب الخلجات النفسية التي هي في حقيقتها أصداء تلك الحياة وتمثيل لواقع ذاك المجتمع ، فالشعر الصادق هو ما عبر عن مجتمعه ، وأفصح عن مدى انفعال الشاعر وتأثره بكل ما يجرى حوله ٠

ولم يشذ الشعر في عصر بني العباس عن هذه القاعدة التي تقررها طبيعة الفنون ، بل استجاب الى ما اقتضاه هذا التحول الجديد ، فارتبط في شتى فنونه ودعاياته بما جد في الحياة نفسها من فنون وغايات ، وعرض صفحته لاستقبال اشعاع ثقافي لم يعهده من قبل ٠

وعلى الرغم من معارضة أنصار القديم واستبسالهم في دعوتهم فان تيار التطور الهادر أغرق صيحاتهم في محيطه ، وقذف بهم على شاطئيه كأنهم الاعواد اليابسة وقد زاد في ثقلها طول مكثها في الماء الذي لا تألفه ، ومضى التطور الى غايته والشعر يحدوه ويترسم خطاه ٠

وما كان للشعر أن يجمد والحياة من حوله تتحرك، لأنه ظلها الذي لا ينفصل عنها ، وما دام التطور قد امتد أثره الى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية فالشعر لا محالة متطور تلقائيا على ضوء ما أسلفنا ٠

وهذا عرض سريع لمظاهر هذا التغيير الذي حدث بقيام الحكم العباسي ، وانتقال العرب من حياة البداوة الى الحضارة والترف ووقوفهم على ثقافات الامم الاخرى ، وكان الشعر العربي في طليعة الركب يسجل معالم الحضارة الجديدة،ويقبس من الثقافات الاجنبية ما يزيده ثراءوتنوعا فيالاغراض والاساليب وما يكسبه جدة في المعاني والأخيلة ٠

لقد كان التطور في شتى مرافق الحياة العباسية رسالة نبيلة حملها الشعر في قوة ، وظاهرها في تصميم ووفاء،ولئن ذهبت معالم تلك الحضارة وعفى عليها الزمن ، فانها باقية في الشعر العربي ينشر نبأها على الناس ، ويقص أمرها على الاجيال ٠

سلك الشعر العربي في هذه الفترةمسالك جديدة ظهرت في ألفاظه ومعانيه وأخيلته وفنونه وأوزانه ، وتنوعت مذاهبالشعراء في القول،واختلفتطرائقهم في الصياغة والتصوير فمن معان جديدة ! الى مبالغة مقبولة أو مسترذلة ، ومن كلف بالبديع وغرام بالزينة الى احتفال بالعمق في المعاني واستقصائها ومن عكوف على وصف الخمر والغلمان الى ولع بشعر الحكمة والزهد ، وكل ذلك في خيال حضري مثقف ينشر سحره على القصيد فيزداد به جمالا وفتنة ٠

❋ ❋ ❋

لماذا تطور الشعر ؟ :

ولتطور الشعر في العصر الذهبي أسباب كثيرة ، ودواع متنوعة ، وهي على كثرتها وتنوعها ترجع الى ما أشرنا اليه من التغيرات التي طرأت على الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية حينذاك ٠

وما دام ذلك هو السببالرئيسي في تطور الشعر فان مرد كل ما سنورد في هذا المجال من شرح أو تفصيل راجع اليه وحده أو متعلق بسبب وثيق يصله به ويشده اليه،وقد يلوح على بعض ماسنذكر من أسباب أن لها نوعا من الاستقلال في الوثيقة بالشعر ولكنها عند التحقيق والتأمل ستنتسب الى نوع من التحول الذي تناول الفكر العربي بقيام دولة بني العباس ٠

وسوف نضطر الى تفصيل هذه الاسباب وشرحها غير مكثرين من الاستشهاد لها بما يعضدها من أبيات أو قصائد الا عند الحاجة القصوى حتى لا نخرج عن القصد ٠

- ١ -

ان الاتصال الوثيق بين الحياة والشعر ، يجعل من تطور الحياة وتغيرها سببا قويا من أسباب تطور الشعر وتنوع فنونه ، فكثرةالمرئيات وتعدد أنواعها، ونشاط التفكير واختلاف الوانه ؛ وتباين العادات والاخلاق والتقاليد ، كل ذلك يستدعي من الشعر نشاطا جديدا يواجه به هذا الوافد الجديد ٠

وليس بمعقول أن يتاح للشعر وهو في نهجه الأموي أن ينهض بتصوير ما جد على الحياةالعباسية، بل لابد له من أن يتطور في مسالكه تطورا يلائم ما استحدثته البيئة والمجتمع حينذاك ٠

فهذه البيئة الطبيعية في العراق وفارس وخراسان ومصر وغيرها ، تتطلب ما يناسبها من الشعر الواصف ، ليذيع جمال رياضها وروعة أنهارها وجلال قصورها ٠

وهذا المجتمع بتقاليده وعاداته يستدعى ما يلائمه من الشعر الذى يعكس على صفحته كل ما يدور فى هذا المجتمع من عادات وتقاليد ·

وهذه الثقافة الجديدة التى قبسها العرب من ثقافات الامم الاخرى تحتاج الى لون متطور من الشعر يعبر عنها ، وينشر ما حوت من كنوز فكرية وتأملات وجدانية رائعة ·

والشعر العربى لابد له من أن يستجيب الى كل هذا خضوعا لنظرية التطور مع الحياة ونزولا على ما يقتضيه انتقال الفكر من مرحلة الى اخرى وذلك سبب هام من أسباب تطور الشعر العربى ، وظهوره فى مظهر حديث يتفق مع الطابع الحضارى للعصر العباسى ، وقد حمل صاحبنا أبو تمام أوفى نصيب فى هذا المضمار ·

- ٢ -

وكان من أسباب تطور الشعر لاستيعاب الحضارة العباسية بشتى الوانها وضروبها تشجيع الخلفاء والأمراء من بنى هاشم للوثبة الشعرية من طور البداوة الى الحضارة ، واحتفالهم بنهجه الجديد وتعلقهم بالشعراء ، ولم ينكر الاوائل منهم الا المذهب الشعوبى وشعر الزندقة ، فأما ما عدا هذين من فنون الشعر فله عندهم منزلة وقبول ، ونحن نرى المأمون يغض الطرف عن دعبل الخزاعى الشاعر الشيعى حين يغمزه فى شعره ، ويسىء الى ذكرى والده هارون الرشيد اساءة بالغة ، فقد هجا دعبل الخزاعى ابراهيم بن المهدى ، فرفع ابراهيم أمره الى المأمون ، فقال له المأمون : « لك أسوة بى فقد هجانى واحتملته ، وقال فى :

أيسومنى المأمون خطة عاجز
او ما رأى بالأمس رأس محمد

انى من القوم الذين سيوفهم
قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال ابراهيم : « زادك الله حلما يا أمير المؤمنين »

- ٣ -

ومن اهم أسباب التطور الشعرى اضطراب الملكة العربية فى هذا المجتمع الذى يضم السنة مختلفة وأجناسا متعددة بالاضافة الى الجيل الذى نتج من امتزاج العرب بالموالى ، واتجاه الشعر الى مخاطبة ذوق الجماهير واستثارة مشاعرهم بما يعرفون من وسائل ، وما يحسنون من أساليب ، ولهذا شق على الشعر أن يحتفظ بطابعه العربى الأصيل ، لانه فن منتزع من المجتمع ليخاطب الجمهور بما يعرف من حياته اليومية ، على نحو يفهمه ولا يرتفع كثيرا عما الف فى محيطه ·

- ٤ -

كان للشعر العربى خياله الذى نعرفه له على عهد الأمويين والاسلاميين والجاهليين ، وقد يسرت له ترجمة الآداب أن يعرف منها الخيال الفارسى وما يوشيه من الزينة والزخرف ، وكانت له طريقته التى يقوم عليها « عموده » المعروف ، واذا به يخرج الى نسق مستحدث هيأته الترجمة وتعلقت به الاذواق وبهذا تطور الشعر فى هذا العصر تطورا نجمله فيما يلى :

(أ) خضع للصنعة (الصقل) وآثر الأناة وطول النظر ، وتنكب طريق الارتجال ·

(ب) اقتصد أول أمره فى استعمال المحسنات البديعية ، ولكن أبا تمام أغرم بهذا النوع فكانت له مدرسته التى الحت على البديع الحاحا انتهى الى افساد الشعر حين ضعفت الملكة ·

(ج) عرف أخيلة جديدة رقت بها ديباجته :

د · عبد الرحمن عثمان

القصص فى أسفار اليهود وتحريفهم له

للدكتور علي عبد الواحد وافي

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته الى قبيل بعثة المسيح • فتكلمت باجمال على خلق السماوات والارض ، وخلق آدم وحواء وتاريخهما فى الجنة وبعد هبوطهما منها ، وما حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان وقصة أولاد نوح الثلاث سام وحام ويافث ، وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام، وهم الذين ينتمى اليهم بنو اسرائيل ، وخاصة تاريخ ابراهيم واسحاق ويعقوب او اسرائيل • ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى اسرائيل فى مختلف مراحل حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الارض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك واحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الاخرى • وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من احتكاكات واشتباكات وحروب •• وهلم جرا • وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من أسفار التلمود نفسها •

وقد عرض القرآن لكثير من القصص التى ورد ذكرها فى هذه الاسفار • غير أن أسفار اليهود قد تناولت كل قصة من هذه القصص فى صورة مسلسلة كاملة الاجزاء مترابطة الحوادث كما تفعل كتب التاريخ ، على حين أن القرآن يكتفى فى الغالب بذكر مواقف من هذه القصص ، ولا يذكرها للتاريخ فى ذاته ، وانما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات • فقد يذكر موقفا من قصة فى سورة ما لمناسبة خاصة ، ثم يذكر موقفا آخر من القصة نفسها فى سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفا ثالثا من القصة نفسها فى سورة ثالثة •• وهكذا • وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة فى سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة • وقد يكرر الموقف نفسه فى عدة سور لتكرر المناسبة ، ولكن فى لوحات بيانية مختلفة فى صياغتها وألوان مناظرها ومتسقة مع مايكتنفها من قبلها ومن بعدها من آى الذكر الحكيم •

هذا ، وقد انتاب القصص فى أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذى ورد فى القرآن • ويبدو تحريفها هذا فى مواطن كثيرة يرجع أهمها الى ما يلى :

١ ـ أن الذات العلية تبدو فى قصص أسفارهم القديمة على الاخص ، كسفر التكوين ، فى صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات النقص وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق فى طبيعتها ومسلكها على النحو الذى بيناه فى مقال سابق •

٢ ـ أن بعض من يذكر لنا القرآن انهم رسل أو أنبياء تذكرهم أسفار العهد القديم على أنهم مجرد آباء قدامى لبنى اسرائيل كابراهيم واسحاق ويعقوب أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان •

٣ ـ ان أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء والرسل أو لبعض من تسميهم آباء قدامى لبنى اسرائيل أو ملوكا لدولهم أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها الا من سفلة الناس •

فمن ذلك مثلا ما تقصه توراتهم المزعومة عن ابراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة الى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جدب ومجاعة ، اذ يذكر ان ابراهيم قال لزوجه ، وهما فى طريقهما الى مصر ، انها امرأة جميلة ، وان المصريين لابد أن يفتتنوا بها، واذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها اخته ، حتى تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير • ولما وصلا الى مصر ، ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية الملكية على هذه المرأة الجميلة ، وعلموا من ابراهيم أنها ليست متزوجة

وأنها اخته ، وأنهوا أوصافها الى فرعون ، استدعاها الى قصره ، واتخذها من نسائه ، وبالغ في اكرام ابراهيم والحفاوة به والاحسان اليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعانا من « الغنم والثيران والحمير وعددا من العبيد والاماء » • ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجماعة عادة اذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل • فاستدعى الملك ابراهيم ، وأنبه تأنيبا شديدا لكذبه عليه في قرابة سارة منه ، وما ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كاحدى نسائه مع أنها في عصمة رجل آخر ، وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم أصدر أوامره بطرده هو وامرأته من بلاده • ولكن تحقق لابراهيم ماكان يبغيه من عافية ومال ، فقد سلمت له حياته ، وسمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد واماء (سفر التكوين ، اصحاح ١٢ ، فقرات ١٠-٢٠) • وقد كرر ابراهيم فعلته هذه ، حسب مايزعمه سفر التكوين ، حينما هاجر الى منطقةجيرار وكاد أبو ملك حاكم جيرار يرتكب الاثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها وأنها امرأة ابراهيم لا اخته ، فردها الى ابراهيم ، وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والاماء (سفر التكوين ، اصحاح ٢٠) • ـ فكأنما كان ابراهيم يتاجر بزوجته هذه متنقلا بها من بلد الى بلد !!

ومن ذلك أيضا ماتقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، اذ يذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سودوم وجوموره اللتين دمرهما الله تعالى لما كان يرتكبه أهلهما من اتيان الذكران الا لوط وابنتاه • وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع • وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما ان أبانا قد أصبح شيخا كبيرا ، وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع اناثهم • واذا بقي الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا • وخير وسيلة في نظري لاتقاء هذه العاقبة أن نسقي أبانا خمرا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلد نسله • وانفذتا ما اتفقتا عليه • وقضت معه الكبرى الليلة الاولى والصغرى الليلة التالية وواقع لوط كلتيهما وهو في نشوة سكره • فحملتا منه ، وجاءت الاولى بغلام اسمه مؤاب وجاءت الصغرى بغلام كذلك اسمه عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين (سفر التكوين ، اصحاح ١٩ ، فقرات ٣٠ ـ ٣٩) •

ومن ذلك أيضا ما يقصه سفر صموئيل عن داود اذ يذكر أنه كان يمشي في صباح يوم على سطح قصره الملكي ، فوقع بصره في المنزل المجاور له على امرأة مفرطة في الجمال وهي تستحم مجردة من ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجه أوريا الحثي أحد الجنود المرسلين في حملة حربية تحت قيادة يؤاب • فبعث داود في طلبها ، فجيء بها اليه ، وبعد أن قضى منها وطره عادت الى منزلها ، ولكنها حملت منه ، وعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه • فاستدعى داود زوجها من الجيش ، وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها •• وما الى ذلك ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب اليه أن يذهب الى منزله ليستريح هذه الليلة • وكان داود يرمي من وراء ذلك أنيقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها اليه ، ولا تعلق بداود أية شبهة • ولكن الرجل أبت عليه شهامته أن ينعم بالراحة في بيته بينما جيش بلاده مشتبك في معركة مع الاعداء • فقضى ليلته نائما مع خدم القصر الملكي • ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب احجامه عن الذهاب لبيته ، فأجاب بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام في بيته وجيشه يحارب في خارج بلاده • فطلب اليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه الى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب الى زوجه • ولكن أوريا لم يلعب الشراب برأسه الى الحد الذي يفقده رشده ، فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائما مع خدم داود في القصر الملكي • ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه الى الجبهة ، وأرسل الى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا في أخطر منطقة في ميدان القتال ، وأن يتخلى عنه حتى يقتل• فصدع يؤاب بالامر ، وقتل أوريا فيالميدان• وحينئذ أتيح لداود أن يضم زوجته الى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها • ووضعت حملها وهي في عصمة داود • وخفي بذلك على جميع الناس

ما ارتكبه داود من جرائم خسيســـة اذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثـــيرات • فأرسل الله اليه ناثان وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الابقار والنعاج ، بينمـــا لا يملك الآخر الا نعجة واحدة • وفى أحد الايام قدم ضيف على الغنى ، فمد يده الى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه • فغضب داود من فعلة هـــذا الغنى ، وقال لناثان ان هذا الرجل يستحق الموت • فقـــال له ناثان انك انت نفسك هذا الرجل • وأخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحيق به وباهله من عذاب ونكال • فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه وتاب اليه ، فغفر له ٠٠ الى آخر ماورد فى هـــذا السفر (الاصحاحين ١١ ، ١٢ من السفر الثانى لصموئيل)

* * *

والقصة على هـــذا الوضع محض افتراء لا يعقل صدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق ، فضلا عن نبى كريم • ومن ثم أخطأ بعض مفسرى القرآن خطأ كبيرا اذ فسروا ما جاء فى ســـورة «ص» عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذى ورد فى سفر صموئيل ، مع أن العبارات التى صيغت بها هذه القصة فى القرآن الكريم لاتدل صراحة على شيء من ذلك • ولذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : « من حدث بحديث داود على ماجاء به القصاص جلدته مائة وستين جلدة » ، يقصد بذلك أن من يتحدث هـــذا الحديث فانه يرتكب جريمة القذف • وحد القذف العادى فى الاسلام ثمـــانين جلدة • ولكن اذا تنـــاول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين •

* * *

٤ ـ أن التحريف قد يتنـــاول قصة ما لتبرير وضع اجتماعى أو ســـياسى ظالم سار عليه بنو اسرائيل فى مرحلة ما من مراحل تاريخهم •

فمن ذلك أن قصة نوح مع ابنه التى حدثنا عنها القرآن الكريم اذ يقول : « ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » قد حرفها سفر التكوين تحريفا كبيرا اذ يذكر أن حاما بن نوح قد رأى أباه وهـــو سكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما افاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا عليه وعلى ذريته وهم الكنعانيون بان يكونوا عبيدا لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافث (فقرات ٢٠ ـ ٢٩ من اصحاح ٩ من ســـفر التكوين) • ويقصد الذين حرفوا هذه القصة الى هذا الوضع الغريب ـ كمـــا أشرنا الى ذلك فى مقالنا الســـابق ـ أن يبرروا الاوضاع الشاذة الظالمة التى كان يسير عليهـــا بنو اسرائيل حيال الكنعانيين اذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم واطفالهم ويتخذونهم رقيقـــا ، زاعمين أنهم بذلك يحققـــون دعوة نوح عليهم ، ويرجعونهم الى الوضع الذى كتب عليهم فى الأزل أن يكونوا عليه •

والى تحريفاتهم وأكاذيبهم هذه يشير القرآن الكريم اذ يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» ، واذ يقـــول : « والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ، من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ٠٠ » • وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد عمر ورقة من التـــوراة المزعومة فامره بالقائها والا يضيع وقته فى قراءة ما بها من كذب وتحريف وقال : « الم آتكم بها بيضاء نقية ، والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا اتباعى » ، يقصد أن القرآن قد جاء بما فى التوراة الصحيحة فاحياها بيضاء نقية ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد •

دكتور على عبد الواحد وافى

الإسلام ومجتمعات الناس

للأستاذ محمود الشرقاوي

فى كتاب صدر بالانجليزية وكتبت عنه فصول بالعربية اخيرا سؤال يجب أن يدور فى ذهن كل من يتصدر للبحث او للحديث عن الفكر الدينى ، وبخاصة اولئك الذين يعتقدون انه ما دامت الامور فى ظاهرها ، او فى تقديرهم ، تسير فى الخط الذى رسموه ، فكل شيء بعد ذلك : « على ما يرام » . غير ناظرين لأكثر من حياتهم الخاصة او ما يحيط بهم من قريب ، غافلين عن سير الحيـاة وتطور الزمن ، وقهر الحوادث والظروف .

الكتاب الفه رجل لرايه وزن فى هذا الموضوع ، هو الاستاذ «مورو بريجر» استاذ علم الاجتماع فى جامعة برنستون الامريكية والمشرف على برنامج دراسات الشرق الأوسط فى هذه الجامعة .

والسؤال الذى يسأله ويحاول ان يجيب عنه نجده فى هـذه الكلمات كما ترجمها الاستاذ العقاد : هل الاسلام عقيدة دينية دنيوية او هو كغيره من الديانات التى تنفصـل فيها عقائد الايمان عن شئون الحيـاة ومزاولات المعيشة ، ولا سيما شئون الحكم والسياسة ... ؟

ثم يعيد هذا السؤال فى صيغة أخرى فيقول :

هل احكام التشريع فى القرآن مسألة نظام وادارة حكومية .. ؟ او هى مسألة اخلاق وسلوك دينى يستحق به المسلم حسن الجزاء فى الآخرة ... ؟

ويتقدم الاستاذ المؤلف خطوة اخرى فيقول :

ـ ان الصلة المكينة بين الاسلام والمجتمع العربى نشأت ، كما رأينا ، منذ قام محمد ـ صلوات الله عليه ـ بخلق دولة تنتظم العقائد الدينية والمعاملات التى علمها العرب ، وقد شمل الاسلام على الدوام كل جوانب الحياة الاجتماعية باعتباره قسطاس اخلاق وآداب . ولكنه لم « ينجح قط » فى تقرير شريعة متناسقة من العلاقات بين الناس فى مجتمعات المسلمين المختلفة

وينسب الاستاذ بيرجر الى المستشرق الكبير يوسف شاخت رأيا عجيبا جريئا هو ان :

« النبى لم يحاول تبديل العرف القانونى عند العرب ، بل اراد ان يعلم الناس كيف يعملون فى الحياة لكى يظفروا برجحان الكفة فى حساب الآخرة » !

وبذلك نقض شاخت ما اجمع عليه علماء الشريعة من تقسيم الاسلام الى : « عقيدة » تتضمن الواجبات وتكاليف العبادة ، و « شريعة » تتضمن قوانين المجتمع التى يجب أن يلتزمها المسلمون فى معاملات حياتهم ، حيث جعل شاخت هذه القواعد الشرعية التى تضمنتها كتب الفقه غير ملزمة للدولة ، بل الالتزام فيها واقع على الفرد نفسه : « لكى يظفر برجحان الكفة فى حساب الآخرة » اى لكى ينال ثواب الله .

فالاسلام اذن ، عنده ، مجموعة من المثاليات والدعوات مثله مثل المسيحية ، يترك « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، كما هى كلمة السيد المسيح . ولكن ليس هذا موضوعنا اليوم .

* * *

ما الذى جعل استاذا له قيمة « مورو بيرجر » يقول : ان الاسلام « لم ينجح قط » فى تقرير شريعة متناسقة ؟

على اى الاسباب والمقدمات بنى حكمه هذا ..؟ يشير بيرجر الى : « مجتمعات المسلمين المختلفة »

ولعله بهذه الاشارة يريد ان يقول ان المجتمعات المختلفة لابد لها من شرائع مختلفة ولا يمكن ان تحكم بقانون واحد او شريعة واحـدة ولو كانت منزلة من السماء .

وهنا نعود الى « الشريعة » نفسها لنعرف منها كيف تستطيع ان توفق بين احوال المجتمعات المختلفة وتوحد بينها فى قوانين متحدة مختلفة فى وقت واحد : متحدة لأن مصدرها واحد : هو كلمة الله وآياته والصحيح من أحاديث نبيه وعمله، ومختلفة لأنها تراعى الأحوال المختلفة المتباينة لمجتمعات الناس وأزمانهم وثقافاتهم وظروف حياتهم .

وقبل ان اناقش هـذه الدعوى التى أثارها استاذ جامعة برنستون اريد ان أقول ان هـذا الكلام نفسه تردد فى بلاد اسلامية كثيرة فى

عشرينيات هذا القرن بخاصة ، بعد انسلاخ تركيا الكمالية من شريعة الاسلام ، وهو ما زال يتردد فعلا الآن فى بعض البلاد الاسلامية

عندما صدر كتابى : « تقويم الفكر الدينى » كتب ناقد متزن فى « الجمهورية » يقول ان قضية الدين وتحكيمه فى شرائع الناس وتنظيم مجتمعهم من القضايا التى « فصل فيها الزمن » من غير رجعة . اى ان الناس يجب ان يحكموا انفسهم بقوانين يضعونها لأنفسهم

كان هذا حديث ناقد لا يعرف بالتهور ولا الشطط ، فكيف باستاذ فى جامعة امريكية .؟

ومن هنا كان اهتمامى بمناقشة هذا الراى فى « الرسالة » .

قد يقال هذا الراى عن غير قصد سيىء . ولكنه ، على أهون الفروض ، فهم « سيىء لشريعة الاسلام » ، من اكبر اسبابه بعض فقهاء الاسلام فى عصور الظلام ومتابعيهم فى هذا الزمان .

الشريعة مطاوعة :

لو أن الشريعة ، كما أمر بها الله ، كانت جامدة تتضمن أحكاما لا تتغير ولا تخضع لمؤثرات البيئة والزمن والعرف ، كان لنا ، فى هذه الحالة ، ان نقول انها غير صالحة لجميع الناس فى جميع الأزمان . ولكن هذه « الشريعة » الجامدة التى لا تتغير ولا تخضع ولا تساير هى « شريعة » بعض الفقهاء المتاخرين وليست شريعة الاسلام. فقد ترك الاسلام لاهله تنظيم حياتهم ومجتمعهم كما تقضى به مصالح هذه الحياة وهذا المجتمع . ولم يأمر بأحكام قاطعة جازمة الا فى حالات قليلة من العسير ان تتاثر بالزمن او اعراف الناس المختلفة . وحتى هذه الأحكام القاطعة ــ او التى يظن بعض الفقهاء خطأ انها كذلك ــ هذه الاحكام جعل الاسلام لمجتمع الناس ، اى للدولة ، حق توقيفها او الخروج عليها رعاية « لمصلحة الناس » وهو ما يعرف عند علماء الشريعة واصولها : « بالمصالح المرسلة » و « بالاستحسان » .

يتضمن القرآن الكريم الذى هو المصدر الأول للتشريع : « ٦٢٣٦ » آية ، ليس فيها الا نحو مائتين من الآيات الخاصة بالأحكام ، اى بالشريعة. « وحتى بعض ما عده الفقهاء من آيات الاحكام لا يظهر انها كذلك . وليس عدها من آيات الأحكام الا تغاليا فى الاستنتاج لا يساعد عليه سياق الآيات »

ويقول الامام الشافعى عن بعض هذه الأحكام الشرعية التى تنظم مجتمع الناس انه : « ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، وما يخص من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ، ولا فى اكثره نص سنة . وان كانت فى شيء من ذلك سنة ، فانما هى من اخبار الخاصة لا من اخبار العامة ، وما كان يحتمل التأويل ويستدرك قياسا» .

واكثر الأحكام الشرعية من هذا النوع الذى يخضع للاجتهاد ، والراى ، ويكون مدار الحكم فيه مصالح الناس واستقامة حياتهم .

ونجد لابن القيم توضيحا وتفصيلا منيرا لهذا الاجمال الذى وجدناه فى كلمة الامام الشافعى .

يقول ابن القيم :

« الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها ، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الائمة ، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ، ونحو ذلك . فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف ما وضع عليه »

والنوع الثانى : ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ... فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة » . وقد ذكر ابن القيم امثلة كثيرة لذلك . ثم قال :

« وهذا باب واسع اشتبه على كثير من الناس »

ثم ننتقل الى عالم آخر : هو ابن العربى فنجده يقول :

« العادة دليل اصولى تثبت عليه الاحكام ، وربط به الحلال والحرام »

والى عالم آخر : هو ابن نجيم المصرى ، فنجده يقول :

« والأحكام تبنى على العرف ، فيعتبر فى كل عصر عرف اهله » .

* * *

ويحسن بنا أن نذكر ما هو « العرف » .. ؟ وما هى « العادة » .. ؟ عند العلماء . ونكتفى بتعريف لهما ذكره الجرجانى هو : « العرف

ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة . وكذا العادة ، وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا اليه مرة بعد أخرى »

فعرف المجتمع وعادات الناس حجة في التشريع ، كما يصرح هؤلاء العلماء . وقد استدلوا على ذلك بحديث : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن »

ومؤرخو الامام ابي حنيفة يقولون في صفته انه كان : « شديد الاتباع لما كان عليه الناس في بلده » وكان محمد بن الحسن ، من مؤسسي مذهبه وقد تولى القضاء للرشيد ، يذهب الى الصياغ يسألهم عن عرفهم ومعاملاتهم ليستنير بها في أحكامه وقضاياه وفتاواه .

وما دمنا نقول ان أعراف الناس تتبدل وتختلف في الأمكنة والأزمنة الكثيرة ، عرفنا ان اكثر هذه الأحكام الشرعية تابعة لهذه الأعراف دائرة مطاوعة لها ، فقد جعلت الشريعة للناس ، وليس العكس .

مثل من الحياة :

والآن نستطيع ان نضرب مثلا من واقع الحياة.

فمن الأمور التى اجازها العلماء نزولا على عرف الناس وتعاملهم — وان كانت على خلاف الأصل — بيع « الاستصناع » وهو أن يوصى المشترى صانعا ليصنع له شيئا . قال العلماء ان ذلك في الأصل غير جائز لأنه بيع شيء غير موجود، وقد نهى عن بيع المعدوم . ولكن الناس في بلاد كثيرة وازمنة مختلفة تعارفوا على ذلك فأجازه العلماء حتى قال في ذلك الامام السرخسي — من ائمة علماء الحنفية — ان القياس لا يجيزه : « ولكنا تركنا القياس لتعامل الناس . وتعامل الناس ، من غير نكير ، أصل من الاصول كبير »

وقد اصبحت طريقة « الاستصناع » هذه اساسا من الأسس الهامة للتجارة والصناعة في العالم كله . فالتاجر او الوسيط يوصى المصنع بصناعة جملة كبيرة من بضاعته أو صناعته حسب « مواصفات » خاصة يختارها ويوصى بها ، وبشروط خاصة يتم التعاقد عليها .

والحكومات توصى كثيرا من الشركات والمصانع بصنع أنواع من الاسلحة او المصنوعات الضرورية للدولة وللافراد ، فتصنعها هذه الشركات والمصانع وتقدمها للحكومات وللجيوش حسب المواصفات التى اتفق عليها . واكثر ما تنتج المصانع الآن وما تتعاقد عليه الحكومات والهيئات معها يتم عن هذا الطريق . ولا يخفى اثر ذلك في الحروب والتجارة والمال والمعاملات الجارية في العالم كله .

فاذا عرفنا ذلك ادركنا ما في نزول الشريعة على اعراف الناس ومعاملاتهم واقرارها ذلك في اصولها ، ادركنا مافي ذلك من التيسير على الناس ومراعاة خيرهم وصلاح حياتهم .

ومثل ذلك بيع الفاكهة على الشجر جملة واحدة ، مانضج منها ومالم يتم نضجه .

المطاوعة واجبة :

وقد رأينا فيما نقلنا من آراء المشترعين والفقهاء انهم قالوا « بالجواز » أو « الاباحة » او التسليم في ان تدور الاحكام الشرعية حيث تدور مصالح الناس . ولكنا نجد بعد ذلك فيلسوفا عظيما وفقيها عظيما يقول بأن ذلك «واجب» .

يقول الفيلسوف المشرع « ابن سينا » في حديثه عن الشريعة : « ويجب » ان يفوض كثير من الاحوال ، خصوصا في المعاملات ، الى الاجتهاد . فان للاوقات احكاما لا يمكن أن تضبط »

فابن سينا هنا يقول « بوجوب » ترك الكثير من الوضع والتنظيم القانوني لاحوال الناس وشئون مجتمعهم لاجتهاد المشترعين . ويذكر تعليلا لذلك ان الحياة تسير وتتطور بحيث تجد فيها امور لا يمكن ان تحصر لم تتناولها الشريعة ولم يرد فيها نص ولم تكن موجودة ولا متصورة للفقهاء في العصور السوابق . وأحكام الشريعة دائرة مع مصالح الناس ، كما قال الشاطبي في هذه الكلمة الحكيمة الجازمة الصادقة : (انا وجدنا الشارع قاصدا لصالح العباد ، والاحكام العادية تدور معه حيثما دار . فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كان فيه مصلحة جاز)

لو اننا فهمنا شريعة الاسلام هذا الفهم المستقيم الصحيح ، لما وجدنا من يقول مقالة الاستاذ « مورو » : ان الاسلام « لم ينجح قط » في تقرير شريعة متناسقة ولا من يقول مقالة ناقد « الجمهورية » : ان قضية الدين وتحكيمه في شرائع الناس وتنظيمه مجتمعهم قضية قد فصل فيها الزمن من غير رجعة ، ولوجدنا أن شريعة الاسلام تصلح صلاحية تامة لأن تكون مصدرا رئيسيا لتنظيم مجتمعات الناس في الحياة المعاصرة. لو ادرك « بعض القوم » ذلك وآمنوا به او سلموا .

محمود الشرقاوي

حنين الى سوريا

للأستاذ محمد رشاد رويحه

بلادى أحبك حب البصر ... وحب الصحارى ضياء القمر
أحبك حب السماع الرهيب ... لزفرة ناى ونجوى وتر
وغنوة سار وشدو هزار ... وعزف السواقى على منحدر
أحبك حب المروج الندى ... أحبك حب الفراش الزهر
وحب العطاش رذاذ النمير ... اذا أرسلته خيوط المطر
أحبك حب السعيد الحياة ... وحب المشيب سواد الشعر
وحب الرياض دبيب الربيع ... وحب الخيال بريق الصور
وحب صغار المها للسحر ... وحب الطيور غصون الشجر
وحبا عداه به الشعر يعيا ... ويعيا البيان فابقيه سر
بلادى تراك تناسيت شيخا ... يعادى عليك وفيك الغير
تحدى لاجلك لهو الشباب ... وهاهو ذا يتحدى الكبر
وكافح عنك بكلتا يديه ... وأسنانه وبقايا الظفر
واعطاك فى الحب ماضى الحياة ... وهاهو يعطيك باقى العمر
تراك نسيت هواه القديم ... وقلت خبا حبه أو فتر
والا لما كان عنى تخلى ... وهاجر منى زمان الخطر
تنكر لا والذى أسبغ الـ ... جمال عليك وازكى الثمر
وزخرف فيك فساح الجنان ... وزين حورامها بالحور
وميز فتنتهما بالوقار ... وحلى أنوثتهما بالخفر
ودل عليها بنفح العبير ... اذا داعبته كمها فانحسر
ورف النسيم على شعرها ... وماج فبعثره فانتشر
تغير لا والليالى الغوالى ... وسحر الحديث وأنس السمر
وميد القدود وحمر الخدود ... وثغر برود عنود اشر
تقاعس لا وتضال الرجال ... وعهد يردده كل حر
ومن جمعته بهم فى المصير ... العقيدة والعمل المستمر
فماتوا وعاشا الى حينه ... رهينا بميعاده المنتظر
تخير فاختار أجدى النضال ... فهاجر لكنه ما هجر
وما زال برا أمينا وفيا ... ولم يستكن أبدا او يفر
وان لم يطق جلد الشيخ ما ... اطاقت شبيبته من اصر
ولو عذبوه فمات سجينا ... فأجدى لهان عليه الخطر
ولكن لماذا يموت الشهيد ... بلا أمل ميتة المنتحر
وخير الجنود حكيم شجاع ... يقاتل مستبسلا فى حذر

ولا خير في الأرض المستميت ... ولا في الجبان طواه الخور
فهذا تمكن منه العدو ... بيسر فمات وهذا اندحر
ولست أخاف ولا أتقي ... بأخذي بالحزم حكم القدر
ولكنني عاقل ناقتي ... فمتكل بالهدى مؤتمر
بلادي وانت عروس خيالي ... لعينيك حريتي ادخر
فخير من السيف في غمده ... عصا ومن الليث في القيد هر
واني لصوتك حيث انطلقت ... وأيان قر بي المستقر
تداعب أمجادك الخالدات ... خيالي فيطغى على البطر
وتصغر في عيني الكبريات ... ويسهل صعب ويدنو وطر
وتهمس أنسامك الحالمات ... بأذني فتلهمني المبتكر
وتوقظ فكري وتصقل شعري ... وتملأه بالمعاني الغرر
وبعكس جناتك الناعمات ... صدى ذكرياتي فتحلو الذكر
وأسكر منها بمثل الرحيق ... وأغرق في نشوة المختمر
واسرح مفترشا مرجها ... كأني على فرش في سرر
حراج الفرلق هل من معاد ... اليك وهل من سنات أخر
وياجبل الشوح هل من مشوق ... الى وهل فيك من مدكر
بلادي واقسم أني أبيت ... واني وفيت واني الأبر
ساصلي عدوك نار اللظى ... وأرفع منك منارا أغر
بلاد المروءات والتضحيات ... أيكفي العروبة هذا القدر
مجازر يحمر جلد الوحوش ... لهن ويسود وجه البشر
وروح فداء وسيل دماء ... يجود الجميع به منهمر
أثاث البلاد وذكراتها ... وكل الفئات وكل الزمر
تكافح حزبا بغيضا دعيا ... ربيب شعوبية محتقر
أراق الدماء وجافى الحياء ... ولم يرع حدا ولم يزدجر
تسلل في الجيش حتى استطال ... ولما اطمأنوا اليه غدر
وكم خارج كان من قبله ... أشد عتيا عفا واندثر
بلادي خطبت التي مهرها ... سواك على بعضه ما اقتدر
ركبت اليها متون السحاب ... فشق الطريق وطال السفر
وعزت على الركب ماستنفذته ... دما ودموعا ومرا وحر
ولكنك الكفؤ فاستجمعي ... قواك فدونك مرمى حجر

محمد رشاد رويحه

لمحات من قضايا الناس

للأستاذ أنور حجازى

استطرادا لما بدانا من أن القاضى الجنائى لا يمارس القضاء بين الناس ء فى نحو يقنع فيه باعمال النص القانونى وتطبيقه فحسب ، بل ان عليه فضلا عن ذلك ، وجوب ممارسة قضائه منتهجا نهج المعلم والمربى ،والمرشد والموجه م والطبيب الاجتماعى الذى يعالج مرضى النفوس والذين اصابتهم علة الانحرا ف والتجنى على المجريات الصحيحة للامور .

ويستوى مع القاضى فى هذا المجال وكيل النائب العام ، الذى يؤهل ليكون قاضيا ، والذى فهم عنه عامة الناس خطا — وخاصة فيما مضى — أن وظيفته تقتصر على مجرد الاتهام واثبات التهمة والمجاهدة فى سبيل الصاقها وتاكيدها قبل المتهمين .

وهذا الذى فهمه بعض الناس بعيد كل البعدعن وظيفة وكيل النائب العام التى تطوى فضلا عن الاتهام ، المطالبة احيانا ببراءة المتهم ان اخطأ القاضى فى تطبيق القانون وكان من مقتضى تطبيق القانون تطبيقا صحيحا تبرئة أى متهم . كما ان وكيل النائب العام يقف أحيانا فى قاعة محكمة الجنايات ويفوض الرأى للمحكمة اذا ماآمن مطمئنا ان موقف المتهم أو المتهمين يستلزم الحكم بالبراءة .

كما ان النيابة تقدم المتهم فى احيان أخرى الى محكمة الجنايات وتطلب منها اعمال نص معين من مقتضاه تبرئة المتهم وذلك كما فى حالة المتهم باعطاء رشوة ثم أخبر السلطات العامة بالجريمة أو اعترف بها أثناء التحقيق وأثناء المحاكمة ، اذ تنص المادة ١٠٧ مكررا :

« يعاقب الراشى والوسيط بالعقوبة المقررة للمرتشى ، الاشغال الشاقة المؤبدة ، ومع ذلك يعفى الراشى والوسيط من العقوبة اذا أخبر السلطات بالجريمة أو اعترف بها » .

فتقدم النيابة العامة الراشى او الوسيط المعترف الى محكمة الجنايات وتطلب فى ذات الوقت اعمال نص المادة ١٠٧ مكررا عقوبات أى تطلب الحكم ببراءة المتهم المعترف .

وليس ذلك هو ماهدفنا اليه بهذا التقديم ، وانما قصدنا الى أن وكيل النائب العام يستوى والقاضى تماما حين يصدر قرارات بحفظ الدعاوى الجنائية — كما كان — أو قرارات بعدم وجود وجه لاقامة الدعوى الجنائية — كما هو الحال اليوم — اذ أن تلك القرارات تستوى تماما مع أحكام القاضى بتبرئة المتهمين .

وقرارات وكيل النائب العام هذه يصدرها اذا ارتأى أن الدلائل فى الدعوى المطروحة عليه غير كافية ، أو أن الاتهام كيدى وغير صحيح او انه لا جريمة فى الواقعة التى تنطوى عليها الأوراق او أن الواقعة عديمة الاهمية وليس من صالح المجتمع استكمال السير فى الاجراءات حتى اتمام المحاكمة .

واستشهد فى هذا الصدد الاخير بقضيتين فى كلتيهما غرابة وطرافة وفى كلتيهما لمسات اجتماعية وتهذيبية وتوجيهية :—

القضية الأولى : كنت أعمل وكيلا للنائب العام فى احدى نيابات الصعيد منذ سبعة عشر عاما مضت حين قامت فتنة بين طلاب المدرسة الثانوية أثارها المتخلفون عن دفع المصروفات المدرسية المرهقة لهم ، كما أسهم معهم فيها الطلاب الساخطون على طريقة معقدة للامتحانات ، ولما تكامل عددهم تصايحوا هاتفين وزحفوا فى جمع كبير يلقون بالحجارة حاملين العصى ، وكان من جراء اعمال الحجارة والعصى أن تحطم كثيرمن زجاج المدرسة ، ثم اتبعوا ذلك بمحاولة لاقتحام حجرة ناظر معهدهم ليطلعوه على مايطلبون ، ولكن فى صورة تجمهر ثائر مما اضطر أستاذ الرياضة البدنية أن يتصدى لجمعهم ومنع عليهم هذا لاقتحام حجرة ناظر معهدهم ليطلعوه على مايطلبون ، زعيمهم فى معركة أصيب فيها التلميذ والاستاذ على السواء .

وتتابعت اجراءات التحقيق الذى انتهى بتصرفات حازمة صارمة انزلت الرهبة فى قلوب الطلاب الصغار ردعا وتاديبا ، وقد أثمرت الصرامة وأينع الحزم فبلغ الندم بالطلاب وذويهم حدا كبيرا ، واجتمع أولياء أمورهم وسعوا الى مرضاة المربين والحفوا فى الاعتذار ، فسعى المربون يتقدمهم مدير الاقليم يستشفعون للتلاميذ مسجلين فى التحقيقات نزولهم عما حاق بهم وقبول اعتذار الطلاب اليهم وأولياء أمورهم . لانهم أشفقوا أن تصير بهم اجراءات التحقيقات الى محاكمة ثم الى عقاب .

والتفت النيابة العامة بتلك الشفاعة . وبعد أن سجل التلاميذ اعتذارهم فى التحقيقات لناظر معهدهم ومدرسيه رأت النيابة العامة أن تساير النهج القويم ابقاء على مستقبل شباب غض تعثر وكبا ، واستشعر الوزر ومداه فندم أشد الندم . كما رأوا ماحاق بآبائهم وأمهاتهم من آلام وضيق فأيقنوا انهم أتوا أمرا اذا يعرضهم لأسوء عاقبة وأسوء مصير

وقد أيقنت أن الزجر والتخويف فعلا الأثر المرتجى فى نفوس طلاب اليوم وقادة الغد ، اذ بلغ بهم الندم حد الشعور بالوزر والاحساس بفداحة التصرف السيء ، وكان ذلك هو قصد النيابة العامة وغايتها من الحبس الاحتياطى . فاخليت سبيل الطلاب جميعا ، وبعثت الى السيد النائب العام بمذكرة مستفيضة عن طريق رئاسة النيابة ضمنتها جميع ظروف الواقعة وملابساتها والاعتبارات التى احاطت بها والاسانيد التى تظاهر طلبى حفظ الاوراق قطعيا ، لعدم الاهمية ، وقد جاء فيها .

« ومن حيث ان ما صدر عن هؤلاء الطلاب ، انما صدر عن أبناء لم يكتمل لديهم الادراك بعد ، نتيجة مظنة خاطئة لما نشرته بعض الصحف خاصا بالامتحان » .

ومن حيث ان ما وقع منهم كان مرده تحكم راس الجماعة الغاضبة فى الموقف ، فلم يحسنوا التعبير والافصاح ، بل عبروا عن ذلك بالقاء حجارة أتلفت زجاج معهدهم وبعض منقولاته .

ومن حيث انه فيما يتصل بالاعتداء على الاستاذ المربى .. فهو وحده جرم لايحتمل اشفاقا ، الا ان الجرح الجسيم براس الطالب الصغير ، وندمه واعتذاره وقبول الاعتذار يبيح لنا تسوية بين الاساءتين .

ومن حيث ان المربى وهو القدوه الحسنة وفى مرتبة العافين عن الناس ، فهلا يعفو عن تلميذ له ركب رأسه وأفلت منه الزمام ، فزل ومن تم ندم وكفر وتاب وأناب ، واستجاب النائب العام لهذا الرأى وحفظت التحقيقات ، وأقامت المدرسة حفلا رائعا تجلت فيه مظاهر الأبوة الحانية ممثلة فى ناظر المعهد والمربين ، والعرفان لهم بالجميل مقرونا بالتجلة والطاعة والاكبار ممثلة فى الطلاب والتلاميذ .

اما القضية الثانية : فانها لا تتصل بطلاب علم أو ناشئين بل اتصلت برجلين بلغا مراتب الرجال عمرا وفى حساب السنين والأيام ، وبلغا من الثقافة الفنية الجامعية ما جعلهما يشغلان مكانين هامين فى احدى عواصم الصعيد منذ ثمانية عشر عاما . واتصلت بينهما أسباب الألفة حدا اقتضى التلازم والمؤاكلة والمشاربة . وقد نشأ فى وسط اباح لهما مقارعة الخمر وأن يفرطا فى شربها .

وفى ذات يوم أفرطا فى الشراب ، واشتد الجدل فيما بينهما فتبادلا السباب حدا انتهى بهما الأمر الى ديوان الشرطة التى استجوبت كلا منهما قاصرا على تبادل الاتهام ، وبعد الانتهاء من تحرير محضر جمع الاستدلالات هذا أصر كل منهما على رفض كل محاولة للتوفيق فيما بينهما ، وكان اصرارهما فى عناد حدا حمل الشرطة تعطى الاوراق رقم جنحة على غير ما يسير عليه العمل ، وعلى غير ما اقتضاه منشور النائب العام .

ولما عرضت على الأوراق أذهلتنى المفاجأة اذ خالفت الشرطة ماجرى عليه العمل ، وأن يحدث ذلك بين صديقين بلغا مدارك العلم الجامعى فى فن يقتضى الذكاء والفطنة وحسن الادراك ، وعاودت المحاولة للتوفيق فيما بينهما فأعرض كل منهما ونأى عن صاحبه وأصرا على أن يبلغ الأمر مداه من محاكمة وتوقيع جزاء .

وارتأيت غير ما رأيا وحفظت الأوراق قطعا لعدم الاهمية، مساندا نظرى على النسق التالى : —

« ومن حيث ان مثل هذا القول غير المباح ان اقتضته غضبة طارئة نظر اليه عند التقدير نظرة الاغضاء تمشيا مع التيسير والمعقول وسدا لسيل جارف من تبادل الكيد .

ومن حيث انه فيما نحن بصدده ليست الغضبة الطارئة وحدها هى التى قادت الى مثل هذا القول السيء ولكنه الوعى المنقوص قاد المتهم أو قاد المتهم والمجنى عليه الى الوقوع فيه .

ومن حيث انه لكل ذلك ، ولما بين المتخاصمين من ألفة ومودة كانتا مضرب المثل وحديث الناس حسبما نطقت الأوراق ، فانه لا مندوحة من النظر الى الامر نظرة التهوين من شأنه واطراحه بعيدا عن ساحة العدالة تمهيدا لصفاء مأمول » .

انور حجازى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الرواية الأم .. جاوزت الخمسين

استرعى انتباهى فى أنباء الأدب بالصحف نبأ يقول ان لجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أوصت باقامة مهرجان دولى للقصة العربية فى عام ١٩٦٤ بمناسبة مرور خمسين عاما على صدور قصة زينب لمحمد حسين هيكل . وظاهر أن هذه التوصيةمبنية على أساس أن القصة صدرت١٩١٤ . وكنت قد قرأت فى كتاب فجر القصة المصرية للاستاذ يحيى حقى ان قصة زينب ظهرت سنة ١٩١٤ واخيرا كنت اقلب فى مجموعة مجلة « البيان » التى كان يصدرها عبد الرحمن البرقوقى فى تلك الآونة ، فرأيت فى عدد من أعداد سنة ١٩١٢ كلمة بعنوان « زينب » يقول فيها المحرر :

« لا نرى فى عالم الكتابة فى هذا البلد نقصا أعيب ولا عابا أفضح من خلونا من الكتاب الروائيين » .

وعلل الكاتب ذلك بقلة الملاحظة لدى الكتاب ، ثم دعا الى الكتابة الروائية قائلا :

« ونحن نريد كتابا روائيين يأخذون من حالتنا الحاضرة وأدوائنا وعللنا ومبدأ المحافظة على القديم المتاصل فى نفوس شيوخنا وبعض شبابنا والحال التى كان عليها آباؤنا وصالحة عاداتهم وفاسدتها موضوعات يصوغونها فى أسلوب روائى على مبدأ « الريالزم » ولا ضرار فى وضع روايات خيالية يرمى كتابها الى مبدأ سام أو فكرة رشيدة يهذبون بها العواطف ويقومون بها أود الاخلاق فليس مبدأ « الرومانتزم » فى فن وضع الروايات باقل فائدة من الروايات القائمة على الحقائق . نقول ذلك وفى يدنا رواية صالحة ، هى بدء عهد جديد فى عالم الكتابة نستقبله بالغبطة والروح ، تلكم رواية (زينب) وضعها صاحبها يصف فيها حال الريفيين فى طهرهم وعفافهم وسلامة قلوبهم وشريف حبهم وجمود كبارهم وتقوى كهولهم وضمنها مبادىء له عصرية ليس فيها الا الرشيد القويم ، متبعا فى ذلك مذهب ديكنز وبلزاك وتكرى . ذلكم محمد حسين هيكل ... »

ويشيد محرر البيان بفعل المؤلف محمد حسين هيكل من حيث أنه أنكر نفسه فلم يذكر اسمه على الرواية ، اذ يرى أن هذا عمل وطنى مقرون بانكار الذات .

وتاريخ العدد الذى نشر فيه هذا المقال (سنة ١٩١٢) يقطع بان الطبعة الأولى من قصة زينب صدرت اما فى خلال سنة ١٩١٢ أو قبلها ، وان كان يبدو أن المقال كتب على أثر صدورها تحية لها برغم اغفال اسمه عليها ..

وأضيف الى ذلك ماكتبه الاستاذ محمود تيمور فى مجموعته القصصية « الشيخ سيد العبيط » التى ظهرت سنة ١٩٢٥ ، وهو قوله عن رواية «زينب» :

« لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى سنة ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع » .

وفى مقال « البيان » دلالات أخرى غير تاريخ صدور باكورة الانتاج القصصى فى حياتنا الادبية الحديثة . فيه الشعور بالنقص فى عالم الكتابة لخلوه من القصص ، مع الشعور بالحاجة الى هذا العنصر فى الادب كى يؤدى رسالته فى خدمة المجتمع .

واذا كانت الرواية « الأم » تدل على وعى كامل بمقتضيات الفن القصصى الحديثة فى الانتاج ، فان تعليق مجلة البيان الادبية عليها يدل على وعى بمسائل الفنون الوافدة ، ففى هذا التعليق دعوة مبكرة الى الواقعية (الريالزم) وكلمة « الواقعية » لم تكن قد أطلقت فى لغتنا العربية بعد على الاتجاه فى الادب ، بل كان يسمى « مذهب الحقائق » ثم كان واضعها الاول بعد ذلك بسنوات هو كاتب الرواية الام .. محمد حسين هيكل ، وان كان قد اقترحها أولا للدلالةعلى الواقعية الفلسفية ، ثم انتقل استعمالها من الفلسفة الى مجال الادب .

ومحرر « البيان » لا يرى الفائدة مقصورة على الروايات الواقعية « القائمة على الحقائق » بل يرى أن الرومانسية « الرومانتزم » لا تقل فائدة عنها . وبلباقة ووعى لم يضع « زينب » فى أى من المذهبين فهى وان كانت تنهج فى الوصف وغيره منهج الواقعية الا أن اتجاهها العام رومانسى ، وقد كانت الرومانسية هى المتسلطة فى الروايات المترجمة الى العربية .

اما مسالة « انكار الذات » فى اخفاء اسم المؤلف فاننا ناخذها على أنهـا مجرد تحية ، فلا علاقة بين اسم المؤلف ـ مكتوبا او مهملا ـ وبين انكار الذات فى سبيل الصالح العام •

ويرى يحيى حقى أن مؤلف زينب كتم اســمه تجنبا للحظر الآتى من احتفائه بعاطفة الحب والتغنى بها ، ولكننا نرى قبل ذلك كاتبا ازهريا معمما ، وهو المنفلوطى ، يكتب عن الحب ويصــور المآسى الناجمة من زواج المحب بغير حبيبه ، وهى القضية الاساسية فى رواية زينب •

على أن الاستاذ يحيى حقى يشير بعد ذلك الى امر هام يصلح أن يكون هو الباعث الحقيقى لاحجــام هيكل عن كتابة اسمه على الرواية ، اذ يعتقد أن هيكل خجل من ألا يصدق بعض القراء خياله ويصر على ان فى بطل القصة ظلالا من ملامح المؤلف ذاته ، فأراد هيكل أن يجتنب سيرته الخاصة فضول الناس•

اما ما يذكر من أن التـأليف القصصى فى ذلك الوقت لم يكن له شأن ولا اعتبار فى مجال الادب ، فلهذا حاذر هيكل ان يكتب اسمه على روايته ، فلا يتفق مع الحماسة التى كتب بهـا القصة والجهد الذى بذله فيها • وغير هيكل من الرواد القصصيين لم يهملوا كتابة اسمائهم ، وفيهم من كان أعلى فى الطبقة الاجتماعية ـ ان أخذ هذا فى الاعتبار ـ وأكثر انشغالا بفنون الادب ، مثل محمد تيمور •

الادب وعكسه فى صحافتنا

منذ أسابيع أعلنت الجمهورية عن عددها الممتاز الذى يصدر يوم الخميس ، وتضمن الاعلان أن فى العدد صفحة للادب ، وظهرت الجريدة فى الاسبوع الاسبق وليس بها صفحة للادب ، وفى مكانها المعتاد موضــوع يشــغل نصف الصفحة عن شاب فى الاسكندرية يشبه عبد الحليم حافظ ويتلقى من أجل ذلك نظرات الاعجاب من الفتيات ، ويحظى بتسابقهن اليه وتهافتهن عليه ••

وتكرر الاعلان عن صفحة الادب ضمن محتويات العدد الممتاز فى الاسبوع التــالى ، وتكرر عدم ظهورها ، كما تكرر نشر موضوع ممــاثل لذاك مكانها ، وهذا الموضوع الذى نشر بديلا من الادب يقول ان بليغ حمدى تزوجعند الفجر ودفع للعروس مهرا قدره ٢٥ قرشا وشهد على العقد عبد الرحمن الخميسى وحسن عبد العزيز المخرج بالاذاعة • نشر ذلك بعنوان يتكون من ثلاثة أسطر على اربعة أعمدة من الصحيفة ، ونص العنوان هكذا : « أيقظ بليغ حمدى الفتاة التى يحبها عند الفجر وقال لها : هل تتزوجينى ؟ »

« جاءت العروس بملابس عادية والنوم فى عيونها لتتزوج »

« بحثوا عن مأذون فى القاهرة حتى وجدوه فى عابدين » •

ولاهمية هذا الموضوع « الفائقة » نشر كذلك فى جريدة الاخبار ، وان كان المضمون يختلف قليلا ، اذ قالت الاخبـــار ان بليغ ذهب الى عبد الرحمن الخميسى فى الفجر وقال له « أنا عاوز أتجوز حالا» وأن زوجة الخميسى ذهبت الى العروس وأيقظتهــا وأحضرتها ، اما موضوع الجمهورية فيقــول ان العريس أيقظ العروس بالتليفون ، وذهبا الى منزل عبد الرحمن الخميسى •

وبين آونة واخرى يطلع علينـا كاتب من كتاب الصحف فيقول ان نشر الادب ليس من شأن الصحف اليومية ، لانه لا يهم جمهور القراء • ويجرنا هذا الى ندوة دعتنا اليهــا جامعة الثقافة بالاسكندرية موضوعها « الثقافة للجماهير » وتحدثنا أنا وزميلى الاستاذ فوزى سليمان المحرر بالمســاء عن وجوب تيسير الثقافة لجماهير الشــعب ، وعما يبذل فى سبيل ذلك من الجهود ، وبعد أن انتهينا من الحديث انهالتعلينا الاسئلة وقد تركز معظمها على الصحافة باعتبارها وسيلة من وســائل نشر الثقــافة على الشعب •

قال لى أحد الشباب : ما الذى يهمنى من نشر أن المطرب فلان الفلانى سهر حتى الصباح ثم قام وتمشى على شاطىء البحر ؟ وقال آخر : وما الذى يهمنى فى الموضوع الذى شــغل صفحة فى جريدة كبيرة عن كلب مطربة كبيرة عض أحد محررى الصحف ؟ وقال اديب ناشىء : انى أكتب قصصا وأرسلها الى الصحف فلا تنشرها ولا تنشر حتى توجيها عنها يكتبه احد محرريها الادباء •

وقلنا لهم : هذا صحيح • وقالوا لنا: وما العمل؟

وعدت الى القاهرة وأنا افكر فى هذا السؤال : وما العمل ؟ ولم أهتد بعد الى شىء ••

عباس خضر

في عالم الفن

استعدوا للمهرجان الثالث !!

بعد المهرجان التليفزيوني

بقلم عبد الفتاح البارودي

وماذا سنفعله بعد أن انتهى المهرجان الدولي الثاني للتليفزيون ؟! لا جدال في أن هذا المهرجان حقق نجاحا كبيرا من مختلف النواحي ، أي انه نجح ماديا وفنيا وشعبيا ، بل انه بمقارنته بغيره من المهرجانات يعتبر – بلا مغالاة – من أنجح المهرجانات الدولية . ولكن لا يكفي أن « نفرح » بهذا النجاح .. ابدأوا فورا ببحث وسائل الاستفادة به كتجربة عملية أتاحت لنا الاحتكاك بثقافات عالمية . وبفنانين ارتفعوا الى المستوى العالمي بالممارسة القائمة على الدراسات الاكاديمية والمنهجية . وبخبراء لا شك في أنهم من أساتذة « التكنيك » الفني .

***

ان التليفزيون سيبدأ فعلا – في الاسبوع القادم – عرض البرامج التي اشتركت بها المحطات العالمية في المهرجان . ولكنه سيعرضها في نطاق محدود ... سيعرضها على المشتغلين – داخل التليفزيون – بالبرامج التليفزيونية . وطبعا لا يكفي هذا ... ان تثقيف العاملين في التليفزيون مسألة مهمة . ولكننا نريد نشر الوعي التليفزيوني ليس فقط داخل الاستوديوهات ، بل أيضا خارج الاستوديوهات . في الشارع والبيت والحقل والمصنع والمدينة والقرية .. وبديهي أن التليفزيون اعد تخطيطات كثيرة لدراسة برامج المهرجان على نطاق واسع . وانما المهم أن تساهم هذه الدراسة في تنمية وتعميق التفكير التليفزيوني . وفي زيادة الخبرة بالتكنيك التليفزيوني . وفي مواصلة تطوير الفن التليفزيوني . ان المهرجان نفسه لم يكن مجرد حفلات لتقديم البرامج والنجوم . وانما كان في حقيقته دليلا على اننا في طريق تطورنا التليفزيوني بلغنا مرحلة أهلتنا للتنافس الفني في النطاق العالمي . وواجبنا الآن أن نجعل هذا المهرجان بداية لمراحل أخرى وتطورات اخرى في هذا الفن الذي يتطور بسرعة مذهلة في التفكير والأداء والتكنيك .

ان برتراند راسل يفضل عرض مناقشاته الفلسفية في التليفزيون ، وسارتر يقول ان الفن التليفزيوني سيلغي نظرية « الخداع الفني » . وأورسون ويلز يقول ان شيكسبير لو عاش في العصر الحديث لكتب كل رواياته للتليفزيون .. ان كثيرين من كبار المفكرين والفنانين يعتقدون أن التطورات المذهلة التي تحدث في التليفزيون لاتدفعه فقط الى مكان الصدارة بين الفنون ، فانه فعلا في هذا المكان ، وانما تؤكد أيضا أنه فن المستقبل .. وليس معنى ذلك أن الفنون يمكن ترتيبها في طوابير مثلا ، أو أن التليفزيون سيقضي على الفنون الاخرى ، وانما معناه الحقيقي ان التفكير التليفزيوني سيؤثر في كل الوان الانتاج الفني بالضرورة . وفعلا بدأت تتكيف حسب مواضعات هذا الجهاز الالكتروني لتعرض على شاشته الصغيرة .

ان من واجبنا دراسة هذه الدقائق على ضوء ما عرضه المهرجان من برامج .. ان التعمق في بحث «تكنيك» هذه البرامج يلقي الضوء على مواطن التطوير فيها . ويساعدنا على متابعة التطورات العالمية في فن التليفزيون، ويزيد استعداداتنا لادراك جوهرها ويعطينا القدرة على ملاحقتها ومسايرتها والمشاركة فيها ، ثم التنافس فيها مع الدول المتحضرة ، كما تنافسنا معها فعلا وبجدارة في هذا المهرجان الدولي .

***

ونحن فعلا نتطور ، ولكن يجب ان ندرك حاجتنا – دائما – الى مواصلة التطور ، والى بحث تطورات الآخرين والاستفادة منها بالاحتكاك الثقافي والفني ودراسة نتائج هذا الاحتكاك .. ومن الصعب استقصاء ماأحدثه التليفزيون عندنا من تطوير في التفكير الفني وفي الانتاج الفني ليس في الحقل التليفزيوني فقط بل في مختلف الحقول الفنية .. ان هذه النهضة الفنية الملموسة كان للتليفزيون – المولود منذ ثلاث سنوات فقط – أثر جوهري فيها

فمثلا شـــهدنا فى الندوات التليفزيونية مناقشات أدبية وفنية تناولت مشكلات فى غاية الاهمية ·· وعرض التليفزيون قصصا لرواد الفنون وأفلاما ومسرحيات ومقطوعات سيمفونية عالمية ·· وقدم لنا التليفزيون معلومات لاحصر لها عن الشخصيات التاريخية والاستكشافات العلميـــة فى مختلف المجالات ·· وفى المسرح مثـــلا لولا المشروعات التليفزيونية لربما ظلت بلادنا ذات مسرح واحد· ان معظم التوسعات الفنية الحديثة ظهرت أو تاثرت بالتطور التليفزيونى ··· وأيضـا التراكيب الفنية الكبيرة التى نتطلع اليهـا ظهرت بداياتهـا فى الاستوديوهات التليفزيونية ·· فمثـــلا المسرح الغنائى الذى افتقدناه طويلا بدا يظهر فى شـكل أوبريتات أو صور غنائية تليفزيونيـة ·· وكون التليفزيون نواة لفرقة سيمفونية ، واستخدم اكثر من فرقة اوركسترالية مع الاستعراضات الغنائية ، وقدم برامج متعددة لعرض وشرح الموسيقى العالميه

***

وطبعا بين البرامج التى يقدمها التليفزيون برامج سيئة ، ولكن المهم أنه يحاول أن يتقـدم ·· وفى الناحية الترفيهية أيضا برامج ومنوعات كثيرة جدا وهى كذلك فيها برامج سيئة ، ولكنه على وجــه العموم سواء فى البرامج التى تعطى الثقافة والمعرفة او البرامج التى تعطى المتعة والتسلية يحاول ان يرتفع الى المستوى الفنى ، وفعلا تخلص من مساوىء كثيرة ، ويكفى للدلالة على ذلك ان تقارن بين الانتاج الفنى منذ أن ظهر التليفزيون الى الآن سواء داخل أو خارج الاستوديوهات التليفزيونية ·

لاجدال فى أنه حدثت تطورات ملحوظة الى الامام واتجه التفكير الفنى الى خدمة الشعب ، وظهر أثر هـذه التطورات فى اهتمـامات الشعب ، فامتـلأت مقاعد المسارح ، وزاد الاقبـال على شراء الاجهزة التليفزيونية ، وتزاحم الناس على مشاهدة البرامج التليفزيونية امام الاجهـزة الـكثيرة التى اقيمت فى الشـوارع والميادين والاندية والمراكز الثقافية ·· الخ ··

اننى لا استطيع هنا تناول كل التفاصيل ولـكن كيف ولماذا نجح التليفزيون فى احداث هذا التطور الفنى دون اى فن آخر او اكثر من اى فن آخر ؟·· هناك أسباب كثيرة ولكنى اذكر من ناحية التكنيك فقط أن طبيعة الفن التليفزيونى تهيء له هذا النجاح ليس فى بلادنا فقط ، بل فى كل بلاد العالم · · ان تاثر الفنون بالتكنيك التليفزيونى أصبح واضحا جدا فى المسرحيات الحديثة والافلام الحديثة ، وفى عقلية أصحاب الانتـاج الفنى – أى الفنـانين – ومستهلكى الانتاج الفنى – أى الجمهور ·

***

من أجل ذلك يحاول الفنانون تكييف انتاجهـم حسب ابعاد واعماق الشاشة الجديدة الصغيرة ليمكن عرضه فيها ، بعد أن تضخم حجم جمهورها ، وهو نفس الجمهور الذى كان ولا يزال يدخـل المسرح والسـينما ، ومن هنـا توهم كثيرون أن التليفزيون مسرح وسينما معا ، بينما الحقيقة انه فن جـديد تماما ، وكل مافى الامر أنه بطبيعته ذات القدرات الفنية الضخمة استطاع تطوير وتطويع الانتـاج السينمائى والمسرحى لمواضعاته الخاصة ·

ان الكاتب المسرحى لم يعد يكتب للمسرح فقط بل أصبح فى ذهنه احتمال نقل مسرحيته تليفزيونيا وهكذا تغيرت ذهنيته هو وسائر منتجى الفنون · واضيف اليهم فنانون تفرغوا للفن التليفزيونى ، وهكذا اصبح المجال التليفزيونى مهيأ لاستيعـاب سائر الوان الانتاج الفنى ، واصبح الجهاز التليفزيونى اداة لعرض مختلف الالوان الفنية ، واداة لتطويرها

ان كل هـذه التطورات يمكن دراستها بالتطبيق على برامج المهرجان ، ويمكن أيضـا – بل يجب – دراستها كمراحل فنية متطورة تلقى اضواء كثيرة فى طريق تطورنا·· فمثلا أمريكا عرضت فيلما من نوع «الاوبرا» ، وهذه ظاهرة غريبة ، لان أمريكا اذابت التفكير الموسيقى فى استعراضات الموسيقى الكوميدية فى برودواى ، وفى صخب «الجاز» فى علب الليل والملاهى الراقصـــة ، ومع ذلك فان المواضعات التيلفزيونية التى لا تسـمح بالتفتت أو بالصخب اتاحت لمؤلفى الموسيقى فرصـة التاليف الوضوعى المتكامل ، وساعدتهم الخبرة بتكنيك التليفزيون ، وكانت النتيجة هى ظهور الاوبرات والالحان المسرحية فى اطار تليفزيونى·· هذه مسائل تفيدنا دراستها فى زيادة المعرفة بالمواضعات التليفزيونية ، وزيادة الخبرة باعداد الانتاج الموسيقى تليفزيونيا · · وسويسرا مثـلا اشتركت بفيلمين أحدهمـا علمى حاد ، والثانى خفيف جدا ، وهذا يعطينا فكرة عن أثر تفـاوت التفـكير الفنى فيهـا فى التفـاوت بين مستويات الانتاج الفنى لدرجة التناقض ، ومع ذلك

أمكن بالبراعة فى التكنيك أن توضع هذه المستويات المتناقضة فى شكل فنى .. اننى لاأتنـــاول الآن برامج الدول التى اشتركت فى المهرجان بالتفصيل وانما من الواضح أن هذه البرامج بصفة عامة تمثل تطورات سريعـة جدا فى الفن التليفـزيونى .. ان هذ هالتطورات شملت الأداء والتنفيذ والتفكير .. وكلها نتيجة للتعمق فى فهم خصائص هـــذا الفن ومحاولة ادراك أسراره .. ان بين البرامج برامج سريعة الايقاع ، وبرامج عويصة الفهـم ، وبرامج متشعبة الموضوعات .. الخ .. وبالعكس أيضـا فيها برامج بطيئة لدرجـــة تبعث الملل ، وبرامج خفيفة لدرجة تثير الغيظ .. الخ .. ولـكن ليس فيهـا برنامج واحد غير مدروس ، ولا برنامج واحد لم يبذل فيه جهد كبير ، ان كل البرامج على وجه العمــوم تدل على أن الذين أعدوها ونفذوها يعرفون معنى المسئولية الفنية، وأكثر من هذا انهم يحاولون ممارسة تجارب جديدة لاكتشاف مجهولات هـــــذا الحقل الجديد واستخدام كل امكانياته فى التعبير الفنى وبرامجنا أيضا تدل على أننا نتطور ونحـاول ادراك أسرار هذا الحقل الفنى.. ان فكرة المهرجان نفسها تطورت فىأذهاننا تطورا نلمسه فى الفرقالكبير بين المهرجان الاول والثانى .. ان الدعوة الى المهرجان الثالث منذ الآن تؤكد هذا التطور .. ان المهرجان الاول أقيم دون أن نشترك فيه بأى برنامج ، ودون أن يشترك الجمهور فيه اشتراكا عمليا ، ودون أن تناقش برامجه وتفصيلاته واتجاهاته الفنية .. أما المهرجان الثانى فان برامجه عرضت علانية ، وبدأت الاستعدادات لعرضها للدراسة والمناقشة .

كذلك تطورت مفهوماتنا التليفزيونية .. ومهما يكن الرأى فى مستوى بعض البرامج فلا جدال فى أهمية الجهود التى تبذل للاستفادة من أخطاء هى فى الواقع – من الناحية الفنية – أخطاء تجـارب جديدة فى فن جديد .. ان نتائج هـذه الجهود تظهر باستمرار فى التغييرات والتطورات التى تحدث فى كل دورة سواء فى موضوعات البرامج أو فى التناول الفنى أو فى محاولة بلورة برامج كل قنـــاة فى شخصية مستقلة ، ومحاولة اثارة التنـــافس بين البرامج والقنوات على أسس فنية .. كذلك تظهر نتائج هذه الجهود فى النشاط الذى أحـــدثه التليفزيون فى مختلف المجالات الفنية ، وفى الخامات والمواهب الجديدة التى اكتشفت فعلا .

ان أهم النتائج أن النشاط التليفزيونى يتجـه نحو خـدمة الشعب ونشر الوعى التليفزيونى ، ومحاولة تدعيم المفهومات الفنية بالعلم ، ومن أجل ذلك أنشىء معهد التليفزيون ، وهذا الاتجاه العلمى كما انه يفيد فى تطوير برامجنا تطويرا سليما فانه أيضا يرفع مستواها الفنى لتشارك البرامج العالمية فى خدمة الاهداف الانسانية .

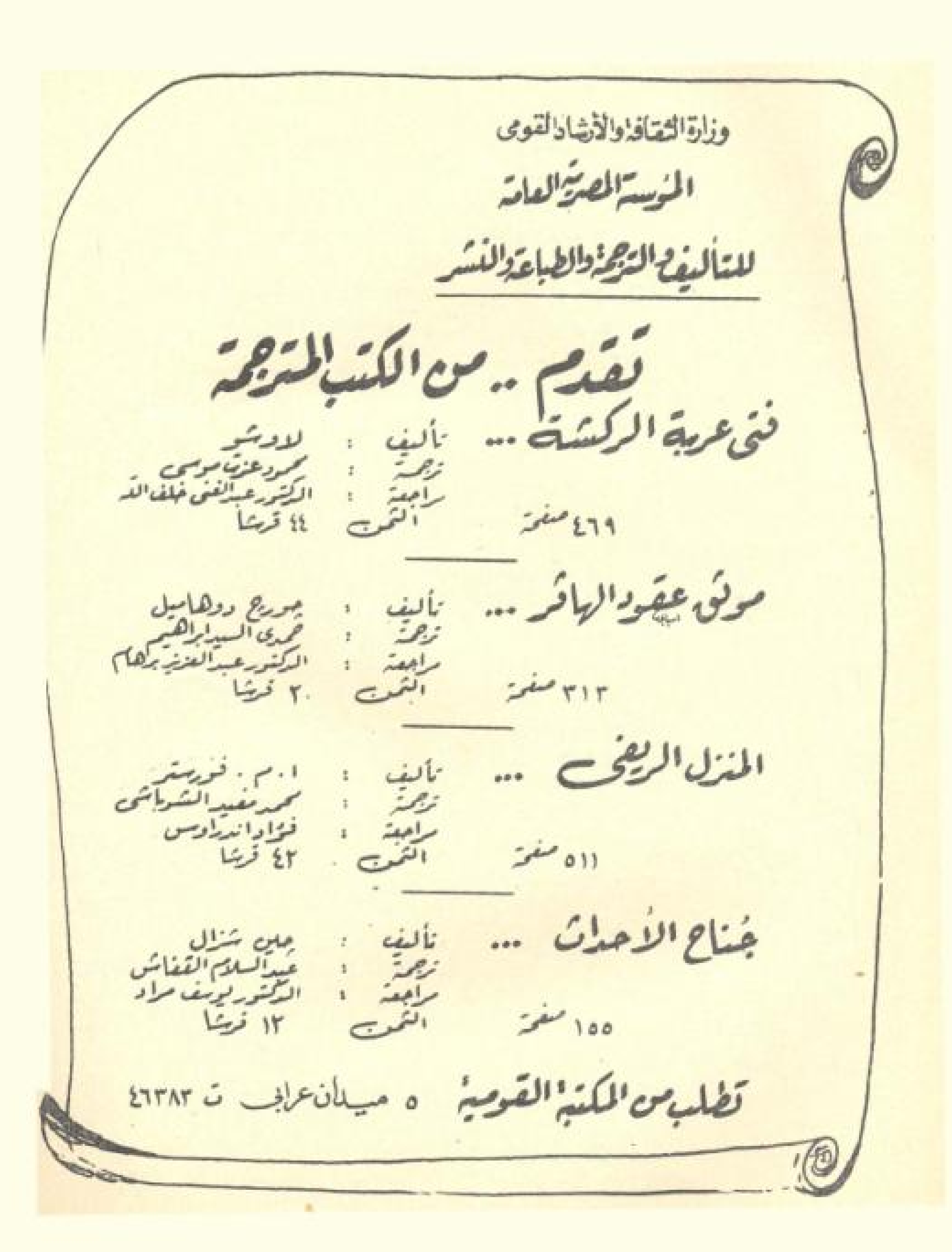
***

واذن فنحن نتطور تطورا ايجابيا .. وهـــذا المهرجان ليس مجرد استعراض للنشاط التليفزيونى العالمى ، بل انه دليل عملى على تطورنا ، فهو يواجهنا بالخبرات العالمية مواجهة تطبيقية ومقارنة ، ومن أجل ذلك يجب أن نستفيد من هـــذه المواجهة .. ان البرامج التى اشتركنا بها فى المهرجان تبرهن على أننا اجتزنا مرحلة الاكتفاء بالانتاج المحلى البحت ، أو على الاقل نكافح لنجتـاز هذه المرحلة .. وفعـلا فيها تفكير جديد وتكنيك جـديد ، ولو بالنسبة للمرحلة التى بدأنا منها .. فنحن مثلا نحاول فيها التعبير بلغة الكاميرا التليفزيونية ، ونحاول تناول موضوعاتنا بأسلوب تليفزيونى ، ونحاول تصوير الاحداث تصويرا فنيا ونحاول معالجة رواية عالمية مثل رواية تاجر البندقية بكاميراتنا وأدواتنا وداخل استوديوهاتنا .. ان هذه الاتجاهات الفنية موجوده فعلا فى البرامج التى تقدمنا بهــــا داخل وخارج المهرجان ، وهى اتجاهات تؤكد تطورنا الفنى ومع ذلك فلا بد من وضع تخطيط دقيق وعملى للاستفادة من هذا المهرجان باعتباره أضخم فرصة تليفزيونية للاحتكاك الثقافى والفنى بخبرات وخبراء ونجـوم العالم .

***

ابدأوا فورا بترجمة النصوص الكاملة لبرامج المهرجان .. أعيدوا عرضها فى ندوات حية لايكتفى فيها بالتعليق الروتينى عليها ، بل لابد من شرحها شرحا تفصيليا ، أى شرح نصوصها وفلسفتهــــا وكيفية اعدادها وتصويرها واخراجها .. الخ .. أشركوا الفنيين فى التليفـزيون فى منـاقشـتها واطلبوا منهم كتابة آرائهم فيها ومقارنتها ببرامجنا ابحثوا أسباب نضوجها وارتفاع مستواها ومستوى مخرجيها ومصوريها ومؤلفيهـــا ونجومهـــا .. درسوها فى معهـــد التليفزيون فى مادة تخصص «للفن المقارن» .. أشركوا الجمهور فى النـدوات التى تناقش فيها .. ابدأوا فورا .

عبد الفتاح البارودى



وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم .. من الكتب المترجمة
فتى عربة الركشة ...
تأليف : لاو شو
ترجمة : محمود عزت موسى
مراجعة : الدكتور عبد الغني خلف الله
٤٦٩ صفحة
الثمن ٤٤ قرشاً
موتى عقود الهافر ...
تأليف : جورج دوهاميل
ترجمة : حمدي السيد ابراهيم
مراجعة : الدكتور عبد العزيز برهام
٣١٢ صفحة
الثمن ٢٠ قرشا
المنزل الريفي ...
تأليف : ا. م. فورستر
ترجمة : محمد مفيد الشوباشي
مراجعة : فؤاد اندراوس
٥١١ صفحة
الثمن ٤٢ قرشا
جناح الأحداث ...
تأليف : جين ستال
ترجمة : عبد السلام القفاش
مراجعة : الدكتور يوسف مراد
١٥٥ صفحة
الثمن ١٢ قرشا
تطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣

الكتب - نقد وتعريف

آسيا والسيطرة الغربية

تأليف : ك . م . بانيكار

ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد .

يبحث الكتاب مقدمات وتطور السيطرة الغربية على آسيا ووسائلها الاستعمارية فى تثبيت هذه السيطرة منذ بداية التوسع الأوربى (١٤٩٨ - ١٧٥٠) الى عصر الاستقلال .. وقد قارن المؤلف بين العرب الذين كانوا يمارسون التجارة مع دول آسيا قبل حركة التوسع وبين الأوربيين - وبين كيف ربط الأوربيون التجارة بالسيطرة السياسية بعكس العرب الذين لم ترتبط تجارتهم مع الدول الآسيوية بأية أغراض سياسية : فقال « ولم يحدث قط ان شابت نشاط العرب التجارى أية شائبة سياسية - وكان العرب يتجرون بمنتهى الحرية بجميع الموانى الهندية ، وينطلقون بسفنهم الى المحيط الهادى بل يبلغون ساحل الصين .. »

ثم يقول.. **والواقع الفعلى للتوسع الأوربى المبكر فى المياه الآسيوية لم يكن حضارة تزحف نحو الامام ولا هو مسرح عرائس يديره تجار مهرة من وراء الكواليس - بل كان محاولة للالتفاف حول قوة الاسلام البرية الجارفة فى الشرق الاوسط »**

وقد أوضح البوكرك - هذه السياسة الأوربية فى خطاب ألقاه على جنوده بملقا - فى قوله ..

« ان ابعاد العرب عن تجارة الأفاوية هو الوسيلة التى يرجو بها البرتغاليون اضعاف قوة الاسلام » .

ويذكر الكتاب فى ص ٤٠ تلك القسوة البالغة التى عامل بها الأوربيون التجار العرب فى البحار - وأعمال القرصنة البدائية التى مارسوها ضدهم فيقول « لقد تصادف والتقت العمارة البرتغالية ببعض السفن غير المسلحة العائدة من مكة - فالقى فاسكوداجاما القبض عليها وعمد بعد تفريغ السفن مما بها من بضائع وحظر أى فرد من اخراج أى عربى منها - وأصدر الاوامر باشعال النار فيها ..

وعندما فتح البرتغاليون جوا تصرفوا بوحشية مع العرب اذا كانوا يملئون بهم المساجد ويضرمون فيها النار .. وقد قال البوكرك أيضا لرجاله فى احدى خطبه :

« يجب اطفاء شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها فى آسيا لهيب » .

وقد أبرز المؤلف حقيقة تاريخية هامة وهى ان الاسطول المصرى الذى ذهب الى شواطىء آسيا للمساهمة فى ايقاف التوسع الأوربى فى آسيا لم يهزمه البرتغاليون كما تدعى المصادر الأوربية ... وقد أشار الى ذلك فى ص ٤٢ قائلا ..

«طلب الزامورين سلطان قاليقوط مساعدة سلطان مصر الذى كانت تربطه به علاقات المودة والصداقة - وعندئذ تقدم الى بحر العرب اسطول مصرى يحمل مالا يقل عن ١٥٠٠ جندى مجهزين بأحدث الاسلحة البحرية بقيادة أمير بحر مجرب اسمه « مير حسن » وكانت خطة مير حسن الاستراتيجية هى اتخاذ جزيرة ديو قاعدة له ... والتقى الاسطولان المصرى والبرتغالى عند تشاول فى منتصف الطريق على الساحل - وكانت المعركة فى جملتها حرب مدفعية - كما أن البرتغاليين فشلوا فيما حاولوه من النزول على ظهر السفن المصرية - وبعد يومين من تبادل اطلاق المدافع عزم البرتغاليون على الفرار - وقد ساعدت الخيانة البرتغاليين بعد ذلك - فان « مالك آياز» وهو أوربى أسلم - وحاكم - ديو - من قبل ملك جوجيرات انضم سرا الى البرتغاليين وحرم مير حسن من المدد والمؤن ..

ورغم أن معركة ديو البحرية (٣ فبراير سنة ١٥٠٩) لم يكن لها نتيجة حاسمة .. سواء بالنسبة للبرتغاليين أو المصريين فان الاسطول المصرى انسحب من المياه الهندية ليس مهزوما - وانما انسحب ساخطا على أولئك الذين جاء لمساعدتهم فقطعوا عنه المؤن ..

وقد بحث الكتاب كذلك مراحل تغلغل الاستعمار الأوربى فى الهند والمراحل التى مرت بها السياسة الغربية تجاه الصين وخاصة بعد معاهدة «نانكنج» -

ومعاهدة تيانتسن ـ واتفاقية بكين ٠٠ والاسباب الواهية التي شنت بريطانيا على اساسها حرب الافيون المروعة على الصين ـ ومراحل هذه الحرب٠٠ هذا بالاضافة الى شرح واف للوسائل البربرية التي كان يتبعها الاستعماريون الاوربيون مع العمال الصينيين ـ مثل تصيدهم كالحيوانات والاتجار فيهم وتسخيرهم للعمل بالمزارع الأوربية ٠٠ وكيف كان هؤلاء العمال ينقلون في سفن تعرف باسم «الجحيم العائم» الى سان فرانسيسكو حيث بلغ عدد العمال الصينيين الذين نقلوا اليها في عام واحد هو عام ١٨٦٣ ١٠٠٦٧١ عاملا وكذلك نقل الى كوبا ٥٢٠٧ والى بيرو ٨١٫٤١٧ عاملا صينيا وقد كانت نسب الوفاة في هذه السفن تتراوح بين ٤٠ ، ٤٥٪ وذلك للطريقة الوحشية التي كانوا يكدسون بها في هذه السفن ٠

وقد أوضح المؤلف كيف استطاعت اليابان وهي دولة آسيوية ان تنفذ الى سر قوة الغرب وأن تأخذ عن أوربا العلوم التكنيكية والرياضيات وغيرها ـ وذلك بفضل اليابانيين الرواد أمثال تاكاشيما ـ وساكوما شوزان ـ وتاكونا وغيرهم الذين انكبوا على دراسة اللغة الهولندية ومن خلالها ترجموا ودرسوا العلوم الاوربية ٠٠ ومهدوا بذلك للتطور العلمي في اليابان ٠٠ والذي استطاعت بمقتضاه اليابان أن تقف بعد ذلك مع دول أوربا على قدم المساواة ٠٠

والرسالة تقول :

لقد أوجد الاوربيون مبدا خطيرا منذ بداية حركة التوسع وما بعدها ٠٠ ذلك بقولهم انه ليس على الشعوب الاوربية اية التزامات خلقية عند معاملتها للشعوب الآسيوية كما حدث يوم أجبرت بريطانيا على تنفيذ تجارة الافيون ـ خارقة بذلك قوانين الصين ـ رغم أن تدخين الافيون في انجلترا ـ شيء يحرمه القانون ٠

وفي اعتقادنا أن ظهور وتماسك جبهة الدول الآسيوية والافريقية في الوقت الحاضر ـ يرجع أساسا الى تلك المعاناة المشتركة لمحنة دامت اكثر من مائة عام ٠٠ فقد مرت هذه الاقطار جميعا بنوع واحد من العدو ـ وقاتلت في نوع واحد من المعارك والتقت بنوع واحد من العدو وقد سار التطور المتجه نحو الحرية السياسية في خطوط متوازية بوجه عام ٠٠ وذلك لان الدول الاوربية كانت تقف دائما في آسيا ـ جبهة متحدة ـ أساسها عنصري ـ وذلك رغم الخلافات الناشئة بينها في أوربا ـ مثال ذلك أنه عندما كانت الحرب دائرة بين فرنسا وألمانيا في اوربا ـ اضطر السفير الألماني في الصين ازاء ضغط مبدأ تماسك الاوربيين بعضهم مع بعض ضد الآسيويين أن ينضم الى صف زملائه الفرنسيين في مشكلة تيان تسن ـ وكذلك كان موقف الدول ازاء اليابان أثناء فترة مفاوضات تعديل المعاهدة ٠٠

واذا كانت دول أوربا تتخوف الآن من يقظة المارد الأصفر الذي يقولون عنه انه سوف يكتب تاريخ النصف الثاني من القرن العشرين ٠٠ فان أوربا قد وضعت الاساس العدائي المترسب في نفوس جميع الشعوب الآسيوية لها ولنظمها ولمدنيتها العدائية العنصرية ٠

كلمة اخيرة نقولها لمؤرخينا ٠٠ الم يحن الوقت بعد لدراسة تاريخ مصر العسكري ٠٠ وتصحيح ما به من اخطاء ٠٠ ؟ ٠٠ وسوف يكون عملا رائعا ٠٠ لو صدر كتاب او عدة كتب تحمل هذا الاسم ٠٠ يكون منهجها واضحا وبسيطا وهو ٠٠٠ دراسة أثر العسكرية المصرية في التطور التاريخي العالمي ٠٠ وخاصة أن لدينا حقائق تاريخية أذكر منها : ـ

أولا : لقد حمت مصر أوربا من المغول عندما هزمت جحافلهم في عين جالوت ٠٠

ثانيا : دافعت مصر عن الشرق وحمته من سيطرة الصليبيين المتعصبين ـ في مجموعة المعارك البطولية التي خاضها جيش مصر ضد أوربا مجتمعة ـ بقيادة صلاح الدين ٠٠

ثالثا : أوقفت حرب السويس الاستعمار الأوربي وارغمته على التسليم لكثير من الدول الافريقية بالاستقلال بعد أن دقت عنقه في بورسعيد ٠٠

ترى لو كان مير حسن قائد الاسطول المصري قد تغلب على البرتغاليين وطردهم من آسيا ٠٠٠ فهل كان باستطاعة الدول الأوربية ـ أن تستعمر ما استعمرته من البلدان ـ وكذلك ٠٠ ولو كانت انجلترا وفرنسا واسرائيل قد نجحوا في عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ ـ فما هي النتائج السيئة التي كان من الممكن أن تترتب على هذا النجاح ٠٠

ان تاريخ مصر العسكري في حاجة الى دراسة واعية ٠٠ مرنة متطورة ـ توضح التأثير المباشر للجيش المصري في تطورات التاريخ الانساني العام ٠

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

رسالة الآداب والعلوم

سيدى

اكتب اليكم وقد غمرتنى الفرحة وعمنى السرور .. فلقد كان دوائى الوحيد لا يوجد الا فى صيدليتكم أنتم يا من اسديتم للبشرية النور والمعرفة والعلم والحضارة والادب الرفيع ، ان دوائى هو كل ما اريده فى حياتى لا ابتغى سواه بل وفى سبيله اقدم نفسى فداه ..

فلقد سمعت عن الرسالة وقت أن كنت طالبا بثانوى الازهر من أستاذى محمد الطيب النجار استاذ التاريخ الاسلامى بالازهر . واذكر قوله : « كنا نتسابق فى اقتناء الرسالة فاذا ما جاء موعد صدورها الفيت كلا منا يعدو عدوا سريعا لشرائها . نظرا لنفادها فى الحال . والحقيقة ايها الطلاب . ان من أراد الادب فعليه بالرسالة ومن أراد السمو والصعود والمعنى قدما فى طريق المعرفة الحقة والعلم الغزير فليتخرج من مدرستها » . فمن مدرستها تخرجت .

ولسوء حظى احتجبت الرسالة فجأة . فتساءلنا عن احتجابها وكان التساؤل بدون طائل ..

واذا برسالة النور والآداب والعلوم والفنون تظهر فجاة فاحيت مواتنا بل واثارت فى نفسى ما سمعته من استاذى الطيب النجار .. الا انى اخيرا اطلب من سيدى الاستاذ احمد حسن الزيات لو تفضل مشكورا . وانقذ الكثير من طلاب المعرفة والعلم فى شتى انحاء المعمورة واسعفنا واعاد طبع ما فاتنا فى اجزاء حتى تستدرك تلك الجواهر الثمينة والدرر النفيسة والتى لا يمكن بحال أن نصل الماضى بالحاضر والحاضر بالماضى الا بها . فرحمة بى وبالذين يريدون المعرفة ان تنظر الى والبهم وأن تقدم الينا الدواء .

عبد الله عزت السيد الشحات

كلية الدراسات العربية ــ جامعة الازهر

الى السيد/عبد الحليم

قرأت فى بريد الرسالة الادبى فى العدد الماضى رسالة بتوقيع الأخ السيد/عبد الحليم عبد الفتاح عويس توهم أولا بأن ما نشرته فى عدد الرسالة الصادر فى ١٥ أغسطس الماضى قد أذعته بالبرنامج الثانى مجلة أخبار الادببتاريخ ١٩ أغسطس أى بعد صدور الرسالة بأيام أربعة .

وتوهم ثانيا بأن موضوع « تأملات فى الادب والنقد » بحث ظهر فى احدى المجلات الاسلامية فى ليبيا ، وأنى قد استعرت أفكاره ...

أما ما سجلته بالبرامج الثانى بتاريخ ١٠ اغسطس الماضى فهو حديث مسهب عن المؤلفات الحديثة منها « السنة قبل التدوين » ولم أذع حتى الآن اى شىء مما تناولته فى مقال « الفكر العربى والاصلاحى » وقصدت من الاشارة الى كتاب « السنة قبل التدوين » على صفحات الرسالة أهمية الكتاب وخطورة موضوعه مع الفارق الشاسع بين ما أذعته وما كتبته على صفحات الرسالة .

أما مقال الاستاذ الفقهى فقد أشرت فى الرسالة الى موضوع المقال وكاتب المقال والمجلة الاسلامية الليبية التى نشرت المقال ، وموقفى منه موقف المعلق لا اكثر ولا اقل ــ اما عبارته الاخيرة فى رسالته ، وهى أنه يريد منى مزيدا من الجهد حتى لا أكرر نفسى ، فقد كنت أود منه ــ وهو لا زال طالبا ثانويا كما سمعت ، أن يتركها لغيره من أساتذته ليتولوا عنى الاجابة .

أما أنا فلا يسعنى الا ان اشكر لهعنايته بماكتبت وبما أذعت ، وأسأل الله أن يجعلنى دائما عند حسن ظنه بقلمى المتواضع .

محمد عبد الله السمان

اين التعليم الصحيح ؟

عادت الرسالة فعادت معها استقامة الفكر فى الادب واللغة والدين ، وعدت معها الى التفكير الحر السليم ،

وقد اكتشفت نفسي بعد خدمة أربعين سنة في صناعة التعليم في مصر والاقطار العربية . كنت فيها مدرس منهج ، وطباخا للعقول ، أقدم لها ما لا أحب ليلتهم الطلاب ما يوصلهم الى احراز الشهادات ثم الرزق العاجل بعد تلهف شديد ، وترقب مر ، فاذا احتضنوا الوظيفة كانت نهاية المطاف الا من عصم الله أريد أن أقول : ان التعليم الصادق أن تسير التربية العقلية والخلقية واللغوية مع الطالب من المدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية ثم الجامعة وهو في كل ذلك يتكامل أدبا وعلما ودينا وخلقا .

فما باله يقصر جده واجتهاده على مادته من التعليم الثانوي الى الجامعة تلك التي يريدها لمستقبله ويكاد يجهل كل شيء سواها الا ما يبعث على التسلية . وربما كان بارعا في مهنته ناجحا فيما تخصصه فيه ؛ فاذا جلس الى أترابه في أوقات فراغه كان عاديا جدا في تفكيره وأهدافه وثقافته العامة وما دام قد ترك (الورشة بالنهار !) فهو سطحي بالليل .

وقد استفاضت شكوى أساتذة الجامعات من أن الطلاب مدرسيون لا يستقلون بكتابة البحوث فكيف يرجى منهم أن يحملوا اعباء الأمة في غير ما تخصصوا فيه .

حتى ان بعض كبار المتعلمين قد تقام له حفلة تكريم فيعجز عن شكر الذين كرموه بلسان صحيح وفكر مستقيم .

ثم يعتذر عن نفسه بأنه ليس من الخطباء ولا من أرباب الكلام وأنه يشكرهم بقلبه . وليس كذلك أبناء اللغات الاخرى . فهل للمشرفين على التعليم في هذا البلد أن يهدفوا الى تكوين العقل قبل دراسة المنهج ، والى اصلاح اللسان قبل الاعداد للامتحان ، والى خلق الطالب المثالي قبل أن يخرج الى الحياة مجردا من الأسلحة الا سلاحا واحدا يلج به الى المادة التي يقال : انها لا تغني ثم المال الذي وجده بعد طول حرمان . والدولة الآن مشغولة بترتيب البيت . أليس منه تثقيف العقول التثقيف الصحيح ، وسد ثغرات التعليم التي طال عليها الزمان .

حسنين حسن مخلوف

❋ ❋ ❋

حول الثورة الدينية

قرأت في العدد رقم ١٠٢٤ من مجلة الرسالة تحت عنوان « مع الثورة الرابعة الدينية » للاستاذ الكبير محمود علي قراعة واعجبت بهذا المقال ونزيد سيادتكم في مطالبتكم بثورة رابعة دينية تلك التي ستطهر السنة من الأحاديث الموضوعة والكاذبة وكذلك اظهار الاسلام الصادق بمظهره اللائق به وتنقيته من الشوائب التي تسند اليه .

وكذلك نقف مع الاستاذ محمود علي قراعة بمطالبته بعقد مؤتمر لتلخيص الكتب الضخمة تلخيصا معقولا كما يجب تخليص الكتب الدينية من الاحاديث الموضوعة والمبادىء الكاذبة . كما أرجو أن لا يحرمنا الاستاذ قراعة بمقالاته الشيقة بصفة دائمة على صفحات الرسالة .

واني أدعو الله أن يزيد من ايماننا بالله ويوفقنا الى ما فيه الخير .

احمد عبد المعطي احمد
بالواسطى ـ أسيوط

تحية خالصة للرسالة

قل للرسالة بعد حسن مآب
يدمي القلوب تفرق الاحباب
واذكر لها أنا على طول المدى
من اخلص القراء والكتاب
قد غبت مرغمة فلست ملومة
ورجعت بعد توفر الاسباب
كنا نرى الدنيا بدونك ظلمة
والنجم مختبئا وراء حجاب
والليل طال كأنه لا ينتهي
ونرى الفضاء مغلفا بضباب
واليوم عدت وعاد نورك مشرقا
فتحية للنور بعد غياب
من بعد ما ضاقت صدور أحبة
دخل الرضا من أوسع الابواب
فارعى بعزمك ما وضعت أساسه
ولدى بديع الكون خير ثواب
لم تسع يوما خلف جاه زائف
او تؤخذى ببريقه الخلاب
بل كنت في دنيا الصحافة قدوة
والقول فيما قلت فصل خطاب
لا نستطيع وفاء دينك فاقبلي
خير الدعاء وخالص الاعجاب

محمود زغلول

أخبار علمية وأدبية

● يصدر بعد أيام للدكتور حسين مؤنس مدير المعهد الاسلامى بمدريد كتابه الجديد عن الاندلس تحت عنوان « الفردوس الموعود .. أو رحلة الى الاندلس » سبق للمؤلف أن صدر له كتاب ضخم عن «فجر الاندلس» فى أكثر من سبعمائة صفحة وفى كتابه الجديد دراسة عن تراث العرب والمسلمين فى الاندلس ، والذى منه انتقلت حضارة الشرق الى أوربا .

تنشر هذا الكتاب ... المكتبة العربية بالقاهرة

***

● سينعقد بعد أسابيع لاول مرة بالمركز القومى للبحوث مؤتمر للاستماع الى حلقات دراسية علمية تتناول اقتصاديات القطن وتصنيعه .

وقد تقدمت الهيئات العلمية بعدد من البحوث ، وسوف يفتتح السيد وزير البحث العلمى هذا المؤتمر الذى سيستمر أسبوعا كاملا .

***

● توفى عن خمسة وتسعين عاما فى أكرا عاصمة غانا : الدكتور وليام ادواردى بور ، من كبار المتخصصين العالميين فى شئون افريقيا ، وقدحصل العالم الكبير عام ١٩٥٩ على جائزة لينين للسلام ، وظل يحرر فى دائرة المعارف الامريكية عن شئون افريقيا ، ومنذ ثلاث سنوات استقر به القرار فى غانا ونال هناك الجنسية الغانية .

***

● أجرت وحدة الصناعات الغذائية فى المركز القومى للبحوث بالقاهرة بحثا مثيرا يأخذ دور التصنيع والتصدير قريبا . فقد تقرر تجفيف الجوافة والمانجو وتحويلها الى مسحوق داخل أقراص مع احتفاظ الفاكهة بقيمتها الغذائية وكل قرصين قيمتهما الغذائية تساوى كوب مانجو كبيرا ، يشرف على الوحدة الدكتور جمال حامد .

***

● تصدر قريبا فى طرابلس الغرب جريدة أسبوعية أدبية ، تهتم مع الادب العربى بالفكر الاسلامى .

هذه الجريدة سيطلق عليها اسم (جريدة البلاغ) وصاحبا امتيازها الاستاذان على وريث وابراهيم الغويل المحامى بليبيا ، وهما ممن تلقوا تعليمهم فى القاهرة .

سترعى جريدة البلاغ الليبية المواهب الناشئة الى جانب الاهتمام بأقلام رجال الفكر فى العالم العربى .

***

ابتكر العلماء فى المانيا الغربية آلة أوتوماتيكية جديدة تقرأ الخطابات وحدها ، ان المانيا توزع ٣٠ مليونا من الخطابات فى اليوم ، والآلة الجديدة ستحل هذه الازمة لانها تقرأ من ٣٠ الفا الى ٣٦ الف رسالة فى الساعة .

***

● سيرأس السيد/سيد مرعى الوزير السابق ورئيس اللجنة العليا لبحوث الفضاء ، أول مجلة علمية لبحوث الفضاء وافق السيد/صلاح هدايت وزير البحث العلمى على المشروع وستصدر المجلة قريبا .

***

● استدت المؤسسة المصرية العامة للتأليف ترجمة كتاب «كنت من رعايا الهون» من اللغة الالمانية الى اللغة العربية وهو من الكتب التى تقرر ترجمتها تنفيذا للمعاهدة الثقافية .

***

● أتمت مكتبة المثنى ببغداد طبع كتاب (عجائب الاقاليم السبعة) الى نهاية العمارة وهيئة المدن واحاطة البحار بها وتشقق أنهارها ومعرفة جبالها .

صنف هذا الكتاب (سهراب) المعروف (بابن سرابيون) وعنى بنشره وتصحيحه وتحقيقه (هانس فون مزك) وطبع لاول مرة عام ١٩٢٩ فى فينسيا .

***

قصة العدد

يا ماما ...

للأستاذ حشمت جبر

حي السكاكيني حي حائل كأي حي في القاهرة مازال يعاني من حدة الصراع بين ماضي يحاول أن يحتفظ بطابعه القديم وحاضر تتالق فيه أكثر من فكرة وأكثر من رأى .

فمنذ ثلاثين عاما كان معظم الحي يقطنه أجانب وأقل من القليل من المصريين أما اليوم فاقل القليل من الاجانب ونماذج متباينة تماما من المصريين وفي الدور السادس وفي شارع محمد سامي وبالتحديد في أحد شرفات المنزل المطل على ناصية الطريق كانت عليه تقف مستندة الى حافة الشرفة وعيناها تمسحان الطريق الطويل تخترقان ظلامه باحثتين بين طياته عن شيء أي شيء تشعر عيناها بالاستقرار عليه ولكن نظرتها كانت ترتد ثانية متخبطة في الظلام عائدة اليها مصوبة داخلهـا وعلى الشفتين كانت ترتعش مرارة .. مرارة تذكر لحظات الازمة وفوق الوجه المجعد كانت اهتزازات الزمن تلسع من براها فالليلة فقط ثار الطوفان وكان في حالة كمون وكانت تعتقد هي أنه في سبات عميق .

ان اليوم لم ينته بعـد ومازالت ذكراه تلسع ذاكرتها وهي تتذكر شريط حياتها الذى لم تصفعها آلامه الا اليوم ومنذ لحظات قصيرة في مجرى الزمن طويلة في ابعاد حياتها فعندما أدركت علية لحظة الحياة تطلعت الى وجهها في المرآة فـامت عيناها من النظر اليه وتركته ونزلت بنظراتهـا الى جسـدها الذى التصقت به مظـاهر انوثة التاسعة عشرة فآلمها أن تجده نحيلا ممصوصا ويومها تحركت مأساة دمامتها ولكن كان لا بد للمأساة من ان تكتمل خيوطها حتى لا تكون مأساة مبتورة وكان ذلك على اثر حادث لوالديها في عربة باحدى الطرق الزراعية انهت حياتهما كانت يومها في الجامعة في السنة الاولى وكان عليها أن تواجه الموقف كله وحدها

فلقد كانت وحيدة الا من خال يعيش هو وزوجته العاقر في الحجرة المجاورة لها .

ومرت أيامها كئيبة وهي تكتشف كل يوم أنهـا تزداد دمامة وانها لم تلفت النظر حتى لصعاليك الطريق .

وحاولت أن تقدم أفضل ما عندها من اخلاقيات حاولت ان تكون عطوفة اجتماعية حنونة ولكن يبدو انه ليس بالاخلاقيات وحدها يحيا الانسان .

ومضى الزمن يزحف على أعصابهـا وهي تترك وراءها السنين حتى تعودت على تلك الحياة الجافة التي يحكمها روتين الاستهلاك اليـومي منذ أربع سنوات صباحا بعد أن تخرجت تذهب الى مدرستها ومساء تعود الى البيت متقلة بمتاعب اليوم وفي بعض الاحايين تدخل السـينما مع صديقة أو صديقتين لا تلبثان أن تبتعدا بمجرد أن تتزوجا ولا شيء في حياتها غير ذلك .

سوى لحظات تتوقد فيهـا أحاسيسها فجاة . وتشعر بالسعر وتلهب جسدها الممصوص وتتدفق في داخلها اهادير الحياة طالبة الامتداد .

لكنها لا تلبث أن ترتد بارزة لاسعة كوخز الابر لكن حادثة اليوم حركت اللامعقول في حياتها .

فعندما انتهت الحصة الرابعة كانت الساعة قد بلغت الثـانية عشرة ظهرا واحست فجاة بصداع جانبي يكاد يحطم راسها . فاستاذنت في الخروج

وانسابت قدماها في الشارع الكبير واستقرتا على محطة الاوتوبيس وفجاة وقعت عيناها على طفل صغير لا يجاوز ثلاث سنوات يقف بجـوار سور احدى المدارس يبكي في صمت وأحيـانا يخنقه صمته سيشهق بالبكاء .

واخذها الحنين لمنـظره واقتربت من الطفـل وحاولت أن تساله عن بكائه ولكن لم يجب واشتد بكاؤه أكثر فحملته بين ذراعيها واشترت له قطعة من الشيكولاته وهي تحـاول أن تنتزع منه أي كلمة ولكنها اكتشفت أن الطفـل يردد وبصعوبة ... أروح ... أروح بابا بابا ودهشت واسـتغربت

فالطفـــل لا يذكر أمه ولا يعرف الطريق وبرق في ذهنها انه تائه ولا يعرف من أين أتى ولا أين يذهب ·

ورقت له أحاسيسها وحاولت أن تعرف اسمه أو اسم عائلة أبيه ولكنها فشلت الا في الحصول على اسمه فقط ولاشيء سواه وضمته الى صدرها تهدهده واحست بضغط رأسه على ثدييها · فاجفلت وفجأة نادت احدى عربات الاجرة ودلفت بالطفل في داخلها وفي المنزل لم تجد احدا فلقد سافر خالها وزوجته منذ يومين وتركاها وحدها ·

واخذت فيمداعبة الطفل واحست براحة غريبة حينما استطاعت أن تجعل الطفل يكف عن البكاء ·

ولاول مرة تشعر أنها وحدها في بيت ومعهـــا طفل وأن لا شيء يرتبط بالطفل سواها اثنان يقفان في ركن من اركان العالم وكل منهمـــا تائه ·· واحست انهـــا تقبله بشغف غريب ولم تشعر الا بدموعها تلسع ثدييها وقد استكان عليهما الطفـــل وعدا بل ونام من كثرة التعب والبكاء ·

ولكنها استيقظت فجأة من حلمهـــا الجميل فهي حائرة ماذا تفعل به ماذا يا ترى فعـــل أهله حينما اكتشفوا غيابه ·· ان شيئا ما يشدها اليه وافكار مشدودة تستيقظ في داخلهـــا ولكنها كم تود أن تحتفظ به ولكن كيف ستواجه الناس ·· ماذا تقول له عندما يكبر ماذا تقول لنفسها عندما تواجهها في لحظة تعقـــل ·· وفتح الطفل عينيه وهي تحتضنه وتقبله وقررت أن تسلمه للشرطة وفجأة · برق في خاطرها احساس غريب ·

فهي لم تسمع ابدا كلمة ماما وكم تاقت نفسها أن تسمعها مرة موجهة لها ولتنتهيبعد ذلك الحياة ·· ونظرت اليه بحنو المرأة ·

وقالت له في صوت ممزوج بالقلق واللهفة قل ماما ولم يرد الطفل لانه يبدو أنه لم يتعود على نطق هذا اللفظ ·· وذهبت واحضرت له قطعة شيكولاته وقبلتـــه ثم قالت له قل ياحبيبي قل ماما قل ماما قل ماما وظلت تلاطفه وتداعبه وتموء حوله كقطة تلحس رضيعها حتى قال الطفل ما ما ·

واحست بالعرق البـــارد يتفصد على جبينهـــا وانهارت دموعها غزيرة ، غزيرة كانها تتفجر من الف عين واستنغم الطفل النغم فظليردد ضاحكا ماما ماما وعنـــدما عادت من القسم ووقفت في الشرفة كانت المرئيات تقهر أمامها دموعها تغسل معنى رهيبا كانت تشعر انه لصق باعماقها وعيناها تمسحان الطريق الطـــويل تخترقان ظلامه باحثتين عن شيء أي شيء تستقران عليه ·

حشمت جبر

طرائف

الاول ـ الى أين أنت ذاهب بهذه السكين وهـــذا المقص ؟

الثاني ـ ذلك لاني أريد أن اقطع اجازتي واقص أسباب هذا القطع ·

***

المحسن ـ لقد أعطيتك قرشا الآن حين رأيتك في حي عابدين ·

الشحاذ ـ حقا ولكن لي فرعا آخـــر هنا في حي السيدة زينب ·

***

القاضي ـ قف معتدلا واخرج يدك من جيبك ·

النشال ـ عجبا ! انكم تحاكمونني على وضع يدي في جيوب الناس ·

***

القاضي ـ هل سرقت ساعته حين كان بجوارك

اللص ـ كلا بل كنت أريدمعرفة الوقت وكانينام فعز على ايقاظه ·

***

القاضي ـ هل بقيلديك شيء تدافع به عن نفسك؟

القاتل ـ وبم أدافع عن نفسي وقد أخذوا مسدسي في البوليس ؟

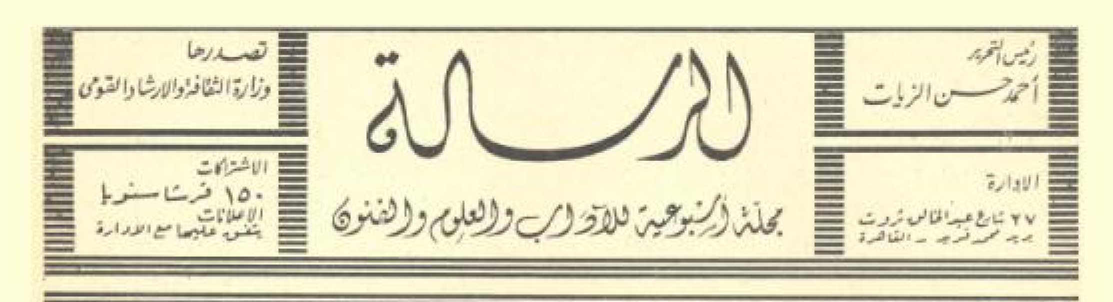

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٨ - ٨ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون



الفهرس

قريتي بين عهدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

قضيت شهري القيظ والرطوبة في القاهرة استقبل (الرسالة) العائدة . فلما انتهى الاستقبال وأوشك أن تستقر الحال رأيت أن أزور قريتي الصغيرة بعد غيبة عنها طويلة .

فدخلتها دخول المجهود المحرور وجد الظل والماء بعد وقدة الهجير وشدة الظما ، وأخذت أبسط رئتي لنفحات النسيم البحري لتذهب عن صدري لفحات يوليو واغسطس ، واقلب عيني في الحقول المتصلة في بياض اللؤلؤ أو صفرة النضار أو خضرة الفيروز ، وقد أخذت يد سبتمبر تجردها من القطن الحريري الأشوك ، والرز المسجدي الهائج ، والذرة الوريقة الملتفة — ثم في النيل الذهبي وهو في أوج فيضانه ينساب هادرا في الترع والقنوات فيجعل من ضفاف الجداول وحفافي الطرق وحواشي الغيطان سلاسل سندسية من الريحان والعشب — ثم في الفلاح المكدود وقد نزلت عليه سكينة الرضا والأمل فانقلب شاعرا يتهادى في ظلال الشجر أو في مماشي الزروع ، وفكره مستغرق في الله الذي يضع البركة في غيطه والسعادة في بيته .

ثم رأيت القرية الجديدة والفلاح الجديد فلم أكد أعرفهما ! كل شيء قد تغير وكل حال قد تحول .. كانت قريتي الواقعة بين نيل المنصورة وبحر شبين احدى عشرين قرية من أخصب الطين يملكها من الغرب

باشا ومن الشرق امير • وكانت كاكثر القرى المصرية كومة ضخمة من سباخ الارض قامت عليها اكواخ متلاصقة بنوها بالطوب الاخضر ، وسقفوها بالقصب والخشب ، وحملوها بالعلف والحطب ، وجملوها بافاريز من الروث اليابس المشكل • ثم جعلوا ظهورها مراحيض للحاجة ، وبطونها مسرحا عجاجا لشتى الاوالف والدواجن من الكلاب والقطاط والدجاج والعجول ، ثم جمعوا بين قاعة الانسان وزريبة الحيوان فى فناء واحد ، فالحديث يمتزج بالخوار ؛ والمضغ يشتبه بالاجترار ، والرجل والثور ، والمراة والبقرة ، والطفل والعجل ؛ يعيشون سواسية فى شيوعية من نمط فريد •• لا يؤديك الى هذه الدويرات العمى مسلك واسع ولا طريق مشروع •• انما هى طوائف تفتحت كل طائفة منها على زقاق ضيق غير نافذ ، ولن تستطيع الدخول فى هذا الزقاق الا من الطريق الدائر حول القرية – نعم كان يشقها منفذ صاعد هابط متعوج وعر ؛ ولكنه بين الفجوات والحفر كان اشبه بصراط الحق بين مزالق الفتنة ! يركبها من الشمال مستنقع ومن الجنوب مستنقع ••• ثم يحيط بها ويتخللها تلال من السباخ منها الرطب واليابس • وفى أحضان هذه التلال وعلى حواف هذه المناقع قامت مجالس القرويين يجلسون فيها تحت الجدران وفوق المصاطب يستجمون حينا من العمل الدائب والعناء المرهق • لا يألمون للسع البعوض ، ولا ينكرون ريح الوحل • ثم لا يجرى بينهم الا الحديث القابض للنفس ، كتضاعف الدين على الحقل ، وتحكم المالك فى الربع ، وفتك الآفات بالزرع ، والحاح الكساد على القطن ، وما تدخله تلك الحال على النفس الجاهلة من وساوس الاطماع وسخائم الحقد وغوائل الحسد •

اصطلحت على دمائهم الفقيرة جراثيم الملاريا والبلهارسيا والانكلستوما فغدوا كواسف الوجوه خواسف الجسوم خوائر القوى ، يعالجون المرض بالصبر ، ويختقون الالم بالتسليم ، ويدافعون الموت بالتعاويذ ، ويسيئون الظن بالمستشفيات التى لا تقبلهم الا بالشفاعة ، ولا تعاملهم الا بالفظاظة ، ولا تحسن علاجهم الا بالمال فى عيادات الاطباء الخاصة • وأين المال من رجل كل ما يملكه أجرة يومه لقوت يومه ؟ وليت هذا القوت كان من الاقوات التى تصلح الجسم وتدفع السقم وترد العافية ! انما هو فى الغالب أرغفة من الذرة أو الشعير مأدومة بالسريس والمش والبصل •

استغل الملاك ضعفهم والمرابون جهلهم ، فوضعوا أيديهم على أختامهم يطبعونها على العقود والصكوك فى غير رحمة ولا ذمة ، حتى اذا انقضى الحول وآل كدح الأسرة الناصبة وجهد الماشية اللاغبة الى الثمرة المرجوة عدا عليها الدائن اللص ، أو المالك الظالم فجباها لجيبه أو جناها لمخزنه !

ذلك على الاجمال كان وصف القرية ، فهل تجد فرقا بينها وبين أخصاص الهمج فى نشأة الحياة وطفولة الزمن ؟

وتلك كانت على التقريب حال الفلاح ، فهل تجد فرقا بينه وبين البهيم الذى لا يصطنع العلم ولا يدعى المدنية ولا يزعم لنوعه الرقى ؟

***

أما قرية الثورة وفلاح الاشتراكية فوصفهما غير ذلك الوصف وحالهما غير تلك الحال ، ان القرية التى أزورها اليوم غير القرية التى عرفتها بالأمس • لم تعد جزيرة من التلال السبخة فى مستنقع من الماء الآسن . ردمت من حولها البرك ، وشقت فى خلالها الشوارع ، وبنى أكثرها بالطوب الاحمر ؛ وجرى فى بيوتها الماء المرشح ، واتصل طريقها بالطريق العام ؛ وارتبطت مع المنصورة بأسلاك التليفون ، وصدحت فى دورها أجهزة الراديو • ثم انشئت فيها جمعية تعاونية ومدرسة ابتدائية ووحدة صحية فانتظمت امورها بالتعاون، وتكافأت لأبنائها فرص التعلم ، وصحت جسوم اهلها بالوقاية والعلاج ، وعزت نفوسهم بالحرية والملكية ؛ وشعروا ان لهم كيانا مستقلا فى الدولة ، ونصيبا موفورا من الحكم ؛ فارتفعت مكانتهم فى انفسهم وفى انفس الناس •

رأيت أهل القرية على غير ما عهدتهم فى الماضى يستقبلون شهرى سبتمبر واكتوبر فرحين مستبشرين لانهم سيجنون القطن لمخازنهم لا لمخزن المالك ، وسيضمون الرز لجيوبهم لا لجيب المرابى • فمزارع القطن كما اراها اصبحت مسارح للفرح والمرح والامل ، تنساب بين خطوطها البيض أسراب الفتيات يجنين الثمرة الغالية وهن يغنين الاغانى الجميلة • ويحلمن الاحلام اللذيذة ، ويتخيلن هذا القطن الذى يجمعنه الآن بأناملهن ، ويضعنه فى أحضانهن ، وقد أصبح الثوب الزاهى الذى

سوزي وشعاراتنا القومية

للدكتور محمد احمد خلف الله

جاءت تمشي على استحياء، فقد كان لها عندي حاجة، وكان هذا هو لقاؤنا الأول. بل لقاؤها الاول لمصري في دائرة عمله، فلم يكن قد انقضى على مقامها في بلادنا غير اسبوع واحد لم تتعرف فيه على مصري، ولم تزره في مكتبه او في داره — ومن عاداتهن حين يكون لهن عند امرىء حاجه ان يسعين اليه — لأول مرة — في خطوات بطيئة متثاقلة، وان يقبلن عليه — عند النظرة الاولى — بوجه تعلوه حمرة الحياء والخفر، وان يرسمن على شفاههن — عند التحية — ابتسامة حلوة عذبة تهيىء لهن المقام الكريم وتمكن لهن في قضاء الحاجات المرجوة.. ومن عاداتهن أيضا أنهن حين يطلبن حاجاتهن من انسان يلقينه لاول مرة تحدثن اليه في لغة مهذبة وفي الفاظ رقيقة شفافة تكشف في قوة عن مواطن الرجاء، وفي أصوات خافتة تشبه الهمس، وفي جرس متغم يفتح مغاليق القلوب.

انهن يفعلن ذلك كله ايمانا منهن بأن تلك هي العدة التي تكسبهن الظفر، وتمكن لهن من النصر، وتحقق لهن كل رغبة وامل.

كانت تحمل في حقيبتها مكتوبا من صديق عراقي يدير معهدا من معاهد دراسات الشرق الأوسط بأمريكا، ينبىء فيه بأنها فتاة ذكية، تجيد اللغة العربية، وتعمل جاهدة في سبيل الحصول على درجة الدكتوراه — في موضوع من أهم الموضوعات هو « فشل الديمقراطيات في الدول العربية » وانها قد تحتاج في بلاد الغربة الى من يدلها على معالم الطريق، وانه قد اختارني لهذه المهمة.

وختم مكتوبه بالتنويه بانها فتاة جادة، قويمة الخلق، جيدة التفكير، تستحق كل عناية وتقدير.

رحبت بمقدمها، وسألتها عن مقامها في ديارنا، وعن رأيها في أرضنا وشعبنا. وبلادنا، وعن الصديق وأهل بيته. ثم دلف من وراء ذلك كله الى الحديث عن راى الصديق فيها، وعن مركزي بالنسبة الى دراساتها، وعن الخدمات السريعة العجلى التي يمكن ان اقوم بها.

واجابت في صراحة نعهدها في العلماء الذين يؤمنون بالحقيقة، ويؤمنون بانفسهم، ويؤمنون بان الحق احق ان يتبع. صراحة تكشف عن ذلك الورم الذي نظنه شحما، وعن ذلك الوهم الخادع الذي نعتقده الحق الصراح.

لقد كشفت عن مواطن الضعف والخلل في ثقافتنا اننا نستخدم الفاظا غير مفهومه، ولغة غير منضبطة او مضبوطه. ان جرائدنا ومجلاتنا تستخدم من الألفاظ والعبارات كل غامض أو مبهم، وتترك القراء في حيرة من امر انفسهم او امر هذه اللغة التي لاتفهم.

* * *

انها انما جاءت لتتخذ من معاني هذه الشعارات القومية وسيلتها الى الكشف عن الأسباب التي من اجلها فشلت الديمقراطيه في دولنا العربية. انها تريد ان تعرف ما في جوف هذه الشعارات من شحن عاطفيه تدفع الناس الى التضحية بالنفس والنفيس في سبيل تحقيق الاهداف القومية وان تعرف ما خلف هذه الشعارات من تاريخ طويل حافل بالمعارك النضالية — المعارك مع الاستعمار، ومع الملكية والاقطاع، ومع الراسمالية البرجوازيه، ومع كافة المنظمات السياسية التي عوقت او

****

اشتهينه، والقرط الذهبي الذي ابتغينه! والزوج الحبيب الذي تمنينه. فاذا عدن الى القرية في المساء وجدتها زخارة بالحياة موارة بالحركة، تمرح بحماسة الشباب وتموج باطياف الحب، وتهزج باناشيد الاعراس، وتتلقى جزاءها الأوفى على جهادها الصابر طول العام من فلاحة الارض وخدمة الامة واعانة الحكومة.

رأيت كل هذا بعيني في زيارتي القصيرة فحمدت الله على ان تنفس بي العمر حتى عشت هذين العهدين، ولمست الفروق البعيدة بين الحالين، وتمنيت على الله ان اعيش حتى أرى عهد القرية التالي، في النعمة المرجوة من السد العالي!

احمد حسن الزيات

افسدت هذه الحياة الديمقراطيه .

لقد عن لها ان تستشير فى ذلك معاجم اللغة او دوائر المعارف ولكنها عادت من كل ذلك بخفى حنين . لقد كانت تقدر انها ستجد ضالتها فى دوابر المعارف حين تكون الالفاظ من اصل غير عربى . وفى صورتها الأجنبيه من مثل ديمقراطيه بورجوازية ، بيروقراطية ، اوتوقراطية ، بروليتاريا ... الخ . وانها ستجد ضالتها فى المعاجم اللغويه حين تكون الالفاظ من اصل عربى ، وفى صورتها العربية . من مثل استقلال. استعمار . اشتراكية. عدالة اجتماعية . تكافؤ الفرص ...الخ . ولكن هذا التقدير لم يكن فى محله . فلم تهتد الى شىء مطلقا — ومن أجل هذا سعت الى سعيها المحمود ، والقت بمشكلاتها بين يدى .

❋ ❋ ❋

ترى بماذا يشير القارىء فى هذا الموقف ؟

انى اعرف ان معاجمنا اللغوية لم تعرف هذه الألفاظ بعد — حتى ما كان منها من اصل عربى ، وفى صورة عربية . ان هذه المعاجم قد وقفت منذ زمن بعيد ، وتعطلت الحركة فيها فلا نمو مع المجتمع ، ولا مسايرة مع الحياة . وبدت هذه الالفاظ الحديثة وكأن لا مقام لها فى معاجمنا . وبدت هذه الالفاظ العربية القديمة التى حملت فى جوفها معانى وطنية وقومية حديثة وكأنها غريبة عن هذه المعاجم. وانى ليحضرنى فى هذا المقام فقرة من الزمان يشرح فيه مشكلات معاجمنا اللغوية — فقرة تكشف عن هذه الكلمة الحديثة القديمة « استقلال » وعن منزلتها فى المعجم ، ودورها فى الحياة . انها فى المعجم لا تزال فى اسرة لغوية لا يصدق الانسان فى وقتنا الحاضر أنها منها . انها من اسرة « قل » التى تتفرع منها كلمة « قليل » . وانها فى الحياة تأخذ دورا نضاليا قويا ، ولها ضحايا كثيرون . وانه لمن المفيد ان انقل للقارىء هذه الفقرة من مقال السيد الاستاذ ساطع الحصرى . « ان معاجمنا لم تعترف بحق الاستقلال حتى لكلمة « الاستقلال » نفسها ، فهى لا تزال تعتبرها تابعة « قل » فتحتم عليها السكنى فى مسكن القلة والقليل .

نعم ان كلمة الاستقلال التى تثير فى النفوس ما تثيره من العواطف الجياشة على الدوام ، والتى تتكرر فى القصائد الوطنية والاناشيد المدرسية كل يوم مئات ، بل آلاف المرات ... كلمة الاستقلال التى كان معناها — ولا يزال سببا لتضحيات كبيرة فى الجهود والأموال والأنفس — كلمة الاستقلال هذه لم تستقل فى معاجمنا الى الآن .

فعلى كل من يود التعرف عليها فى القاموس ان يطرق باب « قل » وان يعرف أنه سيلاقيها بجانب كلمة « القليل » ... انتهى .

اننا من غير شك فى حاجة قوية الى رصيد لغاق عماده هذه الألفاظ التى نستخدمها فى حياتنا المعاصرة ، ونؤسس عليها بنيان نظمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية . فى حاجة الى هذا الرصيد الذى يكون مكانه دوما معجما لغويا او دائرة معارف سياسية او اقتصادية او اجتماعية .

❋ ❋ ❋

ثم انى اعرف ان الذين كتبوا عن هذه الالفاظ بعيدا عن المعاجم ودوابر المعارف لم يلتمسوا المفاهيم من واقعنا الحى وانما عمدوا الى التماسها من كتب ومعاجم ودوابر معارف تمثل واقع غيرنا . فهى تمثل واقع المعسكر الغربى تارة ، وواقع المعسكر الشرقى أخرى . اما واقعنا نحن . واقع العالم العربى فى مستواه النضالى والثقافى . واقع الذين يتخذون من هذه الالفاظ شعارا لهم فى معاركهم النضالية الخارجية والداخلية — فانه لم يمثل .

لقد شعرت حقا بعجزى عن ارشادها الى المصادر والمراجع التى يمكن ان تفيد فى هذا المقام فى الكشف عن حقيقة هذه الشعارات من واقعنا . وطلبت اليها ان تلتمس ما تريد لا فى المعاجم ، ولا فى دوابر المعارف ، ولا فى الكتب ، وانما عند الرجال الاحياء . عند الذين يعملون فى ميادين الثقافة ، وميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع .

وهنا عن لها أن تبدا بى فقالت : وانت مارايك

فى اســـباب خلل الديمقراطيات فى بلدان العالم العربى ؟

* * *

واجبت طبعا اجابة عابرة ، قلت فيها ان النظام الديمقراطى قد جاءنا كفكرة غربية ، وحين دخـل عندنا تفاعل مع نظام طائفى وطبقى لم يكن قد نقد خصائصه القديمة العالقة به منذ زمن الاتراك والمماليك . وان عضو البرلـمان عندنا لم يـكن الا السيد القديم الذى اعتقد انه وحده الذى يستطيع ان يجسد الافكار السياسية والمبادىء العامة التى تصور حقوق الانسان فى عصرنا الحديث . وانه من حقه وحده السعى لدى الحكام والوزراء لقضاء مصالح الآخرين . ان على الآخرين ان يظلوا اتباعا لهذا السيد . وان على الحزب السياسى الذى ينتمى اليه ان يفسح له المجال لينتقل من كرسى النيابه الى كرسى الوزارة . ان هذا الانسان لم يكن يمثل الامصالحه الخاصه ومطالبه الخاصه ، وهذا كل ما يدرك من معنى هذا اللفظ ديمقراطية . . .

* * *

لم يكن هذا السيد يدرك ان الدخول فى عهـد الديمقراطية معناه اعادة النظر فى كل الامتيازات القديمه التى ورثها عن الآباء والاجداد . ولم يكن ليـدرك ان الارستقراطية الاجتماعية والزعامات الموروثة تتحطم حتما على بلاط الديمقراطية — انه حتى لم يدرك ان لكل امرىء الحق فى القيـــادة الجماعية ، وان هذا الحق مرتبط بما يتحلى به الشخص من الصفات الخلقية والثقافات الانسانية. بما فيه من قوى وقدرات ، وبما يملك من امكانيات.

* * *

لقد فاته ان الأزمنة الجديده تتطلب قيـــادات جديده . قيادات عبر عنها بعض الكتاب المحدثين خير تعبير حين قال : **ان الأزمنة الجديدة تقتضى بطولة ذات بعد جديد . ان الشباب اليوم يصفون حساب الاصنام القديمة المتمركزة فى طمانينتها ، وينصبون مكانها آلهة من وزنهم — وبما ان العهد عهد يقظة الجماهير فان القائد الجديد يكون اجتماعيا او لايكون شيئا .**

* * *

لقد ادرك ذلك بعض القادة السابقين فراحوا يجددون فى لهجاتهم وازيائهم . هؤلاء هم مشـــايخ الســياسة التواقون الى اســتعادة مجـــد غابر عن طريق بقية من رجولة ، ومشية شبه عسكرية. ان فيهم شيئا قديما باليا — شـــبه انتفاخ مصطنع يفضـــحهم ويكشـــف عن كل حياهـم ، ذلك انهم يستخدمون ادوات قديمة لحقائق جديدة .

* * *

ان القائد الحقيقى فى الديمقراطيات الحديثة ، ليس الا ذلك الانسان الذى يبدا فيهب ذاته لخدمة مصالح الشعب ، وياخذ بالتقشف والجد فى العمل لا بالسعى نحو المتعة .

القـائد الحق هـو الذى يملك الجـراة على النظر الى المجتمع بابعاد جديدة لا تقتصر على تغيير بعض الرجال فى الحكم .

القائد الجديد ليس ذلك الذى يهبط على الجمهور من فوق بل الذى يصـعد من صـفوفه. انه الذى عضه الجوع والذل . انه الذى لا يزال يشعر بالألم القديم لكى تظل نقمته حاملة نقمة الجميع. انه الذى تهدف قيادته الى تامين العمل للجميع ، والى ارجاع الكرامة الانســانية لكل فـرد . انه الذى يؤمن العدالة . انه الذى يؤمن حقا بان روح كل ديمقراطية ليست الا فى المساواة فى الحظ امام الحياه ، والا فى هذا التوازن بين الامكانيات الذى يؤلف جوهر كل عدالة .

* * *

وعند ذلك كان زمن الدوام فى العمل قد جاوز حدوده وقمنا لننصرف فاذا بها تقول : ان لنـــا لعودة . فان فى بقيـة الشـعارات القومية لمتسعا للحـديث ، وان فى هذا الذى نتحـدث عنه من ديمقراطيات لبقيه .

قلت انى فى انتظار العودة فان فى مصـــاحبتك فيما تفكرين فيه من مســائل لخدمة لى ولقومى .

دكتور محمد احمد خلف الله

حماسة البحتري

وأول باحث لها في أوربا

للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي

ترجمة : محمد منير مرسى

لعل اتجاه الادباء العرب نحو الترتيب والتناظر ـ ولو انه صناعي ـ لم يعبر عن نفسه بتلك الصورة التي هو عليها في ترتيب شعراء العصر العباسي . فابو نواس يوضع مقابلا لابي العتاهية واحيانا يوضع الى جانب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس . ويزداد الامر صعوبة بالنسبة لمن يوازى ابن المعتز الامير الشاعر ذي التصانيف الرائعة حتى وسط المشتغلين بالغناء والطرب في ذلك العصر الجميل . الا انه الى جانب امير الشعر يذكر امرؤ القيس الملك الضليل . يضاف الى هذا ان ابن المعتز حسب راى مسلم بن الوليد يعد متمم ذلك الاتجاه الذي بدأه امرؤ القيس . ولكن الشائع المعروف أن يقارن ابو تمام بالبحتري تلميذه وخصمه وهو ما ادى الى وجود مؤلفات باكملها من بينها الموازنة الممتعة للآمدي . ومع أن مؤلف الموازنة يعرض لتحليل وجهات النظر بطريقة تكاد ان تكون صحيحة ومنصفة ، ومع انه تحرج من التعميم ومن صياغة نتائجه النهائية وخلاصة رايه الا ان هذا العمل للآمدي ممتع من ناحية انه الوحيد من نوعه والفريد في بابه بصرف النظر بالطبع عن المقتطفات العديدة التي كتبت من السرقات الشعرية لهذا الشاعر او ذاك . واخيرا اضيف المتنبي الى هذين الشاعرين . وقد اشار ابن الاثير وهي اشارة لها اساسها الى انه يمكن الاقتصار على هؤلاء الثلاثة في اعطاء صورة واضحة لكل ما جاء من الشعر بعد ذلك فثلاثتهم على حد تعبيره هم اللاة والعزى ومناة للشعر .

على ان الموازنة بين ابي تمام والبحتري كان من الممكن أن يوجد لها اساس اكبر لو ان النقاد العرب تنبهوا الى ديوان الحماسة الذي كتب فيما بعد في صورة تقليدية لحماسة ابي تمام . ولم يكن هذا الديوان معروفا حتى في الفترات القديمة الا باسمه وعنوانه وفيما بعد صار منسيا لدرجة ان الأديب الكبير عبد القادر البغدادي في القرن السابع عشر صاحب خزانة الادب والذي حفظت اقتباساته كثيرا من الآثار القديمة قد عبر بصراحة عن تشككه في نفس وجود ديوان حماسة للبحتري . ولكن من حسن الحظ انه في نفس العصر الذي كتب فيه عبد القادر هذا الكلام احضر « وارنر » من القسطنطينية النسخة الوحيدة التي كانت معروفة حتى تلك اللحظة . وفي ١٩١٢ اصبح في امكان المستعربين الحصول على صورتين من هذه النسخة في وقت واحد . احداهما في صورة فوتوغرافية من الاصل اعدت على نفقة «دى جويه» والثانية في طبعة منقحة لليسوعيين البيروتيين انتظر خروجها منذ العقد التاسع من القرن الماضي .

ولقد حصلت حماسة البحتري في الكتب العلمية الاوربية على صيت اكبر مما هي عليه في الكتب العربية بصرف النظر عن أن ما كان موجودا منها هو مخطوط وحيد .

***

وفي القرن الثامن عشر درس « ريسكه » العظيم هذا المخطوط . ولم تذهب آثاره سدى على الرغم من عدم التفات كلا الناشرين اليها . وكان «نلدكه» قد اشار لأول مرة في احد اعماله المبكرة الى اهمية هذا المخطوط ، واخذ «جولد تزهير» منه اكثر المواد قيمة من اجل بحثه ودراسته عن صالح ابن عبد القدوس . ولكن ما حجب هذا المخطوط هو عدم شهرته في الادب العربي . واخيرا قام «جير» بنشر مقتطفات للنابغة وطرفة وامرىء القيس وزهير لم تكن معروفة في مصادر أخرى . ووضع قائمة بالشعراء الذين اشير اليهم هناك .

وفي أوائل العقد التاسع من القرن الماضي قام الاستاذ البيروتي « شيخو » بكتابة صورة كاملة من المخطوط في فترة وجوده في ليدن لكن كانت هناك اعمال أخرى لم تمكنه من نشر المخطوط . ولم يعلم من هذا سوى قراء « المشرق » في بعض اشارات قليلة .

ويتقارب العلماء الاوروبيون في تقويمهم للاهمية الفنية والأدبية لحماسة البحتري فهم يضعونها في مرتبة اقل بدرجة كبيرة عن مثيلتها التي جمعها ابو تمام .

***

وبصرف النظر عن كل هذا فانه اذا كان

لأبي تمام شهرة كبيرة خلفها وراءه في المشرق فتفسير هذا هو عبوديته للصور القديمة الزائفة الموروثة التي وجدت صدى حتى وسط أولئك القراء من العلماء ذوي السمعة والشهرة . ولم يكن ذلك راجعا الى نقص لدى البحتري في الاستعداد او في الموهبة الشعرية . فالبحتري اكثر موهبة من ابي تمام وانما يكمن الذنب والخطأ في اختيار المواد · لقد اراد البحتري ان يضع مؤلفا يحجب بقوة مؤلف ابي تمام واراد ان تكون مواده من نفس مواد ابي تمام بل ومن نفس العصر . ولم يفكر البحتري في عمل اي شيء جديد اصيل حتى في تقسيمه للمواد . فبدلا من تسعة فصول كبيرة وزع منتخبات اسفاره على ١٧٤ فصلا . وكانت النتيجة وجود فصول بعضها صغير جدا وبعضها يتناول أشياء بسيطة جدا . وكان من الضروري الحصول على موضوعات لم يتطرق اليها ابو تمام وتحت ضغط الضرورة حدد البحتري نفسه بالادب الذي تناوله ابو تمام بدرجة اقل نسبيا وهو ادب التعاليم الاخلاقية والمعيشية وتعاليم السير وهو مجال محدود ومتشابه النماذج وكان من الضروري ايضا الحصول على شعراء لم يدخلهم ابو تمام في حماسته ولكن من نفس تلك الفترة فكان الشعراء الذين ادخلهم البحتري قليلي الشهرة والموهبة مع استثناء قليل . وفي هذه الناحية كان اكثر تعقلا وادراكا ، من مؤلف آخر لاحدى منتخبات الحماسة التي وصلت الينا واعني به عليا البصري المتوفى سنة ١٢٦١ م صاحب « الحماسة البصرية » التي تتناول بروعة اتجاها جديدا وفترة جديدة من الشعر العربي ومن السهل اعتبارها مماثلة لحماسة ابي تمام . ولقد ضيق البحتري على نفسه فنيا بالاطارات المحددة التي وضعها لنفسه ولكن مع موهبته الشعرية التي لا شك فيها استطاع ان يضع مؤلفا كتب عليه القدر ان يكون نسيا منسيا لدى بني جلدته وعشيرته .

وهذه الاطارات المحددة هي التي تفسر مضمون حماسة البحتري فمنتخبات ابي تمام امكنها أن تقترب من هذه التسمية لان جزءا كبيرا من موادها يندرج مباشرة تحت مفهوم الحماسة اما لدى البحتري فان منتخباته يبتعد مضمونها احيانا عن مفهوم الحماسة . بل واحيانا ما يأتي على العكس او التضاد منه . فما يستحق هذه التسمية من ١٧٤ فصلا في حماسة البحتري هو السبعة وعشرون فصلا الاولى مع شيء من التجاوز · والفصل السابع والعشرون هو بمثابة الحزام الختامي للجزء الاول وهو يتناول مذمة الحرب والدعوة الى السلام ويبدو ان هذا الجزء هو المدخل الى الجزء التالي حتى الفصل ١٧٠ تقريبا وهو يتعلق بالتعاليم والسير في صورة تلك التأملات الانسانية التي كانت منتشرة في المجتمع العربي · وبصرف النظر عن تشابه نماذجها وأشكالها فان هذا الجزء يعطي بدون شك كثيرا من المواد لمن يأخذ على عاتقه عملا ليس بالجذاب جدا عن دراسة وتتبع هذه التعاليم من وجهة نظر تطور الاخلاق العربية ·

ولما كانت حماسة البحتري لم تحقق من الانتشار ما حققته منتخبات ابي تمام بل ولا يوجد لها اي تعليق او شرح فان ما يترتب على ذلك هو أن التعامل مع حماسة البحتري يقتصر على نص واحد في مخطوط واحد ·

واذا كان لويس شيخو قد استخدم كثيرا من المصادر لتنقيح النص الا انه يتضح من طبعته وجود بعض التسرع الذي تحتاج اليه المسئوليات والالتزامات العديدة لهذا الاستاذ البيروتي الكبير · ويتمثل هذا التسرع في وجود بعض الاخطاء في الاوزان الشعرية ووجود كلمات مخلة بالوزن الشعري ووجود اخطاء في التشكيل ·

وحقيقة أن جزءا كبيرا من هذه الالتباسات الصغيرة قد صححها شيخو فيما بعد بمقارنة المخطوط مع الصورة الفوتوغرافية لكن من سيعمل مستقبلا على الحماسة سيجد هناك بالطبع مادة ليست بالقليلة تحتاج الى تصحيح ·

على أن الاشعار المناظرة والتي تعطي احيانا القراءة الصحيحة الوحيدة لاشعار الهذليين توجد في ديوان أشعار القبيلة ولسبب ما لم يستخدمها شيخو في طبعته مطلقا · وأغرب من هذا أنه في بعض اماكن المخطوط توجد بمنتهى الوضوح ملاحظات باللاتينية: «انظر ديوان الهذليين» ولم يوجه اهتمامه اليها كل من الناشر البيروتي ومحرر طبعة ليدن · وعلى حسب افتراضنا فان هذه الملاحظات لا ترجع لاحد غير « ريسكة » الفذ صريع الادب العربي والذي يقف ابدا رائعا في علوه الشاهق الذي لا يداني بين جميع المستعربين وكل المتخصصين في الدراسات الهلينية في القرن الثامن عشر ·

لقد عمل ريسكة على مخطوط « الحماسة » في

فترة الثماني سنوات التي عاشهـــا في ليدن عندما وصل اليها سنة ١٧٣٨ وله من العمر اثنان وعشرون عاما · وهناك كان معدما تمـــاما فاشتغل بالطب كوسيلة للعيش وكرس كل وقته ، ليشبع جوعه من الاطباق الدسمة في مخطوطات « وارنر » · فنقل لنفسه آنذاك نسخة من كتاب ابن قتيبة وابن أبي اصيبعة وحمزة الاصفهاني وتاريخ أبي الفدا واشعار ابن دريد وحماسة أبي تمـــام والمعلقات مع شرح التبريزي وديوان الهذليين وديوان المتنبي مع شرح الواحدي وحماسة البحتري وأشـــياء أخرى كثيرة · ومن بين كل هذه المواد كان « ريسكة » يقدر بصفة خاصة « نسخة الحماسة » · ولكن بعد عدة سنوات ضاعت النسخة وهي في طريقها الى ليبزج ولم ترسل مع المواد الاخرى التي أرسلت من هولندا · وقلق « ريسكة » جدا وكتب مرتين في ســنة ١٧٤٨ الى صديقه الامستردامي الدكتور برنارد الذي كان يعمل معه في ليدن سائلا اياه أن يبحث عنهـــا · ووجد المخطوط · وبعد موت « ريسكة » انتقل المخطوط ومعه المواد الأخرى الى ليـــبنج » · وفيما بعـــد ســـنة ١٧٧٩ أهدى ليـــبنج المخطوط الى عـــالم دانيماركي هو « فون سوم » ولعله انتقل من عنده الى كوبنهاجن مع كل تراث « ريسكة » حيث يوجد هناك حتى الآن ·

وان وجود هذه الصورة من المخطوط يحملنا على الافتراض بان الملاحظات اللاتينية على المخطوط والجزء الكبير من التصحيحات العربية كتبت بيد واحدة هي يد « ريسكة » بالذات اذ لا توجد أي معلومات عن علماء آخرين من القرن الثامن عشر يمكن أن يكونوا قد درسوا المخطوط · ومن ناحية أخرى فان جدارة واصالة هذه الملاحظات تشهد بان كاتبها لا يمكن أن يكون سوى أول مستعرب في القرن الثامن عشر ذي قراءات واسعة جدا تتعدى حدود عصره · وبالنسبة للصور الشعرية المناظرة الموجودة في الملاحظات فان الناشر البيروتي قد أخذها على أنهـا تصحيحات قام بها نســـاخ شرقي دون أن يلاحظ أن الخط العربي الذي كتبت به يحمـــل طابعــــا أوروبيا · وهذه الملاحظات أحيانا ما تكون تصحيحات ناجحة جدا أو صورا مناظرة من مصادر أخرى مغايرة اشير اليها في الاقتباسات اللاتينية · وكل هذا يمكن الآن مراجعته والتحقق منه بفضل ما يوجد لدينـــا من طبعات المخطوط · وكثيرا ما كان صدق هذه الملاحظات باعثا على الاندهاش والغرابة · ويكفي أن نتذكر أنه في زمن « ريسكة » لم تكن هناك لا طبعة حماسة أبي تمام ولا طبعة ديوان الهذليين ولا طبعة المعلقـــات وعندئذ ننحني مرة أخرى امام ذكراه الرائعة · لقد استطاع ريسكة أن يشـــق طريقه وســــط الف وخمسمائة قطعة مجموعةفي ديوان حماسة البحتري · والآن عندما نتصفح الطبعة المنقحة الوحيدة حتى هذه اللحظة لتاريخ أبي الفدا وعنـــدما نتذكر أن هذه الطبعة رأت النور بعد موت ذلك العـــالم الذي القى الضوء عليها باذلا كثيرا من الجهد فانه يمكن أن نفهم حقيقة ذلك الشعور الحزين والتهكم المرير فيما كتبه ريسكة قبل اربعة اعوام من موته · لقد كتب يقول وهو متوجه الى ليدن : « لقد أصابني الضر والسوء · كان على ان ادفع ثمن حماقتيغاليا بل وغاليا جدا . لقد أصبحت صريع الادب العربي · ان ظماي الملتهب الى هذا الادب لم يجلب لي الا التعاسة لا لشيء سوى أنه أصابني في وقت جد مبكر ، في وقت لم يكن أحد يحتاج اليه بل ولم يكن هنـــــاك من يقدره او يكافيء عليه · يا ليت ظماي هذا يجد لنفسه طريقا في روح تستطيع في وقت ما أن تحيا أوقاتا اكثر سعادة · ولعل هذه الاوقات تهل في زمن ما ــ وان كان ليس هناك أمل ــ عندما يصبح الادب العربي مقدرا وينال من الدراسة اهتماما أكثر مما هو عليه الآن » ·

❋ ❋ ❋

وها هو قد جاء هـــذا الزمن الذي حلم به وهو يائس ذلك العالم المعذب في القرن الثـــامن عشر · وخطا العـــلم الى الامام وقد لا يرضينا نحن الآن ما استطاع أن يفعله ريسكة في زمنه ونحن أنفسنا لا نقنع بما أحرزناه من نتائج وفي هـــذا يكمن سر ديمومة العلم وخلوده ·

وان شيخو لعلى حق فيما أشار اليه في ختـــام طبعته من أن نشر طبعة مضبوطة دقيقة لحمـــاسة البحتري يتطلب كثيرا من الوقت والجهد · وعندما تظهر مثـــل هذه الطبعة سنتذكر بامتنان وعرفان للجميل « شيخو » أول ناشر لها لكن يجب أيضـــا الا ننسى « ريسكة » صريع الادب العربي وأول باحث لها في أوربا ·

ترجمة : محمد منير مرسي

الحركات الثورية والفرق الدينية

للدكتور أحمد الخشاب

جرت عادة الغالبية العظمى من مؤرخي الفكر الاخلاقي، والمعنيين بالجانب الديني والعقائدي، على معالجة بعض التنظيمات الثورية على أنها فرق دينية وان كانوا ينعتونها بالغلو أحيانا وبالزندقة والمروق أحيانا اخرى ، ولم يدر بخلدهم محاولة جادة لابراز ما كانت تستند اليه تلك التنظيمات من اسس اقتصادية واجتماعية على اساس أنها كانت تتزيا بالزى الديني تمشيا مع النسق الاجتماعي الذي كاد يميز كل المناشط الحيوية في تلك الآونة .

واغلب الحركات الثورية في الدولة الاسلامية كانت في البلاد الفارسية ، وقد أرجعها المؤرخون الى الشعوبية والعناصر الغنوصية الدخيلة على الديانة والفلسفة والفكرية العقائدية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر في هذا المجال ، الحركة الخرمية التي كانت عام ١٣٧هـ/٧٥٥م ، التي اطلق على القائمين بها اسم المسلمية لانهم اتخذوا من مقتل أبي مسلم الخراساني ذريعة للقيام بثورتهم العارمة ونادوا من الناحية العقائدية بفكرة عودة الامام ليحل العدل في العالم محل الظلم والجور والاستبداد ويهمنا من وجهة النظر الاجتماعية أن نتعرف على الاسس الاقتصادية التي قامت عليها تلك الحركة لانها في نظرنا لم تكن مجرد فرقة دينية من المتحرفين او من الغلاة والزنادقة ففي تقديرنا ان ارجاع المؤرخين هذه الحركة الى الحركة المزدكية يرجع من وجهة النظر التحليلية الى التقاء الحركتين في أسس الثورة الاجتماعية رغم أن المزدكية حركة وثنية غير اسلامية والخرمية حركة شيعية من حيث نزعتها السياسية واعتقاداتها المذهبية . وكل من الحركتين اشتراكية تحررية متطرفة ، فالثابت من كتب التاريخ أن المزدكية نسخت الملكية الفردية ، ملكية الاراضي وملكية العبيد والجواري ، ومما يؤثر عن مزدك أنه كان يقول ان خالق الكون قسم الاشياء بين الناس بالقسط فلم يعط أحدا أكثر من غيره .

وهذه الآراء المتطرفة التي نادى بها الزنج وعلوج الارض في ثورتهم العارمة ضد أسيادهم من الاقطاعيين ، أخذت في الازدهار حتى بعد القضاء على ثورتهم الاجتماعية ضد الطغيان وتحكم الاقطاع ، فظهرت هذه الآراء بعينها على ألسنة القائمين بالحركة المعروفة باسم الحركة البابكية التي نشأت في ايران على يد بابك ابتداء من عام ٢٠١هـ/٨١٦م وثبتت أمام الحكم العباسي الاقطاعي ما ينوف على عشرين عاما ، وكادت تدعم أركان جمهورية اشتراكية في جبال قرارط الايرانية ، لولا هزيمة بابك في آخر الامر وصلبه عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م .

***

ولقد قامت حول البابكية أساليب تضليلية شوهت حقيقتها واظهرتها على أنها حركة شعوبية جمعت بين العناصر الفارسية والرومية والكردية والارمنية التي اعتنقت الزرادشتية وارتدت عن عقيدتها الاسلامية غير أن هذا الزعم مردود لانه من الثابت أن اقواما كثيرة من العرب انضموا الى تلك الحركة (لمحمد بن يوسف الثغرى وكابي دلف العجلي فضلا عن جماعة كبيرة من أهل الجبال من همذان واصبهان) . ولا شك أن التحليل التاريخي للبناء الاجتماعي للعالم الاسلامي في تلك الفترة يلقى الضوء على أن هذه الحركة كانت في المقام الاول اجتماعية اقتصادية ، فرضتها الحالة السيئة التي انتهت اليها اقوام الزنج وعلوج الارض ، الامر الذي جعلهم يخرجون على سادتهم الاقطاعيين ويؤلفون عصابات للنهب والسلب فقامت الاصوات من كل صوب تتذمر من هذه الحالة المؤسفة وتنادى بالاصلاح الاجتماعي الذي كان ولا بد أن يرتكز على دعامتين أساسيتين . الدعامة الاولى القضاء على السخرة والاقطاعية ، بنزع ملكية الاراضي الواسعة من أصحابها الاقطاعيين وتوزيعها على علوج الارض من المزارعين . والدعامة الثانية هي تحرير المرأة المسلمة مما فرضه عليها النظام الاقطاعي من عبودية واسترجاع حقوقها بجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات .

***

وآية ذلك ان تلك الحركة لم تكن حركة شعوبية كما أنها لم تكن حركة دينية متطرفة وانما كانت حركة ثورية اجتماعية ترتكز على المبادىء الاشتراكية لتصحيح الاوضاع التي أوجدتها الفوارق الطبقية والتفرقة العنصرية وهي آفات وأمراض اجتماعية لا تقرها الشريعة الاسلامية غير أن ظهور هذه الحركة بالمظهر الديني ومواجهتها بأسلوب ديني والقضاء عليها بالسلاح الديني يبدو أمرا طبيعيا بالنسبة

المجتمع بنى حياته الاجتماعية والسياسية والفكرية على أساس دينى • فكان يلبس كل مناشطه وحركاته الاجتماعية ثوبا دينيا فتصطبغ متناقضاته بالصبغة الدينية ، وان كانت فى صفاء جوهرها اقتصادية اجتماعية •

وقد لا نجانب الحقيقة اذا ذهبنا الى القول بأن بعض الحركات الشيعية تستند الى ركائز اقتصادية اجتماعية أكثر منها دعامات مذهبية أو عقائدية دينية أو عرقية شعوبية فاذا كان التشيع فى أول ظهوره يرجع الى اعتبارات سياسية تتصل باسناد الخلافة والامامة الى على أو أحد أبنائه أو أحفاده •• فان هذه الحركة لم تحافظ على طابعها العربى الاصيل تحت وطأة الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المنبثقة من طبيعة البناء الاقطاعى الذى ظهر فى بعض العهود فى المجتمع الاسلامى اذ أنه ابتداء من الحكم الاموى ، أخذت نقمة المسلمين الاعاجم على العنصر العربى تتزايد بتزايد المسافات الاجتماعية ، والتناقضات المصلحية والنعرات العصبية والعرقية وكثر عدد المتذمرين من مختلف المجموعات الاسلامية بزيادة سوء الاحوال المادية الجماهيرية ، فنشأت جماعات متباينة ومتباعدة ومتفرقة يربطها ويؤلف بين نشاطها نقمتها على ذوى السلطان من الاقطاعيين المستبدين المستغلين والتفت هذه الجماعات حول الفئة المضطهدة أو المغلوبة على أمرها المسلوبة حقها فى السلطة السياسية على حسب ادعائها •

ومعنى ذلك أن الحركات الشيعية لم تكن شعوبية فى أول ظهورها بل انها جمعت العناصر الساخطة على أصحاب السلطة والثروة بعد أن حل التنافر الطبقى محل التنافر العرقى السلالى أو العنصرى وغدت الفرق الشيعية على اختلاف مظاهرها العقائدية المتصلة بالامامة تنطوى على مجموعة من الآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تنادى بالمساواة بين الرجل والمرأة والتى تسعى الى الغاء الملكية الاقطاعية وتوزيعها بالعدل على المشتغلين بفلاحتها والتى تجاهر بمحاربة العصبية القومية ومناهضة الحركات الشعوبية واستنهاض الاتجاهات الانسانية التى ترتكز على المساواة الحقيقية بين جميع الناس على اختلاف أنسابهم وأجناسهم ومللهم ونحلهم ، ولعل ما وجهت به هذه الحركات الثورية المتطرفة من تحديات السلطات المستبدة والحاكمة هو الذى ألزمها الالتجاء الى بعض النظرات العقائدية التى انحرفت بها عن جادة الشريعة الاسلامية ، فمغالاتهم فى فكرة الامام المنتظر هى عود الى فكرة المهدى والمخلص التى درجت الفئات المظلومة الى الالتجاء اليها فى عصور الاستعباد والتعسف • فهى بمثابة تطلع الى قائد أو رائد فى ضمير ووجدان الزمن يقودهم الى الثورة الاجتماعية التى تخلصهم من الطغيان وتحكم الاقطاع فى كنف الحكم الاموى والعباسى • ولعل ما كانوا يعلقون على هذا القائد الذى تطويه بطن التاريخ من آمال جسام هو الذى دفعهم الى المغالاة فى تخيل صفاته وعصمته وقدسيته ••

كما أن أسلوبهم المعروف « بالتقية » الذى ينبنى على المجاهرة والتظاهر بمسايرة الطبقة اتقاء ووقاية من بأسهم يعكس « تكتيكا » عمليا يشعر بأنها كانت تحت ضغوط متعددة ورقابة محكمة من جانب السلطة الحاكمة بمعنى انهم نظروا الى التقية كضرورة لانجاح مخططهم الثورى •

وأخيرا فان التجاءهم الى التنظيمات السرية التى تمثلها منظمات ووحدات اخوان الصفا، يعتبر مجابهة ومواجهة للاحوال الاجتماعية والسياسية التى أحاطت بهم ، وهم يعدون عدتهم لثورتهم الاجتماعية ولسنا نضيف جديدا اذا قررنا بهذا الصدد أن ظهور جمعية اخوان الصفا كانت محاولة جادة من الفرقة الاسماعيلية الشيعية لتحقيق الثورة الاجتماعية عن طريق الثورة الثقافية وقلب النظام العقلى الذى كان مسيطرا على المسلمين فى ذلك الحين •

وحمادى القول أن كثيرا من الفرق الكلامية والدينية لم تكن مجرد مذاهب وملل ونحل عقائدية ، وانما كانت حركات ثورية تدين بأفكار اشتراكية وتعمل جاهدة على تطبيقها وكانت تواجهها وتجابهها القوى صاحبة السلطة بمختلف الاساليب التى تكفل لها الغلبة عليها • وغنى عن البيان أن اشهار سلاح الزندقة والمروق عن الدين كان فى مقدمة ما وجه الى هذه الحركات الثورية ، الأمر الذى يفسر اظهارها بمظهر الانحراف والغلو والتطرف •

الدكتور أحمد الخشاب

● الرسالة

فى هذا المقال نظر ، فبعض الفرق الدينية التى اشار اليها الكاتب كان يمثل الاباحية المطلقة والانحلال الخلقى ، لا سيما المزدكية ، فان مزدك أباح النساء والأموال ، وجعل الناس شركة فيهما — كما يقول — الشهرستانى ، وصار الناس كما يقول — الطبرى — لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه •

أوقفوا الحواجز المصنوعة بين المادة والروح

للأستاذ شحاتة عبد الرحمن شوقي

لماذا ينفصل الذين هم هنا عن الذين هم هناك ؟٠

ومن هم الذين هم هنا ومن هم الذين هم هناك ؟٠

لقد دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع ما جاء في التوازن الاجتماعي للدكتور احمد زكي (الرسالة ١٠٢٤) عندما قال : اذا كان بعض المتفلسفين قد اختاروا أحد مظهري حياتنا مقيمين حواجز بين المادية والروحية فان التجربة اثبتت عقم ذلك الاختيار ٠

أنا مع الدكتور فيما يقول ومستجيب أيضا لنداء – اميل بريبه – قبل أن يموت بضرورة التوازن بين العلم والحياة الروحية ٠ نعم أنا معهما ٠٠٠ مع الدكتور ومع الفيلسوف فهناك حقيقة تقول من يغلق عقله وضميره دون الحق يضير عقله وضميره ولا يضير الحق وقديما قال سقراط : ان الحياة لا تستحق الاعتبار اذا لم نقومها بالحوار والمناقشة ٠

ترى ما هي الحياة ٠؟ واذا عرفناها فهل نستطيع أن نرسم لها منهجا ؟ واذا كانت الحياة مزيجا من المادة والروح فما هي المادة وما هي الروح وما الفرق بينهما ؟٠

وقبل أن نعرف الحياة نعود نناقش المادة والروح فعن طريقهما نعرف معنى الحياة ٠

ما هي المادة ؟٠ وتعريف المادة في متناول كل منا لاننا نلمسها وندركها ٠ هي القلم الذي نكتب به وهي الكتاب الذي نقرا فيه هي الطعام الذي نتناوله وهي اللباس الذي نرتديه ٠ تستطيع أن تراها في كل شيء في الارض وفي السماء في الصخرة الصماء وتحت جوف الماء ٠ في الانسان والحيوان والنبات والجماد٠ ولقد تتبعنا المادة فعرفنا عنها الكثيروجهلنا عنها الكثير ، والذرة وحدة المادة وهي عالم قائم بذاته ٠ هذه هي المادة ولكن ما المقصود بالروح ٠٠؟

هل هي قصر مسحور تشرف النوافذ فيه على عالم الغيب ٠

ثم لماذا ينفصل الذين هم هناك عن الذين هم هنا ؟ ومن هم الذين هناك ومن هم الذين هنا ؟ لنتفق معا على ان الذين هم هناك هم الروحانيون والذين هم هنا هم الماديون ومن هنا ومن هناك من المادة والروح تكون الحياة ٠

كيف نلتمس الطريق اذا الى هناك ؟ الى القصر المسحور الذي تشرف النوافذ فيه على عالم الغيب ٠ عالم الروح ٠

هل نلتمسه عند هؤلاء الذين يعزفون عن الدنيا وما فيها من مباهج ؟ وبمعنى آخر هل الروح رهينة في صومعة الايمان ؟

لنتخط حدود الزمان والمكان ٠٠٠ ماذا قلت سيدي يا رسول الله ؟ ماذا قلت في الذين تركوا مباهج الدنيا ودفعهم الشك فأقبلوا عندك يلتمسون اليقين ؟ ٠

قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، ولا أنام منه شيئا ٠ وقال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أفطر أبدا ٠ وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا ٠٠٠

ويسرع العقل الكبير الذي استوعب الحياة والقلب الحاني الذي فهم الرحمة والحب يسرع الرسول البشر ليبدد ظلام الشك بنور اليقين فيقول عليه السلام : أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني اصوم وافطر وأصلي وارقد فمن رغب عن سنتي ، فليس مني ٠

اذا ليست الروح رهينة في صومعة الايمان فلو فرضنا أن الايمان يرتبط بالروح ، والطعام والزواج يرتبطان بالمادة فلقد ضرب الرسول أعظم مثل للتوازن بين المادة والروح عندما قال اصوم وافطر وأصلي وأرقد٠ وفوق ذلك فهو يخرج الذين يهتمون بالروح فقط يخرجهم من الجماعة حيث قال فمن رغب عن سنتي فليس مني ٠

***

نعم لقد بعدنا عن الروح عندما فصلناها عن المادة وجعلنا المادة تسير في طريق يناقض طريق الروح٠

فهناك من اهتم بالمادة وأسرف في هذا الاهتمام حتى لم يعد يضع للروح أي قيمة تذكر مثل الفيلسوف الانجليزي هوبز صاحب الفلسفة المادية

الشاملة وقد تصور العالم وما فيه من أحداث ، على أنه مادة متحركة ، فوجود المادة وتحرك أجزائها في المكان ، هو كل ما يلزم في نظره كل شيء في العالم .

وهناك من يهتم بالروح ويسرف أيضا في هذا الاهتمام حتى لم يعد يضع للمادة أي قيمة تذكر وبذلك تفقد الحياة وما فيها من حضارة ومدنية في نظره كل قيمة .

هناك من رجح جانب الروح عن المادة وهناك من رجح جانب المادة عن الروح وكل ذلك باعد بيننا وبين الحقيقة . وشوه المادة وشوه الروح ... شوه المادة لأنه ربطها بالمعدة والجنس وهذه مطالب الحيوان وشوه الروح لأنه ربطها بالشطحات الوجدانية والغيبات الروحانية . وخسر الذى أسرف فى المجون وخسر الذى أسرف في الزهد خسر الذى أقبل على الدنيا وخسر الذى أدبر عنها . فأين الحقيقة اذا ؟

***

نعود مرة ثانية ونتساءل عن الروح . هل هي مجموعة من المثاليات والمعنويات ابتلى بها الشرق ؟ هل توجد فيمجون أبى نواس أم في زهد أبيالعلاء؟ هل هي النفس الفاضلة المشرقة ؟ قد يكون كل ذلك فى الروح وقد يكون كل ذلك فى المادة . ثم لماذا نربط الروح بالقيم الانسانية والمثل العليا من حب وثقة وعدل ونربط المادة بدون ذلك . نربطها بالكره والبغض والحقد والضغينة . ؟ عندما نذكر الروح نتذكر أجنحة الملائكة وعندمانذكر المادة نتذكر قرون الشياطين .. ذلك كله لأننا فصلنا علمية التفكير عن روحانية التبصر ووضعنا الحواجز بين المادة والروح فلم تتضح لنا صورة الحياة الكاملة . وانا لا أنكر وجود الروح ولكنى انكر فصلها عن المادة وقديما قال ديكارت (أنا أفكر اذا فأنا موجود) بهذه النظرية رفع ديكارت شأن العقل وانتهى عن طريقه إلى تأكيد وجود الله وخلود الروح وتميزها عن المادة .

***

لقد افسدنا الروح والمادة عندما أقمنا حربا مزعومة بينهما وأتحنا الفرصة للجهلاء والمشعوذين الذين يؤسرون فى نفوس الضعفاء باسم الروح وباسم الدين .. لا زالت طبول الزار تدق فى قرانا فتستسلم النفس المريضة لكل ضعة وكل رذيلة .

أما هؤلاء الذين يعتمدون على الروح فى اصلاح واقعنا دون المادة هؤلاء يقول لهم الواقع لن تصلوا وقفوا مكانكم وكذلك الذين يعتمدون على المادة فى اصلاح واقعنا دون الروح وهذا يعتبر فرقا واضحا جليا بين اشتراكيتنا العربية وبين الاشتراكيات الاخرى فلقد اعتمد كارل ماركس على المادة فقط ولم يستطع انجيله الأرضى المزعوم (رأس المال) ولم يستطع أن يحققالعدل والمساواة على هذه الأرض وذلك لان كارل ماركس وضع فى حسابه المادة واغفل الروح ونظر الى الارض وعمى عن السماء . هذا هو سرالوهن الذى تسرب الى ماهتف بهماركس او انجلز او سان سيمون وغيرهم .

أما اشتراكيتنا العربية فهى اشتراكية ناجحة وذلك لانها لمترجح جانب المادة على الروح بلوضعت فى اعتبارها التوازن بين المادة والروح فقضت على النزعة المادية التى ترصد للحياة فى قوانين جافة جامدة والتى تهمل النشاط الروحى وهو له دخل كبير فى تكييف وضعنا الانسانى . وثمة سبب آخر من أجله أصبحت اشتراكيتنا مرتبطة بنا وليست مستوردة من الخارج ذلك هو أن كل النظرية الاشتراكية كتبت ثم بعد ذلك اخذت طريق التطبيق أما اشتراكيتنا فقد طبقت قبل أن تكتب وبذلك ضمنت لنفسها النجاح . وواضح أيضا أننا ونحن نطبق اشتراكيتنا نسير بخطى ثابتةعلى الارض المعبدة وننظر الى السماء فى اجلال وتقدير .

وخلاصة القول أن هناك روابط وثيقة بين المادة والروح. اننا عندما فصلنا المادة عن الروح تعثرنا فى طريق وصولنا الى الحياة الكاملة المنشودة وجهلنا الكثير عن المادة ولم نعرف أى شيء عن الروح سوى صدى الهواتف الداخلية فى أعماقنا وتخيلنا أن الروح تبحث فى المثل من حب وصدق وعدل وغير ذلك .

ولما اردنا أن نفتش عن الحب فى المادة قلنا : ان ذلك بعيد لان الحب من مقومات الروح فهل هذا صحيح ؟. يقول العلم : الذرة هى وحدة المادة وهى عالم واسع ومنذ أكثر من خمسين عاما اكتشف ارنست رادزفورد العالم النيوزلندى أن جميع الاجسام التى تتألف منها ذرات أى معدن تتجمع فى شكل كتلة صغيرة وسط كل ذرة سماها النواة تحيطها هالة من جسيمات تحمل شحنات سالبة أطلق عليها الالكترونات وفى مرحلة أخرى اكتشف العلماء أن النواة تتكون من نوعين من الجسيمات

ناظم حكمت
شاعر الحرية والمنفى

للأستاذ على كامل

فى عام ١٩٥٠ قامت حملة من كبار كتاب العالم وشعرائه لاطلاق سراح الشاعر التركى ناظم حكمت من غياهب سجنه فى الاناضول بعد أن تسربت الانباء عن سوء حالته الصحية واضرابه عن تناول الطعام مرتين . ونجحت الحملة اذ لم تقو السلطات التركية على مقاومة نداء الفكر فاطلقت قيود الشاعر الذى طالما تغنى ببطولة شعبه ومجد كفاحه فى معركة الاستقلال التى حرر بها ارض الوطن من مستعمريه بعد الحرب العالمية الاولى .

وغادر ناظم حكمت سجنه ليهاجر من وطنه الى الأبد . فظل كالطائر الصداح الذى لا وطن له يتنقل بين بلد وآخر الى أن توفى فى الشهر الماضى اثر أزمة قلبية وهو فى الحادية والستين من عمره . ثلاثة عشر عاما قضاها بعيدا عن وطنه ولكنه لم ينس يوما واحدا الارض التى أنجبته فبقى يذكرها فى شعره وكتاباته ، يعتصر قلبه الحنين اليها وتهفو نفسه لرؤياها بعد أن حرم عليه أن تطأها قدماه ، منتظرا اليوم الذى يمتزج جسمه بثراها بعد مماته ، فنسمعه يقول فى قصيدته (الوصية) :

يا رفاقى اذا مت قبل ذلك اليوم الموعود
وهو ما يبدو لى غالبا
فادفنونى فى الاناضول فى جبانة احدى القرى
ويكفينى أن تظللنى اذا أمكن احدى اشجار الصبار .

فهى تغنينى عن لوحة من الحجر نقشت عليها بضع عبارات

ولقد تفتقت موهبة ناظم حكمت الشعرية منذ شبابه الاول الذى تفتح على حرب الاستقلال عام ١٩١٩ حيث خاض غمارها وهو فى السابعة عشرة من عمره . وكما ان حادثا عرضيا قد يكون نقطة تحول فى النفس العبقرية كذلك كانت حرب التحرير التركية التجربة التى حددت لناظم حكمت نزعته الانسانية وتفكيره الاجتماعى . ذلك انه لمس خلال وطيس الصراع فى سبيل الحرية دور العمال والفلاحين فى المعركة ، أولئك الجنود المجهولين الذين لولا مجهودهم لما تحقق النصر ، فلم يلبث أن مجد فى قصائده فضلهم فى تحرير وطنهم بل جعلهم أصحاب الفضل الاول بتضحيتهم واستبسالهم وقوة احتمالهم لضروب الحرمان التى تحيط بجيش شعبى يعتمد فى موارده من عدة وطعام على مساهمة جموع الشعب وتبرعاته . كذلك مجد روح الايثار والفداء التى غمرت غير المحاربين من المواطنين البعيدين عن

****

اوقفوا الحواجز المصنوعة ـ بقية

بروتونات ونيوترونات ووصل العلم الى أن البروتونات هى مصدر قوة الحب الكامنة من الذرة .

لقدعثرنا على الحب ياسيدى فى وحدة المادة فلماذا اذا نضع الحواجز بين المادة والروح وبينهما هذا التجانس وهذا الارتباط .

واذا أردت أن أدخل جديدا على هذا الموضوع فيكون من قبيل الفرض وقد نصل مستقبلا الى برهنة هذه الفروض .

المادة : هى كل ما يشغل حيزا من الفراغ المادى .

الروح : هى كل مايشغل حيزا من الفراغ الروحى فى الضمير الانسانى .

المادة لا تفنى (قانون بقاء المادة) .

الروح لا تفنى (قانون بقاء الروح) .

الحواس الخمس نوافذ المادة وهناك حواس قد ترتبط بهذه الحواس وتعتبر منافذ للروح منها حاسة الالهام والتنبؤ .. وفى مقال آخر قد نذكر كل الفروض فقد تعيننا على الحقائق وتفتح الطريق لرأى أصوب مازال فى القصر المسحور فى عالم الغيب .

***

وأختم سطورى هذه بالربط بين المادة والروح فاقول : ان المعدة الممتلئة هى أساس الروح الصافية وان الجسم القوى السليم ينم عن روح قوية سليمة اننا نستخدم الروح فى خدمة المادة فعندما ننادى بتقريب الطبقات نفتح المجال للروح لتخدم معنا فى هذا المجال .

والى مقال آخر نشرح فيه الفروض ومنهج الحياة على ضوء هذه الفروض .

شحاته عبد الرحمن شوقى

جبهة القتال الذين وهبوا كل ما يملكون رغم عوزهم لمعاونة جيش التحرير فى مهمته المقدسة وكفاحه المستميت أمام القوتين المتحالفتين ضده ... قوة المستعمر الغاصب وقوة السلطات الرسمية الموالية له .

ولم ينس ناظم حكمت أيضا دور المرأة التركية فى معركة الاستقلال وهى التى ألقت بحجابها جانبا ونزلت الى ساحة الوغى تعاون الرجال بكل ماتستطيع أداءه من عمل وتستعذب التضحية بزوجها أو فلذة كبدها فى سبيل الهدف الأسمى .

وعندما تحقق النصر ظل ناظم حكمت يكرس فنه للدفاع عن حقوق الكادحين مناديا بأن الشعب لا بد أن ينال جزاء تضحيته ووفائه وأنه أحق بالثروة التى تنتجها سواعده . وكان اشتراكه فى الحرب وهو فى السابعة عشرة وتجرعه أهوالها دافعا له الى المناداة بالسلام بين الامم والدعوة ضد الحرب التى لا يصلى سعيرها الا الابرياء الذين يذهبون هشيما لأهواء رجال السياسة .

بهذه الروح الانسانية الرفيعة كتب ناظم حكمت (المدينة التى فقدت صوتها) و (لماذا قتل بينيردجى نفسه) و (محادثة الليل التليفونية) و (خطابات لزوجتى) و (بطولة الشيخ بدرالدين) وغيرها .

غير أن كتابات ناظم حكمت لم تكن لتروق للسلطات الحاكمة فى تركيا خصوصا بعد أن أحست بصداها فى قلوب أبناء الشعب التركى فمنعت تداولها . ولم يقف الامر عند ذلك بل حوكم ناظم حكمت عام ١٩٣٨ وحكم عليه بالسجن ثمانية وعشرين عاما .

وداخل أسوار سجنه استمر ناظم حكمت فى اداء رسالته فكتب (بطولة حرب الاستقلال) و (صور انسانية) والاخيرة تقع فى ستين ألف بيت من الشعر .

وعندما أطلق سراحه عام ١٩٥٠ بعد الحملة التى قام بها رجال الفكر فى جميع أنحاء العالم وخرج من سجنه مباشرة الى المنفى ظل يجوب مختلف البلاد مساهما فى كل مؤتمر يدعو الى السلام والعدالة الاجتماعية ، مكرسا قلمه للترنم بحبه لوطنه والحنين اليه والرثاء لما يعانيه من فقر وحرمان . وكان يصب أحاسيسه الجياشة بالعواطف الملتهبة فى شعر يفيض بالألم والمرارة وان كان يظفر بالامل الباسم فى آ(الحياة الرحبة) فى مستقبل الايام .

وقبل موته ببضعة شهور كتب ناظم حكمت فى سبتمبر سنة ١٩٦١ يقول فى ترجمة حياته :

هناك اناس يعرفون أنواع السمك المختلفة وأنا أعرف أنواع الفراق والحرمان .

هناك اناس يستطيعون أن يذكروا عن ظهر قلب أسماء النجوم وأنا أستطيع أن أذكر أسماء الشوق والحنين .

لقد كنت نزيل السجون والفنادق الكبرى

لقد عرفت الجوع والاضراب عن تناول الطعام كما انه ليس هناك طعام لا أعرف مذاقه .

عندما بلغت ثلاثين عاما أرادوا أن يرسلوا بى الى المشنقة .

وفى سن الثامنة والاربعين منحت الجائزة الدولية للسلام .

عندما كنت فى السادسة والثلاثين عبرت أثناء ستة شهور أربعة امتار مربعة داخل حائط من الاسمنت .

وفى سن الثامنة والخمسين طرت من براج الى هافانا فى ثمانى عشرة ساعة .

لقد رأيت الاوبرا ومعظم الناس لا يستطيعون الذهاب اليها بل يجهلون حتى اسمها .

لقد طبعت مؤلفاتى بثلاثين أو أربعين لغة ولكنها ممنوعة من النشر فى تركيا بلغتى الحبيبة .

وناظم حكمت عندما يعرض المتناقضات الغريبة فى حياته انما يرمز أيضا الى ما فى المجتمع من بعد عن العدل الاجتماعى والمنطق السليم الذى لا يتفق وما بلغته الانسانية من رقى وتطور .

لقد سكت قلب ناظم حكمت قبل أن يتحقق أمله فى العودة الى وطنه وقبل أن تعرف أعماله النور بين أبناء أمته الذين كرس حياته من أجلهم ، كما عرفت بين أبناء الامم الاخرى ، فلا يستطيعون قراءتها الا خلسة بعيدا عن أعين الرقباء .

ومنذ أكثر من مائة عام قال فيكتور هوجو (اذا كان المرء لا يستطيع أن يعيش بغير خبز فكذلك لا يستطيع أن يعيش بغير وطن) فما أصدق هذا القول على ناظم حكمت اذ لم يكن مرض القلب وحده هو الذى افترس قلبه بل كان حنينه المستعر لوطنه حليفا قاتلا للمرض عجل قبل الاوان بنهاية الشاعر الفريد .

على كامل

الحكم بشهادة المرأة

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

الشهادة لغة هي البيان ، أو هي الاخبار القاطع، والقول الصادر عن علم حصل بالمشاهدة .

والشهادة شرعا هي اخبار صدق لاثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء . والاصل ان شهادة المرأة كشهادة الرجل ولكن الله تعالى قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما ، فتذكر احداهما الاخرى »

فالحكمة التي ذكرها الله تعالى لعدد الاثنتين في الشهادة هي ان المرأة قد تنسى الشهادة فتغفل عنها فتذكرها الاخرى . فأمر باشهاد امرأتين لتوكيد الحفظ . وعلى ذلك خالف العامة ان المرأة تقبل شهادة كالرجل تماما الا انه يلزم تعدد الاثنتين لحكمة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز صراحة .

وقال ابن تيمية في تعليقه على هذه الآية . « فيه دليل على ان اشهاد امرأتين مكان رجل انما هو لا ذكار احداهما الاخرى اذا ضلت وهذا انما يكون فيما لا يكون فيه الضلال في العادة وهو النسيان وعدم الضبط . فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف رجل، وما يقبل فيه شهادتهن منفردات انما هو أشياء تراها بعينها او تلمسها بيدها اوتسمعها باذنها من غير توقف على عقل كالولادة والاستهلال والارتضاع والحيض والعيوب التي تحت الثياب ، فان مثل هذا لا ينسى في العادة ولا تحتاج معرفته الى كمال عقل كمعاني الاقوال التي تسمعها من الاقرار بالدين وغيره فان هذه معان معقولة ويطول العهد بها في الجملة.

ومع ذلك فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن المرأة لا تقبل شهادتها في الحدود ولا في الدماء روى ابن أبي شيبة عن حفص عن حجاج عن الزهري قال مضت السنة من لدن رسول الله صلى عليه وسلم والخليفتين بعده أنه لا تجوز شهادة النساء في الحدود والدماء .

وقال الشافعي : لا تقبل شهادة النساء مع الرجال الا في الأموال وتوابعها ، لأن الأصل فيها عدم القبول .

ومع هذا الاتفاق فقد ورد في كتب الفقه روايات مختلفة عن قبول شهادة النساء في هذه المسائل .

١ ـ قال عطاء وحماد بن أبي سليمان : تقبل شهادة رجل وامرأتين في الحدود والقصاص كما قال عطاء : لو شهد عندي ثمان نسوة على امرأة بالزنا لرجمتها . كما قال : تجوز شهادة النساء مع الرجال في كل شيء ويجوز على الزنا امرأتان وثلاثة رجال .

٢ ـ وقال سفيان الثوري : تقبل المرأتان مع الرجل في القصاص وفي الطلاق والنكاح وفي كل شيء حاشا الحدود .

٣ ـ وقال طاوس : تجوز شهادة النساء في كل شيء مع الرجال الا الزنا من اجل انه لا ينبغي ان ينظرن الى ذلك .

ومع قول الشافعي بأن الاصل في شهادة النساء عدم القبول فان الحنفية يقررون بأن الاصل في شهادة النساء القبول لوجود مايبنى عليه اهلية الشهادة وهو المشاهدة ، والضبط والأداء . فان كثيرا من النساء يضبطن اكثر من ضبط الرجال لاجتماع خاطرهن اكثر من الرجال لكثرة ما يرد على خاطر الرجال واشتغالهم بأحوال المعيشة . الا أن الغالب فيهن النسيان وان كان بعضهن أضبط من بعض الرجال ، ولكن القواعد توضع للغالب . فللشبهة لا تقبل شهادة المرأة فيما يندرىء بالشبهات . لان شهادتها فيها شبهة البدلية لقيامها مقام شهادة الرجل .

وقد قال البابرتي في هذا الشأن :

لانتقصان في عقل النساء فيما هو مناط التكليف، وبيان ذلك ان للنفس الانسانية اربع مراتب .

المرتبة الاولى : استعداد العقل ويسمى بالعقل الهيولاني وهو حاصل لجميع افراد الانسان في مبدأ فطرتهم .

المرتبة الثانية : ان تحصل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات فيتهيأ لاكتساب الفكريات بالفكر ويسمى العقل بالملكة . وهو مناط التكليف

المرتبة الثالثة : ان تحصل النظريات المفروغ عنها متى شاء من غير افتقار الى اكتساب ويسمى العقل بالفعل .

المرتبة الرابعة : هو أن يستحضرها ويلتفت اليها مشاهدة ويسمى العقل المستفاد وليس فيما هو مناط التكليف وهو العقل المسمى بالملكة في النساء نقصان بمشاهدة حالهن في تحصيل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات وبالتنبيه ان نسيت

فانه لو كان فى ذلك نقصان لكان تكليفهن دون تكليف الرجال فى الاركان وليس كذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « هن ناقصات عقل » المراد به العقل بالفعل ولذلك لم يصلحن للولاية والخلافة والامارة

وتقبل عند بعض الأئمة شهادة المراة منفردة فى الامور الاتية

١ - الولادة

٢ - الاستهلال للحياة

٣ - العيوب تحت الثياب كالرتق والقرن والبكارة والبرص

٤ - انقضاء العدة

٥ - الرضاع « فيه خلاف »

ويستدلون على ذلك بالأدلة الآتية

١ - فى الصحيحين عن عقبة بن الحارث : انه تزوج أم يحيى بنت ابى اهاب . فجاءت امة سوداء فقالت : قد ارضعتكما . فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فأعرض عنى . قال : فتنحيت ، فذكرت ذلك له قال : فكيف ؟ وقد زعمت ان ارضعتكما »

٢ - روى الدار قطنى والبيهقى وغيرهما من حديث ابى عبد الرحمن المدائنى عن الاعمش عن حذيفة « أن النبى صلى الله عليه وسلم اجاز شهادة القابلة »

٣ - نص أحمد فى رواية بكر بن محمد عن أبيه على جواز شهادة المرأة على مالا يحضره الرجال من اثبات استهلال الصبى ، وفى الحمام يدخله النساء فتكون بينهن جراحات

وقال اسحق بن منصور : قلت لأحمد فى شهادة الاستدلال : تجوز شهادة امراة واحدة فى الحيض والعدره والسقط والحمام ، وكل مالا يطلع عليه الا النساء فقال : تجوز شهادة امراة اذا كانت ثقة كما قال الاثرم : قلت لابى عبد الله : شهادة المراة الواحدة فى الرضاع تجوز ؟ قال : نعم

٤ - لانه لابد من ثبوت هذه الاحكام . ولا يمكن للرجال الاطلاع عليها ، وانما يطلع عليها النساء على الانفراد ، فوجب قبول شهادتهن على الانفراد .

ويرى البعض منهم الشافعى انه لا يقبل فى هذا كله اقل من أربع نسوة او رجل وامراتين ويستدلون على ذلك بادلة منها :

١ - سئل احمد عن حديث على رضى الله عنه « انه اجاز شهادة القابلة » عمن هو ؟ فقال : هو شعبة عن جابر الجعفى عن عبد الله بن يحيى عن على . قال مهنا : ورواه الثورى عن جابر .

وقال الشافعى : لو ثبت عن على صرنا اليه ، ولكنه لا يثبت عنه . وتناظر الشافعى ومحمد بن الحسن فى هذه المسالة بحضرة الرشيد . فقال له الشافعى : بأى شيء قضيت بشهادة القابلة وحدهـا حتى ورثت من خليفة ملك الدنيا مالا عظيما ؟ قال: بعلى بن ابى طالب . قال الشافعى : فقلت : فعلى انما روى عنه رجل مجهول ، يقال له عبد الله بن يحيى . وروى عن عبد الله : جابر الجعفى ، وكان يؤمن بالرجعة .

٢ - حدث عبد الرحمن عن سفيان قال : سمعت بديل بن اسلم يحدث : ان عمر بن الخطاب لم يجز شهادة امراة فى الرضاع .

وحدث هاشم عن ابن ابى ليلى وحجاج عن عكرمة ابن خالد : ان عمر بن الخطاب افتى فى امراة شهدت على رجل وامراته انها قد ارضعتهما . فقال : لا حتى يشهد رجلان ، أو رجل وامرأتان .

٣ - لا تقبل فى الرضاع شهادة النساء منفردات لأن الحرمة متى ثبتت ترتب عليها زوال ملك النكاح ، وابطال الملك لا يثبت الا بشهادة الرجال . ولانه مما يمكن اطلاع الرجال عليه .

راى ابن القيم

ويوفق ابن قيم الجوزية بين الآراء المختلفة فى قبول شهادة المراة الواحدة فى الرضاع بقوله :

« والذى عندنا فى هذا : اتباع السنة فيما يجب على الزوج عند ورود ذلك فاذا شهدت عنده المراة الواحدة بأنها قد أرضعته وزوجته فقد لزمته الحجة من الله فى اجتنابها ، وتجب عليه مفارقتها . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمستفتى فى ذلك: « دعها عنك » وليس لاحد أن يفتى غيره ، الا انه لم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم حكم بينهما بالتفريق حكما ، مثل ما حكم فى المتلاعنين . ولا امر فيه بالقتل ، كالذى تزوج امراة ابيه . ولكنه غلظ عليه فى الفتيا . فنحن ننتهى الى ما انتهى اليه . فاذا شهدت معها امراة اخرى فكانتا اثنتين ، فهناك يجب التفريق بينهما فى الحكم وهو عندنا معنى قول عمر « انه لم يجز شهادة المراة الواحدة فى الرضاع » .

احمد فتحى بهنسى

شحاته عبيد في قصصه

للأستاذ عباس خضر

اذا كانت حياة « شحاتة عبيد » قد غامت علينا ، على نحو ما اوضحنا فى المقال السابق فاننا نستطيع ان نستشف شيئا منها فى كتابته بمجموعته القصصية « درس مؤلم » وهى الكتاب الوحيد الذى نشر له .

الذى يبدو لى ـ من البيئة والاشخاص الذين يصورهم فى قصصه .. أنه من أصل شامى ، فاكثر أولئك الأشخاص سوريون مسيحيون هاجروا الى مصر واقاموا بها ، ويغلب ان تكون زوجته لبنانية ، اذ عادت بعد وفاته الى لبنان .

هذا ولا بد انه نشأ بمصر ، ان لم يكن قد ولد بها ، فليس فى قصصه أية اشارة الى أماكن سورية أو لبنانية أو فلسطينية . ونجد الروح المصرى الصميم فى كتابته ، وبعض قصصه تنتهى بنكت مصرية ، ونرى فيها بعض الصور الشعبية .

ونلحظ فى القصص ـ بشكل ظاهر ـ مظاهر الوطنية المصرية الصادقة التى اشعلتها ثورة ١٩١٩ حتى لنجد الاهداف الوطنية تطغى على فنية القصة وتخرج على مقتضيات الأصول القصصية .

ولا شك أن من دلائل نشأته المصرية تحمسه للدعوة الى أدب قومى يصور الشخصية المصرية ويعالج مشكلات المجتمع المصرى .

وهو يتحدث فى معظم قصصه عن أسرات متوسطة تكافح لكى تحتفظ بمستواها . واحيانا تعمل على الوصول الى مستوى أعلى . وغالبا يكون الكفاح فى ميدان الأعمال الحرة . ونرى فى القصص لونا طريفا من كفاح الطبقة المتوسطة فى البيئة المسيحية المتمصرة ، بنات يتعلمن فى مدرسة الراهبات ويتثقفن فيها بالثقافة الفرنسية ، والآباء والامهات يكدحون ليحققوا لهن هذه التربية ، ثم نرى البنت تتطلع الى أن يحبها رجل غنى ويتزوجها ، وقد تدوس على مشاعر حب آخر بينها وبين شاب فقير .

وهذه البيئة الذى نشأ فيها شحاتة عبيد بيئة متحررة ، يجرى فيها اختلاط الجنسين ، وقد أتاحت له ، كما أتاحت لأخيه عيسى عبيد فرص الكتابة عن الحب والعلاقات بين الجنسين التى تنشأ من الاختلاط ، ولم يتح ذلك لزملائهما من كتاب القصة المصريين فى ذلك الزمن ، اذ كان الحجاب لا يزال سائدا ، ولا يزال كل من الرجل والمرأة فى معزل عن الآخر فى سائر طبقات المجتمع المصرى ، ما عدا الكادحين والكادحات فى القرى ، ومن هنا استطاع « هيكل » أن يتحدث عن حب قروى بين فتى وفتاة من أولئك الكادحين المختلطين فى الأكواخ والحقول وفيما عدا قصص عيسى وشحاته وهيكل لا نكاد نرى حبا عميقا بين رجل وامرأة فى تلك الفترة .

ولذلك كثيرا ما نرى ـ فى قصص شحاته عبيد ـ الحب ينشأ والتقاء الأحبة يجرى فى الزيارات الأسرية الاسبوعية ، اذ كان لكل أسرة يوم فى الاسبوع يسمى « يوم المقابلة » يزورها فيه الأقارب والجيران والأصدقاء رجالا ونساء غير متحرجين ولا متحرجات ، ويجرى فى اجتماعهم سمر وألعاب تسلية وموسيقى وغناء .

وليس معنى ذلك أن الكاتب انحصر فى تلك البيئة ، فقد تناول غيرها من البيئات والشخصيات وانعكست فى كتابته ظواهر المجتمع المنفصل الجنسين ونتائج هذا الانفصال .

فالقصة الأولى فى المجموعة ، وهى « درس مؤلم » تصور آثار الانفصال ، اذ نرى فيها عالم الرجال فى الحانات وبيوت الساقطات . ونرى العالم الآخر عالم الحريم ، مع رجال آخرين ، يلتقين بهم عند مدام دى سيريز الخياطة فى الظاهر والقوادة فى الخفاء ، والتى لا يشك الداخل الى منزلها « فى أنه مصنع للأزياء الجديدة وهو يبصر أمامه الحرابز والعرايس الخشبية منتصبة ، وأكثر من عشرين صانعة كل واحدة آخذة فى عمل ، ولكن الأخصاء المترددين يعرفون أن الجناح الايمن من المنزل مخصص لاجتماع الاحباب » .

والدرس المؤلم الذى تعنيه القصة ، هو الذى أخذه « طلعت بك » اذ ترك زوجته محبوسة فى المنزل وراح يصول ويجول مع « الاخوان الذين لا يعرفون بعضهم الا متى أخذت الشمس فى الاصفرار وبدأ الليل يسدل جناحيه فتقودهم أرجلهم أو اذا شئت عادتهم الى انتياب الاماكن التى وجدوا فيها من يجاريهم فى ميولهم » ولكن هذه الحياة لم تدم لطلعت بك ، اذ تقص علينا القصة كيف عرف أن

صديقه « سرى بك » – وهو من أولئك الاخوان – رأى زوجته عند « مدام دى سيريز » وان الخياطة وعدته أن تبذل جهدها لتوقعها من أجله ·· من اجل سرى بك ·· ولكن الزوج أسرع قبل ان تقع زوجته ·· وقاطع « الشلة » وسافر بزوجته الى الاسكندرية حيث أقاما هناك ·

وفي المجموعة غير ذلك سبع قصص يتمثل فيها فن شحاتة عبيد في التحليل والغوص فى أعماق النفس وتصوير العلاقات الاجتماعية بفهم وصدق ·

ومن القصص التي تصور بيئةالكاتب في القاهرة قصة « البائنة » وهي قصة أسرة سورية مكافحة تنحرف في كفاحها نحو المال بطريق غير سليم من الوجهة الوطنية ، وتنحرف فتاة الاسرة التى تدور عليها القصة نحو الخطيئة مع ضابط استرالى من قوات الاحتلال البريطاني · فالأسرة تحمل همزواج فتاتها « اديل » لأنها فقيرة ليس لديها مال تقدمه « بائنة » او « دوطة » للرجل الذىيتقدم لها ، واديل مشبوبة الغريزة تتشوق الى رجل تحبه ويحبها وتتزوجه ، وتلتقى بموريس فى احدى الزيارات العائلية الاسبوعية ، ويتحابان ، ولكن والد موريس يريد أن يزوجه من فتاة غنية ، ولاديل اخوان موظفان صغيران ، أحدهما عند «عمر افندى» والآخر فى محل « بلانشى » ودفعهما حب المال الى ترك وظيفتيهما وفتح مطعم وحانة ، « وكان ذلك الوقت موسم البارات والمطاعم بسبب وجود الجيش الأسترالي والانجليزى بكثرة » وكسبا مالا كثيرا ، ونزح الجيش الاسترالي الى الاسكندرية ، فتبعه الاخوان ، ونشأت صداقة بينهما وبين ضابط استرالى ، زار الضابط الاسرة فى منزلها بالاسكندرية ، ونشأت العلاقة بينه وبين اديل ، وخرجت الفتاة مع الضابط الأجنبى فى نزهات على الشاطىء وسارت معه الى أقصى الشوط ·· وعاد الضابط الى بلاده ، ورجعت الاسرة الى القاهرة ، وسعى اليها والد موريس طمعا فى غناها ، وعاشت اديل وزوجها موريس « ترفرف عليهما السعادة والهناء ، ولكنها كانت تسبح بفكرها أحيانا وهى جالسة بجانب شرفتها فتتذكر جيمى (الضابط) ورمل الاسكندرية فتبتسم ··· » ·

وفى هذهالقصة دراسةقصصية ناجحة لشخصية اديل وميولها ونوازعها والوصول بذلك الى النتائج التى وصلت اليها ·

وقصة « الصلاة » ذات موضوعين رئيسيين ، ولعل هذا عيب فيها · الموضوع الأول حالة الأديب الصادق وبؤسه فى البيئة التى لا تفهمه ولاتقدره ، والموضوع الثاني وطني يتعلق بالحركة الوطنية التى قادها سعد زغلول ، وفي القصة أيضا موضوع آخر ثانوى ، هو اهتمام السيدات المصريات بالاعمال الخيرية ، الى جانب اشتراكهن فى الحركة الوطنية ، وقد ذكر الكاتب أسماء حقيقية مثل « هدى شعراوى » و « حرم فهمى ويصا » ·

وقصة « بين غزالتين » رمزية ، قالعنها فيمقدمة المجموعة : « رب منتقد يقول بعد قراءة مجموعتي هذه نراك تنعى على الكتاب الخياليين خيالهم وقد حذوت حذوهمفى رواية « بينغزالتين » لأنها منالنوع الخيالى الأيداليسم ، ولكني اقول انها خيالية يراد بها حقيقة وهى أقرب الى الحقائق من الخيال ، وقد جئت بها عمدا لأدلعلى أن الخيال فىدوائره المحصورة متى طبقت عليه القواعد العلمية الفنية يكون «سائغا مقبولا » ·

مسالة تطبيق « القواعد العلمية الفنية » فيها شيء من المبالغة والتكاثر ، ولعله يقصد أن الخيال متى أريد به التعبير عن واقع أو قصد به الى هدف واقعى فهو مقبول فى مذهب الحقائق « الواقعية » مادام يسير على منهجه ويتجه اتجاهه ·

ومجمل الحكاية ان « حليم » عرف بحبه المفرط للحيوانات ، وقد ورث مالا وافرا « عن والده الذى كان حاكما متصرفا فى البلاد المصرية ، تحت اشراف الدولة العلية ، مندوبا من قبلها ليمثل فى بلادنا أنواع ظلمها وعسفها وجورها فجمع ماجمعمستبيحا كل الطرق والوسائل حتى داهمه القضاء فى نفسه فسلبها » ·

أنشأ حليم حديقةحيوان خاصة فى قصره ، وكان فيها غزالة أولع بها ولعا شديدا ، وآنست منهالحب فاقبلت عليه تلوذ وتتمسح به كلما جاء نحوها ، ثم رأى فى الاسواق غزالة أعجبتهفاشتراها وأخذها الى الحديقة ، ثم فوجىء بالتنافر بين الغزالتين وفتور الغزالة القديمة وابتعادها عنه ، واحتار حليم بين الغزالتين وحزن عليهما عندما رآهما « تعانيان من الم الغيرة والحقد مازاد فى هزالهما » ·

وتنتهى القصة بالاشارة الخفيفة الى المرموز اليه ، وهو الجمع بين زوجتين ، اذ مرت بخاطر حليم حياة صديقه محمود الذى كان يشكو اليه همه مما يعانيه من زوجتيه ، وعرف فى النهـاية خطاه فقال فى نفسه : كان الأجدر بى أن أقنع بواحدة .

ووصف الكاتب لهذه القصة بأنها رواية ربما لان مفهـوم الرواية كان لايزال يشمل القصص بأنواعها من طويلة وقصيرة ومسرحية ، على ان القصة نفسها أشبه فى بنائها وحوادثها بالرواية . وهـذا ملحوظ فى بعض قصص الأخوين عيسى وشحاتة ، على خلاف قصص محمد تيمور ، تلميذ موباسان ، الذى كان مفهوم القصة القصيرة واضحا عنده كفن متميز .

وأضعف ما فى المجموعة أقصوصـة « مبروك يا أم محمد » وهى تقص حكاية مما يتندر به فى التنديد بفن الخاطبات ، وهى تنتهى بنكتة يبدو أنها المقصودة من الحكاية ، فأم محمد ارمل كبيرة تحن الى الزواج وصفتها الخاطبة للأسـطى على بأنهـا صغيرة وجميلة ، ولكنه تبين عند الزفاف حقيقتها ، وسمع النساء يقلن لها « مبروك يا أم محمد » فلما خرجن جميعـا من الحجرة ولم يبق الا هى « اقترب منها بلطف وقدم لهـا يده قائلا : « مبروك يا أم محمد » وخرج لا يلوى على شىء ... »

وهناك قصـة من نوعها ، ولكنها جيدة وهى « الغيرة العمياء » تحكى قصة امرأة مات زوجها ، وكانت تحبه وتغار عليه ، فحزنت لموته حزنا شديدا حتى كان يوم تقدمت فيه الى الشـيخ الذى يقرأ سورة كل يوم على روح المرحوم ، وسألته عن زوجها (محمد بك) أين هو وماذا يعمل ، فأجابها بأنه فى الجنة ينعم بالحور العين ، فامتقع لونها لشدة غيرتها من الحور ، وقالت : « ياابن الكلب بقى أنا هموت نفسى عليك وانت بتعمل كده ! » والنكتة هنا نابعة من صميم القصة لأنها تصور مدى الغيرة العمياء .

واذا انتقلنا بعد الى الخصائص العامة لشـحاتة عبيد فاننا نجده : أولا ـ يماثل أخاه عيسى فى النزعة التحليلية والبراعة فى رسم الشخصيات من الداخل ، وهما يعتبران سابقين فى هذا المضمار ، وقد وقع شـحاتة فيما وقع فيه عيسى من ترديد عبارات مثل « محلل نفسى » فى مجال التصـوير الفنى ، يقول مثلا : « وقد ستر امتلاء وجنتيهـا واستدارة وجهها من برطمة شفتيها اللتين مارآهما محلل نفسى الا وعرف ما لصاحبتهمـا من النوازع الاخلاقية » .

وكذلك الأفكار المباشرة التى يطل بها من خلال السياق القصصى يقول عن رواية تركهـا مخطوطة أديب بائس توفى « رواية عصرية يشرح فيها فساد بناء العائلة اذا كان قائما على زواج أساسه المادة ، وقد اقتدى المؤلف فيها بأهل المذهب القائل بأن يترك للقارىء جهد معرفة قصد المؤلف » .

وكاتبنا « شحاتة » من أهل هذا المذهب ، ونراه يخرج عليه بهذه العبارة نفسها ..

وهذا وذاك قليل بل نادر فى قصـص شحاتة ، فلم يكثر منه مثل ما فعل عيسى .

ثانيا ـ يمتاز شـحاتة عبيد بالمرح والدعابة والروح القـاهرية الفكهة ، ويتجلى هذا فى قصة « درس مؤلم » وفى القصـتين اللتين صاغ فيهما نادرتين من نوادر أهل القاهرة كما سبق بيان ذلك .

وتزخر قصص شحاتة بأسماء أماكن وملاه فى القاهرة والاسكندرية بعضها اختفى والبعض لايزال قائما .

ثالثا ـ أسلوبه اللغوى من أليق الأساليب للفن القصـصى ، اذ هو متحرر مما يقيد الأسـاليب القديمة ، وفى الوقت نفسـه مكتسب من قراءة النصوص الأدبية العربية . وأخطاؤه اللغوية قليلة ، بالنسبة لكثير من كتاب القصة فى ذلك الزمان .

عباس خضر

في رثاء الخفيف

فديتك راحلا

للأستاذ محمود غنيم

كان المرحوم محمود الخفيف فى الرعيل الاول من كتاب الرسالة وشعرائها، وقد وافاه أجله منذ عامين فى مدة احتجاب الرسالة · ومن حقه على الرسالةوقد عادت الى الظهور وحان موعد ذكراه الثانية — أن تنشر المرثية الدامعة التي رثاه بها صديقه ··· وقدكان بين الشاعرين وشائج صداقة ، ومساجلات ادبية ، ودعابات خالدة لا تزال تتردد على ألسنة الرواة ، وقد أشار الشاعر الى كل ذلك فى مرثيته التالية :

علام تشد رحلك غير وانى ؟ ... فديتك راحلا قبل الأوان
رويدك يا خفيف فلست تدرى ... بقبرك — بعد بعدك — ما أعانى
بربك كيف تلقى الموت دونى ؟ ... وكيف به دعاك وما دعانى ؟
وانى من كيانك كنت جزءا ... كما قد كنت جزءا من كيانى
وكنت أعد دمع العين ضعفا ... فسال عليك منطلق العنان
وقالوا ان سكب الدمع يشفى ... فما للدمع بعدك ما شفانى ؟
وما هذى الحياة سوى طريق ... ونحن على الطريق مسافران
فكيف تركتنى فى الدرب فردا ... ومالى بالسرى فردا يدان
وآخى بيننا الأدب المصفى ... فظن الناس أنا توءمان
فكنت اذا فرحت فرحت قبلى ... وتشجى أنت ان هم شجانى

***

أحقا أن محمودا تولى ... وانى لن أراه ولن يرانى
وكيف وصوته ما زال يسرى ... الى سمعى كما تسرى الاغانى
وذلك سمته طلق المحيا ... وذاك شبابه فى عنفوان ؟
كذلك أنت يا دنيا سراب ... لحاك الله مالك من أمان
يطالعنى الخفيف بكل أفق ... والمح وجهه فى كل آن
أكاد اراه حين أسيغ مائى ... وزادى فى الكئوس وفى الأوانى
ارى وجه الخفيف خبا سناه ... فأعجب كيف يبدو النيران ؟
كأنى ما جفوت سواه خلا ... ولا خل سواه قد جفانى
كأنى ما جلست اليه يوما ... ليطرفنى بأبكار المعانى
فأنسانى الجلوس اليه نفسى ... وما ألقاه من عنت الزمان
يطيب بيان محمود بسمعى ... ومحمود يطيب له بيانى
ويطرب حين يهجوه غنيم ... وأطرب للخفيف اذا هجانى
كلانا شاعر يهجو أخاه ... بلا حقد عليه ولا اضطغان
سرت أبياتها بين الندامى ... فأنستهم معتقة الدنان
يعطرها الوفاء بنفح طيب ... ويكسوها الصفاء بطيلسان
وكم مدح يفيض به نفاقا ... لسان مثل ناب الأفعوان

وقال الطب سكتة نبض قلب ... عرته فقلت : أقضاه التفاني
سجل خط في خمسين عاما ... طوته يد المنية في ثوان
ولكن بعد ان اضحى نشيدا ... يردد مثل ترديد الأذان
يصيب الموت محمودا ليفنى ... وليس تراث محمود بفان

***

اعنى يا خفيف على المراثى ... رأيت الشعر بعدك قد عصاني
فكم عاونتني في مدح خل ... وكم ساعدتني في هجو شاني
وما ترجمت عن حزني بشعرى ... فلولا كان شعرك ترجماني
عهدتك ناطقا بالشعر درا ... كأنك صدت شعرك من عمان
تفرد كل ذى قلم بحسنى ... وتمت للخفيف الحسنيان
بكت فيك الكتابة والقوافي ... نبوغ ابن المقفع وابن هاني

***

ليهنك أن موتك في مكان ... طهور الارض قدسى المغانى
صريع العلم أشجع من صريع ... بضرب السيف أو طعن السنان
ودور العلم ميدان فسيح ... يموت به الشهيد بلا طعان
ولما أن سقطت على ثراها ... كما سقط الكمى عن الحصان
تفزع سقفها هلعا وضجت ... صحائفها وأعولت المباني
دمان : دم الشهادة منك يجرى ... وآخر من دموع العين قاني
وزاغت حولك الأبصار حتى ... كأن الأفق غشى بالدخان
وربع جنان كل فتى جليد ... يخوض لظى الوغى ثبت الجنان
عيون بنيك حولك ناضحات ... بدمع أو بطهر أو حنان
يود فداك كل أغر منهم ... كأن قوامه من خيزران
وما فقدوا بفقدك غير دنيا ... معلقة عليك من الأماني
وما حملوا على الأعناق الا ... ملاكا من ملائكة الجنان

***

تخذت العالم العلوى دارا ... وعفت العيش في دار الهوان
وليس النجم يمكث في مدار ... وليس الطير يلبث في مكان
واشهد ما حنيت الرأس يوما ... لتدنو من فلان أو فلان
فما تسعى الى أحد ويسعى ... اليك مهرولا قاص وداني
ولا ترجو سوى المولى معينا ... وأكرم بالمعين وبالمعان
ضمنت بعبقريتك الأماني ... وما كالعبقرية من ضمان
وما أعقبت يا محمود نسلا ... سوى أبكار أفكار حسان
اذا خطبت تساق لها الدرارى ... مهورا ، لا اليتيم من الجمان
ولولا الفن كنت أبا وجدا ... ولكن لست بالرجل الأناني
كفى بالفن للفنان ديرا ... يعوق عن التناسل والقران
لقد ربيت للأوطان جيلا ... أشم الأنف منطلق اللسان
فكل أب بمصر يراك قبلا ... أبا لبنيه أول وهو ثاني
شباب الجيل يسأل عن أبيه ... فيومىء نحو قبرك بالبنان

محمود غنيم

من حديث الأبطال

معارك في ضوء القمر

للأستاذ صالح يوسف الأحمر

كانت نسائم الخريف عند الفجر تلفح وجوهنا ، فتبعث في عروقنا قوة غريبة متحفزة . وكان الصمت يخيم بين لحظة واخرى وتتخلله هذه النداءات العسكرية الصارمة القاطعة ، وقد اصطفت جماعات الجنود والضباط على استعداد للصعود الى سطح المدمرة الرابضة كالجبل ، وهناك على السارية يرفرف علم الجمهورية . وفي خطوات رتيبة لها رنين نفاذ كان الجنود يقفزون وهم يصعدون ، وجوه متحفزة سمراء تلمع تحت ضوء الفجر الذى بدات خيوطه تتجمع لتنسج مع اشعة الشمس ثوب النهار الجديد ..

وفي لحظات كانت مدمرتنا تشق امواج الخليج الحانية وتستقبلها الشمس في بسمة ملأت الافق الرحيب . وكنت احد ضباط الصاعقة الذاهبة عبر البحر الاحمر ...

كان سطح السفينة يموج بالحركة الدائبة وكل منا على استعداد . كان زميلي عادل ينفرد بجماعة من جنوده يهمس اليهم بنبرات كالرصاص بنوع المهمة التى هم ذاهبون اليها . وهم ينصتون باهتمام والفرحة تشملهم .. وبدات الشمس تصعد في جلال فوق رؤوسنا والسفينة تمخر عباب الامواج التى لم تكن في ذلك الوقت غاضبة معربدة ، ومن خلفنا خط طويل ابيض ينتهى بمقدم سفينة ثانية .

كانت الليلة مقمرة والنجوم تتلألأ والامواج تعبث بالسفينة الماخرة في ثبات وتصميم وكانت الريح تعصف قليلا وقد خيم صمت وسكون . وكنت احد القلائل الذين انفردوا بانفسهم .. لقد كانت الليلة ساحرة وداعبت الذاكرة ابيات من الشعر والافكار والخواطر ، ولم تعد ذكريات الامس القريب الا صفحة بيضاء كأن الذاكرة قد اسدلت ستارا رقيقا ، ولم اعد ارى الا هدفا .. طريقه هذا البحر المتلاطم .. وهذه الارض الجديدة .. ثم قادتنى قدماى الى قمرتى ونمت نوما عميقا خال من الاحلام ...

مرت الليالى القليلة في عمل متواصل واستعداد وتحفز حتى كانت لحظة النزول الى البر ، الى الارض الجديدة .. هذه الارض العربية التى تفجرت بها براكين الثورة .. كان الامام قد هرب الى الحدود وكانت قوات الثورة تزحف في جنون وحذر تطهر الارض ـ المتعطشة للحرية ـ من براثن الفساد والرجعية وكان جيشا واحدا مختلطا .. ودبت الروح من جديد .. وتعانقت القلوب وتركز الهدف .. هدف واحد هدف امتدت جذوره عميقة .. هدف القضاء على الرجعية المنهارة ، والتى بدأت تتجمع فيما وراء الحدود تتوارى في الظلام .. في الكهوف في جوف الوديان السحيقة الخائنة ..

توالت الانتصارات في الصحراء ، في الجبال ، في الوديان .. كنا نقفز كالشياطين كأننا كنا نعرف هذه الارض من امد طويل . لقد كانت تذكرنى بجبال سيناء .. سلسلة جبالنا الممتدة على طول الساحل .. كانت صيحاتنا ترهب المتسللين فيفرون كالفيران المنزعجة تاركين وراءهم ادوات الخيانة ودمهم الأسود الذى لطخ الوديان وقمم الجبال الشماء ولم يكن يظهرها الا الدماء الزكية المناضلة الثائرة .. وكان القمر ينفذ من خلال السحب فينشر الضياء ويبارك كفاحنا ويهدى رجالنا بين الدروب وفوق القمم الى الهدف .. الى النصر..

كم من ايام سعيدة قضيت بين القرى التى كانت تشارك الجيش الموحد انتصاره .. كم من قلوب متفتحة للحياة الجديدة ضحت بالكثير في سبيل الهدف ، في سبيل الحرية .. لم تكن الحياة المظلمة التى عاشها الشعب هناك في ظل حكم الامام، لتطمس ارواحهم .. فقد عادت اليهم الروح بمجرد اندلاع الثورة المقدسة ، وكان كل فرد يعرف طريقه ويعرف مهمته ويعرف هدفه ، هو القضاء على الرجعية ... والقضاء على الخونة ...

مضت الشهور وقد تحررت الارض الجديدة. وكنت أردد دائما الآية الكريمة « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »...

وكنت اقرا خطاب هدى خطيبتى وهى تذكر لى هذه الآية التى ذكرتها مرة في خطابى لها .. وهى مسرورة فرحة بهذه الآية وكانت روحها معى حيث

بلاد الذكريات الخالدة .. حيث كانت هنا مملكة مزدهرة وحضارة عريقة مقدسة ، ولغة قديمة طباعة للشعر والادب .

وكانت هدى طوال هذه الشهور تكتب الى واكتب اليها ، وكنت اقرا خطاباتها فى كل وقت ... فى كهف ، فى وادى عميق .. تحت اشعة الشمس المحرقة .. تحت ضوء القمر الفضى الذى يعكس بريق الجبال الشماء الخالدة .. هذه الجبال التى يداعبها ضوء القمر وكانه يفهم سرها .. وكان هذه القمم كانت تدخر اسرارها لهذا الزمن .. وهذا الجيل الذى سقاها من رحيقه الالهى .. فدبت فيها الحياة وكشفت عن سرها الذى كانت تطويه فى جوف الزمن .

هناك فى ارض النيل .. النيل الخالد وهناك منابعه القريبة المختفية وراء الجبال الممتدة على شاطىء افريقيا عبر البحر الذى تحف شاطئيه بلادنا الموحدة .. لقد ذكرتنى هدى فى خطابها الاخير بأن هناك فى ارض النيل صحراء تشبه هذه الصحراء .. وجبالا تشبه هذه الجبال ورباضا وخمائل وبساتين تشبه هذه الخمائل وهذه البساتين وكنت ابتسم فى سعادة وهدى تربط بين خيالى وخيالها وتمزق الاستار التى كنت قد اسدلتها على ذكرياتى قبل هذه الشهور .. لقد كان امامى الهدف ولم اكن ابغى أن يشغلنى عنه اى خاطر من خواطر الفكر الطائر او اى ذكرى من ذكريات القلب الطروب ...

لقد ذكرتنى هدى بأيام التدريس .. وسالتنى هل انا اعامل جنودى بهذه الرقة التى اعامل بها تلاميذى .. لقد اعادت لقلبى ذكرياته وانا بين تلاميذى اشرح لهم وانا فى نشوة المهنة كانى فى محراب صلاة .. وكم تالمت للاطفال هنا .. اطفال هذه القرى البعيدة البائسة .. وداعب الامل خيالى ، فانهم سوف ينالون حظهم من العلم والدرس وسوف تنتشر هنا المدارس كما انتشرت فى قرانا .. هذه البلاد الجميلة سوف يمسح العلم عن عيون ابنائها خمول الماضى وقسوته .. وسوف تكتسى هذه السفوح الخصبة والوديان المعطشى ، بالزرع الأخضر وتتحول الى حقول يعم خيرها الناس .. وتتحول الصحراء الى مراع مترامية خضراء .. يا الهى كم شطح بى الخيال .. كلا ولكنها الحقيقة ...

لقد ازددت اعجابا وزهوا بهدى ... فانها لم تحدثنى فى خطاباتها التى اربت على العشرين عن العودة .. ومتى اعود .. بل كانت تقول دائما انها تفخر بالانتصارات التى نحرزها .. وان القلوب تدعو والارواح تتجاوب فى انفعال وصلاة مع ارواحنا وقلوبنا .. لقد اثارنى حنينها من بين ثنايا السطور ، انى اسبح بخيالى فى كلماتها حتى استطيع ان استشف هذا الحنان .. هذا الحب الذى ترويه بدموعها .. حتى دموعها التى لم تذكر عنها شيئا كنت اكتشفها من اثر قطرة اخفت معالم كلمة لم تلحظها .

كانت معركة الامس على الحدود قاسية ، وكانت الشمس تبزغ من وراء الجبال عندما رجعنا . وكانت دروب الجبال مغطاة بالجثث .. جثث الاعداء .. ومدافعهم الصغيرة متناثرة هنا وهناك ، وكانت سحنهم غادرة خائنة .. فقد فاجأناهم من فوق القمم بالقنابل ثم بالمدافع حتى نثرنا الرعب فى قلوبهم واختلطت صيحاتهم بدوى الانفجارات والصرخات حتى انجلت المعركة التى انفجرت فى جوف الليل وامتدت حتى الفجر بهذه الاشلاء وهذه الاسلحة الكثيرة المبعثرة ، وكانت آثار هروبهم ظاهرة ..

فى المساء بعد ما ازلت عن جسدى غبار المعركة وكنت قد اعتدت ان اسامر مع زميلى عادل ونتناقش فى أمور كثيرة ، كان دائما يبدى ملاحظاته الذكية الفاهمة ويتنبأ بمكان المعركة القادمة ، فكان يعرف الدروب والممرات كأنه قد عاش هنا منذ طفولته .. وكان فى جلسته الهادئة يسرح بطرفه بعيدا ثم اغمض عينيه ... لقد كان حزينا لفقد الشاويش حسين .. انه خسارة كبيرة ..

ودار الحديث حول هذا البطل الذى كان لا يفارق عادل فى كل المعارك .. كانت طريقته فريدة عجيبة .. فكم من متسلل لقى مصرعه على يديه او وقع اسيرا فى قبضته الفولاذية ..

كان الشاويش حسين من بورسعيد .. شهد منذ طفولته مسرح جنود الاحتلال وفقد اقارب كثيرة فى الغارات خلال الحرب العالمية الثانية .. وعندما اشتد عوده كافح الانجليز فى القتال وكان فى كل اعماله بطلا .. وشهد خروج الانجليز وبعد اشهر قليلة شهد غدرهم وهم يعودون اشد قسوة وشراسة .. وفى قلب بورسعيد وسط نيران العدوان

القاسم اظهر من انواع البطولة حتى انتصر ... وانتصرت بورسعيد وشهد انسحابهم الذليل فاقسم انهم لن يعودوا ابدا ... وسوف يكون درعا ثم تطوع ليكون على استعداد لخدمة الوطن العربي .. لكان من ابرز جنود الصاعقة حتى اصبح معلما مدربا .. وكان اول من نزل ارض اليمن الثائر وحارب هذه الاشهر حتى انتصر ثم كان الفداء الذى هز المعسكر كله ... واقسم الآخرون ان ينتقموا.. وطالت جلستنا .. ولمحت يد عادل وهى تمسح بسرعة دمعة غافلته ..

كثرت محاولات المتسللين وانتقم عادل والزملاء ...

لقد وصلني خطاب من هدى .. مالها حزينة .. لقد كان خطابا مقتضبا .. ولأول مرة تكتب متى اعود .. لقد طالت الغيبة .. انى حزينة .

لقد حيرني خطاب هدى الأخير .. لا أدرى سببا لهذا الحزن ، شغلني التفكير فيها عدة ايام وكانت الجبهة هادئة الا من ازيز وصفير الطائرات من وقت لآخر .. وكنا فى سهل فسيح .. وكان هناك راع صغير بعيد عن قريته ، يجلس فى ظل شجرة وارفة واغنامه القليلة ترعى فى هدوء ولم يكن يخيفها الا مروق الميج الذى يرعد فى دوى تردد صداه هذه السهول والسفوح ...

وطافت بفكرى ذكريات الاشهر التى مضت .. شريط الاحداث التى مرت .. صورة القاهرة ..ثم صورة القرية التى نشأت بها على الحدود الغربية للدلتا حيث تتشابه حياة السكان من اعراب الصحراء الغربية وفلاحين وقد خرج منهم خليط عجيب ، فقد اكتسب كل منهم تقاليد الآخر وتزاوجوا .... لم اودع هدى ولم أقل لها كلمة بل كانت تنتظرنى على موعد بعد عدة ايام ، وفوجئت بسفرى ..

وكان خطابها الاول قلقا ولكن بعد ان اطمأنت الى معاركنا المنتصرة .. كانت خطاباتها كلها ايمان وامل ووطنية وقوة دافقة أشعرتنى بقوتى وبقوة القضية التى نحارب من اجلها .. حتى كان خطابها الاخير .. هذا الخطاب الحزين .. حتى علمت بوفاة والدها .. ووجهت اليها كلمة رقيقة بالاذاعة والتليفزيون .. ووصلنى من اهل ما يطمئننى بان هدى تحت رعايتهم ، لقد أصبحت يتيمة وحيدة ..

كان المعسكر الضخم الذى يمتد مئات الاميال على استعداد..كانت امدادات جديدة تصل ووجوه جديدة من كبار الضباط .. وانضم جنود من اليمن بعد تدريبهم الدقيق . انهم فئة محاربة لديهم شجاعة نادرة وقوة احتمال تثير الاعجاب .. أليسوا هم احفاد الاجداد الاول الذين خرجوا من الجزيرة العربية ... من بطاح اليمن ، قبائل باكملها فى جيوش الاسلام تحت قيادة خالد وعمرو وسعد ابن ابى وقاص .. وفتحوا بلاد الدنيا فى ذلك الوقت والآن هى البلاد العربية التى ترعد فيها كلمة القومية العربية وتصطخب امواج الشعوب فى هدير تطلب الوحدة .. من الخليج الى المحيط ..

توافدت شيوخ القبائل على المعسكرات لتشد ازرنا ، بعد أن عرفوا الحقيقة وافاقوا من تعاوية الامام وادعائه وعرفوا حقيقة وجودهم .. وارتفعت اصواتهم بالولاء للثورة .. لقد تحررت النفوس الضالة ورددت الآية الكريمة « وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون».

كان شهر فبراير دافئا الا من قرصات البرد فى الليل فوق القمم .. كانت المعركة الكبرى قد بدات وبدأ الزحف والتف الجيش بكل قوته حول المواقع وسدت الممرات الجبلية .. وفر العدو ، ووقع الكثيرون فى المصيدة كالفيران .. وحوصر الخونة والمرتزقة وسقط شهداء .. حتى وصلنا للارض المقدسة لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ....

لم أنم تلك الليلة فقد عصر الحزن قلبى .. فقد استشهد عادل بعد معركة بطولية .. هذا البطل الشهيد هذا الزميل والصديق والأخ ..

لقد ارسلت لهدى خطابا واخبرتها باستشهاد عادل . اظنها ستحزن كثيرا لانها تعرف انه صديقى. لقد كانت الكلمات التى كتبتها فى خطابى رقيقة حزينة ... وكنت لا اود ان اكتب اليها هذه الكلمات الحزينة ولكن كان لا بد ان اكتب اليها هذه الكلمات .. انها ستعرف ان هنا على هذه الارض جنودا .. بل أبطالا يصنعون التاريخ ويحمون الحدود .. وعلى كاهلهم يقع صد حملات الرجعية البالية المتوحشة التى يؤازرها الاستعمار المترنح البغيض والصهيونية البغيضة الدنيئة ... عليها أن تتعلم كيف تتقبل كل الانباء السيئة منها والمفرحة ... ولكنى فى ختام خطابى اعطيتها امل عودتى قريبا .. قريبا بعد المعركة الكبرى ...

صالح يوسف الاحمر

ليسيه الحرية بالاسكندرية

السيد محمد كريم
حاكم الاسكندرية الشهيد
للأستاذ منصور جاب الله

فى شهر سبتمبر من عام ١٧٩٨ ، وفى ميدان الرميلة : أخذ المستعمرون الفرنسيون رأس «محمد كريم» فسقط البطل العربى المغوار يتشحط فى دمه وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها تستشرف لجنات الخلد بين الشهداء والأبرار وحسن أولئك رفيقا .

***

ولم يرع المستعمرون حرمة الموت ورهبوته فطافوا برأس الشهيد على ملأ من سكان القاهرة يشهدونهم أن البطل الذى دافع عن حرية بلاده وأذل المستعمرين قد مات !

***

واستشهد محمد كريم حاكم الاسكندرية الوطنى دون أن تلين له قناة ودون أن يخضع لأوامر المستبدين الذين قضوا عليه بأن يؤدى غرامة قدرها ٣٠٠ الف فرنك لانه « خان » أعداء الوطن !

فمن هو محمد كريم الذى ملأت سيرته بطون الاسفار وصار مثلا للوطنية والخلق الكريم ؟

***

نشأ فى الاسكندرية يتيما وكفله عمه ، ثم اشتغل مع أخيه فى التجارة وتحول عن التجارة الى مهنة القبانة ، وكان فى خلال ذلك يدرس التصوف على احد كبار رجال الصوفية واشتهر بين الناس بالتقوى وحسن المعاملة وحلاوة المنطق ، فأهله ذلك لمكان الزعامة بين أهل الثغر فكانوا يستشيرونه فى خصوصيات أمورهم ولا يقطعون فى شأن دون رأيه .

***

وغنى عن البيان أن الشعب المصرى كان كثير الثورات على حكامه الأجانب الجائرين ومن ثم ثارت الاسكندرية بواليها التركى (سيد شهبة) وطردته حوالى آخر شهر رجب سنة ١٢٠٠ هجرية .

وانتخب الشعب السكندرى زعيمه السيد محمد كريم واليا عليهم وأرسل السكندريون الى « الباب العالى » يطلبون اقرار هـذا الانتخاب فاستجابت تركيا لهذه الرغبة الاجماعية وأرسلت الى السيد كريم « فرمانا » بتعيينه واليا على الاسكندرية .

***

وبعد ما استتب الامر للوالى الجديد ، أصدر مراد بك حاكم مصر اذ ذاك أمرا بتعيينه مديرا لجمرك الاسكندرية وكان منصبه يضارع منصب الحاكم فكأنه جمع الرياستين بيد واحدة .

وقد أجمع المؤرخون على أن السيد محمد كريم استحق الخلود فى أسفار التاريخ بعملين رائعين من أعمال البطولة التى كانت تندر فى ذلك الزمان .

***

اولهما أنه حينما بلغ الاسطول البريطانى ثغر الاسكندرية فى ٢٨ يولية سنة ١٧٩٨ مطاردا العمارة الفرنسية التى قدمت بقيادة نابليون بونابرت لغزو مصر، وعرض نلسون القائد الانجليزى الشهير على الحاكم المصرى أن يتولى الاسطول البريطانى حماية الاسكندرية من الغزو الفرنسى المرتقب ، رفض «كريم» العرض بإباء وشدة : فطلب القائد الانجليزى تزويده بالمؤن والماء لقاء أجر كبير ولكنه رفض أيضا ولم يخضع لوعد او وعيد . ومن ثم أقلع الاسطول البريطانى من الميناء خاسئا وهو حسير .

وعلى ذلك يكون محمد كريم أول حاكم مصرى أنكر الحماية الاجنبية ودفعها عن بلاده .

***

أما الامر الآخر فهو موقفه الرهيب من بونابرت الذى دوخ العالم ودانت له الرقاب ، اذ تزعم حركة الكفاح الشعبى ضد الاحتلال الفرنسى وحمل الشعب على قتل الجنود الفرنسيين أينما وجدوا فى أرجاء المدينة وضواحيها ، فكانت مقتلة عظيمة ارتاع لها القائد الفرنسى ، وقتل الجنرال ماس قائد المقدمة ، وجرح الجنرالان كليبر ومينو وكاد نابليون نفسه يلقى حتفه . وتترس المصريون بقلعة قايتباى حتى مطلع الفجر .

***

وقد حمل السيد محمد كريم تبعة هذه المقاومة الشعبية الرائعة كما حمل أيضا تبعة الكفاح السرى

مما نشرته الرسالة عام ١٩٥١
ثوروا على الفقر قبل أن يثور

ان تعليم الشعب معناه ان تزول الغشاوة عن عينه فيبصر ، وأن تنجلي الغشاوة عن قلبه فيفقه ، وأن تذهب البلادة عن عصبه فيحس • ومتى يبصر الشعب ويفقه ويحس ، يدرك الاختلاف بين حال وحال ، ويميز الفرق بين طبقة وطبقة ، ويقرأ العدد الاخير من مجلة (آخر ساعة) مثلا فلا يكتفي منه بالصور تلهيه ، ولا بالاخبار تسليه ، وانما يوازن موازنة الواعي المفكر بين ما صورته من عيد رأس السنة الميلادية وما أقيم فيهمن مآدب ومراقص فاضت بالنعيم ، وتلألأت بالجواهر ، وازدهت بالحلل ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخمر ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل ، وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفا مؤلفة من الجنيهات المصرية تمثلت على الاجساد المترفةالبضة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم مما يجلبه الغنى الفاحش منكنوز أوربا ! يوازن بين هذا وبين ما صورت المجلة في العدد نفسه من بؤس الفلاح في قرية (مناوهلة) بالمنوفية وما يكابده من كرب العيش • وغصص الفاقة ، ومض الأمراض ، وعنت الملاك ؛ وهبوط دنياه الى دنيا البهيم ، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذي ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الاعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الانتاج ولا يشارك ، فتصدمه الموازنة لانه علم ، وتؤلمه النتيجة لانه أحس • ويومئذ يسالكم يا أصحاب المعالي هذا السؤال : « ماذا تصنعون على الكراسي التي وضعتكم عليها بيدي ، وكافأتكم على الحركة فيها بمالي ؟ » •

ولعلكم تدركون يا أصحاب الجاه والسلطان ، ان الجواب عن سؤال الشعب غير الجواب عن سؤال البرلمان ! •

أعداؤنا الثلاثة يا أصحاب المعالي وهي الجهل والفقر والمرض لا تعرف هوادة ولاتقبل هدنة • فأما الجهل فالصراع بينه وبين وزير المعارف شديد • والعالم كله يرقب هذه المعركة الشعواء بعينالاعجاب والثقة ، والنصر ولا ريب مكفول لمن لا يقبل النكوص ولا يرضى الهزيمة • وأما الفقر والمرض فقد تركتموهما يعيثان فيالقرى والمدن ، يبذران الشقاء والوباء ، ويسخران من وعودكم التي تعلن ولا تنجز ، ومن مشروعاتكم التي توضع ولاتنفذ • واذا أنجز منها وعد أو نفذ مشروع ، كان لمصلحة الأغنياء ومنفعة الاصحاء على حساب الفقراء والمرضى !

الزيات

* * *

(السيد محمد كريم ـ بقية)

بعد ذلك وبخاصة بعد فشل حملة « ديبوى » على دمنهور ، وقد كان هدفها تأمين الطريق الى رشيد • ولكنها اذ منيت بالخزلان عادت أدراجها واعترف قائدها بأنه وجد الآبار في الطريق مسممة وأن العربان والأهلين قتلوا كثيرا من جنوده بتحريض حاكم الاسكندرية الوطني •

وفرض كليبر القائد الفرنسيعلى أهل الاسكندرية غرامة حربية مقدارها ثلاثون الف فرنك لعدم اذعانهم لاوامره ، فعارض السيد محمد كريم في أدائها ، وزاد على ذلك بأن أخفى الجمال ودواب الحمل وقرب المياه حتى لا تحمل الميرة والذخيرة للجيش الفرنسي •

واذ تمادى السيد محمد كريم في معارضته للاحتلال الفرنسي بعد فشل حملة ديبوى اعتقل وحمل الى القاهرة ، وحكم عليه بالموت ؛ وعرض عليه نابليون أن يفتدى نفسه بالغرامة الفادحة التى أشرنا اليه في صدر هذا الكلام ولكنه أبى قائلا « اذا كان مقدرا على أن أموت فلا يعصمني من الموت أن أدفع هذا المبلغ • واذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه ؟ » •

❊ ❊ ❊

وحمل الشهيد على أتان الى ميدان الرميلة وهو يهتف من أعماق قلبه « يا أهل مصر اليوم قتلي وغدا قتلكم ، اليوم بي وغدا بكم » •

وهكذا كان البطل الثائر محرضا على الثورة حتى نفسه الأخير •

ورفض الشهيد أن تعصب عيناه حين عرض على فرقة الموت ، وأخذه رصاص المنون من كل مكان وهو مفتوح العينين ينظر في الأفق البعيد الى اليوم الذي يرى فيه وطنه متحررا منصورا •

منصور جاب الله

على طريق الثورة

أخلاق جديدة

للأستاذ عبد الفتاح بركات

الحب فى هذا الزمان يارفيقتى
كالحزن لا يعيش الا لحظة البكاء
او لحظة الشبق .
اذا افترقنا يارفيقتى فلنلق كل اللوم .. على زماننا
ولننفض الأيدى من التذكار والندم
ولنمسح الظلال عن عيوننا
ولنبتسم فى ثقة بأن ماحدث
كان ارادة القدر .
وأن آمرا امر
واننا استجبنا للذى نحسه
حين قتلنا حسنا
ولننطلق مغامرين ضائعين فى البحار العكره
نمد جسمنا فى الغرف الجديدة المؤجرة
بين صدور أخرى معتصره

هذه ريح مؤذية لأخلاق وافدة غريبة ، تصور الضياع ، وعدم المبالاة ، والقلق المفتعل ، وجناية استغلال التعبير الادبى فى الترويج لها انه فى هذه الحالة يأخذ صفة المخدر فيضفى على الانحراف سمة الفكر ، ويجعل من المغامرة الطائشة حتمية عصرية ، ومن هنا يتخذ نفس دور الاقطاع الزراعى والصناعى فى تعفين المثاليات القومية حين يعتبر « مثلا » العجز قناعة ، والرضا بالذل صبرا ، والسلبية طيبة صالحة . وواجبنا ان نحاصر هذه الظواهر النكوصية بالتزام خلقى جديد يرتفع بقيمنا الاجتماعية الجديدة الى مرتبة الواجب ، والا ندع فرصة للفردية لتكون مصدرا للنزوع الشخصى فمن الولاء للثورة وهى جماعية الطابع أن نرى سلوكنا – اهم عوامل البناء المعنوى – بمقومات حيوية متجددة ، تخضع للتقويم المستمر بكافة الطرق الاعلامية والتربوية ، وبمقدار نجاحنا فى تكوين هذه التربة النقية تتهيأ لنا صحة خلقية يكون تكيفها مع طريقنا الاجتماعى الجديد مجديا ومثمرا ، وفى هذا المجال يقول الرئيس جمال عبد الناصر .. « وقد بدا لى فى بعض مامر بى من صور الحياة المصرية فى عهد مضى ، ظاهرة خطيرة لها نظائر كثيرة فى غير مصر هى ان الأخلاق والمثل العليا ليست هى دائما الطريق الى النجاح ، بل لقد بدا لى أن أهل الفسادق احوال كثيرة اقرب الى النجاح فى الحياة من اهل الخلق والفضيلة .. وقد آذتنى هذه الظاهرة ايذاء شديدا » .

لقد كان الانسان منذ ان انفصل عن جماعات الحيوان بتكوين مجتمعاته يبحث لنفسه عن معالم خلقية يلتزم بها فى كل مرحلة من مراحله الانتقالية ليتكيف مع حيوانهالتى يقيمها عقلهالخلاق مستهديا بجماعيته المتطورة ، فبدات اخلاقياته تظهر متفرقات فى حكم الشعراء ، ثم دخلت بعد ذلك فى دور فلسفى طويل على يد ارسطو والمدارسالتى تلته ، ثم تلقفتها الأديان واحتفلت بها واضفت عليها قدسيتها واعلن نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم انه جاء ليتم مكارم الأخلاق ، واثنى عليه ربه جل وعز بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » وحمل الاسلام الرسالة عبر القرون الوسطى ليصلها بالعصر الحديث . وجدير بنا وقد وصلنا شوطا بعيدا فى بنائنا الاجتماعى الجديد حتى غدت المعالم القديمة تبدو وكأنها رؤى معتمة غائمة ، ان نعمق فى شعورنا فردا وجماعة مثلا اخلاقية قوية تثير فى نفوسنا كل حوافز المقاومة لاى نية مخربة ، وبذلك نحرس اقتصادنا السليم ، ونضيف اليه بهذه المعنويات البناءة ثراء وتطورا ، ولا نشك بمقدار ذرة فى ضرورة الانبثاق الدينى لهذه الاخلاق ، ويدعم هذا الاعتقاد دواع كثيرة منها ان مذهبنا الاقتصادى لم يفد الينا من خارج حدودنا حتى نتخذ له اخلاقا مدنية خالصة ، وانما سلكنا فى التقعيد له مسلك التجربة المحلية المستمرة مع الاستناد الى مبررات دينية وتطبيقات مرت بتاريخنا الاسلامى الخصب ، واذن فليس غريبا أن نسلك مثلنا فى الالزام بالواجب هذا الطريق نفسه ، وبهذا نفتح للضمير افسح المجالات لنمائه وحيويته ، هذا علاوة على أن للأخلاق الدينية فلسفيا

ميزة يتحدث عنها الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول « يدعونا القرآن لأن نوجه انظارنا نحو الله وان نطيع اوامره ، وان نعمل ما فى وسعنا للتوفيق بين اوامر الله ومقتضيات الحقيقة الواقعية ، وبذلك تتصل الحلقات التى حاول الفلاسفة فصمها ، ويتحقق الارتفاع نحو المثال الأعلى مع مراعاة ما تقتضيه الطبيعة الانسانية » .

الى هنا ونرجو الا يخطر بظن انا نريد من الدولة ان تمسك بعصا موسى استنادا الى الحكمة المأثورة «ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » لأن العصا لا تكون مجدية فى المدى الطويل لالزام الشعوب بتطور خلقى ، وانما المجدى حقا فى هذا المجال أن تبدى الأجهزة كلها جماهيرية وادارية اهتمامها الكامل بالنماذج الأخلاقية الصالحة . تشجعها وتمنحها القوة فى مواجهة التحديات المعوقة ، حتى تظل حلقات نموها متصلة ومستمرة ، هذا مع كشف طفيلية الانحراف ودوره الانهزامى فى كل عمل تقدمى نافع . فالغيرية فضيلة يجب أن يكرم صاحبها ، لان الفردية فى الفرد روح متمردة على نشاط الجماعة تؤمن بالخيانة والانتهازية ، ولاتكون فى الادارة الا تسلطا برفض التعاون . والصراحة اولى بالانسان الاشتراكى من النفاق لانه خلق الاقطاع الاثير ، ولايتفق مع نشاط انسانى نظيف ، ونظل مع التحليل الخلقى حتى نصله بنظيره فى مصادرنا الدينية فنجد ان « انا .. وبعدى الطوفان »كلمة قالها طاغية فاغرقته وحده فى الطوفان ، وان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .

اننا بذلك الربط الواعى بين اخلاقنا الاجتماعية ومصادر العقيدة سوف نهيىء لضميرنا العام فرصة النقاء من كل مخلفات رديئة للنظم البائدة فى التربية والعلاقات العامة ، واعتقد أن اعيننا سوف ترى عند مستشرق هذا الأفق فى كثير من الوضوح والجلاء ان السلوك مسئولية ، وان الشجاعة والتعاون والأريحية معان هى كالمشاعل المضيئة تنير للسائرين السبيل ، وان الحب فى مستوى متفوق على لحظات الشبق بين الصدور المعتصرة فى الحجر المؤجرة ، لانه حبل رقيق من ورق الورد يربطنا بالوفاء وبالولد وبرفيقة الحياة .. وبالحياة .

عبد الفتاح بركات

الفنّ فى مجتمع العراق العشائرى

للدكتور مصطفى محمد جنين

يعد الشعر أهم تعبير فنى فى العشيرة العراقية ، ومكانته عند عشائر البادية شبيهة بمكانته عند عشائر الارياف ، ولهذا اللون من الفنون خطر فى حياة العشائر ، فهو الاداة التى يستعينون بها فى المنافرة ولاثارة الهمم عندما تحزب الامور ، سواء أكانت الاثارة لغزوة على عشيرة أو جماعة ، او لثورة ذات أهداف سياسية كما حدث فى ثورة ١٩٢٠ . ومن الابيات الجميلة التى هزتنى من الشعر السياسى بيت قاله أحد الشعراء الشعبيين فى وصف معركة عرفت فى ثورة ١٩٢٠ بمعركة (بنشة) حيث عاد منها المجاهدون من عشائر الفرات :

لعارج اعله اهواى عربة بنشة

والى يرشه ابماى ابدم نرشه

ومعناه أن الانجليز قصدوا احتلال بنشة فنثرنا دماءهم على الارض ، وأنه اذا تعدى أحد على حبيبى ارش دمه مثلما رش دم الانجليز فى بنشة .

والشعر الشعبى أداة قوية ، دافعة عنيفة الدفع ، شديدة التأثير فى النفوس ، ويستعين رؤساء العشائر دائما بالشعراء عندهم لتحريك الجموع ، حتى أن قصيدة واحدة قالها شاعر دفعت عشيرة كاملة لحمل السلاح ، ويكون للبيت من الشعر فعل النار فى الهشيم اذا هتفت به امرأة فى معركة .

كما أن للشعر عندهم وظيفة اجتماعية هامة ، فهم اذا لم يرقهم تصرف مستحدث من جماعة أو فرد ، فان بيتا ، أو أبياتا من الشعر - تنتشر على الالسنة كفيل بأن يدفع صاحب تلك العادة المستحدثة الى نبذها والتبرؤ منها على الفور . كما أن الشاعر يعد عندهم مؤرخ الاحداث ومسجلها .

هذا بالاضافة الى أغراض الشعر الاخرى من توجع ورثاء لآل بيت رسول الله وخصوصا امير الشهداء الامام حسين بن على ، وهو غرض ضخم من أغراض الشعر العراقى ، كما ينظم الشعر فى وصف الناس وأمور الدنيا والمفاخرة - الا أن وصف الطبيعة أقل الأغراض تناولا .

وما جلست الى رجل من عشيرة فى العراق الا

وكان يحفظ العديد من الابيات يتمثل بها فى المناسبات . وكلما ارتقى الصف الاجتماعى الذى ينتظمه الفرد ، كان اهتمامه بثقافته فى هذا الميدان كبيرا . وهم يتبارون فى حفظ القصائد والدواوين الكاملة احيانا ، لا لشعراء العشائر الشعبيين فحسب ، بل للشعراء العرب القدامى ايضا ، ويرون فى هذا علامة تدل على علو كعبهم فى ثقافة فكرية لازمة فى مجتمعهم .

وهم فى التفافهم حول شاعر معين لا يهتمون ان كان من عشيرة أخرى منافسة بل ان اشتراكهم فى التأثر بنفس الشاعر يعد - فيما يرى الاستاذ عباس العزاوى - دليلا على اتحادهم فى المشارب وفى آدابهم العامة . واذا كان هذا هو تأثير الشعر ومكانه فى العشيرة ، فان هذا يدل على مكان الشعراء واحترامهم فى العشيرة الذين يلتف حولهم الرواة فالشاعر هنا هو الناقد الاجتماعى ، والمؤرخ المسجل لاحداثهم ، وقصيدة مشهورة منه ترفع القدر او تذل ، وتذيع الفضل او تهدم كل جليل بناه صاحبه . فهم هناك أداة « الدعاية » الهامة ، وأثر دعايتهم اخطر بكثير من آثر أدوات الدعاية المستحدثة من صحافة واذاعة ، فاننا قد نقرأ المقال او نسمع الحديث ، ولا يبقى فى ذاكرتنا منه الا اقله ، ولكن البيت الساخر او الذى يصور موقفا او حالة لجماعة او لشخص - ان قاله شاعر منهم - فان البيت سيتناقله الرواة على الفور ، ويحفظه الجميع ؛ وتبقى الصورة التى رسمها فى ذاكرة الجماعة كلها كاملة واضحة . ومن هنا كان اثرها اعظم واعمق وابقى ، فلا زال للشاعر البدوى فى العشيرة العراقية نفس الاثر الذى كان للشعراء العرب القدامى ، اذ كان بيت الشاعر كثيرا ما يذل ويخفض ، كما يزيل الذل وينفضه . وقد أخذوا أخيرا ينشرون للشعراء الشعبيين فى عشائر العراق دواوين خاصة كديوان الحاج زاير ، كما أخذوا يجمعون شذرات ما نشروه فى دواوين مختلفة يجعلونها أحيانا متضمنة لشتى مواضيع الشعر العامى ، أو لموضوع واحد ، فى مرثيات الحسين وآل بيت رسول الله ، وهو موضوع شائع من موضوعات الشعر العامى فى العراق . كما أخذوا يهتمون أيضا بجمع تراجم مختلفة عنهم .

ونحن هنا نتكلم عن الشعر الشعبى الذى ينظمه شعراء العشيرة بلهجتها الدارجة ، ولابد للشاعر أن يلجأ الى استعمال هذه اللهجة ، والى استعمال معارف الجماعة التى يعيش بينها ، فلا يخرج عنها حتى تكون كلماته مفهومة ، ويكون لشعره الاثر الذى يريد أن ينقله كأداة فنية الى مشاعر الناس . وهذا الشعر العامى كان يسمى قديما بشعر « الحسكة » ولا زال الكثيرون يسمونه بهذا الاسم الى اليوم .

ولم يقتصر الرجال منهم على نظمه فقط ، بل نبغت أيضا عدة نساء أجدن من النظم فيه كفدعة ، ودرداغة ، وشيخة ، وكثير من امثالهن ، ولا يزال نظمهن محفوظا مستحسنا الى اليوم .

وهم يسمون القصيدة من شعرهم العامى « القصيد » وهى من ناحية التركيب لا تعد نظما صحيحا ، ويعبر عن هذا الاب انستاس الكرملى فيقول : « ان النظم عند هؤلاء الاعراب ليس نظما صحيحا ، يعنى انهم لا يتخذون وزنا من الاوزان (ولو كان من اختراعهم وخالى الوجود فى علم العروض) فانك لا ترى فيه تكرار بيت واحد على الوزن الذى تقدمه . بل الشىء الوحيد الذى تراه قد بقى عندهم من اثر الشعر القديم وهو وحدة الروى لا غير
بيد أنهم قد صنفوا شعرهم العامى أنواعا مختلفة ، ووضعوا لنظم كل نوع منها قواعد معينة ، وانا لنذكر الأنواع التالية وهى أكثر انتشارا بين عشائر الريف عنها فى عشائر البادية . ولم أستطع - لضيق المجال هنا - أن أذكر امثلة عن كل نوع منها ، فأكتفى بتوضيح القواعد الضابطة لكل منها ، وأحيل فى بيان الامثلة عنها الى ما ذكر فى كتاب السيد عبد الرازق الحسنى « الاغانى الشعبية » وكذلك ديوان الحاج زاير وغيرهما .

(١) **الموال** : (كشداد) وهو نوع من النظم كان اول من استعمله « السادة الموالى » من سادة الحويزة . وهو على خمسة اشطر وسبعة اشطر وتسعة .. وهلم جرا . وقاعدته انه اذا كان خماسيا ان يكون الشطران الاولان من قافية واحدة مع اختلاف فى المعنى ، والثالث والرابع من قافية أخرى مع اختلاف فى المعنى ، ويلى ذلك الشطر الخامس ، وقافيته يجب أن تكون من قافية الشطرين الاولين مع اختلاف المعنى . واذا كان سباعيا اتحدت ثلاثة الاسطر الاولى بقافية واحدة ، وهكذا ثلاثة الاسطر الاخرى فانها تتحد بقافية ثانية وترجع قافية الشطر السابع الى قوافى الاشطر الثلاثة الاولى . هذا مع

اختلاف فى المعنى بالطبع وهلم جرا .. وهو من البحر « البسيط » والموال الذى نتكلم عنه هنا غير الموال الذى عرف في العراق اثر نكبة البرامكة وكان يعرف باسم « المواليا » .

(٢) **(الابوذية)** : والابوذية كلمة مركبة من (أبو) اي ذو او صاحب ، و (ذية) وهي تخفيف اذية ، ومعناها (صاحب الاذية) . وقد سمي كذلك لان مؤلفه يكتبه وهو شديد التأثر بحالة نفسية معينة يستشعر منها الاذى والالم وهذا النوع من الشعر يتقوم من أربعة أشطر ، ثلاثة منها متحدة في القافية مختلفة فى المعنى ، والشطر الرابع يختم بياء مشددة ، أو هاء مهملة ، وتدور الاشطر الاربعة للأبوذية حول معنى تضمنه بيت أو بيتان عربيان قديمان مشهوران وقد انتشرت الابوذية في العراق في السنوات الاخيرة انتشارا عظيما وكان محل ابتكارها قصبة الحي على نهر الفرات اليسرى شرقي الكوت وهي مركز قضاء في لواء الديوانية ، ثم سرت الى جهات العراق المختلفة . فتفنن الشعراء فيها وصاروا ينظمونها في العتاب والهجاء والتوجع والفخر والغزل وغير ذلك .

(٣) **الهوسة** : وهو أكثر أنواع الشعر شيوعا بين القبائل العراقية وهي تتكون عادة من شطر واحد ، وتستعمل فى كل الاحايين وفي مختلف الاحوال ، ويرتجلها قائلها عادة بين جموع الناس ، يتناولونها بعد ارتجالها ويرددونها مرات عديدة بطريقة منغمة ، وهم يرقصون رقصات خاصة سأذكرها فيما بعد . والهوسة تؤثر على المهوسين كثيرا حتى تخرجهم عن شعورهم الاعتيادى فى كثير من الأوقات ، ولذا تستعمل فى الحروب أكثر من غيرها ، وهذا مثل لهوسة :

(أو هو يمسحها أو وداها) : قالها بنوز ربيع يعيرون الظوالم الذين أخذوا يسلمون الضرائب من البنادق التى فرضتها الحكومة المحتلة فانهم يمسحونها ويقدمونها .

(٤) **الميمر** : وهو كالابوذية ولكن بحره أبسط من بحر الابوذية ، ويكون من اربعة أشطر ، ينتهى كل من الثلاثة الاولى بكلمات متجانسة الحروف مختلفة المعانى ، وينتهى البيت الرابع بكلمة آخرها راء .

(٥) **الغناء** : ويسمى (نظم البنات) أيضا لان النساء يكثرن في العراق من هذا النظم وهو من « البحر الخفيف » ، ويقال له « الدرامى » ايضا . ومن امثلته : مر شخص من «الغراف» ببيت عشيقة له . فلما لمحته العشيقة سألت احد المستطرقين قائلة : اعرف بيت شعر طريف ، احفظ منه الصدر وقد نسيت العجز ثم أنشدت :

بل هنت روحي عليك
ريض لشـوقك

فادرك العاشق سر الامر وأجاب عشيقته قائلا : أنا اعرف العجز ثم نشد :

لا بي ارد وياك
لا بي اعـوقك

(٦) **العتابة** : وهو كالابوذية ، وتكون الاشطر الثلاثة متجانسة القوافي فى اللفظ ولكل منها معنى خاص ، أما الشطر الرابع فيختم بكلمة آخرها اما هاء ساكنة او ياء مخففة او الف مقصورة .

(٧) **المربع** : وهو على أبحر كثيرة كابحر القريض، وتستهل القصيدة منه بشطر أو شطرين ، ويتكون كل بيت من أربعة أشطر ، ثلاثة منها على قافية واحدة وروى واحد والرابع على روى الاستهلال وقافيته ، ولا ينظم فى هذا النوع الا القصائد الطوال .

(٨) النص : أبيات تجرى على روى واحد ووزن واحد الى حيثما شاء الناظم ، ويستعمل هذا النوع من الشعر للرثاء على الاكثر .

(٩) **النايل** : من البحر البسيط ، ويتكون من شطرين متحدى القافية .

(١٠) **اما شعر الحداء** : فهم يتغنون به عند ركوب الخيل وخصوصا اذا ما فزعوا وهجموا هجمتهم في غزواتهم . وفيه دائما شيء من التشبيب حتى يشجع الحادى نفسه ويشجع غيره من زملائه، والبيت دائما قصير ، لانهم يغنونه فى تكرار مستمر .

(١١) **واما شعر السامرى** : فانه يقال فى المسامرة ، وكله شعر غزلي ، وأبياته عديدة طويلة ، ويغنى فى حفلات السمر والزواج والطرب .

(١٢) **اما شعر الباردي** : فهى قصائد لوصف الاخلاق والعادات وطباع الناس وهى أقرب شيء الى الموال .

الدكتور محمد مصطفى حسنين

في موكب العلم

ما بعد منطقة الحيـــاة

بقلم فوزي الشتوي

في الســـنوات الاخيرة من القرن الماضي ســـجل الباحث الفرنسي « تيــيرانس دي‌بورت » ماوصف وقتئذ بانه اعظم الاكتشـــافات في تاريخ الارصـــاد الجوية . كان المعروف وقتئذ ان الحرارة تنخفض ٦ر٠ من الدرجة المئوية كلما ارتفعنا مئة متر

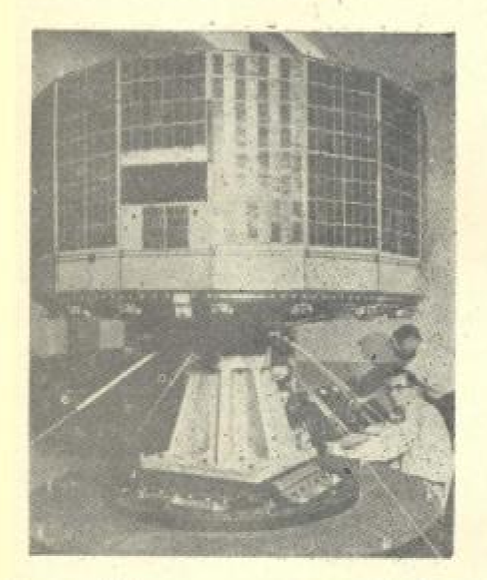
وكان المفهوم ان هذا الانخفاض يستمر الى مالا نهاية ، ولكن « دي بورت » استعان بالبالونات التي تحمل مقاييس تســـجيل الحرارة ، واطلقها في الجو لتسجل حرارته ، فوجد ان تناقص الحرارة صحيح الى ارتفاع نحو ١١ كيلو مترا ، اما فوقه ، فانهـــا لا تواصل الانخفاض ، بل من الجائز ان ترتفع قليلا

اكتشاف محير

وكان للاكتشـــاف صداه في الدوائر العلمية الباحثة عن اسرار الطبيعة ، اذ دل على وجود عوامل مجهولة لاتجعل الامور تسير على وتيرة واحدة ونظام ثابت. وظهر بعد ئذ ان «دي بورت » اكتشف منطقة جديدة تطلق عليها اسم الطخرورية (ستر اتوسفير) .

ومن الشـــائع الان في علم الارصاد الجوية اعتبار الجو ، فوق منطقة الحياة ، مقسم الى جزئين ، وفي الجزء الاسفل منه تتناقص الحرارة كلما ارتفعنا عن ســـطح الأرض . اما الجزء العلوي ، فشيء آخر تختلف احكامه باختـــلاف الارتفاع ، وكمية المادة الســـائدة فيه ، ونوعها ، ثم العوامل المؤثرة على هذه المادة ، واهمها اشعة الشـــمس

وللتبســـــيط اعتبرت الطبقة التحت الطخرورية الحد الفاصل بين منطقة الحياة ، حيث يمرح الانســـان والاحياء على كوكب الارض ، وبين المنطقة الطخرورية . وهذه المنطقة الفاصلة اشبه بغشاء عجيب الشكل ، فهو ســـميك فوق خط الاستواء ، ويصل سمكه الى



القمر الصـــناعي تيروس . ومنه اطلقت امريكا عددا ليدور حول الارض ويكتشف اسرار مناطق الهواء والعوامل المؤثرة على طقس الارض

● ●

نحو ١٨ كيلو مترا ، ثم يتزلق ، ويتقوس ويتناقص ســـمكه كلما اقترب من القطبين حتى يصـــل الى ٨ كيلو مترات فقط . ومعنى هذا ان ابرد المناطق في الهواء تقع على خط الاستواء اشد مناطق الارض حرارة

عوامل نقل الحرارة

وكان الســـبب في تقسيم جو الارض بهذه الطريقة الدراســـة التي أجراها العالم البريطاني « ارنست جولد» في عام ١٩٠٩ . وهي دراسة حسابية ملخصها

ان الحرارة تنتقل بثلاث وسائل هى الاشعاع المؤلف من موجات مغناطيسية كهربائية كاشعة الراديو ، مما يسمح لحرارة الشمس ، بان تجتاز شبه الخواء الموجود بين الكواكب ، وتصل الى جو الارض .

والعامل الثانى هو التوصيل ، فالحرارة تنتقل من جزيء أو جسم الى آخر عندما يتصادم الجسمان . واخيرا يأتى عامل التوزيع حين تنتشر الحرارة من اختلاط كميات كبيرة من الهواء بعضها ببعض . وخاصة المتصاعدة من سطح الأرض ودلت الدراسات على ان اشعاعات الشمس يتالف أكثرها من موجات قصيرة لا يقوى الهواء على امتصاصها ، فهى تصل الى الارض ، ومنها ترتد او تنعكس الى الهواء فوق سطحها . ولهذا كان من الطبيعى ان تزيد الحرارة على السطح ، وتقل كلما ارتفعنا عنه .

انعكاس من الارض

ويعتبر الهواء موصل ردىء للحرارة ، ولهذا فان حرارة الشمس تؤثر بطريق مباشر على سطح الارض، ومنه تنعكس ، فتسخن الهواء فوقه . وبالتسخين يتمدد الهواء ، وتقل كثافته عن الهواء البارد حوله ، وبحكم خفة ثقله يطفو فوقه غيره مما يؤدى الى حدوث التيارات الهوائية

وكانت الخلاصة ان اهم عوامل التسخين ونقل الحرارة قرب سطح الارض هو التوزيع ، فان قشرة الارض ترسل اشعتها فى كل اتجاه . اما فى المناطق العليا ، فان عوامل نقل الحرارة هى الاشعاع والاحتكاك . وتبعا لكثافة المادة فى الفضاء تتقرر حرارة المنطقة بفضل ما تمتصه المادة من حرارة الشمس ، ثم تنقلها الى سواها بالاحتكاك أو التلامس

وبالدراسة ظهر ان مايصل الى الارض من اشعة الشمس لا يتجاوز نصف ما ترسله ، اما الباقى ، فيرتد الى الفضاء ، بفضل عوامل طبيعية تجعل المواد تتفاعل مع بعض اشعة الشمس التى لو وصلت كاملة الى الارض لرفعت حرارتها الى درجة تجعل حياتنا فوقها مستحيلة . وتشهد لمحا من هذه الحرارة فى التسلخات الجلدية التى تصيب المصيفين الذى يعرضون اجسامهم فى غير حذر للحمامات الشمسية



احد الصواريخ البسيطة لدراسة مناطق الجو . وظهرت الى جانبية بعض الاجهزة التى تسجل الظواهر الطبيعية وترسل بياناتها الى الارض

نصف اشعة الشمس

وتتعاون مجموعة من العوامل الطبيعية فى ابعاد اكثر من نصف حرارة الشمس واشعاعاتها عن الارض . ومن هذه العوامل ما يحدث فيما نسميه بمنطقة الاوزون التى تظهر باجلى صورها على ارتفاع يتفاوت بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا . ففى هذه المنطقة تتفاعل الاشعة الفوق البنفسجية المتناهية القصر مع غاز الاكسيجين الذى يتالف عادة من ذرتين ، فتجعله يتالف من ثلاث ذرات . وهى ظاهرة يندر ان تراها على الارض ، وطبيعة المركب الجديد سامة للانسان والاحياء

وحاول الباحث الامريكى « جون تونسائد » الصغير دراسة ما يحدث حتى يتالف هذا المركب الغازى الغريب . وقدم نتائج دراساته بالصواريخ والبالونات وغيرها الى مؤتمر الجامعات لدراسات الفضاء ، فقال ان منطقة الاوزون تبدأ من ارتفاع ١٥ كيلو مترا ، وتمتد الى ارتفاع ٤٠ ، على ان اكثر تركيز لهذا المركب الاكسيجينى يوجد على ارتفاع ٣٠ كيلو مترا

ويتكون المركب فى مرحلتين تبدآن عندما تلتقى الاشعة الفوق البنفسجية بجزيء اكسيجين عادى

مؤلف من ذرتين ، فعندئذ يحدث تفاعل يفصل الذرة عن اختها . واذا ما التقت احدى الذرتين بجزيء عادي؛ ثم صدمهما جسم ثالث فان مركب الاوزون يتالف

وحالة هذه المنطقة وغازاتها غير مستقرة ، فان جزيئات الاوزون لا تلبث ان تتكون ، حتى تتعرض للانحلال بفعل الضوء ، حين تصدم ذرة اكسيجين بجزيء اوزون . ويبدو أن السر في تكوين هذه المنطقة على هذا الارتفاع بالذات هو كثافة المادة فيها . وهي في الغالب مؤلفة من غازى الاكسجيجين والازوت .

وبفضل منطقة الاوزون ظهرت الاحياء على الارض بدرع يقيها شر الاشعة الفوق البنفسجية الشديدة الفتك بالانسجة الحية . وبمعونة هذا التفاعل لاينفذ منها الى الارض الا مقادير تافهة لا تتجاوز واحد في المائة من كمية الاشعاعات التى تصل الى الأرض . ويفيد الجسم البشرى من هذه النسبة الضئيلة ، فيستعين بها فى صنع بعض الفيتامينات التى لا غنى عنها لصحة الكائن الحى

❋ ❋ ❋

بخار المـاء

وبخار الماء وسحبه وشتى مكوناته من اهم العوامل فى التقلبات الجوية ، وفى وقاية الأرض من اشعة الشمس . ويقول سير « جراهام ستون » مدير مكتب الارصاد الجوية البريطانى ، ان بخار الماء من اهم العوامل فى الارصاد الجوية . وبغيره لا يكون هناك علم الارصاد الجوية فضلا عن ان حياتنا مستحيلة فى جو كامل الجفاف . وهذا البخار هو الذى جعل علم الارصاد من اعقد العلوم الطبيعية

وتقينا السحب المحيطة بالارض من نحو ٤٠٪ من اشعاعات الشمس ، اذ تعكسها وتردها الى الفضاء، ويمتص بخار الماء العالق فى الهواء نحو ١٢ ٪ ، كما تمتص مكونات الهواء الباقية نحو ٥٪ . وبرغم كل هذه الاشعاعات المفقودة التى لا تصل الينا ، فان الحرارة التى تهبط من الشمس الى سطح الارض تكفى لاذابة قضيب من الثلج سمكه سنتمتر فى ساعة

وبسبب اهمية بخار الماء يحاول الخبراء معرفة نسبه فى مختلف مناطق الجو . ويستخدمون فى هذا السبيل شتى الوسائل التى تصل الى هذه المناطق من بالونات وصواريخ واقمار صناعية . وقال الباحث « تونسند » فى دراسته لهذا البخار ان اكبر تركيز له يوجد فى منطقة على ارتفاع بين ١٢ ، ٣٢ كيلو مترا .

ومن الجائز أن نجد نسبا منه على ارتفاع ٩٠ كيلو مترا

وتتباين الاقوال والاستنتاجات عما يشاهد فى الجو من ظواهر طبيعية ؛ فتوجد مثلا السحب الصدفية على ارتفاع ٣٠ كيلو مترا ، كما شوهدت حبات قيل انها جليد على ارتفاع ٨٠ كيلو مترا . وتبعا للاهمية التى يوجهها رجال الارصاد الجوية الى بخار الماء، فان هذا العلم يتعرض اليوم لانقلاب لا يعرفون مداه، فالاقمار الصناعية « كتيروس » قدمت مجموعة ضخمة عن سحب لم نعرف من امرها الا القليل

عشرات المناطق

والى عهد قريب قيل ان الجو يمتد الى ارتفاع ٦٠٠ كليو مترا ولكن الدراسات الحديثة تقرر ان الجو يمتد الى مالا نهاية . وتبعا للتفاعلات التى تحدث فى المناطق المختلفة قسم الفضاء الى عشرات من المناطق التى تتداخل احداها فى الاخرى حتى انه يتعذر وضع حد يفصل منطقة عن اخرى . ولكل منها تاثيره المباشر وغير المباشر على طقس الارض وحياة سكانها ، ولكل منها ايضا صفاتها الطبيعية التى تميزها عن سواها

وفى المناطق القريبة من الارض نجد المادة كما الفناها وعشنا معها ، ولكنها تبدا فى تغيير شكلها كلما ابتعدنا عن سطح الارض اذ تتم فيها تفاعلات تحدث بفعل الاشعاعات المختلفة للشمس مما رأينا مثلا منه فى منطقة الاوزون ، ومناطق التأين التى تحدثنا عنها فى مقال سابق

واسرار هذه التفاعلات ، وتفاصيل حدوثها ؛ لا تزال من الطلاسم ، لاننا لم نعرف بعد الاقليلا عن مادتها ، والبيئة المحيطة بها ، بل ان اشعاعات الشمس نفسها ليست كلها معروفة منا . وهى تدرس وتحدد وفقا لطول موجاتها. وحواسنا لاتميز الا القليل من هذه الموجات ، كما ان الكثير منها لاينفذ الى الارض ، ولايصل الينا لتكشفه اجهزتنا الحساسة .

المادة البدائية

وترسل الآن عشرات الاقمار الصناعية المزودة بشتى الاجهزة لتكتشف البيئات والمواد السائدة فى الارتفاعات المختلفة . وكان من أهم هذه الاكتشافات

العثور على منطقة ارتفاعها اكثر من ١٨٠ كيلو مترا ، وفيها تتغير الخواص الاساسية للهواء والجو ، فتبدا جزيئات المادة فى التحلل وتتناثر على هيئة ذرات بينما هى على الارض على هيئة جزئيات اى أن جزيء الاكسيجين مثلا يتالف من ذرتين هنا . ولكنه يختفى وتظهر ذرته وحدها فى تلك الارتفاعات

ويعلل العلماء هذا التغير بما يسمونه بالتفاعلات الضوئية او الاشعاعات الشمسية التى تعد الطاقة التى تطهو هذه المواد ، وتحولها من حالة الى اخرى. وكل من هذه المواد تنتظم فى مناطق بفعل المجالات المغناطيسية السائلة فى الفضاء . وهى مجالات ليس من السهل تحديدها لان بعضها يخضع لكهربائية الارض ، وبعضها الآخر يخضع لكهربائية الشمس ، وما ترسله من مواد ذرية تؤثر على مجالات الارض . وفى هذه المناطق تنتظم ايضا احزمة الاشعاعات المختلفة

مادة الكون كهرباء

وتظل المادة تغير من شكلها الى ارتفاع آلاف الكيلو مترات واخيرا تجد هابحالتها البدائية حيث يسود عنصر الايدروجين وهو فى راى العلماء المادة الاساسية التى تالف منها الكون كله بما يحوى من عناصر مختلفة كالحديد والذهب . فنواة الايدروجين جسيمةبروتون ، ونواة أى عنصر عدد من البروتونات والنيوترونات المحاطة بغلاف من الالكترونات

وكل من هذه الجسيمات وفقا للاكتشافات الذرية الاخيرة عبارة عن مجموعة من الاغشية الكهربائية الشبيهة بطبقات البصلة ، فتجد غشاء موجب الكهربائية ، وفوقه آخر سالبها ، مما يحفظ للجسيمة حالة توازنها الكهربائى . والفرق بين جسيمة البرتون الموجبة الشحنة الكهربائية والنيوترون المتعادلة هذه الشحنة ان اغشية الاولى اكسبتها شحنة موجبة بينما اغشية الثانية عادلت ما فيها من قوى كهربائية

ويرجع العلماء ان كل ظواهر المادة كطاقة كهربائية او مجرد جسيمات ذرية موجودة فى الفضاء . وهى تحدث بطريقة لا نعرف كل اسرارها . ويتوسع العلم فى هذه الدراسات التى جمعت بين علوم الفضاء استعدادا لريادته ، وبين الدراسات الذرية او النووية التى نعمل جاهدين لاستغلالها . من اجل هذا التوسع ترسل الاقمار الصناعية المزودة بشتى الاجهزة لجمع البيانات لعل بعضها يعطينا مفتاحا لكشف ماخفى من الاسرار



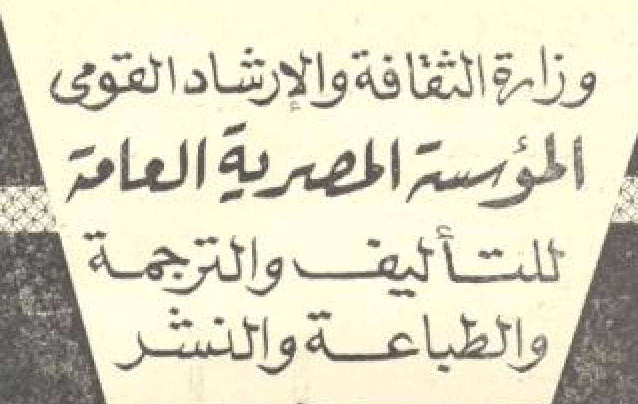
القمر المستكشف ١٢ وهو مزود بعدة اجهزة لدراسة مادة الفضاء والمجالات المغناطيسية حول الارض . ويرى بعض الخبراء وفقا لبياناته ان حرارة الارض ترتفع حين تقترب منها بعض المواد التى تلفظها الشمس

* * *

ومن الاسرار التى كشفتها هذه الاقمار ظاهرتى الاضواء البروجية التى تراها فى بعض الاوقات كخطوط ضخمة مضيئة فى السماء ، ثم الشفق القطبى الذى يظهر كأنه ستارة لامعة مسدولة على الارض على ارتفاع من ٧٥ الى ١٤٠ كيلو مترا فوق المناطق القطبية . وتحققت الاقمار الصناعية ان هاتين الظاهرتين انما تتألفان من جسيمات ذرية لفظتها الشمس ، فاقتربت من الارض ، ثم انتظمت فى المجالات المغناطيسية المحيطة بها

ورغم كل ما يبذله الانسان من جهود لكشف اسرار الطبيعة المحيطة بكوكبه ، فانه يقف الآن على اولى درجات سلم المعرفة ، وزال من ذهنه انه سيد الكون وادرك فى يقين انه لا يعرف من العلم الا اقل من القليل

فوزى الشتوى



أصدرت من الكتب المؤلفة

شخصيات أفريقية

تأليف: عبده بدوي

١٦٨ صفحة ٩½ قرشا

الناشر: مكتبة الانجلو

المكتبات العامة

تأليف: حسن رشاد

١٨٦ صفحة ١٦½ قرشا

الناشر: عالم الكتب

أشهر المذاهب المسرحية

تأليف: دريني خشبة

٣٢٠ صفحة ٢٢ قرشا

الناشر: مكتبة الآداب

قصة الطيران

تأليف: السيد المغزلي

٣٣٠ صفحة ٢٦ قرشا

الناشر: الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع

سيد

البريد الأدبي

وعد وسؤال

أما الوعد فهو للسيد صاحب الرسالة قبل الثورة ذكرني به ذكر (دميرة) ضمن فتوحات عمرو بن العاص فيما كتبه اللواء الركن محمود شيت خطاب في عدد الرسالة ١٠٢٤ بتاريخ ٢٩-٨-١٩٦٣- فقد سأله مرة في جلسة ما الذى أتى بهؤلاء الأمراء فى قرانا ؟ فقال : أتوا كما تأتى المصائب ! ، وامتد الحديث فقلت له ما رأيك فيما جاء فى كتاب تاج العروس فى شرح القاموس من أن (دميرة) كانت فى القرن السابع الهجرى على ما أذكر يقصدها علماء بغداد والكوفة ، لتلقى العلم والافتاء !! - أهذا حديث خرافة أم حديث حق ؟ فقال : ان هذا حقيقة بل هناك أكثر منه وساعنى كل العناية بوضع رسالة أوضح فيها تاريخ منطقتنا العلمية وما كانت عليه من حضارة علمية تقدمية ..

واما السؤال فهو رجاء للرسالة وقرائها الاعلام فقد قرأت ضمن ما قرأت ان (أحمد شوقى) أرخ عودة (أحمد عرابى) من سجنه بقصيدة كان مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الاياب
أهذا كل أمرك يا عرابى ؟

وبحثت عن القصيدة فى الشوقيات فلم أجدها وكلفت بعض الزملاء البحث عنها فلم يوفقوا وليس مثل الرسالة وقرائها من يجيبنى على الفور بهذه القصيدة كاملة ؟ .

وشكرا لصاحب الرسالة ولقراء الرسالة سلفا .

خورشيد عبد العزيز - الاسكندرية

حول دار الكتب العربية

ان القارىء يشعر فى دار الكتب العربية بمدى ما بذل وما يبذل القائمون على أمرها من جهد تظهر صورته جلية واضحة فى نظامها الدقيق .. وترتيب الكتب فيها بحسب الحروف الأبجدية بالنسبة للمؤلف تارة.. وبالنسبة لعنوان الكتاب تارةأخرى .. هذا الجهد لا شك يظهر جليا يأخذ بالألباب ويدعو الى الاعجاب .. كما حدث لى عندما زرتها فى الايام الأخيرة عندما كنت فى قاهرة المعز الجميل .. بيد أنى لاحظت شيئا واحدا أثار فى نزعة الغضب .. هذا الشىء يتلخص فى المدة الزمنية التى يستغرقها عمال المخزن والسعاة فى احضار الكتب المطلوبة .. ولا عجب ان قلت . ان هذه الفترة تزيد أحيانا على ساعة بأكملها - يجلس القارىء فيها ينظر هنا وهناك دون ما فائدة . انني أرجو ضرورة توفير عدد من العمال والسعاة يتفق والكثرة الغالبة من جمهرة القراء حتى يتسنى للدولة توفير ساعة زمنية للقارىء وبالتالى انجاز الاعمال فى يسر وسهولة .

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

خاطرة ورجاء

كذلك كنت أتلمس القراء فى اعادة قراءة ما مضى من أعداد ، وجمع ما تناثر من أعداد صدرت قبل التعرف اليها ومصادقتها .

والآن تعود الرسالة لتصل ما انقطع من مجالس العلم ، وتوضح ما غمض من شئون الدين ، وتكشف عما خفى من كنوز الاسلام ، وتشذب ما شذ فى رياض الادب فأجدنى أتلاقى معها فى هدف ، وأعمل بجانبها فى ميدان ، وأسير فى ضوئها وغيرها الى غاية تتجمع فى صون دين الله من الهوى والافك ، وحفظ لغة القرآن من العبث والادعاء ، ونشر القومية العربية فى كل أرض ، وقهر الاستعمار الثقافى فى كل فكر وجمع شمل العرب فى وحدة ، وبعث تراثنا الادبى صافيا من الكدر نقيا من الخبث ، بعيدا عن سوء الاختيار والتشويه فى الفهم والافهام . فعودة الرسالة فى حياة صاحبها بشريان كلتاهما تدعونا الى تقدير هذه الجهود من الدولة فى سبيل النهوض بالدين والادب ، والدفاع عن اللغة والعلم ، والى أن تدعو الله لصاحبها بطول العمر ومزيد القوة ، كما تدفعنا الى مواصلة الكفاح والعمل فى المدرسة والمجتمع من أجل بناء جيل مؤمن عربى فى لغته ولسانه وشعوره ، وتجعلنا نتمنى عليك أن تعيد باب « تعقيبات » للأستاذ المعداوى مزيدا من العناية بالنقد الأدبى ومداومة كتابة الافتتاحيات . ونشر قصة كل اسبوع ، ليكتمل عقد الأدب بكل فروعه فى مجانتكم الغراء .

محمد عبد الغفار حمزة
مدرس ثانوى بنى سويف

محنة الخطابة الدينية

قرأت على صفحات الرسالة الغراء فى عددها رقم ١٠٢٤ مقالا بعنوان « مع الثورة الرابعة الدينية » ولما كانت الثورة الدينية فى حاجة الى قيادة رشيدة وتوجيه حكيم من الأئمة العلماء والوعاظ المرشدين ولما كانت الخطابة الدينية فى هذا العصر احدى المقومات التى يقوم عليها الاصلاح الدينى بل احدى وسائل التوجيه والاعلام مع الصحافة والاذاعة والتليفزيون ولها دور فعال وأهمية كبيرة فى مجتمعنا الاشتراكى الجديد وهذا يؤدى الى أن يسهم المسجد بنصيب موفور متمشيا مع النهضة الحاضرة ليكون مركزا للقيادة الشعبية والتعبئة الروحية والتوجيه الفكرى للثقافة الاسلامية مع المنبع الأصيل كتاب الله وسنة رسوله ·

وهذا يفرض على السادة الأئمة الخطباء أن يكون لهم منهج علمى يسيرون على هديه ، يعتمد على الدراسة والبحث فى حقائق الاشياء وأن يتزودوا بمختلف الثقافات وبسائر المعارف الانسانية التى تساعد على تأدية رسالتهم على أحسن وجه حتى يكون لخطبهم ولوعظهم أثر يصل الى أعماق القلوب ·

ولكن من ينظر الى الخطابة الدينية فى هذا العصر يجد أنها فى محنة شديدة وأنها فى حاجة الى ثورة ضد الجمود والتزمت والرجعية الذى لحق بها، بل انها أصبحت من مخلفات القرون الماضية ـ ذلك لان بعض الخطباء يتناولون الموعظة من الناحية الموضوعية فقط لا الواقع الذى نعيش فيه ونحس به، حقا ان المفاهيم الدينية فى حاجة الى ثورة لتحرر العقول الجامدة من أسرها وتصفى النفوس من الرواسب التى علقت بها ·

واننا نهيب بالمسئولين فى الازهر والاوقاف أن يتداركوا هذا الامر لانه يرتبط ارتباطا وثيقا بجوهر الدين وتعاليمه ومبادئه واقترح :

أولا : انشاء معهد لتدريب الأئمة والخطباء والوعاظ وتأهيلهم ·

ثانيا : وضع خطة علمية منظمة على أحدث وسائل التوجيه الدينى يحتذيها الخطباء ·

ثالثا : تعيين العلماء المتخصصين من حملة العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد فى وظائف الامامة والخطابة ·

الفاروق أحمد سلام

بل ثورة من أجل الدين

ينادى البعض الآن بثورة رابعة دينية ، ويرى أنها ضرورة · لتسير جنبا الى جنب مع ثوراتنا السياسية والاجتماعية والثقافة حتى يتحقق المجتمع السوى الذى نصبوا اليه ·

وليس من شك ان هذا الشعور الطيب نحو اهم مقومات الانسانية وعامل رقيها وتساميها انما يعنى ادراك قيمة الدين فى المجتمع . وهذا فى حد ذاته يبشر بخير عظيم فى الوقت الذى يواجه فيه الدين روح العداء لدى بعض اوساطنا الثقافية .. لكن ذلك لا يعنى أن نندفع مع التيار وفى ثورة الحماس لنهتف بثورة دينية قبل أن نناقش اولا مدلول كلمة ثورة .

ما هو معنى الثورة ؟

ان الثورة معناها التغيير الجذرى الشامل .

ان التعبير بثورة دينية تنقصه الدقة .

فالواقع انه كان يجوز لنا ان ننادى بثورة دينية لو اننا كنا لا نتعامل مع الدين بالمرة أو لو اننا كنا نتعامل معه ثم قعد بنا عن الوصول الى مجتمع القمة ·· لكن الحقيقة اننا نتعامل مع الدين « بمزاجنا » اعنى اخذنا بعضه وتركنا بعضه ، وهذا ما افقده قوته وجعلنا بالتالى بعيدين عن روحه بعدا يساوى بحساب الزمن الف سنة على وجه التقريب ، ولاننا نتعامل مع الدين بهذه الطريقة كان التعبير بثورة يحتاج الى الدقة كما قلت .

ان الدقة فى التعبير تقتضى ان نقول نحن فى حاجة الى ثورة من أجل الدين . فمن أجل الدين وباسم الدين يجب أن يكون الفن عاملا على بناء المجتمع لا هدمه نستطيع أن ننقى تراثنا الدينى من كل الشوائب التى علقت به أو تسربت اليه أيام غفلة المسلمين وضعفهم .. وبهذه الطريقة يمكننا ان نخدم الشريعة الاسلامية باخلاص .

بقى ان نقول للذين يدعون الى تلخيص كتب الفقهاء انه مهما كانت الصورة التى سيكون عليها التلخيص فدعوة من هذا القبيل لا يمكن أن توصف بأقل من انها مخربة ومدمرة ، وانها لا تعنى سوى مسخ هذا التراث وتشويهه لكى يكون مكانه فى النهاية داخل اى قبو فى واحد من متاحف الآثار . اما الخدمة الحقيقية لهذا الدين فتؤكد تبسيط كتب الفقهاء لاتخليصها . واظن أن هناك فرقا شاسعا بين التبسيط والتلخيص .

عاطف محمد عيسى

المدرس بالازهر

أخبار علمية وأدبية

● اقامت لجنة احياء ذكرى الريحانى الثالثة والعشرين فى ٢٢ من هذا الشهر مهرجانا . لهذه المناسبة برعاية الاستاذ رشيد كرامى رئيس وزراء بيروت ، وذلك فى المعهد اللبنانى وكان ممن تحدث فى المهرجان : الدكاترة : احمد مكى ، وجميل جبر ، وكمال الحاج وعلى شلق ، والقى الاستاذ رشيد كرامى كلمة الحكومة ، كما اختتم الحفل السيد امين البرت بكلمة اسرة الريحانى

● يمكن الآن بناء عمارات بدون ملاط «مونة» عن طريق لحم الحجارة ، والآجر وكتل الاسمنت المسلح أو أى من مواد البناء . اما الوسيلة فهى اداة تشبه جهاز اللحام بالاكسيجين ، ولكن يستخدم فيها الضوء الذى يصدر من أنبوبة زجاجية اسمها «ليزر» وهى تركز الضوء والحرارة فى سيال رفيع حرارته اقوى من الشمس ، ويستطيع صهر كل ما يصادفه

وقد جربه الدكتور « ازاى بالينكين » خبير الحراريات فى جامعة سنسناتى فصهر اطراف الطوب والحجارة وجعلها تلتصق بعضها ببعض . وقال ان هذه الطريقة افضل من سواها فى المبانى التى يراد انشاؤها بسرعة ؛ لان جفاف « المونة » يحتاج الى وقت ، بينما جفاف الحراريات المصهورة سريع

● تصدر مكتبة النور بطرابلس – ليبيا – فى الايام القلائل القادمة « دراسات عن المذهب الاباضى »

المؤلف هو الاستاذ المقدمى احد اتباع المذهب « الاباضى » الذى يتبعه حوالى ٢٪ من سكان مناطق الجبال بليبيا ، هذا المذهب احدى فرق الخوارج ، وهو اكثر اعتدالا من غيره من فرق الخوارج ومؤسسة عبد الله بن اباض الذى خرج على الخليفة الاموى مروان بن محمد فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ، ويرى أن مخالفيه من اهل القبلة كفار غير مشركين

● بدأت دراسة الكوكب عطارد – أقرب الاجرام السماوية الى الشمس – بمعونة منظار الراديو الذى وجهه مرصد جولدستون بكاليفورنيا الى الكوكب الذى يبعد عن الارض ٩٦ مليون كيلومتر . وقد استخدم المرصد منظارا مساحة صحنه ٢٥٫٥ من الامتار ، وارسل موجات دقيقة قوتها ٢٥ الف مليون وات ، فصدمت سطح الكوكب ، وارتدت بقوة لا تتجاوز جزءا على مليون من الوات .

ومنها عرف الخبراء ان سطح الكوكب غير منتظم ، وكثير التضاريس . وتعد دراسة هذا الكوكب بالراديو من الامور المعقدة بسبب قربه من الشمس وتدخل اشعاعاتها فى اشعة الراديو وافسادها ، فضلا عن عوامل اضعاف الموجات اذ تصدم المواد المتناثرة فى الفضاء مما يضعفها كلما طالت المسافة

● يتجه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة الى تدعيم ونشر الثقافة الاسلامية فى افريقيا ، وذلك بانشاء فروع فى عواصم الدول الافريقية ، وتزويد هذه الفروع بالمصاحف المرتلة واسطوانات الصلاة ، والمطبوعات الاسلامية المترجمة بشتى اللغات المناسبة

وقد تقرر فى الايام الاخيرة انشاء فرع للمجلس فى كينيا ، ويتولى الاشراف عليه السيد علوى قاسم المشرف على نشر الدعوة الاسلامية بين مسلمى كينيا

● الصلب لا يصدأ فى النجوم الاخرى ، اذ ظهرت فيها مادة تمنعه من الصدأ حتى لو عاش فى الماء والجو الرطب ، واسم هذه المادة « تكنيتيوم » . وهى لا توجد على الارض ، ولكنها تنشأ فى العمليات الذرية عندما ينشطر عنصر اليورانيوم او البلوتونيوم

واكتشف هذه الظاهرة الكيميائى « جوليهر » من مؤسسة كاربيد التى تدير معامل اوكريدج الذرية . وقال ان شتى التجارب لاحداث الصدأ فى الصلب ، وهو مختلط بهذه المادة فشلت ، ولكن الحصول عليها على الارض صعب جدا ، فان ثمن الاوقية منها يبلغ ٢٥٠٠ دولار اى نحو ١٠٠٠ جنيه

قصــــة العــــدد

بين رأسمالى وأجير

الأستاذ حبيب الزحلاوى

العم ابراهيم شيخ تجاوز الخامسة والسبعين ، ربع القامة ، متين المفصل صارم النظرة ، هادىء الحركة ، قليل الكلام ، تراه فى الصباح واقفا عند باب المتجر الكبير يوزع الخطابات الواردة على الموظفين ، يبادرهم بتحية الصباح والدعاء لهم بالتوفيق والحظ السعيد . لقاء قرش كنا ندفعه عن طيب خاطر لهذا الشيخ الذى لا تفارقه الابتسامة الحلوة ، والكلمة الحلوة ، والادعية الحلوة .

لم يكن العم ابراهيم ساعيا فى البريد بل كان عاملا فى متجر كبير مهنته تسلم الخطابات الواردة باسم الموظفين وتوزيعها ، وان يحزم طلبات الزبائن الواردة من الارياف فى طرود يودعها ادارة البريد .

لم يحدث طوال حياة العم ابراهيم حادث واحد كضياع خطاب ، او نقص طلب ، او فقد طرد ، ولم يتوان فى خدمة من يكلفه من موظفين وعملاء ، لا طمعا فى الهبة بل لسماحة فطرية ومروءة مطبوع عليهما .

كان حظ العم ابراهيم يتساوى وحظوظ بقية موظفى المتجر مما ينالهم من هبات رب العمل لقاء مثابرتهم على العمل بنشاط من الساعة الثامنة صباحا الى التاسعة او العاشرة مساء — الا فترة الغداء ، ولم يكن ينقص حظه عنهم الا مرتين فى السنة ، الاولى يوم عيد رأس السنة ، حيث كان رب العمل يأمر بتوزيع قطعة من قماش الصوف تصلح لبدلة يرتديها الموظف مدة فصل الشتاء ، وقطعة اخرى من التيل تصلح لكساء الصيف ، وقد كان سوء حظ العم ابراهيم انه يرتدى جلبابا وان ثمن الجلباب باكمله لا يساوى ثمن متر واحد من الصوف الذى انعم به على زميله الافندى ولكن رب العمل كان يمنحه عشرين قرشا اجرة الخياطة .

رب هذا المتجر معروف فى اكثر سكان مصر مشهور فى كل وسط ، محبوب من النساء والرجال ، وهو شيخ تجاوز الخامسة والسبعين من عمره ، نظرته اخاذة ساحرة وبياض شعره يوحى بالمهابة ، جذاب ، اما صوته اذا تكلم فيخيل للسامع انه جعجعة جمل ، وكان يعرف عند الكثيرات من النساء الساذجات وغير الساذجات بانه ولى موهوب ، وعند الفتيات اللائى توهمن فوات النصيب فكن يتصدين لهذا الشيخ ، بغية تلقى احداهن قبلة منه ، أو قرصة فى ذراعها ، أو مسحة على رأسها وخدها تكون طريقا للعريس المجهول .

كان من عادة هذا الشيخ ، الحضور فى كل عشية الى مكتبى يسالنى عن عدد الطرود التى ارسلت الى العملاء والزبائن وعن مقدار ثمنها ، وكان يسمح لى بتدخين سيجارة وارتشاف فنجان من القهوة يركزان ذهن الكاتب ، وقد صرت بحكم تكرار التحريض على التدخين ، أعتقد ان وراء زيارته لى فى كل عشية رغبة مستترة فى سجايرى لأن لها طعما خاصا ولقهوتى نكهة وطعم ولذة .

حدث ذات عشية ان عاد العم ابراهيم من ادارة البريد مبكرا يحمل طردا رفضت المصلحة قبوله لنقص فى كتابة الحافظة وهو يرجو منى الاسراع بتصحيحها حتى لا يتاخر فى تصديرها وكانت لهجة العم ابراهيم بالكلام قوية ، ونبرات صوته حادة تحملان شبه مؤاخذة على عدم الانتباه ، وقد خطف الطرد والحافظة واظن انه ركض فى الطريق ليصل الى ادارة البريد قبل فوات الوقت ، ولما عاد يحمل لى دفتر الايصالات كانت علامات يقظة النشاط والراحة فى اتمام العمل على الوجه الصحيح بادية عليه .

قال لى صاحب العمل باللغة الفرنسية : الا ترى هذا المخلوق كيف يتكلم بقوة وحزم ويتحرك كالشباب بالرغم من أن سنه من سنى .

قلت ان بنيتك قوية كبنيته وصحتك جيدة كصحته .

قال : هذا هراء .. والتفت الى العم ابراهيم يساله كم عمره ، فاجاب كان عمرى خمسة عشر عاما حين دخلت فى خدمتك يا معلمى وقد مضى على ذلك ستون عاما .

رب العمل : اذا انت ياعم ابراهيم من عمرى .. هل لك أولاد ؟

العم ابراهيم : والله يامعلمى لقد عاشرت زوجتى حوالى الخمسين عاما فلم تنجب اما الان فقد اكرمنى الله وانعم على بالولد .

صاحب العمل : هل ولدت زوجتك العجوز ؟

العم ابراهيم : لا يا معلمى ان زوجتى الاولى قد اعطتك عمرها ، اما زوجتى الثانية فهى التى انجبت الولد الذكر منذ شهرين .

صاحب العمل : قلت يا ابراهيم ان زوجتك ولدت منذ شهرين فهل كنت تقوم بالواجب .

العم ابراهيم : ربنا يحفظك يامعلمى والبركة فى خيرك على وفى الفول المدمس . واتى بحركة من ساعده تدل على الفتوة والنشاط .

انتفض صاحب العمل ، ونهض من فوق كرسيه وأخذ يضرب كفا بكف ، وقد تغير لونه ، وارتجفت شفتاه وأراد العم ابراهيم أن يخرج من المكتب والتفت الى وقال .. هذا الابن .. فى الخامسة والسبعين ينجب ولدا ، ويباهى بنشاطه ، ويحمد الله على الفول المدمس ، وكان يضرب كفا بكف ضربا متواصلا ثم ينادى العم ابراهيم ويسأله كم عمر زوجتك يا ابراهيم ؟

ــ حوالى العشرين يا معلمى

التفت الشيخ نحوى وقال يأمرنى بكتابة ايصال باستلام مبلغ عشرة جنيهات تدفع للعم ابراهيم .

توهم المسكين ان المبلغ هبة من صاحب العمل فانكب على يده يقبلها وهو يدعو له بطول العمر ودوام السعادة ، ولم يكن يدرى المسكين ان ذلك المبلغ الزهيد هو مكافأة له على ستين عاما فى خدمته، لأن الشيخ الثرى لم يعد يستطيع بعد اليوم ان يرى عاملا فقيرا فى مثل سنه ينعم بما حرمه الله من لذة الحياة ومتعة الرجولة .

حبيب الزحلاوى

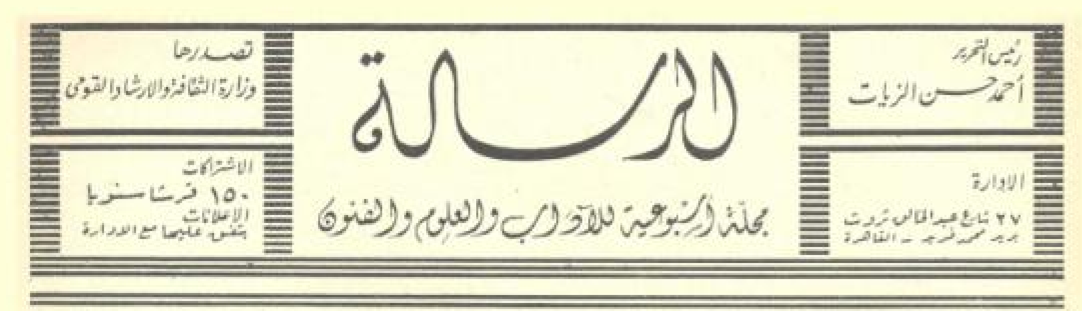

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٩ ـ ١٥ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ ـ ٣ أكتوبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

النّقد للأدب تقويم وتقييم

بقلم : أحمد حسن الزيات

نقد العمل الأدبي معناه تقويم عوجه بالأداة الصالحة وتقييم مادته بالوزن الصحيح . وأداة الناقد بهذا المعنى ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة . وهو بهذا الاعتبار يشارك المشرع في صدق التمييز والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم . ومن هنا كان نوابغ النقد في العالم أندر من نوابغ الشعر والكتابة . والنقد بمعناه الفني لم يصبح عند الفرنج فنا مستقلا له قواعده ومذاهبه الا في القرن التاسع عشر بعد أن ارتقى علم النفس وازدهر وانتشر . ثم تابع رقيه حتى أدرك تمامه وبلغ أوجه فأثر في فنون الادب أبلغ التأثير ، وعدل في بعض أنواعه كل التعديل .

أما عند العرب فقد انحصر ـ لأسباب لغوية لا محل لذكرها في هذه الكلمة الموجزة ـ في جزء واحد من النقد بمعناه العام عند الفرنج فلم يعالج غير أبيات وفقرات من الكلام المنظوم والنثر المسجوع ، وأغفل القصيدة باعتبارها وحدة لا تتفرق ، والكتاب باعتباره كلا لا يتجزأ ، ولم يحفل ما ألف بالنثر المرسل من الكتب والقصص . وجر ذلك الى أن الكتاب والشعراء أوغلوا في البديع وتفننوا في الزخرف وأهملوا فن القصص فتركوه لأدباء الشعب ولم يعنوا منه الا بالمقامات لانها مظهر الصنعة ومحك

القدرة ، فحرموا الادب العربي فنا كانوا هم بسليقتهم أقدر الناس على التوفر له والافتنان فيه ٠

ان من يطلع على ما أثر عن السلف في النقد والموازنة يجد الخطأ في الأقيسة والخلل في الموازين ، وذلك لتحكم الهوى الخاص وارسال الناقد الحكم على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين ٠ فهم يتكلمون في اللفظ الجزل والركيك ، والاسلوب الرصين والهلهل ، والمعنى المسروق والمطروق ، والمطلع الجيد والردىء ، والتخلص الحسن والقبيح ، ويجرون في كل ذلك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والأجناس ، وربما اكتفوا في تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة أو الاشارة المبهمة أو الهتاف الموجز ، كقولهم : « ولله دره اذ يقول » : « وهذا مما لم يسبق اليه أحد » ٠ « وما أحسن هذا البيت » ولم يعنوا بالخطوط التي تميز كلاما من كلام ، ولا بالحدود التي تفرق بين شاعر وشاعر ٠ فلو نقلت ما قالوه من المدح في شاعر الى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق ٠ والامر كذلك في كل ما ألفوه من الكتب على طراز اليتيمة للثعالبي ، ودمية القصر للباخرزي ، وخريدة القصر للاصبهاني ، وريحانة الالباء للخفاجي ، وسلافة العصر للمحبي ٠

* * *

من ذلك يتضح أن فهم القدماء الخاطىء لحقيقة الفن الشعري والكتابي حصر النقد البياني كما قلت في الصور والاشكال ٠ وهذا الحصر نفسه وجه الادباء الى الاحتفال باللفظ دون المعنى ، وبالصورة قبل الفكرة ، ففات أكثرهم أن روعة الكلام لاتكون بالرونق والاناقة والصنعة وحدها ، وانما تكون مع ذلك بقوة التعبير عما تكنه الضمائر وتحسه المشاعر ، وبدقة التصوير لمختلف الطبائع والعواطف والاخلاق والشهوات والصفات حتى ترى صور أصحابها الحقيقيين أو المتخيلين تتحرك وتعمل وتقول على مقتضى الغرائز الثابتة والفطر الاصيلة ، وتكشف الغطاء عن طبيعة الشخص بكلمة تجرى على لسانه أو حركة تصدر عن يده ــ ثم تكون ببراعة الوصف لمناظر الطبيعة ومظاهر الكون حتى تحس فيها الحياة والحركة وتدرك ما بينها وبين النفس وانفعالاتها من اتصال وعلاقة ــ وبشدة التأثير في الافئدة حتى تستيقظ فيها رواقد الاهواء والعواطف، فتطرب النفس أو تغضب ، وتهدأ أو تثور ، وتفرح أو تحزن ، وتحب أو تبغض ٠

ولو أن نوابغ الكتاب والشعراء فطنوا الى ذلك لكان من هم الناقد أن ينظر فوق ماينظر من الالفاظ والصور في تنسيق المعاني وترتيب الأفكار في جملة الكتاب أو القصيدة أو المقالة أو القصة أو الكلام على العموم ، لان سلامة الجزء المنفصل ، أو بلاغة البيت المنفرد ، لا تدل حتما على سلامة الكل او على بلاغة القصيدة ٠

كذلك كان من هم الناقد البياني لو اتجه الى المضمون أن يحلل ما ينشأ في نفس القارىء لروائع الكتاب والشعراء من العواطف ، وأن يبين كيف يستطيع الكاتب أو الشاعر أن ينشىء هذه العواطف أو يوحيها ٠ ومن ثم كانت الكتب النقدية عند الفرنج عملا فنيا قائما بذاته يبوىء أصحابه مقاعد النبوغ والخلود ٠

***

على هذه الحال من الشكلية والسطحية والتعسف مضى النقد العربي حتى بلغ جيلنا الماضي فكان الناقد منذ قريب يعمد الى الكتاب القيم في التاريخ أو الفلسفة أو القانون قد ألفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله فيقف منه موقف الحاسد الاحمق ينقد في بعض صفحاته فعلا عدى بغير حرفه ، او اسما جمع على غير قياسه ، أو لفظا لم يجده في معجمه ثم يحكم على الكتاب كله بأنه سخيف لا يقرأ وضعيف لا يعيش !

ثم أخذ النقد الفني يتطور مع الوعي والتعليم والاطلاع على أدب الغرب في الربع الثاني من هذا القرن ، فغاص من السطح الى القاع ، وانتقل من الشكل الى الموضوع ، وتذرع باللغة والعلم والمنطق في نقود العقاد والمازني وشكرى ومن لف لفهم ٠ ثم كاد ينحصر اليوم في القصص والتمثيل بما يكتب مندور ورشدى وحقى ومن جرى مجراهم ٠

ولعل النقص الذي يعتور النقد الفني الحديث أنه في جملته لا ينبثق من طبيعة الادب العربي ولا من بيئته ، وانما ينبثق من طبيعة الادب الغربي وقواعده ومذاهبه ٠ فلو أن هؤلاء النقاد اتجهوا بعقليتهم المتحررة وثقافتهم المتجددة الى دراسة أدبنا تحت الضوء الصادر عنهما لأوجدوا فيه فنا مستقلا من النقد المبني على العلم والخبرة والاصالة ، يتمم ما بدأ به عبد القاهر وأبو هلال وابن الاثير ٠

سوزى وشعاراتنا القومية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

قالت ، وعضت باطراف البنان ، ما لم تقله صاحبة ابن ابى ربيعه فقد كانت هذه جادة ، وتلك عابثة .

كانت هذه تبحث عن تاريخ امة من طريق صعبة ، تبحث عنه فى هذه الشعارات القومية التى تختزن طاقات من القوى العاطفية والفكرية ، والتى بما فيها من طاقات تسدد خطى الامم نحو المجد ، وتكتب لها دورا فى التاريخ . اما تلك فكانت تبحث عن الحب ـ الحب العابث المستهتر ـ الذى يجد السعادة فى لحظة من لحظات اللذة الحسية التى تختلس اختلاسا فى ساعة من ليل او فى ساعة من نهار بعيدا عن اعين الرقباء . ومن اجل هذا قالت صاحبة ابن ابى ربيعه لابن ابى ربيعة فضحتنى . وقالت له ايضا انت امرؤ ميسور امرك اعسر .

ان هذه لم تقل شيئا من ذلك عندما عضت باطراف البنان ، وانما قالت نسيت ان اذكر لك عند حديثنا السابق ان مهمتى من دراسة هذه الشعارات تدور حول الهدف الذى تحدثنا عنه فى المرة الاولى والذى لا يمكن تحقيقه الا بوسيلتين فى وقت معا .

الوسيلة الأولى : تاريخ المعانى الجوفية لهذه الشعارات فانت تعلم أن الالفاظ تظل ثابتة وان المعانى تتغير كلما تغيرت وسائل النضال فى الأمة أومرت الأمة بادوار تاريخية معينة . انى أريد الوقوف على هذه المعانى النامية المتغيرة لانها سبيلى الى الوقوف على التصورات التى كان يتصور بها الناس هذه الشعارات ـ وهى التصورات التى تسمى عند رجال الفكر بالمفاهيم .

الوسيلة الثانية : ـ عواطف الناس نحو هذه الشعارات وكيف كان يعتورها الضعف والقوة فانت تعلم أن الايمان هو الذى يصنع المعجزة وان الضعف هو الذى يدفع الى التخاذل . وايمان الأمم بالشعارات وسعى الامم الى تحقيقها هو السبيل الوحيدة الى المجد .

* * *

قلت لا بأس عليك من هذا النسيان ، فذلك امر كنت اقدره ، فانا اعلم ان الأسلوب العلمى فى البحث والدراسة هو الذى يفرض عليك ذلك كله ، وأنت لاتستطيعين الوصول الى الحقيقة الا اذا سلكت أسلوبا علميا متحررا من كل قيد ـ أسلوبا يقوم على البحث عن الحقائق وجمع المعلومات . ثم اعمال الفكر فيها والوصول الى النتائج . ثم التصريح بهذه النتائج دون خوف أو وجل . ان هذا هو الذى

(النقد للأدب تقويم وتقييم ـ بقية)

أما ما نقراه فى الصحف العربية من حين الى حين مما يسميه أصحابه نقدا فانه لا يدخل فى هذا الباب الا كما يدخل المجون فى نطاق الجد ، أو اللا معقول فى سياق المنطق . كالرجل يقعد به العجز عن اللحاق بالقادرين ، فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلمز هذا ويتنادر على ذاك ، ويزعم انه هو وحده المسيطر على ثمرات الذهن فيحكم بذوقه الخاص على هذه بالقبح وعلى تلك بالفجاجة ، وامره كله لايخرج عن مالوف الطباع الساخرة الفكهة : تصور الحق بالوان الباطل لتضحك ، وتبرز الجميل فى مظهر القبيح لتسيىء ! وعيب الناس طبيعة فى بعض الناس ، لا يكلفهم الا تحريك اللسان اذا لقوا سامعا ، أو تحرير القلم اذا وجدوا صحيفة .

هذا الضرب من النقد اما أن ينبعث عن الحقد فيرمى الى التجريح ، واما أن ينبعث عن الغرور فيسعى الى الهدم !

أحمد حسن الزيات

يخدم الحقيقة العلمية . وأنا حريص مثلك على الوصول الى تلك الحقيقة . انني من المؤمنين بأن تشخيص الداء تشخيصا علميا دقيقا هو السبيل الوحيدة الى معالجة المريض معالجة طبية دقيقة .

قالت اذن فلنمض الى ماكنا فيه من حديث عن مفهوم الديمقراطية عند بني قومك . وكيف تطور هذا المفهوم داخل هذا اللفظ

قلت : ان حديثنا كان ، ولا يزال ، يدور حول تلك المعانى التى عرفها الناس فى بلادنا لمعنى الديمقراطية . ولقد قصصت عليك نبأ هؤلاء الساسة الذين وقفوا من هذه الكلمة عند المعنى السياسى الذى يخدم مصالحهم . لقد حرصوا جميعا على اختلاف فى أحزابهم ، وفي مستوياتهم الثقافية ، على أن يظل شىء من الغموض والابهام يكتنف مفهوم هذه الكلمة . لقد كانوا يهتمون بالتعبير عن مصالحهم الخاصة ومصالح احزابهم السياسية اكثر بكثير مما يهتمون بايضاح مفهوم للديمقراطية يكون منتجا وعمليا .

لقد كانوا ــ اذا قيل لهم ان روح كل ديمقراطية انما تتجسد فى هذه المساواة فى الحظ امام الحياة ــ أو فيما يسمى بالعدالة الاجتماعية ــ يظنون انهم قادرون على حل تلك المشكلة ببعض التنازلات من مثل منح الفقراء اعانات مالية يسمونها بالضمان الاجتماعى . ومنح العمال بعض الحقوق التى تكسبهم شيئا من الطمأنينة ، وتشجعهم على المضى فى العمل . ولم يدركوا ابدا ان معنى الديمقراطية ومعنى العدالة الاجتماعية لون جديد من العلاقات بين المواطنين . لون يقضى قضاء تاما على تلك التقاليد الموروثة وتلك العادات الاجتماعية التى كانت موجودة فى عصر السادة والعبيد .

***

لقد عبر كاتب معاصر عن بعض هذه المعانى فاجاد التعبير : **ان العدالة الاجتماعية ليست مجرد تنازلات للفقراء المحتاجين . وليست مجرد تعاون بين أصحاب العمل . انها طرح جديد للمشكلة ــ انطلاقا من الاكثرية الساحقة ــ وتهدف الى اقرار التعادل فى الحظ لكل المواطنين، لكى يحققوا ذواتهم ويضعوا أنفسهم فى خدمة المجموع .**

ان العدالة الاجتماعية تهتم اولا وقبل كل شىء بحل مشاكل الجميع لا مشاكل أقلية معينة . انها تعتبر امكانية كل شخص ومسئولياته الفردية جانبا هاما من الخدمات التى تؤدى لصالح المجتمع . انها تعمل على أن يستفيد كل مواطن من مساهمة الآخرين .

ان العدالة الاجتماعية لاتهدف الى الحد من الامكانيات الصاعدة ، وانما تهدف الى فتح آفاق المستقبل أمام جميع طلاب التقدم . انها انما تشترط شرطا واحدا هو الا يحقق المرء ذاته على حساب الآخرين .

انها تدعو الى أن يرتفع المرء ويرفع معه الآخرين ــ ومن هنا وجب تدخل الدولة كدماغ اقتصادى لكل الجسم الاجتماعى المنظم المكون للأمة والدولة

ان المشكلة هى فى التوفيق بين انتاج المؤسسات الخاصة وتوزيع هذا الانتاج توزيعا اجتماعيا عادلا .

***

وأستطيع أن اقول بعد هذا الذى قصصت عليك اننا اليوم بصدد تجربة جديدة ، تجربة تمضى فيها الديمقراطية بمعناها الاجتماعى مع الديمقراطية بمعناها السياسى بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر

ان تجربتنا اليوم انما تحاول أن تؤكد معنى سيادة الشعب . انها تضع السلطات جميعها فى أيدى القوى العاملة فى كل ركن من أركان مجتمعنا ، : **انعمق الوعى الثورى واصالة ارادة الثورة قد وضعا بنجاح شعار الديمقراطية السليمة ضمن المبادىء الستة . ورسما من الواقع ، وبالتجربة ، وتطلعا الى الأمل ــ معالم ديمقراطية الشعب . ديمقراطية الشعب العامل كله .**

ومن اجل هذه التجربة الجديدة كانت حتمية الحل

الاشتراكي ، وكانت هذه الخطوات الجريئة التى تمت بها تلك الاصلاحات الجذرية التى تهدف جميعهـا الى اقامة الديمقراطية السليمة والى تحقيق ذلك الشعار الذى نسميه بالعدالة الاجتماعية .

* * *

ان الديمقراطيه السياسيه لايمكن ان تنفصل عن الديمقرطيه الاجتماعيه . ان المواطن لاتكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاثه :

(ا) ان يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره .

(ب) ان تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنيه

(ج) أن يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته .

بهذه الضمانات الثلاثه يملك المواطن حريته السياسيه ، ويقدر ان يشارك بصوته فى تشكيل سلطة الدوله التى يرتضى حكمها .

* * *

ان الديمقراطيه السياسيه لا يمكن ان تتحقق فى ظل طبقة من الطبقات

ان الديمقراطيه حتى بمعناها الحرفى هى سلطة الشعب ... سلطة مجموع الشعب وسيادته .

* * *

بقيت كلمه بسيطة انهى بها محادثتى اليوم . كلمة تكشف لك عن العوامل الأصيله فى فشل الديمقراطية فى العالم العربى .كلمة تعبر عن الماضى ومن المستقبل فى وقت معا .

ان الديمقراطيه السليمة لا يمكن ان تتحقق الا بتجريد الرجعية من اسلحتها ، ومنعها من اية محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها .

ان تحالف الرجعية وراس المال المستغل يجب ان يسقط . ولا بد من ان ينفسح المجال بعد ذلك للفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العامة .

ان تحالف القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ، ثم هو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية .

د : محمد أحمد خلف الله

● لسنا نجهل ما كانت عليه علاقات الاقطاعيين الأسياد بتابعيهم فى خلال القرون الوسطى . انها علاقات حماية من قبل الفريق الأول مقابل الخدمة من الثانى .

فالسيد الاقطاعى يؤمن الحماية والعمل احيانا ، اما التابع من جهته فانه يقدم ولاءه وقوة ساعديه ..

● ان الرجوع الى الوراء أمر مستحيل وسواء أكان الماضى ـ تعسا او سعيدا ؛ فالمرء لا يسير القهقرى فى عالم يتقدم . ان الرجوع الى الوراء ـ ومعناه الخروج من التاريخ ـ هو عمل الغابرين الذين تجتاحهم القوى الصاعدة فتجرفهم خارج الزمن .

هكذا تموت الحضارات ـ برفضها التكيف ..

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تمهيد

لقد دفعت الاقدار الينا احداثا عظمى ومذاهب كبرى وجعلتها تضطرب وتتصادم حول ديارنا وعقائدنا ، وصرنا مسوقين الى معركة فاصلة فى تاريخنا بل فى تاريخ الانسانية كلها .

وكنا وكانت ديارنا منذ فجر التاريخ مكان لقاء الاحداث والاجناس واصطدام الآراء واحتكاكها ليخرج منها بعد الاضطراب والخلط والمزج المذهب الوسط المعتدل الذى يرضى الاطراف المتنازعة لان فيه الجزء الصالح النافع من كل مذهب وكل قبيل ..

اجل لقد تحول موقفنا السياسى والفكرى بين الشرق والغرب فى هذه الايام الى رسالة عالمية ينشدها ضمير الانسانية ويتمنى عمومها رواد السلام والحرية والعدالة فى عصر الذرة عصر القدرة والخطر فى مجالات التكوين والتخريب والانطلاق فى الفضاء الكونى .. فنحن رواد حق وايمان وعدالة وحرية وسلام وتقدم لجميع الامم ، وقد سلكنا الى هذه المطالب الانسانية ، فاعتنقنا الحياد وعدم الانحياز والبعد عن مناطق التأثير وتغليب فريق على فريق والدعوة الى السلام فى عصر القدرة الانسانية واخطارها .

ويريد منا هذا الموقف الفاصل أن نعيه حق الوعى ونعبىء له قوانا وامكانياتنا الفكرية والمادية . وتتجرد له بكل عزائمنا ، ونذهب اليه فى تفان واستشهاد ونفهم أنها معركة مفروضة علينا ، تختارنا الاقدار لخوض مثلها فى الساعات الفاصلة على مدى أدوار التاريخ .

وقبل المضى الى هذه المعركة ينبغى أن نختبر أسلحتنا ونبلور ما عندنا من الرأى لنرى مدى ما ينطوى عليه من صلاحية ، ثم نجلوه للشرقيين والغربيين ليروا اننا لسنا متعصبين ولا جاهلين ولا متخلفين حين نابى ان نسير وراءهم فى الأودية التى سلكوها معتسفين ..

ومن أسلحتنا التى ينبغى أن نجردها فى هذه المعركة الفكرية ان نبين أننا نعتنق نفس المذهب العلمى المادى الذى تقوم عليه الحضارة العالمية الحالية ، والذى تفتتن به المادية الالحادية الشرقية والغربية ، لان ذلك المذهب هو الدعامة الكبرى لديننا ، ولانه أستاذ عقولنا ، وباب معرفة ربنا ، ودليلنا الهادى الذى يسوقه القرآن أمامنا فى بحثنا عن الله وأسراره وصفاته وعن علاقتنا نحن البشر به وبالكون المادى ...

فالعلم عندنا دين ، وماديتنا « ربانية » مؤسسة على الايمان بالكائن الاكبر الذى خلق الكون ويعمره ويديره ، ويدبره وينسق جزئياته وكلياته ، ويجعل القانون الذى يسير الذرة الصغيرة فى الارض هو نفس القانون الذى يسير المجرات الكبيرة فى السماء ذات ملايين الملايين من النجوم والاثقال والأبعاد والأسرار .. !

وماديتنا تجعلنا نقف على أساس ثابت مكين من العلم والعمل لتسخير الطبيعة واختراق سدودها واقتحام اسرارها والحكم عليها حكما علميا مبنيا على المشاهدة والتجربة واليقين لا على اوهام الأمم وشطحات الشعوب وتهويماتها ..

وربانيتنا تعقد بين النفس الفردية وذلك«الكائن الاكبر الخالق» أوثق الصلات من الرحمة والحب والصداقة والتجاوب والتفاهم ، فتملأ فراغها بالطمأنينة على مكانها فى الكون فى الحياة الدنيا ، وعلى مصيرها فيه بعد الموت .

والصورة الفكرية لدينا عن « الكائن الخالق » صورة علمية مستمدة ألوانها واصباغها من كاماته التى لا عدد لها فى الطبيعة ، اذ أن الطبيعة فى رأينا هى كتابه الصامت المكتوب بالاعمال والقوانين والبدائع ، وقرآننا هو كتابه الناطق المترجم عما فى ذلك الكتاب الصامت ، فلا يناقض ما فى الطبيعة ولا يكذبها .. وليس فى العلم للآن حقيقة واحدة ثابتة تناقض ما ورد فى القرآن من نصوص فى خلق الكون والنفس والحياة ... كما يقول (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلا) فمن أين يأتى التناقض ؟ ومن اين يأتى التفاوت ومنزل الكتاب هو خالق الطبيعة ؟

والقرآن لم يتحدث عن ذات الله وكنهه ، وانما تحدث عنه بصفاته المستنبطة من صنعه فى الطبيعة ، تماما كأسلوب العلم المبنى على الحس والتجربة فى وصفه الاشياء والكائنات واستنباط قوانينها

فالله هو الحقيقة الفكرية الكبرى الاولى التى يستنتجها العقل من الطبيعة ويرتاح بالوصول اليها من الم الفراغ والشك والجحود والانكار .

ويترتب على انكار هذه الحقيقة مشكلات فكرية وهموم ذهنية عدة لا تقاس بها المشكلات التى تثيرها بعض العقول المنحرفة حول اثبات تلك الحقيقة .

اجل ان انكار الخالق يثير مشكلات لا عدد لها ! ولا يستقيم المنطق بها ، وتشعر النفس مع الانكار بالم الفراغ الهائل فى الكون ، والضياع بين جبروت القوى العمياء الصماء الخرساء فى الطبيعة ، وفقدان الامل فى أى شىء ، وجهل المصير فى ظلمات الكون ..

والذين يخالطون الملحدين يعلمون منهم انهم يشعرون بذلك الفراغ القاتل ، وفقدان الآمال والمعانى المسعدة التى يجدها المؤمنون حتى ولو لم تحل عندهم « مشكلة العيش » التى استأثرت باهتمام الالحاديين .

فحل مشكلة العيش فى هذه الدنيا ، ليس كل شىء فى حياة الانسان ذى الفكر الطليق والقلب العميق والنظر المتوثب المتطلع الى ماوراء حدود العيش فى هذه الحياة ..

واننى دائما أتصور فرضا أننا جميعا فرغنا من هموم العيش المادى ، ويسرت لنا وسائله من الطعام واللباس والسكن والمتاع والصحة والعلم والعمل والمال والبنين والحرية والكرامة والامن الى آخر وسائل الحياة المادية .. فهل نكون بذلك قد فرغنا من كل مطالبنا ورغباتنا وآمالنا ؟ هل تحقق بذلك طمأنينتنا وسعادتنا ومقاصد نفوسنا فى الحياة اقول : لا .. واعتقد اننى اعبر بها عن الفكر البشرى ذى الاشواق والاخيلة والحريات غير النهائية .. الفكر الذى لا يجد فى تحقيق كل الوسائل المادية المذكورة سابقا أية اجابة على سؤاله الخالد من أين والى اين ؟ ومن نحن ؟ وما هو هذا الكون الكبير ؟ ولمن ملكه وملكوت كل شىء فيه ؟ ومن وراءه ؟ وما مصيره ؟ ما هو مصير النفس ومصير العام والقدرة والصحة والغنى فيه ؟ أهو قبض ريح ؟ أهو خيال حالم فلا حقيقة له ؟ أهو عبث لاحكمة وراءه ؟ أهو باطل لاحق فيه ؟ انحن حيوانات تحيا بالجسد وحده ، وكل مطالبها هو الرعى والنوم والشهوة ، ثم تمضى الى الفناء بدون غد ؟! انحن البشر كأسراب الطير والسمك والذباب او كقطعان البقر والغنم ، أو كاهراء الحبوب وهبوات الذرات والقش «مليارات» تأتى ثم تذهب ، ثم يأتى مثلها فى دورات ابدية لا نهائية ؟ اذا فما هى الغايات من خلق هذا الكون الكبير الذى تعمره الحكمة البالغة ، وتتجلى فيه الصنعة الرائعة ، وتحكمه القوانين الدقيقة الصارمة، وتسوقه وتنسقه عصا حازمة ، وتمسكه من الزوال يد قادرة قاهرة ، وتترقرق فيه رحمة واسعة غامرة ؟ ما سره الخفى ؟ ما نبؤه العظيم لدى الفكر العظيم والقلب الكبير ؟

ولا شك أن ما وراء هذا التساؤل هو القيمة الحقيقية للانسان ، والوضع الاصيل له فى الطبيعة، وانه مادام يتطلع الى الاجابة على هذا التساؤل فلن تغنيه الوسائل المادية ولا حل مشكلة العيش هنا وحدها ، لان مطلبه الحقيقى هو الطمأنينة على وضع هذا الكون العظيم وفهم غاياته ، وعلى وضعه هو ومصيره فيه . وأن فراغه من البحث عن وسائل عيشه المادى بعد تيسره له جدير ان يحمله على زيادة التساؤل عن هذا المطلب الاسمى الذى دوخ فكره وشغل قلبه وانتج احسن ماعنده ، وهو الدين والفن والعلم .

وقد كان كدحه لتوفير وسائل عيشه المادى هو الذى عوق جهده وعطل سيره عن مطلبه الاسمى ونبئه العظيم وسره الكبير الذى ما خلق الا من اجله .

وعلى هذا ، فالذى يجب ان يعنينا فى هذا المقام من المادية الالحادية التى تقوم عليها بعض المذاهب المعاصرة من الناحية الفلسفية هو انكارها وجود الخالق ، لان حل « مشكلة الفكر والاعتقاد » ينبغى ان يكون اسبق من حل « مشكلة العيش » اذ ان الاولى تتعلق بها قيم الانسانية وحياتها الدنيوية والابدية التى تشعر انها خلقت لها ، والتى تبعد بها عن افق السوائم والحيوانات التى لايهمها الا تأمين الحاجات الموقوته المحدودة غافلة عن حاجات النفس الانسانية وأشواقها العليا وبحثها عن الطمأنينة على مصيرها فى الكون وعلاقتها بخالقه الاكبر وسره الاعظم ، وخاصة بعد أن تبين للانسان انه عامل عظيم من عوامل التكوين والتخريب والانطلاق بين أجواز الفضاء الكونى ، لا فى الارض وحدها .

فليؤمن الناس بالخالق الواحد على الصورة العلمية او القرآنية ، ليحلوا بذلك الايمان «مشكلة الفكر والاعتقاد» ثم ليذهبوا فى حل مشكلة العيش فى الارض واقامة العدالة الاجتماعية بينهم اى مذهب يرتضونه ما داموا يختارونه بطرق بعيدة عن الارهاب والاكراه والاهدار للقيم الانسانية

عبد المنعم خلاف

بين التدمير والاحتجاج فى أدبنا

للدكتور أحمد كمال زكى

الاحتجاج الذى يظهر عند الادباء الكبار ليس نبذا مطلقا للتنظيم الذى يتشكلون فيه .. فان ما بينهم وبين مجتمعاتهم من تنافر لا يتعارض قط مع رغبتهم فى المحافظة على وجود علاقة معينة ، بمعنى أن الاديب عادة لا يتحرر كل التحرر من بيئته التى يراها متصدعة ، وانما هو يعمل على خلق المادة التى تقيم ما تصدع . أى يقترح الحل الذى يرتضيه !

ليس معنى هذا أن فساد الوسط هو شرط وجود الأديب الكبير ، وانما معناه أن مجرد اختلال التكامل فى « النحن » المتحققة داخل أى تنظيم هو العامل المساعد لظهوره كصاحب موقف وفلسفة . بل ان هذه الفلسفة هى التى تجعله يقف موقف المعارض ، وهى التى تخلق فى نفسه الصراع الذى تنبثق عنه انفعالاته أساس تعبيره الأول .

ومن هنا نفهم أن الأديب الكبير قد يوجد فى المجتمع السليم وجوده فى المجتمع المريض ، ولكن تفوقه يرتبط ــ قبل كل شىء ــ باحساسه انه غير « النحن » التى يضطرب فى مجالها العام .

***

تلك المقدمة ضرورية لفهم ظاهرة التدمير التى يمكن أن تشكل جزءا من أدبنا ، والتى تختلط دائما بروح الاحتجاج حتى ليحسب كثيرون أنه لا فرق فى الموقف الاجتماعى بين عالم فنان كالأصمعى ورجل مثله كأبى عبيدة ، أو بين كاتب كابن المقفع وكاتب آخر كالجاحظ ، او بين شاعر كالفرزوق وشاعر كبشار بن برد .

* * *

ويبدو بوضوح أن سلوك هؤلاء لم يكن محققـــا درجة كبيرة من التكامل الاجتماعى ، وانما كانوا يستجيبون للواقع بقدر فهمهم لنوع الهدف المنشود . فالفرزدق مثـــلا لا يعـــارض التنظيم الذى وضعه الأمويون للحكم ، وانما يعارض الوسائل التى تتبع من أجل الحفاظ على هذا التنظيم . بمعنى أنه لم يكن يسخط على الأمويين حتى يظلم عمالهم قبيلته تميما ، وفى هذه الحال ينصب نفسه محـــاميا ، ويقدم احتجاجه بأسلوب المشفق الحانى .

الفرزدق يقدم قاعدة للاستقرار ، فى حين أننا لو قارنا به بشارا تنهار هذه القاعدة .

فذلك الشـــاعر حين يخلص الى نفسه يكســـو احتجاجه حقدا غريبا ، ويكون مابينه وبين التنظيم القائم من تنافر أثقل من أن يتحمله أسلوب المشفق . فاذا شعره طعنات مسددة الى العرب ، ويبدو هو فيه ابن حياة لا جرى فيها خلف بعير ولا ثقب حنظة من سغب .

ولا تقصـــــعت ولا أكلت ضـــب الحزب
نحن ذوو التيجـــان والمـــــلك الأشـــم الأغلب

وبشار بالتأكيد لا يحتج هنا ولا يقصد الهجاء ، وان كان بامكان أى دارس أن يقرر انه لم يكن أكثر من متصف . غير أن تحامله الذى عرف به فى حياته العامة يقدم ضرورة تفسير ما يقول تفسيرا موجها ، وفى هذه الحال يتبلور حقده وتظهر عقده . واذا هو فى آخر الامر لا يعارض الوسائل التى يقصد بها المحافظة على التنظيم الموجود ، ولا يضع قاعدة للاستقرار ، ولكن يدمر من أجل أن يرتفع هو الى عليين .

كان بشـــار مدمرا وكان الفرزدق محتجا ، وفرق ما بين الرجلين هو فرق ما بين الشعوبى والعربى فى المجال السلوكى .

وعلى أساس هذا التفسير نفسه يمكن أن نفهم حقيقة ما قدمه أبو عبيدة للثقافة العربية كشعوبى وما أســـداه الاصمعى كعربى مخلص ، كذلك نفهم كل ما تبجح به أبو نواس وأبان اللاحقى وأشجع السلمى وسهل بن هارون وغيرهم من الشعوبية وما هدر به قطرى بن الفجاءة والســـيد الحمـــيرى والمتنبى وأبو العلاء المعرى وسواهم من العرب .

***

وبين صفوة الشعوبية كان ابن المقفع الذى مثل روح التدمير خير تمثيل ، والذى أراد أن يكون كما تظهره كتاباته ــ أخطر من يكتب بالعربية . وبعد عدة أعوام قضاها فى البصرة باذلا جهده فى استيعاب ألوان الثقافة العربية كتب كثيرا ، غير أن ايران لم تتنازل عنه ، ولا تزال حتى الآن تقول ان داذبه بن داذ جشنس ــ وهذا اسمه ــ أحد المنشئين الفرس

البلغاء . وقد ذكره بهذه الصفة المرحوم عباس اقبال أستاذ التاريخ والأدب الفارسي بجامعة طهران ، وذلك حين قدم لكتاب بالفهلوية ينسب اليه واسمه في النسخة التي عربها محمد غفراني الخراساني « الادب الوجيز للولد الصغير » .

❊ ❊ ❊

هذا الرجل كان كسالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب ، الا انه اختلف عنهما في اهتماماته الاجتماعية ؛ وكانت هذه الاهتمامات مشربة بروح التحيز للحضارة الايرانية وبالرغبة الشديدة في تحطيم الكيان العربي . فاصحاب هذا الكيان ، في رأيه — تربعوا على عرش ليسو أهلا له ؛ واستمسكوا على غير طبيعة فيهم — لانهم قبائل شتى — بغريزة الاتحاد قصد توفير العيش الرغيد . والى جانب عجزهم عن الوصول الى حد « التسوية » التي يامر بها الاسلام ، فان استعدادهم للقيادة والحكم قاصر . حقا ربما يكون منهم الفرد العظيم ، غير أنهم في الجملة ليسوا في مستوى أجداده العظماء !

❊ ❊ ❊

ان جذور الشعوبية تضرب في أعماق ابن المقفع كما ضربت في اعماق بشار . وكان عليه أن يجد لها الحيز الذي تنمو فيه أغصانها ثم تورق ، فكتب كليلة ودمنه أو جمعها او ترجم بعضها . ولكن هذه لم تسطع في أسلوبها الفني أن تلفت اليه أحدا مع انه كان ينقض فيها نظام الحكم في اسلوب نقدي يشوبه الاحتجاج فكتب رسالة الصحابة ، وهذه كانت في جوهرها لا تختلف عن كليلة ودمنة . فالسلطان فاسد ، وأسلوبه في الحكم والقضاء يحتاج الى تقويم ، وليس من سبيل الى ذلك الا بالاستعانة بأولى الراى من الاحرار — وهم أرستقراطية الفرس — وبجيش جديد يكون من أهل خراسان الأقوياء .

الحضارة الجديدة يجب أن تعتمد اعتمادا مباشرا على تنظيمات الفرس القدماء !

تلك كانت يوطوبيا داذبه بن داذ جشنس ، ولم تكن تتصل بالمفهوم المحدد الذي يضعه العرب الخلصاء للحكم . واذا كان الخليفة العباسي قد فطن الى خبثه فقضى عليه من أجله أو من أجل غيره ، فان آثاره ظلت تدور في ايدي كل هؤلاء الاعاجم الذين يريدون أن يرقوا الى مارقى اليه ، فمنهم من وصل فاطيح به مثله ، ومنهم من اصطنع « التقية » كسهل ابن هارون فعاش في هدوء حتى مات .

❊ ❊ ❊

ومن المؤكد أن عصور ما بعد ابن المقفع كانت تثير دائما غير العرب ، ولكن واحدا لم يحمل روح التدمير كما حملها المنشيء الذي يتنازعه الفرس والعرب على حد سواء . وقد ظهرت هذه الروح بدرجات تفاوتت بقدر عمق الصدع الذي ينشأ بين الأديب ومجتمعه ، وكانت تستغل دائما في الاطاحة بأي نظام . ثم وقف في صفها أصحاب المبادىء الهدامة — سياسيين كانوا أو عقائديين — كما وجد المستعمر فيها نقطة ارتكاز لتحقيق مطامعه .

❊ ❊ ❊

ولعل هذا يحدد بدقة ملامح الادب الذي يصدر به اليوم أصحاب الآراء المنحرفة ، واكثر ما يكون ذلك في أدب اللاعرب أو أدب أصحاب القوميات التي بعثها المستعمر من أشورية وفرعونية وفينيقية وغيرها .

ونستطيع بسهولة أن نجد في شعر واحد كادونيس او آخر كيوسف الخال صورة واضحة للتدمير ، وهي لا تقل خطورة عن الصورة التي يرسمها سعدي يوسف وعبد الوهاب البياتي ممن أعلنوا ولاءهم للمعسكر الشرقي . بل قد تكون دعوة الأولين أخطر لانها في انطوائها على معنى « الطرد » أو « النفي » غير الجبري تخلق مشكلة الانسان المغلوب على أمره المجروحة كبرياؤه حتى الموت .

❊ ❊ ❊

ان أدونيس — واسمه علي أحمد سعيد — قطب فني من أقطاب القومية السورية .. هاجر من سوريا أو نفي نفسه منها ، ثم غنى لعذابات الطرد مع التخلي التام عن كل القيم دينية كانت أو فكرية ، واستطاع باتصاله مع الذين فروا من وجه القومية العربية أن يدفعوا تيار التدمير بعد أن كان — في نظر بعض الدارسين — مجرد احتجاج عنيف .

عنف الاحتجاج لاينجم عنه تدمير ولاشيء كالتدمير لان الاديب المحتج لا ينى يشعر بالرابطة التي تربطه بمجتمعه . ولكن أدونيس يهجر سوريا الى لبنان كافرا بكل شيء قاطعا اتصالاته بالتحن التي كان يتحرك في مجالها المقدر .

ولم يناقش الوسائل التى تتبع للمحافظة على التنظيم المجمع عليه ، وانما حطم جميع الجسور التى تؤدى الى هذا التنظيم . ومن ثم فهو لا يحمل الا رواسب المياه العكرة التى يمر عليها وهو فى طريقه الى النفى والتشريد !

ادونيس اليوم كابن المقفع امس . بل ربما كان ابن المقفع يجد فى آبائه الفرس حافزا الى دعوته الشعوبية ، ولكن هذا الشاعر الذى تخلى عن دينه وعروبته وتقاليده لا يشفع له الا طمع فى العرض الزائل ، وما أهونه !

* * *

فاذا وقفنا عند الاسلوب الفنى لأدب التدمير لقينا عجبا ، ويكاد هذا الاسلوب اليوم يكون الأب غير الشرعى لاسلوب الشعوبية بالأمس . ولكن الأثر الذى يخلفه دائما هو نتيجة جدية الظاهرة ، فابن المقفع يصطنع انماطا لغوية لم تكن موجودة من قبل . وهو يشكل افكاره فى أطر تبعد عن تقليديات الفن المأثورة ، ويمزج القضية الاجتماعية ـ كمضمون ـ بالجمالية الادبية بحيث يبدو لماحا .. بارعا .. ذكيا ، ويظهر شرحه لافكاره طريفا لانه بعيد عن المفهوم الشائع المعروف مهما تكن سطحيته أو بساطته !

اننا نستطيع ان نلمح كل هذا عند ابن المقفع ، ونلمحه أيضا عند من لف لفه ، فان ناقشنا على ضوئه انتاج المحدثين لحظنا شيئين : اولهما أنهم ليسوا فى القمةدون منازع ، وثانيهما انهم رغمذلك على حظ مرموق من الطاقة الفنية . وقلما نجد فى أسلوبهم ـ مع ذلك ـ سوى الانحراف غير المألوف، وتلك علة ان اغلبهم يعجز عن الوصول الى قمة الكبار ، ونقطة الخلافالجوهرية بينهم وبين الادباء المحتجين .

***

فان أردنا أن نتبين معالم هذا الاسلوب وجدناه منحصرا اما فى تحطيم الأطر المتوارثة شكليةكانت او مضمونية ، واما فى العبث بمقدسات المجتمع .

ومن قديم صرحالشعوبيون بعدائهم للغة العربية وادبها ، وشككوا ما دون من أخبار فيها ، كذلك نادوا بزندقة اعتقادية تستهدف تهوين الدين الذى مكن الفتح للعرب ، وان يكونوا فى الظاهر يبدون كما لو انهم يتمسكون بمبدأ الحرية فى التعبير .

فعل بشاربن برد هذا ومن قبله فعله ابن المقفع، كما فعلته « عصبة المجان » التى تراسها أبو نواس

* * *

واليوم نرىالمدمرين ينادونباحلال عاميةالجماهير محل العربية الموحدة ، ومتابعة لهذه المسلمة لاباس من اظهار عجز الحرف العربى عن تسجيل الجرس الصوتى ، وفى هذه الحالتقبل الدعوة الى استبدال الحرف اللاتينى به (وفى محاولاتسعيد عقل بلبنان صورة لهذا الاتجاه) . وأما من الناحية الشكليةفان الحواجز البلاغية التى تفصل بين أساليب العبارة ـ من تشبيه واستعارة ونحوهما ـ يجب أن ترفع لترقد العدم فى القبعة ، وتكتب الاشعار فى سرطان الصمت فى الحصار .. تماما كما اختلطت معطيات الصورة الفنية عند بشار وأبى نواس وغيرهما من الشعوبيين !

وعلى هذا النحو يمكن أن نفهم لماذا تبنى أمثال أدونيس قضية الشعر المرسل ، ثم لماذا يدعو فريق منهم الى قصيدة النثر .

والحقيقة أن الشعر المرسل ووجود القصيدة المنثورة الى جانبه ـ كمظهر من مظاهر التحرر ـ وغرابة المضمون وتشكيك الناس فى الاوضاع القائمة ، كل ذلك هو الذى يظهر أمثال أدونيس متمردا على المجتمع ، ويدفع به الى أن ينشد :

أريد أن أجثو .. أن أصلى
للبومة المكسورة الجناح
للجمر .. للرياح
أريد أن أصلى
لأى شىء يجهل الصلاة

ثم يندفع مع الريح يخلق لها صدرا وخاصرة ، ويسند قامته عليها ـ كما يقول ـ ويسوى وجهها للرفض قبل أن يتخذ من الغيوم دفاتره ويغسل الضياء .

ربما كان يرى هذه الرؤى ، وربما كان يهذى . غير أن الشىء الذى لا شك فيه هو أنه لا يضيف الى رصيدنا الأدبى شيئا ، بل يشكل خطرا يجب دفعه باى سبيل . وكم أرجو أن تحتشد له ولمثله اقلام النقاد لابعاد سلطانه عن الناشئة ، ووضع الحدود بينه وبين الاحتجاج .

دكتور ـ احمد كمال زكى

حول التراث العربي

للأستاذ ابراهيم الإبياري

اتصل الحديث عن التراث العربي هذه الايام وتجمعت اللفتات اليه ، وليس هذا بالعجيب فالأمم بموروثها ، تصل به فكرا بفكر ، ورأيا برأي ؛ وحضارة بحضارة ، وهي ان أضلته أضلت وجودها المتميز ؛ وشاعت في غيرها .

من أجل هذا كان حرص كل أمة حية على تراثها تبعثه لتصل حاضرها بماضيها ، فيستوى لها كيانها الخاص ، وتبعثه لتصل ما لها بما لغيرها فيستوى للحياة كيانها العام :

فالتراث كما هو كل في حياة الامة الخاصة ، جزء من الحياة العامة ، ينظر اليه أبناؤه كما ينظر اليه غير أبنائه نظرة تقديس واجلال .

وأول موصول بتراثه صاحبه ، يصله به وعى مشترك ، وفكر مشترك واحساس مشترك ؛ لذا كان واجب تراثه عليه أوجب وحقه ألزم .

وما فرط السلف من العرب في تراثهم مع العسر واليسر ، فلقد أقبلوا عليه مع سالف الاعوام يخطونه بأيديهم ليحفظوه من الضياع على ما في الخط من جهد وكلفة ، ليلقن الفكر عن الفكر ويمضى الحبل موصولا لا انفكاك بين طاقاته .

ولقد اجتمعت لنا منه أكداس مكدسة في شتى العلوم والفنون والآداب ، ولولا ما أصاب هذا التراث العربي الزاخر من محن مختلفة لكان بين أيدينا منه اليوم ما يربى على ما نملك أضعافا مضاعفة . من تلك المحن تلك التي كانت على أيدى التتار في الشرق حين دخلوا بغداد وطوحوا في دجلة بالكثير من خطيات مختلفة لا يعلم الا الله احصاءها ، وتلك التي منى بها على أيدى الاسبان بعد خروج المسلمين عن الاندلس ، وذلك حين أمر الكردينال خمينيس مطران طليطلة بجمع الكتب العربية في غرناطة واحراقها في ساحات المدينة ، ويقدر المتصلون بهذا ان عدد ما احرق يومذاك اربى على مائة الف مخطوط .

واشق تلك المحن على النفس تلك المحنة التي بعثرت تراثنا هنا وهناك عن تفريط منا لم نبرأ منه الى اليوم اذ لا تزال مخطوطاتنا تخرج عن أيدينا لتغنى بها مكتبات أجنبية مختلفة .

وبعد فان مانملكه موزع بين البيئات العربية ، منه ماتبرزه فهارس المكتبات العامة ومنه ماتحجبه المكتبات الخاصة ولا نعلم عنه الا القليل .

وما أظن الفتور في الماضي يصح أن يلحقه فتور في الحاضر بعد أن تهيأ لنا ما لم يتهيأ لمن سبقونا . ولقد أحس معى هذا الفتور المعنيون بهذه القضية المشتغلون بها ، وأحب أن أضيف الى ما قالوا أن علينا أن نأخذ في اعداد سجل خاص يجمع ما في مصر من خطيات يستوى في ذلك ما كان منها في المكتبات العامة ومكتبات المساجد والأديرة وما كان في المكتبات الخاصة .

على أن يعزز هذا باصدار قانون يحمى هذه الخطيات من الخروج عنا ويجعلها كالآثار سواء بسواء ، وأظن أن بعض البلدان الشرقية سبقتنا الى ذلك .

وما سوف تفعله مصر يجب أن تفعله البيئات العربية الأخرى ليكون لكل منها سجلها الخاص وليستوى من هذه السجلات الخاصة فيما بعد - وأرجو أن يكون قريبا - سجل عام يجمع ما في البيئات العربية كلها في سجل واحد يكون مظهرا من مظاهر الوحدة الثقافية التي هي أساس للوحدة السياسية .

ونحن حين نحقق هذا سوف لا ننسى أن نذيله بالاشارة الى ما لهذه الخطيات من نظائر في المكتبات الأجنبية المختلفة .

وبهذه الخطوة نكون قد حصرنا ما بين أيدينا وسوف تدفعنا هذه الخطوة الى شيئين :

أولاهما : انتقاء ما يعنينا من تلك النظائر .

وثانيهما : تعرف ما ينقصنا على وجه سليم .

تلك خطوة يجب أن تجند لها القوى المثقفة في كل بيئة عربية ، ويجب أن يكون بين هذه القوى تعاون مشترك .

ولكن هل عند هذا ينتهى واجبنا نحو تراثنا ؟

ان علينا أن نصل الأجيال الحاضرة به ، وعلينا أن نكشف عما فيه لنفيد منه في شتى الميادين الثقافية ، وعلينا أن نبسطه لنجمع عليه الصغار مع الكبار فيشب ناشئنا غير أجنبى عنه حتى اذا ماكبر أقبل عليه عن علم به .

ونحن حين نحقق من تراثنا مانحققه على تلك الصور المختلفة قوة وضعفا نفعل شيئا يفيد الخاصة ولكننا لم نفعل الشيء الذي يفيد الخاصة والعامة .

ولكى تتم لنا الثانية يجب أن يجتمع لنا من تلك الكتب الكثيرة التى تدور حول غرض بعينه كتاب واحد نغنى به عن التوزع والتكرار ونوفر على أنفسنا به مالا ووقتا وبلبلة .

فحول رجال الحديث كتب وحول القراء كتب وحول المفسرين كتب وحول البلدان كتب وحول الشعراء كتب وحول الاطباء كتب ، وفى التاريخ كتب وفى التفسير كتب . واكثر هذه الكتب يكرر بعضها بعضا والقارىء بينها عاجز عن أن يقتنيها كلها ، عاجز عن أن يقراها كلها . ولو استصفينا من كتب كل غرض كتابا يجمع ما فيها كلها دون تكرار كناقد يسرنا على الناس ثقافتهم ، ووفرنا عليهم وقتهم ووفرنا عليهم ما لهم ووصلناهم بثقافتهم دون عناء ، ثم هيانا للمشرفين على الثقافة العامة أن يجعلوا من هذه الكتب المستصفاة مختصرات يفيد منها الناشئون فيقبلون على ثقافتهم العربية مبكرين .

وعندها سوف تلزم كلياتنا العملية بأن تمهد بلفتة الى ما كان للسلف من جولات فى تلك الميادين ، فيزود طالب الطب كما يزود طالب الصيدلة كما يزود طالب الهندسة بمجملات تجمل هذا الماضى الطويل العربى وتعرف بجهوده وتعرف برجاله ليستقبل هؤلاء الطلاب جميعا حياتهم العلمية وهم على صلة بماضيهم يعلمونه ولا يجهلونه فاخذون فى مستقبلهم وهم مؤمنون بأنهم واصلون لا بادئون .

وعندها سوف نوفر على أنفسنا عناء فى طبع آلاف الآلاف من مطولات ، لاتزال مخطوطة فنجتزىء بطبعات زنكوغرافية لها ، بعد أن نختار أوضحها خطا وأقربها الى السلامة على أن نطبع منها عددا محدودا يكون للخاصة بعد أن نزوده بفهارس واستدراكات .

وبهذا نكون قد حفظنا تراثنا كله ومكنا منه الخاصة ، وبهذا نكون قد وصلنا عامتنا بتراثنا كله ، وبهذا نكون قد أفسحنا المجال لتعمق هذا التراث وسبر أغواره والتفتيش فيه تفتيشا مختلفا لنستخلص منه ما لم نستخلصه الى اليوم فى ميادينا الثقافية المختلفة ، ومالازلنا الى اليوم نشكو عجزنا فيه .

هذا راى أحب أن يؤمن به المعنيون بالتراث العربى ايمانى به لنجعل منه خطة موحدة نرسم بها الوسيلة لتنفيذها .

ابراهيم الابيارى

التغلغل الصهيونى فى جنوب شرقى آسيا

للأستاذ محمد محمود رضوان

تحاول الصهيونية جاهدة أن تتغلغل فى آسيا بعد أن مكنت لنفوذها فى كثير من البلاد الافريقية ، وهى تستعين فى ذلك – كما استعانت فى أفريقيا – بالنفوذ السياسى لسادتها المستعمرين . وبالمعونات الاقتصادية التى يمدها بها الاستعمار الغربى فتتخذ منها اسرائيل بدورها أداة للتغلغل فى هذه البلاد تحت ستار مساعدتها وتقديم الخبرات الفنية لها .

والزائر العربى لمنطقة جنوب شرقى آسيا لا يجد عناء فى ملاحظة الجهد الذى تبذله الصهيونية ، والنشاط الذى تمارسه فى الميادين الاقتصادية والثقافية والفنية والاجتماعية فى بلاد المنطقة ، سواء أكان هذا النشاط على يد الصهاينة مباشرة أم على يد عملائهم من رعايا الدول الاستعمارية الذين يعملون فى المنطقة ما بين دبلوماسيين أو خبراء أو أساتذة أو رجال اعمال أو موظفين استقدموا للعمل فى نطاق برامج المعونات المختلفة كمشروع كولومبو أو فى منظمات هيئة الامم المتحدة نفسها ..

ومجال الصهيونية فسيح فى بلاد المنطقة التى لاسرائيل فيها تمثيل سياسى كما هو الحال فى تايلاند وبورما وكمبوديا ، أما حينما يقترن التمثيل السياسى لاسرائيل فى بلد ما باتساع النفوذ الغربى فى هذا البلد فان نشاط الصهيونية يبلغ مداه ، كما هو الحال فى تايلاند حيث للولايات المتحدة نفوذ راسخ ، ويقل هذا النشاط أو يكاد ينعدم فى بلد متحرر أدرك حقيقة الصهيونية ونواياها العدوانية فلم يعترف باسرائيل كما هو الحال فى اندونيسيا ، أو فى بلد اسلامى تكشفت له ألاعيب الصهيونية وتسترها تحت مسوح النعرة الدينية والعصبية المذهبية لترسيخ نفوذها الاستعمارى .. كما هو الحال فى الباكستان ..

وبالرغم من أن اسرائيل أصيبت بخيبة أمل كبيرة اذ لم تدع الى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ ، وبالرغم من التوصية التى اتخذها المؤتمر المذكور بشأن فلسطين فان الصهيونية لم يداخلها اليأس من منطقة جنوب شرق آسيا ، بل انها استطاعت

ـ لفترة طويلة ـ أن تتغلغل في بعض بلاد المنطقة مثل سيلان ، وبورما ، وأن تقيم علاقات اقتصادية وفنية واسعة ، ولكن الزمن كان كفيلا بأن تدرك معظم هذه البلاد خطر الصهيونية ونياتها الاستعمارية فقلمت من أظافرها .

وفي بورما استطاعت اسرائيل ان تمكن لنفوذها تحت ستار من المعونات الفنية ، وظلت سنوات تقدم المنح الدراسية للطلبة البورمانيين ، وزحفت الشركات الاسرائيلية الى مشروعات التعمير ، واسهمت برؤوس أموالها مع رؤوس الاموال المحلية في اقامة البنوك ودور الكتب وغيرها ، واستضافت اسرائيل الفنيين البورمانيين ـ ومعهم أسرهم ـ لكي يتدربوا في مستعمراتها ويعايشوا أهلها ، وبعثت بالخبراء والمهندسين اليها ، وأذكر أني شهدت في شوارع رانجون بعض المهندسين الاسرائيليين يشرفون على رصف الطرق ، ومن المفارقات الطريفة أنهم كانوا يستخدمون الاسمنت المصنع في الجمهورية العربية المتحدة وتستورده بورما منها ، وكان اسم « مصر » مكتوبا بالانجليزية على حقائب الاسمنت . هذا وللجالية الاسرائيلية في رانجون نشاط اجتماعي بارز ، وتشارك السيدات الاسرائيليات في النشاط النسائي بالعاصمة ، ولقد شهدت فيها حفلا نسائيا وكان الوزير البورماني المختص يوزع الجوائز على السيدات وتشترك في عملية التوزيع زوجة السفير الاسرائيلي .

ومع أن اتحاد الملايو يتمتع باستقلال ذاتي منذ فترة طويلة ، فقد ظل أمدا طويلا خاضعا لاستعمار بريطانيا وواقعا تحت نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي ، كما أنه عضو في الكومنولث البريطاني . ولايزال البريطانيون يسيطرون على كثير من المرافق والمؤسسات كخبراء أو مستشارين أو موظفين ، فليس بدعا أن تجد الصهيونية متنفسا لها في الملايو سواء رضي الملاويون أو كرهوا . وكانت الملايو قد اعترفت باسرائيل منذ زمن ، ومنذ أعوام طلب الحزب الاسلامي المعارض من الحكومة سحب اعترافها باسرائيل ، وندد ممثلو الحزب في البرلمان بجرائمها التي ارتكبتها ولا تزال ترتكبها في حق العرب واللاجئين . ووقف يومئذ رئيس الوزراء تنكو عبد الرحمن يرفض في اصرار مايطالب به المعارضون ويقرر أن الملايو اعترفت باسرائيل باعتبار انها عضو في الامم المتحدة فحسب ، وأنه يكفي ـ مجاملة للدول العربية ـ أن الملايو لا تقيم مع اسرائيل تمثيلا دبلوماسيا ، ثم قال كلاما آخر في حق العرب لا هو بالدقيق ولا هو بالكريم .. ومع هذا فانك ترى في أسواق كوالا لمبور البرتقال اليافي ، ويقدم اليك في المآدب شراب من زجاجات تحمل نجمة اسرائيل ، وتحفل مكتبة العاصمة بالكتب الصهيونية ، وبين أساتذة جامعة الملايو صهيونيون عريقون يوجهون الدراسات كما يشاءون ، وحينما مرض ملك الملايو السابق مرض الموت استدعى لعيادته طبيب اسرائيلي ... فقضى عليه .

أما في سنغافورة فمجال الصهيونية أفسح ، ومرتعها أخصب ، فهي لم تنل استقلالها الذاتي عن بريطانيا الا منذ سنوات ، ثم ان هذا الاستقلال لم يكن يشمل ـ حتى أيام قليلة ـ السياسة الخارجية وشئون الدفاع ، فاذا أضفت الى هذا أن سنغافورة ميناء تجاري حر ، وأن الصهاينة أذكى التجار الذين يستغلون فرصة أو مغنما ـ أدركت السر في زحفهم السريع اليها ، وتغلغلهم فيها . وللجالية اليهودية في سنغافورة نفوذ واسع ، ولاسيما أولئك الذين وفدوا اليها من العراق واشتغلوا فيها بالسياسة والتجارة ، ولهم فيها مدارس ومعابد ونواد وجمعيات ، وثمة عدد من الاطباء الاسرائيليين يتولون التدريس بكلية الطب أو يعملون بالمستشفيات .

وللصهاينة أسلوب في الدعاية ذكي خبيث ، فهم ـ أو عملاؤهم ـ يلجأون في كثير من الأحيان الى الدعاية غير المباشرة... الدعاية من «بين السطور» ، وهو أسلوب قد يكون أوقع وأنفذ . ففي مقدمة لكتاب عن « التربية والتعليم في الملايو » ـ مثلا ـ يقحم المؤلف الانجليزي قصة تعذيب اليهود رجالا ونساء وأطفالا في معسكر نازي وابادتهم بغاز خانق ، ويفتن الكاتب في ابراز الصورة البشعة للضحايا « الذين لا ذنب لهم الا أنهم خلقوا يهودا » ، ثم يخرج من هذه القصة ـ والاعتساف واضح ـ بضرورة التربية ، وأهميتها لحماية الجنس البشري.. ومن ثم فهو « يكتب عن التربية في الملايو » . وفي بحث عن « الفنون في جنوب شرقي آسيا » يقحم المؤلف بدون مناسبة معقولة اسم اسرائيل وجهودها « الرائعة » في تعمير الصحراء .. الخ الخ ..

وللافلام اليهودية سوق رائجة في المنطقة ، ونحن نعرف سلطان الصهيونية وسيطرتها على رؤوس أموال شركات الانتاج السينمائي العالمي ، والافلام الضخمة التي تنتجها هذه الشركات بعد ان تحشد لها أعظم الكفايات في الاعداد والسيناريو والتمثيل والاخراج • وتقوم معظم هذه الافلام على قصص دينية افتن كاتبوها افتنانا في تزييف التاريخ • وابراز الدور الذي لعبه الجنس اليهودي ، واظهارهم في مظهر الشعب المضطهد المظلوم المكافح عن المثل العليا ، وتبرئتهم من دم المسيح ، وانهم على العكس كانوا اصدقاء المسيحية المنافحين عنها ضد أعداء الدين الخ الخ ••• وقد عرض فيلم « بن هور » — وهو مثال حي لهذه الأفلام — في بلاد المنطقة جميعها ، وقد شهدته في أضخم دار من دور العرض في بانجكوك ، وأذهلتني الدعايات الضخمة التي احيط بها ، وسمعت بين عبارات حواره عبارة تتنبأ بقيام دولة لليهود ترد الحق الى نصابه ، « هكذا » ، وتحقق عدالة السماء « هكذا •• هكذا » •

وحينما اعتزم عرض « بن هور » في اندونيسيا هاجمته الهيئات الدينية لجافاته لحقائق الاسلام • وافلحت الشركة بعد لأي في اقناع المسئولين بعرضه حين تبرعت بجزء ضخم من ايراده لمنكوبي الفيضان في البلاد ، ولقد احاطت هذا العرض بهالة ضخمة من الدعاية المقصودة المنظمة ، وكأنها — بهذا الصنيع — تتحدى الذين عارضوه ، ووزعت الشركة يومئذ آلاف الكتيبات بقصة ابن هور مترجمة الى اللغة الاندونيسية ، وكان الغلمان يطوفون بها في الشوارع وينادون باسمها كما يفعل بائعو الصحف؛ ووزعت على تلاميذ المدارس حقائب جلدية منقوشا عليهم اسم الفيلم ، كما نقشت كلمة « بن هور » على السيارات والدراجات البخارية التي تذرع شوارع العاصمة طوال فترة عرض الفيلم فيها •••

وحينما عرض فيلم (سليمان وملكة سبأ » في الملايو — وهو من نفس الطراز الصهيوني — هاجمته المنظمات الدينية لما يشتمل عليه من مناظر تؤذي الفضيلة وتمس مشاعر المسلمين فاضطرت الهيئات المسئولة الى وقف عرضه بعد شهرين •

أما في بقية عواصم المنطقة كسنغافورة وبانجكوك وهونج كونج ورانجون وغيرها فان الافلام الصهيونية تحتل جزءا كبيرا من برامج دور السينما دون قيود ، وقد عرضت فيها أفلام صهيونية كثيرة مثل « الوصايا العشر » و « مذكرات آن فرانك » و « عملية ايخمان » وغيرها •••

وفي الأعوام الاخيرة لجأت اسرائيل — والصهيونية من ورائها — الى أسلوب التغلغل عن طريق الاشتراك في المسابقات الرياضية ، واستطاعت — كبلد آسيوي — أن تحصل على عضوية الاتحادات الآسيوية الرياضية ، واشترك فريقها في كثير من المباريات التي أقيمت بين دول المنطقة •

ولم يفت اسرائيل أن تستغل عملاءها من الصهاينة الأعضاء في المنظمات الدولية الرياضية والاتحادات الأولمبية أيما استغلال ، فأثار هؤلاء — باسمها — عدة مشكلات دولية في المحيط الرياضي ؛ هي مشكلات لم يكن لعالم الرياضة عهد بها من قبل أن تبرز الى الوجود هذه الدويلة المصطنعة ، والعهد ليس بعيدا بالخلافات التي ثارت بسببها في اندونيسيا •• وفي دورة نابولي الحاضرة • والشعار الزائف الذي يتستر تحته عملاؤها في هذه المنظمات هو مبدأ الفصل بين السياسة والرياضة •

ففي شهر أغسطس من العام الماضي استبعدت اندونيسيا الفريق الاسرائيلي من الاشتراك في الدورة الآسيوية التي أقيمت في جاكرتا ، وأثيرت يومئذ ضجة لا مبرر لها ، وتأزمت العلاقات بين اندونيسيا والهند بسبب موقف رئيس اللجنة المنظمة للدورة — وهو هندي — من حكومة جاكرتا في هذا الصدد حتى لقد أوشكت هذه العلاقات أن تنفصم لولا حكمة الساسة في البلدين الصديقين • ولقد انتقم عملاء اسرائيل في اللجنة الأولمبية الدولية لها فقضت هذه اللجنة بعدم شرعية دورة جاكرتا بالرغم من النجاح العظيم الذي أحرزته والكفاية النادرة التي أديرت بها ، ولم تقف اللجنة الأولمبية عند هذا الحد بل تمادت فقررت وقف اندونيسيا عن الاشتراك في دورة طوكيو عام ١٩٦٤ عقابا لها على موقفها من اسرائيل ومنذ قريب وصف الرئيس سوكارنو اللجنة الأولمبية الدولية — بسبب موقفها هذا — بأنها وكر استعماري ، وأكبر الظن أن هذا هو السبب الذي من أجله فكر الرئيس سوكارنو في اقامة دورة باندونيسيا تشترك فيها البلاد المنبثقة حديثا في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، والتي أطلق عليها اسم (جانيفو) — والتي حدد لها شهر نوفمبر المقبل •

أبو تمام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٢ -

نسب ابى تمام ، وما يتصل به :

الحديث عن نسب ابى تمام يستتبع فيما نرى حديثا قد يتصل به اتصالا مفيدا ، فان مجرد سرد الروايات المتضاربة لاثبات انه عربى ، او نصرانى ، قد يفى بحاجة الراوية او القاص ، ولكنه لا ينقع غلة الاديب الباحث ولا يشفى صدر الناقد البصير .

ذلك ان جمع الاخبار المتناقضة شىء وتمحيصها باجالة الفكر فيها شىء آخر ، والفرق بين هاتين الطريقتين كالفرق ما بين حاطب الليل والغائص على الدر ، فالاول يحشد فى جعبته كل ما تلمسه يده .. والثانى لا يجتذب ناظره الا الغالى الثمين .

وقد قرانا فى نسب ابى تمام روايتين مختلفتين : رواية تؤكد انه عربى طائى ، واخرى تلحقه بنسب نصرانى .. !! ، فعلينا اذن امام هذا الاختلاف ان نجيب فى دراسة متبصرة على السؤال التالى :

« هل كان هذا الاختلاف حقيقيا دعا اليه فقدان الدليل الحاسم فى امر هام كهذا الامر ، ام انه كان خلافا مفتعلا دفعت اليه الخصومة وشاءه الحقد والشنآن . ؟ »

وأنت حين تسأل نفسك هذا السؤال ستهتدى - لا محالة - الى جواب ما دمت طالبا جوابا . »

(التغلغل الصهيونى - بقية)

وفى شهر ابريل الماضى حاولت اسرائيل أن تندس بين وفود الصحافة - كما حاولت من قبل ان تندس بين وفود الرياضة - ولكنها أخفقت ، وانعقد مؤتمر صحفى آسيا وافريقيا بجاكرتا ، واتخذ المؤتمر قرارات وتوصيات ضد الاستعمار فى كل مكان .

ولم يفته ان يتخذ توصية شديدة اللهجة يدمغ فيها اسرائيل بالعدوان الدائب ، ويطالب بحق اللاجئين العرب فى العودة الى ديارهم ، ويندد بالدول الغربية التى تقدم لاسرائيل المعونات العسكرية ، وتستخدمها مخلب قط فى تحقيق أهدافها الاستعمارية .

وبعد ، فان الأخطبوط الصهيونى قد بلغ حدا من الخطورة لا يستهان به ، وهو يضرب فى جبهات متعددة يعينه فى ذلك عملاؤه المنتشرون فى كل مكان ، وتفسح وكالات الأنباء الغربية صدرها لكل ما يتقول به من أكاذيب ومفتريات وتزييف للحقائق وتلوين للأنباء بما يتفق مع دعاوى الصهيونية كما فعلت هذه الوكالات مؤخرا بمناسبة مسالة العلماء الألمان الذين يعملون بالجمهورية العربية المتحدة .

والحق أن عدالة قضيتنا مع الصهيونية - وحدها - لا تكفى فى عصر يسهل فيه على الدعايات الخبيثة أن تلبس الباطل ثوب الحق ، وانما يقتضينا الامر جهدا ضخما فى كشف حقيقة الصهيونية للعالمين ، واطلاع شعوب المنطقة على عوراتها وسوآتها ، واذا كانت الصهيونية قد افلحت فى التمويه على كثير من الشعوب الغربية واستطاعت أن تستدر عطفها عليها بالزيف والخداع - فان شعوب منطقة جنوب شرقى اسيا لاتزال اذهانها صحائف بيضا من غير سوء ، واخشى ما اخشاه أن يخلو الجو للصهيونية فتبيض فيها وتفرخ ، وتبلغ منها ما بلغت من بلاد الغرب وبعض بلاد أفريقيا ، ويومئذ نندم - حيث لا ينفع الندم - على ما فرطنا فى أمرها ، بل انى لا أبالغ إذا قلت ان الصهيونية قد خدعت بعض القوم فى المنطقة ، واستطاعت - اذ جهلوا الحقائق - أن تستجدى عطفهم ، وأن تبلغ منهم مبلغ الذى يقول « هم شعب برىء يريد أن يعيش ، فلماذا يحال بينه وبين العيش فى سلام ؟ » .

وأما الأفلام الصهيونية فلا قبل لنا بالحيلولة دون عرضها ، وحتى اذا جاملتنا الدول الصديقة المدركة لما فيها من زيف وتضليل فمنعت عرضها فى بلادها فان جدوى ذلك ضئيلة ، وانما المجدى حقا أن نقوم بانتاج أفلام عربية قوية مضادة تعرض التاريخ العربى والاسلامى على وجهه الصحيح ، وتكشف زيف الصهيونية وتبرز مؤامراتها وعدوانها ، والأمر يقتضى تعاون البلاد العربية فى انشاء صندوق لتمويل هذا الانتاج السينمائى وحشد أضخم الامكانيات المادية والبشرية له ، وتسويقه عالميا ، وبذلك يمكن أن يواجه الانتاج الصهيونى بنفس سلاحه ، وأن يدمغ ما يقدم لشعوب آسيا وأفريقيا من زيف واختلاق .

محمد محمود رضوان

وسيفضي بك البحث والتحقيق الى تعرف كل من الدافع والغرض الذين بسببهما وقع هذا الاختلاف في الرواية .

واليك سبيل الاجابة على تساؤلنا نسوقه في ايجاز :

رواة ثقاة يؤكدون أنه عربي صميم من قبيلة طيىء .

ـ وابو تمام نفسه يفخر بعروبته ، ويدل بها امام الرؤساء وعلية القوم اذ يقول في مدحه لأحمد ابن ابي دؤاد مفتخرا بشرف قبيلته العربية :

اضحت اياد في معد كلها
وهم اياد بنائها المعدود
تنميك في قلل المكارم والعلا
زهر لزهر ابوة وجدود
ان كنتم عادي ذاك النبع ان
نسبوا ، وفلقة ذلك الجلمود
وتركتموهم دوننا فلأنتم
شركاؤنا من دونهم في الجود
كعب وحاتم اللذان تقاسما
خطط العلا من طارف وتليد

فالشاعر يزاحم الممدوح بمنكبيه في أصالة العروبة، ويستعلي بنسبه على من حضر مجلسه وفيهم عرب وعجم ، فما نجد من هؤلاء من ينكر عليه ذلك او يماري فيه .

ـ وابو تمام ، وهو من هو مكانة وجلال قدر ، والمحسد الذي ينشد الامراء والسادة وهو جالس، فيقفون لحلاوة انشاده وعذوبة قريضه حتى ليعبث بك الظن احيانا فتسأل : أيهم الشاعر المادح ، وايهم الامير الممدوح ؟ ! .

ـ وابو تمام ، يستطلب ليمدح ، والشعراء واقفون بالباب يطلبون في ضراعة والحاح ان يؤذن لهم بالانشاد فيدخل شاعرنا في قليل من الاكتراث والرجاء ، وينصرف من كانوا وقوفا بالباب في كثير من الأسى والخيبة .

فهل ترى ان شاعرا كهذا كان يخفى على المجتمع حينذاك نسبه ، او يجهل الناس أمر والديه اللذين انحدر من صلبهما ؟ ، وقريته التي ولد بها .. ؟ ، وتاريخ مولده .. ؟ ، بل تاريخ وفاته .. ؟

فكل هذا الاضطراب ، قد وقع في تاريخ ابي تمام على الصورة التي مر بك بعضها ، وما علمنا اضطرابا مثله وقع في حياة نابه كأبي تمام ..!.

ولك على ضوء ما تقدم أن ترجح في أمره نتيجة تشير اليها مقدمتها : انه عربي طائي ، خامل الاسرة ان لم يشرف بها ابو تمام ، فقد تشرفت طيىء كلها أيما شرف به .

ـ وطائفة حسنة الظن تلقفت في سذاجة من أفواه حساده : انه نصراني يدعى انتسابه الى العرب ليشرف بهذا النسب الجليل ، وقد كان للشاعر حساد واعداء نفسوا عليه براعته في الشعر ، من امثال عدوه اللدود في مصر الشاعر يوسف بن السراج ، والشاعر عتبة ، واستدل القائلون بنصرانيته بقول شاعر حاقد يهجو ابا تمام :

لو ان عبد مناف في ارومتهم
تقبلوك لما ضروا ولا نفعوا
مر باع قومك ناقوس وشمعلة
فاذكر مرابعهم فيها اذا ارتبعوا

والدافع الذي من اجله كان هذا الاختلاف ـ فيما نرجح ـ هو محاولة خصوم ابي تمام الغض من تراثه الفني بتجريحه في عروبته ، والحاقه بالنصرانية ليتسنى لهم التأثير على الناظر في شعره ـ حتى اذا نظر فيه حكم له او عليه متأثرا بنسبه..! فقد كان الاعتداد بأمر النسب امرا له وزنه في الحكم على انتاج الاديب ، وله تأثير في موازين النقد الادبي الى حد بعيد .

ولئن كانت السياسة بقيام دولة بني العباس قد خففت من حدة العصبية التي تبنتها السياسة الاموية ، فان جذورها ما تزال طرية في كل نفس عربية ، والتأثر بها في نطاق الادب العربي لا يزال كما كان من قبل او أشد ، فان العربي الذي كان سيدا آمرا يحز في نفسه ان يرى الموالي قد وثبوا على كل شيء ، فلا اقل من ان ينقد ادب العباسيين وهو متأثر بعروبته ، ومشتف بها لعله يشفي بهذا بعض ما يجد في قلبه من مرارة ، وما يصادفه في يومه من ذلة وهوان .

والمذهب الذي نتحدث عنه ، كان في بني امية معترفا به عند بعض الناقدين كأصل من اصول النقد الادبي ، فالناقد حينذاك كان ينظر فيما ينظر من انتاج الشاعر الى نسبه ، فالشاعر المجيد الذي يجمع الى الجودة اصالة النسب وعراقة القبيلة ، يفضل آخر له القدح المعلى في دولة القريض لانه من قبيلة خاملة ، لم يكن لها يوم من أيام العرب في الجاهلية .. !! :

ومثالان من امثلة النقد في العصر الاموي يوضحان هذا المذهب :ـ

١ ـ قال الصلتان العبدى فى معرض المفاضلة بين جرير والفرزدق :

أرى الخطفى بز الفرزدق شعره
ولكن خيرا كليب مجاشع

فهو فى الشطر الاول يفضل شعر جرير على شعر الفرزدق ، وهذا سليم من ناحية النقد الادبى النزيه ، ولكن عاد فناقض نفسه فى الشطر الثانى بالاستدراك : « ولكن خيرا من كليب مجاشع » ، فالاستدراك الذى ترى لا دخل له فى هذا الشان وكان يستقيم فى مذهب النقد البرىء ان يسوق الدليل على ما تضمنه الشطر الاول ويمسك ، والا يشتمه فى الشطر الثانى ، فان مثل هذا الشتم كان يضع منه كشاعر فى عصر يؤمن بمجد القبيلة ويعتده شرفا أيما شرف .. !! وهذا المذهب كما ترى حيف أى حيف ، وخروج بالموازنة عن تحكيم النص الأدبى الى التزكية بالاب والام .. !!

٢ ـ سئل أبو عمرو بن العلاء عن رأيه فى الاخطل، فقال :

« لو ادرك يوما واحدا من الجاهلية ، ما قدمت عليه أحدا » .

وهذا الصنف من شيوخ اللغة ورواة غريبها لا يقنع ان يعيش فى قديمه ويدع المجددين وتجديدهم، وانما يحاول جاهدا وفاء لمذهبه ان يعطف كل جديد تملك جدته عليه مشاعره الى قديمه الذى عاش فيه ، ويعيش من اجله .

الوراثة واثرها فى الانتاج الفنى :

من المفيد ان تعلم طرفا من تاثير الوراثة فى الاديب . لان الوراثة انما تصنع فنه على مثالها ، وتصوغه على نمطها .

والفنان الذى لا يلقف من بيئته الهامه ، ولا يستمد وحيه من واقع حياته واحساسه ، انما هو غاش كاذب ، كالقزم الذى يلبس ثوب العملاق ، أو الببغاء التى تحكى كل ما تسمع .

فنسب الاديب من هذا الجانب ، قد يفيدنا فى التعرف على مصادر ادبه فائدة عظمى فى هذا الشان ، ولكن طابع الوراثة فى الانتاج الادبى ليس هو كل شىء بالنسبة لمن يعرض لدراسة فن الاديب، وانما هو بعض من كل ، ونحن اذا احتجنا الى البعض فى بلوغ ما نريد ، فان حاجتنا اشد الى الكل حتى نستطيع ان نلمس الاهداف التى تستريح عندها عقولنا ، وتطمئن لها ضمائرنا .

وسواء اخذت فى شأن أبى تمام انه عربى ، أم ارتضيت له النسب الثانى فالذى ينبغى ان تستيقنه على ضوء ما تقدم ان عروبته لن تشفع له فى باب المفاضلة حين يجىء مسبوقا ، وان نصرانيته لن تبخسه حقه حين يأتى فى دولة القريض سابقا ، فانتسابه الى أى قبيل انما هو بعض ما يجب ان يعلم عنه ، وبلوغ الغاية فى فنه هو عمود البرهان على فضله وتقديمه فى دولة القريض .

وبعد ، فالرواة يختلفون فى نسب ابى تمام :

فطائفة تنسبه الى قبيلة طيىء ، فهو حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس بن الاشبح بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى ابن عمرو بن الغوث بن طيىء .

ـ وطائفة تميل بنسبه الى النصرانية ، فهو : حبيب بن تدوس النصرانى العطار من قرية جاسم من أعمال دمشق ، فحرف أبو تمام اسم ابيه الى اوس لينتسب الى العرب .

وقد مر بك أمر يتصل بنسبه ، هو اضطراب الرواية فى تاريخ ميلاده ووفاته ، والقرية التى نشأ بها ، ولعل السر فى هذا الاضطراب أن عصر الشاعر كان لا يزال معنيا عناية خاصة بتدوين علوم الدين واللغة والعناية بتاريخ رجالهما ، ولئن كان للادب نصيب من هذا النشاط الا ان الاهتمام لم يكن مصروفا الى تتبع تاريخ الادباء على النحو الذى وجدناه فى منتصف القرن الثالث الهجرى.

والذى يثير عجبنا على الرغم من هذا التعليل المقبول ، اضطرابهم فى تاريخ وفاة أبى تمام .. !! ، فلئن جاز ان يختلفوا فى مولده والقرية التى درج بها ، فان هذا الجواز لا موضع له فى وفاته ، ذلك أن شعر أبى تمام قد شرق وغرب واستحداثه فى الشعر مذهبا خاصا قد شغل أدباء عصره وجلب انظارهم اليه ، فمنهم المادح وفيهم القادح ، بل ان الوطن العربى الكبير حينذاك كان تجاه دعوة أبى تمام ، اما اعجاب وحماس لمذهبه الجديد ، واما مكاء وتصدية من تمرده على موروث التقاليد .

فهل يستقيم فى منطق العقل ان نابها كان هذا شأنه يجهل الرواة يوم وفاته الى الحد الذى تتضارب فيه الروايات .. ؟! .

والذى نملكه فى هذا المقام هو ان نسرد عليك ما قرانا عن مولده ، ونشأته ، ووفاته : ـ

مولده : لم يتفق المؤرخون على رأى فى عام ولادته ، فمن ذاكر أنه ولد عام ١٨٠هـ ، ومن ذاهب الى انه ولد عام ١٨٨هـ ، ورواة يقولون انه ولد

١٩٢ هـ ، وآخرون نقلوا عن الشاعر نفسه انه ولد عام ١٩٠ هـ .

نشأته :

يذكر ابو الفرج أن أبا تمام نشأ «بمنبج» أو فى قرية من قراها ، ويرى غيره انه نشأ بقرية جاسم من أعمال دمشق ، ويزعم غيرهما انه درج فى قرية من قرى دمشق .

كما اختلف الكاتبون فى وفاة ابى تمام اختلاف التواريخ الآتية :ـ

عام ٢٢٨ هـ ، عام ٢٣١هـ ، عام ٢٣٢هـ .

ولكنهم لحسن الحظ أجمعوا على انه دفن بالموصل .

ابو تمام فى مصر :

اتصل حبيب ببنى عبد الكريم الطائيين ومدحهم فى صدر شبابه ونافح عنهم بهجاء عتبة بن ابى عاصم الحمصى عدوهم الألد فى حمص ، ثم تحول الى موسى ابن ابراهيم الرافقى فى دمشق فمدحه واشاد بقومه .

ويظهر انه وجد من هؤلاء عونا على الرحيل الى مصر ، حيث الحركة العلمية والادبية فيها كانت على اشدها ، فالحقوه بقافلة تقصد الفسطاط ، فمدح بها « عياش بن لهيعة الحضرمى » ، وأقام عنده مدة ليستبطيه ، ويستزيده فلم ينل منه خيرا ، فانصرف الى «ابى المغيث» يختصه بالثناء والاطراء فلم يجد عنده عونا كذلك .

وفى حديث الشاعر عن رحلته الى مصر مرارة وجدنا مثلها فى حديث ابى الطيب المتنبى ، وهذه المرارة تعبير صادق عما اصيب به كل منهما من خيبة الآمال ، تلك الآمال العراض التى حببت اليهما السفر من الشام الى القاهرة ، وتفسير هذه الظاهرة موكول أمره الى التاريخ السياسى الذى يعرض الاسباب والنتائج من طبيعة الحالة السياسية والاجتماعية فى هاتين الفترتين .

يقول ابو تمام فى هذا :

بنفسى ارض الشام ، لا أيمن الحمى
ولا أيسر الدهنا ولا أوسط الرمل
عدتنى عنكم مكرها غربة النوى
لها وطر فى أن تمر ولا تحلى
أخمسة أعوام مضت لمغيبه
وشهران بل يومان ثكل على ثكل
نأيت فلا مالا حويت ولم أقم
فأمتع ، اذ فجعت بالمال والاهل

وهى قصيدة طويلة لا محل لذكرها ، اذ نستطيع أن نفهم من ابياته السابقة انه مدة اقامته بمصر كان حنينا موصولا الى وطنه «الشام» ، وانه تحول «مكرها» عن وطنه الى بلد آخر .. ! ! بحثا عن الغنى وجريا وراء الثروة .

وتلك فيما نرى نفس تاجرة من أخص صفاتها انها تنشط من أجل مطامعها الخاصة ، ولا يعنيها أن تألم لما سوى ذلك ، فقد كانت هذه الظاهرة بعض سمات عصره ، وهذا عذر لمن شاء أن يعتذر عنه .

وقد اقترنت فترة اقامة الشاعر فى مصر بأحداث وتقلبات سياسية من انتفاض أهلها على الولاة العباسيين اكثر من مرة ، وكانت سببا فى الفتك بكثير من الاشراف والسادة ، مما نرى بعضه ماثلا فى شعر ابى تمام ، قال :

فأصبح حيث لا تقع لصاد
ولا نشب يلوذ به حريب
بمصر ، وأى مأربة بمصر
وقد شعبت اكابرها شعوب

ويقول فى قصيدة أخرى :

وصارعت عن مصر الرجاء ، ولم يكن
ليصرع عزمى غير ما صرعت مصر

ويبدو لى أن أبا تمام كان يتحرق للثراء فى رحلته الى مصر اكثر من أى شىء آخر ، أليس هو القائل يشكو اخفاقه فى الحصول على الغنى بمصر :

عصيت شبابا حزمى لطاعة جيرة
دعتنى الى أن افتح القفل بالقفل

والقائل بعد عشر سنوات تقريبا من مغادرته لها، وهو يخاطب محمدا بن عبد الملك الزيات :

ولى همة تنضى العصور وانها
كعهدك من ايام مصر لحامل !

فاما هجرته اليها فى سبيل طلب العلم ، وصقل الموهبة ، فقد عرض له بعد عجز عن الغنى ، وفشل فى تحصيل الثراء ، ومن ثم قصر همته على الدرس والتحصيل فى جامع عمرو ، فكان له فى ذلك كل الخير .

واذن فقد كانت رحلته الى مصر من أجل المال «نأيت فلا مالا حويت» ، ولم يكن يلتمس المال ليثرى كما كان الشأن فى المتنبى ، وانما التمسه لينفقه فى ملذاته ، ولينقع به حرمانا طالما شعر بلذعته فى الشام وفى مصر ، اذ أن أمره لم يعرف بعد ، وبواكير فنه لم تحمل الى قصور بغداد وما حولها .

مما نشرته الرسالة فى أكتوبر سنة ١٩٥١

هبي يا رياح الخريف هبي

هبى يا رياح الخريف هبى ! هبى واحطمى هذه الاشجار الغلاظ التى تأكل خير الارض ، وتحجب نور السماء ، وتقطع سبيل الناس ! ولا تحمل الا شوكا من غير ثمر ، وخشبا من غير نفع ! وخضرة من غير جمال !

هبى يا رياح الخريف هبى ! .. هبى واهدمى هذه الأوكار القباح التى اتخذت اشكال القصور وانتحلت اسماء الاندية ، فباض فيها الشر باسم السياسة ، وفرخ فيها الفجر باسم الرياضة ، واوت اليها ابابيل من البوم التى تعلن الخراب ! والخفافيش التى تمج الظلام ! والغربان التى تذيع الفرقة ، فلا ترى فيها ولا تسمع منها الا خمرا تعربد ، وقمارا يصطرع ! وترفا يفسق ، وسرفا يدمر !

هبى يا رياح هبى ! .. هبى واكنسى هذا الغثاء العفن الذى زكم الطرق وسد المسالك مما فنى من الجذوع ، وبلى من الفروع ، وذبل من الأوراق ! فاصبح شوهــا فى الاعين وثقلا فى الأرجل ، ثم لايكون الا أذى اذا عطنه الماء ، والا قذى اذا اثاره الهواء ، والا لظى اذا مسته النار !

هبى يا رياح الخريف هبى ! هبى واقشعى هذا السحاب المتراكم الذى ارتفع ارتفاع الدخان ، وانتفش انتفاش العهن ، فحجب الشمس ! وحصر الأفق ، واحر الأرض ! ثم لا تجد من ورائه مطرا يدفع الجدب ، ولا طلا يمنع الحرور !

هبى يا رياح الخريف هبى ! .. هبى واقلعى ذلك النبات الدنىء الذى يتطفل على اشجار الوادى ، فيتغذى على أصولها ، ويتسلق على فروعها . حتى اذا ادرك الهواء والضياء والرفعة ، التف بعساليجه وكلاليبه على اعاليهــا التفاف الأفعوان ، فيكظم انفاسها فلا تنسم ، ويشل حركتها فلا تميس ، ثم يقول مشيرا باطرافه الرخوة الى كل عابر : انظر ! الست انا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ؟ واذا لم يسخر الله لى الشجر فكيف أنمو ؟ واذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟

هبى يا رياح الخريف هبى ! .. هبى واعصفى بما ذكرت وما لم اذكر من زبد يقول انه زبد ، وسراب يزعم أنه شراب ، وحطام متخلف من بقايا الشعوب والخطوب والعقائد والحضارات والأساطير يدعى انه امة !

ولكنك يا رياح الخريف تهبين كل عام بين وقدة الصيف وخبوة الشتاء فتكنسين ما تكنسين ، فاذا دارت الارض دورتها الكبرى عاد كل شىء الى حاله ، ورجع كل شخص الى ضلاله ! فاية ريح اذن تستطيع أن تنسف ما تعانيه من فساد تأصل فى كل عمل ، وتغلغل فى كل امر ، وتدخل فى كل حكم ؟ لعلهــا الريح التى اهلك الله بها عادا الاولى فاهلك معهــا الطغيان والبهتان والكفر !

انها الريح التى تصحبها الروح ، والرجفة التى يتلوها البعث ، والقرة التى يعقبها الربيع !

الزيات

* * *

(أبو تمام والتجديد ـ بقية)

والذى يجب ان تذكره له مصر ، ان خيبة امله فيها لم تدفعه الى قذفها وتجريح اهلها كما فعل أبو الطيب ، وانما كان عفيف اللسان ومنصرفا عن الشتم الجارح حتى فى مقام خصومته لابن السراج الشاعر المصرى الذى ناصبه العداء .

وقد ذكروا انه أقام فى مصر خمســة اعوام أو تزيد ، ضيق العيش يسقى الماء بالجرة فى جامع عمرو بن العاص ، وعلى هذا ، فان مدرسته العلمية التى عاش فيها تلك الاعوام قد أنضجت عبقريته وصقلته بصقال علمى يرى اثره واضحا فى شعره ، فمسجد كمسجد عمرو فى عصر الشاعر كان جامعة شعبية متكاملة .. يومها الدراسى من صلاة الفجر الى ما بعد العشاء ، واساتذتها نخبة مختارة من خاصة العلماء والمفكرين وطلابها كل محب للمعرفة وطالب للتثقيف .

د . عبد الرحمن عثمان

الثعبان العاشق

للأستاذ على الجندى

جاء فى الصحف : أن عروسا حسناء تسرب اليها ثعبان ـ وهى على المنصة فى ليلة جلوتها ـ فلدغها لدغة ماتت على أثرها !! ثم انسل هاربا لايدرى أين ذهب ؟ !!
وقد ذهب بعضهم الى أنه ثعبان حقيقى ، وذهب آخرون الى أنه جنى تمثل فى صورة ثعبان ، وقد قتلها غيرة عليها !

***

اجبنى ومثلك لا يكتم ... أأنت بها كلف مغرم ؟ ! !
سباك جمال يهيج الغرام ... بقلب الخليل ، فيستسلم
وشغفك حب حماك الكرى ... فبات عليك الكرى يحرم
عذرتك ! كيف ينام المشوق ... وأضلاعه لهب مضرم
فغرت عليها ، وثم غيرة ... يسيل على طرفيها الدم
فأطفأت غيظك فى لدغة ... تشيط بها الساق والمعصم
وفى نابك السم ربيته ... وسمك ليس له بلسم
اذا خالط الجسم منقوعه ... يقل عليه الذى يسلم
فأصميتها فى ثياب الزفاف ... وعاجلها القدر المبرم
وحل النواح محل الغناء ... وناب عن الفرح المأتم
ورب محب ـ لفرط الجوى ـ ... يقارف ذنبا ولا يعلم
ويأتى الجريرة ـ وهو البرىء ـ ... ويفعل مايفعل المجرم
وفى غفلة العقل يقضى على ... حبيب الفؤاد ولا يرحم
لنا فى «ابن رغبان» أسنى العظات ... وقصته حادث مؤلم
أتاح له الدهر شمسا وبدرا ... تدين لحسنيهما الأنجم
فخاف ـ اذا ماقضى ـ أن يصير ... الى غيره ذلك المغنم
وللمرء من شكه حافز ... الى فعل مابعده يندم
فهب وفى نفسه ثورة ... وفى صدره يزأر الضيغم
وفى قلبه غضب عارم ... وفى كفه خنجر لهذم
فأورد حبيه ورد الحمام ... وذو الطيش من عقله معدم
فيا للصبا النضر ! ! ياللجمال ... يضحى به الشاعر الملهم
وأظلم من بات تحت السماء ... محب لأحبابه يظلم
وعض أنامله نادما ... وأنحى على وجهه يلطم
وراح مدى العمر يبكيهما ... وأدمعه عارض مثجم

***

وكم سائل : كيف تهوى الصلال ... ويفتنها الخد والمبسم
نعم يعشق الأفعوان الملاح ... ويصبو الى حسنها الأرقم
وفيها المتيم مضنى الفؤاد ... ومن بات فيه الهوى يحكم

الزائر الغريب

للسيدة جليلة رضا

مع الليل أصغي اليه يحوم حول الديار ويغزو الحـديقه
ومن ثقب بابي أراه يسير على العشب في خطوات رقيقـه
ينحي بلطف أكف الزهور وقد طوقت في عنـاد طريقـه
ويقرص خد بنفسجة ويغلق أعينهـا المستفيقـه
ويلهو مع الفل والياسمين ويعبث حينا بصدر الشـقيقه
ويرخي سواعد لبـلابة تمطت أمام الفضـاء طليقـه

***

هناك على مقعد من رخام أرى الضيف تحت ظلال الشـجر
ولا شيء يؤنس وحـدته سوى النبع في سيره .. والقمر
ونبشـة طير عصاه الرقاد وأنات ورق هـوى واحتضر
ويعلو النداء عميقا صخوبا كصوت السماء ، كصوت القدر
« تعالي الى لـكي تسعدي فاني الحيـاة لكل البشر
وان لم تجيئي سآتي اليك وفي كل ليل هنا انتظر ...»

***

وانسى السـنين وعبء السنين واعزف لحني وقيثاريا
والبس ما عز عندي وطاب وأعقص شعري بمرآتيـا
واملأ كاس الغريب بشوقي واملأ كاسي بأحلاميا
ومن ثقب بابي أراه أمـامي فيهبط قلبي لأقداميـا
وتبدأ حرب الصراع الرهيب وأحكم اغلاق أبوابيـا
ويرجع ضيفي بغير لقاء حزينا ويهجر بستانيـا

***

وفي الصبح افتح بابي الكبير وعبر الحديقة أقفو خطـاه
فيهمس غصن الى جاره وترنو الخميلة لي بانتبـاه
وتبدو الحديقة في زهوها قد استقبلت في الظلام اله
فمن كل ركن تهادى عليه وفي كل وجـه نبـات رآه
يشع ضياء ويسري عبير وتدفق من جانبيـه ميـاه
فاذكر اني سمعت الغريب ينادي «أنا الحب ، اني الحياه ..»

جليله رضا

(الثعبان العاشق ـ بقية)

وفيهـا « جميل » وفيها الذي لقيس بني عـامر توءم
يطوف بليلاه في خدرهـا وليـلى بـما سرهـا تحلم
يقبـل مبسـمها تارة لها رونق ، ولها ميسم
ويتركهـا تاركا درة وحينـا توجنتهـا يلثم
محاسن « حواء » مهوى القلوب بها كل ذي مهجة مغرم

علي الجندي

خواطر وآمال
استوحاها الكاتب من رحلته إلى لبنان
للمستشار أنور حجازى

الى الأمنية المنشودة فى الرحاب وفى الجوار

الأمنيـــة العزيزة المرتجـــاة ، التى تجيش فى الصدور ، وتحيا فى الأفئدة وفى حنايا الضلوع تربض فى أعماق القلوب ، كالايمان فى قداســته ، سرمدية كالقدر ، عريقة تأصل الحيـــاة وفلسفة الوجود ، عميقة عمق الجذور وعمق اليقين •

الى أغلى أمنية يتطلع اليها كل عربى فى مشارق الأرض ومغاربها ، يسعى جاهدا فى سبيلها بالحس والجارحة ، بالمال والـكيان ، بالنفيس والولد ! لايبتغى من وجوده ســواها ، ولا يرضى بغــيرها بديلا ، ولو جعلوا العـــزة فى يمينه ، والقـدرة والاقتدار فى يساره •

ســاومه المغرضــون عله ينثنى عن عزمه ، فابى واستعاذ ، وصرع فيهم الغرض السىء ، وكشف عنهم الستر ففضح فيهم شـــائبة الغواية والتضـــليل ، واستنار المؤمنون بعروبتهم ، وتبصروا فى أمرهم وأيقنوا مستبشرين أن مجـــد العرب وعزتهم فى وحدة شاملة ، وتضافر الجهود ، وتجميع القوى •

وانطلقت الأمنية من رقدتها فى وثبة رائعة زلزلت جبروت الطغاة ، وأقضت مضاجعهم ، فحفلت لها الدنيا باسرها ، وانصتت الى الزئير الصاعد المدوى تستوضح معناه وكنهه ومداه ، فاذا به زئير فى مداه عزم وتصميم على أن نصنع لنا مجدا يتخلد به ذكر العرب ، واذا به زئير فى مداه دعوة السلام ، ولا شىء غير الســـلام ، لا تبتغى استعداء ولا عدوانا ! ولا تسلطا ولا استعبادا ، وسيلتنا الجهر بالحق ، والذود عن المستضعفين ، وتسفيه الطغيان ، والتأليب عليه حتى يثوب الظالمون الى رشاد ، فيحيا الناس فى وئام وتنتصر دعوة الحق نصرا مؤزرا ومبينا •

فسلكت أمتنا سبيلا جديدا لا هو غربى ولا هو شرقى ، يصول بها مضمارا شعاره العـــزة والمجد والأمن والأمان ، ومناصرة كل ذى حق أينما كان ، وحيثما يكون ، تذويبا للخلف المستعر ، وطمســا لعالم التجبر والطمع والافتئات حتى تعمر الدنيـــا باسباب الرضا والمحبة والسلام •

ثم ماذا بعد الأمنية ••• ؟؟

تسبيح بحمد الله ، وذكر أفضاله ومننه ، وترديد نعمائه وما افاء به على عباده ، ترديد يتمثل فى قيام الضارعين ، وركوع الخاشعين ، وسجود المستجيرين ترديد هو الدعاء لاستمطار رحمته ، مستظلين بوجوده الوارف ، أينما كان الحل وأينما كان الترحـــال ، قانتين ، قائمين فى محاريب الوجود العظيم ، فكل وجهة أنت موليها محراب مقدس سامى التقديس ، يتقبل فيه الدعـــاء ، ويستجيب الرب لعبـــاده المخلصين والتائبين •

تمثلناك – يارب – جلت قدرتك ، فيما وهبت وأعطيت ، وفيما جدت وســـخوت : وفيما منحت وأجزلت ، وفيما خلقت وســـويت ، وفيما اقمت وارســـيت ، وفيما بسطت فى وجودك الرائع من آيات بينات تسطع فى آفاق البشرية منـــذ الأزل تعلن عن عظمتك وجبروتك ، وقدرتك وحكمتك ، وسموك وكمالك ورحمتك بعبادك : فانت لهم الملاذ والوجاء والضمان والأمان ، والحصن الحصـــين للخائف والمستجير •

❋ ❋ ❋

رحماك يارب جلت قدرتك ، ان عبادك يتـــابعون التسبيح آناء الليل وأطراف النهار تسبيحا كله ثناء لانك قدرت ولطفت ، كما يذكرون الفضـــل والنعماء والمنن التي اغدقتها عليهم ، فلاذ بك الصالحون الزاهدون والمتبتلون ، وطمع فى عفوك ورضـــاك من وسوس له الشـــيطان وزل وعصى ، ثم تاب وأناب واستغفرك واستجار بك واسترحمك فى خشوع وزلفى والزلفى لاتكون الا لك ، والخوف لايكون الا منك ، فانت رب السموات والارض ، تعز من تشاء وتذل من تشاء انك على كل شىء قدير •

تمثلنا بعض قدرتك فيما رأيناه وعشناه وتمرسنا فيه ، وسبحنا فى فلكه وتجولنا فى رحابه وربوعه ، تمثلناها فيما أجريت من انهار وبحـــار وأغادير وبحيرات ، وفيما أرسيت من جبال شاهقات وهضاب وربى وكثبان ، وفيما بسطت من أرض خضراء وفيافى وقفار ، وفيما جادت به تلك الارض المبسوطة من زرع وخير عميم ، وفيما جادت به الفيافى والقفار أحيانا

من زرع نادر منثور ، وما تجود به الجبال الشاهقات والربى من زرع قليل وفريد ٠

كل ذلك يارب ــ واكثر منه ، هو بعض ما تمثلنا به قدرتك ، وقد احطنا بكثير منها ، وتنقلنا في ربوع شرقنا العربي العريق وتجولنا في رحابه وفي جواره ، فراعنا الكثير واستحوذ الاعجاب والدهشة على الحس والمشاعر ، فتعبدنا في محراب طبيعتك وآوينا الى حماها نستلهم منها الجمال والاشراق والرضا ، وظفرنا بكل ذلك بلا جهد أو عناء ٠

أجريت بين ايدينا نهرنا الخالد ، نيلنا الكبير ، نيلنا الذي حكى لنا قصة البشرية وقصة الخلود ٠

وبدأت رحلتي الى لبنان بان عبرت نيلنا الجبار ، ثم مرت في جواره تارة وفي رحابه أبدا ، ساعيا الى مينائنا العريق ، الاسكندرية العروس زعيمة البحر الابيض ، عروس تتيه في مربط بها على الوجود كله بعراقتها ومجدها الخالد ، منذ كانت ، وكان لها

وما يزال ــ من الشأن المجيد ما يفيض على طاقة المحصي والمام الذاكرين ٠

كما تتيه اليوم بما أتاه بنوها من امجاد اهتزت لها معالم الحياة في ديارنا ، فاحس بنا الوجود الخارجي ، الوجود الذي أصغى لصوتنا واستبان آمالنا ، فبهرته المفاجأة ، لانها تطوي ثورة وتطوي انطلاقا ، فصفقت لنا قلوب المنصفين ٠

وتتابعت دقات الساعة التي دوت في أرجاء الحياة معلنة مولد فجر جديد ، ساطع كالاشراق ، اشراقه مبهر ومضيء ، فاضل المنافذين المرائين ، وافلت الزمام من أيدي المكابرين المضللين ٠

وهكذا سطعت رسالتنا في الوجود كله بما حفلت من مثل وأهداف وأماني وآمال ، هادية مترددة تحمل لنا ولاجيالنا القادمة خيرا كثيرا ، وتقر بما للغير من حق ومن امل ومن سعي كريم ، لاتبخل بالعون والزاد والمؤازرة ان تيسرت في الطاقة والاحتمال ، وان جاءتها الدعوة راغبة مطمئنة ٠

وقضينا في اسكندريتنا ساعات تهيأنا بعدها لركوب البحر الابيض الزاخر الجميل ، وانطلقنا فيه تحملنا باخرتنا «سوريا» ، سوريا العزيزة اسما وبلدا ومغزى ومعنى ، باخرتنا تلك التي حملتنا حانية رفيقة متوددة شفوقة ٠

وسارت بنا باسم الله مجريها ومرساها حتى ارست مراسيها في ميناء بيروت العظيم ، الدرة الشرقية العريقة ، فنزلنا اليها وانطلقنا في رحابها فرحين مغتبطين ، سعدنا بما رأينا وبما سمعنا وبما أحسسنا ٠

رأينا عزمات شرقية تسعى الى قمة المجد الحضاري والتقدمي ، وسمعنا توددا واقبالا وترحيبا ، ترحيبا من الناس والاهل والصحاب تتوج بالترحيب القضائي الرسمي الكريم ٠

ثم احسسنا حبا ورضا لمسناهما في عشيرتنا وبين اهلينا وانطلقنا من «بيروت» الى الجبال والهضاب والربى ، وكذلك الى الوديان والحدائق والبساتين وما حوت من ينابيع صافية رقراقة دافقة ، رأينا نبع الصفا ، ونبع الباروك ، ونبع جعيته ومغارته ، ونبع قاديشا ومغارته ، وينابيع زحلة الشهيرة بروعتها وجمالها ومؤازرتها للشاعر والكاتب والاديب والتي أوحت لامير الشعراء خالد الذكر « شوقي » بكثير من قصائده العصماء ٠

تناثرت تلك الينابيع وغيرها عند جبال لبنان والى جوارها فاضفت عليها جمالا ورقة ونسمات رطيبة عليلة طافت بنا وطفنا بها وعشنا معها أياما تخلدت في عمق نفسي وعمق مشاعري ودخيلة حسي ، فاسعدتني وارضت مدارك وعيي والهامي ، وانطلق المعنى في خيالي وتدفق الكلم يسعى الى قلمي فتلقفه حريصا حانيا لرصده ومضات حلوة مضيئة تحكي اياما وتحكي آمالا وتحكي عن وجودنا العربي الأصيل انه بخير وان أهدافه العظمى في عمق اليقين والاصرار والالحاح ، حملها الناس صونا وحفاظا محوطة بعزمات صادقة من التمرة والوعي والايمان ٠

اهداف صنعتها رسالة كبرى ، وحملها ابناء مخلصون ، شعارها كالقسم الاكيد وسمتها كالايمان واليقين ، أن يعلو شأن العرب صاعدا حتى السماك رفيعا في قدر السمو وقدر السماء ٠

أنور حجازي

من تاريخنا السياسي

نزاهة كاتب مجاهد

للأستاذ محمد رجب البيومي

اني على جريدة الاخبار القديمة زمن ما كانت اولى الجرائد المصرية انتشارا ورواجا بين القراء ، فقد تسنم صاحبها الغيور امين الرافعي مكان القيادة بين رجال الصحافة الافذاذ بما اشتهر عنه من وطنية رائعة ونزاهة عالية ، ثم جد من المفاجآت المذهلة ما جعلها بين يوم وليلة تتضاءل توزيعا فقط ، وان كانت تحتفظ بقوة الراى، وصراحة المنطق ووضوح المحجة ، حتى مكث صاحبها اربعة اشهر لا يجد ما يعطيه من المرتبات الشهرية للمحررين والعمال ، واضحت تذر افلاسها الاليمة للعيان مهددة بعض الاسر الكادحة بالضياع وفى سواد هذه المحنة الحالكة رات بعض الشركات الاجنبية التجارية — لحاجة فى نفس يعقوب — ان تصطنع الرجل الملزوم فى ضيقه الكارب فارسلت اليه شيكا يحمل الفا من الجنيهات ليكون اجرا لاعلان متكرر عن بعض المشروبات المسكرة ، وفرح محررو الصحيفة — كما يقول الاستاذ المازنى — حين علموا بالثروة الهابطة فجاة على امين ، فهم لا محالة سياخذون رواتبهم المتجمدة ، وستسير الجريدة قدما الى امد قد يطول حتى تعتدل الامور ، ولكن صاحب الاخبار رد الشيك فى انفة الى اصحابه معلنا ان جريدته السامية لا يمكن ان تتضمن اعلانا يغضب الله ! وبهت المحررون ! واعلنوا للاستاذ ان افلاسه القريب امر محتوم ، فرد الرجل فى هدوء : ارحب بالافلاس دون ان نغضب الله !!

اما كيف انخفضت ارقام التوزيع بعد ارتفاعها الخارق فهذا مانعالجه الآن فيما يلى من السطور .

كان امين الرافعى طالبا بمدرسة الحقوق حين انشا مصطفى كامل حزبه الوطنى ، وقد راى فى مبادئه الحرة ما دفعه الى اعتناق وجهته السياسية فى الجلاء السريع ، وكانت جريدتا اللواء والدستور ميدان قلمه ومتنفس آماله فانطلق يدعو الى الحرية دعوة عالية هادفة ، واخذ يتحدث عن ابطالها الاعلام فى الشرق والغرب ممن نفعوا اوطانهم المضطهدة اذ انتشلوها من وهدة الاستعباد الى قمة الاستقلال ، وقرا المصريون لاول مرة فى الصحف اليومية فصولا هادفة عن غاريبلدى ومازينى وفيكتور هوجو كما عرفوا معارك الحرية فى فنلندا وارلندة وفرنسا وغيرها من الدول التى تتمتع اشد بالعزة والاستقلال .. وكان لصاحب هذا القلم — وهو طالب مبتدىء — من التاثير النفاذ ما ظل متمتعا به طيلة حياته الصحفية ، وذلك لان الوطنية قد تحولت لديه الى عقيدة دينية لا يتسرب اليها الشك ، وكان لوضوح الهدف فى عينه ما ساعده على الجهاد فى عزيمة واقتدار ، فلم تكن الوطنية فى مذهبه تجارة رائجة تتكسب بها الاقلام، كما كانت لدى كثير من الكتاب ! فهم يميلون مع الريح انى مالت ثم لا يعدمون من خلابة المنطق وتمويه الجدل والتباس الامر ما يظهرهم فى ثياب الشرفاء الاحرار !! هذه العقيدة الراسخة المطمئنة جعلت امينا الرافعى وهو طالب مبتدىء يفند مزاعم الاحتلال فى اصلاح البلاد وجدوى مجالس المديريات وحقوق مجلس الشورى اقوى تفنيد تمده الغيرة المخلصة والاباء الرفيع ! بل انه يتصدى لاقوى كتاب عصره من المواطنين المخلصين حين يختلف معه فى الراى فيتفوق عليه كما يتفوق على الاذناب والعملاء من صنائع المحتلين ، فقد دعا الشيخ على يوسف بجريدة المؤيد الى اشتراك مصر فى مجلس المبعوثين العثمانى ولم يعدم من ادلته الخطابية ما يؤيد دعوته الى هذا الاشتراك، ولكن امينا الرافعى طالب مدرسة الحقوق يدحض دعوة الكاتب الكبير فيزهق انفاسها فى المهد حين يقول فى صدر اللواء ٩ اغسطس ١٩٠٨ من مقال طويل «ونحن نتساءل كيف يرضى صاحب المؤيد بان يسلبنا حقوق مصر وامتيازاتها ومطالبها بالاستقلال والدستور ، وهل يخالج ضميره قبول الخديوى النزول عن سلطته لمجلس المبعوثين ليصبح كاحد الولاة الذين ليس لهم فى الامر شىء، اننا لفى حيرة من امر صاحب المؤيد فلا ندرى ما الذى حدا به الى ابتكار هذه الفكرة ، والقول بهذا الراى ، مع انه يعلم ان اوربا تتهمنا صباح مساء باننا لا نحتج على الاحتلال ، ولا نناصبه العداء الا رغبة فى استبدال حكم الاتراك به وسلب مصر حكمها الاستقلالى الذى تمتعت به زمنا طويلا ، ولا مشاحة فى ان ما جاء به المؤيد هو مما يلصق هذه التهمة بنا ، وهل كان مجلس المبعوثين الذى يتساوى فيه المصريون خيرا من دستور خاص بمصر يضمن استقلالها ويدبر بالحكمة جميع مصالحها

ومصالح أبنائها ! ان من العار والخزى أن تنزل أمة عن حقوقها وامتيازاتها وان من الخرق والضعف أن يقر امرؤ على نفسه بدين لم يتقده ! »

هذا نمط من إسلوب الشاب المبتدىء فى الدفاع ! ولسنا هنا بسبيل الاحاطة بحملاته الكثيرة المتشعبة فذلك ما لا يفى به هذا المجال ، ولكننا نشير الى روحه المتوثبة ، ونزاهته المخلصة حين لا يندفع مع الحزبية العمياء فى كل معترك بل يزن الموقف بالقسطاس المستقيم مقدرا مصلحة الوطن ، لا رغبة الاحزاب والافراد ، وتلك ان تعلم انه كان يدعو بشدة صادقة الى انتخاب اسماعيل أباظة عضوا بمجلس شورى القوانين ، ولم يكن الرجل من اعضاء الحزب الوطنى الذى ينتمى اليه امين ، وينطق بلسانه فى صحفه المختلفة ، ولكنه يعلن تقديره الزائد له اذ وقف موقف المعارض فى مشروع مد امتياز شركة القناة ، وهو بذلك جدير بالانتخاب ليواصل معارضته الوطنية حين تتطلبها الازمات المتلاحقة ! وكان عجبا لدى كثير من الناس ان يقف كاتب الحزب الوطنى هذا الموقف من رجل لا ينتمى الى سياسة رجاله ، ولكنه ليس بعجب لدى من يعرف مثالية امين ويرنو اليه فى فلكه الرفيع !

على ان اصرح ما يضرب به المثل لهذه النزاهة الرفيعة هو موقف امين الرافعى من زعيم الامة سعد زغلول ، فقد كان ذا دلالات بعيدة فى مغزاه الكبير ، وهو مجال القدوة المثالية لمن يريد ان يعرف كيف تسمو الوطنية المؤمنة عن الأهواء والميول .

حين انتهت الحرب العالمية الاولى بعقد الهدنة هبت الأمة المصرية عن بكرة ابيها تطالب بحقوقها المغتصبة ، وسافر سعد زغلول الى باريس على رأس وفد مصرى يبسط ظلامة بلاده ، فى مؤتمر الصلح ، وظن بعض الاغرار ان امين الرافعى رجل اشخاص لا مبادىء فهو لا يؤيد الا حركات محمد فريد وعبد العزيز جاويش من زعماء الحزب الوطنى ، ولكنهم فوجئوا بامين يدير دفة الحركة الوطنية فى لجنة الوفد المركزية فاخذ يحرر قراراتها ويكتب نداءاتها ويجمع الشعب حولها ، واتخذ جريدة الاخبار منبرا لاتحاد الكلمة ، فهو يتبنى القضية المصرية تبنى الوالد الأبر الحدوب

وكان لايفتأ يراسل الوفد المصرى فى باريس بما يشد ازره من المذكرات والقوانين ، وتناسى نفسه حين أخذ يكتب مقالاته الشهيرة (الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا) بتوقيع احد اعضاء الوفد ؛ فاحدثت صداها الرنان وجاءت نتيجتها السارة فى اجتماع الشمل والقضاء على العنصرية البغيضة التى يتخذ منها الاحتلال ثغرة واسعة للتحرش فالوثوب ! واذ ذاك كانت جريدة الاخبار لسان الامة الناطق تسير سيرها فى الوادى فيقرؤها كل بيت ، وارتفعت ارقام توزيعها ارتفاعا لم يسبق له مثيل فى عالم الصحافة المصرية ، وبلغ من تأثيرها البعيد ان امين الرافعى دعا بها — لاول مرة — الى مقاطعة لجنة ملنر ، فتقبلت الامة دعوته قبول التأييد ، وكأنه جمع الناس على قلب رجل واحد فلم تستطع اللجنة ان تجد من يهش لاستقبال آرائها من المخلصين ، ومع ما بذل من الجهود الاستعمارية لنجاح اللجنة فقد رجعت بالخيبة اللاذعة ، وعرف سعد جهاد امين وقوة ايمانه فكتب يثنى على وطنيته ويشيد بموقف الاخبار ذات الصدى البعيد .

ولكن ! ويالى من ولكن هذه ! لم تسر الريح رخاء بين المجاهدين كما كان يرجو امين اذ اختلف مع سعد على نقطة سياسية هامة لم تشأ رجولته الابية ان يغمض عنها جفنه ، فيحنى رأسه قليلا للتيار العام بل آثر ان يجهر بالمعارضة الصادقة مهما رجعت عليه بالمصاعب الثقال ، فان صاحب الاخبار كان يطالب بوضع أساس صالح للمفاوضات قبل الدخول فيها ، اذ يوافق الطرفان مبدئيا على الاستقلال التام لمصر والسودان ثم تدور المفاوضات على كيفية تحقيقه ومدى تمامه وما يتطلبه من العهود والالتزامات ! ولكن سعدا لم يشأ ان يعوق المفاوضات حتى يسمح الاحتلال بقبول هذا الاساس ، فهو يلمس من تصلبه وعناده ما يجعل التمسك بهذا المطلب عقبة كبيرة ربما كان الخير فى الاغضاء عنها الى مدى قريب !! وهنا جازت جريدة الاخبار بمعارضة سعد فى أوج زعامته وتمكن شعبيته ، فانصرف عنها من لا يقدرون مثالية الكاتب وايمانه ، وانخفض توزيعها الى حد جعلها تشرف على الهاوية ، بل تسرع بعض السفهاء اذ ظن أن معارضة سعد جريمة لا تغتفر ، وجمع من يرى رأيه من الاغرار وتوجهوا الى دار الاخبار ليرجموا ابوابها بالطوب ويكسروا منافذها

الزجاجية ، وكأنها لم تكن الى مدى قريب ، حادية الركب ومنارة الطريق ...

لم تؤثر هذه المضايقات المرهقة من مادية ونفسية فى روح امين ، ولم تصرفه عن الحق لحظة ، فحين نفى سعد ورفاقه الى سيشيل جعل صحيفته منبر الدفاع عن حريتهم ، وطالب الاحتلال برد الزعيم الى وطنه ليقود السفينة الى الاستقلال ، ولو لم يكن امين خصما مثاليا لتذكر جراحه النفسية من الوفد وكيف رجمت داره بايدى الرعاع من الطائشين المتسرعين ! بل كيف وقف على الهاوية يبحث عن نفقات جريدته فلا يجد السبيل ، ولكن الحق فى رأيه حق لا يلتبس بما حوله من الظروف والمناسبات ، فاعتقال الناس وتشريدهم عن اوطانهم جريمة الجرائم ، مهما كانوا خصوما فى ساحة الجهاد !!

وقد تدهش حين ترى امينا يتفق بعد ذلك مع الوفد فى اكثر آرائه فهو يهاجم تصريح ٢٨ فبراير كما هاجمه الوفديون ، وهو كذلك يحارب لجنة الدستور وينتقد المبدأ الذى قامت على اساسه ، والطريقة التى تم بها اختيار الاعضاء كما حاربها الوفد سواء بسواء ، ولم يك هذا الاتفاق وفقا لهدنة مؤقتة بين الطرفين ، ولكنه توارد خواطر مخلصة فيما أعتقد ، ولئن دل على شىء فانما يدل على ان هذا المجاهد المضطهد الفقير لا يعنو فى اتجاهه السياسى لغير ضميره المؤمن الصدوق ، ولم يكد يقع حادث السردار فى نوفمبر ١٩٢٤ وتعقبه استقالة الوزارة السعدية وتأليف الوزارة الزيورية حتى تزعزع كيان النظام الدستورى اذ أوقف البرلمان شهرا ثم تعطلت الحياة النيابية الى مدى غير محدود وقامت الوزارة الزيورية باجابة كل ما يريد المحتلون من مرهقات فهى لم تنقذ ما تستطيع انقاذه كما كان يقول رئيسها المخدوع ولكنها أغرقت كل ما استطاعت اغراقه كما قال بعض المتهكمين من الظرفاء ..وقد كان التفكير فى ضرورة اعادة الحياة النيابية شغل صاحب الاخبار مع أن البرلمان وفدى ينظر اليه نظر المعارض العنيف ، ولو استجاب امين لما عند الضعفاء من أهواء شخصية لاتنظر الى المصلحة العامة ، لم يفكر مطلقا فى دعوة برلمان يقاسمه العداء ! ولكن الحياة الدستورية فى راى الخصم المثالى فوق النزاع الشخصى مهما الحق من المتاعب وجر من الصعاب ، فهداه تفكيره الصائب الى الالمام بقاعدة دستورية توجب اجتماع البرلمان بنفسه اذا لم ينص على موعد اجتماع البرلمان الجديد فى مرسوم الحل ، وكتب فى جريدة الاخبار يعلن أن الدستور يحتم اجتماع البرلمان فى يوم السبت الثالث من الشهر الحالى لان الحكومة لم تدع الى انتخابات جديدة فمن حق البرلمان أن ينعقد من تلقاء نفسه اذا لم يدع الى الانعقاد قبل يوم الثالث من شهر نوفمبر ، وقد اخذ يسرد من الشروح القانونية ما يثبت وجهة نظره مشفوعة بالمراجع والاسانيد ، فصادف نداؤه موضع الاقناع من نفوس النواب والامة ، واجتمع البرلمان تلقائيا فى فندق الكونتنتال يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وكسبت الامة عودة الحياة النيابية بقوة ارادتها واستماعها الى صيحة امين ، وقد كتب مقالا شافيا عقب اجتماع البرلمان يشرح فيه كيف اهتدى الى فكرة الاجتماع عن طريق الدراسة القانونية والتمحيص الدستورى ناقلا شتى الحجج من النصوص والاسانيد ثم ختمه بقوله :

« لقد انعقد البرلمان فى فندق الكونتنتال بين سمع الحكومة وبصرها فكان لهذا العمل اثران فى نفسى الاول سرورى بانقاذ الدستور وفوز الامة واندحار الحكومة ذلك السرور الذى عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات .

الثانى ارتياح ضميرى ارتياحا يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها التحقيق والنجاح » .

أجل لقد ارتاح ضميره النبيل لدعوة البرلمان الوفدى الذى حاربه رجاله ، والحق به شبابه من الاضرار ما كاد ينوء باعبائها الثقال ، فكان بهذا الارتياح النبيل خصما مثاليا يضع الحق بين عينيه صابرا مثابرا ، وان كان الرجل الأبى فى واقع امره ينحدر بجريدته المناضلة الى الهاوية وبمحرريها الى التشريد والفاقة ولكنه مع ذلك احد شباب الرافعيين الذين يقول فيهم امير الشعراء :

اذا أسد الشرى شبعت فعفت
رأيت شبابهم عفوا جياعا

محمد رجب البيومى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

يا ابنى ياحبيبى ..
انك تفقأ عين الاشتراكية !

قال ابراهيم الوردانى عن العقاد : ما كان أخف دمه .. وهو يؤيد اقتراح تيمور اطلاق لفظة «المرناة» على التليفزيون .

وكتب قارىء الى العقاد يقول له « ان كان الوردانى حسن النية فشكرا له ، وان كان يريد غير ذلك فما أكثر خفة دمه ! »

واحساس العقاد بأن الوردانى يريد « غير ذلك » جعله يقول عن الوردانى أنه لا يعلم عنه شيئا غير ما يعلمه « استدلالا على سنه من اسمه ، فهو – بهذا الدليل الذى يناسبه – بعض مواليد السنة التى تداولت فيها الأفواه اسم ابراهيم ناصف الوردانى بعد حادثته المشهورة ، وعمره اذن – يزيد على الثالثة والخمسين .. وما هو بالعمر الذى يحل فيه لمثله أن يعرض بضاعته فى سوق خفة الدم ، ولو كان من الدم المحفوظ فى العلب ، بعد فوات الأوان » .

❋ ❋ ❋

واعلنت « الجمهورية » – فى صفحتها الأولى بحروف كبيرة – أن الوردانى سيرد على العقاد غدا .. وفى الغد ظهرت فى الجريدة صفحة محلاة بصور العقاد « العجوز » وصورة الوردانى «الصغير» والصفحة « مدندشة » بالعناوين المثيرة ، وعددها ١٩ عنوانا ، غير عنوانين كبيرين بعرض الصفحة ، أحدهما هكذا :

« أبى أنت تفقأ عينى .. كيف أتركك »

وترجمة هذا العنوان بالبلدى : « انت بتضربنى .. والله مانا سايبك .. »

لم تكن مناقشة لقضية فكرية أو اى موضوع ينفع الناس ، انما كانت معركة شخصية بحته ، فرش فيها الوردانى صفحة بالجريدة التى يعمل بها .. والمدلول الذى يخرج به القارىء من الصفحة كلها لا يختلف عن ما تقوله امرأة « تردح » لأخرى تنازلها فى حارة من الحارات .. « يا ابرة مصدية .. على الكوم مرمية .. »

لا .. وأستغفر الله .. بل كانت هناك قضايا على درجة كبيرة من الاهمية والخطورة .. !

واية قضية اجدر بالمناقشة والمصاولة على صفحات الجرائد الكبرى من الموازنة بين شيخوخة العقاد العجوز .. وصغر الوردانى البالغ من العمر ٤٤ سنة .. فهو من مواليد سنة ١٩ كما ذكر عن نفسه .. خلافا لما زعمه العقاد ..

واتسعت الموازنة فى رقعة الصفحة . فشملت موقف كل منهما من الثورة .. لم يكتب العقاد كلمة عنها أو عن قائدها ، والوردانى يكتب فى ذلك كثيرا ، وهو حامى حمى الاشتراكية واستاذ الجيل الجديد !

❋ ❋ ❋

وشملت الموازنة كتابة كل منهما العقاد غير مقروء الا من قلة قليلة ، والوردانى كانت الصحف والمجلات تشتريه بأغلى الأثمان « لتحول طوابير القراءة الى دورها » ، وكان ذلك فى فترة النشأة .. أيام كان صغيرا مثل الآن ! وأسلوب الوردانى يكتب به العقاد دون أن يدرى ...

والعقاد يمثل جيلا قديما متعصبا متزمتا متغطرسا .. يكتب « بالنحوى » .. والوردانى يمثل جيلا متفتحا طموحا لا آباء له .. وان كان هناك أب يفقأ الأعين !

❋ ❋ ❋

وفى الصفحة التى فرشها الوردانى للعقاد والتى كانت فرصة « لاصطياد عجرفة العقاد وغطرسته فى حركة رياضية شبابية علنية للدفاع عن النفس » كما قال مزهوا بشبابه .. فى هذه الصفحة أشياء أخرى غير الموازنة بينه وبين العقاد .

وقبل أن نمضى فى استعراض هذه الأشياء ، نسأل :

هل أصبحت صحفنا « جبلاية » للقفزات « الرياضية الشبابية » ومجالا للتربص و « الدفاع عن النفس » ؟ واذا كان احد المحررين يريد أن يدافع عن نفسه فلماذا لا يطلب من خصمه « المبارزة » فى مكان آخر ، أو يقول بلغة « الفتوات » : « اطلع لى بره ! » ؟

فى تلك الصفحة كلام عن « نفاق العقاد ! » اذ يتساءل الوردانى : لماذا يهاجمه العقاد .. « أهو نفاق من النوع المتنازل لدار أخبار اليوم التى يكتب فيها والتى الدعها أحيانا بطريقةالحمية الاشتراكية..» الى آخر من عددهم ممن يظن أن العقاد يتملقهم .. !

ولست أدرى ماذا يريد بالنفاق .. نعرف أن النفاق هو أن يظهر الانسان أمرا أمام أحد ويضمر غيره ، فهل يقصد أن العقاد يظهر الخصومة والعداء للوردانى أمـــام من يسرهم هذا العداء ، وهو فى الحقيقة يضمر تقديره له وحبه اياه .. »

مسكين العقاد .. ارتمى به الحـال الى أن أصبح يتملق الصحف لكى يكتب بها !

وفى تلك الصفحة موازنة عجيبة .. حيث يقول الوردانى :

« ان سنوات مصر الفذة ـ ويكفينى منها وقفة عبد الناصر على منبر الأزهر يوم جمعة العدوان .. اللحظة الواحدة منها تســـاوى كل كنوز العصور التى انكفأ يصور عبقرياتها » .

أتعرف يا ابراهيم الوردانى ما هى العصور التى انكفأ العقاد يصور عبقرياتها ؟ وما هى العبقريات ؟ أتعرف انهـــا عصور « محمد » محمد » وعبقريات محمـــد وأصحابه ، وأنها تمثل القيم الأصيلة التى انبثقت منهـــا اشتراكيتنا وقيم مجتمعنا الجديد ، وأن من كنوزها القرآن الكريم ؟

أتعرف لماذا كانت وقفة عبد النـــاصر على منبر الأزهر بالذات ؟ وماذا يمثل منبر الأزهر ؟

انك يابنى تلعب بالزجاج فتدمى يديك وتجرح قيما عزيزة دون أن تدرى ، والا تدرى هنا خير من أن تدرى .. فلو كنت تدرى لما اندفعت الى الموازنة بين أمور ينبنى بعضها على بعض ولا يفضل بعضها بعضا .

والتراث العـــربى الذى تعيب على العقاد وجيله الاشتغال به .. أليس هو من مقومات القوميـــة العربية ؟

يا ابنى يا حبيبى .. انك تفقأ عين الاشتراكية دون أن تدرى ..

وقد شاركك فى ذلك من هيئوا لك تلك الصفحة لتدافع بها عن نفسك .. وتبارز فيها خصمك .. وتعتدى على قيم ومقدسات ..

كم تكلفت هذه الصفحة من ورق وحـــبر وعمل وعمال ، ومن جهد تأخذ أجرا على أن تقوم فى الجريدة بعمل نافع بدلا منه .. ؟

***

وماذا حققت الصفحة لقاء ما تكلفته !؟

اننى أملك هذه الصحف.. ومن حقى أن أحاسب العاملين بها والمشرفين عليها .. باعتبارى واحدا من الشعب الذى يملكها ، واذا كان عدد أفراد الشعب نحو ٢٧ مليونا ، فانا أملك من هذه الصحف واحدا من سبعة وعشرين مليونا ، وبحق هذه الملكيـــة أتكلم .

اريد شيئا نافعا أقراه ، واتجاها سديدا أرتاح اليه . وأطالب بالكف عن استخدام هذه الصفحات فى العبث واستغلالها فى الأغراض الشخصية ، وليست هذه الصفحة الا مثالا لما ينشر من تفاهات وبذاءات فى الجرائد والمجلات .

الكتاب مظلوم

قرأت أخيرا أن لجنة ألفت من الاساتذة يوسف السباعى وابراهيم زكى خورشـــــيد وعبد الواحد الوكيل لبـــحث تنفيذ مشروع الكتاب العربى الذى أعده المجلس الاعلى للفنون والآداب والذى يهدف الى اثراء مكتبتنا الحديثة بما ينقصها من كتب التراث العربى ، ومن الروائع العـــالمية المترجمة ، ومن مؤلفات فى موضوعات جديدة تفتقر اليهـــا المكتبة العربية الحديثة .

والواضح من طريقة تاليف اللجنة أن مؤسسة التاليف والترجمة والنشر والدار القـــومية للطباعة والنشر هما اللتان سينفذ عن طريقهما المشروع الذى اشتمل على أســـماء طائفة كبيرة من خيرة المختصين فى بلادنا لكى يقوموا بالتحقيق والترجمة والتاليف، والمرجو أن يستجيب هؤلاء لـــما ندبوا له من هذا العمل الكبير . ومن الجهة الاخرى وهذا ما نريد أن نقوله هنا ـ نرجو أن يجزوا على أعمالهم ماديا بما يناسب جهودهم . وذلك بأن تغير المؤسسة والدار طريقة التقدير المادى للكتاب ، التى تتبعانها الآن .. تغير انهـــا كما يتغير كل شىء فى حياتنا الى ما هو أحسن .

ان الصحف والاذاعة والتليفزيون تدفع لقاء المقال أو القصة القصيرة أو التمثيلية الصغيرة أجورا تبلغ أحيانا أربعين جنيها . والمؤسسة والدار تدفعان هذا المبلغ وأقل منه .. لقاء الكتاب .

هذا بصرف النظر عما يبذل للفنانين الآخرين من أجور سخية .

الكتاب وحده هو المظلوم ..

عباس خضر

من هنا وهناك

تاريخ البريد المصرى

استخدم سلاطين مصر أول الامر عددا من العدائين ثم اتخذوا الابل تنقل الرسائل وما يتصل بها من الطرود والنقود • وأخيرا جاء القرن الثالث عشر بطريقة أجدى وأيسر وهى انشاء محطات غيار تبدل عندها الخيل حاملة البريد بأخرى تنتظر نقله فى دورها الى المحطة التى تليها

كان هذا فى عهد السلطان بيبرس وكان ينقل بريده من والى القاهرة مرتين فى الاسبوع بانتظام علاوة على نقل البريد الى الخارج بوساطة الحمام الرحال الذى يرجع تاريخ استخراجه الى عهد عبدالله ابن مروان ان لم يكن كذلك الى عهد معاوية وكان يعتمد على نقل البريد بالحمام الرحال فى ربط القاهرة بالاسكندرية ودمياط ثم بمصر العليا وفلسطين وسوريا والعراق • وقد ظلت عملية نقل البريد على ظهور الخيل والابل ونحوها الى أواسط القرن التاسع عشر وهذه الطريقة كانت خاصة بنقل البريد الحكومى •

واول الوسائل النظامية فى نقل البريد استقرت سنة ١٨٤٣ على يد رجل ايطالى يقال له « مراتى » ثم من بعده أولاد أخيه وقد انضم اليهم ايطالى آخر يدعى « موتزى » وهو الذى أصبح مدير البريد المصرى فأسس المكاتب ونظم الاتصال بين المدن بعضها ببعض الى أن جاءت سنة ١٨٦٥ فابتاعت منه الحكومة مكاتب البريد وقد بلغت تسعة عشر مكتبا

وأول الطوابع التى عمل بها كانت فى سنة ١٨٦٦ وأول مكتب أنشىء فى السودان كان سنة ١٨٧٣ وفى الاقاليم سنة ١٨٨٩ • وفى سنة ١٨٧٤ انضمت مصر الى اتحاد البريد العام •

وفى القاهرة وحدها زاد عدد المكاتب من ١٢ فى سنة ١٨٩٥ الى ٢٤ سنة ١٩٠٥ ثم الى ٤٤ سنة ١٩٣٠ •

تاريخ الصحافة المصرية

ولدت الصحافة المصرية بعد دخول نابليون بونابرت اذ جاء مع الحملة الفرنسية بجهاز واسع النطاق من أدوات الطباعة • وفى ٢٩ اغسطس سنة ١٧٩٨ ظهرت جريدة البريد المصرى باللغة الفرنسية وبعد فترة قصيرة من الزمن ظهرت العشرية المصرية وكان المراد من هذه التسمية اصدارها مرة فى كل عشرة أيام • وكان الغرض منهما استمالة الشعب المصرى وخداعه واقناعه بقبول الاحتلال الفرنسى •

وفى أكتوبر من السنة عينها أصدر بونابرت عدة نشرات باللغة العربية فاقبل عليها جمهور القراء بشغف عظيم • ثم فتر هذا النشاط الصحافى بعد رحيل بونابرت الى أن استتب الحكم لمحمد على وفكر فى أمر الصحافة فاصدر فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ جريدة الوقائع المصرية وهى وريقة ضئيلة جدا تطلع على الناس ثلاث مرات فى الاسبوع باللغة التركية والعربية ثم باللغة الفرنسية فى سنة ١٨٧٣ حين تغلغل كثير من الاجانب فى مصر واتصلت العلاقات التجارية والاجتماعية بعضها ببعض •

ولنذكر أيضا جريدة المرشد المصرى التى أصبحت بعد عشر سنوات من ظهورها الجريدة الرسمية التى تطبع بالعربية والفرنسية •

وجاء عهد اسماعيل فتغير وجه الصحافة المصرية باتساع نطاق الآداب والعلوم والفنون والقضاء واتصال مصر بالبلاد الاوروبية وارسال البعثات الى فرنسا • ولنذكر كذلك جريدة جورنال القناة التى ظهرت فى بورسعيد عام ١٨٩٧ للاشادة بجهود فردناند دوليسيبس والدفاع عنها ضد الصحافة الانجليزية التى كانت تهاجمه •

وهنا وفد من لبنان الأخوة سليم وبشارة تكلا فأسسوا فى سنة ١٨٧٥ جريدة الاهرام التى أصابت شهرة واسعة وأهمية كبرى فى البلاد .

ثم توالى اصدار الصحف الكبرى فى البلاد كما هو معروف عن التاريخ الحديث ونشأت الاحزاب السياسية فكان لكل حزب جريدة خاصة تعبر عن امانيه وآرائه حيال الاحتلال البريطانى وكان لهذه الجرائد فضل عظيم فى ظهور الخطباء والادباء والشعراء وانعاش الحركة الفكرية فى طول البلاد وعرضها •

عبده الشامى

في عالم الفن

فيلم « زقاق المدق »

الاستاذ عبد الفتاح البارودي

ان لم تكن قصة « زقاق المدق » قد فشلت في السينما ، فانها على الاقل لم تحقق ما كان ينتظر لها من نجاح ... وهذه ظاهرة خطيرة تستحق البحث العميق ... لماذا ؟!

لان المعروف ان العيب الرئيسي في افلامنا هو افتقارها الى القصة والسيناريو ... والمفهوم ان ضعف القصة والسيناريو ناتج من ضعف المستوى الادبي والفني بين اغلبية السينمائيين الذين يصرون على كتابة القصص والسيناريوهات بلا دراية كبيرة بالادب والفن ... والمفروض ان الالتجاء الى الادباء يعالج هذا الضعف ... اذن لماذا فشل فيلم زقاق المدق ، مع ان مؤلف القصة (نجيب محفوظ) وكاتب السيناريو (سعد الدين وهبه) من ادبائنا المعروفين ؟!

اولا ليست هذه اول قصة ادبية تفشل في السينما ... ان بعض ادبائنا نجحت بعض قصصهم في السينما ، ولكن نفس هؤلاء الادباء - وغيرهم - فشلت معظم قصصهم .. والملحوظ للآن ان اكثر الافلام نجاحا هي الافلام التي كتبها سينمائيون ومن هنا نلمس خطورة هذه الظاهرة ، لان هؤلاء السينمائيين ينجحون فقط في تناول موضوعاتهم بلغة سينمائية ، بينما الموضوعات نفسها تافهة ، فضلا عن ان نجاحهم هذا نسبي فقط ... وبديهي ان السينما لايمكن أن يرتفع مستواها الا اذا توافرت فيها القيمة الادبية ، فكيف تتوافر هذه القيمة اذا كان ادباؤنا يجهلون لغة السينما ، وسينمائيونا يجهلون لغة الادب ؟!

* * *

اننا في فيلم زقاق المدق رأينا ان القصة التي صورت شخصيات الزقاق والعلاقات بينها بصدق وعمق ، تحولت الى قصة تدور حول شخصيات مسطحة مرتبطة بعلاقات متهافتة ، وزادها المخرج تسطيحا وتهافتا بتركيز الكاميرا على « وجوه » الشخصيات كأفراد ، وتقسيم المشاهد الى « كادرات » ووضع كل شخصيتين معا في كادر واحد ، وتكرار هذه العملية باستمرار ، وبذلك اصبح الفيلم مجرد « عرض » لوجوه شخصيات الزقاق ، وكل هذا ناتج من عدم ادراك المخرج لمغزى القصة وتوهمه انها مجرد مشاهد مستقلة لنماذج فردية مريضة ، فاستغلها - كعادة معظم السينمائيين - لمجرد الاثارة ، لانه لم يجد فيها « الحدوته » المألوفة في افلامنا

والواقع ان قصة نجيب محفوظ أعمق من هذا ، ولكنها - مثل كل قصصه في المرحلة الفنية التي تنتمي اليها قصة زقاق المدق - ليست اكثر من رؤية فنية للنماذج التي كان شغوفا بتصويرها تصويرا موضعيا اكثر منه تصويرا موضوعيا ، ولكن هذا لم يكن السبب الوحيد لفشلها سينمائيا بل هناك اسباب اخرى اهمها ان ثقافةالسينمائيين عندنا لا تسمح لهم بالاحتفاظ بالجوهر الادبي لاية قصة ادبية حتى القصص التي نجحت افلامها

ومع ذلك فلا بد من محاولة توفير العنصر الادبي في افلامنا .. واذا اعتبرنا فيلم زقاق المدق فاشلا فليس معنى ذلك ان نمتنع عن اخراج القصص الادبية ، او ان نكتفي بتناول الموضوعات التافهة التي يتناولها معظم السينمائيين ، وانما من اللازم ان نستفيد من اخطائنا في هذه التجربة ، وندرس التجارب التي مارسها السينمائيون العالميون لاخراج روائع الادب العالمي سينمائيا

* * *

اننا نرى الآن أفلاما ممتازة لقصص كلاسيكية ، وقصص من تأليف همنجواي وبرناردشو وسارتر ، وهذا الامتياز لم تصل اليه الاستوديوهات العالمية الا بعد ان قامت بتجارب كثيرة فاشلة ... ان استوديوهات هوليوود وبانيوود وروما وباريس واجهت الفشل أكثر من مرة في اخراج قصص لوليير وراسين وشيكسبير والادباء المحدثين ايضا ، ولكنها بالدراسة المتواصلة استطاعت ان تنجح في اخراج قصص هؤلاء وغيرهم من العمالقة ، بل نجحت في اخراج مسرحيات الاغريق سينمائيا رغم صعوبة تكييفها بلغة الكاميرا ، والسبب هو ان الخبراء العالميين ادركوا اسرار السينما

وهم لم يدركوها بسهولة ، بل ادركوها بعد تجارب شاقة ودراسات واعية لهذه التجارب ... منها تجارب لانتاج أفلام يتولى السينمائيون فقط كتابة قصصها وسيناريوهاتها دون الاستعانة بالادباء أو بالقصص والمسرحيات الادبية ، ومنها

تجارب لاخراج الروائع الادبية سينمائيا ، ومنها تجارب التكنيك باعتبار ان السينما « تكنيك » فقط ، ورغم تنوع هذه التجارب فقد اسفرت عن نتائج في غاية الاهمية ، وان كانت لم تتبلور تماما الا بعد حدوث اخطاء كثيرة

* * *

ان خبراء هوليوود مثلا حاول معظمهم انتاج افلام تقوم ببطولتها الكاميرات والعناصر الآلية ، ولم يهتموا بالتفكير الادبي ، فانساقوا أولا الى افلام الجانجستر ورعاة البقر والهزليات وافلام الرعب (مثل افلام فرانكنشتين) وافلام التسلية ، وفعلا استطاعت هذه الانواع ان تغزو اسواق العالم ، ولكن سرعان ما ظهرت انواع اخرى اكثر عمقا وجدية في استوديوهات ايطاليا وانجلترا وفرنسا ، وهذه الانواع الجديدة اهتمت بالقيمة الادبية فتقهقرت امامها افلام هوليوود ، وحاول الخبراء الامريكيون مواجهتها بالتحسينات الآلية أيضا ، واسفرت هذه المحاولات عن ظهور ابحاث جديدة حول حجم الشاشة ولون الفيلم وعدسة الكاميرا ، ورغم ان هذا كله اهدى للفن السينمائي اكتشافات السينما سكوب والتكنيكولور فان هذه الاكتشافات لم تستطع ـ وحدها ـ انقاذ الافلام الامريكية من التدهور الادبي ، بل بالعكس استفاد منها السينمائيون الذين اهتموا بالقيمة الادبية ... ففي ايطاليا مثلا اخرج جيان رنوار وريناتو كاستلاني فيلمين من اروع الافلام الملونة ، وهما الشاطيء الذهبي وروميو وجوليت ، واخرجت انجلترا افلام « جينيفيف » والاختيار النهائي وقلب الحقيقة ، وفي فرنسا قدم جان كوكتو قصة العلاقات الودية التي عالج فيها عقدة أوديب معالجة جديدة ، وكل هذه الافلام وغيرها استفادت من التحسينات والاكتشافات الآلية مع الاحتفاظ بالقيمة الادبية

* * *

ازاء ذلك اضطرت هوليوود ـ وهي صاحبة اضخم انتاج ـ الى اعادة النظر في اتجاهاتها ، فعادت الى الاهتمام بالعنصر الادبي ... ظهرت افلام لمعالجة المشكلات الاجتماعية ، وافلام لتاكيد سيادة الانسان ، وافلام تعبر عن المخاوف من الاسلحة الذرية وضرورة استخدامها للسلام ، وحتى افلام « الهنود الحمر » التي تنعكس فيها « تفاهة التفكير الامريكي حدثت فيها ايضا تطورات كثيرة ، فقد كان البطل من الهنود الحمر يحكم عليه بالاعدام ، ثم ظهر شيء من التعاطف ولو انه تعاطف شكلي ، ثم ظهرت محاولات لبحث مشكلاتهم بينما كان السينمائي الامريكي يعالج هذه المشكلات باطلاق الرصاص فقط ... المهم ان المفكرين بدءوا يطالبون هوليوود بانقاذ افلامها وانقاذ التفكير الامريكي كله من التفاهة ... بداوا يسخرون من افلام الحرب التي تظهر الجندي الامريكي كمخلوق مجنون بالجنس ، او كمخلوق لا يحترم نفسه ، ومن الافلام البوليسية ، ومن الافلام التي يكون البطل فيها مثالا للغباء المتعجرف ، وبداوا يطالبون بافلام يكون لابطالها اهتمامات ثقافية ، واجمع الخبراء على ان سبب تفاهة الافلام الامريكية هو الاسراف في الاهتمام بالتكنيك ، بينما كان السينمائيون يقولون ان عبقرية التكنيك هي الدليل على عبقرية الحياة الامريكية

* * *

نتيجة لذلك كله عاد التفكير في استخدام القصص الادبية من جهة ، وفي تناول الافكار السينمائية تناولا ادبيا من جهة اخرى ... وبدا فن جديد اسمه فن « النثر السينمائي » ، ونشأت مدرسة جديدة لكتاب يتخصصون في السيناريو

* * *

واذن ففشل « زقاق المدق » لا يخيفنا ، بشرط ان ندرس اسباب هذا الفشل ... ان معظم الذين تحدثوا عن هذا الفيلم كانوا متحمسين اما في المدح او في الذم ، والواجب ان نستفيد منه كتجربة فنية ... ان تحويل القصة ـ اي قصة ـ الى فيلم ليس شيئا سهلا ... ان اسوأ مافعله السيناريست هو تغيير النهاية ، لأن هذا التغيير يصيب البناء الدرامي بالتصدع ، ومن البديهيات ان الاحداث التي تسير في المجال الدرامي لا بد ان تتجه الى نهاياتها اتجاها حتميا ... ايضا من مساوئه انه لم يحتفظ للشخصيات بمقوماتها الدرامية ، بل صورها كشخصيات مسطحة ... ولا جدال في ان كثرة الشخصيات تواجه السيناريست بصعوبات كثيرة ، ولكن هذا لا يشفع له في تسطيحها ... ان كتاب السيناريو في الخارج واجهوا مثل هذه الصعوبات في قصص تشارلز ديكنز ودستويفسكي ، ولكنهم حاولوا تذليل هذه الصعوبات بالتركيز على قمم الاحداث وترك تفاصيلها ، بينما حدث العكس في فيلم زقاق المدق ، بل ان المخرج لم يهتم في معظم لقطاته الا بالتفاصيل

والواقع ان الاخراج كان أسوا عناصر فيلم زقاق المدق ... ان المخرج توهم ان القصة تدور حول حدوتة بطلتها فتاة خرجت من الزقاق وانساقت وراء احلامها الى الهاوية ، ومن اجل ذلك تستحق القتل ، وتوته توته فرغت الحدوتة !!

ان التجارب العالمية التى يجب ان نستفيد منها اثبتت ان اخراج القصص الادبية يحتاج الى وعى كبير بالفن السينمائى .. ان اورسون ويلز عندما اخرج مسرحيات شيكسبير على الشاشة حاول تفسيرها تفسيرات جديدة ، ومع ذلك وضع الكاميرا فى نقط الارتكاز الرئيسية فى المسرحيات نفسها ..

***

اننا فى حاجة الى ادراك كيفية اخراج القصص الادبية سينمائيا عن طريق بحث العلاقة بين القصة والشاشة ، وهذه مسالة عويصة بسبب اختلاف اداة الاتصال بالجمهور ... ان القصة التى تكتب للقراءة تختلف اختلافا جوهريا عن القصة التى تعالجها الكاميرا ... هذه بديهية ولكنها ارهقت تفكير السينمائيين العالميين ، ومع ذلك اهتدوا الى قواعد عامة ، مثل تحاشى الاستطرادات ، والاقتصاد فى « الكادرات » ، والتحايل على السرد باللقطات السريعة ... الخ ... ان المؤلف الكبير بريستلى يقول ان الادب يوسع حدود السينما بشرط أن يحتفظ بالجوهر الادبى ولا يمكن أن نحتفظ بهذا الجوهر الا اذا ادركنا الفروق الدقيقة بين الكلمة واللقطة السينمائية

والمؤسف اننا لم ندرك ذلك فى فيلم زقاق المدق !!

عبد الفتاح البارودى



وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
فلسفة الحضارة
تأليف : ألبرت اشفيتسر
ترجمة : د . عبد الرحمن بدوى
مراجعة : د . زكى نجيب محمود
الثمن : ٣٥ مليم للطبعة العادية
٥٠ « الممتازة
٤١٩ صفحة
يطلب من
المكتبة القومية
٥ ميدان عرابى
الدراما
أزياؤها ومناظرها
٣٦٣ صفحة
تأليف : جيمس ليفر
ترجمة : مجدى فريد
مراجعة : سعد الخادم
الثمن ٣٢ قرش
يطلب من
المكتبة القومية
٥ ميدان عرابى
المغنى
فى أبواب
التوحيد والعدل
إملاء القاضى أبى الحسن عبد الجبار الأسد آبادى
« الشرعيات » الجزء الرابع عشر
حرر نصه من مصورة واحدة أمين الخولى أشرف على إحيائه د . طه حسين
٧٠ قرشا
٣٨٨ صفحة
يطلب من الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع

الكتب - نقد وتعريف

أضواء على واقعنا

بقلم سليمان مظهر

يحتوى الكتاب على شرح وتحليل لمبادىء ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ العربية ـ والمقارنة بينها وبين الثورات الكبرى فى التاريخ والفرق بينها وبين هذه الثورات ..

فثورة ٢٣ يوليو رغم اتفاقها مع الثورة الفرنسية فى تأثيرها على ما كان يجاورها من دول أوربا .. فانها تختلف معها فى أن الثورة الفرنسية كانت ذات طابع بورجوازى فرغم أن الفلاحين والعمال الفرنسيين قد اشتركوا فى الثورة الفرنسية لكى يتخلصوا من استبداد النظام الاقطاعى .. فقد وجدوا أنفسهم بعد الثورة مقيدين فى أغلال النظام البورجوازى الاستغلالى .. أما ثورة ٢٣ يوليو العربية فقد قامت بها طليعة ثورية مسلحة .. تمثل الشعب الكادح بجميع فئاته .. وكانت مكاسب هذه الثورة لجميع أبناء الشعب وليس لطبقة دون أخرى.

وكذلك أوضح المؤلف الفرق بين ثورة ٢٣ يوليو العربية والثورة الماركسية فى روسيا سنة ١٩١٧ ، والصين ١٩٤٩ فان ثورتى روسيا والصين قامتا لتضع السلطة فى يد طبقة البروليتاريا ـ بحيث انعدمت تماما كل حقوق الطبقات الاخرى .. فى حين أن ثورة ٢٣ يوليو العربية لم تسلم الحكم لأية طبقة فى المجتمع العربى ـ كما فعلت الثورة الفرنسية حين أسلمت زمامها للبورجوازيين والثورة الروسية والصينية حيث أسلمت قيادتها للبلوريتاريا .

وكذلك لم تكن ثورتنا ـ على غرار الثورات القومية التى قامت فى القرن التاسع عشر ـ مثل ثورة توحيد ايطاليا ـ والمانيا ـ وذلك لان هذه الثورات لم يكن لها أية أهداف اجتماعية ..

وقد أوضح الكتاب دور الرئيس جمال عبد الناصر فى ثورة ٢٣ يوليو العربية ـ مفكرا ـ ومنظما ـ وقائدا .. مبينا ما حققته الثورة خلال الاحد عشر عاما الماضية منذ قيامها فى المجالات الداخلية ـ والخارجية .

وقد تتبع الكتاب ثورتنا العربية منذ أن كانت أفكارا تراود الطليعة الثورية الى أن تطورت فى منشورات الضباط الاحرار حتى قيامها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ موضحا الظروف الصعبة التى كانت تترعرع فيها ..

واشار المؤلف الى دور الفلاحين والعمال فى مجال تطور تاريخنا الثورى ومدى مساهمتهم فى ثورات شعبنا ضد الاستعمار والرجعية والاستغلال الداخلى.

فذكر فى صفحة ٧٩ ..

هل نعود الى أيام الغزو الفرنسى لمصر عندما استسلمت مدن القطر المصرى وظلت جموع الفلاحين تقاوم فى الشرقية والبحيرة والصعيد ـ أو نذكر أيام عرابى وموقف الفلاحين وهم يتقدمون متطوعين فى صفوف جيشه ويقدمون التبرعات من الغذاء والنحاس والذهب . أو نذكر ثورة ١٩١٩ ومهاجمة الفلاحين للقطر الحديدية التى كانت تحمل الجنود الانجليز وهجوم الفلاحين على معسكرات الانجليز ..

وقد أوضح المؤلف فى صفحة ٨١ مدى ما كان يتحمله الفلاح من ذل وبؤس وفاقة أيام الاستعمار على لسان احدى الصحف البريطانية .. التى قالت ..

« صدرت الاوامر باخذ العمال من الحقول بالاكراه وطريقته أن يدخل رجال الحكومة القرية وينتظروا رجوع الفلاحين الى منازلهم فى الغروب ويحيطوا بهم كالانعام ، فاذا رفض أحدهم هذا التطوع الاجبارى جلد حتى الاقرار بالقبول وعلى هذا النحو ساقوا أطفالا من سن ١٤ ، وشيوخا من سن السبعين ويزيد .. فكانت تساق الجموع المريضة من هؤلاء المساكين لتادية الاعمال الحربية والكرباج كفيل بتسخيرهم من غير حساب فى الاعمال الشاقة ، وأصبح الجلد من الاعمال اليومية »..

وبين المؤلف كذلك دور العمال فى الحركة الوطنية فيقول فى صفحة ٩٢ ..

« عندما أراد صدقى باشا أن يفرض دستوره الرجعى على البلاد قام عمال بولاق والورش الاميرية بالاضراب وتظاهروا احتجاجا ، فقوبلت مظاهراتهم بمنتهى القسوة والعنف » .

وحلل الكتاب كذلك دور المثقفين فى الحركة الوطنية ثم بين حقيقة دور الرأسمالية الوطنية فى

رحلة البناء الاشتراكي في صفحة ١١٢ — وخرج المؤلف من دراسته لطبقات مجتمعنا — الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية والمثقفين .. بضرورة تحالف هذه القوى لبناء المجتمع الاشتراكي العربي في ظل التنظيم السياسي الجديد «الاتحاد الاشتراكي العربي» الذي أصبح اطارا لقوى الشعب المتحالفة ضد الاحتكار والرجعية والاستعمار .

والرسالة تقول ..

ان الكتاب محاولة ناجحة لربط الماضي بالحاضر.. ولكن المستقبل الذي نريده — واعتقد ان المؤلف يريده معنا كذلك — ما زال بحاجة الى بذل المزيد من الجهد .. لقد اتفقنا جميعا على أن الاساس النظري للفكر العربي الاشتراكي يمكن ان نستخلصه من ممارستنا الفعلية للعمل الثوري على الصعيد العملي التطبيقي .. ومن خلال التجارب الواقعية — في جزئياتها البسيطة — استطعنا ان نخرج بالميثاق الوطني .. والميثاق كعمل فكري في حاجة ماسة الى أن يجسد بطريقة موضوعية بعيدة كل البعد عن الاطراء والمديح الذي يضر بالميثاق وبقضيتنا أكثر مما يفيدها ومن خلال هذا التجسيد لنصه وروحه في كل **المجالات في المصنع والحقل والمتجر والمدرسة .. في** كل مكان سوف تتعمق مبادؤه الثورية في نفوسنا **وعقولنا وفي معاملاتنا اليومية البسيطة .. وكثيرا ما يسمع المرء منا عن ضرورة توافر جو العمل الفكري المفتوح ولكننا نقولها بصراحة أن هذا المطلب موجود** وقائم بالفعل .. ولكن بعض الرواسب القديمة **ما زالت تؤثر تأثيرا مباشرا في هذا المجال .. يجب أن تتحرر عقولنا من الوهم — لتدخل تجربة الواقع.**

لقد قال الرئيس جمال عبد الناصر .. ما معناه . انني سوف امد يدي للطليعة الثورية وسوف احميها وأرعاها .. فأين نحن من هذه اليد الكريمة القوية الممدودة لنا .. يجب أن نخرج من حدود المطالبة بالعمل — الى غمار العمل نفسه ..

ان شعبنا اليوم يواجه تحديات رجعية مغلفة في اطار تدعى أنه فكرى .. فلماذا لا نتسلح بالفكر **المدعم بالعمل الثوري — نحن — انا وانت — لكى نقهر ذلك النوع الجديد من تجار الفكر ..**

وليكن رائدنا في العمل الفكري الاشتراكي — هو .. قد اخالفك في الرأي — ولكني على استعداد لان أبذل دمى فداء لنصرتك في ابداء رأيك . والكتاب يقع في ٢٢٢ صفحة من القطع المتوسط والناشر الدار القومية سلسلة كتب قومية

كتب جديدة

● المرأة في الاسلام

تأليف : عبد الحميد ابرهيم محمد

الناشر : الدار القومية بالقاهرة

يقع الكتاب في مائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، قدم له الدكتور احمد محمد الحوفي الاستاذ بكلية دار العلوم .

يمهد المؤلف لكتابه ببحث مركز في مكانة المرأة في الحضارات والديانات والمجتمعات السابقة على الاسلام ، ثم يقسم الكتاب قسمين ، يعرض في القسم الأول معطيات الاسلام للمرأة ، فيناقش المعاملة الاسلامية للمرأة ، وبيت الطاعة وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وقوامة الرجال على النساء .

وفي القسم الآخر يناقش المؤلف انطلاقة المرأة المسلمة ، بعد ان نمى الاسلام شخصيتها ، ويختتم الكتاب بمقترحات من شأنها أن تعالج مشكلات الاسرة بوجه عام ، والمرأة بوجه خاص .

التعاون الزراعي
في المملكة المتحدة

تأليف : مرجريت ديجبى
وشيلا جورست
ترجمة : هدى السيد
الناشر : الدار القومية

تناول الكتاب بالبحث والدراسة التعاون الزراعي وتطوراته وآثاره وكل ما يتعلق به في المملكة المتحدة .. وقد أشاد الكتاب بدور « ادوارد أوين جريدنج » وهو أحد رجال الاقتصاد الذي أنشأ اتحاد الزراعة والزهور .. وكان الغرض من هذا الاتحاد مد يد المساعدة للفلاح البريطاني وتقديم كل ما يحتاج اليه من مساعدة وخدمات سواء في زراعة أرضه أو في بيع محصوله .. مع ادخال تحسينات عليها بين وقت وآخر .

هذا بالاضافة الى فصول متعددة يشرح فيها المؤلف نهضة التعاون الزراعي في المملكة المتحدة — والامداد الزراعي والتسويق العام والخدمات فيها وكذلك تسويق البيض وتسويق الخضرى والفاكهة .

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

الدين لا اللغة يا دكتور خلف الله ..

فى عدد الرسالة الفيحاء ـ ١٠٢٦ ـ كتب الدكتور محمداحمد خلف الله «مسالة» حاول منوجهة نظرهان يتلمس لها حلا صحيحا .. وخرج من مسالته الى ان « تغيير الدين أسهل بكثير من تغيير اللغة .. فامم كثيرة ـ كما يقول ـ قد غيرت دينها ولكن امما قليلة جدا هى التى غيرت لغتها ..

ثم وصل سيادته فى الخطوة الاخيرة من المسالة الى أن العرب استطاعوا احداث تغيير جذرى فى مصر نتيجة القرابة اللغوية والمهــاجرة والاستقرار .. والواقع أن الدين فى الفتح الاســلامى هو عنصر التغيير الاجتماعى الاول .. وعلى محكه وحده كانت تعرض الهيئة الاجتماعية بعاداتهــا وتقاليدها فيقرر بقاء النظام الاجتماعى أو تغييره . وذلك فى كل بلد دخلها الاسلام .. ولئن صح كما ذكر الدكتور ان اللغة ـ وهى نبع الثقافة والاطار الذى يتحرك من داخله الواقع الاجتمــاعى ـ قد انتشرت أكثر من الاسلام فى مصر بحكم كون أهلهــا جميعا يتكلمون العربية لكنهم ليسوا جميعا يدينون بالاسلام .. ان صح هذا فلا يعنى ابدا أصالة اللغة عن الدين كما ذكر الدكتــور .. وانما يعنى بقليـل من التمعن العكس تماما .. ولولا أن الاقباط بمصر قد تمسكوا بدينهم اكثر من تمسكهم بلغتهم لما جاز أن يتركوا اللغة ويتشبثوا بالدين .. واضيف فاقول لأستاذى الكبير .. كمــا أن ثمة عديدا من الامم من نظائر باكستان واندونيسيا تخلت عن دينها ولم تتخل عن لغتها ثمة أمم أيضا فى التاريخ كثيرة تخلت عن لغتها بينما تمسكت بدينها اكبر تمسك .. وعندنا مثل حى قريب رايناه فى الجزائر العربية حين فرنستها لغويا فرنســا بينما عجزت كل العجز فى أن تحول جزائريا واحدا عن دينه !!

ان اللغة فى واقعهــا مجرد وعاء يحمل رغبات الانسان ووسائل تفــاهمه مع الآخرين بينما الدين عقيدة تنفذ الى القلب وتســتقر فيه لا ترضى عنه حولا .. وان هى رضيت هذا التحول . خرجت الى دائرة الراى وأصبح محالا أن تسمى عقيدة .

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

ان السيد الفاضل

لم يدرك حقيقة الوضع فى الجزائر ادراكا تاما . ولو ادركه لعلم حتما أن هذا الذى يقــول لصالح المقال لا لصالحه . ويستطيع أن يسأل نفسه هذا السؤال لماذا عمد الفرنسيون الى فرنسة الجزائر عن طريق اللغة . أليس ذلك لان تغيير اللغة هو الذى يفقد الشخصية ويفقد الذات .

ثم لماذا فشل الفرنسيون فى فرنسة الجزائر . أليس لان لغة الحياة فى الجزائر ظلت اللغة العربية . ان كل ما فعلوه هو انهم جعلوا لغة التعليم هى اللغة الفرنسية وذلك لا يكسب شيئا فى المجـــال القومى . ان الفرنسيين هنا فعلوا ما فعله الانجليز فى كثير من المستعمرات حين جعلوا لغة التعليم هى اللغة الانجليزية . ان اللغـــة التى تعتبر كيانا هى لغة الحياة اليومية . لغة الفكر والثقـافة ومن اجل هذا عجز الاستعمار عن محو اللغة الحية التى يتعامل بها الناس فى حياتهم اليــومية لغة الام لغة الشعب لغة البيئة والمجتمع .

دكتور محمد أحمد خلف الله

حول مسرح شوقى

ان مسرح شوقى . الذى تحدث فيه الاستاذ على متولى صلاح فى عدد الرسالة ، السابق (١٠٢٦) هو المسرح العربى لا مسرح العامية ، أو الامية . بل هو ترجمة صادقة للاحساس العربى ، والذوق العربى . وهو مسرح المثقفين لا العوام . على أن «اللغة السهلة السمحة التى لا تشق على القارىء او المستمع العادى بجزالتها ، وفصاحتها ، ولاتهبط الى مستوى العامية» واضـــحة فيما عرضه السيد الاستاذ من مطولات شوقى المسرحية ..

وأوافق السيد الاســتاذ على أن الموقف المسرحى لا يقتضى هذا التطويل .

أما ان الشعر لا يصلح للمسرح فهذا مالا أوافق عليه بل اعتبر الشـــعر أصلح من النثر بكثير لان موسيقى الشعر تساعد على حسن الأداء .

ولقد جربت هذا حين كنت مدرسا بدار المعلمات بينها ، ومشرفا على فريق التمثيل بها فادى الفريق تمثيلية الشعر أداء أحسن من تمثيلية النثر ، واهتز الجمهور للشعر (وهو من المثقفين وغيرهم) اكثر من النثر . والتجربة أصدق برهان .

فالشعر السهل ، الواضح الصادق التعبير أصلح للمسرح من النثر .

لا يصلح للمسرح الحديث شعر المعلقات ولا أكثر الشعر الحديث . بل يصلح له الشعر العربي الأصيل كشعر شوقي،وعزيز أباظة ، وأمثالهما.على أن الموقف المسرحي يملي الوزن الشعري فلا يصح أن تضيق على المسرح فنقدم له وزنا خاصا . وشعر شوقي - المسرحي - يصلح للالقاء التمثيل اذا اقتبسنا من مطولاته الابيات التي تمثل الموقف المسرحي ، والفكرة المسرحية للسلامة من التطويل . أما قصر مسرحياته على الغناء ، أو الغناء المسرحي فهو ظلم بين لشوقي ، وللشعر العربي الرائع ، وللمسرح العربي .

وان كنت أوافق على تمثيل صور من حياتنا .

فلنترك للمسرح الحرية في علاج المشكلات بما يشاء من تاريخ وغيره .

أما قواعد المسرح والتزاماته فلم تنزل علينا من السماء فلنا أن نعدلها بما يوافق قوميتنا العربية ، وميراثنا اللغوي ، وثقافتنا الاسلامية النقية فلا نجعل لغة المسرح من لغة الشعب فتسود العامية على العربية .

واذا سايرنا المنطق العامي لم نرتفع الى أفق العروبة العظيم .

اننا نريد أن نرتفع بلغة الشعب لا أن نهبط بها كي يتذوق قرآن الله ، وحديث رسول الله ، وروائع السلف الصالح بالتي هي أحسن .

فلنترك لمسرحيات شوقي ، وأمثالها من المسارح العربية الخالصة كي تمد جيل الثورة البيضاء بسمو الذوق ، وصدق الفكرة ، وشرف المعنى ، وجمال العبارة ، وايمان العروبة ، وشاعرية العرب ، وتقدم الاحرار ، وايجابية الثورة . « وكل آت قريب » .

محمد مصطفى الغمري
مفتش لغة عربية

نعمة .. ونقمة ! ...

وجهت صحيفة « ديلي ميرور » الى قرائها استفتاء ، تستفتيهم فيه عن اقتراح أفضل طريقة لاخفاء مبلغ كبير ..

وفاز بجائزة هذا الاستفتاء اقتراح قال صاحبه أن أفضل طريقة لاخفائه هي اعطاؤه للزوجة ..

ولو أننا وجهنا استفتاء آخر عن أفضل طريقة لتبديد مبلغ كبير ، لكان الاقتراح الفائز هو نفس الاقتراح الذي يوصي باعطائه للزوجة ..

والزوجة التي يعنيها الاقتراح الاول هي الزوجة الحكيمة ، المدبرة ، التي تحسن التصرف ، وتقدر المسئولية ، وتحسب حساب العواقب ..

أما الزوجة التي يعنيها الاقتراح الثاني فهي الزوجة المسرفة ، المتلافة ، التي تنفق كل ما يصل الى يديها في الضروري وغير الضروري ، دون وعي ، ودون حساب ، في سفه واسراف .. هو سفه الشيطان واسرافه ! ..

وفرق كبير بين الزوجتين ، فالاولى «نعمة» والثانية « نقمة » والفرق بينهما هو نفس الفارق بين النعمة وبين النقمة ! ..

واذا كان وراء كل رجل عظيم امرأة ، وقفت الى جانبه ، وآزرته ، ونسجت له أثواب المجد ، فان وراء كل رجل ذي ثروة امرأة ، عرفت كيف تصون ثراءه ، وتنمي موارده ، وتحفظ عليه ماله ، في حكمة وتبصر ! ..

حبانا الله بنعمه .. ووقانا شر النقم ! ..

عيسى متولي - وكيل مكتبة بنك مصر

حول عمرو بن العاص

جاء في عدد الرسالة الغراء رقم ١٠٢٥ عن مقال السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب وزير البلديات في الجمهورية العراقية تحت عنوان « عمرو بن العاص السهمي » .

أوضح السيد الوزير في مقاله بأن امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي اختار الصحابي أبا موسى الأشعري للحكم من قبله بين الفريقين في معركة (صفين) والصحيح الذي لا غبار عليه أن عليا كان قد عارض في اختيار أبي موسى الاشعري وتعليله أن الاشعري ليس ذا دهاء وخبرة كعمرو بن العاص . وطلب عليا تنحيته واختيار (عبد الله بن عباس) بدلا منه ولكن أصحاب علي رفضوا ذلك وصمموا على رأيهم في تثبيت الاشعري كما هو مبين في تاريخ الطبري - ابن الاثير - العقد الفريد - الامامة والسياسة وغيرهم من كبار مؤرخي الاسلام .

الكويت - عبد الباقي عباس العلي الجارالله

عودة الرسالة

باسمي واسم كتل من الشباب الجزائري الذي فتح عينيه على أشعة « الرسالة » القديمة فابصر العالم وتتبع الصوت وأدرك حقيقة عروبته العريقة أقدم للشعب العربي تهنئتي بعودة الرسالة العائدة الى ميدان العمل بعد أن فقدها سنوات عشرا وفقد بفقدها الهادي المرشد ، والمناضل المنجد .

الجزائر - احمد سقا الثعالبي

أخبار علمية وأدبية

● قامت وحدة اليونسكو المتنقلة للميكرو فيلم بتصوير ما يربو على خمسمائة الف صفحة من المخطوطات والكتب النفيسة التى تملكها مكتبة الرباط ، ودار المحفوظات الوطنية بالمغرب

هذا وقد سلمت اليونسكو نسخة من هذه الصور الى حكومة المغرب ، وأودعت الأخرى ضمن المخطوطات بالجامعة العربية

* * *

● اصدرت « دار العلم للملايين » ببيروت اول ترجمة كاملة للرواية الخالدة « البؤساء » للشاعر الفرنسى « فيكتور هيجو » وقام بنقلها الى العربية الاستاذ منير البعلبكى

تقع هذه الطبعة فى سبعة عشر جزءا ، ويبلغ عدد صفحاتها ٢٣٠٠ صفحة

***

● ظهر ورق لا يكش ولا يتمدد بفعل الرطوبة ، وله اهميته الكبرى فى الطباعة بالالوان ، والخرط وبطاقات العقول الالية . وقد تمكن معمل منتجات الغابات فى جامعة وسكونسين من صنعه بجعل الورق غير قابل لامتصاص الرطوبة

وقال الدكتور ادوارد لوك مدير المعمل : ان هذه الطريقة هامة لأن تمدد الورق او انكماشه اجزاء من المليمتر يفسد الصور الملونة والخرط ، كما يضلل العقول الالية السريعة التى تعمل بالثقوب .

وامكن جعل الورق يقاوم الرطوبة بجعله يتمدد على اسطوانات محدبة فى اثناء صنعه ، وتجفيفه مما يجعله يتمدد ويثبت على حالته .

● منذ اسابيع نال العالم الباكستانى الدكتور رضوان على الندوى الدكتوراه التى تقدم بها الى جامعة كمبردج بانجلترا .

كان موضوع الرسالة : عز الدين عبد السلام السلمى : حياته وآثاره ، مع تحقيق لاول مرة لمخطوط من مؤلفات الشيخ عز الدين بن عبد السلام هو (الفوائد فى تفسير القرآن)

اشرف على الرسالة الاستاذ آرثر اربرى ونال الدكتور الندوى تقدير اللجنة التى تولت مناقشته .

* * *

● صدرت فى بغداد طبعة جديدة من كتاب « نظم العقيان فى أعيان الاعيان » للامام السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ

يتضمن الكتاب تراجم مشاهير القرن التاسع عشر للهجرة فى مصر وسوريا وسائر العالم الاسلامى

الطبعة الجديدة مصورة من الطبعة الاولى التى حققها الدكتور فيليب حتى ، وقامت بها المطبعة السورية الامريكية بنيويورك

* * *

● ان دقات قلب الأم قلدها مبتكر يابانى بمعونة جهاز كهربائى يعمل بالبطارية . واحتضنت احدى الشركات الابتكار ووضعته فى جهاز يرقد الى جوار الطفل ، فينخدع ، ويظنه امه . وبالتالى يحس بالطمانينة ، ويستسلم لنوم عميق ولا يصرخ فى طلبها الى جواره .

وقالت الشركة : انه جرب مع عدد كبير من الاطفال الذين لا يطيقون بعد امهاتهم عنهم ، فاستسلموا بمعونته للنوم العميق ، كما تحررت امهاتهم من ملازمتهم .

● اصدرت المنظمة العالمية للصحافة آخر احصاء عن عدد الصحف التى تصدر فى العالم .

كان عدد الجرائد اليومية ٧٥١٠ تطبع زهاء ٢١٥ مليون نسخة .

قصة العدد

الانذار ..

بقلم دكتور نجيب الكيلانى

كان « نبيل » من ذلك النوع من الشباب الذين يتمردون على واقعهم الاليـــم ، ويتنكرون له تنكرا شديدا ، وليت الأمر يقف عند هذا الحد - لأن نبيل ظهر بيننا نحن طلبـــة كليـة الطب بمظهر يخالف حقيقته تماما ، فيكلمنا من أطراف أنفه ، ويشمخ برأســـه الى أعلى ، ويشمئز من ســلوكنا الجاف الريفى ؛ فاذا ما نطق كلمة « بابا » قالها فى نغمة ارستقراطية متقنة يخيل لسامعها أنه ربيب القصور ذات النعيم والثراء والخدم والحشم ؛ واذا ما حشر بيننا فى أوتوبيس الصباح حيث الازدحام الشديد؛ والضيق القاتل ؛ نفخ فى غيظ ؛ ونظر الى الركاب من حوله فى احتقار ؛ وسب ولعن ؛ لكنه كان دائما يحدثنـــا عن عربة أبيـــه « الأوبل » الفخمة ، وعن الراحة التـــامة التى يستعذبها وهو يجلس خلف عجلة القيادة ، وفى ليالى الصفاء والذكريات الجميلة بالمدينة الجامعية ، يروى لنا التفاصيل المثيرة عن مغامراته فى عزبة أمه ، حيث الليل الحالم الجميل ، ورائحة أشــجار المـانجو والبرتقال فى حديقتهم الكبيرة . والخفراء الخصوصيين الذين يحرسونه من بعـــيد .. من بعـــيد جدا حتى لا يفسدوا عليه استمتاعه .. أشياء كثيرة كان نبيل يحدثنا عنها.. وكلها ترمز الى ثرائه ومجده وجاه أسرته العريض ، وكنا نحن الفقراء أبناء الريف الذين يعيشون فى المدينة الجامعية منطوين على آلامهم وأحزانهم ننظر اليه فى غيرة وغيظ ..

***

وبينما كنا نتناول طعام الغداء ذات يوم بمطعم المدينة الجامعية . لمحناه قادما من بعيد ، وحبـــات العرق تتقاطر على جبينه الأسمر ، وخطواته متعجلة لافتة للنظر ، وما ان أقبل نحونا حتى صاح صديقنا سمير قائلا :

- « أين كنت ؟؟ »

- « لقد زارنى أبى اليوم .. »

وهتف سمير فى خبث :

- « وكان معه عربته « الأوبل » بالطبع .. »

فاشرق وجه نبيل بالسعادة والرضا ، واخذ يجفف عرقه فى كبرياء وقال :

- « لاشك أنك رأيتها ؟؟ أليست جميلة ؟؟ »

فكز سمير على أسنانه فى غيظ وقال :

- « أنت كذاب »

فامتقع وجه نبيل ، وبان الغضـــب فى عينيه ، وشممنا رائحة الخطر حينما هدر نبيل ثائرا :

- « كيف تتلفظ بهذا الكلام الوقح ؟ . »

قال سمير فى برود : -

- « لأنى رأيت أباك يمشى على قدمين قد دسهما فى حــذاء بال أجرب .. كان منظره يوحـــى بأنه لا يمتلك حمارة عرجاء .. »

وســاد الهرج والمرج ، فقد أمســك نبيل بكوب زجاجى ، وحاول أن يحطمه على رأس سمير لولا أن امتدت أيدينا فى سرعة خاطفة ، محاولين ايقـــاف المعركة التى نشبت بينهما ، وان كنا لم نستطع أن نسد فم سمير وهو يقذف بكلمات نارية كانت تنطلق فى وجه نبيل كالرصاصات القاتلة .. كان ســمير يقول : -

- « كان أبوك يمشى كالقناة المتعفنة .. ياقة قميصه متسخة .. وأنت نفســـك لم نرك تغير سروالك او سترتك منذ أول العام الدراسى !! انك دائما تحـــاول أن تضفى على نفسك رداء زائفا من الكذب والغرور .. لماذا .. لماذا أيها الاحمق ؟؟ كلنا فقراء .. وأنت تسكن فى أحقر أحياء الزقازيق .. أنا أعرف ذلك .. كن رجلا ولا تهرب من واقعك .. لك الشرف أن تكون فقيرا وتسعى من أجل مستوى أفضـل ، اما أن تكذب وتحاول خديعتنا ، وتتمســح فى الارستقراطية الكاذبة فهذا غبـــاء منك .. انك دائما تثير اشمئزازى وتقززى .. »

كان شعور نبيل وهو يستمع الى هذه الصراحة الجارحة شــعور الرجل الذى تمزق عنه ثوبه فظهر

عاريا بكل نقائصه وعيوبه ، ولم يستطع الصمود فى هذا الوضع كثيرا ، بل أسرع هاربا من المطعم كالمجنون ، قاصدا حجرته دون أن يتناول لقمة واحدة من الطعام •• وأدركنا نحن رفاقه مدى الألم العميق الذى يعانيه من جراء كلمات سمير القاسية ، لقد جرحت كبرياءه أمامنا ، كانت كصفعة زلزلت كيانه ، فافقدته توازنه ••• قد يكون سمير على حق فيما قال ، وقد يكون هجومه ظالما لا يستند على أساس ، ليس هذا هو المهم ! المهم ان هذه الكلمات ما كان يجب أن تقال على مشهد منا وبهذه الطريقة القاسية ••

ولا ندرى ماذا حدث لنبيل فى حجرته ، لقد انطوى على نفسه ، وقاطعنا جميعا ، وأخذ يذهب وحده الى الكلية ، ويعود منفردا دون أن يلقى التحية على واحد منا ، كان الامر فى ظاهره احتقارا لنا ولسلوكنا الشاذ غير المهذب ، وكان فى حقيقته طعنة أصابت الهيكل المزخرف الهائل الذى اقامه لنفسه بيننا ، ومع ذلك فقد ظل مع رفاقه الآخرين يتحدث عن العربة « الأوبل » و « عزبة » أمه حديثا متعاليا من أطراف أنفه ، ذا نبرات خاصة تشبه الأثرياء المرفهين عندما يتحدثون ، ولا صلة بينها وبين النبرات الشعبية التى يتفوه بها العامة فى أحياء الزقازيق الشعبية •

وبعد أسبوع من هذه الحادثة المشئومة التقينا بسمير فى جلسةدعانا اليها خصيصا ، وبعد ان التام شملنا قال والألم يخالط نبراته :

ــ « أيها الاخوة •• لقد تسلم نبيل انذارا اليوم •• »

وصحنا جميعا فى دهشة : ــ

ــ « انذار ؟؟ »

ــ « أجل •• انذار بالفصل من المدينة الجامعية »

وشدهنا لسماعنا هذا الخبر المفاجىء ، ان نبيل ليس له أى نشاط سياسى هدام ، ولا يعاقر الخمر ، ولا يعاشر النساء معاشرة شائنة ، فماذا جرى اذن؟! وصاح أحدنا :

ــ « انك تتحامل على نبيل دائما وتظلمه »

وقال آخر : ــ

ــ « اترك الرجل وشانه ، كفى ما أصابه منك من مهانة لا مبرر لها »

وقال ثالث :

ــ « لماذا الفصل ؟؟ »

ــ « لأنه لم يسدد ما عليه من اقساط لمدة شهرين متتالين •• » وأطبق علينا الصمت ، ودارت برءوس الهواجس ، ولمعت فى أذهاننا صورة العربة « الأوبل » ، وصورة الضياع الواسعة وحدائق المانجو والبرتقال والكروم التى يمتلكها أبوه وأمه ، والهالة الكبيرة التى يضفيها على نفسه ، وصاح أحدنا :

ــ « هل هذا معقول ؟؟ »

قال سمير فى ثقة :

ــ « لقد رأيت الخطاب بنفسى •• ان اسماء المنذرين بالفصل لدى سكرتير المدينة وتستطيعون أن تتاكدوا منها •• لقد علمت عنه كل شىء هناك شهادة فقر لاعفائه لم يوافق عليها •• أبوه يعمل ساعيا بمكتب محام من الدرجة الثالثة له خمسة اخوة وأخوات •• انا لا أتشفى أو أحقد عليه •• لقد جمعتكم لنبحث عن حل •• الحل الذى أراه هو أن نتضامن جميعا ، وندفع للمدينة ما عليه من اقساط دون أن يشعر ، انها عشرة جنيهات فقط •• » ووضع كل يده فى جيبه ، وأخرج ما يستطيع من مال ، لم يحاول أحدهم أن يتكلم أو يعلق بشىء ، وجمع سمير الجنيهات العشرة ، ثم انفض الاجتماع فى هدوء •••

❋ ❋ ❋

كان نبيل يشعر بضيق ما بعده ضيق ، وأخذ يحدث زملاءه عن فكرة جديدة ألا وهى ترك المدينة الجامعية لان جوها لا يلائمه ، ولانها مليئة بالضجيج والشغب والأجلاف من الطلبة الأغنياء الذين لا يراعون قواعد الذوق وعندما عاد الى حجرته فى مساء اليوم التالى ، وجد ايصالا بعشرة جنيهات من المدينة الجامعية •• آه •• لقد سددت ديونه ولن يفصل من المدينة الجامعية •• وشعر براحة كبرى وهو يفكر فيمن فعل ذلك لا شك أنه محرج ، لكن العمل الانسانى الكبير أيقظه من أحلامه التافهة وأعاده بشرا سويا••• وانهمرت منعينيه الدموع•• وعندما ذهب الى الكلية فى اليوم التالى لم يكن وحده ••• كان يحيط به سمير والرفاق •• وكانوا يضحكون فى مرح وحب وسعادة وأخوة •••

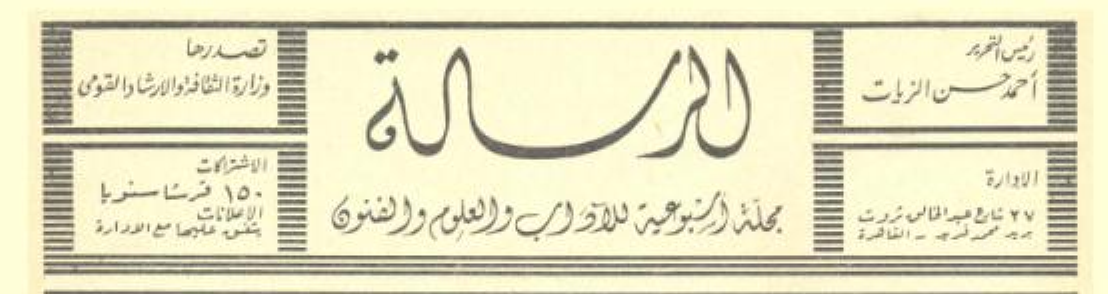
دكتور
نجيب الكيلانى


الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبدالخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٣٠ - جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - ١٠ اكتوبر ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من أحاديث القرية

الاشتراكية كما يفهمها الفلاح

بقلم: أحمد حسن الزيات

أخذت الشمس الغاربة تلم خيوطها الذهبية من جوانب الافق الغربي حتى لم يبق منها الا اطراف على ذوائب النخل وأعالي الشجر . وتراكمت سحائب مبتعثرة على حواشي الشفق ، سوداء المؤخر كالفحم ، حمراء المقدم كاللهب ، وتلاقت أواخر الصيف وبواكر الخريف على رطوبة الفيضان فتثقل الجو وركد النسيم وبان على الوجوه السمر رشح العرق، وازدحمت طرق القرية ساعة الرواح بالماشية يسوقها رعاتها الصغار الى حظائرها في هدوء وصمت بعد ما ملأت بطونها بالاعشاب الغضة النابتة في حقول القطن الجرداء ، وبالحمير والجمال تحمل أكياس القطن الى القاعات والمخازن ومن ورائها الشبان يتبادلون النكت ويتمنون المنى ويسارقون النظر الرغيب من يمرون بهن من المراهقات الحسان ، وبالجماعين يتقدمهم العذارى الأوانس ومن يصفقن بالأكف الخشنة ويهزجن بالاصوات اللينة .. فاذا استقرت المواشي بعد حلبها في الزرائب ، وافرغت الاكياس بعد وزنها في المخازن ، انصرف الرجال الى صلاة المغرب ، والنساء الى اعداد العشاء ، والفتيان الى ايقاد النار على رأس الحقل يشوون فيها أكواز الذرة .

أما أنا فقد اتخذت مجلسي المعتاد في فناء الحديقة

بعد العصر ، وارخيت لأعصابي العنان ، وسبحت في فيض من سكينة الفردوس اختنق فيها ما بقي عالقا بسمعي من أصداء الحياة وضوضاء القاهرة ، وكتمت عن مشاعري أحاسيس العالم الخارجي فلم اعد أرى غير مخضر أو مفتر ، ولا أسمع غير صادح أو باغم .

والخريف في الريف هو الربيع الحق في نضرته وزينته وعطره . واذا كان (هوجو) قد سمى خريف فرنسا بالربيع العريان قام من القبر ناسيا حلله وحلاه ، فان خريف مصر هو الربيع الكاسي باعواد الذرة اللفاء وقصب السكر الوريق ونبات البرسيم العميم وسيقان القمح النابتة . فاينما أدرت بصرك لاتجد الا رياضا شجراء من شراب وحب ، ومروجا فيحاء من زهور وكلأ .

لبثت وحدي على هذه الحال الشاعرة استنشي ما يعطر النسيم الفاتر من عبير الرياحين التي تنبتها الطبيعة على ضفاف الترعة القريبة، وأستعيد ذكريات الطفولة الحلوة ، فاتمثلني وانا صبي أجوس خلال هذه الحقول نفسها ماشيا على قدمي أو ساعيا على حماري ، أشارك الفلاحين من أهلي أعمالهم وأحوالهم ولا أدري ماسطره لي القدر في لوح الغيب : أأكون من حملة الفأس أم من حملة القلم .

ثم اخطرت ببالي مشاهد حياتي الطويلة بين القرية والمدينة ، وبين الشرق والغرب ، وبين الشبيبة والشيخوخة ، وما تخللها من صبوات القلب ونزوات النفس وبدوات العيش ، فلم أجد فيها والحمد لله ما يؤلمني أن أتذكره ، ولا ما يخجلني أن أذكره . ثم استغرقت في صمت خاشع أشبه بصلاة الشكر وبقيت عليه حتى قضى الفلاحون صلاة العشاء وتناولوا وجبة العشاء ، واقبلوا على مجلسي يسلمون ويرحبون ويسمرون . فتبودلت جمل التحايا المألوفة ، وأديرت أكواب الشاي الثقيل ، وتنوقلت أحاديث المجتمع القروي الجديد ، فخاضوا في توجيهات الاصلاح الزراعي ، وخدمات النظام التعاوني ، وانتخابات الاتحاد الاشتراكي، وكان السامرون خليطا متساويا من مختلف الطبقات والعقليات يتفقون في نمط العيش ويختلفون في درجة المعرفة . فهم يمثلون القرية كلها في نواحي الفهم والفكر والعمل . فوقع في نفسي أن أستشف من خلال حديثهم ما قر في أذهانهم من معاني الاشتراكية فالقيت عليهم هذا السؤال :

« انكم تحيون اليوم كسائر المواطنين حياة اشتراكية وتسهمون في عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي ، فماذا تفهمون من هذه الاشتراكية ومن هذا الاتحاد ؟ »

فسكتوا جميعا سكوت المحرج ووجموا وجوم المحتار واتجهوا بأبصارهم الى أعضاء الاتحاد ممن يقرءون الصحف ويغشون المجالس يريدون منهم أن يجيبوا .

فلما طال الصمت وتأخر الجواب قال أحدهم وهو من شيوخ الفلاحين الذين ملكوا بعد العدم وعزوا بعد الذل وتحرروا بعد الرق : اذا كان معنى الاشتراكية ان نشترك في ملك الارض فانه لا ينطبق على مانحن فيه ، لأن الرئيس جمال عبدالناصر وزع على كل منا قطعة من أرض الاقطاعيين وقال انها لكم ولا يشاركم فيها غيركم .

وقال آخر وهو من قدماء المتفقهين في الازهر : ان معرفتنا بالاشتراكية كمعرفتنا بالذات العلية: نعرفها بآثارها لا بأسرارها . وبنتيجتها لابحقيقتها . فنحن في هذا العهد ننعم برعاية الاصلاح والتعاون ، ومجانية التعليم والعلاج ، وحرية الترشيح والانتخاب ، وعدالة الخدمة وكفاية الانتاج ، والمشاركة في الحكم عن طريق المجالس الشعبية . وهذا المعنى الأخير هو الذي نفهمه من لفظ الاشتراكية . أما ربط المعاني الاخرى بها فلا يزال شيئا عسير الفهم .

وقال آخر وهو من الشبان المتحمسين الذين يتكلمون في كل معنى ويعترضون على كل رأي : ان الملكية والتعاون والحرية هي خصائص هذا العهد فنحن نملك ونعان ونختار . وليس هناك مالك جشع يستغلنا لجيبه ، ولا حاكم ظالم يسخرنا لحزبه . أما الاشتراكية التي نفهمها فهي اشتراك اثنين في بهيمة أو قريبين في دار أو الناس كلهم في مسجد. وليس من معانيها أبدا أن يشارك أحد أحدا في ملكه ولا في رزقه .

وأخذت الجالسين شهوة الكلام بعد أن تشققت أكمامه وتبينت مراميه ، فتشعب الموضوع وتشاجر الحديث ، ولكنه لم يخرج عما قيل من تعريف الاشتراكية بجملة الحال التي هم فيها لا بالمعاني التي تحتويها . فقلت لهم ان جهلكم بالاشتراكية جاء من انكم حصرتموها في أنفسكم وفي قريتكم ، ففصلتم أنفسكم عن الأمة وقريتكم عن الوطن . ولو انكم أدخلتم في حسابكم أن الحكومة أشركتكم في ملكية الارض وقد كانت في أيدي فئة قليلة . وانها أممت الشركات والمؤسسات والبنوك والمصانع وسائر

وسائل الانتاج الكبيرة والمتوسطة فاشركتكم في ربحها وفي ريعها ٠ لعلمتم ان الامة بالنظام الاشتراكي اصبحت أسرة واحدة كبيرة ، فيها الفرد للكل والكل للفرد ٠ وليست الحكومة فيها الا الأب الحنون الذي يدبر أمرها على الكفاية ، ويقسم خيرها على العدل ، ويضمن لعاجزها الحياة الراضية بالرحمة ٠

الم يأتكم نصيبكم من أرباح هذه الشركة العامة فيما تتمتعون به من ماء نقي من غير ثمن ، وتعليم كل من غير أجر ، وعلاج طبي من غير مقابل ، وعون تعاوني من غير تعب ، وقرض زراعي من غير فائدة ؟؟ من منكم كان يستطيع ان يؤدي بعض هذا لو لم تجعل الاشتراكية له حقا معلوما في خيرات وطنه يناله عفوا من غير كد وصفوا من غير كدر ؟

انكم حين جهلتم حقيقة الاشتراكية لم تتخلقوا بأخلاقها ولم تتجملوا بصفاتها ٠ فلا تزالون على ماكنتم عليه في عهد الاقطاع تؤثرون المنفعة الخاصة على المنفعة العامة ، وتنصرون القريب ومعه الباطل على الغريب ومعه الحق ، وتحصرون الوطن أجمع في الارض التي ملكتموها ، والامة جمعاء في الاسرة التي ملكتكم ، وتتعاونون على الاثم والعدوان ولا تتعاونون على البر والتقوى ٠ وقد قال أحدكم انكم لا تفهمون الاشتراكية الا في المسجد لانه بيت الله وكلكم عبيده، ولن تكونوا اشتراكيين بحق الا اذا فهمتموها كذلك في البيت والحقل لانهما قاعدتا الوطن وكلكم أبناؤه !

ثم تتابعت الاسئلة وتعاقبت الاجوبة حتى انفض المجلس وانصرف الجلوس وفي أذهانهم أن الاشتراكية هي أم الديمقراطية والحرية والرفاهية ، وأن حياتنا بدونها تكون أشبه بحياة الحيوان لايعطف قادر على عاجز ولا واجد على فاقد ٠ ولكن مجلسنا ليس كل المجالس ولا قريتنا كل القرى ٠ فالحال داعية الى توعية الفلاحين بالاشتراكية وتبصيرهم بالميثاق ، ولا يقوم باجابة هذه الدعوة الا وزارة الثقافة والارشاد عن طريق أجهزتها الثقافية في الريف ، ووزارة التربية والتعليم عن طريق معلميها في المدارس ، ووزارة الاوقاف والازهر عن طريق وعاظها في المساجد ، واذا أدى هذا الواجب على الوجه الاكمل رجوت أن يدمج الفلاحين في المجتمع الاشتراكي الجديد ، وأن يدفع بالزحف الثوري الى مداه البعيد ٠

احمد حسن الزيات

سوريا وشعاراتنا القومية

للدكتور محمد احمد خلف الله

- ٣ -

قالت : ان حديثنا اليوم يحتاج الى شيء كبير من التؤدة في البيان والايضاح ، لأنه حديث يدور حول الايمان ـ ايمان الشعب العربي بنفسه وبأنه حقا مصدر السلطات . فهل كان هذا الايمان من القوة بحيث يرهب الحاكم من أن ينال حقوق الشعب بسوء ، أو كان من الضعف بحيث يجعل من الحاكم كل شيء ومن الشعب لاشيء ؟.

***

هل كان هذا الايمان من القوة بحيث يجعل الشعب سيد نفسه ، يتصرف في أموره بارادة حرة لايقيدها أي قيد لا من الداخل ولا من الخارج ، أو كان من الضعف بحيث يجعل الشعب مسلوب الارادة ، لايملك من أمر نفسه شيئا ، ويجعل أفراده عبارة عن جماعة من الرعايا أو التابعين ؟

قلت ٠ ان ما تقصدين اليه واضح ، وان يكن في حاجة الى شيء من التعديل والتحوير . فالمسئول عنه في نظري يحتاج الى شيء من التفصيل الدقيق ـ التفصيل الذي يجعل الاجابة صحيحة ودقيقة .

***

ان الامة العربية موزعة في دول عديدة . وكل دولة من هذه الدول لها نظامها الخاص في الحكم ومانطبق على واحدة منها قد لاينطبق على الاخرى ومن هنا كان لابد من التفصيل الدقيق الذي يكشف عن حقيقة الموقف في كل دولة ، أو في كل مجموعة من الدول تتشابه نظمها ، وتتماثل عاداتها وتقاليدها في الحكم وفي تسيير دفة الامور .

***

ان من الشعوب العربية شعوبا لم تملك من أمر نفسها شيئا ، ولاتزال القيادة فيها لغير ابنائها . لاتزال أمورها تدار من خارج . ولاتزال مقاليد الحكم فيها لرجل أو رجال من المستعمرين ٠ وهذه

الشعوب العربية تكافح من أجل حقها في الحياة الحرة الكريمة التي تجعلها سيدة نفسها حقا .

وان من الشعوب العربية شعوبا لاتزال نظم الحكم فيها بعيدة كل البعد عن ان تكون عصرية . فالحاكم ، وهو عربي اصيل ، قد ورث نظاما من الحكم يحفظ له ولأسرته مصالحها ، وهو لا يريد أن يغير هذا النظام حتى لاتضيع هذه المصالح .

* * *

والشعب نفسه يحيا حياة اجتماعية معينة تجعل من القبيلة او العشيرة الوحدة التي يتوجه اليها الفرد بالولاء . انه لايدرك مفهوم الدولة ، ولايدرك مفهوم الأمة . وانما يدرك مفهوم القبيلة . ويتعامل مع الدولة على هذا الاساس . انه ينظر الى الحاكم على انه شيخ من شيوخ القبيلة له ماللشيخ من حقوق وعليه ما على الشيخ من واجبات . ومن هنا يصبح الأمر للحاكم، ويرضى الشعب عن ذلك ويجد فيه شيئا من الطمأنينة والاستقرار .

* * *

غير ان هذا الهدوء النسبي الذي يشعر به الحاكم ، ويشعر به العامة ، لايلبث أن يزول بعمل الصفوة المختارة من أبناء الشعب . أولئك الذين يكافحون ويناضلون في سبيل الحريات العامة ، وفي سبيل حياة ديمقراطية يقيد فيها الحاكم ، ويملك فيها الشعب القيادة ، وتصبح ارادته هي الارادة المسيطرة حقا . الارادة التي تدفع به نحو التقدم ونحو حياة افضل .

* * *

ومن الشعوب العربية شعوب منحها الحكام حقوقا وجعلوا زمام الامر بأيديهم . فهم يستردون هذه الحقوق متى أرادوا ، ويعبثون بالشعوب كيف شاءوا وأنى شاءوا .

لقد انشأ هؤلاء الحكام حياة ديمقراطية . واصدر هؤلاء الحكام من الدساتير مايحدد العلاقات بين الحاكمين والمحكومين ، ولكنهم ظلوا دائما مدركين انهم المانحون ، وانهم القادرون على استرداد هذه المنح .

* * *

لقد انشأ هؤلاء الحكام حياة ديمقراطية زائفة . قصدوا منها التشبه بالغرب ، وقصدوا منها تلهية الشعب ، والبسوا فيها الباطل ثوب الحق ، وقادوا بها الشعب الى مايريدون .

وفي هذه الشعوب ظهرت التناقضات ، وادركت الصفوة المختارة الحيل والالاعيب ، ورأى الناس ببصرهم وبصيرتهم ترابط اصحاب المصالح فيما بينهم . فوقف الحاكم ومن حواليه الاقطاعيون واصحاب رءوس الاموال والمنتفعون تجاه بقية افراد الشعب . وكفرت الصفوة المختارة بهذه النظم الديمقراطية التي تهيىء الحرية لقوم وتفسد على الآخرين حياتهم . انها تخلي طبقة من كل قيد، وتكبل الآخرين بكل قيد . انها نعمة لقوم ونقمة للآخرين .

* * *

وجاءت النتيجة الحتمية وهي الصراع الطبقي . الصراع الحاد العنيف . الصراع الذي كان من مظاهره هذه الثورات العديدة التي قامت في بلدان عديدة من بلدان العالم العربي ، والتي جعلت من اهدافها تحقيق الحرية والاشتراكية لأبناء الأمة العربية .

* * *

ان الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي ان يعبر عليه من الماضي الى المستقبل.

والثورة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها الامة العربية ان تخلص نفسها من الاغلال التي كبلتها ومن الرواسب التي اثقلت كاهلها . فان عوامل القهر والاستغلال التي تحكمت فيها طويلا ونهبت ثرواتها لن تستسلم بالرضا . وانما لابد على القوى الوطنية من ان تصرعها ومن ان تحقق عليها انتصارا حاسما .

* * *

والثورة هي الوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف الذي ارغمت عليه الأمة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال .

ان الطريق الثوري هو الجسر الوحيد الذي تتمكن به الأمة العربية من الانتقال مما كانت فيه الى ما تريد أن تكون عليه . من حيث ان الثورة تكون حركة شعب باسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام

عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يتصورها وكما يريدها . ومن حيث انها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، تعويضا لما فات ، ووصولا الى الآمال الكبرى التى تبدو خلال المثل الاعلى لما نريده الاجيال القادمة .

وحددت هذه الثورات طريق المستقبل ، وربطت هذه الثورات النظم الدستورية بالمصالح الحقيقية لابناء الشعب لا لطائفة بعينها . وذلك ليكون الايمان بها اقوى والدفاع عنها دفاعا عن النفس .

ان التنظيمات السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد لها ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة الاغلبية — وهى القوى التى طال استغلالها ، والتى هى صاحبة مصلحة حقيقية . انها الاغلبية التى طال حرمانها من حقها الاساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه .

ان سلطة الشعب يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب . ثم هو الكفيل بان يظل الشعب دائما قائد العمل الوطنى .

تلك هى قصة ايمان الشعب بنفسه فى عالمنا العربى سردتها لك كما عرفتها وكما وعتها الذاكرة وارجو ان اكون قد وفقت فى العرض وفى التحليل .

قالت لاأملك الا ان اشكر ، وارجو الا اجد عند غيرك مايتقض رايك والا رجعت اليك لافيد واستفيد .

دكتور محمد احمد خلف الله

● حرية الفكر فى النظام الديمقراطى تتيح للفرد فرصة عظيمة للتعبير عن ذاته تعبيرا كافيا — لكنها ليست فرصة كاملة لأنها ليست حرية كاملة .

هى حرية فى مواجهة الدولة او قبل الدولة . هى حرية الفرد فى التعبير عن رايه غير معرض لتدخل الدولة او سيطرتها ..

ان النظام الديمقراطى يبعد الدولة وعمالها عن التعرض لتفكير الافراد وعقائدهم وكيفية تعبيرهم عنها — لكنه لا يبعد العقبات الأخرى من طريق حرية الفكر ولا يكلف الدولة ابعادها .

فحرية الراى فى النظام الديمقراطى مقيدة بشواغل الرزق ومطالب الأسرة وسلطة الرياسة — وضغط الجهل — ونفوذ ذوى النفوذ — وقيود العادات والتقاليد والعقائد ..

وسطورة الأحزاب السياسية والنقابات والجماعات .

***

● الحرية معناها اعتراف بان الحياة المحترمة — حق لكل فرد — وان هذه الحياة الكريمةلاتتوافر الا لمن له استقلال فى نفسه يربأ به ان يكون موضعا لسلطان الآخرين وتعسفهم او اداة صماء تنعدم فيها ارادة الفرد وكيانه وتنعدم بالتالى مساهمته الواعية الاختيارية فى بناء المجتمع الأصلح لنفسه ولأمته ..

***

● لكل فرد كيانه الذاتى وكيانه الاجتماعى — والحرية وما يترتب عليها من مسئولية تتحدى قوته فى التوفيق بين هذين الكيانين . ولذا فان الحرية اصعب مراسا من غيرها .. وتتطلب نمو شخصية متزنة تحترم حق الغير فى حريته — وتقدم النتائج التى تترتب على الافعال والأقوال ..

ان اعظم مايهدد حرية الراى هو اساءةاستعمالها والتغافل عن المسئولية الاجتماعية والفكرية التى يجب مراعاتها .

أحمد رامى شاعر النغم

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

تحدثت قبل اليوم عن رامى شاعر الغناء ، واليوم أقف وقفة عند أسلوب شعره .

وأسلوب رامى صورة منه ..ومن ثم فهو أسلوب حينا ضاحك سعيد وآنا دامع حزين... وهو تارة هادىء راض وتارة يعلو نبضه ويشتد وجيبه ... وهو فى كل حالاته سهل رضى غير ألفاظ قليلة ليست سهلة وليست متقعرة .. وقد حاولت استقصاءها فى الديوان كله فلم تأخذ عينى غير أحد عشر لفظا ... ولو أنعمت النظر فيها تكشفت لك عن سر ... والالفاظ التى نتحدث عنها هى : بديدا ـ حاصب ـ حلأتها الايدى ـ المدجان ـ ميود النقا ـ سديم ـ خضم تيهور ـ مهيع ـ اكرى ـ نثا ضوءه ـ سجوم ـ يلوب .

فالالفاظ كما نرى دالة على معناها فى غير تقعر أو شذوذ فليس بينها مثل بلهينه) (دردبيس) أو مايشبه هذا واذا استقرأنا الالفاظ وجدنا مثلا أن (مدجان ، حاصب بديدا ، اقتضتها تحكم القافية والتفاعيل وضرورة الأوزان . وربما كان جنوحه الى مثل هذه الكلمات الغريبة لاحداث الدهشة الجمالية.

وهناك ألفاظ لاندحة للفنان عنها لخاصة فيها فمثلا (نثا ضوءه) أى شعشعه ولكن اللفظة (نثا) أقل حرفا وأكبر دلالة على المعنى ، وأوفى أداء للمراد .

ولفظة « يلود » مقصودة لاستكمال الصورة . ونلاحظ أن قبلها يطوف ويزور . فلم يبق غيرها .. ثم أن اللفظة « يلود » لها جو خاص تصوره ، ومعنى خاص تعكسه ، معنى الشرود والقلق والحيرة الزائفة .. اليست بعينها اللفظة الفصيحة من « لايد » ذات الوقع الخاص فى احساسنا .

على انى لاحظت ان الشاعر يحيط لفظه الغريب بحاشية مفسرة ـ لست أدرى عامدا أوعن غير قصد ـ و (حاصب) تحيط به قرائن من مثل ذادها ـ عن الافنان ـ فاذا كان الذود هو الدفاع والصد ، والأفنان هى الاغصان ـ فالحاصب لا بد أن يكون « رامى الحصى » .. فان لم يتكشف المعنى الحرفى للقارىء فانه مقدر معنى قريبا يدخل تحت عنوان (الدفاع ـ الصد) .

واجهوه مرة بقوله :

يتهمونك بانك تتخم اشعارك بالالفاظ الخلابة البراقة . فما السبب فى هذا ؟ . فاجابهم وفى صدره آهة حبيسه :

الشعر كالتصوير ان لم تكن ألوانه فى غاية من الزهاء والبهاء فقد رونقه وعمق تأثيره ، ولا معنى للاستغناء عن بريق اللفظ وزينته ما دام لا يتعارض مع المعنى . على ان للشعر لغة ليست للنثر ، والشاعر كلف باختيار الفاظ هذه اللغة وخاصة اذا كان الشاعر يغنى شعره قبل أن يكتبه . ولعل هذا يرجع الى كونى أنظم شعرى فى الظلام وأنا أتغنى به ولا أدونه الا اذا فرغت منه وقد أبيت به الليل ولا أكتبه الا فى الصباح .

والفاظه بعد هذا نابضة تتفجر حياة وتتوثب فى طلاقة ولقد يجمع لك فى لفظ واحد الصوت والحركة والمنظر كقوله فى وصف الجدول (جدول لعوب) .

ويعد رامى بين شعراء الرعيل الاول للرومانطيقية التى يحلو لها هذه الأوصاف : النور الضاحك ـ النهر اللعوب .

ولكن الفاظه محدودة وهذه الظاهرة يفسرها قوم بقلة رصيده من مفردات اللغة حتى ليحلو لاحدهم أن يشبهه بلاعب الشطرنج أو (الدمينو) ما لديه الا قطع واحدة لا تتغير يجمعها وينثرها فى اشكال ومواضع مختلفة ولكنها .. هى .. هى ..

ولكن هل قضية كهذه تمر بها الدراسة عابرة بالطبع لا .. لننثر معا غزل رامى وهو أهم فنون شعره .. ننثره فى الشعر والاغانى ونجمع الالفاظ التى يتكون منها فى مجموعة بعد أن نسقط المكرر من اللفظ فماذا نرى ؟

ان الشاعر يدور فى فلك ١٨١ لفظ يجمعها وينثر منها قليلا أو كثيرا فى هذه القصيدة أو تلك ، وهذه الاغنية أوتلك على حسب طول كل منها :

أنين ـ اشفاق ـ أسى ـ الايام ـ الزمان ـ الليالى ـ أوصاب ـ الم ـ لمعة ـ الخلاص ـ النعى ـ الاسية ـ أقاسى ـ أحلام ـ أمانى ـ آمال ـ انتظار ـ أوهام ـ اسال ـ الليف ـ أوجاع ـ أسامع ـ أصون ـ أشوف ـ اجتماع ـ اختيار ـ مطار . بكاء ـ بعاد ـ بال ـ بين ايديك ـ بوح .

تلدد – تباريح – تنهد – تبادليني – تمن – تجن ·

جفون – جراح – جوى – جفاء – جمال – جنون جنبي – جازي – جرى لي ·

حنين – حطام – حزن – حسرة – حرمان – حيرة – حب – حرقات – حاسد – حنان – حبيب – حسن يفتن ·

خطوب – خيال – خوف – خضوع – خيانة – خدود – خليل – خالي – خاطر ·

دمع – دم – دلال ·

ذل – ذوبان – ذكرى ·

رضا – رقى – رحمة – رحيل ·

زفرات ·

سهد – سهر – سلام – سعد – سلوى – سارى – سقاني ·

شجو – شقاء – شوق – شكوى – شاغل – شارد ·

صبابة – صعبان على – صبر – صافاني – صدقيني – صد ·

ضيعة – ضنى – ضنك – ضم – ضن – ضلوع ·

طيف – طمنى – طول الليالي ·

ظلم – ظن ·

عذاب – عيون – عهد – عتاب – عناق – عزاء – عذول – عطف – عليل ·

غياب – غضب – غدر – غزل – غرام – غريب ·

فؤاد – فرحة – فكر – فرج ·

قلب – قرب – قاسيت – قسوة ·

كبد قريح – كلام – كاس – كذب ·

لوعة – لين – لهيب – لسان – لوم – لقاء ·

متيم – ميعاد – مرار – المحبوب – مداراة – المكتوب ·

نحيبى – نوح – نار –نوم – نسيان – نديم – نعيم – نصيب – نجوى – نداء – نغم – نظرة ·

هوان – هم – هناء – هجر – هيام – هوى ·

وجوم – وحدة – وحشة – وجيب – وجد – وصال – ولهان – وداد – وداع ·

لاح – لاعب ·

ياس – ياويل – ياريتني – ياروحى ·

ومن قاموس الطبيعة ٢٥ لفظا :

طير – جناح – جو صافي – ليل – نسيم – ورد – شجر – الموج – الغمام – القمر – النيل – فجر – الميه – الارض – الزهر – الشمس – الشفق – ياسمين – البدر – النهر – غدير – السحر – النجوم – الكون – سحاب ·

على أننا لا نريد أن نسرف فى اللوم فطبيعة الموضوع لها دخل كبير فى هذا · وهل نستطيع ان نكلف العاشق أو المتغزل أن يتكلم فى الاجتماع أو يشك بقلمه اصطلاحات علم الاقتصاد ؟

ان دنياه كلها شوق وأحلام وأوهام وهجر ووصال ورضا وحرمان وكل ما قاله رامى ويقوله أصحاب التجارب المماثلة ·

غير أننا لانقره على شيوع مثل هذه الالفاظ اللينة المتهافتة لى أدبه : ذلة – هوان – تلدد – احببت عزتى – لوعة – ذل الهوى – حسرة – خضوعى – تنهد – نحيب – حرقات – زفرات – آهات – أنات – الدموع ·

على أن المعانى التى تصورها هذه الالفاظ المحدودة ، ليست محدودة مثلها بل كثيرة متنوعة فيها طرافة وتلوين ·· مما يدعو الى التساؤل :

هل يحسب له أو عليه صوغ معانيه وتلوين صوره من مجموعة صغيرة من الالفاظ ؟ أم حصره نفسه فى تلك المجموعة ؟ ·

هل هى براعة مؤاتية أم فقر لغوى ؟ هذا هو قاموسه ·

والمحسنات اللفظية عند الشاعر قليلة غير مقتسرة ولا مستكرهة فقد تلمحه أحيانا يجانس كقوله ·

انما العيش روضة أنا فيها
زهرة لا تظل فوق الغصون
ضاع نشرى وضاع فى الجولم
ينشقه الالوافح تذوينى

ولكن مثل هذا فى حكم الشاذ الذى لا حكم له ولا يقاس عليه ·

وعند الشاعر تقسيم أحيانا :

ومن الزرع باسق جفت الاثمار
فيه وما جنتها يدان
ومن الماء دافق جف فوق الأرض
ما مس قطره شفتان

وشعره عليه طابع الغناء ، فكما يجعل رامى فى اغانيه بيت المطلع بيت الختام أو يطعم هذا من ذاك ، يجرى مثل هذا فى القصيد – فقصيدته « صفصافة على قبر غريب » استهلها بقوله :

توحى بأنات النسيم اذا سرى
وازدانى فى أغصانك النفاء

وانتهى منها بقوله :

وثوى وما من واقف بضريحه
راع ســوى صفصافة فرعاء
تبكى بأنات النسيم اذا سرى
وتتيـه فى أغصانها اللفـاء

لقد سألوه مرة عن المهنة التى كان يفضلها على مهنته الحالية ؟ فقال :

« لو لم اكن شاعرا لوددت أن اكون مغنيا ، فان بين الغناء والشعر اسبابا متينة من ناحية الوزن ، والوحدة ، والقافية والقرار .. ومن ناحية أن المغنى يحفظ الشعر ويردده ، وهو يعجب بما فيـه من الاخيلة والمعانى » .

وفى شعر رامى الغزلى ظاهرة جديرة بتسجيل، فالغزل عنده لا يتعلق بالاوصاف الجسدية والحسية ولكنه شوق وحرمان ولقاء وأحلام وحدة .

كما يخلو شعر رامى من الخمر على غير جهل بها .. ويمتاز رثاؤه بخاصيته فليس فيه معان عامة فهو لم يسكت الطير ولم يحجر الشجر ولكن الرثاء عنده كالغزل ، لوعة وحنين وافتقار .. انه غزل فى الميت ولامر ما كان الشريف مثـلا اغزل شاعر وأرثى شاعر .

والمرثية عنـد رامى لا تصلح أن تقال فى غير صاحبها لخاصيتها .. كما أشرت .

وقد لمست من ديوانه أن أحب البحور الى الشاعر فى القصيدة (الخفيف) الذى نظم منـه نحو نصف ديوانه كقصيدة « رثاء شوقى » و « سبيل المجد » و «طيور الأماني» و «كيف مرت على هواك القلوب».

ويبدو أن السر فى ايثار الشاعر بحر (الخفيف) انه يتفق مع طبيعته الرقراقة الغزلة اذ (الخفيف) بحر متهيئ متحدر جميل على الرغم من انه من أشق البحور خاصة على المبتدئين لان تفاعيله غير مرتبة .

وحروف الروى الغالبة على شعره: النون والهمزة والباء والراء .

وبعد ... فان القول عن رامى ذو سعة .. فلنجتزىء بهذا القدر اليوم ..

دكتورة
نعمات أحمد فؤاد

الشهادة
كدليل من أدلة إثبات جرائم الحدود

للأستاذ محمد عطية راغب

أجمع الفقهاء فى التشريع الاسلامى على أنه اذا استجمعت الشهادة جميع شروطها ، وجب على القاضى المطروح أمامه الدعوى العمل بمقتضاها .

وللشـهادة شروط منها العامة ، ومنهـا ما يجب توافرها فى الشـاهد نفسه . ولذا سنقسم هـذا البحث الى ثلاثة مطالب ، اولها فى الشروط العامة الواجب توافرها فى الشهادة ، وثانيها فى الشروط الواجب توافرها فى الشاهد ، وثالثهـا فى مراتب الشهادة .

* * *

المطلب الأول
فى
الشروط العامة للشهادة

يجب أن تؤدى الشهادة بلفظ أشـهد دون غيره عند فقهاء الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة . ولذا اذا لم يذكر الشاهد هذا اللفظ وقال أعلم، او أتيقن لاتقبل شهادته عنـد هؤلاء الفقهـاء لانهم يرون أن النصوص القرآنية قطعت باشتراطها ولم يعدل عنها مع كثرة ذلك وتعدده فى مواضع شتى من القرآن الكريم ، ولأن فى هذا اللفظ زيادة توكيد لأنه ينبىء عن المشاهدة والمعاينة والامتناع عن الكذب .

* * *

اما الراجح فى مذهب المالـكية فيرى أنه يصح الاداء بهذا اللفظ او بغيره مما يفيدمعناه كاعلم واتيقن لانه لا فرق عندهم بين لفظ ولفظ ، ولا خصوصية لواحد منها على الآخر، لأن مقصود الشهادة هو اخبار القاضى بما تيقنه الشاهد ، ولا يتوقف هذا على لفظ معين. وهذا هو ما نراه ايضا ، ذلك لأن النصوص التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ابعد ما تكون عن اشتراط لفظ الشهادة فى الاداء ، هذا فضلا عن أن

ترك الأمر فى هذا الى اصطلاح الناس وما جرى به عرفهم ، أيسر لهم وأقرب .

***

كما يجب ان تكون الشهادة عن علم ويقين، لا عن ظن وحسبان ، فلقد أجمع الفقهاء، فى التشريع الاسلامى على أن الشاهد لا يجوز له أن يشهد الا بما علمه وتيقن منه تيقنا لا تبقى معه ريبة فى حصول ما شهد به .

***

وللاعتداد بالشهادة ايضا يجب أن تكون موافقة للدعوى فيما يشترط فيهالدعوى فان خالفتهالاتقبل الا اذا وفق المدعى بين الدعوى وبين الشهادة عند امكان التوفيق ، لأن الشهادة اذا خالفت الدعوى فيما تشترط فيه الدعوى وتعذر التوفيق انفردت عن الدعوى والشهادة المنفردة عن الدعوى فيما يشترط فيه الدعوى غير مقبولة .

***

كما اوجب الاحناف عدم التقادم فى الحدود الخالصة لله تعالى ، كحد الزنى والسرقة ، وشرب الخمر ، هذا اذا لم يمنع من اداء الشهادة البعد عن القاضى ، او مرض الشاهد ، او خوف الطريق. ذلك لان الشاهد اذا عاين الفعل فى هذهالحدود ، ولم يشهد على الفور حتى تقادم العهد دل ذلك منه على تفضيله الستر على اداء واجب الشهادة، ولأنه اذا شهد بعد ذلك دل فعله هذا على أن الضغينة هى التى دفعته على أداء الشهادة ، هذ' فضلا عن أن التاخير منه فى اداء الشهادة يورث التهمة .

***

والاصل فى الشهادة القائمة على حقوق العباد أن تكون من المدعى نفسه أو نائبه ، لأن الشهادة هنا شرعت لتحقيق قول المدعى ولا يتحقق قوله هذا الا بدعواه اما بنفسه واما بنائبه .

أما حقوق الله ، فلا يشترط فيها الدعوى ، وان كانت الدعوى مع هذا قد شرطت فى حد السرقة ، لأن كون المسروق ملكا لغير السارق شرط لتحقق كون الفعل سرقة شرعا ولا يظهر ذلك الا بالدعوى فشرطت الدعوى لهذا .

كما يجب أن تصدر الشهادة فى مجلس القضاء، ولذلك لا اعتداد بالشهادة الصادرة خارج هذا المجلس ، حتى ولو كان المجلس مجلس تحكيم .

وفى جرم الزنى أوجب الفقها، أن يسأل الشاهد عن الزنى ، ما هو ، وكيف هو ، وأين وقع ، وبمن زنى ، ومتى زنى المشهود ضده .

وفى جرم السرقة يجب أن يسأل الشاهد عن ماهية السرقة ، وكيفيتها ، وعن مكان وقوعها، وعن زمانها ، وكم هى ، وممن سرق المشهود ضده .

***

وفى جرم القذف يجب أن يسأل الشاهد عن القذف ما هو ، وكيف هو ، ومتى ، وأين وقع . وفى جرم شرب الخمر أوجب بعض الفقهاء أن يسأل الشاهد عن ماهية الفعل الذى شاهده ، كيف هو ، ومتى ، وأين وقع ، ولكن دون حاجة لأن يسأل عن شرب المشهود عليه المسكر مختارا عالما به وبتحريمه أم لا ، وان كان الجمهور من الفقهاء لم يطلب من القاضى كل هذه الأمور .

***

واذا رجع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بطلت الشهادة ، ولايجوز الاعتماد عليها ، لوجود التناقض فى كلامهم ، كما أنه لا ضمان فى هذه الحالة على الشهود ، ذلك لأن سبب وجوب الضمان هو اتلاف النفس او المال ، ولا اتلاف هنا .

***

أما اذا رجع الشهود بعد الحكم والاستيفاء ، فلا أثر للرجوع فى القضاء ، بل يبقى الحكم نافذا بعد الاستيفاء ، وواجب النفاذ قبله ، ويؤدب الشهود على رجوعهم اذا ترتب على شهادتهم استيفاء حد غير الزنى ، متى تبين أنهم تعمدوا الكذب ، أما اذا رجع الشهود قبل استيفاء الحد ، فانه يجب نقض الحكم وعدم نفاذه ، لحرمة الدم وخطره ،ووجود الشبهة ، ولأنه لا يمكن فيها الجبر بايجاب مثله على الشهود ، لأن ذلك ليس جبرا ، ولا يحصل لمن وجب له منه عوض ، وانما شرع للزجر والتشفى لا للجبر ، بخلاف المال فانه يمكن فيه الجبر بالزام الشاهدين عوضا .

***

المطلب الثانى
فى
الشروط الواجب توافرها فى الشاهد

أوجب الفقهاء فى التشريع الاسلامى أن يتوافر للشاهد وقت الاداء ، البلوغ ، والعقل ، والذكورة، والنطق ، والبصر ، لكى يعتدوا بشهادته .

كما أوجبوا أيضا أن يتوافر للشاهد ، الاسلام ، والحرية ، والعدالة ؛ للأخذ بشهادته .

ولذا لا تقبل الشهادة عندهم من صبى لم يبلغ بعد ، ولا من مجنون ، ولا من معتوه ، ولا من النساء ؛ ولا من أخرس ولو فهمت اشارته ، ولا من أعمى ، ولا من كافر ، ولا من عبد ؛ ولا من مستور حال لا تعلم عدالته ، لجواز أن يكون فاسقا .

كما أوجبت الحنفية الا يكون الشاهد محدودا فى قذف وان تاب . وهم يستندون فى ذلك الى قوله عز وجل : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة، فيقبلون شهادة المحدود فى قذف بعد التوبة ، وحجتهم فى ذلك أن الاستثناء اذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء الى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية ، « الا الذين تابوا » ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذفه اذا تاب .

وللاعتداد بشهادة الشاهد أوجب فقهاء التشريع الاسلامى أيضا ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته الى نفسه مغنما وألا تدفع عنه مغرما ؛ ذلك لأن شهادته اذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهما ولا شهادة فى الاصل لمتهم .

كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدو على عدوه ، للتهمة ، وذلك تطبيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم (لاتقبل شهادة خصم ولا ظنين، ولا ذى احنة، لأنه متهم فى شهادته بسبب منهى عنه) .

فاذا ما توافرت فى الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين ينافى اكرامه الذى أمر به الرسول صلوات الله عليه فى قوله (اكرموا الشهود فان الله يحيى بهم الحقوق) كما أن لفظ الشهادة فى نظرهم يتضمن اليمين ، وان كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة فى الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة فى التأكيد لصدقه ، كما انهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الاشارة اليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه اهانة له ، بل فيه مصلحة للناس . ونحن نرى هذا الرأى أيضا لنفس الحجج التى استند عليها أنصار الرأى الثانى .

***

المطلب الثالث
فى
مراتب الشهادة

أجمع الفقهاء فى التشريع الاسلامى على أن جرم الزنى لا يثبت الا بشهادة أربعة من الشهود العدول، على رجل أو امرأة بالزنى على الاقل ، وذلك تطبيقا لقوله عز وجل ، « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » ، ولقوله تعالى أيضا « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » .

ومن أجل هذا لا يثبت هذا الجرم عندهم بشهادة شاهد واحد ، أو بشهادة شاهدين ، أو بشهادة ثلاثة شهود . ولذلك اذا شهد ثلاثة بالزنى اعتبروا مقترفين لجرم القذف ، ووجب اقامة حد القذف عليهم ، وان كان هناك رأى يذهب الى عدم اقامة الحد عليهم ، لأن ايجاب الحد عليهم يؤدى الى الايشهد أحد بالزنى خوفا من أن يقف الرابع عن الشهادة فيحدون بحد القذف وبذلك تبطل الشهادة على الزنى .

والعلة فى اشتراط شهادة الاربعة من الشارع الاسلامى فى اثبات هذا الجرم هو تحقيق معنى الستر، اذ أن وقوف الاربعة على هذه الفاحشة أمر نادر ، ذلك لأن الشىء كلما كثرت شروطه قل وجوده .

أما بقية الحدود ، فقد اتفق الفقهاء فى التشريع الاسلامى فيما بينهم على الاكتفاء فى اثباتها بشهادة شاهدين فقط .

محمد عطية راغب

القصة في شعر أحمد محرم

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

في الجزء الاول من ديوان الشاعر الراحل أحمد محرم مجموعة من القصائد التي تعتبر شعرا قصصيا لانها تحكي الوانا من حياة المجتمع على لسان آخرين .

ولقد كان انشاد هذا الشعر في مطلع القرن العشرين ، لان هذا الجزء من الديوان مطبوع في عام ١٦٠٨ ، في فترة من الزمن كانت الترجمة قد عرفت فيها طريقها الى الآداب الاجنبية ، وعرف كثير من أدبائنا شيئا من القصص عند الفرنسيين والانجليز وغيرهم ، واطلعوا كذلك على اكثر ماعرف من ضروب القصة في الادب العربي القديم مثل كليلة ودمنة ومقامات الحريري ، وألف ليلة وليلة ، وأخذ كثير من الادباء ينشئون قصصا محاكاة لما وجدوه في الادب العربي أو مزيجا من الافكار العربية والغربية أو تصويرا للبيئة المصرية ٠٠ وتطورت القصة من حديث عيسى بن هشام للمويلحي ، الى جورجي زيدان وهيكل ثم الى الدكتور طه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهم .

ولم يقف الشعراء مكتوفي الأيدي حيال القصة ، بل أخذ بعضهم ينشىء القصائد على الاسلوب القصصي فينسى نفسه ويتحدث على لسان الآخرين ، ويصور مايدور في مجتمعه أو يصور أحداثا تاريخية ٠٠ وقد كان خليل مطران من الرعيل الاول الذي سلك سبيل القصة الشعرية فأنشأ مجموعة من هذا النوع مثل : «الجنين الشهيد» و «فتاة الجبل الاسود» و «نيرون» و«حكاية عاشقين» متأثرا بما قرأ في الآداب الاجنبية ثم حاكاه آخرون ، ومن ثم فقد ثار جدل بين نقادنا حول موضوع القصة في الشعر العربي ، وهل عرفها هذا الشعر قبل العصر الحديث وقبل أن يتصل الشعراء بالادب الغربي ؟ وبرز من خلال ذلك الجدل أن الشعر العربي في الماضي قد عرف القصة ، ولكنها لم تشع فيه ، فهناك مثلا قصيدة الحطيئة المشهورة التي مطلعها :

وطاوي ثلاث ، عاصب البطن ، مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

ولقد دافع الدكتور طه حسين عن الشعر العربي وأيد الرأي القائل بأن هذا الشعر لم يكن خاليا من القصة في القديم كما زعم الذين يريدون أن ينتقصوا كل ماينمت الى العروبة بصلة يقول في كتابه « من حديث الشعر والنثر » : «فلست واثقا كل الثقة من أن الادب العربي يخلو من القصص ، وأخشى أن يكون من يجحدون وجود الادب القصصي عند العرب انما جحدوه لانهم لم يحققوا بالضبط معنى الادب القصصي فالذين يقرءون الشعر الجاهلي أو ماصح منه ، والذين يقرءون الشعر الأموي كشعر جرير والفرزدق والأخطل يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة في الشعر العربي» .

ويعتبر بعض النقاد في عصرنا الحديث أن مطران هو اول رائد للشعر القصصي الحديث ، غير اني وجدت قصيدة كبرى في ديوان السيد علي الدرويش (المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ) من خمسة وثمانين بيتا في مدح عباس الاول ، وقد بدأها بدءا قصصيا عجيبا خص فيه قصة سيدنا موسى عليه السلام من ندائه بالطور ، ثم ماكان بينه وبين فرعون ، ثم حادثة العجل والسامري ، ثم تخلص من ذلك الى التوسل والضراعة الى الله تعالى ، وأخيرا الى المدح ، ومطلع هذه القصيدة :

بتجلي النور على الطور
وبسر كتاب مسطور
مكتوب بالقلم الجاري
أزلا في رق منشور

ومنها :

قد أدهش عن موسى قصص
هو عبرة عين التعبير
قصص بالسر الروحاني
قد أدهش عقل المبهور
فرعون علا في الارض على
أسباط الجيش المقهور
فيذبح أبناء يستحي نساءهم رب الزور
قد قال لأهليه موسى
آنست من الانس المورى

الخ ٠٠٠

ومن حق شاعرنا الكبير المرحوم أحمد محرم ، وقد بدأ في أوائل حياته الادبية ينشد شعرا قصصيا أن ننصفه ، وألا نغفل هذه الناحية عند نقده وتقييم شعره ، وفي أواخر هذا الشهر سيقام المهرجان الكبير لتخليد ذكرى محرم في مدينة دمنهور ، ويبدأ

الكثيرون من الادباء الذين لم يدرسوا هـذا الشاعر الكبير يعرفون ما لم يكونوا يعرفون .

واولى القصائد القصصية فى الديوان بعنوان : «حنو الجاهل» ، وفيها يصـور حال امرأة قاومت تعليم ولديها شفقة عليهما ، ثم ماجره تركهما جاهلين من بلاء عليهما وعلى أمهما انتهى بقتلها يقول فى مطلعها على لسان المرأة :

كلا ولدى للعينـين قرة
ومالى دون قربهمـا مسرة
فكيف ترى اغترابهما وتبقى
رحيلهما لأمـر ما أمـره ؟

وفيها يقول واصفا حال الغلامين :

وشب على الأذى عمر وسعد
وشد كلاهما للشر أزره
وظلا يعكفـان على الدنايا
رفيقى غدوة فيها وبكره
فكم من آمن طلعا عليـه
بحتف حين أرخى الليل ستره

ثم ينتهى الى النتيجة المحتومة لمثل هـذه الحالة التى كانت شائعة حينذاك فى بعض البيئات المتاخرة ويبدو أن الشاعر قد لمس هذه الواقعة اذ كتب بجانب العنوان : «واقعة حال» :

وقال لأمه عمرو : بدالى
من الشنان ما أخفيت سره
أطلت شكيتى ، وأبيت الا
ملامى . لست بالماء بره
وساورها بضرب تابعتـه
يداه . فما اشد الآن غدره
فحم حمامها مما دهاهـا
وأودعهـا ذووها بطن حفـرة

ثم يختمها بحكمة جميلة :

كذاك الجهل مقرون بشـؤم
ولا سيما اذا صحبته قدره
وحسب أخى النهى واللب منـا
بما فى قصتى عظة وعبرة

وثانية القصص بعنوان «شهيدة العفاف» ، وهى قصة ريفية عفيفة ، اراد اخو زوجها هو ورهط من أصحابه أن يسلبوها عرضها فأبت عليهم ، وقاومتهم مقاومة عنيفة كما ينبغى أن تكون المرأة الكريمة ، وكما أراد الشاعر المؤمن أن يرسم الصورة الكريمة للمرأة اذ آثرت الموت على أن تخون زوجها أو تفرط فى شرفها ذلك ماينبغى أن يبرزه الأديب لاتلك الصور التى نراها فى دور الخيالة من ابتذال المرأة ورسمـم أدنا الصور لضياع الاعراض .. ثم الانتهاء بكلمـة اعتذار ثم غفران .

وفى هذه القصة وصف شعرى طريف لروح هذه الريفية العفيفة ، وكيف استقبلتها ملائكة السـماء مرحبة بها ، مكبرة اباءها ، وما بدا على الملائكة من فزع حين سمعوا قصة هذه العفيفة ، يقول فى ختـام هذه القصة :

أين حق الأخ الذى نلت منـه
حين أمسى حريمه مستضاما ؟
سوف تجزى بما صنعت ويبقى
عاره دائبـا يبارى الدواما

وثالثة هذه القصص بعنوان : «اباء العذارى» وهى قصة فتاة من «البوير» بجنوب افريقية ، خطبها فتى من جنسها ، وبينما هما فى طريقهما الى الكنيسـة لاتمام مراسيم الزواج ، لفت نظرها وجود شـارة خاصة على راس هذا الخطيب ، فلما علمت انها تدل على انضمامه لحزب الانجليز الذين يستعمرون بلادها ويذلون قومها ، ذعرت ونفرت وصاحت : ابعد عنى ياخائن الوطن. ولم تجد توسلاته ولا تبريره لموقفه بل تركته فى اباء وشمم حفظا لحق وطنها ، مضحية بسعادتها الشخصية .

وهذه القصة تدل على أن شاعرنا قد تاثر فيما تاثر به بالافكار الاجنبية لان هذه القصيدة خلاصـة لقصة مترجمة .

والقصة الرابعة بعنوان : «سارقة الطفل» .

والخامسة بعنوان : «عادة الاكراه على الزواج» ، وقد كانت هذه العادة شائعة فى الماضى ، اذ كانت الفتاة ترغم على من تتزوج به دون أن يكون لها راى، وهناك فتاة أحبت فتى واحبها ، غير ان اباها لم يراع هذا الحب الذى ينبغى أن يكون أساسا لقيام الحياة الزوجية ، بل انه زوجها لرجل ثرى ، وكان من نتيجة ذلك أن مرضت الفتاة وأخـذت تذبل ، ولم ينفعها طب الاطباء ولا رقى المشـعوذين حتى ماتت وهكذا نرى الشاعر الكريم يبرز صورة كريمة لعفاف المرأة التى تؤثر الموت على الخيانة بخلاف ماتصوره لنا الشاشة أحيانا من أن الاكراه يكون مبررا للخيانة ومطلع هذه القصـيدة :

كلفت هنـــد بسـعد
اذ رأته ورآهـــا
فهي تهب لهــــواه
وهو تهب لهـــــواها

ومنها يصف حال من عويها وعويته عندما علم بموتها ، بعد أن يشبع من ارغمت على زواجه تهكما :

بكر النـــــاعي الى من
هـــام فيهـــا • فنعاها
قاطع النفس فيهـــــا
بعد ما كان عصــــاها
ومضى يطلب ســــهما
يورد النفس رداهــــا
ثم وافى قبر هنـــد
فدعاه ، ودعاهــــا
صمت الـكل ، فما من
ناطق غـير صـــداها
من لك اليـــوم بهنـــد
بعد ماانشقت عصاها ؟

الى آخر هذا التصوير الرائع ثم يختم القصيدة بهذه الحكمة :

ضـــل من فضـــل مالا
زل من فضـــل جاهـا
خـــير ما الزوجان نالا
ألفـــة شد عراهـــا

أما القصة السادسة فهي تروى حكاية رجل له زوجة واولاد ، قد استهوته فتاة لعوب ، فمال اليها وتزوجها ، ولم يعدل فى المعيشة بين أسرته القديمة وزوجته الجديدة ، فأحنقتهم تصرفاته الظالمة ، وأخيرا حرضت الأم بنيها على قتل أبيهم فانصاعوا لرأيها فقتلوه ثم عادوا آسفين حيث لا ينفع الندم •

ومن هذه القصيدة يصور حال الزوج فى حياته الجديدة :

صبا رب البنين الى فتـــاة
سبته اللب والرأى السليمـــا
واصـــبح أمره أعيا عليــه
فما يدرى صحيحا أم سليما ؟
يحييه البنـــون ، فيزدريهم
ويلوى عنهم وجها ســـئوما

وتسأل أمهـــم : ماذا دهاه ؟
فيحسبها جنت ذنبا عظيمــــا
فيضربهــــا ، فيدركها بنوها
فلولاهم غدت عظمــــا رميما

ومنها على لسان المرأة :

بنى : ألا ترون البـؤس ألقى
مراســـيه فحل بنـــا عميما
أيترك ذلك الجبـــار حيـــا
تهب لنــــا خلائقه ســـموما
برئتم أيهـــا الأبنـــاء منى
اذا لم تقتلوا البـــاغى الأثيما

ثم يذكر النتيجة المؤلمة :

اطاعوا امرها فقضــــوا عليه
ولمـــا يتقوا الملك العليمـــا
وعادوا آســـفين فكل عين
تسح غروبهــا الدمع السخينا

ثم يختمها كعادته بحكمة :

لقد وعظت خطوب الدهر قومى
فمــــا وجدت لأكثرهم فهوما
وما تجـــدى العظات بغير لب
ولـــكن تنفع الرجل الحكيما

هـــذا عرض موجز للقصص الستة التى بالجزء الاول من الديوان أما الجزء الثانى المطبوع ســـنة ١٩٢٠ فلم يطرق فيه هذا اللون من النظم • والذى اعتقده أن فى شعر محرم فيما بعد سنة ١٩٢٠ الى حين وفاته عام ١٩٤٥ كثيرا من الشعر القصصى غير الاليـــاذة فانها تدخل فى باب الملحمة • ولئن اتيح للالياذة أن تظهر بعد ثمـــانية عشر عاما من وفاة صاحبها ، فارجو أن تتاح الفرصة لطبع ما لم يطبع من شعر محرم فى ربع القرن الاخير من حياته وان ينال فى تبويبه واخراجه ما يستحق من عناية •

ولقد وجدت ضمن ما نشرته جريدة الصدق التى كانت تصدر بدمنهور قصيدة كبرى هى عبارة عن قصة تاريخية تروى تاريخ العـــالم من لدن آدم الى عصر الشاعر (العدد ٢٠٨ يونية ١٩٣٦) بعنوان • ثورة القدر • ومما ورد فيها عن قصة الطوفان •

ان نوحا لم يزل في قـــومه
نابه السـيرة وضاح الأثر
ينصر الله ويبـغي وجهـه
ويراه خـير زخر المدخر
هاله ان سـفهت احـلامهم
فـاذا الدين هراء وهـذر
جل ربي !! قال للطوفان : كن
فالتقى المـاء على امر قدر
غمر القـوم ، فهم في جوفه
فتنـة غرقى ، وكفر مستتر
امم كالملـح ، ذابت ، وقرى
ذهبت كالحـلم أو وهم خطر
ونجـا نوح على ماخرة
ذات الـواح شـداد ودسر
حمل النـاجين فيهـا ومضى
يدفع الموج اذا المـوج زخر
هي للعـالم أم ، لـو رعى
حرمات الله فيهـا ، ما فجر
طفت وهو يـنجو فوقهـا
طغت الامواج أم طـال السفر
ذهبت في اليم تجرى مابهـا
في يمين الله خـوف او حذر
ترد الأمن ، وفي حيزومهـا
مورد للحتف ، ما عنـه صدر
قـدر لله ، لـو ان الالى
حاربوا الحق رعـوه ، لم يثر
صخب الامـواج في منطقـه
فاستمع تفهم ، وفسر تستتر
الخـذ دنيـاك للدين حمى
وبامر الله فيهـا فائتمر .

وبعد : فهذا لون من شعر محرم ، وفي تقديمه نلمس ذلك الفيض الغزير عند شاعرنا الكبير ، وقد أردت من كلمتي هذه ابراز ناحية هامة في شـعر محرم راجيا أن يتعاون كل عارفيـه ومحبيـه ، والمنصفين للحقيقة والتاريخ — في انصافه ، ووضعه في المنزلة التي تليق به .

سعد الدين الجيزاوى

العرب في التاريخ

للأستاذ سمير عطا

ان المفهوم القديم للعرب غير ماهو عليه اليوم . فكل من يتكلم العربية اليوم .. عربي . وكذلك كل من ربطه ماضي العرب او مستقبلهم الى رباطـه . وقد يدخل في مضمون العرب اليوم اناس لايمتون الى العروبة الا بصلة الثقافة او اللغة او الدين ..

وهكذا نرى ان مفهوم العرب قد اصبح اليوم سياسيا او ثقافيا اكثر من ان يكون دينيا .. فما كان عليه العرب منذ قديم ؟

لقـد تناول القاموس واللسان والمزهر بالشرح كلمة «العرب» .. ولكنه شرح لايستند في كثير من امره الى اساس علمي .. كما نجد في المقتطف بضع مقـالات تتناول هـذه الكلمـة واصـلها .. ولكن المستشرقين تناولوا كلمة العرب من الزاوية العلمية فبحثوا في الاصول السامية قدر ما استطاعوا وكان لجهودهم اثر واضح في ازالة ماغلق فهمه من مداول كلمة « العرب » وتطورها .

اقدم نص ورد فيـه اسم « العرب » هـو نقش اشوري قديم نتبين فيـه أن العرب عند الاشوريين لم يعـدوا فصيلة او مشـيخة بدوية كانت تقيم على الحـدود المتاخمة لبلاد آشـور وكا نشيخها او ملكها يدعى «جنديبو» او «جنـدب» .. وكان هذا الملك على صلة سيئة بآشور .

اما بابل فقد جاء في بعض نصوصها عبارة «ماتو عرابي» وماتو بمعنى ارض فتكون العبـارة «ارض العرب» . وكانت كلمة «عرابيا» في النصوص البابلية تشمل المنطقة الممتدة من بابل الى حدود مصر اى بادية العراق والشام وسيناء . والعبرانيون كانوا يستعملون كلمة «عرب» بمعنى البداوة .. والبداوة لاتشمل قومية معينة . ولم تتخصص هذه الكلمة عند العبرانيين الا مؤخرا فذكروا الاعرابي والبدوى معا ، وفي سفر اشعيا «وحي من جهة بلاد العرب» .. وكانوا يقصدون ببلاد العرب آنذاك كل ما هو قفر بدوى، ثم جاء سفر ارميا فذكر «ملوك العرب» وعلى اية حال فان كل ما ذكر بالاسفار عن العرب لم

يكن يشير الى العرب انفسهم انما كان يشير الى البدو والضاربين في انحاء الصحراء وحسب .. اما اهل الحضر من شبه الجزيرة فكانوا يعرفون باسماء قبائلهم ثم يذكرون بعد ذلك في الأخبار الاسرائيلية كلمة « العربة » اى الصحراء التى تمتد من البحر الميت الى خليج العقبة وكان يسكنها البدو او الاعراب .. ثم حدث أن احتك هؤلاء الاعراب بالاسرائيليين ومن يجاورهم من اهل الجنوب وكانت لهم الغلبة ثم السيادة ، فاختلطوا بغيرهم من اهل البوادى والحضر فساد لقبهم ونشأت كلمة العرب. ويدعى آخرون بأن «العربة» هى محل اقامة اسماعيل ثم انتشر اولاده فى الجزيرة وسادوا باسمهم ، وغيرهم يقول أنها كانت بتهامة .. وقد اشار التلمود فى معرض الحديث عن اليهود الى «العرب» وصلاتهم باليهود .. وجاء ذكر كلمة «عربايا» فى بعض نصوص بهنستون وكتبت بلهجة اهل السوس وهى لهجة عيلامية «عراباياب» اى «عربايا» بمعنى بلاد العرب . وعرف الايرانيون وهم خلفاء عيلام العرب باسم «تايايو» نسبة الى طيىء وقد كانت كثيرة الاحتكاك بهم . ومنها اخذت كلمة «تازيك» فى الفارسية للدلالة على العرب وظلت كلمة تازيك هذه تتطور حتى اطلقت على الفرس انفسهم للتمييز بينهم وبين الترك .

وعرف الصينيون العرب باسم «تاشى» وقد اطلقت على مسلمى آسيا الوسطى ومن الطبيعى انها قد تسربت من فارس . واول من ذكر العرب فى آداب اليونان هو آيسكيلوس ٥٢٥ ــ ٤٥٦ ق.م عند الاشارة الى ضابط عربى اشتهر فى جيش اكزركسيس غير انه لم يكن يعرف عن بلادهم شيئا فتصور انها على مقربة من القوقاز . ثم تلاه هيرودوت ٤٨٤ ــ ٤٢٥ ق.م.واشار الى «عراباى» على انها شبه جزيرة العرب كلها بالاضافة الى سيناء وشرق مصر .

اما السريان فقد أطلقوا اسم « عراب » على بادية الشام منذ القرن الثالث الميلادى وكان بولس يدخل شبه جزيرة سيناء ضمن بلاد العرب . وكان حاكم سوريا فى عام ١٠٥ م يضمها الى الاقليم العربى تحت حكمه ، وقد اشار استرابون المؤرخ الى العرب عند بحث كلمة «أرمبى» وهل هى بمعنى «العرب» ؟

اما اهل الجزيرة فلا ندرى تماما متى اطلقوا على انفسهم اسم عرب . فاهل الجنوب كانوا يطلقون كلمة اعرابى على البدوى ثم يدعون المدنى اوالحضرى باسم قبيلته . ولم نعرف الى الآن اية دلائل تثبت لنا ان عرب الشمال كانوا يدعون انفسهم عربا غير نص واحد جاءنا من امرىء القيس يدعو نفسه فيه ملك العرب .

والثابت ان القرآن الكريم قد دعا العرب كافة بهذا الاسم وشمل به اهل الحضر والمدر فكان الكلمة اصبحت تدل على قومية واحدة منذ جاء الاسلام .. ولكن ليس من المعقول أن يخاطب القرآن العرب بالقاب لم تكن معروفة لديهم . فالتفريق بين الاعجمى والحبشى والعربى ثم (اللسان العربى) (الحكم العربى) .. كل هذه الالفاظ وهى موجهة الى العرب لابد انها كانت تتضمن معانى لم تكن غائبة عن اذهان العرب أو غريبة عليهم او بعيدة عن مداركهم مما يدعو الى الاعتقاد بوجود القومية العربية ولاشك فى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام. فلما جاء الاسلام زاد شعور العرب بهذه القومية واعتزوا بعروبتهم حتى انهم لم يسمحوا لغيرهم بالانتساب اليها . وانا لنجد ذلك واضحا اشد الوضوح فى صدر الاسلام فكان هناك حد فاصل بين العرب وغير العرب مما دعا بعض العناصر الاجنبية الى انتحال بعض الانساب العربية وان لم يبلغ هذا الانتحال مبلغا كبيرا كما تصور المستشرقون فقد كان الشعب العربى يعرفه سريعا .

ثم تطالعنا منذ العصور الوسطى فى اللغات الاوربية كلمة «سرسن» وكانت فى اليونانية «سراسينى» وفى اللاتينية «سراسينس» بمعنى القبائل المتاخمة لبادية الشام وشبه جزيرة سيناء وقد اتسع مدلول هذه الكلمة فيما بعد فى القرن الخامس الميلادى فشملت كل العرب وصار المؤرخون الكنسيون يستعملونها فى كتاباتهم . وقد اطلقت فى العصور الوسطى ولاسيما ابان الحروب الصليبية على كل العرب واحيانا على كل المسلمين مهما كانت جنسياتهم .

وجاء فى رحلة ابن بطوطة (وسمعتهم يقولون : سراكنو ، سراكنو ومعناه المسلمون) و (قل لهذا السراكنو يعنى المسلم) .. وهناك خلاف كبير فى اصل هذه الكلمة ويكفيك ان تعلم ان اكثرية المستشرقين يميلون الى الأخذ بالرأى القائل بأنها

مشتقة من «سراكيناى» من «الشرق» .. ولكنى اتساءل : هل كانت اللغة العربية من النضج حينئذ حتى وصلت الى اليونان فعرفوا كلمة الشرق ؟ .. وهل كانت بلاد العرب حقيقة تعتبر بلادا شرقية بالنسبة الى اليونان ؟ .. لقد كان اليونان يعتقدون ان دلفى المقدسة او مجموعة الصخور التى تقرب منها على وجه التحديد مركز الدنيا فيكون الشرق على ذلك عند اليونان هو آسيا الصغرى ومابعدها فهل بلاد العرب وقد كانت حينذاك تشمل سيناء وجزءا من مصر نفسها فى عرف الاغريق تعتبر شرقية بالنسبة لهم ؟!.. وعلى ذلك فانا ارجح ان هذه اللفظة مشتقة من اسم موضع مثل «سراسينا» الذى ذكره بطليموس او من اسم قبيلة مثل «سراكيا» الذى ذكره برديسان .

ثم تطالعنا كلمة اوربية اخرى تطلق على العرب هى «مور» وترد بصيغ مختلفة وترجع فى الاصل الى اللاتينية اذ كان الرومان يسمون شمالى افريقيا باسم موريتانيا . وعند الاوربيين تسميات اخرى غير هذه يفهم منها أن العربى والمسلم شيء واحد .

وقد ذكرنا ان العرب انفسهم بعد القرن الخامس الهجرى لم يعودوا يفرقون كثيرا بين العربى وغير العربى .. فلما غلب الترك العرب ، والجميع مسلمون ، بدا لفظ العرب يتضح ثانية فشمل سكان الجزيرة وبادية الشام .. ثم اطلق على غير الترك من المسلمين ولا سيما فى العهد العثمانى حينما قسم المسلمون الى العثمانى واولاد العرب .. والاخيرون اقل مرتبة من العثمانيين .

ثم مالبثت القومية العربية أن نمت بين العرب وبدءوا يسعون الى التخلص من الحكم العثمانى . فعاد اليهم الشعور بالعزة العربية السابقة فكانت الثورة العربية الاخيرة على الاتراك بعد الحرب العالمية الاولى . ثم ازدادت النهضة العلمية انتشارا فشملت بلاد العرب جميعا من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى . وبدا مفهوم العرب على ذلك يتخذ شكلا سياسيا وثقافيا فاصبح الايمان بالثقافة العربية والقومية العربية هما القاسم المشترك لعرب اليوم . يربطهم الماضى اليه بما فيه من تاريخ وحضارة ولغة ودين ، ويشدهم المستقبل اليه بما فيه من امل ورجاء ورخاء ..

سمير عطا

عبد الرحمن شكرى وفلسفة فى الوجود

للأستاذ عبد المنعم عواد

فى تاريخ الشعر العربى ، يقف مجموعة من الشعراء ، عمالقة بما قدموه فى شعرهم من افكار خصبة ، تنبع من فلسفة محددة فى الوجود الانسانى هى نتائج معاناة حقيقية لمشكلات الحياة والاحياء.

والى جانب هؤلاء الشعراء من أمثال : ابن الرومى وابى تمام والمتنبى وابى العلاء ، نستطيع ان نضع بكل ثقة : عبد الرحمن شكرى ، فقد عنى هذا الشاعر الكبير — كما يقول الدكتور ابو شادى فى مجلة المقتطف — « بالجانب الفكرى التأملى ، وبتجديد ما خلفه أمثال المعرى وابن الرومى وملتون وبوب ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات الفكرية النفسية ، والتأثرات الوجدانية » .

والسؤال الآن : تحت أى نمط من انماط المفكرين نستطيع أن نضع هذا الشاعر ؟

والواقع أن عبد الرحمن شكرى من هؤلاء المفكرين ، الذين استطاعوا بعد طول اختبار ومعاناة للحياة ، وتحت وقع ظروف اجتماعية ونفسية خاصة ، أن يطلعوا على الجانب الأسوأ من الحياة ، فلا غرابة أن وجدت التشاؤم يشيع فى شعره او احسست بنبرة التوجس من الشر الكامن فى مظهر الحياة الخادع تسرى فى عدد غير قليل من قصائده .

ولكن ما مبعث هذا التشاؤم فى شعر عبد الرحمن شكرى ؟ ما سر هذه النظرة السوداوية التى ينظر بها الى الحياة ؟ هل هى نتاج مزاج معتل ؟ هل كانت نفس عبد الرحمن شكرى من هذه النفوس المريضة التى تصور لها اوهامها وخيالها المضطرب ، الحياة بهذه الصورة الكئيبة ، المليئة بالشر والفساد ، بينما هى فى الواقع من كل هذا على طرفى نقيض ؟

اذن : لماذا يغلب على شعره هذا الطابع المتشائم؟

يرجع ذلك الى عدة عوامل :

العامل السياسى : فقد فتح الشاعر عينه على واقع سياسى بشع ، فها هى الثورة العرابية تقمع ، ويتعرض زعماؤها للنفى والسجن ، ومنهم والد الشاعر الذى زج به فى السجن لمناصرته للعرابية.

ثم تتعرض البلاد لويلات الاحتلال ومصائبه ، حيث عاش الشاعر وسط هذا الواقع السياسي الأليم طفولته، حتى اذا ماشب شاهد بعينيه الدفع الثورى العظيم ممثلا فى ثورة الشعب سنة ١٩ ،

العامل الثقافى : كان للون الثقافة التى تلقاها الشاعر اثر كبير فى تكوين شخصيته تلك ، فقد سافر بعد تخرجه فى مدرسة المعلمين العليا فى بعثة علمية الى انجلترا ، وكان سفره هذا فرصة طيبة زادت من اطلاعه على الأدب الانجليزى والادب العالمى المترجم الى اللغة الانجليزية ، ونحن نعلم أن المذهب الرومانسى ، بقتامته ، وما يشيع فيه من الاسى والألم ، وما تضطرم به جوانبه من عواطف حزينة، كان هو المسيطر على الشعراء الانجليز فى هذه الفترة ..

العامل الشخصى : هناك بالاضافة الى العاملين السابقين عامل شخصى هام ، ذلك هو النهاية السيئة التى آلت اليها هذه الصداقة الوطيدة التى كانت تربطه بصديقيه فى الكفاح الأدبى : المازنى والعقاد.

وقد بدت هذه الصداقة جلية فى هذه السلسلة من المقالات التى نشرها المازنى عن شكرى وشعره بعد ظهور ديوانه الاول . وكذلك فى هذه المقدمة الطويلة التى كتبها العقاد للجزء الثانى من ديوان شكرى سنة ١٩١٣ . وقد رد عليها شكرى فأهدى الجزء الثالث من ديوانه الى « صديقه الأعز: الشاعر الجليل : ابراهيم المازنى » ، كما أنه حيا العقاد بقصيدة نشرها بالجزء الخامس من ديوانه، ولكن هذه الصداقة لم تستمر طويلا فقد أخذ المرحوم المازنى ينال من شكرى وشعره .

وفى عام ١٩٢١ قام المازنى والعقاد بتأليف « الديوان » وفيه تناول المازنى شخصية شكرى وشعره بمقال تحت عنوان «صنم الالاعيب» أشبعه فيه شتما وتجريحا واتهمه فيه بالجنون ..

وقد وصل الأمر بالمازنى أن ينفى عن شكرى انتسابه للمذهب الجديد فى الشعر ، بالرغم من انه هو رائده الاول ، يقول المازنى : « ما اجدره ان يكف عن دعواه أنه من رجال المذهب الجديد فى الشعر ، وهو لا يقلد الا السخفاء من القدماء باعترافه » .

لا شك أن حالة كتلك من شأنها أن تجعل الشاعر ـ وهو يرى أعز أصدقائه يوجه اليه هذه الطعنات القاتلة ـ يكفر بالصداقة والأصدقاء ، ويمتد هذا الكفر الى الحياة نفسها ، فلا يرى فيها الا شرا وفسادا .

والسؤال الآن : هل كانت فلسفة عبد الرحمن شكرى تشاؤمية على طول الخط ؟ هل كانت فلسفة مدمرة كما يقول الدكتور مندور فى كتابه ـ الشعر المصرى بعد شوقى ..

والقول بأن فلسفته مدمرة لا يوافق عليه الدكتور مندور فما نراه فى شعر شكرى من قتامته ليس الا صدى لظروف خاصة وعامة مرت به وبوطنه كما بينا .

ولا أدرى كيف تكون فلسفة مدمرة تلك التى يقول صاحبها نثرا :

« كنت اتمنى أن اقطف ازهار الحياة كلها ، وان اخرج من الحياة عطرها ، فان للحياة عطرا كما ان للزهر عطرا ، كنت اتمنى أن امتع نفسى بكل شىء فى هذا الوجود وفى كل وجود تتصوره وتتوق اليه النفس ، كنت أتمنى أن أعانق الوجود وأن اقبله قبلة أسقى بها كل ما فى روحه من الجمال والجلال»

وساحاول فيما يلى أن أعرض نماذج من شعره لتوضيح فلسفة الشاعر العامة فى الوجود ، وكيف يرى تغلب الشر على سائر جوانبه ، وشيوع الفساد فى جميع اركانه ، ونماذج اخرى يصور فيها الشاعر الوجود كما كان ينشده ، خاليا من الفساد والشر، عامرا بالصلاح والخير .

استمع اليه يصور طباع البشر ، وانظر كيف يرسم صورة بشعة لهم ، وكيف يرى الناس جميعا منافقين مخادعين :

كلهم يشتكى ويشمت بالشاكى
وكل كما يسىء يساء
كلهم ينـدب الوفاء ، وكل
يتـأذى وطبعـه الايـذاء
كلهم لا يود للنـاس ما يرغب
فيـه لنفسـه ويشاء
ويسر الفتى ويبدى اكتئابا
أن المت بصاحب بأساء

ونعود مرة اخرى لعرض نموذج لفلسفته فى حقيقة البشر ، وكيف تنطوى جوانح الناس على الشر والفساد ، لنقرا اولا هذه المقدمة النثرية التى قدم بها لقصيدته «بحر الحسد» :

« الحياة هى بحر الحسد ، ويسعى الناس فى

الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر ، كانما يسبحون في بحر من الحسد . وقد يدفع بعضهم بعضا كي يظهر الدافع على متون امواجه ، وقد يعين بعضهم بعضا في الاحايين . اما المجاملة في الحياة والتحيات ، فقد تكون اشبه بلالاء الشمس على سطح الماء يخفي بجماله ما في البحر من قبح وبلاء).

استمع اليه يقول في مطلع هذه القصيدة :

يسبح الاحياء في بحر الحسد
فاعتصم بالصبر فيه والجلد
واقتعد صهوته مستبشرا
سابحا في الموج منه والزبد

ثم انظر الى هذه الصورة الغريبة الشاذة ، والعميقة في آن واحد ، تلك التي يصور فيها الحياة ، والتي تعبر عن فلسفته في الوجود اصدق تعبير :

وما العيش الا الطائر تؤذى وليدها
اذا لم يكن في التجس جذلان لاهيا

ثم استمع اليه يقول في قصيدته «الموت» :

فمن مبلغ الأموات عني تحية
سلام عليهم ، بل على سلاميا
فما اعوزتهم رحمة في قبورهم
كما أعوزتني رحمة في حياتنا

ثم انظر كيف يشبه نفسه بطائر ذبيح ، لايستطيع الهرب من القدر ، وكيف شق صدره ناب الحياة ، انها صورة لا يمكن ان تصدر الا عن نفس مليئة بالمعاناة من الحياة ومصائبها :

نفسي كالطائر الذبيح فلا
مفر من سطوة القدر
قد شق صدري ناب الحياة فأم
سيت بقلب خفاق منذعر
لا يعرف الحزن غير ذائقه
فليس حزن العيان كالخبر

ثم انظر كيف يسخر من هؤلاء الذين يطالبون « الشهرة بعد الموت » فيحتالون على ذلك بالفن والأدب ، ولكن بحر الحياة سرعان ما يغمر بمياهه كل هذه الآثار ، فتذهب كان لم تكن ، صورة لايمكن أن تصدر الا عن نفس بلغ فيها التشاؤم وسوء الرأى في الحياة مداهما :

والنفس تبغي الخلد في وهمها
والوهم مثل الحق في خدره
تحتال بالاهرام طورا وبال
قرطاس يحوى اللب في سفره
سفائن لا بد من هلكها
اذا استفاض الدهر في بحره

ونعود مرة أخرى فنقول : ان عبد الرحمن شكرى لم يكن ليعتنق هذه الفلسفة القاسية لو لم تكن الحياة قاسية عليه ، فليست هذه الفلسفة صادرة عن نفس معتلة ، مضطربة الخواطر ، سيئة المزاج، وانما هي فلسفة صادرة عن انسان واع عرك الحياة وعركته ، وخرج منها بعد طول صراع ومعاناة بهذا الرأى السيىء في الوجود والاحياء ، ولو كانت نفسية شكرى نفسية مريضة ، لما لمحنا في شعره من حين الى حين هذه الومضات الساطعة من الامل والاشراق والتفاؤل ، انها الجانب الآخر من الصورة التي لولا ظروف الشاعر القاسية لكانت هي سائر الصورة .

استمع اليه يقول :

وانما الكون قلب لا سكون له
حياته نبضات الحادث الجلل
لا ترجمونا بياس في مقالكم
فالياس اقبح ماينمى على الرجل
اعاظم الناس في البلواء كم صبروا
ان العظيم عظيم السعى والأمل

وما أروع هذه الابيات من قصيدته « الايمان بالحياة » ، انها صورة صادقة لنفسه المتارجحة بين اقصى الامل ، واقصى الياس :

اجن بالعيش طورا ثم ابغضه
ما اضيع المرء بين الياس والامل
انى ولعت بعيش كله خدع
كما برمت بعيش غير مقتبل
ما من مجير على هذا الملال سوى
موت يبعد بين النفس والعلل

ثم استمع اليه يناجي الأمل بهذه الابيات العذبة الرقيقة :

أيا بلسم الاحزان لولاك لم يعش
على عنت الدنيا لهيف ونائح
معين على البلوى ، معين على الضنا
اذا لم يكن فيه معين وناصح
ويا حادى الركبان في العيش مثلما
حدا الركب في الصحراء حاد وصارح

ويا رحمة الله التى عمت الورى
ولم يخل منها جارم النفس جانح
على صاحب الكوخ المهدم مشرق
بيشرى ورب القصر راج وطامح

وهكذا يمضى الشاعر فى «مناجاة الامل» فيصوره بلسما للأحزان معينا على مصائب الايام ، مرشدا للناس فى الحياة ، رحمة ينالها حتى المجرمون ، وكما تجيش به نفس صاحب الكوخ ، فنفس الغنى لا تخلو منه . كل هذا فى عبارات مشرقة وصور عذبة رائقة .

ولا أود أن أترك القلم قبل أن أرسم هذه الصورة الأخيرة للشاعر ، صورة منصفة له ، فهو اذا كان قد قسا على الناس ، وصور البشر فى هذه الصورة البشعة ، فهو لا ينسى انهم عبيد للقدر وانهم تحت سيطرة قوى اكبر منهم ، واقوى من نوازع الخير فيهم ، قوى تدفعهم الى ارتكاب الشر فى الوقت الذى ينشدون فيه الخير ، ويقترفون الآثام وهم فى قرارة نفوسهم طموحون للصلاح :

كلنا ود لو تمد له الارض
فراشا من النعيم الوثير
وتغنى له بما يطرد الهم
كهز الرءوم مهد الصغير
وهى عمياء لا ملام عليها
لا يصيب الصواب غير البصير
لا ترى ادمع الشقى ولا
تبصر وجه المحزون والمصدور
وهى صماء ما وعت صرخات
النحس فى الخلق من شقاء الامور

أجل يجب ألا نلوم الحياة ، اذا قست علينا وطحنتنا ، فهى مجبرة على ذلك ، عمياء لا تبصر دموع الاشقياء ، صماء لا تسمع صرخات المكروبين:

هذا هو عبد الرحمن شكرى ، برغم سوء رأيه فى الانسانية والانسان ، يرى أن الخير لا يمكن ان ينمحى تماما ، وان الحياة لا يمكن ان تخلو من الامل :

لئن خانني الذكر الجميل وملنى
مسامع قومى او غلبت على امرى
سيروى عظامى شاعر بدموعه
وينثر ازهار الربيع على قبرى

عبد المنعم عواد يوسف

عوامل انحراف الشباب ووسائل تقويمه

للأستاذ عيسى متولى

من اهم ما ينبغى ان نهتم به ، ونحن نبنى مجتمعنا الاشتراكى ونرسى قواعده ، دراسة العوامل المختلفة التى تؤثر فى سلوك الشباب تأثيرا ظاهرا ، وتودى به الى الانحراف عن الصراط السوى ، وتنأى به عن المنهج القويم ، الذى يجمل به ان ينهجه ...

وعلى ضوء دراسة هذه العوامل الدراسة الحقة العميقة ، تتكشف لنا نواحى الضعف الخلقى ، وهى مواطن الداء ، ومن هنا يسهل علينا تشخيصه ، ومن ثم علاجه العلاج الجذرى الحاسم .

هذه رسالة المربين ، سواء كانوا آباء او مدرسين ، فالبيت والمدرسة مسئولان معا عن تربية النشء ، وحسن توجيهه وحمايته من عوامل الانحراف والانحلال .

وانحراف الشباب — فى اعتقادى — يعزى الى عاملين : عامل مباشر ، وعامل غير مباشر .

واقصد بالعامل المباشر ما يتأثر به النشء من تأثيرات البيئة التى ينشأ فيها ، ويتطبع بطباعها ، فالاسرة هى المجتمع الاصغر ، وهى اول ما يتأثر به النشء ، قبل أن يخرج الى المجتمع الاكبر ...

فاذا صلحت البيئة صلح النشء ، مثله كمثل النبت فى الارض الطيبة ، يترعرع فى ظلها ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا ...

وصلاح المجتمع الاصغر ، وهو البيت ، مرتبط بصلاح رب البيت وربته ، باعتبارهما راعيين مسئولين عن رعيتهما ، فهما القدوة الاولى للابناء والبنات ، تفرض عليهما الابوة والامومة واجبات مقدسة ، يجب الا يدخرا جهدا فى ادائها على وجهها الاكمل ، والا صدق عليهما قول الشاعر العربى :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ومن العوامل المباشرة للانحراف كذلك ، الوسط الذى يعيش فيه النشء يخالطهم ويخالطونه فيتطبع بطباعهم ، بحكم غريزته ، وينسج على منوال ما ينسجون ، يردد ما يقولون ، ويعتنق مبادئهم ،

ويغشى مجالسهم ، ومن هؤلاء الجلساء من شبهه الرسول الكريم ببائع المسك ، ومنهم من شبهه بنافخ الكير ! . .

اما العوامل غير المباشرة ، فهى التى يكون لها رد فعل فى نفسية الطفل ، واضع على راس قائمة هذه العوامل ما يقرؤه النشء من قصص ، وما يشاهده من افلام ، فكلاهما له اثره ، وله خطورته . . .

وتطالعنا الصحف ، بين وقت وآخر ، بجرائم يرتكبها بعض الاحداث ، ويتبعون فى ارتكابها نفس الوسائل التى يشاهدونها على الشاشة ، فى الافلام البوليسية وروايات الجريمة ، أو التى يقرءونها فى القصص التى تنشر عن الجريمة . . .

***

وهذا هو رد الفعل الذى يؤثر فى سلوك النشء، عن طريق غير مباشر ، فيدفع به الى احضان الجريمة، وتيارات الغواية ، وساءت مرتفقا . .

ان مجتمعنا يعانى من هذه المؤثرات الكثير ، وحماية الشباب منها امر ضرورى ، ولا سيما النشء من الصغار ، الذين لا يملكون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا . . .

والآن ، وبعد ان سلطنا الاضواء على عوامل انحراف الشباب ، نعود الى وسائل العلاج . . .

ولنبدا بعلاج العوامل المباشرة ، وهى البيت والبيئة ، ولنلتمس فى علاجنا التوجيه النبوى السديد ، الذى رسمه لنا المربى الاكبر ، محمد بن عبد الله ، فى حديث له يقول فيه :

« لاعب ابنك سبعا ، وادبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك له الحبل على الغارب » . . .

هذا هو دستور التربية القويم ، اضعه بين ايدى المربين ، نبراسا يضىء لهم الطريق نحو غايتهم . . .

والتربية الدينية عامل هام من عوامل التربية القويمة ، يغرس فى نفوس النشء اكرم المثل، واطيب المبادىء ، ويوقظ فيهم الوعى الدينى ، ويهديهم سواء الصراط . . .

ولما كان الاب هو القدوة الاولى لأبنائه ، فلزاما عليه ان يكون مثالا صالحا ، وقدوة حسنة، اذ كيف يحث الأب ابنه على الصلاة وهو لا يؤديها . . وكيف ينصحه بالصوم وهو لا يصوم ؟ . .

واذا انصرف الرجل عن بيته ، وشغلته عنه الشواغل ، فكيف يصلح حال رعيته ، بعد ان انصرف عنهم الراعى ؟

اننا حين ننادى بالعمل على محاربة « الطفولة المشردة » يجب ان نسعى اولا الى محاربة « الابوة المشردة » التى اثمرت لنا هذه الثمرة المرة ، فاذا نجحنا فى اصلاح «الأبوة» صلحت بصلاحها «البنوة» وتخلصنا من التشرد وبوائقه ، واقمنا مجتمعنا على دعائم قوية راسخة ، يؤمن بالقيم الخلقية ، ويعتنق المبادىء الفاضلة فى ظل الدين، وآدابه ، وتعاليمه . .

اما الوسائل لعلاج العوامل غير المباشرة فهى لا تخرج عن الرقابة اليقظة الحازمة ، على القصص التى يطالعها الشباب، وعلى الافلام التى يشاهدونها، ويتاثرون بمشاهدها .

والمفروض ان تكون هذه الرقابة من واجبات الآباء والمربين اولا ، ثم من جانب الدولة ، ولا تالو الدولة جهدا فى واجبها نحو مراقبة الافلام ، وانتقاء الصالح منها ، وعدم السماح بعرض ما يخشى منه على الاخلاق .

***

ولقد جرفنا تيار التمدين الكاذب الى مواطن نات بنا عن مبادىء الدين وحدوده ، واغرى بريقها الزائف ابصار الشباب ، فصرفهم عن النواحى الجدية التى تستلزم نشاطهم ، ويمكننا مقاومة هذه الظاهرة بتوجيه الشباب نحو ميادين الرياضة بمختلف فنونها ، ونحو الهوايات التى تشغل فراغهم فيما يعود عليهم وعلى وطنهم بالنفع .

***

ولست فى حاجة الى الاشادة بدور الشباب فى المعركة التى نخوضها ضد التخلف عن ركب الامم ، بعد يقظتنا وثورتنا على الفساد فى شتى صوره ، فالشباب عدتنا ، وذخيرتنا ، وهم موضع الثقة والامل ، ومعقد الرجاء . . .

هداهم الله ، وهدانا ، الى ما فيه رفعتنا ومجدنا . . ورفعة العروبة ومجدها ! . .

عيسى متولى

مسرح توفيق الحكيم

للأستاذ علي متولي صلاح

ما هو الموقف الصحيح الذى نستطيع ان نضع فيه « توفيق الحكيم » بين طيات مسرحنا المصرى ؟ وما هو الأثر الذى احدثه فى هذا المسرح برواياته العديدة التى طبعت ومثلت وترجمت الى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية ؟ .

لقد أحدث ظهور « توفيق الحكيم » ضجة كبرى فى أوساط الفن والأدب حيث جاء بما يشبه « الفتح الجديد » الذى لم يسبقه اليه أحد من قبل .. وهو ما زال يحدث هذه الضجة كلما جاءنا بمذهب جديد أو اتجاه جديد من تلك التى يطالعنا بها بين الحين والحين ، مثل « المسرح الذهنى » ومثل « التعادلية » ثم مثل « اللامعقول » ذلك المذهب الذى طالعنا به أخيرا فى آخر مسرحية له وهى «يا طالع الشجرة» فأثار بها من الجدل والمناقشة ما لم تثره مسرحية أخرى ..

وانه على كثرة ما كتب الكاتبون عن توفيق الحكيم فان مركزه لم يتحدد فى مسرحنا بصفة قاطعة حاسمة نعرف منها مكانه الصحيح الذى يقف فيه .

لقد ظهر توفيق الحكيم اول ما ظهر سنة ١٩٣٣ بروايته الشهيرة « أهل الكهف » .. وهنا على صفحات « الرسالة » استقبله الدكتور طه حسين بحفاوة ليس بعدها حفاوة وأشاد به اشادة لم ينلها أحد من قبله ، وكانت هذه الرواية أولى روايات جاءت بعدها تمثل عند توفيق الحكيم نوعا معينا من المسرحيات أطلق هو عليه اسم « المسرح الذهنى » وهى رواية « شهر زاد » ، « بجماليون » .

وقد التصق اسم هذا « المسرح الذهنى » باسم توفيق الحكيم التصاقا كبيرا وأثار مناقشات عديدة لا تزال قائمة حتى اليوم، فما هو هذا المسرح الذهنى كما يصوره لنا صاحبه ؟

يقول توفيق الحكيم انه مسرح يقوم فى الذهن دون أن يكون له وجود مادى خارج الذهن ! وانه مسرح لا يصلح للتمثيل لانه للقراءة فقط !

ويقول « اننى أقيم اليوم مسرحى داخل الذهن وأجعل الممثلين افكارا تتحرك فى المطلق من المعانى مرتدية أثواب الرموز .. لهذا اتسعت الهوة بينى وبين خشبة المسرح .. »

كما يذكر أنه لما عرضت أولى روايات هذا المسرح الذهنى وهى « أهل الكهف » للتمثيل بدار الأوبرا حيث افتتحت بها الفرقة القومية حياتها ـ وكان هو معارضا فى ذلك ـ جزع جزعا كبيرا من هذا العرض وامتنع عن مشاهدتها خوفا من رؤية ما يعتقد عدم صلاحيته، حتى حمله بعض رفاقه حملا على شهودها فى ليلتها الأخيرة ، فلما ذهب وجد ما تحقق به رأيه تماما ! لأنه لم يجد سوى أمساخ شائهة لا يجوز عرضها للتمثيل !

ونحن لا نفهم أن تكتب مسرحية للقراءة فقط ! ولقد قال احد النقاد بحق ان شر ما توصم به مسرحية هو أن يقال عنها أنها للقراءة فقط !

والرواية التمثيلية حياة يشاهدها الناس ، والقصة حياة يتخيلونها ، والحوار الذى هو مادة المسرحية وأساسها ليس كلاما يقال ولا رواية تروى وانما هو أحياء يتحركون امامنا ويؤدون أعمالا مادية ماثلة لأعيننا ... والا ففيم يجهد المؤلفون أنفسهم فى اقامة هذا الحوار وفى خلق الشخصيات وتنميتها وسكب الأضواء عليها لتبدو لنا ملامحها واضحة فنرى فيها أنفسنا أونرى مايحيط بنا من نماذج بشرية مختلفة ؟ ولا ندرى لماذا يعمد الكاتب الذى لا يريد أن يرى كلامه فوق خشبة المسرح الى « المسرحية »

ومكانها كما هومعروف هو تلك الخشبة ـ ولايتخذ « القصة » ميدانا له وهى أفسح مجالا وأبسط رقعة وأخف مئونة وأكثر امكانيات من المسرحية ؟ اللهم الا اذا كانت عبقريته فى « الحوار » ، كما عند توفيق الحكيم . فهو يملك عليه أمره ، والنفس راغبة دائما فى ابراز ما تحسن ، عزوفا عن اظهار مالا تتقن ! ولكن « الحوار » ليس هو « المسرحية » وان يكن من أهم أركانها ومقوماتها ، فلها من المقومات العديدة ما لو فقدت مع وجود الحوار البارع فلن تكون من « المسرحية » فى شىء .

والمؤلف عندما يقرر ـ بادىء ذى بدء ـ أنه لا يؤلف مسرحيته للتمثيل وانما يؤلفها للقراءة فقط ... فانه عند ذلك لا يضع فى ذهنه القواعد

والاعتبارات التى تجعلها صالحة لخشبة المسرح ، لأنه يعلم أنه يؤلف « حوارا » لا « مسرحية » ٠٠٠ حوارا ينفث فيه أفكاره هو التي يريد أن يقولها للناس غير ناظر الى هدف آخر ٠٠٠ ومن هنا كان مأتى هذا المسرح الذهنى وفى ذروته « أهل الكهف » التى هى فى الحقيقة تعبير عن المؤلف نفسه وعن الانطوائية والعزلة اللذين كان المؤلف يعانيهما فى تلك الفترة من حياته كأنه واحد من أصحاب الكهف والرقيم !

والمتأمل فى « أهل الكهف » لا يرى سوى مونولوجات طويلة ومناقشات فلسفية وأفكار ميتافيزيقية تذكرنا بقاعة المحاضرات !

فالمسرح الذهنى الذى هو من أهم آثار توفيق الحكيم هو فى حقيقته بعيد كل البعد عن المسرح بمعناه الصحيح وبمفهومه العلمي ، وانما هو «حوار» يبث فيه المؤلف افكاره ، ويمكن أن يقال عنه انه « قصص » أو « خطب » تزيت بزى «المسرحيات» !

ولكن توفيق الحكيم بعد أن أقام حينا من الدهر فى « برجه العاجى » يؤلف لهذا المسرح الذهنى ٠٠ هبط الى الارض يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ! وطلع علينا بمسرح جديد يختلف اختلافا بينا عن مسرحه السابق لأنه ــ من جهة ــ يعالج مشكلات حياتنا اليومية ويدخل بيوتنا وقرانا ومدننا ويرينا أنفسنا وما تزخر به من عواطف وآمال وآلام وأحقاد وغيرها من النزعات البشرية، فيطهر نفوسنا بتحريك عاطفتى الرحمة والخوف كما يقول « ارسطو » بحق ٠٠٠ ولأنه ــ من جهة أخرى ــ مسرح يختفى فيه المؤلف ولا تخاطبنا فيه الا شخصيات المسرحية نفسها فهو اذن مسرح طبيعي يمكن أن تجرى حوادثه أمامنا على خشبة المسرح لأنه قطاع من الحياة التى نحياها ٠

طلع علينا بمسرح « المجتمع » الذى « يعرض من صور الأشخاص والأوضاع والأخلاق ما صدر عن وحى المجتمع المصرى فى أعوامه التى تمخضت عنها الحرب العالمية الأخيرة » والذى يقول عنه المؤلف : « ان كثيرا مما جد على المجتمع المصرى من اتجاهات وشخصيات كانت هى الوحى لما فى هذا الكتاب من صور وحوادث وأناس ٠٠ وان الحقيقة لتقتضينى التصريح بأنه ما من قصة هنا خلا منها مشهد على الأقل انتزع بالفعل من واقع الحياة حتى ما قد يبدو أحيانا أنه عجيب ٠٠ ان الحياة أجرأ من الفنان ٠٠»

وقد استوحى توفيق الحكيم فى «مسرح المجتمع» العديد من أمورنا ومشاكلنا مثل :ــ الحياة الزوجية، حرية المرأة ، المال والحب ، الأداة الحكومية ، الأخلاق والوصولية، العادات الريفية، المعتقدات الشعبية٠٠٠ وغيرها مما يتصل بصميم حياتنا فكانت ثروة مسرحية وذخيرة فنية لاتبلى جدتها وتستطيع الانتفاع بها دائما ، وكانت الى ذلك أقرب الى الفن المسرحى الصحيح حيث راعى فيها توفيق الحكيم من القواعد والاعتبارات ما لم يراع فى مسرحه الذهنى المقروء ٠

ثم طلع علينا بما أسماه « المسرح المنوع » الذى يضم ألوانا مختلفة منها النفسى ومنها الاجتماعى والريفى والسياسى وغير ذلك مما يصفه بأنه « رحلة فى جهات مختلفة خلال أكثر من ثلاثين سنة !» ويذكر أن السرفى هذه الرحلة هو «قلقه الجنونى فى محاولته أن يسارع الى ملء بعض الفجوة على قدر امكانه وجهده وأن يقوم فى ثلاثين سنة برحلة قطعها الأدب المسرحى فى اللغات الأخرى فى نحو ألفى سنة ، لأن مؤلفنا المعاصر ينهض على فراغ أو على شبه فراغ من تجارب ضئيلة لم ترسخ بعد فى لغته وأدبه ، ويعمل وخلفه فجوة هائلة لم تملأها جهود السابقين على مدى الأجيال » ٠

وهو قريب الشبه من «مسرح المجتمع» فى صورته وفى موضوعاته وفى امكان تمثيله على خشبة المسرح بغير عناء وفى أن المؤلف قد التزم فيه أيضا ماينبغى أن يلتزم من قواعد واعتبارات تجعله مسرحا صحيحا٠٠٠ ولكننا نخالف توفيق الحكيم فيما ذهب اليه من أن مؤلفنا المسرحى المعاصر « ينهض على فراغ أو شبه فراغ من تجارب ضئيلة لم ترسخ بعد فى لغته وأدبه » ٠

ومع علمنا بأنه ليس لنا تراث مسرحى يمكن الاعتماد عليه والرجوع اليه ، وأن المسرح جديد علينا ووافد الينا ، وأنه لا العرب الأقدمون ولا المصريون الأقدمون كذلك كان لهم تراث مسرحى انتهى الينا شىء منه فالأولون لم يعنوا بترجمة الفن المسرحى اليونانى عنايتهم بترجمة الفلسفة اليونانية وانقطعت صلتهم بهذا الفن ٠٠٠ والآخرون ظل فنهم المسرحى ــ وهو فن ضئيل ــ ظل حبيس المعابد ولم يخرج الى النور حتى انطفأ نهائيا ولم يتبق الينا شىء منه ٠٠٠ الا اننا نعلم أيضا أن هناك تراثا يونانيا هائلا فى

متناول أيدينا، وهو التراث الذى لايمكن أن يستغنى عنه أى مشتغل بالمسرح فى الشرق أو الغرب، بل هو التراث الوحيد الذى يستند اليه رجال المسرح فى مختلف العصور ومختلف البلدان، ولا يكاد يوجد تراث مسرحى غيره فى أى بلد آخر، والكتاب المسرحيون فى أوربا جميعا قد استندوا عليه ورجعوا اليه واعتبروه تراثهم الوحيد، والأستاذ توفيق الحكيم نفسه قد انتفع به كثيرا جدا واستقى منه عددا كبيرا من مسرحياته مثل : ـ بجماليون، الملك أوديب وغيرها، وليس حتما ان ينبع الفن ويولد فى وطن من الأوطان لكى ينتفع به أبناء هذا الوطن، فالعلم والفن للناس جميعا فى كل أقطار الأرض، ولو قال توفيق الحكيم انه يريد أن يملأ كل ثغرة بالتأليف فى كل الألوان دون أن يقرر أن مؤلفتنا « ينهض على فراغ او شبه فراغ » لكان أدنى الى الصواب .

ثم يطالعنا توفيق الحكيم فى الفترة الحالية بعدد من المسرحيات قد بعدت كلها أيضا عن « المسرح الذهنى » طريقة وموضوعا ودخلت فى غمار الحياة من أية جهة من جهاتها الاجتماعية او السياسية مثل « الصفقة » ، « السلطان الحائر » وغيرها مما يوضح لنا التحول الكبير الذى تحوله توفيق الحكيم فى ربع القرن الأخير، وأعنى به التحول من « المسرحية المقروءة » ـ ان جاز لنا استعمال هذا التعبير ـ المطوية فى بطون الكتب الى المسرحية الحية الممثلة المتحركة التى نراها بعقولنا وبأبصارنا معا، ومن الأسطورة المحلقة فى أجواز الفضاء الى الأكواخ فى الريف !

ولن نستطيع هنا أن نتكلم عن تلك المسرحيات جميعها واحدة واحدة ولهذا سنقتصر على « الصفقة » باعتبارها أعمقها توغلا فى واقع حياتنا، ولان بها تجربة لغوية خاصة سنتحدث عنها بعد قليل، ولأنها ما زالت تمثل على مسارحنا بين الحين والحين .

وهى تدور حول قرية كانت تملك أراضيها شركة أجنبية وأرادت أن تصفى أملاكها فى « المزاد » ، وتصادف وجود أحد الأثرياء على محطة السكة الحديد فحسبوه قادما للمزايدة، واتفقوا على أن يجمعوا من بينهم مبلغا يعطونه لهذا الثرى ليكف عن المضاربة فيفاجأ الثرى بذلك ويرميهم بالسفه والجنون فيظنون أنه وجد المبلغ صغيرا لا يليق به فيجمعون مبلغا ثانيا، ثم يدرك من خلال الكلام موضوع « المزاد » فيطمع فى مزيد من المال ويمتد طمعه الى فتاة مليحة رآها بينهم ويطلب أن تسافر معه فيخضعون لأمره وتحتال الفتاة بحيلة وتعود الى أهلها ..

والمتأمل فى هذه المسرحية يجدها قد بنيت على وهم كبير ! فليس الفلاحون على هذا القدر من السذاجة وخصوصا فى شئون المال ! وليس الفلاحون كذلك ممن يتهاونون فى أمور نسائهم بهذه السهولة وهم الذين يقولون « النار ولا العار » .. ولو لم يتصادف وجود هذا الثرى على محطة السكة الحديد لما كان لهذه المسرحية وجود ..

هذه الظواهر وأعنى بها ظواهر « المصادفة » ، « التصوير غير الدقيق » كالصورة التى صور بها توفيق الحكيم الفلاحين نراها فى كثير من مسرحياته الأخيرة .

اما لغة هذه المسرحية التى أراد توفيق الحكيم أن يصطنع بها تجربة جديدة والتى سماها اللغة « المزدوجة » اى تصلح لان تكون عامية كما تصلح لان تكون عربية فى نفس الوقت، فقد اثبتت هذه التجربة أنها بدعة لا يمكن أن تنهض او تقوم، ولو أديت هذه المسرحية بالعربية الفصيحة وبنفس ألفاظها ـ كما يقول المؤلف ـ لكانت مسخا شائها تضحك له الثكالى ! ولا ندرى الحكمة فى ذلك فلكل لغة طابعها الخاص وجوها الخاص ومكانها الطبيعى ففيم اذن هذا الخلط والازدواج ؟

وبعد : فهذه كلمة قصيرة عن « مسرح توفيق الحكيم » أشرنا فيها الى الأغلب الأعم من ظواهره، ولكننا نقرر أن توفيق الحكيم ثروة ضخمة لمسرحنا لا يمكن أن تزول أو تنسى، وأن « الحوار » هو مزيته الكبرى التى لا تكاد تدانى، وأنه لو احتفى بكافة قواعد المسرح حفاوته بالحوار، ولو عنى بتركيب الحوادث عنايته أيضا بهذا الحوار، ولو اهتم ببناء شخصياته اهتمامه بذلك الحوار، لكان العملاق المرجى الذى نفخر به بين المؤلفين العالميين .

على متولى صلاح

من وحي آثار النوبة

معبد رمسيس

للأستاذ حسن فتح الباب

عنت لديه عاديات البلى ... وعانقته معجزات الخلود
أشم لا ترقى اليه النهى ... ولا ينال الطرف منه الحدود
هامت به الأقدار جوابة ... بالحمد والاكبار لا بالجحود
والفلك الدوار كم صانه ... بمقلة ترعى جلال العهود
ما خفق النجم على افقه ... الا بذكر من سناه الحميد
يسرى على ومض له كاهن ... وموكب الأصداء خلف النجود
والشمس ما رفت على صرحه ... الا لمجد منه ضافى السعود
كم عبدت فى ساحه وانحنى ... زلفى اليها الفاتحون الصيد
وكم وعى مطلعها قصة ... أجنها فيه الزمان العهيد
وباركت كهانها عزمة ... اردت بكف الملك هام العبيد

❋ ❋ ❋

اسطورة أبدعها ساحر ... فوق ربى الوادى الأمين السعيد
وخطتها فى الصخر مستلهما ... من فتية النيل تراث الجدود
غنى به الشادى وباح الشجى ... والشاعر استهدى اله القصيد
وقرب العابد ترتيله ... ووقع القيثار رجع النشيد
والراقصات السمر اوحى لها ... بالنغم المسحور سحر الوجود
من زهر اللوتس تيجانها ... على سمات فى اهاب الورود
توائم السمت تساوى الخطا ... حول التماثيل تؤام النهود
ورقصة المعبد قربانها ... يهدى الى رباتها والجدود
صوت من الأطياف يحكى الردى ... ورقصة البعث وآى الخلود
وصورة أبدعها منشد ... بشرى الى الروح القوى المجيد
ما خفقت فى الفكر الا ارتوى ... من منهل الصفو الفؤاد الشرود
وجوقة من عازفات حنت ... على حنايا «الهرب» تحدو النشيد
من كل حوراء دنت اختها ... منها كعقد من عذارى نضيد
بين شموع رانيات هفت ... ظلالها مرتعشات القدود

❋ ❋ ❋

والصمت مهموس كروح سرت ... عذراء أو قديسة فى السجود
ومن بخور نفحه قائم ... مجامر الند كناى بعيد
منعقدات فيه أنفاسه ... سحائبا بين الذرى والوصيد
كأنها أطياف عهد مضى ... أمجاده فيه رواة شهود
أو غامض الأسرار مجهولها ... قد عزها نقش وضىء نضيد
منبثقات من عيون الدجى ... يهوى سناها كالأفاعى الصعود
أحراسه من حائم آثم ... حول رباه الطاهرات الصعيد

ذكرى صداها شف عن معقل — للسحر يستحيي الكماة الرقود
طافت به الركبان مبهورة — في هيكل المجد العريق العتيد
يهدى الحيارى فى طريق الردى — ويحتويهم فى سماء الخلود
كم ها هنا ضاءت محاريبه — فى ليلة غشى دجاها الوجود
فى كل ركن آية أعجزت — من روعة الفن القديم الجديد
أعمدة ما شيدت للبلى — لكنها الدهر مصوغ مشيد
متوجات من زهور الربى — مستشرفات نيلها فى صمود
من تحتها يجرى خفى السرى — مؤله الفيض خضم العهود
مطهر يرعى مواثيقه — مبارك واديه كل عيد
موكبه مستعظم حاشد — عالى الهتافات جهير النشيد
ضم على التقديس أبناءه — فهم أسارى فضله المستزيد
كأنه ينساب فى مهجة — من كل حر ما عرته القيود
قد صاغهم ساعرا للوغى — وفى الثرى أسدا تروع الأسود
وصانهم من عثرات الحجى — وضلة الحس وذل الجمود
وكان فى دنياهمو دينهم — يضيئها فى داجيات الجدود
منبعه عز على طامع — وشاطئاه فى ضمان السدود
وفى حماه مرهفا سامقا — نخيله الوانى الظلال الوثيد
مشتجرات فى رءوس سجت — من رهبة الذكرى وقدس العهود
واعتنقت فى كبرياء الهوى — أعمدة المعبد روح الجدود

***

كانت هنا الأملاك تعنو تقى — وتفتدى أربابها بالعبيد
مستلهمين الغيب فى جوفه — نبوءة المجهول خلف الحدود
وترسل الأسرى ضراعاتهم — صرعى عزيمات لهم لا تميد
كم منهمو تضنو بطولاتهم — ممثلك يرسف رهن القيود
جرر كالعبدان أغلاله — وهو الذى ساق الزمان الرشيد
وكان ثبت القلب مرهوبة — ساد به الشعب وعز الجنود
وصيحة الأبواق تدعو العلا — من عالم ماض خفى بعيد
من روعة الأمواج جياشة — تهتاج بالأصداء بين الحشود
مواكب زلزل منها الثرى — وفى السموات هزيم الرعود
وربة التاريخ تملى على — سمع الفراعين كتاب الخلود

***

صرح رعاه الفن أو معبد — صلت به الدنيا وهام الوجود
بل صحوة من عالم غابر — أفضى له الدهر بسر الخلود

حسن فتح الباب

من شعراء الزحف المقدس

هاشم الرفاعي

للأستاذ ابراهيم عيسوى سعفان

وما مات من غنى الخلود بشعره
وعاش صداه فى فم الدهر شاديا
ولا مات من وفى العهود بروحه
وقد كان درعا للعروبة فاديا

عبد الله شمس الدين

الشاعر : هاشم الرفاعى

احساسات مرهفة ومشاعر رقيقة وارادة قوية وايمان عميق بربه وبوطنه . ذلك هو الشاعر الشاب هاشم الرفاعي .. رحمه الله .. النجم الذى لم يكد يبزغ نوره ويجذب اليه الابصار حتى اختفى بيد الغدر والحقد .

لقد كان مثلا رائعا للشاب العربى من دماثة خلق واعتزاز بالنفس فلم يجرفه تيار الاستهتار الذى ينغمس فيه معظم الشباب ولكنه كان يشعر بان عليه مسئولية وبان عليه واجبا تجاه وطنه يجب ان يجند نفسه من أجل الدفاع عن وطنه ورفع راسه عاليا بين الأمم ، فرفع المشعل وسار به فى الطريق تحدوه ارادة قوية وتصميم واصرار على تعبيد الطريق لافراد وطنه .

ولقد عبر عن هذا الشباب فى هذه الابيات الآتية :

شباب لم تحطمه الليالى
ولم يسلم الى الخصم العرينا
ولم تشهدهم الأقداح يوما
وقد ملأوا نواديهم مجونا
وقد دانوا باعظمهم نضالا
وعلما لا باجرئهم عيونا
فما عرف الخلاعة فى بنات
ولا عرف التخنث فى بنينا
ولم يتشدقوا بقشور علم
ولم يتقلبوا فى الملحدينا
فان شهدوا الوغى كانوا كماة
يدكون المعاقل والحصونا

ولد شاعرنا هذا فى بلدة انشاص .. تلك القرية التى شهدت مجون فاروق واستهتاره وقاست من استبداده وظلمه وماكان يوقعه الاقطاعيون باهلها من قسوة وجور .. تفتحت عينا الشاعر على مظاهر جمال الريف ... على بساط انشاص السندسى وسمائها الصافية المتلألئة :

بين تلك الربا وهذى المغانى
والرؤى والمفاتن العريانة
قد عرف الوجود طفلا بريئا
حظه منه أن يمص بنانه

فالطبيعة الساحرة كانت الكتاب الذى قرا فيه وكان بيته المدرسة التى تعلم فيها كيف يحب ربه وكيف يحب وطنه الذى اثخنتهالملكية الظالمة بالجراح واثقلته الاقطاعية بالظلم والاستبداد ولقد كانت صور الظلم مجسمة فى انشاص حيث يوجد لفاروق قصر كان يقضى فيه سهراته الماجنة .

ولقد صور هاشم انشاص بلدته وما لاقته من الاقطاع والاستعمار فى هذه الابيات :

انشاص تذكر بئس ايام مضت
كانت عليها بالشقاء تمور
هذى منازلها وتلك ضياعها
خطت عليها بالدموع سطور
ذاق الفقير بها الحياة ذميمة
يصليه من ظلم الطغاة سعير

لقد كانت للشاعر عقيدة هى الايمان بالله وحب الوطن والدفاع عنه سواء بالقلم أو بالسلاح وتتمثل هذه العقيدة فى هذه الابيات :

حب البلاد عقيدة اشربتها
من ثدى امى حين كنت رضيعا
فاذا دعتنى للكفاح عقيدتى
لبيت واجبها الكريم سريعا

ويقول فى قصيدة (رسالة فى ليلة التنفيذ) وهو سجين فى زنزانته :

الليل من حولى هدوء قاتل
والذكريات تمور فى وجدانى
ويهدنى المى ، فأنشد راحتى
فى بضع آيات من القرآن
والنفس بين جوانحى شفافة
دب الخشوع بها فهز كيانى

قد عشــت أومن بالائه ولم اذق
الا اخــيرا لذة الايمـــان

هذه العقيدة وهذا الايمان تلمسهما بوضــوح فى قصائده الوطنية التى تنبض بالحــرارة وبالصدق وتحمل فى طياتها الثورة الكامنة فى نفسه تحمل كل غضبة على الاستعمار والاقطاع وانه يقــدم روحه رخيصة من اجل الحياة الحرة الكريمة لا يقيـدها قيود ولا احتقار لانسان فيقول :

اهوى الحياة كريمة لا قيد ، لا
ارهاب ، لا استخفاف بالانسـان
فاذا سقطت سقطت أحمل عزتي
يغلى دم الاحــرار في شرياني

كمـا انه لم يهادن الاقطـاع الذى امتص دماء الشـعب واحـاله الى ذهب يكدس في الخزائن وقصور تقام فيهـا السـهرات الماجنة غـير مبـالية بحقوق ابناء الشعب الذى يموت لتحيا فئة قليلة تحكم البلاد ولقد عبر عن احساسه واحساس ابناء وطنه وما كانوا يلاقونه من جور فيقول :

كم غاصب ارضا لهم ، بسياطه
دميت جلود الهيت وظهـــور
كم بالدم المهـــراق من ابدانهم
ملكت ضياع جمة وقصـــور
كم بالندى المنثال فوق جباههم
حملت نضارا للنساء نحـــور
كم فاقد للقوت بات على الطوى
والرزق عنـــد المالكين وفير
الغرس غرسهم وقد روى الثرى
عرق لهم فوق الجباه غـزير
عملوا له حتى بدت أثماره
ما بال من لم يشق فيه يجـور
كم بانتقـام الكاظمين لغيظهم
جاشت نفوس حرة وصــدور

وما ان وقع العدوان الثلاثى على الوطن الحبيب لاستعادة قناة الســويس فانطلقت مشــاعره حارة وانفجر البركان الثائر يقذف ما فى اعماقه من حمم تحمل الموت للاعداء ...!

انا سنعلنها شـــعواء باســـلة
فليفخر النيل وليبذخ بنـا الهرم

وما القتال سوى الموت الذى عرفوا
وما القتال سوى الهول الذى علموا

فليرحــلوا عن قنــاة او لنجعلها
يجرى لهم فوقهـــا يوم القتــال دم

وكما ينفعل الشـاعر مع أحداث وطنه ينفعل مع الاحـداث التى تقع فى الوطن العـربى ويعيشـها ويشـارك فيها مدافعا عن قضاياهم ومنددا بالقوى الظالمة التى تسلب الشعوب الآمنة الحياة فلنستمع اليه فى قصيدة (الجزائر الثائرة) .

لن تستكين لبطش جزارى فرنسـا
لن تعـرف الآمال فى الاضــلاع ياسـا
والصـــبح نبذره على الآكام باسـا
والحتف بين الصــخر لا نألوه غرسا
حتى تعود ذرى الهضـاب
حمراء تنبت .. بالرقـاب
وترى الحصا يطفــو على اشــلاء غادر
جاءت لتلقى المـــوت ، موعـده الجزائر

وقضـــية فلسطين لقـد امتزجت احساساته ومشاعره بالمأساة التى يعيشها اللاجئون فكانت هذه الكلمات التى تنبض بمرارة الياس وحرارة الرغبـة فى تطهير الارض من اليهود فيقول :

ماساتنا ماساة ناس ابرياء
وحكاية يغلى باسطرها الشقاء
حملت الى الآفاق رائحة الدماء
انا ما اعتديت ولادخرتك لاعتداء

لكن لثار نبعه دام .. هنـا
بين الضلوع جعلته كل المنى
وسبقت احلامى به فوق الهضاب
وظمئت عمرى .. لم يبت بلا شراب

فليستمع الى هـــذا القول أولئك الكبار الذين يطالعوننا كل يوم بدعوة جـديدة بغيتهـا طمس تراثنا حتى يطويه الزمان فهذا الشاب أخرج فى قصير من العمر نتاجا رائعا يمتــاز بالدقة والمتانة ملتزما قواعد القدماء ولا نلمس ضعفا أو فتورا مهما طالت القصيدة ولو قدر له ان يطول به العمر – رحمه الله – لاخرج لنا نتاجا اكثر روعة ولكان له شأن كبير .

ابراهيم عيسوى سمعان

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

الاسلام بين مخافتين

الاسلام يقف اليوم قلقا بين عدوين :

عدو اجنبي يسبق الخطى لايقاف حركته وتجميد دعوته .

وعدو من اهله يتنافس في الاتيان على مابقى له من بناء ، واخماد ماتضاءل له من رمق .

والعدو الاول مزيج من الصهيونية والاستعمار ، وللصهيونية مركز الصدارة في التوجيه ومركز القيادة في التحرك ، والعقل المفكر في ترتيب المؤامرات وتصويبها الى العروبة والاسلام كلما سنحت فرصة وحانت مناسبة .

فالصهيونية الاب الروحي والمادي لاسرائيل بدأت تتسلل في الاعوام الاخيرة الى الدول الافريقية والآسيوية التي استقلت حديثا ، لتحتل بها مكانا مرموقا قبل غيرها ، مستغلة ماتبقى للدول الكبرى من نفوذ ، وحاجة الدويلات المستقلة الى تنمية اقتصادياتها .

وسعى الصهيونية هذا السعي المتواصل ونشاطها هذا النشاط الدائب ، انما يلتقيان عند هدف واحد هو مطاردة الاسلام والعروبة في تلك البلاد التي لم يزل للاسلام والعروبة فيها مكانة وتقدير متشحة بكل أساليب المكر والخديعة تارة وأساليب التحدي والاستعلاء تارة اخرى .

لقد طبعت اسرائيل المصاحف مشوهة ، فاغرقت بها أسواق المسلمين في أرجاء افريقيا باسرها لتنال من الاسلام في أقدس مقدساته .

ولقد طبعت مؤلفات كبار الادباء العرب ، بعد أن حذفت منها ماحذفت وشوهت في اساليبها ماشوهت حتى لايكون بها مساس بوجود اسرائيل ولا مساس بآثامها وجرائمها ثم أغرقت بها آسيا وأفريقيا ايضا .

***

وقد جاءت اخيرا من المانيا الغربية أنباء على جانب من الخطورة والاهمية ، ولسنا في حاجة الى أن نجهد اذهاننا لنتأكد من ان اصابع اسرائيل هي التي نسجت خيوط المأساة ، ففي احدى قرى (هانوفر) بالمانيا الغربية ، اعتنق معظم سكانها الألمان الاسلام والسبب من ناحية صراع بينهم وبين الكنيسة ، ومن ناحية أخرى جهود الطلاب المسلمين العرب هناك في نشر المفاهيم السليمة للاسلام .

وعز على الصهيونية ان يتحرك الاسلام في المانيا فسعت بدلالها الى الحكومة لتحد من حركته وسنحت الفرصة حين استطاع الطلبة العرب ، والمجتمعون من الشباب الالماني الذى اعتنق الاسلام عن عقيدة وايمان استطاعوا أن يجمعوا تبرعات ، بالاضافة الى مساعدة من دولة الكويت ، وتقرر انشاء مسجد في مدينة ميونيخ وكانت المفاجاة أن طالبت حكومة المانيا بضريبة على التبرعات تعادل نصفها ، وذلك لتكبل المشروع باغلال العجز وكان لها ماأرادت .

اما النشاط اليهودي المتزايد في المانيا ، وبناء معابد لهم في سائر المدن فلا ضريبة تفرض على تبرعاتهم ، بل هناك مساعدات رسمية سافرة وغير سافرة .

***

ان النشاط الاسلامي في المانيا الغربية لم يقف عند حد التفكير في بناء مسجد او اكثر ، فان هناك منظمات اسلامية يهيمن عليها هناك مسلمو يوغوسلافيا وتركيا والدول العربية ، ولهذه المنظمات نشاط ملموس في الدعوة الى الاسلام عن طريق الخطابة والنشرات باللغة الالمانية توزع على المواطنين الالمان بالمجان ، ولها أثرها الفعال في نشر الاسلام وجذب الشباب الالماني اليه .

ولكن الذى يهدد هذا النشاط كله الخطر الصهيوني الذي لايعرف معنى للهدوء واستخذاء الحكومة امام نفوذه ويظهر أن التاريخ سيعيد نفسه في ألمانيا ، دون أن يلوح في الأفق (هتلر) جديد يريح الارض من الصهيونية وآثامها .

***

وهذا خبر من الباكستان نشرته الصحف منذ أسابيع يحمل في طياته مأساة طالما أرهقت وحدة المسلمين وفرقت كلمتهم ومزقت شملهم ، يقول الخبر

تحت عنوان : «مصرع ١٢٠ مسلما فى معارك السنيين والشيعة بمدينة كراتشى» أعلن رجال البوليس فى مدينة كراتشى أن ١٢٠ شخصا من المسلمين قد قتلوا كما أصيب ٣٦ شخصا آخرون بجراح على اثر معارك دامية نشبت بين السنيين والشيعة فى قرية تارى التى تبعد ٢٥٠ ميلا عن العاصمة الباكستانية . السنيون هم أنصار النبى محمد ، والشيعة هم أنصار على رابع الخلفاء الراشدين .

أشعل الشيعة النيران فى القرية التى دارت فيها المعارك الرهيبة .. بدأت المعارك حين قذف مجهولون من الشيعة نعشا يحمله السنيون بالحجارة .. وقع اشتباك مماثل منذ يومين فى لاهور راح ضحيتــه شخصان» .

***

هذا هو الخبر كما نشرته جريدة الاخبار منــذ أسابيع ، ولا يملك المسلم العاقل الا أن يتمزق قلبه حسرة وألما . ولست أدرى كيف انحدرت المفاهيم الى هذا الحد من الاسفاف حتى يتوهم السذج من المســلمين أن النزاع بين السنة والشيعة مرده الى النزاع الاساسى بين الرسول وعلى وليس مرده تحكم الهوى والشهوة فى كلا الطرفين المتنازعين والارتفاع بها عن مستوى الاسلام نفسه الذى لايعترف بالمسلمين الا أمة واحدة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد واحدة على من سواهم .

***

ان هذا النزاع الطائفى الذى رفع اول معول أصاب الاسلام فى صميمه وأصاب وحدة المسلمين فى كيانها قد مهد لسفك دماء المسلمين فى معارك سودت معظم صفحات التاريخ الاسلامى ، ولا زالت آثاره السيئة بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، يعاودها الحنين بين وقت وآخر ، الى ايقاظ الفتن النائمة ، ونكا الجراح المتناثبة وتقليب الصفحات الملطخة بالخزى والعار .

يظهر أن هذين الطرفين المتنازعين لم يسمعا بأن اسرائيل انقضت منذ خمسة عشر عاما على فلسطين العربية المسلمة ، فاستولت عليها فى أيام معدودة ، ولا زالت تخرج لسانها لأربعمائة مليون مسلم أو يزيدون .

***

ويظهر أن هذين الطرفين المتنازعين لم يسمعا بأن التبشير الصليبى يســانده الاستعمار منذ عشرات السنين يحمل أسلحته الفكرية والمــادية ، ويتعقب الاسلام فى أفريقيا وآسيا ويطارد دعوته .

أليس من العار على المسلمين أن يظلوا متنازعين على أحداث جرت ، وخلافات قامت منذ قرون طويلة ، والمسلمون اليوم أحوج مايكونون الى وحدة الكلمة ، ووحدة الصف، ووحدة الجهود ، ووحدة الهدف ؟ .

***

أليس من العار على المسلمين أن يظلوا الى اليوم يناقشون أحقية على كرم الله وجهه بالخلافة بعــد الرسول ، وأحقية الحسين بالخلافة بعد أبيه ، وعلى وابنه قد فارقا الدنيا وأصبحا فى ذمة التاريخ منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان ؟

حقا ، ان الاستعمار يلعب دورا خطيرا أساسيا فى هذه الفرقة بين المسلمين ، ولكن هؤلاء المنتسبين الى الاسلام أعميت بصائرهم عن كتاب الله وسنة رسوله فهل فيهما مايجوز لهم هذا النزاع الطائفى ، وسفك هذه الدماء البريئة ؟

لعلهم لم يقرءوا أبدا قول الرسول الصادق صلوات الله عليه :

« اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار» .

ولا توجيهه الى المسلمين حين قال :

«لاترجعوا بعدى كفارا .. يضرب بعضكم رقاب بعض» .

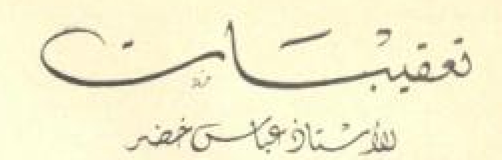
وبعد ــ أفليس من حق الاسلام اليوم أن يكون بين مخافتين .

بين ماض محسوب عليه يهدده به أهله .

وبين حاضر متربص به يتوعده به غير أهله .

وليس فى المسلمين اليوم درة عمر ، ولا سيف الحجاج !

محمد عبد الله السمان



تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

العصامية والاشتراكية فى الادب

عبد الرحمن الخميسى من القلة القليلة التى تكتب فى صحفنا ومجلاتنا فى شئون الادب والفن على بصيرة وباخلاص ، وان كان قد استهلكته كثرة مايعمل وتنوع مايكتب من شعر واغنيات وقصص وتمثيليات ومقالات وما كان من تمثيل واخراج .

على هذا الاساس – اساس اخلاصه وموضوعيته – اريد ان اناقشه فى بعض المسائل التى اثارها فى مقالاته الاخيرة بالجمهورية عن الفن الاشتراكى .

من هذه المسائل مسالة «العصامى» وتمجيده فى الادب ، حمل على هذا الاتجاه وصوره على انه تعبير عن البرجوازية لايتفق مع القيم الاشتراكية ، وفى مقال اخير قال :

« ان الفن البرجوازى يرى العصامى هو البطل ، ويمجد الفردية وينظر الى العمال والفلاحين نظرة باطنها هو العداء والازدراء ، وظاهرها هو التفضل بالاشفاق» .

وهو يقصد بالعصامى العامل الفقير الذى يعمل ويكد حتى يصبح راسماليا يستغل العمال الفقراء الكادحين ، فان عطف عليهم فعل باعتباره السيد المانح المتفضل . وهذه من غير شك صورة بورجوازية لاتتفق مع الاشتراكية .

ولكن هل هذه الصورة «العصامية» موجودة فى ادبنا الحديث على انها صورة يقف الكاتب الى جانبها متعاطفا معها ؟ واذا كانت موجودة فهل هى بالشكل الذى يخشى منه الاستمرار فى رسمها ؟

وهل هذه هى الصورة الوحيدة للعصامى ؟ او ليست هناك صور اخرى اشتراكية للرجل العصامى؟

أجيب عن السؤال الاول بانى لم ار هذه الصورة فى أدبنا الحديث وأزيد على هذا بان معظم ادبنا الحديث يخلو من النحو البورجوازى . بصرف النظر عن هذه الصورة بالذات ، فكل أدبائنا الذين اتجهوا الى الاغراض الاجتماعية فى العصر الحديث ينطبق عليهم ماقاله الاستاذ الخميسى نفسه عن «بريخت» المتهم بالبورجوازية ، اذ دافع عنه بقوله :

« ان أهم ماعنى به بريخت هو كشف العيوب الخلقية للافراد الذين يعيشون فى ظل النظام الراسمالى الاستغلالى .. وهو بذلك يصبح فنانا اشتراكيا من الطراز الاول » .

وادباؤنا هؤلاء هم الذين اتهمهم جميعا عبد الرحمن الخميسى فى احدى مقالاته بانهم بورجوازيون ، اذ قال ان أدبنا كله يخلو من الاتجاه الاشتراكى . وطبعا تشمل لفظة «كله» أدب الشيوخ وأدب الشباب بما فيهم عبد الرحمن الخميسى نفسه .. شعره .. وقصصه .

فهل أصابتك أنت أيضا – ياأستاذ خميسى – عقدة «الخواجة» فرحت تدافع عن «بريخت» وتدين الادباء العرب بنفس الشيء !

ان صورة العصامى بالشكل الذى تقصده موجودة فعلا فى الافلام المصرية ، أما الادب بأجناسه المختلفة – عدا بعض شعر المدائح – فانى لم أصادفها فى شيء منه ، فان كانت موجودة فى شيء لم أره فهى نادرة لاتستحق منك كل هذا الاهتمام وهذا الحكم الشامل .

وأنا – ولا تؤاخذنى فى هذه الأنا – أشتغل الآن ببحث عن شريحة من أدبنا الحديث ، هى شريحة القصة القصيرة ، وقد رأيتها تبدأ فى أواخر القرن الماضى ، ولم أجد فى شيء منها تلك الصورة أو أية صورة تعادى الاشتراكية . بل على العكس رأيت فيها بوادر الثورة الاجتماعية التى ننعم الآن بنتائجها .

قلت فى المقالة الاخيرة عن البورجوازيين المصريين والاجانب المتحالفين معهم على استغلال الفلاح : «وقد كان واضحا للكافة أن الاجانب كانوا يسيطرون سيطرة تكاد تكون تامة على الصناعة والتجارة . . كانوا يملكون رءوس الاموال ويسيطرون على اقتصاد البلاد ، ولكن الذى لم يكن باديا فى مثل هذا الوضوح هو أن أولئك الاجانب كانوا يستهدفون امتلاك أراضى مصر الزراعية وغير الزراعية أيضا ، بعد أن امتلكوا المصانع والعمارات» .

هذا صحيح ، ولكن كيف كان موقف الادب منه ! هاك هذه الصورة التي كتبها «عبد الله نديم» سنة ١٨٨١ في جريدته «التنكيت والتبكيت» :

قصة بعنوان «المزارع والمرابى» تصور مزارعا اضطر للاقتراض ، فذهب الى أحد « الخواجات » وقال له :

الفلاح ـ عاوز ميت جنيه بالفرط (بالفائدة) ياسيدى ·

الخواجة ـ فرط المائة عشرون كل سنة ·

الفلاح ـ اعمل اللى تعمله ·

الخواجه ـ شيل عشرين من مائة تبقى كام ؟

الفلاح ـ هو انا كاتب ؟ شوف يفضل كام ·

قال الخواجه وهو يغالط مستغلا جهل الفلاح :

الخواجة ـ يبقى سبعين ·

الفلاح ـ يدوب كده !

الخواجه ـ دلوقت صار لى مائة جنيه ، ضم عليهم عشرين واكتب الكمبيالة ·

الفلاح ـ اكتب وخد الختم اهو ·

وبعد هذا الحساب العجيب أخذ الفلاح من المرابى الخواجة سبعين جنيها ليسددها مائة وعشرين جنيها·

ويجىء الفلاح الى الخواجة بعد مدة طويلة ليصفى الحساب ، فيتبين له انه مدين للخواجة بمائتى جنيه بعد أن اشترى منه المرابى كل محصول ارضه بابخس الاثمان مع المغالطة فى الحساب ·

وبعد أن ينصرف الفلاح يلتفت رجل ـ كان حاضرا معهما ـ الى الخواجة ويعاتبه على هذا الاحتيال فيقول الخواجة :

ـ ياحبيبى الزارع حمار ، وانا اذا كان موش يعمل كده موش لازم يجى تاجر بنكرجى بعد خمسة سنة ! ·

والأمثلة على الروح الاشتراكية التى سادت ادبنا الحديث كثيرة يضيق المقام عن ايرادها ، فنكتفى بتلك الصورة الناطقة ·

اما العصامية ذاتها فلها صور مختلفة ، وهى غير قاصرة على صورة الرأسمالى المستغل · وأصلها جميعا ، أو أصل النسبة اللفظية فى اللغة العربية ، قول الشاعر العربى :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما

فهى منسوبة الى «عصام» الذى قيل فيه هذا البيت ولم يكن بورجوازيا ·· انما هو فتى شجاع ساد بهمته وصار يحسن الكر والاقدام ولا يخشى المهاجمين والمعتدين ، ومثله كل فتى من فتيان بورسعيد ·

فالعصامى اذن هو كل انسان يتقدم بجهده ويرقى بعمله ، وليس بلازم أن يكون التقدم والرقى فى مجال الرأسمالية والاستغلالية ·

وهذا أصل له صور لانهاية لها ، أنت نفسك ياسيد عبد الرحمن عصامى . فليس بسر أنك واجهت فى مستقبل حياتك شدائد وظروفا قاسية تحدثت عنها فى بعض المناسبات ، واجتزتها بكفاحك ودأبك حتى صرت الكاتب الكبير وبقية «السبع صنايع» ·

فاقلل أيها الصديق الكريم من حملاتك على العصامية والعصاميين من ادبائنا ومعظمهم عصاميون حتى «العظاميون» منهم مثل الشقيقين محمد ومحمود تيمور حفلت قصصهم بصور «العاطلين بالوراثة» وكشف مساخرهم والسخرية منهم ، كما حفلت بالتعاطف مع العاملين والكادحين ·

وهاك بعض صور فى اطار اشتراكيتنا الحديثة القائمة :

عامل جد فى عمله ، وسلك مسلكا اشتراكيا ، واصبح مدير المؤسسة أو رئيس مجلس ادارتها ماذا تسميه ؟ أليس عصاميا ؟ ·

وبائع فقير صار يكدح ويكد ، ويعامل الزبائن بروح اشتراكية سمحة ، حتى صار صاحب محل تجارى فى القطاع الخاص · ماذا تسمى هذا أيضا ! أليس عصاميا !

والسر الذى اريد ان اقوله لك فى أذنك ·· هو أننى أخشى أن يتلقف مقالاتك هذه بعض الذين لاآباء

لهم في الثقافة والادب ، وبعض المستريحين من عناء الاطلاع والتثقيف ، ويقولون : «اى نعم .. هـــذا ادب بورجوازى حامض » ويقولون فيمـا بينهم وبين انفسهم : « عال .. فلنبدأ بالكتابة على «المفاهيم» الجديدة ولا داعى للقراءة ووجع الدماغ .

وقد أطلت بوادر مما نخشاه ، ورأيت كلاما يزعق ولا يبين ..

ولعلك تذكر ماساد حياتنا الادبية منذ نحو ثماني سنين من دعوات زعم اصحابها انها جديدة ولا جديد فيها سوى ترديد شعارات وعبارات أجنبية تجاوبت معها أعمال أدبية زاعقة ، تخطب ولا تفتن .. ثم كان مصيرها هو المصير المحتوم للزبد والفقاقيع .

وشيء آخر أسر به اليك .. لماذا لاتأتى بنماذج من الادب البورجوازى الذى تقول عنه وتنقدها ببيان مافيها من بورجوازية ومنافاة للاشتراكيــة ؟ ماذا تقول ! تخشى فساد العلاقة بينك وبين اصحابك ؟ لا ياأخى ، قل الحق ورزقك على الله .

واذا أردت أن تكون مثل «عصام» في الكروالاقدام فلتكن النماذج التى تنقدها من انتاج الأحياء .. ولا يهمك ..

عباس خضر



الكتب - نقد وتعريف

النيل يمر ببلادى

بقلم : بلانكاتيير فيرا

ترجمة : عبد الرؤوف عز الدين

صلاح عطية نور الدين

ويتناول الكتاب قصة حياة النيل منذ ان الهه قدماء المصريين حتى الوقت الحالى ... وكانت انشودة النيل التى جاء فيها :

« تنهمر عليك مياه الحياة من السماء .

وتتدفق اليك مياه الحياة من الأرض .

وتتوهج السماء بالبرق من أجلك .

وقد اهتزت لك الارض قبل ظهور الاله .. »

هى التى بدات بها مؤلفة الكتاب موضوعها عن النيل .. هذا بالاضافة الى قولها :

« يرفع النيل ذراعيه للشمس وللبحر وللانسان، وهو يشابه الاله الذى تحيط براسه الغامض كثير من الاذرع الملتوية ، انه اعجوبة انسانية — ويتكون من اجزاء انسانية — وتؤثر عليه قوة دفع انسانية — وله ايضا قلب انسان .

« ولقد ازدهرت بين فروعه كثير من المدن منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ، مثل : دمياط — وراس البر — ورشيد — وتعتبر الاسكندرية احدى المدن الساحرة التى أضفى التاريخ على اسمها بريقا لامعا ، انها تمتاز بجاذبيتها كفتاة جميلة الى جانب اتزانها كامراة عاقلة .. »

« والحياة التى يهب لها النيل معنى الجمال ، تبدو رائعة صامدة ، ويبدو عراء الصحراء — على كلا الجانبين — كعالم ملىء بالسحر والغموض .. » صفحة ٣٠ .

« والجهود الطيبة والحروب المظلمة ونور العقل ومرور الغزوات فى فترة معتمة — كل هذا يلتصق به ، وينعكس على صفحة مائه ، ويطفو ثم يغرق فى سر مجراه الذى لا يتغير » ص ٣٩ .

وبعد وصف رائع النيل ينتقل الكتاب الى تاريخ مصر — وحضاراتها القديمة — مبينا ارتباط هذه الحضارة وذلك التاريخ بالنيل الخالد .. وفى أسلوب جذاب تقول المؤلفة ..

« كانت الأعمال والحياة والفكر والفن والعلم كلها مزدهرة فى عهد الامبراطورية القديمة .. ويمكن للانسانية فى كل العصور ان ترجع البصر فى فخر الى هذا المفترق من مفترقات التاريخ » ..

وتقول كذلك فى وصف هرم سقاره المدرج الذى بناه الملك زوسر ..

« ان الارتجال كان بعيدا عن هذه الاعمال — ونلاحظ الجمال فيها ونلاحظ قواعده ، وكان العقل يسود تنظيم المادة ، ان سقارة اليوم تقدم البشرية اعظم دليل على الازدهار الذى كان يميز هذه الفترة من تاريخ الانسانية فى وادى النهر الكبير منذ اربعة آلاف سنة » .

واخذت المؤلفة تتقدم فى تاريخ مصر القديم مرحلة تلو اخرى .. فبعد ذكرها لعهد الملك زوسر ، وهرم سقارة المدرج ، اشارت الى عهد امنحتب الثالث ، الذى تمت فيه اعمال ذات اهمية خاصة فى منطقة بحيرة موريس فى الفيوم لمراقبة فيضان النهر . وكان صراع بين الطبيعة والبشر .. نشا منذ آلاف السنين — وما زال حيا حتى يومنا الحاضر — صراع يضحى فيه البشر بذواتهم .. ويقدم لهم النيل الهدايا فى الوقت ذاته ، صراع وصداقة وتكريس وتناسق حيوى يوحد بين الناس الذين يعيشون فى الوادى وبين النهر الذى يفتنون له ويعملون حوله ويعبدونه ..

ومن امنحتب الثالث الى كاموزيس الذى بدا النضال ضد الهكسوس واحمس الاول الذى اتمه وطرد الهكسوس من مصر . ثم حين يجمع امينوفيس فى عهده مجد الوحدة فى نورها الشامل وتمتد الامبراطورية من الفرات الى الشلال الرابع الى حتشبسوت — اقدم امراة حكمت فى تاريخ العالم حتى امينوفيس الرابع — اول مؤمن باله واحد احد وهو اخناتون — الذى حاول ان ينزه الله عن الاشكال ويجعل النور علامته المميزة الوحيدة .. والذى ترك الحرب واقام السلام على ربوع النيل تمجيدا للاله آتون ..

ومن اناشيد اخناتون لإلهه الأوحد .. قوله :

«انك يا آتون تنهضين جميلة فى الأفق الشرقى من السماء وتبدئين الحياة – وحيثما تظهرين كاملة فى الافق تملئين الارض بجمالك – انك تبدين رائعة عظيمة متجلية فى اعلى السماء – ان اشعتك تحيط العالم وقد خلقت كل شىء ..

وهكذا اخذ الكتاب يتدرج بنا عبر التاريخ المصرى القديم الى ان وصل الى مصر المسيحية .. فيقول ..

« لقد كانت مصر فى العصور الاولى المسيحية شعلة حية وملجأ لجميع المسيحيين الذين كانوا يقاسون عنت الاضطهادات فقد فتحت الصحراء الواسعة أيديها لهم وقدم لهم النيل مياهه .

ثم الى مصر الاسلامية التى حمت الاسلام وحاربت من اجله ..

ويصل بنا الكتاب كذلك الى مصر الثورة .. والاعمال الانشائية الضخمة التى شيدتها الثورة .. فيذكر لنا الكتاب عن السد العالى .. مابلى ..

« أسوان هى البؤرة الثورية لمياه النيل فهناك تلتقى باهم حدث فى التاريخ المعاصر ، وقد اخذ العمل مجراه فى هذا الوقت على الموقع الجغرافى للسد ..

والسد العالى اكبر من الاهرام – وهو يفوق الاعمال الضخمة لخوفو المتمثلة ... فى هرمه المصنوع على هيئة مثلث ضخم مصنوع من الجرانيت وهو اكبر ايضا من اشهر معبد للمسيحية وهو كنيسة سان بيدرو بالفاتيكان .

وسد أسوان يعتبر الشاهد على الروح المعنوية العالية والتضحية الحقيقية لأناس يعيشون واقعهم ويبنون بلدهم بسواعدهم .

« والرسالة تقول »

ان الكتاب باسلوبه الأدبى الجذاب – اشبه بقصيدة شعرية – مدبجة ببراعة واحساس – فى تاريخ مصر الفرعونية – ونيلها الخالد .. انعظمة النيل تنبع من أن واديه « مصر » قد عرف التاريخ منذ أن كان طفلا و وهبه حياة كلها – حضارة وتقدم .. حضارة مليئة بالحركة والقيم الانسانية والفلسفية والروحية .. ولا نريد هنا أن نقول فى نيلنا الخالد وحضارتنا المجيدة أكثر مما قاله كتاب « النيل يمر ببلادى » ولكننا نود اننسال سؤالا ..

هل الفرعونية – قومية .. ؟
بمعنى – هل نحن فراعنة .. ؟

ان كلمة فرعون – تعنى – فى اللغة المصرية القديمة .. القوى الجبار وهى صفة لازمت التاريخ المصرى القديم يوم أن كان الحاكم او الفرعون حاكم – وملك – واله .

واذا كانت الحضارة المصرية القديمة قد اتخذت هذه الصفة فذلك لأن تاريخنا القديم كان تاريخا لحياة هؤلاء الفراعنة – لأهراماتهم ومعابدهم وآثارهم لتى شيدوها لانفسهم .

ونود ان نشير هنا .. الى أن الهكسوس عندما غزوا مصر – تسمى ملكهم ابوفيس بالفرعون – واتخذ – أواريس – عاصمة الملكة فهل كان ابوفيس – والهكسوس الذين ثبت تاريخيا انهم جاءوا من سوريا وفلسطين – فراعنة ؟

ان الفرعونية اسم لحضارة قامت على ضفاف النيل منذ الاف السنين ، تشبه تماما حضارة – بابل وآشور ونينوى .. وحضارة السوماريين والآكاديين – والفينيقيين فاذا كنا نحن فراعنة فيجب أن نقول على السوريين انهم سومريين – والعراقيين – آشوريين – وهلم جرا .. وحتى هذه الحضارات القديمة – كان التعاون بينها وطيدا وقويا .. فسفن حتشبسوت – فرعونة مصر فى فترة من فترات التاريخ كانت تجلب خشب الأرز – وتقوم بالمعاملات التجارية مع الفينيقيين (لبنان الحالية) واذا اردنا أن نعدد مظاهر التعاون بين هذه الحضارات – لملأنا بها كتبا ..

والذى يهمنا توضيحه هنا أن تعميق الفرعونية فى مصر – كان مخططا استعماريا بعيد المدى – تسير فى خط مواز له – دعوة – سوريا الكبرى – وغيرها من الدعوات الاقليمية ...!!
كل هذا كان لتعميق التجزئة التى فرضها الاستعمار على وطننا العربى – وذلك للحيلولة دون وجود وحدة تضم هذه الأجزاء العربية المبعثرة فى دولة واحدة .. ويقع الكتاب فى ١٤٤ صفحة من القطع الكبير والناشر الدار القومية سلسلة كتب « من الشرق والغرب » .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رد على مقال

ردا على مقالة الاستاذ الدكتور محمد أحمد خلف‌الله « سوزى وشعاراتنا القومية » فى العدد ١٠٢٨ ٠

اقول : ان كل لفظة فى اللغة تثير فى نفس المستمع معنى معينا ٠ ويتنوع هذا المعنى بتنوع اللغات ، ذلك لان كل لغة انما تعبر عن نمط حضارى محدد ٠٠٠ عن ثقافة معينة ، أو عن مجتمع معين ، تؤثر فيه درجته الثقافية ، وما قاساه ذلك المجتمع ، وما تعرض له خلال تاريخه الطويل ، وتلك أمور بالطبع تختلف باختلاف المجتمعات ٠

فكلمة مثل كلمة استقلال تثير فى نفس السامع العربى من المعانى غير تلك التى تثيرها عند السامع الانجليزى مثلا. فشعب مثل الشعب العربى بذل فى سبيل الاستقلال ما بذله ٠ ومن هنا تتدخل فى الكلمة معان عاطفية وذكريات لذلك الكفاح الطويل الى غير ذلك من الاشياء التى ارتبطت بهذه الكلمة ٠ اما فى مجتمع كالبريطانى مثلا لم تمر تلك الكلمة بالمراحل التى مرت بها فى المجتمع الاخر لذلك فهى تعنى لديهم معانى أخر ٠

ومن هنا نرى أن معظم الشعارات المستورد بعضها من الحضارات الاخرى أو العربية فى اشتقاقاتها تعنى معانى وأفكارا مختلفة غير تلك التى تعنيها نفس الكلمات فى لغة حضارة أخرى ٠

ولست أدرى كيف يستخدم الناس أو الصحافة ألفاظا غير مفهومة منها الغامض والمبهم ٠

فالمعروف ان الالفاظ انما تعبر عن افكار. فكيف يتسنى للصحفى مثلا أن يعبر بلغة غير مفهومة مادام يعبر بها عن افكار !! هل يأتى بالفاظ جديدة لم تعرف بعد ،، أم انه يأتى بألفاظ تعارف الناس عليها بالطبع ٠ ان الكاتب أو الانسان العادى لايستخدم الفاظا أتى بها هو ٠ انما هى كلمات اصطلح العرف على استخدامها كدلالة على معان محدودة معينة ٠

ومن هنا لا نستطيع أن نقول كما يقول الاستاذ بوجود لغة لا تفهم ، ما دامت اللغات بالفاظها انما تعبر عن المعنى الذى تعارف الناس عليه ، واتفقوا على أن يكون ذلك اللفظ مسمى لذلك المعنى ٠

انما كل ما يقال عن العربية أنها تفتقر حقا الى معاجم لغوية تقوم باحصاء تلك المفردات التى جدت مع التطور الزمنى للغة ٠ فكما هو معروف : أن اللغة تتطور وتختلف باختلاف الازمان وذلك أمر طبيعى، فهناك معارف تستحدث وأفكار تستجد ، وتتطلب هذه المعارف والافكار الفاظا تعبر عن مضمونها ٠

ومعاجمنا اللغوية للاسف قاصرة عن ذلك ٠ وان مالدينا من معاجم لا يتضمن أكثر من ألفاظ لغة العصر العباسى وان كان بعضها قد كتب بعد ذلك العصر بكثير الا انها كانت على نمط الاخرى متضمنة لما بها ٠

وانا اقول فهذا لماذا لايضطلع «المجمع اللغوى» بتلك المهمة ، فيقوم باحصاء الالفاظ المستحدثة فى جميع ميادين الفكر والحياة عن آخر معجم كتب ورد تلك المفردات الى اصولها اللغوية ، وتوفير العناء على الباحثين من العرب والاجانب ٠

أليس ذلك أجدى من القول بأن لغتنا لاتفهم ؟! أم أن القول باضطرابها أجدى وأنفع ؟!

دسوق ـ السعيد بيومى الورقى

***

رد وتعليق

أشكر للسيد الاستاذ السعيد بيومى الورقى عنايته بالمقال ورده عليه ، وأرى الا خلاف بيننا مطلقا ذلك لان الأساس الذى اتخذه أساسا فكريا للرد على المقال هو بعينه الأساس الفكرى الذى بنيت عليه المقال ٠

انه يقول ان كل لغة انما تعبر عن نمط حضارى محدد ٠٠٠ عن ثقافة معينة ، ونحن معه فيما يذهب اليه ومن أجل هذا نقول له ان اعتمادنا على الحضارة الاجنبية فى ميادين التصنيع والتنمية قد اضطرنا

الى أن تنقل الى لغتنا بعض الالفاظ التى تعبر عن هذه الالفاظ الحضارية ·

والكتاب عندنا حين يستخدمون هذه الالفاظ فى مقالاتهم انما يستخدمون الفاظا غير مفهومة للقارىء· انها لاتثير فى ذهنه أى معنى أو معنى مبهما لانه تعبير عن نمط حضارى غريب عنه · نمط لم يستقر الاستقرار الكافى – لا فى بيئته ولا فى نفسه . واذا اراد الاستاذ السعيد بيومى انيختبر هذه الحقيقة فليفكر فى معانى هذه الالفاظ التى اخترتها من مقال قيم حقا عن التنمية الاجتماعية ·

هذه هى الالفاظ فى عباراتها · الماركسية الجديدة تهدد المناطق النامية – ففى المحيط الايكولوجى مثلا قد يحذف – دراسات المونوجرافية – دراسات انثروبولوجية وانثوجرافية – مفاهيم ديناميكية التغير الحضارى – المطلق التكنولوجى – الحاجات القومية والخبرة التكنولوجية –الاهداف الايديولوجية

هذا الى جانب الفاظ اخرى مثل اوتوقراطية – بيروقراطية ··· الخ كل هذه الفاظ تعبر عن انماط حضارية جاءتنا من خارج ولا تثير فى أنفسنا من المعانى ما تثيره عند الذين أوجدوها . وليس عندنا معجم حضارى أو دائرة معارف تفسرها لنا · واظنك معى فى كل هذا .

دكتور

محمد احمد خلف الله

***

● والرسالة تعقب على قول السيد السعيد بيومى ان مجمع اللغة العربية لا يضطلع باحصاء الالفاظ المستحدثة فى جميع ميادين الفكر والحياة الخ ·· بأن المجمع معنى منذ انشائه بجمع هذه الالفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية وقد نشر فى ذلك (المعجم الوسيط) وأربع مجموعات أخرى يستطيع السيد أن يطلع عليها ويقتنيها ان شاء ·

الى متى هذا التواكل ؟

« ان المتتبع لتاريخ المذاهب الأدبية والفكرية ·· ظهورها ، ونشأتها · يلاحظ ظاهرة غريبة · وهى أن معظم هذه المذاهب ، انما نشأ فى المجتمع الغربى ·

فاذا نظرنا الى المدارس الأدبية نلاحظ أن القرن التاسع عشر خلف لنا مدارس عديدة انبعثت كلها تقريبا من الحركة الرومانتيكية التى قامت على أنقاض المذهب الكلاسيكى فى خلال القرن الثامن عشر ·

والرمزية مثلا نشأت أولا كفكرة فى فرنسا ثم تسربت منها الى الآداب الأخرى ·

والواقعية كذلك سارت جنبا الى جنب مع الرومانتيكية عند بلزاك وجى دى موباسان ثم اميل زولا ·

ثم المذهب الانسانى والمذهب الوجودى وغير ذلك من المذاهب التى عرفت فى الآداب الأخرى قبل أن تسرب الينا . أو التى انتجتها عقول قبلنا .

وأما فى الأدب العربى الحديث فلا يجد الباحث نظرية فكرية أو أدبية جديدة نبعت عندنا أولا ثم شعت بعد ذلك الآداب الأخرى · وانما كل همنا ينحصر فى الاكتفاء بما فى الآداب الأخرى وما يجد عليها من جديد نأخذ به فقط · ويلح على الانسان ذلك السؤال الذى يصعب ايجاد الاجابة المناسبة له ·· لماذا نقف من الآداب الأخرى هكذا موقف القردة من بائع الطرابيش ؟ أو نكتفى بأن نكون من أكلة التفاح فقط على حد تعبير الدكتور خلف الله فى مقاله فى العدد الأسبق ؟ ·

هل هى البيئة ؟ ام العقلية ؟.. أخشى ان اقول لا هذا ولا ذاك !!

لقد كانت الثورة المصرية وحدها كفيلة بأن تلهم المفكرين الكثير من المذاهب الفكرية والادبية !! · ولقد أنتجت العقلية العربية فيما مضى الكثير من المذاهب الفكرية التى أثرت فى تقدم البشرية ·

ولكن يبدو أنه ليس هناك مجال للتفكير ، وانما هو التواكل والاعتماد على الغير » !!

أليس كذلك ؟ · لقد كنت أفكر فى هذا عندما وجدت الجواب فى كلمة الدكتور خلف الله · والآن ما رأى الرسالة القراء ؟

دسوق – السعيد بيومى الورقى

***

● الرسالة :

فى المقال الافتتاحى بعدد الرسالة الماضى للاستاذ الزيات خير رد على كلمة السيد/السعيد بيومى الورقى بدسوق ·

أخبار علمية وأدبية

• منحت جامعة هارفرد بالولايات المتحدة المستشرق المعروف « جب » الدكتوراه الفخرية في الآداب .

والمستشرق جب يشغل الى الآن منصب مدير دراسات الشرق الاوسط فى جامعة هارفرد منذ عام ١٩٥٥ م

***

• ناقش أساتذة طب الاسكندرية منذ أيام فى ندوة علمية (ضغط الدم) فتقدموا بأبحاث عن ضغط الدم المرتفع . عقدت الندوة فى مستشفى الشاطبى الجامعى ، بدعوة من الجمعية الطبية بالاسكندرية ومكتب روسيل العلمى .

وقد اشترك فى هذه الندوة العلمية بعض أساتذة الطب ، ومن خلال عرض الابحاث ومناقشتها اتضح كثير النتائج التى تهم المرضى والاطباء على السواء

***

• يصدر بعد أيام للدكتور أحمد كمال زكى كتاب جديد فى النقد الادبى وهو دراسات فى تاريخ النقد، ومناقشات للمشكلات النقدية ، وأعمال تطبيقية لنقد انتاج بعض الادباء امثال : نجيب محفوظ ، وصلاح عبد الصبور ، وسهيل ادريس ، ويحيى حقى ، وتوفيق الحكيم وسعيد عقل .

* * *

• اكتشف العلماء الفرنسيون حقيقة جديرة بالاشارة ، وهى أن النمل من أفضل الوسائل لاكتشاف تلوث المناطق بالاشعاعات الذرية .

لقد وجه العلماء أجهزة ضغط الاشعاعات الى جحور النمل ، فوجدوا الاشعاع مرتفعا ، ثم وجدوا الاشعاع فى النمل نفسه ، وليس فى جحوره .

قال خبراء الحشرات : ان النمل يحب حشرة المن التى تعلق بالاشجار وعليها يسقط الرماد الذرى ويلتصق بها ، وبالتالى ينتقل الى النمل الذى يبحث عن هذه الحشرة فيكشف الاشعاع فى المناطق الملوثة .

***

• توفى طبيب الاطفال العالم الايطالى المعروف الاستاذ الدكتور جينو فرونتالى عن ٧٤ عاما. ولد فى مدينة الاسكندرية بمصر عام ١٨٨٩ ، وشغل كرسى أستاذ طب الاطفال فى جامعة روما من ١٩٤٣ الى ٥٩ ، وكان مستشارا للمنظمة العالمية للصحة وعضوا فى كثير من الاكاديميات العلمية الايطالية والاجنبية ، وقام بتحقيق علمى هام عن التغذية والدولة والطفل فى ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية .

• « الذين يحترقون » عنوان رواية جديدة تصدرها بعد أيام المكتبة العربية بالقاهرة للطبيب الاديب الدكتور نجيب الكيلانى .

وهى من النوع الدرامى المثير ، تعالج مشكلات المجتمع الجديد ، أو الصراع العنيف الذى يصطخب فى شتى نواحيه .

وفى الرواية خط عاطفى رمزى يشغل حيزا كبيرا ، أعطاها مذاقا عذبا ، وتشويقا جذابا

***

• ابتدع بنك الدم فى طوكيو عاصمة اليابان مادة لا تشفى من السرطان ، وانما تقف به فلا يتضاعف .

ويظهر أن هذه المادة قد ابتدعها العلماء من صبغة الدم الحمراء (الهيموجلوبين ، وعنصر الكوبلت) ويؤكد هؤلاء العلماء أن المادة الجديدة لا يسبب استعمالها أضرارا للجسم .

***

• تفتتح الجمعية الادبية بعابدين نشاطها الادبى فى هذا الموسم ، فتعقد فى مساء ١٥ اكتوبر القادم ندوة يعرض فيها عدد من الشعراء اشعارهم الجديدة ويتولى مناقشتها والرد عليها الدكتور احمد كمال زكى

ومن هؤلاء الشعراء : الاساتذة والدكاترة عز الدين اسماعيل ، محمد الجيار ، محمد محمود عماد ، صلاح عبد الصبور ، الشاعرة ملك عبد العزيز ، محمد محمود الصياد ، عامر محمد بحيرى .

***

• ان التجارب التى اجريت اخيرا فى روسيا على الذباب ، دلت على أن له حاسة تدرك المكان ذا الاشعاع الذرى الضار ، فتبادر بتجنبه ، والنجاة بنفسها .

قصة العدد :

الموز طلع

للأستاذ أحمد أحمد فريد

الطريق أمامه لا ينتهي أبدا ... وخطواته تبدو كأنها اهتزازات تتبدد عبثا . واسفلت الطريق يطول ويطول حتى يبدو الشارع بلا نهاية . انه يسير وقد أغلق صدفته حول نفسه . واستحال هيكلا يتحرك على وتيرة واحدة بعد أن ترك اقدامه تلعق الأسفلت الساخن في طريق يعرفه جيدا . ويكرهه بكل ذرة من كيانه .

لمسافة لا يعلمها أحد ... سواه ... سيظل سائرا في هذا الزفت السائح . حتى يلوح المبنى الداكن . والبوابة الحديدية الضخمة . المغلقة الا من شبرين . يكفيان كي يتسلل خلال فكيها الى داخل المصلحة ؛ وسيقول له عم عبده البواب ما يقوله له منذ شهرين . عندما يراه في الصباح يتسلل كالجرو المبلول الى مكاتب قلم المستخدمين

– ازيك ياسيد أفندي ... كيف الأحوال !!..

وسيرد عليه كما يرد دائما – لسه منشفين ريقي يا عم عبده ... شهرين وستة أيام يا عالم ... أليس هذا حراما ؟ والامر لم يكن يتطلب اكثر من تأشيرة صغيرة لا تستغرق ثانية من القلم الأنيق الذي يعانق أصابع حسنين افندي . لكن حسنين افندي ... الله يسامحه ... لم يكتب هذه التأشيرة أبدا ... لسبب لا يدريه .. ولا يدريه احد . وكان في كل مرة يرى أمامه هذا الطيف المتداعي الذليل يقف في صمت دون أن ينبس بكلمة . كان يشمله بنظرة سريعة عابرة ... كأنه مقعد ... أو دوسيه . أو رأس مسمار يطل من الحائط . ثم يخفض وجهه السمين في أوراق كثيرة . ويظل سيد افندي يحدق فيه . نظراته تتكلم وتشرح . وأصابعه في عصبية تتململ . وفي قلبه دقات سريعة تطارد أنفاسه . والأفكار تموت في عقله قيود الصمت . وكان دائما لا يظفر الا برد واحد من هذا الوجه المطهم – لسه ورقك ماجاش ...

– يا أستاذ حسنين اعمل معروف ... الأولاد بيموتوا من الجوع ... وبنتي فتحية عيانة ... ونفسها في الموز !!. وتختلج الخدود المترهلة وهي تصرخ – اما غريبة يا أخي ... ودا ذنبي ؟!...

ذنبه !! تنهد في أسى . ثم تساءل وأصابعه تقبض على بطانة جيبه الفارغ في عصبية ... و أمال كان ذنبي أنا ؟!... أيوه كان ذنبك يا سيد ... ذنبك انك كبرت ... عجزت ... بقيت زي بغل البلدية اللي داب لحمه. وفاضل يضربوه بالرصاص لكن .. فيه فرق بيني وبين البغل يا حسنين أفندي ... أنا ورايا عيلة ... عيلة عاوزه تاكل يا حسنين أفندي . البنت ... البنت لما تتشعلق في رقبتك ... وهي فاكرة انك جبت معاك الموز اللي بقالها شهرين تسألك عليه ... تقول لها ايه يا حسنين افندي ؟! لكن ... طبعا مافكرتش في حاجة زي دي ... انت بغل لسه في صحتك ... لسه عضمك طري ما أكلوش السوس ... لسه بغل عفي ... يا حسنين أفندي » .

الطريق طويل ... طويل لا ينتهي أبدا . والم المسمار المنغرس في كعبه ابتدأ يتلاشى . فقد غاص تماما في اللحم ... وهو ... يجب أن يدوس على كعبه ... وكعبه يدوس على أسفلت الطريق ... والطريق يضغطه ويكاد يخنقه لأنه يبدو بلا نهاية . تماما كما قال له مدبولي البقال في الصباح وهو يمد اليه يدا بها سيجارتين بلمونت .. واليد تغالب رغبة في التراجع – هيه الحكاية دي مالهاش آخر والا ايه ؟... هو حسنين أفندي ده موش ناوي يمضي الورق ابدا ؟ وتتحرك شفتاه في همهمة خافتة . لا يدري أحد ان كانت اعتذارا أم شيئا آخر . فلم يسمعها أحد .. حتى ولا هو ... فقد أصبح تحريك شفتيه عادة . منذ أن فرغت الكلمات من لسانه . ويمضي سائرا ومعالم الحي تتلاشى وراء ظهره . ويصبح حسنين أفندي دنيا كاملة تمتصه حتى آخره .

لكنه اليوم يشعر بقدميه مشدودتين الى أسفلت الطريق الطويل . ويغالب رغبة في أن يعود الى المنزل . لكنه يفلح في أن يكبت هذه الرغبة . ويحاول أن ينقل قدميه في سرعة . ويدوس بشدة على كعبه الدامي لعل الألم يقتل في نفسه هذه الرغبة الملحة . ويرى على أرض الطريق وجها صغيرا لطفلة تتألم . ولا يعود يحس بتعبه ... فيجب أن يسير .

وتحتد في أعماقه الكلمات « وايه الفايدة لما أرجع لها وانا فاضي ... علشان اطبطب عليها . واقولها شدي حيلك يا فتحية ... الحنان مايشفيش العيا ... ولا بيشبع ... الأكل هوه كل شيء ... هو الدفا ... هو الصحة ...

السيجارة الثانية كادت تنتهي ... والمبنى اللعين ذو الوجه القاتم لم يظهر بعد ... انه لم يخطيء الشارع . فاليد لا تخطيء طريقها ابدا بين الصحن والفم . وهو يستطيع أن يسير مغمض العينين كالبغل المتعب ... لكنه لن يخطيء الطريق أبدا . كل مافي الأمر أن الشارع يطول ... بسبب لا يدريه هو ... وربما ... لان الناس أصبحت قلوبهم من حجارة .

انه الآن أصبح لا يشعر بقدميه . هذا افضل... كل مايتبقى فيه عقل تمزقه الأفكار . وتمنى لو يكف عقله ايضا عن النبض... يصبح مثل رجليه. جزءا يتحرك دون أن يكون له حس أو نبض . لكن هذا اللعين يأبى السكون . فتبرز خلال ابخرة الضباب ذكريات تبدو كأنها أصبحت ماضيا سحيقا. وتذكر يوم أن بلغ السن القانونية للاحالة الى المعاش . كان عاملا في المطبعة السرية . يطبع أوراق النقد ... كل ورقة لها قيمة نقدية تطبعها يداه خلال ثلاثين عاما . وكان يظن أنهم سيشكرونه . ويقولون له كلمة طيبة . لكن ما حدث كان مختلفا للغاية . قالوا له كلمات جوفاء عن بلوغه السن القانونية واستغناء المصلحة عنه ... هكذا ... خطاب رفت . بلا كلمة شكر واحدة ... لقد نسوا السنين الطويلة التي قضاها معهم !!...

أخيرا لاح البناء الداكن ... واحس بشيء يشبه الحنين يجتاح قلبه ... فهو يرى امامه كل حجر من احجار البناء وكأنه يوم من عمره وياسلام !! البني آدم يروح ... والحجر يبقى ! ولما الناس عارفه كده ... ليه تاكل في بعضها ... وليه مايمضيش الورق ... حسنين أفندي ؟!» ؛
ويبقى السؤال بلا جواب .

ورأى عم عبده ينظر اليه . نظرات ممتزجة بالاشفاق والأسى ... « الراجل طيب صحيح ... يمكن علشان مالوش مكتب كبير ... ومفيش في ايده قلم يتحكم في أرزاق الناس ... يمكن مالوش عندي حساب جبنه ... وعيش ... وسجاير » .

وقال عم عبده ـ أهلا وسهلا ... ازيك يا أسطى سيد ...

ورنت الكلمة في أذنه ... اسطى سيد ؟!! خلاص لم اعد أسطى ياراجل ياطيب ... المصلحة جعلتني نمرة ... نمرة في دوسيه جلدته مقطعة.. وبكره النمرة تتمسح ...

وقال . وصوته فيه نبرة غريبة ـ أهلا بيك ياعم عبده ...

ثم اخذت قدماه تأكلان درجات السلم الصاعد الى مكاتب المستخدمين . وعاد يحس بالألم من جديد . لكنه لم يبال هذه المرة وداس على كعبه بشدة . وظل كعبه يلعق البلاط حتى لفظه أمام مكتب حسنين افندي. لكنه لم يدخل على الفور . ظل يحدق امامه وقد بدا المكتب هوة عميقة سوداء ... واغمض عينيه وفتحهما ... لكن المنظر لم يتغير . فالقى بنفسه في الهوة . وعندما وصل الى القاع وجد نفسه يواجه وجها سمينا مدفونا في الدوسيهات . ويدا تنحدر حتى ترتاح على المكتب وتنتهي بأصابع دقيقة تمسك بالقلم الملعون . ولم يتكلم ... تبخرت كل الكلمات التي اراد أن يقولها . وتحولت الى سكون ذليل اطبق على وجهه وعلى حركته فبدا كالتمثال .

وارتفع الوجه السمين عن الدوسيه . وحدقت فيه عينان بلا اكتراث ...
ثم قالت النبرات المتأففة :
ـ خلاص يا سيدي ... ورقك امضى النهاردة الصبح ... وبكره الشيك يطلع... وتبقى تقبض معاشك ... ! ثم أسرع الوجه يلوذ بمكمنه بين الدوسيهات .

ولم يتحرك سيد من مكانه ... لم يكن يعرف ماذا سمع تماما . هذه كلمات . تختلف عما يسمعه في كل مرة !!. لكن المعنى تحجر في قلبه . فاستدار في بطء . وعادت قدماه تهبطان درجات السلم .

وفي صباح اليوم التالي . عندما قبض المعاش . كان اول ما فعله أن اشترى اقتين من الموز . ثم سار في الطريق المترب الصاعد الى مقابر الامام الشافعي . وعندما أصبح بين هذه الأحجار الضخمة والشواهد الصامتة . ظل لبرهة قبل أن يسير في بطء الى واحد منها . فيضم الموز فوق كيانه البارد . ويقول ... وكأنه يكلم نفسه ـ الموز.. الموز طلع يالفتحية ...

أحمد أحمد فريد


الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
رئيس التحرير أحمد حسن الزيات
تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي
الادارة ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت بريد محمد فريد ـ القاهرة
الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٣١ ـ ٢٩ جمادى الاولى ١٣٨٣ هـ ـ ١٧ اكتوبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

البراعم قبل أن تتفتح

بقلم: أحمد حسن الزيات

كتب الى كثير من البراعم التي أخذت تتفتح في رياض الأدب يشكون من أن (الرسالة) لا تحفل بهم ولا تعنى بأدبهم ولا تكاد تلقى بالها الا لانتاج النابهين من شيوخ الأدب وشبابه • وقد سمعوا ممن عاصروها في حياتها الأولى أنها كانت لناشئة الأدب سلما للصعود وحقلا للتجربة •

***

وجوابي لأبنائي جميعا ان الرسالة سجل للأدب العربي المعاصر في شتى نواحيه ومختلف ألوانه • لاتقدم شيخا لانه شيخ ، ولا تؤخر شابا لانه شاب، ولاتؤجل ناشئا لأنه ناشيء ، وانما الاساس في تقديمها وتأخيرها وتأجيلها هو مصلحة الكاتب ومنفعة القاريء • والاعتبار الأول فيما تختار وتؤثر هو للجودة • ولا تتحقق هذه الجودة الا بصحة العبارة وسلامة الفكرة • وما دمنا متفقين على أن الكتابة أو الشعر فن ، فان قوام الفن ملكة وآلة • ولا تغنى احداهما عن الاخرى . فاما الملكة فمن صنع الله يوجدها في النفس ، واما الآلة فمن صنع الفنان يكتسبها بالدرس • وليس من مصلحة الناشيء أن يعرض انتاجه على القاريء الا بعد أن تقوى ملكته

وتكتمل أداته . فان النــــاس يحكمون عليه بأول ما يقرءون له . فان كان جيدا أقبلوا عليه ، وان كان رديئا انصرفوا عنه . والأثر الأول ينطبع فى الذهن فلا يمحوه الا نبوغ لا يتسنى لكل ناشىء .

ولهذا الجواب تفصيل ربما وجدوه فى قصة طالب من طلاب المدارس الثانوية زارنى منذ أيام بدارى فالا أرويها لهم :

عادل شهاب الدين فتى لا يتجاوز فى رأى العين الخامسة عشرة من عمره . رقيق البدن فى سهوم . طويل الوجه فى رقة ، حسن الملامــح فى عذوبة . ينظر وكأنه لا يرى ، ويتكلم وكأنه لا يسمع . انه شرود الشاعر وذهول الفنان ! فلما أخذنا فى حديث الأدب تيقظ وعيه واجتمع تفكيره وقال لى وسمع منى . شغف قلبه بشىء اسمه الأدب فهو لا يفكر الا فيه ولا يعمل الا له ولا يحلم الا به . وغاية أمانيه أن يرى اسمه مطبـــــوعا على كتاب أو منشورا فى مجلة . ويعتقد أن مواهبه الفنية تحقق له هذا الأمل وتدنيه من هذه الغاية لولا العوائق التى تحجزه عن وجهته وتصده عن هواه . وليست هذه العوائق فى رأيه الا أقطاب الأدب الذين يترفعون من الكبرياء أن يقدموه ، وزعماء الصحافة الذين يتمنعون من الأنانية أن يشجعوه !

***

حدثنى عن قصته مع الأدب وكيف ابتلى به من ادمان قراءته للقصص والمجلات ، فكان له فى درج الفصـــــل بالمدرسة قصة ، وعلى مكتب المذاكرة فى البيت مجلة . وكان لا يعنيه من كتبه وكراســـاته الا كتاب الأدب وكراسة الانشاء . حتى نوه معلم اللغة بتقدمه فى الكتابة ، وقرأ موضوعه على الطلاب شاهدا على هذا التقدم . فلما ظفر من المعلم بالدرجة العظمى فى موضوع من موضوعاته المدرسية أيقن أنه ارتفع الى مقام الكتاب المعدودين ورأى من حقه أن يرسل الى المجلات بما ينظم من شعر وما يكتب من قصص . ولكن اعراض الصحافة عن انتــاجه كان صدمة من خيبة الأمل لم تحتملها أعصابه . وقال لنفســه أيكون المعلم جاهلا بمقاييس الفن الى درجة أن يضع العشرة موضع الصفر ؟ انه متخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر فلا يجوز عليه هذا الجهل . أيكون المعلم قد غشه أو جامله فاستجاد ما كتب وهو ردىء ؟ انه كان يقرأ موضوعاته على الفصل فيرضى عنها الطلاب كل الرضا ، ويغتبط هو بها كل الاغتباط فلم يبق اذن الا أن رؤســاء التحرير لا يعجبهم العجب أو لا يعنيهم الانصاف . ثم أخرج من محفظته كراستين وقدمهما الى وهــو يقول : هذا ديوان قصائدى وهذه مجموعة قصصى أرجو أن تنظر فيهما بعين القاضى لتحكم بينى وبين أصحاب هذه المجلات ، ثم تنشر ما تختار منهمـا فى الرسالة .

أخذت منه الكراستين وفتحت ديوان الشـــعر وقرأت منه مقطوعة ، ثم فتحت مجموعة القصص وقرأت منها أقصوصــة . وكانت هاتان العينتان كافيتين لأن أعلم منهما كل شىء . علمت أن الفتى قد بذل فى سبيل أدبه كل ما يملك من نفسه : بذل له الحب والجهد والوقت والعمل والأمل ، ولكنه بخل عليه بشىء واحد هو للأدب كل شىء ! لم يستعد له بآلته التى لا يكون الا بها وهى اللغة والمنطق . تعبيره تلفيق من أســاليب شتى . فيهــا الجيد والردىء ، وفيها الصواب والخطأ ، ومجموعها كالثوب المرقع بأصناف مختلفة من القماش لا تجمعهـــا وحدة من شكل ولا لون ولا نوع . وتفكيره أضغاث من أحلام المراهقة فيها المبالغة والتجوز والشرود . وليس فى شعره الوحدة التى تربط أجزاء القصيدة ولا فى قصصه الحبكة التى تضم أطراف القصة .

***

ولكن الشىء الذى لا شـــك فيه أن فى طبعه استعدادا للأدب يكمن فى ولوعه الشديد باستظهار كل ما يستحسن ، ونزوعه القوى الى التعبير عما يحس ، ومن الممكن أن يصل الى غاية الطريق اذا وجد المرشد .

قلت له فى صراحة لا تخلو من مداورة : ان فيك ولا ريب بذرة حية تنمو ، وأرضــا زكية تنبت ، ولا يعوزهما الا الغذاء والرى . ولا أدرى لماذا تتعجل الانتاج وأنت لا تزال على مقاعد الدرس ؟ ان لكل شىء أوانه ولكل عمل عدته . والبرعم لا يتفتح عن عطره الا اذا اكتمل ربيعه ، والبلبل لا يطرب بشدوه الا اذا استوت حنجرته . وان الذين اتهمتهم بأنهم

اعرضوا عنك ولم يشجعوك ، قد احسنوا اليك ولم يخدعوك .

***

انك بدات كما يبدأ أكثر الناشئين بالشعر والقصص ، وعلة هذا البدء وهم قديم وخديعة فاشية . انكم تجدون الشعر أيسر الأعمال الأدبية منالا ما دمتم تظنون أن مبلغ الأمر فيه تفعيلة توزن وقافية ترص . وترون القصص أسهل الأمور الفنية عملا ما دمتم تحسبون أن قصارى الجهد فيه حكاية تروى وحادثة تسرد . فاذا ما علمتم أن الشعر غير النظم ، وأن القصة غير (الحدوتة) ادركم العجز وتولاكم اليأس وانكفأتم راجعين فلا يمضى منكم الا القليل . تعال نقرأ معا هذه الأقصوصة وعينت له الأقصوصة التى قرأتها _ فاخذ يقرأ وأنا أسمع . وكنت أريه فى كل فقرة أو صورة خطأ اللفظ أو خطل المعنى أو ضعف التأليف أو اضطراب السياق أو سوء الاستطراد أو نفور الملاءمة أو غموض العبارة . حتى اذا بلغ نهاية الحكاية كان قد اقتنع بأنه جهل حقيقة نفسه وأخطأ تقدير عمله ، وعزم أن يبدأ من الأول لا من الآخر ، ورغب الى أن أرسم له الخطة وأبين الوسيلة وأن أستقبله الحين بعد الحين لأرى ان كان على الطريق .

***

فقلت له : الآن يا بنى بدأت . وستجدنى عندما يرضيك ، اما بالمقابلة واما بالمراسلة . أما الخطة والوسيلة فهاكهما كما رسمتهما لناشىء آخر من قبلك :

ادرس لغتك حق الدرس وأتقن بجانبها الانجليزية أو الفرنسية . ثم اقرأ فيهما أدب الناس فى القديم والحديث . ثم اختر لنفسك من كل أدب صفوة أقطابه فتعمق فى أدبهم ، وسر فى طريقك على ضوئهم ، ثم اطلع ، وابحث ، وفكر ، وتأمل ، ولاحظ ، وسجل . حتى اذا امتلأ ذهنك وبلغ حد الفيض فاكتب .

وستسمع الادباء والنقاد يخوضون فى حديث المذاهب الادبية الاوربية فيذكرون الاتباعية والابتداعية والواقعية والطبيعية والرمزية والوجودية والأدب الملتزم والحر ، والفن للفن ، والفن للحياة ، فاصغ اليهم بسمعك وأعرض عنهم بقلبك . ليس هذا الذى يقولونه من شأن الكاتب ، انما هو من شأن النقاد ومؤرخى الأدب . يصنفون أعمال الكتاب والشعراء ، ويدرجون كل صنف تحت اسم من هذه الأسماء .

***

لا تمد فى طريقك الأدبى سكة من الحديد تسير على قضبانها كما يسير القطار ، فلا يخرج عنها الا لينقلب . نزه قلمك عن الرمزية والوجودية والسيريالية ، ثم تقلب فى المذاهب الاخرى كيف تشاء .

خذ من كل مذهب خير ما فيه . ثم غص فى أعماق نفسك فاعرفها تعرف الناس . وطر فى آفاق الطبيعة فادرسها تدرس الحياة . والنفس والمجتمع والطبيعة هى المجالات الحيوية للأدب الحق . ومن العسير الفصل بينها ، فتجعل الادب تارة موضوعيا كالاتباعيين وتارة ذاتيا كالابتداعيين ، فان الفن كما قال (زولا) هو الطبيعة يراها الفنان من خلال مزاجه .

وفى هذه المجالات الثلاثة ، ومن القواعد المقررة للأدب فى المذاهب المعتدلة ، تستطيع أن تذهب بنفسك مذهبا شعاره : فكر بقلبك ، واشعر بعقلك ، وأدرك بخيالك . وهو مذهب تتساير فيه الفكرة والعاطفة والخيال فتأمن عليه برود العقل وضلال القلب وجموح المخيلة .

هذه يا بنى رءوس المسائل فى موضوع الأدب ، أو لافتات المرور فى طريق الفن . وسأفصل لك ما اجملت منها فى كل زيارة تؤديها الى ، وفى كل رسالة أكتبها اليك .

أحمد حسن الزيات

الكتاب العربى

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كانت الثقافة العربية ، ولاتزال ، الرباط القوى المتين الذى يربط فيما بين العرب ، فيؤلف منهم القلوب ، ويوحد فيهم المشاعر ، ويتجه بهم اتجاهات فكرية متماثلة تجعل موقفهم من الحياة ومشكلاتها واحدا ، وتجعل تفسيراتهم للحياة فى دنيانا وفى اخرانا متقاربة .

انها التى تحفظ عليهم الوحدة مهما تكن الأزمنة، والأمكنة ، ومهما تكن الظروف والمناسبات ، ومهما تكن الصعاب والعقبات .

وكانت اللغة العربية ، ولاتزال ، الوعاء الثقافى الذى يختزن فى جوفه كل تجربة للأمة العربية وكل حكمة لها — حتى لقد ذهب بعض المفكرين الى ان الثقافة واللغة كلمتان مترادفتان من حيث ان كل ما يدركه الانسان فانما يعبر عنه ، ومن حيث انه ليس هناك ادراك بدون تعبير .

ان اللغة ليست الا سجلا مفصلا للثقافة ، ورأيا فى الحياة . ومن هنا جاءت اهميتها فى الميدان القومى . ومن هنا ذهب القوميون الى ان الحدود القومية لأية امة لا تنتهى عند الحدود السياسية، ولا تقف عند الحدود الطبيعية او الجغرافية وانما تمتد ما امتدت اللغة ، وتقف ما وقفت .

ان تحقيق الوحدة القومية لا يكون الا بفضل اللغة الرسمية ، المثقفة ، التى يعرفها **كافة المواطنين**

ان هذه اللغة هى الثروة القومية القديمة التى تستحق الحب والاحترام .

وكان الكتاب العربى ، ولا يزال ، الجهاز الثقافى والاعلامى الذى يحمل تراث الأمة العربية عبر الأجيال والقرون ، وعبر الامكنة وعبر الحدود المصطنعة التى يقيمها الانسان العربى فى وجه اخيه الانسان العربى .

ان الكتاب العربى هو الذى يعرف ناشئة اليوم بروائع الانتاج الفكرى العربى ذلك الانتاج الذى يزودهم بطاقات روحية لاحد لها ، يكون منها اعتزازهم بانفسهم وبتاريخهم المجيد . ويكون منها محاولة استرجاع ذلك المجد الذى خلفه اجدادهم وساهموا به فى خلق حضارة انسانية عالمية هى الحضارة العربية . ويكون منها نفخة فى الأنفس تدعم للكفاح والنضال فى سبيل تحقيق أهداف الامة العربية من حرية واشتراكية ووحدة .

ثم ان الكتاب العربى هو الذى يعرف عالم اليوم — من الشرق الى الغرب — بفضل العرب على الانسانية ، وبمشاركة العرب قديما وحديثا فى بناء الانسانية . انه الذى يعرف الشرق والغرب بجهود علمائنا ومفكرينا فى الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية . انه رسولنا الذى يثبت فى مكانه — ولايتزحزح — حتى يكون المعين الذى لاينضب بالتعريف بنا وبآثارنا الفكرية . ومن هنا يكون ايماننا به ، واعتمادنا عليه ، فى التثقيف وفى الاعلام :

هذا الكتاب اصابته ازمات متلاحقة كان لابد لنا من الوقوف عندها لنعمل على اخراجه منها :

١ — جاءت اولى الأزمات من تلك الوسيلة التى اخترعها الانسان ليعلى من قدر الكتاب وليجعل تأثيره أعم واشمل — جاءت من المطبعة .

لقد جلبت المطبعة — التى اخترعت من اجل الكتاب — الى الكتاب منافسا خطيرا هو الكلمة المطبوعة فى غير الكتاب — فى الصحيفة اليومية ، وفى المجلة الأسبوعية أو الشهرية ، وفى الحوليات .

٢ — وجاءت الأزمة الثانية من هذه الآلات الحديثة التى اخترعها الانسان — جاءت من السينما ومن الراديو ومن التليفزيون — وكان خطرها هنا أشد وأقوى من حيث ان هذه الآلات تعتمد على الترفيه ليكون التثقيف والاعلام .ومن حيث انها تخاطب فى الانسان اكثر من حاسة . ومن حيث انها لا تحتاج الى ذلك المجهود الفكرى الذى يبذله الانسان فى قراءة الكتاب .

٣ — ثم كانت الأزمة الثالثة التى جلبها الكتاب الى نفسه .

لقد حاول الكتاب الخروج من هذه الأزمات بالعمل على الانتصار على منافسيه ولكنه ، ومن اسف ، لم يعتمد فى المعركة على خصائصه الاصيلة وانما اعتمد على أساليب الخصم . ومن هنا كان حريا بأن يخسر المعركة .

لقد اعتمد هو الآخر على أساليب الترفيه ، وعلى استثارة الغرائز ، وعلى التخفيف ما أمكن في المجهودات التي تبذل ، فكانت النتيجة على غير ماترضى له . لقد انصرف الناس عنه لانه يقدم ما تقدم الأجهزة الثقافية الأخرى التي يكون الاستماع اليها ، ورؤية مافيها من صورة وحركة ، وقيمة مايدفع فيها من ثمن أيسر وأسهل .

ان الكتاب لجدير بان يسيطر على الموقف ، مرة ثانية ، حين يحتفظ لنفسه بخصائصه الأولى التي نشأت معه وارتبطت به عبر الاجيال والعصور .

لقد كان الكتاب في الحس العربي القديم هو الكتاب الديني ـ اى الكتاب الذي يبصر الانسان بالحياة ، ويجعل له موقفا واضحا من الحياة ـ في دنياه وفي اخراه ـ من حيث ان الدين كان جماع الأنظمة في ذلك الزمان .

ثم اتسع مفهوم الكتاب حتى شمل كل كلمة مطبوعة ـ اى مكتوبة ـ واخذ دوره في الحياة يقوى ويشتد حتى اصبح الجهاز الوحيد الذي يحمل لواء الفكر الى كل مكان في ارضنا العربية .
وظل امره كذلك الى ان جاءت المنافسة الخطيرة ، وحلت به الأزمات المتلاحقة ، واخذ يدافع عن نفسه بتلك الاسلحة التي اضرت به لانها اسلحة خصمه ، وليس من شك في أن الخصم يجيد استخدام اسلحته اكثر مما يجيدها الكتاب .

ومرة ثانية نقول : ان الكتاب جدير بأن يسيطر على الموقف حين يعود الى خصائصه . حين يعود الى الثقافة الجادة التي تنبع من الحياة وترتبط بالحياة .

ان الكتاب المطبوع ، يعتبر في العالم كله ، الوسيلة الاولى للتثقيف الحق ـ وليس ذلك الا لانه مستودع الثقافة الجدية العميقة ، والا لانه بفضل عمقه وقوة ايحائه قد اصبح الوسيلة التي يستعين بها القارىء على التفكير الاصيل .

ان الحكم على الأشياء حكما سليما لايكون الا بعد فهمها فهما دقيقا وهذا الفهم لايكون الا اذاجمع الانسان بين وسيلتين هامتين هما : الدراسة من ناحية ، والتفكير من ناحية اخرى ، من حيث ان الدراسة بدون تفكير لايمكن ان تنتهي الى فهم صحيح ، وأن التفكير الذاتي بدون دراسة لايمكن ان يؤمن معه الضلال عن الفهم الصحيح .

والكتاب الجاد هو الذي يجمع بين الدراسة وتقديم المعرفة من جهة ، واثارة التفكير والايحاء به من جهة أخرى .

والكتاب حين يعود الى نفسه ، ويثوب الى رشده ، ويحتفظ لنفسه بخصائصه ، يسيطر مرة ثانية . ويسيطر بصفة خاصة على القائمين بأمر الأجهزة الثقافية والاعلامية الاخرى . فلن يستطيع كاتب في صحيفة يومية او في مجلة أن يستغنى عن الكتاب والا اصبح كاتبا تافها . ولن يستطيع مشتغل بالسينما والمسرح او بالراديو والتليفزيون أن يستغنى عن الكتاب والا توقف عن الانتاج . ان كل هؤلاء يحتاجون الى الكتاب ـ الكتاب بخصائصه الاصيلة .

والثورة العربية في الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بهذه المعاني جميعها ، ومن اجل هذا اقامت للكتاب عيدا ، وجعلت هذا العيد اسبوعا كاملا ، وشغلت هذا الأسبوع بمعرض للكتاب العربي ، وبمؤتمر للكتاب العربي ، وبندوات ثقافية عن الكتاب العربي .

يبدأ هذا العيد في التاسع عشر من هذا الشهر ، ويفتتح هذا العيد وزير الثقافة والارشاد القومي الدكتور محمد عبد القادر حاتم .

وانا لنرجو أن يحقق المؤتمر أهدافه ، وأن يقف الاعضاء عند هدف يحتاج الى توضيح هو انتاج الكتاب العربي في ظل الاشتراكية العربية .

يجب ان يجيب اعضاء المؤتمر عن هذا السؤال ، فليس من المعقول ابدا ان يكون الانتاج في بلادنا وفي عهدها الاشتراكي يقف من حدود الاشتراكية عند حد أن يكون ثمن الكتاب زهيدا .

ان اهم ما في الوضوع هو المادة التي يقدمها الكتاب ، فهل نحرص على ان تكون قيمنا الثقافية قيما اشتراكية ، او نظل نخبط خبط عشواء حتى ليكون مانؤلفمن كتب ومانشر من تراث ومانترجم عن ثقافات مختلفة خلطا من قيم مختلفة اكثرها قيما اقطاعية رأسمالية ؟ ؟ .

اني لارجو أن يوفق المؤتمر الى اجابة عن هذا السؤال .

دكتور : محمد احمد خلف الله

قادة الفتح الإسلامي

عقبة بن عامر الجهني

فاتح جنوب مصر

للواء الركن : محمود شيت خطاب

هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني من قضاعة ابن مالك بن حمير ، أسلم بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، فقد ذكر عقبة انه « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانا في غنم ارعاها فتركتها ثم ذهبت اليه فقلت : تبايعني يا رسول الله ؟! فقال : فمن أنت ؟ فاخبرته ! فقال : ايما احب اليك تبايعني بيعة اعرابية او بيعة هجرة ؟ فقلت : بيعة هجرة ! فبايعني » . وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان من الصحابة المشهورين ، ولم يشهد (بدرا) ولكنه شهد (أحدا) والمشاهد الاخرى بعد (أحد) ، وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

المجاهد :

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد عقبة فتوح الشام وكان على البريد الى عمر بن الخطاب بفتح دمشق ، كما شهد فتح مصر ، تحت لواء عمرو بن العاص .

ولما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عقبة الى سائر قرى أسفل الارض ، فغلب على ارضها وصالح اهل قراها على مثل صلح الفسطاط .

وفي خلافة معاوية غزا عقبة البحر على راس اهل مصر .

الانسان :

كان عقبة يعمل راعيا قبل اسلامه وبقي يعمل راعيا بعد اسلامه ايضا ،وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ساعيا لجمع الصدقات ، قال عقبة: « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ، فاستأذنته أن نأكل من الصدقات ، فأذن لنا » .

وتولى ايام معاوية بن ابي سفيان امر الخراج والصلاة بمصر ثم عزله معاوية وولاه على جهة اخرى لقد تحول الى مصر فنزلها وبنى بها دارا ، وتوفي سنة ثمان وخمسين بمصر (٦٧٧م) ، ودفن بالمقطم مقبرة اهل مصر .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وخمسين حديثا ، وكان قارئا من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، عالما بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان شاعرا كاتبا ، وهو أحد من جمع القرآن ، وكان مثالا رفيعا للخلق الكريم، وكان يردد ما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على نفسه؛ فقد قال له : « يا عقبة بن عامر ! املك لسانك وابك على خطيئتك وليسعك بيتك » ؛ وقال له : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » .

وكان يخضب بالسواد وكان يقول : « تغير اعلاها وتأبى أصولها » ، وقد انفق ماله في سبيل الله فلما حضرته الوفاة كان له بضع وستون او بضع وسبعون قوسا مع كل قوس قرن ونبل اوصى بهن في سبيل الله !.

القائد :

كان عقبة من هواة الجهاد في سبيل الله ، وكان الجهاد العمود الفقري لحياته كلها ، حتى أحاديث الحث على الجهاد ومتطلباته رواها عن الرسول القائد. فقد روى حديث : « ان الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله ، وقال : ارموا واركبوا ، ولئن ترموا أحب الي من أن تركبوا » .

وكان يحب الرمي ويروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « من علم الرمي ثم تركه بعد ما علمه فهي نعمة كفرها » ، وكان يلهو بالرمي ويروي عن النبي الكريم قوله : « ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله عز وجل ، فلا يعجز أحدكم ان يلهو باسهمه » لذلك كان كل راس ماله الذي تركه بعد وفاته بضعا وستين أو بضعا وسبعين قوسا مع توابعها !

عقبة في التاريخ :

يذكر التاريخ فتحه منطقة اسفل ارض مصر — تلك المنطقة الغنية الواسعة العامرة بالخيرات .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح عقبة ابن عامر الجهني .

محمود شيت خطاب

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

المادية المحمودة والمادية المذمومة — البناء المادى للكون وعظمته — تحويل المادة الى روح — المادة مكان لقاء ايدينا بيد الله — الى اقتحام سور الوهم القديم ايها المسلمون — الى نقطة البدء والانطلاق — المذهب المادى يجتاح التفكير الانسانى — علامات على الطريق الى الله .

***

اسارع فى البدء فاجرد كلمة المادية من المعنى المذموم الذى وقر فى اذهان الناس وصارت له مدلولات منفرة وسمات مقبوحة فى مجالات الفكر والاخلاق .. والمعنى المذموم المقبوح فى المادية هو الا يؤمن عقل الانسان بوجود شىء وراء البناء المادى للكون .. او ان يتهالك طبع الانسان على حب الاشياء المادية واقتنائها والاستئثار بمنافعها تهالكا ينسى فيه الواجب والشرف والمروءة والاخوة وتستبد به شهواته ونوازع نفسه ، وينسى ان وراء هذه الحياة حياة اخرى ، اذا فاته شىء من متاع الاولى صار الى عوض منه فى الثانية ، فيجب ان يكون صبورا حمولا عيوفا لايطمع ولايجزع ولايسف ولا يذل عنقه .

اما المادية المحمودة فهى التى تحتفل بصنع الخالق فى البناء المادى للكون ، وتكشف عن اسرار ذلك البناء وقوانينه وقواه الآلية وتنتفع بتسخيرها وترى يد الخالق فيه ، وتعلم ان الاشياء المادية هى ابجديات الحقائق العقلية الممهدة لادراك الحقائق الروحية والقيم العليا التى وراء المادة .

والمادية المحمودة كذلك هى التى اذا اقتنت الاموال جعلتها وسيلة لا غاية ، واداة لتحقيق المعانى الكريمة والمحامد الخلقية ، وتشعر انها مالكة للمال لا مملوكة له ، وانه فى يدها وليس فى قلبها ، ولا تهدر فى سبيل اقتنائه شرف النفس ومروءة الطبع وسماحة الخلق وحقوق الغير ، بل تؤثر وتقدم على نفسها ، ولا تستغرق الحس والادراك وطاقة العمل فى المادة والتفكير فيها ، بل تجمع الى ذلك تطلع النفس الى المثل العليا واحتفالها بما وراء الطبيعة

تلك هى المادية المحمودة التى يطلبها العقل والخلق الاسلاميان ، وهى اساس سعادة الكائن البشرى بانسجامه مع منطق الكون ومنطق القرآن

فينبغى الا تكون المادة وعلاقاتنا بها شيئا تافها لا يستحق الوقوف عنده بالفكر طويلا والتأمل فيه كثيرا كما يرى المتبرمون العازفون المتشائمون ... والا تكون هى الامر الوحيد الذى نقف عنده غافلين عما وراءه من قيم ومثل يدركها العقل بأشواقه وتطلعه الى الكمالات كما يفعل الماديون المغلقون المتكالبون .

ونعيد القول مرة ثانية لنؤكد ان الماديات هى ابجديات ومفردات وكلمات تكون تجاربنا الحسية وتنتج الحقائق العقلية التى لولاها ماادركنا شيئا من الحقائق الروحية والقيم العليا التى وراء المادة .

وينبغى ان تتحول المادة فى عقولنا واذواقنا الى روح شفيف .. وذلك حين تتحول لدينا الى اداة دهشة وعجب وتفكير وبذل وتضحية وعبادة دائمة .. غير انها تحتاج حينئذ الى علم غزير وفقه كبير باسرار الله فيها .

وعلى هذا ينبغى الا يضيق بها المتدينون والا يذموها ويروها اقفالا ومغاليق على بصائرهم فيحاولوا الانسلاخ من منطقها وسننها وقوانينها الصارمة ، بالاحلام والاوهام والشطحات ، لأن الاعاجيب التى اودعها الخالق فى البناء المادى للكون لا عدد لها ولا حصر ، وهى تفوق بكثير عدد الاعاجيب التى قد يلمحها بعض العقول فى عالم ماوراء المادة . ولا يفرغ العقل والقلب فى اية لحظة من لحظات وعيهما من شعاع يسقط على عدستهما من اى افق من آفاق المادة ، فيثير انتباههما وعجبهما وعبادتهما

وطبيعى ان الاسلام لا يرى رأى هؤلاء المتشائمين المتبرمين بالمادة ، بل يدعو كما بينا الى الاحتفاء بها وتعمق اسرارها ودراسة ظواهرها وتسخير قواها فى النفع العام ، والى ان يرى الانسان يد الله فى كل شىء . وبذلك تتحول المادة كما قلنا امام ادراك الانسان وذوقه الوجدانى الى روح شفيف وسر لطيف يطالعه فى كل لمحة عين وخطرة ذهن ولمسة حس ، بآية من آيات الله وكلمة من كلماته تشير اليه وتدل عليه وتوجه القلب والفكر واللسان الى قدس اقداسه فيمتلىء بالشعر والعلم والتأمل والحكمة والتعبد !

ومن موجبات الاسف أن اكثر المسلمين المعاصرين ما يزالون يصدرون في تفكيرهم الديني عن عوامل ومؤثرات ليست من منطق القرآن، وليست من وحي طبيعة هذا البناء العلمي المادي للكون .. ولذلك لم ينطلقوا - برغم طول العهد على اتصالهم بالثقافة العلمية المادية المعاصرة - من تلك الاوهام التي قيدت عقولهم ، ووقفت بها على مقاطع نظر للكون المادي غريبة عن منطق العلم ومنطق القرآن .

وما لم يتحرروا من هذه الاوهام وينظروا الى الكون نظرتهم الاولى عندما فتح القرآن عيونهم على آيات الله وكلماته المكتوبة في آفاق الطبيعة بآياته المقروءة غداة نزول القرآن ، وما لم يجعلوا عوامل يقظتهم واندفاعهم وقيادهم في نهضتهم الحديثة ومنطلقة من منطق العقل القرآني العلمي ، فانهم سيظلون كما هم على بعد عن الموقف الصحيح في الجمع بين الدين والعلم ، ينظرون نظرة مصروفة عن رؤية حقيقة الكون المادي وحقيقة النواميس التي تسيره ، مقيدين بآراء النظار الذين اخذهم الجدل القديم الموروث عن الامم الاخرى ايام عجز الانسان وقصوره .. او ماخوذين بآراء النظار والفلاسفة المحدثين الماديين الملحدين لجهلهم نقطة البدء والصدور في النظر القرآني .

فلندع الى اقتحام سور الوهم الذي حبس عقول المسلمين بعد عهد نزول القرآن وبعد اختلاطهم بالامم وطغيان بعض فلسفات تلك الامم على النظر القرآني الذي ينظر الى البناء المادي للكون والى قيم ذلك البناء كما ينظر الى القيم والمثل الغيبية التي بنى الله عليها ما وراء الطبيعة المادية .

ولا يظنن ظان أن الجهد الذي يبذل في هذا السبيل ترف ذهني يدخل في ابواب الفلسفات النظرية الجدلية العقيم بعيدا عن العمليات والواقعيات التي هي شعار اكثر العقول والمذاهب والفلسفات في هذا العصر .. كلا .. فان نقطة البدء والانطلاق في نهضات الامم واندفاعات الشعوب الواعية هي مصدر قوتها ومقياس نجاحها لانها فلسفة رأيها وعقدة عقيدتها وقوة دفعها التي تحشد عزمها وتجمع افرادها وتحكم عواطفها من ان تشرد أو تتفرق أو تضل .

لذلك يحسن بل يجب ان تقف امتنا وقوفا طويلا عند نقطة البدء والانطلاق في حياتها العقلية، لتقدم بين يدي ثورتها ونهضتها ونظمها وتشريعاتها السياسية والاجتماعية فلسفتها وعقيدتها التي التي تعمر رؤوس أبنائها وتملك قلوبهم وتحكم آراءهم ونظرتهم الى الكون والحياة .. وبخاصة في عهود افتراق المذاهب وتشعب الآراء وكثرة الدعايات في أسواق الفكر والرأي للمذاهب المادية الالحادية التي تحبس نظر الانسان على الآفاق المظلمة المطموسة المغلقة من البناء المادي للكون ..

ولقد اخذ المذهب المادي في العصور الاخيرة يجتاح التفكير الانساني اجتياحا ترك آثاره الضخمة في آفاق الفكر والاعتقاد والعمل والعيش، وكان ذلك من نتائج الافتتان بآثار العلم بكثير من قوانين الطبيعة وطرق تسخير قواها واقتحام كثير من سدودها وقيودها ، واكتشاف كثير من مجهولاتها

وقد نشأت من هذا الاجتياح المادي عقائد وآراء وسياسات سيطرت على المجتمعات البشرية بما لم تسيطر به من قبل ؛ فاستغرقت نزعات البشر وآمالهم ووجهت اعمالهم وحجبت نظرهم بغشاواتها عن كثير مما في الكون من حقائق عقلية غير مادية وأذواق وجدانية تدركها الانسانية في جو التأمل في العالم والاخلاد الى النفس والخلوة بها والبحث في طوايا ضميرها ، وفي جو الايمان والتأويل لظواهر الكون والحياة .

وقد غلبت القيم المادية في هذه العصور غيرها من القيم المعنوية وصارت هي الاساس للحكم في اكثر المجالات ، يتهم الفرد بالقصور أو التخريف، او السذاجة اذا اغفلها او اهدرها . وقد صارت مادية الكون ومادية العيش ومادية الاخلاق شغلا شاغلا لاكثر المجتمعات العصرية ورمت بافكارهم المرامي البعيدة وصارت محور الصراع الاكبر في ميادين العيش .

بل ربما كان هذا المذهب المادي هو مذهب اكثر الناس في جميع العصور لا في العصور الحديثة وحدها ، لانه المذهب القريب الى عقول الناس ، اذ كان تفكيرهم غالبا رهين الظواهر المادية وكان خلقهم رهين الضرورات المادية وثيق الصلة بها ، اذا رفع نبي أو فيلسوف نظرهم الى عالم التجريد والمعاني والمثل والقيم لا يلبثون ان يعودوا بعد مضي عهد النبي مخلدين الى الارض باهوائهم ونظرهم المحدود ونزوعهم للتجسيم حتى في تصور

(البقية على الصفحة التالية)

التوسع الاسرائيلي في افريقيا

بقلم : عواطف عبد الرحمن

ما زالت اسرائيل تقوم بحملة واسعة النطاق للتغلغل فى البلدان الافريقية التى استقلت حديثا أو التى فى طريقها الى نيل استقلالها مستغلة فى ذلك علمها بان هذه الدول قد نهبها الاستعمار وتركها دون رءوس أموال أو خبرة فنية فى مختلف القطاعات وسارعت تحت اسم الصداقة بتقديم عروض مغرية للمعاونة فى استغلال موارد البلاد الطبيعية كما سارعت بتقديم مختلف أنواع المعونة الفنية لهذه البلاد وتفعل اسرائيل ذلك مدفوعة من الاستعمار ومدعمة بأمواله لاعادة نفوذه وسيطرته بطريقة غير مباشرة . واسرائيل اذ تستجيب لمطالب الاستعمار الذى تدين بوجودها له تستغل ذلك ايضا لمصلحتها فهى تريد أولا ايجاد متنفس من الحصار المحكم الذى تفرضه المقاطعة العربية وتريد ثانيا فتح طريق جديد فى افريقيا للاستعمار الغربى الذى يحاول أن يحافظ على بقائه فيقدم لاسرائيل الاموال الطائلة ويسهل لها الوصول الى مستعمراته السابقة والباقية ويمدها بالخبرة التى اكتسبها خلال قرون طويلة . فاسرائيل تقوم بدورها فى افريقيا من أجل :

١ ـ خدمة مصالح الدول الكبرى وهى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا .

٢ ـ محاولة صرف نظر شعوب افريقيا عن معركتها الاساسية فى التحرر من الاقتصاد الاستعمارى بحيث يضمن ارتباطها به الى الأبد .

٣ ـ صرف دول افريقيا وشعوبها عن التطلع والتقارب مع التيار التحررى فى القارة والذى يتمثل فى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر .

وتظهر حقيقة اسرائيل فى افريقيا من المقال الذى كتبه مائير فلمر عضو الكنيست الاسرائيلى فى جريدة دافار الاسرائيلية فى ١١ يناير ١٩٦١ ويقول فيه (ان تعيين تسفى تسور رئيسا لأركان الجيش الاسرائيلى كان له مغزى سياسى اذ أنه يعنى تقوية العلاقات بين اسرائيل وفرنسا ، حيث أن تسور قد أعد سياسيا وعسكريا لهذا المنصب ، استعدادا للمهام التى تقوم بها اسرائيل والتى ستقوم بها فى بعض دول افريقيا الحديثة وبخاصة فى المستعمرات الفرنسية السابقة) .

وكذلك كتبت صحيفة (ذى ريبورتر الامريكية) التى تشرف عليها الصهيونية تقول :

(لقد استطاعت احدى الدول الجديدة الصغيرة (اسرائيل) أن تثبت وجودها فى افريقيا حتى انه يمكن مقارنتها بوجود الولايات المتحدة ، والدول

(المادية الاسلامية « بقية »)

آلهتهم ، فيمثلونها فى الحجارة والخشب نصبا وتماثيل وشخوصا تلمسها ايديهم وتنظرها عيونهم التى لا تقوى على التحديق فى غير المتناهى ..

طبيعية ثابتة وفطرة مسنونة وسبيل مطروقة من قديم ، ما كان للدين القيم أن يهدرها ولا يحسب حسابها فيما يوجهه الى العقل من رسالات روعى فيها انها هدى للفطرة التى فطر الله الناس عليها فى جميع العصور ، وانها لا بد ان تاخذ بقيادهم الى التعرف الى (الله الكائن الاكبر الخالق) بايسر الوسائل واهدى السبل .

وقد جعل القرآن لبنات البناء المادى للكون ومشاهدها واسرارها وقوانينها صوى وعلامات على طريق التعرف الى الله الخالق ، وجعلها وسائل وادوات لفهم ما عنده وعند الملأ الاعلى من عالم ما وراء المادة ، فتتدرج عقولنا على مستويات هذه الابجديات وعلى ادراك النسب الكثيرة بين مفرداتها وكلماتها ، حتى اذا فرغت منها وامتلأت بعلومها وحذقت الصنعة فيها ورات مواقع يد الخالق فيها وتوقيعه على اشيائها وتتلمذت عليه سبحانه فى تعلم ما يشاء ان يحيطوا بعلمه وفى تسخير مايشاء ان يسخروه ويقدروا عليه من ملكوته .. حين ذلك كله ، لعل عقولنا تكون قد صلحت لادراك ماوراء البناء المادى للكون ولادراك علم عقلى عن السر الاكبر الذى يعمر الكون ؟

عبدالمنعم خلاف

الكبرى التي تعهدت ببرامج المساعدات في البلاد المتخلفة ، وقالت أيضا ان اسرائيل تجد الكثير من المزايا بالطبع في غزوها الجديد لافريقيا ، وأهم هذه المزايا هو أن الدول الافريقية عندما تتجه الى اسرائيل فانها تتحول بالضرورة عن مصر) .

أما المزايا التي يحاول المستعمرون الجدد ابرازها لتقديم مبرر ايديولوجي لتوسع اسرائيل في افريقيا فكتبت عنها جريدة (اوستيوليتيك) التي تصدر في ألمانيا الغربية تقول (ان الدول الافريقية الناشئة تميل الى الرأى القائل بان دولة اسرائيل الصغيرة ليست في مركز يسمح لها بابتزاز هذه الدول واستغلالها أو باخضاعها للعبودية الاستعمارية) .

***

وتحاول اسرائيل أن تستفيد من كونها دولة بعيدة عن الصراع الافريقي من أجل الزعامة وأنها دولة لم تعرف الاستعمار قط . وأهم من ذلك أنها تمر بتجربة اجتماعية واقتصادية مشابهة لتجربة الدول الافريقية مما يمكنها من اعطاء النصيحة لها بالاضافة الى انها لا تطلب من الافريقيين عدم التعاون مع الدول العربية .

نشاط اسرائيل في الدول الافريقية

تقول جريدة هآرتس الاسرائيلية ان (هناك ٢٤ دولة افريقية تتلقى العون من اسرائيل وقد بدأت أولى العلاقات بين اسرائيل وافريقيا سنة ١٩٥٤ عندما أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وليبيريا وظلت حتى سنة ١٩٥٧ لم يكن لاسرائيل في افريقيا سوى قنصلية في نيروبي بالاضافة الى بعثتها الدبلوماسية في جنوب افريقيا وقنصلية في مترونيا وفي سنة ١٩٥٧ افتتحت اسرائيل قنصلية لها في غانا وفي عام ١٩٥٩ اقامت علاقات دبلوماسية مع غينيا وفي عام ١٩٦٠ وهو العام الذى سجله التاريخ باسم عام الاستقلال الافريقي امتدت علاقات اسرائيل الدبلوماسية الى جميع أنحاء افريقيا الغربية وافريقيا الوسطى .

ولا شك أن تبادل الزيارات بين المسئولين الافريقيين والاسرائيليين كان له أثره المباشر في توسيع العلاقات وتدعيمها فقد قامت جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل بثلاث زيارات للدول الافريقية في أعوام ١٩٥٨ الى ١٩٦٠ ، ١٩٦٢ . وقد قام بن زفي رئيس دولة اسرائيل بزيارة كل من غانا وليبيريا سنة ١٩٥٩ وأهدى طائرة الى وليم توبجان رئيس جمهورية ليبيريا وفي سنة ١٩٦٢ قام بزيارة الكونغو وافريقيا الوسطى كما قام عدد كبير من وزراء اسرائيل بزيارة الدول الافريقية منهم أبا ايبان وزير التعليم الاسرائيلي و ج . جوزيفتال وزير العمل الاسرائيلي و ى . بيرج وزير الشئون الاجتماعية و ل. اشكول وزير المالية الاسرائيلي هذا وقد اوفدت اسرائيل عدة وفود رسمية لزيارة الدول الافريقية واوفدت أخيرا بعثة خاصة للاشراف على نشاط الشركات الاسرائيلية في البلاد الافريقية وقد زارت البعثة كلا من السنغال ومالى وسيراليون وغينيا وليبيريا وساحل العاج وغانا ونيجيريا والكونغو والنيجر .

* * *

وتلح اسرائيل في دعوة كثير من المسئولين الافريقيين لزيارتها ففي عام ١٩٦٢/٦١ استضافت اسرائيل رؤساء دول كل من داهومى وفولتا العليا وبرازافيل ومدغشقر وليبيريا وافريقيا الوسطى وجابون ونيجيريا وغامبيا وقد زارت اسرائيل بعثات من حكومة نيجيريا وداهومى والكاميرون والسنغال وسيراليون وتنجانيقا والحبشة وكينيا .

ونستطيع أن نلخص النشاط الاسرائيلي في افريقيا في عدة نقاط أساسية اهمها :

١ ـ التوسع في التمثيل الدبلوماسي والعناية في اختيار ممثليها الدبلوماسيين ـ فالملاحظ أن سفراء اسرائيل ليسوا من الاشخاص الذين تدرجوا في وزارة الخارجية الاسرائيلية بل انهم يختارون من ذوى الخبرة في الشئون الاقتصادية وبعضهم ضباط سابقون ومنهم من كان له نشاط في ميدان المخابرات ومن الامثلة على ذلك يهود أفريل وحانان يافور سفيرا اسرائيل السابقان في كل من غانا ونيجيريا فقد كانا من المسئولين عن القرى الجماعية في اسرائيل وحام كوهين سفير اسرائيل في ليبيريا كان ضابطا في المخابرات .

٢ ـ تقوية الصلات بين الاحزاب الاشتراكية فى هذه الدول وبين الاحزاب الاشتراكية فى اسرائيل مثل حزب الماباى .

٣ ـ نشاط الهستدروت ويتبع الهستدروت :

(أ) شركات الملاحة المشتركة واهمها :

١ ـ شركة النجم الاسود فى غانا

٢ ـ شركة النجم الذهبى فى ليبريا

(ب) شركات البناء والمقاولات الاسرائيلية واهمها شركة سوليل بونيه

(ج) الشركات التجارية واهمها شركة :

١ ـ ديزنجوف فى غرب افريقيا

٢ ـ شركة الاصلاح الزراعى وشركة اتكودا وشركة جولفات وشركة اتياجين فى اثيوبيا

٣ ـ شركة الماس فى غينيا وليبريا

٤ ـ شركة ماير للفنادق فى ليبريا

٥ ـ شركة ساشوداسكود وسيفاء وريجلر فى تشاد .

٦ ـ شركة ايرمان ليمتد وفروعها فى أثيوبيا وارتريا وتنجانيقا ونياسالاند وأوغندا

٤ ـ الخبراء والخبرة والمنح الدراسية التى تقدمها اسرائيل للدول الافريقية وتقدم اسرائيل معونتها الفنية على أساس اتفاقيات ثنائية ولقد كان هناك ٦٨٠ خبيرا فنيا ضمن برنامج المساعدة الاسرائيلية للدول الافريقية منهم ١٨٠ خبيرا حكوميا و ٤٥٠ خبيرا من ممثلى الشركات الاقتصادية مثل زيم وسوليل "بونيه والباقى من قبل الامم المتحدة وهيئات أخرى صغيرة . وهناك المعهد الافريقى الاسيوى وتعقد عليه اسرائيل الآمال فى تدريب قادة نقابيين وتعاونيين فى افريقيا موالين لاسرائيل .

٥ ـ تنظيم الجاليات اليهودية الموجودة فى الدول الافريقية ويبلغ تعداد اليهود فى هذه الدول كما جاء فى كتاب أمريكان جويش بير بوك لسنة ١٩٥٨ ٧٥٠ر٥٤٥ يشكلون ٥٪ من تعداد يهود العالم البالغ عددهم ٥٧٤ر٠٣٥ر١٢ نسمة .

حقيقة الأمر

من الاستعراض السابق لنشاط اسرائيل فى الدول الافريقية نلاحظ أن اسرائيل قد اتبعت أسلوبا جديدا ساعدها على سرعة التغلغل فى افريقيا وهو انها لم تعتمد على ارسال موظفين رسميين بل بعثت خبراء فى الزراعة والرى والتعليم من جهة **بالاضافة الى رءوس الأموال الأجنبية التى اندفعت تساند اسرائيل من جهة أخرى فالوضع الاقتصادى فى اسرائيل وذلك باعتراف صحف تل أبيب نفسها ليس على ما يرام فهى غارقة فى الديون حتى أذنيها والعجز الداخلى يبلغ ٢٤٨٩ مليون باون اسرائيلية أى ما يزيد على نصف مجموع الدخل القومى وبالاضافة الى ذلك تعتمد اسرائيل على رءوس الأموال الأجنبية كل الاعتماد .**

❋ ❋ ❋

وصحيفة لامرحاب الاسرائيلية تقول ان (اسرائيل قد تلقت خلال الـ ١٢ عاما من وجودها منحا ومعونات من الولايات المتحدة وحدها بما يوازى ١٢٥٠ مليون دولار فضلا عن بيع سندات اسرائيلية قيمتها ٤٢٥ مليون دولار ومعظم هذا المبلغ اشترت به اسرائيل اسلحة كذلك المانيا لعبت دورا كبيرا فى تسليح اسرائيل ففى سبتمبر سنة ١٩٥٩ دفعت ألمانيا الغربية لاسرائيل ما قيمته ١٦١٦ مليون دولار كتعويضات وتعمير وكان مالا يقل عن ٦٥٪ من هذه التعويضات على شكل معدات حربية وتلقت اسرائيل مبلغا اضافيا من المانيا الغربية سنة ١٩٦٠ ، ٦١ قدره ١٦٦ مليون دولار واقترضت اسرائيل من الولايات المتحدة ٣٥٠ مليون استرلينى وديون اسرائيل تزداد باستمرار رغم التوسع فى القدرة الانتاجية والمعونات الاجنبية وقد بلغت ديونها سنة ١٩٥٥ (٣٥١ مليون استرلينى) .

وقد كتبت جريدة قول هام فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ تقول (ان التوسع الاقتصادى لاسرائيل فى افريقيا قد زاد الى حد يفوق التصور فى الوقت الذى يعرف الكل فيه ان اسرائيل نفسها تعتمد على التبرعات الامريكية وانها لم تنجح فى موازنة ميزانيتها فكيف تأتى لها الامكانيات التى تساعدها على استثمار رءوس أموال خارج اسرائيل) .

ويجيب على ذلك مدير بنك اسرائيل (هوردبيث) حيث يقول (ان مشروعه يعتبر فى مستوى مشروع مارشال بالنسبة لافريقيا) مما يؤكد قول الجريدة بأن الشركات الاسرائيلية فى افريقيا ما هى الا فروع للاحتكارات الامريكية وحقا فان عددا كبيرا من الشركات الامريكية وشركات أوربا الغربية تعمل فى الدول الافريقية تحت ستار اسرائيل مثل شركة الاطارات والمطاط المعروفة .

وهى شركة ذات رأس مال آمريكى تعمل فى اسرائيل ولها فروع فى غانا ونيجيريا وكينيا وموزمبيق وارتريا وأثيوبيا ولقد كان ١/٣ صادرات الشركة تقريبا يذهب الى الاسواق الافريقية وذلك من سنة ١٩٥٩ .

ومجموعة أمكور التى تضم ست شركات وتشترك فيها رءوس أموال اسرائيلية وأمريكية وفرنسية ولها عدة فروع فى افريقيا وأسهم هذه المجموعة مفرعة على شركة الهستدروت وأميل الامريكية وبعض المستثمرين الامريكيين أى ان هذه المجموعة تخضع الى حد كبير لسيطرة الرأسماليين الامريكيين الذين يعملون فى افريقيا تحت اسم اسرائيل وكذلك شركة اسرائيل داهومى التى تأسست فى العام الماضى لانتاج الدراجات وأجهزة تكييف الهواء فى داهومى والنيجر وفولتا العليا وفى النيجر مثلا توجد شركة بناء مشتركة والمعروف ان الدول التى تحتكر كل صناعة البناء فى اسرائيل هى الولايات المتحدة والمانيا الغربية .

موقف اسرائيل من القضايا الافريقية

كتبت صحيفة هاعولام هزى الاسرائيلية فى ١٩٦١/١/٧ موضوعا ناقشت فيه سياسة اسرائيل فى افريقيا فقالت : (ان دور اسرائيل فى افريقيا يؤكد أنها جسر للدول الغربية التى كانت لها مستعمرات فى افريقيا وما زالت مصالحها مرتبطة بثروات افريقيا وان مواقف اسرائيل ضد القضايا الافريقية فى الامم المتحدة يؤكد مرة ثانية وقوفها فى جانب الاستعمار ضد مصالح الشعوب ومثال ذلك معارضتها لاستقلال الجزائر فى الجلستين العاشرة والثالثة عشرة وتأييدها لتفجير القنبلة الذرية فى الصحراء الافريقية وكذلك قضية التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وحملة سيناء) .

وحقا عندما نراجع محاضر جلسات الامم المتحدة سوف نكتشف ان اسرائيل من الجلسة السادسة حتى الجلسة الخامسة عشرة كانت دائما اما تعارض أو تمتنع عن التصويت فى جميع القضايا التى تتعلق بحرية الشعوب الافريقية وأمنها .

* * *

وفى خلال أزمة الكونغو قدمت اسرائيل معونتها لتشومبى بل دعته لزيارتها واستضافته هو وأسرته أكثر من اسبوعين كما قدمت مساعداتها للسفاحين البرتغاليين فى قمع حركة التحرر فى انجولا بأن زودت القوات البرتغالية عن طريق (المانيا الغربية) بما تنتجه من مدافع اوزى الرشاشة ومن السخرية أن تزعم اسرائيل وهى تتعاون كل هذا التعاون الوثيق مع القوى الاستعمارية انها صديقة الدول المظلومة والمستعمرة ومواقفها ازاء القضايا الافريقية أوضح دليل على حقيقة اتجاهها .

ولكن يقظة القادة والشعوب الافريقية لم تدع اسرائيل تهنأ طويلا بالمجالات الخصبة التى هيأها لها الاستعمار فى افريقيا فقدبدأت كثير من البلاد الافريقية تدرك بوضوح الدور الحقيقى الذى تقوم به اسرائيل فى افريقيا باعتبارها أداة لسياسة الاستعمار الجديد ومدافعا عن مصالح الاحتكارات الغربية .

وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى وجهه الى شعوب افريقيا فى مؤتمر أديس أبابا (ان كشف حقيقة اسرائيل سيدعه لوعى الشعوب الافريقية الذى سوف يدرك يوما ما لمصلحة من تعمل اسرائيل) .

* * *

وقد بدأت حقيقة اسرائيل تتضح للافريقيين فيما تكتبه الصحف الافريقية فقد كتبت صحيفة وست افريكان بيلوت النيجيرية تقول (ان الاستعماريين وقد أخذوا يضطرون تدريجيا الى الرحيل عن افريقيا يحاولون الآن أن يعودوا من الباب الخلفى ولكن بمساعدة بلد آخر يعتمد عليهم اقتصاديا وسياسيا ولم يجدوا من يقوم بهذا الدور أصلح من اسرائيل) .

عواطف عبد الرحمن

مخطوط وحيد وعلماء ثنتي عشرة لغة

للمستشرق الروسي كراتشكوفكي

كثيرا ما التقيت فى حيـــاتى الاســـتعرابية بمخطوطات اكتشفت منذ بعيد فى صمت ودون اى جلبة او ضوضاء . الا أن دخولها التدريجي الى دنيا العلم يذكرنا باسطورة سحرية تقوم بالادوار فيهـا ، مجموعـة من الشـخصيات التى ربطت الصدفة بين اقدارهم . ومعإن موضوع الاسطورة لاتزينه رتوش الا انه يصور القوة التعليمية للعمل الجماعى العالمى ، الذىاستطاعإن يجذب الىتياره موهوبين ممتازين ، وعاملين بسـطاء ، وملايين غفيرة من الشعوب بتراثها الاستعرابى القـديم . وقوميات نالت استقلالها امام عيوننا ، بل واستطاع ان يجذب الى تياره كثيرين ، من الشرق والغـرب على اختلاف اشكالهم وتعددها . حقا انها لصورة جذابة تحمل بين جوانبهاقوة معلمة . انها كالشمس على قطرة ماء تعكس بدون توقف حـركة الثقـافة الانسـانية .

ففى القرن الثـانى عشر كان يعيش فى « قرطبة » شاعر عربى لم يحظ بشهرة كبيرة لدى قصور ملوك الطوائف الذين اقتسموا الخلافةالقرطبية فى اسبانيا اما فى الاسواق حيث يجتمع الشعب البسيط فكان شاعرنا هـذا يقابل كضيف محبوب لا فى قرطبـة فحسب بل وفى اشبيلية وغرناطة ومـدن الاندلس الاخرى . وكانت اللغة العربية هى لغته الوطنية . اما ملامح شكله بعيـونه الزرقاء ولحيتـه الذهبية الضاربة الى الحمرة فتشير الى ان فى دماء اجداده عناصر اوربية . بل ان نفس اسمه « ابن قزمان » كان يستعمله كل من العرب والاسبان على حد سواء . ولم يقتف فى اشعاره اثر النماذج العربية القديمـة للمدح التمجيدى .

واكثر ماتتحدث اغانيه الحية المرحة عن الحب والخمر مع تلميحات ليست بالنادرة عن مساعدة المغنى الفقير دائم الترحال . واستطاع بموهبتـه الكبيرة ان يجعل فى كل اغنية صورة جريئة تزهـو بالوان ناصعة عن شتى مواقف الحياة الاجتماعية . وكثيرا ماتناول الغزل المكشوف . ولم يكن يستخدم اللغة الادبية مفضلا عليها لهجة التخاطب الشعبية لاقاليم وطنه . بل انه لم يكن يتحرج من استخدام الالفاظ والتعبيرات الرومانية التى كانت مفهومـة آنذاك . وليس بغريب ان يكون هذا الشعر بعيدا عن روح الاستشراق الادبيالمحافظ ، وروح المعجبين بالتراث القديم الذين نظروا الىازجاله المرحة نظرة اقل مما هى جديرة به فى واقع الامـر . ولكن كان هناك ايضا كثيرونأعجبتهم هذه الازجال . وابتدات ازجاله تشق طريقها نحـو الشرق العـربى رويدا رويدا . وهناك فى فلسطين فى بلدة « صفد » قام عربى من عصر متأخربكتابة هذهالازجال فى مخطوط بدافع من اهتماماته الخاصة . وقد كتبها بدقـة وعناية الا انه لم يكن يعرفاللهجة العربية الاسبانية لبعدها ، ولم يـكن لديه بالطبع أية فـكرة عن اللغة الرومانية . ومن هنا يمكن أن نتصور بسهولة اية اخطاء تسربت الى كتابة مخطوط الازجال لاسيما فى تلك الكلمات الرومانية المكتوبة بحـروف عربيـة وبطريقة آلية . وعلى كل حـال لم يتسن لنـا ان نعرف الكثير عن ابن قـزمان لولا هـذا المخطوط الوحيد المعروف حتى الآن والمخزون لدينا فىالمتحف الآسيوى . وكان طريق المخطوط شاقا وشـاءت الصدف السعيدة أن ينتهى به المطاف الينا .

ففى نهاية القرن السابع عشر وصلت من جنيف الى سـورية شخصية غير معـروفة لرجـل يدعى « روسو » . وهو اسم مشابه لاسم جان جاكروسو المعروف . وفيما بعد صار روسو هذا لامعا مشهورا وهناك فى سورية كان يحيا حياة افضـل مما كان يحياها فى وطنه . واستطاع تدريجيا ان يجمعبعض الثروة . وفى اثناء الثورة الفرنسية كان ابنه قنصلا ممثلا لحكومته فى حلب وبغداد . وكان حفيده قد نما فى الشرق بثقافته الفرنسية وفيما بعد صـار لبنانيا حقيقيا وسيطر تماما على اللغـة العربية والفارسية والتركية . واكتسب بطريقة مبـاشرة انطباعات عن تركيا وايران حيث كان يقوم بتنفيذ اوامر دبلوماسية وتجارية هامة خاصة بحكومتـه الفرنسية . واقتفى الحفيد خطوات ابيه كتـاجر رسمى ووكيل قنصلى لحكومته . واستطاع ان يفوق اباه فيما حصله من معارف وخبرات علمية عن تلك البلاد التى عاش فيها . فقد اقام فى حلب وقتا طويلا كانت فيه آنذاك ذات طابع خاص ومركز العش الثقافى ، فطورت فيه تذوقا للادب واهتماما بجمع المخطوطات . وتجمعت لديهبالتدريج مجموعة كبيرة من المخطوطات اختيرت بمهارة . وظهر فيما

بعد ان ديوان ازجال ابن قزمان كان من المخطوطات الفريدة في هذه المجموعة .

وكان النصف الثاني من حياة الحفيد بعيدا عن الهدوء والراحة . وقد قضاه هناك في طرابلس افريقية . وتغيرت ظروفه المادية في تلك الفترة لدرجة انه في عام ١٨١٥ فكر في بيع مجموعة مخطوطاته ليتخلص منها . فتوجه اول ماتوجه الى الحكومة الفرنسية بعرض عليها شراء المجموعة . لكن عجز الميزانية بعد حروب نابليون لم تمكن الحكومة من الموافقة على المبلغ الكبير الذي طلبه . وهنا جاء دور «سلفستر دي ساس» اكبر مستشرق مشهور في عصره . وكان يعي تماما قيمة هذه المجموعة فكلف تلاميذه الذين كانوا اساتذة زائرين في بطرسبورج بابلاغ امرها الى «اوفاروف» وزير المعارف العمومية الذي كان يعرفه شخصيا . وتم بيع المجموعة على دفعتين في عام ١٨١٩ وعام ١٨٢٥ . وخسرت فرنسا هذه المجموعة القيمة . اما بالنسبة لنا فقد لعبت هذه المجموعة دورا ضخما ووضعت اساسا عاليا للمتحف الآسيوى . وكان لها قوة جذابة تعادل قوة مجموعة النقود القديمة للمجمع العلمى . وكان لهاتين المجموعتين الفضل في اجتذاب « فرين » المشهور وهو في طريقه من « قزان » حيث عمل عشرة اعوام الى مدينة «روستوك» في وطنه لكى يشغل كرسى استاذه المتوفى . وبقى «فرين» في روسيا الى الابد . «وفرين» هذا هو اول خازن للمتحف الآسيوى ومؤسس استعرابنا العلمى والخبير بالمخطوطات والمحب الولهان بالعمل . وقد قام بعمل اول وصف لمواد هذه المجموعة الكبيرة . وكانت نتيجة هذا العمل انه اعد فهرسا لها . ومن هنا انقذت أزجال ابن قزمان ووجدت لنفسها مكانا لخزنها .

على ان ازجال ابن قزمان لم تاخذ طريقها الى دنيا الادب الا بعد اكثر من ستين عاما . ذلك ان «روزن» كان قد اختير في سنة ١٨٧٩ وكيلا للمجمع العلمى وكان له من العمر ثلاثون عاما . وفي اول اعماله وضع خطة لطبع فهرس علمى للمخطوطات العربية في المتحف الآسيوى . وبفضل هذا الفهرس سرعان مادخل الى دنيا الادب ثلاثمائة مخطوط اكثرها من مجموعة «روسو» ووجه «روزن» اهتماما خاصا نحو ديوان «ابن قزمان» فكتب وصفا مختصرا عن الشاعر يصور فيه الشكل الخاص لبعض ازجاله التى طبعت هنا لاول مرة باللغة العربية . وكان «روزن» يستجيب بحيوية لمختلف ظواهر الحياة الاستعرابية . فاراد ان يجذب الى هذا العمل اناسا آخرين . الا انه كان يعرف تماما ان احسن من يصلح لدراسة ابن قزمان في اوربا هو المستعرب الهولندى «دوزى» الخبير بالموضوعات الاسبانية . ولذلك اشار «روزن» في نهاية وصفه للمخطوط ، الى عالم من مدينة «ليدن» ملمحا بان هذا العالم هو افضل الجميع لدراسة هذا الاثر لابن قزمان . الا ان «دوزى» كان يشعر بان ايامه تميل نحو الغروب وقد مات حقيقة بعد عامين . وعلى هذا لم يقرر ان يربط نفسه بعمل جديد مجهد . ولم يجب على تحرش «روزن» الا بخطاب ضمنه بعض ملاحظاته عن ازجال ابن قزمان .

وبدات الحياة الادبية لمخطوط ابن قزمان بفضل الفهرس الذى اعده «روزن» . وفي العقد الثامن من القرن التاسع عشر قام هذا المخطوط برحلة خاصة الى غرناطة حيث درسه «سيمونيت» الاستاذ الجامعى الاسبانى . وقد قام بكتابة مقالة خاصة عرف فيها زملاءه بشعراء غرناطة . وكثيرا ماكان يستعين في اعماله العلمية عن تاريخ «الاسبان العرب » بتفصيلات عن مؤلفات ابن قزمان . ونظرا لان احدا لم ياخذ على عاتقه مهمة تحقيق ازجال ابن قزمان واخراج طبعة منقحة لها ، فقد ظل ديوانه سنينا طويلة لاتوجد له سوى هذه النسخة الوحيدة . الا ان احد تلاميذ «روزن» بايحاء من الاخير ، استطاع ان يجد طريقة سليمة يمكن ان يصل بها هذا المخطوط الى يد كل العلماء المهتمين به . ذلك ان البارون « داود جينتسبورج » لم يكن تلميذا «لروزن» فحسب بل وتلميذا للفرنسى «جيوبار» العالم بالعروض العربى . وكان جينتسبورج جامعا مشهورا للمخطوطات ومحبا للكتب وصاحب مصنع لتكرير السكر ومساهما راسماليا في عدة شركات ومع كل هذا استطاع ان يجد وقتا كافيا لدراسة اشعار العرب واليهود . وتحتوى اوراقه التى عرفت بعدموته على الدراسة النهائية تقريبا لعروض اشعار «ليرمانتوف» .

وتبعا لاهتماماته الواسعة باسبانيا العربية فقد قام في برلين وباموال الخاصة ، بنشر نسخة طبق الاصل تماما من مخطوط ابن قزمان . وبهذا اصبح المخطوط ميسورا لكل راغب في دراسته . واراد

جينتسبورج ان يكتب بنفسه بحثا كبيرا متخصصا، واعد لهذاالعمل خطة واسعةكما يبدو من عناوينها ومقدمتها . وعلى حد تعبير احد العلماء فان هذه الخطة يمكنها ان تكون برنامجا لكل الحياة البشرية. وبالطبع بقيت الخطة دون تنفيذ بسبب انشغاله الدائم باعمال اخرى جديدة . وعلى كل حال كان نشره لصورة المخطوط خطوة كبيرة الى الامام . ومنذ ذلك الحين لم يرحل مخطوطنا الى بلاد اجنبية . ومع ان نشر صورة المخطوط جعلته فى متناول كل العلماء ، الا ان هذه الصورة اصبحت فيما بعد من الكتب النادرة .

وابتدا ابن قزمان رويدا رويدا يقف حيا امام‌اهل وطنه البعيدين اعنى علماء اسبانيا . ومنذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر ابتدعوا يعلمون‌باصرار على ايجاد فجوة للتشكيك فى الاستعراب الاسبانى. وكان انعدام ثقة المستشرقين فى هذا الاستعراب نتيجة لما قام به « كوندى » . الا ان « دوزى » حاول اعادة هذه الثقة بهدم «كوندى» نفسه . واخيرا جاءت ابحاث كل من «كوديرا» و «ريبيرا» لتحمل المستشرقين على رفض المبدأ الذى كان سائدا بينهم : « لاتقرءوا بالاسبانية » . واستطاع «ريبيرا » فى اعماله ان يعيد بجراة بناء الأغانى المفككة لابن قزمان وان يعيد بناء كل المواقف التى خلقت فيها وبهذا القى الضوء على ارضية صورة شديدة التعقيد . ومع ان بعض العلماء تقبلوا هذه النتائج الحماسية بتشكك الا انها لم تحرم ايضا من وجود مهتمين بها . ولقد شاءت المقادير ان يكون الاهتمام الذى أولاه الغرب طيلة نصف قرن الى مناشط «ريبيرا» ، اكثر جدية بعد ذلك العمل الذى قام به عالم روسى تلميذ روزن الاصغر .

وبدا المتخصصون‌فى الدراسات‌الرومانية يفهمون ان ابن قزمان مهم لهم كما هو مهم للمستعربين وكان هناك تلميذ آخر لروزن هوبتروف وكان متخصصا مشهورا فى الدراسات الاسبانية فشغل فى آخر ايام حياته بمخطوط ابن قزمان لكن سرعان ماانطفأ هذا النور قبل اوانه .

أما الشكل العربى للديوان فهو بحروف عربية كتابتها رديئة وغير مضبوطة واحيانا ماكان يحول ذلك دون الدخول فى معرفة قوانين صوتيات‌الديوان وعروضه . أتصبح هذه الأزجال اوضح ياترى لو انها كتبت بحروف لاتينية ؟ . لقد قام فعلا بتنفيذ هذا العمل احد المتخصصين فى ناحيتين واعنى به «تشينج نيكل» الذى كان مدة طويلة استاذا للغة الرومانية فى جامعات أمريكاالشمالية . فهو مستعرب من ناحية ومتخصص فى الدراسات الرومانية من ناحيةاخرى . وكان ظهور ديوان ابن قزمان‌فى‌الصورة اللاتينية باعثا على استجابات حية فى اوربا وامريكا . واظهرت هذه الاستجابات أن محاولة «نيكل» ربما تعتبر سابقة لأوانها من وجهة النظر العلمية الجدية. ذلك ان تنفيذ هذه المحاولة اتسم بالسرعة لكنها على كل حال حققت غرضا بالغ الأهمية . وكانت طبعة «نيكل» هى المرحلة الثانية بعد جينسبورج فى خلق «ادوات العمل» على ازجال ابن قزمان .

وأخذت المؤلفات عن ابن قزمان تنمو دون ماتوقف وكان من الضرورى عمل مسح تلخيصى لها . وهناك فى المجلد التكميلى للطبعة العالمية « لدائرة المعارف الاسلامية» التى خرجت فى ثلاث لغات ، ظهرت المقالة الثانية عن ابن قزمان . وظهر ان مؤلفها هو «بيرفتربفيتش» رائد الاستشراق العلمى فى يوغوسلافيا الذى توحدت فى استعداداته مدرسة علمية جمعت بين ثقافة جامعات فينا والجزائر . اما المقالة الاولى ففى المجلد الاساسى لدائرةالمعارف الاسلامية وكاتبها هو علامة المانى عظيم .

وكان «دوزى» قد أرسل الى «روزن» ملاحظات فرنسية اولية عن مخطوط ابن قزمان وبعد ذلك بستين عاما ظهر بحث تحليلى دقيق عن بعض‌أزجال ابن قزمان لايقل عن سابقه فى قوته التعليمية . وكان قد كتب هذا البحث باللغة الفرنسية البليغة « اويفوتوبليو » المستعرب الفنلندى الموهوب والمتخصص فى الدراسات الرومانية .

وبالطبع فان البحث الاساسى عن الشاعرالقرطبى مازال فى المستقبل لكنه يقف الآن على ارض ثابتة بفضل العلماء الكثيرين من مختلف الاجيال .

وهناك فى احدى لوحات العرض بالمعرض الدائم لقسم المخطوطات بمعهد الاستشراق ، كان يوجد مخطوط متواضع بسيط بورق مائل الى الصفرة وجلد ردىء من الورق المقوى بألوان مختلفة الطفات بتأثير اشعة الشمس عليها . ويرجع هذا المخطوط فى اصله الى الشرق . وفى كل مرة كنت امر فيها امام المخطوط كنت اتوقف عن قرب منه وشعور خاص يسيطر على : « اهذا مخطوطنا الفريدالمشهور «ديوان ابن قزمان »؟ وبدا لى ان المخطوط يملك قوة جذابة للعلماء ، وكثير منهم تطلع باهتمام بل وسنوات عديدة فى هذه الأوراق الصفراء او فى

(البقية على الصفحة التالية)

أدب النقد

للأستاذ وديع فلسطين

اذا كانت لنقد الادب اصول وقواعد يختلف النقاد في شأنها ولا يجمعون على رأي فيها ، فان لأدب النقد اصولا وقواعد لا تخال المشتغلين بالنقد يختلفون عليها اختلافا ذا بال ، لانها تتعلق بالخلق في المقام الاول ، وتتصل بالسلوك اذ يتجلى في الكتابة النقدية .

واذا كانت مراعاة الآداب العامة وآداب المائدة من مقومات الشخصية الاجتماعية للفرد ، فان مراعاة آداب النقد هي بدورها من مقومات الشخصية الادبية للناقد الذي يعالن الناس برأيه في كل موضوع ، ويفتي في كل قضية ، كأنه المرجع الذي لا معقب بعده في كل مسألة من مسائل الادب والفكر والفن .

وقد باتت آداب النقد ضرورة في يومنا هذا بعد ما انطلقت اقلام النقاد تصيب المعاقل من القيم الخلقية كأنها معاول هدم نيط بها رجال غير مسئولين . والنقد مسئولية كبرى ، كما أن حمل القلم تبعة عظمى . ولهذا يتعين على الناقد ان يرعى اصول الادب في نقده ويرعى اصول الحق في كتابته لاعتبارات كثيرة ، منها ان الذين يغشون ميدان الادب هم في جلتهم اهل فكر ، وليس من الهين التأثير فيهم بكلام ينبو عن الذوق ويوغل في الفحش ويتدنى الى أسافل الدركات .. و يعيي رجال الفكر ان يفاضلوا بين كلام وكلام ، وان يستخلصوا حقائق القضية الأدبية سليمة بيضاء مهما اجتهد النقاد في تزييفها بالكلام المرذول والعبارة الفجة ، او تزيينها بالجم من عبارات الاطراء .

ومن هذه الاعتبارات كذلك ان العمل الادبي كيان مستقل بذاته ، يخرج الى الجمهور حاملا جميع فضائله ومثالبه . وما النقد الا محاولة التعقيب على هذا العمل ، وهو بدوره مستقل بذاته ، وان تكن مادته الرئيسية دائرة حول محور هذا العمل ، مستندة اليه . وفي وسع العمل الادبي ان يعيش ويعيش حتى وان خاصمه النقاد واعلنوا عليه حربا كحرب البسوس ، ما دام مستحقا للبقاء والخلود . كما ان هناك اعمالا ادبية اندرست على الرغم من مدائح النقاد ، لانها افتقرت الى خصائص الاجادة والتبريز . فعلى الناقد اذن ان يعرف حدوده فلا يتجاوزها ، فهو معلق على الكتاب معقب عليه عارض لفصوله ، ولا مزيد . فان انصف في كلامه ، فقد ينتفع به المؤلف في طبعاته التاليات . اما اذا كان التجني رائده ، فسيبقى الكتاب على حاله ، حفيظا على استقلاله ، حاملا فضائله ومثالبه ما بقيت منه نسخ متداولة او في المنال .

ان المنفلوطي الشامخ من نصف قرن لا يزال شامخا بعد هذا الزمان المديد، على الرغم من حملات النقاد عليه وفي طليعتهم طه حسين في مقالاته «نظرات في النظرات» وابراهيم عبد القادر المازني . وان شوقي العظيم بالامس هو شوقي العظيم اليوم ، لم تنل من منزلته اقوال النقاد ، وهم كثر . وان عبدالرحمن شكري هو عبدالرحمن شكري مهما تنازع النقدة بشأنه . وان سلامة موسى المفكر الرائد هو سلامة موسى المفكر الرائد حتى يومنا هذا ، وما اكثر ما تعرض له من مطاعن ومآخذ . وبقي ابرهيم ناجي ومحمود ابو الوفا في سدة

(مخطوط وحيد « بقية »)

احدى صورها . ومن هؤلاء العلماء : الروسي ، والهولندي ، والانجليزي ، والفرنسي ، والاسباني والالماني . وكان كل من اليهودي و «تشينغ» يحاول فك رموز سطوره الملغزة باصرار لايقل عن اصرار الصربي او الفنلندي .

وهكذا اجتمع علم مختلف الشعوب على هدف واحد . مأمتع رنين تلك الكلمات الاخيرة لعالم فنلندي عن دراسته لابن قزمان وهي كلمات املاها وهو على السرير مريضا في آخر ايام حياته ! « ايها العمل السلمي بين الشعوب ، لعلك تستطيع ان تستمر وتتصل غير عابىء بكل مايهددك اليوم من دمار » . « ان للمخطوطات اقدارها » . وفي قوتها السحرية توحدت ارادة العلماء ، وربما يمكن في المستقبل ان يقذف نهائيا بارواح الظلام الشريرة التي ترمي الى التفرقة بين البشر .

ترجمة عن الروسية

محمد منير مرسي

الشعر على الرغم من « أحاديث الاربعاء » . وظل أحمد زكي ابو شادي في عليائه لا تنال منه السهام .

وقد رجع بعض اولئك النقاد عن آرائهم عندما استبانت لهم جنايتهم ، فكتب المازني في اخريات ايامه مستغفرا عن آثامه في حق كل من المنفلوطي وشكري ، ورد حملته الجائرة الى رغبته في الظهور . وطوى طه حسين مقالاته في المنفلوطي اعلانا لبرئه منها ، وكفرا بالاعتبارات السياسية التي ورطته في هذه المقالات في مطالع حياته الادبية .

ومن الاعتبارات التي تقضي بمراعاة ادب النقد حرص الناقد نفسه على سمعته ومنزلته . فلا مشاحة في ان مكانة الناقد تتأكد في المجتمع الادبي اذا ما عرف عنه الانصاف في الحكم والعفة في اللسان والاستقلال في الراي والانتصار للحقيقة الادبية والرهافة في الحس والذوق . فاذا انحرف عن هذه الاصول ، ومال الى الاسفاف والهوى ، والى التجني والتعالم ، واتخذ الترهيب مذهبا ومبدا ، انحطت منزلته في الجماعة الادبية ، واسقط رايه من كل حساب ، وامامنا ونحن نكتب هذه السطور كتاب في النقد جاء فيه على لسان صاحبه على صفحة ١٣٣ منه عبارة عن سيدة من كاتبات الاقاصيص لا تسميها وان كان الناقد عين اسمها ، قال : « لو قرا بعض الكتاب والنقاد هذه الهوامش المتواضعة .. لكانت السيدة ... سترت بورقة من التين او النايلون الشفاف شيئا لا اسميه يطيب لها الكشف عنه والاكثار من ترديد ذكره والاشارة اليه » . وهذا كلام لا نخاله يبعث على احترام كاتبه لانه في معرض نقده للادب توسل باسلوب يفتقر الى الادب فجاء كلامه مجافيا لكل ذوق ممجوجا من الادباء والنقاد والقراء على حد سواء .

وثمة اعتبار آخر يقضي بمراعاة ادب النقد عند نقد الادب ، وهو ان حملة الاقلام جميعا ، ادباء ونقادا ، ينتمون الى اسرة واحدة جامعة هي اسرة الضاد الشريفة . ولئن شجرت بينهم المنازعات الادبية واحتدمت المعارك القلمية ، فهم من قبل ومن بعد افراد اسرة واحدة رائدها هدف واحد هو اعلاء شان الفكر وتأصيل قيم الادب . وليس مما يعزز دعائم هذه الجامعة الضادية الكبرى ان يتنابذ افرادها ويتهاجوا وان يكون كبيرها محسودا من صغيرها ، وصغيرها محتقرا من كبيرها . فعلى الكبار واجب التشجيع والارشاد في حنان وحب ، وعلى الصغار واجب الانتصاح والتروي . فلن يكبر المرء الا اذا تعلم ممن هم اكبر منه ، وحماقة كبرى ان يقول زيد من الناس انه ينتمي الى « جيل بلا اساتذة » ، فهذا منتهى الغرور وقمة الجهل .

ان احمد امين ، على نباهة ذكره ، لم يخجله ان يعترف في سنه المتقدمة بانه مدين باكبر الفضل في حياته للسيدة التي علمته اللغة الانكليزية . ومثل هذا الاعتراف لم ينقص قيمة احمد امين في نظرنا ، بل زاد على افضاله فضلا جديدا ، هو فضل الوفاء .

وادب النقد هو ان يحافظ الناقد على شرف الكلمة ، وان يكون امينا مع الحقيقة ومع نفسه ، وان يكون مشتعلا غيرة على القيم الادبية الاصيلة ، وان يكون كيسا في عباراته لبقا في ما يسوقه من كلام ، وان يحرص على اقدار الناس ولا سيما الذين ينقدهم فلا ينالهم بمساءة في استطراداته النقدية ، وان يدرك ان النقد مسئولية وليس عملا هينا يؤدى بجهد هين ، وان يكون باعثه على النقد الرغبة في مساعدة المنقود على اجتناب الخطا وتدارك السهو ، وان يكون دارسا لموضوعه فاهما لتفاصيله حتى لا يرمى بالجهل او فساد الذمة ، وان يكون حتى في اشد المواقف عنفا ، قادرا على ان يضبط اعصابه وان يعرب عن رايه بكلام هادىء موزون يقنع ويدعو الى الاحترام في آن . فالناقد الامين لا يتعالى ولا يتعالم ولا يتعملق ولا يفرض في نفسه استاذية على الجميع ، ولا يدعي عبقرية ولا عصمة . ثم انه حين يقرب عملا ادبيا ، لا يقربه بنية سيئة ، بل يطالعه بنية حسنة محاولا ان يستكشف اسباب الجمال او الابداع او التجديد الخافية فيه . فمن مهام الناقد ان يظهر المحاسن وان يبين المساوىء ولا يتعسف في احكامه ابتداء ، بل يجتهد في احتمال شيء من العناء الذي احتمله المؤلف في تصنيف كتابه ليكون متعاطفا مع العمل الادبي متجاوبا معه مقدرا الصعوبات التي اكتنفت تأليفه .

هذه هي الروح الخلقية التي ينبغي ان تؤثر عن الناقد حين يتصدى للآثار الادبية . وبغير هذه الآداب لا يستقيم نقد ولا ينهض ادب .

وديع فلسطين

الفن فى مجتمع العراق العشائرى

للدكتور مصطفى محمد حسنين

١ ــ الغناء :

حداء الخيل ــ ومن قبلها الابل ــ فى البادية غناء مطرب ، يتجه به البدوي ، لا الى مطيته يستحثها بها وحدها ، بل يتجه أيضا به الى قلبه ، يدخل به الراحة اليه . وقد عد بعض مؤرخى الادب الحداء ــ وهو لون من الوان الغناء لا ريب فيه ــ أول بناء ركب فى هيكل الشعر العربى ، فكانت الصحراء اذن بطبيعة حياتها ملهمة اللحن والنغم لرجل العشيرة فى العراق وغير العراق . وحتى بعد ان يستقر رجل العشيرة يظل يشجيه اللحن الجميل ويستجيب له ، بل انه يسعى اليه ويفتقده ان غاب عن مجلسه . ولازال فى الريف العراقى ــ حتى اليوم ــ من يعكف على « مسحاته » لا يرفع حفنة من التراب الا ويرتفع معها نغمة من نغمات اغانيه وشجوه ، وانك لتراهم مولعين ايضا بالغناء سواء اكان ذلك وقت اجتماعهم بالمضيف او فى اوقات راحتهم او مسيرهم ، واكثر هذه الاغانى غزلية . وهم يلجئون ــ حتى النساء ــ الى الغناء فى أوقات السرور وفى مناسبات الظفر والاعياد ، ولا باس هناك من ان تغنى الفتيات مجتمعات او فرادى فى بيت احداهن ، واذا ما اشتبكت قبيلة مع قبيلة اخرى او تسابقت معها فى سباق الخيل فحازت قصب السبق وبلغ نبا هذا الظفر مسامع نساء القبيلة ، اطلقن زغاريدهن ، ورددن اهازيج شعبية ابتهاجا بفوز رجالهن .

بيد ان صوت العشائرى فى العراق اذا ماغنى لفه حزن عميق ملازم حتى كاد يكون اللحن الذى يسم اغانيهم عويلا طويلا . ومعانى شعره نعى لأراض فارقها ، وذكرى لقوم عاشرهم وودعهم . ولعل كثرة ظعن البدوى وما يترتب عليه من فراقه ووداعه لمن يحبهم كان له اثر فى طبع اغانيهم ، حتى المرح الراقص منها ، بالآهات والحسرات والدموع . وما اشد شبه اغانيهم باغانى الملاحين الذين لا يعرفون اى ميناء ستدفعهم اليه الريح العاصفة وربما كان لطبيعة الحياة فى الصحراء القفرة مايملأ نفس البدوى دائما بالوحشة . وحتى بعد ان يستقر ويستكين ، فان البيئة الاجتماعية تفرض قيودها العرفية الغليظة على سلوكه وعواطفه ، فهو مغلوب على امره فى التعبير عن نزعاته واحلامه وتمنياته . فليس ثم اذن من سبيل ينفس به عما يثقل كاهله الا ذلك العويل الذى ينطلق عبر اغانيه ويلف الحانه . ويعلل الدكتور على الوردى ــ استاذ الاجتماع بجامعة بغداد ــ بكاء العراقى اذا غنى ، واعتداءه وشتمه للغير اذا اغضب بانه ــ اى العراقى ــ يكون خاضعا (مازوكيا) عند مواجهة من هو اقوى منه ، بينما هو غضوب (سادى) اذا واجه ضعيفا ، وعلل ذلك بان قيم البداوة والزراعة قد ازدوجتا فى العراق منذ اقدم العصور ، ولا تزال تصطرع فى انفس العراقيين حتى اليوم .

وهم يغنون كل الوان الشعر التى أسلفناها ، ولكل نوع منها نغمات خاصة فى الغناء به لايجوزان يقرأ غيرها به ، فلا يجوز ان تقرأ الأبوذية بطريقة الموال ، ولا الموال بطريقة النايل ، وهلم جرا .

ومن انواع الشعر الذى يتغنى به رجل العشيرة نوع يعرف باسم (البسته) . والبستات ــ فى الواقع ــ ما هى الا امثال عامية شائعة فى قالب شعرى عامى غنائى ، وابرز ما يبرز فيه من الوان الشعر العامى اذا تغنوا به من الم وتوجع هو الأبوذية ، وفى هذا يقول الدكتور زكى مبارك : « فهذا الفن من الغناء فى اغلب احواله غناء حزين ولكنهم مع ذلك يصطنعونه فى الأفراح . والحجاز بين الفرح والحزن حجاز دقيق عند من يعرف ان العراقى حين يطرب قد تجود عيناه بالدمع السخين » .

وهم يلجئون الى الغناء فى طربهم وحزنهم كما قلت ، فى أهازيج حروبهم ــ تلك التى سموها الهوسات ــ والتى هى ترديد منغم فيه عنف لعبارة موجزة مثيرة ، تعد شعارا يهتفون به . كما انهم يلجئون ايضا الى الغناء فى حلقات ذكرهم وعلى الأخص فى حلقات مراثى الامام الحسين ، والمة اهل البيت ، وهم يتفننون فى تغليب اللحن الحزين ، المؤثر ، المثير للشجن والذكرى الاليمة لمقتل سبط الرسول . ولسكان الأهوار فى جنوب العراق ميل كبير الى الطرب ، ويتمتع ذو الصوت الجميل منهم بشهرة واسعة . وهم ميالون الى اختراع الاغانى الجديدة ويطلقون عليها كلمة بسته ، ويغنونها فى اوقات قطع القصب او عندما يجتمعون حول المواقد فى الليل ، واعتاد سكان هذه المناطق ان يجتمعوا عند المساء فى بيت رئيسهم او عند احد وجهائهم ليشربوا القهوة او الشاى فى محل يسمونه مضيف او (ربعة) ،

وهي الشائعة في هذه المناطق . وكثيرا مايحبون حلقات الغناء في لياليهم ويستعملون طبلا صغيرا مصنوعا من الخزف على شكل المزهرية مغطى من طرفه الواسع بجلد ناعم الملمس ، ويكون هذا الطبل مفتوحا من طرفه الاخر ، وهو ما يطلقون عليه « دنبكه » في بغداد .

والآت الطرب التي يستعملها المستوطنون في اطرابهم نوع من الشبابة وهي من فروع المزمار وتسمى « المطبق » لانها مؤلفة من قصبتين متقوبتين مطبقة احداهما الى الاخرى ، وتقلب القاف في اللغة العراقية جيما ، فيقولون : « مطبج » وهو رخيم الصوت . ومن المستوطنين من العشائر أيضا من يستعمل الشبابة وهي قصبة مفردة مثقبة من نوع الصفيرة ، اي ينفخ فيها جانبيا لا باستقامة ، و « الدنبك » وهو الطبل الصغير للايقاع ويستعمل عند اكثر المستوطنين وخصوصا في رقص الغلمان والنساء الراقصات باللون المعروف عند العامة العراقيين بالجنيارات ، ويسميه الجاحظ « الصفاقة » أما الرحل فيستعملون « الرباب » ويسمونها الربابة وهي تشبه الكمنجة الا أن أوتارها الرقيقة من شعر الذيل وهي رقيقة الالحان ، وصندوقها يتخذ من جلد الحيوان لا من الخشب كما هو حال العود والكمنجة .

٢ ـ الرقص :

الرقص كمهنة عمل حقير يسقط الذي يمارسه في حيز الجماعة العشائرية فهم لايتخذونه مهنة ابدا ، ولكنه المهنة الوحيدة لجماعة يعرفون عندهم باسم « الكاولية » او « النور » ، وهم ليسوا من العرب ، ويسكنون اصلا بجوار خانقين . وهم يتنقلون بين منازل العرب ، وبين القرى والارياف . ومن عشيرة الصلبة ـ وهي عشيرة بدوية مجهولة النسب ـ افراد يقيمون حفلات الرقص والغناء ، ويستعملون المطبج والربابة . الا ان رجال العشائر ـ مع هذا ـ لهم رقصاتهم ايضا كوسيلة للتعبير عن انفعال معين . واشهر الرقصات المعروفة عند عشائر العراق ـ بدوية ومستقرة ـ هي الرقصة الحربية المعروفة باسم « الهوسة » . والهوسات اهازيج ـ تقدم الحديث عنها ـ ترددها جماعة كبيرة من العشيرة ، واحيانا العشيرة كلها وهم يقفزون قفزات فيها انتظام ، شاهرين في أيديهم سلاحهم . والرجال وحدهم هم الذين يرقصون هذه الرقصة . اما الفتيات فلهن ايضا رقصات اخرى مختلفة ، فهن يرقصن في البادية في الاعياد في الخيام وقد اسدلن شعورهن . كما يشارك الفتيان في ريف العراق الرقص بمتابعة نغمات الموسيقى ، بدق الاصبعين وضرب الارض بكعوب الارجل اليمنى عادة ، وهم يرقصون بصورة منفردة او ثنائية او ثلاثية ، وقد يتخذ كل فتى طريقته الخاصة في الرقص ، ولكن حركاتهم العامة تكون موحدة ومثيرة ، وقلما تكون خارج حدود الادب واللياقة . واكثر الشباب والاولاد ـ وبعضهم من صغار الاطفال يستطيع الرقص ، واكثر الفتيان رجوله امهرهم رقصا عاده . لكن الواحد منهم يابى ان يسمى « بالراكوص » ، لأن هذه الكلمة لا تطلق عادة الا على المحترفين ، في حين أن كلمة «رقص» لا تنطوي على اهانة او تحقير .

ورقصة الجوبي منتشرة في الفرات ، وفيها يميل كل راقص على من يجاوره اثناء النقر ، تارة الى اليمين ، وتارة الى اليسار ، ويتحكم في توجيه هذه الحركات رئيس الحلقة ، يقف في وسط الحلقة مزمر وبيده « المطبج » ، يزمر به ، وقد يرأس حلقة «الجوبي» غلام جميل طويل الشعر ، وعلى راسه قلنسوة ملونة ، ويكون رئيسا للعبة . واذا وقع الراقص على احدالحضور وجب عليه أن يقوملرقص بدلا منه حتى وان لم يكن يجيد ذلك ، فان رفض دل ذلك على تحقيره للراقص ، وقد تترتب على هذا أمور غير محمودة العواقب . وهناك رقصة معروفة باسم «الدحة» يرقصونها مع حفلات «الختان» خاصة وان كانوا يرقصونها أيضا في حفلات الزواج وفي أيام الربيع وأوقات الراحة . وهي رقصة لها أصولها التي تقوم بها بنات القبيلة ، فتتقدم الواحدة تلو الاخرى وتلعب دورها بأن تمسك سيفا عادة ، والمتفرجون على الجانبين ، ويقال لهذه اللاعبة «الحاشي» وتوصف بأوصاف جميلة ، فتقوم ، ثم يستمر الرقص في هدوء بان يجتمع القوم في حلقة وتكون هي في الوسط، ويقوم رجل يسمى «كصاد» بالقاء ابيات من الشعر ، وكذلك امراة تشاركه القصيد في تطريب تسمى «دحاحة» وقبل أن تشرع اللاعبة في اللعب ، أو تعرف ان كانت هي التي سترقص يقال لها بغرض التشويق ما نصه :

يانعما لك بالطيب .. ان جبت الحاشي تكوده..

الدكتور مصطفى محمد حسنين

يا ريف ...

للشاعر: محمد مصطفى المليجي

يا ريف ماؤك قد جرى يتدفق
ورأيت روحى صنو روحك تعشق
وأحب شمسك فى حقولك تشرق

وأحب دوحك فوق أرضك يورق
وأحب ماءك سائلا يترقرق
وأحب زهرك فى رياضك يعبق
وتود روحى من عبيرك تنشق

***

يا ريف جئت وفى صميمى أن أراك
فى الليلة القمراء جئت لكى أنام على ثراك
ويهزنى الصياد يشدو للمياه وللشباك

واحس أنى طائر غنى وحلق فى سماك
وأرى جلال الله فيك وفى بهاك
ان الطبيعة قد حبتك ولم تشأ أبدا سواك

***

يا ريف فى نغم السواقى كل أنغام الحياه
نغم من الغيب البعيد وليس من صنع الشفاه

سكتت له الدنيا لتسمعه ولم تدرك مداه
أنشودة حيرى تغنيها السواقى للمياه
كل يترجمها كما يهوى ليكشف عن هواه

***

يا ريف والغيد العذارى فى الصباح
يكشفن عن ثوب تداعبه الرياح
سمراء أو قمراء جملها الوشاح

وخدودهن كأنها سقيت براح
وثغورهن كأنها نور الاقاح
أصواتهن كأنها نغم القداح
خلخالهن شدا بأسرار وباح

محمد مصطفى المليجى

خواطر لاجئة

للشاعر: محمد السيد الشريف

الريح يا خيمتي ، لن تطفيء الآملا ... والليل لن يطمس الاحداق والمقلا
لتنشب الريح فيك الظفر قاسية ... كالناس في عالم كم عاث كم قتلا
ليطفيء الليل مشكاتي بزفرته ... ما عدت أفزع مهما ثار أو نزلا
ما عدت يا خيمتي أخشى عواصفه ... أو رعده الصعب مهما زلزل الجبلا
أنا وأنت تحدينا ضراوته ... فلم ينل مأربا منا ولا أملا
في قلبي الحانق الموتور عاصفة ... بلون مأساتنا اعصارها اشتعلا
يجتاح بالنار شرياني فما هدأت ... أحقاد شعبي الذي لم يلق من عدلا
من قبل « بلفور » مأساتي مدبرة ... من يوم «حطين» .. قلب الحاقد اشتملا
منذ استدارت خيول الغزو مدبرة ... تحكي بسالة أجدادي لمن جهلا
في ظهرها من رماحي قصة سجدت ... لها البطولة ، قادت للعلا بطلا
حروفها ومضة الايمان ما برحت ... تضيء أفقي ، فيهفو للسنا جذلا

***

ضج الصليب الذي من تحته صرخت ... مطامعهم يومها ، أغضى هنا خجلا
ما أنصفوه ولعنات المسيح صدى ... يلاحق الركب أني حل أو رحلا
دين المسيح براء من مطامعكم ... وروحه السمح من أوزارها اغتسلا
لستم نصارى ، وما كنتم قساوسة ... حين اقتحمتم حمى من طهرنا نهلا
من يوم « حطين » مأساتي يدبرها ... يا خيمة الحزن حقد فاض ما اندملا
تجرى الصليبية النكراء ثورته ... بين الدماء ، وتسقى شره الثملا

***

فليمسكوا اليوم عن شعبي معونتهم ... هل أبصروا لاجئا من شعبنا سألا
هناك حقل على حصباته سطرت ... أنامل الجد من أمجادنا مثلا
هناك حنطتنا المنهوبة احترقت ... فيها الحياة ، وجفت سوقها وجلا
هناك ليموني أزهارها امتزجت ... فيها دمانا بدمع ساخن هطلا
واضيعة الحق ، كيف استنزفوا بلدي ... وغربوا شعبنا ، كم ذاق ، واحتملا
وأخرسوا العدل في أعماق كوكبنا ... هل جن هذا الورى يا أرض هل ذهلا
أيطلقون جرادا بين مزرعتي ... مدرب الساق ، كم أودى ، وكم أكلا
ويوثقونك يا زندي فما انطلقت ... ارادتي يومها تودى بمن قتلا
يا منطق العالم المعوج ما سكنت ... في الارض ريحي، ولم تعرف يدي كللا
« حطين » لاحت على أفقي بيارقها ... مشبوبة النار ، لن تخشى غدا كتلا
أكاد أبصر رغم الليل فارسها ... يستأصل الشر من أرض الهدى بطلا
أكاد أبصر في ساقيه عودتنا ... تسابق الريح تطوى السهل والجبلا
أكاد ألمح بيت المقدس انحسرت ... عنه المهانة يوم النصر واغتسلا

محمد السيد شريف

اللمحات الانسانية فى شعر أحمد محرم

للأستاذ فوزى عبد القادر الميلادى

مهما تنوعت فنون الشعر واغراضه فسيظل الشعر الانساني اخلدها واقربها الى نفس الشاعر ونفوس قرائه وسامعيه على السواء .

ذلك أن الشاعر حينما يهجو أو يمدح يشكو او يفخر يصف او يتغزل فانما يعبر عن ذاته وعن نفسه البشرية بما تنطوى عليه من نوازع الطموح والرغبة فى الاستئثار بالمتعة الحسية أو المعنوية أو التزلف او التشفى .. الخ ولكنه حينما ينطلق على سجيته ينشد شعرا انسانيا خالصا فانه يسمو بنفسه وبشعره الى مدارج رفيعة من الصفاء والروحانية وهذه هى قمة النجاح فى كل عمل فنى .

غير اننى ابادر فاقول ان الاغراض الانسانية كثيرا ما تمتزج باغراض أخرى من الشعر فيخرج من الاثنين معا شعر عذب رقيق تكسوه المسحة الانسانية ويعبر فى الوقت نفسه عن وجدان الشاعر وانفعالاته .

والشعر الانسانى سواء كان انسانيا خالصا أو امتزج بغرض أو أكثر من أغراض الشعر الأخرى فانه لا بد لوجوده من نفس شفافة مرهفة الحس تهتز للبسمة والدمعة على السواء وتلمح فى يسر ودون عناء مواطن الأمل والألم فى الركب الانسانى ولا بد لوجوده من شاعر أصيل يملك ناصية الخيال والبيان معا فيضفى من وجدانه على الصورة الانسانية لمسة الفن السحرية التى تجعلها لوحة ناطقة بارعة تهتز لها القلوب وتطرب لها الاسماع ويطوع الالفاظ فتغدو فى يديه كالنسيج المتنوع الأشكال والألوان ينتقى منه لقصيدته ما يشاء .

ولا بد قبل كل ذلك وبعده من مواقف انسانية تهز ضمير الشاعر ووجدانه قد تكون فاجعة تنزل به أو بقومه وقد تكون بطولة نادرة أو تضحية جسيمة وقد تكون ظلما أو عطفا بالغين وأخيرا وليس آخرا قد تكون جمالا نادرا فى الطبيعة او البشر يأخذ بمجامع القلوب .

والشاعر أحمد محرم من الشعراء الذين رزقوا الحس المرهف والقدرة على الخيال والتعبير ولم تخل حياته وحياة أمته فى عصره من مواقف تهز الوجدان فلا غرو أن جاء بعض شعره زاخرا باللمحات الانسانية معبرا عن صدى هذه المواقف فى نفسه ونفس أبناء جيله .

ومن أهم الاحداث التى اهتز لها ضمير الانسانية فى عصر محرم الحرب الوحشية فى طرابلس وما ارتكبه الايطاليون خلالها من فظائع تفوق حد التصور فسجل الشاعر انطباعاته عن تلك الحرب وتأثره لما نزل بأهل البلد المدافعين عن وطنهم من ويلات فى عدد من القصائد وردت فى الجزء الثانى من ديوانه وقد زاد من لوعة العالم العربى والاسلامى ومن لوعة الشاعر أن جاءت أخبار الفظائع والتنكيل وعيد الاضحى على الابواب :

ويصف الشاعر الحالة النفسية للاهالى العزل المغلوبين على أمرهم بقوله :

ببيت يخفق من خوف ومن حذر
حران يرقب ما يأتى به القدر
ربع الحطيم قامسى وهو منتفض
واقلقت يثرب الاحزان والذكر

ويتساءل الشاعر بعد ذلك ماذا يكون حال الحجيج بل وماذا يكون حال البيت العتيق عندما تأتى أنباء ما أصاب المسلمين فى طرابلس من كوارث وقت تأدية مناسك الحج فيقول فى أبيات باكية :

ويح الحجيج اذا حانت مناسكهم
ماذا يرى طائف منهم ومعتمر
ايطرب البيت أم تبكى جوانبه
حزنا ويعول فيه الركن والحجر

وينظر شاعرنا الى حال مصر وما يكابده أهلها من بؤس ومذلة فى ظل الاستعمار والاقطاع فيخلو الى نفسه فى ظلام الليل ليسجل وهو يبكى مشاعره فى قصيدة بعنوان اغيثوا مصر يقول فيها :

تردد فى الدجى نفس لهيف
تعلق بالمدامع يمتريها
فقضت له الكرى عن ذات قرح
أكاتمها الغليل واتقيها
وقمت أجر أوصالا ثقالا
تعانى الموت مما يعتريها
تصبت السمع ثم بعثت طرفى
وراء الباب اعترف الوجوها
رأيت الهول ينبعث ارتجالا
فتنصدع القلوب له بديها

ويصف فى ذات القصيدة حالة البؤس التى تعيش فيها الطبقة الكادحة فى عصره فيقول :

رأيت البؤس يركض فى جلود
يجانبها النعيم ويحتميها

رأيت غيوب ساغبه تلوى
كأمثال الاراقم ملء فيها
تريد طعامها والبيت مقو
فتوشك أن تميل على بنيها

ويموت محمد فريد فى غربته فيبكيه الشاعر ما شاء له البكاء ثم يقف ليتساءل مع كثيرين من أبناء عصره هل كتب على فريد الغربة فى حياته ومماته ؟

ويخرج من بين صفوف الشعب من الزقازيق تاجر اسمه الحاج خليل عفيفى ليجيب على هذا السؤال ويسافر الى برلين ليأتى بجثمان محمد فريد على نفقته الخاصة ويخاطب هذا التاجر باسم الملايين التى حملت له مأثرته فيقول :

وقضيت فى برلين حق شهيدها
فقضيت حق (الله والمختار)
سد القضاء عليه اقطار الدنى
ففتحت عنه مغالق الاقطار
ونهضت عن شعب (الكنانة) كله
بالامر فردا غير ذى أنصار
نصرتك همة ماجد لولا التقى
لظننتها قدرا من الاقدار
ويح التى آكل النسور وليدها
ومضت محلقة بكل مطار
قذفت به دار الجهاد الى التى
ما بعدها لمجاهد من دار
قل للخليل صدقت قومك عهدهم
ورعيت مصر رعاية الابرار
وشفيت وجد (شهيدها) وحبوته
فيها بدار اقامة وقرار
شغفت به واهتاج من برحائه
شوق اليها فى الجوانح وار
فطويت مايشكو المشوق من النوى
وجمعت بين الصب والمزدار
رحم الله الشاعر احمد محرم

فوزى عبد القادر الميلادى

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

الثقافة الاسلامية بين السطحية والاسفاف ..!

اذا أردنا أن نوجه الحديث الى ما فى بعض التراث الاسلامى من سطحية واسفاف ، وهو مما لاتنطبق عليه لفظة ثقافة بمفهومها ، فان المقام ليضيق بشا على صفحات الرسالة فى مقال : لان الموضوع فى حاجة الى كتب تؤلف ، ومجامع بحوث تأخذ على عاتقها مهمة تنقية التراث الاسلامى الاصيل مما طغى عليه من زيف نسب اليه ظلما ، وهى مهمة شاقة مضنية تحتاج الى تعاون علماء أكفاء : ذوى ثقافة ناضجة ، وآفاق واسعة ، وغيرة قوية ، واخلاص عميق .

ووجه الخطورة فى القضية يتمثل فى أن الزيف الذى اختلط بالتراث الاسلامى ، لم يزل يحتل الى اليوم لدى السذج وانصاف المتعلمين «منهم» فى كثير من البلاد الاسلامية ، مكان القداسة النافذة الى القلوب ، والعقيدة الراسخة فى الصدور ، فايمان هؤلاء به ايمان لا يداخله أدنى ريب ، وتعصبهم له لا يعتوره ضعف ، ودفاعهم عنه يهون حياله التضحية بكل شىء .

ويتمثل وجه الخطورة مرة أخرى ، فى أن كثيرا من المستشرقين يحرصون على أن يضعوا أصابعهم على ذلك الزيف المحسوب على التراث الاسلامى ، ينافسهم فى هذا كثير من المبشرين الذين يدفع بهم الاستعمار الى أرجاء البلاد الاسلامية فى آسيا وافريقيا وهؤلاء واولئك يجدون مادة خصبة تسهل لهم مهمة النيل من الاسلام ، والطعن على مفاهيمه ، والتحرش بمبادئه وعقائده .

هذا الجانب من الموضوع سنرجئه الى مقال آخر ، وانما اضطررت الى هذه الخاطرة ، لأن الاستاذ ابراهيم الابيارى فى مقاله على صفحات الرسالة عن تراثنا ، عنى فقط بالعمل على الحيلولة دون الاسراف فى طبع التراث ، دون ما تخلص من التكرار الذى استوعبه تراثنا ، ولم يعن بما هو اهم وأجدر بالعناية ، وهو تنقية تراثنا اولا وقبل كل شىء مما لحقه من زيف ، ونسب اليه من خلط وحشو .

بقى موضوع الثقافة الاسلامية المعاصرة ، والتى اقصدها فى هذه الخواطر ، فان أكثر المتصدين لحركة التاليف فى هذا المجال يسرفون اسرافا خطيرا فى الكتابة ، ويقترون على انفسهم تقتيرا مخيفا فى القراءة ، حتى انهم ليسجلون باقلامهم اضعاف ما تستوعبه عقولهم من القراءة والبحث ..

والتسابق على رفع ارقام مؤلفاتهم فى كل اسابيع معدودة ، يفرض عليهم الا يتخصصوا فى جانب من الفكر الاسلامى له اهميته ، واذا اظهروا فى عناوين مؤلفاتهم هذا التخصص فهم يفلتون منه داخلها ، وقد تبلغ بهم الجراة فيقطعون اية صلة بين موضوع الكتاب وعنوانه .

لقد قرات اخيرا كتابا تبلغ صفحاته بضع مئات يعلن عنوانه عن الايمان كموضوع للكتاب ، واذا بى اقرا خليطا من الافكار والخواطر والاحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية ، والمخترعات الحديثة ، وجاجارين ، والكلبة لايكا ، والكنفو والسد العالى ، والسينما والمسرح ، والاغانى الرخيصة ، والقصص الماجنة ، ثم التوسل وكرامات الاولياء ، والطلاق وتحديد النسل وتعدد الزوجات ، وحقوق المراة السياسية ..

وقرات ايضا كتابا متوسطا عن مستقبل الاسلام فاذا بداخله كل شىء عن الاسلام الا مستقبله ، فقد حدثنا عن مطلع الدعوة الاسلامية والهجرة والغزوات والسرايا ، وجهاد الصحابة وتضحياتهم وفدائيتهم .. وبحثت عن خيط واحد داخل الكتاب يشدنى الى مستقبل الاسلام فلم اعثر له على اثر .

وقرات ثالثا كتابين صدرا لمؤلف ليس ناشئا على الاقل ، احدهما عن اشتراكية محمد ، والآخر عن اشتراكية ابى بكر . وكلاهما فى أكثر من ثلثمائة صفحة ، ويظهر انهما بداية سلسلة ستصدر على التوالى ، لأن المؤلف أعلن عن كتب تحت الطبع ، عن اشتراكية عمر ، واشتراكية عثمان ، واشتراكية على ، واشتراكية غيرهم من اصحاب رسول الله والتابعين وتابع التابعين .. وعنوانا الكتابين يفهم منهما ان كلا من الرسول وابى بكر صاحب مذهب جديد فى الاشتراكية ، ولم يمر بذهن المؤلف — بالطبع — ان محمدا — صلوات الله عليه — مبلغ عن الاسلام ، وان ابا بكر رضى الله عنه تابع الرسول ، واشتراكيتهما التى قصدها مستمدة من روح الاسلام ، اذن فلم تنسب الاشتراكية اليهما ؟ وهما لم يبتدعا مذهبا جديدا فى الاشتراكية ؟

كان اجدر به ان يعنون كتابه الاول بنزعة الرسول الاشتراكية ، وكتابه الآخر بنزعة ابى بكر الاشتراكية ، وحينئذ يحتم عليه ان يعرض لنا صورا من اعمال الرسول وابى بكر الاشتراكية ، وهما فى هذا الوضع يبدوان مطبقين لا مبتدعين ..

والعجيب ان كتاب المؤلف عن اشتراكية ابى بكر، استنفد اكثر من ثلاثة أرباع صفحاته فى موضوعات لا تمت الى لفظة الاشتراكية او مفهومها بصلة ،

وظهر كتاب أيضا لكاتب من كتاب الفكر الاسلامى ، له تقديره ومكانته ، ولرحب الصحف الاسلامية والادبية على السواء بكل ما يخطه قلمه، وكتابه هذا يعرض الدين فى موقف الدفاع ، والموضوع بالطبع جدى له خطورته ، والمؤلف له القدرة على تقييم الموضوع وبحثه ، ولكن يظهر ان المؤلف حرص على كثرة الصفحات ، ولذلك اضطر الى حشو الموضوع بما لايتصل به من قريب او بعيد ، ولست ادرى كيف طاوعه قلمه أن يدس بين موضوع الكتاب بحثا عن الموسيقى استغرق زهاء خمس وأربعين صفحة ، وأن يترجم مقالا صافيا فى بضعة عشرة صفحة عن عالم هندى دون تعقيب عليه .

والتلفيق له دوره فى المؤلفات الاسلامية التى اتخمت الاسواق فى العالم العربى والاسلامى .

وقد لمست بنفسى حادثتين تثيران مع الالم والحسرة السخرية والضحك ، فقد زارنى احد الكتاب ممن لهم فى مكتباتنا عدد من الكتب الاسلامية، وطلب منى أن اكتب له بحثا عن كيفية معالجة الاسلام للفقر ، لأنه يتاهب الى تادية فريضة الحج ، وله كتاب فى المطبعة ينقصه هذا البحث ويود ان يخرج الكتاب الى حيز الوجود قبل سفره .

والتقيت مصادفة بصديق ثم آخر، وفهمت منهما ان هذا المؤلف قد طلب منهما بحثين مختلفين عن البحث الذى اراده منى . وكان ان ظهر الكتاب للمؤلف المبجل ، وتقدم به وبغيره من مؤلفاته العديدة طامعا فى ان ينال احدى جوائز الدولة التشجيعية .. اما الحادثة الأخرى التى لمستها بنفسى ، فلا تقل سخرية عن سابقتها ، لقد زرت فقيها متواضعا ، وصاحب مكتبة معزولة اكثر تواضعا ، فرأيته منهمكا وهو يفترش الارض ، وامامه عدد من تفاسير القرآن ، يغرف منها ويسجل بقلمه على صفحات بيضاء ، ولم اكد أساله عما يفعل حتى افهمنى بانه يعد تفسيرا لاحد اجزاء القرآن من واقع هذه التفاسير التى امامه ، وانه مكلف بذلك من احد العلماء الذين تخطت مؤلفاتهم حدود المائة منذ سنوات . وذلك لقاء دراهم معدودة يتصدق بها على هذا الفقيه المتواضع ، ذلك العالم المؤلف الذى وشك ان ينتهى من تفسير القرآن ، لياخذ مكانه الى جانب التفاسير التى أفنى فيها العلماء زهرة شبابهم وعصارة كهولتهم ، وتجارب شيخوختهم .

وهذا نمط آخر ممن يتصدون للتاليف فى المجال الاسلامى ، فان من هذا النمط من الف كتابا فى مائتى صفحة عن صحة الاذان ، ومن الف كتابا فى بضع مئات من الصفحات عن التوسل بالانبياء والاولياء ، ومن ألف عددا من الكتب فى اثبات كرامات الاولياء ، بل ان دعاء ليلة النصف من شعبان ، يستقبل كل عام عددا من المؤلفات يؤيد صحة الدعاء ، باحاديث نبوية لا يعلم غير الله والمختصين من اين اتى بها ، وبتأويل لبعض آيات القرآن ، لا نجد منطقا ولا عقلا يقرانه ..

ونحن نعلم جيدا ، كم اثارت مثل هذه المسائل من فرقة بين المسلمين ، وكم غرست من ضغائن فى نفوس اناس يتجهون الى قبلة واحدة كل يوم خمس مرات

وبعد .. فهل من علاج لهذا الأمر ؟

اذا كنا ننتظر من الوعى ان يقرر عزل هذه المؤلفات المحشوة بالسطحية والاسفاف ، فان انتظارنا سيطول وسيطول الى ما شاء الله .. لأن لهذه المؤلفات قطاعات خاصة تشغف بها ، وتتعصب لها وتعتقدها عقيدة خالصة لوجه الله ، هذه القطاعات من الكثرة بمكان فى ريف البلاد العربية ، وفى اعماق البلاد الافريقية والاسيوية ..

اذن فلابد اولا من انتاج خصب من الفكر الاسلامى يطارد هذه المؤلفات ويتعقبها ، وأرجو ان يكون الأمل كبيرا فى مشروع المكتبة العربية التى اضطلع بأعبائها وزارة الثقافة والارشاد القومى .

ولابد مع ذلك ، من أن تعنى مجلاتنا الادبية والاسلامية الواعية بالنقد الصريح لهذه المؤلفات المسفة ، دون مجاملة او مواربة ، فان بعض الكتاب الاسلاميين يعمدون الى اهمال هذه المؤلفات ظنا منهم ان فى اهمالها قتلا لها دون مانظر الى نشاطها فى قطاعاتها الخاصة ، ومثل هذه الحجة لا يؤيدها الا منطق النعام حين يدفن رؤوسه فى الرمال .. !

محمد عبد الله السمان

تعقيبـــات

للاستاذ عباس خضر

تلقيت رسالة من الناقد الشاب الاستاذ علاء الدين وحيد ، أبادر بشكره على ما تضمنته من تحيـــات لشخصى الضعيف و « للرسالة » بمناسبة عودتها ، وأشاركه الاستبشار بهذه العــودة التى حققت أملا كان يضطرب فى نفوسنا جميعا .

وقد أسعدنى الأخ الكريم بكتابته الى وبرســالته هذه التى يعقب فيها على ما كتبته عن «شحاتة عبيد» ويثير فيها ـ بذكاء ـ عدة مسائل مما لابس الحركة القصصية ابان نشأتها فى بلادنا . وأقول له أولا ان حيز المقال المحدد فى « الرسالة » لم يكن يتسع للافاضة واستيفاء قصص « شحاتة » كلها بالدراسة الشاملة .

والمسألة الاولى التى تناقشها هذا الاسبوع خاصة بالفراغ بين القديم والحديث فى بدء النهضة القصصية التى عاصرت ثورة سنة ١٩١٩ وتأثرت بها .

يقول الاســتاذ علاء الدين : « قرأت مقالكم عن شحاتة عبيد فى قصصه (الرسالة ـ ١٩٦٣/٩/٢٧) فهل يمكننى أن أكتب اليكم بهذه الانطباعات السريعة:

« لقد قرأنا قبلا عن دعوة الرواد الى أدب جديد .. أدب قومى ، ووقفنا على بعض محــاولاتهم . وأشرتم أنتم فى مقالكم الى هذا الدور . ولكن الا تظنون أن الوجه المقابل للصورة كان يجب أن يصور أيضا ؟ لقد كان الوجه الآخر هو «الاصل» وهو «الواقع فى تلك الايام التى استشعر الرواد فيها ضرورة ايجـاد أدب قومى ينبثق من الشــخصية المصرية . فما هو هذا الوجه الذى دفع بهم الى البحث عن الادب الجديد ؟ ان الصورة لا تكتمل فى رأيى الا اذا استشعر القارئ، هو أيضا بالنماذج التى تعرض ضعف وانهيار ذلك الادب التقليـــدى الذى عمل روادنا القصاص على تحطيمه » .

الوجه الآخر الذى ثارت عليه الدعوة الجديدة الى أدب قومى يعبر عن البيئةويصور الشخصية المصرية، يتمثل فى عدة نواح :

أولا ـ القصص المؤلفة التى يصفها شـــحاتة فى مقدمة مجموعته بأنها « **روايات مبنية فى الهواء خارقة** للطبيعة منافرة للعقل ، تعمد واضعوها حشو الحوادث تلو الحوادث ، والمفاجآت بعد المفاجآت ، والتقلب بين الفزع والاطمئنان ، والانكسار والانتصار ؛ رغبة فى استمالة جمهور القراء واستدرار الكسب المادى » .

ثانيا ـ القصص المترجمة ؛ اذ كان الاختيار يقع على قصص المغامرات والعاطفيات الموغلة فى الخيال المسلى ، على النحو السابق ؛ اذا كان التأليف تقليدا لهذا النوع الرخيص من أدب الغرب .

ثالثا ـ السرقة والاقتباس مع الايهام بالتأليف الأصيل ؛ وفى هذا النوع يقول شحاتة أيضا :

« قرأت روايات زعم مؤلفوها أنها مصرية عصرية لأنهم وهموا أن بتسمية أشــخاص رواياتهم بأسماء مصرية وتعيين أماكن من مصر يزعمون وقوع الحوادث فيها كفاية لتمصيــر الرواية بينمـا نرى الجــوهر وهو الاشخاص أنفسهم غير مصريين فى طبـــاعهم وأخلاقهم وعاداتهم ونفسيتهم » .

رابعا ـ محاكاة الأقدمين من أدباء العـــرب فى الأساليب والتراكيب دون اصالة ولا ابتكار ، واغراق الكتاب المعاصرين فى غريب اللغة مما لا يألفه ذوق العصر .

وتتجمع كل تلك النواحى عند نقطة واحدة ،هى **البعد عن المهمة الاولى للادب الحى الصـــادق ؛ وهى التعبير عن البيئة وتصوير المجتمع وابراز الشخصية القومية . ولعل أول ثورة عملية فى هذا السبيل ، هى رواية « زينب » لهيكل ؛ وتبعها فى القصــــة القصيرة قصص محمد تيمور الرائد الاول لهذا الفن ، فن القصة القصيرة . وحقا كان « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى رائدا فى تصــوير الشـــخصية** المصرية ، ولكن المدرسة الحديثة لم ترض عنه لايغاله فى محاكاة القدماء من الناحية الاســلوبية وبخاصة المقامات . ومما يلاحظ أن اتجاه المدرسة الحديثة صاحبة شطط فى البعد عن التراث العربى وازورار عنه ، باستثناء الشقيقين محمد ومحمود تيمور،وقد نشأ عن ذلك شيء من الضعف فى الاسلوب وكثير من الاخطاء فى اللغة وقواعدها ، مما أفقد أولئـــك الكتاب التعاطف والتجاوب مع النقاد والادباء ذوى الثقافة العربية وذوى الثقافتين العربية والغربية ، وظلت قصصهم بمعـــزل عن مفهوم الادب فى ذلك الوقت .

ومن أوائل الدعاة الى الادب القومى أســـتاذ كبير من أساتذة الادب العربى بالجامعة ، هو الدكتـــور

احمد ضيف ، وذلك فى محـاضراته بكلية الآداب وفى كتابه « مقدمة فى بلاغة العرب » ومما يذكر انه اراد ان يطلق كلمة « البلاغة » على مدلول الادب ، وقد استعملت هذه الكلمة لفترة ، ولـكن ما لبثت كلمة « الادب » أن تغلبت وسادت ، وممن استعملها الاستاذ محمود تيمور فى مقدمة مجموعاته الاولى .

وكان المنفلوطى الهدف الاول لحملات المدرسة القصصية ، وكان تصرفه فى الروايات التى عربها موضعا للنقد والمؤاخذة ، من ذلك ما قاله عيسى عبيد فى المقدمة « الم يجعل السيد لطفى المنفلوطى كبير كتاب اليوم روايته (تحت ظلال الزيزفون) التى حاول تعريبها عن الفونس خيالية شعرية بعد أن قضى بقسوة على شخصية استيفن ؟ اننا لا نؤاخذه على ذلك ، فنحن ممن يحترمون الرجل ولو كان مذهبه ونزعته الى التاليف خلاف مذهبنا ونزعتنا ، لاننا ممن يدعون الى تعدد الانواع الادبية والمذاهب الكتابية لادخال عناصر الحياة فى الأدب الحديث .. الخ .. »

ونلاحظ هنا أدب الشاب عيسى عبيد فى الكلام عن كاتب كبير كالمنفلوطى ، مما نفتقـده الآن فى كتابات بعض الشبان عن شيوخ الأدب .

وقد ظل المنفلوطى كبير الكتاب برغم الحمـلات التى شنت عليه ، لانه هو نفسه كان ثورة على من قبله ومن عاصروه من المعاظلين فى اللغة المتكلفين فى الاسلوب، وقد استحدث لنفسه أسلوبا اصيلا يتميز بالاسترسال فى الوصف والالفاظ المختارة المأنوسة والتركيب الموسيقى الوقع فى فقرات متناسقة ، مع البعد عن السجع الذى ساد كتابة بعض المعاصرين له كالمويلحى .

وقد صار هذا الاسلوب اماما واسـتاذا لكتاب الجيل ، ولعل من تلاميـذه احمد حسن الزيات وعبد العزيز البشرى وطه حسين والمـازنى ، وان كان كل من هؤلاء قد كون لنفسه اسلوبا خاصا به متطورا عن مقتفى ذمنه .

والى اللقاء فى فرص أخرى لمناقشة بقية المسائل التى أثارها الأخ علاء الدين وحيد .

اهتمامات صغيرة فى صحافتنا

كتبت اخبار اليوم (١٩٦٣/٩/٢٨) تقول فى عنوان كبير بالصفحة الاولى :

« اخبار اليوم تتحدث الى عبد الحليم فى لندن »

وتحت هذا العنوان قالت لنا انها اتصلت تليفونيا بمحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ فى لندن ، وان عبد الوهاب قال انه سيغادر لندن بالطائرة الى جنيف وسيجرى كشفا على عينيه ثم يعود الى القاهرة .

اما عبد الحليم حافظ فقد قال: انه سيجرى تحاليل جديدة تستمر شهرين وستعود شقيقته « عليه » وشقيقه محمد وسيبقى معه فلان وفلان ...

المعروف ان المشرفين على دار أخبار اليوم لهم وجهة نظر خاصة فيما ينشر ومالا ينشر ، وان كانت وجهة نظرهم هذه قد اصبحت عـامة فى صحفنـا ومجلاتنا ، وهى تتلخص فى العنـاية باهتمامات الجماهير ، فالخبر أو الموضوع الذى يجذب اكبر عدد من القـراء يقدم على غيره ، وماليس كذلك يؤخر او يهمل ..

ولا اقول انها نظرة تجارية محضة ، فهى اولا وقبل اى شيء « مزاج صحفى » يهدف الى النجاح والانتشار .

وبذلك المقياس اتصلت اخبـار اليوم بالمطربين تليفونيا بلندن . فالمطربان محبوبان من الجماهير ، والتصور الباعث على هذا الاتصال .

ولايهم بعد ذلك ان يسال احد : لم هذا الاتصال ومايتكلف من مال ، وما هو محصول هذا الاتصال ومايتكلفه من مال كذلك .. ؟

ولكن وجهة النظر الأخرى تقول :

ان اهتمامات الشعب قد تغيرت ، واصبح الشعب يعيش فى واقعه ، ولا يهرب منه الى التفاهات ، والصحافة ملك الشعب ، فالشعب هو صاحبها ، وهو الذى يقرؤها ، وهو الذى يعيش فى « كفر البطيخ » وامثاله .

واذا كان يهمه أن يسمع ويطرب ، فلا يعنيه أن المطرب سافر أو متى يعود ، واذا اهتم بذلك فهو لا يحب ولا يرضى أن يجشم مؤسسة من مؤسساته الصحفية مئونة الاتصال بمن فى لندن لتقول له : « ازيك .. سلامات ! »

ووجهة النظر الاخرى تقول اكثر من ذلك :

اذا فرضنا أن كثيرين يريدون ان تكتب وتنشر لهم تلك « الاشياء » فلماذا نجاريهم ونغذى فيهم الاهتمامات التافهة ؟ لماذا لا نرفع اهتماماتهم الى المستوى اللائق بشعب يعمل جادا لبلوغ اهدافه الكبيرة ؟

وما اظن ان من أهداف الشعب الكبيرة ، ولا حتى الصغيرة ، أن يتصل له قادة الراى فيه بمطرب فى بلد بعيد ليقولوا له : « ازى صحتك ! »

عباس خضر


أسبوع الكتاب العربي
الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والارشاد القومى
من ١٩ إلى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٣
أرض المعارض بالجزيرة
القاهرة

فى عالم الفن

كشف حساب الموسم المسرحى

للأستاذ : عبد الفتاح البارودى

ماذا نستفيده من المواسم المسرحية اذا كانت تبدأ وتنتهى بلا مناقشة ايجابية ؟ فى الغرب يقدمون فى نهاية كل موسم « كشف حساب » يتناولون فيه تجاربهم الفنية خلال الموسم ، ويحللونها بدقة ، ويواجهون اخطاءهم بصراحة ، وهذا كله يثير قضايا فنية يناقشونها مناقشة اكاديمية وتطبيقية ، وهكذا يتطورون موسما بعد موسم .

ونحن أولى منهم بهذا المنهج الفنى ، لان المسرح بلا جدال توطدت دعائمه عندهم بينما لا يزال عندنا فى بداياته الاولى ، ولأن تجاربهم المسرحية تستند الى تقاليد فنية رسخت فى بيئتهم بينما نحن نمارس تجاربنا على ارض خلاء .. كان الأجدر بنا اذن ان نستفيد من كل موسم باعداد كشف حساب لما قدمناه خلاله ... واذا كنا لم نحاسب أنفسنا فى معظم المواسم الماضية ، فان الموسم الذى انتهى منذ ايام يستلزم المحاسبة الدقيقة ... لماذا ؟ لأنه أول موسم فى تاريخنا الفنى نمارس فيه تجارب تنوعت اتجاهاتها الفنية لدرجة تثير الحيرة بينها ... شاهدنا فيه مسرحيات مؤلفة ومترجمة ومقتبسة ومعدة من قصص محلية وعالمية ... الخ ... وصحيح اننا مارسنا هذه الاتجاهات فى المواسم الماضية ، ولكننا مارسناها فى الموسم الاخير على النطاق الجماهيرى ، وهذا فارق جوهرى .

والآن فأين كشف الحساب ! ؟

فقط سمعنا كثيرين يتحدثون عن « المستوى » مثلا ... وفعلا بين الروايات التى شاهدناها روايات ضعيفة المستوى ، ولكننا شاهدنا ايضا مترجمات من الروائع العالمية ، بعضها مترجم ترجمة حرفية ، وبعضها فيه تعديلات ... فمسرح التليفزيون قدم روايات لجان أنوى وأجاثا كريستى وموليير وغيرهم ، والمسرح القومى قدم مترجمات مثل مكبث ودكتور كنوك وبيت برناردا البا ... فالى اى حد افادتنا هـذه الروايات ؟ والى أى حد تفيدنا المترجمات ؟ وهل الأفضل أن نعد لها ام نبقيها كما هى ؟ أسئلة كثيرة جدا تستلزم المناقشة ، ولكن لم يناقشها أحد .

ان المترجمات بصفة عامة ارفع مستوى من المقتبسات والمؤلفات ، ولكن هل نقدمها كيفما اتفق ؟ فى رايى ان من اللازم وضع خطة فنية لتقديم المترجمات بحيث نستفيد منها كنماذج فنية رفيعة ، ولكن كيف نختارها ؛ هل نختار اى رواية ؟ هذه مشكلة دقيقة .. فنحن لا نستطيع المفاضلة مثلا بين روايات الاغريق او روايات عصر النهضة او روايات العصر الحديث من حيث اهميتها بالنسبة لنا ... ايضا من نفس الزاوية لانستطيع المفاضلة بين مؤلفى كل عصر ... اى اننا فى العصر الاغريقى لا نستطيع المفاضلة بين اسكيلوس وسوفوكليس ، وهكذا فى مختلف العصور ... كل المترجمات مفيدة لنا حتى مترجمات المؤلفين الأقل قيمة بشرط ان ندرسها ، بمعنى أن يكون عرضها على مسرحنا فرصة لدراستها ...

ولكن الأفضل بلا جدال ان نضع منهجا معينا .. وافضل المناهج فى رايى هو المنهج التاريخى ، اى ان نبدأ بروايات الاغريق ثم نتسلسل الى العصر الحديث ، دون ان نقفز بين العصور التى ازدهر فيها المسرح فقط ، بل نقدم روايات مختلف العصور بلا استثناء ، على أن ندرس روايات كل عصر دراسة عميقة ، وندرس أسباب ازدهار وانحدار المسرح فى العصور التى ازدهر أو انحدر فيها .

ان هذا بالطبع يستلزم تفرغ احدى الفرق او عدة فرق لتقديم المترجمات بشكل منهجى ، لاتاحة فرصة دراستها دراسة منهجية .. هذه حقيقة تكشفت لنا شيئا فشيئا خلال الموسم الماضى ، وتعتبر من أهم نتائجه ، وترتب على ذلك أن المترجمات ستخصص لها احدى شعبتى المسرح

القومى ، واحدى فرق المسرح التلفيزيونى ، ولكن المهم أن يكون هذا التخصيص مقصودا به اتاحة فرصة دراسة المترجمات التى ستقدم خلال الموسم القادم ... ومن أجل ذلك يلزم اعداد خطة دقيقة لتقديم هذه المترجمات بحيث نخرج منها بنتائج تفيدنا فى تعميق المفهومات الفنية .

اننا لم نكدنستفيد شيئا من المترجمات التى قدمها الموسم الماضى رغم أنها كانت مترجمات ممتازة .. لماذا ؟ لاننا لم نحاول دراستها ، مع ان تقديمها على المسرح يعتبر اضخم فرصة لدراستها ...

رواية مكبث مثلا لا تعتبر فقط فرصة لدراسة النص ، بل ايضا لدراسة فلسفة العصر وفلسفة المؤلف شيكسبير ، اى رؤيته الفلسفية .. الخ .. وبغير ذلك لا يمكن فهم النص نفسه ... وهذا هو ما حدث فعلا ... فمثلا فى الرواية ثلاث ساحرات، فماذا يقصد شيكسبير بهن .. اننا اذا لم نتعمق فى الدراسة فربما نتوهم أنهن مثل ضاربات الودع!! وربما نتوهم ان الراوية كلها « حدوتة » ، وبذلك نظلم شيكسبير ونجعله مؤلفا من الدرجة العاشرة ، ونظلم أنفسنا لاننا نعتقد - خطأ - أننا شاهدنا احدى تراجيدياته الكبرى ، بينما نحن فى الحقيقة لم نشاهد شيئا ... وهكذا لو اننا حللنا كل شخصية لوجدنا اننا لم ندرك شيئا من عمقها او دلالتها .

ان معظم المناقشات التى دارت فى الموسم الماضى حول مكبث لم تكد تتجاوز تفسيرها تفسيرات سطحية ، وبعض المناقشين تحدثوا عن اسلوب مترجمها خليل مطران وطالبوا باعادة ترجمتها ترجمة حديثة ، وبعضهم اهتموا بالاداء التمثيلى او بالاخراج، وهذه كلها موضوعات مهمة جدا لو نوقشت بعمق ودارية ، ولكن الاهم ان نناقش النص ، وان نحاول معرفة التناول الفنى عند شيكسبير ، وان نقارن بين هذا التراجيديا وتراجيدياته الاخرى ، وان نجد فى التحليل المقارن ما يلقى الضوء على اسرار التاليف المسرحى ومعنى المجال الدرامى والبناء الدرامى والصراع ... الخ

خذ مثلا آخر : مسرحية بيت برناردا البا ... ان هذه المسرحية قدمها المسرح القومى ولم نكد نستفيد منها شيئا لاننا لم نكد ندرسها علميا ... عندما عرضت هذه المسرحية كان الوسط الفنى يواجه مجادلات كثيرة حول مدى اهمية القواعد الفنية ، وكثيرون كانوا يقولون ان القواعد ليست ذات اهمية كبيرة ، وان العبرة بمدى تفاعل الموضوع مع المجتمع ، وفى سبيل ذلك لابأس بالتغاضى عن بعض القواعد ، وان كثيرين من المؤلفين العالميين لايكترثون بها ... الخ ... فى خلال هذا الجدل عرضت المسرحية ، وكانت نموذجا لمقدرة مؤلفها لوركا على التزام القواعد والتفاعل مع المجتمع فى نفس الوقت، وكان من اللازم ان ننتهز هذه الفرصة ونناقش اهمية القواعد فى المسرح و فى كل فن ، وكيف ان المؤلف الواعى يستطيع ان يلتزمها فى كل موضوع يتناوله ... لم نناقش شيئا من ذلك رغم ان مثل هذه المناقشة تفيد مؤلفينا بالذات .

وخذ مثلا ثالثا ... ان المسرح التليفزيونى قدم روايتين لجان أنوى ، احداها باسم قصر الأحلام ، والثانية باسم مهرجان الحب ، والعجيب ان الذين يتصدون للكلام عن المسرح لم يحاولوا مناقشتهما ... لماذا ؟ اليس جان انوى مؤلفا عالميا ؟ وكيف نفهم مسرحه اذا لم نحاول مناقشته ؟ واى فرصة أرحب للمناقشة من تقديم رواياته على مسرحنا ؟ واين الذين يطالبون بتقديم روايات مرتفعة المستوى؟ بسبب الافتقار الى المناقشات الجادة مرت الروايتان على مسرحنا مرورا عابرا فلم ندرك دقائق فن جان انوى ، ولم نستفد شيئا من اسلوبه الدقيق الهادىء فى العرض المسرحى لافكاره ... كل ما فعلناه هو مجرد التعقيب على الروايتين بكلام أجوف .

الغريب ان الروايتين حدثت فيهما بعض تعديلات ، وكان من اللازم على الأقل ان نناقش هذه النقطة .. ان رواية قصر الاحلام عدلت فيها شخصية واحدة ، وراوية مهرجان الحب حدثت فيها تعديلات كثيرة ، فهل الأفضل أن تقدم الروايات العالمية كما هى ام تعدلها ؟ ثم ان رواية قصر الاحلام يناقش فيها المؤلف ببراعة فائقة مشكلة التاليف المسرحى وازمة الفرد الاوربى فى العصر الحديث ، والمتناقضات التى يعيش فيها المجتمع الاوربى ، وكل هذه مسائل تفيدنا مناقشتها ولكننا لم نناقشها ... لماذا ؟ لان كثيرين ممن يتصدون للكلام عن المسرح لا تسمح لهم ثقافتهم بالكلام عن جان انوى ... فى هذه الرواية قدم المخرج محمود مرسى تجربة جديدة تتركز فى الاهتمام بالاداء التمثيلى ، وقدم المسرح خامات جديدة نهضت

بأدوارها بجهد واضح ، ومع أن هذه الخامات كسب كبير للمسرح فان أحدا لم يحاول التنويه بها ، ان من أهم نتائج تجارب المسرح التليفزيونى أنه قدم براعم جديدة فى أدوار كبيرة ، وربما كان هذا من أبرز مكاسبنا فى الموسم الماضى ، ولكن متى نتحدث عن هذه البراعم اذا كنا لا نتحدث عنها عندما تؤدى أدوارا صعبة فى روايات عالمية .

الرواية الثانية (مهرجان الحب)اقتبسها ثروت اباظه وعبد الله البشير وتصرفا فى النص تصرفات كثيرة ... ما الداعى لذلك ؟ اننى طبعا احكم على الرواية كما ظهرت على المسرح ... جائز أنه لا دخل لهما فى هذه التصرفات ، وانما المهم هو : الى اى حد يجوز التصرف فى النصوص العالمية ... هذه مسألة لم يناقشها احد رغم أنها جديرة بالمناقشة ... ايضا فى هذه الرواية قدم المخرج سعد اردش تجربة جديدة فى الاخراج ... استخدم طريقة المستويات المسرحية ، واستخدم الديكورات بالأسلوب التأثرى، وفى نفس الوقت كان الأداء التمثيلى خطابيا أحيانا ... هل يجوز اداء افكار جان انوى اداء خطابيا ؟ المدهش أن هذا يتناقض مع أسلوب المخرج .

نوع آخر ... فى الموسم الماضى شاهدنا مقتبسات كثيرة ، وهذا بالطبع يثير مشكلة الاقتباس .. سبق بحث هذه المشكلة أكثر من مرة ، وبخاصة عندما جاهر سليمان نجيب بأن الاقتباس هو الطريق الى تقريب المؤلفات العالمية الى اذهان الجمهور ، وفعلا قدم مقتبسات كثيرة ناجحة ، ولكن الى اى حد ينجح الاقتباس فى مجتمعنا الجديد بعد أن انتشرت الثقافة المسرحية بنسبة غير ضئيلة ؟! ان احمد حلمى الذى قدم رواية قصر الاحلام معدلة فى نطاق ضيق ، قدم رواية (ثلاثة مجانين عقلاء) مقتبسة ، فهل استطاع بالاقتباس تقريبها الى الاذهان ؟ صحيح انه بذل جهدا ملحوظا ، ولكن موضوع الرواية ظل محتفظا بطابعه الأجنبى ، لان المشكلة التى عالجتها الرواية ليست من المشكلات المألوفة فى بيئتنا ...

نفس الملاحظة توجه الى رواية (اختى سميحه) وهى ايضا رواية مقتبسة قدمها المسرح التليفزيونى، وايضا لم يستطع الاقتباس نقلها من بيئتها الى بيئتنا ... فرغم أنها تدور حول فتاتين من مدينة طنطا او من المنطقة المجاورة لها فان سلوكهما والأحداث التى دارت حولهما وطريقة تفكيرهما ، كل هذا ظل مرتبطا بالبيئة الاجنبية التى نشأت فيها الرواية الاصلية ... اذن ما جدوى الاقتباس !

والعكس فى الروايات المقتبسة التى تعمد مقتبسوها تغيير طابعها تغييرا جوهريا وابعادها عن بيئتها الأصلية ... فى رواية (اصل وصورة) مثلا حاول المقتبسان محمد دواره وسمير خفاجى والمخرج عبد المنعم مدبولى ان يناقشوا مشكلة الصحافة عندنا فى العهد الماضى ، وكيف كانت تهتم « بفبركة » الأحداث ، وقد استطاعوا ان يدخلوا فى الرواية تفصيلات كثيرة جدا اكسبتها طابعا محليا ، لدرجة ان الجزء الذى بقى من الاصل لم يكن له اهمية ، وهذا يدعونا الى التساؤل مرة اخرى : اذن ما جدوى الاقتباس ؟!

أعتقد أنه لو ازدادت محاولاتنا فى التاليف بشكل جاد وعميق لكان افضل ان الاقتباس فى رايى اقل قيمة فنية من الترجمة ومن التاليف ... وليس معنى ذلك ان المقتبسات فشلت ... ان بعضها نجح امام الجمهور نجاحا كبيرا ، وانما اخشى ان يغرى هذا النجاح بتفشى الاقتباس كما تفشى الاعداد المسرحى من القصص ، وهذه ايضا مسألة خطيرة ... ان بعض المسرحيات التى اعدت من قصص نجح جماهيريا وفنيا مثل رواية (الرجل الذى فقد ظله) التى اعدها فيصل ندا عن قصة فتحى غانم واخرجها جلال الشرقاوى ، ومع ذلك ، ومع أنه لا باس من أن يستفيد مسرحنا من ممارسة مختلف التجارب ، ومنها تجارب الاعداد والاقتباس فان الاهم ان تعمق اتجاهين رئيسيين وهما : الترجمة والتاليف ... وربما كان من اكبر مكاسبنا فى الموسم الماضى ان نصل الى هذه الحقيقة ... ان اضخم مكسب حققه الموسم الماضى هو خلق الشغف المسرحى فى الجمهور ... ايضا كسبنا نجوما جديدة وتجارب جديدة ومتنوعة ، ولكننا لا نزال فى حاجة الى ادراك كيفية تناول مشكلاتنا الحيوية تناولا مسرحيا ، وهذا يستلزم ادارك أسرار الفن المسرحى عن طريق مناقشة الدقائق الفنية .. فكيف نناقشها اذا لم نناقشها من خلال تجاربنا ؟ وكيف نستفيد من اخطائنا اذا لم نعرفها ؟ وهل يمكن أن نتطور بلا دراسة ومقارنة تطبيقية ؛ هذه كلها اسئلة هامة ، ومع ذلك لم نحاول الاجابة عليها فى الموسم الماضى ... حاولوا مناقشتها فى الموسم القادم !!

عبد الفتاح البارودى

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

النظرية السياسية الحديثة
تاليف : ا . م . جود
ترجمة : عبد الرحمن صدقى ابو طالب
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر
ص : ١٦٦ صفحة من القطع المتوسط .

يحتوى الكتاب على ابحاث قيمة فى مجالات الفكر السياسى الحديث ..

وقد بدا المؤلف دراسته فى النظرية المثالية للدولة فاوضح اهمية الدولة وشرح علاقة الدولة بالفرد بقوله :

ان الفرد ــ بالاضافة الى الفوائد الواضحة التى يتلقاها من الدولة كالتامين ضد العنف والانصاف ضد الظلم ــ مدين لها بما تضفيه عليه من ذات فرديته بكل غناها وكل امكانياتها ..

وعلى ذلك فالفرد يستطيع بالتعبير عن ارادته خلال الارادة العامة ان يجسم فى الواقع اسمى ماق وسعه من فكر ويتبع ذلك اذن ــ ان اعمال الدولة مادامت تصدر عن الارادة العامة يجب دائما ان تكون على حق ــ من حيث انها تمثل خير ما فى الارادات الفردية ..

« والفرد لايستطيع ان يتصرف منعزلا عن الدولة وانما فقط كجزء لايتجزا منها .. ولايستطيع ان يريد بارادة فردية صرفة وانما يريد بجزء من ارادة الدولة فقط » ..

واشار المؤلف الى راى جون ستيوارت ميل فى نظرية الفردية الحديثة وثورته ضد التجريدات السياسية التى وصلت فيما بعد الى تطورها الكامل فى النظرية المثالية للدولة . واصر ــ ميل ــ على النظر الى اى موضوع سياسى من ناحية اسعاده البشر او اضراره بهم .. لا كما يفعل المحامون والهيجليون ــ الذين ينظرون الى الموضوعات السياسية فى ضوء تعبيرات تجريدية مثل الارادة العامة او شخصية الدولة ــ وهو مع تسليمه لاصحاب النظرية المطلقة فى جدالهم ــ انه مادامت الدولة تنمو نموا طبيعيا ــ أو عضويا ــ فان الفرد لايستطيع ان يتمتع بالسعادة الكاملة التى تيسرها له طبيعته الا فى الدولة فقط ..

وبين الكتاب اختلاف الفردية الحديثة عن القديمة فى انها تعتبر الهيئة وليس الفرد هى الوحدة فى المسائل السياسية ، وقد سبقت الى اتخاذ النظر بالضرورة التى فشلت الفردية القديمة فى ان تحتاط لها ــ وهى حماية الكائن الانسانى الفرد ضد استغلال ، واضطهاد قوة كل من : ــ

١ ــ المصالح الاقتصادية المملوكة ملكا خاصا .

٢ ــ الراى العام الذى يعبر عن نفسه فى حكم الاغلبية ..

وتطرق الكتاب بعد ذلك الى النظرية الاشتراكية مبينا انها تسعى الى تحرير الفرد من ضغط المشاغل المادية حتى يستطيع أن يعيش حياته الخاصة وينمى شخصيته بحرية . وقال معللا اهتمامه بها بقوله : « انها تعكس الميول التى تنتشر اليوم فى الفكر السياسى » ..

ودار البحث حول فائض القيمة .. الذى تعددت المذاهب الاشتراكية التى تقرر كيفية استخدامه لصالح المجتمع ككل .. وقد قارن بين فائض القيمة فى المجتمع الاقطاعى (مجتمع العبيد) والمجتمع الصناعى . فالعبد يعمل وينشىء فائض القيمة تحت الاكراه ــ والعامل الحديث ينشىء فائض القيمة فى ظل عقد حر يدخل فيه اختياره ــ ولكن نظرا لان العامل ليس لديه وسائل الانتاج ، فهو لايملك ــ فى الحقيقة ــ بديلا عن ان يبيع للراسمالى السلعة الوحيدة التى يملكها وهى

« عمله » ـ والرأسمالى بعد أن يدفع مجرد الأجر الذى يقيم الأود بضع الدخل فى جيبه .. ولهذا فانه لكى ترتفع كتلة الشعب فوق مستوى مجرد ـ عبيد الأجر ـ يجب حمايتهم ضد شرور المنافسة الحرة غير المقيدة باجراء اكبر وهو ـ تدخل المجتمع فى الصناعة وتنظيمها اكثر مما كان معتادا فى الماضى .. وهذا راى الاشتراكيين التدريجيين اما راى الاشتراكيين الثوريين ـ فانهم يرون ان التدريج سوف يجعل الذين لايملكون ينتظرون فى بؤس وعذاب ـ ومن الصعب الانتظار ـ ولكن الثورية ـ والقوة بامكانهما تقصير فترة العذاب للطبقات العاملة ..

واشار الكتاب الى راى الماركسيين على اساس انهم يؤمنون بانالتناقض القائم فى المجتمعالراسمالى سوف يجعل هذا المجتمعيفنى نفسه .. فان زيادة الانتاج وضعف الأجور وانخفاض القوة الشرائية سوف يجعل الراسماليين يبحثون عن اسواق فيما وراء البحار .. وفى مجال البحث عن هذه الأسواق سوف يحطمون بعضهم بعضا ·· هذا بالاضافة الى التناقض الواضح فى المجتمع الراسمالى .. بين الذين يملكون والذين لايملكون ولذلك فان مواجهة البروليتاريا للراسمالية على طول الخط الاقتصادى سوف تجعل البروليتاريا تثور لتاخذ السلطة والسيادة الاقتصادية منايدى الراسماليين ـ التى استولت عليها ـ من الاقطاعيين قبل ذلك ··

فى الوقت الذى يرى فيه الاشتراكيون التدريجيون ـ ان المجتمع كائن عضوى متطور لايمكن أن يتوقف ـ كما ان التغيير الفجائى فى المجتمع تنتج عنه الكوارث ··

واوضح المؤلف الفرق بين الشيوعية والفوضوية .. فبينما يهتم الشيوعون بالوسائل ـ يهتم الفوضويون بالغايات ـ فالفوضويون يهتمون بشكل المجتمع الاشتراكى ونظمه بينما يهتم الماركسيون بكيفية تغيير المجتمع الى النظام الاشتراكى ـ اى بالوسيلة النظرية .. او الكيفية التى يتم بهاالانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. ووسيلة الماركسيين هى الحرب الطبقية ـ والثورة ·

***

دراسات فى الأدب السودانى

بقلم : الدكتور جمال الدين الرمادى

ص : ١٦٥ قطع كبير

م · ن : الدار القومية للطباعة والنشر ··

يبين الكتاب تطورات الحركة الادبية الشعرية فى السودان وكيف انها بدات بالطابع الاسلامى فى صورة المدائح النبوية .. وتطورت الى شعر المعلقات واورد المؤلف نماذج شعرية لشعراء سودانيين مثل الشاعر السودانى سعيد العباسى والشاعر عبد الله عبد الرحمن ـ واشار المؤلف الى الجيل الجديد من الشعراء السودانيين مثل الشابى والتيجانى ـ واثر النهضة الادبية الحديثة فى السودان .

***

آمال جديدة فى عالم متغير

تاليف : برتراند راسل

ترجمة : عبد الكريم أحمد

ص : ٢٢٥ صفحة من القطع الكبير

المؤسسة المصرية العامة التاليفوالترجمة والطباعة والنشر ..

قسم الكتاب الصراع الذى يخوضه الانسان الى ثلاثة انواع هى :

١ ـ صراع الانسان مع الطبيعة
٢ ـ صراع الانسان ضد الانسان
٣ ـ صراع الانسان مع نفسه

واوضح المؤلف حدود القدرة البشرية فىمجالات التقدم الحضارى .. والعلمى .. فى قوله .. «ان المعرفة العلمية مثل جرعة مسكرة ـ وقد تكون جرعة لا قبل للانسان بها . فقد ينتهى الأمر بان أولئك الذين يتتبعون أسرار الذرة سيلقون ـ مثل الرجال الذين بنوا برج بابل ليصلوا الى السماء ـ عقاب كفرهم بأن يخلقوا عرضا الوسيلة التى ستقضى على النوع البشرى .. بل ربما على كل حياة هذا الكوكب .. » هذا بالاضافة الى فصول قيمه تبحث فى حجم الوحدات الاجتماعية ـ والصراع بين اساليب الحياة ـ والتعاونالاقتصادى والمناقشة الاقتصادية .. وغيرها من الدراسات القيمة المفيدة .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

عاد لها عرابي ..

في العدد الأخير الصادر في يوم الخميس الموافق ١٩٦٣/٩/٢٦ من الرسالة الزهراء ، يقول السيد خورشيد عبد العزيز في صفحة « البريد الأدبي » انه قرأ ضمن ما قرأ ان امير الشعراء احمد شوقي « .. أرخ عودة أحمد عرابي من سجنه بقصيدة كان مطلعها :

صغار في الذهاب وفي الاياب
أهذا كل أمرك يا عرابي

ويقول : انه بحث عن القصيدة في «الشوقيات» فلم يعثر عليها وكلف بعض زملائه بالبحث عنها فلم يوفقوا . ويرجو قراء الرسالة ممن وقفوا على هذه القصيدة نشرها له كاملة ».

واستجابة لرجاء الأخ خورشيد أنقل هنا القصيدة كاملة وهي :

صغار في الذهاب وفي الاياب
أهذا كل شأنك يا عرابي
عفا عنك الأباعد والأداني
فمن يعفو عن الوطن المصاب
وما سألوا بنيك ولا بنينا
ولا التفتوا الى القوم الغضاب
فعش في مصر موفور المعالي
رفيع الذكر مقتبل الشباب
أفرق بين سيلان ومصر
وفي كلتيهما حمر الثياب
يتوب عليك من منفاك فيها
أناس منك أولى بالمتاب
ولا والله ما ملكوا عتابا
ولا ملكوا القويم من العقاب
ولا ساووك في صدق الطوايا
وان ساووك في الشمم الكذاب
حكومة ذلة وسراة جهل
كعهدك اذ تحييك الطوابي
واذ ضربوا وسيفك لم يجرد
واذ دخلوا ونعلك في الركاب
واذ ملئت لك الدنيا نفاقا
وضاقت بالغباوة والتغابي
واذ تقني المعالي بالتمني
واذ يغزى الأعادي بالسباب
واذ تعطى الأريكة في النوادي
وتعطى التاج في هزل الخطاب
ستنظر ان رفعت بمصر طرفا
رجال الوقت من تلك الصحاب
وقد تبغوا جنابك حين أقوى
وقد لاذوا الى أقوى جناب
وبالانجيل قد حلفوا لقوم
كما حلفوا أمامك بالكتاب
يريدون النساء بلا حجاب
ونحن اليوم اولى بالحجاب
فماذا يعلم الأحياء عنا
اذا ما قيل عاد لها عرابي

والقصيدة كما ترى تنديد بأحمد عرابي وتقريع وتشهير وتهكم به . والمعروف عن المرحوم أحمد شوقي انه كان وقتئذ من حاشية الخديو توفيق وكان شاعر القصر او شاعر الأمير كما كانوا يسمونه ، وقد حمل على الزعيم احمد عرابي حملته الشديدة هذه مضطرا بحكم مركزه وارضاء منه لولى نعمته .

ويقول الأستاذ احمد زكي عبد الحليم في كتابه « أحمد شوقي شاعر الوطنية » نقلا عن الدكتور أحمد الحوفي ان هذه القصيدة نشرها شوقي أول ما نشرها في « المجلة المصرية » لصاحبها ومنشئها الأستاذ خليل مطران « شاعر الأقطار العربية » تحت عنوان « عاد لها عرابي » بامضاء مستعار «نديم» وقد أعاد نشرها الزعيم الوطني مصطفى كامل في جريدة اللواء تحت نفس العنوان وعقب عليها بقوله :

« ... نشرت المجلة المصرية تحت هذا العنوان قصيدة غراء لشاعر من أكبر الشعراء - بل أكبرهم بلا منازع - فأحببنا نقلها اظهارا لشعور أمير القريض والبيان في عودة عرابي الى مصر » ..

وفي هذا التعقيب مايشير الى أن القصيدة لشوقي وان وقعها بامضاء « نديم » لاعتبارات سياسية وظروف كانت تكتنف الشاعر وقتئذ كما ذكرنا .

الزقازيق - محمد عثمان محمد

صديق الافاعي !!

نشرت الرسالة الوضاءة قصيدة رائعة لاستاذنا الشـــاعر المجيد « على الجندى » بعنوان « الثعبان العاشق » فذكرتني هذه القصة بقصة سابقة نشرتها الأهرام القراء من زمن تحت عنوان «صديق الأفاعى» الذى حوكم أمام احدى المحاكم بتهمة احتفاظه بأفعى يبلغ طولها أكثر من ثلاثة أمتار كان اذا خرج بها فى احدى شوارع المدينة تعطل المسير ووقفت الحركة كلهـا وانقطع سـير المارة وخاف الناس واعتصموا بدورهم مدة من الزمان حتى يعــود هذا الصديق ووليفته من حيث أتيا .

نشرت هذه القصة فنظم فيهــا الاستاذ الشاعر الاديب المستشار محمد احسان - أبياتا رقيقة وقد عقبت عليهــا آنئذ بأبيــات أخرى وهذه قصيدته وتعقيبى عليها .

انست بعشرة الأفعى طويــلا
ولم تحـذر لهــا أبدا شرورا
وانستك الصبايا والأغانى
لبسن الخز واعتـدن العطورا
ويطربك الفحيـــح كان فيه
هديلا أو حفيفــا أو خــريرا
لأفعى تؤنس الانســـان خير
من امرأة تــكيد له كثــيرا
ولا ترضى بمـــا تعطى وتبدى
اذا لم تعـــط ما تبقى نفورا
تزين له الضـــلال ولا تبـــالى
اذا ما أجج الدنيـــا سـعيرا
كذلك اخرجت حـــواء قدما
من الفـردوس آدم مستجيرا

وهذه أبياتى :

ورب مدلل أفعى فخــــورا
بعشرتها استراح لهـــا كثيرا
يدللهـــا ولا يبغى جـــزاء
يدل به ولا يرجـــو شكورا
اصــاب بقربها آنســا وصفوا
فأنسته الغوانى والقصـــورا
وقد شـــعرت للمسها يداه
بمـــا فاقت نعومته الحريرا
ملامسة النســـاء أشد فتكا
من الأفعى وان نفثت سـعيرا
وان فحيحهـا فى الأذن أشهى
من الصداح ان شرح الصدورا
سلوا زحافة الوادى لمـــاذا
حبت بودادها الشـيخ الوقورا
لئن عجزت « فاحسان » تولى
اجابتها وفصـــلها سطورا
فلم يترك لذى علم مقـــالا
ولا لمحنــك خبر الامورا
أجاب فكان منطقــه شـــفاء
أراح من الفلاســـفة الشعورا

نجاتى عبد الرحمن

***

حيوا هذا القاضى

اطلع العالم كله على تقرير القـــاضى البريطانى دينتج عن فضائح الوزير الســابق البريطانى جون بروفيمو وعشيقته كريستين كيلر . ولقــد عكف دينتج على دراسة هذه القضية فى شقته المتواضعة بلندن ثلاثة أشهر ، لم يكن يتمتع أثناءها الا بعطلته الاسبوعية يقضيهــا فى منزله بالريف البريطانى ، حيث تقيم زوجته . وقد قابل خلال التحقيق ١٨٠ رجلا وامرأة ، واجتمع بالصحفيين وأعضاء البرلمان وغيرهم . وقد كتب تقريره فى ٨٥٠ الف كلمة . وأخيرا تكلم هذا القـــاضى بنزاهة القاضى وضميره المسئول ، فقال : « بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك اخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون » ، ويحمـــل بشدة على المجتمع البريطانى ، فيقول : « لقد جعل هذا المجتمع من الزنا والشذوذ الجنسى جرائم يمكن أن تغتفر ، بينما يدخل لصا جائعا السجن » ، ويرفع صوته بشجاعة ، فيقول : « ان القـــانون هو الذى يتحكم وحده فى الجرائم الأخلاقية سواء ارتكبت فى السر أو العلانية . يجب ألا يساء استخدام الحرية » .

وأخيرا حيوا معى هذا القـــاضى الذى رفع صوت العدالة عاليا ، والذى قال كلمته فى الدين ، وهى كلمة أعلنها صريحة ، لا تحتاج الى تأويل ، فالمادية الحالية التى يعيشهـــا العـــالم هى سبب الشقاء والنكبات ، ويستحيل عليها أن تعيش بدون الدين ، فهو العلاج الروحى الوحيد لها .

مصطفى محمود مصطفى - مدرس


وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
تقدم
فى أول كل شهر وفى منتصفه
المكتبة الثقافية :
كتب جامعة لشتى فروع المعرفة فى أسلوب مبسط وعرض ميسر ...
الثمن : ٢ قرشين
الناشر
دار القلم : ١٨ شارع سوق التوفيقية
وفى اليوم الرابع من كل شهر
روائع المسرح العالمى
سلسلة مسرحيات عالمية بأقلام الصفوة الممتازة من أعلام الكتاب مع دراسة لكل كاتب وتحليل لكل مسرحية ...
الثمن : ١٠ قروش
تطلب من
مؤسسة الخانجى : ١١ شارع عبد العزيز
المكتبة القومية : ٥ ميدان عرابى
وفى اليوم الخامس من كل شهر
تراث الإنسانية :
تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التى أثرت فى الحضارة الانسانية بأقلام الصفوة الممتازة من الأدباء والكتاب والعلماء .
الثمن : ١٠ للطبعة العادية
١٥ « الممتازة
تطلب من
الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع
٤٧ شارع نجيب الريحانى
ومن المكتبة العربية بميدان الأوبرا
وفى اليوم السابع من كل شهر
أعلام العرب
السلسلة التى تؤرخ لأعلام العرب فى مختلف الفنون بأقلام الصفوة الممتازة من الكتاب والأدباء والعلماء المتخصصين من العرب .
الثمن : ٥ للطبعة العادية
١٠ « الممتازة
تطلب من
مكتبة مصر : ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة

أخبار علمية وأدبية

● فاز العالم الامريكي لينوس بولنج بجائزة نوبل للسلام لعام ١٩٦٣ ·

والعالم الامريكي هو استاذ الكيمياء بمعهد التكنولوجيا بكاليفورنيا ، وقد نال شهرة بمعارضته الشديدة وانتقاداته اللاذعة للتجارب النووية ، وقد سبق أن جمع توقيعات أحد عشر ألف عالم من شتى انحاء العالم على نداء للولايات المتحدة لوقف تجاربها النووية ·

والمعروف أن هذا العالم الامريكي قد نال في عام ١٩٥٤ جائزة نوبل للكيمياء لأبحاثه في قوى تماسك الجزئيات ·

جائزة نوبل قدرها زهاء خمسين الف دولار ·

● ابتكر فريق من احدى شركات الكهرباء الامريكية جهازا جديدا يجمع الكهرباء التي يولدها الجسم اثناء نشاطه ويمكن التعرف من تياراته المختلفة على علل الجسم في الاعضاء المختلفة · وقد دلت التجارب على أن الجسم يرسل تيارا يكفي لادارة الجهاز الذي يستخدمه المرضى بقلوبهم لتنظيم عملياتها مما يغنيهم عن الاستعانة بالبطاريات الصناعية ·

يستعد مبتكرو هذا الجهاز لتجربته على الانسان بعد أن جربوه على الفيران والكلاب والارانب ·

● « ارض الانبياء » رواية طويلة كتبها الدكتور نجيب الكيلاني عن مأساة اللاجئين في أرض فلسطين ·· الرواية تصور هذه المأساة تصويرا تاريخيا وتقع في ٣٠٠ صفحة وتظهر في اول الشهر القادم ·

● بعد أيام تبدأ الحلقة العلمية عن أمراض الصناعة والتي يشترك فيها ستة من كبار العلماء الالمان ، وتشترك معهم الهيئات الطبية العالمية ووزارات البحث العلمي والصحة والاشغال والمواصلات والجامعات ·

ستنعقد الحلقة في معمل المصل واللقاح بالدقي وسيلقى العلماء الالمان ستين بحثا علميا عن خمسة عشر موضوعا في أمراض الرئة والاشعاعات الذرية وتلوث الهواء وغير ذلك ، وسيستمر المؤتمر زهاء عشرين يوما ·

● تحت الرمال العربية ·· عنوان كتاب جديد ظهر منذ اسابيع في نيويورك ، والمؤلف هو الكاتب الامريكي جرانت بتلر ·

يصف الكتاب تطورنا السياسي والاجتماعي · ويتضمن احاديث المؤلف مع الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس احمد بن بيلا ·

● اكتشف العالم الجيولوجي « نازوبان » في أرمينيا بحيرة أخرى تحت بحيرة سيفان وهي على عمق ثلثمائة متر ومساحة سطحها تبلغ سبعمائة كيلومتر ·

● هاني · وزياده ·· ثنائي جديد يظهر في فيلم الثعبان مع الوجه الجديد فواكه ·· كتب قصة الفيلم بهاء الدين ابو شقه وكيل النائب العام وتنتجه شركة أفلام الشباب ·

● أكدت الاوساط العلمية ـ عن طريق أبحاثها ـ انه امكن ابتكار لسان صناعي من البلاستيك مهمته الكلام والمساهمة في ابتلاع الطعام هذا ما أعلنه المؤتمر الثالث عشر لجراحي الفم والاسنان في هامبورج ·

● سيصدر قريبا العدد الثاني من المجلد الرابع من كتاب (تلخيص مجمع الألقاب لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد وهذا الكتاب من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ·

● ندوة الجمعية الادبية (شارع قولة ـ عابدين) تناقش مساء يوم الاثنين القادم كتاب « قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر » للدكتور عز الدين اسماعيل ·

يشترك في المناقشة : الدكتور لويس عوض ، والدكتور عبد القادر القط ، والدكتور محمد مندور ، والاستاذ صلاح عبد الصبور ·

يقدم الندوة : الاستاذ فاروق خورشيد ·

عَـنْـرَامٌ فى الـبَـيْـدَاء

بـلـزاك

بقلم : كامل محمود حبيب

خرجت صديقتى من ملعب الوحوش وعلى وجهها سمات الرعب وهى تصيح «هذا عرض مخيف ، ولكن كيف استطاع م . مارتن أن يروض هذه الوحوش ترويضا يوشك أن يستلب وحشيتها » .

فقلت مقاطعا « ان كان هذا الامر - فى رأيك - معضلا فهو فى الحقيقة طبيعى » .

وعجبت السيدة من كلماتى وطافت على شفتيها ابتسامة فيها الشك والريبة والتهكم جميعا . وشعرت بشدة دهشتها فقلت لها : « اتظنين أن الوحوش الضارية لا تحمل فى أغوار قلوبها عواطف سامية ؟ لا عجب ، فنحن نلصق بها كل الرذائل التى تتنفس عنها مدنيتنا » .

وبدا على وجه السيدة أثر الدهشة مرة أخرى ، ولكننى اندفعت أقول «لا غرابة فلقد تجاذبتنى نوازع من الخوف والدهشة يوم أن رأيت - لاول مرة - مغامرات م. مارتن . وأثارت دهشتى فضول الرجل الذى كان يجلس الى جانبى ، وهو جندى من المحاربين القدماء ، قد بترت ساقه اليمنى ، فى نظراته القوه والشجاعة والاقدام ، وعلى وجهه أثر الحرب التى خاض غمارها طويلا . ولكنه بالرغم من ذلك كان طلق المحيا خفيف الروح ، يتألق بشرا وحبورا ، ثم هو ثابت الجنان : لا يثير اعجابه شىء ولا يزعجه شىء ولا يعبأ بشىء ، ولا يحجم عن أن ينشىء صلات ود بينه وبين أى انسان مهما كانت نوازعه .. جلس الرجل يتأمل ما يأتى به م. مارتن من المعجزات وهو يبسم فى استهتار ويقول : هذا شىء معروف ! »

فقلت له « كيف ؟ كيف يكون ذلك معروفا ؟ ما السر ؟ »

ومرت لحظة خرجنا على أثرها صديقتى نتجاذب أطراف الحديث ونسير نحو المطعم القريب لنتناول معا طعام الغداء ، وجلسنا وجها لوجه والجندى الصديق يقص قصته ، فلما انتهى الى غايتها قلت لنفسى « لقد كان الرجل على حق حين قال : هذا شىء معروف ! » .. لقد قص قصته فقال :

فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر وقع جندى فرنسى اسيرا فى قبضة الاعراب فحملوه الى اعماق الصحراء ليكونوا بمنأى عن الجيش الفرنسى . وهناك فى ظلال النخيل ضربوا خيامهم يطلبون الراحة والجمام . وظن الاعراب أن الهرب فكرة لن تطوف بخاطر هذا الفرنسى وهو فى قلب الصحراء ، فما أقاموا عليه حارسا واكتفوا بان يقيدوا يديه بحبل .

وحين غفا الناس أخذ الجندى الفرنسى يبذل غاية الجهد ليستلب سيفا ، واحتال - وهو مقيد اليدين - فقد القيد ، ثم زود نفسه بالتمر والشوفان ، واستولى على بندقية وقليل من الذخيرة ، وتمنطق بسيف وخنجر ، ثم وثب على ظهر حصان واندفع الى حيث خيل اليه ان الجيش الفرنسى يرابط .

نفق الحصان ليذر الجندى الهارب فى مضلة مترامية الاطراف . ونظر الرجل حواليه فاذا النهار يفر فرارا ، واذا الليل يسدل استاره ، فتراخت أعصابه من جهد ومن رعب فلجأ الى نشز من الارض تناثرت عليه شجرات من النخيل بعثت فى نفسه الطمانينة والامل . وهناك انغمر فى سبات عميق دون أن يتخذ لنفسه وقاء من شر الصحراء فما افزعه الا أشعة الشمس تنفث حرارتها فى الصخور التى يفترشها .

وكان الصمت مروعا موحشا . واللانهاية تطبق على الرجل من كل جانب فما يرى سحابا فى السماء ولا يحس ريحا فى الجو ولا نبضة على صدر الرمال . والافق - من أمامه - يتلاقى مع سطح البحر فى خط أبيض لامع مثل حد السيف .

وجلس الجندى وحده فى قلق يجتر ذكريات مضت . وفى خياله الوطن والاهل والاحباء والاصدقاء جميعا . ولكن الخوف لم يدعه طويلا يستمتع بهذه الاخيلة الجميلة . فهب يفتش حواليه فبدت له آثار ناس سكنوا هذا المكان ثم رحلوا عنه منذ زمن قريب ، ورأى على مسافة منه نخيلا محملا بالثمار فتيقظت فيه غريزة حب الحياة فأمل أن يعيش ليرى قوافل الاعراب تمر به فتنقذه أو أن يسمع صوت مدفع قريب فان جيوش بونابرت ما زالت تتوغل فى أرض مصر .

لقد طافت بذهنه هذه الخاطرة فبعثت فيه الحياة من جديد فانطلق يهز جذع نخلة فتساقطت عليه

رطبا . لقد كان الغذاء شهيا لذيذا نقله من اليأس الى الامل فانطلق الى قمة الرابية ليقضى سحابة يومه فى عمل مرهق عنيف يجتث أصول نخلة عقيم ليصنع كهفا يقيه شر حيوان الصحراء وليضع لدى الباب حاجزا يحول بينه وبين الشر الذى يتربص به فى هذه الناحية الموحشة .

وبدا الليل يلقى أستاره على الفضاء والجندى التائه فى هذا القفر يحس شدة النصب والجهد فانغمر فى نوم عميق . وفى قلب الليل أحس بصوت يزعجه عن أحلامه ويفزعه عن راحته ، فجلس يتسمع . واستطاع ــ بعد قليل ــ أن يسمع أنفاس حيوان تردد على خطوة منه . واستولى عليه رعب ضاعفه سكون المكان ووحشته ، وتيقظت حواس الرجل فرأى وحشا لم يتبينه وهو على خطوتين منه . وتواردت الخواطر على ذهن الرجل فهم يريد أن يردى هذا الحيوان المفترس بقذيفة من بندقيته ولكن المسافة بينه وبين عدوه الرابض امامه لم تكن لتسمح له أن يصيب الهدف . انه سيخطىء الهدف حتما ، واذ ذاك تكون الطامة الكبرى . وأزعجته الخاطرة فانتفض قلبه وتصلبت أطرافه وأعجزته الحيلة عن ان يجد منفذا والوحش يسد عليه باب الغار . لقد وضع يده على مقبض السيف مرات يريد ان يطيح برقبة الحيوان المفترس ولكنه كان فى كل مرة يرتد فى يأس لضيق المكان ، فعقد العزم على أن يستسلم ويقبع فى مكانه صامتا حتى الصباح ، ولكن الصباح لم يمهله طويلا فاندفعت أشعة النهار تخترق الكهف فاستطاع الرجل أن يرى فم الفهد وقد لطخ بالدم فقال لنفسه « لقد وجد غذاء شهيا فهو الآن فى شبع ورى » .

لقد كان الحيوان أنثى يكسوها فراء ناعم جميل يصطبغ بالوان جذابة زاهية ، فهو أبيض ناصع على البطن والفخذين وأقدامها تتزين بأساور لطيفة من المخمل ، وذيلها الطويل أبيض ينتهى بخصلة سوداء أخاذة ، والظهر أصفر كالذهب غير المصقول ترصعه بقع من ألوان مختلفة تتألق فتزيد الانثى روعة وجمالا .

هذه الضيفة الضخمة المطمئنة لدى باب الكهف كانت تغط غطيطا جميلا كأنه صوت قطة رابضة استلقت على وسادة ، ومخالبها الصلبة ملطخة بالدماء ومتمددة الى جانب الوجه ومن بينها شوارب بيضاء متألقة كأنها أسلاك الفضة النقية .

وانهارت شجاعة الرجل أمام الخطر الماثل ، ولكن خاطرة جريئة جلبت الأمل الى نفسه وأزاحت عنه اليأس والخوف ، فهو قد عقد العزم على أن يخوض غمار هذه المأساة حتى نهايتها وأخذ يحدث نفسه « لقد كان الأعراب على وشك أن يقتلونى فماذا على ان قتلتنى هذه الفهدة ثم أخذ ينتظر نهايته المحتومة فى شجاعة وصبر الى جوارة غريمته المتوحشة تنام فى طمأنينة .

وعند بزوغ الشمس فتحت الفهدة عينيها فى فتور، وتمطت فى قوة وتثاءبت عن أسنان قوية حادة ولسان مدبب خشن . وتقلبت فى لين ودلال ثم اخذت تلعق بقايا الدم التى علقت بمخالبها وفمها ، وتهرش رأسها فى ظرف وملاحة . وتعلق بصر الجندى بالفهدة وهى تهيىء نفسها فقال لنفسه « هذه فتاة صغيرة أنيقة ، انها تأخذ زينتها الآن ولن يلبث أحدنا أن يحيى الآخر تحية الصباح » ثم أمسك بالخنجر يريد شيئا ، وفى هذه اللحظة رمقته الانثى بعينين ثابتتين ولم تحرك ساكنا .

ونظرت الفهدة الى الرجل نظرات ثابتة قوية نفاذة زلزلت اعصابه ، وزاد اضطرابه حين بدأت تسير نحوه فى أناة وبطء . ولكنه جمع نفسه فنظر اليها فى غير اهتمام وحدق فى عينيها بغية أن يمغنطها فيجذبها اليه . وحين اقتربت الفهدة من الرجل دعا شجاعته ثم راح يتحسس جسمها فى رفق وأحست الفهدة بيد الرجل تمر على ظهرها فى رفق فأخذت تبصبص بذيلها واستحالت نظراتها الى نظرات فيها الرقة والعطف ثم أرسلت مواء رقيقا ينبىء عن غبطة وسرور . وحين أحس الرجل بوحشية الحيوان تنطفىء رويدا رويدا هم يريد أن يغادر الكهف . ولما بلغ قمة الرابية اندفعت الفهدة اليه تتمسح به وتنظر اليه فى توسل .

ووجد الرجل فى نفسه الشجاعة والقوة فبدأ يداعب صديقته ويتحسس كل جزء من جسمها فى رقة مرة وفى عنف مرة . ثم أخذ يدغدغ جمجمتها بسن خنجره علّه يجد الفرصة ليقتلها ، ولكنه أحس صلابة عظامها فاضطربت يداه لانه خشى مغبة الفشل

وقال الجندى لنفسه « حسنا ! ولكن ماذا عسى ان تفعل ان تملكتها سورة الجوع ؟ » .

وبالرغم من أن هذه الخاطرة قد أزعجته لقد جلس اليها يربت عليها . انها فتاة شابة عاطفية حساسة .

لقد أشبعت نفسها بالدم وهى الآن تريد أن تقضى وقتها فى اللعب واللهو .

وحاول الجندى أن ينأى عن هـذا الوحش فراح يذرع الوادى والنمرة تتبعه كأنهـا الكلب الامين . ولما عجز عن أن ينأى عنها ارتد اليها يداعبها فى غير خوف ولا رهبة ، واستسلمت هى له يفعل ما يشاء ، وانغمرا معا فى دعابة صامتة طويلة .

ووسوس الشيطان للرجل أن يغمد خنجره فى بطن الوحش الذى لم يصـبه بأذى ولكنه أحس فى قلبه عطفا واحتراما للحيوان الذى لم يحاول أبدا أن يمسه بسـوء . وأحس أنه وجد صاحبا فى هذه البيداء الشاسعة .

وتذكر الرجل فى هذه اللحظة حبه الاول . لقـد كانت فتـاته الاولى «مينون» غيورة ترهقه بالغيرة وتهدده دائما بسكين حادة يرهبها ويخشاها . ودفعته الذكرى الى أن ينادى صاحبته بهـذا الاسم الحبيب فهو قد اطمأن الى صداقتهـا وسكن الى رفقتهـا واستطاع ـ بعد حين ـ أن يعلمهـا أن تلبى نداءه كلما ناداها « مينون » .

ولدى الغروب راحت النمرة تجرى أشواطا حول الوادى تجس المـكان ، ثم هدأت دفعة واحـدة ، وحينذاك ناداها « تعالى ياصغيرتى الشقراء ، ونامى أنت أولا » .

وأخذ الجندى ينتظر فى شـوق ساعة هروبه . ولما شعر بان الفهدة قد انغمرت فى نوم عميق قام هو فى هدوء وطار نحو النيل ، ولكنه ما كاد يقطع ربع فرسخ فى هذه الرمال حتى لحقته الفهدة وهى تصيح صيحات مرعبة فقـال فى نفسه « آه ، لقد وجدت فقدى ، انها لم تلق انسانا قبلى ، ولا ريب فى أنها لقيت فى حبيبها الاول » وأحس الرجل بأنه قد ألقىّ فى سجن ، وما تلبثت الفهدة أن تشبثت به تجره الى الكهف .

ومنذ ذلك الحين استحالت الصـحراء فى عينى الجندى الى مكان حبيب لان فيهـا مخلوقا يستطيع هو أن يتحدث اليه ، واستحال الوحش الى صديق رقيق طيب ، غير أنه لم يستطع أن يفسر السـبب الذى دفعهما الى هذه الصداقة والالفة . وفى حراسة الصديق الوحش نام الرجل نوما عميقا هادئا .

ومرت الايام على نسـق واحد تدفع الرجل الى أن يستوعب جمال الصحراء ، فهو الآن يجد الى جانبه مخلوقا يستطيع أن يفـكر فيه ، وحياته تتنقل من خوف الى طمأنينة ومن طمأنينة الى خوف ، والى جانبه الغذاء والشراب .

وفى ذات صباح رأى الجندى نسرا ضخما يحوم حوال المكان فترك صديقته ليرى الضيف الجديد . ولما رأته الفهدة قد انصرف عنهـا زمجرت زمجرة عميقة فقال لنفسه «لاعجب ، لقد لبستها ـ ولاريب ـ روح العذراء فسيطرت عليها الغيرة » وحين اختفى النسر فى الفضاء ارتد الرجل الى صديقته يتحسس ظهرها وفى خياله الامل فى الخلاص . آه ، ان فيها الجمال والشباب ، انها جميلة كالشابة الفتانة وان فراءها الاشـقر يتخلله بيـاض ناصع جذاب اذا انعكست عليه أشعة الشمس جعلت هذا الذهب الحى وهذه النقط المتألقة جعلتها جميعا تتلهب فى الضوء فتخلب اللب والبصر .

ونظر الرجل الى الفهدة ونظرت الفهدة الى الرجل ... واهتزت الانثى حين أحست بالرجل يضربهـا بقبضة يده على رأسها فى عنف . ونظرت اليه نظرة خاطفة فيها لمعان البرق ثم أغمضت عينيها فى معنى من معانى العتاب . فقال الرجل يحدث نفسه « ان فيها عاطفة » ونظر الى هدوء هذه الملكة ... ملكة الرمال ، وهى ذهبية كالرمل ، بيضاء كالرمل فى وهج الشمس ، وحيدة كالرمل فى متاهات الصحراء ، تتلهب كالرمل فى حمارة القيظ ...

لقد هفا الرجل الى الخلاص فضرب الفهدة المخلصة بقبضة يده ضربة أحست معها أنه قد أصاب قلبهـا بأذى عميق ، ولكنه لم يدر أنه قد حز فى نفسهـا ما فعلّ ، واستدارت الانثى تدغدغ رجله بأسنانها ، وخيّل الى الرجل انها تهم أن تفترسه فاغمد خنجره فى قلبها فاضطربت فى الم وصرخت صرخة فيهـا معنى البكاء ، صرخت صرخة جمدت لها أطراف الرجل وتزعزع لها قلبه . ورآها تلفظ أنفاسها الاخيرة وقد تعلق به بصرها فما يطرف ، غير أنها لم تحاول أبدا أن تمسه بسوء .

«أقبل الجند ليخلصوا الرجل من سجنه فوجدوه منكبا على صديقته المتوحشة يبكى فراق التى أحبته ، ليته يستطيع أن يرد نبضات الحياة الى التى أخلصت له ... ليته !

كامل محمود حبيب

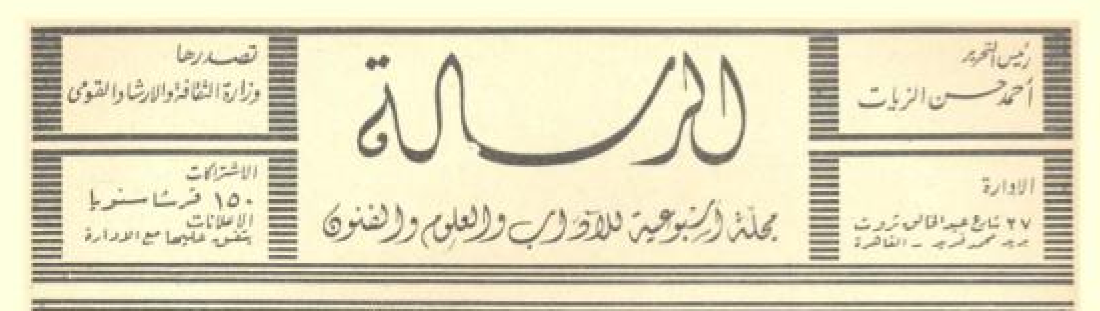

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٢ ـ ٧ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من حديث المرأة

بقلم: أحمد حسن الزيات

عادت الرسالة وعادت اليها (حياة)

و (حياة) كما يذكر قراء الرسالة الأولون فتاة مصرية من الطراز الاول في ثقافة القلب واللسان كان لها قلائد من الأدب العالي تحلى بها صدر (الليبرتيه) أيام كان يصدرها في القاهرة الكاتب الفرنسي (ليون كاسترو) ثم كان لها بعد احتجابها رسائل الى الرسالة تعالج فيها شأنا من شئون المرأة كان آخرها رسالة نشرت بعدد ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ثم انقطع عنى خبرها فلم أعد أقرأ لها ولا أسمع عنها ، حتى يوم الاحد الماضي ، اذ ألقى الى البريد كتابا منها يختلف عما كانت ترسل في لون الغلاف ونوع الورق فلم أعرفه كالعادة من ظاهره . فلما فضضته ووقع نظرى على الامضاء ، سرت في شعورى نشوة الذكرى وفرحة اللقاء . ولعل من الافضل الا أترجمه اليك ، قبل أن أقص جملة أمرها عليك :

كتبت مقالا في عدد ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ من الرسالة أقول فيه :

«ان غاية الكمال الاجتماعى أن يكون الرجل في كفة والمرأة في كفة من ميزان المجتمع . وتلك هي السنة التي فطرنا عليها الله ، والنظام الذى فرضته علينا الطبيعة ، أما المجتمع الأعرج الأشل البليد

الخشن فغير جدير بالسباق ولا باللحاق فى هـذا العصر السريع الطائر .

***

ومجتمعنا بغير المرأة هو ذلك المجتمع : فهو أعرج لانه يمشى على قدم واحدة ، أشل لانه يعمل بيد واحدة ، بليد لأن حدة العواطف تنقصه ، خشن لأن لطافة الانوثة تعوزه ... لاحظ مجلسا من مجالسنا احتشدت فيه الرجال شبابا وكهولا فماذا تجد ؟ تجد الحركات العنيفة والاصوات الناشزة والمناقشات العميقة والأحاديث الجريئة والكلمات المندية والذوق العامى والحس البطىء . لاحظ هذا المجلس نفسه وقد حضرته امرأة – امرأة واحدة لا غير – تجد الحركات تتزن والاصوات ترق والمناقشات تنتج والأحاديث تحتشم والكلمات تنتقى والذوق يسمو والحس يرهف . ذلك لأن الرجل حريص بطبعه على أن يجمل سمته فى عين المرأة ، ويحسن صوته فى أذن المرأة ، ويسوغ رأيه فى عقل المرأة . والاخلاق المكتسبة تبتدىء بالتطبع وتنتهى الى الطبع ..

فاذا لم تصبح المرأة فى البهو عطر المجلس ؟ وعلى الطعام زهر المائدة ؟ وفى النادى روح الحديث ؟ وفى الحفل مجمع الأفئدة ؟ فهيهات أن يكون لنا مجتمع مهذب وحياة طيبة وأسرة سعيدة » .

***

وقع هذا القول من الجنسين البارز والمستتر موقع التسليم والرضا . ولكن نفرا قليلا من صالحى الاخوة كانوا لا يزالون يرون ان اقصاء المرأة عن المجتمع أمر من أوامر الدين وقاعدة من قواعد الخلق، فكتبوا الى الرسالة والى بعض الصحف يفندون هذا الرأى بحجج انتزعوها من أحاديث الظنون وهواجس الخوف ومواضعات العرف ، وكان من بين الرسائل المؤيدة رسالة باللغة الفرنسية وردية الغلاف أنيقة الورق جيدة الخط رائعة الأسلوب ، فى رأسها (المعادى) وفى ذيلها (حياة) . قرأتها فاكبرت الادب الذى صدر عن هذه النفس ، والثقافة التى ظهرت فى هذا الأدب ، ورأيت ان أناقش الكاتبة فى هدوء المنطق واعاتبها فى حدود الرفق . ولا أقول انى أصطنع القول اللين والحجاج الهين لأن ذلك واجب الرجل فى خطاب المرأة ، فان الآنسة أو السيدة تقول فى رسالتها ما ترجمته :

« ... وما اعترفت منذ عرفت الرجل وسبرت قواه فى مطالعاتى ومشاهداتى ان له من مزايا الفطرة ما يجعله قيما على المرأة . وان من هوان نفسى على أن أقبل منه العطف لأنى ضعيفة ، أو اللطف لأنى امرأة » .

***

شغلت الكاتبة الصفحة الأولى من كتابها بتقريظ الرسالة وكتابها ؛ ثم قالت :

« ... ليس قصدى من كتابة هذه الكلمة أن أكون معك أو عليك فيما كتبته موفقا عن المرأة ، فانى أعتقد أن هذه المسألة لا تتعلق الا بنا ولا يكون الحكم فيها الا لنا ، وما دخول الرجل فيها الا أثر من اعتقاده القديم أن فى يده زمام هذا الجنس المنكوب يرخيه ويشده على هواه . والامر لا يخرج عن كونه نظاما طبيعيا يجرى على سنة الحياة من هيمنة القوة على الضعف وطغيان الأثرة الباغية على العدل الذليل . فحرية المرأة كحرية الأمة سبيلها العمل وحجتها القوة . أما الدفاع بالقول والاقناع بالحق فأصوات مبهمة كزفيف الريح المحبوسة فى مخارم الجبل لا تدل على الطريق ولا تساعد على الفرج . لا أقصد كما قلت أن أناقش رجلا فى موضوع لا شأن له به، وانما أريد أن أقول لك ، اذا كان رأيك فى المرأة هذا الرأى ، وعطفك عليها هذا العطف ؛ فلماذا حرمتها أن يكون لثقافتها مظهر فى الرسالة بجانب ثقافة الرجل ، فان من يقرأ الرسالة فى غير مصر يظنها تصدر عن بلاد كبلاد (الاسطورة الصينية) ليس فيها امرأة » .

سأنزل فى الجواب على ارادتك يا آنستى (حياة) فلا أخوض معك فى حديث المرأة ، ولا أعتب عليك فى انتقاص الرجل ما دام الفصل فى خصومة الجنسين للطبيعة لا لأحدهما .

***

سأقصره اذن على ما أخذته على الرسالة من اغفالها ثقافة المرأة . ونحن فى ذلك انما نجرى على مذهبك

الذي ارتضيته وأعلنته ، فلم نرد أن يتحدث الرجال عن شئون النساء الخاصة ، وفتحنا الباب ومنعنا أن يدخل منه غير أهله . ثم انتظرنا أن يصل اليه شيء يدل بقيمته وقوته على النهضة النسائية ، فلم يأتنا بعد تسعة أعداد من الرسالة الا كتابك هذا . وقد قبلناه موضوعا ورفضناه شكلا ، لان كتابتك اياه بالفرنسية الخالصة تدل على تلك الثقافة الشوهاء التى لا ترضاها الرسالة للفتاة . فهل تظنين أن العربية تقل جمالا فى الفم الجميل والقلم المهذب عن الفرنسية ؟ وهل تظنين أن جرس العربية يقل امتاعا فى الصالون وايقاعا فى النجوى عن جرس الفرنسية؟ وهل تعتقدين أن المصرية لا تكون حديثة النشأة ولا عصرية الثقافة الا اذا كتبت بالفرنسية او ارتضخت لكنة أجنبية ؟ ان المصارف والمتاجر والشركات وأرباب الامتيازات يحتقرون العربية لانها لغة الشعب . والشعب لا يزال من خدر الذل فى بلادة صماء يضيع فيها وخز الاهانة ، ولكنك يا سيدتى تسمين حياة ! وتشيرين فى كتابك الى حفظ القرآن واقامة الصلاة ، فكيف تسيئين بنفسك الى كرامتك ، وبيدك الى لسانك ...

***

لم تكد الآنسة تقرأ هذا الذى كتبت حتى أسرعت الى الجواب فى كتاب نشرته الرسالة فى عدد ١٥ يونيو من سنة ١٩٣٣ قالت فيه ما ترجمته :

« نعيت علىّ أنى كتبت اليك بالفرنسية . والسبب فى ذلك بعيد كل البعد عن التظرف والحذلقة . والله يعلم وصواحبى يشهدن بما كان بينى وبين الراهبات المعلمات من الجدل العنيف كلما تعرضن لديننا بالغمز ، أو لتاريخنا بالعبث ، أو للغتنا بالزراية . انما أنا ومثيلاتى ضحايا لنظام مدرسى لم يقم الا لتعليم الفتى (ميكانيكية) الحكومة لان قيامه لهذه الغاية جعل من طبيعته اغفال أمر البنت فلجأ بها أولياؤها الى المدارس الأجنبية فنشأت هذه النشأة البتراء المشوبة ، لا تعرف عن دينها الا الشبه ولا من لغتها وأدبها غير القشور .

***

لو كنت كتبت اليك بعربيتى لحسبتنى طفلة تجمجم بالكلام ولا تبين ، ويكون من وراء ذلك أنك لا تفهمنى ولا تفهم عنى ، فكتبت اليك بالفرنسية لان الانسان يميل بطبعه الى جهة القدرة لا الى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص . ولئن تعرضت بذلك الى غضبك ، فقد نجوت ولله الحمد من سخرك ، وسخطك على أحب الى كرامتى من استخفافك بى . ما كان أسعدنى لو ملكت من لغتنا ما تملك فترجمت عن نفسى بمثل ما ترجمت عنى فى الفقرات التى نشرتها من كتابى !

***

أنا الآن أعالج فى نفسى هذا النقص بالدرس المستمر لآداب العربية . وتكاد الرسالة تكون الوسيلة الوحيدة لهذا الدرس ، فأنا أستوعب أبوابها المختلفة ، وأتذوق أساليبها المتنوعة ، ويخيل الى أنى قطعت الى غايتى مرحلة كبيرة ، ولكنى أجد فى الرسالة نفسها أن زعماء الكتاب لا يزال بعضهم ينقد بعضا فى مبادىء النحو وبسائط التركيب . فليت شعرى أقنط من الدراسة أم أستمر ؟ » .

***

ولتسمح لى الآنسة الفاضلة أن أقف هنا فى ترجمة كتابها لأعجل بالنصيحة لها أن تستمر ؟ فان العربية لاطراد قواعدها فى القياس ، واتفاق تراكيبها مع الطبع أبسط اللغات نحوا وأقربها غاية ، ولكن آفتها منهاج سيىء ومعلم عاجز وتلميذ كسول !

وستقرئين فى هذا العدد بحثا فنيا فى ثقافة المرأة للآنسة أسماء ، وشعرا منثورا فى التصوف للآنسة ناهد ، فتجدين فى صياغتهما الحسنة وعبارتهما الفصيحة وأسلوبهما الرقيق مشجعا لك ومصدقا لى .

(للحديث بقية) **أحمد حسن الزيات**

الأنبا بسكو

للدكتور محمد أحمد خلف الله

راى فيما يرى النائم انه واقف امام منزله ومن حواليه نفر من الفتيان الذين يضجون ، ويصخبون، ويجادلون في الله بغير علم . وانه حاول اسكاتهم ، واحتال عليهم في ذلك بالترغيب تارة ، وبالترهيب اخرى ، ولكنهم لم يرتدعوا . وان شيخا وقورا مهيبا اقترب منه ونصحه بان يسلك مع هؤلاء الصاخبين مسلك اللين ، وان يرفق بهم اذ لعلهم ان ينقادوا اليه . وانه امتثل أوامر ذلك الشيخ . ولم يكن بالعجيب أن يرى في الحلم وحوشا ضارية قد استحالت الى خراف وديعة . وان يسمع في الحلم صوتا رخيما تترنم به عذراء تقول له : خذ عصاك وامض بهم الى المرعى .

وفي الصباح قص رؤياه على اخويه ، وعلى امه . وطلب اليهما تفسيرا او تعبيرا لما راى ، واجابوه اجابات مختلفة . فقال اخوه الكبير انك ستكون راعى غنم وبقر . وقال أخوه الاكبر . انك ستكون زعيم عصابة ، وقالت جدته لأمه هذه اضغاث احلام ، وقالت امه لعلك يا بنى تصير كاهنا .

استقر في ذهنه هذا التفسير الاخير واطمأنت نفسه الى أن يصير كاهنا . ولكن قامت في نفسه أزمة جاءته من وضعه الخاص . فهو فقير معدم لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وهو يتيم لا يجد الى جانبه من يعوله ، فاخوته يعملون لأنفسهم ويضطرونه للعمل مع صغر سنه ، وامه التى تحبه وترعاه وتحنو عليه لأنه طفل صغير لا تملك من المال ما يشجع على أن تبعث به الى المدارس الدينية ليدرس على الكهنة ثم يتخصص في شئون الكهنوت .

لقد كان هذا النوع من التعليم بالمجان ولكن النفقات التى ينفقها التلميذ على نفسه تخصه وحده أو تخص أسرته . انه الذى يدبرها والا ظل جاهلا يتحكم فيه غيره ويستغله الاغنياء والمتعلمون .

كان رد الفعل قويا فتحطمت احلامه ، واصابه من الهم ما جعله حزينا كاسف البال ، واقلق هذا الوضع امه التى تجعل منه قرة عينها ، وعرف الناس من اهل القرية عنه ذلك فأخذوا يتندرون عليه لانه في عرفهم يطلب ما ليس له اهلا ؛ واخذ اخوه الاكبر الطوان يعامله بشدة ليصرفه عن ذلك الحلم الذى أزعج الجميع .

وذات صباح عاد البشر الى نفسه والسرور الى قلبه ، ورآه الناس فرحا مغتبطا كأن لم يكن قد أصابه من الهم شيء وعجب الناس من أمر هذا الصبى الذى انقلب حاله فيما بين يوم وليلة . وتقدم منه صديق له يسأله الخبر .

ــ مالى اراك اليوم فرحا مسرورا وقد كنت من قبل قلق البال مضطربا ؟ ماذا جرى لك ، وما الذى حولك من حال الى اخرى مغايرة ؟

ــ الآن ايقنت انى ساكون كاهنا .

ــ وكيف تم ذلك ؟

ــ لقد رأيت في هذه الليلة حلما سلانى ، وعزانى ، وجعلنى اعتقد اعتقادا جازما بانى بالغ درجة الكهنوت لا محالة . لقد رايت في الحلم سيدة جليلة ، مهيبة ، ترعى قطيعا كبيرا ، قد اقبلت على ، ودعتنى باسمى ، وقالت لى : يا ابنى يوحنا . انى اسلم هذا القطيع اليك لتعنى به ، ولترعاه الرعاية الكاملة . وانى اجبتها قائلا : ما العمل يا سيدتى وهو قطيع كبير من خراف ونعاج ؟ انه يحتاج الى حراس كثيرين . وكيف السبيل يا سيدتى الى العناية به وانا انسان فقير لا مرعى لى ؟ انى لا اعلم الى اين اذهب به . وانها ختمت حديثها معى بقولها : لا تخف يابنى فانى أسهر عليك واساعدك .

ان هذه الرؤيا هى التى بعثت في نفسى السرور والانشراح ، واكدت في قلبى الأمل بان ساكون كاهنا صالحا ترعاه وتسدد خطاه امنا العذراء ــ أم يسوع عليه السلام .

لقد كانت الرؤى والأحلام هى الوقود الدائم الذى يحرك امكانيات هذا الصبى نحو المجد ، ويسدد خطاه في كل سبيل يسلكه . ثم انها التى خلقت في نفسه ذلك الايمان القوى العميق بانه محقق امله، وبالغ من الحياة كل مايريد ــ ومن هنا كان احتماله لهذه المشاق التى عاناها ، والصعاب التى تخطاها . وكان تحقيقه لهذه الآمال العريضة التى حققها في كل ارجاء العالم .

لقد تفتق ذهنه الصغير عن حيلة اصبحت له فيما بعد سنة في الحياة ، وطريقة في المعيشة . لقد كانت له عمة تخدم في بيت احد الكهنة . ورأى هو أن يعرض عليها مساعدتها في خدمة هذا الكاهن نظير ن يعلمه الكاهن القراءة والكتابة وبعض مسائل لدين . واستجابت العمة ، واستجاب الكاهن وكانت

تلك هي الخطوة الاولى في سبيل المجد او في سبيل التعليم ــ وكان عليه ، في سبيل ذلك ، ان يقطع في اليوم الواحد مسافة عشرين كيلو من المترات ، فيما بين القرية التي يقطنها والبلدة التي يسكن فيها هذا الكاهن .

ثم عن له ان يكون حيث تكون مراكز التعليم ــ حيث يكون الكهنة وتكون الأديرة . ولا خوف عليه بعد اليوم فقد عرف الطريق التي تمكنه من ذلك وهي أن يخدم الناس في سبيل المسكن والطعام والكساء .

لقد خدم في بيوت كثيرة ، وعند اناس مختلفين في الحرف والمهن وفي الخلق والمزاج . ولقد افادته هذه التجارب كثيرا ، وجعلته من اصحاب الخبرة في معرفة الحرف والمهن ، وفي الوقوف على اخلاق الناس .

لقد خدم عند رجال الدين من كهنة وقساوسة . وخدم عند اصحاب المهن الحرة والحرف اليدوية من حدادين ، ونجارين ، وخياطين ، واستفاد من كل ذلك ، وافاد غيره فيما بعد .

ولقد حكمت عليه الظروف في بعض الاحوال فوقف في الطرقات وعلى ابواب المؤسسات العامة يستجدي ويطلب المعونة . ولعله الذ يكون من المفارقات التي لا يمكن اغفالها في هذا المقام ان الظروف قد هيأت له مبلغا من المال ، مقداره ستة آلاف فرنك ، على سبيل الوصية ، من احد رجال الكهنوت الذين اشتغل خادما عندهم ، ولكن قيمه الخلقية ابت عليه أن ينفرد بالمال من دون الورثة ، وحكمت عليه بأن يسلمهم مفتاح الخزانة وما فيها من اموال وان يمزق امامهم ما كتب الكاهن من وصية .

لقد علمه هذا المثل الطيب الذي ضربه له هذا الكاهن ، كما علمته ظروفه القاسية ان يكون رحيما باليتامى ، بارا بالفقراء . كما علمته ان يهب وقته وماله ، وكل ما يملك من قيم روحية لهؤلاء الضالين المشردين من ابناء الأزقة والحارات . وكثيرا ما كان يقول لامه : اني متى صرت كاهنا فساجلب الى الاولاد ، وابدي لهم المحبة ، واجمع شملهم ، واسمعهم كلام الله الحي ، واثابر على خلاص نفوسهم كما فعل معي الأب كالوسو ، واقتداء بسيدنا يسوع المسيح . وكثيرا ما كان يتمثل بهذه الآيات من الانجيل « ثم أخذ صبيا وأقامه في وسطهم واحتضنه وقال للرسل . من قبل واحدا من هؤلاء الصبيان باسمي فاياي يقبل ! دعوا الصبيان يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله . »

لقد كانت مشاريعه الكبرى التي حققها في كل انحاء العالم وليدة هذه الظروف القاسية التي مر بها ، وتلك التجارب الحية التي عاناها .

لقد علمته الحياة اشياء كثيرة افاد بها كل أولئك الذين تلفظهم الحياة . انه يردهم الى انفسهم ، ويردهم الى الحياة ، ويجعلهم القدوة الحسنة الصالحة في كل جانب من جوانب الحياة .

اتم الفتى دروسه الابتدائية والثانوية على هذه الحال من الفقر المدقع ، ومن الخدمة في البيوت والحوانيت ، ومن التسول في الطرقات . واحرز الفتى نجاحا هائلا في اللاتينية واليونانية ، والعلوم الرياضية . واصبح الطريق امامه ممهدا للالتحاق بالاكليريكية الكبرى ، ولكن الفقر قد لاحقه في هذا الموقف . فهو لا يستطيع هنا ان يقوم بالخدمة في البيوت والحوانيت لأن وقته لن يسمح ، من حيث انه ليس ماذونا له بالخروج . وهو هنا يفكر في أمه التي قد اصابتها الشيخوخة ، والتي قد تحتاج الى معين .

ووقفت امه موقفا شجاعا ، وقالت له :**كن على ثقة تامة من اني لا اريد منك شيئا على الاطلاق . لقد ولدت فقيرة ، وعشت فقيرة ، واريد ان اموت فقيرة، وحسبي ذلك فخرا .**

وتكفل احد المحسنين بالنفقات في السنة الاولى، أما في بقية السنوات فتكفل بها تفوق الفتى وما حصل عليه من جوائز .

ويحسن بنا هنا أن نورد الكلمات التي تفوهت بها الأم عند الوداع ــ **لقد توشحت يا بني بالثوب الاكليريكي ، وامتلأ قلبك غبطة أن تحققت أحلامك. فيجب أن تعلم علم اليقين بان الثوب لا يشرف الكهنوت ، فانما الذي يشرفه هو الفضيلة . واذا خامرك ريب في دعوتك فرجائي الا تلحق عارا بثوبك . انزعه عنك حالا . فاني اوثر أن اشاهد ابني وقرة عيني فلاحا فقيرا من أن اشاهده كاهنا متهاونا في تكميل فروضه . اعلم أني لما ولدتك ، ولما باشرت دروسك قد استودعتك الى عناية سيدتنا مريم العذراء فاوصيك اليوم أن تخصص نفسك كلها بهذه الأم الحنون .»** .

قضى الفتى ست سنوات كاملة في الاكليريكية الكبرى . صرف منها سنتين في دروس الفلسفة واربع سنوات في دروس اللاهوت . وكان في جميع

سنى الدراسة قدوة صالحة ومثالا حسنا . وكان يؤمن ايمانا جازما بأن لا تناقض بين الدين وبين الحضارة والمدنية فكان بذلك انموذجا فريدا لرجال الدين ، وتمكن بذلك من محاربة البدع ، ومن ترسيخ القيم الدينية والروحية فى انفس المعاصرين .

تخرج الفتى سنة ١٨٤١ . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية حسب الطقوس والمراسم المعهودة ، وازدحم الناس الذين عرفوا صفاته الطيبة فى كنيسة مارفرنسيس ليحضروا قداسه ، ويسمعوا موعظته . وكان الذى يشغل باله عند تقريبه القداس تلك الخراف المهملة التى رأى فى المنام أن سيرعاها ويعتنى بها .

كانت تجربته الأولى مع تلك الخراف الضالة فى مدينة تورينو حيث كان يعمل بمدرستها الكنسية العليا فقد شعر منذ الاسابيع الاولى بالضلال الذى يتخبط فيه الأحداث القادمون من الارياف . فقد كانوا يسكنون فى محال قذرة ، وكان يسكن فى الغرفة الواحدة عدد من الاطفال يكفى لمنزل باكمله . وكانت اخلاقهم فاسدة بسبب اختلاط الجنسين معا .

وذات صباح سمع — وكان يتوشح بالحلة الكهنوتية ليقرب الذبيحة — قيم الكنيسة يصرخ فى وجه شاب ، ويتهدده بالضرب ، ويقول له : اخرج من الكنيسة والا اخرجتك قسرا . فاستدعى القيم وانبه على فعلته تلك ، وطلب اليه أن يستدعى الشاب — وحين حضر حدثه حديث أب حنون حتى هدأ روعه واطمأن اليه .

كان هذا الفتى طليعة جماعة اليتامى والفقراء الذين اعتنى بهم القديس يوحنا بسكو فقد اخذ هذا الفتى يجمع الخراف الضالة ، ويتقدم بها لهذا القديس الناشىء ليعنى بها ويرعاها .

ومرة ثالثة او رابعة او خامسة يعانى ضيق ذات اليد . انه فى هذه المرات يعانى من اجل هذه الخراف الضالة التى يزداد عددها حتى بلغ المئات . ماالذى يفعله فى مقامها وفى الانفاق عليها ؟

لقد بدأ دعوته بجمع التبرعات وباسكانهم فى محلات لا يسكنها عادة الا الحيوانات ، وكان الاهالى يضيقون بالقديس وبابنائه من اليتامى والفقراء من اجل ذلك الضجيج الذى يحدثونه ، وتلك المشاجرات التى يقومون بها . واحتمل القديس بسكو كثيرا من الاهالى ومن الخراف الضالة . ونجح القديس بسكو فى تحقيق اغراضه فاقام فى كل انحاء العالم الأديرة والمؤسسات التى تخدم ابناء الطرقات الذين لفظتهم الحياة . اقامها ليعلمهم الدين ، ويعلمهم الحرف ، ويجعل منهم القدوة الحسنة لصلة رجل الدين بالحياة .

وكثر اتباع الرجل ممن تخرجوا على يديه أو على يد تلامذته وانتشروا فى الارض يتممون رسالته . وفى ارضنا الطيبة اقاموا المعاهد تيمنا باسم هذا الرجل — دون بسكو — اقاموا هذه المعاهد بالاسكندرية وبالقاهرة وبالاسماعيلية وبالسويس وببورسعيد .

وفى ارضنا العربية اقاموا كثيرا من المعاهد — اقاموها فى دمشق وحلب وفى بيروت وفى الناصرة ، وبيت لحم وبيت جمال . وفى حيفا ويافا والقدس الشريف .

لم يسلم للرجل عمله وانما كاد له الكائدون . كاد له رجال الدين حسدا وكاد له رجال الدنيا خوفا .

لقد كانت ايطاليا فى ايامه تتحرك نحو الوحدة ، وتسعى للتخلص من النمساويين . وجند الرجل الكثير من هؤلاء الذين آواهم ودربهم على حمل السلاح وعلى النضال من اجل الاستقلال . وكان من الممكن ان يحمد له ذلك ولكن رجال السياسة وبخاصة المركيز دى كافور حسبوا عليه ذلك فلقد كانوا فى صراع مع البابا ، وكانوا يخشون ان يقف الى جانب البابا ومن هنا كادوا له — وان لم يصلوا فى كيدهم الى حد القضاء عليه .

ولد يوحنا بسكو سنة ١٨١٥ وتوفى سنة ١٨٨٨ . ووقف حياته كلها على تثقيف الشبان اليتامى ، واغاثة البائسين .

لقد اسس رهبنتين احداهما للرجال والثانية للنساء . الاولى رهبنة الآباء السالسيين . والثانية بنات مريم . ولهاتين الرهبنتين الفضل كل الفضل فيما نشأ بعد ذلك من مدارس ومعامل ومصانع وميائم ومستشفيات ومزارع تتثقف فيها الكثيرون من اليتامى والفقراء حتى لقد بلغ العدد الوف الالوف .

رحم الله هذا الرجل وجعله قدوة حسنة لكل من يعنى باليتامى والفقراء ، وبالاطفال المشردين ، وبكل من ليس له أب يحميه وبيت يأويه .

دكتور محمد أحمد خلف الله

التراث العربي
أسباب الاعتناء به
للدكتور حسين نصار

يتبادر الى الذهن – حين نطلق عبارة « التراث العربى » أو « الثقافة العربية » أو ما ماثلهما من عبارات – صورة التراث العربى الاسلامى . ولكن ذلك تصور قاصر بل جائر ، لانه يغمط العرب حقهم فى تراث آخر قديم قديم ، يضرب فى الأزمنة السحيقة ما ضربت ما نعرف من حضارات شرقنا القديمة .

فالمؤرخون يقسمون العرب الى جنوبيين وشماليين . وعنوا بالجنوبيين أهل اليمن ، وبالشماليين أهل الحجاز ونجد . وقد كان العرب أنفسهم يذهبون الى مثل هذا التقسيم ، وان اختلفت التسمية والتطبيق . فقد اطلقوا على اليمنيين اسم القحطانيين ، وعلى الشماليين القيسيين او النزاريين أو ماشابه ذلك من أسماء . ولم يفرق العرب فى هذه التسميات بين اليمنيين المقيمين فى اليمن واليمنيين الذين هاجروا منها واستقروا منذ ازمنة قريبة او بعيدة فى المناطق الشمالية وبين اهل الشمال . بل نقلوا معهم هذه النظرة المفرقة بين يمنى وغير يمنى الى الأقطار التى استقروا فيها بعد الاسلام . وكان ذلك من اهم عوامل ذهاب دولتهم ان لم يكن اهمها اطلاقا .

ولكن المؤرخين لا يخضعون لنظرة العرب تلك حين يقسمون العرب تقسيمهم ، وانما ينظرون الى اعتبارات شتى . وربما كان اهمها ان اهل الجنوب كانوا حضرا وأهل الشمال كانوا بدوا ، وان اهل الجنوب استخدموا لغة عربية تختلف عن لغة اهل الشمال ، التى نعرفها نحن بالعربية الفصحى ، وان جمعت بينهما العائلة السامية ، وقرب بينهما من بين أفراد تلك العائلة الجوار والاتصال ، فكانتا لهجتين أكثر منهما لغتين .

وعرب الجنوب .. كانت لهم حضارتهم الموغلة فى القدم ، بل التى تعاصر حضارة الفراعنة فى مصر ، والأشوريين فى العراق ، والفينيقيين فى سورية ولبنان . فلا عجب أن قدمت القول بأننا نجور على العرب حين نقصر تصورنا لتراثهم وحضارتهم على ما كان لهم فى الشمال ، لأن ذلك يسلبهم قرونا مزدهرة كانت لهم قبل الميلاد وبعده .

وعلى الرغم من كل ما قلت ، فحديثى ينصب على التراث العربى الشمالى . لانني لست العارف بلغة أهل الجنوب العرب ، ولا الدارس لحضارتهم ، فلست القادر على التحدث عنهم .

والتراث العربى الشمالى حديث العهد ان قارناه بالتراث العربى الجنوبى . ولكننا اذا تركنا هذا الأخير ، وجدنا تراثنا من أقدم ما نعرف من تراث الأمم . فاننا اذا استثنينا الصين والهند ، لا نكاد نعرف تراثا قديما لازال حيا باقيا مثل تراثنا . فالثقافات الفرعونية والأشورية والفينيقية والاغريقية واللاتينية امتد بها العمر زمانا ، ولكنها بلغت الهرم ثم لفظت أنفاسها ولم تعد الى حياة ، وليس كذلك ثقافتنا .

ونحن اذا نظرنا الى تراثنا الأدبى وجدنا المؤرخين يرجعون به الى الجاهلية أو ان شئنا الدقة – ماسموه – الجاهلية الثانية ، وهى التى قدروها بمائة أو مائة وخمسين عاما . فهذا التراث اذن انقضى عليه قرابة خمسة عشر قرنا . ولازال حيا ، بل لا زال فى عنفوان حياته ، يغالب كل ما يولد بعده ، ويغلب كثيرا منه .

ولا اعنى بحياته انه لازال يدرس فى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ، فليس ذلك من امارات الحياة فى شىء . بل اعنى ان ديوان الشعر الجاهلى او الأموى او العباسى يقبل عليه الناشر اكثر من اقباله على غيره من دواوين ، ويطبع منه النسخ التى تفوق غيره من كتب فى العدد ، واتفا ان القارىء العربى مسرع الى شرائه . وأعنى أن العربى المعاصر – سواء كان اديبا او ناقدا أو متذوقا – لازال يعجب ويتأثر – واعيا وغير واع – بهذا التراث القديم . لا انكر ان القدماء اعجبوا بقصائد وصور ربما لا تعجب المعاصرين ، وعللوا اعجابهم بعلل قد يختلف معهم فيها المحدثون ، ولو اتفقوا فيما نال منهم الاعجاب . ولكن من لا يرضون منا عما رضى عنه القدماء ، يعجبون بقصائد وصور اخرى ، هى من ابتكار هؤلاء الشعراء القدماء .

فان تركنا تراثنا الشعرى الى العلمى ، اضطررنا الى ان نرتضى التقسيم القديم الى علوم نقلية وعقلية . واحب ان اسمى الأولى بالعلوم القرآنية ، واتسع بهذه العبارة فاجعلها تشمل كل ما كان القرآن سببا فى الحديث فيه من علوم ، مثل التفسير وما اتصل به من فروع ، والفقه ، والعربية (اللغة والنحو) . واضيف اليهما الحديث والتاريخ . ان

وضعنا امامنا هذه العلوم ، وجدنا العرب شرعوا فى تناولها منذ اواخر القرن الهجرى الأول واوائل الثانى . وربما وجب علينا اضافة علم الكلام من العلوم العقلية اليها . فتراثنا العلمى اذن يمتد به الزمن نحو ثلاثة عشر قرنا .

وتراثنا لا ينفرد — بين أصناف التراث القديم — بامتداد الزمن به ، بل بانفساح المكان له ايضـا . فقد شاركت كل الأقطار التى حل بها العرب فيه ، واتى عليها حين من الدهر كانت من عواصمه او عاصمته . كانت مكة والمدينة كذلك ، ثم كانت دمشق والبصرة والكوفة ، ثم كانت بغداد ، ثم كانت الفسطاط وحلب والقاهرة ومدن المغرب والأندلس . بل لا استطيع أن أذكر مدينة من المراكز التى ازدهر بها الوان من التراث العربى . ولم يقتصر الأمر على الأقطار العربية التى تغلبت اللغة العربية على لغتها ومحتها ، بل تعداه الى الأقطار غير العربية التى انضمت الى حوزة الاسلام، واتخذت لغته لغة اولى لها أو ثانية ، مثل ايران وافغانستان وما وراء النهر وتركيا وكثير من الدول الاسلامية التى قامت فى اواسط افريقية وغربها وشرقها .

وكان هذا التراث اهم عامل فى بقائنا وعدم ضياعنا . فبينا نجحت اللغة العربية فى التغلب على اللغةاللاتينية واليونانية فىالأقطار التى كان الرومان يحتلونها ، وعلى اللغة الفارسية فى العراق بل فى فارس نفسها ، وعلى اللغات المحلية فى العراق والشام ومصر والمغرب الأكبر، وظهرت على الاسبانية فى الأندلس ، بينا نجحت العربية فى ذلكلم تستطع لغة اخرى ان تجد مثل هذا النجاح او قريبا منه فى الأقطار العربية ، بالرغم من الجهود العنيفة . فقد حاول الاتراك ما حاولوا ان يصبغوا كل شىء فى الأقطار العربية بالصبغة التركية ، وان يفرضوا لغتهم عليهم ، فلم يتعد ذلك دائرة الحكام ، على الرغم من رابطة الاسلام بين العرب والترك . وأقرب الأمثلة على ذلك لغة المصالح الحكومية ، والقرارات الحكومية ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، وماحاوله الاتراك من فرض الاسماء التركية على تلاميذالمدارس من العرب المصريين .

وبذل الغربيون الجهد فى التغلب على العروبة وما اتصل بها ، كل فىالقطر العربىالذى استعمره. انجلترا فى مصر والعراق والسودان وامارات الخليج العربى ، وفرنسا فى الشام وتونس والجزائر والمغرب ، وايطاليا فى ليبيا . ولست فى حاجة الى ضرب مثال على ما فعلت فرنسا فى الجزائر بخاصة، فكل ما فعلت لازال ماثلا فى اذهاننا . ولم تنفرد الجزائر بما نالت من فرنسا ، ولكن نصيبها كان اعظم من اختيها . ولكن المحاولة كانت هنا وهناك ، ولازالت الاقطار الثلاثة تعانى منها . وانجلترا فصلت فى السودان مابين شمال وجنوب ، وقالت بعرب وزنوج لا يجتمعان ، ووطدت عوامل الخصومة والتفرقة بينهما ، وحرمت على عرب الشمال الدخول فى الجنوب آنا ، وحين اضطرت الى الترخص فى ذلك، منعتهم من الصلاة العلنية والتخاطب بالعربية امام الجنوبيين، ليبقوا علىجهل بالاسلام والعروبة. وفى مصر فرضت على المدارس ان تعلم جميع المواد باللغة الانجليزية، ولم يستطع المصريون أن يتخلصوا من هذا الاسار ، ويتروحوا نسيم العربية فى التعليم الا بعد جهاد .

لم تفلح جهود المستعمرين اذن فى الأقطار العربية ، لما يضمه التراث العربى من عوامل البقاء ، ولما عمقه من جذور فى تلك الأقطار . اما فى غيرها من الأقطار البعيدة عن المنابع العربية الصافية ، كدول اواسط افريقية وغربها التى اشرت اليها آنفا ، فقد لقى فيها نجاحا اعظم . ولكن بعضها تنبه اليوم — وقد حصل على استقلاله — الى ماضيه القريب ، ويبذل جهودا متعثرة الى معاودة الاتصال بالأقطار العربية . ولعلها تتنبه الى تلك الجهود ، وتسرع اليها لتلتقى بها ، وتمدها بأسباب القوة والنماء .

وتتجلى منعة التراث العربى وحفظه لنا من الضياع فى اختلاف تأثر أجيال المجتمع المصرى بالحضارة الغربية ، فقد كان امام هذه المجتمعات طرق ثلاثة تسلك أحدها : اما أن نتوقع — ان صح هذا التعبير ، اذ تحس بالخطر الداهم فى هذه الحضارة ، وانه لا قبل لها بمغالبتها ، فما عليها الا ان تغطى نفسها بالأصداف السميكة التى تعزلها عنها وتحميها منها ، وأن تتعلل بما شاءت التعلل به، من سمو التراثالعربى ، واخلاقيته، وروحانيته؛ وفقدان ذلك فى الحضارة الغربية . او أن تنبهر بأنوار تلك الحضارة فتظلم أعينها عما للتراث العربى من مزايا ، وتحتقره ، وتطرحه، ولا تجد ما تغتنى به غير الانوار الغربية . أو الا تحس فرقا ولا انبهارا ، وتجد فى نفسها القوة لتضع الحضارتين امامها ، تتأمل فيهما بعين فاحصة دارسة ، لتصل الى خير

ما فيهما ، فتأخذه وتدعو الى التحلي به . وقد وجد كل طريق من الطرق الثلاثة من يسلكه في كل جيل من اجيال المجتمع المصري منذ كان لنا بالغرب اتصال . ولكني اقصر الحديث على الظواهر العامة لا الفردية . ان فعلنا ذلك وجدنا عجبا .

ربما كان النظر العقلي يميل الى ان الجيل الأول في الاتصال هو الذي انبهر ، او تقوقع . ولكن ذلك غير صحيح . ونسرع الى القول بأن التقوقع لم يحدث من جيل من الأجيال التي اتصلت بالثقافة الغربية ، وانما حدث ممن لم يتصل بها اتصالا مباشرا ، ومن أفراد من المتصلين بها اتصالا مباشرا، فلا حديث لنا اذن على هذا الطريق .

كذلك لم ينبهر اول المتصلين منا بالثقافة الغربية، بل كانوا الأقوياء الذين سلكوا الطريق الوسط . وعادوا الى مصر فدعوا الى النهوض ، والى الأخذ من التراث الغربي ، والى احياء التراث العربي القديم . كانوا دعاة النهضة الحديثة وروادها . وكانوا جميعا من الذين حصلوا على قسط من التعليم الديني العربي القديم قبل سفرهم الى الخارج ، لأنه كان اللون الوحيد الموجود بمصر من التعليم .

ثم أنشئت المدارس المدنية ، وتخرج منها تلاميذ لم يحصلوا على ما حصل عليه آباؤهم من ثقافة عربية خالصة ؛ وبخاصة بعد الاحتلال الانجليزي . واذا بهذا الجيل ، يخلف ماكان يرجو آباؤه ، ولايرى غير أنوار الغرب ، وتنقطع الصلات بينه وبين البيئة العربية التي يعيش فيها ، لأنه يحتقرها ويزدريها . فيطرحها وتطرحه . ويبدو الضياع على ذلك الجيل في كل مظاهره . ينتشر بينهم السخط والتشاؤم ، فيؤدي بهم الى الهروب : الهروب المادي : بالانتحار، الذي انتشر كثيرا بينهم أو بالامتناع عن الزواج ، والهروب الأدبي : بادمان المخدرات وبخاصة الكوكايين الذي اقبل عليه المثقفون والكبراء (الضائعون) اقبالا شديدا لافتا للنظر ، كل ذلك الى جانب الأفكار غير المتاصلة التي كانوا يحملونها . وذلك هو جيل السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، والأولى من العشرين .

فتراثنا العربي حين كان متاصلا عند رفاعة الطهطاوي وعلى مبارك وعمر مكرم وأحمد عرابي ومحمود سامي البارودي وعبد الله النديم ، منحهم القوة والقدرة على التمييز بين الغث والسمين ؛ فكان سببا لاحتفاظهم بشخصيتهم وعدم ضياعهم . وكانوا هم الممثلين الحقيقيين للشعب العربي المصري .

ولم يحافظ تراثنا على بقائنا عربا ، بل انه يدعو الى وحدتنا . فاللغة العربية تجمع بين اقطار العروبة في آسيا وافريقية ، ينتقل العربي من الخليج الى المحيط فلا يحتاج الى وسيط لتفاهم . والتراث العربي وحدة متجانسة على مر العصور ، وميراث مشترك لكل الأقطار . لا يستطيع الحجاز أن يدعي عمر بن أبي ربيعة ، أو العراق أبا نواس ، أو الشام البحتري ، أو مصر البهاء زهير ، أو المغرب الاكبر الشابي ، أو غيرهم من شعرائنا وكتابنا وعلمائنا . فكلهم درس الادب العربي في جميع أمصاره دون تفرقة ، وتأثر به دون تمييز ، وأثر فيه دون حدود . واكثرهم لم يقم في قطر واحد ، بل عاش متنقلا بينها . وكان علماؤنا يرون الرحلة فرضا عليهم لا يغني عنها شيء . وانظر في كتاب رجال أي قطر عربي ، مثل تاريخ بغداد للخطيب أو تاريخ دمشق لابن عساكر أو المقفى للمقريزي في رجال مصر ، أو نفح الطيب للمقري في رجال الاندلس . وحاول أن تميز فيهم بين البلدي — كما كان الجاحظ يقول او ابن البلد كما تقول اليوم — وبين الوافد . انه العجب ، فلا فرق ولا تفريق . ولست أظنني مغاليا اذا قلت ان التراث أهم عوامل الوحدة بين الأمة العربية ، لأنه العنصر الذي يشترك فيه جميعهم اطلاقا .

وتراثنا العربي بدأ بداية عربية خالصة . ولكنه لم يعزل نفسه عما حوله من العالم الا في عصور الانحطاط . فقد احتضن كل ما عرفه العالم القديم من الوان المعرفة : الاغريقي منها والفارسي والهندي والصيني . وكان العرب يطلبونها من وفي بلادها . وكان ذلك سببا في قول المتعصب علينا أن لا حضارة لنا ؛ وانما نحن حملة حضارة الأمم . ومنذ بدء نهضتنا الحديثة نسعى الى طلب المعرفة في كل مكان، وبكل لغة . فهي سنتنا القديمة لا زلنا ندين بها ، ونتبعها .

لا عجب اذن أن تكون منا دعوة الى الحفاظ على تراثنا القديم واحيائه ، وأن تتكرر الدعوة ، وتتصل ؛ لأنها دعوة الى بقائنا ، ووحدتنا ، ونهضتنا .

د . حسين نصار

صفحات مطوية من تاريخنا

بين عبد العزيز جاويش ورشيد رضا

للأستاذ أحمد الشرباصي

في تاريخنا صفحات كثيرة مطوية ، وهي تحوى الكثير من أمور هذا التاريخ ومعلوماته ، وتتمثل هذه الصفحات في الرسائل التي تبادلها أعلامنا وأدباؤنا ومفكرونا ، ولم يتح لها النشر أو التقييد ، مع أن نشرها يلقى أضواء مختلفة على التاريخ ورجاله. وقد عثرت على ثلاث رسائل بخط المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش كتبها وهو في انجلترة الى صديقه المرحوم الشيخ رشيد رضا • وعبد العزيز جاويش كان علما من أعلام عصره ، فهو زميل مصطفى كامل ومحمد فريد وأمين الرافعي ، وهو تلميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده • وهو كاتب أديب صحفي خطيب ، وقد عمل في ميدان السياسة المصرية والعربية والاسلامية ، وجمع بين الثقافتين الازهرية والانجليزية ، حيث قضى في جامعة اكسفورد سنوات يعلم العربية ويتعلم ألوانا من الثقافة •

وقد أصدر عددا من المجلات ، كما ألف عددا من الكتب منها « الاسلام دين الفطرة » ، « ارشاد المعلمين » ، « خواطر في التربية » ، « أثر القرآن في تحرير الفكر البشرى » الخ • وتوفى سنة ١٩٢٩ م •

***

والسيد رشيد رضا كان أيضا علما من أعلامنا ، وهو أبرز تلاميذ الاستاذ الامام ، وناشر علمه بين الناس ، ومؤرخ حياته بكتاب ضخم ، وهو صاحب مجلة « المنار » المعروفة ، و «تفسير المنار» المشهور، وقد اشتغل بالسياسة العربية والسياسة الاسلامية ردحا طويلا من الزمن ، وألف كتبا كثيرة منها : «الوحى المحمدى» ، « الخلافة الاسلامية » ، « المنار والازهر » ، « نداء للجنس اللطيف » ، « الوحدة الاسلامية » ، « يسر الاسلام » ، «السنة والشيعة» ، «ذكرى المولد النبوى» .. الخ ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ م •

وكان بين جاويش ورشيد علاقة طويلة المدى بحكم اشتراكهما في التلقى عن الشيخ محمد عبده ، وفي العمل في حقل العروبة والاسلام ، وفي الكتابة والتأليف ، وفي الاشتغال بالصحافة ، وكانت هذه العلاقة تنتقل أحيانا الى ميدان المنافسة ، فقد أصدر السيد رشيد مجلة « المنار » ، ثم أصدر الشيخ جاويش مجلة « الهداية » ، وكان بين المجلتين تنافس وتسابق ، وتفصيل الحديث عن هذه الناحية يحتاج الى مجال خاص •

***

وحينما كان الشيخ جاويش في اكسفورد تراسل مع السيد رشيد ، ومن رسائل جاويش الى صاحبه هذه الرسائل الثلاث التي أشرت اليها ، وهي تعطينا معلومات عن النواحي الأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية في مطلع هذا القرن الذي نعيش فيه ، وتشترك الرسائل الثلاث في الاشارة الى الاستاذ الامام ، مما يدل على قوة تأثيره في قومه ، وسطوع نجمه في وطنه ، والرسالة الاولى منها تجنح الى التعبير بالعامية • وكانهذه تجربة من الشيخ جاويش على سبيل الدعابة أو المفاكهة ، بدليل أن الشيخ كان ممن يغارون على الفصحى ، ويجيدون الكتابة بها ، كما سنرى في الرسالتين الأخريين ، وفي هذه الرسالة الاولى اشارة الى الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » وحادثته مع الشيخ السادات التي هزت المجتمع في وقتها ، ويأخذ جاويش على رشيد أنه لم يهتم بهذه الحادثة كما ينبغى •

ثم يشير الى بعض التعبيرات العامية الواردة في الرسالة مما يذكره بمجلة « الحمارة » الهزلية العامية التي صدرت بالقاهرة سنة ١٩٠٠ ، وهذا نص الرسالة :

« ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٤

صديقى العزيز السيد محمد رشيد

نهارك سعيد ياحضرة • أنا متشكر لك جدا على همتك العالية يابو أحمد ـ استلمت هذا اليوم الطرد المحتوى على أعداد المجلة والكتب التي سبق لى طلبها ـ منذ بضعة أيام جاءني كتاب من أمين افندى هندية يخبرني فيه بأنه أرسل كتاب « أقرب الموارد » بالبريد حسب تعريف حضرتكم •

***

نهايته انا مش أشكرك على ايه ولا ايه • سأرسل لحضرتك غدا شيئا من النقود اما بواسطة البريد أو بواسطة البنك الاهلى لتأخذ منها قيمة اشـــتراك (المنار) عن السنة التى أوشكت أن تنقضى ، أعنى المنتهية بشهر سبتمبر سنة ١٩٠٤ م وكذلك تأخذ منها ثمن الكتب التى تفضلت فأرسلتها ، ثم تتفضل بعد ذلك بارسال ١٦٢ قرش صاغ لحضرة أمين أفندى هندية ، ثم ترسل بالباقى الى رجل بالسكة الجديدة يبيع الشاهى والقطنى يقال له سالم ، يعرفه معظم اخواننا •

دعنا الآن من الفلوس والشغل ازاى حال الشيخ على يوسف بعد النار الحامية التى رمى بنفسه فيها فى الأيام الأخيرة • مالى أراك يابو أحمد لم تبد رأيك فى المســـألة ، فاننى تصفحت الاعداد فلم أجد الا كليمات قليلة •

تفضل الاستاذ الاكبر فكتب الى منذ بضعة أيام ، أطال الله وجوده ، ونفع العالم الاسلامى بهديه آمين•

لعل فى امكانك أن ترســـل الى نسخة من كتاب الاستاذ الشيخ حسين والى فى الاملاء ، فاننى أحب ان أطلع على ما كتب حضرته فى هذا الموضوع • قد سمعت منذ أسابيع أنه قد اعترى الاســـتاذ الشيخ عبد الرحمن زغلول بعض مرض ، ولم أسمع بعد كلمة فى شأن مرضه ، فلعله أبل منه • أتدرى أيها الأخ أنه عزم على العودة الى مصر فى هذا العام ، كتب الله له السلامة فى حله وترحاله •

ايش رأيك فى الانشاء اللى فى الجواب ده يا عم الشيخ رشيد ؟ أظن يمكنى بالراحة انى أخلف صاحب (الحمارة) ، لكن فى الغالب لابد لى من بعض تمرين • وفى الختام أرجو أن تكون بخير ، كما أرجو أن تتقبل سلام اخيك •

عبد العزيز شاويش

***

والرسالة الثانية من انجلترة أيضا ، وتاريخهـا ١٣ رمضان سنة ١٣٢٣ هـ وهو يقابل نوفمبر سنة ١٩٠٥ ، وفيهـــا يتحدث عن ألمه لوفاة والد الشيخ رشيد ، ويعود الى ذكر الاستاذ الامام ، وأن المصيبة فيه هونت كل مصيبة ، ونلاحظ أن هذه الرسالة على الضد من الرسالة السابقة ، فالرسالة التى معنا الان ليس فيها للعامية نصيب ، وهذا نصها :

١٣ رمضان ١٣٢٣ هـ

أخى الفاضل السيد رشيد

قرأت فى منار شهر شعبان خبر وفاة والدكم على اثر ما أصابه من تلك الحكومة الظالم أهلها ، فرأيت أن أبادر بتعزيتكم فى ذلك المصاب الجليل رزقكم الله الصبر الجميل والثواب الجزيل • هذا واعلم أيهـا الاخ أن اختفاء ذلك النبراس نبراس الهدى أستاذنا الامام هون على المصائب ، وحقر فى عينى العظائم ، فلا تكاد ترمينى يد الدهر بنائبة الا وانا موطن النفس على احتمالها ، ثابت الجاش عند نزولها ، ولا أظنك الا كذلك ، فلنتغفر للزمن كل نوازله ، ولنترك التفجع والتوجع للقلوب خالية ، والسلام من أخيك •

عبد العزيز شاويش

سيدى : قد شفعت كتابى هذا بوثيقة ببقايا دين على رشدى أفندى ، فالمرجو الحصول على تلك البقية منه ، واحفظها قيمة الاشتراك فى السنة الماضية »•

واذا كانت هذه الرسالة أقصر من الرسالة الاولى، فان الرسالة الثالثة قد امتد نفسها وطالت عنهما ، وفيهــــا يشير جاويش الى الدكتور ادوارد براون الانجليزى المدرس فى (كمبردج) والذى اتفق مع رشيد على ترجمة كتابه فى تاريخ الاســـتاذ الامام وبعض آثاره الى الانجليزية ، ثم يتحدث شاويش عن رجل أحسن اليه وعاونه ، ولكن هذا الرجل تنكر للجميــــل وانقلب كالحية الرقطاء ، ثم يتحدث عن الاصلاح الذى قام به الشيخ محمد شاكر فى الازهر الشريف ، ويؤيد ذلك الاصلاح ، ويشرح لرشيد أنه مستمد من روح الاستاذ الامام ، ثم يشير الى أفاعيل المستشرقين ، والى أكاذيب مرجليوث فى حق النبى عليه الصلاة والسلام ، ويطلب من رشيد أن يرد على ماكتبه مرجليوث فى كتابه «محمد ونهضة الاسلام» ،

***

وهذا نص الرسالة :

« ٢٢ يناير ١٩٠٦

حضرة الاخ العزيز

السلام عليكم ، وبعد فقد جاء كتابكم الكريم ، فاطمأننت به على سلامة صحتكم ، ولقد كتبت على

أثر وروده الى الاستاذ براون اساله عما عمـــل او ما سيعمل بما ارسلتموه اليه من آثار الاستاذ الامام رحمـــه الله ، فورد جوابه بالامس يذكر لى فيه أنه لم يترجم الاستاذ حتى الآن ، لا لعــــدم رغبته فى ذلك ، ولكن اجابة لطلبكم ، فانه يزعم انكم أشرتم عليه الا يبتدىء عملا حتى ترسلوا اليه الكتاب الذى يتضمن ترجمة الاستاذ بالتفصيل ٠ هذا ما كتبه الى٠

عجبت جدا من مطل ذلك الانســـان الذى آويته واقرضته وأمددته بما زاد على بعض العقود ، ثم رحلته الى بلاده ، ولم يكن معه بلغة ساعة من العيش ، حتى اذا جاء الى بلاده أرانى من صنوف العذاب فى ايفاء ما تجمته عليه من الدين ، فماله الآن وقد بقى من عبثه ذلك المبلغ الزهيد رجع الى شنشنته القديمة ، وما عهدى بها ببعيد ؟ ٠

الا قتل الانسان ما أكفره ! ٠ لقـــد كتبت اليه صباح هذا اليوم أكلفه أن يذهب الى جنابك فيدفع لك تلك الحوالة ، فعسى أن تكتب الى بما سيكون ٠

قرأت فى (المنار) الأخير بعض مغامز لاحت لكم بين ثنايا سطور تقرير الشيخ شاكر ، ولما كنت فيما أظن أعلم بما يرمى اليه ذلك الشيخ اردت أن الفتك الى بعض نصائح اخوية ، فلعلك ترعى منها ما يروق لك ٠ فاعلم أننى تكلمت مرة مع الشيخ شاكر ، وقد عهد الى بتدبير أمر الامتحان وغيره فيما يجب ادخاله من الاصلاح ، فأجابنى بالقبول والاستحسان ، الا أنه رأى – ورايه الأسد – انه لا يريد أن يفلع الحديد بالحديد ، ولا أن يقـــابل جمود طلاب العلم بجمود العناد، ولا أن يقبح من تاليدهم القديمة ولا ان يسفه آراء بعض أسلافهم الحمق ، ولا أن يظهر للعالم فى لباس المخترع المبتدع ، ولكن اراد أن يجاريهم حتى يعثروا ، ويورطهم حتى يســـتنجدوا ، فتراه تارة يدعوهم فرادى ليناقشهم الحساب ، ويسائلهم فيما يجب أن يتبع من سبل الاصـــلاح ، كأنهم من اهل الرشد ، وتارة يدفعهم الى اجابة ما طلبوا بالحسنى والموعظة الحسنة ، وهكذا ٠

واننى لعلى بينة من أمر الشيخ شاكر ومقاصده الحسنة التى أرجو أن ينالها قريبـــا ، ولو رأيت ما شاهدته أنا فى أثنـــاء الامتحان لرجوت له خيرا كثيرا ان شاء الله ٠ هذا ولم يدع الشيخ شاكر أنه أتى بشىء لم يات به الاستاذ الامام رحمه الله ، ولكنه رأى أن يتمسك بجميع ما أتى به الاســـــتاذ وان لم ينسبه اليه ، اذ فى نسبته اليه ما يصرف وجوه أولئك الاغبياء من العلماء والامراء عن تعضيده ، بل فى ذلك ما يدفعهم الى محاربته فى سبيل اقامته ، وما عهدنا بما جرى للاستاذ رحمه الله ببعيد ٠

والخــــلاصة أنى آمل أن تخفف من وطأتك فى مناقشة ذلك التقرير ، وأن تعلم أن جميع ما ذكرته من المطاعن قد سبق لغيرك الكلام فيه قبـــل وضع التقرير ، ولولا القصد الى مخادعة الجامدين ومجاراة المعاندين والزام الجاحدين غير شاعرين، لأتى التقرير خاليا من جميع ذلك ٠ هذا ما رأيت أن أذكره لك ، ولك الرأى الموفق ان شاء الله تعالى ٠

أخى العزيز : لو كنت تعـــلم ما أعلم من أمر المستشرقين لبصقت على وجوههم ، وشهرت بهم فى الخافقين ٠ أفلا أدلك على ما عمله الاستاذ مرجليوث؟ انه وضع كتابا فى سيرة النبى عليه السلام ، فكان محشوا بما أملاه عليه وسواسه الخبيث ، فأتى فى سيرة النبى بما تستك له المســامع ، واسم الكتاب محمد ونهضـــة الاسلام ٠ فكلف بعض القـادرين بترجمة شىء من فصوله، وعليك بالرد عليه، ولتحذر من ذكر شىء يشتم منه أننى كتبت اليك أصـــلا فى أمره ٠ قاتل الله الوظائف وقيودها ، والسلام عليك وعلى جميع الاخوان ٠

أخوك : عبد العزيز شاويش التونسى

***

وقد كتب الشيخ شاويش فى أعلى الرسالة حاشية جاء فيها : « أرجوك أن تذكر عند الرد على مرجليوث أن بعض أصــــدقائك رأى فى كثـــير من الجرائد الانجليزية تقاريظ لكتاب وضعه ذلك الرجل الطائر الصيت فلان فى سيرة النبى ، فحرك ذلك من نفسك، لما سبق لك من مخالطة الرجل ومكاتبته ، ثم انطلق فى سبيلك آتيا على تراجم بعض نبذ مما كتب معقبا لها بما يعن لك » ٠

من هذه الرســـائل واشباهها نستطيع ان نأخذ الكثير من المعلومات التى تعاوننا فى تمحيص تاريخنا وفى رسم صورة دقيقة لأعلام هذا التاريخ ٠

أحمد الشرباصى

أسطورة اللغة العامية

للدكتور محمد مظهر سعيد

ظهرت الدعوة للكتابة باللغة العامية في ثوب جديد ، فذكرتنا بالمحاولة الاستعمارية السابقة ، التي تزعمها المهندس الانجليزي ، السير ولكوكس منذ اكثر من خمسين عاما ، عندما اصدر مجلة هندسية ، باسم « مجلة الأزهر » ، تبدو في ثناياها دعوة سافرة للعامية المصرية . ونشر فعلا ترجمة عامية لمسرحية شيكسبير « هنرى الخامس » .

والعجيب ان كتاب العامية المحدثين يرددون نفس الحجج التي تذرع بها، ويستندون الى مذهب الواقعية وحركة تبسيط الادب للشعب، ويستشهدون ببعض جمل متناثرة بين ثنايا المسرحيات والروايات الغربية التي ترد على السنة العوام . وليس من شك في أن الكتاب المحدثين تحدوهم رغبة صادقة في نشر الثقافة وتبسيط الادب ، وايمان بمذهب الواقعية . ولكن المعركة الحامية بينهم وبين انصار الفصحى تدور باسلوب سفسطائي ، تبدو فيه حجج الطرفين صحيحة ، اذا قيست بموازين المنطق الشكلي . ولا بد لمناقشة القضية ، دون تحيز ، من فحص المقدمات ذاتها قبل التسليم بنتائجها ، كما كان يفعل سقراط مع السفسطائيين .

ونبدأ بالمقدمة الاولى ، فنسأل : هل هناك لغة عامية عربية اصيلة ، لها اصول مأثورة ، وقواعد مضبوطة ، يتحدث بها جمهور العامة في جميع انحاء البلاد العربية ، ويفهمونها في سهولة ويسر ، بحيث يمكن أن تسير جنبا الى جنب مع الفصحى ، وتكون بديلة لها ، أو على الأقل تقف منها موقف الايطالية الحديثة من اللاتينية القديمة ، مثلا ؟ وهل العامية التي يكتبها دعاتها المحدثون هي هذه اللغة ؟.

من المسلم به ان هناك لغة فصحى واحدة، سارت مع الفتح العربي ، وامتدت شرقا وغربا ، واقتلعت اللغات المحلية ، واصبحت لغة الدين والادب والعلم والثقافة الى يومنا هذا . وقد كان لاهل مصر ، قبل الفتح الاسلامي ، لغة ذات اصول وقواعد ، يتخاطبون بها ويكتبون ، تطورت من الفرعونية الى الهيراطية ثم الديموطية القبطية ودخلها الكثير من اليونانية والرومية . ولكن رجال الدين والادب اقبلوا على اللغة العربية الوافدة ، واتخذوها لسانا لهم ، لما وجدوا فيها من مزايا اللغة الكاملة . ومن ثم اصبحت العربية الفصحى لغة اهل مصر . ولكن العربية لها حروف حلقية ، ونحو وصرف : واعراب وبناء ، وتراكيب واساليب ، وخصائص مميزة وضعت لها علوم شتى ، ينبغي تعلمها لتقويم اللسان، بعد ان كانت اللغة تؤخذ عن طريق السماع. لهذا صعب على الأعاجم ، في مصر وغير مصر ، النطق الفصيح والتعبير الصحيح ، وبدا التحريف، فقلبت القاف همزة أو جيما ، والجيم دالا ، والسين شينا واهملت الثاء والذال والضاد والظاء ، كما اهمل النحو ، الذي خلت منه اللغات المحلية .. والعامة في كل البلاد ، نظرا لاميتهم وضيق افقهم وقلة محصولهم اللغوي ، يكتفون ببضع مئات من المفردات، يعبرون بها تعبيرا بدائيا ساذجا ، مخلا ناقصا ، عن كافة افكارهم وآرائهم ومطالبهم المحدودة . ولذلك يكتفون مثلا بكلمة «اللي» عن جميع الضمائر ، وبحكم اتصالهم بالاجانب، من مستعمرين ووافدين، كعمال وصناع وخدم ، اضافوا الى لغتهم المحرفة كلمات آخرى محرفة عن اللغات الاجنبية ، مثل ـ شوبش عن الكردية ، وخاطرتشن ومحبة نعمة عن التركية ، وفنجرى وكاكا عن اليونانية ، ووردمان ووردروب عن الفرنسية ، وسكرتو وفياسكا عن الايطالية ، وهكذا . وتدفقت موارد التحريف من كل جانب ، وترسبت فكونت ما يسمى بالعامية .

فالعامية ليست لغة بالمعنى الصحيح ، وانما هي مولود مسيخ ، من ام واحدة هي العربية الفصحى، وآباء اجانب عدة. وهي لغة قلقة غير مستقرة، تتغير من جيل لآخر . فلغة عوام مصر الآن ، غير لغتهم أيام المماليك والاتراك، التي تزخر بالكلمات الشركسية

والكرديةوالتركية. والريفيون الذين عاشوا وتعلموا بالحضر ، والعمال الذين نزحوا للمدن ، تخلصوا من الكثير من المفردات والتعابير الريفية ، واقتبسوا تعابير مدنية جديدة . وليس من شك في أن انتشار التعليم والثقافة عن طريق المدرسة والصحافة والاذاعة والكتب والروايات له اثره البعيد في الاقتراب من الفصحى ، كما نشاهد في لغة العمال المثقفين الآن .

وفوق هذا ، ليس هناك عامية عربية واحدة ، وانما هناك عدد لا يحصى من اللغات او اللهجات غير الفصيحة ، يتخاطب بها العوام في مختلف البلاد العربية ، وفي الكثير من الاحيان يصعب على القاهري أن يفهم العامية الصعيدية ، فضلا عن العراقية والمغربية. حتى في الادب الشعبي الذي يتخذ العامية أداة له ، يصعب جدا على المصري أن يفهم المواليا والعتابا العراقية واللبنانية، كما يصعب على العراقي فهم الموال الصعيدي ، ونكات مجلة « البعكوكة » فاذا قصد دعاة العامية تيسير الثقافة وتقريب الادب الى العوام الاميين ، فبأي هذه اللهجات يكتب الاديب المصري ، هل بالعامية القاهرية المحدودة ، التي يعرفها ودرج عليها ، أم بعامية الصعيد ، ان كان صعيديا ، أم باللهجات العامية العربية الاخرى، التي لا يعرفها، ان أراد نشر ادبه بين جميع الشعوب العربية ؟ ان الفصحى لغة واحدة ، والرطانات العامية لا حصر لها ، فبأيها يكتب ؟ ان أراد أن يكون كاتبا عربيا قوميا مجددا ؟ وأي هذه الالفاظ يستخدم ؟

انظر ــ بص . شوف . ارجب . اتطلع . باوع اقشع .

ولد ــ عيل . صغير . زعطوط . بذرة . جهال .

خبز ــ عيش . كسرة . زلوط . ضمون .

كبريت ــ كسفريت . شخاط . زلاميط . وقيد . وكدة . لوكيد .

وكما ان العرب لا يفهمون هذه الكلمات العامية المصرية . دوشه. شوشرة . كروديه. زمبليطه . السطة . سفلاة . فكذلك المصريون لا يفهمون هذه الكلمات الدارجة في بلادها العربية : شلغم (لفت). عرموط (كمثرى) . عنبه (منجه) . نومي (ليمون). كرموس (تين) . تيم شميتا (برتقال) . خيزو . زوروذيا . اسفنازي (جزر) . ذونكا (شارع) . دشره (قرية) . تربان (جيد) . قندره . بابوج . سبات (حذاء) . حسان. حفاف. حجام (حلاق). (صرماية) (زي مال) . بوظة (مثلجات) . مبسوط (مضروب او مهان) . بيزوق (يتناول الافطار) . يتلقح (ينام) . بيزريا. فيسا . بلخيفا (بسرعة).

وللذين يقولون ان العامية اصلح واطوع للاغاني العاطفية ، اقول : هذه المقطوعة القاهرية المعروفة ــ ماشي كده وعينه مني ، وعامل انه مخاصمني ، وكل ساعة يسال عني ، وأنا نازله أدلع املا القلل. هل تكتبها هكذا بالصعيدي ، كما فعل المرحوم بيرم التونسي ــ مارج جده وعينه ع ترجبني ، وعامل كيف مخاصمني ، وكل وكيت ع يسعل عني، وانا نازلة أجلع أملا الدباليز ــ أم بالعامية اللبنانية. يخطر هيك وعويناته تطلع لي ، ويسوى انه من شرتي ، وكل سيعه يسال عني ، وانا هابطة ادلل املا لجرار .

لصلحة من اذن يكتب الأدب بالعامية ، التي لا يفهمها المتعلمون ، ولا يحسنون قراءتها بتاتا ؟ هل للطبقة المتخلفة من العوام الاميين القاهريين وحدهم ، الذين سيقضي التعليم العام على عاميتهم عما قريب ، وهم يكتبون ولا يقرءون ؟ ومن سيقرا لهم ؟ الا تكفيهم المواويل والازجال والاغاني والاذاعات والمسرحيات الفكاهية ، حتى نضيف اليها الادب المكتوب . وهل تيسير الثقافة وتبسيط الادب يقتضيان أن ننزل الى مستوى العامية ، وهناك اللغة الفصيحة الوسطى التي يفهمها الجميع . ان الفصحى ، المتمثلة في القرآن والحديث وشعر الفحول وادب العمالقة ومسرحيات شوقي وعزيز اباظة وقصائد أم كلثوم وعبد الوهاب والاناشيد الحماسية، لها في نفوس العامة انفسهم من التقديس والروعة ما يفوق جميع الاغاني والأزجال العامية .

ان الشعب الذى يكاد يجن عندما يسمع ـ سلوا قلبى ، وريم على القاع ، ونشيد الله أكبر ؛ لا يمكن أن يتهم بانه لايتذوق الفصحى ولا يريد غير العامية.

افهم ان عزوف الكاتب الناشىء عن دراسة أصول اللغة وقواعدها وموازينها، لما تتطلبه من جهد شاق ودأب متواصل ، ومن ثم قلة محصوله من المفردات والتراكيب ، قد يكون مبررا لاصطناعه العامية . واذا كان المبرر هو الواقعية كما يقال ، فليس هناك فى الادب الغربى رواية أو مسرحية كتبت كلها بالعامية . الا فى العربية فقد كتبت فيها مسرحيات فكاهية باللغة العامية . وغاية ما هنالك أن تورد أحيانا بعض جمل ينطق بها بعض شخصيات الرواية العوام ، وتوضع بين قوسين أو علامتين للدلالة على أنها عامية . وليس صحيحا ما يقال من أن الشعوب الأوربية لها لغة واحدة ، للتخاطب والكتابة .. فان العوام من طبقة العمال والفلاحين هناك لهم لهجاتهم العامية الخاصة التى لا يفهمها المتعلمون ، والاميون انفسهم لا يعرفون قواعد اللغة الصحيحة . ومن مصلحة حزب العمال الانجليزى مثلا أن تنزل صحفه ونشراته وكتبه الى مستواهم ، وكذلك من مصلحة المحافظين ان يستميلوهم اليهم. ولكنهم لايصطنعون العامية أبدا.

وهل ينتظر ان تتطور حركة العامية الى طلب كتابة القرآن والحديث بالعامية ، ويمسخ شعر الفحول فيصير زجلا ، لتشبع الذوق الفنى للعوام ، وتعطشهم للعلم والمعرفة . ان واجب الثقافة الحديثة ان تمحو عن الطبقات الدنيا وصمة الامية والعامية ؛ لا أن تثبت أقدامها وتجعلها ذات مكانة وكرامة . ان جميع المذاهب الادبية لا تبرر ، عقلا ولا منطقا ، استبدال لهجة عامية، قاصرة ممسوخة، محدودة الافق ، قليلة المحصول ، مختلفة البناء ، بلغتنا الفصحى . وبخاصة فى هذا الوقت الذى ندعو فيه للقومية العربية ووحدة الثقافة . ولغتنا الفصحى هى الأساس الاول والأخير لهذه القومية العربية . وعلى الكاتب الناشىء ، مهما ظهر من بوادر نبوغه الادبى ، وهو لم يبلغ الحلم بعد ، ان يستكمل ادوات اللغة ، قبل أن يتصدى للانتاج، واذا كانت الصحافة مدرسة النوابغ ، فعليها أن تعالج ضعفه قبل ان تدفع به الى مرتبة الادباء .

ولا يصح بحال ان تكون عنايتنا بفصحانا الاصيلة اقل من عناية الانجليز ، مثلا ، بلغتهم المستحدثة المستعارة من شتى اللغات . فمنذ القرن السابع عشر ، هال الادباء والكتاب تفشى العامية فى لغة بعض الصحف والكتاب الناشئين . فالزموا الجمعية الملكية سنة ١٦٦٤ ونادى درايدن وسويفت وديفو بان تكون مهمة اللجنة ان تثبت اقدام الفصحى ، فلا تطغى عليها اللهجات العامية . ومن واجب رجال الدين والكتاب والنقاد أن يهذبوا من لغة العمال والفلاحين ، والصحفيين الناشئين ، الذين يكتبون فيخطئون فى الهجاء والقواعد والاسلوب ، وينزلون الى مستوى العامة . وارسل سويفت كتابا لرئيس الوزارة يقول فيه ـ ان لغة الكتابة فى هذه الايام أصبحت مشوشة الى اكبر حد ، وتزداد سوءا كل يوم . والكتاب بدلا من نشر الثقافة والادب ، انما ينشرون العامية ، بسيئاتها وسخافاتها ؛ وفى هذا العصر قال تشسترتون ـ ان اللغة العامية فيها الجيد والردىء ، ولكنها أقل أثرا فى النفس ، لأنها تعطينا معانى منحلة غامضة مشكوكا فيها، وهى دليل على الافلاس اللغوى والعلمى . وقد تكون العامية داعية الالفة بين الكاتب الناشىء والقارىء غير المثقف ، لانه ينزل الى مستواه ويهمس فى اذنه بما يسهل عليه فهمه، ولكنها ليست لغة باية حال.

وخلاصة القول ان الفصحى هى القرآن والدين، والتفريط فيها ، تفريط فى الدين والقومية ، كما قال الامام محمد عبده .

والله سبحانه وتعالى يقول ـ انزلناه قرآنا عربيا ـ وانا انزلنا الذكر وأنا له لحافظون .

الدكتور محمد مظهر سعيد
عميد الفلسفة والاجتماع والتربية

الاتصال بالقديم فن

للدكتور أحمد كمال زكي

لفت نظري مقالان في « الرسالة » عن أبي تمام وكان من الممكن ان اجاوزهما دون اشارة الى بعض ما ورد فيهما لولا أني خشيت سوء مايخلفان . واذا كان الأمر يتصل بتراثنا ثم يقف عند طريقة معالجته وفهمه ، نرى الى أي حد يصبح المساس بحقيقته خطرا على تاريخنا بله قوميتنا !

وليست القضية في الواقع قضية أبي تمام ولا قضية نسبه وتقويم شعره ، انما هي قضية الماضي كله واسباب وجوده . وما من شك في أن ثمة عوامل عصفت بجزء منه ويريد غير الجادين ان يعصفوا بجزئه الآخر ، ولهذا يجب أن نمد أيدينا الى أبعاد القضية قبل أن تضيع المعالم : فتختل الموازين اختلالها في المقالين اللذين عرضا لأبي تمام .

انا لا انقض ، ولكني أحاول أن أجعل للقديم جدواه في عمليات البناء المعاصرة . ويوم أنكر على دارس أن يعتمد على كتاب كالأغاني مثلا لا ابخس من ثمنه ولا أحط من قدره ، ولكني اطالبه بشيئين : اولهما مناقشة أسانيده ومتونه مناقشة منهجية ، وثانيهما تأييد مايرد فيه بكتب أخرى تعرفها المكتبة العربية حق المعرفة . وتواتر الخبر في هذه الحال - بمعنى دورانه في مختلف المظان - أول خطوة من خطوات البحث العلمي .

هذه المنهجية ليست بالشيء الذي انفرد بالدعوة اليه ، فقد سبقت اليها بالكثيرين . ومن شهر واحد فقط كتب الاستاذ امين الخولي مقالا في «المجلة» ينادي بما انادي به وان تغير الاسلوب !

والأمثلة على اضطراب مايعتمده متخصص كالدكتور عبد الرحمن عثمان - صاحب المقالين - لا يمكن حصرها ، ولذلك لم يكن عجبا ان تختلط الروايات ، فلا تدرى على وجه التحقيق متى ولد الشاعر ومتى مات ، وتتخبط في سلسلة نسبه بين أن تجعلها تصل الى أرومة عربية وبين أن تميل به الى عرق يوناني أو فارسي ، ثم تشتجر التقول به فتجعله أشعر الشعراء أو تقدم عليه من دونه حتى ليشرئب اليه دعبل الخزاعي ويناطحه على القمة تلميذه أبو عبادة البحتري .

أترى هذه خصومة للشاعر أم شعوبية لاتزال تدبر كما دبرت طوال القرن الثاني الهجري ؟

لا هذه ولا تلك ، ومن هنا يبدو كثير مما كتبه الدكتور عبد الرحمن عثمان فضولا . اذ لو كان تعمق بعض الشيء لأدرك ان السبب الحقيقي هو اضطراب الحيز الذي شغله الموروث ، وتوزعه بين دكاكين الوراقة وخيالات القاصين وتعنت النقاد ثم عصبيات الفرق المشتغلة بالأدب .

فعن الوراقة بصفة خاصة أسوق مثلا مما كتبه الاولون عن أبي تمام لعله يلقي ضوءا أمام كاتب المقالين لو فكر في متابعة كتابة غيرهما ، ووراء هذا المثال عمليات الربح الهائلة التي كان يحصل عليها الوراقون مما كانوا يفتعلونه ويحملونه على الأدباء . قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في صفحة ٥٥ من كتابه « أخبار أبي تمام » مخاطبا مزاحم بن فاتك « وليس يجب أعزك الله أن تنظر الى اختلاف الناس في أبي تمام واضطراب روايتهم لشعره ، فانهم بعد اتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ، ثم اجتمعوا عليه بعد فراغي منه حتى ان النسخة من شعره من غير ماعملته لتباع بدراهم قد كانت قبل ذلك تباع بعددها دنانير ، ولعلها بعد قليل تفقد فلا ترى وتسقط فلا تزاد . وقد رأيت أعزك الله بعض هؤلاء يصحف أيضا على أبي تمام ثم يعيب ما لم يقله أبو تمام قط » .

ولعلنا نرى في ذكر أبي نواس منفذا لتعميم الحكم بحيث لا يقصر على أبي تمام وحده ، فان غير شعر هذين ضيعه الوراقون أو حرفوه أو استنسخوه بلا تدقيق ولا تحقيق وربما فيما يرويه ابن النديم في فهرسته عن أن اسحاق الموصلي لم يضع كتاب « الاغاني الكبير » وانما وضعه وراقه سندي بن علي ، لعل هذا يكشف بجلاء عن سبب من اسباب اضطراب صورة التراث وحقيقته .

فاذا انتقلنا الى القاصين وقد زادوا في العصر العباسي الى حد اضطر معه ابن النديم الى خصهم

بمقالة من مقالاته ، فاننا نجدهم يشاركون الوراقين في الاختلاق والتزوير • واكثر ما يكون ذلك عن الأشخاص البارزين ، عن أبي نواس مثلا أو أبي العتاهية او أبي تمام في علاقته بأم البحتري ، ونجد في الأغاني الوانا طريفة من هذا الوضع ، وفي العقد الفريد كتاب من كتبه يرصد لشتى قصص أبطالها أدباء عباسيون •

واما النقاد فأمرهم أعجب من امر الوراقين والقصاصين ، لأنهم كانوا يشترطون أنماطا معينة من الأدب ، وكانوا في اشتراطاتهم يرفضون آثار العصر الفنية • حتى ان أبا عمرو بن العلاء ــ شيخ العربية في البصرة ــ رفض شعر فحول بني أمية معاصريه وقال قولته المشهورة : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته !

وكان تلميذه الأصمعي يحذو حذوه ، ويقدم القديم لضعف ثقته بما يأتي به المتعاصرون معه ، ولحاجته هو ــ كعالم لغوي ــ الى الشاهد •

وتظهر خطورة هذا الموقف في اهمال كثير مما يقوله شعراء العصر ، ولا تعادلها خطورة اخرى الا افتئات الرواة الذين كانوا ينقل عنهم رجال اللغة والأدب شواهدهم • ومن هنا يجد الدارس مشقة كبير في تقويم الرواية القديمة من ناحية وفي الجري وراء الشاهد المحدث من ناحية أخرى وليس بقيه كتاب ككتاب ابن قتيبة ــ الذي رصد للمحدثين الى جانب القدماء ــ ولا كتاب آخر كطبقات ابن المعتز ، فثمة مئات مثله فقدت وهي تنسب لأبي الحسن الزيادي ودعبل الخزاعي واسماعيل بن أبي محمد اليزيدي وابن طباطبا العلوي وغيرهم •

فان انتقلنا الى العصبيات راعتنا كارثة تشبه كارثة اهمال أبي عمرو لشعر الفحول ، بل لعلها تكون اشد عنفا عند المؤلفين من أمثال أبي الفرج الأصفهاني وابن جرير الطبري • ذلك أن الأمر لا يقتصر فقط على اهمال ذكر الشخص كما فعل الأول باسقاطه ابن الرومي وكما فعل الثاني باسقاطه أحمد بن حنبل ، ولكنه يصل الى حد التشويه في اكثر الأحيان • وهذا ابو الفرج نفسه يحمل على أبي العتاهية حملة لا تجد لها مبررا ! فهو يروي عن خصومه المعتزلة ــ أمثال ثمامة بن الاشرس وبشر ابن المعتمر والجاحظ ــ روايات تحط من قدره ، ولم يحاول أن يستعين بالمحايدين ــ من أمثال أبي دعامة العبسي وابن عمار الثقفي وابن الفقيه الهمداني ومحمد ابن يحيى الذي ينتمي الى آل المنجم ــ ليكونوا في مقابل الأولين على حد سواء ، فيستطيع الدارس أن يزن ويختار •

على هذا النحو يجد المتخصص نفسه في مواجهة عقبات لم يحاول الدكتور عبد الرحمن عثمان أن يذللها ، بل لم يستطع ان ينتفع بخبرات من سبقوه ؛ فدار فيما كان لا ينبغي أن يدور فيه ، وأعاد ما قيل في عجلة ورطته في أخطاء شتى • وكان عليه قبل أن يدهش لتضارب الروايات حول أبي تمام ــ وهذا شيء عادي كما قدمنا ــ أن يتوقى خطر التعميم أولا ، ثم يبتعد ثانيا عن القضايا التي لا يتأهب لها التأهب الكافي •

ففي الجانب الأول يقرر ــ على ماجاء في المقال الأول ــ أن الاصمعي من مخضرمي الدولتين لمجرد أنه ولد سنة ١٢٣ ، وهذا معناه أن الأصمعي تكون فكريا وفنيا وهو حول التاسعة ، لان قيام الدولة العباسية وقع سنة ١٣٢ •

وفيه يقرر ان الشعر كان يقال في عصر بني أمية للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة ولسنا ندري كيف على هذا الأساس يفسر نقائض الفحول وغزليات عمر بن أبي ربيعة وهاشميات الكميت ؛ ان وقائع العصر كلها ترفض هذا الحكم ، وما يروى عن أبي عمرو ــ كما قدمنا ــ والأصمعي وأبي عبيدة ويونس بن حبيب وغيرهم ممن سبقوهم كعيسى بن عمر الثقفي ونصر بن عاصم الليثي من حبهم للقديم وزهدهم في آثار المحدثين •• ما يروى عن هؤلاء ــ وحالهم تلك ــ لدليل على أن الاستدلال بالشعر على القرآن والحديث واللغة كان مقصورا على النص الجاهلي القديم !

وكذلك يقرر من باب التعميم أن الزعامة الأدبية انتقلت من الحجاز ودمشق ــ بقيام الدولة العباسية ــ الى بغداد • ولسنا ندري كيف يوفق بين ذلك وبين سكنى بغداد عام ١٤٩ لأول مرة ثم مرور سنوات

أخرى قبل أن تتخلى كل من البصرة والكوفة عن هذه الزعامة .

فان تركنا هذا الى الجانب الثانى – ولن نذكر الا قليلا من كثير كما فعلنا فى الجانب الأول – فاننا نجابه بمبدأ نقدى شديد الغرابة ! فهو يقول فى المقال الثانى – فى معرض نسب أبى تمام – ان الشاعر المجيد هو « الذى يجمع الى الجودة أصالة النسب وعراقة القبيلة » هذا ليقرر حقيقة أغرب من المبدأ نفسه وهى أن تجريح أبى تمام فى نسبه راجع الى وضاعة أصله ، وعندما أراد أن يقوم الدليل ساق بيتا لشاعر فى الطبقة الثالثة اذا قورن بالفحول هو الصلتان العبدى الذى كان يسكن البحرين ويقول فيه الفرزدق : ما للبحران والشعر ؟

ذلك مايرويه ابن سلام الجمحى فى طبقات فحوله ، ولا يروى البيت الذى اعتمده الدكتور عبد الرحمن عثمان وهو :

أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره
ولكن خيرا من كليب مجاشع

ليخرج منه بالمبدأ المذكور ، وبناء عليه يهوى جرير الى الحضيض ، الا أنه يختلط عليه الأمر فجأة فيقول معدلا من المبدأ « مثل هذا الشتم كان يضع منه – أى من جرير – كشاعر فى عصر يؤمن بمجد القبيلة » وفى معرض التدليل بدليل آخر يسوق قول أبى عمرو بن العلاء عن رأيه فى الأخطل لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ماقدمت عليه أحدا .

ما صلة هذا بذاك ؟ وأين قضية النسب كعامل من عوامل الحكم على تفوق الشاعر من مشكلة القديم والحديث فى رواية الشعر ؟

هذا ما أعنيه بانه الدكتور عبد الرحمن لم يتاهب التاهب اللازم للقضايا التى يتعرض لها ، ومن هذا القبيل نفسه وضعه عروبة الشاعر فى مقابل مايقال عن نصرانية أبيه ، وحديثه عن البيئة كمؤثر فى الانتاج الفنى مختلط اختلاطا عجيبا بالوراثة التى تختلط بدورها بالنسب حتى لينتهى الى تقريرية جامدة هى على ما ورد فى المقال الثانى « فنسب الأديب من هذا الجانب – يعنى هنا البيئة – قد يفيدنا فى التعرف على مصادر أدبه فائدة عظمى فى هذا الشأن ، ولكن طابع الوراثة – هكذا – فى الانتاج الأدبى ليس هو كل شىء بالنسبة لمن يعرض لدراسة فن الأديب » .

أنا لن أعلق على هذا حتى يقرأ أولا نظرية هيبوليت تين فى النقد ثم مناقشة سانت بيف معاصره لها ! .

وأخيرا الموضوع كله .. موضوع الشاعر وشعره وتجديده ، لقد كتب فيه كثير ، وأجاد أغلب من كتب ، الا أن الدكتور محمد نجيب البهبيتى يوضح فى مقدمة من فتح أكثر الآفاق لفهم الشاعر وتقويم فنه تقويما أصيلا قائما على الدرس الواعى والمناقشة الرشيدة.. فهل انتفع الدكتور عبد الرحمن عثمان بكل أولئك ؟

لا أريد أن أجيب ، ولكنى أرجح أن ما أصاب فيه الكاتب فهو للدكتور البهبيتى وماعدا ذلك فليس له !

لقد أردت بهذا العرض التحليلى أن أضع احدى التجارب المعاصرة فى ميزان النقد ، وفى رأيى أن كل محاولة من هذا القبيل – بغض النظر عن أسلوبها المنمق – لا تقدم الأعماق المنشودة ولا الابعاد التى تحدد الهدف . والقول انها قد تبدو تكرارا ممسوخا لاعمال سابقة لا يكفى للقطع بعدم جدواها ثم يسكت عن صاحبها ؛ فسوف يقع الناشئة من بعده فيما تورط هو فيه ، واذ ذاك تطمس الحقائق بعد ان كانت غائمة ، ويضيع فى الركام ما يحاول أن يخفيه الغبار .

ان أمام المتخصصين فرصة العمل الجدى ، ولن تتحقق تلك الجدية الا بحسن تناول القديم بعد التثبت منه والتأكد من سلامة أسانيده . وليس يكفى أن يتسلح الباحث بعدة شعارات دخيلة ليناقش فى ضوئها مشكلات ليست بمشكلة ، كذلك لا يكفى أن يملك الكتاب القديم ليعتبر ما فيه من المقررات النهائية ؛ فان خيرا من ذلك اعتبارها منافذ الى نقاط تقبل المناقشة !

دكتور
احمد كمال زكى

الحكم بالقرائن والفراسة

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

لا تختلف القاعدة في الشريعة الاسلامية عن القاعدة التي يأخذ بها الفقه الغربي في الاثبات ، وقد لخص الفقيه العظيم ابن قيم الجوزية ذلك الرأي في كتابه أعلام الموقعين فقال : ان الشارع لم يقف الحكم في حفظ الحقوق البتة على شهادة ذكرين لا في الدماء ولا في الاموال ولا في الفروج ولا في الحدود بل قد حد الخلفاء الراشدون والصحابة رضي الله عنهم في الزنا بالحمل وفي الخمر بالرائحة والقيء .

وطرق الاثبات الجنائي في الفقه الاسلامي هي : الشهادة ، الاقرار ، القرائن ، الخبرة ، معلومات القاضي ، الكتابة ، اليمين .

والقرينة ماخوذة من المقارنة وهي المصاحبة . وقد تكون دلالتها قوية او ضعيفة على حسب قوة المصاحبة وضعفها . وقد ترتقي الى درجة القطع أو تهبط الى درجة الاحتمال البعيد بحيث تصبح ولا يعبأ بها والمرجع في ضبطها الى قوة الذهن والفطنة واليقظة .

اما الفراسة فهي تعرف الشيء بالظن الصائب وهي توجد في اشخاص معينين اكتسبوها بخبراتهم واستعدادهم ، وقد تؤدي الفراسة الى وجود القرينة .

وعلى ذلك فهناك فرق بين القرينة والفراسة ، فالفراسة مرحلة ضيقة من مراحل القرينة ولا يعتمد عليها دائما في الحكم .

وفي النهاية لابن الاثير ان الفراسة لها معنيان :

١ ـ ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون احوال بعض الناس بنوع من الكرامات واصابة الظن والحدس .

٢ ـ نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والاخلاق فتعرف به أحوال الناس .

وقد سئل ابن قيم الجوزية عن الحكم بالقرائن والفراسة فقال :

« هذه مسألة كبيرة عظيمة النفع جليلة القدر ان اهملها الحاكم او الوالي أضاع حقا كثيرا . واقام باطلا كبيرا . وان توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد » .

وعلى ذلك فالحكم بالقرائن أو الفراسة يجب الا يتعدى أوضاعا معينة فلا يحكم بها اذا كان يوجد ما يناقضها او اذا كانت دلالتها في الاقناع ضعيفة .

ولذلك قال بعض الائمة منهم أبو حنيفة والشافعي واحمد في رواية : لا تحد المرأة اذا وجدت حاملا بدون زواج ولا شبهة الزواج لأنه يحتمل أنه من وطء اكراه أو شبهة والحد يسقط بالشبهات .

وقال المالكية وأحمد في رواية أخرى : ان المرأة تحد بالحمل واستدلوا بما ورد في الموطا : « قال عمر رضي الله عنه : الرجم في كتاب الله حق على من زنا من الرجال والنساء اذا احصنا اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف .

وفي الحقيقة لا خلاف في الجوهر بين الرأيين .

فان ثبت أن الزنا كان بالاكراه فلا حد وفقا الاصول الشرعية المعروفة في اي من المذاهب .

وان كانت المرأة الحامل بكرا فلا حد أيضا وذلك لان الزنا منها يوجب المباشرة والوطء . والوطء من اهم الاركان التي تستوجب العقوبة في جريمة الزنا والوطء الذي يوجب الحد هو ايلاج الحشفة وتغييبها في الفرج او قدرها من مقطوعها وهو ما لم يحدث في هذه الحالة .

يبقى ان تكون المرأة حاملا ثيبا غير متزوجة ولم تدفع باكراه ولا بوجه من أوجه الدفع التي توجب الشبهة . وفي هذه الحالة تحد وفقا لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

ورد في الدسوقي على الشرح الكبير :

« يثبت الزنا بالاقرار والبينة وبظهور الحمل في امرأة غير متزوجة . ولا تقبل دعواها بالغصب بلا قرينة تشهد لها بذلك ولا دعواها أن هذا الحمل من مني شربه فرجها في الحمام الا لقرينة . مثل كونها عذراء وهي من اهل العفة او تعلقها بالمدعى عليه سواء كان صالحا او مجهول الحال او فاسقا. أي تأتي مستغيثة منه أو تأتي البكر تدمى عقب الوطء وان لم تستغث وتقول اكرهني فلان »

كذلك وجد الخلاف في هل يثبت شرب الخمر بالرائحة والقيء ؟ .

فقال البعض منهم أبو حنيفة والشافعي : لا حد على من وجد منه رائحة الخمر او تقيأها اذا لم يشاهد منه الشرب أو يقر على نفسه لان الرائحة محتملة . ولأن الشرب قد يقع عن اكراهه أو جهله او اضطراره .

وقال البعض الآخر منهم مالك واحمد وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين وحكم به عمر وابن مسعود : ان الحد يطبق في هذه الحالة اعتمادا على القرينة الظاهرة . روى الموطأ والنسائي عن السائب بن يزيد قال : « ان عمر قال : وجدت من فلان ريح شراب » يعني بعض بنيه » وزعم انه شرب الطلاء . وانا سائل عنه ، فان كان يسكر جلدته فقال فقيل له : انه يسكر ، فجلده عمر الحد تماما » أخرجه الموطأ .

***

وقد حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرائن والفراسة ، قال حماد بن سلمة : اخبرنا عبيدالله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اهل خيبر حتى الجاهم الى قصرهم فغلب على الزرع والارض والنخل فصالحوه على ان يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء ، وشرط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلى لحيى بن اخطب كان احتمله معه الى خيبر حين اجليت النضير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيى بن اخطب ما فعل مسك حيى الذي جاء به من النضير ؟ قال : اذهبته النفقات والحروب . قال : العهد قريب والمال اكثر من ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب ، وقد كان قبل ذلك دخل خربة . فقال : قد رأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابني ابي الحقيقة وأحدهما زوج صفية بالنكث الذي نكثوا » .

فهنا قرائن قوية كثرة المال وقصر المدة التي ينفق فيها والمكان الذي دخله حيي بن أخطب .

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها : انما ذهب بابنك انت ، وقالت الاخرى : انما ذهب بابنك . فتحاكمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين اشقه بينكما . فقالت الصغرى : لا ، يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى . فقال ابو هريرة . والله ما سمعت بالسكين الا يومئذ ، ما كنا نقول الا المدية » رواه الشيخان والنسائي .

ومن ذلك قول الشاهد الذي ذكر الله شهادته ولم ينكرها بل لم يعبه بل حكاها مقررا لها فقال الله تعالى :

« واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر ، والفيا سيدها لدى الباب قالت : ماجزاء من اراد باهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم . قال : هي راودتني عن نفسي ، وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال : انه من كيدكن ان كيدكن عظيم » فتوصل بقد القميص الى تمييز الصادق منهما من الكاذب .

ومن ذلك ايضا ان يزيد بن هارون رحمه الله قال :

تقلد القضاء بواسط رجل ثقة فاودع رجل بعض اخوانه كيسا مختوما ذكر ان فيه الف دينار فلما طالت غيبة الرجل فتق المودع بالكيس من اسفله واخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم واعاد الخياطة كما كانت وجاء صاحبه فطلب وديعته فدفع اليه الكيس بختمه لم يتغير فلما فتحه وشهد الحال رجع اليه وقال : اني اودعتك دنانير؟ والتي دفعت الي دراهم فقال : هو كيسك بخاتمك. فاستعدى عليه القاضي فأمر باحضار المودع فلما صاروا بين يديه قال له القاضي : منذ كم أودعك هذا الكيس ، فقال : منذ خمس عشرة سنة فأخذ القاضي تلك الدراهم وقرأ سكتها فاذا منها ما قد ضرب من سنتين وثلاثة فامره بدفع الدنانير اليه واسقطه ونادى عليه .

***

وقد مدح الله سبحانه الفراسة واهلها في مواضع من كتابه ، فقال تعالى : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » وهم المتفرسون الآخذون بالسيما وهي العلامة .

وقال تعالى : « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم » .

وقال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم » ، وفى جامع الترمذى مرفوعا : (اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله ، ثم قرأ : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ») .

وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : افرس الناس ثلاثة : امراة فرعون موسى ، حيث قالت : قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، وصاحب يوسف ، حيث قال لامرأته: اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا . وابو بكر الصديق فى عمر بن الخطاب حيث جعلهالخليفة بعده .

ومما يروى عن فراسة الامام على ان رجلين من قريش دفعا الى امراة مائة دينار وديعة وقالا : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه . فلبثا حولا ، فجاء أحدهما فقالت : ان صاحبى قد مات فادفعى الى الدنانير . فأبت ، وقالت : انكما قلتما لى لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ، فلبث يدافعها اليك ، فثقل عليها باهلها وجيرانها حتى دفعتها اليه ، ثم لبثت حولا آخر ، فجاء الآخر فقال : ادفعى الى الدنانير . فقالت ان صاحبك جاءنى ، فزعم انك قد مت ، فدفعتها اليه ، فاختصما الى على بن ابى طالب ، فعرف على انهما قد مكرا بها : فقال : اليس قد قلتما لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ؟ قال : بلى ، قال : فان مالك عندها ، فاذهب فجىء بصاحبك حتى تدفعه اليكما .

ومن امثال تلك الروايات يروى لنا الفقه الكثير مما يدل على ضرورة أن يكون القاضى علاوة على كونه عالما أن يكون فطنا فهما .

قال رجل لاياس بن معاوية : علمنى القضاء . فقال ان القضاء لا يعلم ، انما القضاء فهم . ولكن قل : علمنى العلم . وهذا هو سر المسالة . وقد كتب عمر الى قاضيه ابى موسى فى كتابه المشهور: « الفهم الفهم فيما أولى اليك . قال ابن القيم :

« فالذى اختص به اياس وشريح مع مشاركتهما لاهل عصرهما فى العلم هو : الفهم فى الواقع ، والاستدلال بالأمارات وشواهد الحال . وهذا الذى فات كثيرا من الحكام ، فأضاعوا كثيرا من الحقوق .

احمد فتحى بهنسى

سياحة فى كتاب :
رحلات بوركهرت فى بلاد النوبة والسودان

للأستاذ محمد على غريب

رحلات بوركهرت فى بلاد النوبة والسودان
هل كان المؤلف جاسوسا ؟ شتائم يصبها على أبناء العروبة فى مصر وفى بلاد النوبة

بين يدى كتاب (رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان) لمؤلفه جون لويس بوركهارت ، الأفاق المغامر الذى حملته كراهيته لفرنسا فى ثورتها الدامية، الى أن يقصد الى أعدى أعدائها وهى انجلترا فى ذلك الحين والجوع يكاد يسلبهقدرته على النطق، فيلتمس عملا ... أى عمل يمكن أن يؤديه ، فى مقابل أن يأكل ويشرب .

وكانت انجلترا فى ذلك الحين - أى فى بداية القرن التاسع عشر - قد تفتحت شهيتها للاستعمار الجشع الذى يبذل غاية جهده فى أن يبتلع العالم كله ، وربما كان هذا غير كاف لكسر حدة جوعه وشراهته وفى سبيل الوصول الى تحقيق أغراض الاستعمار وتدعيم قواعده ، راح اولئك الخبثاء ممن يتظاهرون بالعلم فى انجلترا يبذلون جهودا مضنية فى الكشف عن كل ما هو مجهول فى القارة الافريقية، التى ترقد ثرواتها ونفائسها وذخائرها فى جوف الارض .

وكانت هناك الجمعية الافريقية التى أنشئت عام ١٧٨٨ م تحت رعاية السير (جوزيف بانكس) واتجهت محاولات تلك الجمعية الى اكتشاف منبع نهر النيجر ، فأوفدت الى افريقيا خمسة من الرحالة، لقى ثلاثة منهم حتفهم قبل أن يصلوا الى اية نتيجة.

وأخيرا جاء هذا الشاب (جون لويس بوركهارت) فأوفدته الجمعية الافريقية كما أوفدت الذين سبقوه ليكشف عن سر هذا النهر الغامض . والعجيب فى الأمر أن هذا الشاب لم يذهب الى نهر النيجر ولكنه أمضى أكثر حياته فى سورية وفى مصر وفى بلاد النوبة وفى السودان ، واستطاع أن يرسم صورا كثيرة بعضها مشرق وبعضها قاتم للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هذه البلاد .

فى هذا الوقت كان (بوركهارت) يبدأ رحلته من مصر الى هذه الاصقاع النائية بعد أن تعلم اللغة العربية وحذقها وتزيى بالزى العربى ، وسمى نفسه

(ابراهيم بن عبد الله) ويستطيع القارىء أن يلمس فى كتاب (رحلات بوركهارت فى بلاد النوبه والسودان) اهتمامه وعنايته وشدة تنبه بكل ماعسى أن يمر به فى بلادالنوبة من الآثار الفرعونيه القديمة، فهو فيما كتب لا يبدو كسائح تجذبه الفرجة وحب الاستطلاع الى هذه الآثار الخالدة . والى التمتع بروعة عظمتها وجمالها ، ولكنه يبدو ناقدا — والى حد ما — يبدو مهندسا يقيس الأبعاد ويفحص بدقة وعناية كل اثر من هذه الآثارالتى خلدت على الزمن وأذهلت العالم كله بجمالها الأخاذ . وفى وقتنا الحاضر يذهل العالم كله مرة أخرى بروعة هذه الآثار فى بلاد النوبة .

لقد اقتضت العناية الآلهية ان تحف مصربعطفها ورعايتها ، فحققت أعظم حلم فى حياتها ، وهو بناء السد العالى ، واقتضى بناء السد العالى أن تغمر مياه النيل هذه الآثار الفرعونية الفاتنة التى قصد بهـا من أقاموها أن تبرز الى الوجود شاهدا حيا على عظمة هذا الشعب وأمجاده ، حين كان التاريخ الانسانى طفلا يلهو ويلعب على ضفاف النيل ، ولم يقو على أن يسجل هذه الشوامخ الا أن تسـجل نفسها بنفسها .

يقـول (بوركهـارت) فى حديثـه عن (الدر) ما يأتى :

(وأرباض الدر هامة لاحتوائها على معبد يقوم على منحدر فى تل صخرى وراء القرية ، ويدل بناء المعبد على أنه موغل فى القدم ، ويلوح أن أهل هذه المنطقة كانوا يعبدون الآلهة المصرية قبل أن تستقر هـذه الآلهة بزمن طويل فى معابد الكرنك والقرنة الضخمة التى توحى الظواهر كلها بأنها أقدم المعابد المصرية اطلاقا) .

وهذه هى رحلته الاولى فى بلاد النوبة ، بدأها من أسوان الى حدود (دنقله) ثم عاد منها الى أسوان ثانية وقد أمضى فى هذه الرحلة أسابيع كثيرة .

ترى كم كلفته هذه الرحلة ؟ وكم أنفق فى الذهاب والاياب ؟

اننا نضع أمام القارىء هذا البيان الذى تركه لنا (بوركهارت) عن نفقات رحلته الاولى فاذا هى ٣٦ قرشا و ١٠ بارة أو ما يوازى جنيها انجليزيا و ١٥ شلنا .

وقد يجهل كثير من القراء قيمة (البارة) وهى تساوى ربع مليم ، فانظر الى رحلة يمضى فيهـا السائح عدة أسابيع ومجموع نفقاته كلها لا تزيد على ٢٦ قرشا و ١٠ بارات !

ويبـدو أن (بوركهارت) كان على أتم الصـلات الوثيقة بمحمد على وبابنه ابراهيم ، فهو يحمـل خطاب توصية من محمد على ومن ابنـه ابراهيم ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكشف عن مذبحة شريرة جرت للمماليك فى (اسنا) وهى غير المذبحة التى خاض فى دمائها محمد على فى القلعة .

ومذبحة (اسنا) غير معـروفة للكثيرين ، وان (بوركهارت) ليصفها وصفا دقيقا كما لو أنه كان شاهد عيان لها .

ويقول (بوركهارت): (بلغ عدد المماليك حوالى ثلاثمائة ومثلهم من العبيد المسلحين أولئك هم البقية البائسة التى تخلفت من نيف وأربعة آلاف رجـل وهو عددهم يوم بدأ محمد على نضاله معهم فى سبيل السيادة على مصر ، فقد ذبح منهم فى القلعـة ألفا ومائتين وعلى رأسهم زعيمهم شاهين بك مع أنه أمنهم على حياتهم بأغلظ العهود والمواثيق) .

ويمضى (بوركهارت) فى رواية أنباء هذه المذبحة فيقول : ان هؤلاء المماليك اعتصموا بالجبال فأرسل اليهم ابراهيم بن محمد على يؤمنهم ويقطع لهم أوثق العهود اذا هم نزلوا من الجبل ، ويتعهد بتقليدهم وظائف فى حـكومة محمد على تتفق ومراتبهم ، ثم يقول (بوركهارت) ان المرء لا يكاد يصـدق كيف انطلى هذا العـرض الكاذب على أكثر من اربعمائة مملوك على رأسهم عدد من البكوات ؟ ولقـد هبط المماليك من الجبل ، وفى الطريق جردوا من ثيابهم فوصلوا الى معسكر ابراهيم بك قرب (اسنا) عراة وعندئذ صدرت الاشارة فذبحوا جميعا ، ولم يترك منهم على قيد الحياة سوى مملوكين فرنسيين اجابة لرغبة طبيب ابراهيم بك .

وفى ذلك الوقت كان الذى يحكم بلاد النوبة ثلاثة هم أحفاد (حسن قوسى) وهم يفرضون الضرائب على الاهالى ويبلغ ايراد هؤلاء الحكام الثلاثة فى العـام حوالى عشرة آلاف جنيه .

والعجيب أن الضريبة السنوية التى كان يدفعهـا الاخوة الثلاثة لوالى مصر لا تزيد على مائة وعشرين جنيها .

وندع (بوركهـارت) يتحدث عن نفسـه فى مغامراته الشيقة فيقول :

(كان هناك عدد من الفقهاء يقرءون القرآن في صوت خافت) .

ثم أقبل فقيه كبير فكان ذلك مؤذنا لهم بترتيل القرآن ترتيلا عاليا على نحو ما يفعل المقرئون في الشرق وقد شاركتهم هذا الترتيل ومضينا فيه زهاء نصف ساعة حتى جيء لنا بالغداء وكان موفورا لأن القوم نحروا بقرة لهذه المناسبة .

ولسنا نعجب من أن (جون لويس بوركهارت) يرتل القرآن الكريم مع المرتلين ، فقد خدع الكثيرين بمظهره العربي ، وسافر الى مكة وأدى فريضة الحج ولعله مع القليل جدا من غير المسلمين استطاعوا أن يدخلوا مكة دون أن يتكشف من أمرهم شيء .

وتتجلى حقيقة مهمة (بوركهارت) فيما كتبه وهو يصف رحلته الى (شندى) فهو يتحدث عن خوف أهالي البلاد من الاسلحة الحديثة كالبنادق والمدافع وكيف أن مبعوثا لمحمد على وصل الى (سنار) فعرض ملك المنطقة أمامه فرقة من الفرسان ، وأراد مبعوث محمد على أن يعرض أسلحته الحديثة وكان معه مدفعان صغيران يحملهما جملان فلما أطلق واحدا منهما ، فر أكثر الاهالي وسقط كثيرون منهم على الارض .

ويواصل (بوركهارت) حديثه فيقول انه لم يصادف رجلا في هذه المناطق اجترأ على أن يمس بندقيته .

ويجيء بعد ذلك بيت (القصيد) من رحلة (بوركهارت) حيث يقول ما نصه :

(وهذا سبب من الاسباب التي تحملني على الاعتقاد بأن فرقة صغيرة من الجند الاوربيين كفيلة بأن تشق لها طريقا في هذه البلاد دون أن تلقى مقاومة اذا تذرعت بالحكمة والصبر .

واحسب أن ثلاثمائة رجل،ممن مرنوا على احتمال المناخ المدارى ، يستطيعون أن يوغلوا في شرق افريقية ، ولن تعترض طريقهم عقبات قوية يؤبه بها من (أسوان) الى (سنار) .

واذا كان مائتان وخمسون من صعاليك المماليك قد فتحوا (دنقلة) وفرضوا عليها سلطانهم برغم مقاومة الدناقلة والشايقية مجتمعين ، فخليق بقوة مدربة من الاوربيين ألا تخشى بأس هؤلاء الافريقيين وهم على حالهم من تشتت وانقسام الى امارات صغيرة لا رابطة بينها ولا اتحاد)

ومهما يكن من شيء فان هذا هو الذى حدث فعلا، اذ أنه بعد سنوات جاء الانجليز الى مصر ودخلوها غدرا وخيانة ومن مصر استطاعوا أن يسيروا الجيش المصرى الى السودان ، ولما تم فتحه بفضل القوات المصرية ادعى الانجليز أنهم شاركوا في فتح السودان وكان أن احتلوه كما احتلوا مصر من قبل .

والذى لاحظته على (بوركهارت) انه لا يدع مناسبة تمر حتى ينهال على المصريين والعرب بالشتائم المقذعة ، فيصفهم بأنهم جبناء وأنهم لصوص كذابون مفترون ، وخاصة حين يصف رحلته في وادى النوبة؛ حتى ان المرحوم (محمد شفيق غربال) وهو الذى أشرف على طبع هذا الكتاب (رأى أن يحذف صفحات كاملة منه لما فيها من كيل السباب جزافا) والواقع أن تهمة الجبن هذه حاول كثير من المستعمرين أن يلصقها بالمصريين والعرب فيما كتبوه ، وقد عرض لها الاستاذ الكبير (عباس محمود العقاد) في كتابه (سعد زغلول) وفندها وبصق على جميع الذين اخترعوها والواقع أن (بوركهارت) كان هو الجبان كما روى ذلك عن نفسه ، فهو قد ضرب واهين وبصق أحدهم ذات مرة على وجهه ؛ وأغلظ له الكثيرون في القول وعيروه ونبذوه لكنه لم يثر لكرامته ولم يغضب لما لحقه من اذى ، وكيفما حاول ان يبرر هذا الضعف وهذا الاستخذاء فانه كان قادرا على أن يقف أمام هذه الاساءات كرجل ولو جره ذلك الى التلف .

ان هؤلاء الذين يصفهم بالجبن كان شاهدهم على شجاعتهم (بوركهارت) نفسه فهو يقول انهم يقومون بالرحلات في أكثر أوقات السنة ويتعرضون لمتاعب الطريق والاخطار الشديدة التي تحيط بهم ، ولكنهم لا يتراجعون دونها بل يقتحمون الصعاب ويجالدون الأحداث ويقفون أمام الموت وقفة رجل شجاع .

والذى كان يحمل هؤلاء التجار الذين رافقهم (بوركهارت) في شتى رحلاتهم ، على سوء الظن به ومحاولة اقصائه عن قوافلهم،هو أنهم كانوا يحسبونه جاسوسا ، وأنت خبير بما يخامر النفوس الانسانية من قلق واضطراب حين تجد أن هناك عيونا تتعقبها وتحصى عليها حركاتها وسكناتها .

والكتاب رغم هذا ممتع وخليق بالدراسة والفهم لانه يكشف عن حقائق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر وفي السودان في بداية القرن التاسع عشر .

محمد على غريب

مصرع الشيطان

للدكتورة عاتكة الخزرجي

الدكتورة عاتكة الخزرجي شاعرة مجيدة ، وكاتبة بليغة وأديبة محققة وأستاذة بجامعة العراق تنشر في هذا الاسبوع ديوانها الاول (انفاس الصباح) نقتطف منه هذه القصيدة :

وغيداء مثل الندى طفلة ... تكاد من اللين أن تنكسر
يفوح الصبا ملء أردانها ... فتغري الورى بالرحيق العطر
وتندى من الحسن في جنة ... تكاد عناقيدها تنعصر
وقد نسج الطهر من حولها ... حدودا فما رامها مقتدر

***

تصدى لها يشتكي الهوى ... وكم أنكر الخب في سره
يروم الى قلبها منفذا ... فينفث ما شاء من مكره
عساه يروض به جامحا ... ويبدل باليسر من عسره
فتمسى الفريسة في مخلبيه ... تروح وتغدو على ظفره

***

وأغراه شيطانه بالملاك ... وصورها في خليع الصور
وجردها فبدت كالصباح ... ورقت رغيف الضحى والقمر
ومثلها في سرير الهوى ... كأن بها عاصفا من سقر
تلهب أعطافها شهوة ... تذيب الحديد وتوري الحجر

***

وهاج به الوحش لا يرعوى ... عن الغي أو يستبيح الجمال
وراح يجند أسبابه ... فنونا تقاصر عنها الخيال
يلين فيرخي لها ما تشاء ... ويشتد حتى يضيق المجال

***

وصدته عن نفسها في دلال ... رفيق وفي وازع من خفر
ولكنها لم تكن في حمى ... عن الشر فاستهدفت للخطر
وأوهمها الذئب حتى غدت ... تنزهه عن خطايا البشر
وراحت ترى فيه معنى الوجود ... وسحر الجمال وسر القدر
وقهقه في سره وانثنى ... ليشحذ أنيابه والظفر
فهذي الفريسة في مخلبيه ... يقلبها ، هل لها من مفر ؟
ويسكرها بالكذوب الخلوب ... من الوعد والأمل المنتظر
فيوقظ من حسها ما اطمأن ... ويطلق من نفسها ما استقر
وهم بها ... فاستفاقت على ... زئير يئز ولفح الشرر
وأبصرت الذئب من فوقها ... يكشر عن طاحن كالابر
فزايلها الوهم في لحظة ... تحدث بها ضحكات القدر
وألقت به وهي في أوجها ... تقول : الى حماة من سقر

أرضنا

للأستاذ محمود أبو الوفا

دغدغوا الارض بالمحاريث حتى ... تتعرى للشمس بطنا وظهرا
اقلبوها بطنا لظهر والا فمحال ... أن ترجع الارض بكرا
عرضوها للشمس فالشمس أحرى أن ... تحيل التراب في الارض تبرا

***

هذه الارض أنبتت اطيب الطيب ... وأحلى الثمار لونا وعطرا
كم رأينا فيها الحوالى الغوالى ... واللدان الطوال بيضا وسمرا
ثم كم أورفت ظلالا عذارى ... في ربى الخلد ليس منهن اطرا
ماليا اصبحت كأن ثراها ... نبتها الحلو خارجا عنه قسرا

***

أى غرس هذا الذى ليس يجنى ... حين يجنى الا لحاء وقشرا
كيف ازهاره ترعرع خضرا ... وسراعا ترتد كلحاء صفرا
مثل ما لو يكون قد عرضوه ... للأعاصير وهو ما زال بذرا
كم تمنيت أن أقول ولكن ... ما عسى القول للذى ليس يقرا

***

لا تسلنى عن أرضنا كيف تبرا ... انني منك يا أخى لست أدرى
الاولى عندهم من العلم شيء ... هيكل العلم عندهم صار حكرا
كل رأى للناس لم يأت عنهم ... فهو رد أو أمعنوا فيه سخرا
لو يشاءون صيروا الخل خمرا ... أو يريدون صوروا التمر جمرا
رب وزر خلوه شيئا مباحا ... ومباح خلوه وزرا وكفرا
نحنى عنهمو ودعنى وشعرى ... لعساهم أن لا يسموه نثرا
لا تدعنى أحمل الشعر مالم ... يحتمله فالشعر ما زال زهرا
ومن الحق ما يقال ولكن ... منه مالا يباح للقول جهرا
في ضمير الثرى جراثيم نكر ... شر ما في ضمائر الارض نكرا
بعضها يشبه العناكب الا ... أن في نسجها عناكب اخرى
التماسيح لو تقاس اليها ... والسعالى تهون نابا وظفرا
الضوارى أخف منهن شرا ... والافاعى أقل منهن مكرا
ليت شعرى والطهر للارض أصل ... هل على عهدنا نرى الارض طهرا
أرضنا عرضنا وللعرض حق ... اننا نبتغيه عزا وفخرا

***

ان هذا النبات للارض سفر ... نحن منه الالفاظ والارض طغرى
عبثا نتقى البذور اذا ما ... ظل يسقى عروقها الماء كدرا
نظفوا الارض أولا ... وأخيرا ... نظفوها كى يخرج النبت حرا

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

نحو نقد هدف البحث

أجل .. فنحن في مسيس الحاجة الى نقد هدفه البحث ، وغايته الوصول الى الحق ، يتسلح الناقد فيه بروح رياضية ، وخلـــق رفيع ، ويملك كل امكانيات النقد .

ولسنا في حاجة ـ بالطبع ـ الى هذا السيل الجارف من النقد العابث ، الذى يدفع به الى حيز الوجود : اما احقاد وضغائن صغيرة مترسبة في نفس الناقد، واما شهوة مسيطرة عليه تجعله يتربص بكل انتاج فكرى ، غير مفرق بين غث وسمين ، ليشهر قلمه أو لسانه عليه ، بالحق او الباطل ، واكاد اشــك أن يكون مثل هذين الناقدين قرا كتابا واحدا في النقد وأصــوله ، أو على الاقل قد اســتوعب الذى الذى نقده قراءة ودراسة ، انما هى لقطات سريعة يلتقطها من النص تساعده على أن يحرك قلمه في تهـــور ، ويطيل لسانه في بذاءة ، ويثير بلسانه وقلمه معا ، صخبا ولغطا لينبه الأسماع ويلفت الانظار اليه ..

هذه مجرد خواطر طرات على ذهنى وانا أقرا كتابا وصل من بيروت منذ أسابيع ، عنوانه : «طه حسين والشيخان » للأديب الأستاذ محمد عمر توفيق بمكة المكرمة ، وعنوان الكتاب يوضح مهمته . فهـــو نقد لكتاب أستاذنا الدكتور طه حسين «الشيخان» الذى صدر منذ أكثر من عامين ، ويعتذر الكاتب الناقد في مقدمته عن هذا التأخر في النقد ، بانه انتظر نقدا للكتاب في الاوساط الادبية ، ولما لم يقع ، أخذ في قراءة الكتاب ودراسة أفكاره ، ثم دفـــع بنقده الى المطبعة ليأخذ مكانه في مجال النقد .

واكاد أعتقد أنه لأول مرة يشذ الناشر عن الطريقة المتبعة في تقديمه لمطبوعاته ، وهى تقريـــظ الكتاب والثناء المبالغ فيه في مؤلفه ، فالناشر هنا يكتب في ظهر الغلاف :

« يقول مؤلف هذا الكتاب عن طه حسين : انه من العباقرة ، ويضيف .. الا أن العباقرة جائز عليهم الخطأ ـ وسواه ـ كالآخرين » .

ونحن نرى أن طه حسين .. والشيخان نفحة من نفحات الحق تتضوع ، وشهاب من شهب التصويب يضيء ، وجهد علمى صادق بعثت عليه أمانة علمية أصيلة » .

والحق ـ ونحن نقدم هذا الكتاب كنموذج طيب لنقد هدفه البحث ـ ان مؤلفه نموذج طيب أيضـــا للناقد الذى يكاد يرتفع فوق مستوى الشبهات، فهو يبرز أولا مدى ما يكنه من تقدير كبير لمؤلف الكتاب المنقود ، ويعلن ثانيـــــا ، تجرده من أية لمسة من لمسات الغرور ، ويوضــح ثالثا مهمته الاساسية من هذا النقد .. وهى البحث :

« ومما لا شك فيه أنه ـ أى الدكتور ـ عبقرى يملأ مكانه ، بحق ، في مقدمة الرواد والطلائع .. الا أن العبـــــاقرة جائز عليهم الخطأ ـ وسواه ، كالآخـــرين .. على أن الامـــر لم يبلغ ـ وأرجو الا يبلغ ـ في نفسى حد الغـــرور من أى نوع كان .. انما هو شيء خامرنى وقد فرغت من قراءة الكتاب .. شيء هدفه البحث » .

بمثل هذا الصفاء النفسى تجاه المؤلف ، وهذا التواضع الرفيع تجـــاه نفسه هو ، وهذا التحديد الواضح تجاه مهمته، افتتح بحثه، وسار في دراسته فلم يحمل هراوة في يده ، وراح يعبث بأفكار الكتاب متوهما انه ينقد ، بل حمـــل فكرا ناضجا ، وأفقا واسعا ، وذهنا صافيا ، ونفســـا كبيرة ، وراح يتحسس مواضـــع التجـــر في الـــكتاب ، أو أماكن الضعف ، أو زوايا المغـالطة ، فاذا عن له شيء من ذلك ، وضـم أصابعه عليه ، وفي يده حيثيات حكمه، وأسانيد أدلته ، دون حاجة الى أسلوب خشن يوهن من حجته ، أو لسان فظ يشكك في قدرته .

وليس معنى هذا أن الناقد قد تهاون في مهمته ، فالحق انه ضيق الخنـــــاق على أفكار الكتاب التى تناولها، ولم يحل احترامه للمؤلف أو مكانته الادبية أن يكشف عن عورات هذا الكتاب ، ويسلط عليهـا أضواء هزتها هزات عنيفة ..

والحق أن الناقد لم يتنكر قاعدة الشك من أساسها، بل انه يرى في الشك منهجا علميا سليما .. بشرط أن يكون الهـــــدف هو الحقيقة ـ لا مجرد الشك والتشكيك :

« حق كل الحق أن تستقبل الامور كلها بمبادرة الشك ، انما لبناء الفهم بعده على أساس صحيح ، والمفروض في كل خبر أنه يحتمل الصدق والكذب ، ان استقباله بهذا المعنى هو الشك ، ثم يأتى دور الأدلة التى ترجح أحد الاحتمالين . فاذا استمر الشك

بعدها فهذا ليس هو الشك .. أو منهج «ديكارت» وهو المنهج الذى بشر به الدكتور من وقت طويل .. انه حينئذ «عقدة» أو «وسواس» أو هو كلاهما ..

***

يتابع الناقد نقده ، فيقف وقفات طويلة مع المؤلف : فى موقفه من «الردة» حيث يرى ان الارض بعد وفاة الرسول عادت كافرة بعد اسلامها ، وان اشتعال النار شمل الجزيرة العربية كلها ، وان الاسلام حصر فى المدينة ومكة والطائف ..

وفى موقفه من قصة الاستخلاف او كتاب الاستخلاف ، حيث استبعد الدكتور انيكون الرسول قد طلب الى عائشة فى مرضه الذى قبض فيه أن تدعو أخاها عبد الرحمن ليكتب لابى بكر كتابا لا يختلف الناس معه عليه ، ثم عدل عن ذلك وقال: دعيه فلن يختلف الناس على أبى بكر ..

وفى موقفه من القرآن والخلافة ، فالدكتور لا يشك فى أن القرآن لم ينظم للمسلمين أو الخلافة لا توارثها ، وأن النبى لم يترك وصية أجمع عليها المسلمون ، ولو قد فعلها لما خالف عن وصيته أحد من أصحابه ، لا من المهاجرين ولا من الانصار . وينفى الدكتور كل الروايات التى ذكرت الجدال والتخلف عن بيعة أبى بكر ، ويرى أن هذه البيعة تمت بالاجماع .

ومنهج الدكتور فى هذا وغيره الشك فى الروايات التاريخية ، حتى التى يستند منها الى أحاديث فى الصحاح ، ويستطرد الى الشك فيما كتبه ابو بكر من عهود لقواده ، بل حتى قصة اصرار أبى بكر على مقاتلة مانعى الزكاة وجدال عمر له ، وهى واردة فى كتب الحديث الصحيحة . ويعجب الناقد من أن الدكتور لم يتطرق اليه الشك فى أن خالدا قتل مالك بن نويرة ، ويرى أن تفاصيل الحادث عنده من التكلف الذى لا يراد به الا ابراء خالد من قتل أولئك النفر فى غزوة بنى جذيمة المشهورة وفيهم مالك بن نويرة ، وقصته مع خالد معروفة .

الناقد يرى ان منهج الدكتور فى انكار الروايات التاريخية يستند أولا الى قاعدة الشك عنده التى لا زالت تلازمه منذ عهده بكتابه عن الشعر الجاهلى، ولم يسر الدكتور على هذا المنهج فى كل أبحاث كتابه ، وكانت مهمة الناقد تحقيق هذه الروايات تحقيقا علميا وتاريخيا ، ليبعث فى منهج الدكتور الاهتزاز ، ويرى أن الزيف جائز فى التاريخ وفى كل شىء غير أن تحقيقه مسئولية كبيرة لها أهميتها فى حياة الامم ، والسبيل واضحة لا اشكال فيها .. هناك الرواية ورواتها ، وهناك كلام المؤرخين والنقاد على اختلافهم ، وهناك منطق المقابلة بينها وبين نظائرها فى المستوى وفى الأحكام ، وهناك منطق الاحداث والوقائع ، وهناك شىء اسمه الترجيح والتردد والاحتياط .. كخطة العلماء والنقاد، وكخطة المؤلف نفسه فى بعض الكتاب ، اما الجزم القاطع بكذب الرواية او صدقها ــ حينئذ ــ فانه يبعد عن الخطة المثلى ، كيف ان كان العكس هو الصواب ، كما قد ظهر من أمر بعض الروايات ؟

***

وبعد ــ

فان كتاب أستاذنا الدكتور طه حسين «الشيخان» كان جديرا كل الجدارة بالنقد ، وان الاستاذ محمد عمر توفيق ، كان من الضرورى أن يتولى نقد هذا الكتاب ، فقد اظهر من الكفاءة العلمية ما هو أهل له من تقديرنا .

الا أنه اذا كنا نرى فى بعض أفكار كتاب الدكتور اسرافا فى التشكيك فى الروايات أحيانا ، والجزم القاطع بكذبها أحيانا أخرى ، فاننا نرى اسرافا أيضا فى هدم الناقد لقاعدة التشكيك عند الدكتور من اساسها ، والناقد فى منهجه لهدمه قاعدة الشك هذه عول كثيرا على الاحاديث كسند له ، ونحن لا ننكر أن الأحاديث من أوائل المصادر التاريخية ، ولكن هذه الأحاديث ــ ولا سيما ما كان منها من رواية الآحاد ــ قابلة للتحقيق .

ان القارىء لكتاب الدكتور «الشيخان» يكاد يحس رائحة التشيع لآل البيت وفيها مسحة من العاطفة ، وان القارىء أيضا لكتابالناقد «طهحسين والشيخان» يكاد يحس مرة اخرى ، رائحة التشيع لأهل السنة وفيها مسحة من التعصب للشيخين ..

والحقيقة بعد ذلك لها وجود فى هذه الأبحاث التاريخية التى أرختلفترة ــ على جانبمن الأهمية ــ من تاريخ الاسلام والمسلمين .

وفى هذا النقد الموضوعى ، الذى امتزج بالجدية والاصالة ، وفرض علينا أن نحترم الناقد ونجله ، لأنه لم يحمل هراوة ــ كما يفعل أدعياء النقد ــ ليهدم بها افكار الكاتب ، ولكنه حمل فكرا ناضجا ، وأفقا واسعا ، وذهنا صافيا ، ومعه أسلوب مهذب رقيق ، لا لينقد الكتاب لوجه النقد فحسب ، ولكن ليقوم بعملية شاقة مضنية .. اسمها البحث ..

محمد عبد الله السمان

مهرجان أحمد محرم

للأستاذ تحسين عبد الحي

عندما يسير التقدم الثقافى فى خط مواز للتقدم المادى بمحتوياته الصناعية والزراعية وغيرها .. **يكون تقدم المجتمع من حيث كونه مجتمعا ينشد الرفاهية بابعادها ـ المادية والثقافية تقدما كاملا غير منقوص .**

ونحن فى الجمهورية العربية المتحدة نسير بخطى سريعة نحو التقدم المادى والاجتماعى .. وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة من تقدمنا الثقافى مازالت منحصرة فى حدود الثقافة المدرسية .. الا أنه من الملاحظ ان الآفاق الجديدة للثقافة الواسعة .. المتطورة .. بدات تأخذ مكانها .. فى عقول شعبنا .

ولا شك أن النهضة الثقافية كفاية ـ قد أصبحت تفرض وجودها .. على جميع المستويات .. واتخذت من الوسائل الايجابية مجالا لنموها المطرد نحو الكمال .

***

ولقد كان **مهرجان احمد محرم** الذى أقيم فى دمنهور فى الفترة ما بين ١٥ ، ١٧ من الشهر الحالى احدى هذه الوسائل الايجابية .

واهمية مهرجان محرم تنبع من ان هذا المهرجان قد اقيم لاحياء ذكرى رجل كافح بعقله الكثير من مظاهر التخلف فى مجتمعنا فى فترة كانت الاقلام تسخر فيها لخدمة اوضاع فاسدة وتثبيت مفاهيم رجعية فى عقول أبناء شعبنا .. **يضاف الى ذلك أن مجرد التقاء مجموعة من المفكرين على مستويات متفاوتة فى مكان واحد لمدة معينة .. قد أوجد الكثير من المناقشات فى مختلف فروع الثقافة .**

***

فطيلة الأيام الثلاثة التى استغرقها عقد المؤتمر .. كانت الندوات الخاصة تعقد وتستمر حتى الثانية صباحا .. فى فندق دمنهور السياحى .. وقد أثير كثير من القضايا الادبية .. منها الخلاف بين أنصار **الشعر التقليدى وانصار الشعر الحديث** ، وتضاربت الآراء فى هذا الموضوع ـ فانصار الشعر التقليدى يرمون ـ **الشعر الحديث** ـ بأنه ليس شعرا .. ولكنه نوع من انواع الكتابة لم يصل حتى الى مستوى النثر الجيد أى أنه ليس شعرا وليس نثرا .. وانما هو عبث .. ويرد أنصار الشعر الحديث .. بأن الشعر الحديث أقدر على تصوير المعانى من الشعر التقليدى ، لان تجرد الشاعر الحديث من **القافية والوزن** يجعله أقدر على تحريك الالفاظ والمعانى فى شعره ليخرج صورة مليئة بالمعنى والاحساس .. اللذين يضيعان فى أبيات الشعر القديم فى متاهات الأوزان والقوافى .. وهكذا ـ آراء وآراء ـ وبعد مناقشات عنيفة كان هناك شبه اجماع على أن الشعر الحديث ظاهرة فرضت وجودها .. ولا بد أن تأخذ فرصتها .. ومن خلال هذه الفرصة سوف نرى اذا كان من الممكن أن يستمر .. أم لا ..

***

ولا ترجع اهمية ماقيل فى هذه الندوات الى ماذكر فيها من آراء ولكن اهميتها فى أن أدباء دمنهور قد اشتركوا فيها جنبا الى جنب مع ادباء القاهرة ونقادها .. فاوجدت جوا من التفاعل والمشاركة الوجدانية نحن فى أمس الحاجة اليهما لربط الافكار المختلفة بعضها ببعض والنهوض بها .. ولا يستطيع المرء أن يخفى فخره واعتزازه بادباء مثل الشاعر حسن قاسم (من أنصار الشعر الحديث) والشاعر ياسين الفيل من أنصار الشعر التقليدى ـ عندما دخلا فى مناقشات مدعمة بالدراسة والوعى الكامل مع الشاعر ـ كمال نشأت والشاعر أحمد السمرة وغيرهم وغيرهم ..

وأثيرت قضية عامة ـ **وهى مشكلة أدباء الاقاليم وكيف انهم لا يجدون فرصا مثل التى تتاح لأدباء القاهرة .**

ورغم أن القضية قضية عامة بالنسبة للمناقشين الا أن هذا الشعور يأخذ وضعا خطيرا فى نفوس أدباء الاقاليم ، ويخلق عندهم شعورا بالاضطهاد .. ولا اخالنى مغاليا اذا ما ذكرت أن بعضهم كان متأزما بشكل يدعونا الى التفكير فى حل عاجل .

وقمت من جانبي بعقد بعض الجلسات الخاصة مع قراء **الرسالة** في دمنهور ، ومنهم من أتيح لى الالتقاء معه على صفحات مجلة **الثقافة** ، فى باب «**بين الثقافة والقراء**» وأوضحت لهم أن **الرسالة** على استعداد لتشجيع الانتاج الجيد .. وأعتقد أن هذه هى خطة الثقافة أيضا وضربت لهم مثالا على ذلك أن مجلتى الثقافة والرسالة تنشران فى أبوابهما الرئيسية أكثر من ثلث موضوعاتها لكتاب ناشئين .

وأثناء الحفل الختامى دارت بينى وبين السيد **محافظ البحيرة : الأديب ـ وجيه اباظة ـ مناقشة حول الرسالة والثقافة .. وكان رأى سيادته أن المجلتين ظهرتا فى وقت ملىء بالتيارات الثقافية والاجتماعية والادبية الجديدة ، فيجب الاهتمام بهذا الجديد ..** ومن خلال هذه المناقشة القصيرة أيقنت أن سيادته من قراء المجلتين ، يناقش فيهما عن فهم ووعى صادقين .. وقمت بشرح وجهة نظر المجلتين على أساس أن **الرسالة وان كانت تنشر بعض القديم.. الا أنها تنشر القديم المتجدد ..** المتصل بحياتنا الادبية والاجتماعية فى نطاق الطابع الاسلامى العربى

اما الثقافة فتهتم بالآداب والفنون العالمية وربط ثقافتنا بالتطور الثقافى العالمى .. والذى نستطيع من خلاله تقويم ثقافتنا والنهوض بها . **والرسالة والثقافة بعد ذلك تكمل كل منهما الأخرى .**

وهكذا كان مهرجان أحمد محرم مجالا **لتمجيد ذكرى شاعر عظيم ومجالا لمناقشات كثيرة ومفيدة .**

***

وقد قام الادباء بزيارة أماكن متعددة ـ حسب البرنامج الموضوع مثل قرية الابعدية ـ ومشروع التصنيع الريفى ، والوحدة المجمعة ومدرسة أحمد محرم والنادى ، والاستاد وغيرها من الاماكن التى استطاع الجميع أن يلمسوا من خلالها ذلك التقدم الهائل الذى غير وجه البحيرة .

ومن خلال هذه الزيارات المتعددة يستطيع المرء أن يفكر قليلا .. فقد تكلف النادى ـ ١٠٠,٠٠٠ جنيه ـ **بردهاته وصالوناته الفخمة** ، وتكلف الاستاد ١٢٠,٠٠٠ جنيه .. وحسب الخطة سوف يصل جملة المنصرف على الاستاد والنادى **الى ½ مليون جنيه .** ولا شك أنه عمل رائع حقا أن تشيد هذه الاماكن بفخامتها وعظمتها .. وسوف يكون أروع من ذلك ان تسمع ولو بعد فترة ، أن النية متجهة الى اقامة المؤسسات الثقافية بجانب المؤسسات الرياضية **لاننا نعرف أن العقل السليم فى الجسم السليم وليس العكس هو الصحيح** وذلك لاننا بخلاف ـ **مهرجان احمد محرم** ـ لم نجد تشجيعا للثقافة فى دمنهور . ولهذا يجب أن نخرج من نطاق الحدود المظهرية للعمل الى غمار العمل نفسه .

وبعد فهناك رأى يقول بأن الغرض من اقامة الحكم المحلى فى **المجتمع الاشتراكى** هو تقسيم المجتمع ككل الى وحدات (محافظات) تكون أصغر نسبيا من حجم الدولة .

يكون لدى المحافظ فيها صلاحيات **التوجيه السياسى والاشراف على خطة التنمية الاقتصادية والثقافية .** الغرض من ذلك التقسيم يرجع فى الدرجة الاولى الى أن الفرد فى المجتمع الاشتراكى يختلف عنه فى المجتمع الرأسمالى ، فالفرد فى المجتمع الراسمالى يعمل لصالح نفسه فقط . **اما الفرد فى المجتمع الاشتراكى فيعمل لصالحه ولصالح الدولة .** وبطاقة يجب أن تكون **أكبر ـ وأقدر ـ** بكثير ، وذلك للمساهمة فى سرعة انجاز التحول الاشتراكى .

ويرى الكثيرون ان الدافع الى العمل فى المجتمع الاشتراكى يجب أن يكون **التقدير الادبى** بجانب **التقدير المادى .. ويأتى ذلك التقدير الادبى من خلال العلاقات والاجتماعات الدورية ..** بين المسئولين والعاملين ، ولقد وجدنا **ذلك كله مطبقا فى البحيرة.** فالجميع يعتبرون المحافظ **صديقا لهم ..** أكثر من محافظ يحكمهم .. ومن هنا نستطيع القول بان محافظة البحيرة تعد من المحافظات النموذجية فى مجالات التطبيق الاشتراكى .

ونحن هنا يحدونا الأمل فى أن يأخذ جانب القطاع الثقافى من عناية المحافظات نفس المستوى الذى تأخذه القطاعات الاخرى .

رحم الله أحمد محرم الذى أتاحت لنا ذكراه أن نرى جزءا غاليا من وطننا عن كثب ، ونشاهد على الطبيعة أعظم الاعمال الثورية .. فى ظل مجتمعنا الاشتراكى الجديد .

تحسين عبد الحى

من مهرجان محـــــرم

- كان الاستاذ الاديب محمد عبد الحليم عبد الله ·· بمثابة الدينمو المحرك للمهرجـــان فى مختلف المجالات ·
- نجح المهرجان نجاحا لامثيل له ·· فقد كان الناس يتزاحمون على الحضور للمهرجان لسماع الشعر والبحوث الادبية ، أليست هذه ظاهرة جديدة ؟
- كان مستوى الخدمة في فندق دمنهور السياحي ممتازا ·· ولا يقل باى حـــال من الاحوال عن مستوى الخدمة في فنادق الدرجة الاولى بالقاهرة ·
- أعلن السيد محافظ البحيرة في الحفل الختـــامى للمهرجان ان المحـــافظة قررت تخصيص منحة تعليمية ـ لخمسة طلاب ـ من أبناء البحيرة باسم الشـــاعر احمد محرم وذلك فى مراحـــل التعليم المختلفة ·

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

ظاهرة غريبة فى بدء حياتنا القصصية

« تعليل صائب هذا الذى عللتم به كتابة شحاته عبيد عن الحب وقدرته على تناوله ، والاختلاط فى الريف الذى اوجد قصة زينب لهيكل . واريد ان اعرف هل قصة (البوسطجى) ليحيى حقى التى نشرها له سلامة موسى لأول مرة كملحق للمجلة الجديدة تأثرت ايضا ببيئة متحررة ، ام انها كتبت متأخرة عن الفترة السابقة » ؟ .

هذه فقرة من الرسالة التى بعث الى بها الاستاذ علاء الدين وحيد يعقب بها على ما كتبته عن شحاته عبيد ، وكنت قد قلت ان «شحاته» نشأ فى بيئة خاصة متحررة يجرى فيها الاختلاط بين الجنسين ، على خلاف ما كان يسود المجتمع المصرى اذ ذاك من الحجاب . اما قصة (البوسطجى) فقد كتبت متأخرة عن تلك الفترة بأكثر من عشر سنوات حدث فى خلالها بعض التطور الاجتماعى وسفر كثير من الآنسات والسيدات المصريات المتعلمات .

ويثير الأخ علاء الدين قضية هامة فى الفقرة التالية :

« هل صحيح أن القصاص الجدد أيام شحاته عبيد لم يعرفوا الفروق بين القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات ؟ أفلا يتناقض هذا مع انهم جميعا على ما أظن اطلعوا على الآداب الأجنبية ودرسوها ولم تكتب قصتنا الحديثة الا متأثرة بهذه الآداب ؟ فهل نأخذ أخطاء شحاته عبيد كقاعدة عامة أم كنقص فردى يقع عند التطبيق ؟ يخيل الى اننى اميل الى الرأى الثانى . وعلى كل حال ارجو ان نجد الجواب فى مقالاتكم القادمة » .

الواقع انه لا يمكن القول بان أولئك الكتاب لم يعرفوا الفروق بين القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات . انما الأمر كما قلت فى مقال عن شحاته عبيد أن مفهوم لفظ «الرواية» على العموم فى ذلك الوقت كان يشمل القصص بأنواعها من طويلة وقصيرة ومسرحية ، وحتى الآن لا تزال كلمة «الرواية» تطلق على المسرحية على سبيل التساهل ، واحيانا نقرا او نسمع بعض الممثلين يقول : قمت بدور كذا فى رواية كذا ، بل نقرا مثل ذلك فى كتابة بعض النقاد .

والأمثلة كثيرة جدا على ذلك المفهوم ، كانت ــ مثلا ــ مجلة « الضياء » الأدبية تنشر قصة قصيرة فى كل عدد مترجمة او مؤلفة تحت عنوان ثابت «رواية» ، وكانت بعض الصحف تنشر القصة القصيرة تحت عنوان «رواية تنتهى فى عدد» ؛ وجريدة «السفور» التقدمية التى كانت مجالا لكتاب الطليعة المجددين كتبت مرة انها قررت ان تنشر « رواية » كاملة ــ تقصد قصة قصيرة ــ فى كل عدد بدلا من الروايات المسلسلة . وتتردد كلمة الرواية كثيرا فى كتابات عيسى عبيد وأخيه شحاته عبيد وفى الاعلان عن مجموعاتهما ، وهما يقصدان بها القصة القصيرة . ومن ذلك ما كتبه عيسى تحت احدى قصصه فى مجموعة «ثريا» وهى قصة «الكازينو» كتب تحتها : «رواية مصرية عصرية ثنائية» ، ويقصد بكلمة «ثنائية» انها مكتوبة فى شكل حوار بين اثنين .

وقد يكون تعليل ذلك من الناحية اللغوية ان اطلاق كلمة الرواية على سائر الفنون القصصية انما هو من قبيل التغليب .

اما ما كان يقع فيه أولئك الرواد احيانا من كتابة القصة القصيرة فى بناء يشبه بناء الرواية فهو عدم توفيق فى التطبيق كما يعبر الأخ علاء الدين .

والنقطة الهامة التى تحتاج الى التأمل فعلا هى مسالة الاطلاع على الآداب الاجنبية ودراستها والتأثر بها . فالظاهرة الغريبة أن كتابنا ظلوا عشرات السنين يترجمون القصص من الآداب الأجنبية ويكتبون قصصا مصرية دون ان تظفر من احدهم بقصة مؤلفة تتوافر لها عناصر الفن القصصى الحديث ــ سواء فى ذلك الكتاب الصحفيون الذين كانوا يكتبون لمجرد تسلية القراء ولكسب العيش ، او الكتاب الأدباء المطلعين الدارسين للآداب الاجنبية والمجيدين للغتين العربية واحدى اللغات الاجنبية ، مثل محمد المويلحى ولطفى جمعة وحافظ ابراهيم واحمد شوقى .

فقد كتب هؤلاء قصصا لم يجد فيها تاريخ الادب الحديث نقطة بدء للقصة الفنية المتكاملة .

وهاك مثالا : احدهم وهو لطفى جمعة الكاتب الجاد الذى وعى ثقافة عصره من قومية واجنبية ، له قصة طويلة عنوانها « فى وادى الهموم » رايته فى مقدمتها يقول : **وليعلم القارىء ان فن الروايات منقسم الى قسمين ، القسم الأول (رومانتيك) اى الروايات الخيالية ومن اشهر كتابها السير والتر سكوت واسكندر ديماس .**

والقسم الثانى (ريالستيك) اى الروايات الحقيقية واول من كتبها بلزاك وتابعه تلميذه زولا .

هذا كلام يدل – من غير شك – على وعى ادبى مبكر (كتب سنة ١٩٠٥) فى حياتنا الادبية . وقال لطفى جمعة بعد ذلك فى المقدمة انه سيكتب قصة على مقتضى (الريالستيك) ولكن القصة جاءت بعد لا هى (رومانتيك) ولا (ريالستيك) .

والى اللقاء فى الاسبوع القادم حيث ننظر فى اسباب هذه الظاهرة .

اهتمامات صغيرة فى صحافتنا

عالجت مجلة «صباح الخير» فى الاسبوع الماضى موضوعا خطيرا .. اثارته بهذا السؤال الذى جعلته عنوانا كبيرا للموضوع الخطير » والسؤال الذى هو العنوان كما يلى :

« هل يعود رشدى اباظة الى زوجته الاولى ؟ »

ووصفت المجلة السؤال بانه « يحير الذين يعرفون رشدى أباظة جيدا .. »

والمحرر طبعا يعرف رشدى أباظة جيدا .. ولهذا احتار ! وتاريخ المعرفة حافل بالذين احتاروا فى المعضلات ، ولكن المسائل التى احتاروا فيها لم تبلغ حد الخطورة الماثلة فى موضوعنا هذا الذى يتعلق بتردد رشدى اباظة بين زوجتيه الاولى والثانية .. !

ولو ان هذا كل ما فى الموضوع لهان الأمر ووقف عند الحيرة .. حيرة المحرر ، او حيرة الاخ رشدى ، او حيرة القارىء .. ولكن الذى حير الالباب وصير المحرر التحرير دائخا .. هو :

«هل هناك خلاف حقيقى بينه – اى بين رشدى اباظة – وبين سامية جمال ؟ »

المحرر التحرير يقول وهو لا يزال دائخا :

« الأقوال تتضارب حول هذا الموضوع ... »

يعنى انالمسالة ليس فيها قولان فقط كاية مسالة عادية ، بل فيها أقوال .. ومتضاربة ..

فلا بد ان هناك «قولا» بانه لا خلاف ، و «قولا» بأن هناك خلافا .. وعلى هذا «القول» يتفرع خلاف آخر .. هل الخلاف بين الزوجين حقيقى أو غير حقيقى ؟

اربعة اقوال .. بقى قولان فى مسالة يظهر انها عادية .. هل سامية جمال الزوجة الاولى او الثانية ؟

والحاصل .. ان هناك ستة اقوال تتضارب وتتعارك فى هذا الموضوع الخطير .. وذلك لكى يتفرج القارىء وينبسط ..

هفوة عالم

تابعت ما نشر من مقالات الدكتور محمد انيس عن ثورة ١٩١٩ التى تنشرها الجمهورية ويقدمها الاستاذ كمال الحناوى رئيس التحرير على انها تصحيح لما جاء فى سلسلة مقالات عن الثورة نفسها فى «زميلة صباحية» يقصد جريدة الاخبار .

اعجبنى فعلا المنهج العلمى الذى يسير عليه الدكتور فى البحث ، ولكنى لاحظت فى المقال الاول انه عرج على كاتب مقالات الاخبار الأستاذ مصطفى امين ، أو بالاحرى والده الاستاذ امين يوسف ، ومسه بطريقة غير لائقة ، اذ قال انه كان صديقا للانجليز وكانوا يحمونه ، وساق ذلك سياقا يفهم منه انه كان منحرفا عن الوطنية السليمة ..

احسست ان الدكتور يخلط عملا صالحا وآخر سيئا .. الم يكن من الممكن ان يقصر كلامه على الموضوع دون هذا التجريح ؟ وما ذنب الرجل اذا كان لولده وجهة نظر تخالف رأى الكاتب ..؟

انى لا أدافع عن المرحوم امين يوسف ، واعتقد ان مثل تلك العلاقات قابلة لمثل التفسير الذى فسرها به الاستاذ العقاد وهو ان الانجليز كانوا يرمون الى ان يكون اتصالهم بالحركة الوطنية ومحاولة التفاهم معها عن طريق زعيم شعبى مثل امين يوسف .

انما انا فى الحقيقة ادافع عن الدكتور انيس نفسه .. كنت أود ان يتفادى هذا المنحدر وهو يسالك الجادة .. وان ينأى بنفسه وبمنهجه العلمى عن ان يكون اداة من أدوات المنافسة بين الصحيفتين .

فى مقاله الأخير استنكار وتعجب من المهاترات التى كانت بين جريدة المؤيد وجريدة وادى النيل حول موضوع « وضع الجالية الشامية فى مصر » اذ يقول الدكتور :

« وجرت مساجلات ومهاترات بين الفريقين يعجب المرء اليوم لتورط الفريقين الى هذا الحد فيها » .

أفلا يرانى على حق اذ أعجب من تورطه اليوم فى مثل ما استنكره من مهاترات زمان مضى .. ؟

افليس يوافقنى على ان كتابة تاريخنا القومى عمل جاد يجب الا تختلط به امثال هذه الشوائب ؟

عباس خضر

في موكب العلم

الاشعة الكونية ورحلة القمر
بقلم الاستاذ فوزي الشتوي

سقفان للأرض :

لعل أكثر ما يقلق بال المشتغلين بالاعداد لرحلة الانسان الى القمر هو الاشعة الكونية ، ولو ضمن العلماء شرها فى طبقات الفضاء العليا ، لهان عليهم تدبير امر رحلة يدور فيها الناس حول القمر ، أو على مقربة من سطحه ليكتشفوا بعض أمره . وقد كانت هذه الاشعة ، وخطر التعرض لها ، من أهم الاسباب فى اكتفاء رجال الفضاء بالصعود بمركباتهم الى الارتفاعات الحالية فى مدار يتفاوت بعده بين ١٦٠ و ٢٥٠ كيلو مترا عن سطح الارض .

ويؤثر العلماء ، فيما يختص بريادة الفضاء وكواكبه ، تقسيم هذا الفضاء الى جزئين أو منطقتين . وأولاهما ـ وهى التى تغلبوا عليها وصعدوا فوقها ـ هى منطقة الهواء الكثيف حول الارض . والثانية هى ما اصطلحوا على تسميته بمنطقة المجالات المغناطيسية للكرة الارضية . فالارض مغناطيس ضخم ، وله مجالات واسعة تمتد بين قطبيه على هيئة كعكة ضخمة وفيها تنتظم المواد وتتشكل ، كما تنتظم برادة الحديد بين قطبى المغناطيس .

فى هذه المجالات تعتقل المغناطيسية ما يصل اليها من مواد الكون فترة من الزمان . وهذه المواد فى الغالب اشعاعات لها تاثيرها على الاحياء . وبعضها يصل الى الارض بعد أن يفقد الجانب الاكبر من ضراوته اذ يلقى فى طبقات الفضاء والجو ما يتفاعل معه ويمتص ما فيه من خطر .

سر الهواء :

وقصة الاشعة الكونية واحدة من تلك القصص العلمية التى اراد فيها الانسان أن يكشف سرا ، فاذا هو يتعثر ويكتشف آخر . ففى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر كان الانسان يبحث عن خواص الهواء ومدى صلاحيته لتوصيل الكهرباء . كان يراه فى العادة ، وأكثر الاحيان ، مادة عازلة لا تسرى فيها التيارات الكهربائية فى سهولة ويسر ويراه فى أحيان أخرى مشحون بالسنة من البرق التى تخط طريقها المتوهج فيه . وفى تجاربه العامة كان يعرف أن التيار الكهربائى يخترق الهواء بين قطبين من الفحم .

كانت معلوماته فى المعمل تقنعه بأن الهواء النقى عازل جيد ، ويرى الدلالة فى تفريغ هواء انبوبة بطرفيها قطبين وتسليط الكهرباء على طرفيها ، وكلما زاد التفريغ زادت قدرة الكهرباء على الانطلاق بين القطبين . واقتنع الانسان بأن معلوماته ناقصة ، وأن للهواء خواصا تجعله مرة موصلا جيدا للكهرباء ، وأخرى عازلا لها . وبعبارة أخرى توجد عوامل تطرأ على الهواء ، فتغير طبيعته .

وفى عام ١٨٩٥ اكتشف الباحثون أن تسليط اشعة اكس أو السينية على الهواء يجعله موصلا جيدا للكهرباء . وجاء عام ١٨٩٦ ، فاكتشف العالم الفرنسى « بكريل » ما ترسله مادة اليورانيوم من اشعاعات اذا ما وجهت الى الهواء اكسبته خاصية التوصيل للكهرباء .



نموذج للقمر الرائد الذى أطلق فى عام ١٩٥٨ ليدرس الاشعاع . وظهر حوله فريق من العلماء الذين تلقوا بياناته ومنها عرفوا أن أقصى الاشعاع يوجد على ارتفاع ٨٠٠٠ كيلومترا .

—※—

واتسع نطاق اكتشاف الصخور والعناصر المحتوية على المواد المشعة ، فاذا هم يعثرون على الاشعاع فى كل مكان حتى فى قاع المناجم . وعبثا حاول العلماء العثور على بقعة أرض خالية من الاشعاع الذى يغير صفاء الهواء يكسبه التوصيل الجيد للكهرباء .

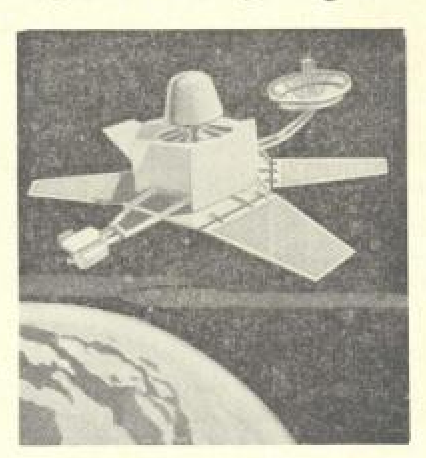
مفاجأة فى السماء :

وضاق العالم السويسرى « جوكل » باشعاع

الارض فى عام ١٩٠٩ ، فقرر اجراء تجاربه بعيدا عنها ، فحمل أجهزته الى بالون ارتفع ٤ كيلومترات، مما بدا وقتئذ كمغامرة محمومة لاداعى لها ؛ اذكانوا يعتقدون أن ارتفاعه ١٠٠ متر كفيل بتحقيق عدنه، وعزل أى اشعاع ترسله صخور الارض وموادها المختلفة ، ولكن «جوكل» ماكاد يبدأ تجاربه فى هذا الارتفاع حتى ذهل ، فان التوصيل هناك كان أفضل بعدة مرات بفضل زيادة الاشعاعات .

وكانت نتيجة تجاربه غريبة ، ولم يستطع أحد تصديقها ، فاهملت نحو ٣ سنوات حتى أقبل العالمان النمسويان « هس » و « كولهورستر » على تكرارها بين عام ١٩١١ و ١٩١٤ ، فارسلا البالونات الى ارتفاعات أبعد . وتبعا لما حصلا عليه من بيانات أعلن العالم « هس » ، اكتشاف اشعة كونية شديدة القوة حتى انها قادرة على اختراق طبقات الارض عدة مئات من الامتار . ومن ذلك التاريخ والعلماء يلاحقونها لعلهم يعرفون مصدرها ومن أين تقدم ، ثم كيف تتكون ، وكيف تنتشر ، وكيف تقتنى قدرتها الفائقة على اختراق كل ما يصادفها .

واذا ما حاولت الوقاية من الأضرار بصنع درع من أفضل المواد مناعة ضد الاشعاع وهى الرصاص، فانك تحتاج الى درع سمكه ٣ سنتيمترات حتى



محطة الارصاد مارينر أو البحار التى ألقت نظرة على كوكب الزهرة . وفى أثناء رحلة طولها ٣٥ مليون كيلومترا أرسلت بيانات هامة عن الاشعاع فى مختلف أنحاء الفضاء التى مرت بها .

لا تنفذ اليك الاشعة الكونية أى أن مركبة فضاء على عينة كرة قطرها متر واحد ، تحتاج الى درع ثقله ١٠ آلاف رطل . أما الوقاية الكاملة من هذه الاشعة فتحتاج الى درع رصاص سمكه ١٥ مترا .

واختلفت النظريات عن مصدر هذه الاشعة ، فقالت أكثرها رواجا انها تنشأ من انفجار النجوم والغازات المتجمعة فى الفضاء . ولكن الملاحظات العلمية التى أمكن الحصول عليها أخيرا ، دلت على أن العمل المشترك لكل نجوم مجرتنا ، نهر التبانة ، لا تصلح لانتاج أشعة بالشدة التى نعرفها عن الاشعة الكونية (*)

وتقول أحدث الآراء انها تنشأ عن الانفجارات النجمية القوية المعروفة باسم « سوبرنوفا » التى ظهر أن لهيبها يندلع فى مجرتنا كل بضعة قرون من الزمان .

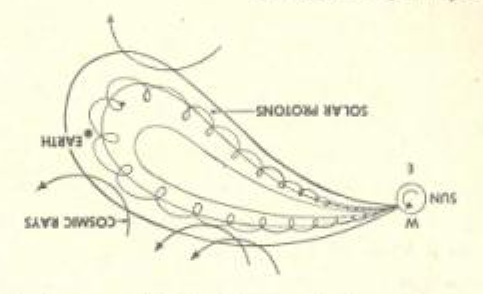
ويقول العالم الامريكى « جورج جامو » ان المجالات المغناطيسية الضخمة والقوية التى تنشأ عن اندلاع هذه الغازات الساخنة فى الفضاء تعمل على زيادة سرعة نوى غاز الايدروجين وهى جسيمة البروتون . وعندما تندفع هذه الجسيمات بسرعتها الكبيرة بين النجوم، فانها تكتسب مزيدا من السرعة بفضل المجالات المغناطيسية التى تقابلها فى اندفاعها .

١٠٠ مليون بليون فولت :

وقدر العالم « هرمان شايفر » الطاقة التى تدخل بها الاشعة الكونية جو الارض بنحو ١٠٠ مليون بليون فولت لكل من جسيمات الاشعة . ومن الجائز فى حالات متباينة أن تهبط هذه الطاقة الى ١٠٠ مليون الكترون فولت . ورغم كل ما بذله الانسان من براعة ، فانه لم يوفق حتى الآن فى صنع معجلات تستطيع اكساب الجسيمات الذرية هذه الطاقة الهائلة ، بل ان أقوى المعجلات الذرية سواء فى أمريكا أو أوربا لم تصل بعد الى طاقة ٤٠ بليون فولت .

وبالدراسات المتعاقبة بمعونة الصواريخ والبالونات والاقمار الصناعية تسم العلماء الاشعة الكونية الى نوعين واحداهما بدائية أو أولية ، وهى السابحة فى الفضاء بين الكواكب . وهناك تجد

ذرات المادة ، وقد خلعت غشاءها المؤلف من الالكترونات ، وانطلقت بسرعتها الفائقة فى كل اتجاه ، فتجد بينها نواة العناصر الثقيلة كالحديد ونواة الخفيفة كالايدروجين .



عندما تنشط الشمس فانها تقذف من جوفها جسيمات مشعة تغلف الارض وماحولها وتؤثر على الاشعة الكونية فتجعلها تنحرف .

وعندما تدخل جسيمات الاشعة الكونية فى هواء الارض، فانها تصدم ذرات الهواء؛ لتخلع عن بعضها غلافه الالكترونى وهى الظاهرة الطبيعية التى نسميها بالتأين ويصل حدوثه الى أقصاه على ارتفاع بين ٢١ و٢٤ كيلومترا من سطح الارض . وفى كل من هذه الصدمات تفقد الاشعة الكونية بعض طاقتها ومن الجائز أن تلقى صدمة مباشرة من ذرة كبيرة فتتحطم وتتناثر فى عشرات من الجسيمات كالبروتون والنيوترون والمازون وغيرها من جسيمات نواة الذرة . ومن الجائز أيضا أن تستمر فى فقد طاقتها تدريجيا ؛ ثم فجأة تلتقى بعدد من الذرات القابلة للتأين ، فتحدث مجموعة كبيرة منه وتكون خاتمة حياتها .

ويطلق العلماء على الظاهرة الأخيرة تعبير «التحول» أو النحافة ، وهى أخطر مايخشونه على رجال الفضاء لما يحتمل ان تحدثه فى انسجة الجسم وبخاصة فى أجهزة التوريث ـ من تغير فى طبيعتها . فان اصابة الخلية بضربة مباشرة منجسيمة أشعة كبيرة تقتلها ، ولكن حدوث التأين يؤثر على الاجيال القادمة . ومن الجائز أن يحدث هذا التحول بفعل دروع السفينة ذاتها ؛ فيكون ضرره أشد من ضرر اصابة الجسم بالجسيمات الكبيرة التى يندر أن تجتاز مناطق الهواء الى ارتفاع ٣٥ كيلومترا اذ تتحلل وتتفتت عندما تصل اليه ، ولكنها تكثر فوق هذا الارتفاع .

اشعة ثانوية :

وتحت هذا الارتفاع تواصل الاشعة الكونية سيرها بعد أن تكون قد فقدت الجانب الاكبر من طاقتها وكتلتها . وعندئذ يطلق عليها اسم الاشعة الكونية الثانوية ، وهى سريعة جدا ، وقادرة على اختراق طبقات الارض ، حتى انها وجدت فى قاع مناجم عمقها ٨٠٠٠ قدم تحت سطح البحر .

ومنذ خلقت الحياة على الارض ، وهى تعيش مع الاشعة الكونية الثانوية التى تخترق أجسامنا بالآلاف فى كل دقيقة. ولانحس باختراقهالاجسامنا بسبب صغر حجمها وسرعتها الفائقة ، ولأن أجسامنا وفقا للاوضاع والتعاليم الذرية ليست كتلة صماء من اللحم والدم والعظام ، بل ان نسبة الفراغ فى أية ذرة ـ سواء أكانت فى أجسامنا أم فى الجماد ـ هى ضعف غير الفراغ آلاف المرات . واحتمال اصابة أى من هذه الاشعة لاى من جسيمات الخلية تافه جدا ولا خوف منها .



مناطق الاشعاع حول الارض . وهى جسيمات اطلقتها الشمس واعتقلها المجال المغناطيسى للارض. وبسبب هذا المجال أيضا تتجمع تلك الاشعاعات قرب القطبين على هيئة الشفق القطبى الذى يبدو كستارة جميلة تسدلها الطبيعة على الارض .

ويرى عدد كبير من العلماء أن الاشعة الكونية الثانوية تلعب دورا هاما فى تطور الانسان . فهى عندما تخترق جسمه تتفاعل فيه ، وتحدث تحولا ينتقل من الآباء الى الابناء وبفعله يرقى الانسان فى سلم التطور ، ويمتاز الابن عن أبيه. واذا كنا لانرى الفروق فالسبب ضعفها ، وعجز حواسنا عن ادراك ما تفعله الطبيعة .

فوزى الشتوى

البريد الأدبي

الى الاستاذ عباس خضر ....

قرات لسيادتكم المقالتين الاخيرتين فى مجلة الرسالة الغراء احداهما بعنوان الرائد القصصى شحاته عبيد والاخرى « الرواية الأم جاوزت الخمسين » . وانشرف على استحياء بمشاركتكم فى اجلاء موضوع نشاة القصة المصرية الحديثة « علما باننى مازلت طالب بحث - راجيا التفضل منكم بمواصلة التعقيبات التى تبين غوامض الموضوع .

فاقول « من أيام استشراف العالم العربى على الحضارة الأوربية فى القرن التاسع عشر واعجابه ببعض معالمها - ابتدأ العرب ينهلون من معين الادب الفياض مايسدون به نقصا كان يعترى أدبنا العربى - فوجد من جراء اتصالنا بالحضارة الغربية الاقاصيص المبتدعة كما فعل سليم البستانى حين كتب اقصوصة « رمية من غير رام » سنة ١٨٧٠ ولبيبة هاشم حين كتبت « حسنات الحب » سنة ١٨٩٨ - وترجمنا كذلك بعض الاقاصيص كما فعل نسيب المشعلانى حين ترجم عن الانجليزية « النجاة بعد الباس » سنة ١٨٩٨ وخليل بيدس حين لخص عن الروسية « النعجة الضالة » سنة ١٩٠١ وفى مقدمة « الشيخ جمعة واقاصيص اخرى » لمحمود تيمور قيل ان اول من عالج كتابة الاقصوصة المصرية بل واول مؤسس لها هو « محمد تيمور » - توفى سنة ١٩٢١ - حين أنشأ مجموعة اقاصيصه « ماتراه العيون سنة ١٩١٧ - وعدد هذه الاقاصيص سبعة - لا نتنسم عبير القصة الا فى اثنتين هما « ربى لمن خلقت هذا النعيم » وهى معربة عن موباسان الكاتب الفرنسى والأخرى من تاليف محمد تيمور وليست مترجمة أو معربة وهى « عطفة (الـ.......) منزل رقم ٢٢ » - وهذه الاقصوصة الثانية بها فكرة ولها عقدة وتصوغ المثل الذى يقول « الجزاء من جنس العمل » او « كما تدين تدان » فى ثوب قصصى قصير لا باس به - اما الخمس الباقيات فليست الا خواطر قصصية تحتاج الى الصياغة والتنسيق وهذه الاقاصيص التى كتبها محمد تيمور اذا قيست الى ماكتبه محمد لطفى جمعة فى « فى بيوت الناس » سنة ١٩٠٤ و « فى وادى الهموم » سنة ١٩٠٥ لوجدنا الثانى يتفوق على الاول فى صياغة القصة ونحن نعرف أن محمد لطفى جمعه قد كان أول رائد للقصة المصرية بالمعنى الحديث اذ كتبها قبل محمد تيمور بثلاث عشرة سنة ونعرف أيضا أن العبرة ليست بمن سبق ولكن بمن سلك - فمحمد لطفى جمعة قد سبق زمنيا وسلك قصصيا سلوك المبدع الملهم وقدر له ان يطلع على روائع الادب الغربى فى أيامه - ومقدمة « فى وادى الهموم » التى كتبها سنة ١٩٠٥ ترينا مقدار تفهمه للمذاهب الادبية السائدة فى عصره وان دفاعه عن منهاجه الواقعى فى القصة يدلنا على مدى ثقافته الفنية التى أهلته لان يختار من بين مذاهب الادب المذهب الواقعى اذ لا يمكن للاديب اختيار منهج معين دون أن يكون قد اطلع على المناهج الاخرى - وقد لون « محمد لطفى جمعه » اقاصيصه الواقعية بطابع محلى وهذه الواقعية واقعية سوداوية مرة فكل أقصوصة فيها قتل أو انتحار - بينما يبدو على اقاصيص محمد تيمور طابع الرقة ومسحة الحضارة والترف فلم نجد فيها عنفا أو مبالغة حادة قاسية فهو يسير الهوينى فى اقاصيصه ويأخذ قطاعات صغيرة مما تراه العيون ويلقى عليها ضوءا هادئا مريحا ينيرها من خلال كلمات سهلة منتقاة . - وكما يصور محمد تيمور قطاعا جزئيا فى لحظة من لحظات الحياة فانه ايضا قد يصور قطاعا كاملا لهذه اللحظة بعبارات قليلة تعطى معانى كثيرة قد تحيط بفكرة الاقصوصة كلها وذلك واضح فى ختام اقصوصته « كان طفلا فصار شابا » حين قال لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مربيته والآن صار شابا جميلا فاحبته مربيته كعشيقة تضرم الحب انفاسها فيا للعجب مما تراه العيون فى ظلام هذه الحياة . »

وهكذا فى سطرين تمكن الكاتب من ان يحيط بفكرة اقصوصة تشتمل على ست صفحات وان يصورها تصويرا كاملا . اما محمد لطفى جمعه فقد ظهرت واقعيته فى أقاصيصه « فى بيوت الناس » وهى اقاصيص متصلة ومنفصلة فهى متصلة باعتبار أن

البطل واحد فيها وهي منفصلة باعتبار أن لكل أقصوصة موضوعا مختلفا وقد تحدث في مقدمة هذه المجموعة انه يوضح بأقاصيصه هذه مبادئه التالية

أولا : كرهه للعلم الذى لا يصل الى أعلى مستواه .

ثانيا : كرهه للاغنياء الذين لا يستغلون أموالهم لصالح الشعب .

ثالثا : كرهه للسجن كوسيلة لاصلاح المجرم .

و « فى بيوت الناس » تشتمل على احدى وعشرين أقصوصة فى واحدة منها هجوم على السطحيين الذين لم يتعمقوا فهم محرر المرأة من نير الحجاب « قاسم أمين » ــ وهو يبدأ هذه الاقصوصة ببيت شعرى يقول فيه : ــ

اقاسم ان القوم مالت قلوبهم
ولم يفقهوا فى السفر مالت كاتبه

ويصدر محمد لطفى جمعه روايته الأولى الرائدة فى تاريخ الرواية المصرية بالمعنى الحديث والتى انشاها سنة ١٩٠٥ قبل رواية زينب التى انشاها هيكل سنة ١٩١٢ بسبع سنوات الا وهى رواية « فى وادى الهموم » بالحديث الشريف « عفوا تعف نساؤكم » . وهو فى مقدمته لهذه الرواية يقسم فن الرواية الى قسمين الحقيقى والخيالى فالرواية الحقيقية تمثل البشر كما هم والرواية الخيالية تصور البشر كما يجب ان يكونوا ــ وهو يصرح ايضا بأنه فى روايته هذه سينتهج نهج القصصيين الذين يكتبون فتهم الروائى على أساس الحقيقة ثم هو يبحث فى موضوع « انقاذ المرأة من السقوط » ويستعين بآراء مختلفة فى تبيين رأيه هو فمن الآراء التى استعان بها رأى تولستوى الكاتب الروسى الكبير الذى يرجع سقوط المرأة اليها هى أولا والى المجتمع ثانيا ــ ورأى فرح انطون الذى أعلنه فى مجلة « السيدات والبنات » ويقول فيه أن سبب سقوط المرأة هى المرأة ذاتها .

اما رأيه هو فيتضح حين يقول ان السبب فى سقوط المرأة هو الرجل **أولا** والهيئة الاجتماعية **ثانيا** ــ وفى اعلان رأى محمد لطفى جمعه تبرز أهمية الثوب القصصى الذى يكسو هذه المشكلة بالحلول والمشكلة التى ابرزها لنا الكاتب فى « فى وادى الهموم » تطبيق لرأيه الذى أعلنه فى المقدمة فزبيدة احدى شخصيات روايته كانت احدى اختين ابوهما من الجزائر واستوطنوا الاسكندرية ــ وقد اختطفت زبيدة هذه زوج اختها المسمى ابراهيم ولكنه لم يرغب فيها بعد ان نال مناله منها فرجع الى اختها زوجه الأولى أما هى زبيدة فقد أتت الى القاهرة بتحريض من امها واحترفت ــ وهنا تبدو مسئولية الرجل والمجتمع معا فى تهيئة الوسائل لكى تضيع المرأة فلولا دناءة ابراهيم وغفلة والد زبيدة وعدم دفاع المجتمع عنها لما فسدت هذه المرأة ولما انحدرت الى هذا الطريق الوعر .

وهكذا يبين لنا من هذا العرض السريع ان محمد لطفى جمعه هو رائد الرواية المصرية الحديثة كما انه هو رائد الاقصوصة المصرية الحديثة

محمد رشدى حسن
المعيد
بآداب القاهرة ــ فرع الخرطوم ــ السودان

***

« ورتل القرآن ترتيلا »

سألنى احد ابناء قطر شقيق ، ونحن فى زيارة احد مساجدنا الأثرية ، مشيرا الى قارىء كفيف ، يستجدى بقراءة القرآن ! الى اى مدى يفهم هذا القارىء هذه الآيات التى يرددها ؟! وما مدى صحة هذه الطريقة التى يتبعها ؟! وهل يتفق هذا مع ما للقرآن من قدسية ، ومالنا من حضارة ومدنية ؟! واذا كان منا من لا يزال يختلف مع طريقة بعض مشاهير قرائنا ، فما بالنا مع هؤلاء ؟ » .

وحينما ذكرت صاحبى بالمصحف المرتل ، ووسائل نشره واذاعته ، بعد ان ثبت نجاحه وامتيازه ، تذكرت اننا نحاكم من يؤدى اغنية .. دون ترخيص من الرقابة ! ولكننا لا نفعل ذلك مع هؤلاء المقرئين ، فان اى مقرىء ، يستطيع قراءة القرآن ، فى اى مكان عام ، وبالطريقة التى يراها اكثر قدرة على رفع أجره ، وبغض النظر عن كل الاعتبارات المقدسة الاخرى ؟!

فما بال وزارة الاوقاف لا تتخذ موقفا ايجابيا من هذا الموضوع ، وتوليه بالدراسة والبحث ، فتشترط شروطا فى المقرىء ، وطريقة القراءة ! وتحرم الاستجداء بآيات الله ، والغلو فى طلب الأجر عنها .. ! الى آخر ما تسفر عنه الدراسة والبحث وفى ضوء النجاح الذى حققه المصحف المرتل .

انها لو فعلت لنظمت تناولنا لكتاب العربية الاكبر وهو كل رسالتها وأعظم مقدساتنا .

محمد محمود شمس

أخبار علمية وأدبية

★★★★★★★★★★★★★★

● افتتح الاستاذ الدكتور محمد عبد القادر حاتم مساء السبت الماضي اسبوع الكتاب العربي بالمعرض الزراعي بأرض الجزيرة ـ وبدىء في انعقاد الندوات الادبية التي تقرر ان يلتقي فيها كبار الكتاب مع قرائهم في اليوم التالي لافتتاح المؤتمر ، المتحدثون هم الاساتذة : العقاد ، وفريد أبو حديد ، وسهير القلماوي ، ويحيى حقي ، ويوسف السباعي ونجيب محفوظ .

ومن الجدير بالذكر أن أكثر من خمسين دارا للنشر من القاهرة والبلاد العربية اشتركت في اسبوع المؤتمر ، وتقرر توزيع ثلاثة آلاف جنيه لجوائز مالية تشجيعية على الناشرين الذين تفوز كتبهم في العام القادم .

● أجرى الدكتور « كونستانتين سوروكين » الاستاذ بجامعة ماريلاند بامريكا تجربة على احد انواع النبات المائي ذي الخلية الواحدة اسمه «الجا» فعمد الى تأخير نموه بتقليل درجة الحرارة والضوء والتغذية ، وكان أن تلاءمت الخلية الواحدة مع البيئة الجديدة ، ونقصت عمليات التمثيل الضوئي ، وازداد عمر هذا النبات ساعتين وبخرج الدكتور سوروكين من تجربته بأن النبات تعلم كيف يتمو ببطء فصار يهرم ببطء ومن الجائز انطباق الحالة نفسها على الانسان ولا سيما بعد اكتشاف أسرار الشباب والشيخوخة .

● تناقش الجمعية الادبية بالقاهرة مساء الثلاثاء القادم موضوع : الصحافة الادبية ، ويشترك في المناقشة الاساتذة والدكاترة : فريد أبو حديد ، ومحمد احمد خلف الله ، وفاروق خورشيد ، واحمد حسين الصاوي ، ووليم الميري ، وعباس خضر ، وعبد الرحمن فهمي ، ويقدم الندوة الدكتور حسين نصار .

● نجح طبيب فرنسي في علاج الصلع وذلك عن طريق الحقن تحت الجلد بالهرمونات الانثوية ، وكان نجاح الطبيب مما يبشر بالخير .

● بدأ امس الموسم الثقافي في نادي القصة وجمعية الادباء ، بندوة موضوعها ادب اللامعقول . . تحدث فيها د. لويس عوض ـ د. مندور ـ والاستاذ انيس منصور ـ وغيرهم .

● يصدر قريبا للاستاذ فتحي عثمان كتاب جديد تنشره مكتبة وهبه بالقاهرة وعنوان الكتاب : « الفكر القانوني الاسلامي بين اصول الشريعة وتراث الفقه » يسجل الكتاب معالم الفكر القانوني الاسلامي في فلسفته واصوله وفي مجالات القانون المختلفة : ثم يناقش تراث هذا الفكر في اصوله الشرعية وصناعة الفقهية ، ليخلص من هذا التحليل الى تحديد معالم مستقبل فقهي رشيد تعود منه الشريعة الى سد حاجات المجتمع المعاصر في أوضاعه الحديثة .

● امكن اختراع راديو ترانزستور بلا بطارية او كهرباء ، يعتمد على الطاقة الحرارية المنبعثة من جسمك أثناء العمل ، يقوم هذا الراديو الجديد بتحويل الطاقة الحرارية الى موجات كهربية

المخترع عالم ياباني تمكن من اعداد اختراعه في لندن .

● أصدر الدكتور امير بقطر كتابا جديدا عن تطور التعليم وانتشاره في الجمهورية العربية المتحدة ، ولهذه المناسبة اقامت الجامعة الامريكية بالقاهرة مساء الخميس الماضي حفل تكريم للمؤلف، حضره نائبا عن وزير التربية والتعليم الاستاذ كامل النحاس وكيل الوزارة .

● توالي اللجنة المشكلة من السادة الدكاترة محمد مندور ـ لويس عوض وعبد القادر القط والاساتذة عباس خضر وعبد الحليم عبد الله وعبد المعطي جلال واحمد عباس صالح وأنور أحمد اجتماعاتها للاعداد لمؤتمر أدباء الجمهورية العربية المزمع عقده في مارس سنة ١٩٦٤ .

قصة العدد

الطلق الأخير
للشاعر الفرنسى « لامارتين »
ترجمة : الاستاذ عبده الشامى

خرجت يوما الى الصيد فأبصرت ظبيا ملؤه الرشاقة والوداعة وخفة الحركة وجمال اللفتات والوثبات . ينتقل من ربوة الى حفرة ومن هضبة الى أكمة فى طلب أعشاب بللها القطر طيلة الليل .

نطفقت أنظر اليه من خلال الخضرة واذا هو يرفع اذنيه حينا كمن يسترق السمع ويتحسس حفيف الاشجار . ثم يولى وجهه شطر الشمس يرشف أشعتها رشفا ويلتمس الدفء ليجفف جلده الرطب . وحينا يقفز الى كومة من الأحجار يستقبل من فوقها هبات النسيم تسكب فى معاطسه أريج الزهور وشذاها العطر .

فأسندت بندقيتى الى كفى وصوبتها نحوه بيد يهزها وخز الضمير . ثم ترددت مليا وأمسكت عن اطلاق النار كأن هاتفا يقول لى ان حركة صغيرة من أصبعى تقضى على تلك الحياة المرحة الآمنة وهذه النفس البريئة المطمئنة التى لم تقترف ذنبا ولم ترتكب اثما .

ولكن حكم العادة وغريزة الطمع البشرى تغلبت على عاطفة النفور من هول القتل فخرج الطلق من بين الأنامل وسقط الظبى يتخبط فى دمه ويثب مرة ويهبط أخرى فوق أعشاب الغابة والدماء تسيل من جراحه وتصبغ الخضرة بلون قرمزى يتراءى فيه غدر الانسان وظلمه .

ولما تبدد الدخان فى الهواء وصعد الى متاهة الفضاء وسكن صوت النار اقبلت على ضحيتى فى مصرعها ممتقع اللون مضطرب الحواس اذا بالظبى حى يسمع ويبصر بل يسيل حلاوة وجمالا ويقطر رقة ورشاقة .

فأسند رأسه الى غصن وظل شاخصا يتأملنى والدمع يترقرق فى عينيه ثم ينحدر من مآقيها يتبادر الى السقوط على خديه متعثرا بين أهدابه متناثرا تحت أشعة الشمس الساطعة .

لا أنسى ما حييت هذه النظرات الناطقة باللوم والعتاب يقرأ فيها هول الفاجعة وعظم الجرم وفظاعة الموقف الذى تذوب له الحشاشة وتنفطر له النفس . وكانت لنظراته لغة خاصة صامتة ناطقة معا ان أجد لها معنى كان معناها : من أنت أيها المغتال القاسى؟ رحماك فما اسأت اليك فى شئ . وكان ينبغى أن أحبك وآنس بجوارك وأنعم بعطفك ولا أفر منك ولا أخافك ولا ارعبك .

مابالك جئت تسلبنى حظى فى الحياة ونصيبى فى الارض والسماء والنور والهواء وتفجعنى فى شبابى النضر ؟ فهلا فكرت فيما عساه يحل بأمى واخوتى وصاحبتى أو صغارى التى تنتظر عودتى اليها بعد اذ غادرتها طلبا للقوت وسعيا وراء قطرة من الماء أروى بها غلتى ؟ بربك قل لى فيم جئت وأى واجب أديت أو مهمة قضيت ؟ أفى ازهاق الأرواح متعة لأمثالك من البشر وتسلية ولذة ؟ ما سبب كل هذا الحقد والغضب والشر والانتقام ؟ وكان من الخير أن يكون بين جنبيك قلب رحيم يثمر الشفقة والرحمة والبر والمعروف .

وكانت اعضاؤه تضطرب وانفاسه تتحشرج فى صدره . وشكواه تنبعث من عينيه واضحة جلية كأنه يقول : أجهز على فقد قضى الأمر . فكان يودى لو أفتديه بكل ما ملكت يداى لولا أن حبل الرجاء مقطوع والأمل فى شفائه بعيد . واشفاقا عليه من العذاب المتصل تناولت بندقيتى وحولت عنه وجهى وأجهزت عليه بالطلق الثانى ثم ألقيت بالسلاح بعيدا وحاولت عبثا أن أستجمع شتات الأفكار والحواس فلم أفلح وهويت الى الارض وعيناى تفيضان بالدموع .

ولما استطعت أن أتبين ما حولى وقع نظرى على جثة الظبى المسكين وكان الطبيعة ساءها ما حل بابنها البار فراحت تظلنا بسحابة من الحزن فلم يسعنى الا أن أضرب من هذا الحين عن تلك التسلية الوحشية والسطو على حياة الآمنين ، واقسمت الا أحمل سلاحا ولا أريق دما وكان يومنا هذا يوم الطلق النارى الأخير .

عبده الشامى

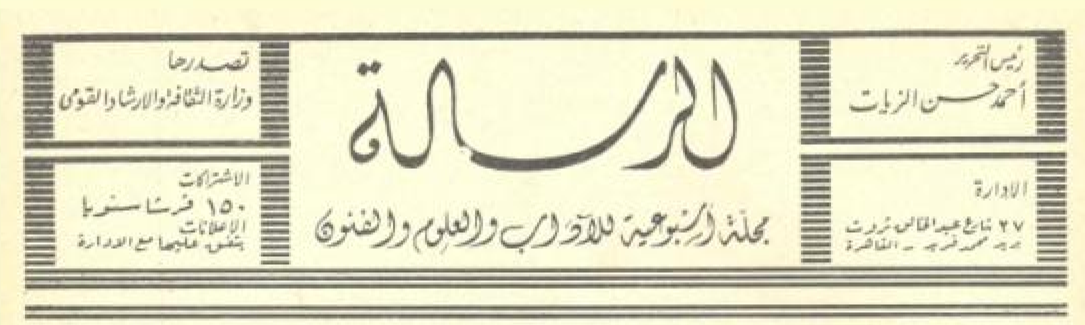

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٣ ـ ١٤ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون



من حديث المرأة

بقلم أحمد حسن الزيات

(٢)

مضت فترة طويلة على كتاب الآنسة (حياة) الذى ترجمت لك أكثره فلم تكتب الى الرسالة ولم تتحدث الى . وعلة هذا الصمت أن قلمها لا يجرى وان لسانها لا يتحرك الا فيما يدور حول المرأة من قول وما يصدر عنها من فعل . لذلك لم تكد تقرأ لى فى الرسالة مقالا عن المصرية الجديدة والزوجة الصالحة حتى مدت سبابتها الى قرص التليفون ودعتنى لأول مرة الى الحديث معها عن ذلك المقال .

أما المقال فقد عناها منه قول فيه :

« ان المنزل عالم اصغر ينطوى فيه العالم الاكبر . واذا كانت الأمة هى الأسرة مكررة ، والوطن هو الدار مكبرة ، فان المرأة القائمة على شئونهما تحتاج من الثقافة والحصافة الى ما يحتاج اليه رجل الدولة ان فى البيت حجرة طعام وغرفة نوم وبهو استقبال وقاعة مكتبة وحديقة زهر . ولكل مكان من هذه الأمكنة ثقافة خاصة لابد للمرأة الصالحة أن تحذقها جميعا .

قد تكون الزوجة أبصر النساء بفنون الطبخ وشئون

المطبخ واصول المائدة . ولكنها تكون أجهلهن بما يجب لمهد الطفل وسرير الزوج ومدفأة الأسرة وبهو الضيوف • واذن لا تعدو أن تكون طاهية •

وقد تكون الزوجة اقوم على رعاية الطفل والزوج، واضبط لحساب الدخل والخرج ، واحزم في سياسة العمال والخدم ، ولكنها تكون عامية الفكر خشنة الجانب مبتذلة الهندام ، فلا تعدو ان تكون مدبرة منزل •

وقد تكون الزوجة بطبيعتها ولودا فتتوزعها الآلام والاسقام والشواغل فى الحمل والوضع والرضاع والفطام والتربيب والتهذيب والتمريض، فلا يبقى من جهدها طاقة للبيت ، ولا من وقتها ساعة للناس ؛ ولا فى قلبها مكانة للزوج ، فلا تعدو أن تكون والدة •

وقد تكون الزوجة اجذب أنوثة من كليوبطرة ، واعذب حديثا من شهرزاد ، وافتن رشاقة من حسان هوليود ، ولكنها تكون خرقاء لا تجيد العمل ، حمقاء لا تحسن التدبير ، فلا تعدو أن تكون حليلة •

وقد يقتصر مدلول البيت فى ذهن السيدة على غرفة الزينة وقاعة المطالعة وبهو الاستقبال ، فهى ترقب الحديث من الأزياء ، وتناقش الطريف من الآراء ، وتقرأ الجديد من الكتب ، ولكنها تعيش على هامش الاسرة عيش الترف والظهور والحذلقة فلا تعدو أن تكون أديبة •

وليست المرأة الصالحة لملكة البيت واحدة من اولئك ، وانما هى هن جميعا • هى مخلوقة من نوادر الخلق ركبها الله من مجموع ما تشتت من الفضائل فى هؤلاء النسوة ، كما ركب الاغريق (فينوس) من جملة ما تفرق من الجمال فى مختلف الحسان " ••• » •

❊❊❊

واما الحديث فقد كان — بعد استئذان صاحبته — لحنا تالف من رخامة الصوت وعذوبة المنطق وحلاوة الجرس وحسن الاداء . كان نفحة من الروح الذى يشيع فيما تكتب ، وومضة من الذكاء الذى يشع فيما تقول • ولكن طابع الأنوثة كان فيما تقول أبرز منه فيما تكتب • لان حديث الجنسين اذا كان فما لاذن يختلف عنه اذا كان قلما لذهن •

قالت (حياة) بعد الجمل المالوفة بين نفسين تعارفتا على البعد وتالفنا عن طريق القلم : « فضلت هذه المرة أن أحدثك فى التليفون على أن أحدثك فى الرسالة ، لان رايك فيما يجب أن تكون عليه المصرية الحديثة ليس موضع نقاش ولا خلاف • وهو رأيى ورأى جميع المثقفات اللاتى قرانه معى ورأين فيه غاية الكمال النسوى فى مجتمع لا يزال يتأرجح بين المحافظة والتحرر •• ولو كنت كتبته أنا لكان مقالك صورة منه وعبارة عنه • فانا أريح نفسى من الكتابة وأريحك من الترجمة • واحب قبل أن اضع السماعة ان اقرا عليك جملة من مقالك أعجبت بها كل الاعجاب ورضيت عنها كل الرضا ، فاسمعها لتعلم كيف أقرا العربية ؛ كما علمت كيف اكتب الفرنسية • ثم فتحت الرسالة على المقالة واخذت تقرأ :

« ••• وهنا ابتدرنى الشيخ الفقيه الى الكلام فقال :

لا يجوز فى الدين ولا فى العقل أن تكون حواء خيرا من آدم • ذلك أنها خلقت من ضلع أعوج • فمن طبيعتها ألا تستقيم • وما لا يستقيم لا يصدر عنه استقامة ولا عدل، ولو أن الله أراد لها غير ذلك لخلقها من رأس آدم فهيمنت عليه ، أو من احدى جوارحه فسعت معه فقلت : ولم لا يكون لخلقها من ضلع آدم حكمة اخرى يا أستاذ ؟ اليس فى خلقها من أحناء صدره تعيين لوظيفتها وتوجيه لرسالتها ؟ ان حنوها على الزوج والولد ، كحنو الضلوع على القلب والكبد، والأسرة التى تشتمل عليها المرأة هى العضو الرئيسى فى جسم الامة ، كما ان الاجزاء التى تشتمل عليها الضلوع هى الاعضاء الرئيسية فى جسم الانسان» •

كانت لهجتها سليمة ونبراتها واضحة واخطاؤها قليلة فقلت لها لم لا تحاولين وقد بلغت من ثقافة لغتك مبلغا لا بأس به أن تجربى قلمك العربى فى التعبير عن مشاعرك النسوية لأختك المصرية ؟ فضحكت ثم قالت سأحاول •••

وانسدل بينى وبينها حجاب الغيب حينا من الزمن حتى رفعته هى بهذه الرسالة :

استاذي العزيز :

مزقت خمس مسودات كتبتها بالعربيـة لانى لم أرض عن واحدة منها ، وفضلت آخر الأمر أن أكتب اليك بالفرنسية بعـد ما تبين لى أن عربيتى لا تزال عاجزة عن رياضة هذا القلم فى يدى . فاذا كتبت بها اليك كما وعدتك أهملت ما أكتب فنسى، الى . أو اعملت فيه قلمك فتزوره على . وانا كسائر بنات جنسى مستكبرة أنوفة فلا احب ان اكـون من بنى جنسك فى موضع الاهمال أو المعونة .

أكتب اليك فى صباح ليلة ساهرة ثائرة تقسمت مشاهدها العجيبة خواطرى ومشاعرى ، فكأننى لم أشهد قبلها ليلة ١٠٠١ والحق أن ليلة (مبرة محمد على) فى هذا العام كانت بدعا فى نظامها وبرنامجها والاحتفال بها والاقبال عليها والديمقراطية فيها .

لقد كان قصر المعرض بالجزيرة معرضا حقيقيـا لمجتمعنا الحديث . فالأميرات والعقيلات والآنسات والممثلات يصاحبهن أو يراقصهن أو يجاورهن الامراء والكبراء والموظفون ورجال الفن ، وكلهم على النمط الغربى الرفيع فىأناقة الزىورشاقة الحركةواسلوب التحية ومراعاة الرسوم واجادة الرقص . حتى خيل الى أن الحفلة فى (الجران باليه) ببـاريس لا فى السراى الكبرى بالقاهرة !

كنت أتنقل أنا وزوجى من مقعد الى مقعـد ، ومن مشهد الى مشهد،فى مسرح اللهو : وفىحلبةالرقص، وفى (القهوة البلدية) فاجـد أخلاطا من النـاس يشتركون فى المظهر ، ولكنك تستطيع أن ترجعهم الى بيئاتهم المختلفة عن طريق الهندام ولهجة الكلام واختلاف الوضع . يسهل ذلك التمييز فى الرجال ويصعب كل الصعوبة فى النساء ، لان المرأة بفضل السينما والرياضة استطاعت أن تسبق الرجل فى مضمار المدنية الغربية، فهى فى اتقان زينتها وانسجام سمتها لا تختلف عن كواكب الشاشة . أما الرجل فهو بطىء التطور عصى الطبع لا يغنى امثال هـذه الحفلات الا مسوقا بارادة زوجته أو ابنته . لعلك تذكر انى قلت لك منذ خمس سنوات فى رسـالة كتبتها اليك : ان حرية المرأة كحرية الامة سبيلهما الفعل وحجتهما القوة...وما كان يهجس فىصدرى ان المرأة المصرية تستطيع فى هذه المدة القصيرة أن تنزع من يد الرجـل زمامهـا ثم تغلبـه على ارادته وكرامتـه فتروضه هـذه الرياضة وتخضعه هـذا الخضوع !

لقد كنت أرى المرأة فىهذه الليلة تراقص الغريب وتضاحك الكاسى وزوجها وأبوها يهيىء لها فرصـة التعارف ويسعى لها بوسائل اللذة ، فأجـدنى أنا داعية الحرية النسوية بالأمس ، أشد الناس ضيقا بها وسخطا عليها اليوم ، لان هذه الحرية ـ بالقياس الى الحرية التى كنا ننعم بهـا وندعو اليها ـ اباحية وفوضى . وذلك فى الحق علة ما نرى من التنـافر بين الفتى والفتاة . فقد كان الظن أن يزول بالتعلم ما بينهما من تنافر العلم والجهل ، فاصبح هـذا التنافر معززا بتنافر الحشمة والتهتـك . وما دام التلاؤم مفقودا بين الجنسين اما لتقدم الرجل عـلى المرأة فى العلم ، واما لتقدمها هى عليه فى المدنية ، فهيهات أن تنفرج ازمة الزواج او تسـتقيم حال الأسرة !

***

كانت هذه الحفلة فى السنين الخوالى مظهرا للحرية القصد والبر الخالص . فما زالت عوامل التقليـد والتجديد تلح على مزايا الانوثة وخصـائص الجنس حتى اصبحت معرضا للجمال والدلال والزينـة . وذلك بالطبع سر نجاحها ورباحها،وهو مغنم لغايتها الشريفة على أى حال .

انى ألح على المرأة فى نادى السيدات وفى بعض الحفلات نزوعا الى تعدى الحدود التى جعلها الأدب بينها وبين الرجل . فاذا لم نعالجه بالفطام والكبح أعضل الأمر وفسد المجتمع . ولعل يا أستاذي أشـير فى الرسالة الى مواطن الداء الحين بعد الحين ليتسنى لأرباب القلم وصفه ، ويسهل على أقطـاب الحكم علاجه ... » .

(حياة)

المعادى فى ١٩٣٩/٢/٢٣

تلك هى رسالتها الاخيرة فى حياة الرسالة الاولى أما رسالتها الاولى فى حياة الرسالة الثانية فهى بقية الحديث فى العدد القادم .

أحمد حسن الزيات

أسبوع الكتاب العربي

للدكتور محمد أحمد خلف الله

لا يكاد القادم من القاهرة الى أرض المعارض بالجزيرة يتخطى عتبات الباب الكبير المواجه لتمثال سعد زغلول وكوبرى قصر النيل الا ويأخذ ببصره لافتات خشبية مستديرة ، مكتوب عليها عبارات تأخذ بلبه وتشعره بأنه قد أصبح فى حرم مقدس هو حرم الكلمة المكتوبة .

ان هذه العبارات قد أخذت من الميثاق الوطنى ، وجعلت شعارات لأسبوع الكتاب العربى . وهى فى جملتها موحية . انها تدفع الانسان الى أن يخرج عن حدود الحاضر ، والى أن يحلق فى آفاق المستقبل ، والى أن يكون فى تحليقه واعيا ، مدركا ، متخذا من العقل سلاحا ، ومن العلم وسيلة .

والشعارات المذكورة تكشف عن الدور الذى أعده الميثاق للكتاب فى حياتنا الثورية ــ انه الذى يساعد كل المساعدة على احداث التغييرات الجذرية التى تخرج بها من هذا المجتمع المتخلف المريض الى مجتمع متقدم قوى البنية .

تذهب بعض الشعارات الى المناداة باحداث الكلمة المكتوبة ، وبتشجيع الكلمة المكتوبة .

من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ، أن يكتبوا أفكارهم .

من ألزم الأمور تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها .

وتذهب بعض الشعارات الى الكشف عن قيمة الكلمة الحرة فى البناء الديمقراطى للأمة حتى ليشعر القارىء بأن الكلمة الحرة هى الأساس فى كل بناء ديمقراطى .

ان الكلمة الحرة هى المقدمة الأولى للديمقراطية .

ان الكلمة الحرة ضوء كشاف امام الديمقراطية السليمة .

أما الشعارات الأخرى فتكشف عن دور العلم فى الحياة ، وعن قيمة العلم بالنسبة الينا سواء أكان ذلك فى اقامة البنيان الداخلى أو فى رد الاعتداء الخارجى ــ ومن هنا حاربت هذه الشعارات احتكار العلم ، ونادت هذه الشعارات بأن يكون العلم للجميع ، ووجهت هذه الشعارات حياتنا العلمية الوجهة التى تؤكد ذاتيتنا وتحقق أهدافنا ، وترد للعقل هيبته وللفكر سلطانه .

ان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية .

ان العلم للمجتمع يجب ان يكون شعار الثورة الثقافية .

ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية .

ان الوضوح الفكرى أكبر مايساعد على نجاح التجربة .

ان العلم للمجتمع يجب ان يكون شعاره : الثورة الاشتراكية .

والقادم حين ينتهى من قراءة هذه الشعارات يجد نفسه بين بنائين كبيرين . احدهما عن يمين والآخر عن شمال . احدهما قد خصص للعرض والثانى خصص لأعمال المؤتمر وللندوات الثقافية الخاصة بأسبوع الكتاب .

افتتح أسبوع الكتاب السيد الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى ، وافتتح مؤتمر الكتاب السيد يحيى ابو بكر الوكيل المساعد للشئون الثقافية والشئون الاعلامية بوزارة الثقافة والارشاد القومى ، وأكد كل منهما فى حديثه عن الكتاب العناية التى تبذلها الوزارة وتبذلها الثورة فى سبيل هذا الكتاب .

أكد الدكتور عبد القادر حاتم تلك المعانى التى تشير الى ماضينا مع الكتاب متخذا منهما أساسا لتخطيط مستقبلنا مع هذا الكتاب . ولعله أن يكون من الخير أن أنقل اليك ــ قارئى العزيز ــ بعض ماقال السيد الوزير :

ان لبلادنا بالنسبة للكتاب وللمعرفة ووسائلها تراثا مجيدا يرتبط ارتباطا وثيقا بجذور الثقافة الأصيلة لهذا الشعب . وعلى مر السنين والعصور كانت هذه الجذور العميقة تغذى مقاومة شعبنا للاستعمار الثقافى ، والاقطاع الثقافى ، وللمحاولات التسلط على اختلاف اتجاهاتها ودوافعها .

ومن أهداف ثورتنا الثقافية أن تحرر هذه الجذور

الأصيلة وأن تجعل من التراث المجيد دعامة للتقدم والنهضة الفكرية .

ولكن لا يكفي مطلقا أن يكون لنا في الكتاب تراث مجيد ، ولا أن نقول: ان القاهرة كانت كعبة الراغبين في المعرفة على مر العصور ، فالواقع والمسئولية التاريخية ازاء شعبنا وازاء بقية الامة العربية يمليان علينا أن نضع نصب أعيننا اتاحة فروع المعرفة كلها للملايين من أبناء أمتنا عن طريق الكتاب العربي . وقد حملت القاهرة هذه المسئولية عن جدارة وأصبحت بالنسبة للحاضر والمستقبل مركزا للاشعاع الثقافي للعالم العربي كله .

والكتاب ، كما تعلمون ، يشغل مركزا رئيسيا بين أدوات الثقافة فهو ركنها الثابت ووسيلتها الدائمة ، الى جانب بقية الوسائل الهامة الأخرى التي يمكن بتضافرها والتنسيق فيما بينها أن تؤتي الثورة الثقافية ثمارها وتبلغ اهدافها .

ولابد لنا ونحن نحتفل ببداية اسبوع الكتاب العربي أن نشير الى حقيقتين هامتين للغاية تتعلقان بالكتاب كمسئولية يحملها جميع المشتغلين بالكتاب من ناشرين ومؤلفين وقراء :

اولاهما أن توسيع قاعدة الثقافة ، والتمكين لشعبية الكتاب واتاحة القراءة المفيدة الممتعة لملايين الشعب ، لا يعني ذلك بحال من الأحوال امتهان الثقافة أو النزول بمستوى الكتاب ، بل انه في الواقع دافع الى مزيد من الاتقان والاجادة وتقدير المسئولية التي تقتضيها هذه الأمانة الكبرى ، وآلاف الكتب المعروضة في هذا الأسبوع خير دليل على ذلك .

الحقيقة الثانية هي أن ثورتنا الثقافية ذات الأهداف الواضحة وذات المهمة الجادة الخطيرة التي تعرفونها ، ليس فيها مكان للمراهقة الفكرية أو الارهاب الفكري، وليس فيها مجال للعبث أو المتاجرة بالقيم الثورية التي تنبض بها الثقافة في مجتمعنا الجديد .. ولا يتعارض ذلك مع حرية النقد البناء التي كفلها الميثاق والتي نعتبرها ضرورة لسلامة بنائنا الثقافي .

ان الاخلاص والايمان عاملان جوهريان في كل عمل مرتبط بالثقافة الشعبية وهما ألزم مايكونان بالنسبة للكتاب العربي الذي يعتبر ركنا أساسيا في التكوين الفكري .. وبالتالي في المستوى الثقافي للشعب .

وأكد الاستاذ يحيى أبو بكر المعاني التي تدور حول مكان الكتاب من بين وسائل التثقيف والاعلام ، وحول مشكلات الكتاب التي يجب أن يدور حولها البحث والتي يجب أن تنتهي منها الى نتائج قيمة تنهض بالكتاب ، وتحله المحل اللائق به . ولعله من الخير أن أفعل هنا ما فعلته هناك من وضع بعض الفقرات تحت أعين القراء وأمام بصيرتهم .

***

ان لكل وسيلة من وسائل الثقافة وأجهزتها دورها في هذا البناء، ولكنه دور يمثل العنصر الدائم الثابت في النسيج الثقافي ، واقصد بهذا أن وسائل الاعلام والثقافة تقدم في جملتها مجموعة من التأثيرات تتكون من انطباعات عديدة في نفس القارىء والمستمع والمشاهد ، ولكن أدومها وأقربها صلة بالانسان هو الكتاب الذي يحتفظ به القارىء ويرجع اليه ويجده في متناوله وقتما يشاء ..

والاهتمام بالكتاب ومستقبله ومشكلاته أمر طبيعي في ظل ميثاقنا الوطني الذي أكد ضرورة اتاحة الفرصة لتنمية ثقافة خلاقة نابضة بالقيم الجديدة..

هذا كله يقودنا الى لب المسألة وجوهرها والى النقطة التي ينبغي أن تبدأ منها المناقشات في هذا المؤتمر ..

أولا : ان الكتاب عملية خلق متكاملة تلتقي عندها جهود مشتركة يجب توفير التناسق فيما بينها ..

ثانيا : ان الكتاب لا يصبح كتابا في الواقع بمجرد تأليفه أو طبعه بل ان من الاهمية بمكان أن يصل الى يد القارىء . وحتى هذا لا يكفي وحده ولا يتحقق الغرض من الكتاب ولا تتم الدائرة الثقافية الا اذا قرأه القارىء فعلا وحدث نوع من التجاوب بينه وبين الكتاب ..

من أجل ذلك رأت لجنة أسبوع الكتاب العربي أن تدور المناقشات حول موضوعات أربعة هي : دور الكتاب في الثورة الثقافية ، والطباعة ، والنشر ، والتوزيع ..

وهذه فرصة لتضافر الخبرات التي أتاح لها هذا الاسبوع أن تلتقي في اطار مؤتمرنا الذي يضم دور النشر في الجمهورية العربية المتحدة والبلاد العربية الشقيقة ..

وارجو أن تسفر المناقشات عن توصيات ايجابية بناءة تخدم الكتاب العربى وتحقق له مزيدا من النجاح فى اداء رسالته ..

ولقد انتهى المؤتمر الى توصيات جديرة بالتعليق والدراسة ، وانى لأرجوأن تكون هذه التعليقات موضوع المقال التالى .

دكتور محمد أحمد خلف الله

مما قرأت

يقول المؤرخون انه ماكان ليتم للولايات الشمالية النصر على الولايات الجنوبية فى الحرب الاهلية الامريكية لولا ماكان للرئيس لنكولن من الايمان العميق بحق كل أمريكى فى الحرية .

ويقولون ان الوحدة الايطالية ما كانت لتتحقق لولا ما أثار مازينى فى نفوس مواطنيه من ايمان عميق بضرورة الوحدة .

ويقولون ان اليونان ماكانوا ليتخلصوا من الاحتلال العثمانى لولا ماأحيوه من لغتهم وتراثهم وما ولد ذلك فيهم من التنبه لماض مجيد حافل .

ويقولون ان الثورة الفرنسية ماكانت لتنجح لولا مانادت به من حرية واخاء ومساواة

ويقولون ان البلشفية ماكانت لتقلب روسيا لولا ما أيقظته فى نفوس الروس من حب للتخلص من الاستعباد الداخلى ، والتطلع الى مستقبل افضل .

ويقول المؤرخون : ان بدو الجزيرة ما كانوا ليبهروا العالم بمعجزتهم الخالدة ، لولا ذلك الايمان الجارف الذى استحوذ على عقولهم وقلوبهم .

ان اليقظة الروحية المترتبة على الايمان هى التى تنبه الانسان الى مايمكن أن يبدعه وأن يخلقه اذا هو تحرر من القيود التى كانت تحول بينه وبين ذلك الخلق والابداع . ان اليقظة الروحية الواعية هى التى يتعين فيها ما يجب خلقه أو ابداعه .

وهكذا نجد أن اليقظة الحقيقية تستلزم أن يكون لوجودها دافع قوى يكسبها صفة الاستمرار ، وأن تكون قائمة على مبادىء قوية عميقة تستأثر بايمان الافراد .

***

لقد اخذنا نفكر . وبدء التفكير هو بدء التحرر والبحث عن الحقيقة ولهذا السبب بالذات استيقظت فى النفوس الدعوة الى الحرية .. فلعمرى كيف نصل الى الحقيقة دون بحث ؟

وكيف نبحث دون حرية ؟ وكيف تحدد غاية اليقظة وسبلها ؟ وكيف تجعل يقظة واعية دون بحث ودون حرية .. دون أن تتجاوب الآراء ويتناقش الناس ؟

ان حرية الرأى محفوفة بالمخاطر ؛ ولكن هل نريد الوردة دون شوكها ؟

انى أربأ بالفكر أن يقيده الخوف من نفسه ، وأربأ بمن يريد بناء مجتمع صالح أن يهدم الاساس الذى لايقوم ذلك المجتمع الا عليه .

ان المجتمع الفاسد هو الذى يقيد الحرية لأنها تعمل على هدمه ، واما المجتمع الصالح فانها تزيده قوة على قوة . وهى للمجتمع المنتقل من دور الى دور الوسيلة التى تعين له السبيل والغاية وتكشف له عن العقبات والمخاطر .

ومن يفضل أن يسير فى طريق يجهل معالمه ويجهل نهايته الا مغامر أو مقامر ؟ .

دكتور محمد أحمد خلف الله

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ٣ -

قيادة القرآن الى فهم أعماق الكون – مواجهة حاضرة لمشكلات كل عصر – نجاح فذ في ايجاد العقل المتكامل – العصور المؤمنة – المادية الالحادية تجهل نظرية الاسلام – زوال عقدة النقص بعد اكتشاف انفسنا .

***

هل وراء ابعاد (المادية الاسلامية) التي يحددها القرآن ويرسمها ، مستقر آخر للعقل البشرى يستطيع أن يذهب اليه ويرتكز عليه ؟

وهل وراء ما أخذنا القرآن اليه من أعماق الكون ، عمق آخر يمكن أن نتعمق اليه وتستقر فيه ؟

وهل وراء ما أخذ به القرآن الفكر من مذاهب النظر فى الكون طريق آخر يمكن منه استيعاب مشاهد الطبيعة وادراك ظواهرها وبواطنها ؟

انه ليس هناك مذهب من مذاهب الفكر الخالص الصحيح يستطيع أن يأخذنا الى غير ما أخذنا اليه القرآن فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ..

انه أحال اثبات قضايا ما وراء الطبيعة – الالهية وكمالاتها والملأ الأعلى – الى قوة الحكم العقلى ولم يخضعها للحس وما يستلزمه من نقص وقصور وضيق .

وانه احال كل قضايا الطبيعة ودراسة ظواهرها الى قوة البداهة والحس ، فلم يشرد من الطبيعة ولم ينكرها ولم يسلط عليها مقاييس التجريد ، ولم يختبر وجودها بغير الحواس .

وانه اعترف بما وراء الطبيعة اعترافه بالطبيعة ، وجعل المنطق الذى استفاده الانسان من تجاربه فى الطبيعة هو ابجدية المنطق الذى يدرك به ما وراءها، وجعل الانسان يدرك وجود الله الخالق وكماله ، من صفات الابداع والاتقان التى وجدها فى الطبيعة .

وليس يستطيع العقل أكثر من هذا فى محاولة ادراك الوجود والحكم على ظواهره وبواطنه .. ولن يفرض بينه وبين ما وراء الطبيعة هوة لا تعبر ، فيعطل نفسه عن ادراك صورة الوجود المطلق والكمال المطلق والدوام المطلق الذى لا يخضع لقانون الزوال.

وما دام منطق القرآن مستمدا هكذا من الوجود كله ، منسجما مع الطبيعة وما وراءها ، ولم تجد فيه شذوذا أو شرودا أو شطحا عما تعودناه من ادراك فى حياتنا اليومية بالحس والعقل ، فمنطقنا اذا هو منطق الكون كله ظاهره وباطنه ، وليس هناك بيننا وبين الله الخالق هوة لا نستطيع عبورها ولن تكلف أنفسنا عناء التفكير فى منطق آخر يقعد بنا عن التعرف والتقرب والتعبد لله الخالق بناء على الزعم بوجود تلك الهوة .

ان منطق القرآن هذا منطق فاصل واضح فى وضع المؤمنين بما وراء المادة ووضع الواقفين عند حدودها، وهو منطق يكشف النقص المعيب فى الفلسفات المادية الالحادية الماضية والمعاصرة التى تزعم أنها وضعت العقل البشرى على مستقر ثابت ليس وراءه مستقر آخر .

ومن عجائب أمر القرآن أن يجد المفكرون فى كل عصر ما يواجهون به مستحدثات الآراء التى تحاول حرمان العقل من مصادر اليقين والطمأنينة وموارد الحياة الفكرية الرشيدة فى رحاب الربانية والاعتزاز بالانتساب بها ، والاستمداد من مواهب الله الخالق والانس به وبالحياة معه ومعاملته بمنطق واحد هو المنطق الذى يقوم عليه بناء الوجود ، والايمان بالمصير اليه وامتداد الحياة فيما بعد البعث على مدى الآباد ، والايمان بعنايته واحتفائه بالانسانية وتكريمها ، اذ أنه لم يلقها الى الارض ضائعة تسحقها أو تتخطفها قوى الطبيعة الجبارة ، ولم يتركها سدى بين المجهولات والصغارات ، تأخذها الحماقات والضلالات والشهوات وتصرفها عن طريقها الصحيح الى المستقبل الذى تبدو تباشيره ومعالمه ، بل كان دائما على صلة بها برسالاته التى أوضحت معالم الطبيعة المادية واحتفلت بالعلم بها وأوسعت من نظر الانسانية الى الكون وبشرت بما وراء الطبيعة من عوالم الغيب الذي وراء الحواس ، مما يليق باتساع الكون واتساع قدرة خالقه ومالكه وارتباط الجميع به ..

وقد نجح الاسلام نجاحا منقطع النظير فى ايجاد العقل المتكامل الذى جمع بين الايمان بمادية الطبيعة وقيمها والايمان بما وراء الطبيعة والقيم التى تليق به ! حتى اننا لم نجد من فلاسفة الاسلام القدامى من يجنح به تفكيره الى الخروج عن طريق هذا الايمان المزدوج بالمادة وبما وراءها وبالعناية الآلهية

التى تسيطر على « عالم الخلق » و « عالم الامر » .

فالكندى وابن سينا والفارابى وابن رشد والبيرونى وغيرهم من فلاسفة الاسلام العقليين المشارقة والمغاربة ، كلهم ان لم يكونوا من بناة الاسلام عن طريق العقل فلم يكونوا من محاولى هدمه .. وقد اكتملت فيهم صورة الحلقة المفقودة ذات العقل الانسانى المنشود الذى يؤمن بالدين علما وبالعلم دينا .. وتلتقى فيه كفايات العقل الثلاث : التأمل والاثبات والاعتقاد ..

وتعليل وجود ذلك النوع من العقل المتكامل ، أن فلاسفة المسلمين كانت فى اذهانهم الصورة الكاملة للكون بماديته وما وراءها ، وقد وضعها القرآن فى اذهانهم بأسلوبه العلمى الاستقرائى أو الاستنباطى ، وجعلهم على فطرتهم التى تستجيب أول ما تستجيب للجانب المادى فى الكون وأعاجيبه وقيمه ، ثم تنتقل من هذا الجانب الى الاستدلال به على وجود الخالق المنشىء وعلى علمه وقدرته وسائر صفاته التى تستنبط من الطبيعة ..

وقد أباح القرآن للمسلمين العمل فى الطبيعة والتتلمذ على مشاهدها وعلومها وقوانينها ؛ بل أوجب عليهم ذلك ؛ ولم يغلق اى باب من أبواب الطبيعة دون جهودهم العلمية والعملية . بل جعل خصوصية الانسان التى يتفرد بها عن غيره من المخلوقات هى النبش والبحث فى كل شىء واستخراج أسراره وتسميته وتسجيله فى عالم البيان والتعبير ..

فكيف يجد هؤلاء الفلاسفة الاسلاميون فى عقولهم وانفسهم حرجا من منطق القرآن يجعلهم يخرجون عليه أو يشردون منه ؟ .

انهم أيقنوا ان القرآن لو لم يكن دينا موحى به من وراء الغيب لكان المذهب العقلى الوحيد الذى يفر اليه الفكر ويأنس به ويحتمى فيه من وطأة الفراغ والشك والانكار والحرج والضيق ...

وقد حولوا الفلسفة والمنطق اليونانيين الى أدوات استخدموها فى بناء الفكر الاسلامى ، فنشأ علم الكلام والجدل عن مقولات الاسلام ..

ولذلك مضت أكثر عصور المسلمين وأعظمها حضارة ومدنية وثقافة ، وهى مؤمنة تظلها الربانية وتخدمها المادية ، ولا يجد أهلها ما يجده أهل عصرنا هذا من « مشكلات الفكر والاعتقاد » « ومشكلات العيش » ، تلك المشكلات التى تبلغ ذروتها من التعقيد والاظلام العنيف فى « المادية الالحادية » الشرقية والغربية ، تلك المادية التى لا تؤمن « بالثنائية » فى الطبيعة بين عالم المادة وعالم ما وراءها ، ولا تؤمن بقيم سوى قوانين القوى المادية العمياء ، ولا يرتبط ضميرها وعقلها بوجود أى كائن منفصل عن الطبيعة ، يأسا وافلاسا من أصحاب تلك النظرية من التوفيق بين العقل العلمى المادى وبين ما درسته من أديان لم يكن من بينها الاسلام الذى يعتمد فى اثبات وجود (الكائن الاكبر الخالق) على أسلوب العقل العلمى ذاته الذى ادرك القوانين والاسرار التى تحكم البناء المادى للكون ولا تدرك بالحواس ، وانما تدرك بالحكم العقلى ، كالرياضيات والقضايا التجريدية والعلاقات والنسب بين الاشياء التى من شأنها الا تتجسد أو تخضع للادراك الحسى .

ولو أن النظرية الاسلامية فى الطبيعة وما وراءها ، ولو ان طريقتها العلمية المبنية على الحكم العقلى الجازم فى التوصل الى اثبات وجود خالق الطبيعة والاعتقاد به استنتاجا من صنعه فى الطبيعة ، لو أن هذا كان معلوما لواضعى المادية الالحادية ؛ لغيروا من نظرتهم للدين ، ولوجدوا أن لاضرورة لتخريب قيم حياة التدين وشجبها والازراء بها ، باعتبارها فى رأيهم مهدرة للعقل ـ العلمى ومناقضة له ومخدرة للشعوب عن الكفاح لتحقيق « مطالب عيشها » فى الدنيا وحل مشكلاته ، وصارفة لجهد الجماعات عن السعى لنيل حقوقها فى سعادة الارض قبل سعيها لنيل سعادة السماء ..

ولكن مع الاسف الشديد ، لا تزال النظرية الاسلامية مجهولة لدى المدارس الفكرية المعاصرة بل لدى أكثر المشتغلين بالفلسفة من المسلمين ، امتدادا لموجة الاهمال الشامل لكل ما هو اسلامى فى عصور الاحتلال والانحطاط والتبعية السياسية والعقلية للمحتلين والافتتان بهم .

والمأمول ان ينحسر مد هذه الموجة ، بعد ان زال كابوس الاحتلال او كاد .. وبعد ان اكتشفنا انفسنا ووجودنا وزالت عنا عقدة الشعور الكاذب بالنقص والتخلف ، ودخلنا النوادى العالمية فى السياسة والعلم والفلسفة ، وأدركنا دورنا التقليدى فى تحطيم حدة موجات التطرف والانحراف ومزجها جميعا لانتاج المذهب الوسط الذى تمتاز به أمة الوسط .

عبد المنعم خلاف

الحس المأساوي في شعر الشرنوبي

للدكتور عز الدين اسماعيل

قد يكون من الصعب أن نضع منذ البداية تعريفا لما نسميه بالحس المأساوي ، اذ يتعين علينا عندئذ أن نجمع طبيعة هذا النوع من الحس وكنهه ومجال نشاطه في عبارة موجزة كما هو شأن التعريف ، وهو أمر قد لا يتيسر الا بعد معايشة قدر كاف من التجارب التي يتمثل فيها هذا الحس . اننا من غير شك ندرك هذا الحس المأساوي ادراكا مبهما ، حتى اذا ماعايناه قلنا على الفور : هذا هو ! وهذا ماتحقق لي من قراءتي المتعمقة لشعر الشرنوبي .

غير أن هذه الصعوبة لا تمنعنا منذ البداية أيضا من أن نتلمس الخطوط العامة التي سنتحرك داخلها ونحن نعايش تجارب الشرنوبي التي عبر عنها في قصـــائد تنم عن ذلك الحس . ومنذ اللحظة الأولى تستوقفنا من غير شك كلمة « المأساوي » في وصف ذلك الحس ، فندرك بطبيعة الحال أنها مشتقة من المأساة . ولما كانت « المأساة » اســـما لنوع أدبي معروف : هو ذلك النوع يكشف لنا عن « مأساوية » الحياة ، أي عما يقع أو يتمثل في الحياة على نحو يثير الأسى والحزن ــ عندئذ قد نفهم في بساطة أن الحس المأساوي هو الحس الأسيان أو الحزين . لكن هذا التبسيط في الواقع مخل ، لأن الأسى والحزن غير « المأساوية » . وليس الفرق بينهما مجرد فرق في الدرجة أو الكم ، وانما هو فرق كذلك في النوع . فالمأساوية تعني الأسى أو الحزن الوجودي أي الذي يتمثـل في الوجود كله ، ويعـد جزءا أو عنصرا أساســيا في صميم تكوين هذا الوجود ، وليس حزنا أخلاقيا ، أي ليس تقديرا شخصيا لما يصيب الأفراد من أحداث مؤسـية ، فقـد تستحق هذه الأحداث من البعض الأسى وتستوجب الحزن ، في حين قـد لا يأسى لها الآخـرون ولا يحزنون . أما الحزن الوجودي فشيء يتجاوز حدود الأشخاص ليستقر في كيـان الوجود كله . وهـذا التفريق يضع أيدينا على الخاصية الكبرى المميزة لما نسميه الحس المأساوي . فالحزن لفقد عزيز هو حس أسيان أو حزين ، ولكنه غير مأسـاوي ، لأن الآخرين قد يشاركون في هذا الحزن أو لا يشاركون ، لأنه حزن صادر أولا وقبل كل شيء عن واقعة شخصية . ثم ان هذا النوع من الحزن هو في أغلب الأحيان وقتي أي لا دوام له ، أي أنه ينتهي بانتهاء الواقعة المثيرة ومرور الزمن عليها . وهو كذلك لا يتعلق بالوجود أو بالكون كله ، وانما يتعلق بواقعة انسانية جزئية . وأكثر من هذا هو حزن ذاتي ولا يعبر عن أي حقيقة موضوعية .

وكل هذه الصفات نجد نقيضـــها تماما عندما نتحدث عن الحزن الوجودي ؛ فهو حزن غير شخصي ، وله صفة الدوام ، وهو يتعلق بالوجود أو بالـكون كله ، وله بعد هذا وجوده الموضوعي . وكل هذه الفروق تبين لنـا في وضـوح كيف أن الحـزن غير « المأساوية » ، وأن احساسنا بالحزن غير احساسنا بالمأساة ، وأن الحس المأساوي حس يتجاوز الحزن ويعلو عليه ، أي يتجاوز الكيان الشخصي الى الكيان الكلي أو العام . وهو لهذا لابد أن يكون حسا متميزا وغير متاح لجميع الناس . فكل الناس قادرون على أن يحزنوا حين تلم بهم المصائب ، ولكن قليلا منهم من هم على استعداد لادراك مأساوية الحياة ، وأقل من هـؤلاء من هم قـادرون على التعبير عن هـــذه المأساوية .

وقد قلت انني وجدت في شعر الشرنوبي ما ينم عن ذلك الحس المأسـاوي في كثير من قصـــائده ، ولعلني لا أغالي اذا قلت في كل قصائده . فالمسألة فيما يبدو ليست مجرد فلتات تتاح للشاعر ، وانما هي موقف كلي شامل يقفه الشاعر من الحياة ، من وجوده المحدود في اطار الوجود الأكبر .

وأول معلم من معالم هذا الحس المأساوي يصادفنا في ديوان الشرنوبي هو ادراك الشاعر لحقيقة وجودية كبرى أدركها كذلك وعبر عنها الشاعر الانجليزي الكبير ت . س . اليـوت ، وهـي وحدة الزمن ، حين قال هذا الشــاعر بيته المشهور « في بدايتي نهايتي ، وفي نهايتي بدايتي » ، وحين قرر كذلك أن الماضي والمستقبل متضمنان في الحاضر . والتفسير المشهور لهـذا الاحســاس بوحدة الزمن ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، هـو أن التغير الذي يحدثه الزمن في الأشـياء لا تمتـد آثاره الى المشــاعر والعواطف ، الى المخاوف والمطامح الانسانية ؛ فهذه باقية هي بعينها في الانسان مهما غير الزمن وجه الأشياء .

ولست أغالي اذا قلت ان الشرنوبي قـد اهتدى

بحسه المأساوي لا الى ادراك هذه الحقيقة فحسب ، أعنى وحدة الزمن ووحدة الكون ، بل الى تفسير وجودى لها يتميز بالأصالة وبالعمق • فقد فسر هذه الحقيقة من خلال ما يمكن أن نسميه « وحدة الألم الانسانى » . وهو بهذا ينقل الألم من صورة المعاناة الشخصية أو الجزئية الى مستوى المعاناة الشاملة للحياة بأسرها • فليست المسألة مسألة ألم نحس به عندما يصيبنا ما يؤذى ويؤلم ، وانما هو ألم كلى شامل وجوهرى ومتغلغل فى الوجود كله ، وسابق على الزمن وأعلى منه •

يقول الشرنوبى فى قصيدة « الأصداف » :

فوق هذى الربى أقمت وحيدا
ومعى معزلى صموتا جهيدا
أتملى الحياة بدءا عجيبا
وأحس الختام بدءا جديدا
حلقات من الزمان تغاير
ن وان كان صوغهن فريدا
القرون التى مضت والتى تأ
تى سواء اذا نسينا القيودا
وبنوا الأرض مثل ذراتها الغب
راء تأبى ألوانها التجديدا
وحدتهم آلامهم وأمانيـ
ـهم وان لم يحققوا التوحيدا

فى هذه الأبيات تقرير لحقيقة الزمن ، لحقيقته الشعرية او النفسية ، وهى أنه ديمومة وتدفق وليس مراحل وعصورا وأياما وساعات ؛ فهذه الأشياء ليست الا قيودا نحاول بها أن نقيد الزمن وأن نجعل له قياسا • ونحن بذلك نحاول أن نقيد الزمن ونقيسه بما ليس من طبيعته • اننا نقسر الزمن على قبول أقيستنا الموضوعية هذه لكى نصرف أمور معاشنا اليومية ، أما الزمن فى ذاته فديمومة لا تقبل التقسيم • وعلى هذا تكون « القرون التى مضت والقرون التى ستأتى » سواء ، فليس بين هذه وتلك فروق • ويترتب على هذا كذلك أن يكون الانسان الذى عاش « فى الماضى » كالانسان الذى يعيش « فى الحاضر » والانسان الذى سيأتى « فى المستقبل » • فالانسان فى جوهره هو الانسان ، كما أن الزمان فى جوهره هو الزمان لا الساعة ولا العام • فكل بنى الانسان اذن قد « وجدوا » فى كل الزمان وان « عاشوا » — وفقا لأقيستنا الموضوعية — فترة من الزمان • والأمر ما كان

الانسان مجموعة من الآلام والآمال فلو لخصت الحياة نفسها لما تعدت أن تكون بنية موحدة من الألم والأمل • هذه هى خلاصة الحياة ، وهى نفسها خلاصة الانسان • انها — بعبارة أخرى جوهر الحياة وجوهر الانسان ، أما ماعدا ذلك فعرض بالنسبة للحياة وللانسان على السواء • ولو أن كل انسان تخلص من هذا العرض أو هو تجاوزه لأدرك أنه هو وكل انسان ، فى كل زمان وكل مكان ، انسان واحد :

فأنا أنت حين تسمو وأسمو
فوجودى يتم فيك الوجودا

ومن الواضح أن الألم والأمل هنا ليسا شخصيين، وليسا كذلك عرضيين ، وانما هما الألم والامل الانسانيان ، أى السلب والايجاب المتكاملان والمتداخلان ، اللذان يصنعان معا الحياة ، أو جوهر الحياة •

هذه الحقيقة — وهى من غير شك حقيقة مرة — يدركها الشرنوبى ويعبر عنها فى وضوح على نحو يجعلنا ندرك كيف أنه استطاع بحسه أن يتجاوز العرض الى الجوهر ، والمحدود الى المطلق ، فيعاين عندئذ مأساوية الحياة ، ويدرك ما فيها من مرارة وجودية •

ونحن نتصور — فى حياتنا وتفكيرنا السطحى — أن أكبر تهديد للحياة هو الموت ، وأن الموت نقيض للحياة ونهاية لها• نحن نتصور الحياة ايجابا والموت سلبا ، والمنطق يقضى بأن يكون أحدهما نقيضا للآخر • ولكن هذا التصور مازال يعتمد على تصورنا الموضوعى للزمن ، أى أنه مسافات لها بداية ونهاية • لكننا لو رجعنا الى التصور الشعرى أو النفسى للزمن من حيث هو ديمومة وتدفق أدركنا أن الحياة والموت ليسا نقيضين ، وأن الموت ليس نهاية للحياة ؛ فنحن فى الواقع « نعيش » الموت كل يوم وكل لحظة ، وفى وجودنا تجتمع الحياة والموت معا ، كما يجتمع الأمل والألم • فبغير الموت لا تكون الحياة ، وبغير الألم لا يكون الامل • انها هنا وهناك وحدة وجودية لازبة ، قد تكون مرة حقا ، ولكن لا مناص منها •

والشرنوبى الذى أدرك وحدة الزمن من خلال وحدة الألم والأمل الانسانيين قد استطاع بحسه المأساوى أن يدرك وحدة الحياة والموت • وهو ربما غص بوقوع حسه على هذه الحقيقة ، ولكنه على كل

حال ادركها ، فادرك فى لحظة واحدة وحدة حياته وموته ٠

انا أهفو الى الحيـــاة وروحى
تشرب الموت فى كئوس الحيـــاة

انا أرنو الى الغـــروب بعـين
قبســـت نورهــا من الظلمات

انا اســـتقبل الربيـــع بقلب
هـــامد الحس ذاهل الخفقـــات

وادراك الشـاعر لهذه الوحدة التى تجمع الحياة والموت ، وتشى بالموت كيف يتحقق فى الحيـــاة ويتسرب من خلالها وينتهى فى عمر الانسان المحدود معها ليبدأ مرة أخرى مع الوليد الجديد يشارك فى حياته ـ هذا الادراك ينفذ بنا الى صميم الوجود ويطلعنا على حقيقته الجوهرية الأبدية ، كما يكشف لنا عن تعاسة كبرى فى صميم الحياة تتجاوز الأحداث والوقائع اليومية لتصنع النسيج الوجودى للحياة باسرها ٠

ونحن ننظر كذلك بنفس الطريقة ونفس المنطق الى الخير والشر : فالأغلب أننا ننظر اليهما بوصفهما مفهومين متناقضين ٠ وطبيعى أن يكون الشر نقيضا للخير ، ولكن هذا لا يصح الا فى القياس «الأخلاقى» ، حين نحتاج الى تصنيف الأعمال الانسانية والحكم عليها ، وعندئذ نصف عملا ما بأنه خير وآخر بأنه شرير ، ونجعل هذا محبوبا والآخر منبوذا ٠ ونحن فى هذا انما نتحدث عن الخير والشر الشخصيين ، أى اللذين يقف تأثيرهما عند حدود الأشخاص أو الافراد ، ولكننا اذا ما تجاوزنا ما هو شخصى الى ما هو كلى وعـــام ، أى اذا انتقلنـــا من مســـتوى « الأخلاقى » الى مستوى « الوجودى » ، تبين لنا أن الخير والشر وجودان متلازمان ومتكاملان ومتداخلان ، وأنهما معا ، وعلى هذه الصورة ، يصنعان الحياة ٠

فى قصيدة « ألوهية » يحدثنا الشرنوبى كيف أنه خال نفسه الها عظيما نافذ الحكم ، قد راح يسوى مابين النـــاس من نزاع فتبين له أن الشر هو أم البلايا ، فاتفق مع نفسه على محو الشر من الوجود واشاعة الخير وحده بين الأنام ، وكيف أن الكون عند ذاك قد راح يغنى لحن الرضا والسلام :

واذا بى أحس بعـــد عهـــود
أن ذاتى موصــــــولة بالانـــام

أنا خـــير محض ومن هم عبيدى
ليس للشر بينهــــم من مقـــام

لم تعد بيننا فروق ســوى القد
رة سر الايجـــــاد والاعـــدام

فتســـاءلت : كيف انحاز منهم
وورائى خيـــــارهم وامـــامى

وكأن الشرور ضاق بها الصمـــ
ـــت فهبت من ســالف الأيام

ثم قالت : يارب ! لا خير فى الخيـ
ـــر اذا لم تحطم قـــواه سهامى

وامتزاجـــى به ، وكـــونى فيه
ـ وللك العلم ـ أصـل كل نظام

وكأنى سمعت فى صوتها المخـــ
ـــنوق أصـــداء حكمتى وكلامى

قلت : فلتهـبط الشرور الى الأر
ض ٠٠ الا وليحى السنا فى الظلام

وليـــــدم ذلـك الصراع على الأر
ض الى أن يحـين بدء الختـــام

هذا المزيج المتناقض من الخير والشر هو اذن صانع الحيـــاة ، وهو أصل نظامها ، وهو ضرورة لازمة لبقائها واستمرارها ٠ ان معنى الحياة كامن فى هذا الصراع بين الخـــير والشر ، وهو صراع لا ينتهى بانتصـــــار أحدهما ، وانما هو صراع متجـدد على الدوام ، كالصراع بين الأمل والألم ، وبين الحيـــاة والموت ، وهو الذى يبرز الحياة ويكسبها معنى ، وهو نفسه يبرز بالحياة ويكتسب دلالة ٠ أما أين تقع المأساة هنا ففى كون هذا ضرورة لا معدل عنها لقيام الحياة : أن يتحتم فيها الألم والأمل ، والحياة والموت ، والخير والشر ، والنـــور والظلام ، وكل ما نعرف من قبيل التناقض ٠ والحس الذى يتغلغل فى الوجود حتى يصل فى الأعمـــاق البعيدة الى ادراك أن سر الحياة واساس نظامها هو هذا التناقض ، والذى يستطيع أن يرجع بكل ظاهرة حيـــوية الى هذا الأصل العـــام ، هو مايمكن أن نسميه الحس المأساوى ٠

ولكن أيعنى هذا أن الحياة بالنسبة للانسان ضربة لازب ، وأنه لابد أن يقبلها كماهى بكل متناقضاتها؟ ما دور الانسان فى هذا الخضم ؟ المؤكد أن الحياة

بدونه لا تستقيم • صحيح أن مجيئه اليها لم يكن بارادته ، وكذلك عودته منها ، كما يقول الشرنوبي :

وما بارادتنـــا أن نجيء
ولا بمشـــيئتنا أن نعـــود

ولكنه مادام قد جـاء فلابد أن يصنع لوجوده معنى ، لابد أن يبرر لنفسه هذا الوجود • وهو يدنك ما يكاد يعي حتى يسعى الى تحقيق ذاته أو تأكيدها • وهو في سبيل هذا التحقيق أو التأييد يلجأ الى السعي ، الى البحث والمغامرة • واقصى ما يطمح اليه من هذا البحث هو الوصول الى التعرف على حقيقة وجوده ، فهذه الحقيقة هي بالنسبة للانسان الطلسم الأكبر • ولقد شقي منذ ان جد في سبيل حل هذا الطلسم ، ولعله قارب هذه الحقيقة مرات ، ولكنه لم يصل قط اليها ، ولعله لن يصل اليها • ومع ذلك فلم يكف الانسان عن هذه المغامرة ، وأحسب أنه لن يكف •

وهنا تبرز لنا مفارقة طريفة • فالانسان يدرك أنه لن يصل الى ذلك المطمح البعيد ، ولكنه مع ذلك يعيش ويجاهد ويغامر ، حتى صار الجهاد والمغامرة في ذاتهما بديلا من ذلك المطمح ، أي صار السعي من أجل الهـدف هو الهـدف نفسه ، أما الهـدف الحقيقي فلا سبيل اليه •

ويبدو أن الحياة بحكم تركيبها المتناقض لا يمكن أن تسمح للانســـان بمعاينة الحقيقة المجردة او المطلقة ؛ فالشيء لا يدرك الا بمعدنه ، والحقيقة المطلقة لا يمكن ان تكون متناقضة • ومن ثم يصبح سعى الانسـان اليها عبثـا ، لانه هو نفســه تركيبة من المتناقضات • وهنا تتركز أزمة الانسان أو مأساته ؛ فهو يريد أن يعرف لوجوده معنى ولحياته غاية ، ولـكنه لا بد أن ينسلخ أولا من هذا الوجود وهـذه الحياة حتى يحصل هذه المعرفة ، وهو مالا سبيل الى تحقيقه • واذن فهناك ما يدعوه الى قبول الحيـاة كما هي ، في مقابل مايدعوه الى معرفة سرها •

وقد عبر الشرنوبي عن هذا الموقف المأساوي حين قال :

خنـــق الطـين والظـــلام حجانا
فعميــنـــا وما هـــدانا هـــوانا

نحن نرجو من الحقيقة لو تكشـ
ـــف محجوبها وتبـدو عيـــانا

حـين نرجو من الذي قـــد برانا
أن نراه في قدســـــه اذ يرانا

ويحنا كالفراش حمقا وما أوهـــ
ـــى حماقاتنا واشــــقى خطانا

الغــــرور القـــديم يطمـع فينا
يتحـــدى اعجـــازه الامكانا

قتل السابقين في الدهر يأســـا
وطواهم من جهــــله مـا طوانا

ليس شـيئا أن تشتهي كل شيء
ضـــاع من يطلب المحـــال وهانا

فدع السر خافيـــــا مثلمـــا كا
ن ولا تســـال الورى كيف كانا

وأمام هـذا الاحسـاس الحاد بالضياع في خضم الحياة المتلاطم دون الامل في الوصول الى السر الاكبر كان طبيعيا أن يحس الشرنوبي بالعبث ، وبالدور التمثيلي الذي يؤديه في هذه المهزلة الباكية المبكية ، وبصرخاته التي أحرق فيها دمه وروحه تذهب أدراج الرياح ، وأن تهفو روحه الى الخلاص ، الى الموت ؛ بوصفه أول مراحل الوصول الى السر الأكبر، ومعانقة الحقيقة الكلية :

أنا مـــاض فلا تخفوا الى قـبري
ولا تزعجـــوا ســـكون رفاتي
حطموا مزهـــري وذروا بقـــاياه
وصـــلوا في مـــأتم الذكريات
واسحقوا هيكلي وألقـوا الى الريح
حطــــامي وبعثروا اغنيــــاتي
واذكروا ان ذكرتموني ضـــياعي
وشرودي وحـــيرتي وشـــقائي
ودعوني أنم فقد آن للعـــالم أن
يســـــتريح من صرخـــــاتي

هذه وقفات مع شعر الشرنوبي تدلنا في وضوح كيف عبر هذا الشاعر عن موقف موحد من الحياة ، والى أي مدى بلغت مغامرته الشعرية ، كما تلقي لنا أضواء على ما كان – رحمه الله – يتمتع به من حس مأســـاوي مرهف وعميق ، يعلو به على كثير من الشـعراء الذين لا يتجاوزون في تجاربهم سطوح الحياة وجزئياتها ، ويمكن له بين شعراء الانسانية الخالدين •

د • عز الدين اسماعيل

الحس وحده ليس يكفي

للأستاذ فتحي عثمان

« ان المعطى الحسي يمثل لنا بمثابة موكب مشوش، ولذلك فنحن نتوخى أولا أن نتبين عناصر هذا المعطى؛ وتلك هي عملية التحليل . أما التأليف فهو العملية العكسية ، فلكي تكون العناصر مفسرة يلزم ان نتمكن بها من اعادة بناء المعطى على ما كان عليه .. ولكنا ما نكاد نخرج من مجال المادة الخام حتى يصطدم التحليل والتأليف بعقبات كثيرة ، ففي البيولوجيا لا يمكن أن تفهم العناصر الا في كنف العمل الوظيفي لها ككل ، فهذا التضامن بينها واعتماد بعضها على البعض الآخر في كل متسق يجعل التحليل تحليلا ذهنيا . فالتحليل الواقعي لا يتم ، أما تأليف المادة الحية فليس من سبيل الى تحقيقه على الاطلاق . وفي علم النفس لا يمكن عزل حالة الا بوهم قد يفضي الى أخطاء جسيمة ، فلكل مغزى، ولا يفسر هذا المغزى الا في ضوء الصورة الجامعة . وكذلك الشأن في علم الاجتماع حيث لا يفسر الفرد الا في كنف المجتمع . ولا ينبغي الاعتقاد بأن العلم يصل — حتى في مجال المادة — الى اعادة بناء دقيقة للعالم من عناصر بسيطة . فالطبيعة الحديثة لم تعد ترى الذرة غير متجزئة ، بل هي مركبة من علاقات . فليس هنالك ظواهر بسيطة غاية البساطة كما ارتأى ديكارت ، وانما الظاهرة هي نسيج وحسن علاقات ، والطبيعة نسيج سداه علاقات ولحمته صفات ... ان العالم لا يروم المعرفة فحسب ، بل يبغي الفهم أيضا . وليس في وسعه أن يتقبل الوقائع كمعطيات تجريبية قائمة ، وانما يتطلع الى سبر غورها وادراك كنهها ، وبتفسيرها يخضعها للفكر . فهو يجمع بين الموضوعية : أي تسجيل خصائص الظواهر كما هي عليه ، وبين المعقولية : أي صياغة هذه الخصائص صياغة عقلية محكمة . وهذان المقصدان هما اللذان يبعثان الحياة في الروح العلمي ... » .

ومن هنا شغل الفكر المعاصر بالربط بين التطور البيولوجي وتطور الانسان بحضاراته وثقافاته وقيمه الخلقية والروحية . نرى هذا واضحا في كتابات جوليان هكسلي : وهو صاحب كتاب « ديانة بغير وحي » ، كما نرى تيلهاردي ساردان المتوفى سنة ١٩٥٥ يؤلف في « الظاهرة الانسانية » ، « ظهور الانسان » ، « مرأى الماضي » ، « الوسط الالهي » ؛ « الطاقة الانسانية » ؛ « مكان الانسان في الطبيعة» ، « مستقبل الانسان » ... وهي محاولات مضنية رائعة لتحقيق وحدة المعرفة : بين الحس والعقل ، بين الجزئي والكلي ، بين الذات والمطلق . ويجمل جوليان هكسلي الخطوط الاساسية في فلسفة تيلهار فيجعل نقطة البدء فيها أن الانسانية كلها وفي شتى مجالاتها بما في ذلك تاريخ الانسان والقيم الانسانية هي « ظاهرة » يمكن وضعها وتحليلها علميا كأي ظاهرة أخرى ، أما النقطة الثانية في هذه الفلسفة فهي الضرورة المطلقة للنظر الى هذه الظاهرة على أنها عملية تطور متصلة . وهو يقدم لكتاب تيلهار « الظاهرة الانسانية » بقوله : « اذا أريد فهم الكتاب على الوجه الصحيح فينبغي أن يقرأ لا على أنه رسالة ميتافيزيقية أو لاهوتية ، وانما على أنه بحث علمي صرف، فهذا المجلد لايتناول الانسان الا من حيث هو ظاهرة ، ولكنه كذلك يتناول الظاهرة الانسانية برمتها » ويختتم جوليان هكسلي مقدمته بقوله : ان البيولوجيين قد يرون أن تيلهار في « الظاهرة الانسانية » لم يتنبه انتباها كافيا لعلم التناسليات وامكانيات وحدود الانتخاب الطبيعي ، وقد يرى رجال اللاهوت في تناوله لمسألتي الخطيئة والألم أنه لم يكن موفقا أو أنه على الأقل لا يطابق العقيدة المسيحية ، في حين قد يرى علماء الاجتماع أنه لم يحسب حسابا وافيا لوقائع التاريخ السياسي والاجتماعي . ولكن تيلهار كان يرى أن ما نحتاج اليه اليوم هو النظرة المكتسبة الواسعة الافق والتناول الشامل ، وفي اعتقادي أنه قد وفق في ذلك توفيقا باهرا ويقول هكسلي في موضع آخر عن تيلهار : « ان تأثيره في الفكر العالمي جدير أن يكون عظيما ، فهو بمعرفته العلمية الواسعة وشعوره الديني العميق واحساسه الدقيق بالقيم قد قسر رجال اللاهوت على اعادة النظر في تصوراتهم في ضوء التطور وآفاقه الجديدة ، كما قد قسر رجال العلم على ادراك ما تتضمنه معارفهم العلمية من مغزى روحي ... »

وهكذا يتعانق العلم التجريبي مع الفكر النظرى، فلا مجال اليوم لعداء أو جفاء ، ووحدة الانسان تتناسق مع وحدة المعرفة • وفى ميدان علم النفس يكون اللقاء بين مجالات المعرفة أروع مايكون اللقاء : « فعندما نقرر أن المعرفة الشعورية معرفة مباشرة وحدسية لا نقرر بالضرورة انها يقينية لأن العارف يجهل هذا الجانب من دوافعه اللاشعورية التى توجه ادراكه وتفسيره لما يدرك. وكذلك عندما نقول ان الحقائق الخاصة باللاشعورية مستنتجة بالاستدلال التجريبى لا نعنى أنها يقينية بالضرورة لأن عملية الاستدلال حتى عندما تعتمد على معطيات تجريبية لا تعدو أن تكون فى نهاية الامر عملية شعورية فتتعرض للاخطاء التى تقع فيها المعرفة الشعورية•• ويكفى أن نقرر ان المعرفة العلمية التى نبغى الوصول اليها فى ميدان الحياة النفسية تظل تقريبية على الرغم من الاحتياطات التى تحتم اتخاذها مناهج البحث العلمى الدقيق • وان العلم يتقدم بازالة الاخطاء أكثر منه باضافة حقائق جديدة الى مجموعة من حقائق سابقة ••• » •

وموقف الانسان من العالم هو محور التجارب والاحصاءات والتأملات ، ففى أعماق الانسان رغبة ملحة لان تتلاءم احتياجاته اليومية فى ايقاع منتظم منسجم مع ايقاع الكون ، والوجود الانسانى هو شبكة من المفاهيم نلقيها على الوجود الخام ونراه من خلالها • وقد بلغ الصراع بين العقل والوجود أشده فى عصرنا الحاضر ، ويبدو أن العقل قد اقتنع أخيرا أن شباكه أضيق من أن تقتنص الوجود ، وفى هذه القناعة يكمن اليأس وتكمن المأساة، خصوصا عند الاجيال الجديدة التى تحاول أن تبنى عالمها الخاص بها بعد أن انهارت العوالم القديمة • ومن اجل ان تبنى عالما عليها أن تجد المطلق ••• » « ان التقدم العلمى المذهل قد اثبت أن المشكلة الميتافيزيقية المتعلقة بسرالوجود تخرج بطبيعتها من منطقة نفوذه، كما أن الحربين العالميتين قد اسهمتا فى تكثيف بشاعة المصير الانسانى ، ومن ثم كان أمرا طبيعيا أن يتعمق فى وجدان الانسان الحديث الاحساس باليأس ، والهزيمة كرد فعل لمعنى العبث الرابض فى أعماق الوجود • هذا العبث الذى يضع البشرية بين قوسين: هما الموت ، واللامعقول » !

وهكذا تمزق الانسان فى التية والصراع •••

وانتصر على الكون فى عالم المحسوس • فكشف بالتجريب كثيرا من أسراره وحققت له الانتصارات نتائج مادية كبرى ، وكان من المتوقع أن تحقق هذه الانتصارات راحة الانسان النفسية ••• أفليس قد عرف الطريق واثبت وجوده ، وعرف مكانه تحت الشمس • بل وبجوار الشمس فى أعماق الفضاء ؟

ولكن الانسان كما قيل عنه ••• هو الوجود المشكل :

لقد اجملت ابعاد الانسان فلسفيا ، فقيل ان له داخلا ، وخارجا ، وفوقا • وان كانت كلمة أبعاد تحمل من معانى المكانية ما لا يلائم الوجود البشرى فى مرونته وانطلاقه• أما داخل الانسان: فهو ذاتيته وحياته الباطنية وعالمه الاصغر ، ولكل فرد وجوده الخاص • والحياة الشخصية للانسان انقباض وانبساط، تقلص وامتداد ، تركز واشعاع؛ انفصال واتصال ؛ انطواء على الذات وافتراق عن الذات ، ونحن نجد « كانت » مثلا يذكر أن الانسان لا يمكن أن يتعقل ذاته الا فى علاقته بالأشياء ، ويذكر (هوسرل) أن الشعور بطبيعته موجه نحو موضوع، وليس فى وسع الانسان أن يبقى متمركزا حول ذاته بل لا بد له من أن يخرج ليتقبل أحداث الواقع ونتائج أفعاله ويشع فيما حوله على شكل موجات متجددة متلاصقة لا تكف عن الاتساع • وهكذا يأتى الخارج بجانب الداخل ، فقد اتخذت العلاقة بين الانسان والكون منذ اللحظة الاولى طابع الديالكتيك أو الجدل • ثم يأتى المطلق من فوق ليبسط على الانسان ظلال السكينة والامن ،فهذا البعد الرأسى للموجود البشرى يجعل منه موجودا ميتافيزيقيا ينشد المطلق فى التاريخ أو الطبيعة او الدولة أو

اللذة ليشبع ما يحسه من نقص وعدم اكتفاء وهو فى حاجة دائمة الى الآخر الذى يقوم عليه ويستند اليه. وفى هذا الاتجاه الى « فوق » او النزعة العلوية انكار لما ينسب الى الواقعة من قدرة مطلقة وكفاية ذاتية ، وتجاوز لحدود الوسائل التجريبية للمعرفة، واعترف بضرورة اتخاذ خطوة ميتافيزيقية · ان الانسان هوالموجود الذىلاتتكافأ حاجاته «مع مقتضيات البيئة ، انه هو الموجود الطبيعى الذى يعلو على الطبيعة ، ولايندمج مع الطبيعة الا لكى يتحلل منها! ان الحياة الحيوانية تبدو فى حالة اكتفاء لأن الحيوان يعيش فى صميم الواقع ويسعى نحو اشباع حاجات عضوية تتناغم مع الطبيعة ، أما بالنسبة للانسان فانه يجد نفسه بازاء مجموعة كبيرة من الممكنات فضلا عن القيم والمثل وبالتالى فانه يتحرك فى ابعاد ميتافيزيقية يجهلها الحيوان ، وعالم البشر هو العالم الذى يوجد فيه الواقع جنبا الى جنب مع الممكن · ان نشاط الحيوان بأسره مقصور على تطبيق برنامج حيوى هو فيه أداة تنفيذ · بينما يستطيع الانسان دائما ان يقاوم دوافعه أو يضعها موضع النظر وهو أقدر الكائنات على مراقبة دوافعه والعمل على كبتها أو اعلائها أو ابدالها « ومن ثم فان الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يستبدل بالنظام الحيوى للحاجات نظاما اخلاقيا للقيم »! والانسان عندنيتشه حيوان غير مكتمل ، اذ يشعر بأن ليس فى وسعه أن يستقر على حال ، أو أن يكتفى بذاته ! فوجوده ينكشف له على صورة نقص مستمر يضطره الى العمل على تكملة ذاته والعلو على نفسه !

ومن هنا كان حنين الانسان الجارف الى «المطلق» ··· وكانت سعادته فى التعامل بالأداة المجردة للوصول الى القيم المجردة : الفكر النظرى ، أو التأمل ، أو الحدس !

والى اللقاء مع الانسان فى سعيه الجاهد ورحلته المتعة لارضاء دوافعه ونزعاته وأشواقه ومعالجة أزمته الكبرى ·

فتحي عثمان

تصريح ٢ نوفمبر

بين بلفور والميثاق

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

يثير اليوم الثانى من نوفمبر فى كل عام ذكريات مؤلمة فى نفوس العرب جميعا ، فهو اليوم المشئوم من عام ١٩١٧ الذى اعلن فيه اللورد بلفور الوزير البريطانى وعد بريطانيا باقامة الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

يذكر العرب هذا اليوم فيذكرون معه كيف نصبت بريطانيا نفسها موزعا لارض العرب دون سند من قانون أو مراعاة لضمير ·

ويذكرون هذا اليوم فيذكرون تلك الفترة من الزمن التى سادتها الفرقة بين الشعوب العربية ، وماتخللها من اطماع بعض امراء العرب ، وغموض المعانى القومية مما « جعل الغرب يحتل البلاد الاسلامية تدريجيا ، ويعتبر الحروب المتوالية التى شهرت على الدولة العثمانية حروبا دينية ، وينفذ من هذا الى اصطناع الحدود بين البلاد الاسلامية ، ليتمكن من استعباد بلاد متجزئة غير مرهوبة الجانب ، والخلاف يعبث بسكانها بدسائس كثيرة ، ومصالح شخصية ، حتى استطاع الغرب بعد الحرب العالمية الأولى – كما كانوا يزعمون – أن يجهز على الشرق » ·

يذكر العرب ذلك كله ، واليوم يذكرون كيف مر مايقرب من نصف قرن على نكبة فلسطين العزيزة من يوم ان فرض الانجليز وصايتهم عليها وندبوا انفسهم لادارتها عقب انتهاء الحرب ، ثم راحوا يؤكدون هذا الندب فى كل معاهدة تبرم ليجعلوا لانفسهم صفة الشرعية فى السيطرة والبقاء ·

ويذكر العرب ذلك الكفاح المرير بين شعب فلسطين العربية وسائر من وقفوا الى جانبه من ابناء الشعوب العربية ، وبين اليهود ومعاونيهم من الانجليز خلال تلك الفترة الطويلة ، وما سال على هذه الارض الطاهرة من دماء ذكية ·

ولقد أدرك العرب اخيرا .. « أن كل ما تم فى فلسطين منذ احتلال الانجليز لها انما كان نتيجة لخطة انجليزية صهيونية اتفق عليها المستعمرون والصهيونيون خلال الحرب العالمية الاولى وقبلها ، وعمد الفريقان ومن ورائهما الامريكيون الى تنفيذها خطوة خطوة ، وحلقة حلقة . وكل ما كان يدعيه الانجليز من تقديم عروض وحلول انما هو خداع ونفاق ، وتخدير للاعصاب ، وصرف الانظار عن حقيقة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية التى بيتت ضد فلسطين التى كانوا مصممين على تنفيذها » .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة من زعماء الشعوب العربية فيما مضى من أجل فلسطين كان اهمها مؤتمر بيت المقدس فى عام ١٩٣٠ ثم مؤتمر القاهرة البرلمانى فى عام ١٩٣٨ حاولوا فيها ان يضعوا حدا لهازل الاستعمار واطماع اليهود .

وكذلك بذلت بريطانيا وعودا ، وارسلت لجانا للتحقيق .. غير ان شيئا من ذلك لم يجد نفعا ازاء الخطة الموضوعة التى انتهت فى عام ١٩٤٨ بتخلى بريطانيا عن ادارتها لفلسطين وتسليمها لليهود لقمة سائغة وفاء لوعد بلفور .

وقد حسب الانجليز ، وحسب معهم اليهود ومن وقف فى صفهم من فرنسيين وامريكان وغيرهم ان قضية فلسطين قد انتهت بقيام اسرائيل واطمأن جمعهم الى أن العرب سيرغمون على قبول الامر الواقع ، غير أنهم قد صدموا عندما رأوا تصميم العرب جميعا على عدم الاعتراف بقيام اسرائيل لانها راس الجسر الذى يعبر عليه الاستعمار الى قلب الشعوب العربية .

ان المعركة لم تنته بعد من جانب العرب ، ولن تنتهى حتى يعود اهل فلسطين العربية الى وطنهم الحبيب ، وتعود فلسطين الى الوطن العربى الكبير، ترفرف عليها راية الاسلام والعروبة ، وتطهر من ارجاس اليهود .

لم يعد الحديث عن تحرير فلسطين واحقية العودة لأبنائها الى ديارهم امانى واحلاما كما كان فى الماضى .

ولم تعد الخطب ، ولا الحجج والبراهين على بطلان مزاعم اليهود والانجليز كافية لتزحزح أقدام اليهود عن فلسطين او تكف من أطماعهم فيما سواها من ارض العرب والتصرف كما يشاءون فى تحويل مجرى نهر الاردن .

بل ان هناك عملا ايجابيا ، واستعدادات ، وتصميما اكيدا ، وكل ما فى الامر هو انتظار « ساعة الصفر » . ولن تفلت اسرائيل مهما تشبثت او تباكت واستجدت .

لقد تغيرت الأوضاع ، وبرزت الى الوجود قوة عربية لم يكن الانجليز ولا اليهود يتوقعون بروزها من قبل او يحسبون فى خططهم ودسائسهم حسابها تلك هى الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد عرف العرب جميعا ، وعرفت اسرائيل ، وعرف الانجليز ، وعرف العالم اجمع مركز الجمهورية العربية المتحدة ، وقوتها ، والخطوات السريعة التى قطعتها نحو التقدم والسيادة .

ولقد ركزت الجمهورية العربية المتحدة مبادئها واهدافها فى الميثاق الذى صدر فى ٢١ من مايو عام ١٩٦٢ .

لقد صور الميثاق احداث الماضى فى صدق ، ورسم حاجات الحاضر ومايقتضيه التطور فى وعى، وخطط للمستقبل فى تؤدة .

ولم يغفل الميثاق شئون الشعوب العربية ، بل انه اعتبر الجمهورية العربية المتحدة جزءا من الوطن العربى الكبير .

ويعنينا فى كلمتنا هذه نظرة الميثاق الى قضية فلسطين بالذات .

لقد صور الميثاق هذه القضية تصويرا كشف نوايا المستعمرين واليهود نحو الوطن العربى بعامة وفلسطين بخاصة . فذكر فى الباب الرابع : ان الاستعمار تنكر لكل عهوده التى قطعها على نفسه خلال الحرب العالمية الاولى .

وكانت الامة العربية تتصور انها قريبة من يوم الاستقلال ويوم الوحدة . ان الامل فى الاستقلال

تلقى ضربات قاسية .. فان البلاد العربية قسمت بين الدول الاستعمارية وفق مطامعها ، بل وفق نزواتها .. واخترع ساسة الاستعمار كلمات مفيدة لتغطية الجريمة التى اقدموا عليها ككلمات الانتداب والوصاية .

ان قطعة من الارض العربية فى فلسطين قد اعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية .. ارادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة . كما ارادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الارض العربية ويحجز المشرق عن المغرب.

ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى . ان ذلك كله تم بطريقة تحمل طابعا استفزازيا لا تقيم وزنا لوجود الامة العربية او لكرامتها .

ان سخرية القدر من الامة العربية وصلت الى حد ان جيوشها التى دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربى فيها ، كانت تحت القيادة العليا لاحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بالثمن البخس . بل ان العمليات العسكرية تحت هذه القيادة كانت فى يد ضابط انجليزى يتلقى أوامره من نفس الساسة اليهود ليعطوا للحركة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على أساسه الدولة .

ففى فلسطين اعطوا للحركة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على اساسه الدولة اليهودية فى فلسطين .

ثم عاد الميثاق فى الباب السابع يكمل هذه الصورة : ان قوى الاستعمار العالمى واحتكاراته تسعى الى هدف واحد هو وضع الارض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من استغلالها ونهب ثرواتها.

ولقد وصل التآمر الاستعمارى الى حد انتزاع قطعة من الارض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى ، واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح اقامة فاشستية عسكرية لاتعيش الا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون اسرائيل أداة للاستعمار .

د . سعد الدين الجيزاوى

أبو تمام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٣ -

رحيله الى الشرق :

كان الشاعر جواب آفاق كما وصف نفسه فى قوله :

وغربت حتى لم اجد ذكر مشرق
وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

ولهذا نراه ينصح غيره بما نصح به نفسه ففى قصيدته التى مطلعها :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد

يقول :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فانى رايت الشمس زيدت محبة
على الناس ان ليست عليهم بسرمد

فلما ترامت شهرته الى الخليفة المعتصم فى بغداد ، استقدمه اليها فمدحه مدائح خالدة نسوق اليك طرفا منها :

قال يمدحه حينما فتح عمورية :

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب ، فى الليل مرتهب
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها فى جحفل لجب
خليفة الله ، جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

وصلات الخلفاء العباسيين للشعراء كانت سخية الى ابعد حدود السخاء ، والحديث عنها فى أمهات الكتب ، فمن شاء أن يرجع اليها فليفعل .

ـ نجد الشاعر مع تلك الصـلات السخية من الخليفة المعتصم ، ومع صلته الوثقى به وتكريمه فى مجلسه ، يسافر سفرا نفسيا ان لم يستطع الرحلة الى بلد آخر غير بغداد ، فاذا استطاعه فهو اليه مسارع ، والى ركوبه عجول ، فقد اتصل برجال الخليفة فى بغداد وفى خارج بغداد ، فمدح وزيره محمد بن عبدالملك الزيات ، وانشد كثيرا من رجال دولته ، كالحسن بن وهب ، والحسن بن سهل ، واحمد بن ابى دؤاد ، ومحمد بن حميد الطوسى ، والافشين ابن ابى دلف العجلى ، وعبدالله بن طاهر ، وخالد بن يزيد بن مزيد .. ، وكثير غير هؤلاء من رجالات الدولة وأصحاب الراى فيها .

وهنا يجمل بنا أن نتساءل : لماذا أغرم الشاعر بالرحلة ، وشغف بالتنقل ؟ والجواب كما قدمنا أن ذلك لم يكن لجمع الثروة أو تكديس المال ، اذ المعروف عن أبى تمام انه كان متلافا ، لا يبقى على عطاء ، ولا يدخر من يومه شيئا لغده ، ولو انه وصف لنا حياته لما زاد على قول القائل :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب
ولك الساعة التى انت فيها

وهذا المذهب قد يستقيم مع حياة الفنان الكاسب لأنه يجرى مع طبعه فى تخيل الأشياء وفهم الحياة « ولكنه لا يصلح لغيره لمجافاته للمنطق ولمصادرته لنواميس الطبيعة التى تجرى غالبا على نسق منطقى قلما يختلف قصد أبو تمام خالد بن يزيد بن مزيد بأرمينية فمدحه فوصله خالد بما رضيت به نفس الشاعر ، فاعد العدة للرحيل من عنده ، فما ان وصل الى ارباض ارمينية ، وكان الجو ربيعا والأرض معشوشبة ، حتى طابت له الاقامة فيها فالهواء عليل والغصن مورق ، والمال موفور ؟ والنفوس الشاعرة اذ يتاح لها مثل هذا الترف ، تسرف فى الاستمتاع به اسرافا قد تنكره النفوس العاقلة .

وقد ظل شاعرنا اياما هكذا خاليا الى نفسه ومتعه حتى خرج ابن يزيد الى الصيد فى اطراف المدينة ، فاذا هو بأبى تمام جالس تحت شجرة يشرب وغلامه يغنيه بالطنبور ، فأدرك خالد كل شيء وعرف فيه المتلاف الذى لا يرجى صلاحه ، فقال له : ما فعل المال ؟ فأنشد ابو تمام :

علمنى جودك السماح فما
ابقيت شيئاً لدى من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به
كأن لى قدرة كمقدرتك
تنفق فى اليوم بالهبات وفى الـ
ـساعة ما تجتنيه فى سنتك
فلست ادرى من أين تنفق لو
لا ان ربى يمد فى هبتك

قالوا ، فأمر له خالد بمثل ما رضيت به نفسه من قبل .

وهذا المثال وكثير غيره يهدينا الى ان ابا تمام كان غويا متفقا ، فالمال فى تقديره وسيلة لا غاية ، ومن أجل هذه الغاية تراه قد جند نفسه لكسب المال وحشد مواهبه لاقتناصه وكسبه ، ولكنه مات شابا دون أن يظفر بكل غاياته ، وقضى ولم يترك ثروة تذكر ..

ثقافته ، وأثرها فى فنه :

كان اختيارنا لابى تمام ملاحظا فيه أنه جاء على راس القرن الاول من قيام الدولة العباسية التى بقيت قرنين من الزمان ، وانه المثل الحى لالتقاء الثقافتين : العربية والأجنبية ، وانه الشاعر الرحالة الذى عاش فى الشام ، واقام فى مصر وبغداد ، وشد رحاله الى خراسان وارمينية ، وهذه امور لها خطرها فى الكشف عن حقيقة الثقافة ونوعها فى العصر العباسى كله .

وقد أصاب صاحبنا قسطا وافرا من كلا الثقافتين ، ومزج بينهما فى فنه ،فطورا بينهما برزخ لا يبغيان ، وطورا آخر يختلطان حتى يحيف احدهما بالآخر ويظلمه .

وقد عرفنا اقبال حبيب على العلم فى جامع الفسطاط ، فحذق اللغة والادب ، ونال من الحديث والفقه والنحو حظا نضح على شعره ، وشارك فى المنطق والفلسفة وما اليهما مشاركة اخصبت افكاره وتاملاته .

فلما صار الى بغداد الف القراءة والدرس كذلك، فلما سافر الى قزوين لم تفارقه عادته ، فقد روى الشاعر ابن المعتز قال : وحدثني أبو الفضل محمد بن قدامة فقال : دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما كاد يرى ، فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه ، ثم رفع رأسه فنظر الى وسلم على فقلت له : يا أبا تمام انك لتنظر في الكتب كثيرا ، وتدمن الدرس فما أصبرك عليها ! ، فقال والله ما لى الف غيرها ولا لذة سواها، واني لخليق ان اتفقدها ان احسن، واذا بحزمتين واحدة على يمينه وواحدة على شماله، وهو منهمك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب فقلت : فما هذا الذى أرى من عنايتك به أوكد من غيره ؟ ، قال : اما التى على يمينى فاللات واما التى على يسارى فالعزى أعبدهما منذ عشرين سنة ، فاذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغوانى وعن يساره شعر أبى نواس .

وقد قيل في سبب تأليفه لكتابى : ديوان الحماسة ، والوحشيات ، انه نزل ضيفا بهمدان على صديقه ابن مسلمة فلما عزم على الرحيل سقط الثلج فسد الطرق فقال له صديقه : وطن نفسك على أن الثلج لا ينحسر الا بعد زمان ، فلزم خزانة كتبه ، والف هذين الكتابين .

فاذا شئنا ان نتعرف على اثر هذه الثقافات فى شعر حبيب ، فلننظر فى ديوانه ، وفيما نقدمه من أبيات كاف فى ابراز الأثر ، من قصيدة لابى تمام وانشدها عبدالله بن طاهر :

ايهذا العزيز قد مسنا الضر
ر جميعا ، واهلنا اشتات
ولنا فى الرجال شيخ كبير
ولدينا بضاعة مزجاة

***

بعد ما أصلت الوشاة سيوفا
قطعت فى ، وهى غير حداد
من أحاديث حين دوختها بالرا
ى كانت ضعيفة الاسناد

***

لم يتبع شنع اللغات، ولا مشى
رسف المقيد فى حدود المنطق
فى هذه خبث الكلام ، وهذه
كالسور مضروبا له والخندق

***

افيكم فتى حر فيخبرنى عنى
بما شربت مشروبة الراح من ذهنى ؟
غدت وهى اولى من فؤادى بعزمتى
ورحت بما فى الدن اولى من الدن
فقد تركتنى كاسها ، وحقيقتى
مجاز ، وصبح من يقينى كالظن
جهمية الأوصاف الا انهم
قد لقبوها جوهر الأشياء

مذهبه الفنى :

فن أبى تمام يمثل ثقافة عصره أصدق تمثيل ، اذ انه الانطباعات الدقيقة لكل الخلجات الفكرية والعاطفية للنفس العباسية، فهو معرض للقضايا السياسية ، والاحداث الاجتماعية والانتفاضة الثقافية ، وشعره بهذه المثابة يعتبر وثيقة تاريخية صادقة لمن شاء أن يستجلى طابع العصر بالدراسة والتسجيل ، وهذا هو رأينا فى فن أبى تمام من حيث صدقه فى التعبير عن الواقع الاجتماعى والثقافى ، ومن حيث غرامه بالجديد الذى أفسح له فى فنه مكانا ، وهذا التطور الفنى كان ــ فى تقديرنا ــ حسنة من حسنات حبيب لولا ما خالطه من حماس شديد كان يبتعد به أحيانا عن العواطف الفنية التى هى جوهر الفنون ، وطابعها الاصيل ولعل له فى ذلك بعض العذر انه كان لا يرى فى الفن الشعرى مجرد اثارة وتسلية ، بل الشعر عنده ينبغى أن يكون متعة تشترك فيها العواطف والعقول جميعا ، ولهذا فانه يستحث بفنه الفكر حتى يحقق له وللاحساس متعة أبقى وأدوم .

وقبل أن نقضى فى أمر مذهبه الفنى بشىء حاسم، يحسن بنا أن نفرق بين الصنعة والتكلف ، أو التهذيب والتعمل ، وقد مر بنا الفرق بين الطبع والصنعة .

د. عبد الرحمن عثمان

محرم شاعر الاسلام

للأستاذ علي أحمد باكثير

ذكرى من الحق والايمان والنور ... جئنا نحج اليها فى دمنهور
جئنا اليها وفى ابصارنا ظمأ ... الى اجتلاء السنا من تلكم الدور
جئنا اليها وفى اكبادنا عطش ... لننهل سلسبيل غير منزور
لاحت فجاشت بنا الاشواق، وانطلقت ... اصواتنا بين تهليل وتكبير
ثم اعترانا خشوع عند ساحتها ... كأنما قد هبطنا جانب الطور !

***

جئنا نؤدى حقوقا طالما نكرت ... لشاعر عبقرى غير منكور
قد تاه وهو صبى بعد ذات ضحى ... حتى اتى عبقرا ارض الاساطير
فهام ما بين قيعان واودية ... مسحورة ، وقصور من قوارير
كثبانها من يواقيت ، وتربتها ... من عنبر ، وعذاراها من الحور
يرقصن فى حلل موشية عجبا ... على غدير مضىء الماء باورى
عاد الصبى الى أهليه فى جذل ... وفى محاجره احلام مسحور
فلم يزل منذ ذاك اليوم ينشدهم ... كأنه بلبل بين العصافير
حتى امتطى من براق الشعر صهوته ... الى السماء شهابا ساطع النور

***

منازل لم يزل من (أحمد) عبق ... فى جوها مثل انفاس الازاهير
وفى وجوه بنيها من سماحته ... وداعة تتجلى فى الاسارير
وفى لسان بنيها من فصاحته ... ما شئت من كلم كالدر منثور
(محرم) كان يمشى ههنا جذلا ... حينا وحينا أخا هم وتفكير
يجفوه الا قليل من معارفه ... يا للرجال لفضل غير مقدور !
يمر كالطيف فى رفق وفى دعة ... وفى جوانحه مسجور تنور
يلقى شواظا على المحتل يحرقه ... ويرسل السخط يغلى فى الجماهير
قد اكبر الشعر ان يهدى الى ملك ... او ان يراد به صيد الدنانير
فعاش ما عاش فى عز وفى شرف ... وان تقلب فى بؤس وتقتير

***

محرم شاعر الاسلام صاغ له ... ما فات حسان من مدح وتوقير
اوحى له صادق الايمان فانطلقت ... آياته بينات كالمزامير
قد صاغها من صميم الحق ملحمة ... ان صيغ من باطل الياذ هومير
كم رد عنه اباطيلا ملفقة ... من ملحد او اخى بغضاء موتور
يروعها بقوافيه فيكشفها ... كالنور يكشف اوهام الدياجير
ولم يزل فى ذوى الاقلام من قدم ... دعاة هدم وتشكيك وتدمير
يبغون اطفاء نور الله جهدهم ... والحق ابقى على الدنيا من الزور

***

تيهى دمنهور . كم انجبت من ادب ... حى وشعر على الايام مشهور
افى (البحيرة) سر ليس نعرفه ... ينحو البيان به من فعل اكسير ؟
لو لم يكن لك الا احمد لكفى ... به على الدهر مجدا غير محصور

من أنت ؟

للشاعر كمال نشأت

من أنت يا من ايقظت مهجتى   فهومت فيها ليالى السأم
اخذت من عمق جراحى ضحى   ملفعا فى دفئه بالألم

***

نثرته فوق دروب الأسى   ياكل من قلبى ظلام النواح
كشهقة المصباح فى هيكل   مهدم تعول فيه الرياح

***

من انت .. يا من حبها فى دمى   كراهب لهفان فى كهفه
يزرع فى قلبى حقول المنى   ويحصد الاحلام فى كفه

***

من انت .. يامن روحها عانقت   روحى .. وهامت فى دجى سرها
تكتم شجوا عاصفى الخطى   مصوحا ما اخضر من عمرها

***

احلامها البيضاء فى مرجه   عذراء فى رقة طفل رضيع
تمشى على الأفق وفى خطوها   ينبت فجر .. ويغنى ربيع

***

من انت .. يا من ايقظت مهجتى   فدمدمت ذكرى تشد الألم
النسر سر مبهم فى الدجى   وفى الضحى يغزو الجناح القمم

***

من أنت .. انى موجة حرة   تلقفتها لهفات الرمال
سرا من البحر الذى يرتمى   فى صدره الخلد ويغفو الزوال

من أغانى الصباح

للأستاذ محمد مصطفى المليجى

نور الصباح وغنوة العصفور
توحى الى بفرحتى وسرورى
فاقوم مبتهجا اغنى غنوتى
واهيم بين جداول وزهور
واعانق الآمال فهى بخاطرى
تنساب بين جوانحى وشعورى
واظل اصغى للطبيعة حالما
فى جنة من فنها المسحور
اهفو الى الصبح الوديع كاننى
امل ينور مشرقا بالنور
وامد كفى للحياة مصافحا
فى غبطة وسعادة وحبور

خواطر وآمال

للمستشار أنور حجازي

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

يا مهبط الوحي وأرض الرسالات ، ومناط السلام ، ومنبت حضارات البشرية الاولى ، ومعين أمجاد آبائنا الأولين ·

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

وهبت الوجود في نشأته الاولى كل شعارات النبل والنخوة والايثار والتضحية والاخاء والتآخي ، وعلمت البشرية معنى المساندة والمؤازرة والبذل ، وعلمتها ان تتقدم بها للانسان طواعيه واختيارا ، ان سعى الى الجوار والرحاب والحمى يستجير او يطلب العون فتمنحه مع عونك كل الرعاية وكل التكريم ، تمنحها هبة موهوبة بلا مقابل أو ارتقاب جزاء ·

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

أرسيت في مجالات الحياة الأولى دعامات للأصول الرفيعة في السلوك والمعاملة ، وجعلت لها شعارات بلغت مكانا عليا في سمو التشريع والتقنين ·

تربعت على عرش تلك الأصول الرفيعة في السلوك والمعاملة منذ استقامت لك دواعي الحياة ، وصرت مسئولا في مضمار البشرية ، تدعو وتوجه ثم ترشد وتنير السبيل ، أرسيت الدعامات الاولى في مجالات الفكر والتثقيف والعرفان وحضارة الانسان ، حضارته الاولى التى تمثلت في آداب الحياة وفلسفة الوجود ثم في مجالات الطب والكيمياء والكشف عن خبايا الكون وأسراره ·

أرسيت للعالم الحديث أسسا اقام على أعقابها تلك الحضارة الغامرة التى ازدهرت بها دواعي الحياة ، وانطلقت من عندها مقومات التحضر بلا حدود أو قيود ·

ويشهد على قدرك في هذا المقام ، الغرب والشرق على السواء ، جئتهم « بجابر بن حيان » الذى اخترق حجب الكيمياء وفك طلاسمها والغازها وأوضح منها ما استغلق على أفهام البشر ورصدها في مؤلفات ظلت مرجعا هاديا ومرشدا لجامعات اوربا كلها ، وظلت تدرس فيها حاملة اسمه بلا جحود أو انكار كما ظلت مرجعا لجامعات أوربا وفي انجلترا وأمريكا وروسيا حتى القرن الخامس عشر ، وحتى واتتهم من ثناياها الفكرة فانطلقوا بها في المجالات العلمية ناجحين ، وكان أن ظفر العالم الحديث بهذا النصر الخفاق في العلوم والاختراعات والسيطرة على أسرار الكون ·

وقدمت للبشرية « عباس بن فرناس » الذى وهب حياته قربانا في سبيل اختراع الطائرات ومحاولته المعلومة في هذا السبيل ·

ثم أحييت الأمل في قلوب الناس لما طلعت على الوجود بمواهب « ابن سيناء » في الطب والعلاج ومقاومة الامراض التى كانت تفتك بالبشر بلا حساب وبلا قدرة على المقاومة أو اتقاء ما تحمل من شرور ·

وجئتهم «بابن خلدون» في عالم الادب والاجتماع ، وظلت مقدمته التى طبقت شهرتها الآفاق منهلا عذبا للدرس والتعليم في جامعات العالم شرقيه وغربيه حتى يومنا هذا ·

ولم يقتصر زادك الذى قدمته للبشرية على مجالات العلم والاختراع ، بل أسهمت بقدر رائع غير منكور في مجالات الآداب العامة والأسس الرفيعة للخلق واصول الشجاعة والاقدام ، ومقومات السلوك الانساني الرفيع ·

قدم تلك الأصول وغيرها بعد محمد عليه الصلاة والسلام الخلفاء الراشدون مثل أبي بكر وعمر وعلى ، ومن قادة الجيش خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وصلاح الدين ، وهؤلاء وهؤلاء وغيرهم كثير بحيث يفيضون على طاقة الحصر والتعداد والاحصاء ·

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

اختارتك رسالات السماء مهبطا وعاصما ووجاء ، واختارتك البشرية في وجودنا العاصف لتكون الدرع والسند والحفاظ ، لتصون لها تراثها وميراثها الموروث من أمجاد وانتصارات علمية وما استحصلت عليه من مجد تقدمي وحضارى زاخر حافل ·

كنت صمام الامان الذى ترجحت بك كفة الخير والسلام ، تناصرها وتنتصر لها وتقف الى جوارها ·

فاستقدمت الى ربوعك قادة الرأى والفكر والسيف والقلم على السواء ، استقدمتهم وكشفت عن نياتهم وما انتويت ، فأيقنوا أنك جاد في سبيل حماية السلام كما أيقنوا أنك صنديد قادر لك من الشأن والاقتدار ما يفى لتدعيم عزماتك ، فآمنوا بما آمنت

وكان النصر حليفك وحليف السلام ، اذ صمدت لنذر الشر والسوء تدفعها وتردها فارتدت على أعقابها ليغمر الارض السلام ويعز بعزمك أمن الحياة وأمانها أردتاك للخير محرابا ، وللسلام عاصما ووجاء ، وكنت لكل ذلك كفئا وجديرا .

وتريدك اليوم فينا عصبة مضمومة متحابة متآخية لتتجانس باتحادك امارات العزة وكمال القصد وأسمى الاهداف والآمال ، ولتتجدد باتحادك صدارة تفرض لها في الوجود مكانا عليا ، هو مكانك الحق ومكانك الذي كان وسيكون حتما والى الأبد في قمة العلا ورفعة السماء .

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

هذا مصيرك المحتوم أنبأتنا به الاحداث ، أحداث في ربوعنا ، وأحداث في رحابنا ، وأحداث في جوارنا ، وأحداث لدى أبناء عمومتنا ، تلك الاحداث التي تترى في تتابع مرموق ، انتفاضات من الاباء نجونا بها من اسارات التخلف والركود ، وركضنا في موكب الزمان نصول في مضمار حضاراته حتى صرنا في مسار الطليعة أو كدنا ، نتمثل القدوة الحسنة والمثل الطيب والنبراس المضيء ، وتسلحنا لكل ذلك بعزمات تحصنت بالصدق والايمان العميق بحقنا في حياة أفضل ، وتتوجت الآمال بارادات قوية لاتعرف النكوص أو النكال ، اهتزت لها هياكل التراجع والتردد وتثبيط الهمم فانقشعت غمة تلبد بها صفاء سماواتنا يوما ، وعاد الصفاء وعاد الضياء ، وارتفعت بهما أعلام الرضا وأعلام الأمل تمجيدا وتأييدا لأعلام الحرية والأمان والسلام ، وانطلقت بنا الأحداث في سبل الحياة واضحة المغزى والمعنى ، محددة المعالم ؛ اطارها آفاق بلا حدود ، حتى سارت العزة في صفوف بعض أمصارك فبلغت مصائر الأكرمين جاها ومنعة واقتدارا .

أيا شرقي ، ويا وطني ، ويا عروبتي :

مارست النصر ، ومارست الجاه والعزة والعظمة والجبروت ، مارست كل ذلك كريما متواضعا ، سامي الغاية ، أبيا على الافتراء ، أبيا على الغواية والتشفي والانتقام ، سموت على الاحداث مهما كبرت ، وسموت على مدارك البشرية الاولى التي تطورت بسلوكك الى فهم ووعي وحسن ادراك ، استحدثت على مفهومها الفطري الغاشم سياسة الحاكم العادل الحصيف ، واستحدثت على مفهومها الفطري الغاشم أن للفرد حقوقا أولى بالرعاية والصون والحفاظ .

رسمت للحاكم أن يعف ويعفو ، ورسمت له متى يتسامى ويتسامح ، ومتى يغفر لأنه قادر ولأنه كبير ، والعفو عند المقدرة شيمة من شيم الكبار القادرين .

سموت بالخصومات الى مستوى الانسانية وجعلت فصل الخطاب فيها لقولة العدل والانصاف ، ونزعت الحاكم عن الهوى ، وبصرته بالسلوك الأحق بان يتبع .

وتجلى سمو الغاية والتأبي على الاحداث والسمو بالخصومة الى مستوى الانسانية الرفيع ، تجلى كل ذلك فيما أمر به رسول الله جنده ورجالات جيشه بأن يعاملوا العدو الجريح والصريع الحي ابان الحرب معاملة جرحى أنصاره من حيث الرعاية والتطبيب والعلاج .

وتجلت تلك المعاني السامية من بعده في خلفائه الراشدين والقادة وأولي الأمر اللاحقين ، تجلت في سلوكهم مظاهر التأبي والترفع والسمو بالخصومات الى مستوى الملائكة المنزهين ، فحين يصل الى أسماع عمر بن الخطاب أن محمدا بن عمرو بن العاص ضرب مصريا وغلبه على أمره ، انتفضت في نفسه أمارات الحاكم العادل الحصيف الأريب البتار ، وبعث اليه يدعوه ومعه ابنه في رسالة اهتز لها كيان عمرو بن العاص القائد المغوار والسياسي اللماح الأثير عند ولي الأمر والقريب الى نفسه وقلبه فأسرع الى تنفيذ ما أمر به ، ومثل بين يدي عمر الذي حاسبه وابنه حسابا عسيرا .

تجلت كذلك في قمة السمو بالخصومة الى مستوى الملائكة المنزهين وفي قمة العفو والتسامح ، لما عفا الحاكم العربي عن الاسباني الذي اعتدى على ابنه ، والعدوان في غير هذا المجال كان أولى بأقصى العقاب وأقصى الجزاء ، ولكن الحاكم الاريب وهو يملك ناصية الجاه وعزة الملك ضرب المثل النادر الكريم وعفا عن الاسباني الآثم حتى ولو كان صاحب الحق المضيع هو ابنه وفلذة كبده .

وصار سلوكه عبر التاريخ مثلا وعبرة وقدوة للحاكمين ، وتنبيها للناس أن هذا السلوك العربي الفريد حقيق بالتسجيل والاعتبار .

ويذكر القاصي والداني ، ولا ينسى التاريخ والرواة في الشرق والغرب على السواء ما ضرب به صلاح الدين الأيوبي من مثل عليا في التأبي والترفع والسلوك الانساني الرفيع النبيل ، يسجل التاريخ

في سجله الباقي أن صلاح الدين قد بعث الى خصمه المريض وعدوه اللدود «ريتشارد» قلب الاسد ملك الانجليز الذى جاء بلاد العرب غازيا وفاتحا وبادئا بالعدوان في الحرب الصليبية الطاحنة ، بعث اليه بالطبيب والدواء والفاكهة المثلوجة مشفوعة باطيب الدعوات ليلتقى به في ساحة الوغى عدوا صحيحا معافى ، لانه يأبى ، وتأبى عليه عروبته أن يلتقى به مريضا عاجزا عليلا ٠

معنى تتخلد به انسانية الانسان وقدره ان صدر عن واحد من الناس ، ويعلو على السمو ذاته انصدر عن سياسى وحاكم وقائد جيش ، معنى اعتزت له أفئدة المنصفين والمغرضين على السواء ، واتفقت فيه الآراء في الشرق والغرب ، وسجله الاعداء قبل الاصدقاء وأشادوا به عظة وعبرة وقدوة انسانية فريدة يندر أن يدانيها سلوك حاكم وقائد جيش في عصر الحياة باكمله ٠

شذرات من سجل التاريخ العربى الحافل تروى في مجال التندر والمثال ، لأن الاحصاء في غير قدرة القادرين ، والرواية والسرد لمجرد التذكيروالتبصير، اما الاحصاء فقد يكون للمن والزهو المغرور،وحاشا للعربى أن يمن ويزهو مغرورا لانه مارس كل ذلك سجية مألوفة بلا صناعة أو ادعاء ٠

انور حجازى

« يتبع »




أسبوع الكتاب العربي
الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والارشاد القومي
أرض المعارض بالجزيرة
القاهرة
من ١٩ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر ١٩٦٣

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

المفاهيم بين المطرقة والسندان

ان المفاهيم التى تمثل القيم العظيمة فى حاجة قبل كل شىء الى الاخلاص لها ، والاخلاص لها يحتم على من يتناولها ان يجيد فهمها قبل أن يجيد تحديدها وأن يكون واقعيا بعد ذلك ومجردا من كل هوى يفرض عليه التعصب لها او عليها ، والذى يتصدى للكتابة عن مفاهيم القيم يجب أن تكون غايته الوصول الى الحق وحده فيما يكتب وفيما يقرر .

وشر ما تصاب به المفاهيم القصور عن فهمها .. والتميع خارج حدودها ، والضغط عليها لتسهل قابليتها لما يريده الكاتب ، لا لما تريده حقيقتها وهو يجد فى مجال التأويل والخيال متسعا له ليكيفها حسب هواه .

هذه خواطر سريعة جالت بذهنى وقد انتهيت من قراءة كتاب «الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق» للاستاذ البهى الخولى مديرالثقافة بوزارة الاوقاف سابقا .

ولا شك أن هناك سيلا من الكتب الاسلامية تعرضت فى الآونة الأخيرة للاشتراكية الاسلامية .. لعبت العاطفة والخيال فيها دورا خطيرا ، وعنايتنا بهذه الكتب كدراسة اسلامية ، يجب الا ينسينا عنايتنا بالكتب المجردة التى أرهصت باشتراكية الاسلام منذ بضع عشرة سنة

يجب أن تكون هذه الكتب مقياسا لنا ونحن نعرض أى كتاب عن الاشتراكية الاسلامية ظهر حديثا ، لانها قدمت دراسة عن عقيدة مجردة ، فى وقت كان مجرد الحديث عن الاشتراكية جريمة يعاقب عليها القانون .

ولنعد الى كتابنا الذى بين أيدينا ، والذى نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، فى زهاء مائة وثمانين صفحة، والمؤلف كاتب اسلامى معروف ، سبق أن تتلمذنا وتتلمذ كثير من رواد الثقافة الاسلامية على مؤلفاته ومقالاته فى شتى الصحف الاسلامية ، وسبق أن تولى منصبا ثقافيا ذا أهمية فى وزارة الاوقاف .

المؤلف قبل كل شىء يعرض منهجه فى دراسة قائما على أساسين :

«الرجوع الى موارد الاشتراكية الاصيلة فى كتاب الله واستخلاصها جميعا آية آية فى احصاء دقيق شامل ، ثم تصنيفها بحسب الاغراض والمعانى فى أبواب متميزة ، تتجلى فيها أصالة الحق ، ودقائق السر وروعة شمول القرآن » .

والاساس الآخر : عرض الاشتراكية مصورة فى سير رجالها الذين فقهوا مبادئها ، واشربوا عقائدها وانفعلوا بوحيها فى عمق.. واخترت سيرة صحابيين جليلين كنموذجين رفيعين ، وعلمين على الاشتراكية الاسلامية هما أبو ذر الغفارى ، وعبد الرحمن بن عوف .

ولا يسمح المجال هنا بمناقشة افكار الكتاب كلها وانما يسمح بمناقشة ارتباط المؤلف بمنهجه الذى اختاره لدراسته ، لاسيما وهو يقرر فى مقدمته انه التزم أصل الاسلام فى ما عرض من حقائق .

ونحن نرى قبل أن نتعرض للكتاب أن مفهوم الاشتراكية فى نظر الاسلام : انما هو تحقيق العدالة الاجتماعية فى حدود العدل ، ولا أظن المؤلف يخالفنا فى هذا ، أما الوسائل الى تحقيق العدالة الاجتماعية فمقياسها الارتباط بالنص الاسلامى فى غير تزمت من ناحية ، ومن ناحية أخرى دون ضغط عليه ، أو تأويل فاسد له ، أو تلاعب بالفاظه .

واظن مرة أخرى أن المؤلف يوافقنا على أن الاشتراكية فى الاسلام تقوم على أساسين : الاول واقعى ملزم يتمثل فى الزكاة وموارد بيت المال الاخرى باعتبار بيت المال هو القاعدة التى تزود العدالة الاجتماعية بحاجاتها ، والأساس الآخر مثالى اختيارى متروك لضمير الانسان واحساساته ، وكلا الاساسين يكمل الآخر ،وهما معا يحققان التكافل الاجتماعى او اشتراكية الاسلام فى مجتمعاته ، فاذا قصرا لظروف طارئة ، فان لولاة الامور أن يتخذوا من الاجراءات الاستثنائية ماشاء لهم أن يتخذوا فى نطاق العدل أيضا .

يهمنا بعد ذلك ونحن نناقش كتاب المؤلف فصلان من فصول الكتاب الستة ، هما «اشتراكية الاسلام» و «قواعد الاشتراكية فى ميدان التطبيق» ففىالفصل الاول يضع للاشتراكية قواعد أو أصولا ، فالمال مال الله أولا ، وملكية الناس للارض تابعة لملكية

الله سبحانه ، والناس يملكون الارض جماعة لاأفرادا ويؤكد نفيه للملكية الفردية بأنها تقتضي أمرين : أن تكون ملكيات متفاوتة المقادير وهذا ينافي عدالة الله ، أو أن تكون ملكيات متساوية ، وهذا مباين لمنطق العدالة العامة بالنسبة لتفاوت الافراد في المواهب ، ومن هذه القواعد أن الناس لايثمرون مرافق الارض وموارد المال بمجموعهم بل بأفرادهم ، فالمجموع ليس كائنا عضويا ، ولكن الفرد يعمل في مال المجموع لافي مال خاص به ، والفرد في مال الانتاج ليس وضعه كالآلة الحية ، ووضعه فيما يحوز من مال الجماعة وضع الخازن أو النائب أو الوكيل . وليس وضع المالك المطلق ، ويستطرد المؤلف في الفصل الآخر فيقيم أحكاما على قواعده ، ابرز هذه الاحكام ان الفرد ـ وهو خازن لمال الجماعة ـ ليس له أن ينفق منه الا مايسد الحاجة ، وما بقي يرد الى الجماعة .

الحق أن المؤلف كان في استطاعته أن يريح نفسه ويريحنا ، فيعلن أن الفرق بين الشيوعية والاسلام في النظام الاقتصادي ، أن نظام الشيوعية مرتبط بالارض ونظام الاسلام مرتبط بالسماء ، وان الشيوعية ترفض فكرة الله ، والمسلمين يعترفون بالله سبحانه ربا وخالقا رزاقا .

لقد وضح أن للمؤلف قدرة على الضغط على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتمييعها وصياغة مفاهيمها حسب مايريد ، ولو أخلص لمنطقه لسائل نفسه :

ـ لم اذن كان نظام الميراث في الاسلام اذا كان الفرد ليس له مما يملك الا مايكفيه ؟

لم لم يقبل الرسول من سعد بن أبي وقاص في مرضه في حجة الوداع أن ينزل الا عن ثلث ماله للفقراء ، وقال قولته المشهورة : «... والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء ، خير لك من ان تتركهم عالة يتكففون الناس» ؟

ولم ترك الرسول ـ صلوات الله عليه ـ اصحابه كافراد ، يملكون من الارض والمال ما استطاعوا .. ماداموا قد حصلوا عليه من مصدر لا غبار عليه ؟

ولم أقطع الرسول أرضا لعمر واشتراها عبد الرحمن بن عوف من ورثته بعد وفاته ، وأقطع اراضي لوائل في حضرموت ، والزبير في خيبر ، ولم اقطع بلال بن الحارث المزني أرض العقيق ، وفرات بن حيان العجلي أرضا باليمامة ؟

ولم أقطع عمر رجلا من أهل البصرة أرضا ، وأقطع عثمان أرضا خمسة من أصحاب الرسول هم الزبير وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وأسامة بن زيد ، وخباب بن الأرت ؟ .

العجيب أن المؤلف يلتقط الفاظ القرآن ، ويضع لها مفاهيم من عنده دون حساب لما كان منها من قبيل المجاز ، فهو يقدم الآيات التي تسند الفاظها المال وترده الى الله وحده ، وكان ملكية المال محرمة على خلق الله .

انه يضغط على قوله تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقوله : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» لينفي الملكية الخاصة ، مع أن كثيرا من الآيات أسند المال والمتاع الى الافراد كملكية خاصة بهم : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن » ، « وجعلت له مالا ممدودا » ، « وما يغني عنه ماله » « لتأكلوا فريقا من أموال الناس» ، « ولا تأكلوا اموالهم الى أموالكم » ، « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» . فهل يمكننا من هذه الآيات وغيرها أن تنفى ملكية المال عن الله بناء على منطق المؤلف «السليم» .

أما محاولته مساندة منطقة بأن اشعار الافراد بالملكية يبعث فيهم الغرور والطغيان ، مستندا الى بعض الآيات والأحاديث ، فهي محاولة اضعف من منطقه نفسه ، وأما كونه يستقي من كتب التفسير والتاريخ أحاديث يؤيد بها أفكاره ومزاعمه ، فلا أظنه الا لونا من المغالطة ، وبعدا عن مقاييس البحث السليمة .

اما تقديمه صحابيين كأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف نموذجين للاشتراكية أو للشيوعية التي أرادها ، فان اولهما نموذج للمسلم الزاهد ، والآخر نموذج للغني الشاكر الطامع في رحمة الله ، وكلاهما بعد ذلك نموذج للاشتراكية في جانبها المثالي عن طريق تنمية الاحساس والشعور .

وبعد ـ فانا لاازعم أن الدراسة التي قدمها المؤلف قد شاب جميعها التشويش على المعاني الاسلامية ، فان كثيرا من المعاني قد اضفى عليها لونا من التحليل العميق ، والروحية الصافية ، ولكن الذي اعتقده أن المؤلف قد ضغط كثيرا على بعض المفاهيم حتى تميعت لم صاغها في القوالب التي شكلها بيديه ، واعترف بأن مقالا واحدا أضيق من أن يتعقب كتابا كبيرا في انحرافات بعض أفكاره ، ومغالطات بعض آرائه .

محمد عبد الله السمان

مع الكتاب العربي في اسبوعه الاول والثاني

للاستاذ تحسين عبد الحي

لقد كان الكتاب وما زال هو الصديق الامين للانسان — **يعلمه ويسليه — ويمتعه** — يقدم له الثقافة والمعرفة بمختلف أنواعها عندما يحتاج اليه ويحفظها له بين صفحاته ليزوده بها وقتما يريد وانه لشيء رائع حقا أن **يمجد الانسان صديقه ومعلمه « الكتاب »** .

لقد كان العرب أول من عنوا بالكتاب عندما كانوا ينسخونه ويزخرفونه بل وأحيانا — **يذهبونه** — والذهب كمعدن نفيس — لا يحلى به الا كل شيء نفيس ..

***

ولا شك أن أسبوع الكتاب العربي **فكرة وواقعا عمليا.. قد عبر عن ايماننا بالكتاب وأهميته كوسيلة بناءة في مجتمعنا الذي يسير بخطى سريعة نحو التقدم المدعم بالفكر النظري ..**

وقد اتخذ أسبوع الكتاب العربي شكل المهرجان الثقافي على أرفع مستوى .. بما تخلله من مناقشات وآراء لرجالات الثقافة والادب — عندما التقوا بقرائهم ومريديهم في الندوات التي اقيمت خلال ايام انعقاده .. بالاضافة الى عرض فيلم ثقافي موضوعه « **قصة الكتاب** » صور تطور فكرة الكتاب منذ ابتكار الحروف الهجائية الى ظهور البردى والورق الى اختراع الطباعة — ويطوف الفيلم بالمكتبات العامة ودور النشر والتوزيع ويختتم الرحلة بجولة في معرض الكتاب العربي ..

وكان « كتاب الأسبوع » عبارة عن بحث موجز عن الكتاب العربي ماضيه وحاضره ومستقبله ، وعن أهميته كوسيلة من وسائل الاعلام .. ويتضمن تاريخ تطور الكتاب — وتحليلا مختصرا لانتاج الجمهورية العربية المتحدة حاليا — مع الاشارة الى اتجاهات تطوير الكتاب ليؤدى دوره كاملا في الثورة الثقافية .. وكذلك ساهم **الفن التشكيلي** في أسبوع الكتاب بعرض صور من نشاط فنانينا — موضحا رسالتهم في مجتمعنا الجديد ، ثم كان النوع الجديد من الكتب — **وهو الكتاب المسموع** المسجل على اسطوانات ..

وعرض مسرح التليفزيون مسرحيتين من مسرحياته على رواد أسبوع الكتاب العربي .

***

وأقيم بسراى الجلاء معرض يمثل التطور التاريخي لفكرة الكتاب وعرض نماذج من الاقلام والمحابر القديمة والمواد التي استخدمت في الكتابة مثل البردى والرق والورق .. بالاضافة الى نماذج من طباعة الحجر وصور ضوئية تحكى تطور مراحل طباعة الكتاب على آلات الطبع الحديثة .

وهكذا كان أسبوع الكتاب العربي مهرجانا ثقافيا فنيا رائعا ، وكان الاقبال على معرض الكتاب اقبالا منقطع النظير لدرجة أن متوسط رواده كان يربو على **الخمسة آلاف زائر يوميا** — يضاف الى ذلك **عدد يتراوح بين خمسمائة وألف مواطن** كانوا يقبلون على الندوات ليحجزوا اماكنهم في القاعة المخصصة لذلك قبل الموعد المحدد بأكثر من ساعة ..

وكان رواد المسرح يزيدون بكثير على ثمانمائة متفرج يوميا .

وهذا الاقبال على أسبوع الكتاب العربي **بمحتوياته واقبال الرواد على شراء الكتب القيمة بكثرة انما يدحض فرية أولئك الذين كانوا يتهمون الناس بالسطحية وعدم الاهتمام بالجيد من الثقافة والفكر..**

وقد تبرع اتحاد الناشرين في لبنان ومكتبة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع بالعراق ووكالة التوزيع الاردنية بالقدس والاتحاد اليمنى .. وهي دور النشر التي اشتركت في الاسبوع من الوطن

العربى — بكل كتبهـا التى عرضت فى الاسـبوع للجزائر .

ولاشك أن هذا التبرع مضافا اليه توصية المؤتمر ومناداته بدعم المكتبات العامة بالجزائر للمساعدة على تعريبها **انما يحمل بين طياته معنى قوميا ساميا .. مؤكدا وحدة الشعور بالمسئولية تجاه ثورة الجزائر العربية ..**

***

وبعد .. ان رصد مبلغ الـ ۳٫۰۰۰ جنيه كجوائز لمسابقة الكتاب العربى لعام ١٩٦٤ عمل سوف يكون له أبعد الاثر لأنه حدد ثلاثة موضوعات هامة وحيوية هى موضوع **— الاشتراكية العربية — وتبسيط العلوم — وتبسيط الفنون ..** وبخاصة اننا فى موضـوع **الاشتراكية بالذات فى حاجة ماسة الى كثير من الكتب التى تعـالجه معالجة موضوعية بعيـدة كل البعد عن الاسفاف الفكرى ..**

فاشتراكيتنا العربية كحقيقـة نعيشها يجب ان تتجســد فى حياتنا ومعاملاتنا اليـومية وعلاقاتنـا كافراد ، وسوف يكون من المفيد حقا ان ياخذ الكتاب دوره فى هذا المجال .. فالـكتاب الجيد الذى يتفق فيه — الشكل مع المضمون — يلعب دوره القيادى فى ذهن الانســان ، وبخاصــة عندما يخاطب فيــه — العقل — ليعمق مفاهيمه ويقومها ..

***

واذا كان معرض الكتاب العربى فى أسبوعه الاول هذا العام لم يفسح المجال امام **المجهـود الفـكرى** الفردى عندما يكون هذا المجهود غير متقيـد بناشر معين — ويوجد منه الكثير .. فاننا نرجو أن يستثنى من ذلك فى **اسبوع الكتاب القادم — نوع واحد من هذه الـكتب ..** وهى الـكتب التى تعـالج **القضية** الفلسطينية من مختلف الوجوه من قصص — ودواوين شعرية — وغيرها **..وذلك لـكى يكتب فى فلسطين — ابنها — اللاجىء ..** الذى قد لا تمكنه ظروفه من الاتفاق مع دار للنشر .. ولان **عقـدة كثير من دور النشر ما زالت الاسم اللامع .. للكاتب المعروف ..** ولا تتوافر هـذه المواصفات فى كثير من الامكانيات الفكرية — الشريفة — **للذين عاشوا مأساتهم بانفسهم** .. فاذا رصدنا الجوائز لمثل هذه الكتب **عن فلسطين** — بشرط أن يختفى منهـا النواح والصفير — فاننا بغير شك نكون قد فتحنا الباب على مصراعيه أمام **ظهـور ادب النكبة .. الذى يقـدم لنا نماذج من الانســانية الضائعة على طول الأسلاك الشائكة عبر الحدود الوهمية.. تلك الحدود التى فرضت الجوع والحرمان والعراء .. على مليون عربى — يجب ان نعتبرهم شهداء — رغم انهم احياء .**

واذا ما نجح **أدب النكبة** فى تأدية رسـالته .. فسوف يهز الضمير العربى من أقصى المغرب الى أقصى المشرق بعنف .. ولتكن هـذه أولى الخطوات **لتعبئة الوعى العربى — مقدما — لمعركة من المحتم علينـا أن نخوضها .. ان عاجلا او آجلا ..**

لقد كان لنجاح أسبوع الـكتاب العربى أثر بالغ فى جميع الأوسـاط **الثقافية والادبية لدرجة ان اكثر رواده طالبوا بان يستمر اسبوعا آخر .. وطالب آخرون بان يستمر شـهرا كاملا ..** وقد استجاب **السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى لهذا المطلب الشعبى ..** ووافق على مده أسـبوعا آخر حتى لا يفوت على البعض زيارته والاستمتاع بجوه الثقافى والفنى البديع ..

وأسبوع الكتاب العربى الاول والثانى .. **يؤكد معنى اساسيا هاما وهو أن دراسة المشاكل والكشف عن العيوب هى أسلم السبل لمعرفة الحقيقة ، وغاية أسبوعى الـكتاب العـربى هو فتح باب المنـاقشة والدراســة التى ينتج عنها وضــع الأسس اللازمة لرفع مستوى الكتاب العربى الى المكانة اللائقة به..**

ونحن هنـا نحيى مهـرجان الكتاب العـربى فى اسبوعه الاول والثانى **مشيدين بتلك الجهود الرائعة المثمرة التى وقفت وراءه وحركته فساعدته على تأدية رسالته ..**

تحسين عبد الحى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

« في وادى الهموم » للطفي جمعة

قرأت ماكتبه الى في البريد الادبي الاستاذ محمد رشدى حسن المعيد بآداب القاهرة — فرع الخرطوم في موضوع نشأة القصة الحديثة في مصر · وهو يرى « أن محمد لطفي جمعة كان أول رائد للقصة المصرية بالمعنى الحديث» وذلك بما كتبه في «في بيوت الناس» سنة ١٩٠٤ و «في وادى الهموم» سنة ١٩٠٥ وانه سبق محمد تيمور بثلاث عشرة سنة وتفوق عليه في صياغة القصة ·

ويعزز الاخ رشدى رأيه بأن لطفي جمعة قدر له ان يطلع على روائع الادب الغربي في أيامه ، ومقدمة في وادى الهموم ترينا مقدار تفهمه للمذاهب الادبية السائدة في عصره ، وأن دفاعه عن منهاجه الواقعي في القصة يدلنا على مدى ثقافته الفنية التي أهلته لأن يختار من بين مذاهب الادب المذهب الواقعي ·

وقد قرأت قصة وادى الهموم ومقدمتها ، وأشرت اليها في الاسبوع الماضي كدليل أو كجزء من الظاهرة الغريبة التي بدأت مناقشتها في الاسبوع الماضي وهي ما لاحظته من أن كتابنا ظلوا عشرات السنين يترجمون القصص من الآداب الاجنبية ويكتبون قصصا مصرية دون أن تظفر من أحدهم بقصة مؤلفة تتوافر لها عناصر الفن القصصي الحديث ·

أما كتاب «في بيوت الناس» فاني لم أره ، وقد بحثت عنه ولم أجد في دار الكتب كتابا بهذا العنوان الا مسرحية مقتبسة لسليمان نجيب ، ولعل الاخ محمد رشدى يدلني على مكانه أو يتفضل بارساله الى ان كان عنده ، على سبيل الاعارة ·

على أننا نستطيع — مؤقتا — أن ندرك اتجاه المؤلف في قصص هذا الكتاب التي سبقت كتابتها كتابة «في وادى الهموم» ندرك ذلك مما قاله في المقدمة من أنه كان من قبل — أى من قبل كتابة قصة في وادى الهموم — يكتب «قصصا ابطالها رجال ذوو همة وشجاعة وكرم وصداقة ، وفتياتها جميلات ذوات عفة وطهر ونقاء» وتساءل «اى رجل الآن شجاع كريم صادق الوعد واى امرأة عفيفة نقية حافظة للعهد؟»

وهو يرمى بهذا الى أنه كان يجارى كتاب الخيالات والمثاليات التي لاتحدث في الواقع ·

حقا لقد اطلع لطفي على روائع الادب الغربي وعرف مذاهبه وقال انه سيكتب على المنهاج الواقعي ، ولكن هل وفق في القصة الحديثة بمعناها المعروف ؟

وحتى اذا كان قد وفق فهل هو أول من اطلع على الادب الغربي وعرف مذاهبه وكتب قصصا ؟

هذا مثلا — محمد المويلحي كتب «حديث عيسى بن هشام» ونشره حلقات مسلسلة قبل لطفي جمعة ومن قبل هذا وذاك لبيبة هاشم وسليم البستاني وغيرهما كلهم اطلعوا على الادب الغربي وألفوا قصصا ، ولكننا لم نستطع أن نضع يدنا على قصة لأحد منهم تكتمل لها عناصر الفن القصصي الحديث كما كتب في الغرب وكما كتب عندنا فيما بعد ·

تلك هي الظاهرة الغريبة التي كانت في بدء حياتنا القصصية ، والتي قلت في الاسبوع الماضي اننا سننظر في أسبابها · وقبل أن نأخذ في هذا النظر نلقى نظرة على قصة «في وادى الهموم» لنرى هل هي جزء من هذه الظاهرة ، أو هي بدء للقصة المصرية بالمعنى الحديث ، كما يقول الاستاذ محمد رشدى حسن ، وبهذا — ان صح — ينهدم الاجماع السائد على أن قصة «زينب» لهيكل هي البدء الحقيقي ·

قال لطفي جمعة في مقدمة القصة انه رغب في أن يكتب قصة يرى الناس فيها معايبهم فيصلحونها ولا يريد أن يغشهم بتصوير الناس صورة جميلة ولكنها مخالفة للحقيقة · وذلك طبقا لمذهب بلزاك وزولا · وهذا كما قلت في العدد الماضي وعي مبكر في حياتنا الأدبية ، ولكنه بعد ذلك عرض لنا الموضوع الذي سيتناوله وشرحه في عشرين صفحة· وهو سقوط الرجل والمرأة «الرجل الساقط الذي أساءت اليه الهيئة الاجتماعية وجنى عليه أبوه ·· الخ ··» والمرأة «المسكينة المحتقرة المهانة الظالمة المظلومة التي أجبرها الفقر والزمتها الفاقة فباعت عرضها لتاكل بثمنه رغيف خبز يابس» وعرض للبحث موضوع سقوط المرأة ومن المسئول عنه ، ونقل مقالا من صحيفة «الجوائب المصرية» وأشار الى تقرير اللورد كرومر عن الرقيق الابيض · ومقال لفرح أنطون ، وبسط الكلام في موضوع رواية «البعث»

لتولستوى ، واستنتج منه رأى تولستوى ٠٠ الخ ٠٠ ثم بسط رأيه فى الموضوع ٠

وبعد أن شرح «القاعدة» شرع فى «التطبيق» فكتب القصة كتابة تدلنا على أن الاطلاع على الادب ومذاهبه شيء آخر غير كتابة الادب نفسه ، كتبها كتـــابة «تعليمية» كل همه فيها أن يعبر عن رأيه وافكاره ، فراح يسرد الحوادث سردا متلاحقا لا تكاد ترى فيه مشهدا مصورا أو تفصيلات مميزة ، ووصف الشخصيات وصـــفا خارجيا ، قدم كلا منهـــا دفعة واحدة بالوصف لامن خلال الحركة والتجسيم وقسم القصة كموضوعات لكل منها عنوان وكثيرا ماينحى الاشخاص ويبرز هو ليتكلم بالنيابة عنها ، فهو مثلا أراد أن يحدثنا عن « فلسفة الزواج » فجعل البطل يقابل صديقا له من غير منـــاسبة ويجرى الحـــديث بينهما عن هذه الفلسفة ٠ والحب الذى تقوم عليـــه القصة حب غريب غير مبرر فنيا ٠ وفى خلال ذلك كله خطب عن الفضيلة والرذيلة وجناية الهيئـــــة الاجتماعية على الافراد ٠٠ الى آخر مالايتســـــع له المقام هنا ٠

وبذلك جاءت القصة وجها آخر للانسان الخيـــال السامى ، وهو وجه الانسان الساقط ، وضاعت بين الطرفين («الحقيقة الاجتماعية») التىقال لنا انهيرغب فى كتابتها ٠ وهذا ما قصدته حينما قلت فى العدد الماضى ان القصة جاءت بعـــد لاهى (رومانتيك) ولا (ريالستيك) ٠

وبيدو لى أن لطفى جمعة لما قرأ رواية « البعث » لتولستوى أراد أن يمصرها بقصة فى «وادى الهموم» فاقتبس الحادث والموضوع ولكنه لم يهتـــد الى سر المعالجة الفنية ٠

مرة أخرى ٠٠ أرانى مضطرا الى ارجاء النظر فى أسباب تلك الظاهرة الغريبة الى الاسبوع القادم ٠

البحث عن جسد

فى مراجعاتى للصحف التى كانت تصدر من نحو أربعين سنة رأيت نقدا لكتاب «عم متـــــولى وقصص أخرى» لمحمود تيمور فى «المجلة الشهرية» بتـــاريخ ديسمبر سنة ١٩٢٥ جاءت فيه الفقرة التالية :

«ولم تمكنا الفرصة من قراءة قصص المجموعة كلها ولـــكن ما قرأناه منها يدل على ابتكار واضح فى فن القصة ٠ أخذنا مثلا قصة عم متولى ونحن فى شغل شاغل ٠٠ لنقرأ أسطرا منها ثم نعود اليها بعد الفراغ من شغلنا الشاغل ٠ ٠ولكن أبت القصة أن تتركنا ، وصارت لنا شغلا أشغل ٠٠ حتى أتينا عليها ، فعدنا الى ماكنا فيه ، وخفنا أن نتورط فى «مهزلة الموت» التى بعدها ، فالقينا الكتاب ناحية ونحن نعد أنفسنا بالعود الى هذه القصة لنعلم كيف استطاع الـكاتب تسمية الموت مهزلة وهى المأســاة العظمى والفاجعة الكبرى ٠٠ وان كان قد اخترع لنا شيئا يرينا الموت مهزلة فحبذا المخترع ونعم المخترع» وهكذا نقد المحرر عنوان القصة فقط ٠٠ لانه مشغول ٠

ذكرت هذا وانا اقرا أخيرا لكاتب فى احدى الصحف ينقد («اسم») قصة ليوسف السباعى قام فى وهمه أنها قصة جنسية لان عنوانهـــا المنقود «البحث عن جسد») وهى قصـــة قديمة تحـــول الآن الى فيلم سينمائى ولهذا أتيح لاخينا الكاتب الصحفى الناقد ان يطلع على الاسم ٠

فى هذه القصة تخيل الكاتب نفسه روحا صعد بها عزرائيل الى السماء ، وقد حـــــدث عجز فى المستجدين بالحياة ، اذ زاد عـــدد المواليد المطلوب انزالهم الى الارض على الارواح التى تحل فىاجسامهم فاقترح عزرائيل على روح الكاتب ان تعود الى الحياة الدنيا فى جسد من أجساد أولئك المستجدين وحلت الروح بأجساد أنماط مختلفة من الناس ، وآخرهم ملك ٠٠ وكان ذلك محنة لها ، اذ عانت ما عانت من الوصوليين والمنافقين والمفسدين ، وقد صب الكاتب فى هذا الاطار الخيالى طائفة من المشاعر والافكار ، وعنى خاصة بنقد المجتمع ومن كان فيـــه من قادة وساسة وملوك ٠

هذا هو مضمون قصة يوسف السباعى التى ينقد «اسمها» ذلك الكاتب فيقول :

«لماذا هذا الاسم بالذات ٠٠ لـــماذا تلك التورية العطرية ٠٠ الا ترى فى الاسم نداء لاهث (هــكذا) للمراهقين والمراهقات !» ٠

هذهعينة من نقـد الذين ينقدون وهم فى شغل شاغل عن أن يشغلوا أنفسهم بتصفح ما ينقدون ، وعن أيسر قواعد اللغة التى يكتبون بها ٠

عباس خضر



القول المقتضب

صفحة ١٧١

فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب

تأليف: محمد بن أبي السرور الصديقي الشافعي ..

تحقيق: السيد ابراهيم سالم : راجعه وقدم له : ابراهيم الابياري

يطلب من : دار الفكر العربي

في عالم الفن

كشف حساب الموسم السينمائي

للاستاذ عبد الفتاح البارودي

كيف يرتفع مستوى أفلامنا اذا كان عدد العاملين في الحقل السينمائي حوالي ٥٠٠ سينمائي بينما لا يزيد عدد المثقفين سينمائيا على خمسة في المائة ؟!

لا نتيجة لذلك سوى النتيجة التي سجلها تقرير المكتب الفني للشئون السينمائية .... ان هذا المكتب أنشأته المؤسسة المصرية العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون في شهر يوليو الماضي ، وفي الاسبوع الماضي أذاع تقريرا جاء فيه بالحرف الواحد: (ان نزول الدولة ميدان الانتاج ـ اى القطاع العام ـ انما جاء بعد أن وصل الانتاج السينمائي الى حالة من الفوضى تطلبت العلاج السريع ، ومن ثم فان دخول الانتاج في القطاع العام هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى صناعة السينما ... ان جهود القطاع الخاص مبنية على مجهودات فردية مبعثرة ، دون أي تخطيط لصالح مستوى الانتاج) .

ان أهمية هذا التقرير أنه لايلقى الاتهامات جزافا، بل انه أول بحث في تاريخنا السينمائي يعتمد على الأرقام والاحصائيات ، وقد أشرف على اعداده أحمد بدرخان وهو سينمائي مثقف ، وبديهي أن الأرقام والاحصائيات لا تكذب ، بل تقدم الحقائق البحتة .

***

من بين هذه الحقائق نجد أن الموسم السينمائي الماضي عرض ٤٧ فيلما قام بانتاجها ٣٠ منتجا ... من أين جاء كل هؤلاء المنتجين ؟ ان هذا يدل على أننا لا تزال تنظر الى عملية الانتاج نظرة غير جادة ، وكان هذا منطقيا في الفترة التي نسميها « فترة أفلام الحرب » حينما احتشدت الاستوديوهات بالمنتجين المتخرجين من « وكالة البلح » اى الذين لا علاقة لهم بالسينما ، وكل مؤهلاتهم أنهم يمتلكون الأموال التي تغطي نفقات انتاج الافلام ، وطبعا كل هدفهم هو الحصول على الارباح بأى شكل ... كان ازدحام الاستديوهات بمثل هؤلاء المنتجين منطقيا في تلك الفترة ، ولكن كيف نعلل زيادة عدد المنتجين الى ٣٠ منتجا في الموسم الماضي ؟ معنى ذلك أن أى شخص يستطيع أن يتحول الى منتج سينمائي مادام يمتلك نفقات انتاج فيلم واحد ... بل أدهى من ذلك أن اى شخص يستطيع ان يتحول الى منتج ما دام يستطيع أن يحصل على هذه النفقات بالاقتراض ، وهذا هو مايسمونه «سلفة التوزيع» ، أى أن المنتج يلجأ الى شخص آخر يتولى تغطية نفقات الفيلم ، واسمه الموزع ، وطبعا هذا الموزع لا يدفع لوجه الله والفن ، بل للربح بأى شكل ، وبديهي أن انتاج الأفلام على هذا النحو لا يمكن أن تؤدى الى رفع مستوى السينما .

أيضا من بين الحقائق المستخلصة من الأرقام والاحصائيات أن بعض النجوم قاموا بأدوار البطولة في تسعة أفلام ، وبعض المخرجين أخرجوا ستة أفلام .. وهكذا .. كيف يمكن تصور ذلك ؟! افرض أن الحد الأدنى لتحضير وتصوير الفيلم هو ثلاثة شهور ؛ وهي فترة بسيطة جدا ؛ فكيف يستطيع النجم أن يؤدى دور البطولة في تسعة افلام خلال موسم واحد الا اذا كانت السنة السينمائية « كبيسة » لدرجة أنها تتكون من سبعة وعشرين شهرا ؟! والمشكلة بالنسبة للمخرج أكثر تعقيدا ، لأن الممثل مسئول عن دوره فقط ، بينما المخرج مسئول عن الفيلم كله ... معنى ذلك أن نجومنا ومخرجينا ـ أو معظمهم ـ لا يعرفون معنى الاستعداد الفني ، بل يقفزون بين الاستوديوهات للحصول على الربح بأى شكل ، وبديهي أن ممارسة التمثيل والاخراج على هذا النحو لا يمكن أن تؤدى الى رفع مستوى السينما .

***

كذلك من بين الحقائق التى لوحظت فى الموسم الماضى أن المستوى الأدبى لموضوعات الأفلام لايزال ضعيفا .. ظهرت موضوعات مرتفعة المستوى نسبيا ، مثل اللص والكلاب (قصة نجيب محفوظ) وآه من حواء (قصة مقتبسة من ترويض النمرة لشكسبير) ، وأجازة نص السنة ، والناصر صلاح الدين ؛ والنظارة السوداء ؛ ولكن معظم الموضوعات تدور حول نفس الافكار والاحداث التى تدور أفلامنا حولها بسذاجةمنذ ثلاثين سنة، وهى عادةموضوعات محتشدة بالمصادفات والافتعالات والرقصات ، فضلا عن أنها لا تتناول أى مشكلة ولا تستهدف أى هدف غير استثارة الغرائز السطحية والتصفيق المفتعل ، والواقع انالهدف الاول والاخير هو «شباكالتذاكر» كما يتصوره سينمائيون دخلوا الاستوديوهات من أبوابها الخلفية ، وبديهى أن تاليف الموضوعات على هذا النحو لا يمكن ان يؤدى الى رفع مستوى السينما .

ولكن ... هل مجرد دخول «القطاع العام» ميدان الانتاج السينمائى يقضى على هذه العيوب ويرفع مستوى السينما ؟!

ان لنا تجربة سابقة فماذا كانت نتائجها ؟ سبق ان انشئت مؤسسة دعم السينما فى عام ١٩٥٧ ، وكانت أغراضها الرئيسية هى : اولا رفع المستوى الفنى والمهنى للسينما ، وثانيا تشجيع عرض الافلام العربية داخل البلاد وخارجها ، وثالثا اقراض المشتغلين بالانتاج السينمائى الهادف ، ورابعا الاهتمام بشئون المشتغلين بصناعة السينما، وخامسا منح جوائز لتشجيع الانتاج السينمائى والمشتغلين به ... فهل تحققت هذه الاغراض ؟ لم تتحقق بكل اسف ... او كانت قد تحققت لظهر أثر ذلك فى الافلام التى ظهرت بعد انشاء هذه المؤسسة بسنة أو بسنتين او بثلاثسنوات، ولكننا-للان لا نكاد نجد اى تقدم فى نشاطنا السينمائى ، بل بالعكس نجد ان تدهور المستوى السينمائى من أهم الاسباب التى حتمت انشاء القطاع العام ... اذن لماذا لم تحقق المؤسسة اغراضها ؟ اننا نلقى هذا السؤال لنتعمق فى بحث أسباب مشكلة السينما عندنا حتى يسير «القطاع العام» بوعى .

الواقع ان من أهم أسباب هذه المشكلة هى الثقافة : والتخصص ... وفعلا ادرك القطاعالعام ذلك ، وفعلا بدأ يضع مشروعاته على اسس مدروسة ، بل انه قام باعداد مجموعات من الدارسين لقراءة القصص واختيار الصالح منها للانتاج السينمائى بصرف النظر عن اسماء او شهرة مؤلفيها ، اى على اساس الصلاحية الفنية فقط ، ثم اعلن – فى نفس التقرير الذى اعده المكتبالفنى السينمائى – ان الافلام التى سينتجها فى الموسم الجديد يبلغ عددها خمسة عشر فيلما ، وان قصصها هادفة من اجل تدعيم السينما وتمكينها من تادية دورها الاعلامى الخطير من اجل حياة افضل ، حاملة راية الاشتراكية والحرية والوحدة، كما أعلن ان الافلام التليفزيونية التى سينتجها يبلغ عددها عشرين فيلما ، وان هذه خطوة للقضاء على فوضى الانتاج فى الماضى ... الخ

***

ولا شك فى ان انشاء القطاع العام فى غاية الافادة ، بل انه سيفيد القطاع الخاص ايضا ، فقد بدانا نرى بعض السينمائيين فى القطاعالخاص يحاولون الاهتمام بمعالجة العيوب التى كانوا لا يفكرون اطلاقا فى معالجتها ، ومع ذلك فان عقليتنا السينمائية لا تزال تهتم بشباك التذاكر ، حتى فى القطاع العام ... فمثلا لاحظت ان هذا التقرير نفسه تحدث عن احد افلامه التليفزيونية حديثا حاول فيه تبرير «قلة ايراداته» ، ولميحاول اطلاقا الحديث عن مستواه الادبى او الفنى ... واكثر من ذلك انه لم يذكر شيئا عن المستوى الادبى والفنى بالنسبة لاى فيلم من الافلام التى سينتجها ، بل انه – تقريظا لبعض أفلامه – قال انها من تاليف «كبار كتابنا» ... وانا لا ادرى معنى « الكاتب الكبير » بالنسبة للانتاج السينمائى، فمنالمؤكد اننا حديثو العهدبالسينما ولغةالسينما، وليس بين كتابنا الكبار من تخصص فى السينما.. وافرض ان البدء بانتاج قصص كبار الكتاب يساعد على توفير مادة سينمائية غنية ، ولكن المهم – فى السينما – هو السيناريو ، فلماذا لم يذكر التقرير اى شىء عن السيناريوهات والذين اعدوها وكيف اعدوها ... الخ ... يخيل الى أن الاهتمام بالتنويه بأن القصص التى سينتجها هى منتاليف كبار الكتاب دليل على تضخم «شباك التذاكر» فى اذهاننا ...

ان شباك التذاكر مهم ... ولكن المستوى

الثقافى اهم ، أى انه من الضرورى الاهتمام بالفن كأداة لتنوير الجماهير وخدمة الجماهير عن طريق العمل الفنى القائم على اسس فنية ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالثقافة والتخصص .

مسألة اخرى : لاحظت ان بين المخرجين الذين اختارهم القطاع العام لاخراج افلامه بعض مخرجين يعتبرون من عوامل تدهور السينما ... والمدهش ان هؤلاء — وهم قلائل — لم يسيئوا الى السينما مضطرين ، بحكم رضوخهم لمنتجى « وكالة البلح » مثلا ، بل لانهم غير مثقفين ، فكيف اختارهم القطاع العام ؟! ان كثيرين ممن اختارهم ممتازون ، ولكن من اللازم ان يعيد النظر فى غير المثقفين .

مسألة ثالثة مهمة جدا : من الذى اوهم السينمائيين بأن الفيلم المرتفع المستوى ثقافيا وفنيا لا يملأ شباك التذاكر ؟! ومن الذى اوهمهم بأن جمهورنا لا يزدحم حول شباك التذاكر الا فى افلام هابطة المستوى ؟

اذن من الذى يملأ مقاعد دور السينما عندما تعرض افلاما عالمية غير جمهورنا ... ان هذا دليل يتكرر فى كل موسم ... ولدينا دليل اوضح ... ان افلامنا المحلية الممتازة نسبيا حققت ايرادات اضخم من ايرادات الافلام التافهة ... وصحيح أن بعض الافلام التافهة حققت ايرادات ، ولكن هذه ليست قاعدة ، فالغالب ان الافلام الاكثر ارباحا هى الافلام الافضل ...راجع ايرادات افلام الموسم الماضى ... ان تقرير المكتب الفنى السينمائى سجل هذه الحقيقة ... فمثلا سجل ان فيلم الناصر صلاح الدين حقق رقما قياسيا فى الايرادات ... والواقع ان هذا الفيلم من اكثر افلامنا امتيازا ، فقد بذلت فيه جهود فنية موفقة سواء فى الانتاج او التاليف اوالسيناريو او التمثيل ، وكان ممتازا فى الاخراج والتصوير بالذات ... ان لنجاح هذا الفيلم دلالات كثيرة ، فهو فيلم ليس فيه شىء من المثيرات التى يزعم غير المثقفين انها عوامل النجاح فى افلامنا ، مثل المشاهد الغرامية الصارخة ، أو رقصات هز البطن ، او المشاجرات .. الخ ... لم يكن فى هذا الفيلم شىء من هذه المثيرات ومع ذلك تهافت عليه الجمهور تسعة اسابيع متتالية فى العرض الاول ، وسجل اضخم ايرادات الموسم كله .

***

ايضا نجح فيلم اللص والكلاب فنيا وجماهيريا.. وايضا لم تكن فى هذا الفيلم مثيرات من النوع الذى تحتشد به الافلام التافهة ، بل بالعكس ، فان الجو العام الذى دارت فيه احداثه كان شديد الجفاف ، ولكن مزاياه فى التاليف والتمثيل والاخراج والتصوير صنعت منه فيلما ناجحا ... بل اننى اذكر انه بعد ان انتهى اعداد هذا الفيلم لاحظ بعض السينمائيين أن احد مشاهده عسير الفهم على الجمهور ، ولكن المخرج اصر على عدم حذف هذا المشهد ، وتبين خلال العرض انه كان من انجح المشاهد عند الجمهور .

***

وفيلم « آه من حواء المقتبس من قصة ترويض النمرة لشيكسبير نجح ايضا ، رغم صعوبة تحويل افكار شيكسبير الى افلام ... ان الاقتباس عن شيكسبير مجازفة ليس فى استوديوهاتنا فقط ، بل فى الاستوديوهات العالمية ، ومع ذلك تقبله جمهورنا .

ايضا فيلم «اجازة نص السنة» ... هذا الفيلم تجربة جديدة ، فان نجومه جميعا من المواهب الجديدة ، ومخرجه يمارس الاخراج لاول مرة ، وفكرته جديدة وتختلف اختلافا جوهريا عن الافكار التى تعالجها افلامنا ، ومع ذلك نجح ، وسجل رقما قياسيا فى طول فترة العرض الاول بالنسبة لجميع افلام الموسم .

***

واذن فشباك التذاكر لا يتعارض اطلاقا مع المستوى ، وانما المصيبة ان بعض السينمائيين غير المثقفين يهتمون بشباك التذاكر من أجل شباك التذاكر ...

ان كشف حساب الموسم السينمائى الماضى يواجهنا بحقائق هامة من واجبنا أن نناقشها بفهم لنضىء الطريق لانتاج سينمائى أكثر امتيازا سواء فى القطاع العام أو القطاع الخاص ... ولكن القطاع العام يواجه مسئوليات أضخم ، وعليه ان يتحمل مسئولياته بالثقافة والتخصص .

عبد الفتاح البارودى

أخبار علمية وادبية

****

● فاز فى الاسبوع الماضى بجائزة نوبل للادب شاعر اليونان «جيورجوس سيفيرس» كان الشاعر شاغلا لعدة مناصب دبلوماسية فى بعض دول الشرق الاوسط ، ومنها مصر خلال الحرب العالمية الثانية حيث كان سفيرا بها .

والمعروف أن هذه هى المرة الاولى التى يفوز فيها يونانى بجائزة نوبل ، والشاعر عمره الآن ثلاثة وستون عاما .

● لعبة «سيجة» بكافةاجزائها امكن استخراجها اخيرا سليمة من الحفائر التى تجرى فى منطقة افسس فى غرب تركيا وقدر عمر هذه الاعبة بنحو الفى سنة . ويعتقد خبراء الآثار أنها من عهد حضارة الحيثيين .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قوله .. عابدين) ندوة للشعر فى السابعة والنصف من مساء الثلاثاء القادم .

يشترك فى الندوة الدكتور عز الدين اسماعيل والاساتذة صلاح عبد الصبور ومحمد الجبار ، ومحمد محمود عماد ، وكمال نشأت ، وعبده بدوى ، وكيلانى سند ، والسيدة ملك عبد العزيز .

● نشرت ادارة الفضاء الامريكية تقريرا وافيا عن الخلايا الشمسية التى تحول طاقة الشمس الى كهرباء ، وكيف تتأثر هذه الخلايا بالاشعاعات فى الفضاء وتتلف ، وقد وزع هذا التقرير على الشركات والفنيين الذين يعملون فى هذا الميدان لعل احدهم يوفق الى ابتكار طريقة تطيل عمر هذه الخلايا التى تعد أهم مصادر الطاقة فى الاقمار الصناعية .

● نجحت التجارب الاولية لانتاج صاروخ يسير بقوة دفع الجسيمات الذرية المعروفة باسم «بلازما» وهى تكسب نموذجا صغيرا سرعة ٣٠ كيلومترا فى الثانية اى ضعف سرعة اى صاروخ معروف نحو خمس مرات .

واجريت هذه التجارب فى معهد البلازما فى المانيا . وينتظر ان يستخدم هذا الصاروخ بعد خمس سنوات فى اطلاق اول صاروخ المانى . وقال الدكتور «بيتر» مدير المعهد : ان هذا الصاروخ يصل الى اقصى سرعته اذا ما اطلق من حافة المجال المغناطيسى للارض ، فهو افضل صاروخ لغزو الفضاء فى المستقبل .

● اصدرت الدار القومية اخيرا فى سلسلة الكتاب الماسى رواية تاريخية عنوانها « أنفاس الصباح » للاديب الاستاذ محمد حسن عبد الله المدرس بالكويت .

هذه الرواية الطويلة التى تقع فى اكثر من مائتى صفحة ، تناولت جزءا من تاريخ مصر ابان الحملة الفرنسية عليها .

● لدراسة اعماق المحيط الاطلنطى وما يحدث فيه من تيارات مائية عميقة ابتكرت النرويج نوعا من العوامات التى تغوص الى عمق ٣٢٠٠ قدم فى الماء • وستنشر منها عددا بين جزيرتى فاروس وشتلاند .

وهذه العوامات اسطوانية الشكل ، وفى داخل كل منها اجهزة تسجل سرعة التيارات ودرجة الحرارة والملوحة ، وبها ايضا مصادر قوى تسمح بتشغيل هذه الاجهزة لمدة شهرين وارسال بياناتها الى المحطات الارضية ليدرسها الخبراء اولا باول .

● عين الاستاذ محمد مصطفى حمام الشاعر المعروف خبيرا بالقسم الادبى باذاعة الكويت .

الشاعر غادر القاهرة منذ ثلاث سنوات الى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل الى الكويت ليباشر مهام منصبه .

● عدد نوفمبر القادم فى سلسلة الثقافة الاسلامية التى تصدر بالقاهرة عنوانه « حول اعجاز القرآن » للاستاذ على العمارى .

● يعقد مؤتمر الناشرين الدوليين بالقاهرة فى منتصف شهر نوفمبر القادم .

البريد الأدبي

مسرحية من مقال

الى الأستاذ الزيات :

لم تثر اغتباطي وبهجتي مناسبة جد سعيدة مثلما اثارهما صدور مجلتكم الفذة « الرسالة » من جديد . لقد كنا يا سيدي ، طوال سنوات احتجابها، نشعر باننا في جوع دائم الى زاد الادب الصرف الذي « لا يمالق شهوات العامة ، ولا يمالىء نزوات الخاصة » ، ذلك الادب الذي يصل بين ماضي امتنا وحاضرها ، ويسجل أهم ما تجود به قرائح الكتاب المعاصرين في الفكر والثقافة والعلم والاجتماع والفن

لقد كنا يا سيدي أيتاما على مآدب الادب اللئيمة الزائفة المغرقة في ضلال المذاهب والمدارس والاتجاهات المنحرفة . ولقد كان يظن أن معداتنا مريضة لا تهضم هذه الطعوم المستجدة الحديثة .. فكنا نرمي دوما بموت الذوق الأدبي فينا ، ونتهم بالجمود تارة ، و « بالقدمية » ، وهذه احدى اصطلاحاتهم، طورا .

وكنا نحاول ان نناقش هؤلاء ، « بيغاوات الادب الرخيص المستورد » ، فلا نجد فيهم الا جهلا فاضحا ، كانما قد القت الطبيعة على قلوبهم اكنة ان يفقهوا حقيقة ادبنا وسحر بيان العربية .

ثم كانت عودة « الرسالة » الى الصدور، فعادت بعودتها لنا كرامتنا الادبية التي فقدناها سنوات قلائل هن في حساب الزمن الارعن حقب طويلة .

وتتالت اعدادها ، فكان يسمح بدخول بعض منها الى قطرنا ، ويمنع بعض آخر ، ولست ادري سر هذا المنع الحازم الا أن يكون من أوامر الساسة او شئون السياسة .

حتى كان صدور العدد ذي الرقم «١٠٢٢» الذي نشرتم فيه يا سيدي مقالكم « صورة من عهد الاقطاع » .

لقد قرات هذا المقال يا سيدي مرات خمسا ، ففي كل مرة كنت اطالع فيه جديدا لم اقع عليه في المراة السابقة ، حتى وضحت لي رؤية الصورة بملامحها الدقيقة ، فتكشفت لي مدلولاتها القريبة والبعيدة عن اشياء واشياء ، فاذا هي صورة غنية الجوانب الانسانية ، رسمتها يد صناع ماهرة واذا كل جانب منها فصل في قصة ، واذا بجزئيات الجانب مشاهد روائية مسرحية تنبض بالحياة والحركة .

على اني لا ازعم لنفسي اني كاتب مسرحي شاء له القدر ان يعيش في الديار الشامية بعيدا عن ارض الكنانة حيث الأدب البارع والفن الأصيل . فلقد قدر لهذه الديار ان تغدو منكودة في كل شيء، وقدر لحملة الأقلام الصامتين أن يموتوا في قبور صمتهم . فاذا بالميدان يعج بالدخلاء والمتطفلين ، واذا بالمسئولين الجاهلين يباركون هؤلاء اعمالهم . فكان ما بين أولئك وهؤلاء ، ما كان بين « التوحيدي » و « الصاحب » من علم وادعاء ، ومعرفة وغرور .

وهكذا وجدتني يا سيدي ، وانا اقرا مقالكم ، الاحظ واقيس ، واعاين واجرب ، واتخيل واسجل، واقارن واوازن ، واحلل وارسم ، حتى انتهيت من تاليف مسرحية « عنقود العنب » وانا بين امل ورجاء في ان اقدم للمسرح او «التليفزيون» خلاصة تجربة ونتاج قلم ، فاية مجلة يا سيدي اولى بان ترعى من مجلتكم ؟ واية وزارة اولى بان تحتضن من وزارة الدكتور حاتم ؟ واي مجتمع اولى بان يعرف ماضيا اليما عاناه ، وحاضرا زاهرا يحياه من مجتمع الجمهورية العربية المتحدة ؟!

ارجو يا سيدي والح في الرجاء ان تقرءوها بما عرف عنكم من انصاف في النقد الادبي ، فقد تستحق من مجلتكم نشرها تباعا ، او قد تستاهل من وزارة الدكتور حاتم ان تراعي فتقدر فتقيم ، او قد تفوز بان تمثل على مسرح، او من وراء شاشة «تليفزيون»

مصطفى الايوبي ـ حلب

استاذ الادب العربي في دار المعلمين

● الرسالة : ترجو أن تكون عند حسن ظن الكاتب الاديب

تأملات فى قصيدة معبد رمسيس

طلعت علينا الرسالة فى عددها (١٠٣٠) بقصيدة للاستاذ حسن فتح الباب تحت عنوان « معبد رمسيس » والحقيقة العارية ان القصيدة مشحونة بصور رائعة بغض النظر عما بين بعض هذه الصور من غرابة الصلات الفنية وبعد القرابة بين ملامح اجزائها

والذى يعنينا هنا ان القصيدة من « البحر السريع » وموسيقا هذا البحر :

مستفعلن مستفعلن مفعولات « مرتين » .

وجميع ابيات القصيدة عروضها مطوية مكسوفة والمطوى ما سقط رابعه والمكسوف ما سقط متحرك وتده المفروق (كان اصله « مفعولات » فحذفت منه الواو فبقى « مفعلات » واسقطت منها التاء فبقى «مفعلا» فتقل الى « فاعلن »)

واما ضرب كل بيت من ابيات القصيدة فمطوى موقوف والموقوف ما سكن متحرك وتده المفروق (كان اصله « مفعولات » فطوى وبقى « مفعلات » فسكنت التاء فبقى « مفعلات » فنقل الى « فاعلان »)

وفى ضوء هذه المراحل الموسيقية يكون وزن القصيدة كلها

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلان

وبالمقارنة الموسيقية بين البيتين التاليين من القصيدة :

والشمس ما رفت على صرحه
الا لمجد منه ضاق السعود
« كم عسجدت فى ساحه وانحنى
« زلفى اليها الفاتحون الصيد »

نجد ان ضرب البيت الثانى لم يخضع لموسيقا (فاعلان)

وكذلك فى قوله :

من زهر اللوتس (تيجانها) بعض النشاز الموسيقى اللهم الا اذا كبدنا « السين » عبء التضعيف وفى ذلك ايضا تشويه لموسيقا اللفظ عند النطق به .

على الصياد

حول الثورة الدينية الرابعة

دارت مناقشات هادئة هادفة على صفحات « الرسالة » الفيحاء حول « الثورة الدينية الرابعة » .. وقد ابدى عدد من القراء الافاضل آراءهم فيما يجب ان تكون عليه هذه الثورة .. وما يجب ان تشمله من نواحى النشاط لتكون كاملة الاطار متكاملة الجوانب ... والواقع ان هناك ملاحظة هامة اغفلها الذين تصدروا للكتابة فى الموضوع .. تتعلق بالأداة القادرة القوية التى يمكنها ان تحدث هذه الثورة .. ونحن اذا اغفلنا هذه النقطة بالذات فلن تخرج مناقشاتنا الى حيز التطبيق العملى .. وستبقى كلاما لا مفهوم خارجى له كأية مناقشات كلامية غير هادفة ..

لقد احدثت الثورة السياسية الكبرى التى قامت سنة ١٩٥٢ م تغييرا شاملا فى الهيئة الاجتماعية وتبع هذا التغير تغيير اكبر فى النظرة الى تاريخنا السياسى والقومى .. ولئن بدا هذا التغيير محدود الافق . ساذجا فى مستهله فان الثورة فى الفترة الأخيرة قد تنبهت الى هذا الامر ولعل فى مشروع وزارة الثقافة الخاص « بتجريد تاريخنا القومى والسياسى » والذى دارت حوله المناقشات عنيفة فى الأيام الاخيرة على صفحات الجرائد وفى المجلات .. لعل فى هذا المشروع اكبر دليل على نضج النظرة وصدقها ... والذى اريد الوصول اليه .. ان الأداة القادرة على تجريد تاريخنا السياسى كله هى وحدها القادرة على قيادة الثورة الدينية الرابعة من أجل الدين وفى سبيل تجريد علومه مما لحق بها . . ثم هى قادرة بعد هذا على اتاحة الفرصة كاملة لتظهر البحوث والمناقشات فى صورة وضاءة مشرقة يصل نورها الى الناس لا ان تظل محجوبة فى الأدمغة او فى اكبال وسائل نشر محدودة ... ان المناقشات حول الثورة الرابعة يجب ان تتجه الى هذه الاداة .. رافعة اليها امل المخلصين من ابناء الامة . واذا ما وصل هذا الصوت الهادف .. وتبعه فتح الباب على مصراعيه فى حرية تامة .. وخرجت جيوش الدارسين منظمة متعاونة تحت راية الاخلاص والحق ... اذا ما توافر هذا امكن لنا ان نضمن نجاح الثورة الدينية الرابعة . !!

عبد الحليم عبد الفتاح عوس

قصـــة العـــدد

اليقظـــة

بقلم الدكتور نجيب الكيلانى

صعد « عبد الجواد » الســلم الحجرى الذى يتلوى كالافعى ، كان يلهث لهاثا ملحوظا ، وجبينه الاسمر الشاحب يتفصد عرقا ، وبعد ان بلغ السطح ــ فوق الدور الســادس ــ لفحت وجهه المنهك المندى نسمة عابرة ، فاشاعت فى كيانه انتعاشــة خفيفة ، كانت الحجرة التى يقطنهــا هو وزوجه متهالكة كالحة وكانها مخزن للقمامة ، ولم يكن يجعلها مقبولة لديه ســوى ذلك الفضــاء الممتد امامها لا يشاركه فيه احد ، فاذا ما ترك حجرته الى تلك الرحبة شعر بما يخالج الحبيس فى قمقم وقد عادت اليه حريته ، وملأ صدره بالهواء ، ومد بصره الى بعيد حيث العمارات الشـــاهقة والمآذن والمداخن وعالم القاهرة الصاخب المؤار ..

ولم يكد يلقى بجسده على المقعد الخشبى امام باب الحجرة حتى هرولت اليه « نفيسه » تحمل فى يمينها منشفة مهترئة وفى يســارها قلة نظيفة باردة الملمس ..

***

كانت الارض تدور من حــوله ، وطنــين غامض ملحاح يملأ اذنيه ويصــدع راســه ، ويســدل على بصره غشاوة رقيقة تجعل المرئيات امامه مختلطة متداخلة لا توحى بغير الضيق والابهام والملل .. كل شىء من حــوله يثير الغثيــان .. كل شىء بلا معنى .. المصنع الذى يعمل فيه ، ســخريات العمال منه ، ضجيج الآلات ، صفارات البدء والراحة وانتهــاء العمــل .. الترام المزدحم بالركاب ، الشوارع الغاصة بالمارة والباعة والعربات ... كل هذا لا شىء فى نظر « عبد الجواد » .. فراســه يكاد ينفجر .. واحشاؤه تتلوى فى الم وساقاه لا تكادان تحملانه ..

وجاءه صــوت « نفيســة » ، نديا رقراقا فيه دفء وحنان : ــ

ــ « حمدا لله على الســلامة يا عبد الجواد »

فرفع اليها عينين محتقنتين زائغتين وقال : ــ

ــ « اكاد اجن » .

ادركت ماذا يقصد ، لكنها انغضت راسها فى اسى دون ان تند عنها كلمة واحدة ، وعلى الرغم من ان صمتها كان يحمل فى طياته الاجابة القاسية المعروفة سلفا الا انه هدر بصوت جريح : ــ

ــ « معــك فلوس ؟؟ خمســة قروش فقط يا نفيسه .. فى عرض النبى .. »

***

لم تر عيناه الدمعة التى افلتت من بين اهدابها السمراء الفاتنة ، وانحدرت على وجنتها الوردية البضة ، كل ملامح وجهها ــ برغم الاسى ــ كانت فاتنة رائعة ، لكنه كان يبحث عن شىء يتدلى من اذنيها ، او يحيط بعنقها ، او يزين معصــمها واصــابعها ، لكنها كانت انموذجا فريدا للجمال العارى من كل حلية .. بلا اقراط .. بلا اساور .. بلا عقد .. وهمست فى حزن : ــ

ــ « لم اعد املك شيئا .. انت تعرف .. »

ثم تنهدت فى الم واستطردت : ــ

« الن يتوب الله عليك .. »

فهب واقفا والشرر يتطاير من عينيه ، وقد اكتست سحنته بلون داكن مخيف ، ثم امســك بزندها فى عنف حتى كادت اصابعه المتشنجة تغوص فى لحمها وهزها فى جنون قائلا : ــ

ــ « ليس المهم التوبة الآن أيتها الغبية .. »

همست بصوت باك والرعب يسيطر عليها : ــ

.. « انا لا افكر الا فى سعادتك .. »

***

قال وهو يدفعها بعيدا عنه فى جفوة ، وضحكة هستيرية تنطلق من بين شفتيه الجافتين : ـ

ـ « سعادتى فى ان احصل فورا على « الأفيون » .. انه دوائى .. وروحى وحياتى .. استطيع ان استغنى عن كل شىء الاه .. اتفهمين ؟؟

نحت « نفيسه » القلة جانبا ، ثم اخذت تجفف دموعها ، وقالت وثورة عارمة تضطرم فى اعماقها خفية : ـ

ـ « لم يعد لدينا ما نبيعه .. »

.. « لأنك حمارة .. لا تفهمين .. »

كان يتكلم بلا وعى او منطق ، حينما يشعر بالحاجة الى « الكيف » ويعجز عن الوصول اليه ، يتحول الى حيوان شرس هائج ، ثم يتهاوى ككتلة من الأسى الضارع ، ويظل هكذا فى شبه غيبوبة يترنح ويتخبط حتى يصل الى ما يريد فيعود اليه الهدوء والسكينة ، ويرتمى الى جوار « نفيسة » سابحا فى اجواء من الوهم والسعادة الكاذبة ... كان يخيل اليه انه لو عاش بلا « افيون » فسينتهى امره الى خاتمة تعسة محزنة ..

***

وغمغمت نفيسه ونظراتها الوجلة مسددة اليه :ـ

ـ « ليس لى فى الأمر حيلة » .

فران عليه هدوء مباغت ، وبانت فى عينيه وعلى ملامحه الرقة والوداعة ، وهتف ضارعا : ـ

ـ « اعطنى قدمك فاقبلها..انقذينى هذه المرة .. ساكون دائما طوع امرك .. بل خادمك الامين .. روحى فى يدك يا نفيسه .. »

وهكذا تحول « عبد الجواد » من العنف والشراسة الى الرقة والوداعة كان على استعداد لان يفعل اى شىء ، ويدفع اغلى ما يعتز به حتى ينال قطعة صغيرة .. تافهة .. قاتمة اللون .. من الافيون .. لكن العين بصيرة ، واليد قصيرة .. ولا حل فى نظرها .. وفى النهاية .. وثب عليها كوحش ، ثم اشبعها ركلا وصفعا ، وبعد لحظات كان يهبط السلم الطويل كمجنون ، وامله كبير فى ان يرق المعلم « حموده » لحاله . ويعطيه قدرا يسيرا من الأفيون على أن يسدد له دينه بعد غد .. يوم تسلم المرتب ..

***

استقباله المعلم حموده فى فتور ، واستمع الى توسلاته وضراعاته دون اكتراث ، وقال وابتسامة صفراء ترقص اسفل شاربه الكث : ـ

ـ « يفتح الله .. »

ـ « لكنى سأرد الثمن مضاعفا .. »

ـ « كان على عينى .. »

وتمتم عبد الجواد فى يأس قائل : ـ

ـ « اليس هناك حل ؟ »

***

وكم كانت دهشة عبد الجواد حينما راى المعلم « حموده » يرفع اليه وجهـا مستبشرا يطفح بالسعادة . عند ذاك عاوده الامل . فاقبل على المعلم فى لهفة ، وعيناه مسمرتان على شفتيه ..

وهمس حموده : ـ

ـ « هناك حل واحد .. »

ـ « ماهو ؟؟ »

قال حموده وهو يغمز باحدى عينيه : ـ

ـ « نفيسه .. »

وهتف عبد الجواد وهو لا يفهم ماوراء كلمات « حموده » الخبيثة : ـ

ـ مالها نفيسه ؟؟ »

***

ـ « لترسلها الى الليلة .. ليلة واحدة فقط .. ساعطيك قرش افيون بحاله .. هل تفهمنى ؟؟

ودارت الارض بعبد الجواد ، وامتلأت راسه بضجيج بشع هائل ، لم يعد يرى شيئا سوى السواد الضافى الذى صبغ الوجود من حوله ، باع بالامس كل شىء ليحصل على الافيون .. واليوم يريدون أن يبيع شرفه .. يبيع نفيسه الطاهرة .. كل شىء حوله بلا معنى .. وحاول عبد الجواد ان يفيق الى نفسه ، وفتح عينيه من جديد ليرى الابتسامة الصفراء على ثغر المعلم حموده الذى قال : « اظنك موافقا يا عبد الجواد .. »

لم يتكلم عبد الجواد ، وفى سرعة خاطفة ، استخرج « مدية » صغيرة من جيبه ، واسكنها فى قلب المعلم حموده ...

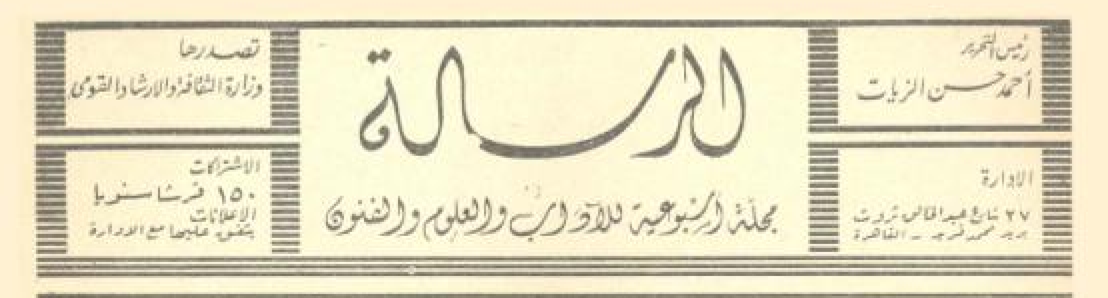
دكتور نجيب الكيلانى


الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ـ ١٠٣٤ ـ ٢١ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ ـ ٧ نوفمبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من حديث المرأة

بقلم: أحمد حسن الزيات

(٣)

الآن وقد علمت من حديث (حياة) كيف انتقلت المرأة المصرية في عهد الارستقراطية الاقطاعية من الجمود الى الليونة ، ومن الليونة الى الميوعة ، ومن الميوعة الى التدفق ، حتى انكرت من امرها ماأنكرت، أترجم لك رسالتها الجديدة وهى تصف التطور الثورى الذى نال النهضة النسوية كما نال غيرها فى هذا العهد الاشتراكى فجعل من المرأة خلية حية نامية تنقسم باستمرار فى جسم الامة فتزيده بدانة وذكانة وقوة :

قالت حياة بعد أن عبرت بأسلوبها الرومانسى الشاعر عن ابتهاجها بعودة الرسالة فى هذا العهد المبارك الذى بشرت به ومهدت له ودعت اليه فى حياتها الاولى ، وتمنت على الله أن يكون لها من هذه النهضة الشاملة أوفى نصيب :

« أنا اليوم فى السن التى تكره المرأة أن تبوح بها ، ولايحب الرجل أن يسأل عنها، لانها اذا زورت على السمع لايجوز أن تزور على البصر . أنا أم لابنتين جميلتين مثقفتين احداهما تلبس الدبلة فى اليد اليمنى للزوج ، والاخرى تلبس مثلها فى اليد اليسرى للخطيب ، ثم لثلاثة بنين جامعيين يؤدون واجبهم القومى فى القضاء والطب والهندسة . فأنا أراقب فيهم تطور جيل وتغير فكر وتكامل وعى وتفاعل ثورة وابتداء تاريخ .. أما البنون فلا يزالون على

طبيعة المخضرمين الذين عاشوا بعض أعمارهم فى عهد وبعضها الآخر فى عهد ، فهم يحاولون أن يكيفوا أنفسهم مع النظام الجديد ، وأن يطهروا قلوبهم من الرواسب الغليظة التى استقرت فى أعماقهم على طول الزمن والحاح القهر وفعل الوراثة ، ولكن أثر هذا التكييف وذلك التطهير لا يظهر عليهم ، لا بالسرعة التى تلحظ ولا بالقوة التى تكفى ، لأن هذه الرواسب المختلفة قد تراكمت فى القاع فمهما يجر فوقها الماء الطهور لايتخلل أجزاءها الكثيفة الا بقدر وفى بطء .

أما ابنتاى فالامر بينهما وبين اخوتهما جد مختلف . ووجه الاختلاف أن المصرية فى الكثير الغالب عاشت دهرا طويلا مسلوبة الارادة مغلولة اليد مشلولة العقل مستترة الوجود ، فكانت ترقب الفرص لتنطلق وتتحرر وتظهر وتستقل ، وتحاول تحقيق هذه الرغبات الملازمة الملحة عن طريق الحق والعدل فيأباها عليها الرجل لانه صاحب الحكم وواضع القانون ومالك القوامة ، فترتد الى خدرها المصون خائبة المسعى فاقدة الامل ، تحلم بالفضاء حلم الطائر الحبيس ، وتنزع الى الحرية نزوع البرىء السجين . فما هو الا أن رأت بين القضبان فرجة حتى خرجت منها متمردة على العرف المألوف ، متعدية الحد المشروع ، متحدية الرجل السيد . لأن الفرار من السجن هيام لا يؤمن معه الضلال أو العثار . ومن هنا أصاب النهضة النسوية فى هذا الطور انحراف فى بعض الطريق لافتقارها الى الدليل المرشد والغاية المعلومة .

فلما قامت الثورة المباركة وطبقت الاشتراكية العادلة ، وتكافأت الفرص بين الرجل والمرأة ، وأعلنت المساواة بين الذكر والانثى ، اعترت المرأة حال من (الرجولة) الطموح ربأت بها عن معيشة الترف والسرف والزينة ، ودفعت بها فى زحمة الحياة العاملة ، فجلست البنت على مقعد الدرس بجانب الولد ، وسابقت التلميذة التلميذ فى قاعة الامتحان ، ونافست الطالبة الطالب فى مدرج الكلية ، وزاحمت الأستاذة الاستاذ على كرسى الجامعة ، وزاملت الوزيرة الوزير فى شؤون الحكم ، وظهرت الموظفة على الموظف فى مكاتب الوزارة ، وقاسمت العاملة العامل خشونة العمل الشاق فى المصنع والمعمل ، وشاركت الكاتبة الكاتب فى التأليف والصحافة ، وزاولت الطبيبة والمحامية والمهندسة والصحفية والتاجرة الاعمال الحرة فلمعت فيها أسماؤهن لمعانا كاد يبلغ حد الاشراق ، ونازلت المرأة الرجل فى ميادين الخدمة والانتاج مسلحة بالعلم والعزم ، مزودة بالصدق والصبر ، حتى شارف المجتمع الاشتراكى الجديد تمامه الذى تمنيته أنت له من قبل ، فصار يعمل بيدين لا بيد واحدة ، ويسعى بقدمين لا بقدم واحدة . وتلاقى الجنسان وجها لوجه فى مجالات العلم والعمل والخبرة والمهارة فتسنى لكل منهما أن يختار شريك حياته على هدى وبصيرة فتحقق الزواج السعيد وتوثق الرباط المقدس .

***

علمت كل أولئك من تتبعى لاطوار النهضة ودراستى لاحوال الاسرة واتصالى المباشر بالتطور السريع الذى بدا على ابنتى الكبرى والصغرى فى الفكر والسلوك والتصرف . فسعاد ووداد أبتا الا أن تتمما الدراسة الجامعية ، وكان همهما أن تبرزا فيها تبريزا يضمن لهما المكان المرموق والمنصب الملائم . فلما تخرجتا متفوقتين طلبتا العمل على الرغم من ثرائهما الوافر وعائلهما القادر . ورفضتا الزواج الباكر المتكافىء المفروض ، وفضلتا أن تعايشا الناس وتلابساهم فى غمار العيش حتى اذا دعتهما الطبيعة الى بناء أسرة مستقلة وجدتا بالاختيار البصير العش الهادىء والزوج الصالح .

كانت ابنتاى لسانا واحدا فى هذا الرأى فلم أستطع انا وأبوهما وذووهما أن نناقشهما فيه ، ولا أن نصرفهما عنه ، لاننا لانزال نعتقد كما كنت تعتقد أن المرأة خلقت للبيت وليس عملها فيه بالهين ولا اليسير .

طرقتا باب العمل ففتح لهما من أول طرقة ، فعملت الكبرى فى احدى الوزارات والصغرى فى احدى المؤسسات ، واستجابتا لدعوة الواجب الوطنى فانتخبت سعاد عضوا فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وساهمت وداد فى احدى المنظمات الخيرية ، وصار حديثهما على المائدة وفى البهو شجونا مختلفة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والادب والفن ، الا اذا زارنا من صواحبهما من يعجبهن الكلام فى الزى والزينة فتشاركان فيه بالذوق السليم والخبرة الواسعة والتجديد المعتدل ، لان اشتغالهما بالعلم وانكبابهما على العمل واهتمامهما بالمنزل لم تنسهما أن تصففا شعرهما على آخر نموذج ، وتفصلا ثوبهما على أحدث طراز . ثم اختارتا بعد طول التجربة زوجيهما من زملائهما المثقفين الصالحين ، فتزوجت

مؤتمر الكتاب العربي في الميزان

للدكتور محمد احمد خلف الله

الآن وقد انتهى أسبوع الكتاب العربي يحق لنا أن نتناول أعماله بالنقد والتقييم ويستوي في ذلك عندنا معرض الكتاب ، وندوات أسبوع الكتاب ، وأعمال مؤتمر الكتاب .

لقد نجح المعرض نجاحا باهرا ، وحقق أغراضه كلها ، فعرف بالكتاب العربي حتى أقبل الناس عليه وأقبل الناشرون أنفسهم معهم . ويسر اقتناء الكتاب العربي حين جعل الثمن مخفضا بنسبة ٢٥٪ ، ومجزءا على أشهر السنة ، وأحدث بذلك رواجا في ميدان النشر وفي ميدان التأليف ، وأعاد الى الكتاب ثقته بنفسه من حيث أنه المصدر الاول من مصادر الثقافة والمعرفة ، وأنه لا خوف عليه حين يكون كتابا جادا .

ولقد أثلج الاستاذ العقاد صدورنا جميعا حين أجاب عن سؤال وجه اليه في احدى الندوات عن منزلة الكتاب الجاد بين الكتب العابثة في عمليات البيع والشراء . بأن الكتاب الجاد هو الذي يقبل عليه القراء وأنه شخصيا ، وكتبه كلها من النوع الجاد ، يجد اقبالا كبيرا على كتبه حتى انه ليطبع من بعض الكتب ثلاثين ألف نسخة وتنفد في أقرب فرصة .

ولقد نجحت الندوات الثقافية هي الاخرى نجاحا هائلا فاقبل الناس عليها اقبالا عظيما ، وقامت الألفة بين المؤلف وقرائه الى الحد الذي جعلهم يسالونه عن أخص خصائص حياته . وكشفت الندوات عن وعي ثقافي عند القراء جعلنا نطمئن الاطمئنان الكافي على أن مستقبلنا الثقافي في خير ، وطرح الناس من الموضوعات ما يدل على الاهتمامات المتعلقة بمشكلات: الادب الاشتراكي ، وادب اللامعقول ، والوجودية ، والعامية والفصحى ، والانتاج الفني في ميدان القصة والمسرح ، والشعر الحر المطلق من كل قيد ، وما الى

سعاد من مهندس ، وخطبت وداد لطبيب . ولم يسع الوالدين الا أن يباركا هذا الزواج ويوافقا على هذه الخطبة .

ارجو الايدور بخلدك أني أتخلف عنهما في حديث أو اختلف معهما في رأى . فان الفرق بيني وبينهما هو الفرق الضئيل الضيق بين نهاية جيل وبداية جيل . ولعلك تستطيع أن تحدد هذا الفرق اذا وازنت مثلا بين السيدات أمينة السعيد وسهير القلماوي ومفيدة عبد الرحمن وهن من أترابي وبين السيدات سلوى حجازي وليلى رستم وسناء جميل وهن من أتراب ابنتي ، فان هؤلاء وأولئك اذا ضمهن مجلس اندمجن في شعور واحد وتسايرن في اتجاه واحد ، فلا يكون بينهن جميعا الا ما يكون بين الثمرة التي نضجت في الخريف ، والزهرة التي تفتحت في الربيع . انه الفرق بين فصل وفصل لا بين أصل وأصل .

أنا لا أنكر أني ومن ذكرت من أترابي تقدمنا في عهد متخلف ، ووعينا في مجتمع غافل . فلم أجد لذلك في ابنتي ولا في جيلهما شذوذا عن سنة التطور ، ولا نشوزا في لحن الطبيعة ، ولكنني لو كنت وازنت بين الكثرة من نسائنا في الجيل الماضي والكثرة منهن في هذا الجيل لثقلت الكفة هنا بالعلم والعمل والاستقلال والتصون ، وشالت الكفة الاخرى هناك بالجهل والتبطل والتبعية والتبذل . ولكان من العسير على الباحث الاجتماعي أن يجد لهذه الوثبة النسائية الواسعة دافعا الا من روح هذه الثورة التي مست بعصاها السحرية كل سليب فأورق ، وكل عقيم فأنتج ، وكل راقد فأفاق ، وكل بطيء فأسرع . والثورة انفجار قوى عاملة كظمت عليها النفوس المقهورة طويلا حتى أعياها الكظم والكبت فانطلقت في كل سبيل تعمل وتنتج وتبني ، أو هي عصفة جارفة من غضب الطبيعة على عوائق الخير والصلاح التي قامت بالنفوس والشعوب فصدتها عن التقدم وردتها الى الوراء ، فتزيلها كما يزيل السيل الأتي أو الفيضان العتي السدود التي تراكمت في مجرى النهر فحجزت الخصب عن حوضه والري عن أرضه .

هذا على الجملة ياسيدي وصف أسرتي السعيدة ، وهو على التفصيل وصف أمتي الجديدة . فلم يبق الا أن نحمد الله ونشكره على أن هدانا أخيرا سواء السبيل ، وغمر حياتنا بالصباح الضاحي بعد هذا الليل الحالك الطويل .

(المعادي في ١٠/١٠/١٩٦٣) (حياة)

ذلك مما يتعلق بموضوعات الكتابة ، وأساليب الكتابة ، وعمليات الخلق الفني ، وارتباط كل ذلك بالقومية العربية والمجتمع العربي ، والحضارة الانسانية العالمية ·

ولقد حقق المؤتمر بعض النجاح اذ لم يصل النجاح فى أعماله الى تلك المرتبة التى وصل اليها نجاح المعرض أو نجاح الندوات الثقافية ·

ان المؤتمر لم يصل فى أعماله الى حلول حقيقية للمشكلات التى طرحت وانما دار حولها وانتهى منها بطرح للمشكلة نفسها على شكل توصية ، أو باعادة توصية لمؤتمر آخر فى مجال آخر ، أو بالتوصيات العامة المبهمة التى قد لا يحسن القارىء فهم مدلولاتها ·

خذ التوصية الاولى مثلا · وهى التى تقول : **يوصى المؤتمر بالبدء فى اجراء عملية مسح علمى للمكتبة العربية مخطوطها ومطبوعها فى فروع المعرفة المختلفة وذلك لتبيان الموقف بالنسبة لكل فرع من الفروع ليكون النشر قائما على أساس من احتياجات القراء ، ومن ملء الفراغ ، وأن ينسق العمل بين القائمين على ذلك فى أنحاء العالم العربى ·**

ان هذه التوصية تدعو الى عمل علمى بحت لا صلة له أبدا بما ذكر فيها من ان يكون النشر قائما على أساس من احتياجات القراء ، ذلك لان هذه الاحتياجات ليست الا الميول والاتجاهات وهى عمليات نفسية لا تحتاج الى عملية مسح شاملة للمكتبة العربية مخطوطها ومطبوعها ·

ثم ان هذه التوصية من حيث انها عملية علمية قد عقدت لها حلقة خاصة فى العام الماضى بمدينة القاهرة واتخذت فى سبيلها اجراءات معينة ·

عقدت حلقة الدراسات الاقليمية عن البيبليوجرافيا والتوثيق وتبادل المطبوعات فى الفترة مابين ١٥ـ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٦٢ بمدينة القاهرة وتحت رعاية السيد رئيس الجمهورية ، وبرئاسة السيد وزير البحث العلمى ، وبمشاركة هيئة اليونسكو ـ وكان من توصياتها : « **توصى الحلقة الدول الاعضاء فى الجامعة العربية واليونسكو بتشجيع تنمية خدمات البيليوجرافيا والتوثيق ، وتبادل المطبوعات ، وذلك عن طريق انشاء مركز اقليمى فى القاهرة للبيليوجرافيا ، والتوثيق ، وتبادل المطبوعات ، وتدريب الفنيين** » ·

وفى ديسمبر من العام الماضى عرضت هذه التوصيات على الجمعية العامة لمنظمة اليونسكو فى دورتها الثانية عشرة بباريس ، فوافقت على التوصية ورصدت مبلغا من المال لانشاء هذا المركز بمدينة القاهرة · وقررت ايفاد خبير لدراسة الموضوع والاتفاق مع المسئولين ·

حضر الخبير ، وهو مدير مكتبة جامعة كولومبيا ، ودرس الموضوع ، وأشار بالتنفيذ · وبدىء بالتنفيذ فعلا ، واختير لذلك قطعة أرض بشارع الهرم · ووضع السيد وزير البحث العلمى حجر الاساس لهذا البناء الذى يتم فيه هذا العمل العلمى الضخم ·

ان اعادة هذه التوصية فى مؤتمر أسبوع الكتاب العربى عمل لا مبرر له بعد أن أخذت الجمهورية العربية نفسها فى تنفيذ هذه التوصية ·

وخذ التوصية الثالثة مثلا وهى التى تقول : **يوصى المؤتمر بدراسة اقتصاديات صناعة الكتاب فى سبيل تحقيق هدف أساسى هو التيسير على القارىء وتقرير التعاون الكامل بين العناصر الداخلة فى صناعة الكتاب من تاليف ، وورق طباعة ، وتوزيع بحيث ينال كل منها نصيبا مقررا عادلا مع العمل على تخفيض سعر الورق تحقيقا لاشتراكية الثقافة ·**

ان هذه التوصية غريبة لان المؤتمر قد نقل ما هو من عمله الى من لست أدرى ؟ يوصى المؤتمر من ؟ هل يوصى الحكومات العربية ؟ هل يوصى الناشرين العرب ؟ هل يوصى المؤلفين أو الموزعين أو القراء ؟

كان على المؤتمر أن يبحث وأن يقرر النصيب العادل ، أما أن يترك المسألة على هذه الصورة فأمر لا أستطيع أن أقره · ثم لماذا طلب تخفيض أثمان الورق ولم يطالب بتخفيض أجور الطباعة مثلا ، أو نسبة الارباح عند كل من الناشر والموزع · لماذا وقف عند أثمان الورق بالذات ؟

ان المسألة قد تحتاج الى تفسير ·

***

وأكتفى بهذين المثلين لأنتقل الى الاسباب الدافعة الى ذلك ·

لا يرجع هذا فيما أعتقد الى عدم وضوح الاهداف، فالاهداف الداعية الى عقد هذا المؤتمر واضحة تماما· واضحة من خطاب السيد الدكتور عبد القادر حاتم

وزير الثقافة والارشاد القومى فى افتتاح أسبوع الكتاب ، وواضحة من خطاب السيد يحيى أبو بكر وكيل الوزارة للشئون الثقافية والاعلامية فى افتتاح مؤتمر الكتاب . فقد قال الاول منهما: **ولابد لنا ونحن نحتفل ببداية أسبوع الكتاب العربى من أن نشير الى حقيقتين هامتين للغاية تتعلقان بالكتاب كمسئولية يحملها جميع المشتغلين بالكتاب من ناشرين ، ومؤلفين ، وقراء .**

أولاهما : ان توسيع قاعدة الثقافة ، والتمكين لشعبية الكتاب ، واتاحة القراءة المفيدة لملايين الشعب ، لا يعنى امتهان الثقافة أو النزول بمستوى الكتاب ـ بل انه فى الواقع دافع الى مزيد من الاتقان والاجادة ، وتقدير المسئولية ، التى تقتضيها هذه الامانة الكبرى .

والثانية : أن ثورتنا ذات الاهداف الواضحة ، وذات المهمة الجادة الخطيرة ، ليس فيها مكان للمراهقة الفكرية أو الارهاب الفكرى ، وليس فيها مجال للعبث أو المتاجرة بالقيم الثورية التى تنبض بها الثقافة فى مجتمعنا الجديد . »

وقال الثانى : **والاهتمام بالكتاب ومستقبله ومشكلاته أمر طبيعى فى ظل ميثاقنا الوطنى الذى اكد ضرورة اتاحة الفرصة لتنمية ثقافة خلاقة، نابضة بالقيم الجديدة .**

هذا كله يقودنا الى لب المسألة وجوهرها ، والى النقطة التى ينبغى أن تبدأ منها المناقشات فى هذا المؤتمر .

أولا : أن الكتاب عملية خلق متكاملة تلتقى عندها جهود مشتركة يجب توفير التناسق فيما بينها .

ثانيا : ان الكتاب لايصبح كتابا فى الواقع بمجرد تأليفه أو طبعه ـ بل ان من الاهمية بمكان أن يصل الى يد القارىء . وحتى هذا لا يكفى وحده ، فلن يتحقق الغرض من الكتاب ، ولن تتم الدائرة الثقافية، الا اذا قرىء الكتاب فعلا وحدث نوع من التجاوب بين القارىء والكتاب .

وأرجو أن تسفر المناقشات عن توصيات ايجابية، بناءة ، تخدم الكتاب العربى ، وتحقق له مزيدا من النجاح فى أداء رسالته .

***

لقد حددت الدولة الداعية الى اسبوع الكتاب أهدافه تحديدا كافيا، تحديدا استفادمنه العارضون، واستفاد منه أصحاب الندوات الثقافية ، ولم يستفد منه بحق المؤتمرون .

قد يرجع ذلك الى طبيعة المؤتمرات وبخاصة فى بلادنا العربية فنحن قوم لم نزل بعيدين عن الدراسات الموضوعية فى أعمالنا ، فالمصالح الخاصة والمصالح الطائفية والنقابية تتدخل الى حد المنازعات فى المسائل الواضحة . وتكون النتيجة الحتمية ان يتدخل الاعضاء فى كل موقف رجاء التوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وتكون النتيجة الحتمية الاخرى هى الحلول الوسط التى يرضى عنها الجميع ، أو هى تمييع الموقف حتى لا يغضب أحد . ومن هنا تجيء التوصيات مبهمة غامضة أو غير قابلة للتنفيذ

لقد كان على المؤتمرين أن يحددوا خطواتهم نحو تحقيق الاهداف تحديدا علميا . تحديدا يقوم على تقسيم الموضوع الى الخطوات التالية .

١ ـ علاقة المؤلف بالقارىء .

٢ ـ علاقة المؤلف بالناشر .

٣ ـ علاقة الناشر بالطابع .

٤ ـ علاقة الناشر بالموزع .

٥ ـ العلاقات الاتحادية أو النقابية فيمابين المؤلفين بعضهم وبعض ، وفيما بين الناشرين بعضهم وبعض، وفيما بين الموزعين بعضهم وبعض .

ولو أن المؤتمرين فعلوا ذلك لوصلوا الى خير كثير، ولجاءت توصياتهم دقيقة محددة ، ولوضعوا دستورا للكتاب العربى يستفيد منه القراء ، ويستفيد منه المؤلفون والناشرون .

ونختتم هذا المقال بالرجاء فى أن يكون الاسبوع الثانى للكتاب العربى خيرا من الاسبوع الاول ، وأن تكون توصيات المؤتمر الثانى خيرا من توصيات المؤتمر الاول ، وأن تكون هذه الجوائز المالية التى أعلنت عنها وزارة الثقافة والارشاد خير حافز للناشرين على ان يجودوا فى أعمالهم وان يحققوا تلك الاهداف التى أعلنت عنها الوزارة فى مسابقاتها .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

صفحات من تاريخ العرب

للدكتور أحمد كمال زكي

الدعوات الشعوبية تريد اليوم أن تفصل اليمن عن الجسم العربي ، وتنكر تاريخه على اساس أنه احدى مراحل صراعنا القديم ، لان اليمانيين الذين ينتمون الى قحطان لايلتقون مع العدنانيين ـ وهم سكان نجد والحجاز فى الغالب ـ الا بقدر ما يلتقى هؤلاء بالآشوريين أو الاحباش ، فهؤلاء ساميون ٠ واليمانيون ساميون ، والعدنانيون بدورهم من ولد سام بن نوح ! ولو صح أن يقال لأى من اولاء عرب فليس يصح الا بمقدار دلالة العروبة على السامية أولا ، والا بمقدار اعتبار العربية اللغة الام للشعوب السامية ٠ ولما كانت الحميرية أقدم اللغات السامية فقد تصح فى هذه الحال النظرية التى تقرر أن اليمانيين عرب منذ خلقهم الله ٠

هذا المنطق الغريب ، أغرب منه أن يجد أصحابه مايظاهرهم فى التراث القديم وفى أبحاث المحدثين على حد سواء ، فثمة مؤرخون يقسمون سكان الجزيرة العربية الى جنوبيين وشماليين ، والجنوبيون عندهم هم اليمانيون أو القحطانيون ، والشماليون هم أهل نجد والحجاز ٠ والى جانب هؤلاء فئات تجعل للأولين لغة حمير وخطها المسند ، وتجعل للشماليين لغة عدنان وخطها لايعرفونه ، ويبرز منهم واحد كأبى عمرو بن العلاء يقول : مالسان حمير وأقاصى اليمن ـ اليوم ـ بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ! ومن بعده ابن جنى يقول : فلسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار !

ولم يشرح أصحاب مثل هذه القالات الاسباب التى توجب ذلك التقسيم جغرافيا ، كما لم يحققوا الجانب التاريخى منه تحقيقا يستند الى مناقشة صريحة للانساب العربية ، وبالاضافة الى هذا لم ينتبهوا الى أن اختلاف شكل الأبجديات ليس فيصلا فى اختلاف اللغات لان من عرب نجد والحجاز والجوف والحجر من كتب بالمسند ٠

ولقد ترتب على تسليم العلماء بذلك بقاء مشكلة ذات حدين : أولهما كيف كانت منازل القبائل فى الجزيرة العربية ؟ وثانيهما على اى أساس نجعل اللهجات الثمودية والصفوية واللحيانية ـ واصولها ومنازلها مجهولة ـ شمالية أو جنوبية ؟

نحن لانفترض أن جميع الابحاث فى هذا المجال قاصرة ، ولكن الذى نراه أقرب الى المعقول هو أن نلغى أولا القسمة الثنائية بناء على أسباب تاريخية جغرافية ، ثم نقسم اللهجات بعد ذلك الى بائدة وباقية ٠

***

وفى الناحية الاولى أقرر أن كل النصوص القديمة ـ عربية كانت أو اغريقية ـ لم تحدد حدا لليمن الذى ورد فى الكتابات القديمة بصيغة «يمنت» أو «يمنات» ولكنه كان فى القرن الثالث الميلادى على أيام شمر يرعش بن مالك ـ وهو تبع الاكبر ـ منطقة اكبر منها يمن اليوم ٠ وفى القرن السادس للميلاد او حول سنة ٥٤٠ كتب أبرهة كتابا يعلن فيه أنه «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات واعرابها» فوضع بذلك معالم لاتكبر عن معالم اليمن الذى حكمه تبع الأكبر ٠ الا أن هذا لم يمنع أصحاب كتب البلدان من أن يتسعوا بالحدود ـ فى متابعتهم لقبائل قحطان ـ فيدخلوا فيه حواف الجزيرة العربية المطلة على الماء باستثناء منطقة من تهامة ، مقحمين أرضين جنوبى فلسطين وفى النفود وبعض نجد ٠ ولما حاول الهمدانى ـ وهو يمانى ـ أن يفصل فى الامر خلط بين ما يمكن أن يكون للشمال وما كان فى نظر الأقدمين للجنوب ، وجعل كتابه «صفة جزيرة العرب» صورة للوضع السياسى الذى كانت عليه شبه الجزيرة عند ظهور الاسلام ٠

ولعل مصدر هذا الخلط هو عدم وجود حدود حقيقية تفصل بين اليمانيين وغيرهم من عرب نجد والحجاز ، ودليل هذا أن بطون حمير كانت منتشرة فى طول الجزيرة وعرضها ٠ فقد كانت يثرب يمانية وفيها الأوس والخزرج وهما من بنى مزيقياء الأزد ، وكانت منازل هؤلاء الأزد تمتد حتى منازل كنانة العدنانية جنوبى مكة ٠ واما خزاعة اليمانية فقد سكنت قرب الأبواء بين مكة ويثرب ، وقال المسعودى فى مروج الذهب : كانت ولاية البيت الحرام فى خزاعة ثلاثمائة سنة ! وطيىء اليمانية استقرت فى صحراء النفود فى الشمال مع بنى أسد القضاعيين ـ وهم من قحطان ـ وجاورت بكرا وغطفان الشماليتين ٠ وسكنت تنوخ القضاعية منطقة الحيرة ، وسكن اللخميون بعد سيل العرم منطقة العروض وجنوبيها ٠ واما كندة التى منها امرؤ القيس فهم السكاسك من بطون حمير

وكانوا يضربون فى نجد مصعدين شمالا ومتصلين بالروم أحيانا .

واذا صح أن هذه القبائل اليمانية كانت ترحل تباعا من الجنوب ، فان جهلنا بتاريخ رحلاتها يجعلنا نرفضها رفضا كاملا أو نشك فيها على الاقل . ومن ناحية اخرى لايمكن أن نثق بما يقوله النسابون والبلدانيون عن توزيع هذه القبائل فى تنقلات أسطورية عجيبة ، فلم يكن بين أيديهم الا روايات القاصين ، والا ما اثارته العصبية بين العدنانية واليمانية من امور آثار مثلها النزاع بين مضر وربيعة كما تحدثنا الاخبار .

ولقد كانت حياة الجوار تفرض أسبابها بلا نظر الى الجنس ، بحيث كان اليمانى يحالف العدنانى كما فعلت جديلة مع بنى شيبان ، ووجه الحلف ضد بنى عبس لاسباب اقتصادية خاصة . وفى الروايات أيضا أن عمرو بن حسان الذى ملك فى العهد المسيحى عقد حلفا كبيرا بين ربيعة وقحطان ، وان كنانة أيدت ذا نواس فى تنكيله بنصارى نجران ، وان المحرق - وهو جفنة الأصغر - كان يحالف ايادا وتغلب الشماليتين ليغير على ضبة المضرية التى كانت تسكن فى تهامة الشمالية ، وأن الأوس والخزرج كانا دائما على خصومة وعداء .

معنى ذلك أن سكان الجزيرة العربية اذا كانوا عدنانيين وقحطانيين ، فان هذا لايعنى أن ثمة شماليين وثمة جنوبيين ، وبالتالى لايعنى أن هناك هجرات جنوبية بالمعنى الذى يقترحه النسابون والبلدانيون .

ومن لم نقبل أن يفتخر واحد كامرىء القيس بنسبه اليمانى ، ولكن كما نفهم افتخار الفرزدق المجاشعى على جرير اليربوعى وكلاهما من تميم .

***

وفى الذى قيل عن منازل القبائل يصح مثله فى الحديث عن لغاتها أو لهجاتها ، ويبدو أن التقسيم الثنائى الذى رفضناه كان هو اساس فكرة اللغات أو اللهجات العربية الشمالية والجنوبية ، وقد خدع بمنطقه السهل كل من القدماء والمحدثين . ولم يستطع المستشرقون أنفسهم شيئا بعد أن عثروا على كتابات حميرية ومعينية وسبئية وكانت بخطوط ولهجات تبعد عما اثر لأهل نجد والحجاز . ولم يتردد الدكتور طه حسين بدوره فى أن يعلن فى كتابه « فى الادب الجاهلى » الذى طبع فى سنة ١٩٣٣ أن ثمة خلافا جوهريا « بين اللغتين العربية والحميرية فى مادة اللفظ وأصول النحو والصرف واتصال الجمل بعضها ببعض » .

ونحب هنا الا تأخذنا حماسة الدكتور طه فنزعم أن الصلة بين العربية والحميرية كالصلة بين العربية واية لغة سامية أخرى ، لانه فى الواقع لم يحسب حساب الزمن او لم يقدر بعد الشقة بين نص يرجع الى ماقبل الميلاد بثلاثة قرون ونص يرد باللغة الموحدة التى نزل بها القرآن الكريم فى القرن السادس الميلادى ، وفى هذا الزمن كان لابد أن يقع مثل هذا الخلاف بين قبائل نجد والحجاز انفسهم .

ولقد لاحظ المستشرقون تشابها كبيرا بين مختلف الاقلام التى اكتشفوها فى شبه الجزيرة . وعلى الرغم من اجماعهم على أن المسند الحميرى مشتق من الرسم الأبجدى للفينيقية ، فانهم ذهبوا الى ثمة خلافات اخرى كان منشؤها احتكاك المسند - على الايام - بالكنعانية والآرامية والنبطية المتأخرة ، ومع ذلك فان القلم الثمودى والقلم الصفوى والقلم اللحيانى - وهى عربية كالتى ظهرت فى الجوف والحجر - تشتق من المسند وترجع الى عدة قرون قبل الميلاد . والى جانب هذه اكتشفت نصوص فى نجد والعروض كتب بعضها بالمسند وبعضها الآخر بالآرامية ، وفى خرائب «زبد» جنوبى شرقى حلب عثر لاول مرة على قلم عربى وكان ذلك سنة ٥١٢ ، ودلت حروفه على تشابه بما اكتشف قبل من المسند والنبطى وغيرها . ومعنى ذلك أن الخط العربى الذى دون به الشعر الجاهلى وكتب به القرآن ، كان قد صيغ من اقلام متعددة كما صيغت اللغة الموحدة من لهجات مختلفة اشترك فى تنسيقها القحطانيون والعدنانيون باعتبارهم كتلة واحدة ليست بينهم فروق جوهرية .

ومما يؤيد هذا ان علماء اللغات الشرقية عندما قسموا السامية باسس مختلفة ، جمعوا العربية بالحبشية دائما ، فالذين قالوا بالسامية الشمالية والسامية الجنوبية ، يجعلون هاتين اللغتين فى قسم واحد ويجعلون العبرانية والآرامية والبابلية والكنعانية والفينيقية فى قسم ثان . والذين قسموا السامية اربعة أقسام ، يجعلون البابلية والأشورية فى الشرق والأمورية والآرامية فى الشمال ، والكنعانية والعبرانية والمؤابية والفينيقية فى الغرب ، والمعينية والسبائية

والاثيوبية والأمهرية والعربية فى الجنوب • ونلاحظ هنا أنهم يجعلون القرن الرابع بداية لانفصال الحبشية الى اثيوبية وامهرية ، ولم يحاولوا ان يفصلوا بين نوعين من العربية ، فكان هذا منهم احساسا بوحدة اللهجات القحطانية والعدنانية جميعا وان تمايزت باشياء لاتمس جذور الافعال وتصاريفها ومفرداتها وبعض مشتقاتها وبعض الاسماء التى ترمز لانواع التنظيمات السياسية والاجتماعية •

ويظهر أن الاختلاف بين لهجات القحطانيين والعدنانيين لم يكن كبيرا قرب نزول كتاب الله فقد كان ثمة ارهاص للتوحد وكانت اللغة رمزا لهذا الاتجاه، وظهر أن التباين بين القبائل لم يكن ليكبر حتى يبعد القحطانية عن العدنانية بعد هذين عن البابلية التى وجدت سنة ٢٢٥٠ قبل الميلاد ، او الكنعانية التى وجدت سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد •

ان عمليات الحج وتبادل المنافع وحركات التجارة والاجتماع فى الاسواق •• ان كل أولئك كان يفرض الالتقاء الفكرى واللغوى جميعا ، ومن ثم تهيأت النفوس لتلقى كتاب الله فى المستوى الذى يفهمه الجميع ، فاذا كان يحاجهم أو يقص عليهم او يشرع لهم فانما بلسانهم • ولتذهب بعد ذلك قولة ابن العلاء وقولة ابن جنى الى ماتذهب اليه هذه الاقوال التى وضعت – لاغراض شتى – من أجل اقصاء اليمانيين عن مجالات حيويتهم •

***

وبعد فكم يكون عبثا بعد ذلك أن نناقش فكرة العربية العاربة ، لان هذه بدورها لاتجد لها سندا من التاريخ • واذا شئنا أن نعدل شيئا قلنا ان قبائل الجزيرة كلها توارثت لغة ما ، وان هذه اللغة تطورت من حيث هى كائن اجتماعى ، وصارت فى تاريخ العرب صورة لنموهم وخروجهم من مرحلة الى مرحلة • فمن مات منهم مات معه بعضها ومن عاش أضفى عليها من أسباب المعاش ما أضفى •

ودور اليمانيين فى ذلك دور غير منكور، واسهامهم فيه كاسهام العدنانيين تماما • فمن مارى بعد فكمن يمارى فيما ندعو اليه من جمع الصف وشد الأزر لنسير معا الى أمام •

دكتور
أحمد كمال زكى

الثقافة كم وكيف

للأستاذ ابراهيم الابيارى

ان اليد لا تبلغ أن تكون صناعا تصنع كل دقيق معجب الا بعد أن تمارس هذا الصنع على صور أولى تترقى بينها من أدناها الى أن تبلغ أعلاها •

وعلى قدر ما تكون التجارب تكون الدربة : فان لم ينفسح للتجارب أن تمتد لن تنفسح للدربة أن تولد ، وهذه الجهود التجريبية التى تبدو عرضية هى فى حقيقتها جوهرية •

***

غير أنا مع الجهود التجريبية ملزمون بتصحيح التجربة واطرادها من حسن الى أحسن لنضمن بلوغ الغاية فى اقل وقت وبايسر جهد ، ولنأمن اعوجاج اليد وقصورها فتنطبع عاجزة ماسخة ، فى مقدورنا لو قومنا لها تجاربها أن نطبعها قادرة خالقة •

وكما أن اليد تصنعها تجربة • كذلك الفكر تخلقه تجربة ، تشترك التجربتان شيئا وتختلفان شيئا ، فما تمضى التجربة اليدوية دون أن تخلق فى الفكر وعيا • وما تمضى التجربة الفكرية دون أن تفيد منها اليد شيئا ، وهذا هو نوع المشاركة بين التجربتين •

غير ان كلتا التجربتين بعد هذا تمعنان فى الانفصال فاذا احداهما آلية بحتة واذا أخراهما فكرية بحتة •

***

والتجربة الفكرية كالتجربة اليدوية بدءا وانتهاء فى صور أولى تترقى بينها من أدناها الى أن تبلغ أعلاها •

فهى حين تبدأ تبدأ مثلها ، ثم هى حين تنتهى

تنتهي مثلها ، تجل عن أن ترجع القهقرى ، فكمـا لا ترجع اليد الصناع عن الحذق الى لا حذق الا مع العجز والكلال كذلك لا يرجع الفكر المثقف عن الغوص الى لا غوص الا مع الوهن والفتور .

***

وقد استقامت فى بصرك تجربة اليد التى تصنع فيها يدا صناعا ومن صاحبها صانعا ماهرا ، وبقى أن تستقيم فى خلدك تجربة الفكر التى تخلق فكرا مثقفا ومن صاحبه مثقفا واعيا .

والخطب فى تجربة اليد يسير ، فهى ذات صور متماثلة متكررة ، ثم هى ملحوظة العثرة لاتكاد عثرتها تدق أو تستخفى ! ثم هى مأمونة الاطراد لأن خطواتها يكاد يملى بعضها بعضا، ثم هى مضمونة الغاية لانها تكاد تكون محدودة النهاية .

لهذا اليسر كله فى تجربة اليد قدمناها وجعلنا منها مقياسا يقاس عليه ، مع ذلك الاختلاف الذى كنت تلحظ بعضه من بين هذه السطور .

واذا كنت قد عرفت تجربة اليد بدءا ونهاية فاعرف أن ذلك البدء بمراحله التدرجية هو الكم الذى أعنيه ، وأن تلك النهاية فى أوجها الذى لا تنحدر عنه هو ذلك الكيف الذى أشير اليه ، وأنه على هذا لا كيف ان لم يسبقه كم ، وانه لا بد لذاك الكم من مؤمنات ومؤمنات لتبلغ به الى كيف مأمون سليم .

***

وقد قلت لك ان الخطب فى تجربة اليد ، وأنا أعنى الكم ـ يسير ، اذ هى صور متماثلة متكررة ، قلت لك هذا لانتهى بك الى أن الخطب فى تجربة الفكر ـ أى الكم ـ عسير . وأول العسر فيها أنها الوان مختلفة ، فمداخل الفكر كثيرة . فهو ليس نتيجة بعينها بل نتائج متضامة تصور قضية أو حكما ، ومن أجل هذا تعددت المداخل ومن هذه المداخل تنفذ التجارب الفكرية المختلفة لتتضام آخر المطاف الى حكم أو لتصبح بمعنى آخر ثقافة ، وليصبح صاحبها آخر الأمر مثقفا ملما من كل شىء بطرف ـ كما يقولون ـ وان هو قصر فى طرف لم يبلغه كان محدود الثقافة أو ناقصها .

***

ولا تحسبهم أرادوا بالطرف شيئا ما يبلغ أن يكون الملمة ، بل ان الذى أرادوه بهذا الطرف هو الاستقصاء التام الذى لا يقف عند الجزئيات ، فهم يريدون أن يكون المثقف عالما بالأمور كلها اجمالا لا تفصيلا فلا يتحدث اليه متحدث فى أمر من الأمور الا وهو يجد عنده بصرا به ، فلا يدس عليه فيه ، ولا يلقاه معه على غفلة .

أرايت معى كيف تعددت صور التجربة الفكرية ، وأننا حتم علينا لنجعلها تجربة متكاملة تنتهى الى حكم كامل أن نكون حريصين على أن تدخل الى الفكر من جميع مداخله .

نعم علينا أن نوفر هذا الكم الثقافى للفكر الناشىء ، علينا أن نجمع له فروع المعرفة أولا كما لا كيفا ، أعنى أن نسوق له هذه الالوان ميسورة البسط ميسورة السرد فى أثواب مختلفة وألوان متعددة لنحقق للكم مدلوله من الكثرة ، اذ هذه الكثرة مقصودة فيه لنلح على الفكر الحاحا كثيرا وتدعه يستمرىء منها مايوائمه ويقف عند مايبهره . كما يجب أن نكون محتالين أشد الاحتيال ونحن نسوق هذا الكم فما أصدف الفكر الناشىء عن أن يلقن اذا ضاق بما بين يديه .

***

وقد قلت لك ان تجربة اليد ملحوظة العثرة لا تكاد عثرتها تدق أو تستخفى . وأنا أعنى أن التجربة الفكرية على العكس من ذلك لا تتكشف لك عثرتها مع وقوعها ، كما هى الحال فى عثرة اليد فتلفتك الى تقويمها فى حينها فتغدو آمنا ، بل هى تدق ولا تتكشف وقد تمعن فى الخفاء لتظهر بعد فوات الوقت فى صورة مجسمة يصعب عليك تغييرها . لذا كان واجب المشرفين على التجربة الكمية الثقافية عسيرا وصعبا ، وشرطنا عليهم أن يكونوا ذوى خبرة مستقرة لا خبرة متدرجة ، فيملون بما انتهت اليه خبرتهم المستقرة ولا يستملون مع غيرهم

من خبرتهم المتدرجة وهؤلاء المشرفون لهم الى شرطنا عليهم شرط علينـــا فلهم أن يملوا غير مردود عليهم كلامهم والا تعرضت التجربة للتشكيك ، والتجارب اذا مسها الشك من قرب أو من بعد فقدت الايمان بها الذي هو سر تقبلها ·

***

وقلت لك أيضـــــا ان التجربة اليـدوية مأمونة الاطراد لأن خطواتها يكاد يعلى بعضها بعضا ، وأنا أعنى ان التجربة الفكرية على العكس من ذلك غير مأمونة الاطراد ، فهي كثيرا ما تمنى بالتعثر كما انها كثيرا ما تمنى بالانحراف · لان الذهن غير اليد فى الطواعية والتقبل لهذا كان العلم وحده لا يكفى ، ولكن يجب أن يصحب العلم التشويق اليه منمرغبات ومشجعات تغرى بالتحصيل وتعين عليه ·

***

وقلت لك آخر ما قلت عن التجربة اليدوية انها مضمونة الغاية لانها تكاد تكون محدودة النهاية ـ وأنا أعنى أن الثقافة الفكرية ليست كالثقافة اليدوية تقف عنـــد غاية بل هى ممتدة امتدادا متصلا تطلب المزيد ، لذا كان واجبنا نحوها متصلا يرقى برقيها ويتصل باتصالها ، وحين يتخلف خطونا عن خطو الثقافة الفكرية يكون الركود ويكون التخلف ·

***

هذا هو الكم الثقافى بمظاهره الاربعـة : صوره المختلفة ، وعثراته الدقيقةالخفية ، وتعثره وانحرافه، وامتداده الى لا نهاية ·

ومع كل مظهر من هذه المظاهر عسر كثيرا علينا تذليله لنبلغ الى الكيف الثقافى ونحن آمنون أنا قد بلغنا أولا ، ثم آمنون أنا قد بلغنا كيفا صحيحا سليما ثانيا · فأنت ترى معى انه لا كيف قبل أن يسبق كم ثم انه لا كيف سليم قبل أن يسبق كم عولجت فيه هذه المظاهر الاربعة التى قدمتها لك ·

***

والدولة حين تعنى بتحقيق الاشتراكية المـادية يجب أن تعنى بتحقيق الاشتراكية الفكرية ، وهذا الكم الثقافى الذى هو الطريق الى الكيف الثقافى لن تحققهالفردية التى تختلف بين يديها وسائل التوجيه ان صحت نيتها على التوجيه ولكن تحققه الاشتراكية التى تتوحد بين يديها وسائل التوجيه وهى الى ذلك تملك النية الصادقة · وما الكم الثقافى املاء نزوات ونزعات ولكنه املاء رأى مدروس ومنطق مفهوم وما هو ميدان لكل هادم يدخل على الامة من طريق فكرها ليوزع عليها فكرها ويفسد عليها نفسها كما ليس متفذا للعابثين ينفذون منه ليفوتوا على الامة مقوماتها من أخلاق لتغدو غير ذات أخلاق ·

***

هـذه الاشتراكية الفكرية تدعونا الى أن نواجه الكثير مما يطالعنا فى الميادين الثقافية المختلفة التى هى ميادين الكم الثقافى من كتاب ومقالة وصـورة وقصة وشريط سينمائى وأن نـنـظر فى هذا وغيره متمثلين هـذه المظاهر الاربعة امهد للكم الثقـافى السبيل الى أن يبلغ الكيف الثقافى السليم ·

***

فلا زلنـا نقرأ الدعوة الهـادمة لمقوماتنـا من لغة وأدب ، ولا زلنا نقرأ الكتاب المشكك فى موروثنا ، ولا زلنا تطالعنا القصص ودور الخيالة بالكثير مما هو ليس من عرف البيئة القويم بل من شاذها المبعد فى الشذوذ الذى من شأنه أن يزلزل القيم الروحية

أجل ان كل كلمة تقال ، وكل حرف يكتب ، وكل نقش يصور ؛ وكل قصة تروى ؛ وكل فيلم يعرض ، هو الكم الثقافى الذى نريد أن نؤمنه للطبقات التى تعيش عليه ، ثم هو السبيل التى ننشدها للبلوغ الى الكيف الثقافى السليم · فلنتظر ونحن نشارك فى شيء من هذا كله الى هذه المظاهر الاربعة كلها ان كنا حريصين على أن نحقق اشتراكية ثقافية الى جانب الاشتراكية المادية ، وان كنا حريصين على أن نتوج جهدنا الكمى بجهد كيفى يمدنا بما افاده من هدى سليم ورأى سديد ، وكما اخذ يعطى ·

ابراهيم الابيارى

إسرائيل والتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا

بقلم : عواطف عبد الرحمن

ان الحديث عن العلاقات الوطيدة التى تربط اسرائيل بجنوب افريقيا لابد وان تسبقه الاشارة الى أحد الركائز الرئيسية التى تعتمد عليها اسرائيل فى تدعيم علاقاتها ورعاية مصالحها بجنوب افريقيا وهى الجالية اليهودية التى تعيش فى جنوب افريقيا منذ عام ١٨٤١ ؛ والتى يبلغ عدد أفرادها حاليا حوالى ١١٠ الف يهودى يمثلون ٧ ٪ من مجموع سكان جنوب افريقيا وينقسمون الى ٢٠٠ جماعة يهودية منظمة ورغم انه لا يوجد لهم حاخامات الا فى المناطق الرئيسية مثل جوهانسبرج وديربان وكيب تاون وبورت اليزابيث وبريتوريا الا أنهم منتشرون فى جميع أنحاء الاتحاد ومعظمهم من الارثوذكس والاشكنازيم وهم يميلون الى التركز فى المدن وقد بدأت أول جماعة من اليهود تستقر فى مدينة كيب تاون سنة ١٨٤١ وقد عرفت فيما بعد باسم تيكفات اسرائيل وقد كان عددهم سنة ١٨٩١ ٣ آلاف يهودى تزايد الى ٤٠ الف سنة ١٩٠٤ وبعد سنة ١٩٣٣ قفز عددهم الى الضعف بسبب هجرة عدد كبير من اليهود اللاجئين من النمسا والمانيا الى جنوب افريقيا .

وقد عمل اليهود بحكم ميلهم للتفرد والحرص على اظهار ذاتيتهم وعدم تقبيلهم للانصهار أو الزوبان فى المجتمع الذى يستقرون فيه على انشاء مدارس خاصة بهم ومجالس نيابية وتربوية وصحف قوية تدافع عن مصالحهم وتعكس وجهات نظرهم .

فقد أنشأوا سنة ١٩٢٨ مجلسا للاشراف على شئون التعليم وهو يشرف على مدرستين عبريتين فى جوهانسبرج و ٨٦ مدرسة مسائية و ٣٢ مدرسة حضانة وكلية عبرية كما انهم كونوا أيضا منذ سنة ١٨٩٦ مجلسا للنواب يمثلهم فى مختلف نواحى النشاط السياسى والمدنى فى البلاد .

أما صحافتهم التى يغلب عليها الطابع الصهيونى المتطرف فهى تعد أحد الابواق القوية التى تروج للصهيونية وتتبنى وجهات نظر الاحتكارات الامريكية ولا يعتبر ذلك موضع غرابة لان الاحتكارات الامريكية هى التى تمولها وتساندها وتضمن لها الصمود والاستمرار أمام منافسة باقى صحف الاتحاد .

هذا وتتركز الصحافة اليهودية فى جنوب افريقيا فى مدينة جوهانسبرج حيث يقيم أغلب اليهود وكذلك فى مدينة كيب تاون ويبلغ عددها ٤٠ صحيفة يومية واسبوعية وشهرية وسنوية وتتزعمهم ٣ صحف يومية تقود حركة الدعاية لاسرائيل والهجوم الشديد على الدول العربية وخاصة ج.ع.م وهى (جويش تايمز) . (جويش كرونيكل) ؛ (زيونست ريكورد) فالجالية اليهودية فى جنوب افريقيا تعد دولة فى داخل دولة لها صحافتها القوية ومجالسها النيابية والتربوية ولها شركاتها وفروعها الاقتصادية فى شتى أنحاء الاتحاد ولها أيضا وضعها السياسى المتميز فى داخل الاتحاد فهى وان كانت قد وقفت منذ البداية الى جانب الانجليز ضد الافريكانز فى حرب البوير واستطاعت أن تضمن بذلك عندما تولى الحزب المتحد الذى يمثل أبناء العنصر الانجليزى الحكم قدرا كبيرا من السيطرة على اقتصاديات الاتحاد وظلت تجنى ثمرات وقوفها بجانب الحزب المتحد حتى سنة ١٩٤٨ عندما جاء حزب الافريكانز الى الحكم ووجد الفرصة سانحة لهدم السيطرة الانجليزية اليهودية واعادة تنظيم الاتحاد ورغم ذلك .. رغم ان غالبية اليهود كانت تؤيد الحزب المتحد الا أنهم كانوا يسعون الى توطيد علاقاتهم بكلا الحزبين وتأييدهم وقد استطاعوا فعلا أن يحوزوا رضاء حزب الافريكانز عندما تولى الحكم بزعامة مالان الذى أبدى روحا طيبة نحو اليهود وزار اسرائيل تأكيدا لشعور الصداقة الذى يكنه لليهود واسرائيل .

لعلنا ندرك من خلال هذا العرض مدى ما تتمتع به الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا من تغلغل نفوذها فى السياسة والاقتصاد والدعاية والاعلام وهذه جميعها مؤهلات تجعلها جديرة بأن تسند اليها اسرائيل والصهيونية أيضا مهمة خلق وتهيئة الظروف الملائمة لنشر وتدعيم النفوذ الصهيونى والاسرائيلى فى الاتحاد وقد استطاعت الجالية من خلال استغلالها لجميع ظروف التناقض الموجودة فى جنوب افريقيا استطاعت أن تثبت للعالم أن الاساس العنصرى الذى قامت عليه دولة اسرائيل هو نفس الاساس الذى تتعامل به وتخطط عليه سياستها ومصالحها مع الدول الاخرى وخصوصا تلك التى تتبع الاسلوب العنصرى فى تنظيماتها السياسية والاقتصادية فلا يمكن أن نتجاهل ان اسرائيل التى قامت على جذور عنصرية متخلفة

تستطيع أن تعارض التفرقة العنصرية والاساليب العنصرية البغيضة التى تعد القانون السائد فى جنوب افريقيا الا فى حالة واحدة فقط . وهى عندما تجد ان مصالحها تتعرض للخطر فى حالة عدم معارضتها للتفرقة العنصرية . فهى تؤيد التفرقة العنصرية وسيطرة الرجل الابيض عن طريق تابعها الامين الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا ، وهى تعارض التفرقة العنصرية رسميا أمام الامم المتحدة. وذلك كى تضلل الدول الافريقية الناشئة وتضفى على نفسها موقف الدولة التى تساعد قضايا الشعوب فتضمن بذلك ترحيب الدول الافريقية واستعدادهم لتقبل مساعداتها وخبرائها .

ولا شك أن الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا لعبت دورا خطيرا فى رعاية مصالح اسرائيل واقناع جنوب افريقيا وحكامها بضرورة كسب اسرائيل فى جانبهم . لان كسبها يعنى كسب الاحتكارات الامريكية وضمان تدفق المساعدات الصهيونية الى الاتحاد ، وقد استطاعت اسرائيل أن تربح الكثير من جنوب افريقيا. فقد افتتحت جنوب افريقيا فى حيفا سنة ١٩٣٣ بنكا للبناء والرهونات من أهم أعماله انشاء المبانى ودور السكن وقد قام بعمليات قروض ورهونات فى القدس وتل ابيب ورأس ماله الآن أكثر من مليون ليرة اسرائيلية .

كذلك أنشأت جنوب افريقيا شركة المخازن والتموين الفلسطينية سنة ١٩٢٩ ولم يكن ليهود جنوب افريقيا وقت تأسيسها أى أسهم وأصبحوا الآن يملكون معظم أسهمها ، ويبلغ رأسمال هذه الشركة بما فى ذلك رأس المال الاحتياطى مليون ليرة اسرائيلية .

هذا وتوجد أيضا شركة الاستثمار المالى الافريقية الفلسطينية وقد تأسست سنة ١٩٣٤ . وهى تعد فى طليعة شركات جنوب افريقيا الاستثمارية فى اسرائيل ورأسمالها مليون و ٣/٤ مليون جنيه وتقع أهم ممتلكاتها فى القدس وعلى جبل الكرمل فى حيفا وفى القسم الشمالى من تل أبيب ، وتعمل هذه الشركة على اقامة مبانى وتمليكها للاهالى بالتقسيط ، وتمنح للاهالى قروضا للبناء والمشروعات التجارية بفائدة بسيطة .

ويضاف الى كل هذا النشاط الدائب المستمر الذى تقوم به الجالية اليهودية فى شتى الحقول السياسية والاقتصادية كى تساند اسرائيل وتفسح لها طريقا ممهدا لتثبيت أقدامها واكتساب جنوب افريقيا حكومة وأسواقا .

ولا شك ان اسرائيل تحاول استغلال النفوذ الاقتصادى الذى يتمتع به اليهود فى جنوب افريقيا وتأييد سياسة التفرقة العنصرية للتقرب من جنوب افريقيا وقد أدت سياسة اسرائيل هذه الى خلق جو من المجاملة المتبادلة بينها وبين جنوب افريقيا خاصة بالنسبة لمشكلتى التفرقة العنصرية وفلسطين، ولكن كما سبق أن وضحنا أن اسرائيل تخطط علاقاتها مع الدول الافريقية بالشكل الذى تضمن به أقصى معدلات الكسب من ناحية الحكومات والاسواق ، فهى على استعداد دائم لتغيير أسلوبها عندما ترى انه لا يخدم الخطة الموضوعة .

ففى البداية لم تكن اسرائيل لها شأن يذكر فى افريقيا ، ولم تكن افريقيا قد ظهرت بعد على المسرح العالمى. وكانت التفرقة العنصرية تجد تربة خصبة. فلم تكن الدول الافريقية قد استقلت بعد . ولم تكن ريح التغير بدأت تهب على افريقيا وكان تأييد سياسة التفرقة العنصرية يقرب اليهود الى كل من عنصر الافريكانز والعنصر الانجليزى، ولكن حدثت التغيرات الهائلة التى اجتاحت القارة بأكملها ، استقلت دول وظهرت دول جديدة واتحدت دول أخرى وأصبحت افريقيا تدريجيا تمثل ثقلا فى الامم المتحدة هذا فى القارة والعالم الخارجى أما فى داخل جنوب افريقيا فقد حدث الآتى : جاءت نتيجة انتخابات سنة ١٩٥٨ مخيبة لآمال اليهود فقد فاز الحزب الوطنى للمرة الثالثة بأغلبية كان لها أثرها فى احساس الافريكانز بقوتهم السياسية التى منحتهم حق فرض سيطرتهم الاقتصادية مما هدد مصالح اليهود الحيوية فى الاتحاد هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد اتجهت حكومة الحزب الوطنى نهجا جديدا بشأن سياسة التفرقة العنصرية فوضعت السياسة الجديدة المعروفة بسياسة (البانتوستان) وهى سياسة تستهدف تحقيق غرضين أساسيين :

أولا : محاولة ارضاء الوطنيين الافريقيين بمنحهم مناطق خاصة بهم تتدرج فى مراتب الحكم الذاتى الى أن تصل الى شبه استقلال .

ثانيا : تحقيق نوع من الاتصال التام بين الافريقيين وأبناء الجنس الاوربى واتاحة الفرصة كاملة لانشاء دولة البيض مع تجنيبهم الاحتكاك الدائم بالافريقيين واثارة الازمات العنصرية التى تعوق سيطرتهم وهذه السياسة تختلف عن سياسة الحزب المتحد فى ضرورة استمرار السيطرة المباشرة للرجل الابيض على الافريقيين .

لا شك أن هذه السياسة لو نجحت فانها ستؤدى الى ازدياد القوة السياسية للافريكانز واضعاف مركز الحزب المتحد كما انها ستؤدى الى انشاء مناطق خاصة للاوربيين سيكون للافريكانز الاغلبية فيها نظرا لانهم يمثلون اكثر من ٦٠٪ من الاوربيين مما يجعل الافريكانز يضمنون تولى الحكم بصفة غالبية فى هذه الدولة الجديدة ٠٠ دولة البيض وبالتالى ستكون لهم السيطرة الكاملة على اقتصاديات البلاد مما يهدد بشكل خطير مصالح اليهود والانجليز وفى هذه الحالة عندما راى اليهود أن التيار يسير فى اتجاه مضاد للخطة المرسومة بدأوا فورا فى تعديل أساليبهم حتى تتلاءم مع مقتضيات الظروف الجديدة ومصالحهم المهددة فبدأ عدد كبير منهم ينشق على الحزب المتحد وانضم اليهم عدد آخر من يهود الاتحاد البارزين واطلقوا على أنفسهم لقب التقدميين وأعلنوا رفضهم لكافة الاتجاهات المختلفة بشأن التفرقة العنصرية وخطتهم فى العمل على انشاء مجتمع متعدد الاجناس يتمتع فيه الجميع تدريجيا بالمساواة فى الحقوق والواجبات ولا شك انهم بذلك يضعون أنفسهم فى موقف المدافع عن حقوق غير الاوربيين خاصة واذا لاحظنا ان سياسة البانتوستان بوضعها الحالى لاتقدم حلا لمشكلة التفرقة العنصرية اذ سيبقى فى القطاعات الاوربية الجديدة خاصة فى المناطق الصناعية وحول المدن الكبرى حوالى ٣ مليون افريقى من العمال فضلا عن مليون وربع من العناصر غير الاوربية ستطبق عليهم الحكومة سياسة التفرقة العنصرية باعتبارهم اجانب فى الدولة الاوربية الجديدة ٠

يتضح لنا من ذلك ان موقف الفئة اليهودية المسماة بالتقدميين فى جنوب أفريقيا يكشف عن الانتهازية العريقة فهم بعد الدراسة الدقيقة التى قاموا بأجرائها على سياسة البانتوستان ومعرفة الصعوبات الفعلية التى تعوق تنفيذها علموا تماما أن اتجاه الاحداث فى القارة وفى داخل الاتحاد يحمل الفشل مقدما لهذه السياسة فاسرعوا برفع الشعار الجديد وهو المناداة بانشاء مجتمع متعدد الاجناس وان كان هذا الشعار لايختلف فى حقيقته الرجعية عن السياسة السابقة وهى البانتوستان ومع ذلك فقد أرادت هذه الفئة أن تبدو بمظهر المدافع عن حقوق غير الاوربيين وفى هذا ضمانا مؤكدا للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية وخاصة فى حالة فشل سياسة البانتوستان وهو المتوقع فعلا ٠

هذا من ناحية الدوافع والظروف الداخلية التى جعلت اليهود فى جنوب أفريقيا يتخذون هذا الموقف أما الدوافع الخارجية وهو ارتباط يهود الاتحاد ومنظماتهم بالصهيونية العالمية واسرائيل التى تجند كل خبراتها وامكانياتها المالية لكسب أكبر عدد من الدول الافريقية سياسيا واقتصاديا لعلها تجد لديهم مخرجا من الحصار العربى المفروض عليها ولكى تحقق باقى مبررات وجودها وهى أن تصبح الوسيط التجارى والمالى بين الدول الكبرى والدول الناشئة الحديثة الاستقلال وهذا أمر يستلزم ظهورها أمام الاخيرة بمظهر المعارض لسياسة التفرقة العنصرية وهى فى الوقت الذى تتترع فيه ضد سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا فى الامم المتحدة تمتنع عن التصويت على مشروع قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية ومقاطعة بضائع افريقيا بسبب اتباعها سياسة التفرقة العنصرية ٠

وليس من العسير تفسير هذا التناقض فى موقف اسرائيل تجاه سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا فهى تعارض التفرقة العنصرية عندما تتعرض مصالحها ومصالح الجالية اليهودية هناك للخطر والانكماش وهى تمتنع فى ذات الوقت عن الموافقة على قرار بمقاطعة جنوب افريقيا لاتباعها سياسة التفرقة العنصرية لنفس السبب وهو المحافظة على مصالحها ولو على حساب مصلحة الشعوب وامنها فاسرائيل تتقدم الى الدول الافريقية بكل المودة والاستعداد المغلف بالصدق للتعاون وفى ذات الوقت تطعن الدول الافريقية من فوق منبر الامم المتحدة ، وذلك من واقع سجلات الامم المتحدة التى تشهد بان اسرائيل لم تقف مرة واحدة منذ أن فرضت وجودها على الخريطة العربية كى تساند أو تؤيد قضية افريقية من أجل التحرر أو الاستقلال أوالسلم الداخلى ٠

عواطف عبد الرحمن

التباكي على القديم فن

للدكتور عبد الرحمن عثمان

ظننت أن صديقي يمزح حين قال لي : لقد تناولك كاتب في مجلة الرسالة تناولا غير رفيق . فقلت – ولم أكن قرأت شيئا – : وماذا في هذا ؟ أليس من حقه أن ينقد ؟ وهل تراني أكبر من النقد ؟ فقال في كثير من الجد : انه تجريح لا نقد . فرويت له : أن شتاما توعد صحابيا بأن سيهجوه هجاء ينزل معه قبره . فأجابه الصحابي : بل ينزل معك لا معي ؛ وهكذا زعمت أني أفسدت على صاحبي مزحته ؛ ثم مضى كل منا الى سبيله .

وحين قرأت ما كتب الدكتور أحمد كمال زكي بعنوان « الاتصال بالقديم فن » اتهمت نفسي بالقصور في فهم المقال ، فشرعت في قراءته مرة ثانية لاتثبت مما كنت أنكرته في القراءة الاولى ؛ فاذا أنا مع كاتب لم يحاول ان يروض قلمه على ما ينبغي لمثله من عفة وتواضع وتثبت ، حتى خيل الى أن القلم في يده « قفاز ملاكم » يشدخ به صفحة الهواء في ساحة « التمرين » قبل أن ينزل الى الحلبة لملاقاة غريمه .

وقد تحسست أثر المقال في نفسي فاذا هو مزيج من الاشفاق والمرارة ؛ فأما الاشفاق فعلى ما تضمن من دعاوى عريضة لم يسندها دليل واحد يمكن أن يستقيم في منطق العقل ؛ أو يهش له حتى وجدان أولئك الذين بدءوا يشدون بالادب في مستهل عهدهم به ؛ فمن ذلك ادعاء الزعامة المنهجية في الاتصال بالقديم ؛ والاستبكاء على تاريخنا وقوميتنا بأسلوب لا جديد فيه الا « منهجية » الاعلان عن النفس في دأب ومثابرة .

وأما المرارة التي مازجها الاشفاق فقد كان مبعثها ايثار الكاتب نمطا فريدا في عرض آرائه فيما كتبت عن أبي تمام ، وهو نمط لا يعرفه النقد النزيه ؛ ولا يرتضيه الناقد الثبت ؛ بل هو خروج الى المهاترة أو التجريح لا أراه يليق بناقد متعلم كالدكتور أحمد كمال ، فان الكلمة الجارحة اذا خرجت من فم صاحبها يود أن يسترها كما يستر المرء عورته عن الناس ؛ وللقراء على الكتاب حقوق واجبة الاداء .

ونحن اذا أهملنا من المقال نبرة الاستعلاء ، وفقرات الشتم المقذع ؛ يستقيم لنا منه – على ما فيه من غموض – أمران هامان : أولهما : دعوى الكاتب أنه من زعماء البحث المنهجي ، وأحد المشرعين للوسائل التي يمكن بها وحدها للكتاب أن يتصلوا بالتراث القديم !! وثانيهما : ما اعتبره الدكتور نقدا لما جاء في المقالين عن أبي تمام .

فأما الشطر الاول فانه ينطوي على جرأة مذهلة وتجاهل لما نادى به الاوائل من أجيال مضت ، فان محمد بن سلام الجمحي قد فجر الينبوع الذي يغترف منه شيوخ الادب ممن جاءوا بعده وذلك في مقدمة كتابه « طبقات الشعراء » فقد شكك في الرواية ، ودعا هو وغيره الى البحث والبصر الدقيق في هذا المجال ؛ يقول ابن سلام عن حماد الراوية (طبقات الشعراء ص ٢٣ ، ٢٤) : « وكان اول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ؛ كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الاشعار » ثم يقول : « سمعت يونس يقول : « العجب لمن يأخذ عن حماد !! كان يكذب ، ويلحن ؛ ويكسر » وقد شهد المفضل الضبي (م ١٦٨ هـ) أنه : « سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبدا ؛ فقيل له : وكيف ذلك ؟ ؛ أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ فقال : ليته كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ؛ ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه أشعار القدماء ؛ ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ » ؛ ويقول أبو الفرج (الاغاني ج ٥ ص ١٧٢) : وقد بلغ قول المفضل الضبي الخليفة المهدي ، فأكد له بالامتحان بين يديه ؛ فأمر المهدي بابطال روايته ؛ وفي المزهر (ج ٢ ص ٢٠٣) أن خلفا الاحمر ليس أفضل حالا من صاحبه حماد .

أفبعد هذه الحيطة في الرواية مجال لمستزيد؟؟!! على أن علماء الحديث – كما تعلم – أبلوا بلاء حسنا في وضع المناهج الدقيقة لتحقيق النصوص والاسانيد وكل ذلك فيما أظن ذائع مشهور ، ومن ثم لم يبق للدكتور أحمد كمال الا أن يقدم نفسه على الاستاذ أمين الخولي في شيء واحد لا يتعداه وهو الحماس للمناهج التي وضعها المتقدمون ؛ ويكون حسابه عندئذ على الاستاذ أمين الخولي ولا شأن لنا بما يشير اليه أسلوبه ؛ قال الدكتور : « ومن شهر واحد فقط كتب الاستاذ أمين الخولي مقالا في « المجلة » ينادي بما أنادي به .. وان تغير الاسلوب .. » ؛ ومعنى هذه الجملة – فيما أفهم – أن كل من يكتب عن المنهجية في الاتصال بالقديم يصبح عالة في أفكاره

على أستاذية الدكتور أحمد كمال زكى ؛ وان تغير منهم الاسلوب ٠٠!! وأظنه يقصد كل من كتب أو سيكتب فى عصرنا الذى نعيش فيه،ولعله لا يستطيل على الاوائل فاننى لا أزال حسن الظن بطموح الكاتب وحسن وزنه للامور ٠

واما اشفاقه على تاريخنا ان يذهب ، وتباكيه على معالم قوميتنا ان تتلاشى ، فمردهما ـ فيما يبدو ـ راجع عنده الى معنى عاطفى أو غيره ؛ وسواء أكان احدهما او هما جميعا فقد خفيت علينا الحكمة فيهما فذلك مما نحمد الله عليه ؛ لانه يكفينا مئونة الخوض فى أمور لا تتصل اسبابها بالتشريح للطرق الفنية التى تكشف عن التراث العربى القديم :

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

وبعد ، فقد كنت أحب للزعيم المنهجى فى الاتصال بالادب القديم أن يجرى أسلوبه على النسق الاصيل من الاعتماد على الافصاح عن الغرض المنشود فى يسر وجلاء ، وألا يرتاد به مجاهل « اللاشعور واللامعقول » لنفهم منه ما نفهم من الاساليب الجزلة التى درج عليها الاوائل ، اللهم الا اذا اعتقدنا أن الاسلوب هو الكاتب ؛ وحينئذ نظلمه فى مؤاخذتنا على غموض قوله : « ولهذا يجب أن نمد أعيننا الى أبعاد القضية ٠٠ » وقوله : « وربما فيما يرويه ابن النديم فى فهرسته عن أن اسحاق الموصلى لم يضع كتاب « الاغانى الكبير » ، وانما وضعه وراقه سندى ابن على ؛ لعل هذا يكشف بجلاء ٠٠ الخ » ٠

وليت الدكتور أحمد كمال زكى سكت بعد أن فرغ من وضع المزيج لى ان سولت لى نفسى الاقدام على بحث جديد اقدمه للقراء ؛ فان سكوته كان كفيلا بأن يمضى مقاله ـ على ما فيه من غمز ـ كما يمضى كل مقال الى غايته فى موكب من العجب والعجب على السواء ؛ ولكنه تورط فى نقد المقالين تورطا كنت لا أرجوه له ، فقد كان خطؤه فى المادة العلمية من الاخطاء التى لا يتورط فيها مثله بل من هو دونه ثقافة وتخلفا عن موكب زعامة المنهجية فى دراسة الادب ٠

فالجانب الثانى من مقاله يقوم على النقد الموضوعى كما قدمنا ؛ وهو جملة مآخذ اعتمدها على البحث ؛ وقضى فيها بآراء أجدنى جد خجول من وصفها ؛ ولكنى أدع القراء وأهل الرأى يخلعون عليها ما شاءوا أن يخلعوا ؛ وكذلك أجدنى خجولا حين أنادى بما كتب وكتبت من نصوص يستطاع الرجوع اليها فى اعداد مجلة الرسالة ؛ أو بابطالها بنظريات تعتبر بديهية فى الادب العربى :

اولا : ينكر على الدكتور الاضطراب فى مولد أبى تمام ووفاته ونسبه ؛ ولا يرتضى أن أذكر كل ما قيل فى هذا الصدد ، ويطالبنى بالرجوع الى كتب مفقودة تزيل أمر هذا الاضطراب ؛ واليك نص عبارته : « وليس يغنيه (الباحث) كتاب ككتاب ابن قتيبة ـ الذى رصد للمحدثين الى جانب القدماء ـ ولا كتاب آخر كطبقات ابن المعتز ؛ فثمة مئات مثله فقدت وهى تنسب لأبى الحسن الزيادى ودعبل الخزاعى واسماعيل بن أبى محمد اليزيدى وابن طباطبا العلوى وغيره » ٠

فهل أجد فى الناس عاقلا يحمل عنى مئونة التثبت من نسب أبى تمام وما يتصل به فى كتب مفقودة ؟

ثانيا : يذكر ان العصبية تجنح بالمؤلفين أحيانا الى اهمال شعراء وعلماء فيما يكتبون ، وهو عند الناس جميعا أمر مسلم لا جدال فيه ؛ ولكن الدكتور يزل فى الاستشهاد على ذلك زلة كبرى فيقول : « ٠٠ ذلك ان الأمر لا يقتصر فقط على اهمال ذكر الشخص ـ بسبب العصبية ـ كما فعل الاول ـ أبو الفرج ـ باسقاطه ابن الرومى ، وكما فعل الثانى ـ الطبرى ـ باسقاطه ابن حنبل » أفلا يعلم الدكتور أن السر فى اهمال أبى الفرج الاصفهانى لابن الرومى فى أغانيه ما كان عليه الشاعر من حدة لسان تناول بها الخلفاء والامراء ، وأن أبا الفرج كان يكتب كتابه لهؤلاء ؛ فلا مجال هنا للعصبية لان المؤلف والشاعر يدينان بالمذهب الشيعى ، وهى رابطة لا أظنك تجهل خطرها فى ذلك العصر ٠

ثالثا : ذكرت أن : « الاصمعى ـ كما تعلم ـ مخضرم عاش فى الدولتين الاموية والعباسية ؛ وشهد حركة الترجمة، واستمع الى المحدثين من أمثال بشار ، وأبى العتاهية ؛ ومسلم بن الوليد »

فانكر الدكتور على أن أفهم معنى الخضرمة كما ورد فى كتب اللغة ، وكما اتفق عليه كتاب الادب حتى أصبح بديهية فى افهام الدارسين ، وسواء أكانت الخضرمة شهود عصرين أدبيين ؛ أو كانت تكونا ثقافيا فى كليهما ، فما هو موضع الخطأ فيما ذكرت ؟ ألم يترام الى مسمعى الدكتور أن العصور الادبية تتداخل ، وأن الآثار العقلية والفنية تحتاج فى استوائها الى فترة ليست بالقصيرة ؟ ثم ألم يسمع عن حركة الترجمة فى العصر العباسى متى بدأت ؟ ومتى آتت ثمارها ؟ ولهذا ، فانى أجله عن أن يعود مرة أخرى الى تقرير مثل ما قرر فى مقاله اذ يقول :

« ويقرر — في المقال الاول — أن الاصمعي من مخضرمي الدولتين لمجرد أنه ولد سنة ١٢٣ هـ ، وهذا معناه أن الاصمعي تكون فكريا وفنيا وهو حول التاسعة لان « قيام » الدولة العباسية « وقع » سنة ١٣٢ هـ

نعم يا سيدي ان قيام الدولة العباسية وقع سنة ١٣٢ هـ ولكن قيام الاثر الفكري في حكم العباسيين لم يقع مصاحبا لتغيير نظام الحكم ، ومعذرة على القيام والوقوع وتكرارهما فقد درت في فلك الدكتور أحمد كمال زكي والاتصال بالقديم فن كما تعلم ·

رابعا : معلوم من الادب بالضرورة أن اهتمام العلماء والرواة في عصر بني أمية وصدر من العباسي كان مصروفا الى تدوين علوم القرآن والحديث واللغة — نحوا وصرفا ومادة — ولهذا تأخر تدوين الادب ، وفي مقالي الاول لم اقل اكثر من هذا ، ولكن الكاتب لم يفرق بين التدوين والاستشهاد وما يتصل بها من رواية الشعر، ومن ثم أثبت في مقاله نقدا هذا نصه: « وفيه — المقال الاول — يقرر أن الشعر كان يقال في عصر بني أمية للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة ؛ ولسنا ندري كيف على هذا الاساس يفسر نقائض الفحول وغزليات عمر بن أبي ربيعة وهاشميات الكميت ·· الخ » ·

وأنا لا أدري : كيف على هذا الاساس أجيب على نقده ؛ فحسبي أن أقتبس منه العبارة ؛ ولا أريد أن اقتبس منه فهمه في الخلط بين التدوين والاستشهاد بالشعر ·

خامسا : وقد أفاض الكاتب في زعامة بغداد وقصة بنائها ؛ وانه كان للكوفة والبصرة زعامة سابقة في الادب والعلم؛ وحسبي أن أنقل له من المقال نفسه ما قررت في هذا الصدد؛ قلت في المقال الاول: « فلا عجب أن تضم بغداد مثل هذه النخبة الذواقة؛ فلقد انتهى اليها المجد الادبي الذي كان للبصرة والكوفة ؛ وعقد لها اللواء الذي كان يرف على دمشق عاصمة الامويين » ؛ واظنني بعد هذا البيان في حل من تجاهل ما كتب الدكتور ؛ فلعله يريد أن يقول شيئا لا صلة له بالموضوع ؛ وذلك من خالص حقه فان من الاحاديث ما له أكثر من شجون !!

سادسا : عرضت المبدأ النقدي الذي كان يسود عصر بني أمية ؛ وانه كان يعنى بشرف القبيلة ؛ ويمتد بالعصر الذي درج فيه الشاعر ؛ وعلى هذين الميدانين مضيت في الاستشهاد لهما ببيت الصلتان العبدي في الفصل بين جرير والفرزدق ؛ وبما قاله أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل وشعره ؛ وذكرت في المقال الثاني ما أنقله للقراء : « والمذهب الذي تتحدث عنه كان في بني أمية معترفا به عند بعض الناقدين كأصل من أصول النقد الأدبي ؛ فالناقد حينذاك كان ينظر فيما ينظر من نتاج الشاعر الى نسبه ؛ فالشاعر المجيد الذي يجمع الى الجودة أصالة النسب وعراقة القبيلة يفضل آخر له القدح المعلى في دولة القريض لانه من قبيلة خاملة لم يكن لها يوم من أيام العرب في الجاهلية » ، ثم عقبت على هذا النهج بعد التمثيل له بقولي : «وهذا المذهب كما ترى حيف أي حيف ، وخروج بالموازنة عن تحكيم النص الأدبي الى التزكية بالأب والأم » ·

وواضح من كل هذا انني اقرر ما كان سائدا من المذهب النقدي عند الأمويين ؛ وواضح كذلك أنني لم أشر الى أبي تمام من قريب أو بعيد في هذا السياق واشد منهما وضوحا اني لم ادع تشريع مبدأ نقدي كما شاء للدكتور أن يتهمني ، وكل مافي الأمر أنه لم يكن امينا في الاستشهاد بما كتبت اذ بتر القضية واستمسك بقدميها وطرح رأسها جانبا ، قال الدكتور : « فهو يقول في المقال الثاني في معرض نسب أبي تمام — ان الشاعر المجيد هو : « الذي يجمع الى الجودة اصالة النسب وعراقة القبيلة » هذا ليقرر حقيقة أغرب من المبدأ نفسه وهي·· الخ»

وهذا نقد لا يستحق منا الرد لأنه واضح التلفيق بل هو بعيد كل البعد عما ينبغي أن يكون للعلماء ولكن العجيب في هذا الموطن أن يغمزني الدكتور الفاضل بقوله : « وليس يكفي أن يتسلح الباحث بعدة شعارات دخيلة ليناقش في ضوئها مشكلات ليست بمشكلة » ، وفي الصفحة نفسها ينصحني بأن : « اقرأ أولا نظرية هيبوليت تين ثم مناقشة سانت بيف معاصره لها » ، وعلى الرغم من هذا التناقض في منطوق عبارتيه ؛ اطلب منه أن يضع يدي على هذه الشعارات الدخيلة التي وردت في المقالين ؛ وانصح له في كثير من التواضع أن يقرأ نظرية « تين » ومناقشة « سانت بيف » لها في كتابي : معالم النقد الأدبي ·

فأما الدكتور الأستاذ محمد نجيب البهبيتي فاني آمل أن اقرأ بحثه عن أبي تمام ، فذلك مما أحرص عليه كل الحرص ؛ وسوف يكون ذلك عندي من حسنات الدكتور احمد كمال زكي فقد أرشدني الى هذا البحث بالاسلوب الذي اختاره لنفسه ، فليس هناك ماهو أجمل من زينة العلم وحسن الأدب ·

الدكتور عبد الرحمن عثمان

من تاريخنا المعاصر

مروءة فنان كبير

للأستاذ محمد رجب البيومي

اتفق لى أن سمعت عن الفنان الشهير عبده الحمولى قصصا متواترة تنبىء عن اريحيته النادرة ، وتشهد بان الفنان الاصيل اذا اجاب هواتف الخير والحب والانسانية فانما يستجيب الى مشاعره النبيلة ذات الهدف العبقرى ، اما من يحيدون عن مآثر المجد من ذوى الفنون فاما شذاذ يمثلون الاستثناء ، او دخلاء يغرون الناس ببهارجهم الخادعة ! وما زالت رسالة الفن على اختلاف أنواعه · رسالة الحق والخير والجمال !!

كان عبده الحمولى قمة فى فنه الصوتى ، ولسنا بصدد التحدث عن موهبته فقد يكون غيرنا اقدر على ذلك ممن تخصصوا فى دراسة الفن الغنائى وتاريخه المعاصر ، واذا كان لا بد من سطور ضئيلة تقدمه لأبناء هذا الجيل فاننا ننقل هذه النادرة الطريفة التى رواها الاستاذ عبد العزيز البشرى لتشير من بعيد الى روعة الرجل وتحليقه ، والاستاذ البشرى من أقدر معاصريه على الحديث عن أصحاب الفنون · حديث الموهوب المتذوق الطروب ، فهو يقول عن الحمولى فى مجلة الرسالة العدد (٤٢) ·

« ومابرح عبده الحمولى يضطرب بين الليل والعين حتى قال الجبار « اديني صابر على نارى » ولست بمستطيع أن اقول كيف قالهـا الرجل ولا كيف صنع ، لاننى انا نفسى لا أدرى ولا أحسب أحدا من الخلق درى كيف قال الرجل ولا كيف صنع ، ولكنى استطيع أن اقول ان طائفا عنيفا من الكهرباء سرى فى هذا الحشد لم يسلم منه أحد ، جمد النـاس جميعا وتقلقت أنفاسهم ، وشل كل مناط للحركة فيهم ، فما تحس منهم الا أبصارا شاخصة وأفواها مفغورة لو اطلعت عليهم لخلتك فى متحف يجمع دمى منحوتة لا أناسى يترقرق فيهـا ماء الحيـاة ، حتى القائمون بالخدمة لقد مسهم هـذا الطائف فجمدوا ووقفوا ! وحتى رداف عبده لقد جرى عليهم من هذا ما جرى على سائر الناس وظلت هذه الحالة برهة ! وينفجر البركان الاعظم يتطاير منه الحمم وترى الخلق يموج بعضهم فى بعض لا يدرى والله أحد أين مذهبه ولا تسل كيف قدت الحناجر من الشهيق ، ولا كيف بريت الأكف بالتصفيق وخرج الامر ساعة من عرس مقام الى مستشفى مجانين » ·

هذا الفنان الاريحى الشهم غنى اسـماعيل ذات ليلة فبلغ الطرب بالخديوى منتهاه ورجاه ان يسال ما يشتهى ، وقد توقع أن يطلب مبلغا من المال يربو عما يستحوذ عليه كل حين ! ولكن الحمولى نظر الى الخـديوى نظرة عميقة وساله : اتمنحنى يامولاى ما أريد ؟ فبادر اسماعيل بالموافقة فى تلهف ، فقال الحمولى : كل ما أريده أن تنقذ نشأت باشا مدير القليوبية السابق من محنته وتعيده الى مكانته ! ولم يكن الخديوى الناقم على المدير يتوقع مطلبا كهذا ، فصـاح فى غضب : ولكنى امقته وساريديه ! فرد الحمولى فى اباء : لن أطلب غير ذلك ، فالرجل حين رجانى كان يعلم أنى أهـل للرجاء ! ولن يغنى عن انقاذه ما آخذ من الذهب وان كان كالجبال ! فسكت الخديوى برهة ، ثم نزل على ارادة مطربه فعاد نشأت الى مكانته بعد ان كان من الموت على أمتار !

هذه الصلة الوثيقة بين الفنان وولى الامر لم تكن لتحول دون الاصطدام فى مازق خطير تجلت به همة الحمولى ورجولته ، وكشف عن معدن نادر لا يكاد يوجد بين الناس الا فى القليل ، فقد تزوج الحمولى بالمطربة الشهيرة « الملظ » واعلن فى الناس ان زوجته منذ اقترنت به لن تغنى أمام أحد من النـاس جل أوهان ، وكان اسماعيل ممن يعشقون غنـاءها ، ويقدرون موهبتها البارعة فى الترجيع والتطريب ، فاشار باستحضارها على عجل فى أحد مجالس طربه، وأرسل قوة بوليسية لاستدعائها على الفور ، مهما قامت الصعاب ، وقد أفهمه جلسـاؤه فى لباقة ان الحمولى قد حرم عليها الغناء تحريما لا سـبيل الى تحليله ، فاستهان الخديوى بمشيئة الزوج وأرسل حملته المزعجـة لاختطاف الزوجة ، وفوجىء الرجل الشهم بالموقف الصعب فتصدى للقـوة وحده ، وحال دون أمنيتها مستخفا بالتهديد والوعيد ؛ فلما تأزم الموقف أوصد باب المنزل ثم رمى بنفسـه من شباك خلفى ، واتصل سريعا باسماعيل باشا صديق وزير المالية وافهمه ان ذهاب الملظ الى القصر لايعنى غير انتحاره دون انتظار ؛ وكان الوزير قد أشفق على صاحبه فركب عربته الى الخـديوى وأخذ يصور له اصرار الحمولى وتشدده ، حتى مال به الى التسامح ، فأمر باحضار القوة البوليسية ورفع الحصـار عن

المنزل ، ولكن أثر الحادث قد ترك عقابيله في أعصاب الفنان الكبير فأسلمه الى الارق وهدده بالاعياء ، وقد كان في شجاعته هذه مثلا يروى في استهوال ، اذ كان الخديوي اذ ذاك حاكما بأمره لايقف امامه وزير او كبير ، وكانت أحكام المصادرة والنفي والسجن والقتل تصدر عنه في استهتار لا يعبأ بحق أو يتقيد بدستور !!

اما مروءته السمحة فقد اشتهرت بين العامة اشتهارا جعلها موضع العجب والاعجاب ! اذ أنه كان يبدد جميع ما يحصل عليه من الهبات تفريجا لغمة محتاج أو استجابة لصيحة لهيف ! واذا كان الرجل قد كسب الثروة الهائلة من حفلاته المتعاقبة فانه لم يبق منها على كثرتها شيئا في يده ، وقد ودع الحياة وليس بمنزله من المال ما يفي بنفقة الجنازة ! ومحفل التشييع !! واصحابه يذكرون أن بعض السائلين قد اعترض طريقه ذات يوم وليس في جيبه ما يفي بمعونته من العطاء ، فخلع خاتمه الذهبي ومنحه اياه ، وكان منشوري الشكل تقدر قيمته بألف جنيه ، ولكن همامته النبيلة لم تشأ ان يرجع السائل مجروح النفس فدفع اليه الخاتم عن مسرة وارتياح ! وللجود مذاق هنيء لا يستمتع به غير نادر من طراز هذا الانسان ! ولن يستكثر احد ذلك عليه أو يميل به الى المبالغة والتهويل فالحمولي يكسب مقداره في مجلس واحد فلا عليه أن يجود !

وحادثته مع سليم سركيس أشهر من أن تذكر ، فقد كان الفنان الكبير صديقا للصحافي الشهير يصاحبه كثيرا في مغداه ورواحه ، وربما كان يحمله على احياء كثير من حفلات الاعراس حسبة لوجه الاخاء ! وللحمولي في هذا المجال فتوة نادرة يتحدث بها عارفوه ، حتى أنه صمم في بعض السنوات أن يغنى مجانا في جميع الحفلات ليرتفع بالفن المبتذل اذ ذاك عن مستوى الكسب والاتجار ! اتفق بعض الوزراء ذات ليلة مع الحمولي أن يحيى زفاف نجله بألف جنيه ذهبي ، ومهد لذلك فاستأذن القصر الخديوي واقام سرادقا كبيرا ، يسع آلاف المشاهدين ، وتحدثت القاهرة كلها بما سيتاح لها هذه الليلة من ابداع الحمولي وتحليقه ، وما أزف الموعد حتى تقاطر الناس من كل فج يتقدمهم علية القوم من الامراء والوزراء وأرباب المناصب والوجاهات فاحتلوا الصفوف الاولى ، وتركوا ما خلفها للجمهور المحتشد يموج بعضه في بعض ، ولم تمض لحظات حتى حضر الحمولي يتقدم فرقته والى جواره صديقه الاستاذ سليم سركيس فامتعض أحد الوزراء لمرأى الصحافي اذ كان قد نقده في صحيفته نقدا عده غير لائق بمستواه كما زعم فأسر الى زميله صاحب العرس ان يبادر بطرد سركيس والا اضطر الوزير الى الانسحاب ، وقد ظن الرجل أن المسألة هينة ، فتقدم الى سركيس يأمره بمغادرة المكان ، وشاهد الحمولي حرج صديقه فرمى من جيبه بالجنيهات التى اخذها مقدمة لأتعاب السهرة وأمر فرقته بالتأهب للانفضاض ، فارتج المكان ارتجاجا رهيبا وحدث من الهرج والصياح ما جعل صاحب العرس يضرع الى الحمولي أن يبقى في مكانه على أن ينتظر معه سركيس فرفع الحمولي رأسه وقال في اعتداد : وعلى أن يذهب سركيس فيطرد الوزير الشاذ من الاحتفال ، وطارت الانباء الى المتغطرس الشموخ فانسحب متضائلا قبل أن يواجه بالابعاد ، وكان ما أتاه الفنان درسا قاسيا صفع وجوه المستوزرين من أبناء الذوات !!

هذا الموقف الكبير يصور الحمولي في اعتزازه وكبريائه أبهر تصوير وأحلاه ، كما يبرز تقديره الحي للوفاء ، وحرصه النبيل على كرامة الاصدقاء ، وهو من هذه الناحية لم يدخر وسعا في الترويح عنهم ، والتفنن في اسعادهم بما يريدون ! فاذا وفق في ذلك الى بعض ما يريد كان سروره بالمحل الارفع، كان الأستاذ خليل مطران يعاني هما شاغلا لنكبة ما حلت به ، فزاره الحمولي في الظهيرة ولمح مايعتلج وراء ابتسامته من وجد ! فاقترح عليه أن يذهبا معا الى حديقة الازبكية ويغنيه وحده هنـاك !! فوافق الشاعر ومضيا ، حتى اذا جلسا في ظلال بعض الغصون رفع الحمولي عقيرته يغنى بقول القائل :

ودواهي العيون شر الدواهي
أيقظتنا للحب وهي سواهي
واستمالت على القوى بهواها
فاستعنا على الهوى بالله

قال مطران ! وكان الهجير مشتعلا والبستاني يرش الماء ، فخيل الى لفرط التأثير من خلابة الصوت وعذوبة موسيقاه أن الحر زفرات عشاق وأن الماء دموع تتساقط ! وطربت طربا عظيما ، فلما شاهد الحمولي طربي وخلوصي بعض الوقت من الضيق كان ذلك أشهى لنفسه من أعظم أجر يتقاضاه !!

محمد رجب البيومي

همس الريف

للأستاذ عبد العزيز الدسوقي

تلاشت بأحلامي طيوف المغارب ... وجفت تراتيمي ، وماتت رغائبي
وعشت • وفي نفسي خريف مصوح ! ... وسرت وفي روحي ركام الغياهب
تصارعني الايام •• أحسو رمادها ... وأمشي على الاشواك مشية لاغب
كأني بأحزان الوجود موكل ... أهيم كطيف – ضل فى الكون شاحب
كأني في سفر الحياة صحيفة ... تسود وجه الارض شاهت مآربي
كأني في سمع الزمان جنازة ... تشيع أفراحي ، وتبكي ملاعبي
كأني همس الصمت فى هداة الدجى ... تطوف كأشباح الطلال مواكبي !
هتفت وفي قلبي دموع من الضنى ... سئمت موات النفس بين الخرائب
ويممت صوب الريف وجهي مفزعا ... يصاحبني همي وكل نوائبي !
آتيت اليك اليوم يا ريف هاربا ... فضمد جراحاتي ، وواس مصائبي

***

اتيت اليك اليوم يا ريف دامعا ... فيا أرض أحلامي اتخبو متاعبي
والقى ربيعي فى رباك فطالما ... هفوت لاحلام الربيع الذواهب
ويعمق احساسي ، وتصحو مشاعري ... وتسمو اغاريدي وتذكو مواهبي
سمعت نداء هز كل خواطري ... وعمق وجداني ، وأحيا رغائبي

***

تعال الى طهري ، تعال لفطرتي ... تعال الى حضني • • • وبين ترائبي
تعال : رسول الحق ، والنور والهوى ... لتشرب كأس البعث بين جوانبي
تحولت عبر الليل روحا محلقا ... يفتش فى المجهول •• عن طيف قارب
توارى • • • وملاح السنين يقوده ... بكل أغاريدي لأرض العجائب
وعدت بالحاني • • • وعدت بزهري ! ... تضيء طريقي • ساطعات الكواكب
فغردت للصمت المجنح للدجى ... لكل كلاب القوم بين المضارب
وطوفت منهوما بكل رغيبة ... اسامر أشباح النخيل المقارب
وتحنو على الجميز روحي وانثنى ... ليغسل فجر النور كل جرائبي !
تحولت عبر الصبح نورا مشعشعا ... اطوف مع الاطيار كل السباسب
أهيم مع العطر المزرج والشذى ... واملأ صوب النهر كل التوارب !
يفيض من الاحلام والحب والرؤى ... لتجرى باسم الله كل كتائبي
لقد كنت للمجهول أسرى مفزعا ... تقاذفني فى اليم كل المصاعب
وهاأنذا أمشي الى الشط آمنا ... تفيض بأفراح الوجود جوانبي
سلاما •• سلاما هاتف الريف لم يزل ... نداؤك يحيي ذابلات رغائبي
لك الخير يامهوى فؤادي ومهجتي ... ومعقل احلامي ومثوى ترائبي

الصغير الأسود

للأستاذ محمود جبر

جاء فى أخبار الصباح أن محكمة روديسيا الشمالية قد اصدرت حكمها بضرب الفتى الابيض اربع عصى لانه قتل برصاص مسدسه فتى أسود من أهـل روديسيا كان يعبر الطريق الى مسكنه الفقير حيث تنتظره امه التى مات زوجها فى كارثة أحد المناجم التى يمتلكها هؤلاء السادة البيض .. فمات محترقا.

فأثار هذا الخبر المتواضع فى زاوية مهملة من زوايا الاخبار الشاعر فكانت هذه الابيات :

أختاه يا أم الصغير الاسـود ... البيض قد أخذوا بثارك «زغردى»
ان الذى أردى الصغير بطلقة ... ضربوه تمويهـا بكف السيـد
أرأيت يا أختاه أى عـدالة ... نالتك فى عصر الرقى الأمجد
شاءوا له الموت السريع تلطفا ... فقضى الصغير من الرصاص المحصد
لم يركلوه ولم يسـيموه الاذى ... كأبيـه محترقا بنـار الموقـد
أرأيت شـرع البيض يازنجيتى ؟ ... فلتفرحى بقضـائهم ولتسـعدى
يا أخت هل جنت النعيم بأرضـهم ... ان جنت أرض البيض صلى واسجدى
البيض يا أختـاه جـل جلالهم ... المالـكون لكل ما ملـكت يدى
البيض ياأختاه من الق الضحى ... لكن لونك انت لون الأثمـد
يارب قد سويتنى وخلقتنى ... واخترت لى لونى فلم أتمرد
يارب ان البيض قد سفكوا دمى ... هلا مزجت دمى بحقد أسود
يارب لون البيض يشعل ثورتى ... البيض كل البيض هذا المعتدى !
ولدى الصغير غدا سأغرس زهرة ... من فوق قبرك .. فانتظر ولدى غدى
هى من دمى .. لامن دماهم .. لاتخف ... أنا لا ألطخ بالقذارة معبـدى

الشاعر الخالد : على محمود طه

للشاعر زهير طه البيومى

بمناسبة ذكراه الرابعة عشرة

يا شاعر الخلد من بالخلد ترويه ... بماء شعرك ، تنساب المنى فيه ؟
شعر يفيض ، كما شاء الخلود له ، ... بما تدفق من ســامى معانيـه
ألفـاظه ومعـانيه تكاملتـا ، ... فصدره نغمـات من قوافيـه
شعر هو النفس ، تصوير وتجربة ... من ابتسام ، وأحـلام ، وترفيـه
ضربت فى الكون تمشى فى منـاكبه ... على سفين تهادى فى مجاليه
هل الليـالى التى خلدتهـا صورا ... ما زلت تنظمها فى عـالم التيه ؟!
وهـل هنـالك سمار وزاوية ... ان قلت شعرا مضى للناس يرويه ؟!
وهل هنالك ، يا ملاح ، جـاريه ، ... ق الكوثر العذب تسرى فى نواحيه ؟!
وهل شراعك ما زالت تداعبه ... يد النسيم ، وبالاسفار تغريه ؟!
مالى أسـائل ... لارد افوز به ... ممن فؤادى بأشعارى يناجيه ؟!
هل لاذ بالصمت ؟! .. لاعهدى به غرد ... والكون ، فى خاطرى ، احدى أغانيه
تحلق الآن فى الآفاق عاليـه ... ذكراه ، والخلد من رواد ناديه
من عـاش للفن لايفنى وان بليت ... رفاته ، فجـلال الفن يحييـه

فى ذكرى العدوان الثلاثى

للاستاذ : جودة قمر

للعدوان الثلاثى قصة تذكرنا بالفشل الذى منى به الاستعمار الغربى ليس فى الشرق الاوسط فقط بل وفى دول افريقية وآسيا . فلقد نجح العرب فى كشف مناورات الاستعمار وفشلت منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وفشلت بعثة تمبلر وسقط مشروعه وسقط حلف بغداد .. نتذكر ايضا فشل سلوين لويد فى رحلته التى قام بها فى الشرق الاوسط والبحرين وفشل الاستعمار فى اعادة عقارب الساعة للوراء وعودة الرجعية فى اليمن ولا ننسى فشل فرنسا فى اجبار مصر للتخلى عن مساندة الجزائر التى نالت استقلالها بالحديد والنار .

ففى ذكرى العدوان نتذكر معا لمحات من مراحل الفشل التى لحقت بالعدوان الغاشم ، لقد تكتلت الدول الاستعمارية وحاولت فرض الحلول التى تنتقص من سيادة جمهوريتنا التى وقفت وراء قائدها كالطود .. اممنا القناة وصممنا ان نبنى السد العالى باموالنا فاهتزت الدول الغربية . ويجدر بنا أن نعرض لمحة سريعة عن موقف ممثلنا فى جلسة مجلس الامن يوم ٢٦-٤-١٩٥٧ التى اعلن فيها ان تلك الاحداث المؤسفة التى اعقبت قرار مجلس الامن فى ١٣-١٠-١٩٥٦ بشأن الملاحة فى قناة السويس لم تحمل ولن تحمل حكومتنا على تغيير موقفها .

وهاجم ممثلنا المندوب الفرنسى والمندوب الاسترالى فى جلسة ٢٦-٤-١٩٥٧ فاوضح أن لمصر كل الحق فى اتخاذ الخطوات اللازمة للدفاع عن نفسها وليس لأجنبى التدخل بحجة تخريب القناة

ولقد كان العدوان الغاشم اختبارا لنا ولصلابتنا ولتضافرنا ولتضامننا .. لقوميتنا ولسياستنا الاستقلالية التحررية التى انتهجتها جمهوريتنا بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

ففى ذكرى العدوان الثلاثى نتذكر نتائجه السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ومدى اثرها فى مجتمعنا وهيا بنا نستعرض بعض تلك النتائج الهامة التى اغتنمتها جمهوريتنا :

أولا : انقضاء اتفاق ١٩-١٠-١٩٥٤ بشأن تنظيم عملية الجلاء عن منطقة القناة المعقودة بين مصر وبريطانيا واعتبار هذا الاتفاق لاغيا اعتبارا من ١٩٥٦/١٠/٣١

ثانيا : تقلص النفوذ الاجنبى بصفة عامة والنفوذ الانجليزى بصفة خاصة فى دول الشرق الاوسط وذلك بفضل مساندة مصر للدول العربية الشقيقة ففى عام ١٩٥٧ قامت تركيا بحشد قواتها على الحدود السورية وافسدت المؤامرة الاستعمارية التى كانت تختفى وراء نوايا تركيا العدوانية ولاننسى ايضا فشل مشروع ايزنهاور بملء ما أسماه بالفراغ بالشرق الاوسط ، ولا ننسى قيام الجمهورية العربية اليمنية التى ساندتها جمهوريتنا بجميع المقومات المادية والعسكرية ضد التعاون الاستعمارى الرجعى ولاعادة الملكية الرهيبة بعد قيام الانتفاضة الثورية التقدمية فى اليمن . وانتصرنا فى قهر الرجعيين والاستعماريين ورفعت راية الحرية والاشتراكية على ربوع الجمهورية اليمنية .

ثالثا : كان من نتائج العدوان انتصار جمهوريتنا فى معركة بناء السد العالى وتولت مصر ادارة قناة السويس فازداد رصيد مصر من العملات الصعبة وحطمت الحصار الاقتصادى وحررت حكومتنا المواطن من الاقطاع والراسمالية الاحتكارية وتضاعف الانتاج الزراعى والصناعى وزادت الخدمات وفتحت المصانع ورفرفت على مجتمعنا اعلام الاشتراكية .. مجتمع الكفاية والعدل والمساواة مجتمع السعادة والرفاهية

وفى ختام المقال لا ننسى تلك المناورة البارعة التى لجأ اليها حزب البعث فى تبرير قيام تلك الوحدة الهاوية زاعما انها تقوم لتحرير فلسطين ... وفى رأينا أن انفراد بعث العراق مع بعث سوريا فى القضاء على اسرائيل يبدو مضحكا من الناحية الاستراتيجية ومن الناحية الشرعية فهل نسى يا بعث سوريا معاهدة الدفاع المشترك التى تقضى بعدم الانفراد فى معالجة الشئون العسكرية ضد اسرائيل... نحن لانأبه بالمتاجرة المليئة بالشعارات الزائفة فالاعيب البعث معروفة منذ قيام الجمهورية العربية المتحدة باقليميها عام ١٩٥٨ ولن تترك الامة العربية للاحزاب المتاجره بقضية العرب الاولى ، فالحل الحاسم لها يجب أن يكون حلا ايجابيا صريحا يستمد قوته وعناصره من العدل والانصاف ويستند الى ميثاق هيئة الامم المتحدة . وتوصياتها ، فاذا عجز العدل وانخذل الحق تكون الكلمة العليا للشعب العربى فى الامة العربية جمعاء .

جوده قمر

في موكب العلم

الشهب
بقايا انحلال ام نوى كواكب

بقلم : فوزى الشتوى

شهب كالقطن المندوف

اعلن الدكتور « فرد هويبل » من أكبر علماء طبيعة الفضاء ومدير المرصد السميثونى ان اكثر الشهب السابحة فى الفضاء كالقطن المندوف ، وانها لن تؤثر على سفن الفضاء فى رحلاتها الى الكواكب ٠ وبنى حكمه على البيانات التى ارسلها القمر الصناعى المستكشف السادس عشر الذى أطلق فى ديسمبر الماضى ، واستمر يرسل بياناته عن حالة الشهب مدة سبعة اشهر ونصف شهر ٠ وكان على ارتفاعات تتفاوت بين ٧٤٤و ١١٦٨ كيلومترا من الارض ٠

وقال ان القمر سجل ٦٤ شهابا استطاعت اختراق رقائق معدنية من النحاس ، أو الصلب ، او مخلوط البريليوم والنحاس ، ولكن هذه الرقائق كانت مصنوعة من صفائح أرق بكثير من جلد سفينة الفضاء ٠ برغم هذا العدد ، فان خطر الشهب على سفن الفضاء قل عما كان متوقعا بمعدل ١٠ آلاف مرة ٠

وفى الوقت الذى كان القمر الصناعى يجمع بياناته ويرسل سجلاته كانت مجموعة اخرى من آلات التصوير ومناظير الراديو على الارض تلتقط اشارات الشهب ٠ ومنها عرف أن القمر الصناعى تعرض لفيض دافق من زخات الشهب ، مما جعل عدد الشهب المخترقة لصفائحه يبدو تافها ٠

واعلن العالم الامريكى أيضا ان الثقوب التى حدثت فى رقائق اختبار الشهب ايدت النظرية القائلة بأن نثار الشهب هو اللب الذى تتجمع حوله الغازات فى الفضاء ، فهى فى الواقع كالقطن المندوف، ومن العسير القول بأنها ستؤثر على سطوح سفن الفضاء وتحدث بها خدوشا تجعلها معتمة رغم أنها تنقض عليها بسرعة فائقة ٠

٠٠ وشهب كالرصاص

وميز العالم هذه التكوينات الهشة عن الاجسام الصلبة الاخرى التى تشبه قذائف الرصاص ٠ وهى فى الواقع نوع من الكويكبات التى يسود الاعتقاد بأنها اجزاء تناثرت من الكواكب عند بدء تكوينها ، وتتفاوت كتلها من عدة اطنان الى كتل فى حجم قبضة اليد ، الى نثار لا تراه العين ٠

وتسير هذه الكتل فى مدار بيضاوى شديد الاستطالة حول الشمس ، وكثيرا ما تعترض طريق الارض فى أثناء دورانها ، مما يشكل خطرا كبيرا على سفن الفضاء اذا ما التقت بواحدة منها ٠ ولم تعرف بعد الصلة بين هذه الكويكبات وبين مجموعة الكويكبات التى تدور حول الشمس بين كوكبى المريخ والمشترى ، وقيل انها كانت كوكبا ثم انفجر الى تلك الكويكبات الصغيرة ٠ ويسميها البعض تجيميات وهى الترجمة الحرفية للفظ الاجنبى ٠ ونؤثر عليه لفظ كويكبات لانه اصح من ناحية الدلالة ٠

ولا تعد البيانات التى أرسلها هذا القمر بخاتمة المطاف فى دراسة الشهب والنيازك ، بل تنوى امريكا فى السنة القادمة ان ترسل قمرين كبيرين تخرج من كل منهما اجنحة ذات رقائق مساحتها ١٨٦ مترا مربعا لجمع مزيد من البيانات ، فان المساحة التى عرضها المستكشف السادس عشر كانت ٢ر٦ من الامتار المربعة ٠

جاذبية لكل جسم :

واى جسم سابح فى الفضاء مهما كان صغيرا يخضع لقوانين الجاذبية ٠ وتبعا لسرعته يسير فى المدار التى تقرره هذه السرعة ٠ وهو يتأثر فى سيره بعوامل الجذب المختلفة مما يشاهد على ارضنا حين يطل عليها القمر ، فيحدث المد فى البحار ، فاذا

ما ابتعد احدث الجزر . وتتكرر الظاهرة نفسها فى القمر نفسه ، فيتقرب من الارض اذا ما واجه فيها نتوءا او جبلا .

وبسبب هذه الحركات التى تتأثر بتضاريس الارض والقمر تعذر على العلماء أن يعرفوا حسابات سيره بالضبط . ليوجهوا الاقمار التى تسقط على سطحه ، لأن حركة القرب والبعدوتأثرها بالتضاريس الارضية والقمرية جعلت التصويب اليه من اشق الامور التى لم تنجح حتى الآن سوى مرة واحدة حين اسقطت روسيا عليه لوحات تحمل اسمها وعلاماتها .

ومن البيانات التى سبق لهذا القمر ان ارسلها عرفت ايضا معلومات هامة عن بعض المواسم التى تكثر فيها زخات الشهب ، فتنقض على الارض باعداد ضخمة . وتستمر تنهال عليها ساعات واياما .

١٠ اطنان فى كل يوم :

ومن المعلومات التى ارسلها القمر الصناعى مارينر الذى القى نظرة على كوكب الزهرة عرفنا ان سرعة الشهب تتفاوت بين ٤٠ الف و ٢٤٠ كيلومترا فى الساعة . ويقل عدد الشهب كلما ابتعدنا عن الارض حتى تكون واحدا الى عشرة آلاف مما يسقط على الارض ، وتقدر باكثر من مليون شهاب ، وتزيد فى حالة الزخات الى ٢٠ مليون شهاب . وبفعلها يضاف الى الارض فى كل يوم نحو عشرة اطنان من المادة .

وقد فوجىء عدد كبير من العلماء بهذه البيانات المحيرة بسببها تناثرت الاقوال عن القمر وطبيعته . وقيل ان جانبا كبيرا من الشهب التى تنقض على الارض تقدم من القمر . فمن المرجح وفقا للبحوث المختلفة ان الشهب نوعان من حيث المصدر . واحدهما يقدم من المذنبات المنتشرة فى العالم الشمسى كالمذنب « هالى » الذى اخترقت الارض جزءا من ذيله فى عام ١٩١٠ ؛ وظن الناس ان اختراقه معناه دمار الارض ؟ وان الساعة قد حانت . ولكن الارض اخترقت الذنب ، واكتفت بالتعرض بالفيض من الشهب التى لمع احتراقها فى الهواء .

اما النوع الثانى فمن المرجح ان مصدره النظام الشمسى نفسه، ولعل الكويكبات تساهم فيه بنصيب وافر . وهذه الاجسام الصلبة مهما دق جسمها تسير بسرعات فائقة ، فاذا ما صدمت سطح القمر كانت اشبه بحجر تقذف به سطح الماء بكل قوة ، فيتناثر رشاش الماء فى كل اتجاه .



احد المذنبات وهو يخترق السماء ويرى رأسه شديد اللمعان والتوهج اما ذيله فمن مادة ضعيفة حتى انها لا تحتمل ضغط اشعة الشمس .

***

مصدرها القمر ؟

واجرى الباحثون مجموعة من التجارب ، فقذفوا اصلب الصخر بالنثار الدقيق ، فاذا الصخر يتفتت ويتناثر ترابه فى كل اتجاه بسرعات كبيرة ، اذا ماحدثت على سطح القمر ، فانها تفلت من جاذبيته الضعيفة التى تقدر بسدس جاذبية الارض . واذا ما خرجت هذه الجسيمات الى الفضاء ، فانها بحكم سرعتها وقربها من الارض تدخل فى نطاق الجاذبية الارضية ، وتتجه الى الارض . وكلما اقتربت منها زادت سرعة ، حتى تحترق فى غلافنا الهوائى على ارتفاع يتفاوت بين ١٢٠ و ٨٠ كيلو مترا من سطح الارض .

ومثل هذا الفرض لا يجد دليلا يؤيده ، وان كان من الجائزحدوثه ، على أن أهم دراسة تعمل لتحديد مصدر الشهب جاءت نتيجة لاستخدام مناظير الرادار التى تستطيع ارسال موجاتها حتى تصدم جسما ثم ترتد منه اليها . وفى وسعها ايضا ان تتلقى الموجات اذا ما كانت هذه الاجسام ترسلها .

وقد استطاع الفلكيان « هاى » و « ستيوارت » فى عام ١٩٤٥ ان يرصدا الشهب بمنظار الرادار الذى اثبت قدرته على تسجيلها ليلا ونهارا ، لانه لايتعامل مع اضواء ترى بالعين ، بل يتعامل مع موجات الرادار وصداها ، مما يصح التقاطه وتسجيله فى اى وقت .

مطر من الشهب :

وتقسيم الشهب عادة الى زخات أو اعداد كبيرة تنهال على الارض كالمطر ، والى شهب انفرادية تقدم

وحدها ، وغير مرتبطة مع سواها . ومن المرجح ان مصدر الاول هو المذنبات . ومن حسابات سرعة الثانية ، وتقدير اتجاهاتها ، قال الفلكيون ان مصدرها هو العالم الشمسى ، على ان ما اذهل العلماء هو شدة ميلها عن مدارات الكواكب فى النظام الشمسى ؛ ثم سرعتها الكبيرة التى لم يعثروا على تفسير يبين كيف تكتسبها فى رحلتها الى الارض .

وتقسم الشهب على اختلاف أنواعها الى نوعين من حيث تكوينها . فبعضها حجرى ، ونسبة الحديد فيه قليلة ، وبعضها معدنى ، ويتألف ٩٠٪ منه من الحديد والنيكل . وكلها تشبه مادة الارض ، حتى ان الاقدمين قالوا انها من نفس مادتها وظنوا انها تنطلق الى الفضاء بفعل البراكين التى تقذفها اليه ، وبعد فترة ترتد الى الارض ثانية على هيئة شهب .

ودل البحث بمناظير الراديو على أن عددا كبيرا من الشهب يسجل وجوده على لوحات هذه الاجهزة ، ولكنه لا يظهر بالاحتراق فى طبقات الهواء كما يفعل سواه ، بل يخترق طبقات الهواء دون أن يحس الناس بمجيئه . وهذه الشهب فى العادة دقيقة حتى أن حجمها لا يزيد على واحد الى مائة من السنتيمتر المكعب . وهى تهبط ببطء ، فلا تحدث الاحتكاك المولد للحرارة التى تحرقها ! بل يبدو أن الهواء يحملها الى الأرض .

بقلم فوزى الشتوى

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت مقتضيات الذوق تحتم علينا أن نستقبل عودة مجلتى الرسالة والثقافة بشيء من الترحيب ، حتى اذا استقرتا بعض الاستقرار ، قمنا حيالهما بواجب النقد النزيه البناء ، المجرد عن الهوى ، لندفع بهما الى الكمال الممكن ، ونشد أزرهما بما أمكن من انتاجنا الادبى الذى يوائم فكرتهما ويتمشى مع أسلوبهما ..

ولكن الذى أدهش الدوائر الادبية خارج القاهرة ، والتى رحبت بعودة المجلتين الادبيتين الكبيرتين ، أن تستقبل عودتهما هنا بمظاهرة فيها كثير من التكلف والافتعال ، بل فى بعض جوانبها التربص مع سبق الاصرار ..

***

لم تكد الرسالة والثقافة تعلنان على الملأ أمر عودتهما ، حتى أطلت رءوس صغيرة من جحورها ، تخرج ألسنتها للمجلتين العائدتين ، واهتزت أقلام من قش لتصنع معركة وهمية تثبت فيها وجودها ، وتطوعت مجلات صفراء من حقها أن تزج بأنوفها فى كل شيء الا فى الادب ، بحملة مدبرة من التهكم والسخرية على المجلتين ، تارة برسوم كاريكاتورية ، وتارة أخرى بمقالات باهتة ، تسد بها فراغا ، كان أحرى به أخبار الصالونات ، ومغامرات النجوم .

والعجيب أن هؤلاء الذين اشتركوا فى الحملة على المجلتين ، ارتدوا جميعا مسوح الغيرة على الادب ، كأن ظهورهما لتؤديا رسالة الادب الجاد معوق للادب نفسه ..

***

هذه مجرد خواطر جالت بذهنى بعد أن استمعت فى مساء الثلاثاء ٢٩ - ١٠ - ٩٦٣ الى ندوة جادة عن (الصحافة الادبية) فى الجمعية الادبية المصرية اشترك فيها: الدكتور أحمد حسين الصاوى والدكتور وليم الميرى ، والاستاذ عباس خضر ، والاستاذ فاروق خورشيد ، والاستاذ عبد الرحمن فهمى ، وقدم المناقشة الدكتور حسين نصار .

قال الدكتور الصاوى الاستاذ بكلية الآداب : ان الصحافة الكبرى قامت بادىء ذى بدء على الاقلام الادبية ، ثم تقلص فى الادب فى هذه الصحافة ، وصارت الاقلام الادبية أقلاما صحفية .

ورد الدكتور توقف بعض المجلات الادبية الى عاملين : المادة أولا ، وتخلف الصحافة الادبية عن اهتمامات الادب ، ورأى أن ازدهار الصحافة الادبية فى الماضى يرجع الى ارتباطها باتجاهات كانت قائمة فى المجتمع ، ولما تغير شكل المجتمع وعجزت عن مسايرته أصيبت بأزمة .

ورأى الدكتور وليم الميرى - لكى نستعيد للادب قراءه ، أن تكون لدينا صحافة تعنى بالادب فى قالب صحفى .

***

وتحدث الاستاذ عباس خضر معقبا على آراء الدكتور الصاوى ، فذكر أن العامل الاول والاخير فى أزمة الصحافة الادبية هو المادة ، فلو وجدت المادة لاستطاعت الصحافة الادبية أن تعنى باهتمامات الادب ، فتستكتب الاقلام الادبية الكبيرة التى احتضنتها الصحافة الاخرى .

وقال : ان الرسالة والثقافة اختفتا منذ عشرة أعوام بسبب المادة ، ولم تستطع أى من المجلات التى ظهرت لتختفى أن تسد ولو جانبا من الفراغ الذى تركته المجلتان ، ولم تتصد أى من الجمعيات الادبية الكثيرة فى مصر لتخرج مجلة أدبية ، متهيبة عامل المادة قبل كل شيء ، فكان لا بد من أن يكون لنا صحافة أدبية ، وأن تأخذ وزارة الثقافة على عاتقها اصدار الرسالة والثقافة .

***

أما الاستاذ فاروق خورشيد فقد بدأ حديثه بقوله: ان المشكلة ليست مشكلة الرسالة والثقافة وحدهما ، ولكنها مشكلة الصحافة الادبية فى مصر عامة ، وان كان دون شك - توقف المجلتين منذ عشرة أعوام حدثا له أهميته ، وعودتهما الى الظهور مرة أخرى حدثا له أهميته أيضا .

ثم ذكر : **أن الاديب الذى أمضى فترة التلقى فى**

حاجة الى ان تهيأ له فترة الاعطاء ليسجل انتاجه ، والصحافة الادبية التي نريدها ، يجب أن تكون نسبة الانتاج الادبي فيها أكبر من نسبة الدراسات حول الادب نفسه ، ويجب أن تختار المجلات الادبية مجموعة مشتغلة بالادب ، وذات اهتمامات به ، وذات نيات جادة في الكتابة أيضا .

اما الرهبة من مزاحمة وسائل الاعلام الاخرى للصحافة الادبية ، وفي مقدمتها الصحافة اليومية والاسبوعية والاذاعة والتليفزيون ، فيمكن التغلب عليها ، لو أن المجلات الادبية عنيت بتقييم انتاج هذه الوسائل بالنقد البناء الهادف .

***

واختتم الاستاذ عبد الرحمن فهمي الندوة ، فأشار الى وسائل الاعلام كمنافس خطير للصحافة الادبية بل منافس خطير للكتاب الادبي باعتباره المدول الاول للقارىء حيث يحتفظ به دائما ، فالكلمة المسموعة ، والصورة المرئية ، اجتذبتا القارىء المتأدب . واذا كان بعض وسائل الاعلام - كالاذاعة - تضيق عليه الخناق من الخامسة صباحا الى الثانية والنصف صباحا ، فمن أين له أن يقرأ كتابا ، أو يتصفح مجلة أدبية ، صحيح أن القارىء بعد مرحلة من العمر لا تستهويه الاذاعة والتليفزيون بعد أن يصبحا عادة وتسلية ، فيجتذبه الكتاب والصحافة الادبية ، وعلاج المشكلة هو أن نغري القارىء بالادب في تلك الفترة الضائعة من حياته .

***

هذه خلاصة موجزة للندوة الجادة التي أقامتها الجمعية الادبية منذ أيام بشأن الصحافة الادبية ، وكانت المناقشة على مستوى رفيع ، واستغرقت زهاء ثلاث ساعات .

كنت أود :

أن تتعرض الندوة لمنهج المجلة الادبية التي يجب أن تكون عليه في خطوط بارزة ، كما تعرضت لعوامل أزمتها السابقة في خطوط واضحة .

وأن تتعرض لمشكلة المواهب الادبية الناشئة ، وكيف تتوافر الصحافة الادبية على تنميتها .

وأن تناقش عقوق الاقلام الادبية الكبيرة ، للصحافة الادبية ، والتي آثرت أن تنشر أدبا صحفيا في كبريات الصحف السيارة بأجور خيالية ، على أن تنشر ادبا جادا في الصحافة الادبية بأجور متواضعة ..

وأن تناقش حملة النقد التي سبق أن وجهت الى الرسالة والثقافة عند ظهورهما ، وتسجل ما لها وما عليها .

فلقد اندست بعض الاقلام تكتب في الادب أضعاف ما تقرأ منه ، وتمنح نفسها ملكية النقد وهي لا تفهم منه غير اسمه ، ومثل هذه الاقلام تعوق الادب ولا توجهه .

***

واخيرا

كنت أود أن تخرج المناقشة في الندوة قليلا عن الاطار المحلي ، فتتعرض لمزاحمة المجلات الادبية في بيروت وغيرها لنا ، فنحن ازاء الفراغ الذي تركته الرسالة مثلا خلال عشرة أعوام ، كنا نقبل على الاديب والآداب والعلوم وغيرها ، وندفع عن رضا في كل منها بضعة عشر قرشا .

صحيح أن الادب لا موطن له ، ولكن اليس من المخجل أن نزعم أن القاهرة مركز الاشعاع الفكري للعالم العربي ، بينما هي خلو تقريبا من صحافة أدبية ، فاذا عادت الى الظهور مجلتا الرسالة والثقافة لتسدا بعض هذا النقص ، شهرنا عليها الاقلام بحملة ظالمة ، بدل أن تهيىء لهما الطريق بالنقد الهادف البناء ..

***

ان الناقد الهادف لو ارسل نقده الى أي من المجلتين لما توانت في نشره ، ولو اسهم في تحرير أي المجلتين بانتاج أدبي جاد لرحبت بانتاجه ، ولكن يظهر أن بعض الاقلام الموزوزة يطيب لها أن تسهم في المعارك الوهمية ، لتنسج لنفسها مكانا من خيوط العنكبوت .. !

محمد عبد الله السمان

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الصراع بين القصة العربية والغربية

تناولت فى الاسبوعين الماضيين ظاهرة غريبة فى بدء حياتنا القصصية الحديثة ، وهى ان كتابنا ظلوا يترجمون القصص الغربية ويكتبون قصصا مصرية من أواخر القرن الماضى الى العقد الثانى من القرن الحالى دون أن نظفر من أحدهم بقصة مؤلفة تتوافر لها عناصر القصص الفنى الحديث ، مع اتصالهم بهذا الفن فى لغاته الاوربية ٠

واليوم نحاول أن نتبين أسباب هذه الظاهرة ، وفى هذا السبيل نفرض عدة فروض ٠

هل كانت تنقصهم الموهبة ؟ لا أظن ذلك ؛ فان جدهم وعناءهم فى تأليف ما ألفوه يدل على أنهم كانوا مدفوعين بمزاج قصصى لا يكون الا من الموهبة المتحفزة وتستطيع أن ترى فى مثل قصص المويلحى ولطفى جمعة وغيرهما نتائج هذه الموهبة وان لم يقدر لها التمام الفنى على النحو الغربى الحديث ٠

هل كان ذلك لانه لم تكن هنـــاك حركة نقـدية توجههم وتبصرهم بما فى كتاباتهم من نقص ؟ يدفع هـذا أيضا ان هيكل وتيمور وطاهر لاشين ؛ بل وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ، كتبوا روائدهم قبل أن يعنى نقادنا بالانتاج القصصى ويكتبوا عنه كتابة جادة بصيرة ٠

هل كان ذلك لان القراء المعاصرين لم يكونوا على استعداد لتلقى الفن الحديث ؟ قد يكون هذا ؛ وقد كان فعلا ؛ مما دفع كتاب التسلية والترفيه الى نقل قصص المغـــامرات والاثارات وتأليـف قصص على غرارها ، فلقيت مترجماتهم ومؤلفاتهم رواجا كبيرا وانتشارا واسعا ٠ أما الادباء الجادون الذين كانت تؤرقهم الافكار والمشاعر وتستحثهم على التعبير لم يلتفتوا الى المطالب التافهة من جماهير القراء ، وان كان من الواجب أن نشير الى التجاوب بينهم و بين قرائهم فى الاساليب العربية المأثورة التى يميل اليها كثير من القراء ؛ حتى انهم كانوا يتلقون كتاباتهم القصصية على أنها « أدب » لا قصص وفكاهات ٠٠ حسب المفهوم فى ذلك الزمان ٠

والفرض الأخير الذى نتمسك به ، اذ لا نجد له ردا ؛ بل على العكس نرى ما يعززه ؛ هو أن أولئك الكتاب كانوا مشدودين الى الادب العربى شدا وثيقا؛ فكانوا يشعرون باصالة عربية يأبون أن يفرطوا فيها؛ هذا ــ مثلا ــ محمد المويلحى ؛ يقف من أحمد شوقى موقف المعارض ، اذ رآه فى مقدمة ديوانه يقول ــ كما يحدثنى الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « الادب العربى المعاصر » ــ انه سيحاول التجديد بتأثير اطلاعه على الادب الغربى وينوه بشعر الطبيعة فى الآداب الغربية ؛ قال له المويلحى : ما الجديد الذى تريد ادخاله الى العربية ؟ انك تنظم بهذه اللغة فلابد أن ترجع فى ألفاظك لانك تتحدث بها ؛ وقد قرأنا مثلك فى الآداب الغربية، فلم نجد للقوم معانى يتفوقون بها على الشرقيين ؛ بل اننا معشر الشرقيين نفوقهم فى المعـانى ، وحتى موضـوعات شـعرهم التى تتغنى بها مثل « الطبيعة » للعرب فيها كثير ، وما على الشـاعر المجدد من أمثـالك الا أن يتصفح دواوين القدماء فيجد فيها لا فى الغرب ضالته التى ينشدها ٠

ونأخذ من هذا النقد أمرين : الاول ما يدل عليه من المحافظة الشديدة والحرص على التراث العربى؛ والثانى ما فيه من افراط وخطأ ، والمفارقة الطريفة أن المويلحى لم يعمل بهذا النقد ؛ بل رد على نفسـه ردا عمليا بأن جدد فى « حديث عيسى بن هشام » بتأثير ما قرأ فى الآداب الغربية ٠ فقد أراد أن يدخل فن القصـة المعروف فى الغـرب الى الأدب العربى الحديث ؛ ولكنه لم يأخذه كما هو ؛ بل بحث عن شكل عربى يلائمه ؛ ورأى أن فن المقامة هو أصلح شىء لما يريد ٠

وفعل الآخرون كما فعل المويلحى ؛ مثل حافظ ابراهيم فى ليـالى سطيح ، ولطفى جمعة فى ليـالى الروح الحائر ٠

أى أنهم كانوا يرمون الى تطوير فن القصـــة العربى ؛ كما حدث فى الشعر ٠ ولهذا لم يندفعوا الى أخذ الشكل الغربى بحذافيره ٠

وكان ذلك طبقا لمذهب قومى عام يشمل مختلف النواحى ؛ ويتلخص فى الاخـذ من التراث والقيم العـربية ومن الحضـارة الاوربية بما يلائم الزمان والمكان ؛ وترك ماعداه ٠ وقد وضع بذور هذا المذهب فى مصر جمال الدين الافغانى ؛ أو بتعبير أدق آثاره فى نفوس المصلحين المصريين المستعدين لتلقيه ٠

ولـكن الذى حدث بعـد ذلك ان هذا التيـار قد انقطع فى عالم القصص بثورة المدرسـة الحديثـة واخذها الشكل الغربى لتفرغ فيه المضمون القومى٠

والسؤال الاخير : هل كان من الخير ما حدث أو كان خيرا منه أن يستمر التطور العربي في فن القصة ؟ ان الجواب عن هذا السؤال يتوقف على المقارنة بين شيئين لم يوجد أحدهما .. وهو الفن المتطور — الى آخر المدى — عن الاصول العربية ؛ ولهذا أعتقد ان السؤال سيظل بلا جواب الى أن يحدث رجوع من جديد .. ولا أظن أن يحدث رجوع .

***

طي السجل

تفقدت السجل الثقافي الذي تصدره مؤسسة التاليف والترجمة — في الاعلان الذي نشرته المؤسسة حاويا مطبوعاتها التي تشارك بها في أسبوع الكتاب العربي ؛ فوجدت به سجل سنة ١٩٥٩ ولم أجد سجل ٦٠ ؛ وأنا أعلم أن السجل الاخير تم اعداده للطبع في أوائل سنة ١٩٦٢ هو وترجمة سجل ٥٩ الى اللغتين الانجليزية والفرنسية .

وفي المكان المخصص لمطبوعات المؤسسة بمعرض الكتاب رأيت سجل ٦٠ العربي وسجل ٥٩ المترجم الى الانجليزية ؛ ولم أر المترجم الى الفرنسية . ولمحت على غلاف السجل العربي أن ثمنه ١٢٠ قرشا .. توكلت على الله ورجوت أن يعوضني خيرا .. اذ أعددت المبلغ لشرائه ؛ ولكن من أين أشتريه .. ؛ سألت ، وبعد تكرار والحاف علمت أنه لم يعرض للبيع برغم أنه قد تم طبعه منذ مدة طويلة لانه لا يزال في مخازن المطبعة لم تتسلمه المؤسسة ؛ ولماذا لم تتسلمه ؟

قيل ان مخازنها مملوءة بسجل ١٩٥٩ ، اى انها تنتظر حتى تجد مكانا تؤجره لخزن سجل ٦٠ .

ولا أريد أن أربك ذهن القارىء بتفصيلات روتينية أو غير روتينية . النتيجة ان السجل — ٥٩ و ٦٠ والمترجم — مخزون .. أي أنه لا يحقق الغرض منه بعد .

والغرض من السجل الثقافي — كما هو معروف — هو التعريف بالانتاج الثقافي في نواحيه المختلفة بالجمهورية العربية وتقييم هذا الانتاج بالمقالات التي يكتبها المتخصصون كمقدمات للبيانات والتعريفات .

واكتفي في التعقيب على هذا « الخزن » باثارة النقط الآتية :

● المؤسسة لا تهدي السجل الى الهيئات الثقافية؛ سواء في الداخل أو في الخارج ؛ أو هي لم تفعل حتى الآن ؛ وهذا هو السر في انه لم يحدث أي صدى في الصحف أو غيرها برغم صدور ؛ أو بتعبير أدق ؛ طبع سجل ٥٩ منذ أكثر من سنتين .

● **الهيئات الثقافية والمعنيون بالوقوف على نواحي نشاطنا الثقافي ، وخاصة في خارج البلاد يتشوقون الى مثل البيانات التي يتضمنها السجل ؛ وكثيرا ما ترد منهم استفهامات تحول الى المؤسسة او الى غيرها فيكتفي بوضعها وحفظها — ان حفظت — في الملفات .**

● **أعضاء بعثاتنا والمراكز الثقافية العربية بالخارج وسفاراتنا ؛ أحوج ما تكون الى هذا السجل كي تستطيع أن ترفع سمعتنا الثقافية الى مستوى سمعتنا السياسية .**

● **كثير من هذا الانتاج وخاصة في السنوات الاخيرة يعبر عن مجتمعنا الجديد ونهضتنا الاشتراكية ؛ وثقافتنا تتهم ظلما بالتقصير في هذا التعبير ؛ ولا يرفع هذا الظلم ويدفع هذا الاتهام الا التعريف بالانتاج .**

● المؤسسة تبيع مطبوعاتها بأثمان زهيدة لتيسير الحصول عليها ماعدا السجل ؛ وقد خفضت تلك الاثمان تحقيقا لاشتراكية الثقافة ، وبقي السجل أرستقراطيا يلبس « الردنجوت » وان كان قابعا في ظلام المخازن لا يراه غير الفئران .

● المخازن التي يثوى بها السجل مؤجرة والسجل يزاحم سكان العاصمة في المساكن .

● **أي الامرين تقصد المؤسسة باصدار السجل الثقافي .. الخدمة الثقافية ؛ أم الربح المادي ؟ اذا كانت الاولى فان ارتفاع الثمن والطي في المخازن يحولان دون تحقيقها ، واذا كانت تقصد الربح فهلا قامت بعملية حسابية .. تجمع ما أنفق على سجل ٥٩ من مرتبات موظفين يعملون به وتكاليف طبع وأثمان ورق وايجار مخازن وأجور مقالات الكتاب والمترجمين ؛ وتقارن ذلك كله بما بيع منه ان كان قد بيع شيء ؛ لكي تثبت على ضوء التجربة في تعيين هدفها من هذا العمل .**

● ألا ترى المؤسسة أن آخر سجل طبع ؛ ولا أقول ظهر ؛ بعيد زمنيا عن الوقت الحاضر ؟

عباس خضر

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحى

نهاية الاستعمار البرتغالى ..

تدعى الدول الاستعمارية عامة فى مجال تبريرها النظرى لاستعبادها للشعوب — ان عليها واجب نشر الحضارة والمدنية الاوربية بين الشعوب المتخلفة .. وهو ما اطلقوا عليه — رسالة الرجل الابيض — والاستعمار بوجه عام يعنى استغلال الخيرات الوفيرة للدول المتخلفة — المستعمرة — على اساس جلب المواد الخام بالاسعار التى يفرضها — وتصنيع هذه المواد واعادة تصديرها الى شعوب المستعمرات كسلع صناعية وباسعار خيالية.. **ولكن الاستعمار البرتغالى يختلف اختلافا جذريا عن هذا المفهوم ويشذ عنه وذلك لان البرتغال — تعتبر دولة — من دول الدرجة الثالثة فهى دولة متخلفة ..** تسيطر الشركات البريطانية والفرنسية والامريكية والبلجيكية على الحياة الاقتصادية فيها وتبلغ نسبة الاميين فيها حوالى ٧٠٪ من مجموع السكان ونسبة وفيات الأطفال هى اعلى نسبة فى اوربا — وليس لدى البرتغال من الناحية العملية صناعة . ويعتمد ما يزيد على ٥٠ ٪ من السكان على الزراعة .. **ومع ذلك فانها تملك ثالث امبراطورية استعمارية فى العالم .. !!**

لقد انقلب تخلف البرتغال — على الدول التابعة لها — **فى صورة حكم استعمارى رهيب .. يحرق ويدمر — يحارب التقدم — فى كل صوره** واشكاله فاذا كان البرتغاليون يدعون بأنهم يبشرون بالمسيحية فكيف يكون ذلك **ورجال الدين البرتغاليون يباركون التفرقة العنصرية ويدعون لها .. ويتخذون المحظيات — من الافريقيات — علنا — مما يساعد على نشر الدعارة بصورة مشينة ..** يشاركهم فى ذلك المستوطنون البرتغاليون .. حتى بلغ عدد المولودين **على هذا النحو ٢٥٠ر٠٠٠ لا يعترف بهم آباؤهم البرتغاليون .**

« ان فتيات المدارس فى موزمبيق كن يؤخذن محظيات للحكام والموظفين البرتغاليين بعض الوقت — فكان الدعارة الشاذة من هذا القبيل اسلوب تعترف به الحضارة البرتغالية » .

ويحارب البرتغاليون التعليم فى مستعمراتهم لدرجة انه فى عام ١٩٥٤ كان هناك ٣٣٢ افريقيا فقط هم الذين يتلقون التعليم فى موزمبيق ، والمعاملة فى انجولا مع العمال الوطنيين تهبط الى **مستوى اقل من مستوى معاملة الرقيق — فالعبد — يحافظ عليه سيده لكى ينتفع به اطول مدة ممكنة** — اما مواطنى انجولا فان المواطن يعمل — **دون غذاء او رعاية صحية ..** فاذا عجز عن العمل — كان فى مقدور صاحب العمل ان يحصل على غيره عن طريق **السخرة الرسمية الحكومية .. حتى لقد فقد بعض اصحاب الاعمال ٣٥ ٪ من عمالهم ولكنهم لم يحرموا ابدا الحصول على موارد بشرية جديدة .. ففى المستعمرات البرتغالية .. لا يعفى من السخرة سوى الموتى ..**

وقد ابتدع البرتغاليون فى مستعمراتهم — نظام — المواطنة البرتغالية وهو اشبه ما يكون **بالنظام الرومانى القديم** الذى كان يطلق عليه **حقوق المواطنة الرومانية** — وكلنا نعرف القصص الخيالية المرتبطة بالرومان — ومعاملتهم للشعوب التابعة لهم — فاذا كنا نسمع عن **عبيد روما ..** فيجب ان نؤكد — وجود هذا المعنى فى القرن العشرين وهو — **عبيد البرتغال** — وهم مواطنوا مستعمراتها ...

ولما كانت البرتغال تحكم حكما ديكتاتوريا فان سالازار الذى تولى الحكم والسيطرة الفعلية على البرتغال ومستعمراتها منذ عام ١٩٢٧ — وظل يحكمها حتى الآن يقف حجر عثرة فى سبيل اى تقدم صناعى او ثقافى فى البرتغال ومستعمراتها وهو **يفرض الجهل على البرتغاليين لكى تسهل له السيطرة والانفراد بالحكم ..**

واشار الكتاب الى محاولة — **هنريك جلفاو** — التى قام بها على ظهر السفينة — **سنتاماريا** — **فجلفاو وهو الرجل الفاشي** — كان احد حثالة الضباط الذين اطاحوا بالجمهورية وولوا سالازار الحكم — **كدكتاتور البرتغال** — وكوفىء على ذلك بالمناصب العليا فى المستعمرات فقد كان حاكما على انجولا واصبح فىالنهاية مفتشا اعلىللمستعمرات — واقنعته تجاربه أن دكتاتورية سالازار كانت عاجزة فقام وبعض اعوانه بالاستيلاء على السفينة — سنتاماريا — وكانت خطته أن يصل بها الى انجولا — ليقود المستوطنين البرتغاليين هناك ضد سالازار ولم يكن هدف جلفاو — هو — تحرير المستعمرات البرتغالية وانما كانت بغيته اطلاق يد المستوطنين البرتغاليين فى المستعمرات — وكان هدفه — مستعمرات على غرار مستعمرة روديسيا الجنوبية .

وقد ارغمت السفن **الأمريكية** — السفينة — سنتاماريا — على اللجوء الى البرازيل .. وذلك بحجة انه كان على ظهرها بعض المواطنين الأمريكيين ..

ولكن الحقيقة ان الولايات المتحدة الامريكية ومعها انجلترا وفرنسا وكل الدول الاستعمارية — تساند حكم سالازار فى البرتغال ومستعمراتها لأن هذه الدول الى جانب سيطرتها واستغلالها للبرتغال نفسها **فانها تقوم بدور المستفيد الحقيقى من المستعمرات البرتغالية ..** وكل ما تقوم به البرتغال — هو دور الوسيط — الذى **يجلب المواد الخام من المستعمرات** ليصدرها الى هذه الدول — ولهذا — **فان اسلحة حلف شمال الاطلنطى هى التى تحارب ثوار انجولا ..** وطائرات الاطلنطى هى التى تقذف المواطنين العزل بقنابل — **النابالم** ومدافع الاطلنطى هى التى تقوم بدور الابادة الجماعية لسكان شمال انجولا — **لدرجة انه فى عام ١٩٦١ قتل البرتغاليون** ٣٥٠٠٠ افريقيا فى انجولا — وتتراوح النسبة من ١/٦ الى ٣/٪ من سكان شمال انجولا ، **اما قتلوا او طردوا منوطنهم وقد وصل الى الكونغو فىمايو سنة ١٩٦١ ٥٠٠٠٠ لاجىء من انجولا هربا من وحشية البرتغاليين المدعمة بوحوش الاطلنطى الذين يطلقون على انفسهم دول العالم الحر ..** ولا شك ان العنف البرتغالى — لا يمكن ان يقاتل الا بالعنف ولهذا قامت ثورة انجولا — ولقد كان مؤتمر اديس ابابا بداية مرحلة جديدة فى النضال الايجابى ضد الاستعمار البرتغالى كما كان فى طرد الاستعمار البرتغالى من جوا بالهند — بقوة السلاح خير دليل على انها الطريق الوحيد فى التعامل مع البرتغاليين .

والكتاب من الكتب النادرة التى يظهر فيها المجهود العلمى بوضوح — وذلك فى الموضوعات التى تناولها ، وهو من تاليف محمد هنائى عبدالهادى ويقع فى٢٠٢صفحة سلسلة كتب سياسية والناشر الدار القومية .

اشهر المذاهب المسرحية

ونماذج من اشهر المسرحيات

تأليف : درينى خشبه .

يحتوى على خلاصة كتابالشعر لارسطو — فيما يتصل بالمسرح والمسرحية — والمذهب الكلاسي بعد ارسطو .. والمذهب الكلاسي بعد هوارس وموقف مفكرىالعرب متمثل الفارابى وابن سينا وابن رشد — وما فهموه من اقوال ارسطو عن المأساة . وكيف تحول المسرح نتيجة لذلك الى قطع انشائية يتراها القارئون على الناس . هذا بالاضافة الى خلاصة آراء الكلاسيين ونماذج من المآسي اليونانية .. والمذهب الكلاسيالحديث والمذهبالرومانسي الحديث — والمذهب الطبيعى وتفرعه عنالمذهب الواقعى — والفرق بين المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى .. واعلام المذهب الطبيعى فى القصة الفرنسية .

ويحتوى الكتاب كذلك على دراسة قيمة للمذهب الرمزى والمذهب التعبيرى — والسريالى — والفرق بين السريالية والرومانسية .

واختتم المؤلف بحثه فى اشهر المذاهب المسرحية بدراسة المذهب الوجودى—واخطاره وموقفنا منه .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

مدرسة الرسالة بالشارقة

حضرة الاستاذ الكبير الأخ أحمد حسن الزيات رئيس مجلة الرسالة الغراء المحترم

بعد التحية والاحترام سائلا المولى أن يرعاكم ويسدد خطاكم .

لقد سررت جدا بعودة الرسالة الى بث نورها الذى اهتدى به الكثير من أبناء الامة العربية والذين لم تتح لهم فرصة التعليم الكافى . فكانت الرسالة هى النور الذى هداهم السبيل ، وامن لهم الحياة الادبية التى ينشدونها ، وبمناسبة صدور الرسالة الغراء من جديد فقد أطلقنا هنا على مدرسة جديدة افتتحت هذا العام للبنات (اسم الرسالة) تيمنا بعودتها .

انى سعيد جدا بعودة الرسالة واتمنى لها كل تقدم هى والثقافة ، راجيا أن لا ينسى اخى الكبير مشتركا قديما فيها ، وأن توافينا دائما كعهدنا بها وصاحبها ودمتم .

المخلص

صقر بن سلطان القاسمى
حاكم الشارقة وملحقاتها

***

مسئولية الكاتب : أدبيا وتاريخيا

وأنا أطالع مجلة « الرسالة » العدد ١٠٣١ ــ ١٧ اكتوبر ١٩٦٣ م فى صفحة ٣٣ المعنونة « بالكتب نقد وتعريف » والتى يشرف على تحريرها وتقديمها الاستاذ : تحسين عبد الحى . فوجئت بالاستاذ : عبد الحى يقدم كتابا للدكتور : جمال الدين الرمادى « دراسات فى الادب السودانى » يقول : «..وأشار المؤلف الى الجيل الجديد من الشعراء السودانيين مثل الشابى والتيجانى واثر النهضة الادبية الحديثة فى السودان » وأنا باعتبارى مواطنا عربيا لشاعر تونس الشابى اريد أن أصحح للحقيقة والتاريخ والادب العربى ان أبا القاسم الشابى عربى من تونس لا من السودان الشقيق . وأنا كقومى عربى اومن بالوحدة العربية كهدف والقومية العربية كوجود وحياة وعنوان لا يهمنى أن يكون الشابى من اى اقليم من الاقاليم العربية بل يكفينى أن يكون شاعرا من شعراء الوطن العربى الكبير ، ولكن فى تاريخ الادب العربى تبدو ضرورة الاشارة الى مسقط رأس الشاعر كمصر أو السودان أو تونس أو العراق لان للبيئة تأثيرا لاينكر فى الشاعر ، ومن المؤكد أن البيئات العربية تختلف اختلافا ــ وان لم يكن جذريا وعميقا ــ كبيرا ، وذلك بالأخص ناتج من تعايش الاستعمار ومدارسه ، وسلوكه ..

محمد العيساوى الجمنى

***

دور المدرس فى التوعية
الى أستاذنا الكبير الزيات

ردا على مقالتكم القيمة فى عدد الرسالة الغراء ١٠٣٠ــ الاشتراكية كما يفهمها الفلاح . فقد تناولت سيادتكم هذه المشكلة بالبحث الذى لا يجب أن يقف عند هذا الحد ، بل نود أن نقرأ الكثير عن هذا الموضوع حتى يتم العلاج البناء السليم . وقد قلت سيادتكم فى مجال اقتراح الحل لهذا الموضوع « **فالحال داعية الى توعية الفلاحين بالاشتراكية وتبصيرهم بالميثاق ، ولا يقوم باجابة هذه الدعوة الا وزارة الثقافة والارشاد عن طريق أجهزتها الثقافية فى الريف ، ووزارة التربية والتعليم عن طريق معلميها فى المدارس ، ووزارة الاوقاف والازهر عن طريق وعاظها فى المساجد ..**» وكلامى هنا عن المهمة التى يجب أن تقوم بها وزارة التربية والتعليم .. فان المدرس أقدر ــ الناس على القيام بهذه المهمة ، بل ويجعلنى أضعه فى المرتبة الاولى هى هذه المدارس التى انتشرت فى أعماق ريفنا ، ولكن يعوز هذه الفئة السلاح الذى تحارب به هذه الجهالة المتفشية ، فكان الواجب أن تتعاون وزارة التربية ووزارة الثقافة فى تزويد المدارس بكل كتاب ونشرة تدور حول المفاهيم الاشتراكية ، وشرحها ، ومشروعات الثورة التى تم انجازها ، والتى سيتم انجازها فى القريب ، وما سيجنيه الفلاح منها . بل ان سياسة التجميع التى تقوم بها الحكومة الآن فى كفر الشيخ وبنى سويف تتم دون أن يعرف الفلاح دوره فيها وفائدتها له ، كل هذه الامور لا بد فيها من تكاتف الوزارتين فى تزويد المدرس بكل ما تطلبه هذه المهمة من سلاح . أقول ذلك وهناك حقيقة ، أسفت على

حدوثها ، فهنـــاك مدارس كثيرة خالية من نسخة واحدة من الميثاق .

فعلى وزارات الثقافة والتربية والاوقاف ، التعاون فى التخطيط لهذا المشروع الهام الذى لا يقل اهمية عن تنفيذ المشروعات الاشتراكية نفسها ، الا وهو توعية الفلاحين ـ ليشتركوا عن فهم وايمان فى بناء المجتمع الاشتراكى الجديد .

سمير ابراهيم بسيونى
مدرس بالمنصورة

* * *

لا تبخسوا الناس اشياءهم ..

تناول استاذنا الجليل، رئيس تحرير «**الرسالة**» فى مقـــاله الشيق « النقـــد للأدب تقويم وتقييم الحديث عن فئة من النقاد لا هم لهم الا النيل من قدر المؤلفين ، والعبــــاقرة ، وأعلام البيـــــان ، فيبخـــونهم حقهم من التقدير ، فقال :

« فكان الناقد منذ قريب يعمـــــد الى الكتاب القيم فى التاريخ أو الفلسفة أو القانون ، قد الفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله ، فيقف منه موقف الحاســـــد الاحمق ، ينقـــــد فى بعض صفحاته فعلا عدى بغير حرفه ، او اسما جمع على غير قياسه ، او لفظا لم يجده فى معجمه ، ثم يحكم على الكتـــــاب كله بانه سخيف لا يقرأ وضعيف لا يعيش » ..

وانا لنلتقى بهذه الفئة من النقاد ، التى تحـدث عنها استاذنا الزيات فى مقاله ، فى مختلف ميادين الانتاج الفكرى والبدنى ، لا فى ميـــــادين الأدب وحده ، يغمطون الناس حقوقهم ، ويبخـــــونهم اقدارهم ، ويســـتهينون بجهودهم المضــــنية ، ويحطون من صنيعهم ، وهذا هو النقد الهدام ، يحارب النبوغ فى شتى صوره ، ويحاول ان يضلل الراى العام ، فيمتدح القبيح ، ويقبح ما يستحق المديح .. ذلك مبلغهم من العلم ! ..

هذه الفئة التى تنتحل صفة النــــاقد الحر ، تتناول بنقدها الهدام تصرفات أعلام الاقتصـــاد ، واقطاب المال ، والمتخصصين فى الصناعة ، ورجال السياسة ، ولو كانوا ابعد الناس عن الاقتصـــاد والمال والصناعة والســــــياسة ، لم يتعمقوا فى دراستها ، ولم يحيطوا بها خبرا ...

ولقد افسح الميثاق صدره للنقد البناء ، الهادف الى التقويم والاصلاح ، ورحب به ، باعتباره من مقومات المجتمع الاشتراكى الســــليم ، فلم يبق هناك مجال لحملة المعاول ، يشـــوهون بها معالم الحقيقة .. يهدرون معانى التقويم .. وموازين التقييم ! ...

عيسى متولى
وكيل مكتبة بنك مصر

* * *

عتـاب

لى الحق أن اتساءل : أليس للرسالة فى عنقى دين وانا صبى مدرســـتها القديمة وتلميذ مدرســـتها العائدة ؟

أليس من حقى كما هو حق ملايين القراء فى كل مكان أن اخرج وأن أردد اناشيد العودة ؟ .

لكأنك ياسيدى تبخل على الفرحان اعلاء فرحته وتنكر على النشوان اعلان نشوته . كانت رسالتنا مثلما كانت رسالتك ... واليوم هى رسالتنا قبل أن تكون رسالة الدولة ورسالتك لأننا الشعب الذى يملك موارد لقمة العيش فى الحقل والمصنع مثلما يسعى الآن الى امتلاك نفحة الفن فى الكتاب والمجلة. لم أكن أحسب انى « كم مهمل » وانا ابن الرسالتين وقارىء اليوم والغد وبعد الغد اذا كان لى فى العمر بقية ... لقد كنت أحسب وأنا أول طالب فى الجامعات قـدم « بحثا » عن مدرســة الرســـالة وأسلوب صـــاحبها ، أن أنال لمســة تقدير من يد أستاذها ولكن واســـفاه لقد خاب الرجاء وصوح الأمل .

شكرا ياسيدى .. فحبى للرسالة لن يغيره جفاء المدير أو قسوة رئيس التحرير .

محمد جاد البنا
كلية الدراسات العربية
جامعة الأزهر

* * *

سنوات الرسالة الماضية

وردت رسائل كثيرة من القراء فى مصر والبـلاد العربية تستفسر عن سنوات الرسالة الماضية .

ونفيد بان الموجود فقط من الرســـالة القديمة السنوات العشر الاخيرة أى من عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٥٢ م .

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تقدم خلال شهر نوفمبر ١٩٦٣ السلاسل الآتية ...

فى ١/١١/٩٦٣ المكتبة الثقافية ٩٦	**منشآتنا المائية** عبر التاريخ بقلم : عبد الرحمن عبد التواب الناشر : دار القلم ١٩ شارع ٢٦ يوليو ٢ قرش
فى ٤/١١/٩٦٣ روائع المسرح العالمي ٤٣	**بلياس وميليزاند** تأليف : موريس ماترلنك ترجمة : د. محمد غنيمي هلال مراجعة : يحي حقي تقديم : د. محمد مندور تطلب من مؤسسة الخانجي ١١ شارع عبد العزيز ومن المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي ١٠ قروش
فى ٥/١١/٩٦٣ ١١	**تراث الإنسانية** سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التى أثرت فى الحضارة الإنسانية تطلب من الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ٤٧ شارع نجيب الريحاني طبعة عادية ١٠ قروش " ممتازة ١٥ قرشا
فى ٧/١١/٩٦٣ أعلام العرب ٢٣	**أبو هريرة ..** راوية الإسلام بقلم : محمد عجاج الخطيب تطلب من مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة طبعة عادية ٥ قروش " ممتازة ١٠ قروش
فى ١٥/١١/٩٦٣ المكتبة الثقافية ٩٧	**الشمس والحياة ..** د. محمود خيري علي الناشر : دار القلم ١٩ شارع ٢٦ يوليو .. ٢ قرش

أخبار علمية وأدبية

● وجه المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية الدعوة الى الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير الرسالة .. لزيارة الجمهورية العراقية .. وترك لسيادته تحديد موعد الزيارة .

❊ ❊

● أصدرت ادارة الصحة والاغذية بأمريكا أمرا بمنع تداول العقاقير التى درج الناس على استخدامها لعلاج أمراض البرد ، ومنها المضادات الحيوية التى تقتل الميكروبات وبعض مركبات السلفا ؛ والانتهستامين المضاد للحساسية وغيرها . وطالبت الادارة الاطباء بأن يصفوا لمرضاهم العقاقير التى تعالج أمراضهم فعلا ولا تعرضهم لرد الفعل الضار .

وقال بعض خبراء الادارة انه لم يعرف حتى الآن عن عقار يشفى أمراض البرد ، ولكن بعض الناس والاطباء يقبلون على المضادات الحيوية بطريقة ضارة تجعل الميكروبات تتحصن فى أجسامهم فاذا أصيبوا فعلا بالمرض ، فان المضاد الحيوى يكون عديم القيمة لان الميكروب اكتسب مناعة ضده .

● تناقش الجمعية (٣ ش قولة عابدين) كتاب « الاصمعى » للدكتور أحمد كمال زكى ، وذلك فى السابعة والنصف من مساء الثلاثاء القادم .

يشترك فى المناقشة : الاستاذ أمين الخولى ، والدكتور مهدى علام ؛ والدكتور حسين نصار ؛ والاستاذ صلاح عبد الصبور ، والدكتور ماهر حسن فهمى .

يقدم الندوة : الدكتور عز الدين اسماعيل .

❊❊❊

● يصدر بعد أيام للاديب السودانى : الاستاذ عبد الفتاح صالحين « موكب الحيارى » المؤلف عضو جماعة الثقافة والادب بالسودان ، وكتابه رواية طويلة تصور أخطر مراحل تاريخ السودان الحديث فى كفاحه للاستعمار .

نشرت الرواية مكتبة الزنارى بالقاهرة فى أكثر من مائة صفحة .

❊❊❊

● قامت شركة « فيات » الايطالية المعروفة ببناء محرك ديزل قدرته ٣٢٥٠٠ حصان . طوله اربعة وعشرون مترا ، وعرضه ستة أمتار ؛ وارتفاعه عشرة أمتار ؛ وهو ذو اثنتىعشرة اسطوانة احتراق دافعة .

هذا المحرك يزن أكثر من مليون كيلو جرام ، ولا يستخدم فى الطائرات لثقل وزنه ، وانما يستخدم فى تسيير السفن وفى انتاج الكهرباء فى محطاتها .

❊ ❊

● ستطبع مسرحية ايزيس للاستاذ توفيق الحكيم والتى ترجمها الاستاذ لؤى طه الراوى الى اللغة الالمانية ، ستطبع فى المانيا الغربية بكبريات دور النشر هناك .

❊❊❊

● أجرى العالم الروسى ليونتييف بحوثا استطاع منها اعداد جهاز تجريبى لقياس قدرة الجلد تمييز الضوء والالوان . وهذا العالم الروسى من معهد بحوث وظائف الاعضاء فى « سفرد لوفسك » .

وليست أبحاث هذا العالم وحدها فى هذا المجال فان عددا من الخبراء فى « نجنى تاجيل »يجرون أبحاثا مماثلة معتقدين انه من المستطاع تزويد بشرة الانسان بحواس ترى وتميز الأشياء مما قد يفيد الاعمى وضعيف البصر .

هذا ومما هو جدير بالذكر ان الدافع الى هذه البحوث العلمية ظاهرة اكتشفت فى سيدة روسية استطاعت ان تقرأ الصحيفة بأصابعها .

● أعلن المجمع اللغوى نتيجة مسابقة المسرحية الطويلة التى ينظمها عن عام ٦٣ وجاءت مسرحية «فوق الابوة» الاولى على ٢٦ مسرحية دخلت المسابقة. المسرحية تأليف محمد رجب البيومى احد كتاب الرسالة . ثم جاءت مسرحية « البيت القديم » . تأليف محمود دياب الاولى مكررة . أما المسرحية الثالثة فهى « هاروت وماروت » . تأليف محمد على سليمان . الاولى جائزتها ٢٠٠ ج . والاولى مكرر ٢٠٠ ج . والثالثة ١٠٠ جنيه .

لجنة التحكيم كانت تتكون من : الاساتذة عباس العقاد وفريد أبو حديد وأمين الخولى وعلى عبد الرازق وتيمور والزيات ومهدى علام وعبد الحميد حسن .

أضواء شعبية

مضاض ومىّ

للأستاذ فاروق خورشيد

اخذ الحارث الجرهمى يتامل فى وجه جليسه وهو يعبث بيده فى لحيته التى بدا الشيب يزحف اليها ، ثم قال :

ــ لقد استدعيتك لامر هام ولكنه لا يعنى سوانا ، ولهذا فقد انتظرت حتى انفض المجلس قبل ان احادثك فى الامر .

وبدت الحيرة على وجه مهليل بن عامر ولكنه لم يتكلم ، فعاد الحارث يقول :

ــ ان الايام يامهليل ، تدور ، والسنين تتلاحق . وسرعان مايشب اطفالناء ويدخلون فى طور الرجولة دون أن ننتبه نحن الى تغير الزمن ، وتتابع الايام

وازدادت دهشة مهليل بن عامر فلم يكن ليخطر له ان يستدعيه الملك ، ثم يبقيه بعد انفضاض المجلس ليحدثه عن تتابع الايام ، وعاد صوت الحارث المتشد النبرات يقطع ماران على الخيمة من سكون .

ــ لقد شب مضاض ابن اخى الملك عمرو، وليس بمكة ولا ماوالاها أجمل منه منظرا ولا أكمل رجولة ، ولا أعرق حسبا ..

وعلى الرغم من دهشة مهليل بن عامر ، الا انه ابتسم عندما جاء ذكر مضاض بن عمرو فقد كان الفتى دائما محط اعجابه وحبه ، واعتدل مهليل فى جلسته وهو يقول :

ــ انه زينة الفتيان فى مكة .

وانفرجت أسارير الملك الحارث ، وعلت وجهه علامات السرور وقال :

ــ وكذلك ابنتك مى فهى زينة فتيات مكة .

وعاودت الدهشة تتملك مهليل بن عامر ، وان احس قلبه أن الملك يخفى عنه شيئا ، ولكنه قال:

ــ وما علاقة ابنتى بمضاض يا ابن العم . ؟

ــ انها معه فى نسق واحد ، وهى أجمل من راته العيون ، شب معها وشبت معه فى حى واحد .

فأجفل مهليل وهو يقول مأخوذا :

ــ اتعنى ! ؟

فاطرق الحارث الجرهمى مؤمنا وهو يقول :

ــ لقد فتنت به وفتن بها ، وقد شبا الآن عن عبث الطفولة . وعرفا معنى الهوى ، وقد صان مضاض متزره عنها ، فلما بلغ الهوى مبلغه ، وحذرا من الفضيحة . جاءا الى ، فشكوا ما نزل بهما من شوق بعضهما الى بعض ، وقد رحمت والله يامهليل هذا الحب العف ، ورايت ان ابعث اليك فأخاطبك فى امره .

فاطرق مهليل بن عامر ونفسه تجيش بعواطف متباينة ، ثم رفع راسه وهو يقول :

ــ أيها الملك ، أنت وليهما افعل بهما برايك ، وزوجها منه

قال الملك متهللا

ــ ونعم الراى يا ابن عم ، لقد هجم علينا الشهر الأصم رجب ، ونحن لانحدث فيه حدثا غير العمرة والطواف حتى ينسلخ ، فلننتظر يا مهليل اذن حتى ينصرف رجب ، فنعقد له عليها .

عندما همست سلمى ووجهها ملىء بالانفعال فى اذن مى .

ــ لقد رايته ، انه مع الحجيج قد اعتمر وطاف

اسرعت مى ترخى على وجهها نقابا كثيفا ، وتغادر خباءها : تعتمر وتطوف ، غيرة على مضاض ان يتعرض له متعرض . ومضت تتابعه بعينيها، ومضاض لا يعلم بمكانها : ولا يرى وجهها الذى اخفاه عنه ذلك النقاب الكثيف . الا ان ميا هى الاخرى ، لم تكن تدرى ، ان عينين خبيثتين ترقبانها عن كثب وتتبعان حركاتها اثناء الطواف فى تحفز وترقب ، فما كانت تدرى بامر قبيس بن سراج الذى يهواها فى صمت ويأس ، اذ كان يعلم بعد مابينه وبينها فى المكانة والمنزلة ، وكان يعلم ايضا بأمر حبها لابن عمها مضاض . ولكنه كان دائما يتبعها كظلها ، يرقبها من بعيد وهو يحاذر ان يراه او يلحظه احد .

وهكذا كان مضاض يطوف وهو لايدرى امر مى ، وكانت هى ترقبه اثناء طوافها وهى لاتدرى امر قبيس .. وكان مضاض يغيب عنها بين جماهير الحجيج ، فتسرع فى خطواتها حتى تلحق به وتظل على كثب منه .. وكان يبطىء فى مشيته وقد اضناه الحر ، وترقرقت على جبهته حبات من العرق ، فيرق قلبها له ، وتود لو تسرع نحوه تجفف هذه القطرات ، وتريح راسه الذى اجهده القيظ . وتبتسم لنفسها اذ تخطر لها هذه الفكرة وتهمس :

ــ سرعان ما ينقضى رجب ، وينتهى كل هذا

● من كتاب « التيجان لوهب بن منبه ط : حيدر اباد

الطواف ، ويسكن قلبي الى جوار قلبه .

وحين مدت بصرها مرة أخرى ، كان مضاض قد اختفى وسط مجموعة متكاثفة من الحجيج الغرباء ، فأسرعت في مشيتها ؛ وقد أحست بيد قاسية تقبض على قلبها وأخذ احساس ملىء بالخوف والقلق يتسلل الى نفسها .. وأخذت ترتطم بالجمع المتكاثف وهي تشق لنفسها طريقا ، وعيناها تخترقان الجمع المتدافع بحثا عن مضاض .

كانت رقية بنت البهلول الجرهمي تطوف في ذلك اليوم القائظ ، وقد اشتد عطشها . ولكنها ما كانت تستطيع أن تقف لأهل السقاية وسدنة البيت من جرهم ، تطلب منهم ارواء ظمئها ، فما كان يليق بها وهي فتاة مرموقة من أعلى بيت في مكة ، أن تكشف وجهها أمام سقاء ؛ فتحاملت على نفسها وظلت تطوف واحساسها بالظمأ يشتد وحاجتها للماء تتزايد .. وحين لمحت رقية مضاضا يطوف من بعيد ، أحست أنها انقذت من ورطتها فهو حدث من بينها ، رعته منذ كان صبيا يلعب مع اخوتها الصغار . وابتسمت لنفسها ، وهي تراه يطاول بقامته الرجال ويطوف طوافهم .. وأسرعت رقية ناحية مضاض ، وما أن اقتربت منه حتى لمست كتفه . فالتفت اليها ، وقالت له :

ـ اسقني جرعة من ماء يا مضاض ، فاني خشيت أن أموت ظمأ .

فأشار مضاض الى أحد السقائين ، وحمل منه الماء ، ومد يده به الى رقية مبتسما ، فتناولته رقية منه في لهفة وأزاحت بيدها نقابها ومضت تشرب .

وأخيرا رأته مي . كان يقف هناك أجل ؛ انه هو وفي يده طاسة ماء ، وعلى وجهه ابتسامة .. وأسرعت مي تدفع من حولها بمنكبيها وهي تدقق النظر وقد اشتد خفق قلبها ، وأسرع تردد أنفاسها .. وكانت أمامه امرأة مكشوفة النقاب . تأخذ منه الماء وهي تبتسم وكان بينهما ودا متصلا ، وتفاهما مقيما .. انها رقية بنت البهلول الجرهمي ؛ وأحست بعقارب الغيرة تنوش قلبها ، وبقيظ النهار كله يتجمع فيبهر انفاسها واختلطت في أذنيها أصوات الحجيج . ثم احست بنفسها تتهاوى الى الارض . ومن بعيد جاءتها أصوات ضعيفة كأنها تتصاعد من جوف بئر ، قال صوت امرأة : مالها ؟ ، وقال صوت رجل عجوز : لقد عرضت .. أصابها دوار ، وقال صوت فتى : انها الشمس .. وأخذت مي تتمالك نفسها ، وتحاملت ووقفت ، وكل شيء يدور حولها ويطن ؛ وعيناها تختلط أمامهما كل الوجوه ؛ وهي تسير مبتعدة عن الحجيج ، ثم مسرعة في الطريق ، وأقدامها تندفع وكأنها تسوقها قوة خفية نحو سفح جبل مكة ، حيث منزلها ، وأخذت مي كلما اقتربت من المنزل تستعيد سيطرتها على حواسها ؛ وادراكها لما حولها ؛ فأبطأت في سيرها ، فما كان لمثلها أن يراها الناس وهي تجري في شوارع مكة ؛ فتغدو حديثا تلوكه ألسنة الفضوليين والفارغات من النسوة

وحين وصلت مي الى منزلها ؛ كانت قد استعادت هدوءها تماما وان ارتسم الغضب والحنق واضحا على وجهها ، فما كاد أبوها يراها حتى أسرع نحوها قائلا :

ـ ما الحجيج يا بنيه افترق

فقالت له . والكلمات تتدافع عند شفتيها :

ـ لم يفترق الحجيج يا أبة ، ولكن الموت لا يكتم ، واليك شكواي واستعانتي ، لانك عمادي ورجائي .

قال مهليل بن عامر في جزع :

ـ فمالك يا بنيه ؟

ووضعت مي يدها فوق رأسها ، وقد بدا الألم واضحا فوق وجهها وهي تقول :

ـ انصدع قلبي صدعا ، لن يلتئم بعدها صدعه

فشحب وجه مهليل وقد بدأ يحس جسامة ما تعانيه ابنته من الم ، ومد يده اليها يربت على كتفها في رفق . وهي تقول :

ـ ياأبة مضاض ابن عمي دعا قلبي فأجابه ، فلما أجابه قذف الهوى خلف النوى .

واحتبست الكلمات بين شفتيها ، وأخذ جسدها كله يرتجف ؛ فأجلسها أبوها وهو يقول في وجل :

ـ كفى يا مي كفى .

ولكنها أشرقت بدمعها ، وهي تقول في غضب يشوبه حزن طاغ :

ـ رأيته يا أبة ؛ يلاحظ رقية بنت البهلول ويسقاها ماء ، ففارق روحي جسمي أسرع من طرفة عين ، ثم تداركت أمري ؛ ورأيت أنه بدل حسبا بحسب ، وخطرا بخطر .

وكان صوتها قد اشتد وتعالى وازدادت رنة الغضب فيه وهي تهب من جلستها وهي تقول :

ـ ولم يبلغ والله خطر البهلول ، مهليل بن عامر ، ولا رقية بنت البهلول ميا بنت مهليل بن عامر

وانتقل غضبها الجارف الى أبيها ؛ فاكفهر وجهه وعبست أساريره وخرجت كلماته غاضبة حانقة .

ـ صدقت يا بنية ، لا رب الكعبة لن يكون ذلك

والتفتت مي في عزم وتصميم وهي تقول :

ـ يا أبة : لن والله أقيم بموضع يكون فيه مضاض ابن عمرو أبدا ، واني راحلة الى أخوالي جسر بن قين

فاطرق مهليل بن عامر ؛ وقد غلبه حزن امتزج مع ما ملأ قلبه من غضب وهمس في صوت خافت :

ـ لك ذلك يا بنية ، ومنذ الغداة نرتحل ٠

وتهاوت مي وهي تهمس وكأنما لنفسها :

مضاض عذرت الحب والحب صـادق
وللحب سـلطان يعز اقتـداره
عـذرت ولم أعذر وللعهـد موثق
وليس فتى من لا يقر قـراره
اذا جاءني ليـل تململت بالذي
دعا كبـدي حتى تمكن ضـاره
أبيت أقاسي النجم والليل دامس
وللنجـم قطب لا يدور مـداره
اذا غاب لم أشـهد وكان محله
محـل وداري حيثما كان داره
اذا هاج ما عنـدي لأول غـيرة
علاه اشتعال ما يطاق اسـتعاره

دخلت سلمى على مي وهي تقول :

ـ بالباب رجل يريد أن يراك

فصاحت مي غاضبة :

ـ أنا لا أريد أن أرى أحدا ٠

فقالت سلمى :

ـ ولكنه يقول أنه يعرف ما دار بين مضاض ورقية

وهبت مي مجفلة وهي تكاد تصرخ :

ـ اذن أدخليه ٠

وتسلل قبيس بن سراج داخلا وكأنه يزحف زحف الافاعي ، وعيناه تدوران في وجه مي وكأنما تلتهمها بنظراته ، وصاحت به مي :

ـ أرأيتهما ؟

فابتسم قبيس لنفسه ابتسامة خبيثة وهو يقول بصوت كالفحيح

ـ يا مي رأيت عجبا ٠

وعادت مي تصرخ في غضب وانفعال :

ـ ما هو ؟

واحس قبيس انه ليس بحاجة لان يمهد لما جاء يبثه من كذب ، فعاد يبتسم لنفسه راضيا ، وخرجت كلماته تقطر كالسم ٠

ـ رأيت مضاضا واضعا كفيه على قرون رقية بنت البهلول في الطواف ، وهو يدافع عنها أهل الطواف سانحا وبارحا ؛ ثم استسقته ماء ؛ فناولها بيده فشربت وناولته ٠ فظل مضاض ينظر في عينيها وهو ينشد ٠

فصاحت مي ؛ وقد اشتد حنقها وأحست بلسع الغيرة يجتاح قلبها ٠

ـ أقال لها شعرا ؟ ما الذي قاله يا قبيس ؟

وعاد قبيس يبتسم لنفسـه وهو يغبطها على ما أصابها من توفيق ، وحين استعدت لمثل هذا السؤال بشعر وضعه بنفسه ؛ ثم قال :

ـ قال لها :

رقيـة قلبي قد تبـاين صـدعه
وللحب مني شـاهد ودليـل
رأيت الهوى يهدي وللوصـل واصل
فهل لك أن يلقى الخليـل خليـل

فلما انتهى مضاض من انشاده أجابته رقية قائلة ٠

وقاطعته مي مرة أخرى صارخة وهي تحس بالدنيا تدور بها ٠

ـ وأجابته بشعر ؟ ماذا قالت له يا قبيس

ـ قالت له

أصـون الهـوى والطرف مني كاتم
ولا يعلمون النـاس اذ ذاك ما دائي
سـوى أنني قد فزت منـك بنظرة
تجرعت عـذب الحب منه مع المـاء

وكأنما أصـيبت مي بلوثة فمضت تصرخ وهي تقذف بكل شيء أمامها ، حتى خاف قبيس على نفسه، فهرول مختفيا ، وحاولت سلمى أن تهدىء من ثائرة ابنة عمها دون جدوى ٠ وانطلقت مي تقبل بين خيام الحي مرة ، وتدبر أخرى وهي لا تعلم ما هي فيه ؛ ولم تهدأ الا حين التقت بأبيها فهرعت اليه صائحة وهي ترتمي الى صدره :

ـ غدا نرتحل يا أبة

فقال أبوها ، وهو يربت على كتفها ؛ يهزه البكاء

ـ لقد أمرتهم أن يستعدوا ويجمعوا حوائجهم ؛ ومع الفجر نفك خيامنا ونرتحل

كان مضاض يستريح من طواف يومه وقد أنهكه الحر وأضر به القيظ ، حين دخل عليه رجل من حي المهليل بن عامر ؛ كانت تربطهما صلة قديمة ؛ وما أن استراح به المجلس ، حتى راح يحكي لمضاض كل ما حدث وكيف غضبت مي من رؤيته مع رقية يسقيها ماء ، ثم كيف جاء قبيس بن سراج ، فأشعل غضبها نارا تلتهب ؛ وختم حديثه قائلا :

ـ وهكذا سترتحل في الغد الى أرض أمج ذات الضال حيث منازل جسر بن قين ٠

وهب مضاض من جلسته وقد انتابه غضب شديد واندفع يحمل سيفه ، ويقفز فوق جـواده ؛ وهو يقسم لا يعود الا برأس قبيس بن سراج ·

كانت أشعة الفجر الوليد تصارع لاختراق حجب الظلام ، بينما كانت القبيلة كلها تشـد الرحال وتطوى الخيام متأهبة للرحلة الطويلة ؛ حين أشرف عليهم فارس وحيد ، يتقدم في بطء نحوهم وقد أجهد السعي جواده؛فتثاقلت خطواته واختلط على جسده العرق بالغبار ·

كان مضاض قد قضى ليله كله يبحث عن قبيس دون جدوى،فقد أحس قبيس بالخطر يتعقبه فاختفى وكأنما ابتلعته الارض ؛ فلما يئس مضاض من بحثه قصد الى منازل مى فأشرف عليـهم وهم يتأهبون للرحلة ، واتجه مضاض الى مى فى هودجها ؛ ووقف بفرسه الى جوارها صامتا مطرقا ؛ وهو لا يعـرف كيف يبدؤها بالحديث ، بينما أشاحت مى بوجهها عنه ؛ وتشاغلت بالنظر الى يديها وكأنها لا تراه·· ورفع مضاض رأسه وهمس :

ـ يا مى ، أعيذك بالله أن تغدرى من لم يغدرك ؛ وهذا موقفى بين يديك فجودى لمن لم يجترم جرما·

ولم ترد مى ، بل ازدادت تجهما ، وأحس مضاض أنه يقف ضائعا وسط تيه من الاصوات ؛ ومن كل مكان حوله كانت القبيلة تستعد للرحلة بينما توقف نسيم الفجر أو كاد ، وعاد مضاض يهمس من جديد

يعشى عن النـــاس لحظ طرفى
وعنـــك يا مى غـــير عاشى
أتهجـــــرينى بغـــير ذنب
وتقتلينى بقــــول واشى

وصاح الى جواره صايح ، وبدأت النجب تهب واقفة بأحمالها ، واغرورقت عيناه بالدموع · وقد بدأ الحى فى الرحلة ، زحفت من أمامه غضبى ؛ وهو واقف فى مكانه لايتحرك يرقبهم وهم يسيرون ·· بعيدا بعيدا ·· وهو فى مكانه لايريم ·

عاد مضاض الى بيته متخاذل السـاقين ، ممزق الفؤاد ؛ ورمى بسيفه وربط جواده وبدل ملابسه ، ثم ركب ناقته ، وانطلق فى أثر الركب المرتحل ، ولحق به ابنا عمه وكانا يحبانه حبا جما يريدان أن يقصياه عن أمر هذه الرحلة ولكنه لم يسمع لهما ومضى يغـذ السير ، وقد شرد بصره واكتسى وجهه بحزن مقيم ؛ وتبعه الاثنان خوفا عليه ورعاية له ·· وعلى ربوة تشرف على منازل أمج أناخ ناقته ، وجلس يرقب الحى من بعيد لا يتكلم ؛ ولا يتحرك والى جواره ابنا عمه ، يحاولان التسرية عنه دون طائل · وطالت الايام بمضاض وهو ذاهل الا عن منازل مى يرقبهـا فى صمت حتى هزل جسده ، وتهدلت ثيابه ؛ وتغير شكله ؛ وجاءه عامر ابن عمه ذات صباح يقول :

ـ لقد علمت أن أهل أمج يريدون الرحيل الى نجد وأن مهليل بن عامر يريد العودة الى مكة ·

فأشرق وجه مضاض لاول مرة ؛ وقام خفيفا الى راحلته ؛ يمتطيها ويقترب بها من منازل جسر بن قين يرقب آثار النشاط تدب فى المكان والقوم يتأهبـون للرحلة ؛ وكان ابنا عمه فى حيرة من أمره ؛ فهـو يقترب من الحى حتى يبدو وكأنه سينضم اليهم ، ثم يبتعد عنهم وكأنه يريد الفرار منهم ؛ وحـين بدأ الركب رحلته وانفصل مهليل بقوة الى طريق مكه ؛ أسرع مضاض يقترب منهم، وكأنهما تسوقه يد قوية لا يملك لها دفعا وما زال يتقدم بين الركب حتى وصل الى هودج مى وظل يسير الى جوارها شاحبا مرتجفا وقد أطرقت هى حين رأته وتولت بوجهها عنه ، وقال مضاض بصوت مرتجف ·

علام قبست النار يا أم غالب
بنار قبيس حين عاجتك ناره
على كبد حرى وأنت عليمـة
بغيب رفيق لا يبين ضـماره
سألتك بالرحمن لاتجمعى هوى
عليـه وهجرانا وحبك جاره

وما أتم مضاض حديثه ، حتى صاحت مى غضبا بقائد ناقتها تحثه على الاسراع حتى تبتعد عن مضاض وظل مضاض واقفا مكانه حتى لحق به صاحباه ·وقال له عمرو ابن عمه :

ـ ما قالت لك ··؟

فهمس مضاض وهو تائه البصر ·

ـ لقد فرقت بينى وبينها شربة ماء ، والله لاأشرب بعدها ماء أبدا ·

ولوى مقود ناقته ومضى مسرعا ، وصاحباه وراءه حتى بلغ مكة فأنف أن يدخلها ؛ وعاد مرتدا من جديد الى الصحراء ، وعمرو وعامر يستعطفـانه على شرب الماء وهو يأبى ؛ واصلا ليله بنهاره فى جولان لايستقر ولا يهدأ دون غاية ، حتى غلب عليه العطش واشتد به الضعف فأناخ ناقته وتهاوى جسده المهزول الى الارض ، وقد غشيه الموت · وأخذ عمرو رأسـه وجعله فى حجره ، وقد غلبه الالم واستبد به الحزن وقال من بين دموعه ·

ـ قصفك الدهر يا مضاض ·

ففتح مضاض عينيه فى صعوبة وهمس من بين شفتيه المتشققتين ·

ـ قصفنى قبيس ·

ومضى يغالب سكرات الموت ، حتى سكنت حركته وهدات أنفاسه ثم سكنت الى الأبد ·

وظل عمرو مع ابن عمه مضاض بينما انطلق عامر الى الملك الحارث يبلغه بالامر ويحمل له نعى زينة فتيان مكة مضاض بن عمرو الجرهمى ·

وفى الطريق الى مكة نزل مهليل بن عامر يستريح بقومه بجوار منازل البهلول الجرهمى ، والتقت مى برقية ؛ وعجبت رقيه لاعراض مى عنهـا ؛ فاقبلت تترضاها وتعاتبها ، وسالتها ضاحكة ·

ـ ماكان من شانك ومضاض ، لقد انقضى رجب·

فتجهمت مى للسؤال ، وقالت فى مرارة :

ـ لقد تركته لك يا رقية ·

فدهشت رقية وأبدت عجبها واستنكارها ، فلما احست مى صدق دهشتها ؛ مضت تحكى لهـا سر ما حدث ؛ وما أن انتهت من حديثها حتى قالت رقية فى لوم :

ـ ظلمتيه يا مى ، بالله ماكان بينى وبينـه قط سبب ؛ ولا كلمته الا استسقائى منه الماء ؛ وذلك انى كنت أموت عطشا ، واحتشمت ان أقف الى السدنة ولم أر من اعرفه من اهل الطواف ؛ ولما رأيت مضاضا حملتنى اليه دالة القرابة وحداثة سـنه ، فكلمته فسقانى ؛ ثم ما رأيته بعدها الى يومى هذا ·

فلم تعرف مى ماذا تصدق ، وأحست برأسـها يدور فسالتها مى ·

ـ فهل كان منك اليه شعر ومنه اليك شعر ·

قالت رقيه ·

ـ لا والله ما كان بينى وبينه كلمة غير طلب الماء ومن حمل اليك هذا الحديث مغرض يريد الوقيعة وقد نجح فيما أراد ·

واختلطت المشاعر فى نفس مى ، وبدا أمامها وجه مضاض يستعطفها قبل الرحلة ؛ منـكس الرأس مطرقا لا يجد فى صدقه ما يرد به الكذب ولا يجد فى وفائه ما يرد به الغدر ، سوى النظرة الحزينة لا تغادر وجهه ؛ وازداد بمى القلق ؛ وقد ملأ قلبها شعور غامر ، بأنها ظلمت مضاضا وتجنت على حبه؛ وأسرعت الى أبيها تطلب منه سرعة الرحيل الى مكة لعلها تلتقى بمضاض ، تعتذر له ؛ ولعلهـا تجد من حبه شفيعا لها عنده ·

وسرعان ما أمر مهليل بن عامر قومه بالرحلة ، وغذ الركب سيره ؛ ومى تستشعر بطء الرحلة ، وتكاد تريد لها جناحين تطير بهما الى مكة ·

كانت القافلة تدخل مكة ، وأهلهـا يستشعرون الراحة اذ بلغوا غايتهم ؛ حين لقيهم صوت الصراخ والبكاء ، يملأ مكة كلها واوقف مهليل ناقته الى جوار قوم يبكون وهو يسال عن سر هذا المصاب الذى غمر اهل مكة أجمعين ؛ ورفع أحدهم رأسه وهو يقول :

ـ ان مضاضا بن الملك عمرو الجرهمى قد مات ·

وارتفعت صرخة ملتاعة من هودج مى وصاحت سلمى ·

ـ لقد فقدت الرشد ·

قصدت سلمى الى خيمة بنت عمها مى فوجدتهـا ساهمة مطرقة وكانما قد أصابتها جنه ، وكان صراخ أهل الحى حزنا على مضاض يملأ الجو كله · وقالت سلمى :

ـ يا مى · أراك ذاهلة ، وقد مات مضاض ولست أرى فى عينك دمعا ·

قالت مى :

ـ قسوة أدركتنى منعتنى الدمع ، وفى الدموع راحة لو أصبت اليها سبيلا ·

واطرقت لحظات ثم رفعت رأسها وقالت لسلمى:

ـ لقد آليت على نفسى الا أشرب ماء حتى يشرب مضاض ·

وأجفلت سلمى ، فمضـاض قد مات ؛ وجعلت تتأمل وجه مى ؛ وقد أخافتها تلك النظرة الثابتـة التى تحجرت فيها عيناها ، ولم تستطع أن تتـكلم ولكن حينما مضى يوم كامل دون أن تقرب مى الماء ؛ بدأت سلمى تخاف وتضطرب ، وحين مر اليوم التالى على مى دون شراب ؛ حاولت سلمى أن تغريها بالماء وان تقنعها بالعدول عن عزمها ، ولكن مى كانت فى جلستها الثابتة ونظرتها الشاخصة ، كانهـا لاترى ولا تسمع · فلما كان اليوم الثـالث ، هبت مى من جلستها وسارت مع الليل الى الربوة التى أقيم فيها قبر مضاض تتبعها سلمى · ولما وصلت الى القبر ، سقطت عليه دون حراك واقتربت منها سلمى وقلبها واجف ، وأنفاسها مضطربة ، فوضعت يدها على فمها فوجدته كالحجر الصلد ؛ وتحركت الشفتان فى بطء وخرجت الكلمات متقطعة ضعيفة ·

ـ قولى لابى يدفنى هنـا بالدوحتين بجـوار مضاض ·

وسكنت الشفاه عن الحركة ، وسكنت العيـون فهى جامده ، واقتربت سلمى المذعورة باذنهـا من صدر مى ، ولكن قلبها كان قد سكن الى جوار قلبـه من زمن ·

فاروق خورشيد


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد – القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد – ١٠٣٥ – ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ – ١٤ نوفمبر ١٩٦٣ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الشعر الجديد هو الطور البدائي للشعر

بقلم أحمد حسن الزيات

في غمرة من اليأس العميق
في دوامة من الأحزان العاصفة
أراني مشدودا الى الوراء
بحبل الاشباح والرؤى المخيفة
وكل ما في الحياة
من ندب وعويل وبكاء
صار يأكل من وجودي
صار يقتله ويدميه
اليأس اثقلني بصمته الرهيب
كبل رجلي بالمرة
وحينما أقف كي أسير
أسقط كل مرة
فتخدش وجهي
حصى الارض الصغيرة
ويسيل الدم مني
قطرات سوداء حالكة
فأجلس لأستريح
فوق رأسي جرس
من اليأس العميق

***

أرسل الى هذا الكلام الطالب النجيب الذي نصحت له يوما الا ينشر شيئا من شعره ، قبل أن

يتفتح كمه عن لونه وعطره • أرسله الى فى كتاب يقول فيه أنه قرأ هذا (الشعر) فى مجلة لبنانية معروفة ، ويزعم أن فى امكانه أن يكتب ديوانا ضخما على هذا النمط فى يوم أو بعض يوم ، ويسأل ان هو فعل هل يحشره هذا الديوان فى زمرة الشعراء •

جوابى للسيد عادل أن هذا الذى قراه وقرأناه ليس من الشعر فى شيء ، لا فى صوره ولا فى أخيلته ولا فى موسيقاه • انما هو كلام مبذول مفسول لا يعجز أحد أن يأتى بمثله ما دامت غاية الجهد الفنى فيه أن يسرده السارد مطلقا من قيود القافية والعروض والنحو أحيانا ثم يوزعه على السطور جملا او كلمات أو حروفا على هواه • وليس الدخول فى وادى عبقر او فى جبل الاولب مباحا أو متاحا الى هذا الحد :

ان فى هذا الضرب من النثر احيانا شاعرية تأتيه من لطف خياله وعذوبة لفظه ، لا من حسن نسقه وموسيقية وزنه • وهو اذا تم له ذلك • وقليلا ما يتم ، لا يخرج عما سماه البلاغيون بالنثر المزدوج أو المسجوع أو المفصل • والاصل فى نشأته أن الكلام كله كان فى طفولة الانسان مرسلا على الفطرة لا تكلف فيه ولا احتفال له • فلما أخذت الناس حال من الروحية الدينية اتخذوا من القوى الطبيعية الخفية وما يمثلها للعيون آلهة شتى نصبوا لها التماثيل واقاموا المعابد وقربوا القرابين ولجأوا اليها يستشيرونها فى المعضلات ويستقضونها فى الخصومات ويستطبونها فى العلل وادعى الوساطة بينهم وبينها طائفة من المتألهين عرفوا بالكهان وزعموا أنهم أنجياء هذه الآلهة وأصفياؤها • يعملون بالهامها ويتكلمون بكلامها • وكلام الآلهة ينبغى أن يكون أسمى من كلام البشر ومغايرا له • فاذا كان كلام البشر مرسلا واضحا • وجب أن يكون كلام الآلهة مسجوعا مبهما • واذا أدى كلام الناس بالعبارة والاشارة وجب ان يؤدى كلام الآلهة بالغناء والرقص • والغناء والرقص يقتضيان التلاؤم والايقاع • ومن هنا كان الكهان اذا ناجوا الآلهة أو استلهموها أو استرحموها أو نقلوا عنها عمدوا الى نوع من الكلام مقفى غير موزون فسبحوا لها به ، وصاغوا أدعيتهم وفتاواهم وحكمهم فيه • وكانوا ينشدونه انشادا رتيبا يشبه سجع الحمام فى وحدته وبساطته فسمى لذلك بالسجع • وهو الطور البدائى للشعر • واذن يكون كهان العرب ككهان الاغريق هم الشعراء الاولين • فلما ارتقى فى العرب ذوق الغناء ، وانتقل الشعر من المعابد الى الصحراء ، ومن الدعاء الى الحداء اجتمع للسجع الوزن والقافية فكان الرجز • ثم تعددت الاوزان بتعدد الالحان فكان القصيد • وتسمية العرب للسجع وما يشبهه بالشعر مأخوذة من الكلمة العبرية (شير) بمعنى الترنيمة أو التسبيحة • فمدلول الشعر فى الجاهلية كان أعم من مدلول النظم ، لأنه يشمل كل تعبير مؤثر فى النفس ولو كان نثرا • يدلك على ذلك قولهم : « ان الشعر شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا » • وقول حسان لابنه « شعرت ورب الكعبة » حين سمعه يصف زنبورا لسعه بقوله : « كأنه ملتف فى بردى حبرة » وما روى عن لبيد ابن ربيعة من أنه وهو صغير استأذن قومه أن يهجو الربيع بن زياد وكان قد هجاهم فاستصغروه ، فلما ألح فى المسألة قالوا له انا نبلوك • قال : وما ذاك؟ قالوا : تشتم هذه البقلة • وكان أمامهم بقلة دقيقة الاغصان قليلة الورق لاصقة بالارض تسمى التربة فقال : « هذه التربة لا تزكى نارا ، ولا تؤهل دارا ، ولا تستر جارا • عودها ضئيل ؛ وخيرها قليل ، وفرعها كليل • اقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعا ، وأشدها قلعا » •

فأذنوا له فهجاه بأرجوزة أوجعته • فلو لم يكونوا يطلقون الشعر على السجع أيضا لما نجح الشاعر الصغير فى هذا الامتحان •

وبهذا المفهوم العام للشعر قال السفهاء من العرب: ان القرآن شعر وان النبى شاعر ، والقرآن كما تعلم نثر محكم مفصل •

فالشعر الجديد يدخل باب الشعر من هذا المفهوم العام القديم • وهو اذا اشتمل على البليغ الجميل المؤثر من الصور والأخيلة والمعانى وخلا من الوزن والقافية كان على طريقة الشعر العبرى كنشيد الانشاد وسفر أيوب • وذلك هو الشعر الحر • وقد تعاطاه كثير من الكتاب المعاصرين اذكر منهم جبران ، ومى ؛ وحسين عفيف ؛ وراجى الراعى • فاذا التزمت فيه القافية دون الوزن كان من النثر المسجوع أو (لا بروز ريميه) كما يسميه الفرنج وهو عندهم معيب • وذلك ما تراه فى كلام الكهان والحكماء والخطباء فى العصور الأولى وفى كلام الادباء فى سائر العصور – حتى هذا العصر •

فاحياؤه اليوم فى هذا الثوب المرقع رجعة الى الوراء عشرين قرنا على الاقل • وتسميته بالجديد تسمية لا يقرها التاريخ ولا يؤيدها الواقع • فلاهو

دروس من الحرب بين الجزائر والمغرب

للأستاذ محمد محمد المدنى

اذا كان المسلمون فى مشارق الارض ومغاربهـا شعروا بحزن عميق ، وألم ممض ، عنـدما ترددت الانباء بقيام حرب الحدود بين الجزائر والمغرب ؛ لما فى ذلك من تناحر بين شعبين مسلمين عربيين ، فقد تجلت لنا بسبب هذه الحرب دروس وعبر يجب أن نعيها ونعتبر بها .

● فمن ذلك أن السيد الرئيس جمال عبدالناصر أعلن منذ اللحظة الاولى للعدوان المغربى على الجزائر أن الجمهورية العربية المتحدة تقف بجانب الجزائر لتعينها بكل ما لديها من قوة على رد هذا العدوان ، وناشدالمغرب العربيةالاسلامية أن ترعى الله والرحم فتكف عن عدوانها، وأن ترعى أيضا جانب الانسانية فتلاحظ أن الجزائر الشقيقة التى قدمت فى الحرب الطاحنة بينها وبين فرنسا مليونا من الشـهداء فى مدى سبع سنوات ، قربانا للاسـتقلال والحرية ، وتخلصا من سيادة الكافرين على المؤمنين؛ ان الجزائر التى هذا شأنها لا ينبغى أن تكلف بذل دماء أخرى، ولاسيما اذا كان الذين يكلفونها ذلك هم اخوان لها فى العروبة والاسلام، وفى أحداث التاريخ حلوها ومرها ، وفى مجاهدة فرنسا الباغية المستعمرة التى اغتصبت حقوقهم ، واستلبت منهم أعز خيراتهم ؛ وحاولت أن تسلبهم عروبتهم ودينهم .

ان منطق الرئيس جمال عبد الناصر هو منطق سديد يتفق ومبادىء الاسلام الرشيدة .

ان الاسلام يعتبر المسلمين جميعا أمة واحـدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سـواهم ،

شعر بالمعنى الخاص لخلوه من الموسيقى ، ولا هـو جديد لخلوه من الابتكار .

وللشعر العربى بمعناه الفنى خصيصتان تميز بهما على الشعر كله : احداهما القافية الواحدة للقصيدة مهما تطل . والاخرى بناء كل بيت من القصيدة على عدة التفاعيل فى بناء البيت الاول ، فتكون القصيدة كلها كاملة او مشطورة و مجزوءة على حسبه . وللقافية سلطان طبيعى قوى على النفس العربية ، لانها تجمع التلاؤم الصوتى للسمع والتلاؤم الحرفى للبصر ، ولذلك لازمت الشعر العربى فى طوره البدائى وهو طور السجع ، وفى طوره الراقى وهو طور الرجز ، وفى طوره الارقى وهو طور القصيد .

وان من شعراء الاندلس والعراق من ضاقوا بتماثل النغمة وتكرارها فى التزام روى واحد فى المطولات؛ فعالجوا ذلك الرتوب بتنويع القافية على نحو ما فعلوا فى الموشح والزجل ، والشعر عند سائر الامم يتميز من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسة ، وصعوبة عسيرة التسهيل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها فى الذاكرة ، والشعر الحر يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقية اذا زاوج منشئه بين الابيات واستفاد من الحرية التى أوتيها، فتخير الالفـاظ وعدل الاقسام وألف الالوان وحرك المعانى ونوع الصور . واخشى بعـد ذلك الا يرتفع الى مستوى النثر البليغ المحكم. ولكن الصعوبة التى يلقاها الشـاعر فى كل بيت عند القـافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك وهى تنتظر فى غير صبر تلك الحيلة الفنية؛ واللفتة الذهنية والكلمة الصادقة الموسيقية لا تجدها فى غير الشعر الموزون المقفى .

كذلك يعجز الشعر الحر عن أن يهيىء للذاكرة فى التمثيل على الاخص ما تهيئه له القـافية من نقط الارتكاز وعلامات الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بالغاء القافية فى الشـعر المرسل ، والغائها مع الوزن فى الشعر الحر يخمد الذهن ويجدب القريحة ، لأن الصعوبة ترهف الفكر فيدق احساسه؛ وتوقظ العقل فيزيد انتاجه ، وتبعث الفن فيحيا بين الهام الشاعر واعجاب القارىء .

***

وخلاصة ما أقوله لك يا عادل أن الشعر فى كل أمة مصدره الغناء . فكما أن الغناء لحن وإيقاع ، فان الشعر وزن وقافية . على هذا قام عمود الشـعر . وعلى هذا تربت الاذواق وتعودت الاسـماع . فاذا جردنا شـعرنا من موسيقاه الموروثة تركنـاه نوعا عجيبا من الكلام لا هو نظم ولا هو نثر . ومحاولة اقحامه على العروض العربى تزييف على الطبع وتحامل على الذوق . وما كان مخالفا للطبع او مجافيا للذوق لا يمكن أن ينجح ، وان نجح بحـكم الولوع بالجديد والخروج على المألوف لا يمكن أن يدوم .

أحمد حسن الزيات

ويصورهم كجسد واحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ان الاسلام يقرر فى كتابه الكريم حقيقة يجب ان تبقى ماثلة أمام كل مؤمن . وهى قوله تعالى « انما المؤمنون أخوة » وهو يخرج هذا القول مخرج الخبر لا مخرج الأمر ، فلا يقول لهم : كونوا اخوة ، ولكن يقول «انما المؤمنون اخوة» هذا واقعهم وحقيقة امرهم ، مهما اختلفوا أو احتزبوا .

وان الاسلام يامر بالاصلاح بين الاخوة . وبأن يحول المؤمنون بين الباغين منهم وبغيهم ، فالمنطق الاسلامى اذن يقتضى أن ننصح المغرب ، ونعمل على تبصيرها بعواقب عدوانها ، وأن نقف فى الوقت نفسه موقف الدفاع عن الجزائر المعتدى عليها .

***

● ولقد أراد الله لشعب الجمهورية العربية المتحدة أن يكون شعب الطليعة فى هذا العصر الذى يناضل فيه العرب عن كرامتهم ضد الاستعمار، وعن مثلهم العليا فى الحياة الاجتماعية ضد الرجعية والتخلف ، وعن حق كل فرد منهم فى الحياة الكريمة ضد الجشع والاستغلال ورءوس الاموال! وعما يجب أن يرسخ فى الشعوب من أسس العدالة والانصاف والأخوة .

ذلك لان الله تعالى أكرم شعب الجمهورية العربية المتحدة بنجاح ثورته الكبرى التى هزت الشرق هزة تاريخية عنيفة . ولفتت أنظار الغرب وأيقظته من سبات عميق كان قد استراح اليه . واسترخى فيه، حين اطمأن الى أنه قد ملك زمام الامر كله . وكان نجاح هذه الثورة واستقرارها يفرض على شعب الجمهورية العربية المتحدة ، أن يمد يده الى جميع أبناء العروبة ، والا ينطوى وراء حدوده فيعتكف على شئونه الداخلية ويقول لنفسه : حسبى أن أصلح نفسى ، فان هذا هو ما يريده المستعمرون ، ويعملون ما استطاعوا على احيائه فى نفوس العرب والمسلمين وتنشئة أجيالهم عليه ، ليقطعونا بذلك فى الارض امما ، ويتخذونا لهم عبيدا وخدما ! ولكن الله تعالى أبطل سعيهم ، وأفسد تدبيرهم ! فبعثنا خلقا جديدا! تأبى الا أن تعيش فى بلادنا أحرارا أعزة ، تدفع عن أنفسنا وعن اخواننا بغى البغاة ، وطغى الطغاة ، وعما قريب سيهدينا الله ويصلح بالنا وينجح سعينا، تحقيقا لوعده الحق « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

● واذا كان الاسلام يعتبر المسلمين أمة واحدة يشعر أقصاها بما يشعر به أدناها ، فانه لا يريد هذا مجرد عاطفة يتردد الحديث عنها نثرا أو شعرا، ولكنه يريده عملا وجهادا وسعيا راشدا ، وما أجمل ما يصور به النبى صلى الله عليه وسلم حال المؤمن المنبعث الى الجهاد فى سبيل الله كلما دعا داعى الجهاد اذ يقول صلوات الله وسلامه عليه « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار اليها » ونحن والحمد لله نسير على مقتضى هذا ، فقد أنجدنا العراق فى ساعة العسرة ، وانجدنا اليمن حين هددها الخطر الرجعى والاستعمارى وانجدنا تونس حين اعتدى عليها الاستعمار ، وأنجدنا الجزائر حين كانت تجاهد فى سبيل حياتها واستقلالها ، ثم حين أراد العدوان المغربى أن ينتهك حرمتها فى بلادها ، وهكذا نحن كالممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها . فلنحمد الله على أن أولانا هذا الشرف !

● ومن الدروس التى تلقيناها فى هذه الحرب المغربية الجزائرية ، أن الجزائريين الذين كانوا قد نقموا على حكومة الرئيس المجاهد بن بيللا ، وخرجوا على طاعته ! واعتصموا بالجبال والكهوف يتربصون لحربه ، ما ان علموا باعتداء المغرب على بلادهم ، حتى نسوا ما كان بينهم وبين حكومتهم ! وتقدموا حاملين أسلحتهم ، مطالبين بحقهم فى الذود عن بلادهم . وفى طرد المعتدين ، وقد رحب بهم الرئيس الجزائرى وبادلهم عاطفة بعاطفة ! ونظر العالم الى هذا الموقف الانسانى المثالى نظرة اكبار واجلال ، وتحدثت عنه الصحف ووكالات الانباء ، وانه لدليل على أن المسلمين مهما اختلفوا فان فى قلوبهم معانى سامية ترتفع عن الخلاف ، وعلى أن الاحداث تجمع بينهم ، وتؤلف بين قلوبهم .

وهذا من مفاخرنا نحن العرب والمسلمين ، واننا لنجد الرئيس الموفق جمال يتقدم دائما حين تلوح بوادر أية أزمة لشعب عربى ، فيعلن أنه يضع جميع امكانيات الجمهورية العربية المتحدة فى خدمة هذا الشعب وفى سبيل الدفاع عنه . ولا يذكر شيئا مما عسى أن يكون قد صدر من حكومات هذه الشعوب ضد الجمهورية العربية المتحدة، ذلك بأنه رجل مبادىء ورجال المبادىء ينسون فى سبيلها كل شىء .

محمد محمد المدنى

شخصية جزائرية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كان ينهج نهج محمد عبده وجمال الدين . وكان يرى رأيهما فى ان الاصلاح الدينى هو الخطوة الأولى فى سبيل كل اصلاح آخر - سياسيا كان او اجتماعيا - . وكان يذهب مذهبهما فى ان الدعوة السلفية هى السبيل التى يجب أن يسلكها الاحرار من المفكرين المسلمين عندما يريدون تفسير أصول المبادىء التشريعية تفسيرا جديدا يتفق وحياة العصر الذى يعيشون فيه .

لقد كانت السلفية القديمة منذ ايام أحمد بن حنبل تدعو الى تطهير الدين من الخرافات التى الصقت به ، والى الرجوع الى روح السنة المحمدية والقرآن الكريم وكانت تقصد من وراء ذلك الى نوع من التربية الاسلامية يقوم أولا وأخيرا على المبادىء التى جاء بها الاسلام بصفته المتكفل بصلاح الامة الاسلامية فى كل ما يهمها من امور دينها ودنياها . وجاءت السلفية الجديدة فدعت الى هذه الدعوة . دعت اليها لتحقق اغراضا اخرى لعلها لم تكن لتخطر على بال الاقدمين .

رات هذه السلفية الجديدة ان هذا الرجوع الذى يظهر فى شكل تقهقر الى الوراء ليس فى الحقيقة الا تحرر العقل الاسلامى من اشياء كثيرة وضعتها الأجيال المتعاقبة . وان هذا التحرر هو الذى ييسر السير الى الامام فى خطوات سريعة ، وانه الذى يفتح امام العقل الاسلامى الدروب والمسالك بحيث يهتدى السائرون من المسلمين الى الغايات الصحيحة التى يجب ان يوجهوا انفسهم اليها .

ورات هذه السلفية الجديدة ان العقل الاسلامى يجب انّ يأخذ حظه فى نقد القديم ، وفى اعادة بناء الشريعة الاسلامية بناء جديدا يتفق ومتطلبات العصر . ويرى الدعاة لهذا المذهب أن كثرة المذاهب فى الشريعة دليل حيوية هذه الشريعة ، وتحرر عقلية اصحابها . ويرون ايضا ان هذه المذاهب الفقهية ليست فى الحقيقة الا تفسيرات فردية لاناس أوتوا حظا من العلم والمعرفة ، ومن الذكاء النادر ، ومن العقل القادر على الخلق والابتكار . وان أحدا منهم لم يقل بأن قوله الفصل ، ولم يذهب الى ان تفسيره واستنباطه للأحكام هو آخر كلمة تقال - ومن هنا دعت السلفية الى فتح باب الاجتهاد مرة أخرى ، فتحه لمعالجة قضايا جديدة ومشكلات حديثة .

ورات هذه السلفية الجديدة انها تقاوم باسم الدين من الرجعيين من رجال الدين ، وممن وراءهم من الحكام ، والامراء ، والاقطاعيين ، وكل من يرى فى النهضة الفكرية خطرا عليه. فراحت هى الاخرى تعتمد فى نضالها على الدين ، وتستخرج من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية الشريفة ، نصوصا تؤيدها فى موقفها ، وتكسب بها العامة الى جانبها . ونجحت فى خطتها هذه الى الحد الذى جعل العامة انفسهم يسخرون من الرجعيين من رجال الدين ، ويسخرون من الحكام الذين يخدعون العامة باسم الدين .

لقد دعت السلفية فى هذا الموقف الناس اجمعين الى ان ينقدوا ويفسروا هذه المبادىء والنظم التى اوجدها العقل البشرى ، والتى يحكم على اساس منها الملوك والامراء ، دعتهم الى أن يكون موقفهم منها مثل موقفهم من النصوص الدينية وان يكونوا هنا أكثر حرية وانطلاقا - لأنه لا يجوز أن يكون موقفهم من المخلوق اضعف من موقفهم من الخالق، وان يكون خوفهم من المخلوق - حين ينقدون كلامه، اكثر من خوفهم من الخالق .

لقد دعا الخالق العقل الى التفكير والتدبر - ومن حق العقل ان يفكر وان يدبر . ولا خوف عليه من تفكيره او تدبيره من خليفة أو ملك أو صاحب سلطان .

كان صاحبنا الذى نتحدث عنه من هؤلاء السلفيين . ولد فى قسنطينة بالجزائر ، وتعلم وتخرج فى جامعة الزيتونة بتونس وحين عاد الى الجزائر قام بما يلى :

١ - انشا جمعية العلماء التى اخذت على عاتقها فتح فروع لها فى مختلف انحاء البلاد ، وارسال الدعاة والمبشرين الذين يدعون للمذهب السلفى ويجمعون الناس حوله ، ويبصرون الناس بمسائل الدين والدنيا ، ويربطون فيما بين الدين والحضارة الحديثة ايمانا منهم بأن لا تعارض بين الدين والعلم .

٢ - انشاء المدارس فى مختلف انحاء البلاد لتعليم الناس وتثقيفهم ، ولتمكين اللغة العربية

من ان تكون لغة الحياة ، ولغة العلم والتعليم فى هذه البلاد ـ ايمانا بان الثقافة العربية تتسع لكل الوان الحضارات ، وانها مع الدين الاسلامى الجامعة التى تجمع فيما بين العرب والبربر ، وتوحد فيما بينهم ، وتجعلهم شعبا واحدا يكون وغيره من الشعوب العربية امة واحدة ـ هى الامة التى سادت العالم وقدمت له دينا انسانيا عالميا وحضارة اسلامية عربية ، اتسعت لكل جديد ، وشملت كل حديث ، واصبحت انسانية النزع ، عالمية الاطار .

٣ انشاء الصحف التى تعبر عن آراء الجمعية وتبصر الناس بما يدور حولهم واتخذوا من مجلة الشهاب صحيفة لهم . واعتمدت هذه الصحيفة الدين مفسرا للحياة وموجها لها .

ووقفت الجمعية من الاحزاب والجمعيات السياسية موقف من يؤمن بها ولا يرتبط بها الرباط القوى الذى يجعلها متبنية لأفكار حزب بعينه أو جمعية بعينها ، وتركت لأفرادها من العلماء حرية التعبير عن آرائهم السياسية من حيث انها لاتتخذ من السياسة الخالصة هدفا لها تعمل على تحقيقه بوسائل سياسية معينة . ومن هنا ارتبط الاعضاء بما يريدون من أحزاب ـ كل على حدة ـ واتخذوا من المواقف مايشاءون ـ كل على حدة ايضا .

لقد عمل اعضاء الجمعية مع الكل ونشروا دعوتهم وافكارهم فى كل هيئة وكل حزب . ان الدعوة الوحيدة التى تمسكت بها الجمعية هى ان تظل الجزائر بعيدة عن أن تصبح جزءا من فرنسا .. لانها امة لها ذاتيتها المستقلة . وفى ذلك تقول صحيفة الشهاب فى عددها الصادر فى ابريل عام ١٩٣٦ **« اننا نرى ان الامة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ماتكونت به سائر امم الارض . وهى لاتزال حية ولم تزل ، ولهذه الامة تاريخها اللامع ، ووحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقبيحة كمثل سائر امم الدنيا هذه الامة الجزائرية ليست هى فرنسا . ولا تريد ان تصبح هى فرنسا . ومن المستحيل ان تصبح هى فرنسا حتى ولو جنسوها . »** .

ان هذه الجمعية التى اكتسبت صبغة دينية خالصة لم تكن بعيدة أبدا عن مجال العمل القومى مهما يقل أعضاؤها من بعد لهم عن العمل السياسى وان المؤرخ لايستطيع أن يتجاهل ابدا أن اعمالها هذه ، واهدافها التى حققتها ، كانت من صميم العمل السياسى ـ وخاصة فى بلدة كالجزائر .

لقد كان الافرنسيون يعملون دائما على أن يفرقوا بين العنصرين العربى والبربرى ظنا منهم بان البربر ، وهم القسم الاكبر من السكان ، جديرون بالانفصال وتكوين جماعة مستقلة لها مصالحها الخاصة ، ولها لغتها وثقافتها . جماعة يمكن فرنستها والاعتماد عليها فى أن تصبح الجزائر جزءا من فرنسا ، وأن يصبح الشمال الافريقى كله جزءا من فرنسا . وفوتت عليهم هذه الجمعية تحقيق هذا الغرض بتقويتها للشخصية العربية فى الجزائر .

ولقد كان الافرنسيون يتخذون من الدين سلاحا لهم حين يعتمدون على مشايخ الطرق الصوفية فى نشر الاوهام واذاعة الخرافات . وفى بث الدعوة التى يرغب الافرنسيون فى الدعاية لها ـ كل ذلك ليبقى العقل الاسلامى معطلا عن التفكير ـ وجاءت هذه الجمعية فحاربت رجال الطرق الصوفية ، وحاربت أن يكون الدين وقفا على رجال بأعيانهم هم وحدهم الذين يعرفون الدين ، ويقررون وحدهم ماهو الحلال وما هو الحرام .. ونادت بما ينادى به السلفيون من أن الدين ليس وقفا أو احتكارا . وان العقل الانسانى الناضج الذى يملكه الانسان الذكى قادر على أن يستخرج لنفسه الاحكام ، ويستنبط بنفسه القضايا . وأن ائمة الدين لم يمنعوا الاجتهاد ، ولم يقولوا ابدا بانهم قد وصلوا الى كل صغيرة وكبيرة ، وان قولهم هو الفاصل فى التفرقة بين الحق والباطل . ان احدا منهم لم يدع لنفسه هذا الحق ومن الاجرام فى حق الدين ان يدعى لهم انسان هذا الحق .

وفوتت الجمعية هنا ايضا على الافرنسيين اغراضهم .

وظلت الجمعية تقوم بعملها القومى خير قيام الى أن تطورت الاحداث ، وتطلب الموقف قيادات سياسية جديدة قادرة على الصمود أمام الاحداث

لم ير الاعضاء فى أنفسهم القدرة على هذا الموقف فتركوه لغيرهم وقصروا نشاطهم كله على المجال الدينى التعليمى .

كان اسم الرجل الباعث على هذا النشاط كله ابن باديس .

عبد الحميد بن باديس

كلمات

ان الاديان لم تنزل التشايع نظاما معينا . بل لتنقذ الانسان من جميع النظم التى يخشى أن تغمره

ان الشبه بين الوحى الحقيقى والثورة عميق الى الحد الذى يجعلنا نقول بان الوحى اذا توقف عن عمله الثورى تجمد ، وانه اذا تجمد اصبح غير امين على نفسه ويكون الناس حينذاك قد فقدوا الحقيقة .

لقد كان الانبياء جميعا من الثائرين

الرجوع الى الوراء امر مستحيل . وسواءاكان الماضى غنيا ام مخزيا ، تعيسا ام سعيدا ، فان المرء لايسير القهقرى فى عالم يتقدم .

ان الرجوع الى الوراء ، ومعنـــاه الخروج من التاريخ ، هو عمل الغابرين الذين تجتاحهم القوى الصـاعدة فتجرفهم خارج الزمن . وهكذا تموت الحضارات برفضها التكيف ، وعدم قدرتها على مسايرة العالم الحديث .

ان الرجوع الى الوراء ليس الا التعصـــب ـ التعصب الذى يجىء نتيجة لانكماش المرءعلى نفسه على حاضره أو على ماضيه .

والتقليد تعصب لانه انغلاق فى حدود الماضى .

والانانية تعصب لانها انغلاق فى حدود الحاضر

ليس التعصب الدينى الا انخفاض الايمـان فى الغريزة ـ ليس الا انهيار الذات الشخصـية فى اعماق اللاوعى

د. محمد احمد خلف الله



المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ٤ -

أصل الاصول لدى الفكر الديني ـ دلالات من ثبات سنن الكون ـ الكون صورة مختارة ومرآة عاكسة لصفات الخالق ـ المقام المحمود الاعظم للعقل ـ استقبال القرآن للعقل بترحاب ـ كرامة لا يأباها الا سفيه ـ الكائنات العليا والنبأ العظيم .

***

يجدر بنا ونحن نجادل (المادية الالحادية) الواقفة عند حدود البناء المادى للكون ، والقاصرة عن ادراك المدى الواسع الذى يطلق القرآن العقل اليه وراء حدود ذلك البناء المادى، ليريه قيمته وقدرته الحقيقية التى لا تتقوقع داخل الحدود المادية الضيقة لعالم المادة ، بل تنطلق وراء تلك الحدود ؛ لا انطلاق التخيلات الكاذبة والشطحات والاوهام بل انطلاق الحكم المبنى على القياس المنطقى البعيد الدقيق الذى لا يخطىء ...

أقول .. يجدر بنا فى هذا المقام أن نبين فكرة هى أصل الاصول فى العقل الدينى الاسلامى ، وهى أن الله الخالق فى تصور ذلك العقل هو المنشىء للكون من لا شىء .. أى من العدم وانه هو واضع السنن والقوانين الكونية المطردة التى لا تتبدل ولا تتحول على الاقل بالنسبة لنا نحن المخلوقين وبالنسبة لواقع الكون ..

ولكن ذلك العقل الدينى يرى أيضا أن الله تعالى مع أنه جعل هذه السنن والقوانين تطرد ولا تتبدل ولا تتحول الا أنها لا سلطان لها على قدرته وارادته، فهو غير مقيد بتلك السنن والقوانين التى وضعها لسير الطبيعة ، ولا يعقل أنه لا يملك خلق تلك السنن والقوانين اذا أراد ؛ تمشيا مع الاطلاق فى قوله تعالى (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم **وننشئكم فيما لا تعلمون)** .

و (فيما لاتعلمون) هذه جملة وراءها من التصور والفرض والخيال مالا قبل للعقل أن يبلغ مداه ..

غير أن للعقل الدينى أن يستنتج من ثبات سنن الكون وقوانينه ، ومن أقوال القرآن عن ذلك الثبات والدوام ؛ وعن أنها ما وضعت الا بالحق والقسط ، وعن أن الكون فى اتساعه ورحابته الهائلة من الأوج الى الحضيض، يسير بنظام واحد فى الذرات الصغيرة والمجرات الكبيرة ؛ بمليارات نجومه وافلاكه ؛ هو الجد الذى لا لهو فيه ، والحق وموازين القسط .. أقول : ان للعقل الدينى أن يستنتج من ذلك الثبات والاصرار على اتجاه واحد يتجه اليه الكون بدون تحويل وتبديل ، أن الخالق اختار للكون ابدع سنن الحق والخير والجمال واقامه على صورة الكمال الدائم الذى يرتضيه ، وانه « ليس فى الامكان أبدع مما كان » وأنه جعله على صورة عكست صفاته واسماءه الحسنى التى صدر عنها . أجل . يرجع العقل الدينى القرآنى ان الصورة الراهنة للكون هى الصورة المختارة الثابتة العاكسة لصفات الله وكماله واتجاه ارادته . قال القرآن (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا .. ذلك ظن الذين كفروا) (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين . (فماذا بعد الحق الا الضلال) (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان .. والارض وضعها للأنام) (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا اتينا طائعين) (واوحى فى كل سماء أمرها) (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) .

والعقل الدينى بكل طاقات التعجب التى فيه يحتفل حين يرى أى شىء فى أى افق ، سواء أكانت اسباب وجود ذلك الشىء ظاهرة خاضعة للحس أم لم تكن .

وفرق كبير بين هذا العقل الذى يحيط هذه الاحاطة ، ويحكم هذه الاحكام ، ويتحرر من المنطق الحسى هذا التحرر ، ولا يتصور الاله الا حر الارادة والقدرة ، وانه كان ولا شىء معه ويبقى ولا شىء معه، فهو الأول وهو الآخر ؛ وأن الكون كله صادر عن ارادته .. أقول، فرق كبير بين هذا العقل وبين العقل الواقف عند حدود البناء المادى ؛ القاصر عن تخطى تلك الحدود بالتفكير الحر الذى يتناول الكون قبل بدئه وبعد انتهائه ويصاحبه مرحلة مرحلة ، ويأبى أن يتصوره أزليا وأن يتصوره أبديا ، بل يحكم بأن الازلية والابدية للخالق وحده والوجود الحقيقى له

وحده ، (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ٠

وانه لمقام سام غاية السمو ان يكرم القرآن العقل الانساني هذا التكريم ! فيجعله يرى الكون هذه الرؤية ! ويزويه بين عينيه ! ويضعه بين يديه ! ويقيمه فيه مقام الشهادة العظمى مع شهادة الله الخالق والملأ الاعلى على الحقيقة الاساسية الكبرى التي قام بها بناء الوجود وصلاح العالم ! وهي وحدانية الله وقيامه على الوجود بالرعاية والرحمة والعدل (شهد الله أنه لا اله الا هو ، والملائكة وأولو العلم، قائما بالقسط) ٠

فماذا يطمح اليه الكائن الانساني أعظم من هذا المقام !؟ انه فيما يبدو قد دخل الحياة بدون اختيار منه ولا ارادة ويخرج بدون اختيار منه كذلك ، ليس له من الامر شيء ! وهو يرى بدء حياته من ماء مهين وانتهاءها الى حفرة ضئيلة ! ويرى ضآلته بين أطباق السموات والارض وسلطان القوى المادية ذات الهول والجبروت ٠٠٠ ومع كل تلك الاسباب التي تشير الى أنه في ظاهر الامر لا قيمة له ، يستقبله القرآن بترحاب وتكريم ! ويأخذ بيده ويزكيه ويوحي اليه ويهيب به: (اني جاعل في الارض خليفة) ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) (وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا منه) (ولقد كرمنا بني آدم) (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان) (لتركبن طبقا عن طبق) (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ٠

هكذا يستقبل القرآن العقل البشري بأنس وترحاب ويسلمه مفاتيح علوم الارض والسماء ، ويشجعه على بحث كل شيء ورفع أستاره ومعرفة أسراره ! ويخوله امتلاكه وتصريفه وتسخيره ! ويذهب عنه الروع والخوف القديم من القوى المادية الجبارة ، ويفتح له أبواب الطبيعة ويركبه فيها طبقا عن طبق في أجواز الفضاء الكوني والفضاء النفسي !

فاية كرامة اعظم من هذه ؟! وأية نفس تأباها وترفض اليد التي تمتد بها الا أن تكون قد سفهت نفسها وجانبت الرشد! ورضيت بالضياع والوقوف موقف العجز والهوان على ذاتها وعلى العالم ؟!

والذين يقفون عند الحدود المادية للكون ولا يرون بعقولهم من وراءه ، هم الذين يأبون هذه الكرامة والرشد ويرفضون تبوأ هذا المقام المحمود! ويرضون لانفسهم بالعجز وعدم التطلع الى الكمال ، ويحجرون على عقولهم أن تنتفع بما فيها من طاقات تؤهلها أن تكون من موازين الحكم والرأي في الكون ، ومن أدوات البحث عن البناء العظيم والشأن الخطير الذي يعمره وينبث فيه ! ويحملونها على أن تعيش حياتها آلة صماء أو قوة عمياء كتلك الآلات والقوى المادية التي تقف هي عند حدودها ولا تتطلع الى ماوراءها ٠

وهم مهما كشفوا واستخدموا من أسرار التكوين والتخريب والقدرة على التسخير واختزال الابعاد ومواجهة عوامل الفناء ، ومهما صعدوا من أجواز الفضاء الكوني والكواكب أو نزلوا الى أعماق الارض والمحيطات فانهم بموقفهم المتحجر الخائف الواقف عند حدود المادة قد برهنوا على أنهم ليسوا من الكائنات العليا بل من الاحياء الدنيا التي لا تعرف نفسها ولا حق الوجود ! بل تعيش بعقلية القطيع في ذهول الا عن الكلأ والسوم والرعي وعصا القهر التي تراها على رأسها٠٠ أما اليد التي أوجدتها وساقتها الى ساحات رعيها وسعيها وخولتها ما هي فيه من حياة ومتاع وهي التي تحميها وتدفع عنها وتحاول أن ترفعها الى مستوى الرشد والحكم والاختيار والكرامة وحرية التطلع الى النبأ العظيم الذي ينبيء به هذا الكون٠٠ فهي لا تراها ولا تحاول أن تراها ٠٠

ومن هنا كان عماها عن رؤية اتساع الكون واتساع قدرة مالكه واكتشاف اعماقه ومدى طاقات عقل الانسان وقدرته على رؤية ما وراء ذلك البناء المادي العظيم ٠٠

ومن العجيب أن ترضى هذه العقول الواقفة عند حدود المادة لنفسها وحياتها هذا الضيق والضنك بينما يناديها الكون بهواتفه التي لاعدد لها ويدعوها القرآن بأنسه وترحيبه واحتفاله أن تنطلق وراء أشواقها الفطرية الى المجهول الذي وراء حدود البناء المادي ، وان تحاول التعرف اليه كشأنها ودأبها مع كل مجهول ٠٠

ولكن غمرات الحياة المادية اليومية اخذتها والهتها وأذهلتها عما خلقت لمعرفته من النبأ العظيم الذي يعمر الكون العظيم ، وشغلتها بتزاويق التراب وقوانين الحياة في التراب ٠٠ كما يقول القرآن (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٠ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

عبد المنعم خلاف

تراثنا الروحي والتطوير الاجتماعي

للدكتور أحمد الخشاب

حاول الكثير من علماء الغرب ان يرجع سبب تخلفنا الى طبيعة تراثنا الروحي وما صارت اليه القيم الروحية من جمود نسبي ابعدها عن أن تساير التطور الاجتماعي . والواقع أن هذا الزعم يجعلنا نناقش عدة مسائل .

أولا : هل من طبيعة تراثنا الروحي الدعوة الى الجمود الفكري ؟

ثانيا : هل هناك ثمة اتجاهات فكرية تجديدية ؟

ثالثا : هل يمكن أن يكون لنا مذهب اجتماعي ينبثق من طبيعة تراثنا الروحي والاجتماعي ؟

رابعا : ما هي الخطوات الايجابية التي يمكن ان نلجأ اليها للعمل على تطور مجتمعنا تطويرا ايجابيا وحركيا ؟

فيما يتعلق بالمشكلة الاولى فما أحسب أن أحدا منا يجرؤ على أن يوصف تراثنا بالجمود أو الدعوة اليه . واذا سايرنا الذين هاجموا اتجاهاتنا الروحية ونسبوا اليها ما أصابها من ركود فاننا لا نستطيع بأي حال أن ننسب هذا الى تلك المبادىء الاصلية ، وانما المسئول الاول في ذلك هم القائمون عليها المفسرون لأحكامها من رجال الفقه والدين الذين شاءوا أو شاءت أهواؤهم أن يوقفوا باب الاجتهاد وأن يتخذوا القياس التمثيلي أساسا لاحكامهم — وأن يقيسوا الاعتبارات القديمة بالمقاييس والقيم التي جمدت والتي بحكم عدم تطورها لم تعد ملائمة لطبيعة العصر أو المجتمع التي تطبق فيه . وبدلا من أن يعين الدين على التقدم العلمي والاجتماعي تسبب كثيرا في اعاقته . ان مقاومة التقدم العلمي والاجتماعي لا يمكن أن تنسب دائما الى الحرص المحمود على القيم الروحية . وفي كثير من الاحيان لا يكون الخطأ خطأ الدين ولكن خطأ الممثلين الرسميين للدين ، فقد يقفون في طريق التقدم بسبب خوفهم الذى لامسوغ له أو بسبب بواعث طبقية او طائفية أو بسبب تضامنهم مع القوى الرجعية .

ولا شك ان تراثنا الروحي قد ارتكز على نظام عالمي يوجه الانسان في الحياة ويساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية درجة سامية من الكمال الانساني .. انه يدعو الى العمل والجد على نحو ما ورد في القول المأثور ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

ومن المسلم به أن التراث الروحي لأية جماعة ينطوي على تنظيم جماعي يكون محور ترابط وتكامل افرادها . وهو في الوقت نفسه يكون بمثابة الوعاء الذي تنصهر فيه المثل الاجتماعية والمقومات الخلقية التي تضمن للمجتمع كيانه الروحي ، فهو في هذا المعنى يسد ويقابل احتياجات الترشيد الاجتماعي اذ لاريب أنه يحتوي جميع القواعد والقوانين والسنن التي تنظم علاقات الافراد بعضهم ببعض وعلاقاتهم بمجتمعهم وتوضح لهم السلوك السوى في كل مناخ اجتماعي .

غني عن البيان ان هذا التراث الروحي قد أدى دورا قياديا في تغذية الوعي القومي وتقوية الدفع الثوري في وطننا العربي ضد الاستعمار الغربي . وقد تبلور هذا الدور في حركة احياء التراث الاسلامي في العالم العربي فكانت الحركة السنوسية في برقة الليبية قد قامت عن طريق الارشاد الديني والخلقي ، وما لبثت أن ظهرت ضرورة انشاء دولة للذود عن كيان الاسلام في مجاهل القارة الافريقية لتوقف النشاط التبشيري الذى يمارسه المستعمر الأوربي وكانت وسيلة السنوسية انشاء الزوايا وهي دور عبادة وتعليم وارشاد ومراكز حياة واجتماع ومقر سلام وأمن نظام . وقامت القادرية بنشر الدعوة في المجتمعات الافريقية عن طريق فتح المكاتب الصغيرة (الكتاتيب) وزوايا الطريقة في كثير من الهيئات الريفية .

وفي مصر ظهرت الحركة المعروفة باسم السلفية على يد جمال الدين الافغاني ، الذى جاهد في كشف أساليب وآثار الاستعمار الانجليزي على العالم الاسلامي وأوضح أثر الاستعمار الفكري على الفكر الاسلامي وكان يتزعم حركة مناهضة الاستعمار السياسي والثقافي والاقتصادي باعتبار أن ذلك واجب ديني على المسلمين وامتداد للجهاد في سبيل نصرة التراث الروحي .

وقاد الحركة السلفية بعده الشيخ محمد عبده الذى دعا الى التمسك بتراث المسلمين الروحي باعتبار أن الاسلام دين تجديد وتطوير ، لا عقم ولا جمود واعتبر أن الاجتهاد في الامور الشرعية ضرورة عقلية

ودينية ودعا الفقهاء والمشرعين الى التحرر من الاعتبارات التقليدية الرجعية ، وأكد مبدأ الحرية الفكرية والحرية الفردية ، فالفرد الحر المختار هو اللبنة الايجابية فى صرح الامة الاسلامية على أساس محاربة التواكلية والعزلة الثقافية .

والواقع أن هذه الحركات التى ارتكزت على اظهار فعالية التراث الروحى كانت فى أول أمرها تحاول أن تربط الشعور القومى بالشعور الدينى وتربط المجتمع العربى بالمجتمع الاسلامى على أساس لون من الحكم البتوقراطى الدينى التجديدى . وهذا اللون لم يعد يلائم طبيعة المجتمعات بعد ما اصابها من التطور، وتعقدت العلاقات الدولية وارتبطت بعض الدول الاسلامية بأحلاف رجعية أحيانا وبأحلاف عدوانية واستعمارية أحيانا أخرى، الامر الذى ابعدها عن ركب المجتمعات العربية المتحررة بل انه فى مجال السياسة الدولية المعاصرة، كثيرا ماتستغل الدعايات بعض الشعارات الدينية فى محاولة تعويق انتشار الافكار التقدمية ، وتستلزم هذه الوضعية بالضرورة محاولة ايجابية للتصدى لمثل هذه المحاولات التعويقية باظهار وابراز السند الروحى والدينى للفكرية العقائدية التى تنتهجها الجمهورية العربية .

ويكفى للتدليل على ما تعطيه الايديولوجية العربية للعنصر الروحى من اهمية ايجابية وحرص الميثاق الوطنى على تأكيد فعالية الطاقات الروحية فى الانتفاضات والنهضات القومية اذ جاء مانصه « واذا كانت الأسس المادية ضرورية ولازمة لتنظيم التقدم فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد .

وورد فى الميثاق كذلك « ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة ، كما أنها تستطيع ان تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات .

« على أنه يتعين علينا أن نذكر دائما ان الطاقة الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات » .

وبذلك يمكن أن نستخلص من هذا العرض لتقييم قضية تراثنا الروحى من قضية التطوير الاجتماعى .

أولا : ان الجمود أو التخلص ليس متبعثا من قضية تراثنا الروحى أو تشريعنا الاسلامى ولكنه عنصر دخيل فرض من الداخل للسيطرة السياسية او الاقتصادية أو الدينية واجبرنا عليه من الخارج نتيجة للوضع السياسى العام الذى وجدت فيه المجتمعات العربية .

ثانيا: اننا نستطيع أن نستكمل بناء أيديولوجيتنا على أسس ودعائم تنبثق من طبيعة مجتمعاتنا وتسد حاجاتها وتحقق آمالها وأهدافها ومثلها وأن فى تراثنا الروحى فى ميدان السياسة الاجتماعية ما يرمى الى علاج مشاكل المجتمعات ، فنحن لسنا فى حاجة الى تقليد الشيوعية أو الراسمالية . فتراثنا لا يتفق مع الجبرية المادية ولا يؤيد الصراع الطبقى العنيف ، كما أنه يحذر من الاحتكار والرقى المشروع فى النظم الراسمالية وهو يقف وسطا بين بين . يقيم للحرية الفردية وزنا ويطلب من الجماعة ان تتدخل لحماية الفرد ويعطى للفقير الحق فى أن يعيش عيشة آدمية .

ولميثاقنا الوطنى وعيه الجماعى الناضج فى تقديره للانسان . فالمؤاخاة والاخوة والعدالة الاجتماعية التى دعا الى تحقيقها من الوعى المشترك والترابط الذى يتجاوز حدود البيئات المحلية والتفاوتات فى المستويات الولادية والفوارق السلالية .

ثالثا : ليس علينا الا أن نعمل على تطوير قيمنا ومفاهيمنا تطويرا يتلاءم مع الوضعيات الاجتماعية المعاصرة ، وأن نحرر أنفسنا من الخوف من الايديولوجيات أو القيادات المذهبية باستكمال صرح أيديولوجيتنا المتحررة ، وأن نتلقى فى استمداداتنا الثقافية بالقدر الذى يمكن لنا استكمال عناصر تطويرنا . وان نكسب الانطلاق الحر قوة منبثقة فى طبيعتنا باعتبارها امتدادا لحيويتنا . وأن نحارب القيادات التواكلية التى تورثنا الضعف أو تعودنا على التسول الدولى . وأخيرا فلا بد من تطوير آداة تواصلنا الفكرى واللغوى تطويرا يساعد على تحمل واستيعاب المصطلحات الفنية المستخدمة وزيادة ثورتنا منها زيادة تؤدى الى انتشارها، وعلينا أن نرعى مبادىء تكافؤ الفرص والتكامل الاجتماعى وديمقراطية الطيبات الانسانية مع التنميط الذى يسمح بايجاد الكثير من أصناف السلع بحيث يكون باستطاعة أى فرد الحصول عليها من أى صنف .

بعد هذا يحق لنا التساؤل . كيف يحدث التطور؟

هناك خصائص مميزة للظاهرات الاجتماعية تعتبر قاعدة أساسية لفهم سر التطور ، هذه المبادىء أو تلك الخصائص هو أن الظاهرات الاجتماعية مترابطة يؤثر بعضها عن البعض الآخر ويفسر بعضها البعض الآخر، وهذا ما يعبر عنه بالترابط والتكامل الاجتماعي .. وهناك ايضا خاصة تنفرد بها المجتمعات الانسانية عن بقية التكتلات الحيوية . وهي القدرة على التعلم وعلى اكتساب خبرات اجتماعية نتيجة المحاولة والخطأ بغية الوصول الى الاستفادة وتسخير الموارد الطبيعية لسعادة الانسانية ، وهذه القدرات تؤدي الى تغيير دائم ومستمر وهذا مايعبر عنه بالعامل التكنولوجي.

هذا الى أن المبدأ الحيوي في المحافظة على النوع وتزايد الانسان أو قلته من شأنه أن يحدث تزايدا أو تناقصا تبعا لظروف البيئة الجغرافية ووفقا للاحوال الاجتماعية وهذا ما يعبر عنه بتغير العامل الديمغرجرافي السكاني ..

وهذا يخضع لعدة عوامل فرعية كعامل الجنس والتقدم الحيوي كذلك العامل الثقافي شأنه في احداث التطور فالثقافة تقدير لقيم الاشياء ينعكس في انتاج المجتمع الادبي والفلسفي والمادي . ولما كان العامل الثقافي يتغير من فترة الى فترة ومن جيل الى جيل فان فنون كل أمة وآدابها وفلسفتها لا تبقى على شكل واحد متجمد .

ولما كان للثقافة خاصية الزيوع والانتشار والانتقال والتسرب والسريان من مجتمع الى مجتمع آخر فان علية الاستعداد الثقافي يكون لها عمليا في تغيير نظم وأفكار المجتمعات المنتقل منها واليها . نضيف الى ذلك مجموعة من العمليات الاجتماعية التي لها فاعلية ايجابية في تنظيم علاقات الافراد وتوجيه نشاطهم وتكييف اتجاهاتهم سواء في نطاق بيئاتهم الخاصة او خارج هذا النطاق ومن بين هذه العمليات الملاءمة والتكيف الثقافي والاجتماعي والتعاون والتنافس والصراع والتمثل وغيرها من العمليات التي تحدث أثرها في استقرار المجتمع أو تبدله من مرحلة الى مرحلة أخرى .

في ضوء ماتقدم يحدث التبدل أو التطور الاجتماعي في نواحي كثيرة من حياتنا فقد يحدث أولا أن العامل الآلي أو التكنولوجي الانتاجي نتيجة وصول المجتمع او استخدامه لأحدث الوسائل الانتاجية الجديدة سواء أكان ذلك عن طريق الخلق والاستيعاب فيترتب على ذلك تغير أو تطور شامل في بقية مظاهر النشاط الاجتماعي، فاذا افترضنا مثلا أن مجتمعا من المجتمعات التي تعتبر الزراعة أو الرعي الوسيلة الانتاجية الأولى. قد تحول الى مرحلة التصنيع الآلي مثلا. فانه لا بد لنا أن نتوقع تكيف المنظمات الاجتماعية بهذه الوضعية الجديدة ، فبعد أن تتبادل وسائل الانتاج تتأثر المؤسسة الاقتصادية وتظهر طبقات اجتماعية جديدة. ويتطلب هذا تكيف آخر في المؤسسة فيتناول التبدل الاجتماعي مؤسسات جديدة لم تكن مألوفة من قبل كانشاء نقابات ونواد عمالية كما يحدث تغيرات البيئة الاجتماعية وتوزيع السكان كهجرة العمال من القرى الى المدن لممارسة الصناعة .

وبطبيعة الحال يستلزم ذلك تغييرا في العناصر المعنوية وفي التشريعات التي تنظم العلاقة بين الطبقة الجديدة الصاعدة والطبقات السابقة .. وهنا تختلف المواقف والقيم وفقا للمذاهب والافكار وتهيأ للنظم السياسية والاقتصادية للتكيف بالوضعية الجديدة فقد يتحول المجتمع من مرحلة الاقطاعية الى المرحلة الرأسمالية ثم الى المرحلة الاشتراكية أو الى المرحلة التعاونية وفقا لظروفه وروحه العامة والعناصر المعنوية الموجهة له .

هذا ملخص وصفي تحليلي للتبدل او التطور يوضح طبيعته ومظاهره ومجالاته على افتراض حدوثه نتيجة لاحدى العوامل المهيئة له .

ويجدر بنا أن نتساءل عن نقطة البداية في أحداث التطوير الاجتماعي ، وهنا نجد أنفسنا بين رأيين متعارضين يؤلف بينهما رأي تكاملي . فبعض العلماء يذهب الى أن التطوير انما هو نتيجة مباشرة ولازمة لتطور الجانب أو المظهر أو العنصر المادي في المجتمع ، والفريق الآخر يقول: ان التطوير انما ينبع عن تطور معنوي أو روحي في المجتمع .. والفريق الثالث يرى أنه لا غناء في اثارة هذه المشكلة اطلاقا اذا نظرنا نظرة تكاملية باعتبار أن هناك تجاوب وتفاعل وتبادل مستمر بين العناصر المادية والمعنوية في كل مرحلة من المراحل التطورية فخير وسيلة لدراسة العوامل التطويرية هو دراسة العلاقة الوثيقة بين الواقع الاجتماعي وبين الايديولوجي المذهبي الذي يقابله أو الذي يتفق معه لاثارة الحساسية الجماعية بضرورة التغيير المنشود ، فهذا من شأنه أن يحقق النقل الفكري والمذهبي . ويضمن التجاوب الفردي

الشخصية التاريخية لفوز صاحبة العباس بن الأحنف

للدكتورة عاتكة الخزرجي

ان ديوان العباس هو المرجع الاول الذي نعتمده في دراسة صلة الشاعر بصاحبته فوز ، فقد رسم لنا من محبوبة العباس صورة واضحة المعالم كما انه القى الضوء على شخصيتها التاريخية واعاننا على أن نخرجها سافرة الى النور بعد ان كانت مغمورة في الظلال على الرغم من الغموض الذى احاطها به العباس والتكتم الذى اكتنف اسبابه بها والتضايل الذى اراده الشاعر للناس في حياته ومن بعد موته .. ! وهكذا عاشت « فوز » لغزا كامنا في ضمير التاريخ وسرا مطمئنا في قرارة الزمن وكانت حتى يومنا هذا كما اراد لها صاحبها ان تكون :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا
وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم
وصادق ليس يدرى انه صدقا

وحسبك ان تعلم ان العباس استطاع ان يضلل ابا الفرج الاصفهاني نفسه وكذلك فعل بالوشاء ولم يكن سواهما من المؤرخين بأحسن منهما حظا في هذا السبيل !

ولعل أول مايلفت نظر الباحث في غرام العباس ، اصالته وصدقه اذ لم تكن « فوز » هذه عروسا من عرائس الشعر او تمثالا من صنع الوهم والخيال انما كانت امرأة من لحم ودم ، هذه المرأة التى كانت حكاية قلب الشاعر في حياته وفي ديوانه وليس اخرى سواها .. ! على ان النويرى ينفرد بين المؤرخين بقوله ان العباس كان كلفا بعنان جارية الناطفى وانه كان يساجلها شعر الحب .. ومن يدرى ! فلعل العباس عرف عنانا هذه قبل فوز وان صلتها كانت خفيفة واهية حتى أن مؤرخى الادب أهملوا ذكرها ..

ومن « فوز » هذه ؟ من تكون ؟

الواقع ان العباس لم يعدم سبيلا في اخفاء شخصية صاحبته على الرغم من انه لم يكن يحيا في عصر يكلف الشاعر الذى يشهر بحبيبته حرمانه منها او اهدار دمه ومع ذلك فقد حفظ لنا التاريخ اسماء الكثيرات من هؤلاء الحبيبات امثال عفراء صاحبة عروة وليلى قيس وبثينة جميل .. أو ليس من الغريب اذن أن نرى العباس يحيا في حاضرة أنأى ماتكون عن التعصب وادنى ما تكون الى التحرر بل الى التحلل في بعض الاحيان ، اقول أو ليس من الغريب ان نرى العباس يحيا في بغداد وفي عصر روضت فيه الحضارة باسبابها الكثير من عنجهية البادية وعفت على الكثير من تقاليدها ومثلها . واختلط العرب فيه بسواهم من الامم فزاوجوا بين ثقافة وثقافة وطعموا حضارة بحضارة ، اقول اوليس من الغريب أن نرى العباس بعد ذلك يتخذ لهواه كل هذه الحيطة وينفرد بهذا التكتم الذى لم يأخذه على نفسه ولا متيم من أبناء البادية ؟ هذا التكتم الذى اوحى الى الشاعر ان يستر اسم المحبوبة وراء طائفة من الاسماء المستعارة على راسها « فوز » الذى اشتهرت به محبوبته وعرفت به فيما بعد !

فسميتها « فوزا » ولو بحت باسمها
لسميت باسم هائل الذكر اشنع !

والجماعي فللايديولوجي قوة التوجيه الاجتماعي متى توافرت فيه شروط معينة أخصها بالذكر .

١ ـ أن يكون الهدف مرغوبا فيه متفقا مع المثل والغايات العليا التى يتطلع اليها الراى العام الجماعي ، وأيا كانت طبيعة ونوعية الوسائل التى تتبع للوصول الى هذا الهدف (سياسية . اقتصادية . ثقافية . دينية) فان الفرد يشعر ان لكفاحه قيمة معنوية مقدسة تبرر تضحياته .

٢ ـ أن تستهوى الايديولوجية افئدة الافراد والجماعات بطريقة صوفية روحية عن طريق الشعارات الرمزية التى تلهب الحماسة العاطفية .

٣ ـ أن يكتب للايديولوجي الزيوع والانتشار بالطريق التقليدي العرفي بمعنى أن يستمد فعاليته من التراث الروحي .

د . أحمد الخشاب

وأنت تعلم أن « فوز » اسم من أسماء الجواري كان شائعا في ذلك العهد ، ولم يكتف الشاعر بهذا الاسم انما أخفى شخصية المحبوبة وراء أسماء أخرى هي في حقيقتها صفات ولكنها استعملت استعمال الاسم . فالشاعر كثيرا مايسمي محبوبته « ظلوم » واحيانا «خلوب» واحيانا أخرى «زلفاء» وقد يطيب له أن يدعوها « سدوم » .

و « فوز » هذه كما يصورها شعر العباس من المدينة استوطنت العراق ولم تنعدم صلتها بموطنها الاول :

مدنية أمسى العراق محلها
ولها بزوراء المدينة دار

اما اصلها فعريق ، فهي والعباس تجمعهما كرامة النسب فكلاهما ينمي الى نزار

ادنى قرابتنا اليها اننا
شخصان يجمعنا اليه نزار

والذي يبدو لنا ان فوزا هذه يتيمة ، فالشاعر لم يشر ولا مرة في شعره الى أبيها انما هو يحدثنا احيانا عن عمها او اخيها ، وهي من أسرة كريمة فيها تحفظ وغيرة على بناتها تصونهن من شطط العيون وتغضب لهن ان جار عليهن غاو أو تعدى حدوده مفتون .. ومن هنا سمعنا العباس يقول مرة :

واني لاهوى ان ارى بعض اهلها
وان كان منهم شانىء يتذمر

او يقول :

انا وعمك مثل المهر يمنعه
من قوته مربض المستاسد الضاري

و «فوز» هذه من ربات الخدور يصعب اليها الوصول ولا يرقى اليها النظر ...

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظر
ولو برزت في الليل ما ضل من يسري

....

بنت خدر تخشى العيون عليها

وكثيرا ما الح على الشاعر الاعياء وأمضه الشوق من فرط وقوفه ببابها :

طال الوقوف بباب الدار من غللي
حتى كأني بباب الدار مسمار

وكم أوهم اليأس الشاعر فعادت تلوح له صاحبته كالبدر بعيد المنال ليس اليها من سبيل :

انا الهائم لشغوف بالبدر اذا بدا
وهيهات من لي بالسبيل الى البدر

ولا أبرع من العباس في تصويره منعتها عليه بهذين البيتين الرائعين :

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤادا عزاءا جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا !

ومن حين لحين نرى الشاعر يضيق ذرعا بنفسه لسعيها هكذا وراء وهم ليس الى تحقيقه من غاية .. وكم قرع نفسه منكرا عليها غفلتها بقوله :

« أتطمع ياعباس في غير مطمع !؟ »

ولله مالمنع هذه المحبوبة وما أشد غيرة أهلها وحفاظهم عليها :

تمنيتها حتى اذا ما رايتها
رأيت المنايا شرعا قد أظلت

وقد يصور لنا الشاعر الاخطار التي استهدف لها من جراء غرامه بهذه الحسناء وكثيرا مانراه يتشكى حرمانه حتى في عيادتها في ساعات المرض .

ومحبوبة العباس كما تبدو من خلال شعره من اسرة مترفة ، فهي ان خرجت لا تخرج منفردة انما هي تسير في موكب من العبيد والجواري .

مرت بنا تشرق الدنيا ببهجتها
في موكب يفرق الاحزان والكمدا

كما ان الدخول عليها لا يكون الا بعد ان ياذن حاجب من وراء بابها الذي يزدحم عليه الناس :

اطيل وقوفي مستهاما ببابكم
ومن دونكم ضيق ومنع حجاب

ولصاحبة العباس هذه سكرتير يكتب عنها :

ما كان ضرك اذ كرهت اميرتي
ان تكتبي ان تامري من يكتب ؟

وأزيدك علما الى هذا أن محبوبة العباس هـــذه يرتفع بها نسبها الى بني هاشم ، والشاعر يدل علينا بكل هذا فكثيرا ما ذكرنا به في شعره ، فنراه تارة يقول :

حب الحجازية أبلى العظام

واخرى :

مطمرة من الفحشـــــاء تنمى
الى اهـل المـــكارم والمعـــالى

أو نراه يقول :

ولى يوم شيعت الجنازة قصـــة
غداة بدا البدر الذى كان يحجب
اشرت اليها بالسلام فاعرضت
تبسم طـــورا ثم تزوى فتقطب
غـداة رأيت الهـاشمية غـدوة
تهـادى حواليهـا فى العـين ربرب

ويبدو ان صاحبنا بعد أن صرح بنسب المحبوبة الرفيع أخذه الندم فاراد أن يشيع فى انفسنا أن فوزا صاحبته والهاشمية هذه شخصيتان لا تمت الواحـدة منهما الى الاخرى بسبب ، الا أن الدارس المتغلغل فى أعماق العباس المتعرف حرصه الشديد على كتمـان هوية صاحبته يقرر فى شيء يشبه اليقين أن الهاشمية هذه ليست الا فوز بعد أن يقرأ له مثل قوله :

ان فى المـأتم الذى شهدته
لسرورا للأعـــين الباكيـــات

أو قوله :

يوم الجنازة لو شـهدت تمتعت
عينى بهـــا ولقلمـــا تتمتـــع
خرجت ولم أشعر بذاك فليتنى
كنت الجنـــازة وهى فيمن يتبـــع

وقد نشأت صاحبة العباس هذه فى افياء القصور والفت لين العيش وخفض الجناب وتقلبت فى أجواء النعيم فطاب لشاعرها من بعد أن يقول :

وتشرفت من قصرها فلمحتها
فلأســـألن عن النعيـــم الاكبر
وكأن نسوتها الكواعب حولها
زهر الكواكب حول بدر أزهر

أو يقول :

تعرضت لى حتى اذا ماستبيتنى
رأيتك تختالين فى صورة البدر
صددت فما هنأتنى منك نظرة
اليك وواراتك الولائد بالســـتر

أو يقول :

وسكنتم فى بطن دجـلة منظرا
أنق المـــرابع طيب المتنظر
وكأن دجلة مذ حللتم قربها
تجرى لساكنها بماء الـكوثر

فصاحبة العباس اذن تقطن قصرا يشرف على دجلة والعباس يحدد لنا موقع هذا القصر بين قصر الخليفة ومقبرة الخيزران :

ان بالـــكرخ منـزلا لغـزال
بين قصر الامـــير والخيزران

***

وقد وهم بعض المؤرخين القدامى فحسبوا صاحبة العباس جارية . فابو الفرج الاصفهانى يزعم لنا فى رواية أن فوزا هـــذه جارية محمد بن منصور الملقب بفتى العسكر، ولم نوفق الى الاهتداء الى هذه الشخصية وان محمدا هذا على ماتزعم الرواية كان قد حج بفوز صاحبة العباس ، وهنـــاك رواية ثانية أوردهـــا الاصفهانى يزعم لنا فيها أن صاحبة العباس هـــذه كانت جارية لواحد من السراة الوجهاء» وانه حج بها» وانت ترى أن هذا السرى الوجيه مجهول الاسم فى هذه الرواية ، ولما كنا لم نهتد الى معرفة الشخصية فى الرواية الاولى اذن جاز لنا أن نتشكك من بعـد فى صحة المزاعم فى كلتا الروايتين !

والوشاء لم ينقل لنا شيئا فى الطبقة الاجتماعيـة التى تنمى اليها صاحبة العباس . بل لم يحدثنا عنها اللهم الا فى فصله الذى أسماه « ما يكتب فوق الجبين والخد» ، وفى فصله هذا أورد لنا طائفة من أسمـاء الجوارى وماكتبنه من أبيات فوق جباههن أو خدودهن وحين جاء اسم ظلوم أطلقه مجردا فى قوله : «وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك» وأورد الابيات أى انه لم يدرجها ضمن الجوارى ، وأردف بعد ذلك يقول :

وظلوم هذه محبـــوبة العبـــاس » ومن يدرى ! فلعل « ظلوم » هـــذه جارية عاصرت صاحبة العباس الحقيقية واختلط على الناس الامر من بعد لاسيما وان

العباس لم يعدم وسيلة ولا سببا في تضليل الناس وايهامهم .

ان الدارس لشعر العباس يرى أن الرجل يؤكد لنا عراقة نسب صاحبته ماوسعته المناسبة بل انه لينفي أشد النفي أن تكون صاحبته جارية وهو يدفع عن نفسه ان يكون ممن يأسره هوى هذه الطبقة من النساء .

ليس عشق الاماء من شغل مثلي
انما يعشق الاماء العبيد
لا وفاء ولا حفاظ ولكن
كذب الود ما لهن عهود
صل اذا ما وصلت حرة قوم
شرفتها آباؤها والجدود

وثمة اعتراض قد يرد على الذهن يفترض فيه ان صاحبة العباس هذه جارية ويريد العباس أن يضلل الناس بزعمه انها حرة ذات أصل . وقد تكون هذه جارية يمتلكها سيد موسر وانه هيأ لها من أسباب الترف ما يستطيع ان يهيئه امثاله من السراة فبدت لنا أشبه ماتكون بأميرة ذات حسب وجاه وسلطان ! وللجواب على ذلك نقول ان صاحبة العباس هذه لو كانت جارية أو امرأة عادية لما كلف الشاعر نفسه عناء هذا التكتم فأحاطها بهذا السياج فظلت مختفية عنا طوال هذه العصور وبقيت هكذا الى اليوم لغزا يرقد في ضمير الزمن ، فالناس يعرفون ابن الأحنف ويروون شعره ولكن لا أحد يعرف حقيقة صاحبته ! وأنى لهم أن يعرفوا حقيقتها وصاحبها هو الذي يقول :

سماك لي ناس وقالوا انها
لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
اني ليعجبني المحب الجاحد

وقد يحلو للشاعر أن يصطنع الهجر على عيون الاشهاد وهو أشد مايكون كلفا بصاحبته . فالعباس هو القائل :

أخبر الناس اني قد سلوتكم
والله يعلم ما مكنون اضماري

وهو القائل أيضا :

واهجر عمدا كي يقال لقد سلا
ولست بسال عن هواك الى الحشر
ولكن اذا كان المحب على الذي
يحب شفيقا غافل الناس بالهجر

وقد يحلو له أن يضلل الناس بان يصطنع هوى أخرى غيرها :

لعمري لئن أوسى بغيرك ظنهم
لذلك أخفى للوصال وأستر
تظن بي الناس الظنون وانتم
هواي الذي أخفى الى يوم أقبر

نعم ان العباس قد يطلق على صاحبته أحيانا اسم جارية أو قد ينسبها الى «مولى» ما ولئن فعل فما اخالك جاهلا ولع الشاعر بتضليل الناس وايهامهم. ومن يدري؟ فلعله فعل ذلك بعد أن فشا سره وتحدثت أندية بغداد وسمارها في شأن هواه فخشي على نفسه مغبة الأمر فعمد الى هذا الفن في المغالطة !

وبوسعنا أن ندير لفظ جارية على معناها القديم أعني المرأة الفتية الشابة وبوسعنا كذلك ان نفهم في كلمة مولى معنى القريب أو الوحي على نحو مايفسرها ابن منظور والفيروزابادي .

وليت شعري من تكون هذه الهاشمية المترفة الغارقة في نعيم القصور والتي يسعى بين يديها الخدم وتأتمر بأمرها الجواري ويكتب عنها كاتب ويقف دون بابها حاجب ، ولا تخرج للناس الا في موكب أو في مناسبة ؟ أيمكن أن تكون امرأة مثل هذه جارية كما وهم صاحب الاغاني ؟ اخالني في غنى عن أن اقول لك انها لابد وان تكون سيدة من سيدات البلاط العباسي، وهذا وحده يمكن أن يفسر لنا سبب حيطة الشاعر في كتمانه هواه واحاطة شخص الحبيبة بهذا الجو من الغموض .

ترى كيف كانت هذه المرأة التي احتلت مثل هذا المكان في حياة العباس ؟ أكانت رائعة الجمال كسائر عرائس الشعر ؟

الواقع أن الشاعر عني بروحها أكثر من عنايته بجسدها ، فالمرأة عنده معنى يوحي قبل أن تكون جسدا يشتهى ، وهي من الرفعة والسمو بحيث اذا تأمل المتأمل جمالها لم يسعه الا أن يغض طرفه من اجلال .

فسبحت تعظيما لها وجلالة
وقد سفرت عن شبه الشمس والقمر

وصاحبة العباس فتاة ينضح ماء الشباب من أردانها وهي تياهة يزدهيها شبابها وجمالها فتختال في مشيها وتتأود .

بيضاء في حمر الثياب كوردة
حمراء بين شقائق النعمان
تهتز في غيد الشباب اذا مشت
مثل اهتزاز نواعم الاغصان

أما أنفاس الملهمة فطيبة وريقها عذب :

ذكرتك بالتفاح لما شممته
وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

وقال :

كأن كأسا سلسبيلية
ممزوجة بالمسك والخمر
طعم ثناياها بعيد الكرى
أخبره منها بلا خبر
تلك التي لو ذقت من ريقها
ما ذقت سقما آخر الدهر

ولولاء هذا الجمال يضيء الدنيا في حوله ويغمر الأجواء جميعا :

أشرق الميدان فاستنكرته
كيف لاأعرف تلك الطرقا
خبروني أنها مرت به
قلت من ثم أراه مشرقا

أما جمالها فنور يبدد الظلمات
تبدت لنا اذ غابت الشمس والتقت
على الارض من أقطارها ظلماتها
فاشرقت الدنيا جميعا بوجهها
بليلة سعد ما يضل سراتها

كما انها ذات سحر لايقاوم :

فلانت أفتن للقلوب من التي
عرضت لداود النبي المهتدي

وقال :

ولو رآها نبي في رسالته
أحس من قلبه منها بوسواس

وقد جر عليها هذا الجمال حسد النساء :

ان النساء حسدن وجهك حسنه
حسن الوجوه لحسن وجهك ساجد
يحسدن وجهك يا ظلوم جماله
هيهات مالك في النساء قسيم

وهي لا تجهل ما تملك لذا تتيه وتعرض عن محبوبها :

تاهت علينا بأن تمت محاسنها
خود تكمل في أعطافها الفتن
عمت بأتيانا حتى اذا نظرت
الى المرآة نهاها وجهها الحسن

***

وكيف عرف الشاعر صاحبته ؟

الاصول كلها صامتة لاتمدنا بشيء والديوان مرجعنا الوحيد ، ويبدو من شعر الرجل أنه أحب صاحبته على السماع، ولاتدهشنك حقيقة كهذه بعد ان عرفت أن صاحبة العباس هذه من بيت الخلافة :

أوقع بي الحب قول واصفة
ياليتها لم تقل ولم تصف !

و :

يا من تعلقه قلبي ولم يره !
انى دعاني اليك الحين والقدر

***

ويبدو أن صاحبنا وفق الى أن يرى فتاته على البعد بعد أن سحره وصفها :

بأبي وأمي غرة أبصرتها
تلك العشية فوق سطح مشرف
نظرت من السطح الرفيع وحولها
بيض الوصائف والظباء العكف

وان حدثا مثل هذا كان فيما بعد بلاء الشاعر وفاتحة مأساته :

لقد شامتك يوم السطح يا عباس عيناكا
وقد أسعد ذاك اليوم أقواما وأشقاكا

أو :

يا قطرة كانت عليك بلية
اني أخالك بعدها لا تسلم

يتبع

الدكتورة عاتكة الخزرجي

التسعير والاحتكار في الفقه الاسلامي

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

البيع شرعا هو مبادلة المال بالمال بالتراضي ٠

فما دام البائع قد رضي البيع والمشتري رضي الشراء فقد تم البيع وتترتب عليه الآثار القانونية ٠

الا أن الامر قد لايكون بهذه البساطة فقد يغالي البـائع في ثمن المبيع ويضطر المشتري لحاجتـه الى الشراء بهذا السعر المرتفع ٠ كما قد يحتكر البائع الصنف فلا يبيعه الا الى أناس معروفين ، فلا تبـاع تلك السلع الا لهم ، ثم يبيعونها هم بما يريدون ، فما الحكم في ذلك الامر ؟ وهل لولي الامر أن يتدخل بالتسعير الجبري ؟

التسعير هو أن يحدد ولي الامر سعر الاشياء ٠

قال بعض الفقهاء ان تسعير أثمان المبيعـات لم يرضه الرسول فهو لا يجوز ٠ لا فرق بين حالة الغلاء والرخاء استنادا للأدلة الآتية :

١ ــ الى حديث انس ، أن الناس قالوا : يارسول الله ، غلا السعر فسعر لنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، واني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منـكم يطالبني بمظلمة في دم أو مال ٠

٢ ــ مارواه البيهقي عن عمر بن الخطاب انه كان قد امر بائع زبيب أن يرفع سعره أو يدخله بيته فيبيعه كيف يشاء ٠ ثم رجع اليه وقال له : ان الذي قلت ليس بعزمة مني ولا قضاء ، انما هو شيء اردت به الخير لاهل البلد، فحيث شئت فبع! وكيف شئت فبع ويعبر الامام محمد بن علي الشوكاني عن وجهة نظر هؤلاء قائلا :

ان النـاس مسلطون على أموالهم والتسـعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين، وليس نظره في مصـلحة المشـتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن ٠ واذا تقابل الامران وجب تمـكين الفريقين من الاجتهاد لانفسهم والزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى به مناف لقوله تعالى: « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم»٠

وقال البعض الآخر : ان على ولي الامر أن يتدخل اذا اهدرت حقوق الامة بالاحتكار أو الجشـع وعجز القاضي عن صيانة حقوق الافراد الا بالتسعير ، فلا بأس به بمشورة أهل الرأي والخبرة ٠

فالامام عليه رعاية المصلحة العامة للامة تحقيقا للعدالة الشاملة وقد اعتنق هذه الوجهة ابن عمر وسعيد بن المسيب واشهب وغيرهم ، ويعبر الامام الباجي في شرح الموطأ عن وجهة نظر هؤلاء بقوله :

ووجه قول أشهب : يجب النظر في مصالح العامة والمنع من اغلاء السـعر عليهم والافساد عليهم وليس يجبر الناس على البيع وانما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحده الامام على حسب مايرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ولا يسوغ له منـه مايضر بالناس ٠

قال ابن حبيب :

ينبغي للامام أن يجمع وجوه اهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فينازلهم الى مافيه لهـم وللعامة سداد حتى يرضوا به ٠

وبهذا يتوصل الى معرفة مصالح الباعة والمشترين ويجعل للباعة في ذلك من الربح مايقوم بهـم ولا يكون فيه اجحاف بالناس٠ واذا سعر عليهم من غير رضا بما لاربح لهم فيه أدى ذلك الى فساد الاسعار واخفاء الأقوات واتلاف أموال الناس ٠

وقال ابن قيم الجـوزية عن ذلك : فاذا تضـمن التسعير العدل بين الناس ، مثل اكراههم على مايجب عليهم من المعارضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل ، فهو جائز ، بل واجب ، فحقيقته الزامهم بالعدل ، ومنعهم من الظلم ، وهذا كما انه لايجوز الاكراه على البيع بغير حق ، فيجوز أو يجب الاكراه عليه بحـق ، مثل بيع المال لقضاء الدين الواجب والنفقة الواجبة ، ومثل البيع للمضطر الى طعام او لباس ٠

اما التسعير الودي فيرى بعض الفقهاء أن للامام أن يسعر السلعة بمشورة اهل الرأي والخبرة ٠٠ ولكن التسعير لايلزم البائع ، فاذا باع بأكثر ممـا سعر الامام جاز بيعه ، وانما التسعير لتبصير الناس بالسعر المعقول ٠

اما الاحتكار ، فهو أن يأخذ الشيء ويحبسه ليقل بين الناس فيغلو سعره ٠ والحكر والحـكرة الاسم منه ، وأصل الحكرة الجمع والامساك ٠

وهو حرام لما روى عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من احتكر فهو خاطىء» .

وروى أن عمر بن الخطاب خرج مع أصحابه فرأى طعاما كثيرا قد ألقى على باب مكة . فقال : ما هذا الطعام ؟ قالوا : جلب الينا ، فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه . فقيل له : فانه قد احتكر . قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فلان مولى عثمان ، وفلان مولاك . فأرسل اليهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ قالا : نشترى بأموالنا ونبيع . قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم لم يمت حتى يضربه الله بالجذام أو الافلاس . قال الراوى : قام مولى عثمان فباعه . وقال : والله لاحتكره أبدا . واما مولى عمر فلم يبعه فرأيته مجذوما .

والاحتكار المحرم يلزم أن تتوافر فيه شروط ثلاثة :

١ ـ أن يشترى ، فلو جلب شيئا أو ادخل من غلته شيئا فادخره لم يكن محتكرا . قد روى ذلك عن مالك .

وروى عن بعض الفقهاء انه لا فرق بين أن يكون الطعام من زرعه أو شرائه .

٢ ـ أن تكون البضاعة المشتراة قوتا للناس أو البهائم لان القوت هو الذى يشق على الناس ان يحرموا منه .

وعند أبى يوسف : كل ماأضر بالناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو ثيابا وهو رأى مالك .

وقال سحنون : سمعت مالكا يقول : الحكرة فى كل شىء فى السوق ، من الطعام والزيت والكتان وجميع الاشياء والصوف وكل ماأضر بالسوق .

قال مالك : يمنع من يحتكره كما يمنع من الحب .

٣ ـ أن يضيق المحتكر على الناس بشرائه وذلك يكون بأمرين :

(١) أن يكون فى بلد يضيق باهله الاحتكار .

(٢) أن يكون فى حالة الضيق ، أما اذا اشترى البضائع فى حال الاتساع والرخص على وجه لايضيق على أحد ، فليس بمحرم .

ولولى الامر فى منع الاحتكار :

أن يسعر السلعة بعد أخذ رأى أهل الخبرة لتبصير الناس بالسعر المعقول . وأن يجبر المحتكر على البيع بما يبيع به الناس وبزيادة طفيفة يتغابن الناس فى مثلها . فاذا لم ينته المحتكر عن الاحتكار مرتين يعزره الامام بالحبس فى المرة الثالثة .

اما احتكار البيع ، فهو أن يحتكر شخص صنفا معينا لايبيعه الا لناس معروفين فلا تباع السلع الا لهم ، ثم يبيعونها هم بما يريدون . وقد قال فى ذلك ابن قيم الجوزية :

هذا من البغى فى الارض والفساد والظلم الذى يحبس به قطر السماء . وهؤلاء يجب التسعير عليهم والا يبيعوا الا بقيمة المثل ، ولا يشتروا الا بقيمة المثل ، بلا تردد فى ذلك عند أحد من العلماء ، لانه اذا منع غيرهم أن يبيع ذلك النوع أو يشتريه ، أو سوغ لهم أن يبيعوا بما شاءوا أو يشتروا بما شاءوا . كان ذلك ظلما للناس ، ظلما للبائعين الذين يريدون بيع تلك السلع ، وظلما للمشترين منهم .

الانقاص فى الوزن :

قال ابن حبيب : قلت لطرف وابن الماجشون ، فما وجه الصواب عندكما فيمن غش أو نقص من الوزن ؟ قالا : يعاقب بالضرب والحبس ، والاخراج من السوق .

قال مالك فى الرجل يجعل فى مكياله زفتا : انه يقام من السوق ، فانه أشق عليه من أدبه بالضرب والحبس .

الزام الصانع قبول اجر المثل :

ومن ذلك أن يحتاج الناس الى صناعة طائفة كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك ، فلولى الامر أن يلزمهم بذلك بأجرة مثلهم ، فانه لاتتم مصلحة الناس الا بذلك .

***

نخلص من ذلك كله الى ان لولى الامر ان يبسط حمايته على الناس ليحفظ عليهم مأكلهم وملبسهم ومسكنهم وأجرهم اذا رأى أن الامر يحتاج لعنايته وبسط رعايته وله فى سبيل ذلك أن يعزر المخالف ويكون ذلك اما بالضرب ، الجلد ، أو بالحبس أو بالغرامة أو بالمصادرة وليس فى اجازة التسعير نسخ لحكم ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الرسول امتنع عن التسعير اعتمادا على قوة ايمان الافراد وحياةضمائرهم فاذا ما ضعفالايمان وماتت الضمائر وحلمحلها الجشع والاحتكاروجب التسعير .

فاذا رأينا فى هذا الزمان مارآه من أجاز التسعير من الفقهاء القدامى لم نكن مخالفين لرسول الله مادامت مصلحة المجموع لاتتحقق الا بالتسعير .

احمد فتحى بهنسى

بداية حب

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

سألتك : هل عرفت الحب يوما ؟ ؟ فاطرق وجهك القاني حياء
وفي عينيك قد لمعت دموع أحالت صبح أيامي مساء
وصدرك أرعشته تنهدات يصعدهن من عرف الشقاء
كما مرت على الأوتار كف فهاجتها بكاء أو نداء
ومن بين الدموع ، وفي شرود نظرت الى بعيد قد تراءى
الى الماضي الذي ولى ، وكانت لياليه نديات وضاء
معطرة كأن العطر فيها ربيع من روابي الخلد جاء
يمر على القلوب فيزدهيها ويمنحها المحبة والصفاء
ويحملها الى أفق وضيء لتنهل من مفاتنه الضياء
مضت تلك الليالي مسرعات وأعقبت الحنين والاشتهاء
وذكرى تملأ الأيام يأسا من الماضي ، وتملؤها رجاء
فيالك جنة جفت ، وكانت برونق زهرها تمحو الشتاء

***

وعدت الى من سفر بعيد عبرت به الى الغيب الفضاء
وفي نظراتك الولهى جواب عرفت السر منه والخفاء
فاجهش قلبي الدامي لجرح يسيل بقلبك الحاني دماء
وقلت دعي البكاء ، فان قلبي يذوب أسى اذا سمع البكاء
يذوب لدمعة في عين أنثى ويرجو أن يكون لها الفداء
ولا تأسى على زمن تولى وكان نسيمه يسري رخاء
فقد يصفو الزمان اذا ترامت غيابته ، ويحسن ان اساء
تعالى واستريحي عند صدري وبين ظلاله الشمس العزاء
فصدري واحة ملئت حنانا لمن تلقى من الدهر العناء
فالقت راسها وقد اطمأنت الى صدري وازمعت البقاء
كأن حمامة ظمأى ترامت على نبع صفا ظلا وماء
ورفرف حولها قلبي ، وعهدي بقلبي أن يرفرف كيف شاء
وبعث نبضه حبا وفيا الى قلب يبادله الوفاء
وكان لقاؤنا دمعا بدمع وما أحلى وأعذبه لقاء
وكان حديثنا همسا بنجوى أزاحت عن مشاعرنا الغطاء
وكانت قصة ... بدأت بكاء وأرجو أن نكملها غناء

الخادمة وفستانها الجديد

للشاعر محمد أحمد العزب

فستانى سبعة ألوان   ما أجمل لون الفستان
تمتد خيوط منه تداعب   ربوة صدرى الجوعان
ويلف .. يلف على خصرى   نزقا كالطفل النشوان
واذا أمشى تتهدل منـ   ـه شفوف ربيع فتان
وأنا أرقبه ... أتحسـ   ـس فيه حرمان الحرمان
جوعى . والخصب .. ربيع   الارض .. مشاتل ورد ريان
والجوع هنا جوع الانسا   ن لنبضة حب وحنان

***

فستانى .. يا أجمل لون   غنى لسانى اليقظان
هل تدرى ؟ فى توقى للقا   ئك جبت فضاء الأكوان
عانقت الحب .. وعانقنى   ورفضت ألوف الفرسان
لكنك يا فستانى جئـ   ـت وأرهق يومك وجدانى
فالشارع كان يمور .. وليـ   ـس يحس برجفة بركانى
لم يشهق درب .. لم يشهق   بشر بنشيد استحسان
لم تقف الأعين ذاهلة   لم تجمد حتى لثوانى
فتهدم قلبى .. وارتعشت   أبعاد مكانى .. وزمانى

***

وعدوت .. عدوت لسيدتى   أبكى وتولول أحزانى
لأقول لها : يا سيدتى   ما أقبح لون الفستان
قولى : هل مات الضوء وهل   بهتت ألوان الألوان ؟
ما أحد أطراه .. أبدا   لم يشعر أحد بمكانى
وتقهقه سيدتى .. فتريـ   ـق شعاع الضوء بأجفانى
وأصيح : عرفت .. عرفت حقيـ   ـقة جرحى .. فورة غثيانى
فستانى حلو لكنى   أنا فيه بقايا انسان

من أغانى الصباح

للأستاذ محمد مصطفى المليجى

« أنا يا فجر من غنى أغانيه لأنوارك »   « يراك يهلل الفلاح للشادوف والفاس »
« أنا عزافك المشغوف فى الدنيا بقيثارك »   « وراح يقبل الأزهار من ورد ومن آس »
« أنا فى الروض أغنية أغنيها لأزهارك »   « وأنت على جبين الأفق أضواء من الماس »
« أنا من جئت مشغوفا لأنظر جلوة الشمس   « أراك تفتح الآمال والأبواب للناس »
« لأنظر موكب الآمال والأفراح والعرس »   « فرحت أقبل الدنيا وأملأ بالضحا كاسى »
« أراك فتشرق الدنيا وتضحك للمنى نفسى »

التراث العربي
مظاهر الاعتناء به
للدكتور حسين نصار

تراثنا العربي .. كان ولازال ارفع الدعاة الى البقاء ، والاتحاد ، والنهوض ، صوتا ، واقربهم الى القلوب .

فلاعجب ان تعتنى به الأجيال واحد بعد آخر . ولست اريد ان اقدم صورة متكاملة لهذا الاعتناء فى العصور القديمة . فيكفينى ان اشير الى المكتبات الضخمة التى انشاها الخلفاء والامراء والولاة ، فى كل قطر عربى ، بل فى كل مدينة عربية ، وحرصوا على ان تضم النسخة بل النسخ من الكتب والمشهورة خاصة . وحرصوا أن يحصلوا على النسخ التى دونها العلماء المعروفون او النساخ الثقات . بل كان من اجمل مايتلقون من هدايا فى نظرهم واعظمها عندهم أن يحمل اليهم المؤلف كتابه ، وان يضع اسماءهم فى صدره . ويكفينى ان اشير الى حرص العلماء انفسهم على كتبهم وكتب غيرهم ، وتباهيهم بما فى مكتباتهم من مجلدات ، وسعيهم وراء النادر فى كل مكان ، حتى قيل ان ابا بكر الاخشيد انتهز فرصة الحج ، فاستأجر مناديا ينادى فى عرفات يسال الناس عن كتاب « الفرق بين النبى والمتنبى » للجاحظ ، وانظر ماكتبه الدكتور فرانتز روزنتال عما كان يبذل العلماء العرب من مساع فى التفتيش عن المخطوطات (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ص ٤٩— ٥٥ ؛ ترجمة الدكتور أنيس فريحة) .

والخبر الطريف التالى ، انكره وينكره كثير من العلماء ، ولكنه بالرغم من انكارنا له دلالته على اهمية الكتاب عند العرب . قال ابن المعتز : ان الخليل ابن احمد لما الف كتابه المشهور « العين » اهداه الى الليث بن المظفر ، « فحظى عنده جدا ، ووقع منه موقعا عظيما .. واقبل على حفظه وملازمته . واتفق انه اشترى جارية نفيسة . فغارت ابنة عمه ، وقالت : والله لاغيظنه ، وان غظته فى المال لا يبالى ، ولكن اراه مكبا ليله ونهاره على هذاالكتاب والله لافجعنه به . فاحرقته .. »

اكتفى بهذه الاشارات لانى استهدف مظاهر الاعتناء بالتراث العربى فى العصر الحديث .

وربما كانت اجلى مظاهر هذه العناية تلك المعركة المريرة التى نشبت بين المستعمرين وذلك التراث ، وطال امدها ، وتعددت صورها ، ودقت الصلة بينها وبين آثارها حتى خفيت علينا ، تلك ماأسميه « معركة التعريب » .

فقد شن المستعمرون حربا ضارية على العروبة ومجاليها فى مجتمعاتنا . وعندما واجهت مجتمعاتنا هذه الحرب السافرة ، وتنبهت الى اخطارها ، رفعت علم « التعريب » . فبذلت الجهد لصد الهجوم العلنى ، واوقفت زحف اللغات الاجنبية من تركية وانجليزية وفرنسية الى تلاميذها ودواوينها وجماعاتها . وتمكن الاشارة فى هذا الصدد الى ماكان بين اللغتين العربية والتركية من نضال للسيطرة على جريدة « الوقائع المصرية » ، وعلى القوانين والقرارات الحكومية ، وماكان بين العربية والانجليزية من نضال للسيطرة على التعليم فى مصر .

ولم تقتصر هذه الحرب على مصر بل تعدتها الى الاقطار العربية الاخرى . فقد كان بين العربية والانجليزية صراع امر وادهى فى السودان ، حيث كانت الانجليزية اللغة الرسمية فى الدواوين جميعا الى وقت قريب . ومنذ استقل السودان وهو يكافح هذا الوضع الشائن ، وقد افلح فى ذلك كثيرا بل قام بمحاولة اخطر واعظم اثرا . اذ استعان بعالم مصرى فى اللغات ، هو الاستاذ الدكتور خليل محمود عساكر ، واوفده الى الجنوب . فدرس اللغات المنتشرة فيه ووضع لها الفباء خاصة بالخط العربى ليكون ذلك خطوة فى سبيل تعريب هذه الجماعات ، التى كان مفروضا عليها التفاهم بالانجليزية .

وكانت الحرب فى اقطار المغرب بين العربية والفرنسية ، وحالما وضع المغاربة ايديهم على ازمة امورهم توجهت انظارهم الى التعريب . بداته الجزائر من طرق التعليم الادنى والاعلى معا ، اذ شرعت منذ العام الماضى فى تعريب التعليم الابتدائى وقررت فى هذا العام انشاء كلية آداب تدرس بالعربية ماتدرسه الكلية الاخرى المنشأة من العهد الفرنسى بالفرنسية . وطبقه المغرب (مراكش) على التعليم الجامعى ، فجعل كليتى الحقوق والعلوم مزدوجتين ، واحدة بالعربية واخرى بالفرنسية .

وخاضت العربية فى مصر معركة اخرى غريبة ، يظن كثير من المشتركين فيها ان الاستعمار بعيد عنها ، ومناطنه ببعيد . وكانت معركة ذات جبهتين: جبهة علمية ، واخرى ادبية . فقد اتهمت العربية بالقصور العلمى ، وادعى انها لاتستطيع التعبير عن التقدم العلمى واداء الافكار والقوانين والمبادىء العلميه الجديده ، لتاخر العرب عن مسايرة الركب العلمى زمنا طويلا ، ولاتخاذ المصطلحات العلمية الجديده من اللغتين اليونانية واللاتينية . وقد قضى الزمن على هذه الدعوى والقائلين بها ، فلم يعد لهم صوت مسموع . وافلح مجمع اللغةالعربية فى تعريب كثير من المصطلحات فى كثير من العلوم والفنون ، وهو دائب على عملهالشاق . وقد اخذت الكليات العلمية والعملية تلقى المحاضرات فى كثير من موادها بالعربية . ولو كان القائلون بهذهالدعوى تمهلوا قليلا ، وتنبهوا الى مافعلته تركيا والمانيا وروسيا ، والى اصرارهم واصرار غيرها من الدول على تخليص لغاتها ، ووضع كلمات محلية لكل مستحدث فى اللغات الاخرى ، لما قالوا ماقالوا ، ولما خافوا من تاخر بعد محاولةللنهوض .

والمعركة فى الميدان الادبى اشد خفاء واعظم دهاء لانها ليست بين لغتين اجنبيتين بل بين الفصحى والعامية ، وكلتاهما من صنع العرب . ولست احب ان اربط بين هذه المعركة والاستعمار ، ولا بينها وبين شيء من المذاهب السياسية . بل لن اتحدث عنها بشيء ، لان الحديث كثير عنها ، ولانني اسجل الظواهر حسب . ولكننى — لابد لى — ان اسجل امرين فى هذهالمعركة . فادباؤنا المدافعون عنالعامية يستهلون حياتهم بتحمس شديد لها ، واصرارعلى الكتابة بها . ثم يمضى بهم الزمن ، فاذا هم من الكتاب بالفصحى او ماقرب من الفصحى . واقرب الامثلة على ذلك توفيق الحكيم ومحمود تيمور . ولغتنا العامية التى نتحدث بها متطورة تطورا سريعا وكبيرا ، فعامية اليوم تختلف كبير الاختلاف عن عامية الامس . وهى اليوم اعظم قربا الى الفصحى . واذا كانت هذه المعركة الادبية تختلف فيها الآراء ، ويعتمد كل على علل وجيهة ؛ فيقينى انه يجب الا تختلف الآراء فى وسائل الاعلام ، التى يجب ان تكون بالفصحى ، لاتقبل فى ذلك علة او تعلل .

وبسبب من معارك التعريب ، كان انشاء مجمع اللغة العربية فى مصر ، الذى افتتح فى ٣٠ يناير ١٩٣٤ . وكان انشاؤه لاغراض لغوية محضة ، كما يبين من مرسوم انشائه : .

(ا) ان يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر وذلك بان يحدد فى معاجم او تفاسير خاصة او بغير ذلك من الطرق ماينبغى استعماله او تجنبه من الالفاظ والتراكيب .

(ب) ان يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وان ينشر ابحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(جـ) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ماله شان فى تقدم اللغة مما يعهد اليه فيه ، بقرار من وزير المعارف المصرية .

اما المجمع السورى والعراقى فلهما قصة اخرى.

فهال المثقفين من العرب فى القرن الماضى ما أصاب التراث العربى المفرق فى مكتبات المساجد والمدارس والأثرياء من تبديد وضياع وسرقة . فكانت الدعوة الى جمعه من هذه المواضع المتفرقة ، ووضعه فى موضع واحد ، تسهل مراقبته والمحافظة عليه فيه وكان ذلك السبب فى انشاء المكتبات العامة فى الاقطار العربية بل فى المدن العربية .

فقد انشئت دار الكتب المصرية ، على يد على مبارك ، فى ٢٣ مارس ١٨٧٠ . وكانت نواتها ما جمعته مما حبسه السلاطين والامراء والعلماء والمؤلفون من مخطوطات على المساجد والاضرحة ومعاهد التعليم . وقد بلغ ماجمعته حينذاك نحو ٣٠ الف مخطوط . ودابت الدار منذ ذلك الحين على جمع المخطوطات — الى جانب المطبوعات — حتى ان احدا لايعرف عدد ماتضمه اليوم منها يقينا . ولكنه يقدر بنحو ٧٠ الف مخطوط .

ثم أعقبتها مكتبة الجامع الازهر فى سنة ١٨٩٧ م وضمت عند افتتاحها نحو ٨٠٠٠ كتاب : مخطوط ومطبوع . ويقدر عدد المخطوطات التى تضمهااليوم بقريب من ٢٢٦٠٠ كتاب .

وأنشيء في كل مدينة مصرية مكتبة عامة ، مثل الاسكندرية ودمياط والزقازيق واسيوط وسوهاج بل انشيء في بعضها اكثر من مكتبة ، مثل طنطا التي يؤم قراؤها دار الكتب، والمكتبة الاحمدية؛ ويتفاوت عدد الكتب في كل واحدة منها ، ولكنها لاتخلو من المخطوطات البتة .

وفي دمشق ، اسست المكتبة الظاهرية في ٢٩ يونية ١٨٨١ م ، فجمعت المخطوطات المفرقة في عشر من مكتبات المدينة ، هي العمرية ، وعبد الله باشا ؛ وسليمان باشا ؛ والملا عثمان الكردي ، والخياطين ،والمرادية ، والسميساطية ،والباغوشية والاوقاف ، وبيت الخطابة . ويقال انها تحتوي الآن على قرابة ٨٠٠٠ مخطوط .

وفي كثير من المدن السورية مكتبة ؛ بل في حلب اكثر من مكتبة ، تحتوي على عديد من المخطوطات، مثلها مثل المدن المصرية .

ونرى الظاهرة نفسها تتكرر في العراق والحجاز وغيرهما من اقطار العروبة ومدنها . ونظرة واحدة وسريعة الى كتاب خزائن الكتب العربية في الخافقين للفيكنت فيليب دي طرازي ، وفهارس المكتبات التي نشرتها مجلة معهد المخطوطات العربية تباعا ، تبين مدى ثراء العالم العربي بالمكتبات عامة ، والمخطوطات خاصة .

وكان في انشاء هذه المكتبات ، واخذها او اخذ كثير منها بالنظم الحديثة ، خطوة حاسمة نحو جمع المتفرق بددا من تراثنا العربي ؛ والمحافظة عليه .

واخيرا توجت هذه الجهود بانشاء جامعة الدول العربية لمعهد المخطوطات العربية في ٤ أبريل ١٩٤٦م اذ كان مما وكل اليه من اعمال :

١ ــ جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الافراد ، لتوحيدها في فهرس عام .

٢ ــ تصوير اكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيمة .

ولاشك ان «جمع فهارس المخطوطات العربية..» عمل بالغ الاهمية ؛ بل انه العقبة الاولى والخطيرة التي يواجهها كل من يعتزم تحقيق مخطوط ، وهي العقبة التي تثبط همم كثيرين، وتنزلق بخطى كثيرين لان أول مايجب على المحقق جمع نسخ المخطوط الذي يريد تحقيقه والتعرف عليها .

وقد حاول المعهد فعلا ان يقوم بهذا العمل ، ولكنه لم يسلك الطريق القويم اليه . فكل من عها اليهم بالكتابة عن المكتبات المختلفة سلكوا منهجا انتخابيا . فلم يستقصوا ما في هذه المكتبات من مخطوطات ، وانما تحدثوا عما ظنوه نادرا او نفيسا وفي ذلك تختلف الآراء ، وتتعدد وجهات النظر ، بطبيعة الحال . ولم يتنكب ذلك الطريق غير الاب دبوركوي الذي دون قائمة كاملة بمخطوطات اربع مكتبات في افغانستان ، والاستاذ عبد الرحمن عبد التواب ، الذي جمع قوائم كاملة لمخطوطات دور الكتب بشبين الكوم ، والزقازيق ، وطنطا ، والمنصورة .

ويتجلى المنهج الانتخابي في المادة الثانية من اعمال المعهد ، وقد اعتمد عليها القائمون على اموره في بعثاتهم التي صوروا فيها مخطوطات اعتقدوا فيها الاهمية ، من الظاهرية بدمشق والاحمدية بحلب (١٩٤٧ م) ، والآستانة (٣٠٠٠ مخطوط ١٩٤٩ م) والهند (١٠٠٠ مخطوط ١٩٥١ م) ، والقدس ولبنان (٣٥٠ مخطوطا ١٩٥٣ م) ، والسعودية (١٠٠ مخطوط ١٩٥٥ م) ، وافغانستان وبعض مكتبات اوربا (١٩٥٥ م)، وتونس (١٩٥٦)، وطنطا والمنصورة ودمياط (١٩٥٧) ، والامبروزيانا (١٩٥٧) ، والمغرب الاقصى (١٩٥٨) ، ودار الكتب المصرية والازهر وسوهاج ، وطبيعي ان ماقام به المعهد ، على الرغم من اهميته ، لايعفيه من مواصلة العمل على تصوير كل المخطوطات فلا يغني هنا منهج انتخابي ، بل لا بد من الاستقصاء التام .

ويتفق مع معهد المخطوطات في عمله ذلك ويكمله المركز الذي قررت هيئة اليونسكو انشاءه بالقاهرة للمخطوطات العربية ، بالاتفاق مع الجامعة العربية والمراد منه ان يقوم بتصوير المخطوطات العربية المنتشرة في ارجاء العالم على افلام ، تحفظ في مقر هذا المركز بالقاهرة . وبدا فعلا بتصوير مخطوطات من المغرب الاقصى . غير انه سلك المنهج الانتخابي الذي تحدثنا عنه ؛ فجاء ماصوره مخيبا لكثير من الظنون . ونامل ان يتلافى ذلك في جهوده القادمة ، ليحقق مايراد منه ، ويؤمل فيه ، تحقيقا كاملا .

د. حسين نصار

مع الثورة الرابعة الدينية

للأستاذ محمود علي قراعه

لاقت دعوة (الزيات) و (احمد امين) الى ثورة دينية ، قبولا حسنا عند القراء ، وان اختلفت سبلهم في البريد الادبي لمجلة الرسالة ، في التعريف عن هذا القبول .

***

فالاستاذ (احمد عبد المعطي احمد) يرحب بهذه الدعوة ويؤيد (الزيات) في مطالبته بثورة رابعة دينية ، لانها « ستطهر السنة من الاحاديث الموضوعة والكاذبة ، وكذلك اظهار الاسلام بمظهره اللائق به وتنقيته من الشوائب التي تسند اليه » ، ويقف معنا في مطالبتنا بعقد مؤتمر لتلخيص الكتب الضخمة تلخيصا معقولا ، وكذا تخليص الكتب الدينية من الاحاديث الموضوعة والمبادىء الكاذبة .

***

ويقترح الاستاذ (الفاروق احمد سلام) ان تكون الثورة على ضعف خطباء المساجد بتدريب الائمة والخطباء والوعاظ وتأهيلهم ! وهذا هو اقل ماينبغي من المساجد التي كانت مواضع الائمة ومجامع الأمة

***

أما الاستاذ (عاطف محمد عيسى) ، فيعترض على تعبير ثورة دينية ، ويقول ان الدقة في التعبير تقتضي أن تقول « نحن في حاجة الى ثورة من اجل الدين » ، ويقول ان الدعوة الى تلخيص كتب الفقهاء « لايمكن ان توصف باقل من انها مخربة ومدمرة ، وانها لا تعني سوى مسخ هذا التراث وتشويهه .. اما الخدمة الحقيقية لهذا الدين ، فتؤكد تبسيط كتب الفقهاء لا تلخيصها »

***

وبذا نرى ان الاعتراض لفظي ، لانه ينبغي ان يكون مع الثورة الدينية للدين ، وفي هذا يقول استاذنا (احمد حسن الزيات) : « ليس لفظ الثورة نابيا على معنى الدين ولا مجافيا لروحه ، فان الاسلام في حقيقته وطبيعته ثورة مستمرة : ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغي والعدوان ، ومادامت هذه الكبائر في الارض ، فالثورة دائمة والحرب قائمة . انما نريد اذكاء شعلتها واعلاء سناها ، لتجد فيها ثورتنا العامة القبس الذي يحييها بحرارته ويهديها بنوره » !

***

وكذلك نرى أن الاعتراض لفظي في عدم قبول تلخيص كتب الفقهاء ، لانا لانريده تلخيصا مخلا ، كما يفعل بعض المدرسين لتلاميذهم للاستذكار والامتحان ، ولكنا نريده تلخيصا وافيا يأتي باللب ويقضي على الحشو الممل الذي يعقد العبارات ويبعدها عن سهولة ادراك معانيها ، ولايعنينا بعد ذلك التسمية الواجب اطلاقها على هذا العمل الجليل .

***

وبعد : فأرجو توفيق الله لنتحدث عن ثورات الفقهاء والائمة وذوى الفكر الاسلامي السليم ، للاسلام ، لانا نعوذ بالله ان نتكلم في الدين بلا علم ونعوذ به ان نكون من الكاذبين وان لم نتعمد أن نكون منهم ونعوذ بالله ان نكون من المدمرين او من الداعين لمسخ التراث الفقهي كما قال الاستاذ (عاطف) عنا وعن دعوتنا للتلخيص ، ونعوذ بالله ان نكون من الثائرين للاسلام الا لوجه الله الكريم ، وغفر الله للسيد جمال الدين الافغاني الذى قال « ليس بين اوروبا والقرآن من حجاب يمنعهم من الاهتداء به الا نحن معاشر المسلمين ، ينظرون الينا من خلال القرآن هكذا — ورفع كفيه ووضعهما أمام وجهه وفرج بين اصابعه — فيرون وراءه شعوبا فشا فيها الجهل والفقر والكسل ... و ... و .. فيقولون لولا ان تعاليمه باطلة لما كان اتباعه بهذه الدركة من الانحطاط . فاذا اردنا ان نهديهم الى الاسلام ، فلنقنعهم ، أولا اننا لسنا مسلمين » !

محمود علي قراعه

في عالم الفن

اتجاهات سينمائية جديدة

في اسبوع الفيلم السوفيتي

للاستاذ عبد الفتاح البارودي

ان من أهم الاحداث الفنية في الاسبوع الماضي أن مهرجان « الفيلم السوفيتي » الذى أقيم في القاهرة من ٢٨ أكتوبر الى ٣ نوفمبر أثبت بوضوح أن السينما في روسيا بدأت تتحرر من بعض المواضعات التي كانت تقيد تحركاتها وانطلاقاتها في المجال الفني ..

لا جدال في أن « تكنيك السينما » في روسيا بلغ مستوى ممتازا منذ سنوات ، ولكن موضوعاتها كانت محدودة أو شبه محدودة في ألوان معينة ... وعلى العموم فان أضخم مشكلة سينمائية في الاستوديوهات السوفيتية أن التكنيك أكثر امتيازا من القيمة الموضوعية ، ومن أجل ذلك لم تكد تظفر افلامها بتقدير الخبراء العالميين الا عندما تعالج موضوعات عالمية ... فيها مخرجون ومصورون وفنيون وممتازون ولكن موضوعاتها السينمائية ليست في نفس المستوى، لانها — غالبا — موضوعات غير سينمائية أو موضوعات ينقصها التناول السينمائي ، وهي على وجه الاجمال تلقى بأفكارها على الشاشة القاء مباشرا ، فضلا عن ان هذه الافكار نفسها ذات طابع خاص ... مثل هذه الموضوعات لا يمكن أن تصنع فيلما ممتازا مهما يكن امتياز الاخراج أو التصوير ... ولكن عندما تعالج هذه الاستوديوهات السوفيتية نفسها موضوعات متكاملة الاشتراطات الفنية تخرج أفلاما ممتازة ، كما حدث — مثلا — في فيلم « عطيل » ... معروف طبعا أن هذه التراجيديا الشيكسبيرية تناولتها كاميرات السينما في استوديوهات عالمية اخرى، ولكن الكاميرا السوفيتية كانت أبرعها واقواها فنيا بسبب قوة الاخراج والتصوير وسائر عمليات التكنيك الفني .

***

الواقع أن مشكلة « التكنيك والموضوع » من أهم المشكلات السينمائية ، ويفيدنا جدا أن نبحثها بحثا تطبيقيا في الافلام العالمية ، واذن فمهرجان الفيلم السوفيتي فرصة ضخمة لهذا البحث ، ولادراك العلاقة الفنية بين التكنيك والموضوع .

ان اسبوع الفيلم السوفيتي بدأ بفيلمين التقت فيهما الكاميرا البارعة بالتناول الفني الموضوعي . اولهما فيلم تسجيلي عن مدينة طشقند ، والثاني فيلم كوميدي يدور حول أحداث غرامية اسمه (٣ + ٢ = ؟) ... فيلمان في غاية الامتياز ... صحيح أن بقية الافلام — وخاصة الافلام الطويلة سارت غالبا في الروتين القديم، ومع ذلك فان مجرد الخروج عن هذا الروتين ولو في فيلم واحد يعطينا فكرة عن حتمية التطور الفني في السينما نحو تكامل التكنيك والموضوع معا حتى في الاستوديوهات السوفيتية .

***

الفيلم الاول (طشقند) ولو انه فيلم تسجيلي يصور معالم مدينة طشقند ، الا أن الكاميرا استطاعت أن تخلق من الصور التسجيلية موضوعا فنيا ...

كيف ؟ المعروف في الافلام التسجيلية ان بطلها الاول هو صوت « الراوي » فهو الذي يحدد المعالم ويسمى الاشياء والكائنات ويقدم المعلومات ويشرح المجهولات .. الخ ... وفعلا قام الراوي بدوره في هذا الفيلم ، ولكنه لم يكن البطل الاول ، بل كان أهم عنصر هو التناول الفني ، وأبرز ما فيه « السيناريو » ... هذه نقطة فنية دقيقة يجب أن نستفيد منها ... يجب أن ندرك اهمية التناول الفني والسيناريو حتى في الأفلام التسجيلية ... ان الكاميرا لم تنقلنا فقط الى طشقند في جولة او زيارة سياحية مثلا ، بل عبرت أبلغ تعبير عن التجديدات التي حدثت في هذه المدينة العريقة ،

وتطوراتها الاجتماعية والثقافية، واهتماماتها الفنية؛ وفي كل ذلك كانت الكاميرا دقيقة دون اى اقحام أو افتعال ٠

أن الكاميرا استخدمت المفارقات، فرأينا فى المبانى الواجهات ذات التحف والزخارف الشرقية ، الى جانب المبانى الحديثة والواجهات المصنوعة كلها من الزجاج ٠٠٠ ان المدينة كلها تجددت ، ولم يبق من المدينة القديمة غير مبنى واحد هو الآن « مدرسة » ! وكان فى الماضى « سجنا » لتنفيذ احكام الاعدام !! بهذا الاسلوب البسيط والفنى فى نفس الوقت نجحت الكاميرا فى التعبير عن معنويات كثيرة من خلال تصوير بعض الماديات بشكل حيوى وواضح ٠٠ ولكى تعبر عن التطور الاجتماعى بحثت عن « اليشمك » الذى كانت ترتديه المرأة ، فرأيناه فى المتحف فقط ٠٠٠ ان الكاميرا قالت لنا ـ بدون كلام ـ ان المرأة القديمة انتهت ؛ وان الفتاة الجديدة تحررت من القيود ٠٠٠ أيضا رأينا شيوخ المدينة الذين تجاوزوا السبعين والثمانين بملابسهم التقليدية؛ ورأينا بجانبهم ابناءهم واحفادهم الذين تخرجوا من الجامعات ؛ وبذلك عبرت الكاميرا عن التطور الثقافى ٠٠٠ كان السيناريست بارعا فادخل فى الفيلم لقطات عاطفية ؛ فرأينا العشاق يتنزهون على طريقة (كل الاحبة اتنين اتنين) ورأينا فى الزحام عاشقة فاشلة تنظر الى ساعتها فى قلق خلال لحظة انتظار ٠٠٠ أيضا ادخل لقطات طريفة ؛ فرأينا اسواق العنب والباذنجان و « الشاشليك » اى « الكباب »؛ ورأينا فى سوق البطيخ رجلا عجوزا «يطبطب» على بطيخة، وبجواره طفل يدحرج بطيخة أخرى ٠

***

بهذا الشكل استطاعت الكاميرا أن تقدم لنا نموذجا للافلام التسجيلية فى فيلم حقق كل ما يهدف اليه من تعبير ، وفى نفس الوقت اجتذب المتفرجين الى الشاشة طوال فترة عرضه بلا ملل أو فتور ، رغم أنه لا يدور حول قصة ، ولا يقدم مشاهد غنائية أو راقصة مثلا؛ باستثناء المشاهد التى قدمها من ميدان المسرح والرقصات التى تقام فى الشارع ، وهذه المشاهد قدمها للتعبير عن شغف الشعب بالفن ٠

الفيلم الثانى مهم جدا ٠٠٠ اسمه (٣ + ٢ = ؟) بالنسبة لان أبطاله ثلاثة شبان وفتاتان ٠٠٠ أهمية هذا الفيلم انه أول فيلم ـ فيما أعلم ـ تخرجه الاستوديوهات السوفيتية عن كوميديا غرامية فقط ٠٠٠ مجرد أحداث غرامية فقط ولاول مرة أيضا ـ فيما أعلم ـ تظهر الممثلة السوفيتية فى أوضاع فاتنة ، وترتدى المايوهات المخططة الملونة المثيرة ٠٠٠ هذا الفيلم نقطة تحول فى تفكير السينمائى السوفيتى ٠٠ انه يدور ـ باختصار ـ حول ثلاثة شبان يقومون برحلة خلوية ويقيمون خيمة على شاطىء البحر يعيشون فيها على الفطرة ٠ لا سجاير ولا شراب ولا نساء ؛ بل يطلق كل منهم لحيته ويسمون أنفسهم « المتوحشين » ويتركون كل مصطلحات الحياة المدنية ، ويحدث أن تأتى فتاتان فى سيارة الى نفس المكان ، لانهما اعتادتا الحضور اليه فى رحلات خلوية ايضا ٠٠٠ ويبدأ نزاع كوميدى بين الفريقين على المكان ، ويصمم كل منهما على البقاء ، وفعلا تقيم الفتاتان خيمة أخرى ٠٠ بديهى أن المؤلف قصد بهذا أن يجمع «المرأة والرجل» فى مكان واحد لنرى أثر وجود المرأة فى الرجل الذى يعتزم حياة التقشف ، وطبعا يتغلب سحر المرأة ، ويرتبط اثنان من الثلاثة شبان بالفتاتين ارتباطا عاطفيا ، ويبقى الثالث وحيدا لانه من النوع المصاب بالانطواء على الكتب والانعزال عن مباهج الحياة وضروراتها ٠٠

الفكرة الكوميدية عميقة الصلة بالمشاعر الانسانية، والمدهش أن السيناريست عالجها معالجة فنية بحتة، وبذلك تخلص الفيلم من الطابع المحلى بحيث يمكن أن نتصور أنه أخرج فى هوليوود أو روما او اى استوديو عالمى ٠٠٠ وحتى فى التناول الفنى وفى الاسلوب وفى السرد السينمائى ٠٠ ورأينا الممثلة تبدى مفاتنها ، وتدبر الخطط لايقاع عاشقها ، وتبكى بحرقة عندما تتوهم أنها فقدته ٠٠٠ ان القصة وضعت باحكام فى اطار فنى ، وصاحبتها موسيقى

ممتازة أشرف عليها الموسيقار خاتشادوريان ، ولكن المهم هو ظهور هذا اللون الجديد فى الأفلام السوفيتية

***

كان الواجب على المؤسسة المصرية للسينما ان تجد فى هذا المهرجان فرصة لدراسة الاتجاهات الجديدة أو على الاقل هذا التغيير العجيب فى السينما السوفيتية ، فالمفروض أن المهرجانات والاسابيع السينمائية لا تقام لمجرد « الفرجة » على افلامها ، بل ان السبب الرئيسى لاقامة هذه المهرجانات هو معرفة التيارات الفنية ومناقشتها وتبادل وجهات النظر فيها ، وهكذا نستفيد ونفيد ونشارك فى النشاط السينمائى العالمى ·· ولكننا لا نكاد نكترث بهذا كله بقدر ما نكترث بالمظهريات مثل الاستقبالات والحفلات وتبادل الخطب والزهور ·

كان هذا منطقيا فى الماضى ، لان اهتماماتنا الفنية كانت صورية ، اما الآن فلا بد من أن ننظر الى المهرجانات السينمائية نظرة جدية ··· لقد عقدنا اتفاقيات ثقافية مع دول كثيرة ، ونتيجة لذلك أقمنا منذ عام ١٩٥٦ للآن ١٥ أسبوعا سينمائيا فى بعض الدول ، ومنذ عام ١٩٥٧ للآن أقامت هذه الدول أيضا ١٥ أسبوعا سينمائيا فى القاهرة ، وكان يجدر بنا أن نحاول دراسة الافلام المتبادلة دراسة عميقة تساعد على تطوير وتعميق مفهوماتنا السينمائية ، ولكن لم يحدث شىء من هذا ·· كل ما فعلناه هو اننا أرسلنا أفلامنا الى الخارج وأوفدنا معها بعثات من النجوم ، وأيضا استقبلنا الافلام الاجنبية ومعها مجموعات من نجومها ، وهذا هو ماحدث فى الاسبوع السوفييتى ·· أقمنا حفلة شاى يوم ٢٧ اكتوبر ، وحفلة استقبال فى افتتاح الاسبوع فى اليوم التالى ، ووقف نجومنا مع نجومهم امام الجمهور ، وخطبنا وخطبوا ، ثم ماذا ؟ لا شىء ·· لا حديث عن الافلام أو عن الاتجاهات الفنية ·

ان الاستعراضات والاستقبالات تحدث فى كل دول العالم ، ولكن الى جانبها تقام ندوات ودراسات يشترك فيها المتخصصون لمناقشة الافلام نفسها ومناقشة النظريات الفنية الجديدة فيها ، لان الاسابيع السينمائية عادة تعرض ما استحدث من نظريات أو اتجاهات فنية ، وبذلك تتلاقح الثقافات ويتم تبادل الخبرات ، وهذا كله يفسح مجالات التقدم والتطور ·· ان دراسة أفلام الاسبوع السوفييتى تفيدنا فى معرفة تكنيك السينما السوفيتية ، وأظن انه مما يفيدنا جدا ان نبحث أسباب الظاهرة الجديدة التى لوحظت فيها ، وهى ظاهرة دخول المايوهات والغراميات الاستوديوهات السوفيتية ·· يكفى ان ندرس تكنيك الافلام التسجيلية ، وكيف توضع سيناريوهاتها بدقة بحيث تكسبها قيمة موضوعية ·· ويكفى أن ندرس أسباب تحرر السينمائى السوفييتى من الاساليب الروتينية ، ومحاولته معالجة موضوعات فنية بالادوات الفنية فقط وباللغة الفنية فقط ·· ان كوميديا (٣ + ٣ = ٢) لم تظهر فجأة وبلا مقدمات ؛ بل سبقتها محاولات جديدة قام بها الفنانون الجدد فى مختلف المجالات الفنية ، وهذه المحاولات ظهرت فى الشعر والرسم والباليه للتحرر من القوالب الروتينية ، وانعكس ذلك فى الانتاج الفنى ، وفى السينما طبعا ·

ان هذا الفيلم تجربة جديدة تعمق الاهتمام بالقيم الفنية الى جانب الاهتمام بالتكنيك ، ولا شك فى أن انصهار الموضوع فى التكنيك يكسب السينما صحة فنية ·· والمهم هو أن نستفيد من هذه التجربة ، وكل تجربة ، بالدراسة ·

***

لا بد من أن نراعى – مستقبلا – اقامة ندوات جادة مع كل اسبوع أو مهرجان سينمائى يقام فى بلادنا أو نشترك فيه فى الخارج ·· ما فائدة اقامة هذه المهرجانات اذا كنا نشاهد أفلامها كمتفرجين فقط ، أو نتحدث عنها احاديث خاطفة ، أو نظن أنها مجرد مناسبة تقليدية لتقديم الزهور والشاى والجاتوه ؟!

عبد الفتاح البارودى



وزارة الثقافة والارشاد القومى
تقدم
مشروع المكتبة العربية
٢٠٠٠ كتاب
بمناسبة أسبوع الكتاب العربى
الثورة الثقافية
• ٥٠٠ من كبار رواد الفكر والعلم والأدب والفن يتولون تخطيط المشروع
• ½ مليون جنيه ترصدها وزارة الثقافة والارشاد القومى لتنفيذ المشروع فى العام الأول
• المشروع يحدث أكبر صدى فى العالم العربى ويضيف مفخرة جديدة لهذا الجيل من شعبنا.
يتألف المشروع من أربعة أقسام
تحقيق التراث العربى
• الموسيقى • النثر • التربية وعلم النفس
• العمارة • القصة • القانون والعلوم السياسية
• المسرح • الفنون الشعبية • التاريخ والآثار
• الشعر • الفلسفة وعلم الاجتماع • الجغرافيا
التأليف فى موضوعات تحتاج اليها المكتبة العربية
• الموسيقى • السينما • الفلسفة وعلم الاجتماع
• الفنون التشكيلية • الشعر • التربية وعلم النفس
• العمارة • النثر • القانون والعلوم السياسية
• المسرح • القصة • الاقتصاد والمالية العامة
• التاريخ والآثار • الجغرافيا
الترجمة من العربية
• الموسيقى • الشعر • الفلسفة وعلم الاجتماع
• العمارة • النثر • القانون والعلوم السياسية
• المسرح • القصة • الاقتصاد والمالية العامة
• التاريخ والآثار • الجغرافيا
الترجمة الى العربية
• العمارة • الشعر • الفلسفة وعلم الاجتماع
• الموسيقى • الاقتصاد والمالية العامة • التربية وعلم النفس
• المسرح • القصة • القانون والعلوم السياسية
• السينما • الفنون الشعبية • التاريخ والآثار • الجغرافيا
يصدر قريباً
تحت الطبع ١٥ كتاب
١- التعريف بالقدماء لأبى العلاء تقديم الدكتور طه حسين
٢- شرح ديوان زهير
٣- المصنف لابن أبى شيبة
٤- الجليس والأنيس للمعافى ابن زكريا
٥- المشكاة للغزالى
٦- المستظهرى للغزالى
٧- حديث عيسى بن هشام للمويلحى
٨- درس مؤلم لشحاته عبيد
٩- إحسان هانم لعيسى عبيد
١٠- عذراء دنشواى لمحمود طاهر حقى
١١- ليالى سطيح لحافظ ابراهيم
١٢- سخرية الناى لمحمود طاهر لاشين
١٥- التعريف بالشريعة الإسلامية
٨٠ كتاب جارى اعدادها للطبع
تطلب من مكتبات
الدار القومية للطباعة والنشر
نيويورك - لندن - الجزائر - بيروت - طرابلس - بغداد - الاسكندرية - القاهرة

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

النقد بين العاطفة والتجنى

مما لا ريب فيه أن النقد من مقومات الانتاج الفكرى أيا كان لونه واتجاهه . فليس هناك عقل معصوم من الخطا ، ولا مفكر يزعم أنه فوق النقد.

فاذا لابس النقد طائف من العاطفة ، او جانب من الهوى ؛ فقد قيمته ؛ وأخطأ سبيله ؛ واصبح ثرثرة فى غير طائل ، وصخبا فى غير جدوى .

وليس أحب الى المثقف من أن يقرأ نقدا أو يستمع الى نقد نزيه ، هدفه البحث للوصول الى الحق؛ دون تكلف أو انتعال، ودون تجن أو افتراء

وليس اشق على نفس المثقف من ان يرى نقدا يقابل المهاترة بمثلها ، والالفاظ البذيئة باكثر بذاءة منها ؛ فمثل هذا النقد لا ينطبق عليه حتى لفظ النقد نفسه فضلا عن مفهومه ومدلوله .

ان كثيرا ممن يتعرضون للنقد ، لا يكتفون بحشد نقدهم بالفاظ اقرب الى السباب، بل يتعمدون أحيانا اساءة الظن بالكاتب حتى ولو أبدى الاخلاص لقصده فيما كتب ، مع اننا مكلفون شرعا بان نعامل الناس بظواهرهم ، تاركين سرائرهم لله الذى يتولى السرائر

***

جالت هذه الخواطر بذهنى وأنا أقرأ كتابا جديدا صدر منذ أيام لعالم سورى ضمن سلسلة اعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى عندنا، **عنوان الكتاب : أبو هريرة راوية الاسلام .. والمؤلف هو الاستاذ محمد عجاج الخطيب ..** ولقد توقعت بمجرد الاعلان عن الكتاب قبل ان اتناوله بالقراءة أن الكاتب لن يزيد كثيرا عما كتبه عن أبى هريرة فى كتاب صدر له منذ أربعة شهور فى أكثر من خمسمائة صفحة عنوانه : السنة قبل التدوين .. كتب فيه فصلا مسهبا عن أبى هريرة فى أكثر من خمسين صفحة من القطع الكبير، وان هدف الكاتب من كتابه **الرد على كتاب الاستاذ الشيخ محمود أبى ريه « أضواء على السنة المحمدية »** وهو نفس هدفه من فصله المسهب الذى كتبه عن ابى هريرة فى كتابه: السنة قبل التدوين .. وما توقعته كان على وجه التقريب .. صحيحا ..

وكتاب الشيخ أبى رية تعرض كثيرا للنقد ، بل لقد طبعت كتب قبل ذلك للرد عليه ؛ وتناوله بالنقد غير الاستاذ عجاج ، الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه : «السنة» كما تناوله كثير من العلماء بالنقد فى مجلات اسلامية فى القاهرة والبلاد العربية والاسلامية وفى مقدمتها مجلة الازهر .

وأنا لا أجزم بأن كتاب « أضواء على السنة » يجب ان يكون مبرءا من النقد ، ولكنى أجزم بأن المؤلف اراده بحثا اجتهاديا قد يخطىء فيه وقد يصيب ؛ وقد أبدى حسن نيته فى بحثه هذا فى مقدمته :

ومما يؤسف له أشد الاسف ، أن الذين تعرضوا لهذا الكتاب بالنقد او الطعن ؛ أوشكوا أن يتفقوا على تجريح المؤلف من جانبين : الاول اتهامه بأنه مدفوع من جهات تبشيرية أغرته بالمال والشهرة ، وهذا الجانب كنت أود أن يتعففوا عنه ؛ فهو اتهام تنقضه الادلة القاطعة ، واتجاه يجب أن لا يلجأ اليه الا من تعوزهم امكانيات البحث العلمى ؛ وخشية الله من أن يرموا بريئا باثم .

والجانب الآخر ، اتهام المؤلف بانه يقصد الغاء السنة ؛ وبالتالى القضاء على المصدر الثانى بعد القرآن من مصادر التشريع الاسلامى . والحق أن المؤلف لم يقصد من كتابه شيئا من هذا ؛ وهو القائل فى مقدمته :

« ارجو ان اكون قد وفقت الى اصابة الغرض الاول الذى بذلت كل ما بذلت من اجله . وهو الدفاع عن السنة القولية وحياطتها مما يشوبها ؛ وان يصان كلام الرسول من أن يتدسس اليه شيء من افتراء الكذابين ؛ أو ينال منه كيد المنافقين وأعداء الدين ،

أنا لست فى سبيل الدفاع عن الشيخ أبى رية او مجاملته على حساب الحق ، فهو اقدر منى على الدفاع عن رايه ؛ ولكنى أود أن اقول : انه لم يفعل بدعا من الامر ؛ فقضية الحديث النبوى مشكلة معقدة منذ بدء تدوينها ولا زالت قائمة الى اليوم :

ان كلا من البخارى ومسلم وكتاباهما اصح كتب الحديث ــ اختار أحاديثه وهى زهاء أربعة آلاف حديث بعد حذف المكرر ، من سبعمائة وخمسين

الف حديث كانت متداولة ؛ ومن هنا كان الحافظ الدارقطني على حق حين قال : ان الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود . وكان العلماء على حق حين صفوا هذه الكثرة مهما شابها ؛ من الاحاديث الموضوعة بدافع الكيد للاسلام او بدافع التدين الساذج .

***

ونعود الى موضوع الكتاب الذى بين أيدينا وهو : « أبو هريرة راوية الاسلام » والكتاب كدراسة مستوفاة عن صحابى له تقديره ، فقد مهد المؤلف لدراسته بتمهيد فى سبعين صفحة ؛ وقسم الموضوع بعد ذلك قسمين : تناول فى القسم الاول حياة أبى هريرة العامة ثم حياته العلمية فى مائة وعشرين صفحة ، وتناول فى القسم الآخر الشبه التى أثيرت حول أبى هريرة بالتفنيد؛ ويهمنا هذا القسم لاتصاله الوثيق فى معظمه بكتاب « اضواء على السنة المحمدية » للاستاذ محمود أبى رية ..

ونحن نقدر كاتبا يتصدى للدفاع عن احد اصحاب رسول الله ، ونقدره أكثر حين يكون دفاعه لاحقاق الحق قبل كل شيء ؛ لا بدافع العاطفة الدينية ؛ فالصحابة بشر يخطئون ويصيبون ما فى ذلك شك،
وما جاء فى « تدريب الراوى » للسيوطى من أن الصحابة كلهم عدول لقوله تعالى : وجعلناكم امة وسطا — أى عدولا ، وما قاله امام الحرمين : لو ثبت توقف فى رواية الصحابة ؛ لانحصرت الشريعة على عصره — صلى الله عليه — ولما استرسلت على سائر العصور .. مثل هذا القول وذاك فيه كثير من النظر فان كثيرا من العلماء يرون البحث فى عدالة الصحابة كغيرهم ، والعدالة بالنسبة لهم عدم تعمد الكذب .

وقد أثارت الشبه حول أحاديث أبى هريرة كثرتها على قصر صحبته لرسول الله،التى استغرقت زهاء ثلاث سنوات . فأحاديثه بلغت قرابة خمسة آلاف ونصف ، بينما عائشة ام المؤمنين بلغت احاديثها قرابة ألفين ومائتين ؛ وأنس بن مالك الذى خدم رسول الله عشر سنين كاملة بلغت أحاديثه مثل عائشة ، وابن عباس بلغت أحاديثه قرابة الف وستمائة ؛ ولم يزد على الالف بقليل بعد ذلك الا أبو سعيد الخدرى .

وهؤلاء أئمة الصحابة بلغت أحاديث أبى بكر ١٤٢ حديثا ، وعمر ٥٠ حديثا ، وعثمان ١٤٦ حديثا وعلى ٥٠ حديثا وأبى بن كعب ٥٠ حديثا وزيد بن ثابت ٩٢ حديثا ؛ ومن هؤلاء الأئمة من رافق الرسول منذ بعثه الله الى أن لقيه ، فاذا روى أبو هريرة — رضى الله عنه — خمسة آلاف ونصف من الاحاديث ، فان النظر فى أمرها لا يخرجنا عن حيز المعقول .

الحق ان الشيخ أبا رية أعلن حملة التجريح على كل أحاديث أبى هريرة معتمدا على التجريح فى شخصه،وان الاستاذ عجاج قابل هذه الحملة بالدفاع عن كل أحاديث أبى هريرة عن طريق اللود عن شخصه ، وأن لكليهما اسانيده التى قدمها ؛ ولها مصادرها القابلة للتسليم والطعن ؛ ووجه الحق فى القضية لا يبدو واضحا الا اذا عرضنا احاديث أبى هريرة كلها على موازين النقد العلمى الحديث ، ليتبين لنا كم فيها من موضوع وكم فيها من ضعيف مردود ، وهذا ما لم يفعله واحد من الطرفين .

والحق مرة أخرى : ان الاستاذ عجاج عالم يملك الحجة ؛ ودراسته عن أبى هريرة دراسة على جانب من الاهمية ، ولكنى كنت أود وهو يناقش ما كتبه الاستاذ أبو رية أن يخفف من حدة أسلوبه ؛ حتى لا يبدو متشفيا حانقا عليه ؛ وهو فى مجال النقد الذى يجب أن يعتمد على قواعده الاصيلة . وليس منها بالطبع خشونة اللفظ ، والاتهام بالزندقة والمروق ؛

وبعد — فان كثيرا من النقاد لا يعجبهم جانب من موضوع كتاب ، فيصبون كل نقدهم على هذا الجانب ويضربون صفحا عن جوانبه الاخرى ؛ وكل ما وجه من نقد الى كتاب « أضواء على السنة » صب على ما كتب عن أبى هريرة فى خمسين صفحة ، بينما الكتاب يقع فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وهذا عيب فى صميم النقد ، وقد يكون للاستاذ عجاج عذره لان كتابه خاص بأبى هريرة ؛ ولكن ليس هناك عذر لغيره وقد تناول نقد الكتاب فى كتاب او فى مقالات متتابعة ، بيد أنه صب النقد على قضية أبى هريرة وحدها .

ان النقد اوجب ما يكون للآراء الحية ، يجب أن تتسع صدورنا له ؛ ولكن الذى نخشاه على النقد ؛ أن يتارجح بعض الاحيان بين العاطفة والتجنى ..

محمد عبد الله السمان

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

كتاب الجيل اللغة

هذا الموضوع أثاره في نفسي مقال للدكتور يوسف ادريس بعنوان « بحث جديد جرىء » في جريدة الجمهورية ·

أثاره في نفسي من ناحيتين : الاولى أنني رأيت الكاتب يعلو بأسلوبه فوق المستوى المعتاد ، وتأملت في هذا فرأيته يرجع الى أنه يتناول فكرة من المستوى الفكرى العالى، فاستتبع المضمون الشكل · واستنتجت من هذا التطابق أن اللغة العربية الفصيحة تفرض نفسها في التعبير عن مثل هذه الافكار ، حتى أننا نلجأ اليها تلقائيا في حديثنا العادى اذا ما ارتفع المستوى ودق التفكير ·

الناحية الثانية أثارتها جملة في المقال تشتمل على مخالفة لقواعد اللغة ، والجملة هي « ولأن هذا الانتاج **مركبا حيا** فهو قادر على احداث آثار حية أيضا في الكائنات الانسانية » وأنا لا أريد أن أنقد الدكتور يوسف ادريس في اللغة والنحو ، وانما هي ظاهرة عامة في كتابة كثير من كتاب هذا الجيل ، وأذكر مع هذا أننا كلنا نخطىء ، وقد يتعقب كلمتي هذه أحد المدققين في اللغة فيعثر على عثرة فيها ويقول لى : هذا أنت أيضا تخطىء ·· وخطاك أفظع ، لأنك تخطىء الآخرين ··

لا ، ليست المسألة « فلتات » أو قصدا الى تجريح · انما هي – كما قلت – ظاهرة عامة قوامها الاستهانة باللغة وعدم الاهتمام بالصحة اللغوية ، وهناك فرق بين كاتب يجتهد في أن تكون أداته التعبيرية سليمة ويجد في الدراسة التي تؤدى به الى هذه الغاية ، فان أخطأ فهو خطأ المجتهد الذى يقع برغم جده واجتهاده، وكاتب آخر لا يعبأ بسلامة لغته وقد يدافع عن أخطائه بأن قواعد اللغة لا أهمية لها وانه ينطلق في كتابته على طبيعته أو يرمى الى أن يقترب من أذواق الجماهير ، أو بأن هذه القواعد معقدة والانشغال بها عقيم ··· الى آخر ما يقال من أمثال ذلك ··

وأسارع قبل الاسترسال فأعرب عن تقديرى ليوسف ادريس ولفنه القصصى ، وأقول انه من كتاب « اليوميات » القليلين الذين يجذبونني الى قراءتهم ، لجرأته وسداد اتجاهه · وأقول مخلصا ان غيرتي على كتابته السديدة من أن تشوبها الهنات اللغوية مما يدفعني الى تناول هذا الموضوع ·

وهذا المقال من تلك الكتابات الجادة المفيدة ، وهو يحدثنا فيه عن بحث يقوم به الدكتور أنور المفتى عن الفن وكيف يؤلفه الانسان وكيف يؤثر فينا · والدكتور المفتى يخضع هذا الموضوع لطريقة البحث العملى في الكيمياء الحيوية · وتتلخص نظريته في أن الانسان يتناول طعامه من المواد المختلفة، ويحيلها الى مركبات حيوية انسانية يبنى بها جسمه · ويحيل الجماد والنسيج الحيوانى الادنى الى مواد زلالية عليا هي خلايا الانسان ، وكذلك يفعل **في الانتاج الفنى، اذ يتم هذا الانتاج كعملية حيوية فيها امتصاص لمركبات كثيرة تتغير وتسمو حتى تصبح كنفس التركيب الحيوى الراقى للانسان ، فالموسيقى مثلا ليست فنا الا من خلال الانسان** ، اما بدونه فهى مجموعة أصوات لا رابطة بينها ولا فن فيها · وهو يفسر التفاوت في الانتاج الفنى بأننا كآميين لا نتساوى في قدرتنا على التحويل والتصنيع ، وتزداد هذه القدرة الى حد « العبقرى » وتنقص الى مستويات أقل ·

واذا أخذنا هذه النظرية وطبقناها في الانتاج الأدبى ونظرنا الى أحد عناصر الادب وهو الشكل اللغوى ·· أفلا يكون من تمامها أن يكون تحويل هذا العنصر كاملا على أصول اللغة التي يتم بها التعبير ؟ أولا يعد من قبيل التفاوت في القدرات أن يعد التعبير السليم في جملة الاعتبارات التي تدخل في تقييم هذا الانتاج ؟

واذا كان ذلك فما أيسر المسألة ·· ان كتابنا هؤلاء الذين تتفشى في كتابتهم تلك الظاهرة يقرءون ويدرسون ويتعمقون أشياء كثيرة ، ويبذلون في ذلك جهدا كبيرا ·· ولا أظن قراءة كتاب في قواعد اللغة العربية من تلك الكتب المدرسية الميسرة التي مروا بها في التعليم العام ويسهل عليهم جدا أن يعودوا اليها – ما أظن هذا أمرا شاقا ؛! ان هو الا جهد يسير مما يأخذون به أنفسهم في القراءة والدراسة · واذا كانوا قد استثقلوا هذه القواعد أو لم يستخفوا ظلها في أثناء تعلمهم المدرسى لزحمة المواد وعدم الشعور بالحاجة اليها في الصغر ؛ فانى أعتقد أن الأمر يختلف الآن عما كان ؛ وأظهر ما في هذا الاختلاف أنهم يشعرون بأنهم في حاجة لما يطلبونه·

ان أخطر ما في الامر أن يقال ان تلك الاخطاء مذهب جديد في الكتابة .. علام يقوم هذا المذهب ان كان ؟ هل يقوم على الاقتراب من اللغة الدارجة وأذواق الجماهير ؟ اذن فلماذا ينصب خبر ان ؟ أليس الأوفق للعامية ان يرفع او تكتب الكلمة بدون الف في آخرها ..؟

وقد شعر بعض أساتذة الجيل فى نشأتهم بأن تلك الاخطاء فى كتابتهم من قبيل العيب الذى يملك صاحبه أن يتخلص منه ، فتخلصوا منه فعلا وأصبحت كتابتهم عربية نقية . فالمسألة مسألة اقتناع بأن النقص اللغوى نقص فى الادب والكتابة على وجه عام ، والعقبة الوحيدة هى ادعاء «المذهبية» أو توهمها .

وثمة نقطة أخرى تدخل فى تلك « المذهبية » أو فى تلك الظاهرة غير مخالفة قواعد اللغة ، وهى استعمال الالفاظ والتعبيرات العامية فى خلال الكتابة العربية .وهنا ترفع « المذهبية » رأسها عاليا وتقهقه من الجمود والتقعر ..! وتدخل أسماء اعلام مثل « سيبويه » و « الزمخشرى » فى السخرية الجاهلية المسكينة ..!

انني لا أمنع استعمال كلمة عامية و تعبير عامى يشعر الكاتب بالحاجة اليه فى أداء ما يريد ولا يجد بدلا منه فى العربية يؤدى مايؤديه ، وقد فعلت ذلك فى أول هذه الكلمة اذ استعملت كلمة «قفشات» .

ولكن متى يصح ذلك ، أو من هو الكاتب الذى يدعى أن اللغة العربية لا تسعفه بمثل ما يستعمله من العامى ؟ انه من غير شك الكاتب الذى اطلع على النصوص العربية وكون لنفسه منها ثروة تكفيه فى التعبير ، فاذا لم يسعفه شيء منها لجأ الى غيره . اما غيره فاسمحوا لى أن أقول : لا ...

اهتمامات صغيرة فى صحافتنا

محمد عبد الوهاب.. فى لندن .. سعل وعطس.. وذهب الى عبد الحليم حافظ فى المستشفى وسلم عليه ، وسلم على قرينته كذلك ، وقصد الى الميناء ليركب الباخرة لأنه يخاف من الطائرة ! وهنا حدثت المفاجأة المذهلة .. الباخرة ضعيفة ، حمولتها ١٤ ألف طن فقط .. وكانت المفاجأة الاكثر اذهالا من الاولى . أن « الكابين » المعدة له بها تقوب .. فعطس ..وما أدراك ما يعطس عبد الوهاب ! وغرق فى طوفان من الزكام تبعه سيل جارف .. وخرج المنديل من جيب عبد الوهاب ليستقر على أنفه ووجهه معلنا حالة الخطر .. وطلب القبطان ، وقال له : « لا .. يا سعادة القبطان ..» قالها عبد الوهاب وهرب من الباخرة » .

وبقدرة قادر ، او بواسطة مندوبة اخبار اليوم فى لندن ، انتقلت العبارة السابقة التى بين الاقواس الى القاهرة حيث استقرت بالجريدة عنوانا كبيرا على موضوع يشغل نصف صفحة منها محلاة بالصور الفوتغرافية والرسوم الكاريكاتيرية لعبد الوهاب وهو يعطس ويسعل ويتقى السيل الجارف بالمنديل !

محمد عبد الوهاب فنان عظيم ، كلنا نحب فنه ونقدره ، ونحب أن تهتم صحافتنا بالجانب الذى يهمنا فيه ، وهو الفن ؛ ولا بأس بأخباره العادية **النظيفة الخالية من السيل الجارف ... والزكام المنهمر ..**

اما أن يسعل ويعطس ويضع المنديل على انفه ويسلم على عبد الحليم حافظ ، فهى اشياء لا تستحق اهتمام صحافتنا الكبيرة وملاحقاتها له بالمندوبات فى لندن وباريس وروما ، وفن رسامى «الكاريكاتير» فى الجريدة الكبيرة .

أليس كذلك ؟

الرسالة الجديدة

كان مما قلته فى ندوة الصحافة الأدبية بالجمعية الأدبية ان المجلات الأدبية التى ظهرت بعد توقف الرسالة والثقافة لم تسد فراغهما .وكان رأيى دائما ان المجلة الشهرية لا تحل محل الاسبوعية . وليس معنى هذا أن المجلات الشهرية التى ظهرت لم تقم بدورها كاملا .

ويظهر أن الأخ الاستاذ محمد عبد الله السمان لم يلق سمعه الى جيدا فى الندوة ، ولعله انساق فى التعبير حينما ذكر فى العدد الماضى من الرسالة انى قلت «ولم تستطع أى من المجلات التى ظهرت لتختفى أن تسد ولو جانبا من الفراغ الذى تركته المجلتان» .

وليس من المعقول أن أقول هذا ، فقد اشتركت فى تحرير مجلة « الرسالة الجديدة » وكتب فيها أستاذنا الزيات فى بعض الفترات .

وقد ظلت تصدر بضع سنين أدت فيها مهمتها — على خير وجه — كمجلة ادبية ذات طابع مختلف عن الرسالة والثقافة، وكان لها اثرها فى الحركة الادبية، وقد توقفت لنفس الاسباب التى توقفت من اجلها الرسالة والثقافة .

الاستاذ عباس خضر

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

الصومال ..

لقد واجهت الصومال باجزائها المختلفة — نفس الظروف التى تواجهها المستعمرات الافريقية — من **تفتيت اقليمى — مدعمـا بتقوية النزعات القبلية — الى محاربة التعليم وكل اشكال التقدم الحضارى ..**

وجمهورية الصومال الحالية هى اتحـاد بين جزءين فقط من اجزاء الصـومال .. **هى صوماليا** — وهو الجزء الذى كانت تحتله ايطاليا — واثناء الحـرب العالمية الثانية احتلته بريطانيا — ثم — رجعت اليه ايطاليا ثانية — **كوصية من قبل الامم المتحدة** عليه ..

« والصـومال البريطانى وهو ما يطلق عليـه الآن الاقليم الشمالى من جمهورية الصومال .. كان خاضعا لبريطانيا — **التى اضطرت تحت الضغط الشـعبى الى منحه الاستقلال** . . وكان مولد جمهورية الصومال نتيجة لاتفاق زعمـاء — صوماليا — والصـومال البريطانى فى ١٦ ابريل سنة ١٩٦٠ على الاتحـاد **وتكوين جمهورية الصومال الديموقراطية — حيث فاز الصومال البريطانى فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠** بالاستقلال ثم فى اول يوليو سنة ١٩٦٠ اعلن استقلال صوماليا ، كما اعلن ايضا ميلاد اول اتحاد فى شرق افريقية — وهو الجمهورية الصومالية .

ورغم قيام جمهورية الصـومال باقليميها — **فانه ما زالت اجزاء اخرى من الصومال الطبيعى خاضعة للاحتلال البريطانى — والاحتلال الفرنسي فالصومال الكينى الذى تحكمه بريطانيا — عزلته عزلا تاما عن اجزاء الصومال الاخرى وحاربت فيه جميع الحركات التحررية التى تدعو الى الوحدة الصومالية الشاملة .**

اما الصـومال الفرنسي — فانه ما زال يحكم — **بالوسائل الاستعمارية الفرنسية المعروفة — بعنفها ووحشيتها ..** ويعتبر الفرنسـيون مطالبة شـعب الصومال بالحكم الذاتى امرا محرما ، **لا يتفق ووضع الاقليم السياسي باعتبـاره اقليما فرنسيا — ضمن الاتحاد الفرنسي لما وراء البحار ..** وقد قاد السيد **محمود حرب الزعيم الصـومالى** — الدعوة ضـد دستور ديجول — واستجاب له الصوماليون الذين رفضوا دسـتور ديجول بنسبة ٨٠ ٪ **ومع هذا —** ارسـل ديجول — **جاك كومبا — وهو من اتبـاعه الفاشيين الى الصومال الفرنسي واستطاع ان يزور النتيجة ويلقى بالاحرار فى السـجون ويصادر كل المطالب الوطنية .. ليحـكم البلاد حكما عسـكريا مطلقا ..**

ومن الخطوات التى اتخذتها السلطات الفرنسية فى الصومال ضد العرب محاولتها خدمة ومساعدة اسرائيل — **وذلك باسـتغلال موقع مينـاء جيبوتى كقاعدة تشرف على مدخل البحر الاحمر الجنوبى — واستخدامه كمركز للتعاون التجارى مع اسرائيل .. فاقامت فى ميناء جيبوتى مستودعا كبيرا ، تتجمع فيه الموارد الغذائية من اثيوبيا وغيرها ، ثم تشحنها على سـفن موالية غير اسرائيلية الى ميناء ايلات ، كما استخدمت هذا المستودع ايضـا لتخزين المنتجـات الاسرائيلية ، تمهيدا لتوزيعها على البلاد الافريقية ..**

ورغم ان هـذه الاقاليم الصومالية — مازالت تحت الحكم البريطانى والفرنسي .. **الا ان جمهـورية الصومال الحالية — تعد من اهم الدول التى يمكن ان تؤثر تاثيرا فعالا ومباشرا فى شرق افريقية عامة .**

نحو الى ٩٩ ٪ من سكانها يدينون بالدين الاسلامى وهم سـنيون على المذهب الشـافعى — **وكان انتشار الاسلام نتيجة لقدوم الهجرات العربية المتوالية منذ عدة قرون ..** ولا توجد سوى نسبة ضئيلة من المسيحيين لا تتعدى .. ٤ نسمة ممن تمكنت الارساليات المسيحية الكاثوليكية من احتضـانها — ويتألفون من اليتامى الذين نشأوا فى الكنائس منذ الصغر — ومن اللقطاء الذين جاءوا من علاقات غـير مشروعة بين الايطاليين والصوماليات .

وتتسم **القيم الاخلاقية فى المجتمع الصـومالى بالطابع الاسـلامى . ومن مظاهر ذلك عطف الغنى**

على الفقير عطفا كبيرا — ومن امثلة ذلك ايضا انه عندما يأتى الى العاصمة من الريف طالب فقير ناشىء تحتضنه احدى الاسر الثرية وتعاونه على مواصلة الدراسة . كما تقوم الاسر التى تملك اراضي زراعية واسعة بتوزيع المحاصيل على الفقراء من ابناء القرية **— ليس على انه صدقة — ولكن على اعتبار انه حق لهؤلاء المواطنين الفقراء .. والمشكلة التى تواجه الصومال الآن هى مشكلة اللغة .. وقد كانت اللغة العربية الى ما قبل الاستعمار الايطالى هى اللغة السائدة فى الصومال يستعملها الحكام فى اعمالهم الرسمية ومعاهداتهم ، والتجار فى اعمالهم . وكذلك القوى الاستعمارية كل قواها وامكانياتها لابعاد الصوماليين عن العالم العربى والحضارة الاسلامية وحركات التحرر — وذلك بمحاولتهم القضاء على اللغة العربية** — واحلال اللغة الايطالية محلها ، لتصبح لغة الحكام ولغة الشعب .. ورغم التوصيات المتعددة التى اتخذها مجلس الوصاية فى دورات انعقاده المختلفة ، استجابة للشكاوى والاحتجاجات الكثيرة التى رفعها اليه الشعب الصومالى . **ومطالبته بتعليم اللغة العربية واستخدامها كاداة لتعليم المواد الاخرى فى المدارس ، رغم هذا كله ،** لم تقم الادارة الايطالية باتخاذ اية خطوة عملية لوضع توصيات مجلس الوصاية موضع التنفيذ — **وقد استمرت اللغة العربية لفترة طويلة تعتبر لغة غريبة فى المدارس الحكومية ، وتدرس لفترات محدودة لاتساعد على الملم التلاميذ بها .**

وقد قامت **الجمهورية العربية المتحدة** بمساعدة الشعب الصومالى فى مختلف **المجالات — منذ ان** كان تحت الوصاية — وبعد ان نال استقلاله فى مختلف المجالات — فأمدته بالمدرسين — وافتتحت الجمهورية العربية **المتحدة فى الصومال مدارس عربية متعددة بالاضافة الى المركز الثقافى فى مقديشيو (العاصمة) ودارا للعرض السينمائى لعرض الافلام العربية .. وزودت الصومال بالمعونة الاقتصادية والفنية وقدمت له القروض الطويلة الاجل ..**

وذلك ايمانا من الجمهورية العربية المتحدة ان شعب الصومال يجب ان يتبوأ **مكانته المرموقة فى ذلك الركن الهام من قارة افريقية — حتى يصبح مصدر اشعاع لنور الثقافة العربية والاسلامية بين شعوب تلك المنطقة ..** وسوف يظل **دم الشهيد كمال الدين صلاح** مندوب مصر السابق فى المجلس الاستشارى — والذى اغتاله الايطاليون — رغبة منهم فى ابعاد مصر عن الصومال — **سيظل رمزا للاخوة والكفاح المشترك وتعبيرا عن التضامن المثمر لشعبى الصومال والجمهورية العربية المتحدة .** والكتاب من تأليف **محمد عبد المنعم يونس** ويقع فى ٢٢١ صفحة من القطع الكبير والناشر دار النهضة العربية تحت اشراف المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

خمس سنوات فى المسرح

بقلم : احمد حمروش .

يحتوى الكتاب على **شرح ودراسة لظروف المسرح القومى طيلة السنوات الخمس التى — تولى فيها المؤلف — ادارته ..** مبينا كيف استطاع خلالها ان **ينهض به ويدعمه — ويخرجه من دائرته المحدودة كفرقة حكومية — تخضع للروتين الحكومى .. وتتقاذفها التيارات والانقسامات العنيفة ..** موضحا — كيف استطاع المسرح ولأول مرة — ان يشارك مشاركة فعالة **فى معركة الشعب ايام العدوان الثلاثى .**

فقد اوقف الاعداد والتدريب الذى كان قائما وقتذاك — لعرض مسرحية «ايزيس» لتوفيق الحكيم — وقدم بدلا منها مسرحية كفاح **الشعب — التى اخرجها نبيل الالفى — ومسرحية دنشواى التى اخرجها حمدى غيث ..** وقدمت هذه المسرحيات نهارا من الثانية الى الخامسة — وفتحت ابواب المسرح مجانا — واوضح المؤلف كيف — هز — هذا التحول — كتاب المسرح فسارعوا الى كتابة — **مسرحيات وطنية — لتساهم مساهمة فعالة فى مجال العمل الوطنى ..**

وعرض الكتاب — **مشاكل العمل المسرحى —** من جوانب عدة . **الجانب المادى منها** والمعنوى . **وكيف تتأثر حياة الممثل المسرحى — وامكانياته الفنية — عندما تتقاسمها الاذاعة والتلفزيون — مع المسرح — الذى لا يقدم لممثليه — أجورا تتناسب — ومكانتهم الفنية ..** هذا بالاضافة الى موجز واف للرحلات التى قام بها المسرح الى البلاد العربية الشقيقة — فى سوريا ولبنان والمغرب والكويت — وكيف قوبل هناك بحماس بالغ — وذلك مما يدعم الراى القائل **بان المسرح يمكن أن يكون اداة فعالة لتدعيم قضايانا القومية المتعددة — وخاصة عندما يخاطب فى المواطن العربى ذوقه واحساسه .**

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

بوركهرت سويسرى .. لا فرنسى

نشرت مجلة الرسالة الغراء في عددها رقم ١٠٣٢ الصادر في ٢٤ أكتوبر الحالي مقالا ممتعا للاستاذ الفاضل محمد علي غريب عن كتاب «رحلات بوركهرت في بلاد النوبة والسودان» .

جاء فيــــه ان بوركهرت فـرنسى الجنسية . والحقيقة انه من مواليد بال بسويسرا فهو سويسرى الجنسية . ولهذا فقد اهتمت الجالية السويسرية بمصر بقبره الموجود بعلوابة القاضي بقرافة باب النصر . وقد جددت المقبرة التى دفن بها اكثر من مرة . وان الزائر لقبره يجد على شـــاهد قبره الـكتابة الآتية :

هو الباقي . هذا قبر المرحوم الى رحمة الله تعالى الشيخ حاج ابراهيم المهـدى بن عبد الله بركهرت اللوزاني . تاريخ ولادته ١٠ محرم سنة ١١٩٩ من الهجرة وتاريخ وفاته الى رحمــــة الله بمصر المحروسة . في ٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٢ هـ .

ومن تلك الكتابة تتضح جنسيته السويسرية . كما أن الدكتور لويس كيمر نشر في مجلة كراسات التاريخ المصرى التى كانت تصدر بالفرنسية في عدد مارس سنة ١٩٥٣ مقالا عن الرحالة الالمان الذين زاروا مصر بين سنتى ١٨٠٠ ، ١٨٥٠ . فتحدث حديثا قصيرا عن عائلة بوركهرت التى كانت تقيم في بال بسويسرا ثم ترجم له . وذكر أن معظم كتبه قد ترجمت الى الألمانية .

واليوم ونحن نعنى عناية خاصة بالأدب الشعبى لانه جزء لا يتجزأ من تراثنا الثقافى والاجتماعى ، يجب ان نذكر ان بوركهرت قد عنى بجمع الامثال العامية المصرية . وفي دار الكتب المصرية نسخة من كتابه تحت عنوان « الامثال العـــامية جمع لويس بوركارد » وهي محفوظة برقم ٨٢٢ أدب تيمور . وقد طبعت سنة ١٨٣٠ . وليس في المكتبة العربية سوى هذا الكتاب وكتاب المغفور له أحمد تيمور الذى يحوى ٣١٨٨ مثلا عاميا مرتبة على حروف المعجم .

القاهرة ــ شفيق أحمد عبد القادر

حول التشاؤم فى شعر شكرى

تساءل الاستاذ عواد فى مقاله **بالعدد ١٠٣٠** عن الشاعر عبد الرحمن شكرى :

« ما مبعث هذا التشاؤم فى شعر عبد الرحمن .. وما سر هذه النظرة السوداوية التى ينظر بهـا الى الحياة .. ؟ » .

ان مبعث هذا التشاؤم وسر هذه السوداوية .. ثلاثة عوامل : **سـياسى ، وثقافى ؛ وشخصى** ؛ ولا أحد يستطيع ان ينكر العاملين الأولين .. أما العامل الثالث والذى قال عنه الاستاذ عبد المنعم « بالاضافة الى العاملين السابقين عامل شخصى هام .. ذلك هو النهاية السيئة التى آلت اليها هذه الصداقة الوطيدة التى كانت تربطه بصديقيه فى الكفاح الأدبى .. المازنى والعقاد .. »

هذا العامل الثالث .. هو الذى جعلنا نمسك بقلمنا ونوضح هذا العامل .. ونبين مدى أثره على الشاعر ... لم يكن هذا الاثر يســـتحق كل هذه المبالغة .. فالحقيقة التى يراهــا المتتبع لحـــياة شكرى .. والدارس لشعره .. لا تعدو فى كونها أكثر من معركة ساحتها الورق وسلاحها الاقلام .. وغنمها فى النهاية خدمة الادب نفسه .. ولا شيء غير هذا ...

أو كما قال الاستاذ نقولا يوسف عنها « مناقشة قلمية فى الصحف ما لبثت أن ذهبت مع الريح » والجفوة كما حدثت ترويها صحفنا الماضية .

ان شكرى جاءه من أخبره أن الاســـتاذ المازنى انتقص شعره .. فاختتم شكرى مقدمة جزئه الخامس من ديوانه ببعض سرقات ، أدبية للاستاذ المازنى من شعراء الغرب ...

وفى نهاية المقدمة قال « ولا أظن أن أحدا يجهل مدحى المازنى وايثارى اياه واهدائى الجزء الثالث من ديوانى اليه .. وصداقتى له .. ولكن كل هذا لا يمنع من اظهار ما أظهرت ومعاتبته فى عمله » ...

مصطفى السيد الجبرتى
مدرس ــ بور سعيد

شوقي لم يتجن على عرابي

اننا نخطيء حين نقول : ان حملة امير الشعراء على عرابي قد اضطر اليها اضطرارا بحكم مركزه وارضاء منه لولي نعمته ، كما ذكر السيد محمد عثمان أخيرا في البريد الادبي حول قصيدة « صغار ... » فالذي لا شك فيه أنه لم يكتب في عرابي هذه القصيدة وحدها .

فلامير الشعراء قصيدتان أخريان غير قصيدة « صغار في الذهاب » قالهما ايضا في الهجوم على عرابي ونشرهما له الزعيم مصطفى كامل بجريدة اللواء ، وقال في مقدمة الاول بعنوان : « عرابي وما جنى »

أهلا وسهلا بحاميها وفاديها
ومرحبا وسلاما يا عرابيها

والثانية وعنوانها : « صوت العظام » :

عرابي هل تركت لنا قبورا
يقول الطائفون بها سلاما

وقد نشر أمير الشعراء هذه القصائد الثلاث عام ١٩٠١ م عقب عودته من منفاه :

نقول : لم يكتب هذه القصائد مضطرا او بحكم مركزه وارضاء منه لولي نعمته كما ذهب السيد / عثمان ، وانما كتبها لأشياء وأشياء لا اظن الاخ الأديب قد سمع عنها في سلوك احمدعرابي ، وأعني بهذه الاشياء خضوعه واستسلامه لأولي الامر من المستعمرين ، ويكفي للاستدلال على ذلك ان عرابيا جثا تحت أقدام القائد الانجليزي بعد انهزامه في « معركة التل الكبير » وقد كان شوقي صديقا حميما للزعيمين : مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، وهذا أيضا ينفي عنه كل ما قد يقال عنه وعن وطنيته التي ما كان للشك أن يجد سبيلا للرقي اليها ، وقد نشر الزعيم مصطفى كامل كلمة في الهجوم على عرابي نشرت بجريدة اللواء عدد سبتمبر ١٩٠١ م ..

ونقول متسائلين : هل كان « مصطفى كامل يكتب هذا لارضاء ولي نعمته ؟ ومن هو ولي نعمة الزعيم يا سيد عثمان ؟؟؟ أجبني : أثابك الله .

اننا نظلم شوقيا (حينما نكتب عنه مشككين في وطنيته) أليس هو القائل : عندما كان منفيا في أسبانيا ـ وقد نفاه الانجليز اليها نظرا لما لمسوه في شعره من خطر عليهم : ـ

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي

وفي الهجوم على كرومر :

أيامك ام عهد اسماعيلا ؟
أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

وفي التنديد باخلاف الانجليز وعودهم بالاستقلال

اليوم أخلفت الوعود حكومة
كنا نظن عهودها الانجيلا

وقد قال أيضا في بطولات المصريين ثورة ١٩١٩ م مع أنه لم يشهد بطولاتهم :

يوم البطولة لو شهدت نهاره
لنظمت للأجيال ما لم ينظم

عبد العزيز عبد ربه
جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب

***

متى نقرأ ـ الملاح التائه ؟

تعود الرسالة ـ وللعود احمد ـ فتمتد بنا الذكريات الى أيامنا الاولى يوم ان كان يحف الرسالة عائلة كبيرة من الكتاب والادباء ـ منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ـ والمهندس الشاعر المرحوم علي محمود طه تاه كما تاهت (ملاحه) و (لياليه) لتقف بعد ذلك سامانة وجلة في دواوين أمست نادرة ، فبالله عليكم من سمع ان لشاعر كليوباتره والجندل وفلسطين .. ديوانين ؟

لا يعرف ذلك غير الرسالة : وهي وقد تذكرت بكل هذا وعادت لتحمل المسئولية بين دفتيها ما ضرها لو تبنت فكرة طبع آثار الشاعر المهندس ليطلع عليها قراء العربية من الجيل المثقف فتحيي ذكراه وتتحف القراء بثمرة من ثمار هذا الشاعر الخالد وللرسالة فائق تقديري .

ياسين خليل الهيتي
حقوقي ـ بغداد

مع قراء الرسالة :

● وأرسل الاديب السيد / **محمد محمود شمس** رسالة الى تعقيبا على مقال سابق لي على صفحات الرسالة «الثقافة الاسلامية بين السطحية والاسفاف» يسألني الاديب لم لم أنشر أسماء الاشخاص الذين

غثيتهم بمقالى ، ولم أتستر عليهم ؟ وماذا يضيرهم بعد أن يتبعوا نفس الطريق ، فينتجوا ، ويسقطوا الضحايا • والتراث ؟ :

وأقول للسيد الفاضل : ان الغرض من المقال تقديم صور من فوضى التاليف عندنا ، وغير ما أشرت اليهم عشرات بل مئات ، والمشكلة يحلها الوعى والصحافة الادبية التى يجب عليها أن تتعقب أمثال هؤلاء حتى يسلكوا الطريق السوى ، أو ينكمشوا فى عقر دارهم •

السمان

● ووردت رسالة من السيد/ **محمد عبدالمنعم خاطر عضو البعثة التعليمية الدربية بعطبرة بالسودان** يقول : انه أثناء اعداده لرسالة الماجيستير عن أدب الجارم ، لفت نظره اخلاص الرجل للفكرة العربية كمبدأ تغنى به فى كثير من قصائده ، وفى هذا دليل يصفع أولئك الذين يحاولون عزل مصر عن تيار العروبة خدمة لسادتهم المستعمرين ، ويتمنى الاديب لو اتسعت صفحات الرسالة لأبحاثه فى هذا الصدد •

والرسالة تفسح صدرها دائما لكل بحث هادف جاد يخدم الفكرة العربية والاسلامية ••

● وأرسل الاديب السيد/ **محمد الانور الاحمد بالمطبعة الاميرية** يعتب على الرسالة تفضيلها عليه نشر كلمة السيد /محمد عثمان محمد بالزقازيق استجابة لأحد قرائها وقد سأل عن قصيدة: صغار فى الذهاب وفى الاياب ، التى قالها شوقى فى عرابى عقب عودته من منفاه ، وكان السيد محمد الانور لبى رجاء الاخ القارىء وارسل نص قصيدة شوقى مع تعليق عليها ، ولكنها لم تنشر ، واعتبر عدم النشر راجعا الى مخالفة الرسالة لرأيه الذى عقب به •

والرسالة : يهمها نشر الاراء الحرة الجريئة لوجه الحق أولا ، وفى هذا العدد نشرنا كلمة تتفق مع راى السيد الانور ، ولذلك فهى لم تفضل كاتبا عليه للسبب الذى أبداه •



أخبار علمية وأدبية

* ينعقد مؤتمر الشعر الخامس في مدينة الاسكندرية يوم السبت القادم ، سيفتتح الدكتور عبد القادر حاتم المؤتمر ، وسيكون من المتحدثين : حمدى عاشور المحافظ ، والاساتذة العقاد وعزيز أباظة ، وممثلو البلاد العربية .

* هبوب الرياح لا التيارات البحرية ، ولا المد والجزر هو القوة الاساسية التى تحرك مياه المحيطات، وفقا لدراسة أجراها العالم « ويلارد ليبى » الحائز على جائزة نوبل الدولية ومن جامعة كاليفورنيا .

وليسجل هذه النتيجة أنفق ثلاث سنوات تعقب فيها مادة التريتيوم المشعة وهى تتنقل فى مياه المحيطات مما وضح حركة المياه على سطوح المحيطات فكانت دائما تتفق مع هبوب الرياح وتنقلها من مكان الى آخر .

* عرض على المسئولين فى أسبانيا مشروع لعمل قاموس اسبانى عربى ، وقد وضع مدير المركز الثقافى الاسبانى نموذجا لقاموس مبسط بالاشتراك مع الدكتورسيد حنفى من قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة والذى يجيد اللغة الاسبانية .

ومن الجدير بالذكر أن اللغة الاسبانية تحتوى على زهاء اثنى عشر ألف كلمة عربية تكتب بالحروف اللاتينية دون أدنى تغيير فى معناها العربى الاصلى.

* المدنية زادت من خشونة الناس وفقا للدراسات التى أجراها الباحث الفنلندى « مارتى كارفونن » وأيدها بدراسة الارقام التى سجلها أبطال الرياضة فى الدورات الاوليمبية .

وتبعا لهذه التسجيلات قال ان الرياضيين فى الدول المتحضرة التى تجد وفرة المواد الغذائية سجلوا نشاطا أكثر من منافسيهم فى الدول الفقيرة . وكان معدل النقط التى سجلها الرياضى فى الامم المتقدمة ٣٠ر٣ نقطة ويقابلها ٣ر١٥ فى الدول التى ينتشر فيها سوء التغذية .

* صدرت فى دلهى بالهند صحيفة اسلامية اسبوعية Radiance أصدرتها الجامعة الاسلامية ، هدفها تمثيل الاسلام وتقديمه الى الطبقة المثقفة ، والدفاع عن قضايا المسلمين فى هذه البلاد .

* سينتظر العلماء ٣٠ سنة حتى تتيسر لهم دراسة طبيعة الفضاء على ارتفاع ٣٢٠٠ كيلومتر . والسبب هو القنبلة الايدروجينية التى فجرتها أمريكا فى السنة الماضية على ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر فوق جزر جون ستون بالمحيط الهادى .

وقد نشر أخيرا الدكتور ماكيلوان نتائج دراساته للبيانات التى أرسلها القمر الصناعى المستكشف ١٥ وقال فيها : ان هذا التفجير أضاف الى الاشعاعات الطبيعية اشعاعات صناعية ينتظر أن تظل محفوظة فى المجال المغناطيسى للارض خاصة فوق خط الاستواء نحو ٣٠ سنة . ومن العسير اجراء مقارنات عن الاشعاع لان الطبيعى منه غير معروف .

وكانت روسيا قد فجرت عدة قنابل مماثلة ولكنها كانت قريبة من القطب مما أتاح سرعة تشتيت المواد المشعة وتحللها. أما القنبلة الامريكية فانفجرت فوق خط الاستواء ومجالاته أكثر ثباتا .

* تناقش الجمعية الادبية (٣ ش قوله — عابدين) فى مساء الثلاثاء القادم فى ندوتها موضوع «التجارب الجديدة فى المسرح» .

يشترك فى المناقشة : الدكتور رشاد رشدى ، الاستاذ ميخائيل رومان ، الاستاذ سعد اردش ، الاستاذ نور الدين مصطفى ، الدكتور عز الدين اسماعيل ، ويقدم الندوة الاستاذ عباس خضر .

● دعت المدرسة السعيدية الثانوية الاستاذ عباس خضر الى اجتماع يعقد فى منتصف السادسة مساء السبت القادم بمكتبة المدرسة حيث يناقشه الطلبة فى كتابه « قصص أعجبتنى » الذى صدر فى سلسلة الالف كتاب .

* أسند المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، الى الاستاذ لؤى طه الراوى ترجمة كتاب « تاريخ فن السينما » من اللغة الألمانية ، الى اللغة العربية .

وكان الاستاذ الراوى قد ترجم مسرحية «ايزيس» للاستاذ توفيق الحكيم ، من العربية الى الالمانية ، بتكليف من المجلس نفسه .


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٣٦ - ٥ رجب ١٣٨٣ هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

متى يكون أدبنا اشتراكيا ؟

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان أدبنا في العهد الجاهلي أدب القبيلة والخيمة لا أدب الامة والوطن ، كان ضيق المجال محدود الأفق لا يرى شيئا وراء العشيرة ، فهو يتعصب لها ويشيد بها ويذود عنها، وينتقل مع الشعراء والخطباء من سوق الى سوق ومن ماء الى ماء ينشد أهازيج الحماسة والفخر والهجاء على أوتار العصبية ، ويعبر عن المعاني الفردية والمشاعر الذاتية والمظاهر البدوية أما معاني الحضارة والعمارة والرأي العام والارستقراطية والديمقراطية والاقطاع فلا الفاظ لها فيه ولا في أدب الساميين جميعا .

***

ثم كان في العهد الأموي أدب السياسة والحزبية تصطنعانه كما تصطنع نحن الصحافة اليوم ، فهو دعامة ملك ودعاية فتنة ، ومساجلة بين الاحزاب ومهاجاة بين الافراد ومفاخرة بين القبائل .

ثم كان في العهد العباسي أدب ارستقراطية وترف، نادم الخلفاء والسراة على الشراب ، وفاكههم في السمر وملقهم بالمديح ودار من وراء رضاهم في السياسة والحكم ، وتجاهل الشعب فلم يكتب له ولم ينقل عنه .

***

ثم كان في عهد الايوبيين وعهود الدول المتتابعة

أدب ديمقراطية وشعب ، عمل فى مجتمعه عاملان مختلفان : عامل التصوف والتقوى لدوام الحروب وتوالى الكروب من المجاعات والموتان ، وعامل الفسوق والمجون لانحلال الاخلاق وتحكم الشهوات وانتشار المخدرات ، فاتجه الادب فى مصر وفى غير مصر هذين الاتجاهين ، فاما أن يراد به الله فهو سوانح صوفية ومدائح نبوية ، واما أن يراد به الشيطان فهو نزوات خلقية ونزغات نفسية .

ثم كان فى العهد الاخير أدب ريادة ويقظة ، فتح عينيه على مجاهل فى الآفاق وفى الانفس طمسها الطغيان والجهل فارسل عليها قبسا من نوره وحسا من شعوره ، فاستبانت فى غموضها معانى الوطنية والحرية . وكان ما وضع فيه من المؤلفات والمقالات والقصائد والاقاصيص والاغانى تمهيدا لهذه الثورة التى سنت للامة العربية نظاما فريدا من الاشتراكية المعتدلة العادلة أحلته اسلاميته وانسانيته من نفسها محل العقيدة .

***

فانت ترى أن أدبنا قد تقلبت عليه العصور بالمعانى المختلفة لانظمة الحكم وأحوال المجتمع فعرف العصبية والحزبية، وخدم الارستقراطية والديمقراطية وقبل الصوفية والأبيقورية ووصف الوطنية والقومية وكل أولئك كان فى رضا ويسر ، لان الادباء على اختلاف مواهبهم ومذاهبهم لم يكونوا فى الكثير الغالب من أصحاب الرسالات يستدلون بدليلها، ويجاهدون فى سبيلها . وانما كانوا أبواقا يضخمون الصوت؛ ومرايا تعكس الصورة ، وظلالا تتبع الشبح ، اللهم الا شعراء الشيعة وخطباء الخوارج ، فقد ورد أدبهم على ايمان وصدر عن عقيدة ، فلم ينافق ولم يمالق ولم ينحرف .

***

أما موقف أدبنا من الاشتراكية اليوم فهو غير موقفه من غيرها بالامس . انه شديد الحرج ضيق المضطرب ، لان الامر فيه للعقيدة التى توحى ، لا للبيئة التى تملى . والعقائد لا تقوم بالامر ولا تدوم بالقانون . انما تقوم بالتصديق وتدوم بالتطبيق . وأثر الاسلام فى الادب وفى العقل لم يظهر يوم فتح مكة ، لان فتح البلدان أسهل من فتح القلوب ، وقلب العقلية أصعب من قلب النظام . لذلك وقف الادب على عتبة الاشتراكية وقفة الهائب الخاشع ، يمسح قدميه قبل أن يدخل ، ويروض أصغريه قبل ان يقول ؛ وما قاله فيها حتى اليوم لم يخرج عن ترديد شعارات الثورة ؛ وتكرير عبارات الميثاق ، وتصوير حياتنا الميتة ووجودنا المعدوم فى عهد مظلم اصطلح علينا فيه طغيان ملكية فاسدة ، وانحلال حكم واهن ؛ واحتلال مستعمر باغ ، واستغلال اقطاع جشع . تلك هى الأدواء التى تخونت جسم الأمة وأشفت بها على الموت ، حتى جاءت الثورة فبعثت الميت ، وقامت الاشتراكية فشفت الحى ؛ فالادب الاشتراكى يجب أن ينبثق من هنا لا من هناك ، وأن ينحصر فى هذا الاطار لا فى ذاك . ولن يكون الأدب اشتراكيا الا اذا صدر عن الأديب صدور العطر عن الزهر أو النور عن الشمس لا يتكلفه ولا يتعمله . ولن يكون الأديب كذلك الا اذا عاش الاشتراكية بوجدانه وايمانه فتصبح جزءا من وجوده وطبيعة فى سلوكه وطريقة لعمله . حينئذ يصور لنا بالبيان الجميل أثر العقيدة الاشتراكية فى سعادة الفرد بتحقيق الحرية والأمن . وفى رخاء الأسرة بتحقيق الكفاية والعدل ، وفى رقى الأمة بتحقيق التعاون والتكافل ، وفى سلام الحياة كلها بتصفية النفوس من اكدار الحقد والحسد والطمع والاثرة واشاعة الحب الاخوى بين الناس بقطع أسباب العداوة ومحو آثار الخلاف . كل أولئك يصوره الاديب الجديد بالاسلوب الذى تشرق فيه الكلمة بنور العقل ، وتنبض فيه الجملة بدم القلب ، ويجرى مع البلاغة جريان الطبع مع الذوق السليم . فليس من الأدب الاشتراكى ذلك الادب الذى يصور البؤس الذى كان يعانيه العامل ، أو الظلم الذى كان يقاسيه الفلاح ، أو التفاوت الذى كان يكابده المجتمع ؛ فقد انقضى كل ذلك بحكم النظام القائم والميثاق الحكم والتطور الملحوظ .

وليس من الأدب الاشتراكى ذلك النقد الحاقد الذى يورث الضغائن بين الناقد والكاتب ، ويوهن العلائق بين الكاتب والقارىء ؛ ويشوه الحقائق بين انحراف

الذهن ورقابة الضمير . وليس من الأدب الاشتراكي تلك الصحافة التي تثير بالحبر المختلق أو التافه ، ولا تثير بالرأى المحقق أو المفيد . وتعنى بالشؤون المادية التي تقيم الجسد ، ولا تكاد تعنى بالقيم الخلقية التي تقوى الروح ؛ فان الاشتراكية انسانية قبل أن تكون حيوانية ، ودنيوية بعد أن تكون دينية .

***

وليس من الادب الاشتراكي ذلك الأدب الذى يخاصم الفصحى ويجافى البلاغة ويزعم أن الاشتراكية تؤثر لغة العامل والفلاح وتقدم أدب الشعب والعامة . وينسى هؤلاء الزاعمون أن طبيعة الاشتراكية أن تدفع الانسان الى أبعد ، وأن رسالة الأدب أن يرفع النفس الى أعلى . فكلاهما ينشد الكمال فى طريقه ، ويبذل غاية الجهد فى تحقيقه .

وكيف يتسنى للادب أن يؤدى رسالته دون أن يحتفظ فى سره بالجزء الالهى الذى يقرب الادب من الدين ويربط الارض بالسماء ويدنى الانسان من الملك ؟ ذلك الجزء الالهى الذى يتحقق فى الالهام هو ما يجعل الانسان نبيا أو مصلحا أو أديبا على حسب ماتقتضيه الحال ، وهو ماتسميه بالاستعداد . وقديما قال الشعراء انهم يتصلون بالملأ الأعلى عن طريق الجن ، كما يتصل الأنبياء به عن طريق الملائكة . وهذا الاتصال الروحى أو الالهام الذهنى أو الاستعداد الفطرى متى أوتيه انسان سما بملكاته على الناس فلا يفكر تفكيرهم ولا يشعر شعورهم ولا يعبر تعبيرهم . ولو أردناه على أن يتبذل اليهم ويندمج فيهم لنفر نفور الجنس الغريب وتميز تميز الكائن المستقل .

***

ولعمرى كيف يستطيع الفنان ان يرفع النفوس الى مراقى الكمال اذا لم يترفع هو عن حقارة الحياة الدنيا ، ويصور للناس المثل العليا من الجمال والفضيلة فيرتفع الشعب الى سمائه ، بدل أن يسف هو الى حضيضه ودهمائه ؟

ان أدبنا اذا لم يتجه الى تثبيت الاشتراكية فى النفوس والسلوك بالتعبير عن خصائصها الواقعية ومظاهرها الاجتماعية وسماتها الخلقية فعبر عن حاضرها الواعد وبشر بمستقبلها السعيد ، كان حريا أن يسمى أدبا اشتراكيا يفتح له تاريخ الادب فى سجله الخالد بابا مستقلا يكسره على ما كنا عليه وما صرنا اليه . والا ظل كماكان أصداء متجاوبة لاصوات متقاربة ينبعث بعضها من خلال القرون ، ويصدر بعضها من وراء الظنون ، وفقدنا الطابع الذى يميز نظاما من نظام ويفرق بين عهد وعهد .

***

ان الزحف الثورى جارف يكاد يسبق التخطيط له والتفكير فيه . والادب الذى مهد له وبشر به لاينبغى أن يتخلف عنه . وليس مما يزكو بالاديب أن يقف منه موقف الراصد المسجل فلا يرفده بقوة ولايستنده برأى . والادباء الموهوبون الملهمون تميزهم تلك المقانة التى يستشفون بها حجاب الغيب ويهتكون بها ستار الغد . فهم يحلمون والزمن يحقق ، ويتخيلون والواقع يصدق ، ويقومون على منائر الطريق وفى أيديهم المصابيح يدلون الحائرين على مواطن الجمال والخير . وان من هذه المواطن ما لايعلمه غير الشعراء اذا استلهموا الله ولم يستلهموا الجن ، وأداموا النظر فى السماء ولم يطيلوه فى الارض . ولعمرى مابلغ رسالات الله الى خلقه الا لسان الادب ، ولا جلا عمايات النفوس الا نور الحكمة ولا هدهد آلام الانسانية الا أنغام الشعر ، ولا رسم المثل العليا للناس الا وساوس الاحلام .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنى المكارم

فهل نطمع أو نتوقع من قادة الكلمة الجميلة فى أدبنا الاشتراكى البادىء أن يحرصوا على أداء هذه الرسالة التى أجملتها فى هذه المقالة ؟

أحمد حسن الزيات

وجهة نظر

للدكتور محمد أحمد خلف الله

اسال نفسى ، ويبدو ان كثيرين غيرى من الناس يسالون انفسهم ايضا عن هذا الموقف الذى نقفه من قضايانا القومية الكبرى . فنحن قوم نؤمن بالقومية العربية ، ونهدف الى تحقيق الدولة القومية التى تمتد فتشمل الوطن العربى الكبير ، والامة العربية بكاملها ــ ومع كل هذا ترانا فرقا واحزابا ، وترانا من التباغض والتناحر بحيث يكيد بعضنا لبعض ، ويحارب بعضنا البعض ، وكأننا لاننتمى الى امة واحدة ، ولايشتمل علينا وطن واحد .

ان هذا الموقف الذى نقف يدفعنا الى ان نسال انفسنا عن الاسباب او العوامل المفسرة لكل هذا الذى نرى . فهل مانراه من فرقة وانقسام ، ومن تناحر وتباغض وتدابر ، علامة صحة او هو دليل مرض . وهل مانراه يؤكد اننا سائرون حتما الى الوحدة او هو يؤكد امرا آخر هو اننا امم مختلفة ولا سبيل الى تحقيق هذه التى تدعى بالوحدة الكبرى ؟.

انى اومن بأن هذا الذى نرى ليس الا المرحلة التاريخية الحتمية التى تمر بها كل امة عندما تحاول احداث تغيير جذرى فى جوانب حياتها المختلفة ــ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . اذ فى هذه الحالات يندر ان يؤمن الناس بالافكار الجديدة دفعة واحدة ، ويقبل الناس على التغيير الجذرى مرة واحدة ، وانما يتفاوتون فى الادراك ، ويتفاوتون فى الموقف الذى يجب ان يتخذ ، فيكون الاختلاف فى الراى ، ويكون مايتبع الاختلاف فى الراى من فرقة وانقسام ، ومن تناحر وتباغض .

انى اومن باننا واصلون حتما الى هذه الوحدة الكبرى ، وان الذى نحن فيه اليوم من فرقة وانقسام ليس الا النكسة التى تتلوها الوثبة . واليكم الاسباب التى تدفعنى الى أن اعرض وجهة النظر هذه .

* * *

عندما استيقظ العقل العربى ، ووعت الامة العربية نفسها ، امتدت اليقظة وامتد الوعى الى ذلك التاريخ المجيد لهذه الامة ، والى الدور الحضارى الذى لعبته ان فى الشرق وان فى الغرب . وتسرب فى نفسها الامل بأن تعيد سيرتها الاولى ، واخذ هذا الامل يقوى ويشتد الى ان اصبح عقيدة قومية ، واصبح ايمانا بمستقبل زاهر يتحقق ان شاء الله .

كان هناك من يحاول القضاء على هذا الامل وتبديد هذا الايمان وهم المستعمرون من اتراك ، ومن انجليز وافرنسيين .

كان هناك من يحاول تتريك العرب فى المشرق ، وفرنسة العرب فى المغرب وفشل كل ذلك . وبقيت الامة العربية امة مؤمنة بنفسها ، مؤمنة بماضيها وبمستقبلها ، هادمة لكل عوامل التتريك او التفرنس .

وكان هناك من يحاول تجزئة هذا الايمان وحصره فى نطاق حدود ضيقة هى نطاق الاوطان الصغرى والدول الاقليمية . واثار هذا المحاول قضية العنصرية ، وعمل على ان يبث فى الوعى العربى أن ماضيه السابق على الاسلام خير من ماضيه فى الاسلام ، وانه من عنصر غير عربى واولى به أن يرتد الى ماضيه ، وان يؤمن بجنسه ، وان تكون له قومية خاصة تبشر بحضارة جديدة ارقى من الحضارة العربية . واستمع الناس لهذا القول استمعوا مخدوعين او مأجورين ــ ونادوا بهذه الفكرة . نادوا بالفرعونية فى مصر ، وبالفينيقية فى لبنان ، وبالاشورية فى العراق ، وبالبربرية فى الشمال الافريقى ، ولكنهم لم يصلوا من ذلك الى طائل ، وفشلوا جميعا فى دعوتهم .

ان اعتزازهم بذلك الماضى السحيق لم يذهب الى ابعد من حدود التفاخر بحضارات بادت واندثرت ولم تعد من مقومات الامم بحال من الاحوال . ان مقومات هذه الامم قد اصبحت مقومات عربية صرفة فاللغة عربية ، والدين عربى ، والحضارة عربية وليس لها من حضاراتها الاولى الا الذكريات المبهمة الغامضة التى لاتكفى باعثا على خلق امة جديدة من لون جديد .

فشلت هذه المحاولات كما فشلت سابقتها ومضت الامة العربية فى طريقة معتزة بنفسها وبماضيها العربى المجيد وبمستقبلها الزاهر .

وكان هناك من يحاول تلهية هذه الامة بوحدات

او اتحادات صغرى اكبر من الاقليمية واصغر من الاتحاد الكبير . اتحادات تمنع الوحدة الشاملة وتمكن للمستعمر من ان يفعل لهذه الوحدات الصغرى مايريد .

طرح هذا المحاول مشروعات كثيرة هي سوريا الكبرى ، الهلال الخصيب ، المغرب الكبير ، وحدة وادى النيل . وظن انه بهذا يقوقع فكرة القومية العربية والوحدة العربية ويلهى المواطنين العرب بشعارات جديدة - ومضى معه مخلصون وماجورون خادعون ومخدوعون - وانتهت المحاولة بالفشل كما انتهت سابقاتها . وبقيت الامة العربية بخير ، وظلت الفكرة العربية قوية ، تنادى بمستقبل زاهر يقضى اول مايقضى على النفوذ الاستعماري ويطرده من كل شبر من أرض الوطن العربي الكبير .

* * *

وشعر المستعمر بأن القضاء على الفكرة يطرح الاقليمية والعنصرية او الاتحادات والوحدات الصغرى لاطائل من وراءه فعمد من كل ذلك الى اسلوب جديد .

جاء الاسلوب فى هذه المرة على شاكلة الاعتراف بفكرة الدولة القومية والتظاهر بمساعداتها . والعمل فى الوقت نفسه على الانحراف بها بحيث تضل طريقها ، ولاتصل بحال من الاحوال الى تحقيق اهدافها .

ان الذى يساعد المستعمر فى مشروعه الجديد مافى نفوس الافراد من ميل الى الكسب الشخصى وحب للسيطرة والنفوذ ، وان مايقضى على هذا المشروع هو مافى نفوس الافراد من حب للخير ، وحب للوطن ، وحب للصالح العام .

اننا اليوم فى مرحلة يعجز أى مواطن عربى عن ان ينادى فيها بفكرة تعارض فكرة العروبة كما كان الحال فى المراحل السابقة . فالكل يؤمن بالقومية العربية والكل ينادى بتحقيق الوحدة العربية - وهذا كسب كبير للعقيدة القومية . انهم هنا يختلفون فى اسلوب تحقيق الفكرة - ومن هذا الاختلاف ينفذ المستعمر لتحقيق مشروعاته فيضرب بعضنا ببعض ، ويدفع بعضنا الى ان يكيد لبعض .

لكن هل ينجح المستعمر ويقضى على أمل الامة العربية فى الاستقلال والوحدة واقامة الدولة القومية؟

لا ، لن ينجح ، والسبب نستمده من هذا التاريخ الذى سردنا .

لقد عجز المستعمر فى محاولاته السابقة جميعها عجز ولم يكن الايمان بالوحدة العربية قد بلغ هذا المبلغ الذى وصله اليوم ، ولم يكن الوعى العربى قد بلغ من العلم بنوايا المستعمر ومخططاته المبلغ الذى وصله اليوم .

ان العلة فى انفسنا . فى حب الذات . فى الانتهازية والنفعية . وكل ذلك اشياء تزول حين نصل من الثقافة الى درجة تغير من اسلوبنا فى ادراكنا لواقعنا وتجعلنا نشعر دائما بان تحقيق الاهداف الكبرى فوق مصلحة الجميع .

وانا لواصلون ان شاء الله .

***

كلمات

ان بعض الكتاب الذين تضررت دوائهم من نشوء الفكرة القومية - اذ فقدت من جراء ذلك الكثير من امتيازاتها ، واضطرت الى التخلى عن كثير من اطماعها - هم الذين ينعتون الفكرة القومية باقسى النعوت ، ويزعمون انها كانت مثارا لحروب كثيرة ، حتى أن منهم من يدعى بأن الخسائر التى سببتها الفكرة القومية فاقت كثيرا الخسائر التى جاءت نتيجة لاكتشاف البارود والديناميت .

* * *

ولكن واحدا من هؤلاء لايستطيع ان ينكر أن الحروب التى نشبت من جراء نشوء الفكرة القومية كانت اقل بكثير جدا من الحروب التى جاءت من اسباب اخرى لاتمت الى الفكرة القومية بصلة .

* * *

كما ان واحدا من هؤلاء لايستطيع ان يشك فى أن الاوضاع السياسية التى جاءت نتيجة للفكرة القومية كانت افضل بكثير جدا من الاوضاع التى كانت سائدة قبل نشوء هذه الفكرة - وبخاصة فى اوروبا.

* * *

ان القوميات لم تشعر بذاتيتها شعورا تاما وحادا ، فى وقت من الاوقات ، بمثل ماتشعر به الآن - وبخاصة فى المجتمع العربى والمجتمعات النامية - وان يكن البعض ، وخاصة من المستعمرين وعملاءهم ، قد حكموا عليها بالزوال .

انها لم تؤثر فى السياسة العامة وتعمل على تجديدها ، فى وقت من الاوقات ، بقدر ماصارت تؤثر فيها الآن ، بكل قوة وثقل .

وهناك علامات صريحة تدل دلالة قوية على ان مسالة القوميات - بجانب المسائل الاجتماعية - ستتغلب ، خلال السنوات القليلة القادمة ، على كل المسائل الاخرى .

* * *

ان الذين فقدوا البصيرة ، هم وحدهم الذين يزعمون ان الفكرة القومية من الآراء الطارئة التى لاتلبث ان تندثر .

انى اقف ذاهلا ومدهوشا عندما افكر فى الانقلابات العظيمة التى ستحدث من جراء تغلغل الفكرة القومية فى النفوس .

ان تغلغل الفكرة القومية فى نفوس الشعوب الآسيوية والافريقية هو الذى اضطر الدول الاوروبية والامريكية - شيئا فشيئا - الى الاعتراف بحق تلك الشعوب فى تقرير مصيرها .

كان القرن التاسع عشر عصر القوميات بالنسبة للشعوب الاوروبية . أما القرن العشرون فانه عصر القوميات بالنسبة للشعوب الآسيوية الافريقية .

دكتور
محمد احمد خلف الله



والمغالطة فن أيضاً

للدكتور أحمد كمال زكى

فى المأثور أن عيابا قال لفصيح : لم لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهم ما يقال ؟

ونحو هذا روى عن الطائى ، حيث سأله رجل لعله أبو سعيد الضرير : لم لا تقول من الشعر ما يعرف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال ؟

والرواية تقرر أن الضرير أفحم ، كما افحم عياب الفصيح من قبل . وإذ أصدر كلامى هذا التصدير الذى لا شك يغضب الدكتور عبد الرحمن عثمان ، فلكى يعود مرة ثالثة ومرة رابعة لمقالتى التى نشرت فى العدد ١٠٣٢ من الرسالة ، فقد يرده الى الفهم ما رد به العياب والضرير على حد سواء . ومع ذلك فلأكن هذه المرة أكثر صراحة ، ولأكن ايضا واحدا من الذين يسهلون له أسباب العلم ، ومن العلم ما قتل .

أقول للدكتور عبد الرحمن عثمان ان ما كتبه وما سيكتبه عن أبى تمام مأخوذ أخذا مهوشا من كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى « أبو تمام الطائى حياته وحياة شعره » . وأقول ايضا لايجدىادعاؤه انه لم يقرأ هذا الكتاب الممتاز ، والا كان عليه أن يرمى نفسه بالقصور لأنه لم ينظر فى كل ماسبق اليه . فان اعترف بأنه نظر كان اعترافه هذا دليلا مباشرا على صدق اتهامى له بالسلخ والتشويه والمسخ . ولا بأس بعد ذلك من أن اضيف أنه لو أطلق سراح افكاره من سطور الرسالة لأسرع معظمها الى كتاب البهبيتى ولتلمس بعضها سبيله الى كتابين عن الشاعر لعمر فروخ ورفيق الفاخورى ، ولا أذكر طه حسين اشفاقا ، ثم تضيع بعد درر القديم ممايحفظه أمثال أبى بكر محمد بن يحيى الصولى ويوسف البديعى الدمشقى وغيرهما .

لقد كنتصادق الاقتناع بأنالدكتور عبد الرحمن عثمان يفهم ذلك تماما ، وكنت أحسب أنه سيقدر موقفى ازاءه ، ومن ثم سيكف عن توريط نفسه فيما تأهب له من موالاة التعرض لموضوع لم يتاهب لان يقول فيه الكلمة النهائية . ولكن لدهشتى البالغ أراه ينتفض انتفاضة مضرية ويلوح بسيف المعز تلويحات دونكيشوتية ، ثم يرميني بما أعف عن ذكرهاستحياء من قارئىوحفاظا على وقته ، ولكنى أقول مع الشاعر :

لعمرى لقد سابيتنى فغلبتنى
هنيئا مريئا أنت بالسب احذق

والاغربمن هذا كله أنه ـوبعد زعمه أننىكبادى، ادعى دعاوى عريضة لا يسندها دليل واحد ـ يتقول على الاقاويل فى العدد ١٠٣٤ من أعداد الرسالة ويتهمنى اتهامات اقلها أننى أصدر عن « معنى عاطفى أو غيره » ليستعدى على من يظن أنه قادر على استعدائه ، واعظمها انى أخطأت فى المادة العلمية خطأ يصرفنى عن « موكب زعامة المنهجية فى دراسة الأدب » .

وبغض النظر عن سخريته هذه وما قفى به عليها من ولولة وادعاء خجل ونحو هذا مما يطبل به الطبالون ، فاننى أرجو أن اقفه على الحقيقة دون أن أجعله يظن أنى أمسك « قفاز ملاكم » اشدخ به صفحة الهواء . فما كنت بالذى يظن أنه غريم لى ، لأن للاغترام مستويات يحسب حسابها كل ذى بصر وحصافة !

***

وفى التدليل على التقول أراه يصرف القارىء عما قلته فى اختلاف الروايات عن أبى تمام فزعم أننى أنكر الاضطراب فى مولده ووفاته ونسبه ثم اطالبه بالرجوع الى كتب مفقودة ليصبح « فهل أجد فى الناس عاقلا يحمل عنى مئونة التثبت من نسب أبى تمام وما يتصل به فى كتب مفقودة » .

وبالرجوع الى مقالى المنشور فى العدد ١٠٣٢ من الرسالة بعنوان « الاتصال بالقديم فن » لا نرى ذلك قط، ولكن نرى أن السيد الدكتور يتخلى عن شرط الأمانة فى العلم ، فيلفق ما شاء له التلفيق ، ويفهم ما يريد هو أن يفهم .

والواقع أن للقضية « ابعادا » يجب أن نمد اليها أعيننا قبل أن تضيع المعالم ، فهو فى سوقه نسب الشاعر موزعا بين العربية والفارسية ـ ونبهته أنا عرضا الىنسب رومى يلحقبهـ زعم أن الشعوبية هى أساس هذا الخلط ، فقلت بل الاساس هو اضطراب صورة الماضى كله وتوزعها « بين دكاكين الوراقة وخيالات القاصين وتعنت النقاد ثم عصبيات الفرق المشتغلة بالأدب » وقد دللت لكل جانب من هذه

بدليل أو أكثر· حتى وصلت الى أن هناك كتبا ضاعت فشوهت صورة الماضي ، ومن هذه الكتب ما ينسب لأبي الحسن الزيادي ودعبل واليزيدي وابن طباطبا وغيرهم ·

فماذا في ذلك؟ وكيف يصيح الدكتور العالم بعد ذلك قائلا : فهل أجد في الناس عاقلا يحمل عني مئونة التثبت من نسب أبي تمام وما يتصل به في كتب مفقودة » ·

ويتصل بهذا الجانب اثارة الدكتور قضية الشك مستهلا ، وهو يثيرها في صورة أبدو فيها منكرا لها كزعيم من زعماء البحث المنهجي (كذا يقول !) · ولو قد قدر موقفي على المستوى الذي وزنت به الأدب العباسي كله لخجل من زعمه أنني أتجاهل « ما نادى به الأوائل من أجيال مضت » · ان شكي في الادب القديم لا يشمل عصر ما قبل ابن سلام الجمحي فحسب وانما يمتد أيضا الى العصر الذي وضعت فيه المناهج العلمية الحديثة ، ومن ثم لا أعتد بيلاء المحدثين القدماء وحدهم ، لانه في نظري لم يكن دائما موصلا الى اليقين الكامل ·

***

وفي تتبعه لمناقشتي قضية العصبية وأثرها في تشويه التراث، وجد ما ظنه مخرجا من ورطة ورطته فيهـا ، فترك مواجهتي له بموقف الطبري من ابن حنبل ، وموقف أبي الفرج من أبي العتاهية ، لاجئا الى رأي شائع لي موقف صاحب الأغاني من ابن الرومي وهو أنه لم يترجم له في كتابه لما « كان عليه الشاعر من حدة لسان تنازل بها الخلفاء والأمراء » ·

ولو سلمنا بصحة هذا الفرض فهو عصبية أيضا من أبي الفرج ، ولكنها في أخلاقيتها من نوع آخر غير العصبية التي واجه بها أبا العتاهية ، كما أنها ليست من نوع العصبية التي صدر بها ابن جرير الطبري ، ولا من نوع العصبية التي حدت بأبي عمرو بن العلاء لان يرفض شعر فحول الأمويين ويستبدل به الجاهلي والاسلامي · ومعنى ذلك أن ثمة عصبية تنشب بين جيل القديم وجيل الجديد ، وعصبية يمثلها النزاع الحزبي أو الديني، وعصبية ثالثة تظهر في الصراع بين العرب والشعوبية أو بين المعتزلة والشيعة أو بين أهل الزهد وأصحاب المجون وهكذا ···

وقد كان من نتائج ذلك أن ترك الرواة ــ وهم أنواع شتى وأهواء ــ كثيرا من أخبار الادباء وسجلوا بعض آثارهم بحيث لم يصل عن ابن الرومي مثلا ديوانه كاملا ، فأشبه من هنا بشار بن برد وأبا العتاهية وأبا تمام نفسه ·

والأمر بالنسبة لابي تمام بالذات له ــ غير ما ذكرنا ــ حالة فريدة ، هي أنه كان كثير الرحلة قلق المستقر مما يجعل السبيل عسيرة الى « ضبط » نتاجه و « ربط » أخباره · فكيف بالله بعد ذلك يريد مني الدكتور عثمان التحديد الضيق للعصبية وكيف يرميني بالزلل لمجرد أنني لم أذكر أن كلا من أبي الفرج وابن الرومي شيعي ؟

***

وأصل بعد ذلك الى خضرمة الاصمعي · وبرغم حماسة الدكتور لها فاني أجاوزها لسبب صغير هو أن الاصمعي ــ رضي الدكتور أم كره ــ لم يعش ارهاصات العباسيين كما عاشها أيام الامويين بشار وابن هرمة وأبو عمرو بن العلاء استاذه الذي مات سنة ١٥٤ للهجرة · وأظن أن هذا لا يعني الا أني أرفض نقل عباسي أصيل الى أموية زمنية بحجة التكون الثقافي الذي يضرب بأصوله في الماضي ، والا جاز لنا أن نعتبره جاهليا بحجة أن مكوناته الفكرية خلصت له من عرب يعايشونه، أو فارسيا بحجة أنه قضى أيامه في البصرة التي اضطرب فيها الفرس بتراثهم العتيق !

أجاوز هذه القضية ــ فهي لا تستاهل عناء القارىء ــ الى اتهامه لي بما لم أتعرض له في مجال التدوين والاستشهاد بالشعر · والحقيقة أنني لا أدري تماما لماذا ينحرف هذا الانحراف وأنا أعني أن الادب الذي اعتاد أن يرفضه أمثال أبي عمرو بن العلاء لم يكن كله يقال للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة؟ هو لا يعجبه ذلك، ويربطه بقضية التدوين والاستشهاد ونحو ذلك مما لا أعرف له أصلا ولا فصلا ، فماذا يعني ؟

ان كان يظن أني أجهل تقدم الاستشهاد بالنص الجاهلي على تدوين اللغة فقد أخطأ ، وأنا شخصيا لم أقل ذلك قط· وان كان يحسب أن اهتمام العباسيين بعلوم القرآن والحديث واللغة صرفهم عن تدوين

الأدب فقد أخطأ أيضـــا ، الا اذا كان يقصد بالادب دراسته وهذا ما لا أجادله فيه الآن • واما الادب كنشاط وجداني مؤثر فقد دون منذ عهد مبكر ربما يرجع الى الجاهلية على ما يروى بشـــأن المعلقات ، ودواوين القبائل ، والاشعار التى عثر عليها المختار بن عبيد الثقفي مدفونة في القصر الابيض بالكوفة• وكان لفحول بني أميـــة كتاب يكتبون اشــــعارهم ، ولأبي عمرو بن العـــلاء مكتبة ضـــمت مدونات ضخمة فيها دواوين شعر ومقطعات مختلفـــة • ولا أظن أن كل ما حفظ في هذه المكتبة كان مما يتصـــل بعلوم القرآن والحديث والا لما أحرقها عندما تقرأ •

واذن فأنا أعرف من أين يبـــدأ التدوين ، وكيف ينتهي الاستشهاد بالشعر • ومعذرة أن أغرى بهذا الاستطراد، فقد دفعتني اليه احدى مغالطات الدكتور عبد الرحمن عثمان •

***

وأخيرا الى أعجب مبدأ يجادل الدكتور في شرعية وجوده ، والتاريخ يرفضـــه من أساســـه • انه يفترض أن الشاعر المجيد عند الامويين كان هو « الذى يجمع الى الجودة أصالة النسب وعراقة القبيلة » وأسأله بوضوح اين قرأ هذا الـــكلام ؟ وهل بيت الصلتان العبدى يدل عليه حقا ؟ واذا كان يفعل فهل هو كاف لان يخرج منه بمبدأ عام ؟

انه هو نفســـه يعترف بفساد هذا النوع من النقد، ولكنه يزعم انه موجود فعلا وأنه لا يخرج به عن أن يقرر ما كان سائدا عند الأمويين• والامر بهذا الوضع لا يحتمل السكوت ، لان تيار النقد الاموى لم يدل على ذلك والا كان على نقاد العصر أن يسقطوا واحدا كزياد الاعجم أو آخر كعمرو بن الحصين او ثالثا كابن المولى ، وكلهم مدخول النسب مضطرب العـــرق • ولا أذكر بشار بن برد الذى يختلف الرواة في نسبه باعتباره مخضرما ، وليس المخضرم كالاموى بحال !

انني أقدم للقارئ الحقيقة كما ينبغي أن تقدم ؛ وليس كمـــا يحب الدكتور عبد الرحمن عثمـــان أن تكون • فاذا فارقني هو فيهـــا فليفارقني مفارقة العارف وليس كمن يجهل ثم يرمي الناس ما قدرت يداه على الرمي ، ولا أجد في هذا المقام خيرا من أن أردد قول الشاعر رحمه الله :

ما يضر البحـــر أمسى زاخـــرا
أن رمى فيـــه غـــلام بحجـــر

دكتور احمد كمال زكي

مع أنفاس السحر

للدكتور عز الدين اسماعيل

ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي أنقد فيهـــا ديوانا لاحدى شاعراتنا ، فقـــد أخرجت الشـــاعرة العربية العراقيـــة الدكتورة عاتكة الخزرجي منـــذ شهرين ديوانا يحمل عنوان « أنفاس الســـحر » • وقد كنت أرى المرأة في مجال الابداع الفني لا ترتفع الى المستويات الفذة ، حيث يكون الابتكار والاصالة والاتقان ؛ الا في النادر • وديوان أنفاس السحر من تلك الدواوين النـــادرة التي نجـــد فيهـــا شاعرة قد تكاملت لها كل الادوات الفنية، وأحرزت كل المهارات الحرفية ، حتى ليصعب في كثير من الاحيان أن تفرق بين شعرها وشعر الفحول من شعراء عصرنا •

***

والدكتورة عاتكة من كتـــاب الشـــعر العمودى ؛ وينبيك شعرها بانها حصلت من الثقـــافة الشعرية القديمة والثقافة اللغوية قدرا نغبطها عليـــه ، وأثر هذه الثقافة واضح في كل قصيدة من قصـــائد الديوان ولا نعجب بعد كل هذا أن نجدها قادرة على أن تقول الشعر ارتجالا ؛ فقد امتزجت روحها بالشعر لطول معـــايشتها له حتى صار جزءا من كيانها • وقراءة الديوان في تأمل تحملنا على هذا الرأى ، فيكفي أن يصلها بيت أو أبيات لشاعر معـــاصر ؛ أو أن تقرأ قصيدة لشاعر قديم ، أو أن تعيش فترة من الزمن مع شاعر محدث ؛ حتى نجدها تنطلق أو تنطلق فيها روح الشعر معبرة عن الذبذبات النفسية التي احدثها فيها ما قرأته من شعر • حدث هذا ــ كما هو ثابت في الديوان ــ عندما أرسل اليها عزيز اباظه أبيات تحية ، فقد أجابته بأبيـــات من نفس الوزن والقافية أى من نفس الموســـيقى ، وكأنهـــا قد أسرتها هـــذه الموســـيقى فراحت تنغم فيها كلمـــات أملاها عليهـــا الموقف ، وكذلك نجدها تكتب قصيدة تعارض بهـــا قصيدة « يا ليل الصب متى غده •• أقيام الساعة موعده » المشهورة ، تماما كما صنع شوقي من قبل• وفيها تقول :

مولاى ترفق ذى كبـــد
الهجر بهـــا عبثت يده

رحماك فهذى مشفقية
يدعوها الموت وتقصده

العمر غدا منها حلما
فعسى مولاى يجدده

اقتاء فيك ولا عدة
تسلى مضناك وتسعده ؟

الهجر متى يغدو صلة
والليل متى يجلى غده

قد طال وما طافت سنة
فنبا بالساهر مرقده

ثم ان الشاعرة تقرأ لايليا أبى ماضى ديوانيه الخمائل والجداول ، وتعيش مع تأملاته وشطحاته الصوفية وموسيقاه الرقيقة فترة من الزمن غير قصيرة ، فاذا بها قد امتلأت روحها بالشعر ، واذا بها تعبر عن هذه الشحنة العاطفية التى امتلأت بها روحها من هذا الشعر فى قصيدة تحمل عنوان « كيف جئنا وأين نمضى » ، وهو عنوان يرجع أولا وقبل كل شىء الى تأثير قصيدة « الطلاسم » لايليا أبى ماضى فى الشاعرة · تقول الشاعرة فى هذه القصيدة :

نحن فى مسرح الحياة الابدى
تماثيل أو رؤى أو سراب

ومضات ترف حينا لتخبو
وجسوم مآلهن التراب

ونفوس تسعى بنا ثم تخفى
وهى من هذه القشور اللباب

هى سر السماء ألقته فى الارض
ى ووحى منزل وكتاب

يا لسر السماء يسكر هذا
الخلق لا خمرة ولا أكواب

سكرة عمرها الحياة وصحو
بدؤه الموت والفنا والتراب

الى أن تقول :

نحن ركب نمر فى هذه الارض
وتمضى تخب فينا الركاب

كيف جئنا ؟ وأين نمضى ؟ سؤال
أزلى وليس ثم جواب

***

على أن هذا كله لا يعنى أن الشاعرة لا تنطلق فى شعرها ، اذ تنطلق ، الا نتيجة لاثارة من شاعر آخر ، فديوانها ملىء بالقصائد التى تنطلق فيها من تلقاء ذاتها ، من مثيرات روحها الشخصية ، وانما تدلنا هذه الظاهرة لديها فى وضوح على مدى استجابة روحها للشعر وسرعة هذه الاستجابة ، كما يكشف لنا عن شفافية فى هذه الروح وقابلية للتأثر بالكلمة المنغومة هى بدورها أكبر دليل على الفطرة الشعرية التى ركبت فى روحها · ان التأثر بالشعر والانفعال بمعانيه وموسيقاه وصوره هو فى ذاته شعر لاينقصه الا التعبير · وشاعرتنا تجمع الى هذا الاستعداد الشعرى أنها ملكت كذلك ناصية التعبير · وانك لتحس بها وهى تتحرك رشيقة فى ألفاظها وموسيقاها وفى نسيج القصيدة بصفة عامة تضع لون لمسة هنا ولمسة لحن هناك ، وتحكم أطراف هذا النسيج فاذا هو متين كل المتانة ، وان كان عذبا ورقيقا كل العذوبة وكل الرقة ·

***

ومع كل هذا فأنا أصارح الشاعرة فى أننى لم أتأثر بشعر المعارضات هذا تأثرى بشعرها الذاتى الخاص · لعلنى أكره مبدأ المعارضات فى ذاته ، ولكن المؤكد أن الشعر الذى لايحفز الانسان اليه الا نفسه وتجاربه ومشاعره أكثر ايحاء بالاصالة من أى شعر آخر · وأخشى أن تكون الشاعرة متأثرة فى شعر المعارضات هذا بالفكرة القديمة التى كانت تدفع الشعراء الى أن يقيسوا أنفسهم بمن سبقوهم من القمم · ورحم الله شوقى فقد أسرف فى هذه الناحية ولست أرى مبررا لأن تقيس شاعرتنا نفسها الى غيرها من الشعراء ، بخاصة الرجال منهم فمن حقها أن تقرأ لغيرها وتنفعل به ، ولكن من واجبها كذلك أن تظل هى نفسها ، أى عاتكة الخزرجى ·

وكل من يقرأ ديوان « أنفاس السحر » يأخذه الريب فى أنه يقرأ ديوان شعر لشاعرة ، أعنى لامرأة ، فليس من اليسير على القارىء أن يتبين معالم الشخصية التى تتحدث اليه ، ولا أن يخصص نوع التجارب التى تعبر عنها القصائد بأنها تجارب أنثى لا تجارب رجل · وأسوق مثالا على هذا قصيدتها « عبدك يا مولاى » ، وفيها تقول :

أصبحت أرجوه وأخشاه
يا ويلتا مما سألقاه

لا رسل تحمل أنباء
ولا كتاب فيه ألقاه

يا ويلتـا من هاجر غادر
بت على العـلات أهـواه
قد صار قلبى لحظة غرة
واليوم أمسى بين قتـلاه
عبدك يا مولاى ذا مشرف
فى صـــدره تختلج الآه
رفقـا به ان كنت ملكته
وداره اذ أنـت مـولاه
ان شئت تحييـه بالمامة
أولا فعنـــد الله مثـواه

فهذا الغزل يكرر نغمة مالوفة فى غزل الرجال ، ولو نسبناه الى أحد شعرائنا لما حدث فى هذه النسبة أى تنافر • وأخص من هذه الابيات البيتين الرابع والخامس ، حيث الحديث عن الهاجر الغادر الذى باتت الشاعرة ـ على العلات ـ تهواه ؛ والذى صاد لحظه قلبها على حين غرة فصارت بذلك ضمن قتلاه الكثيرين الذين صادهم لحظه من قبل وقتلهم •

ولست أعنى بهذا الشـك فى نسـبة الشعر الى صاحبته قط ، وانما أحب أن أشـير الى ما يمكن أن نسـميه « خصوصية التجربة » فى هـذا الصدد • فصحيح أن تجربة الحب تجربة مشتركة بين الرجال والنساء على السواء ، وأنه من حق هؤلاء وهؤلاء أن يعبروا عنها ؛ ما دامت لديهم القـدرة على التعبير ؛ ولـكننى أظن أن التجربة وان تكن واحدة لا بد ان تكون من منظور هذا الانسان مختلفة عنها من منظور الآخر ، والاولى ان يكون الاختـلاف أشد حين يكون المنظوران أحدهما لرجل والآخر لامرأة • فاذا كانت التجربة التى يتحدث عنها الرجل هى نفس التجربة التى تتحدث عنها الانثى فاننا مع ذلك نتوقع دائما ان يدلنا التعبير هنا على أن وراءه رجلا • وهناك على أن وراءه أنثى • لابد ان تظفر التجربة الواحـدة هنا بنوع من التخصيص •

***

ولست اود من هذا كذلك أن أثير الشك فى ان الشاعرة فى هـذه القصـيدة كانت تعبر عن تجربة حقيقيـة ، فانا اسـلم ـ دون ان أجد السبيل الى التأكيد ـ بأن الشاعرة فى هذه القصيدة لا بد أنها كانت « تجد » فى نفسها شيئا تود التعبير عنـه ، والا فمـا الذى حملها أصلا على كتـابة القصيدة ؟! وعندئذ ينبغى أن نتساءل : ما دامت هناك تجربة أو ـ على الاقل ـ شـعور يدفع الشاعرة الى التعـبير فما الذى جعل التعبير لديها يخرج فى هـذا الاطار من التعميم ، فى حين اننـا نسلم بالضرورة بأن هـذه التجربة أو هـذا الشـعور لا بد أن تكون تجـربة « خاصة » بالشـــاعرة أو شعورا لم يختلج الا فى صدرها ؟

***

قد يعلل هـذا ـ وهو من غـير شك تعليـل له وجاهته ـ بأن مشاركة المرأة فى حياتنا الاجتماعية ما زالت حديثة العهد ، وأنها لم تخلع الحجاب الا منذ عشرات قليلة من السنين بعد مئات كثيرة من السنين ظلت تعيشـها فى المجتمع وراء حجاب • وان هـذه القرون الطويلة ما زالت تؤثر تأثيرا خفيا فيها وان ارتفع الحجاب أخيرا بينها وبين النـاس • فهى لذلك قد صارت بحيث تستطيع أن تواجه الناس بالحديث عن الحب ، ولكنها لا تستطيع بعـد أن تتحدث اليهم عن تجربتها الخاصة فى هذا المجال الا من وراء حجاب • هذا الحجاب فى هذه المرة يتمثل فى اللجوء الى التعميم واصطناع العبارة التى تكشف للآخرين المشخصات الذاتية لتجربتها الخاصة • والى أن تزول آثار الحجاب المترسـبة فى نفس المـرأة فى جيـل آخر أو جيلين لا يمـكننا أن نطمع فى أن نتعـرف على اى تجـربة انســانية من منظور المرأة ، بخاصة اذا كانت هـذه التجربة ممـا يتصل بالعواطف التى لم يكن يبـاح للمرأة أن تتحدث عنها فى صراحة ، كعاطفة الحب •

ومع أننى أرى قدرا كبيرا من الوجاهة فى هـذا التعليل فما زلت أرى فيه تعليلا ذا طابع تعميمى ، أى أنه يفسر لنـا موقف المرأة بعامة ولا يخصص • ولهذا أرى أنه الى جانب صدق هذا التعليل بصـفة عامة لموقف شاعرتنا فانه مازال هناك فرصة لتعليل أخص •

***

وقد تراءى لى من خلال قراءتى لديوان « أنفـاس السحر » أن صاحبته متأثرة مفرطة التأثر بتقاليـد الشعر القديم ، بمعجم ألفاظه وتشبيهاته واستعاراته وتراكيبه • والمؤكد أن هذا ان دل فانما يدل على أن الشاعرة قد نهلت من الثقافة العربيـة قدرا كبيرا ، وهى شىء نحمده لها وندعو مخلصين اليه • ولـكن ينبغى أن نفرق بين الاتصـــال بثقافتنـــا القديمة واستيعابهـا وبين محاكاتنا لهـا وذوبان شخصيتنا

فيها • قد كان الشعر العربي حريا أن يرتاد آفاقا جديدة دائما وأن يملأ الدواوين بالاعمال الفنية الرائعة لولا تسلطمبدأ المحاكاة ذاك على نفوسمعظم الشعراء عبر العصور المختلفة • ومن ثم كانت القصائد فى أغلب الاحيان يكرر بعضها بعضها ، وظلت لغة الشعر محصورة فى مجال محدد من صور التعبير قلما تجاوزته، وظلت آفاق التجربةالانسانية الخالدة محدودة بما ارتاده منها الفحول الأولون •

وفى ضوء هذه الحقائق يمكن أن نقول ان ثقافة الشاعرة العربية كانت فى وقت واحد كسبا كبيرا لها وحربا كذلك عليها ، فقد شاءت أن تدور فى فلك تحصيلها ؛ تتغنى به وتردده كلما شاءت أن تغنى ما بنفسها • ومن هنا خرجت تلك القصيدة الغزلية تعكس روح الغزل القديم بمعانيه وألفاظه وتراكيبه وان كان المفروض فيها أن تعبر عن تجربة ذاتية للشاعرة • ولما كانشعر الغزل القديم معظمهللرجال ان لم نقل كله ، فقد كان طبيعيا ـ وقد دارتالشاعرة مختارة فى نفس الفلك ـ ان تخرج غزليتها هذه وكأنها على لسان شاعر قديم لا شاعرة معاصرة • ولم يكن من الممكن أن تخرج هذه القصيدة لتكون تعبيرا فريدا عن تجربة خاصة ـ وهو ما ننشده فى الشعر ـ ما لم تتحرر الشاعرة أولا وقبل كل شيء روحا وتعبيرا • أما روحا فالمسألة كما قلنا قد تحتاج الى جيل أو جيلين ، وأما تعبيرا فلا سبيل الى ذلك قط قبل أن تتحرر الروح • ذلك أن حرية التعبير مشتقة مباشرة من حرية الروح ، وهما معا المسلمة الاول لابداع عمل فنى ينم عن الاصالة والصدق ؛ وهما معا سبيلنا الى الابتكار •

وعودة أخرى الى الديوان تكشف لنا فى وضوح عن العين الشاعرة التى تملكها صاحبة « الانفاس » حين نجدها تقع على لمسات حية نابضة مليئة بالدلالة مع ضآلة مظهرها وبساطته • ففى قصيدتها « المكتب المهجور» نجدها تقع علىموضوعخصب مليء بالدلالة• فالمكتب بالنسبة للمشتغل بالكتابة جزء من كيانه، صاحبه فى كل جولاته النفسية والفكرية وفى كل ما أثار فيه الانفعال ، عندما جلس اليه يسطر على ظهره كلمات هى عصارة حياته • ولست أستطيع أن أحدد ألوان الانفعال والمشاعر التى يحس بها الانسان عندما ينظر الى مكتبه فيجده مهجورا وكأنه أطلال زمن قديم ، ولست أدرى أى حقيقة شعورية يمكن أن تخلص الى نفس الشاعر حين يقف هذا الموقف • وحين قرأت قصيدة « المكتب المهجور » ـ وهى بعد لا تتصل بأى موضوع شعرى قديم ، وليس هناك أى حائل اجتماعى أو فنى دون التعبير عما يتضمنه الموقف من مشاعر ـ حينذاك وجدت الشاعرة تعبر عن لمسات فنية رقيقة فيها احساس وفيها جمالفنى، ولكنها مع ذلك لاتمثل فى مجموعها موقفا شعوريا موحدا ؛ أى اتجاها شعوريا يجمع شتات ما فيها من لمسات • فهى مرة تقول :

وذى الوريقات على مكتبى
ترف بيضا كنجوم الصباح
أو كرفيف الحلم المذهب
على وجوه مترفات ملاح

وبعدها مباشرة نجدها تقول :

وما لروحى ساكنا لا يبيد ؟
قفرا كتمثل البلقع الخاوية
وأين وحيى؟ أين بيت القصيد؟
أمات ، لاوزن ولا قافية ؟

فالشعور الذىنستشفه من البيتين الاولينيخالف فى اتجاهه الشعور الذى ينم عنه البيتان الآخران• واذا نحن اكتفينا هنا بمجرد اشعاع الالفاظ ذاتها تبين لنا فى وضوح وجه الخلاف • فالوريقات التى « ترف بيضا كنجوم الصباح » ، وكذلك رفيف الحلم المذهب على الوجوه المترفة المليحة ، كل ذلك يشى بجو من السعادة ؛ وينم عن شعور بالاطمئنان والاستقرار • فاذا نظرنا فى البيتين الآخرين وجدنا الروح الساكن القفر ، ووجدنا الخواء والضياع والاحساس بمرارته فى النفس • وعلى هذا النسق تمضى القصيدة كلها ، حتى ليصعب على الانسان أن يلمس الخيط النفسى الموحد الذى ينتظم كل ما فيها من مواقف جزئية •

وهذه الملاحظة تضع أيدينا على ظاهرة واضحة فى هذا الديوان ، وهى ظاهرة « التجربة المبتورة » ؛ فقلما نقع على قصيدة تعبر عن وحدة التجربة ووحدة الشعور ، وان كنا فى بعض الحالات النادرة نجد القصيدة التى ترتبط بموضوع موحد ؛ كقصيدة « مصرع الشيطان » •

ومع كل هذا أعود فأقول اننا ينبغى أن نستبشر بهذا الديوان الذى عرفنا بشاعرة عربية نطمع منها فى مزيد من الشعر ، فهى فى عصرنا الحاضر ظاهرة نادرة المثال •

د • عز الدين اسماعيل

الشخصية التاريخية
"فوز" صاحبة العباس بن الأحنف
للدكتورة عاتكة الخزرجي

ان هذا الهوى المحروم كان سبب قلق الشاعر فكم سيطر اليأس على قلبه وأدخل الوهم فى روعه انه سيموت دون أن يظفر بلحظة لقاء فى غفلة عن العيون:

وانى لأشقى الخلق ان دام ما ارى على ماأرى لاينقضى أبدا عنى :

ألا ليت شعرى هل أموت بغصتى
ولم أتمتع فى حديثك فى أمن ؟ !



د . ة عاتكة الخزرجي

ولم يأل العباس جهدا فى كتمان هواه حتى عن صاحبته الا انها باحساس المرأة أدركت ما حاول الشاعر جهده أن يكاتمها اياه واصطنعت الجهل بعد ذلك :

أيا من آكاتمه حبه ويظهر منى فلا يكتم
يرانى فيعلم حبى له ويكتمنى انه قد علم

اتاذن فى نشر ما قد طويت
بين الجوانح أم تحتشم

والشاعر قد يتملكه لون من الخشوع حين يكون بين يدى صاحبته حتى انه ليقصر عن التطلع اليها هيبة واجلالا .

وأرانى اذا التقينا اغض
الطرف من دونها وما بى صدود
هيبة من جلالها مثل ما يقصر
من دون والد مولود

او ان هذا اللقاء الخاطف يتخلله الصمت أو قد تتناجى فيه العيون وتنطق الدموع .

فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى
ونحن سكوت والهوى يتكلم
ترى أعينا تبدى سرائر أنفس
مراض ودمعا بعد ذلك يسجم !

أو :

توافق معشوقان ثم تناظرا
فما ملكا فيض الدموع البوادر

الا أن لحظات الصفاء على قصرها لم تمر هنيئة على العاشقين فقد نغصها عليها خوف الرقيب حينا وسعى الوشاة والحاسدين حينا آخر :

حتى متى نحن على رقبة
لا نلتقى خشية واش وساع
فان تلاقينا ففى خفية
لا نشتفى من نظر واستماع

ولقاء الشاعر بصاحبته عف ليس للعاشق فيه الا ان يشكو فتاته برجاء ما يجد من هوى :

اذا التقينا شكونا ما نكاتمه
فى عفة وحديث من هنا وهنا

***

وقد كان للرسائل فى حياة العباس العاطفية مكان فقد سعى الرسل بين الحبيبين بكتب الغرام وصاحبنا كان اول امره يرسل بالرسالة تلو الأخرى دون أن يظفر من صاحبته بكلمة !

حتى متى أكتب اشكو الهوى
ولا تجودين برد الجواب
ان لم تجيبينى بما أشتهى
فخبرينى بوصول الكتاب !

وحين استحكمت الصلة بين الاثنين بدا العباس يحدثنا عن بعض كتب المحبوبة اليه :

بعثت الى صحيفة مختومة
نفسى الفداء لخطها والكاتب

ففككتهــــا فقرات ما قد حبرت
فاذا مقال مستزير عـــاتب
فى الود تزعــم اننى ذو ملة
خنت العهود فديتها من كاذب
انى أخونك يا ظـــلوم وحبكم
منى بحيث جرى شراب الشارب !

والعباس يحدثنا عن أثر هذه الكتب في نفسه وأثر هذه الكتب متفاوت بعيد التفاوت فتارة يحدثنا فيها عن الحبيبة عاتبة :

اذا جاءنى منها الكتاب بعتبهــا
خلوت بنفسى حيث كنت فى الارض
وابكى لنفسى رحمة من عتابها
ويبكى من الهجران بعضى على بعضى !

وقد نرى الشاعر حينا آخر والرضا يملأ جوانب نفسه فهذا ريح كتابها يذكره بأنفاس الفردوس ، وهذا رسولها يلقاه فاذا به في الجاه والعز سليمان النبى !

واكثر هذه الرســـائل كانت من الشاعر ، أما مضمونها فشكوى هواه وتظلمه منه ، واكثر ماكانت هذه الرسائل أيام القطيعة :

ابكى واســـتجفى كتـــا
بك يا ظـــلوم واستزيره
فتحـــذرى من قطعـــه
عمن يطــــول به سروره
يأتى الـكـتاب من الحبيـ
ـب ممثـــلا فيـــه ضميره
يحـــكى السراب بوعـــده
ما ينقضى أبــــدا غـــروره
فيســـــرنى ويهيـــــج لى
حزنا اذا قلت ســـطوره
ولقـــد عجبت لبخـــله
عنى بشىء لا يضــــــيره

او :

قـــولا لمن كتب الـكـتاب بخطـــه
ارحـــم فديتـــك ذلتى وخضـــوعى
ما زلت ابكى مذ قرات كتابكم
حتى محوت ســطوره بدموعى

ومن تظلمه من المحبوبة الجافية قوله :

كتاب مظـــلوم الى ظـــالم
يشـــكو اليـــه من جوى لازم
يا أيهـــا الواحـــد فى ظلمه
هـلم ان شئت الى حـــاكم

ان هذه الصلة التى اتخذها العاشقان من التراسل حفاظا على هواهما المكتوم لم تخل من مشـــاكل ، فكثيرا ما تشكى الشاعر انعدام الرسول الأمين وكثيرا ماتحدث عن خيانة الرسل وسعيهم فى الوقيعة بينه وبين صاحبته :

ما آفـة الحب الذى بيننـــا
يا فوز الا سوء رأى الرسول

أو يقول :

اذا كتبت كتابا لم اجد ثقـــة
ينهى اليك ويأتى عنك بالخبر

وقد حاول الشاعر أن يدفع عن نفسه مستعينا من القرآن بالشواهد التى استعين بها على تبرئة يوسف من تهمة مراودة امرأة العزيز :

وقد زعمت «ريمنم» بأنى أردتهـــا
على نفسها تبا لذلك من فعـــــل
سلوا عن قميصى مثل شاهد يوسف
فان قميصى لم يـكن قد من قبـــل

واخرى قد يعمد الشاعر الى أغلظ الأيمان يثبت بها براءته :

زعـــم الرســـول بأننى راودته
كذب الرسول ومنزل القرآن

ونرى الحيطة من العيون تبلغ بالشاعر حدا يحذر صاحبته فيه من الاتصال المباشر بالرســـول وهو يوصيها بان تجعل الى رسوله رسولا آخر :

الهم ان رأوا لديك رســـولى
حققوا ما راوا وكان دليـــــلا
فانظرى من رأيت للسر أهـــلا
فاجعليه الى رســـولى رســـولا
فاذا ما توليـــا الامر عنـــا
لم يجد ظنهم الينـــا ســـبيلا

ومع ذلك فقد أخذت القطيعة طريقها الى الحبيبين والواضح انها كانت من طرف واحد أعنى من جانب

المرأة فحسب ، في حين ان الشاعر بقي مخلصا لهواه متعلقا بأسبابه يندب قلبه الضائع بين قسوة التعذيب وايلام الهجران ، ولعل هذا الحرمان القاسي كان سببا من أسباب تعلق الشاعر بسراب الاماني وضلال الاوهام .. وكم حاول الشاعر التاسي ولا من سبيل ولم يجد في الاخير من متنفس اللهم الا ان يبكي هواه المضاع في قصيده ! ولعل الأبيات التالية تلخص لنا حكاية قلب الشاعر :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم
حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

واستنهضوني فلما قمت منتصبا
بثقل ما حملوا من ودهم قعدوا

جاروا علي ولم يوفوا بعهدهم
قد كنت أحسبهم يوفون ان عهدوا

لأخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يشعر به احد

هذه الابيات تدل علينا أن صاحبة العباس كانت قد تعرضت له اول الامر الا انها حين وثقت من مكانها في نفسه انصرفت عنه معرضة .. ترى ما كانت أسباب هذه القطيعة التي يدور عليها اكثر شعر العباس ؟

ان كتب الادب على عادتها لا تنورنا بشيء في هذا السبيل وليس لنا من بعد الا أن نستنبط الاسباب من شعر الرجل نفسه .

ترى أكان هوى فوز بشاعرها نزوة عابرة سرعان ماثابت بعدها الى رشدها متبينةعبث العلاقة وخطورة النتائج من هوى بينها وبين شاعر يحتضنه القصر الذي هي سيدته ! هي التي يؤهلها جاهها وسلطانها ورفعة محتدها لزوج فيه كفاءة الجاه والسلطان والحسبّ !

الى الله اشكو ان فوزا تغيرت
وحالت عن العهد القديم فانهجا

وقد حسبت ذنبا علي تزوجي
فقلت كلانا مذنب قد تزوجا

ومؤرخونا على عهدنا بهم لا يذكرون لنا من امر هذا الزواج شيئا اللهم الا الانطاكي الذي ذكر لنا خبر زواج الشاعر من ابنة عم له . ويبدو ان شاعرنا كان له من زواجه هذا ولد اسمه علي ورث عنه الشاعرية وهذه حقيقة استقيناها من نص ورد في مقامات الحريري

وثمة افتراض آخر قد يبرز هذه القطيعة . او يلقي ضوءا عليها : فقد يكون من غيبة فوز في الحجاز امدا طويلا سبب يجعلها تنسى ما كان بينها وبين شاعرها في بغداد ، أو ان انسانا كانوا قد أوقعوا بين الحبيبين فباعدوا بينهما الى الابد ؟ أو ان هذه العاطفة من أساسها لم تكن موجودة الا في قلب الشاعر وليس سوى الوهم الفني في روع الشاعر العاشق ان صاحبتهتبادله حبا بحب وحين استشعرت المرأة ذلك تركت صاحبها الى غير عودة ..

انها محض افتراضات افترضناها وليس بوسعنا أن نجزم بصحة واحدة منها ، وان كان لنا أن نفاضل فاننا نرجح اولاها وأخراها سببا قد يفسر لنا هذه القطيعة التي يكاد يدور عليها ديوان الرجل كله !

ومن تكون اذن هذه الفتاة التيتستر عليها العباس تحت اسم فوز ، هذه الهاشمية العائشة في بلاط الرشيد ، والتي عرفت كيف تلهب الشاعر طوال حياته ؟ أو ليس من الممكن لنا أن نزيح عنها الستار الذي طالما اختفت وراءه عبر الاجيال شخصيتها الحقيقية ؟ انه لمن العجب حقا أن نرى مؤرخي الادب يجهلون صاحبة العباس وان يظلوا كذلك طوال هذا الامد على الرغم من اوصافها الدقيقة التي يزودنا بها ديوان الرجل فتتراءى لنا هذه المرأة التي فتنت العباس في لوعة غفلا عن العنوان .

ولعلك سائل اياي بعد هذا عن هوية هذه المرأة وليس لي الا أن اقول لك انها شخصية طريفة من شخصيات البلاط العباسي وهي الى ذلك ذات جاه وسلطان وقد أرخ لها طويلا أبو الفرج الاصفهاني في اغانيه انها علية بنت الخليفة المهدي وأخت الخليفة الرشيد ، هذه الاميرة التي ان تدبرتها في بطون الكتب ورجعت الى أوصاف فوز صاحبة ابن الأحنف في ديوانه لرأيت انها واحدة . وتعال معي نتحقق هذا بأنفسنا ولنقابل بين أوصاف هاتين المرأتين في ديوان العباس وكتب الادب .

ان صاحبة العباس على ما تصفها لنا الكتب . بنت جارية من المدينة وهي ذات مواهب ممتازة فهي تجمع الى الجمال البارع الرقة الآمرة والى هذين الشاعرية المرهفة ، واننا لنجد مصداقهذه الاوصاف جميعا في ديوان العباس ، وأنت تعلم أن صاحبة

العباس هـذه شاعرة تتبادل مع صاحبها الكتب الشعرية ولعلك تذكر معي قول الشاعر وقد وصله منهـا كتاب تعمدت فيه اهانة ادبية فأعجمت اليه كتابها واصمة اياه بالجهل ، وغني عن البيان أن اهانة مثل هذه لا تقدر عليها الا المرأة الاديبة :

ياذا الذي كتب الكتـاب يسبني
فيه فبـالغ في الكتاب واعجما
ماذا أردت هديت في اعجامه
اني أراك حسبتني لن افهمـا

وكتب الادب هذه اذ تؤرخ لنا علية بنت المهدي تخبرنا انها كانت ممن يشغف بالمراسلة الشعرية . وديوان ابن الاحنف على ما علمت حافل برسائلهـا ورسائله والحديث عنهما .

وكتب الادب هذه في بعض ما تصف به لنا علية تقول :

« كانت علية حسنة الدين وكانت لاتغني ولاتشرب النبيذ . الا اذا كانت معتزلة الصـلاة فاذا طهرت اقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب فلا تلذ بشيء غير قول الشعر في الاحيان »

والعباس يقـول لنا في شعره غير مرة ان فوزا صاحبته كانت ممن يتقي — الله ويرعى حرمة الدين ويمارس شعائر الاسلام : اسمعه يعاتبها بمثل هذا القول :

اياهم تفسي من العـالمين
ومن ليس يرعى لوصلي ذماما
لماذا تكرهت رد السلام
ايفسد ذاك عليك الصياما
ووالله ما يسـع المسلمين في
الدين أن لا يردوا السـلاما
فمن كان الختـاك حتى رأيت
قتلي حلالا ووصلي حراما
تحرجت أن تصـلي في الصيام
تقـوى ورمت لقتلي مراما
فمـا تبتغين بطول الصـيام
اذا أنت أوردت نفسي الحماما

وغني عن البيان ان الشـاعر في هـذا يناقش صاحبته مناقشة المحب لقانتة برة تتقي الله وتحترم الدين .

ونحن نسـتنبط من ديوان الرجل أن فوزا هذه كانت ممن يصلي ويقوم يتنور مصباح المسجد عند الفجر في قوله :

نبذت مكاتبتي ورجع رسائلي
وتنورت مصباحهـا في المسجد

وكتب الادب تخبرنا أن علية هـذه زوجت من هاشمي كان ذا جاه وسلطان في دولة بني العباس موسى بن عيسى الذي كانت له امارة الحج مرتين ، وهي تخبرنا كذلك أن علية هـذه حجت في عهد الرشيد ولبثت طويلا في مكة اتقاء لغضب الخليفة ، وليس ببعيد أن هذه الاقامة في الحجاز لم تكن الا بعد موت زوجها ، والعباس يخبرنا بدوره ان فوزا صاحبته قد تزوجت من غيره وحالت عن عهده :

الى الله اشكو أن فوزا تغيرت
وحالت عن العهد القديم فانهجا
وقد حسبت ذنبا على تزوجي
فقلت كلانا مذنب قـد تزوجا
كـلانا على ما كان من ذاك مـكره
يحـاول أمرا لم يجد منه مخرجا
كلانا مشوق انضـج الشوق قلبه
يعـالج جمرا في الحشا متأججـا

والعباس يحدثنا كذلك عن سفر المحبـوبة الى الحجاز وبقائها فيه أمدا ليس باليسير .

والى جانب هذه الشواهد وفقنا عن طريق استقراء الديوان الى شواهد أخرى دقيقة : فأنت تقرأ مثلا للعباس قوله :

عصبت رأسهـا فليت صداعا
قد شكته الى كان براسي !

وقد لا يستوقفك بيت العباس هذا ولكنك ماتلبث أن تدرك قيمته متى ما علمت أن علية بنت المهدي هذه كانت تعصب رأسها بعصائب من الجوهر تستر بها عيبا — في جبهتها هو فضل سعة ! واظنك تتفق معي بعد ذلك في فهم بيت العباس هـذا ! فالمرأة يصعب عليها أن تعترف لرجل بمواطن النقص في جمالها فكيف بها امام عاشق ؟ وقد لا يصعب عليك بعد ذلك أن تتفهم سر تعلل المحبوبة بالصداع أمام شاعرها تعتذر به عن العصابة تشد بها راسها !

وثمة شاهد آخر يعين على دعم رأينا في تقرير هوية صاحبة العباس .

فهذا أبو الفرج يروي لـنا في اغانيه في فصل

العباس وفوز رواية تفيد ان فوزا هذه كانت كثيرا ماتسخر من شيب صاحبها وتعيره به وان العباس قد استقر فكتب يهجوها أوجع هجاء !

وانت اذا عدت الى تاريخ علية وجدت انها ولدت عام ١٦٠ هـ ومعنى ذلك ان العباس يتقدمها في الميلاد ستا وعشرين سنة ! فلا عجب من بعد أن رأيناها ساخرة من شيبة تدل على كهولته بصباها الغض النضير !

وشاهد آخر استقرأناه من ديوان العباس: قصيدة كاملة يخبرنا بها الشاعر ان جواري المهدي والخيزران تشفعن له عند صاحبته والقصيدة مطلعها :

طال ليلي في جانب البستان
مع جوادي المهدي والخيزران
ان فوزا لما أتاها الجواري
يتباكين لما قد شجاني
وتعطفنها على ..

هذه الشواهد مجتمعة تقرر لنا في شيء يشبه اليقين ان فوزا صاحبة العباس هذه ليست الا الاميرة الشاعرة الموسيقارة علية بنت الخليفة المهدي واخت هارون الرشيد !

وليس بعجيب بعد ذلك أن تبقى علاقة الشاعر بأميرة مثل هذه علاقة حب افلاطوني عفيف وأن يعاني شاعرنا من هواه المحروم ماعاناه .. هذا الهوى الذي املى عليه نبوءة حققتها له الاجيال :

فصرنا حديثا لمن بعدنا
تخبر عنا القرون القرونا

اجل لقد تحققت نبوءة ابن الاحنف في هواه فقد أصبح هوى العباس وفوز اسطورة الزمن يرويها السامر ويأنس بها الجليس .

وكان هوى العباس وفوز كهوى قيس وليلى وجميل وبثينة وسواهما من شهداء العشق والعفاف والحرمان .

وما لبث الرواة بعد قرنين من الزمان ان نسجوا حول هذا الهوى العف قصة أسموها بكتاب العباس وفوز .

اما واضع هذه القصة فمجهول وأما الكتاب فلم يصل الينا منه غير اسمه اثبته لنا ابن النديم في الفهرست ، ونحن لا نعلم ان كانت دعائم هذه القصة قائمة على التاريخ ام على الرواية الا ان الغالب على ظننا انها لا بد وان تكون قائمة على الاثنين معا اعني التاريخ والرواية شأن سائر قصص الغرام في الادب .

عاتكة الخزرجي
كلية التربية جامعة بغداد

مفهوم الثقافة عند نجيب محفوظ

للأستاذ أنس داود

(١)

نشأ نجيب محفوظ في مدينة القاهرة ، وفي احيائها الشعبية بالذات ، فامتصت شخصيته كل مشكلات ابناء هذه الاحياء ، وتطلعاتهم .. على مدى ثلاثين او اربعين عاما .. وفي رواياته حاول ان يرسم صورا عديدة لهذه الاحياء في مختلف مراحلها الزمنية منذ ثورة ١٩١٩ م حتى انطلاقة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م .

قدم كثيرا من الشخصيات التي قدر لها أن تحيا في هذه الاحياء ــ ذات الطابع الخاص ــ وأن تعاني اقدارها فيما بين حربين عالميتين لم يشهد التاريخ مثيلا لهما من قبل .. كما قدر لوطنه ــ مصر ــ أن يكتوي ــ على نحو او آخر ــ بنيران هاتين الحربين وان يعيش نهبا لتيارات الصراع العالمي ، وأن يكون له مطالبه القومية ، ومشكلاته الاجتماعية ، وأزماته الخاصة ، وقلقه الداخلي ، وضياعه ..

وشاء القدر ان يكون لنا اديب عظيم كنجيب محفوظ تكتمل على يده موهبة الابداع للرواية العربية الحديثة ، وتتسع جوانب نفسه لآفاق من الوعي العميق والثقافة الهادفة .. تتيح له أن يحيا مع قومه فيحسن الحكم عليهم ، وأن يحس بمشكلاتهم فيحسن تصويرها ، وأن يفهمها فيحسن عرضها والتعاطف معها ..

ولقد عرض في ثلاثيته : « بين القصرين » و «قصر الشوق» و «السكرية» ثلاثة اجيال عاشوا في مصر .

جيل ما قبل ثورة ١٩١٩ م .

وجيل ثورة ١٩١٩ م حتى الحرب العالمية الثانية ..

وجيل ما بعد هذه الحرب .. ذلك الجيل الذي صنع ثورة الثالث والعشرين من يوليو ..

كان جيل ما قبل ثورة ١٩١٩ م جيلا منحلا انانيا يعيش للذاته الخاصة ولياليه الساهرة ، ولكن حين ابصر الجيل الثاني بفجر ثورة ١٩١٩ م شاركه بالعاطفة ، العاطفة المجاملة .. التي لاتعني شيئا من المشاركة في العمل الايجابي ، ولا التضحيات المفروضة . كما ان فهمه للاحداث كان قاصرا ضبابيا .

اما الجيل الثانى – فى الثلاثية – فقد انبثقت الثورة من النهايات عواطفه المتاججة كانت عواطف مشبوبة صادقة .. تثور ، وتصر على الثورة ، ولا تحجم عن تقديم الضحايا وبذل الارواح ..

وما ان خمدت نيران الثورة وتكشفت عن لعبة الكراسى البرلمانية بين احصنة الاحزاب الانتهازية حتى جرفه تيار من الضباب والعاطفية الكثيفة ، حجب عن عينيه صدق « الرؤية » ووضوحها .. فعاش رهين الحيرة والضياع يمزقه التردد والشك وعدم الانتماء ..

كان جيلا رومانسيا اندفع الى صنع الثورة بعواطفه الفضة ، ثم لم يستطع توجيهها التوجيه الصحيح ، وحين انتكست على يد المغامرين والطامعين والمستعمرين لم يجد مايفعله لينقذها من النكسة ، ويسير بها على الطريق الطويل ..

و «كمال» .. نموذج هذا الجيل العاطفى الرومانسى الضائع .. يحلم فيضيع فى غمار الاحلام ، ويحب فيتلاشى امام عواطفه ، ويفكر فيتوه فى بحرلجى من الافكار المتضاربة ، والفلسفات العديدة ..

ثم يكون الجيل الثالث .. «جيل الانتماء» .. الجيل العقائدى الذى يتناول مشكلات وطنه من جذورها التاريخية والاجتماعية ..

وقد تمثل هذا الجيل فى الاخوين « عبد المنعم و احمد شوكت » .. اما عبد المنعم فيقدم نفسه من خلال الحوار الذى دار بينه وبين مامور قسم الجمالية حين قبض عليه هو واخيه احمد على هذا النحو :

« عبد المنعم ابراهيم شوكت ، خمسة وعشرون عاما ، محقق بادارة التحقيقات بوزارة المعارف .

– كيف تمزق قوانين الدولة وانت من رجال القانون ؟

– لم امزق قانونا ، ونحن نعمل جهارا .. فنكتب فى الصحف ، ونخطب فى المساجد ، ان الذين يدعون لله لايجدون مايخفونه .. »

اما احمد فيقول :

« احمد ابراهيم شوكت ، اربعة وعشرون عاما ، محرر بمجلة الانسان الجديد ..

– هناك تقارير خطيرة عن مقالاتك المتطرفة فضلا عن انه من المسلم به أن مجلتك سيئة السمعة !.

– مقالاتى لا تعدو الدفاع عن مبادىء العدالة الاجتماعية .

– شيوعى حضرتك ؟

– انى اشتراكى ، وكثير من النواب يدعون الى الاشتراكية ، والقانون نفسه لايؤاخذ الشيوعى على رايه مادام لا يلجا الى اساليب العنف» .

(السكرية ص ٣٨٠ ، ٣٨١)

ومن خلال حياة « عبد المنعم واحمد » العقائديين ونظرة كل منهما للحياة ، ومناقشته لمشكلات المجتمع ، ومعاملته للمراة ، وفهمه للحب ، وممارسته للزواج ، والاسلوب الذى آمن به كوسيلة لتغيير مجتمعه ، والهدف الذى يسعى اليه من هذا التغيير .. من خلال كل ذلك نبصر نجيب محفوظ .. ليس مجرد كاتب يعطف على اتجاه معين ، بل نقع – بكل يقين – على انسان عقائدى يتحيز لاحد طرفى الصراع ..

ومع أن نجيب محفوظ قد اتخذ فى هذه الرواية أسلوب التصوير الواقعى الفوتغرافى ، الذى يلم بكل التفاصيل ، ويجرى وراء كل الشخصيات ، ويعرض لدقائق كل حدث – مما أشاع عنه خطأ أنه فنان محايد يعرض الواقع كما هو ، ويترك للقارىء فرصة الحكم أو التحيز – فاننا نراه يلتزم بنصرة اتجاه معين فى كل قصصه مما يؤيد وجهة النظر التى نعتنقها فى أن الفن لايمكن أن يكون حياديا ، وبالتالى لا يستطيع أن يكون الفنان على هامش الصراع الانسانى .

ففى « الثلاثية » وفى « خان الخليلى » و « القاهرة الجديدة» و «السمان والخريف» و «اللص والكلاب» يتضح ان نجيب محفوظ فنان هادف ، او يتضح بالاكثر ان الفن لايستطيع الا أن يكون منحازا لوجهة نظر فى الحياة .. سواء كانت واضحة حارة مليئة بالقوة والحيوية ، ام كانت شائعة فى اسلوب الكاتب وفى طريقة سرده للحوادث ، واختياره للجزئيات ، وتعاطفه مع شخصيات وآراء بعينها ..

فنجيب محفوظ – اذن – فنان يلتزم وجهة نظر معينة فى فنه وفى حياته ، بجانب براعته فى تصوير الاحياء الشعبية فى مدينة القاهرة ، ونفوذه الى اعماق الناس البسطاء ، وفهمه لمشكلاتهم ، ومعايشته لهذه المشكلات والهموم الانسانية فى عطف وحب والم ..

– ٢ –

ومن خلال التناقض الواضح بين شخصيات

« كمال وعبد المنعم واحمد » فى « الثلاثية » ، و « احمد راشد واحمد عاكف » فى « خان الخليلى » وسعيد مهران ورءوف علوان » فى «اللص والكلاب» .. نستطيع ان نصل الى مفهوم كامل للثقافة ، يدين به ـ بلا شك ـ كاتبنا الكبير نجيب محفوظ. ويعطينا اشعة هادية لفهم شخصيته وفهم فنه ، ولمعرفة وجهة نظر معينة فى الحياة عامة ..

اما «كمال» احد نماذج الجيل الثانى فى الثلاثية فقد اختار دراسة الآداب ، ثم امتهن التدريس ، وظل يدمن الاطلاع على مذاهب الفلسفة ، وكتابة مقالات عن الكون والحياة والحق وغير ذلك من الاشياء التجريدية المطلقة ، وكان رومانسيا حالما، حاد العاطفة ، تائها فى غمار مايقرأ .. لايستقر على راى ، ولا يتحيز لوجهة نظر ، ولا يعرف سبيلا واضحا فى الحياة يعتنق السير فيه الى غاية محددة .. فظل ممزقا ضائعا ..

لم يعرف سبيلا الى الزواج فظلت حياته بلا انجاب ، بلا خصب .. حياة عقيما لاتعرف مواليد « النوع » كما لم تعرف مواليد « الفكر » .

وهذا النوع من المثقفين هو بلا شك نوع مرفوض لا جدوى منه .. وهاهو نجيب محفوظ ـ بعد ان ابان لنا بشاعة هذا العقم فى الرواية ـ يصدر حكمه صراحة على كمال ومجهوداته الفكرية، وحياته بعامة ، على لسان « سوسن » زميلة « احمد » فى تحرير مجلة « الانسان الجديد » !

« انه يكتب كثيرا عن الحقائق القديمة .. الروح ، المطلق نظرية المعرفة ، هذا جميل ، ولكنه ـ فيما عدا المتعة الذهنية والترف الفكرى ـ لايفضى الى غاية ، ينبغى ان تكون الكتابة وسيلة محددة الهدف ، وان يكون هدفها الاخير تطوير هذا العالم والصعود بالانسان فى سلم الرقى والتحرر، الانسانية فى معركة متواصلة والكاتب الخليق بهذا الاسم حقا يجب ان يكون على راس المجاهدين . اما وثبة الحياة فلندعها لبرجسون وحده .. »

ويحاول احمد ان يدافع عن خاله « كمال » فيقول :

« ولكن ماركس نفسه بدا فيلسوفا ناشئا يهيم فى تيه الميتافيزيقا ؟ » فترد عليه :

« ـ وانتهى بعلم الاجتماع العلمى ، فمن هنا نبدا لا من حيث بدا »

(السكرية ص ٢٤٩)

ثم تؤكد افكارها عنه قائلة :

« لا موقف له ، ان موقف الكاتب لا يمكن ان يخفى ، انه مثل من المثقفين البورجوازيين .. يقرا ويستمتع ويتساءل ، وقد تجده فى حيرة امام المطلق وربما بلغت به الحيرة حد الالم ، ولكنه يمر سادرا بالمتالمين الحقيقيين فى طريقه .. »

(السكرية ص ٢٥٠)

اما شخصية « احمد شوكت » فى « الثلاثية » ، وشخصية « احمد راشد » فى « خان الخليلى » فهما متفتحتان على الحياة الحديثة ، يعتنقان نفس الآراء ، وتكاد بعض الجمل تتردد واحدة فى حديثهما ، وكل منهما حاسم فى اتجاهه ، على يقين نهائى من آرائه ، يصافح الحياة الحديثة بلا تردد ..

يتلقن احمد شوكت على استاذه عدلى كريم ـ فى القصة وفى الحياة سلامة موسى ـ :

« العلم اساس الحياة الحديثة .. »

(ص ١٠٨)

« لكل عصر أنبياءه ، وان أنبياء هذا العصر هم العلماء .. »

(ص ١٠٩)

ويقول احمد راشد :

« لعصرنا رسله كذلك ، اضرب مثلا بهذين العبقريين ! فرويد وكارل ماركس ! »

(خان الخليلى ص ٦١)

وتبدو الطريقة الحاسمة التى يواجه بها الامور ـ هذا الطراز من المثقفين ـ فى الحوار الذى يدور كثيرا بين عبد المنعم واحمد فى الثلاثية ، وبين احمد راشد واحمد عاكف فى خان الخليلى .. وصلابة هذا الطراز تبدو فى الاجابات الصارمة التى رد بها احمد شوكت ـ مثلا ـ على اخيه عبد المنعم عندما شهدا معا جنازة الملك فؤاد فقد كان عبد المنعم لا يدرى حقيقة شعوره .. انه لم يحزن ، وكذلك لم يسر ، وقد اخذته رهبة الموت ، اما احمد فقد قال باسما :

« انا لا احب الطغاة ايا كانت الحالة السياسية!
ـ هذا حسن ولكن منظر الموت ؟
ـ ولا احب الرومانتيكية المريضة !
ـ اسررت اذن ؟
ـ تمنيت أن يمتد بى العمر حتى أرى العالم وقد خلص من كافة الطغاة على اختلاف اسمائهم واوصافهم .. »

يتبع

أنس داود

أريد لقاء الله

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وراء الوجوه المستعارة وهي تزيف حقيقة الانسان

أريد لقــــاء الله .. لا لشابة ... ففي كل سر منـــه تسكن توبتي

أريد لقاء الله .. دعوة حائر ... تلاشت خطاه عند باب الحقيقة

أريد لقاء الله .. تضرع راحتي ... ويضرع طـــير مؤمن في سريرتي

وتضرع أيامي . كان دروبهـا ... بساتين لم تمرع بغير الخطيئة !

غدوت غناء ضارعا ، كل نغمة ... تمد يدا تدعوه من كل نغمة

الهي .. وأنت النور لم يخب مرة ... سناه ، اذا أعشى الضياء بصيرتي !

أعني على هـــذا الستار . فانني ... عجزت ، ولم تهدأ براكين حيرتي

دهور توالت ، والرباب على يدى ... وأعزف للانســـان سر تميمتي

واستل من تيه الوجوه ضـــلالها ... وما دفنته في سراب الخديعة

أغوص بهـــا حتى يذوب شـــفافها ... وانفذ حتى في جذور الغريزة

ومهمــا تلوت نظرة ، أو تخالست ... رميت لها صياد كل خبيئـــة

ودرت حواليها ، وطرفي ساكن ... يجوب زوايا النفس في كل نظرة

فما فاتني وجـــه ، ولو كان زاده ... من التيه ، ليل غارق في سكينة !

ولا فر عني من سمعت بوجهه ... عزيف الرياح الهوج فوق الظهيرة !

ولا من أتاني والهـــا متـــذللا ... ويخنق في عينيـــه ظـل المكيدة !

ولا من غزا وجهي بشـــوق وبسمة ... تراها من البهتان أسمال حيـة

معـــذبة ، صفراء ، تنقع ســـمها ... على شفة تومي بكاس وزهرة !

عبرت فضاء الله صياد أوجـــه ... ولو سكنت غاب الغيوب المنيعـــة

وحـــيرني وجه أطـــل .. فنظرة ... حيـــاة ، وأخرى أومأت بالمنيـــة

تنـــاقض حتى خلت عدة أوجـــه ... توالت لعيني زمـــرة اثر زمرة

تريك الربيع الغض ، حان خريفـه ... وشابت ليـــاليـــه على كل ربوة

فتبصر أطيارا ، وتسمع حولهـــا ... جنـــائز موسيقى الغصون الحزينة

وتشقيك أوشـــال من العطر ، خانها ... شذاها ، فذابت في رفات الخميلة

وكهف عميق الظن في كل محجـــر ... وأجفـــان أفعى ناكلات التلفت

وبحر بلا ماء ، وموج بلا صـــدى ... يضمهم شيء فيه من كل وجهـــة

مخرت دجاه بالخيـــال ، وبالرؤى ... وبالوحي ، والالهام قدت سفينتي

وأطلقت أسراب الظنون كأنهـــا ... جوارح طير حلقت للقنيصـــة

وعوذت ، واستلهمت نفسي غيوبها ... وأسرارها في كشف أي خبيئة

فعادت بلا شيء . كأن مــدارهــا ... دروب من الاوهام في كل سحنة

تولول من فرط الضلال ، وتشتكي ... ضبابا على تلك العيون البليدة

وتضرع مثلي أن يفـاجيء جهلهـــا ... من الله ضوء ظافر بالحقيقـــة !

أنا والزهرة

للشاعرة روحية القليني

قلت للزهـــرة في الروض اجيبي ... هل سقاك الشجو من دمع نحيبي ؟
أم ترى زفرات قلبي أحـــرقت ... غصنك المياس من حر اللهيب ؟
وتلاقيت على شط الشجى ... بنصيب في الهوى يحكي نصيبي ؟
كم بعينيك سحرت العـــاشقين ... منك لم تسلم قلوب المعجبين
معجب يمضي ويأتي معجب ... لم يمض مثله في الذاهبين !
لم ينالوا غـير وعـد كاذب ... وسراب خـادع للنـــاظرين
لا تضيعي العمر أسر الكبرياء ... هـل ترى غـرك معسـول الثناء
أم تجاهلت قـلوبا شفها ... وجدها المشبوب من سحر الرواء
وتعــاليت فضيعت الرجـــاء ... وتناسيت فآثرت الجفـــاء ؟!

***

لا تخـافي من غـد لا تعرفين ... فتعيشي بين شـــك ويقين !
ودعي الايــام تمضي بالمنى ... حــلوة تحكي عبير الياســمين
عانقي النجم بالحـــان الهوى ... واسبقي العمر بشوق الحـالمين
ابسمي مازلت في أوج الربيع ... واحــذري الايام تمضي وتضيع
لا تضيعي العمر غرقى في الدموع ... ابسمي كالصفو في قلب الربيع
اسكبي العطر على الدرب يضوع ... واضيئي في دجى الليل الشموع !
اخرجي من سـجنك القاسي الرهيب ... واضحكي للبدر يبدو أو يغيب
واذا النجــم توارى في المغيب ... فضياء الفجر وضـاء قريب !
كل ما في الـكون حـــلو باسم ... كل ما حولك في الروض حبيب
كم شربت الكاس وحدي بالشجن ... اشتكي فعل الليـالي والزمن !
حطمي كأس المــــآسي انني ... قد دفعت اليـوم من عمـــري الثمن
انني اخشى على الحسن الـذي ... كاد يذوي من تباريح الشجن !

روحية القليني

من أغاني الصباح

للأستاذ محمد مصطفى المليجي

« لم لا أغني للربيع الحــلو يزخر بالحيـــاه »
« لم لا أغني للطيـــور وللزهور وللميـــاه »
« لم لا أغني غنوة العصفور حين يشقشق »
« لم لا أغني للجداول والميـــاه تصفق »
« لم لا أغني للصباح وأفقنـــا يتـــألق »
« لم اغني للمنى والورد حـــولي يعبق »
« ســاظل أبسم للحياة وللأمـــــل »
« ســاظل أمضي دون يأس أو مـــلل »

فى دراسة تاريخنا الحديث

للأستاذ محمود الشرقاوى

منذ أعلنت وزارة الثقافة والارشاد عن مشروعها لاعادة تدوين تاريخنا الحديث ودعت المؤرخين والكتاب الى دراسته بوعى جديد وفهم جديد . منذ هذا الاعلان وهذه الدعوة تجد احساسا جديدا ونشاطا غير قليل فى هذا الاتجاه . من ذلك القرارات التى وافقت عليها « اللجنة العليا لمركز دراسات التاريخ القومى » لانشاء أجهزة المركز وتشكيل لجانه العلمية وتحديد مهمة كل منها ، والعمل على جمع الوثائق والمذكرات الخاصة لاستكمال مادة البحث وتسهيل مهمة الباحثين ، وتشكيل لجنتين أساسيتين: واحدة للوثائق والمراجع والثانية للدراسات التاريخية ـ كما أعلن ذلك الاستاذ يحيى أبو بكر الوكيل المساعد لوزارة الثقافة والارشاد .

ومن ذلك صدور القرار بجواز الاستيلاء على الوثائق التاريخية والمذكرات الشخصية ذات الصلة بالتاريخ القومى لوضعها تحت يد الباحثين وحفظها من الضياع ، مع تعويض أصحابها .

ومن ذلك الاتجاه للعناية بوثائق وحجج وزارة الاوقاف جمعها ودراسة مدى الاستفادة منها فى الناحيتين التاريخية والاجتماعية .

ومن ذلك ما أعلنه فى لندن الاستاذ محمد حسين وكيل وزارة الثقافة الذى ندبته للسفر الى الخارج ، والذى يقول عن مهمته : « ان الوزارة تعنى فى الآونة الاخيرة بصيانة تراثنا وثقافتنا ووثائقنا كدعامة قوية لاعادة كتابة تاريخنا . لذلك حرصنا على جمع الوثائق الاصلية من دور الوثائق الاجنبية ووافق الدكتور عبد القادر حاتم على أن أقوم أثناء زيارتى لامريكا بتصوير الوثائق التى تتصل بتاريخ مصر والموجودة بدور الوثائق بأمريكا » . وقد ذكر المتحدث بعد ذلك أنه حصل على صور وثائق هامة ذات صلة بهذا التاريخ ، منها تقارير القناصل الامريكيين فى القرن التاسع عشر ، والوثائق التى قامت بتطويرها الجامعات الامريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، وأوراق اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر .

وليست هذه العناية بدراسة تاريخنا الحديث جديدة على ادراك الثورة ، فقد صدر ، فى سنة ١٩٥٤ قرار بانشاء « دار الوثائق القومية » عرفانا منها بقيمة هذه الدراسات وضرورتها .

ونحن من أكثر الناس اغتباطا بهذه الدعوة وهذا الجهد لدراسة تاريخنا الحديث على أسس جديدة ، فهى دعوة أعلناها وجهرنا بها قبل سنوات فى كتابنا « بطولات عربية » . وفصلنا القول فيها مبكرين ، فى هذه السطور التى كتبناها سنة ١٩٥٥ فى الجزء الثالث من كتابنا « دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر » :

« ... ان دراسة هذا التاريخ : منذ الفتح العثمانى ، ومنذ استيلاء محمد على على الحكم خاصة؛ خاضعة لمؤثرات غير أمينة وغير منصفة وغير مفيدة ، بل هى بالغة الضرر على وجه التأكيد .

أما أنها غير أمينة فلأنها كانت منحازة الى جانب الخصومة مع شعبنا وكأنها لا تؤرخ له ؛ بل تجمع المآخذ والآثام والمثالب فتلصقها بهذا الشعب الذى خذل أمام العثمانيين ، ولكنه لم يفرط فى حق وطنه وشرفه ؛ بل دافع عنهما أروع دفاع وأكرمه . وشعوب العالم كلها يتناوب تاريخها النصر والهزيمة .

وأما أنها غير منصفة ، فلأنها لا تبحث عن العلل الطارئة والعوامل الدخيلة التى انتهت به الى الهزيمة أمام العثمانيين ، ثم أمام الفرنسيين والانجليز . بل جعلوا سبب ذلك دوافع أصيلة فى تكوين الشعب نفسه وادراكه والمقاييس التى يقيس بها أهداف الحياة والكرامة والشرف والحرص على الحرية والعزة وكان يجب أن تبحث عن هذه وتلك .

وأما أنها ضارة بالغة الضرر ، فليس يخفى ذلك على مفكر أو متأمل . لانها تهدر فى نفوسنا كل معنى كريم ؛ وكل احساس بالنخوة الوطنية ، وكل شعور بمجد الماضى وكفاحه .

ولا يزال كثيرون منا ؛ ومن رجال التربية خاصة، يذكرون « دنلوب » وسياسته . ولم يكن دنلوب شخصا أكثر مما كان فكرة ومذهبا وهدفا : الغاية منها اذابة كل شعور قومى ، وكل معنى من معانى « التربية » الوطنية والفردية والسياسية . ولم يفعل الانجليز ذلك عبثا ، بل كان هدفهم منه التمكين لسلطانهم واحتلالهم ؛ كأنهما قدر لا مفر منه . وأن تاريخ مصر كله ، والقيم الفردية والجماعية لسكان هذا الوطن أساسها وقوامها : الخضوع لحكم الغير والرضى به . »

هذه دعوتنا قبل تسع سنوات وهذا ايماننا بها . ولكن شيئا فى ضميرى أريد أن أقوله الآن بعد أن أصبحت أجهزة الدولة الثقافية هى التى تدعو لذلك وتعمل له . كلمات فى خاطرى وفى ضميرى أريد أن

اقولها ، خشية ان يفهم بعض الناس او بعض العاطفيين ان هذه الدعوة يجب أن تخرج بهم عن الصدق التاريخي الى الحماسة العاطفية . كلمة اقولها لهؤلاء هي : انه كما يكون التزييف لخدمة الملوك والمستبدين شرا كبيرا وخيانة وجرما ، كذلك يكون التزييف والترخص والتهريج .

لست اقول كلمتي هذه لان شيئا من هذا التهريج وقع ولكنى اقولها خشية ان يقع ثم يستفحل شره .

انه يمكن ، مع الصدق التاريخي وامانة العلم ؛ تربية « الحس التاريخي » للشعب ؛ وتربية الشعب العربي تربية قومية صحيحة . وتاريخنا العربي الحديث فيه من الحقائق من ينمي هذه التربية ويؤكد هذا الحس ، اذا فهم على اساس جديد وعرض ؛ بامانة ؛ عرضا حسنا .

دراسة تاريخنا الحديث ؛ التي دعونا اليها ونريد أن يفهمها الدارسون من دعوة وزارة الثقافة والارشاد ومن نشاطها . يجب أن يكون اساسها الصدق التاريخي وعدم التعصب لوجهة معينة تجافيها حقائق هذا التاريخ . وكذلك البعد عن محاولة « الارهاب » لمن يقول رأيا يؤمن به ويمكن أن يستدل عليه ، والبعد أيضا عن « التزمت » و « الحنبلية » في البحث التاريخي ، بعد أن تركناهما ؛ أو اوشكنا ؛ في الفكر الديني .

وقد ذكرت قبل سطور قليلة كلمة « الارهاب » وليس من قصدى توجيهها بغير هذا البعض من الكتاب والصحفيين الذين يسارعون الى رمي غيرهم بتهمة « الهرطقة » القومية او الاشتراكية او الوطنية لانه لا يسايرهم في المبادرة والترخص .

اريد أن يفهم هذا البعض ما فهمته ، وما يجب أن يفهم ويقصد ؛ من دعوة وزارة الثقافة والارشاد لكتابة تاريخنا الحديث بفهم جديد ووعي جديد ، وهذا الذي فهمته هو أن الصدق التاريخي والامانة العلمية شرط اساسي في هذه الدراسة ، فقد كتب مؤرخو وطننا العربي تاريخه الحديث من غير صدق ولا أمانة ، وخاصة الاجانب منهم ؛ وعلينا نحن الآن أن نكتبه بامانة وفهم وعاطفة . وسنجد عند ذلك أننا كتبنا تاريخا صادقا واوجدنا ، في نفس الوقت ، ما نريده من تربية قومية للشعب ؛ وتزكية « الحس التاريخي » للوعي الشعبي .

هذا البعض من المبادرين المترخصين المتهيبين يريد أن يكون ، كما يقول المثل الاوربي ؛ ملكيا أكثر من الملك ؛ فيكون مثل الصديق الجاهل .

اذا قال مؤرخ ان عرابي ؛ مثلا ؛ أخطأ في كيت وكيت . وان رأى محمود سامي البارودي ، أو محمد عبيد ، مثلا ، كان خيرا من رأيه في كذا وكيت فاني ارجو من المبادرين الهيابين الا يسارعوا فيحكموا عليه بالردة الوطنية والهرطقة القومية .

واذا قال مؤرخ ان زعيم القاهرة أيام الثورة على نابليون : عمر مكرم فقد شجاعته أمام محمد علي ، أو لم يكن صلبا في حربه كما كان أمام نابليون وكما فعل الزعيم الشعبي : « حجاج الخضرى » الذي شنقه محمد على في ليلة القدر على باب بوابة المتولى ، اذا قال مؤرخ هذا عن عمر مكرم مثلا ، فارجو الا يسارع الهيابون المتربصون بالحكم عليه بانه هرطيق وطني او قومي .

واذا قال مؤرخ ، مثلا ، ان سعد زغلول أخطأ في قبوله الوزارة تحت حراب الانجليز ، الذين كانوا يحكمون مصر ؛ وتحت سطوة فؤاد ودسائس قصره وانه لم يرع ، في ايام وزارته ، الناحية الاجتماعية او التعاونية حتى كان حزبه يتهكم على وزارة معارضيه التي وجهت بعض عنايتها للفلاحين فسماها « وزارة البرك والمستنقعات » لانها قامت بردمها .. اذا قال مؤرخ ذلك ، مثلا ، عن سعد زغلول فارجو من الهيابين الا يرهبوه بتهمة الزيغ الوطني واستنقاص ثورة ١٩١٩ وزعيمها الشعبي .

واذا ذكر باحث « ولى الدين يكن » ، مثلا ؛ بكلمة خير لانه كان ؛ مع قرابته لعائلة محمد علي ؛ يدعو الى الحرية ويحارب سلطان تركيا ، فلا يبادرن احد الى ارهابه بتهمة الرجعية والمروق .

واذا قال مؤرخ ان علي مبارك لم يكن خادما للانجليز ولا لتوفيق وانه أغضب اسماعيل ، وأن خصوم على مبارك هم الذين رموه بذلك ؛ كما وصم وظلم ؛ بل كان صاحب شخصية مستقلة ورأى مستقل ، وأن كثيرا من الآراء التي كانت سببا في ظلمه كان يشاركه أو يتفق معه فيها الشيخ محمد عبده . اذا قال مؤرخ ذلك انصافا لعظيم من عظماء وطننا وتزكية لضميرنا القومي ، فارجو ألا يبادر أحد الى غمزه وغمز على مبارك معا ، كما فعل الناقد الكبير الذي تحدث عن كتابنا : « علي مبارك ؛ حياته ودعوته وآثاره » .

على هذا الاساس من الشجاعة والحرية والبعد عن التسرع والاتهام واصطناع الحماسة . أفهم ، ويفهم الصادقون من الباحثين ؛ دعوة وزارة الثقافة والارشاد لدراسة تاريخنا الحديث ؛ وأن الذي يأخذها على فهم آخر يكون مثله مثل الصديق الجاهل .


وزارة الثقافة والارشاد القومى
الدار القومية للطباعة والنشر
أولى دور الطباعة والنشر
فى العالم العربى
الدار التى حققت اشتراكية الثقافة
تصدر كتاباً
كل ٦ ساعات
اخترنا لك
اخترنا للفلاح والعامل
اخترنا للطالب
اخترنا للجندى
كتب سياسية
كتب قومية
الكتاب الماسى
مذاهب وشخصيات
من الشرق والغرب
روايات عالمية
رسائل جامعية
دراسات اشتراكية
كتب الجوائز العالمية
مكتبات الدار نيويورك لندن الجزائر بيروت


تعمل على تحقيق
الثورة الثقافية
التي نادى بها
الرئيس جمال عبد الناصر
القاهرة
مركز عالمي
للاشعاع الثقافي
طرابلس بغداد الخرطوم الاسكندرية القاهرة

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

الدين وحملة الهراوات

لم يرزأ الدين بمثل هؤلاء الذين لازالوا يمنحون أنفسهم القوامة عليه، فيحملون على أكتافهم هراوات غليظة يتعقبون بها كل من لاتتفق عقليته وعقلياتهم في جمودها ، ويطاردون بها كل من لاينزل بتفكيره الى مستوى تفكيرهم في ضيق أفقه ٠

الاسلام عندهم مهدر الكرامة من أجل أغنية عاطفية تذاع ، ومعرض للخطر من أجل رأى جرىء ينشر كأن الدين من المهانة حتى تهدر كرامته أغنية ، ومن الضعف حتى يزلزل كيانه رأى ٠

مثل هؤلاء نفايات تنسب نفسها الى الاسلام زورا وتحسب عليه بهتانا ، وهى فى الواقع ليست الا مزيجا من الهوس والعته ، وخليطا من التهور والحمق وأمشاجا من العى والهذيان ، وأوباشا من الثرثرة والمهاترة ٠

انهم مخلفات طرق صوفية ، كان لها ماض عريق فى الدجل والشعوذة ، وسلوك شـــائن فى أوكار الاستعمار البريطانى يوم ان كانت له الســيطرة على مصر ، والسيطرة على الحكم ، والســلطة على القصر ، حتى اذا أصبحت هذه الطرق الصوفيــة لاتتسع لمطامعهم ـ وقد أوشــك الوعى الدينى أن يحيلها الى الاستيداع ، وأوشك النضج الثقافى أن يضعها فوق أرفف الاهمال ، بادروا بارتداء مسوح الكهان باسم الجمـــاعة الدينية ، وتوهموا أنه من الممكن أن يكونوا شيئا مذكورا ، متى استبدلوا زوايا المساجد وأركان الأضرحة بدار تؤويهم ، وصناعة الاحجبة والتعاويذ بمجلة باهتة ليس لهـا فى دنيا الصحافة ذكر ٠

ولما لم يفكر المجتمع فى أن يشعر بوجودهم لجأوا الى الثرثرة والمهـاترة ، والصخب والشـــوشرة ، والبذاءة والمشاغبة ليفرضوا على المجتمع الاعتراف بهم ولم يدر بخلدهم انهم أقـــل شأنا من البراغيث حين تهيج ، وأهون قدرا من الفقاقيع حين تتراقص وأتفه أثرا من الذباب حين يطن ، وأضعف خطرا من الخفافيش حين تواجه ضوء النهار ٠

هذه الخواطر جالت بنفسى بعـــد أن سمعت من أحد الاصدقاء ان مجلة دينية بالقاهرة أخذت منذ أسابيع تحمل على حملة شعواء ، من أجل مقـــال كتبته على صفحات الرسالة فى ذكرى مولد الرسول ـ صلوات الله عليه ـ كان عنوانه «الرسول غنى عن هذا الاسفاف ، **هدفت منه الى أن نرفع مقام الرسول فى ذكرى مولده عن هذا الخلط من الاسفاف الذى يتردد صداه ـ كلما حلت هذه الذكرى الكريمة ـ فوق منابر بعض الخطباء ، وتمر به الاقلام على صفحات بعض الصحف الدينية ، ولا سيما هـذا الحشد من المعجزات التى تنسب الى الرسول فتحط من قدر رسالته ، وهى مما لايقره منطق ، ولا يقبله عقل ، ولا يرضاه ذوق ، ولا يؤيده مصدر من مصادر السيرة السليمة ٠**

هذه المعجزات التى حاطته ـ صلوات الله عليه ـ منذ ان كان ماء جاريا فى صلب ابيه ، ثم نطفة فى رحم امه ، ثم طفلا رضيعا فى حوزة مرضعه ، ثم صبيا يستمتع بصباه مع أترابه ، ثم شابا يتمتع بريعان شبابه ، الى أن كرمه الله بالرسالة ، فصار له فى كل لحظة من حياته معجزة خارقة ، حتى لحق بالرفيق الأعلى ، فصار حيا فى قبره تعرض عليه أعمال أمته ٠

وهكذا تبلغ المعجزات التى ضمنها بعض الكتب المهزوزة ، ووعتها بعض العقليات الســاذجة الوفا مؤلفة ، ويصبح الايمان بها بعد ذلك عقيـــــدة ، وانكارها كفرا ، ومجرد التشكك فيها مروقا من الدين ، وخروجا على الاسلام ، وتهجما على مقـــام الرسول ٠

فاذا أكد القرآن وأثبت التاريخ ، أن الرسول كان اميا لايقرأ ولا يكتب ، جاء القاضى عياض فى شفائه يقول لنا : « انه أوتى علم كل شىء ، فكان يعرف حروف الخط وحسن تصورها ، قال لمعاوية وهـو يكتب له الوحى : أقم الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن الرحيم ٠

واذا قال القرآن الكريم «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، راح القاضى عيــاض وأمثاله يؤكدون بان الرســول كان يحفظ القرآن قبل نزول الوحى ، وفرضوا علينا أن نضرب صفحا عن قوله تعالى «وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان» ٠

واذا سجل التاريخ أن الرسول ولد عام الفيل ٥٧١ ميلادية ، وولد ونشأ كما يولد سائر البشر وينشأون ، جاء هواة الخوارق يؤكدون : انه صلوات

الله عليه — اول النبيين فى الخلق وآخرهـــم فى البعث ، وان أمه حملت به اثنى عشر شهرا ، وفى يـوم مولده اهتز ايوان كسرى ، وغارت بحـــيرة طبرية ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد منذ ألف عام ، وانه ولد مختونا مسرورا مكحولا ، ويواصل الواقدى فى سيرته : ان الرسول حين خرج من بطن أمه صاح : الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ، وكان فى الشهر الثانى من ولادته يتزحلق ، وفى الثالث يقف على قدميه ، وفى الرابع يمسك الجدران وفى الخامس يمشى ، وفى السادس يسرع ، وفى السابع يسعى ، وفى الثامن يتكلم ، وفى العـــاشر يرمى السهام» ·

ويتكرم علينا البيهقى فى دلائل النبوة : فينسب الى الرسول وعمه العباس مايثير الضحك :

قال العباس : دعانى الى الدخول فى دينك امارة لنبوتك ، رأيتك فى المهد تناغى القمر ، وتشير اليه باصبعك ، فحيث أشرت اليه مال · فقال الرسول: انى كنت أحدثه ويحـدثنى ، ويلهينى عن البكاء ، أسمع وجيبه حين يسجد تحت العرش » ·

ولا يجرؤ انسان على مناقشة هؤلاء ، فيذكرهم بأن الخوارق ماكانت سبيلا الى الهداية ، وانما عظمة الاسلام الكامنة فى كتاب الله ومسلك رسوله ·· والعباس نفسه لم يكن من المبادرين الى الاسلام ، ولم يدخل فى دين الله الا قبيل فتح مكة ·

انه مطلوب من كل عاقل ان يلغى عقله ، ليؤمن ، بأن الرسول ذهب الى قبر امه وسأل الله أن يحييها له ، فأحياها فآمنت به ثم ردها الله تعالى ·

وانه كان يرى من خلفه كما كان يرى من امامه ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وان عليا كرم الله وجهه لم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال — صلوات الله عليه — اللهم ان كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، فطلعت بعد ماغربت ووقفت على الجبال والارض حتى صلى على صلاة العصر ، وأنه حين اسرى به (ص) واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير ، قالوا : متى تجىء ؟ قال : يوم الاربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء العير فدعا رسول الله فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس ·

وانه مطلوب منا أن نمتهن أذواقنا فنصدق بأن أم أيمن شربت من بول الرسول فقال لهـــا : لن يشـتكى بطنك الوجع أبدا ، وبأن مالك بن سنان شرب دم الرسول يوم أحد ، فقال : لن تصيبه النار وكان — صلوات الله عليه — اذا أراد أن يتغـــوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة· وانه أعطى قوة ثلاثين رجلا فى الجماع·!

***

الحق انى كنت آثرت الصمت تجـاه تلك المجلة الدينية التى اتخذت لها شعارا فيما تكتب ، المهاترة فى ردها ، والسب والقذف فى مناقشتهـا ، فهى اعجز من ان تناقش الحجة بالحجة ، أو تقرع المنطق بالمنطق ، وكل مافى جعبتها هو الرمى بالزنـدقة والالحاد ، وكل مافى عقولها هو الطعن والقـذف ولا يضيرنا ان تنعق بما لا تفقه أو تثرثر بما لا تفهم أو تتخذ من بذاءة ألفاظها سلاحا تشهره على كل رأى حر ، وعقل ناضج ، ووعى متفتح ·

ولكنى سمعت منذ أسبوع من أحد الاخوان ، ان خطيبا فى أحد المساجد الاهلية بالجيزة ، دأب منذ أسابيع على التهجم على الرسالة التى سمحت بنشر مقال ، واتهامها بأنها تشجع أقلام الزنادقة والمنحرفين ، مثل هذا الخطيب وأضرابه أتفه من أن يرد عليهم ، وأهون شأنا من أن تثيرنا غوغاؤهم · انهم يدافعون عن كياتهم ، فكثير من السذج البسطاء لازالوا ينخدعون فى تدينهم ، وينجذبون الى ماتكدس فى عقليـاتهم من مخلفات الخرافات والترهات التى لصقت بمفاهيم الاسلام فى غفلة الزمن ·

حسبنا ان يدرك هؤلاء أن الاسلام قد حفظه الله خلال هذه القرون الاربعة عشر بمعانيه الحيـــة ، وقيمه العظيمة ، ومثله الرفيعة ، ولن يهتز كيانه الا بمقدار تخلف المسلمين عنه ، وتنكب أفهامهم عن منطقه السليم ، ومفاهيمه الصحيحة ، وبقاء أمثالهم بعقلياتهم الآسنة ، وآفاقهـــم الضيقة ، يمنحون أنفسهم حق القوامة عليه ، وهم لايحملون علمـــا ولا ثقافة ، وانما يحملون هراوات غليظة يتوعدون بها كل رأى حر ، ويطاردون بها كل صوت جرىء دون ان يقنعوا أنفسهم بأنه أحرى بهم ان يتصايحوا فى واد ، وأن ينفخوا فى رماد ·

محمد عبد الله السمان

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الشعر الجديد والشعب المظلوم

قرأت مقالى الاستاذين الكبيرين العقاد والزيات عن الشعر الجديد . نشر مقال الاستاذ العقاد فى «الاخبار» وكان مقال الاستاذ الزيات افتتاحية العدد الماضى من «الرسالة» .

واحدد موقفى من الشعر الجديد قبل أن آخذ فى مناقشة ماجاء فى مقالى استاذينا الجليلين موقفى — ان عد هذا موقفا — هو موقف المنتظر غير المستنكر للتجربة .. ومعنى هذا أنى لاأعد الوزن المأثور وما يصاحبه من القافية الواحدة — من الامور المقدسة **الواجبة الالتزام ، فلا مانع أن تستحدث موسيقية شعرية جديدة كأية موسيقية أخرى ، واعتقد ان كل شيء قابل للتطور ، ومن المعروف أن التطور سنة الحياة .**

***

ولكن هل أتى لنا الشعر الجديد بموسيقية جديدة قد تكون تجربتى مع الشعر الجديد مختلفة عن تجربة الاستاذين الكبيرين . فقد استمعت الى الشعر الجديد وقرأت نماذج منه بنفس مفتوحة تحاول أن تتذوق ثمرة التجربة .

***

وهنا لابد أن ندخل قليلا فى المناقشة مع أستاذينا لاحظت أنهما جردا الشعر الجديد من الوزن فالعقاد يرى أن وزن البحور العروضية هو الوزن الذى لاوزن غيره ، وعلى هذا الاساس جعل يعرض قطعا من الشعر تغنى بها الشعب وشاعت على أفواه الناس من كل الطبقات كدليل يدحض حجة الذين وصفهم بأنهم (محبو الشعب المتيمون) والذين يزعمون — كما بدا له — أن الشعر الجديد أوقع عند الشعب وأقرب الى ذوقه وادراكه . والزيات صدر مقاله بقطعة لاوزن فيها على انها نموذج للشعر الجديد ، وتحدث عنه على هذا الاساس ، وعد من قبيله سجع الكهان وما تعاطاه بعض المعاصرين مثل جبران ومى وحسين عفيف وراجى الراعى .

وليسمح لى أستاذاى ان أذكر أن الشعر الجديد له وزن .. وانه شيء آخر غير الشعر المنثور الذى كتبه جبران وأصحابه . ولكن ماهو هذا الوزن ؟ انه طبعا ليس وزن البحور العروضية المأثور ، انما هو يلتزم تفعيلة واحدة يجرى على نسقها مكررة ، لايبنى بيتا ولا يقفله بقافية .

واعود الى تجربتى .. رضت نفسى على تلقى هذا الوزن ، وأذنى من الآذان التى طالما رن فيها الوزن القديم واستعذبت وقع القافية على القافية . رأيت أولا أن أعطف — ان كان لعطفى قيمة — على التجربة الجديدة ، فتقبلت موسيقاها بروح تحاول التعاطف والتجاوب ، وقلت فى نفسى : افرض أن هذه موسيقى شعرية مقبولة ، فلأنظر بعد الى المضمون الشعرى .. لم يصل الى نفسى أكثر ماسمعت وقرأت .

***

شيء واحد اقتنعت به اذ تذوقت فيه الشعر واستراحت اذنى الى توقيعه .. هو مسرحية «جميلة» لعبد الرحمن الشرقاوى التى كتبها على الوزن الجديد ومثلت على المسرح بنجاح وتقبلها الجمهور وكان لها وقع طيب فى نفوس الناس .

أيكون مرد هذا الى ان الشعر الجديد أليق بالمسرحيات الشعرية ؟

شيء آخر رأيت فيه بعض التوفيق — من جهة تذوقى الخاص — وهو قطع ذات طابع قصصى فى شعر صلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى .

وهنا يأتى سؤال آخر . . أيكون الشعر الجديد أليق بالقص على وجه العموم .. ؟

وكنت أريد أن أصل الى هذه النتيجة — ولا تنس أنها مبنية على انطباعى الخاص — ولكن يقف دونها احتمال أن يكون الامر مقدرة فنية لدى هؤلاء الشعراء واحتمال ألا ينجح غيرهم نجاحهم فى محاولة التعبير الشعرى القصصى على الوزن الجديد .

واذكر انى قرأت لأنصار الشعر الجديد فيما كتبوه تبريرا لوجوده انه أليق بالتعبير عن المجتمع الجديد وهذه كلمة عائمة ندعها جانبا حتى ننظر فى غيرها وانه القالب المناسب لبنية القصيدة الحية وارتباط اجزائها من حيث لا تقطع الى أجزاء (أبيات) كل جزء منها مقفول على نفسه ، وانه بهذا أصلح كذلك للقص الشعرى .

***

والامران الاخيران مقبولان بشرطان ينجح التطبيق ولا يغض منهما أن الشعر الموزون على البحور العروضية فيه نماذج حديثة جيدة لوحدة القصيدة الموضوعية التى لاتضيرها وحدة البيت • وفيه نماذج كثيرة قديمة وحديثة تعالج القصص على مختلف الوانه •

أما مايقال من ان هذا الشعر ـ الجديد ـ أقرب الى أذواق الشعب وادراكه ، فهو يتصل أو يتحد بمسالة التعبير عن المجتمع الجديد ، واذا **نظرنا الى التجارب الجديدة ، واستثنينا القليل الناجح منها ، فاننا نرى أن هذا الشعر يسبح فى ضبابيات ذاتية بعيدا عن الشعب وعن وثباته الجديدة ، بل هو يعاكس الكفاح المتفائل والسعى الى الرفاهية المأمولة • اكثر مايقال منه مثل هذه** القطعة التى بدأ بها مقال أستاذنا الزيات: غمرات اليأس ودوامة الاحزان والندب والعويل والقطرات السوداء الحالكة •• وهذه «المودة» الجديدة التى يسمونها التمزق ولا معقولية الحياة •• الى آخر هذا الهراء •

ولا شك ان كثيرا من تلك الضبابيات واللامعقوليات انما هى محاولة تدخل فى «الطور البدائى للشعر» الذى تحدث عنه الاستاذ الزيات ، تشبه تأله الكهان الذين زعموا قديما انهم اسمى من البشر وأن كلامهم ينبغى أن يكون مثلهم اسمى من كلام البشر •

وبعد فانى اعلم أن كلامى هذا لن يعجب اصحاب الشعر الجديد ، ولن يرضى الاساتذة الكبار •• وما حيلتى وانا رجل «مخضرم» تلاحقنى لعنة الخضرمة حتى فى اسمى •• ؟

***

••• وفى اذاعتنا

الاهتمامات الصغيرة التى نلاحظها فى صحافتنا ونتحدث عن أطراف منها فى هذا الباب ـ امتدت فى الاسبوع الماضى الى اذاعتنا •• اذاعة الجمهورية العربية المتحدة •

اهتمت جريدتان من جرائدنا الكبرى • هما الجمهورية والاخبار ، بموضوع يغنى عرضه عن وصفه نشرت الجريدتان الكبيرتان يوم الاربعاء الماضى أن محمد عبد الوهاب وزوجته نهلة القدسى والناس جميعا سيفاجئون اليوم بحديث تليفونى يذاع فى مجلة الهواء ، جرى بين عبد الوهاب وسامية صادق ، وان عبد الوهاب «تبحبح شوية» مع سامية فى هذا الحديث لأنه لا يعلم انه سيذاع •

واذيع الحديث فى مجلة الهواء •• وقالت له انها معجبة ، ثم سألته هل لايزال يحب «الفراخ المسلوقة»؟ واجابها : نعم لانها صحية •

ـ وماذا تحب فى المرأة ؟

ـ اذنها التى تلبس القرط وتسمعنى •• ونهلة بجوارى وستكلمك •

وكلمتها عن غيرتها على عبد الوهاب من المعجبات •

هذا هو كل الموضوع الذى اهتمت به يوم الاربعاء الماضى الاخبار والجمهورية واذاعة الجمهورية العربية المتحدة !!

***

فى حياتنا اليوم اهتمامات كبيرة تنعكس فى نفس الاخبار والجمهورية والاذاعة ، فيها كلها جهود جادة وممتعة معا ، فى الاذاعة مثلا برامج آمال فهمى (على الناصية ولنجال شاى) تتناول بالعرض والمناقشة مسائل حيوية وانسانية ، وتعبر عن كثير من نبضات المجتمع ، وفى الوقت نفسه ولذلك نفسه تجذب اليها المستمعين من كل الطبقات ، والناس ينتظرونها بشوق وشغف •

هذا وذاك من الامور المتناقضة فى هذه الفترة من حياتنا ، رسوبيات من الماضى تلهث فى ركب التقدم •

المجتمع يتغير ، حتى فى نوع التسلية والمتعة ، ولم يعد مثل ذلك الهلد يهم الاكثرين ، ولا حتى يسليهم •

عباس خضر

في موكب العلم

القمر — كتاب تاريخ العالم الشمسي

بقلم فوزي الشتوي

مناورات في الفضاء :

هل توقف السباق لارسال أناس الى القمر؟ وماذا تجنى البشرية من زيادته ؟ وما هو القمر ؟

واذا كانت تصريحات الساسة توحي بانسحاب روسيا من ميدان السباق ، فتصرفات العلماء وتجاربهم تؤكد أنه ازداد حدة وخطورة . والدليل في تلك السفينة التي أطلقتها روسيا وسمتها «بوليوت» فمن قدراتها المناورة ، وتغيير مداراتها الى أعلى ؛ والى أسفل ، والى اليمين والى اليسار ، والغرض الوحيد الظاهر لمثل هذه المناورات هو القدرة على اللحاق بسفينة أخرى والانضمام اليها لتؤلفا سفينة واحدة .



رسم فني لاحدى سفن الفضاء الروسية عند محاولتها الهبوط على سطح القمر

ومن أهم خطط ارسال البعثات البشرية الى القمر انضمام سفينة فضاء الى أخرى ، أو رسوها على محطة فضاء ؛ لتحصل منها على المؤن والمعدات اللازمة لرواد القمر في رحلتهم اليه . ومثل هذه المناورات هينة على الارض التي تشد الاجسام بفعل جاذبيتها ، ولكنها شديدة التعقيد والخطورة في الفضاء . وعلى الارض تستطيع السيارة مثلا أن تلحق بأخرى بزيادة السرعة ، ولكن الحال في الفضاء شيء آخر لان زيادة السرعة معناها البعد عن الارض . وخفضها يؤدي الى الاقتراب منها .

السرعة معناها ارتفاع :

واذا كانت سفينة فضاء تتبع أخرى في نفس مدارها . فزيادة سرعة اللاحقة يجعلها في مستوى فوق السابقة ، ولا يقربها منها . واذا ما خفضت السابقة سرعتها؛ فان مستواها ينخفض تحت اللاحقة . والسبب هو أن السرعة في الفضاء عامل يقاوم جاذبية الارض . وسرعة ٨ كيلومترات في الثانية تقريبا هي القوة التي تصارع قوة جذب الارض الكروية وتجعل السفينة شبه معلقة تشدها جاذبية الارض الى أسفل ، وتشدها السرعة الى أعلى بقوة متساوية .

واذا ما زادت سرعة السفينة الى أكثر من ١١ كيلومتر في الثانية ؛ سجلت التفوق الكامل على جاذبية الارض ؛ وانطلقت في الفضاء لتقع تحت جاذبية الشمس . واذا ما انخفضت سرعة السفينة الى أقل من ٧٫٩ من كيلومترات في الثانية تغلبت عليها جاذبية الارض وسحبتها الى أسفل .

والنظرية السائدة لضم سفينة فضاء الى أخرى هي اطلاق واحدة في مدار بيضاوي ؛ فتكون في جزء منه على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا مثلا من الارض ، ثم **تأخذ في الابتعاد الى ٢٥٠ أو ٣٠٠ كيلومترا . وفي** مثل هذا المدار البيضاوي تختلف سرعة السفينة تبعا لوضعها بالنسبة للارض .

وبتوقيت دقيق ؛ وحسابات محكمة ؛ **تطلق** السفينة الثانية من الارض لتحتل نفس مدار السفينة الاولى عند اقترابها من الارض . ويلاحظ في التوقيت

ان تكونا متقاربتين ؛ ويكون مدار الثانية كامل الاستدارة ؛ وبالتالى تكون سرعتها ثابتة ؛ واسرع من البيضاوية المدار فى بعض المناطق مما يتيح لهما اللحاق بها ؛ والانضمام اليها فى تلك المناطق ٠

المعرفة اولا :

وسيحاول الامريكيون تنفيذ هذه النظرية فى السنة القادمة ؛ عندما يبدأ مشروعهم المعروف باسم « جيمينى » ! اى التوامين ؛ على اسم أحد البروج الفلكية ٠ ومن أهدافه تدريب رجال الفضاء على عمليات ضم سفينة الى أخرى ؛ مما ينتظر أن يتكرر أكثر من مرة عند ارسالهم لبعثة بشرية لريادة القمر ٠

وقد اختلف الروسيون عن الامريكيين فى المناورات الخاصة بحل هذه المشكلة ٠ ومن المرجح أنهم استعانوا بالقوى الصاروخية التى تتيح للسفينة ان تصحح اوضاعها لتستقر فى المدار المضبوط للانضمام الى اخرى ٠ وقد اعتمدت على التلقائية فى اجراء هذه المناورات لان بعضها خطر ؛ وقد يؤدى الى ضلال السفينة فى الفضاء ، أو احتراقها فى هواء الارض ٠

ويعتمد الروسيون الى حد كبير على الآلات فى تنفيذ برنامجهم الخاص بريادة الفضاء ؛ والقمر ؛ ومعرفة أسرار الطبيعة ٠ وهم يرون أن دراسة هذه الاسرار بالاجهزة التلقائية أيسر من دراستها بمعرفة الانسان ؛ لما يحتاجه من معدات ؛ وسبل حياة ليس من السهل توفيرها فى الفضاء فى الوقت الحالى ٠

وهم يركزون الآن جهودهم لجمع المعلومات بمعونة الاجهزة الارخص نفقة من الانسان ؛ فاذا ما كملت الدراسة تألفت فكرة واضحة عن الفضاء والقمر ووسائل الاحتفاظ بالحياة فيهما ؛ وبالتالى يتحدد ما يجب عليهم عمله ؛ وعندئذ يضعون برنامج ارسال انسان الى القمر فى ضوء البيانات المعروفة ٠

ومن هنا تعد التصريحات التى قيلت صادقة ٠ لانه ليس لديهم فعلا مشروع لارسال انسان الى القمر ؛ بل لديهم مشروع لمعرفة ما هو القمر ؛ وما هو الفضاء ٠ وسيأتى حتما مشروع الانسان ؛ ولكن فى ضوء المعرفة ٠ فكل ما يقال الآن عن القمر مجرد استنتاجات أعلن العالم الامريكى « هارولد يورى » الحائز على جائزة نوبل انها تخمينات وفروض ؛ ولا ينتظر أن تكون أى النظريات ، حتى نظرياته هو نفسه ؛ مطابقة لحالة القمر ٠

القمر جبن أخضر :

وبالمعرفة يمكن اختصار الطريق ؛ وتوفير عشرات التجارب ونفقاتها الباهظة ٠ ورغم تقدم العلم بخطوات واسعة ؛ فاننا لا نزال نجهل كل شىء حتى عن سطح القمر الذى ستستقر عليه سفينة رواده ٠ والنظريات التى تتردد عنه شديدة التباين والتناقض حتى أن بعض العلماء يؤثر — من باب الدعابة — ترديد الاوهام التى قيلت عنه من أربعة قرون ؛ وانه مصنوع من الجبن الاخضر ، أو أنه يمثل وجه لص نبات الكرونب الذى نفى من الارض ٠

واذا ما أردت أمثلة لما يردده العلماء ؛ فانك تجد العالم « فاسيلى فيسنكوف » عضو الاكاديمية الروسية يقول بأن سطح القمر مؤلف من ثقوب عميقة وجدران وعرة الانحدار ٠ أما « اودوين دولفوس » الفلكى الفرنسى من مرصد باريس ؛ فيرى ان كل جزء فيه مغطى بطبقة ضخمة من مسحوق يشبه رماد البراكين ٠ وقال دكتور جون ايفانز من معامل لينكولن انه يشبه الصحارى الرملية ؛ كما أفتى آخرون بأنه مغطى برغاوى من الجمد التى ان وطأه انسان سقط فى أعماق لا يعرف لها من قرار ؛ او أنه يتألف من اشواك ناتئة تشبه ما يتخلف من بقايا البراكين فى جزر هاواى ؛ او أنه مغطى بطبقة لزجة تشبه الاسفلت ٠



سطح القمر كما تصوره فنان

ولكل من هذه النظريات أدلة تدعمها من الدراسات التى أجريت بمعونة أجهزة التحليل المختلفة ؛ حتى ان الجانب الاكبر من العلماء لايتعرضون لها بالتأييد او النفى ؛ بل يؤثرون الانتظار حتى يعثر الانسان على شيء يزيل تأثير الغشاوة التى تحرم أهل الارض من رؤية القمر على حقيقته .

الآلات تدرس :

وفى برنامج الامريكيين ارسال ٣٨ محطة أرصاد أومعامل علمية تلقائية الى القمر . وبعضها سيدور حوله من ارتفاع ٨٠ كيلومترا ليدرس تفاصيل معالمه من جبال وسهول ؛ وبعضها سيحط عليه لتتولى الاجهزة تحليل العينات وارسال النتائج الى الارض . وتبعا لهذه الدراسات سيتقرر شكل السفينة وان كانت ستعوم فى رغاوى الجمد ؛ أم تقف على ارض صلبة .

وجو القمر واحتواؤه على الحياة مشكلة ثانية ؛ فأكثر الآراء تقرر خلوه من الهواء ؛ أو احتوائه على جو متناهى الرقة ؛ حتى قيل انه ايدروجين ذرى . ولكن هذا أيضا يجد ما يناقضه فى ملاحظة العالم الروسى نيكولاى كوزيريف الذى راقب فوهة « الفونسوس » ؛ فوجدها تحوى انفجارات غازية ؛ كما لاحظ فلكيون آخرون أن ألوانا كثيرة تنبعث من فوهات القمر ؛ وتتغير فى المواسم المختلفة ؛ وان حركات غريبة تحدث فيها مما دعا البعض الى القول بأنها براكين ، ودعا بعض آخر ، ومنهم الفلكى المشهور وليام بيكرينج ؛ الى القول فى عام ١٩٢٤ بأنها حركة جحافل ضخمة من الاحياء التى تتنقل لتأكل من نباتات القمر .

وحاول كثير من العلماء بمعونة أجهزة الطيف المختلفة ، وبمعونة انعكاسات أجهزة الرادار أن يعرفوا سر تغير الالوان ، ولكن واحدا منهم لم يوفق فى تفسيرها بطريقة مقبولة ، بل تباينت الاستنتاجات من القول بأنها معالم حياة ، الى التكهن بأنها انعكاسات ضوئية تشبه أضواء الفلوروسنت التى يتغير لونها بتغير المادة التى تبعثها .

الوان الاشعة فى القمر :

وتحدث مثل هذه الاضواء المتغيرة الالوان على الارض ، اذا ما وجهنا اشعة فوق بنفسجية صناعية أو اشعاعات معينة غير مرئية على بعض المواد ، فعندئذ تمتص المواد تلك الاشعاعات ، ثم تعيد اشعاعها كضوء مرئى ، مما نشاهد له مثلا فى تلك الانابيب الضوئية الطويلة فى المنازل وغيرها .

وتقول اشعة صناعية لان الغلاف الهوائى حول الارض يمتص كل هذه الاشعة عند قدومها من الشمس ، وبالتالى يمنعها من الوصول الى الارض . وهذا الغلاف غير موجود للقمر ، وبالتالى تهبط جميع أنواع الاشعة على سطحه ، وتمتصها صخوره ، وبعد فترة يعود ، فيبعثها متوهجة فوق صفحته ، حتى يمكن تسجيله فى أوقات خسوف القمر ، اذا ما استخدمنا الاجهزة الدقيقة .

وكان اول من لاحظ هذه الاضواء العالم الروسى « كوزيريف » اذ شاهد توهجا بنفسجى اللون فى الفوهة المعروفة باسم « اريستاركوس » . وأيد هذه المشاهده الفلكى الفرنسى « دى بوا » بأن توسع فيها ، حتى صنع لوجه القمر خريطة تبين ألوان التوهج على سطحه . ومن أمثلتها ضوء أخضر وبنفسجى ينبعث مما يسمى « ببحر الازمات » فى الجزء الغربى لسطح القمر ، ثم ضوء أحمر ينبعث من « فوهة رمنجتون » فى منتصف نصف الدائرة الجنوبية للقمر .

آثار براكين أم شهب :

ويطول بنا الحديث اذا ما حاولنا سرد بعض التكهنات الحديثة عن سطح القمر ، وكيف تكونت فجواته ، وسهوله ؛ وجباله ؛ وهل هى نتيجة تقلصات وبراكين داخلية ؛ أم هى مخلفات الشهب والنيازك التى نثرت فى صفحته ما يزيد على ٣٠٠٠ دائرة أشبه بفوهات البراكين .

وقد خدع الفلكيون القدماء فى مظاهر صفحة القمر ؛ اذ وجدوا فيها سهولا لامعة ظنوها صفحات مائية ضخمة ، ومن ثم أطلقوا عليها أسماء البحار والمحيطات . ولكن المرجح أن القمر خال من اية صفحات مائية . ووصل الباحثون الحديثون الى هذا الاستنتاج من دراسة حرارة الشمس الكفيلة بتحويل الماء الى بخار ، ثم من دراسة جاذبية القمر وحركة المواد الذرية وقدرتها على التطاير فى الفضاء واكتساب السرعة التى تسمح لها بالافلات من جاذبية القمر .

فالارض مثلا تحتفظ بهوائها بقوة جاذبيتها ، ولو ضعفت هذه الجاذبية كما هى الحال على المريخ مثلا ، لأيقنوا بأن كمية كبيرة من المواد القابلة للتبخر والتحول الى غازات تغادر صفحتها ، فلكل مادة غازية حركة وسرعة ، وبفعلهما يتقرر ان كانت ستبقى قرب جرم سماوى أم تغادره .

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

أسرار العدوان المغربي على الجزائر

منذ تولى الملك الحسن ـ حكم المغرب ـ بعد وفاة فقيد العروبة والاسلام **المرحوم محمد الخامس عاهل المغرب العظيم** ـ والمغرب الدولة ـ تتخبط في سياستها الداخلية والخارجية ـ بلا هدف وبلا تخطيط ـ ففي يونيو سنة ١٩٦١ ـ صدر الدستور المؤقت للمغرب ـ تحت اسم القانون الأساسي ـ ونص في المادة الأولى منه ـ **أن الدولة المغربية دولة عربية ـ لغتها الرسمية اللغة العربية** وحينما صدر الدستور المغربي في أواخر سنة ١٩٦٢ تجاهل تماما النص **على أن المغرب دولة عربية** ـ بل تعمد أن يذكر في الديباجة ـ **أن المغرب دولة أفريقية** ـ وذلك لقتل فكرة العروبة ـ كما لم ينص على أن العربية هي اللغة الرسمية للمغرب ليكمل الاجهاز عليها ـ وصدر القرار بالغاء التعريب والعودة الى **الفرنسية بعد أن قطع التعريب شوطا كبيرا** ٠٠ ولم يؤدي دستور سنة ١٩٦٢ الا الى وضع مزيد من **السلطات الاقطاعية المطلقة بين يدي الملك الحسن** ولم يؤيد هذا الدستور الا هؤلاء الذين كانوا يؤيدون الاستعمار الفرنسي ـ وذلك باعتراف صحيفة الهيرالد تريبون الامريكية ٠٠ ويسيطر الفرنسيون **على أجهزة التعليم** بمراحلها المختلفة في المغرب ـ وتتمثل هذه السيطرة في صورة **عشرة آلاف مدرس فرنسي** يسيطرون على التعليم والثقافة وعلى عقول وقلوب النشء المغربي ـ ودعمت الرجعية الحاكمة وعلى رأسها الملك الحسن ـ هذا العدد بعشرة آلاف مدرس فرنسي آخر منذ عام وكل الوظائف في ايدي فرنسية ـ **يمثلها ٣٠٫٠٠٠ موظف فرنسي ينشبون أظافرهم الاستعمارية في مقدرات الشعب المغربي** ٠٠

ويمتلك الفرنسيون معظم الأراضي الصالحة للزراعة في المغرب ـ **وتصل نسبة الفلاحين المغربيين الى أكثر من ٦٠٪ من مجموع الشعب المغربي** ـ وهم يعملون **أجراء لدى الفرنسيين** ـ في أرض **يجب أن تكون ملكا لهم** ٠٠ فاذا أضفنا الى ذلك ما يقرب من مليونين ونصف المليون عاطل ـ نستطيع أن نرى صورة المغرب تحت الحكم الاقطاعي الرجعي وكيف **تشترى الأصوات الانتخابية بأكياس القمح الأمريكي ـ من الشعب الجائع** ٠٠ !!

أما في الجزائر ـ فقد كافح الشعب الجزائري البطل الاستعمار الفرنسي كفاحا مريرا مقدما التضحيات ـ **التي بلغت مليونا** من الشهداء على مذبح الحرية والاستقلال الوطني ـ وكانت ـ اتفاقية ايفيان ـ **التي فرضتها البطولات العربية في الجزائر والتي اصبحت كالاساطير ـ في عالم كفاح الشعوب لنيل استقلالها ـ ولكن الى اي مدى يمكن أن تسير اتفاقية ايفيان مع فرنسا ـ ومن يكون المستفيد من نتائجها ؟** هل هم المتفاوضون ومحترفو السياسة **أم الجماهير التي قدمت الشهداء في المعركة** ٠٠ لقد كانت **النتيجة الحتمية** لتلك المرحلة النضالية في الجزائر أن يهزم أولئك الذين كانوا يريدون للثورة الجزائرية **ذلك الشكل البرجوازي** ـ الذي يعني **الاستقلال الشكلي فقط** ـ وان يتصدر ـ مرحلة البناء التي تلت الثورة ـ الثوار أنفسهم ـ وعلى رأسهم الزعيم العربي **احمد بن بيلا** الذي عرف معنى النضال في الجبال **ومارسه عمليا** ـ

وتجربة الجزائر الاشتراكية التي تعتمد **على أسلوب التسيير الذاتي** ـ بمعنى أن يقوم العمال أنفسهم بتسيير العمل في المصنع أو المزرعة في ظل قيادة تمثلهم **عن طريق الانتخابات السرية الحرة** ـ لايمكن أن تتم الا بين أفراد شعب **بلغ من الوعي والاحساس بالمسئولية درجة تمكنه من مواصلة العمل الاشتراكي البناء** ٠٠ وقد كان الشعب الجزائري كذلك ـ فقد اثبتت جماهيرنا العربية في الجزائر **أعلى مراحل**

الوعى والاحساس بالمسئولية فى مجال انجاحها للتجربة الاشتراكية فى الجزائر ·· مما جعل الجزائر تختصر الطريق الذى تمر به كل الحركات الاشتراكية فى الدول النامية الذى اصطلح على تسميته ـ **برأسمالية الدولة** ـ وقد هيأت نجاح التجربة الاشتراكية فى الجزائر ـ مزيدا من الاستقرار الاقتصادى للجزائر الدولة والتفاف الشعب الجزائرى باكمله حول قيادته الثورية ـ **مدعما اياها بطاقاته النضالية الواعية ـ فى سبيل بناء المجتمع الاشتراكى التقدمى** ـ الذى يضمن الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص أمام الجماهير ·· وذلك رغم بعض النزعات الاقليمية الفردية التى قضى عليها فور ظهورها ·

ومن خلال العرض السابق لكلا النظامين الحاكمين فى **المغرب والجزائر** ·· نستطيع أن نرى ـ لماذا ـ حاربت الرجعية الحاكمة فى المغرب الجزائر العربية الثورية الاشتراكية ··

ففى الوقت الذى تعلن فيه الرجعية الحاكمة فى المغرب ـ **تخليها عن عروبتها** واعلان **افريقيتها** ـ نراها ـ تطعن افريقيا وقضاياها الحيويةفى الصميم ـ **فالجنرال المغربى كتانى** ـ كان المدبر ـ لقتل الزعيم الوطنى الافريقى ـ **باتريس لومومبا** ـ وهو الذى لم يعتره الخجل عندما ذكر دوره كممثل للغرب فى الكونغو ـ أمام تلفزيون باريس ـ **ثم هروب الحسن من اجتماع مؤتمر القمة الافريقى** فى اديس ابابا ـ وارساله مندوبين عنه لحضور ذلك المؤتمر الذى كان مجتمعا على مستوى الملوك والرؤساء ·· ثم طعنه لقرارات هذا المؤتمر الذى أوصى بضرورة حل المشاكل بين الدول الافريقية ـ بالوسائل السلمية ـ **عندما شن الحرب على الجزائر العربية الافريقية مضافا الى ذلك خضوع المغرب للسيطرة الاقتصادية الفرنسية وفتحه المجال امام الاحتكارات العالمية لسلب قوت الشعب المغربى** ··

نقول ـ مقابل ذلك ـ أممت الجزائر الممتلكات الفرنسية ـ ووضعت النواة الاولى للمجتمع **الاشتراكى ـ واخلصت للقضايا الافريقية والعروبة ـ وذهب المناضلون الجزائريون لتدريب ثوار انجولا** ـ وقدموا المساعدات لكل الحركات النضالية التحررية فى افريقيا ـ **وفى المجال العربى أعلنت القيادة الثورية الجزائرية تضامنها مع أشقائها العرب لتحرير فلسطين ـ وتدعيم قضايا الحرية والاشتراكية والوحدة العربية** ··

اننا هنا نؤكد ان حرب الحدود التى شنها المغرب على الجزائر وقياسا على ما سبق ذكره كانت من أجل القضاء على الثورة الاشتراكية فى الجزائر ومن أجل القضاء على عروبة الجزائر التى تنادى بها تدعمها حكومة الجزائر وشعب الجزائر العربى الاشتراكى ، ان الذى يحارب الاشتراكية العربية فى مشرق الوطن العربى فى اليمن ومغربه فى الجزائر ليس ملوك الورق ـ امثال ـ سعود والحسن ـ ولكنها الاحتكارات الاجنبية فى كل من السعودية ـ والمغرب ـ وشعوب ملوك الورق هؤلاء هم الضحية وحدها فى السلم والحرب ـ واذا كانت مسئوليات الجمهورية العربية المتحدة التاريخية قد فرضت عليها حماية وتدعيم الثورة الاشتراكية ـ فى اليمن والجزائر ـ فان ذلك واجبها الذى لا يمكنها التخلى عنه ـ وليكن معروفا لدينا جميعا ـ ان هناك امكانيات ضخمة تتمثل فى امكانيات السوق الاوربية المشتركة بوجه عام ـ تساند الحكم الرجعى العميل فى المغرب فى حربه مع الجزائر ويجب الا تجرفنا الامانى فى السلام بالنسبة لنتائج اية مفاوضات الى وضع يمكن ان نؤخذ فيه نحن الاشتراكيين العرب على غرة ـ وانما يجب ان ناخذ كل الامور المتعلقة بالصراع بين المتناقضات فى وطننا العربى ـ بالتحفظ المشوب بالحذر والدعم بالاستعداد الدائم للدفاع عن حريتنا واشتراكيتنا ـ ونحن هنا يحدونا الامل فى ان ياخذ عراقنا الحبيب مكانه الطبيعى للدفاع عن الاشتراكية العربية الحقيقية ـ فى كل جزء من اجزاء وطننا ـ بعد انتفاضة شعبنا هناك على مدعى العقائدية ـ والمذهبية الانفصالية ·· ولا يسع الرسالة ولها فى العراق أخوة واصدقاء وابناء ـ الا أن تبارك الانتفاضة القومية الجديدة ـ وهى تهيب باشقائها واصدقائها وأبنائها أن يكونوا يدا واحدة لتدعيم قضايا الوحدة والدفاع عن الاشتراكية ··

والكتاب من تاليف محمود عبد الرحيم والناشر الدار القومية ـ سلسلة كتب قومية ··

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

الذين يحاربون الاسلام

مخطيء كل الخطأ من يعتقد ان الاسلام لا يتعرض الى حرب قاسية فى هذا العصر الذى ابتعد فيه المسلمون عن جوهر الاسلام ، حتى أصبح غريبا عنهم وغرباء عنه ، والمحنة التى يتعرض لها الاسلام تاتيه من الداخل – اى من اهله – ومن الخارج حيث يتعرض الاسلام لأعنف حرب هجومية من خصومه الذين لاينامون الليل فى العمل لتحطيمه ، واظهاره بمظهر التحجر والتأخر ، والسبب فى محاربة الاسلام دون غيره من الاديان الاخرى هو أنه يمثل قوة دفع ثورية ، وان له ايديولوجية حياتية تجعله فى طليعة المذاهب الفكرية فى العالم لا بل فى القمة السامقة التى يعجز كل البشر عن التسلق اليها .. لانه صبغة الله !!.

لذلك تجد الذين يحاربون الاسلام من أعداء الانسانية ينسجون المؤامرات ويدسون الدسائس ! على أنصار الفكر الاسلامى ، كما أنهم يبنون السدود خوفا من تسرب أشعة الاسلام الى الشعوب التائقة الى حياة أفضل .. ومن اجل ذلك تجدهم يصطنعون العملاء ويؤلفون الاحزاب التى تزعم أن عندها افكارا تقدمية وأنها عقائدية تنبثق عنها نظم للحياة لايهام الشباب بأن الاسلام قد انتهى مفعوله ! وأنه غير قادر على حل مشاكل الانسان المعاصر ! وقد صرفوا من أجل ذلك الاموال الطائلة ! ووضعوا الخطوط البارعة .

ولو قمنا بتحليل بسيط لتلك الاحزاب التى وضعت من لبان الأوروبى لوجدنا انها لا تملك من الفكر شيئا وانها جوفاء خالية من المعانى والقيم الانسانية .

واعتقد أنه لا يوجد حر واحد من ذوى البصر الثاقب ، يجهل الدور الذى لعبته الارساليات التبشيرية فى محاربة الاسلام ، من ارسال الشباب الى أوربا وامريكا ، ليتعلموا الوسائل التى تؤدى الى انجاح خطط الاستعمار وتثبيت أقدامه وقد أوحت المعاهد التبشيرية للكثيرين من غير المسلمين فى انشاء الاحزاب القومية التى تعمل خلف الستار لمصلحة الاجنبى .

ان الذين يحاربون الاسلام من الداخل أشد بلاءا من خصومه الذين يحاربونه من الخارج ، لأنهم يمزقون القلب وتمزيق القلب يقضى على الانسان أما تجريح الجلد الخارجى فيمكن تداركه قبل فوات الاوان .

بيروت – عبد الرؤوف التل

***

مدرسة الرسالة فى السودان

بعودة الرسالة الى الصدور لتواصل ما انقطع من روابط الوحدة الادبية الازلية التى امتدت منذ قرون بين جنوبى الوادى وشماله وبين كافة الاقطار العربية ، تعود بى الذاكرة الى جهاد مجلة الرسالة والى تلك الشموع التى كانت تنير ظلمات القارة الافريقية باسرها .. لقد كانت الرسالة اول سفارة عربية مناضلة بين القاهرة وبين الناطقين بلغة الضاد ..

ونحن هنا فى السودان منذ بداية الثلاثينيات ونهاية الاربعينيات والى آخر عدد احتجبت فيه الرسالة .. نحن هنا ندين للرسالة بانها كانت مدرسة ثقافية كبرى تلقينا على يديها دروسا نافعة فى الادب والفن .. فما من اديب سودانى عاصر عهد الرسالة الذهبى الا وتراه يحمل الرسالة فى يده مزهوا بانه من قرائها .. ومن تلاميذها الاوفياء ..

ان هناك خاطرا ما يزال ماثلا امام عينى من امجاد الرسالة .. فقد درجت الرسالة واستنت سنة حميدة وذلك باصدارها عددا خاصا فى عيد الهجرة النبوية ، وكان عدد العام الهجرى فى مطلع كل عام جديد سجلا حافلا وموسوعة كبرى لاحياء التراث العربى الاسلامى وما دمنا بصدد امجاد الرسالة فانى اقترح على استاذنا الكبير احمد حسن الزيات ان يصدر عددا خاصا من الرسالة فى كل عيد من اعياد الهجرة كما كان يفعل سابقا ، فنحن فى زمن أحوج ما يكون النشء من شداة الادب فيه لمعرفة

ماضيهم الخالد ليستلهموا منه العبرة والعظة فى حاضرهم .

وبعد ، ان مدرسة الرسالة فى السودان قد اثمرت وانجبت ادباء الطليعة من الرعيل الاول من السودانيين حتى تبوا بعضهم اوجلهم اكبر مناصب الدولة فى السودان .. هذا الرعيل الاول من رواد الادب من مدرسة الرسالة ما يزال ادباء السودان من الشباب يقتفون اثرهم ويتخذونهم قدوة فى الادب .. ولن اضع القلم حتى اهنىء استاذنا الكبير احمد حسن الزيات بعودة الرسالة فمرحى مرحى بالرسالة ، وبشرى للادب والادباء بالينابيع الثرة تنمى وشائج القربى الادبية بين منابع النيل ومصبه .

الخرطوم : قرشى محمد حسن

***

أين الأمانة الادبية ؟

ان احد طالبى الشهرة عن طريق نشر اسمه على كلمة لى ، كانت الرسالة قد نشرتها فى العدد ٨٣٦ الصادر فى ١٩٤٩/٧/٧ تحت عنوان وضع الزهور على القبور » فقد نقلها بنصها وفصها فى مجلة الازهر فى الجزء اول من المجلد ٣٤ المحرم سنة ١٣٨٢ ولم يشر الى المصدر حتى يتحال من السرقة والعجيب انه يسمى « عبد السلام الحضيرى » وللاسف لم يقع تحت ناظرى هذا الاسم فى اية مجلة من المجلات الادبية اوالدينية .

وانى كمحب للرسالة وصاحبها واقدر جلالها وقدسيتها حتى يجرا كاتب ان يتطاول على منبرها ، وحتى لا يقال ان كتابها قد عفى عليهم الزمن فلم يذكروا ما كتبوه فى تلك المدة القصيرة . الا ان كتاب الرسالة لبالمرصاد لمثل هذا التهافت المشين الذى يردى صاحبه فى هوة سحيقة من الازدراء والاحتقار .

شطانوف ـ محمد منصور خضر

***

مهرجان احمد محرم

لقد كانت لمسة صادقة حية .. من محافظة البحيرة .. أن تحتفل بهذا الشاعر .. الذى حقق قول المفكر الالمانى فى أن يقول الفنان كلمته .. ويتمزق دونها .. وهناك مفكر عربى آخر .. وهو ـ جبران خليل جبران ـ همس فى كل اذن بهذه التضحية الرائعة الوديعة : قل كلمتك وامش !!

ومحرم الفنان الصادق .. والشاعر الذى شق طريقه نحو الخلود .. عرف أن يقول كلمته دون ان يتمزق .. ولم يلقها ومشى... ولكن قالهاوظل صامدا لها .. فقد كانت الظروف كفيلة ان تطبق شفتيه .. ولكن تحدى الظروف .. وعبر عن خواطره وانفعالاته بقوة وطلاقة فندد عام ١٩٠٨ بالملكية .. فى عمق ووطنية فى قصيدة له يقول فيها :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
شرفا ويزعم انهم شرفاء
رتب والقاب تعز وما بها
فخر لمحرزها ولا استعلاء

فتحية لمحافظة البحيرة لاكرامها شاعرها ... الوطنى الصادق ... وتحية للاستاذ الاديب فوزى الميلادى على مقاله « بالرسالة » (اللمحات الانسانية فى شعر محرم) ...

ملوى ـ فاروق يوسف اسكندر

***

من ابن الى استاذه الروحى

انها مشكلة بلبلت فكره ولم يجد من يعرض عليه ما يحيره غير قلبكم الكبير ، ومشكلتى ياسيدى .. اننى شاب فى السابع والعشرين ـ من عمرى ـ اصبت بمرض شلل الاطفال وظللت اطرق ابواب العلاج دون جدوى ، واخيرا بعد ان القيت عصا الترحال.. اردت الا يقعدنى مرضى عن ان اكون مواطنا نافعا لوطنى .. فاتجهت الى طريق العلم ، وحصلت على الثانوية العامة بعد جهاد مرير .. اذ انى لم استطع الذهاب الى معهد او استعين بمدرس ـ لظروف الصحية والاجتماعية . وقدمت اوراقى الى مكتب التنسيق للالتحاق بكلية الاداب .. بجامعة القاهرة اذ انها قريبة من منزلى ، وكلية الاداب بها المجال العلمى الذى انتفع به عمليا .... فحولت اوراقى الى حقوق عين شمس ، هذه هى المشكلة يا سيدى .

ماذا اعمل بدراسة الحقوق ؟ ... هل انفع فى فى سلك المحاماة وانا بحالتى الصحية الراهنة ؟ وهل يقبل موكل من محاميه ان يدخل المحكمة بكرسى متحرك ؟

ان مجالى الوحيد كما ترون سيادتكم لا يكون الا الكتابة وليس لها مضمار الا « الآداب »

ان مسكننا قريب من الجيزة ، والعباسية حيث توجد جامعة عين شمس بعيدة جدا ومرهقة لى ولن يوصلنى ... فماذا ترون ياسيدى ؟ هذه مشكلتى وضعتها بين يديكم .... وانا واثق انها ستحظى بنظرة عطف من المسئولين

سامى سيد محمد

أخبار علمية وأدبية

● اصدرت الشركة العربية بالقاهرة كتاب (ادارة الشرطة فى الدولة الحديثة) للسيد اللواء محمود السباعى وكيل الأمن العام ، وعضو لجنة السياسة العامة والتخطيط بوزارة الداخلية ٠

الكتاب مجلدان فى ١٢٠٠ صفحة ، يبحث فى نشأة نظام الشرطة وتطوره فى أربع دول يمثل كل منها نموذجا خاصا ، هى مصر وبريطانيا وامريكا واليابان ، قدم له السيد / اللواء عبد العظيم فهمى وزير الداخلية ، وفاز الكتاب بالمدالية الذهبية فى مهرجان الكتاب العربى ٠

● نجحت عمليات كتل الدم المتجمدة فى الأوعية الدموية باستخدام بالونات دقيقة على طرف انابيب تدفع فى الوعاء الدموى من شق يحدثه الجراح قرب الكتلة ٠ ويكون البالون غير منفوخ ، فاذا وصل قرب الكتلة سمح له بان يمتلأ بالدم وفيه الكتلة أو الكتل ثم يسحب الجميع الى خارج الوعاء الدموى مما يخلصه من هذه الكتل التى تعوق سير الدم فى الجسم ٠

وقد جربت هذه الطريقة على عدد من المرضى بمستشفى الراعى الصالح بولاية سنسناتى فسجلت نجاحا كبيرا ٠

● صدر للدكتور مصطفى زيد استاذ الشريعة الاسلامية بدارالعلوم كتاب «النسخ فى القرآن الكريم» فى مجلدين ٠

الكتاب دراسة تشريعية تاريخية تناقش قضية النسخ وموقف الأصوليين والمفسرين منها ٠

● تناقش الجمعية الأدبية (٣ ش قوله عابدين) فى ندوتها مساء الثلاثاء القادم كتاب «**سيف بن ذى يزن**» للاستاذ **فاروق خورشيد** ٠

يشترك فى المناقشة الدكاترة والاساتذة : عبد الحميد يونس ؛ لويس عوض ؛ حسين نصار ؛ عباس خضر ؛ فوزى العنتيل ؛ عبد الرحمن فهمى ؛ محمد عبد الواحد ، ويقدم الندوة الاستاذ صلاح عبد الصبور ٠

● ينتظر أن يتقدم موعد الذهاب الى القمر سنه عن التوقيت الذى سبق تحديده وهو ١٩٧٠ ٠ فقد تقرر ان تبدأ تجارب تحليق السفينة ابوللو التى ستنقل رجال الفضاء الى القمر فى عام ١٩٦٦ ٠ وكان توقيتها السابق ١٩٦٧ ٠

وتتالف هذه السفينة من ٣ أجزاء هى مركبة القيادة ومركبة خدمات تزود بالوقود ومواد الطعام وبعض المحركات ثم المعديه التى تنفصل عن مركبة القيادة لتهبط برجلين على القمر وبعد استكشافه تعود الى السفينة الأم التى تواصل الدوران حول القمر

اما فى سنتى ٩٦٤ و ٦٥ فسينفذ مشروع جيمينى الخاص بتدريب رجال الفضاء على الحياة فى الفضاء واحتمال حالاته وطوارئه ٠

● صدر فى القاهرة أخيرا العدد الاول من مجلة الفندق العربى ، باللغتين العربية والانجليزية ، لتعميق الوعى السياحى وشرح ما يتصل بالاعمال الفندقية ؛ والمجلة صدرت عن المؤسسة المصرية العامة للسياحة والفنادق ٠

هذا ـ وسيصدر فى الاسبوع الاول من شهر ديسمبر القادم العدد الاول من مجلة الاشتراكية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة ، كما ستصدر فى الأيام القلائل القادمة مجلة للمسرح تعالج مشكلات المسرح وتنشر الثقافة المسرحية ٠

● كان موضوع رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الدكتور محمود عساف ونوقشت فى جامعة عين شمس (الاعلان ومشكلات المندوبين) اشترك فى مناقشة الرسالة التى استمرت ساعتين الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، والدكتور عبد العزيز عبد الكريم عميد كلية تجارة عين شمس ، والدكتور عبد الغفور يونس عميد كلية تجارة الاسكندرية ٠

● زار القاهرة منذ أيام الدكتور جورج حورانى استاذ الفلسفة فى جامعة ميتشجان بأمريكا ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة ستدرس ابتداء من العام القادم (الفلسفة الاسلامية) لطلبتها ، وسيشرف الدكتور حورانى على هذه المادة ٠

قصة العدد

السراب

للدكتور نجيب الكيلاني

فاجاته نوبة سعال عنيفة ، فاخذ جسده يهتز تحت وطاتها هزات متتالية ، وسرت زرقة واضحة فى وجهه ، وتندى جبينه بالعرق ، وتسارعت ضربات قلبه ، وبعد دقيقتين او ثلاث ارتمى على المصطبة لاهث الانفاس وكانه قد فرغ لتوه من سباق مرهق طويل بذل فيه جهدا جبارا .. ثم تنهد .. ودار بنظراته المتعبة عبر الصالة المعتمة الرطبة .. ان اشق شيء على نفسه أن يرتمى هكذا عاجزا مقهورا ، يشل ارادته ذلك الداء الخبيث الذى يعمل فى صدره دون هواده .. رحم الله الايام الخوالى عندما كان يسبق الشمس الى حقله حيث الزرع الاخضر الذى يدخل البهجة على قلبه .. وحيث الساقية تترجم عن شجوها فى نغم مؤثر حنون ، وحيث الندى يترقرق كالفضة الذائبة على الاوراق الخضراء ·· كل شيء كان جميلا رائعا ·· حتى الحر اللافح الذى ينصب على راسه وجسده فى عز الظهيرة لم يكن يبعث فى نفسه شيئا من الملل او التمرد .. كان فقيرا .. لكنه يعمل ويكسب و .. ويحب « لواحظ » .. فقيرة مثله لكنها امله وحياته . فى عينيها الواسعتين كان يرى امتداد الامل واشراقة الغد المجهول ، وفى ملامحها الدقيقة الفاتنة تتجلى قدرة الخالق الذى صور فابدع .. وكان خجلها وصمتها المعبر يجذبانه اليها فى قوة لا تقاوم .. وهكذا عاش كالمسحور فى دنياه الحلوه الحقل .. والساقية .. ولواحظ .. و شعر آنذاك ان الله قد رزقه اجل نعمة ، واسبغ عليه سعادة ما كان يحلم بها ·· ومن ثم كان يردد بينه وبين نفسه : « لا شك يارشاد ان امك قد دعت الله فى ليلة القدر .. وكانت السماء قد فتحت ابوابها ، فاستجاب الله لدعائها .. » وخيل الى رشاد فى تلك الايام انه اسعد حظا من « النبراوى باشا » صاحب العزبة المجاورة .. لكن حدث مالم يكن ينتظره .. ففى خلال اشهر قليلة شعر بتحول كبير فى طبيعته ·· فالوهن آخذ يدب فى اعضائه ، ووجهه ساده شحوب ظاهر ، وتحول مرحه ونشاطه الى وجوم وخور .. كان ينتزع نفسه من فوق حصيره انتزاعا ، ولا يكاد يرفع فاسه ويضرب بها الارض السمراء مرتين او ثلاث حتى تتلاحق انفاسه ، وتدور به الارض ثم تنتابه موجة عارمة من السعال يرتمى بعدها مهزولا محطما ، ولم يخف ذلك على « لواحظ » .. كانت تشعر بانقباض وخوف ، وكانت الرؤى المخيفة تؤرق عليها نومها .. فلو صارت الامور على هذا المنوال لتعطل مشروع زواجها ، ولتعرض رشاد لاخطار لا يعلم الا الله مداها ، ومن ثم لم تقف جامدة ، بل أسرعت الى أحد المشايخ ، فاشار عليها بتعويذة تشفى من كل داء ، وتبعد عنه عين الحسود ، ولما لم تجد التعويذة نفعا ، نقلته الى « الزار » حيث سعد بدقات الدفوف ، والحان الناى الراقصة ، والاغانى الشيقة التى تثير الشوق والدفء فى الروح والجسد .. لكنها هى الاخرى لم تات بفائدة تذكر ، ولم يبق امام « لواحظ » سوى أن تركبه حماره وتاخذ بيده الى الطبيب ، وهناك صدمتهما الحقيقة القاسية المرة .. ان رشاد مصاب بداء خبيث فى صدره ولا بد من دخوله « المصحة » .. والمصحة هناك بعيدا فى المدينة الكبيرة .. وذهب رشاد .. لكنه عاد دون ان يجد مكانا .. عليه ان ينتظر ستة اشهر .. وغمغم رشاد فى حسرة « ستة اشهر ؟! مستحيل !! معنى ذلك الموت .. وانا ارفض ان اموت .. ان خمسة وعشرين عاما عمر قصير .. ولواحظ هى الاخرى تابى ان اموت .. اليست هناك طريقة للخلاص ؟ أنا على استعداد لان ابيع الفدان الذى املكه لا شترى حياتى .. » ثم التفت الى لواحظ وهتف والدموع تنبثق من عينيه : «قلبى يحدثنى يالواحظ انى لن أموت ، وصرخت لواحظ فى رهبة : « ما الذى اورد ذكر الموت على بالك ؟ ولم يجب رشاد ، وطواهما صمت دام حزين .. وشعرا وهما يسيران فى شوارع المدينة الكبيرة بانهما وحيدان منبوذان فى ذلك العالم

الصاحب الانانى .. لكن ملامح لواحظ اشرقت فجاة ، ورقصت اطياف المنى على اهدابها الفاتنة وهتفت فى مرح صبيانى : —

— « عندى فكرة »

— « قولى يا لواحظ .. تكلمى .. راسى ملىء بالسواد والظلام .. يكاد اليأس يقتلنى ... »

قالت وهى تدق الارض بقدمها فى ثقة : —

— « الباشا .. »

— « الباشا ؟! انه ليس طبيبا .. »

— « النبراوى باشا يصنع المستحيل .. هل سمعت أن هناك بابا يغلق فى وجه الباشاوات ؟؟ الدنيا كلها تحت امرهم .. ان رقعة صغيرة من الورق عليها اسمه هى مفتاح كل خير .. »

فرد عليها فى شىء من الريبة :

— « ومن يتيح لنا فرصة لقائه ؟؟ »

— « الانتخابات .. انها الموسم الذى يتجلى فيه سعادته على اهل الدائرة ويبتسم لهم ، ويوزع عليهم الاموال بلا حساب .. ونحن لا نريد مالا .. بل خطاب توصية لمدير المصحة .. »

***

كانت هذه الذكريات والخواطر تنساب فى راسه وهو جالس على المصطبة بجوب الصالة المعتمة بنظراته المتعبة ، وكان ينتظر لواحظ كى يذهبا للقاء الباشا كما اتفقا . وعندما بلغا القصر الكبير وقت الظهر وجدا حشودا ضخمة ، وهتافات صاخبة ، والصاف العراة مبعثرين على عتبات القصر وفى الساحة الكبيرة . وخارج سور الحديقة الواسعة ، وعدد من ذوى العاهات يمدون ايادبهم فى الهواء دون ان يسقط فيها شىء ، ومكبر للصوت يردد قصائد شعرية ، وهتافات منغومة عن رجل البر والاحسان .. حبيب الشعب . عدو الاستعمار .. نصير العامل والفلاح .. الخ ..

قالت لواحظ وقد اخذتها روعة المشهد !

« عندما ياتى الباشا تقدم اليه فى شجاعة وقل له ما تريد .. »

— « والزحام يا لواحظ ؟! اخاف ان تدوسنى الاقدام .. »

— « لاتخف .. ساكون الى جوارك .. »

— « ربنا يستر .. »

وقبيل العصر بقليل سمع الحاضرون ابواق عدد من العربات فهاج الجميع وماجوا ، وشقت الهتافات عنان السماء ، ولوحت الأيدى العجفاء السمراء ، وتطاعت الوجوه الشاحبة نحو الطريق ، وتصاعدت الى الجو سحابة من غبار ، ومدت لواحظ بصرها باحثة عن بغيتها بينما قال رشاد :

— « هل جاء الباشا ؟؟ »

— « لم اره بعد .. »

— « اخاف ان نغرق فى الزحام .. »

— « انتظر .. انه هو .. »

كانت تشق الطريق فى جسارة واصرار ، وتجر رشاد خلفها ، وعندما حاولوا منعها دفعتهم فى استماته حتى وقفت امام الباشا ، وشجعتها ابتسامته التقليدية ، فالقت بتوسلاتها وسط الصخب والضجيج ، ونظر الباشا اليه قائلا :

— « سادخلك المستشفى على شرط أن تعطينى صوتك اولا .. »

— « ربنا يعمر بيتك .. »

— « بعد الانتخابات ستدخل ، وستكون صحتك كالحصان .. »

ومضى الباشا فى طريقه ، كان يخوض بحرا من الزحام والضجيج والغبار ، وابتعد رشاد ولواحظ ، واتخذ ركنا قصيا ، وهمس :

— « لكنه لم يسالنى عن اسمى »

— «لايهم .. لقدوعد .. الباشاوات لايكذبون .. »

ونجح الباشا ، لكنه لم يعد طوال العام الى عزبته ، وظل رشاد يحلم بدخول المصحة .. ولم يمت الامل فى قلبه .. وظلت لواحظ فى انتظار اليوم الموعود .. وقبل ان تنقضى الشهور الستة ، أو يتحقق وعد الباشا .. مات .. مات رشاد ..

دكتور نجيب الكيلانى


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

العدد ١٠٣٧ ـ الخميس ١٢ رجب ١٣٨٣ هـ ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

وأخيرًا وجَدَ العراق الطريق

بقلم: أحمد حسن الزيات

كان العراق أيام كان حكامه ناسا كالناس وعربا كالعرب مظهرا للقومية العربية، ومصدرا للقوة الاسلامية؛ ومجمعا للقيادة الروحية والثقافية والحضارية للشرق والغرب. فنى فى وجوده العارم الخصب كل جنس فلم يبق متميزا غير العرب، وكل دين فلم يبق ظاهرا غير الاسلام؛ وكل لسان فلم يبق حيا غير العربية، وكل سلطان فلم يبق قاهرا غير الخلافة.

ثم كان الفلك يومئذ يدور عربيا على ملكوت محمد من شرقي آسيا الى غربي أوربا؛ فتشرق شمس الحياة والمعرفة من أفق الرشيد في بغداد لتلقى أضواءها الهادية على ملك العزيز بالله فى القاهرة، ثم ترسل من هناك أشعتها المحيية على سماء الناصر فى قرطبة. ومن هذه الخلافات الثلاث التى انبثقت من العراق في القارات الثلاث ظهرت كلمة الله وبهرت حقيقة العلم وازدهرت مدنية الانسان واتسعت دنيا العرب. كذلك كان العراق أيام كان من خلفائه هرون والمأمون، ومن وزرائه الفضل وجعفر؛ ومن فقهائه أبو حنيفة وأبو يوسف؛ ومن أدبائه الاصمعي وأبو عبيدة، ومن شعرائه بشار وابن الرومي؛ ومن متصوفيه البصري وابن سيرين. فلما غربت الشمس وجزر المد ووهن السلطان واستعجم اللسان وجفت مشارع الرافدين فنقت فوقها الضفادع وسعت حولها الافاعي، آل السلطان به الى الانجليز والبترول، وانتقل الحكم فيه الى عبدالاله ونورى. ثم استوخم الامر واستفحل

الشر فآل بعدهما الى قاسم والمهداوي · ومنذ يومئذ غامت سماء العراق بركام من السحائب الجون لا تحمل الماء ولكن تحمل الدم · ولا ترسل الغيث ولكن ترسل السم . وتحت رعودها القاصفة ، وبروقها الخاطفة تنساب فى الظلام الداجي زمر من شياطين الانس يمجون الكفر ويشيعون الفحش وينشرون الارهاب ويلحون على المؤمنين الآمنين بالقتل والسحل والتعذيب ليخرجوهم من الاسلامية الى الشيوعية ! ومن العربية الى الشعوبية ! ومن شعب له كون بارز فى الوطن العربى الاكبر الى مجتمع من أخلاط لا يجمع بينها لسان ولا مجد ولا تاريخ !

كانت ثورة الرابع عشر من شهر تموز التى قام بها العربى المؤمن عبد السلام عارف ورفاقه الأبرار الأحرار هى النار التى أحرقت الطغيان وأضاءت الطريق وطهرت الأرض وحررت الشعب ولكن ارادة الله قضت أن يكابد العراق مزيدا من المحنة والتمحيص فلم تكد الثورة تحاول تعويض ما فقد واصلاح ما فسد وجمع ما شت حتى قامت الشيوعية المحلية فانبعث عبد الاله فى عبد الكريم ، وحلت روح نورى فى جسد فاضل ! وآزرتهما عناصر الشر جمعاء ! فاطفأوا الثورة بدماء من شبوها من الضباط الأحرار وفجعوا الوطن العربى كله فى صفوة من بنيه الأطهار ، واغلقوا بيوت الموصل وكركوك وبغداد على أيامى ويتامى وعجزة ! قتلوا عائليهم أو اعتقلوا أهاليهم وتركوهم للدموع والجوع والقلق والخوف كالاغصان الاماليد والازهار النواضر اجتثت أصولها من فوق الارض فما لها من قرار ·

سرق هذه الثورة طاغية من الطراز الادنى مسه جنون العظمة وغرور السلطان ففعل بالعراق ما لم يفعله من قبله الحجاج والقرامطة والزنج والتتار والترك والانجليز ، فجعل الابن يعق أباه والاخ يقتل أخاه والمسلم يكفر بربه والعربى يبغى على قومه وبعض الناس يصيحون فى شارع (الرشيد) وفى ساحة (المأمون) : لا اسلام ولا عروبة !

جزع عبدالسلام عارف مرة أخرى على ثورته وامته وعروبته وعقيدته فجمع أمره وهو يعانى وحشة المعتقل وقسوة المعاملة وثار على الطاغية الصغير كما ثار على الطاغية الكبير ، ونفذ قضاء الله فيه · وكان اليوم الرابع عشر من رمضان تصحيحا لليوم الرابع عشر من تموز انجاب فيه الضباب واستبان الطريق وانتعش الامل وأسفر العراق الحر عن وجهه العربى المحمدى · وفكر الرئيس عارف أول ما فكر فى الوحدة التى انكرها قاسم العراق وفصمتها رجعية سورية فاتصل بالقاهرة ودمشق ، وتلاقى الاخوة وجها لوجه ولسانا للسان وقلبا لقلب فى مجلس أخيهم الاكبر الرئيس جمال عبد الناصر، وفى أيديهم اعلام العباسية والفاطمية والاموية مصورة فى علم واحد ذى ثلاثة ألوان وثلاث نجوم ! وتذاكروا أمانى الاخوة وتمثلوا رغائب الامة وتناشدوا أغانى الوحدة وتساقوا كؤوس المودة مترعة من كوثر النيل ورحيق بردى وسلافة دجلة ، وصاغوا كل أولئك فى ميثاق عربى جمع الاقطار الثلاثة فى اتحاد عام يوحد فيه الاسم والرئيس والعلم والجيش والدستور والتعليم والاقتصاد والخطة والغاية فلا يبقى وراء ذلك كله الا شئون محلية يختص بها اقليم دون اقليم ، ويختلف فيها قطر عن قطر ·

ابتهج العرب بميثاق الوحدة الثلاثية واعتقدوا أنه الأساس المتين لقيام الجمهورية العربية المتحدة بنجومها الثلاث عشرة متى زالت الحوائل العارضة التى تحول بين الفرع وأصله ، وتفصل بين الجزء وكله ·

ولكن ارادة الله قضت أن يكابد العراق والعروبة مزيدا من المحنة والتمحيص ، فابتلى الله الوحدة والميثاق بطاغية عجيب التكوين غريب الخلقة اسمه « البعث » مسته حواس العصبية الحزبية وادركته نقائص النفس (القاسمية) ، فأراد أن يجرب التجربة الثالثة فى أقانيمه الثلاثة : السعدى والحافظ وعفلق : فمزق الميثاق وفرق الرأى وحاول أن يجمع رقاب أمتين عريقتين فى غل واحد يقود به سورية والعراق قهرا الى فاشية الحزب كما يقاد القطيع الى مدية المجزر . فقيدوا حرية الشعب فى السجون ! وعلقوا رؤوس الاحرار على المشانق ! وأشلوا على الناس كلاب الحرس البعثى المسلح يرعبونهم فى المنازل ! ويذبحونهم فى المدارس ! وينهشونهم فى الشوارع ويطاردونهم اذا هتفوا للوحدة أو صفقوا للاتحاد ·

فعلوا ذلك وأكثر منه بعد ما أصموا آذانهم عن نصح الرئيس ، واغمضوا عيونهم عن بؤس الشعب واكرهوا ذاكراتهم على أن تنسى مصير قاسم وقد كان اشد منهم بأسا وأقوى كيدا وأكثر شيعة · فلم يكن بد للرئيس عارف من أن يضرب ضربته الثالثة فضربها فى اليوم الثامن عشر من تشرين فزلزلت الارض من تحت أقدام البعثيين العابثين ، فبعض هلك ، وبعض أسر ! وبعض فر · وحقق أبو الثورات

رجاء العرب فيه . وكنت فيمن رجوهيوم تقدمت اليه بكلمة في الرسالة وهو في القاهرة قلت فيها : « ان العصبية الحزبية في البعث السوري تعصف بميثاق الوحدة عصف الرياح الهوج بالشجرة الغضة . ولعله لم يترك منها الا جذعا سليبا يستند اليه في خداع الأغرار وهيهات أن ينخدع به احد ! والرئيس العراقي وهو من رواد الوحدة الاوائل ، ومن قوادها القلائل جدير بأن يسكن هذا الربع العقيم في سورية بحزمه؛ ويصد سمومها عن سياسة العراق بعزمه »؛ فكان جواب الرئيس الى تحية طيبة مؤمنة ! وكلمة واعدة مطمئنة .

ان الثالثة ثابتة كما يقول المثل ، وان الرئيس العارف بفضل ما آتاه الله من الصدق والصبر والايمان قد وجد بين العقاب القائمة والشعاب القاتمة والسماء الغائمة الطريق المؤدى الى الوحدة الشاملة والاشتراكية العادلة والحرية التي تزكو بالعراق العريق . ولن يخامرنا الشك في أن العراق سيسير وراء رئيسه في هذا الطريق فان المعهود في طبعه والمعلوم من تاريخه أنه يعوق ولكن لا يضل ، وأنه يستذل ولكن لا يذل وأنه يستضام ولكنه لا يصبر على الضيم الا ريثما يتحفز للوثوب ؛ فاذا وثب كسر القيود وحطم الاغلال وادب الطغاة .

احمد حسن الزيات

تصويب خطأ

جاء في السطر الثالث من الصفحة الثالثة من عدد الرسالة الماضي :

« ان أدبنا اذا لم يتجه الى تثبيت الاشتراكية في النفوس ... الخ » والصواب « ان أدبنا اذا ما اتجه الخ » .

حول الشعر الجديد

عزيزي الاستاذ رجاء النقاش

قرأت في أخبار الجمعة كلمتك التي ناقشت فيها رأيي في الشعر الجديد وانكرت أن يكون النموذج الذي بنيت عليه مقالي في الرسالة من الشعر الجديد.

والامر الذي أحب ان أذكرك اياه أن هذا النوع من الشعر الذي يحتفظ بالوزن ويتحلل من قيد القافية لم يكن جديدا ، وانما هو الشعر المرسل كما نسميه أو الشعر الابيض كما يسميه الفرنج . والمثال له هو المقطوعة التي سقتها أنت من شعر نازك الملائكة لو التزمت التفاعيل . وكان أول من استحله الشاعر الايطالي (ترسينو) سنة ١٥٢٥ فانكره قوم وعرفه آخرون . ولكن الآذان لم تلبث ان الفته وصغت اليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض دراماته. ثم تطور وغلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من الوزن والقافية ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت آخر من اربع او أكثر. وذلك هو الشعر الحر . والمثال عليه المقطوعة التي صدرت بها مقالي في الرسالة . وكان أكثر ما يستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطولات اشفاقا على الشاعر والقارىء من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة. وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر المرسل في العروض الاوربي أن القافية بمعناها العربي لم تكن عنصرا جوهريا في الشعر الافرنجي قبل أن يقتبسها شعراء جنوبي فرنسا وهم (التروبادور) الذين أخذوها عن عرب الاندلس بحكم الجوار والمخالطة كما قال المؤرخ الفرنسي لويس فياردو في الجزء الثاني من كتابه (تاريخ العرب والبربر في أسبانيا) .

وللشعر المرسل جذور في الشعر العربي القديم فقد روى أبو عبيدة لابنة أبي مسافع وقد قتل ابوها يوم بدر :

فما ليث غريف ذو
أظافير واقدام
كحبي اذ تلاقوا و
وجوه القوم الوان
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبد آن
وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام

والشعر المرسل مقبول في القصة والمسرحية ـ كما فعل وأجاد الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في مأساة (جميلة) ـ ما دام يلتزم الوزن وتساوي التفاعيل . وقد عالجه من المعاصرين على هذا الشرط السيد توفيق البكري وصدقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري وفريد أبو حديد وزكي أبو شادي .

اما الشعر الحر الذي ينظم فيه اليوم أكثر المتمردين على عروض الخليل فليس من الشعر في شيء . وانما هو نثر مسجع ان التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية ومرسل ان كان غير ذلك .

هذه كلمة لابد منها في التفرقة بين الشعر المرسل والشعر الحر ، فلعلها تزيل الخلاف بيني وبينك فنتفق على ما نأخذ من هذا الامر أو ندع .

احمد حسن الزيات

الإسلام دين الإنسانية والسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

جاء الاسلام والناس فريقان : اهل شرك ووثنية ، واهل دين يتمثل فى اليهودية والنصرانية ، فكان له من الشرك والوثنية موقف ، ومن اليهودية والنصرانية موقف :

فأما موقفه من الشرك والوثنية ، فكان موقف النقيض من النقيض : يبطل عقائدهم ، ويسفه احلامهم ، وينكر آلهتهم ، ويحاربهم بكل الوان الحرب . ذلك بأن العداوة بينه وبينهم اصلية اساسية ، لأنها فى القضية الاولى التى جاء بها كل الانبياء ، ونزلت بها كل الكتب قضية التوحيد واخلاص العبودية لله تعالى .

واما موقفه من اهل الدين اليهودى والنصرانى ، فكان هو السماحة بعينها ، او كان بلغة عصرنا : هو الرغبة فى (التعايش السلمى) المبنى على احترام كل فريق للآخرين ، والتعاون على تحقيق الاهداف المشتركة فى اقتلاع جذور الوثنية وتكريم الانسان من ان يرزح تحت اوزارها ، او يتجلل بخزيها وعارها :

● فكان من تلطف الاسلام معهم ان سماهم « اهل الكتاب » وهى تسمية جميلة ، فيها اعتراف بهم وتقرير ، لانهم اهل دين سماوى ، واعتداد بما عندهم من اصول الحق ، واسس الخير ، وفى هذه التسمية ايضا براعة فى توجيههم الى الطريق المستقيم ومناشدة لهم باسم كتابهم ان يفيئوا الى الحق ، كأنه يقول لهم : انتم اهل كتاب ، واصحاب علم ، فجدير بكم الا تقفوا من دعوة الحق الا موقف المؤيد لها ، المتعاون معها ، وفى القرآن الكريم من هذه المناشدة آيات قوية ذات تأثير عقلى وعاطفى ، كقوله تعالى « يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ، يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ، يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم الى صراط مستقيم » .

● والقرآن الكريم يفرق بين صالحيهم وطالحيهم ويعطى كل فريق حقه ، ملتزما جادة العدل والصدق ، فيقول : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما » « وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب » « يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

فكل هذه الآيات فيها انصاف ، وفيها قصد فى الحكم ، واحتياط فى التحذير ، وبرهان على ان الاسلام لا يبغى تعصبا ، ولا يريد ان يعادى الا من يعاديه ، وفيها فى الوقت نفسه تعويد للمسلمين على المرونة مع الاحتياط ، وعلى ان يفرقوا بين قوم وقوم ، والا يتخذوا الناس كلهم اعداء فيصيروا بذلك فى عزلة عن العالم ، والا يأمنوا جانب كل فريق ولو كان من دابه مخادعتهم ، والعمل على زلزلة مجتمعهم ودينهم واخلاقهم فان فى هذا غفلة لا تليق بالمؤمنين .

● وقد رسم القرآن الكريم طريقة مجادلتهم من حيث الاسلوب والموضوع : فأوصى بأن يكون جدالنا معهم هادئا حسنا ما داموا غير متعنتين ، وبأن يكون اساسه ان دعوتنا ودعوتهم واحدة ، وفى هذا وذاك يقول الله جل شأنه « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد » « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » .

● وقد اباح الاسلام طعام اهل الكتاب ، واحل ذبائحهم ، واجاز للمسلمين ان يتزوجوا من نسائهم ، وجعل للزوجة الكتابية التى يتزوجها المسلم جميع حقوق الزوجية ، وجعلها حرة فى اقامة شعائر دينها ، وبهذا وجد مسلمون ذوو امهات واخوال من اهل الكتاب ، ووجدت تبعا لذلك الرحم بين الاسرة المسلمة والاسرة الكتابية .

● وقد ارشد الله المسلمين الى ان الاختلاف فى الدين لا يصلح بذاته سببا للقطيعة والجفاء ، فقال جل شأنه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وبهذا برىء المسلم من الضغينة التى مبعثها

الاختلاف في الدين ، وصار مكلفا بان يعدل في معاملة مخالفه ، بل بان تكون معاملته له على اساس البر ، والبر فوق العدل ، وانما نهى القرآن عن موالاة اعداء الله : اعداء الحرية الفكرية الانسانية في الاعتقاد ، والحرية السياسية في الاوطان ، من كل من قاتلهم ليخرجهم من دينهم ، او ليخرجهم من اوطانهم ، او عاون على اخراجهم وتشريدهم . ان على المسلمين ان يرفضوا موالاة هؤلاء او التعاون معهم ، وهم في ذلك اصحاب حق طبيعي انساني مشروع ، وليسوا في تمسكهم بهذا الحق متعصبين ، ولا خارجين على مقتضى الانسانية والسلام .

***

ولقد كان للمسلمين موقف من مواقف الشرف الانساني وتفوه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم كانت الدعوة الاسلامية تكافح وتناضل في سبيل اعلاء كلمة الله ، في سبيل التوحيد والوحدة، في سبيل اقرار حق الانسان في الحرية ، وفي الكرامة وفي التفكير ، وفي كل معنى من المعاني التي لا تستقيم انسانيته الا بها ، ولا تستقر حياته الا عليها .

هذا الموقف هو ما يحدثنا به التاريخ من ان بلاد العرب كانت يومئذ تجاور دولتي الروم والفرس ، وقامت بين هاتين الدولتين حرب شديدة ، وكان العرب يتتبعون اخبار هذه الحرب في شغف وتلهف ، كما تعودت الشعوب في ايام الحروب :

كان المشركون من اهل مكة يتمنون ان ينتصر الفرس على الروم ، لانهم وثنيون مثلهم ، لا يؤمنون بالله ، ولا ببعث ولا نشور ، وكانوا يريدون بذلك ان يفتوا في عضد المسلمين ، ويفهموهم ان الروم انما غلبوا لانهم اهل دين وكتاب ، حتى يشعروهم بالمرارة والالم واليأس من الانتصار .

وكان المسلمون يودون لو انتصرت الروم على الفرس لان الروم من اهل الكتاب ، وكتابهم هو الانجيل ، والمسلمون ايضا من اهل الكتاب ، وكتابهم هو القرآن ، اما الفرس فعباد اوثان .

فلما غلبت الروم ، وانتصرت الفرس ، تطاولت اعناق المشركين من اهل مكة فرحا ، وصاروا يتلاقون في الاندية والطرقات يعانق بعضهم بعضا ، ويتبادلون التهنئة بفوز الفرس ، واندحار الروم .

وكان المسلمون على العكس من ذلك .

وبلغ الامر بالمشركين الى انهم كانوا يتهكمون بالمسلمين ، ويبشرونهم بيوم من الهزيمة كيوم الروم ، حتى ابدى احدهم من السرور امام ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما اغاظه واحرج صدره ، فقال له : لا تعجل بالمسرة ، فسيأخذ الروم بثأرهم .

وما لبثوا ان انزل الله في ذلك قرآنا حيث يقول في مطلع السورة المعروفة بسورة الروم :

« الم ، غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

ولم تمض بعد ذلك الا تسع سنين حتى انتصر هرقل ملك الروم ، وهزم فارس واسترد منها الشام ففرح المؤمنون بهذا النصر فرحا عظيما ، وكبت به المشركون .

***

ما الذي نفهمه من هذا الموقف :

اننا ندرك منه ان الاسلام دين مبادىء لا دين اشخاص ولا منافع .

فهو يؤثر النصر لأهل الكتاب ، والهزيمة لأهل الشرك والوثنية .

لانه يرى اهل الكتاب اقرب الى مبادىء الحق التي جاء بها ، فهم يؤمنون بالله ربا ، وهم يعتقدون بالبعث والحساب .

اما الوثنيون فهم لا يعرفون ربا ، ولا يرجون بعثا ولا نشورا ولا حسابا .

وهكذا الدول الحصيفة تنظر الى المبادىء فتمنح حبها ومودتها وتمنياتها للفريق الذي تعلم انه يحتضن المبادىء السليمة ، وتنظر الى المجاهدين في سبيل هذه المبادىء نظرة اكبار واعجاب ، وتفرح لهم اذا اصابوا نصرا ، وتحزن من اجلهم اذا اصابتهم هزيمة وتعمل كل ما استطاعت على مؤازرتهم وتأييدهم .

ونحن الآن ـ شعب الجمهورية العربية المتحدة ـ امة ذات دعوة اصلاحية ، ومبادىء اجتماعية ، قررنا ان نعيش من اجلها ، او نموت في سبيلها .

فلا يمكننا ابدا ان نمالىء المستعمرين واذناب المستعمرين ، على اصحاب المبادىء الصالحة .

ولا يمكننا ان نسكت ونقف موقف المتفرجين ، وهؤلاء الطغاة الذين لا تعرف الرحمة سبيلا الى قلوبهم ، ولا يؤمنون بحق الانسان في الحرية

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

ابو خلدون ساطع الحصرى خير من عرفت من الناس صدق ايمان بالقومية العربية ، وشدة يقين وقوة امل فى مستقبلها الزاهر . وهو افضل من عرفت فهما لمعنى القومية ، وادراكا لمقوماتها ، ووعيا بمضمونها ومتطلباتها . وله فى ذلك كتب عديدة نذكر من بينها : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ـ آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ـ آراء وأحاديث فى القومية العربية ـ ما هى القومية .

* * *

وأبو خلدون ساطع الحصرى أقدم من نعرف من المعاصرين عملا فى الميدان القومى . فقد عمل فى هذا الميدان ولا تزال البلدان العربية رازحة تحت حكم الاتراك العثمانيين ، **ولا يزال هو موظفا فى بلاد الخلافة العثمانية** ـ يعمل قائمقاما فى بلاد اليونان أو مديرا لدار المعلمين ببلاد الاتراك ـ . وعمل فيها ايضا ابان **الثورة العربية** الكبرى وبعدها . وكان وزيرا لأول وزارة ألفت بعد نجاح تلك الثورة . وكان ممثل هذه الوزارة فى مفاوضة **الفرنسيين** أثناء غزوهم **سوريا** وقبل دخولهم **دمشق** واحتلالهم هذه البلاد . وكان من الذين رحلوا مع الملك فيصل من سوريا **واستقر معه فى العراق** . وظل يعمل حتى أيامنا هذه . وهو من هذه الناحية يعتبر **السجل الحافل بالاحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية التى كانت البلدان العربية مسرحا لها .**

وله من الكتب التى تصور التاريخ القومى كتبا عديدة نذكر من بينها : صفحات **من الماضى القريب ـ يوم ميسلون ـ البلاد العربية والدولة العثمانية.**

* * *

وأبو خلدون ساطع الحصرى أول من أدرك من المشتغلين بالقومية العربية قيمة الثقافة فى البناء القومى . انه يعتبرها المقوم الاول من مقومات القومية . ويعتبرها الاساس الاول فى تحقيق هدف **الوحدة العربية الكبرى** . ومن هذا فكر فى التبادل الثقافى ، وحقق هذا التبادل بين كل من مصر

والكرامة ، يضربون اصحاب المبادىء الشريفة الذين يجاهدون فى سبيل كرامتهم وعزتهم وخلاص اوطانهم من أيدى الغاصبين .

واذا كان التاريخ يحتفظ للمسلمين الأولين بهذا الموقف المشرف ، فانه يحتفظ لليهود الذين كانوا يعاصرونهم بموقف على عكس هذا الموقف كانوا فيه شخصيين انتهازيين كعادتهم :

وذلك ان جماعة من كبارهم قدموا الى مكة فاجتمع بهم المشركون الوثنيون ، وسألوهم عن اخبار النبى والمسلمين فى المدينة ، ثم قالوا لهم : خبرونا يا معشر يهود فأنتم اهل الكتاب وأدرى منا بالاديان : أدين محمد خير أم ما نحن عليه ، فقالوا ولم يتورعوا : بل ما انتم عليه خير من دين محمد واصحابه ، وأنتم اهدى منهم سبيلا .

فكان هذا موقفا شاذا من هؤلاء الذين يعرفون الحق وينكرونه ، وكيف يسمح قوم نزل عليهم كتاب ، وبعث اليهم رسول يؤمن بالتوحيد والبعث ، ان يؤيدوا الوثنية على التوحيد .

ولذلك انزل الله تعالى قوله : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ؟ اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا " .

والعبرة من هذا الموقف ان هؤلاء اليهود هم دائما على استعداد لان يبيعوا كل شيء فى سبيل اغراضهم الدنيئة وان يتنازلوا حتى عن عقائدهم الدينية ، فى سبيل الكيد للمسلمين ، ذلك ماضيهم وذلك حاضرهم ، ولذلك نراهم يجوبون الآفاق فى افريقيا على وجه الخصوص لحرب العرب ، بل لحرب الجمهورية العربية المتحدة بالذات ، وليوهموا اهل افريقيا بأنهم على استعداد لخدمتهم ومعاونتهم وما يريدون بذلك الا بث سمومهم ، ونصب احابيل كيدهم للاسلام والمسلمين :

ومن هنا نرى ان علينا واجبا خطيرا ، وانه لا يجمل بنا ان نقف منكمشين داخل حدودنا ، فان اليهودية الحديثة تريد ان تطوقنا ، وان تعزلنا ، فلنبادرهم ، ولنسابقهم ، ولنبين لاخواننا وجيراننا ختلهم ومكرهم والله المستعان .

محمد محمد المدنى

والعراق ، ومصر وسوريا ـ يوم أن كان مديراً لمعارف العراق ، ويوم ان كان مستشارا لمعارف سوريا • وله فى ذلك من الكتب : **الوحدة الثقافية ـ آراء وأحاديث فى العلم والاخلاق والثقافة ـ آراء وأحاديث فى اللغة والادب ـ حولية الثقافة العربية** •

واعتمد ابو خلدون فى تحقيق هذه الفكرة تبادل الاساتذة والطلاب ، وتوحيد المناهج والكتب • وافادت خطته هذه فى الميدان القومى فوائد عديدة اهمها فيما نرى **التعرف على الوطن العربى فى أجزائه المختلفة** • واقامة نوع من الألفة والمودة بين ابناء الامة العربية ـ اساتذة وطلابا ـ فى مختلف أجزاء الوطن العربى • **واقامة مايدعى باتحاد الطلبة العرب** ••• الخ •

وابو خلدون ساطع الحصرى **ممن يؤمنون ايمانا قويا بفكرة قيادة مصر للقضية العربية ، وزعامة مصر للامة العربية** • نادى بذلك فى **الثلاثينيات** من هذا القرن ، وحاضر فى ذلك بنادى المثنى ببغداد • وبنى ايمانه فى تلك الايام على اساس ان مصر قلب الوطن العربى ، وأن المشرق والمغرب بمنزلة الجناحين ، **وان لا حياة للجناحين بدون القلب • كما بناه على امكانيات مصر المادية والمعنوية ، وتاريخها الحضارى والثقافى** •

وينادى أبو خلدون بذلك حتى اليوم ، ولقد كان أكثر الناس فرحا بقيام **الثورة المصرية لانها فى وعيه تحقق الامل والرجاء** •

لقد قضت الثورة على الملكية فى مصر ، واعتبر ذلك خطوة جبارة فى سبيل تحقيق الوحدة العربية ـ لان العروش والتيجان هى العقبة الكبرى فى سبيل تحقيق هذا الهدف • ولان العرش المصرى اقدم العروش تاريخا ، وأرسخها قدما ، وأثبتها على الايام ، فاذا مازال سهل على غيره أن يزول ، **وسهل على أبناء الامة تحقيق الوحدة** •

ولقد قام بالثورة رجال من الشبان الذين شاركوا فى **معركة فلسطين** ، واعتبر ذلك خطوة جبارة اخرى لأن من يشارك فى قضية فلسطين يدرك خطورة **اسرائيل** ، ويدرك فى الوقت نفسه **حاجة الامة العربية للوحدة** •

ان الوحدة العربية هى السبيل الوحيدة **للقضاء على اسرائيل** ، واخراجها من قلب الوطن العربى ، **واسترداد الجزء السليب فلسطين** •

ان مصر فى وعيه هى البلد العربى الوحيد الذى يستطيع أن يجمع العرب على رأى ، وان يواجه بهم **مجتمعين مشكلات الامة العربية ـ الداخلية والخارجية** • وهى البلد العربى الوحيد الذى يستطيع **قيادة الامة العربية** نحو مستقبل زاهر ، وحضارة علمية ، وحياة انسانية أفضل •

وأبو خلدون ساطع الحصرى من أصحاب الرؤى • من الذين يتطلعون الى المستقبل البعيد فيكتشفون أسراره ، ويعرفون خباياه ، ويتنبئون بما يمكن أن يقع من أحداث أو يتكون من تيارات • وله فى ذلك أشياء تشبه أن تكون من الخوارق أو الكرامات • ان كثيرا مما توقع قد وقع وخاصة فيما يتناول **استقرار القومية وتحقيق الوحدة** •

لقد كان الكثيرون يظنون **القومية العربية** ضربا من الخيال ، وظنها حقيقة ، واصبحت حقيقة ، يؤمن بها الجميع ، ولا ينكرها المنكرون الا فى خفاء •

ولقد كان الاستعمار يظن أنه يستطيع القضاء على **فكرة الوحدة العربية الكبرى** بطرح افكار عن الوحدات الاقليمية مثل الفكرة القائلة بسوريا الكبرى والقومية السورية • ورأى ابو خلدون فى هذا ضربا من الهذيان ، وجادل فى ذلك القوميين السوريين • وجاءت الايام تحقق قوله ، **واتخذ العرب أجمعين فكرة الوحدة الكبرى لهم شعارا** •

وأبو خلدون ساطع الحصرى أكثر الناس اخلاصا **للقضية العربية** وتفانيا فى خدمتها ، وأقوى الناس حجة فى الدفاع عن **القومية العربية وجدلا فى سبيلها** • يجادل فى ذلك كل من تعرض لها بسوء • ويحاج فى ذلك السياسيين ، والادباء والمفكرين • **يحاج من المصريين لطفى السيد ، وطه حسين ، والشيخ المراغى ، وعلى عبد الرازق ، وامين الخولى ، وحسين مؤنس ، واحسان عبد القدوس وغيرهم • ويحاج من السوريين واللبنانيين العدد الكثير** •

وله من الكتب فى هذا الميدان كتب عديدة نذكر من بينها : **العروبة بين دعاتها ومعارضيها ـ دفاع عن العروبة ـ العروبة اولا ـ الاقليمية جذورها وبذورها** •

والكتاب الذى نقف عنده اليوم هو الكتاب الاخير

من المجموعة السابقة ، وهو أهمها فيما نرى، وتجيء أهميته مما يلي :

١ ـ ان الكتب السابقة كانت تجادل أقواما لا يلتقون معه في فكره ، ولا يؤمنون معه برأي • وانما يختلفون **اختلافا عقائديا** • لقد كان يجرهم الى القومية العربية جرا • أما في هذا الكتاب فيناقش قوما بينه وبينهم مودة ، يؤمنون بما يؤمن به من عقيدة ، ويذهبون الى ما يذهب اليه من رأي ، يؤمنون **بالقومية العربية ، وبالوحدة العربية ، ويعملون في سبيل تحقيقها ـ حتى كانوا يعتبرونه الأب الروحي ويعتبرهم الأبناء المخلصين** •

٢ ـ انه كان يجادل السابقين على أساس انهم من الضالين اما هؤلاء فيجادلهم على أساس انهم **من المتمردين** عن بينة ، وعن **سابق اصرار** • انه هنا يكشف عن العوامل النفسية أما هناك فيكشف عن **الاخطاء الفكرية** •

٣ ـ انه في كتابه هذا يصور **خيبة أمل** أكثر مما يصور **حقيقة حال** • يصور خيبة أمل في أناس بصرهم بالمستقبل من أجل أنفسهم وعقيدتهم ، فابصروا ، ولكنهم أبصروا أنفسهم وابصروا حزبهم اكثر مما أبصروا الامة والعقيدة •

لقد كان في جدله مع هؤلاء **قاسيا عنيفا** لانه يعتبر موقفهم أخطر من كل **موقف وانحرافهم اكبر من كل انحراف** • انهم فيما يرى **يهزون الكيان العربي هزا عنيفا • ويحدثون فيه من البلبلة والاضطراب اكثر مما أحدث غيرهم** •

يناقش الكتاب **شكري القوتلي وجماعةمن البعثيين** فيما يخص مسائل **الوحدة والانفصال** • يناقشهم وهو متفائل ـ ان ايماني بمستقبل الامة العربية الزاهر ووحدتها المحتومة •• لم يتزلزل ، على الرغم من النكبة الأليمة التي منيت بها أخيرا ••

وانا لا اشك في أن ـ **تاريخ الوحدة العربية** ـ سيحكم على ساسة سوريا الذين أيدوا الحركة الانفصالية بأشد الاحكام وأقساها ، وأحكامه هذه ستكون بالغة الصرامة وبوجه خاص على قادة **حزب البعث** الذين كانوا **يتباهون بحمل الوية الوحدة العربية ونشرها بين الناس** ••

وأما منطق البيان الذي أصدره البعض منهم ـ تبريرا لموقفهم هذا ـ فيشبه كل الشبه من يقول :

هذا الوليد لا يزال غير سليم من العيوب ، فلنقتله الآن ، لكي نحييه بالشكل الذي نريده في مستقبل الايام ••

واعتقد أن شباب البعث ـ مثل سائر شباب العرب الواعي ـ لا يمكن أن يؤيد هذه المواقف الهدامة •

يناقش شكري القوتلي في بيانه **الذي أصدره عقب الانفصال** ويقول في صراحة مؤلمة على الرغم من الصداقة التي كانت قائمة بين الرجلين ـ ان المواطن العربي الاول شكري القوتلي يقول بصيغة التأكيد ، وبدون اي قيد او تحديد • « **ان النظام الذي يجوز تطبيقه في مصر ، لا يمكن ولا يجدي تطبيقه في سوريا ، لاختلاف البيئات جغرافيا ، وبشريا ، واجتماعيا** •

وطبيعي ان أول ما يتبادر الى الأذهان امام هذا الزعم ـ السؤال التالي :

اذا كان هذا ما يعتقده شكري القوتلي ، فكيف ، ولماذا طلب الوحدة بين مصر وسوريا وساهم في تحقيقها ؟ •

ولكني لن اتوقف عند هذا السؤال ـ على الرغم من وجاهته وخطورته ـ بل ساتركه جانبا ، وساناقش الكلمة المنقولة آنفا ، بقطع النظر عن قائلها •

اختلاف البيئات جغرافيا ، وبشريا ، واجتماعيا • **هل يستلزم اختلاف النظم بوجه عام ؟** •

ألا تضم كل دولة ـ لها شيء من الاتساع ـ بيئات متنوعة ، يختلف بعضها عن بعض من الوجوه الجغرافية والبشرية والاجتماعية ؟

وفي داخل حدود الجمهورية السورية نفسها ألا توجد بيئات متنوعة عديدة ، يختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا من هذه الوجوه ؟

أفلا تختلف البيئات بين **محافظة اللاذقية التي** تمتد بين البحر وبين الجبال المكسوة بالغابات • ألا تختلف ، جغرافيا ، عن **دير الزور** البعيدة عن البحر والمحرومة من الجبال ؟

أفلا تختلف **البيئتان المذكورتان** ، بشريا واجتماعيا ، لاختلافهما **من حيث الحياة المدنية والعشائرية ، والاحوال الدينية والمذهبية ؟**

أفلا يوجد **اختلافات** مماثلة لذلك بين **جبل الدروز وبين حلب ، ثم بين حوران وبين الجزيرة ؟**

وهذه الاختلافات ، هل حالت دون **خضوع هذه المحافظات لنظام واحد ؟**

أفلا يتبين من كل ذلك · **أن ماجاء في الكلمة التي نقلناها آنفا عن بيان شكري القوتلي ، انها لاتدل على تفكير علمي سليم – في ميدان السياسة بوجه عام ، وفي ميدان السياسة القومية بوجه خاص ؟**

ويناقش بيان البعثيين فيقول : لقد قلتم في البيان : **ان الاستعمار وأعوانه كانوا قد صمموا منذ اليوم الاول لقيام الوحدة على ضرب تلك الوحدة ، سواء تداخلتها الاخطاء والانحرافات أم لم تداخلها ·**

ان قولكم هذا صائب تماما ، وهو يعبر عن حقيقة هامة ، وأنا أؤيده كل التأييد ·

ولكني أقول في الوقت نفسه **ان هذه الحقيقة كان يجب ألا تخلو من التأثير على أعمالكم ·**

ان الاعتراف بهذه الحقيقة يستلزم التعمق والتوسع فيها بالتأمل في هذا السؤال : **ماهي الوسائل التي** توسل بها الاستعمار أعوانه في هذا المضمار ؟

طبعا ان هؤلاء لم يهملوا استعمال سلاح المال لشراء الذمم واصطناع الاعوان والعملاء في هذا المضمار ·

ولكنهم اعتمدوا – وكان من الطبيعي أن يعتمدوا – أكثر من ذلك بكثير على الاسلحة النفسية لاثارة النعرات الاقليمية ، وتحريك أعصاب النفعية ، واستغلال الاطماع الشخصية ، واثارة الشكوك والمخاوف في النفوس ·

وكان من أهم وأخطر وأفعل الوسائل التي توسلوا بها لتحقيق أغراضهم هذه هي اشاعة الاكاذيب والمفتريات ، عملا بالقول المشهور · افتروا · · افتروا على الدوام · لابد أن يبقى أثر من ذلك في النفوس ·

ومن المعلوم أن أجهزة الدعاية المعادية للعروبة نشطت الى العمل في هذه السبيل منذ الايام الأولى للوحدة ، ولم تنقطع عن العمل في هذا المضمار – ليل نهار – بنشر سلسلة من الاخبار الكاذبة بمهارة فائقة ، وأساليب خداعة ·· حتى صارت تسيطر على أذهان الكثيرين ·

كان يترتب على جميع القوميين المؤمنين بوحدة الامة العربية ، أن يحاربوا هذه الاذاعات والاشاعات الكاذبة ، ويحولوا دون انخداع الناس بها ·

ولكن مع الأسف الشديد ، ان محافل حزب البعث لم تلتفت الى هذا الواجب · وفضلا عن ذلك صارت تسترسل في انتقاد الاوضاع بتعبيرات مطاطة وترديد فقرات – ضرورة الحزبية والديمقراطية – بدون انقطاع ·

ولهذا السبب صار يختلط في اذهان الكثيرين من المواطنين ، اشاعات عملاء الاستعمار مع تقولات قادة حزب البعث ، وذلك سهل – الى حد كبير – انخداع الناس بها ، دون أن ينتبهوا الى مصادرها الاصلية ، واغراضها الحقيقية ·

اني شاهدت هذه الاحوال بنفسي مرات عديدة · وقد حدث غير مرة عندما حاولت تكذيب بعض الشائعات التي كنت متأكدا من عدم صحتها ، وسعيت لاظهار أغراض المستعمرين وأعوانهم من اختلاقها ، اني جوبهت بهذا الجواب ·

ولكن البعثيين انفسهم يقولون ···

ان من لم ينتبه الى هذه الافاعيل النفسية ، يبقى بعيدا عن فهم أهم العوامل التي سهلت على الانفصاليين أن يضربوا ضربتهم المعلومة ·

ويمضي الكتاب في مناقشة كثير من المواقف التي وقفها المؤمنون بالقومية العربية من الوحدة العربية وهو في مناقشته هذه لم ينس أن يشير الى مواقف الرئيس جمال عبد الناصر ·

انه يعتبره القائد الجريء الشجاع القائد الذي ينقد نفسه بنفسه ويعرف مواطن الضعف في مواقفه ·

انه يقول بعد سرده للكثير من أحاديث السيد الرئيس يلاحظ أن هذا النقد الذاتي مشبوب بحرارة الايمان ومقرون بشجاعة أدبية لامثيل لها في التاريخ ·

ان كل من يمعن النظر في مواد هذا النقد الذاتي قد لايقر البعض منها ، وقد يراها غير كافية فيقترح أن يضاف اليها بعض النقاط الاخرى ··· ولكن ·· مهما يكن الامر لايستطيع ان يمنع نفسه من الانحناء أمام الاخلاص وهذه الصراحة بكل تقدير واعجاب واجلال ··

ان كتاب السيد **ساطع الحصري** جدير بأن يقرأه كل انسان وخاصة ممن يعملون في الميدان القومي·

دكتور محمد احمد خلف الله

جراسة الحق معيار الإيمان

للأستاذ محمد الغزالى

محبة الحق والفضيلة والخير من أبرز الخلال التى غرسها الاسلام فى قلب المؤمن وسيرته فعلاقة الانسان المؤمن بهذه المعانى ليست المعرفة النظرية المجردة أو الاحترام الشكلى المتوارث أو الحفاوة العابرة المفروضة . لا . ان رباطه بهذه المعانى يقوم على حب مكين وغيرة بادية . وتقديس محيط . وعاطفة مشبوبة .

وقاعدة احقاق الحق وابطال الباطل وتحسين الحسن وتقبيح القبيح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . انما تسيل من هذا الينبوع النقى الطهور .

وهذه القاعدة هى الميزة التى اختصت الأمة الاسلامية بها . واستحقت الخلود والتقديم لقيامها عليها ..

والخير والشر صفات ذاتية للناس . لكن المسلم لا يكفيه ان يكون خيرا ليكمل وينجو . بل لا بد أن ينتقل هذا الخير الى المجتمع الذى يحيا فيه . فاذا أتم بناءه ورفع لواءه . انتصب محاميا عنه واشتغل بحراسته وجعل صيانته من كرامته الخاصة والدفاع عنه دفاعا عن عرضه وأخيرا يرى الموت فى سبيل بقائه الشهادة التى ترفعه الى عليين .

وهو بترك الشر . غير أن ذلك لا يكفى فى تمام يقينه وصدق ايمانه . انه يستهدف محو الشر من المجتمع حوله . ويجار باستنكاره ان رأى بوادره ويشتبك معه اذا كلح وجهه فاذا أبى الفساد الا الاصرار على انطلاقه دخل معه فى صراع حياة أو موت .

وهو كاسب على الحالين . ان انتصر فى المعركة أو لقى الله مضرجا بدمائه دون أن تنتهك حرماته وتداس شعائره .

هذه طبيعة الاسلام . وذاك سر الخلود فى رسالة امته . وأساس الفضل والرجحان الذى نطقت به الآية الكريمة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

ومنازل المسلمين من الدين ومكانتهم فى انفسهم وعند الله بقدر ما يحرزون من هذه الخصائص اللامعة

والذين يتدبرون مهالك الامم وفناء الحضارات يحكمون بأن رحمة الله بالعالم اخراج أمة تتعلق باحقاق الحق وابطال الباطل على هذا النحو الرائع

فان الحياة لم تعتل لجهل الناس بالخير والشر قدر ما اعتلت لترك الخير يخذل ويتوارى أصحابه وترك الشر يستعلن ويطغى زبانيته ..

وقضايا العالم الكبرى الآن مثل لهذا العوج المقبوح

فكم من شعب ترك فريسة للضيم لا لغموض فى شكاته . أو خفوت فى استغاثته . ولكن صوت الهوى أعلى . ولسانه بالأذى أحد .

على أن تغيير المنكر . واقرار المعروف ليسا قدرة قلم على الكتابة أو فم على الخطابة . انما هما فيض الايمان الغيور وقدرة انسان على اطراح الدنيا وايثار ما عند الله .

روى المؤرخون أنه لما قدم عبد الله بن على الشام من قبل بنى العباس فى مفتتح دولتهم وابان تتبعهم لاعدائهم بالقتل والاجتياح . جىء بعبد الرحمن الأوزاعى للقائد الثائر وحوله الجنود سيوفهم مسلولة . فقال له عبد الله : ما تقول فى بنى أمية ؟

قال : قد كانت بينك وبينهم عهود . وكان ينبغى أن تفوا بها !

قال : ويحك اجعلنى واياهم لا عهد بيننا !!

قال عبد الرحمن الاوزاعى : فأجهشت نفسى وكرهت القتل !! فذكرت مقامى بين يدى الله فلفظتها فقلت : دماؤهم عليك حرام ....!!

فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه . وقال : ويحك ولم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : ثيب زان . ونفس بنفس وتارك لدينه » .

قال: أو ليس لنا الأمر ديانة؟ قلت : فكيف ذاك؟ قال : أليس كان رسول الله أوصى لعلى ؟ قلت : لو أوصى اليه ما حكم الحكمين . فسكت . وقد اجتمع غضبا . فجعلت أتوقع رأسى يسقط بين يدى . فقال بيده هكذا ... أوما أن أخرجوه . فخرجت .. !! فانظر كيف غلبت محبة الحق على محبة الحياة وكيف رجح خوف الله خوف أصحاب السلطة ...

بمثل هذا الاخلاص يمتد عمر الخير في الارض وتنتعش المثل العليا في العالم ...

واني عندما أتأمل في تاريخ الائمة الذين فرضوا فقههم على عصور طويلة لا أجد ذلك عائدا الى رسوخهم في العلم وحده بل أجد أن رسوخهم في الايمان واستعذابهم التضحية في ذات الله وتفانيهم في قول الحق واعلانه ومجابهة العامة والخاصة به هو الذي سبق بهم وأعلى قدرهم وأبقى على الآماد ذكرهم ..

***

كان أبو حنيفة يكره استبداد الملوك على عهده ، ويضيق بمسالكهم، ويبسط لسانه في نقد سياستهم حتى قال له تلميذه زفر : والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال في أعناقنا !! » .

ولكن أبا حنيفة لا يخشى الشنق ولا أن يجر في الحبال . انما يخشى الله ويحب أن تصان الامم من لوثات هؤلاء الملوك الجائرين . من أجل ذلك ازور عنهم يوم رغبوا اليه أن يتولى لهم القضاء . لقد ارادوا أن يكسبوه الى جانبهم وأن يكسروا حدة المعارضة لهم بمثل هذه السياسة الذكية . غير أن الرجل الكبير أبى . واعتصم بدينه وخلقه فلم يبع دينه بعرض من الدنيا .

قال المؤرخون : كان ابن هبيرة واليا على الكوفة في العهد الاموى . فلما ظهرت الفتن بالعراق جمع الفقهاء ببابه وولى كل واحد منهم صدرا من عمله .

وأرسل الى أبي حنيفة وأراد أن يجعل الخاتم في يده . فلا ينفذ كتاب الا باذنه . ولا يخرج شيء من بيت المال الا من تحت يده . فامتنع أبو حنيفة !! فحلف ابن هبيرة ان لم يقبل أن يضربه !! فاجتمع الفقهاء على أبي حنيفة يقولون له : انا ننشدك الله الا تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الامر ، ولم نجد بدا من قبوله .

فقال أبو حنيفة : لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد « واسط » لم أدخل في ذلك . فكيف وهو يريد مني أن يكتب دم رجل يضرب عنقه .. وأختم أنا على ذلك الكتاب !! فوالله لا أدخل في ذلك أبدا !

فقال ابن أبي ليلى : دعوا صاحبكم فهو المصيب وغيره المخطىء ..

فحبسه صاحب الشرطة وضربه أياما متتالية .. فجاء السجان الضارب الى ابن هبيرة وقال له : ان الرجل ميت . فقال ابن هبيرة : قل له : تخرجنا من يميننا - يعني يتولى القضاء - فقال : لو سألني أن أعد له أبواب المسجد ما فعلت . ثم عاد الضارب الى ابن هبيرة الذي قال : ألا ناصح لهذا المحبوس أن يستأجلني فأؤجله ؟ فأخبر أبو حنيفة بذلك . فرأى أن يخرج من محبسه بهذا العرض . وأرسل الى ابن هبيرة يقول : دعني أستشر اخواني وأنظر في الامر فخلى سبيله . فلما استعاد حريته ترك الكوفة هاربا الى مكة ...

والغريب أنه لما صارت الخلافة للعباسيين، ورجع أبو حنيفة الى الكوفة طلب منه المنصور أن يتولى القضاء له . فأبى . وأدخل السجن وضرب مائة سوط وعشرة . وما زال التضييق عليه حتى مات !

***

ولمالك فقيه دار الهجرة مسلك آخر يتفق مع أبي حنيفة في النية والوجهة ويختلف معه في الوسيلة . فقد رأى هذا الامام أن يقترب من الحاكم وأن يقيم معه بعض العلائق . ولكن حاشاه أن يكون هذا القرب استكثارا من الدنيا أو استطالة على الناس . وماذا يفعل مالك عندما يكتب له المنصور :

« ان رأيت ريبة في عامل المدينة أو عامل مكة أو أحد عمال الحجاز . في ذاتك أو ذات غيرك . أو سوء سيرة في الرعية . فاكتب الى بذلك أنزل بهم ما يستحقون . وقد أكتب الى عمالي بها أن يسمعوا منك ويطيعوك في كل ما تعهد اليهم . فانههم عن المنكر ومرهم بالمعروف تؤجر على ذلك . وأنت خليق أن تطاع ويسمع منك » .

ان هذا الخطاب اللبق لا يزيد عن أنه ييسر لمالك الرقابة على أعمال الموظفين والولاة كي يضبطها بحدود الله ومعالم شرعه . والنكوص عن هذا لا مسيغ له .

اما أبو حنيفة فكان يعترض ابتداء على أساس الدولة واشخاص الخلفاء . ومن ثم أبى أن يتعاون معهم بأي شيء . وآثر أن يشتغل بالتدريس لعامة المسلمين وحدهم .

وقد قيل لمالك : انك تدخل على السلاطين وهم يجورون ويظلمون . فقال لمحدثه : رحمك الله وأين التكلم بالحق ؟ . وقال مالك في نصيحة عامة : حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل الى ذي سلطان فيأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه .. لان العالم انما يدخل على السلطان لذلك .

فاذا كان ذلك – ما يبقى بدخوله – فهو الفضل الذى ما بعده فضل ·

واخلاص مالك للحق وحده جعله يتحرى وجه الله فى علاقاته بالحاكم والمحكوم جميعا ، فلم يفرط هذا الامام الضخم فى حقوق ربه وان احاطت به أسباب التجلة الرسمية وانساقت اليه هدايا السلطان !! سأله الجمهور عن حكم الايمان التى يستوثق بها هؤلاء الخلفاء لأولياء العهد بعدهم ! فأفتى مالك بأنها لاقيمة لها · وذلك أن الخليفة كان يحب تمليك ابنه من بعده فيحتال على ذلك بأن يجمع الاعيان والوجهاء والقادة والفقهاء ويحلفهم بالطلاق والعتاق أن يطيعوا ابنه اذا ما هو فارق الدنيا فجاء مالك ورفض هذه الايمان كلها وعدها وليدة اكراه سياسي وأن صاحبها لايلزمه الوفاء بها واغتاظ الحاكم العباسي من هذه الفتوى واصدر أمرا بالقبض على مالك وتعذيبه حتى يرجع عنها وأبى مالك الا الثبات على حكم الله · وانهالت عليه السياط الكاوية وهو يتجلد · وترك بعد أن حدثت له عاهة فى جسمه . فقيل انه لم يستطع تحريك احدى يديه من أثر هذا العدوان حتى مات !!

يقول الاستاذ أمين الخولى – وعنه أثبتنا النقول التاريخية السابقة فى أنباء مالك – لقد تبدو هذه المحن بادى الرأى لطخات سوداء فى صورة الحياة · اذ كانت ضربا وتعذيبا وامتهانا لكرامة رجال ذوى علم وحرمة · وقد يكونون ذوى سن عالية فى أكثر الاحيان · لكن الباحث المدقق المستشف لما وراء المظاهر الفردية والسطحية يقدر فيها الجانب الاجتماعى ويقيس بها تقدم الانسانية وكسب الحرية الآدمية فتبدو هذه المحن لمعات وضيئة فى ظلام الحكم الفردى القاسى · اذ هى صمود لهذا الحكم يهز من جبروته ويحد من قسوته ويسجل بقاء الشعور بالكرامة الانسانية والحرص على أداء الامانة الاجتماعية التى حملها الله أهل العلم فهم بها أهل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ·

« واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ··· »

والاحساس بهذا الواجب على أصحاب العلم وحملة الامانة وتفضلهم حين يحتملون فى سبيل أدائه ما يحتملون هو احساس قديم خالج النفوس فى تلك العصور ···

ويبدو فى مثل قول عمر بن عبد العزيز ذى القلب الحساس : ما أغبط أحدا لم يصبه فى الأمر بالمعروف أذى !! » وهى كلمة كان يرددها مالك ويذكر معها بعض من أصيبوا فى هذا الامر كسعيد بن المسيب وغيره · وسعيد أحد أعلام الدنيا وسيد التابعين وله فى قوة النفس مواقف مشرفة · فقد دعى الى بيعة عبد الله بن الزبير ؛ فأبى ؛ فضرب · ودعى الى البيعة لسليمان والوليد بولاية العهد فلم يفعل ؛ فضرب وطيف به فى المدينة ·

وذلك كله لما فى عنقه من بيعة لم يرد أن ينقضها لهواهم ·

وفى الحق ان الحديث عن الممتحنين فى تاريخ الاسلام ، هو الحديث عن معارك الحرية الفكرية والاجتماعية فى هذا التاريخ وسجل المقاومة الكبرى لاصحاب السلطان الباطش والهوى الجامح » ·

***

والمهم ليس سرد المواقف الماجدة لاصحاب القلوب الكبيرة الذين ينعم بهم القدر على أمم شتى ·

ومع أن سعيدا ؛ والاوزاعى ؛ وأباحنيفة ، ومالكا وأمثالهم رجال صنعهم الاسلام أولا وآخرا؛ فسيرتهم شهادة صدق على أنه يصنع حماة الحق ؛ وأئمة الجهاد والتضحية الا أننا نؤثر اظهار ما يؤديه الجنود المجهولون فى ميدان الكفاح الادبى لاعلاء قدر الايمان والعدالة ·

وآثار هؤلاء هى التى استبقت الجماهير على كر العصور ، تحتقر الجور ؛ والفسوق والعصيان ؛ وتكن العداء ؛ أو تعلنه للمارقين عن أمر الله ·

لقد طوى زمان الحكم الفردى فى الازمنة القديمة شعوبا غفيرة ، ووجد الاكاسرة والقياصرة والفراعنة يحكمون بلا معقب لحكمهم ·

ونضح هذا على بلاد الاسلام – للاسف – فى شكل توارث الخلافة ، وهو توارث دخيل على تعاليم ديننا بلا مراء ·

بيد أن الائمة المبرزين ، والعلماء المذكورين والمغمورين ؛ والالوف المؤلفة من الرجال الغامضين ؛ أقاموا من روح الاسلام ، سياجا يكفكف هذا الشر ؛ ويقلم أظفاره ؛ ويقوم الى حد بعيد مقام مجالس الشورى التى انتظمت هيئاتها فى العصور الحديثة ·

فليس للملوك حق الهى يسيطرون باسمه على الناس ؛ وكم من خليفة خلع ، وسجن ؛ وقتل · ثم ان الاسلام ألقى كلمته فى الاصول والفروع ؛ فاذا خطب الخليفة قبل صلاة العيد قيل : أخطأ الخليفة ·

واذا أخذ مالا ليس له قيل : غصب الخليفة ···

ان معالم الحلال والحرام التى شرحها الاسلام للخلق كافة حددت المنازل والقيم . فمن انتهى اليها فهو عبد صالح ... والا فهو خارج على دين الله ولو كان أمير المؤمنين .

وادراك هذه المعالم شاع بين الكبار والصغار والخاصة والعامة ...

ربما كانت قضايا الفقه وقواعد التشريع من اختصاص العلماء الدارسين .

اما قضايا الاستقامة والعوج ، والعدالة والحيف؛ والتقوى والفجور ؛ واما الفرائض الجامعة؛ والشعائر الواضحة .. فتلك كلها أمور يعرفها العامة ، ويحكمون على الملوك والسوقة فى ضوئها حكما قريبا

وتترك عصر الائمة الاربعة واصحابهم والايام اللامعة الاولى ونقفز اثنى عشر قرنا من تاريخ الاسلام فماذا نجد ؟ نجد علماء الدين يجتهدون فى المحاماة عن حقيقة الدين وحقوق الناس كلما حاولت أهواء الاقوياء طمرها .

ويحسون كأنهم نواب عن الجماهير ، فى ضمان مصالحهم واقرار العدالة التى ينشدونها .. ففى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة . وبعد ما اشتدت وطأة الحكم الفردى نسمع ان أهل الاسواق اصابهم غبن من وراء تزييف النقود فاجتمعوا ودخلوا الجامع الازهر وشكوا أمرهم الى العلماء وألزموهم بالركوب معهم الى الديوان - مقر الوالى التركى - فأمر الباشا بعقد اجتماع حضره الأمراء وضباط الجيش استقر رأيهم على خطة محددة أزالت الشكوى .

وفى سنة ١١٤٨ نسمع أن الخليفة العثمانى أصدر أمره بابطال بعض المرتبات التى كانت تصرف فى وجوه البر العامة . فلما قرىء على العلماء المرسوم الصادر بذلك قال الشيخ سليمان المنصورى معترضا على تصرف السلطان : « ان ذلك لا يسلم له ويخالف أمره لان ذلك مخالف للشرع ولا يسلم للامام فى فعل يخالف الشريعة » وعدلت الحكومة عما عزمت عليه .

وكان الشيخ على الصعيدى يقول لمحمد بك أبى الذهب - الوالى فى عهده - اتق النار وعذاب جهنم ثم يمسك بيده ويقول : أنا خائف على هذه اليد من النار !!!

وفى أيام ابراهيم بك الكبير وعلى بك الكبير عصفت برءوس الحكام نزوة جعلتهم يستكبرون بالباطل ويفتاتون على الناس ويفرضون هواهم ويدرسون القانون . قال الاستاذ محمد فريد أبو حديد : فأدرك العلماء أن واجبهم يناديهم - وهم ممثلو الشعب والطبقة المستنيرة منه - بالمحافظة على القانون والحق ولم يترددوا لحظة بل هبوا لنداء الواجب وتصدر فيهم زعيم اسمه (الشيخ الدردير) رحمه الله وطيب ثراه فأرعد الامير المدلل وأبرق وأرغى وأزبد وتهدد وتوعد فوقف العلماء وثبتوا وأرغوا وأزبدوا كذلك. وقام الشعب من ورائهم يؤيدهم وكانت مظاهرة كبرى فأغلق الناس حوانيتهم لينظروا مآل النضال بين الحق والقوة . وأوشك الامر أن يؤدى الى فوضى شاملة لولا أن جزع عقلاء الامراء من ذلك الاضطراب وأشفقوا من تلك الحال فاجتمعوا وتشاوروا . ثم أرسلوا الى الامير المعاند فلاموه على وقفته وامروه بالنزول على ما أراد القانون فأذعن وهو كاره بعد مشادة عنيفة ولم يرض العلماء أن يدعوا الامر يتفلت من ايديهم بغير حق مسجل يكسبونه للناس فطلبوا أن تكتب لهم وثيقة بالحق المكتسب وكتب لهم صلح رسمى به شروط على الامراء وتعهد من الحكام بالتزام مايقضى به القانون ويحتمه العرف .

واعتدى مرة موظف ادارى (الوالى) على بعض أهل الحسينية واشتد فى مطالبة قصاب اسمه أحمد سالم باموال الحكومة واراد القبض عليه بغير حكم شرعى مخالفا فى ذلك حقا كان أهل مصر قد اكتسبوه من قبل الا يمس أحد منهم الا على مقتضى الشريعة فثار أهل الحسينية لذلك الاعتداء والتجأوا الى الشيخ العروسى (وكان الشيخ الدردير قد توفى الى رحمة ربه) فقام الشيخ العروسى بأمر الوساطة فى شأن الشعب وانتهى الامر الى مشادة طويلة خاف الأمراء غبها . فنزلوا عند ارادة الثائرين وعزلوا الوالى وولوا آخر بدله ونزل الوالى الجديد من الديوان الى الازهر وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ورأى أهل مصر أن حقهم لن يضيع ما داموا حريصين على المحافظة عليه »

ولا نتتبع أمثال هذه الحوادث بالسرد والاستقصاء وانما نقرر الخلاصة التى نحب أن تتضح فى الافئدة والعقول ، أن الايمان الحق يتقاضى أصحابه أن يصوتوا المجتمع وأن يوطدوا فيه شعائر الفضيلة والعدالة والأمان ، وتلك خاصة لم تحرم منها الأمة الاسلامية فى عصر من الاعصار .

محمد الغزالى

مسرح عزيز أباظة

للأستاذ على متولى صلاح

هل يمكن ان نعتبر عزيز اباظة خليفة لشوقى فى تاليف المسرحيات الشعرية ؟ .. واذا جاز لنا ان نعتبره خليفة له فالى اى مدى يكون ذلك هل تقدمه فى هـذا المضمار أم تخلف عنه أم وقف منه موقف المحاذاة والتساوى ؟

لقد ظهر عزيز اباظة بعد وفاة شوقى باكثر من عشر سنوات ، وظهر يؤلف المسرحيات الشعرية التى كان شوقى الرائد الأول لهـا ، واستقى من نفس النبع الذى استقى منه شوقى واعتنى به التاريخ العربى والتاريخ المصرى .. ثم جاءنا اخيرا بمسرحية مستمدة من حياتنا المعاصرة وهى مسرحية « أوراق الخريف » ، كما فعل شوقى تماما عند ما جاءنا بالمسرحية المعاصرة « الست هدى » ... ولم يكتم عزيز اباظة انه يتأثر خطوات شوقى ويهتدى بهديه عندما أهدى اليه مسرحيته « شجرة الدر » بقوله :

« الى شوقى الخالد ازجى اثرا من هديه ونفحةمن وحيه » ...

ومما لا شك فيه أن عزيز اباظة اراد أن يسد الثغرة التى أوجدتها وفاة شوقى ؛ وأن يملأ هـذا الفراغ الكبير ، وشجعه على ذلكأن مسرحيات شوقى كانت لا تزال تجد صدى كبيرا فى نفوس النـاس وتلقى ذيوعا وانتشـارا فى البلاد العربية ، فترك الشعر التقليدى ـ الذى كان قد ظهر له فيه ديوان عقـده كله على رثاء شريكة حيـاته وأسماه « أنات حائرة » ـ الى تاليف المسرحيات الشعرية التىكانت باكورتهـا مسرحية « قيس ولبنى » كما كان من بواكير مسرحيات شوقى مسرحية مجنون ليلى التى تدور حوادثها بين « قيس وليلى » !

وهو اتجاه لا لوم فيه على عزيز أباظة ولا تثريب بل هو عمل محمود له ، وليس عليه من بأس اذا عالج تاليف المسرحيات الشعرية كما عالجها شوقى من قبله ؛ ولكن المهم هو أن نعرف طريقته فى ذلك ! ومدى نجاحه فى تحقيق ما أراد .

اما طريقته فى كتابة المسرحيات فنأخذ منها مثلا طريقته فى « لغة » هذه المسرحيات التى اوضحهـا هو نفسه فىتقديمه لمسرحية « أوراق الخريف » حيث يقول : ـ

« وكانت خطتى ان أعالج مسرحياتى السـابقة عند الفراغ منهـا ببعض عمليات التجميل . فكنت ارفع كلمة لأضع فى مكانها كلمة أراها أرشق منها وكنت أعنى بنصاعة الأسلوب وجمال الجرس عناية بالغة ، وكنت أوائم بين الكلمة تقع بين الكلمتين . والفقرة تنساب بين الفقرتين حتى تجمع بين أطراف الأسـلوب كله وشـائج رابطة تحكم أسره وتقر الاستواء بين مقاطيعه . وكنت أسقط الكلمة الأنيقة اذا احسست أنها متداولة تداولا يضفى عليهـا ظلال الابتذال ، وكنت كلفا باخراج الفاظ شريفة من خدورها لأمهد السبيل الى استخدامها فى محيط الطلبة والناشئين من الأدباء ولأمد هؤلاء بما يضيف الى نطاق محصولهم من المفردات والمترادفات .. »

ولكنهذه الطريقة تجعلبينصاحبها وبين التاليف المسرحى ما يسميه علماء البلاغة « كمال الانقطاع »!

فليس المؤلف المسرحى بالذى يجعل كل همه فى العنـاية بالألفاظ والكلمات ، وليس هـو بالذى يقدم للطلبة والناشـئين المفردات والمترادفات ؛ ... بل ليسهو بالذىيرى أن «اللغة» فى المسرح (غاية) ولا ينظر اليها على أنها مجرد (وسيلة) فقط .

ولقد تمكنت هذه العقيدة من عزيز أباظة تمكنا افسـد عليه أمره واضاع جدوى مسرحياته وخرج بها عن نطاق المسرحيات وأحالهـا الى قصائد تموج بالغريب من الألفاظ التىبليت فى بطون المعاجم مما جعل البعض يصفون عزيز أباظة بان لديه «عقدة» متمكنة من نفسه لا يجد له منصرفا عنها سموهـا عقدة (المعلقات) !

وهو فى هذا يختلف عن شوقى اختلافا كبيرا فقـد برئت مسرحيات شوقى من حوشى الألفـاظ وغريبها ولم تورد الا الكلمات الواضـحة المأنوسة ـ مع ارتفاع شعرها وسموه ـ ولهذا فانها كانت فى غير حاجة الى ذلك الشرح الذى يشبه ما يسمونه « شرح المفردات » فى كتب المطالعة التى بأيدى التلاميذ !

ومن عجب أن عزيز أباظة يفعل ذلك طواعيـة واختيارا دون أن تضطره الى ذلك ضرورة شعرية كما قد يتوهم البعض ، ولكنه لا يرضى ولا يرتاح له بال الا اذا جاء بالكلمات الصعبـة النابية مع أن بين يديه الكلمات السهلة اليسيرة المفهومة التى لو

وضعت فى نفس موضع الصعبة لظل الوزن الشعرى سليما ! ومن أمثلة ذلك قوله :

كذاك تفنى أحلام الغضـــاب

ولو قال :

كذاك تضل أحلام الغضـــاب

لاستقام الوزن مع سهولة اللفظ ووضوح معناه لأن معنى اللفظين واحد !

اما الألفاظ القريبة التى تنوء بها خشبة المسرح فان المجال هنا أضيق جدا من أن يتسع لها لكثرتها وانتشارها فى كل صفحات المسرحيات وسنكتفى هنا بعرض نماذج قليلة دون أن نشرح معانيها ليمتحن القارىء ــ أى قارىء ــ نفسه ويرى كم سيفهمه منها اذا ألقى عليه على ألســـنة ممثلين يتكلمون سريعــا وليس بين يديه معجم يرجع اليه ولا يملك من الوقت ما يمكنه من ذلك الرجوع ! .

ومن تلك النماذج قوله عن الاسلام : ــ

تكاد عراه فى الجزيرة تنــطوى
وتنقـــد أشطان له وطنوب

وقوله فى مخاطبة أحد الملوك : ــ

اذا ند عنك اليوم بارح كيدهم
فانك مفروس غـــدا فمتبر
وان مطاياهم لتكرم وســـقا
فان أبلغتهم ... جدلوها وعقروا

على أننا نحب أن ننبه هنا الى مسألة هامة تتعلق بلغة المسرح .. فقد أخذ بعض النقاد على عزيز أباظة أنه أجرى تلك الكلمات الجزلة الضخمة على لســـان بعض نساء مسرحياته مما لا يتصور صدوره منهن لأنهن أضعف من أن يجرى على لسانهن هذا الكلام الفصيح الفخم ! ومما يجعل مواقفهن غير « واقعية » ... والحقيقة غير ذلك لأن الواقعية فى المسرح هى ما يسمونه « الواقعية النفسية » وليست « واقعية الأداء اللغوى » .

ذلك أنه من الواجب أن تسود المسرحية لغــة واحدة ينطق بها كل من يتحرك على خشبة المسرح دون نظر الى ثقافتـــه أو الى مركزه الاجتماعى أو لهجته الاقليمية ، فلا ندع واحدا يتكلم بالفصــحى وثانيا بالعامية المصرية وثالثا بالمغربية ورابعـــا بالشامية وخامســـا بالصعيدية ... وهكذا حتى يصير الأمر فوضى لا نظام لها ولا حدود تقف عندها

وتكفى فى المسرح « الواقعية النفســـية » وهى ألا يجرى على لســـان شخصية مالا يتصور العقل صدوره منها من أفكار أو معلومات أو احساسات ، بل يجب أن تقف عند حدودها العقلية والذهنية ولا تتعداها ، فلا يجوز مثلا أن تجرى على لســـان خادم فى « دوار » عمدة حديثا عن الجاذبية كما فعل فتحى رضوان فى مسرحية « دموع ابليس » .

ويبدو أن هجمات النقاد العنيفة على لغة عزيز أباظة اضطرته الى ان يخفف ــ كارها كما يقول ــ من غلوائها ويهبط بها قليلا لتدنو من أفهامنا ولتكون بحق لغة المسرح ، وهو قد فعل ذلك برما به ضيقا به اشد الضيق ، ولم يعتبر ذلك عملية « تبسيط » ولكنه اعتبره ووصـــفه بأنه عملية « تشـــويه » ! ولكننــــا نرى أن المسرحية التى أجرى بها ذلك وهى « أوراق الخريف » خير مسرحيـــاته على الاطلاق وأدخلها فى نطاق المسرحيات الصحيحة ، بل اننا نراها فى حاجة الى المزيد من التبسيط حتى يستطيع الناس جميعا متابعتها والانتفاع بها على الرغم مما ذهب اليها البعض من أنها اســـتعملت التعابير العامية المبتذلة التى لا تجوز فى الشـــعر ، وقد نسى هؤلاء أنه شعر المسرح وليس شعر الخطابة او الأبراج العاجية .

وفى مسرحيات عزيز أباظة ظاهرة مضطردة هى ولعه الشديد بالخطابة واسرافه فيها كثيرا وخصوصا فى ختام الفصول بكلام خطابى او حكمة تستدر التصفيق الطويل كقوله فى ختام المشهد الثانى من « غروب الاندلس » مثلا :ــ

من لم يدعم بالأســـنة ملكه
والحــزم بات مفــزعا لم يســلم

وفى ختام المشهد الذى يليه منها :

الله ان أخـذ القـــرى بفسوقهـــا
عصــف الخلاف بهـا فكان قضاء

وهكذا مما يؤكد تلك الظـاهرة .... والخطابة حماسة وقتية لا تلبث أن تزول وينمحى أثرها ، وخير منهـــا ذلك التأثر الثابت المكين الذى يحدثه الامتلاء بالفكرة بعد روية وادراك ..

كما نلاحظ ظاهرة ثانية فى مسرحيات عزيز أباظة وهى كثرة ما يعرض من أفكار ومن حقائق يضل معها العقل ولا يستطيع أن يتركز فى موضوع منها .. والمسرح ليس معرضـــا وليس موكبا للمعـــلومات والمعارف والقضايا التى يلى بعضها بعضا وانما هو « لقطة » واحدة تبدأ كالجنين الذى يولد ثم يمشى على أربع ثم على اثنين ، ويظل ينمو وينمو دون أن

تتداخل في ذاته ذات أخرى حتى يبلغ نهاية المرحلة بعد أن يكون قد استوى ووضحت معالمه وقسماته النفسية والجسمية معا ولم يعد شيء فيه خافيا ..

وتلاحظ أيضا ظاهرة ثالثة في تلك المسرحيات ، وهي أنه على الرغم من كثرة عددها وتنوع حوادثها فاننا لم نر فيها جميعا الا شخصيات باهتة غير مضيئة .. لم نر فيها جميعا شخصية كشخصية « فولستاف » الحية الممتازة التي تبلغ الذروة في الجد والفكاهة معا في رواية « هنري الرابع » . أو شخصية مثل « بروتس » الخالدة التي ما تفتأ تثير في النفوس عاطفة الانتقام في رواية « يوليوس قيصر » ...

ذلك لأن شاعرنا الكبير جعل كل باله الى الشعر وحده ولم يلق الى تلك الشخصيات شيئا منه ايمانا منه بأن الشعر أولى !

وظاهرة رابعة نلحظها كذلك ، وهي اهتزاز المواقف بين يدي المؤلف لانه لم يولها العناية الكافية ، فشهر زاد — مثلا — تدخل على الملك دون أن يعرف من هي ! .. ثم يقوم الحوار بينه وبينها — في نفس اللحظة — قويا شديدا مليئا بتأنيبه ورميه بالضعف والعجز والمكابرة .. ثم يسألها الملك بعد ذلك كله عن اسمها .. ومن تكون .. ومن يكون اهلوها !

وأختها « دنيازاد » ترقص بين يدي الملك وهي ابنة وزيره الاول مما لا يتصور العقل حدوثه في بيئة اسلامية .

وتخاطب « شهر زاد » — وهي التقية الصالحة — أباها فترميه بالسفه وسوء القول والعجز والهوان !

وينقلب « شهريار » فجأة الى متصوف زاهد وكان ينبغي أن يكون ذلك على مراحل تمهد الواحدة منها للاخرى .

ولكن هذه الوقفات القصيرة التي وقفناها مع مسرحيات عزيز أباظة ليس معناها أنها غير صالحة وأنها لا نفع منها لنا .. نحن لا نقول بهذا انما نقول انها — كمسرحيات شوقي — ثروة كبيرة لنا يجب أن نفيد منها في تطوير فنوننا وبخاصة فن الغناء وفن الأوبرا وان توليها وزارة الثقافة والارشاد القومي العناية والرعاية اللذين طالبنا بهما لمسرحيات شوقي مع فارق واحد وهو أن نخلصها أولا من كل ما بها من غريب الالفاظ .. ثم نحولها بعد ذلك — بشيء من التعديل — الى « أوبرات » تملأ حياتنا الفنية نضارة وبهاء ، ثم يواصل عزيز أباظة بعد ذلك سيره في انتاج هذه الأوبرات فيفتح بها للفن عندنا فتحا جديدا يشبع قلوبنا نحن الشعب الغنائي الطروب .

علي متولي صلاح

المهن والمجتمع العربي
بين مستشرق وعالم عربي

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ليس منا من لا يعرف المستشرق الانجليزي ادوار وليم لين ، الذي اشتهر بكتابه الطريف « المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم » ذلك الكتاب الذي صور المجتمع العربي في مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وكان تصويره للمجتمع المصري بالغا الحد في الدقة والتغلغل الى صميم الحياة المصرية ، فقد قضى الرجل في مصر بضعة عشر عاما على ثلاث رحلات متعاقبة ، وخالط المصريين مخالطة قريبة لاصقة ؛ وتزيى بزيهم ، وتحدث بلسانهم ؛ حتى لقد كان يدعى بينهم : منصور افندي .

ولا يهمنا من نواحي المستشرق لين المتعددة مثل ما يهمنا كتابه عن عادات المصريين ، وندع معجمه العربي الانجليزي الكبير ؛ الذي طبع منه في حياته خمسة مجلدات ؛ وتولى اتمامه بعد وفاته قريبه المؤرخ المستشرق المشهور « استانلي لين بول » الذي اشتهر بكتابه في « سيرة القاهرة » .

والواقع أن كتاب « ادوارد وليم لين » عن المصريين وعاداتهم يعد مصدرا هاما لمن يريد الكتابة عن المجتمع العربي المصري ، فلم يترك الرجل ناحية الا صورها ، ولم يدع عادة من أخص العادات في مصر الا ذكرها ووصفها في اجمال مرة وفي تفصيل مرة أخرى ، حتى لنجد فيه أوصافا وصورا فاتنة طريفة لزفة العروس مثلا ، أو زفة ختان الاولاد ؛ وهما مشهدان لا تزال منهما بقية باقية مع فرق في التفاصيل بين عصر وعصر ؛ وأين من مشاهد أوائل القرن التاسع عشر الميلادي مشاهد النصف الثاني من القرن العشرين ؟

ولقد عاش غير بعيد من عصر المستشرق الانجليزي

« لين » عالم عربي من أسرة دمشقية عرفت بالعفة والصلاح: ذلك العالم هو الشيخ محمد سعيد القاسمي والد الفقيه المصلح المجدد الامام جمال الدين القاسمي صاحب التفسير الكبير المسمى « محاسن التاويل » الذي نشرته احدى دور النشر العربية مؤخرا في بضعة عشر جزءا ، ووالد المرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي الذي كان صوته من الاصوات القوية الاولى في فكرة القومية العربية . فقد كان احد دعاتها وروادها الاوائل ، وكان يرجى منه في ميدانها خير كثير ، لولا ان المنية عاجلته وهو في التاسعة والعشرين او الثلاثين من عمره ·

ولم يكن بين كتاب ادوار وليم لين عن عادات المصريين وحرفهم ، وكتاب العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمي الا بضعة عقود من السنين ، ولكن كتاب القاسمي لا يتحدث عن عادات وشمائل وانما يتحدث عن صناعة وصناع ، فهو يعطينا صورة صحيحة عن الصناعات والحرف واصحابها واخلاقهم وعاداتهم في المجتمع العربي بالشام في نصف القرن الماضي · ولكنه حين يصور أهل الصناعات ويصفهم على ادق ما يمكن أن يوصف به صاحب صناعة · فانه يتحفنا بامدادنا بصور طريفة للمجتمع العربي في الشام جملة ، فانك لا تستطيع أن تنزع أهل الصناعات والمهن من مجتمع برمته ؛ لانهم يشكلون في تفصيلهم وعددهم عددا لا بأس به من المجتمع ؛ ولان تصوير حرفهم انما هو في الحق تصوير لأزياء المجتمع وسكنه وطعامه وشرابه وأفراحه وأحزانه وسلاحه ·

وما ظنك بكتاب يتحدث عن ست وعشرين وأربعمائة صناعة وصانع ، ما بين طباخ ، وعجان ؛ وعقاد ؛ وقزاز ؛ ومخللاتي ؛ وحمامي ؛ وتقانقي (أى بائع السجق) ورمال – أى ضارب بالرمل ؛ وعباب (أى بائع للهباب لاستخدامه في الصباغة)! وضفادعي (أى بائع للضفادع) ودمشق معروفة ببيع الضفادع منذ القرن الماضي ، فان هناك من يستطيب أكلها ويدفع فيها ثمنا أكثر من ثمن لحم الضأن ··

واذا كانت الكتب العربية التي تصور المجتمع العربي في خلال العصور نادرة – لاهتمام المؤرخين بالتاريخ السياسي والعسكري للحكام والملوك – فان كل كتاب يصور لنا ناحية من مجتمعنا العربي يعد اضافة ذات قيمة الى المكتبة العربية · ومن هنا كانت فرحتنا شديدة بأمثال كتب خطط المقريزي ، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري ، والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري للمستشرق آدام ميتز ، وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ، وكتب الرحالين التي تعرض لنا لمحات من المجتمع العربي تمد الباحث بما قد يحتاج اليه لاستكمال صورة شاملة عن المجتمع كله · ومن هنا ايضا كان كتاب المستشرق « لين » ذا خطر في هذه الناحية . كما يعد كذلك كتاب « قاموس الصناعات الشامية» في جزءيه الكبيرين ، الذي وضع الاساس الاول في تاليفه المرحوم محمد سعيد القاسمي ، وأكمله بعد وفاته ولده الامام جمال الدين القاسمي وشريك له من أصهاره ·

ولما كانت الفترة التي صور فيها سعيد القاسمي وأدوار لين كتابيهما غير بعيدة ، بل تدخل احداهما في الاخرى على التقاء منتصف من القرن الماضي فان الموازنة بين بعض الملامح الصناعية والحرفية في الكتابين تعطي القارىء كثيرا من وجوه الاتفاق والافتراق في التعبيرات والتسميات تارة ، وفي الحرف نفسها تارة ثانية ، وفي العادات التي يحكمها العرف السائد المحلي تارة ثالثة · ولناخذ مثلا حرفة « السقاء » في مصر « الرشاش » في الشام ؛ فهما حرفتان تكادان تكونان شيئا واحدا وأداتهما شيء واحد ، وهي القربة من الجلد التي يحملها كل منهما على ظهره · الا أن « السقاء » يسقي الناس في مصر ، ويوزع المياه العذبة على طلابها في البيوت والدكاكين « والوكالات » وما اليها ، أما « الرشاش » في دمشق والشام ، فلم يكن للناس حاجة الى من يسقيهم الماء لقرب مناله من ايديهم ، ففي كل بيت تقريبا جدول او مجرى ماء · لهذا كانت الحاجة الى من يرش الماء في الاسواق التي أرضها من تراب لئلا يصعد الغبار الخارج من الارض ، بسبب المشي ، من كثرة المارين فيشوه البضائع ···

ولهذا نجد حرفة « السقاء » مما كان يتميز به المجتمع العربي المصري لبعد النيل – نوعا ما – عن البيوت ؛ على حين لا نجد للسقاء وجودا في مجتمع الشام ؛ ونجد مكانه «الرشاش» الذي يرش أرض الاسواق والطرقات بالماء حتى لا يثار غبارها· وقد لفتت صورة « السقاء » في مصر نظر المستشرق « لين » فقال : (مياه الآبار في القاهرة مشوبة بالملوحة ، فيجلب السقاءون الماء من النيل للسكان ، متعيشين من هذه المهنة ··· وهم ينقلون الماء في مزادات من الجلد على الجمال والحمير ، وقد يحملونه على ظهورهم في قرب صغيرة ؛ لمسافات قريبة ··· ويسمى ما يحمله الحمار قربة ، وتكون القربة من جلد الماعز ،

ويحمل السقاء كذلك قربة من جلد الماعز اذا لم يملك حمارا) ولا يفوت المستشرق أن يلاحظ حتى نداء السقاء وهو يصيح : «يعوض الله» فيمل هذا الهتاف على مروره . أما صورة « الرشاش » التى صورها العالم سعيد القاسمى فهى : (يتخذ الرشاش قربة، ويملؤها من أحد السبلان التى فى السوق ، ويرش الماء يمنة ويسرة من جهة الدكاكين ، ثم ان كان الوقت صيفا يرش السوق مرتين مرة عند الصباح قبل فتح الدكاكين ، ومرة فى وقت الظهر ؛ وذلك لكثرة الغبار أيام الصيف ؛ وان كان الوقت شتاء فيرش مرة واحدة وذلك بعد كنس الاسواق عند الصباح ، لقلة الغبار أيام الشتاء ، وله على كل دكان شيء معلوم ؛ يجمعه فى كل شهر ؛ ويتعيش به) .

ومن صور المقارنات اللطيفة بين الكتابين صورة « القصاص » أو « الشاعر » فى القهوة المصرية ، و « الحكواتى » فى القهوة الشامية ... فالمستشرق الانجليزى « لين » يصور لنا « القصاص » المصرى ، وهو يجلس فوق مقعد صغير بأعلى المصطبة المقامة بطول واجهة المقهى (ويجلس بعض السامعين الى جانبه ، بينما يجلس البعض الآخر على مصاطب المنازل المقابلة فى الشارع الضيق ، والباقون على مقاعد من الجريد ؛ وأكثرهم يدخن الشبك ، وبعضهم يرتشف القهوة) . والعالم العربى القاسمى يصف لنا « الحكواتى » الشامى قائلا : (وله فى كل قهوة وقت مخصوص لالقاء الحكايات ، وغالب أوقاته بعد المغرب ، وبعد العشاء . فيجتمع الناس فى القهوة وتصغى لقوله مع السرور والانبساط) .

والفرق بين المستشرق والشرقى ، والانجليزى والعربى فى تصوير ملامح المجتمع العربى . ان الاول يسجل ما يرى ولا يعنيه أن يعلق ، وقد يجافى الحق والذوق اذا علق ، أما العربى فانه يقول رأيه فيما لا يعجبه من صور المجتمع فى بلاده ، فيقول القاسمى مثلا عن صناعة القصاص أو الحكواتى فى المقاهى : (وبالجملة فهى صنعة رائجة جدا ، لان غالب الناس مكبون على استماعه أكثر من انكبابهم على العلم ، وهذا من الجهل المفرط) . ويبدو لنا ان القاسمى غير راض عن حرفة فيها مضيعة للوقت بصرفه الى ما لا جدوى منه ولا خير فيه .

ولم يكتف الشيخ سعيد القاسمى بابداء رأيه فى حرفة القصاص وعدم جدواها ، بل نجده ــ وهو يتحدث عن حرفة « القهوجى » ــ يحمل عليها قائلا: (وعلى كل حال ، فلا يدخل تلك القهاوي من كان ذا شهامة أو عقل أو دين، حيث أنها مجتمع الاسافل والاراذل) ثم لا يكتفى بذلك بل يستحضر أبياتا ــ على ضعف نسجها ــ للشيخ العلمى يحذر فيها من دخول القهاوى قائلا :

واحذر دخولك للقهوات ان بها
جل الفواحش مع كذب وغيبات
كم قهوة أصبحت للهو جامعة
وكم بلايا بها لاهل الديانات
كمحنة شغلتهم عن بيوتهمو
وعن صلاة وأوراد ، وطاعات

أما المستشرق لين فيصف فى كتابه القهوة المصرية قائلا : (فى القاهرة أكثر من ألف قهوة ... ويرتاد المقاهى أفراد الطبقة السفلى والتجار ، وتزدحم بهم عصرا ومساء ، وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية . ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه ... ويحتفظ القهوجى أيضا بعدد من آلات التدخين من نرجيلة ؛ وشيشة ؛ وجوزة)

ومن الصناعات التى نجدها مشتركة بين كتاب المستشرق لين ، وكتاب سعيد القاسمى . أو بين مصر والشام صناعة « الفوال » ؛ فقد وصفه لين ووصف أكلته ، قال عنه : انه « يدمس بانضاجه على مهل ليلة بطولها فى اناء من الفخار ، يدفن الى رقبته فى نار الفرن أو الحمام ، بعد أن تسد فوهته سدا محكما ويؤكل الفول بزيت بذر الكتان أو بالزبد، وقد يعصر عليه قليل من الليمون ، اما العلامة سعيد القاسمى فقد وصفه بقوله : « يضع محترفه كمية من الفول اليابس فى جرة من فخار ، ويضع عليه ماء يغمره ؛ ويضيف الى ذلك الماء رائق ماء مسحوق القلى ؛ ويدفنه فى تنور الحمام من المساء الى الصباح ، ويشترط أن لا يكون التنور سخنا جدا ؛ والمراد بالتنور هو رماد الزبد الموقد فى القميم؛ ويعرف ذلك الرماد «بالقصرمل» وذلك الرماد حينما يخرج من الموقد يكون فى غاية من الحرارة ، فتدفن فيه تلك الجرة المعروفة «بالقدرة» ليلا ؛ لينضج الفول المودع فيها؛ وعند الصباح تخرج تلك الجرة ، حيث يكون الفول قد نضج فيأخذه لدكانه ... »

وهكذا لو أخذنا « البواب » و « الشربتجى »بلغة الشام أو الشربتلى بلغة مصر ، « والزين » و«البلانة» و « المطاهر » الذى يختن الاولاد وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات لوجدنا مفارقات لطيفة تدلنا على خصائص محلية فى المجتمع العربى ، وهى خصائص وفروق توجد حتى بين أهل الاقليم الواحد ؛ كما نجد فى الفروق بين أهل الوجه البحرى والوجه القبلى من مصر ؛ وبين أهل سكوتلاندة وأهل ويلز من سكان الجزر البريطانية ...

محمد عبد الغنى حسن

مأساة أديب ومكرمة وزير

في العام الماضي ، وخلال ايام مهرجان الشعر بالاسكندرية على وجه التحديد ، أثار الاستاذ كامل الشناوى في مقال له : مأساة أديب شاعر ، تعرض لمحنة ساقتها اليه قسوة الزمن ، فاغلقت دونه كل أبواب الرزق ، ولم تكد تبلغ مأساة الاديب مسمع السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى ، حتى بادر فأمر بايجاد عمل للاديب الممتحن فى مصلحة الاستعلامات يوائم ظروفه الصحية ؛ ويدفع عنه غائلة مأساته ؛ ويصون له كرامة الاديب الحريص عليها حرصه على نفسه ذاتها .

كان هذا الاديب هو الشاعر محمود أبو الوفا ..

***

ومنذ أيام معدودة أثار الدكتور لويس عوض فى مقال له على صفحات الاهرام مأساة أديب ناقد يتعرض لمحنة فى عنفوان قسوتها ، جمعت بين الازمة الصحية والازمة المادية ، فشكلتا أزمة نفسية أقوى من أن يحتملها انسان له طاقة محدودة من الصبر والاحتمال .

وبقدر ماهزت مشاعرنا مأساة الاديب الناقد الذى كان الى عهد قريب مدرسة فى النقد الادبى قائمة بذاتها ، هزت مشاعرنا أيضا اريحية السيد الوزير ، حين أضاف مكرمة الى مكرماته ، فأمر بمجرد أن بلغته المأساة بمنحة مالية للاديب وبعلاجه على حساب الدولة ، وبوصل رزقه الذى قطع عنه وهو فى ذروة مأساته .

وكان هذا الاديب : هو الكاتب الناقد الاستاذ انور المعداوى ..

***

اننا مطمئنون كل الاطمئنان الى اريحية الوزير الاب الرحيم لكل فنان او أديب يتعرض لمحنة تبلغ مسمعه ، ولكن المشكلة ليست مشكلة الاديب الشاعر أو الاديب الناقد وحدهما ، فهناك أدباء قد يتعرضون اليوم أو غدا لمآس ومحن ، وقد لا يجد البعض منهم من يبلغ عنه مسمع السيد الوزير محنته؛ كما قد يحول حياء البعض منهم ايضا دون بروزها على صفحات الصحف، ويؤثر أن يواجه محنته على حساب أعصابه على أن يهز مشاعر واحساسات القراء نحوه .

فماذا نفعل نحو هؤلاء ؟

الحل الوحيد هو أن يكون للادباء اتحاد يضم شملهم ، ويتكفل بانتشالهم من اية محنة يتعرضون لها ، ولا يرى فى هذا تفضلا منه عليهم ، بل حقا مقدسا لهم عليه .

أليس مما يحز فى النفس ، أن نرى ندوات أدبية تعقد فى بعض المقاهى؛ وأخرى تعقد فى بعض الحدائق العامة ، وثالثة تعقد فى بعض المساكن الخاصة .. وما الى ذلك ؟؟

ان الفئة الوحيدة التى لها عدد غير قليل من النوادى والجمعيات ، ولكن ليس لها اتحاد يجمعها ويرعى مصالحها ، هى فئة الادباء وربما كان هذا راجعا الى أن الادباء متوزعون فى عدة نقابات حسب وظائفهم الاساسية ، ولكن هناك أدباء متفرغين يزيدون على الحصر، متوزعين هنا وهناك روادا للمقاهى أو ضيوفا على النوادى ، فلماذا لا يكون هؤلاء نواة لاتحاد يضم شمل الاديب ويطمئن حياة الادباء ! .

***

ان مكرمة السيد الوزير التى لم تحل الحوائل بينها وبين أديب أو فنان مر بماساة أو تعرض لمحنة، هى وحدها التى تستطيع اليوم أن تحل المشكلة ، وتقيم بناء يكون بمثابة صرح للادب تقر به عيون الادباء ، لانه سيتدارك كرامتهم كلما تعرضت لمحنة او مأساة ..

الرسالة



دعاء

للأستاذ حسن جاد حسن

يا سميع الدعاء للسائلينا ــ ومجيبا ضراعة الضارعينا
يا مغيث الملهوف ، ياكاشف الضر عن اليائسين والبائسينا
يا نصير المظلوم ، يا قاهر الظالم يا ملهم الحيارى اليقينا
فرج الكرب عن عبادك يا رب واطلع سناك للمدلجينا
واجل هذا الليل الطويل بفجر يهتدى فى ضيائه الحائرونا
نفحة من رضاك : ومضة اشراق ترد المنى الى اليائسينا
ما جت الأرض بالشقاء فأمست تقمم الأفق صيحة وانينا
وجفاها السلام حتى لقد بات بنوها واصبحوا خائفينا
وغدا المسلمون فيها يتلى من شتات اذلة صاغرينا
يترامون فى الممالك اشلاء وكانوا اعزة فاتحينا
أين سلطانهم ؟ وأين جلال كان يعنو لمجده الشامخونا ؟
كرب مالها سواك لقد استعصت واعيت عبادك العاجزينا
وهموم كأنها ظلل الموج غدونا فى لجها مغرقينا
وظلام يطوى النفوس على اليأس طغى ليله فاعمى العيونا

ورجاء يموت اثر رجاء   ودعاء لا يسعف الداعينا
كلما طاف بالخواطر ـ آل   طار نحسا من صيحة الناعبينا
واذا نغم المسرة شاد   استحال النشيد لحنا حزينا
قلق لا يريم ، يارب رحما   ك فما زلت ارحم الراحمينا

***

لك يارب فى النوازل سر   ولك الحكمة البليغة فينا
أنت ملء السماء والارض نورا   تجتليه بصائر المؤمنينا
صدف الناس عن هداك وضلوا   فى هواهم صراطك المستبينا
وتنادوا بالشك فيك ودانوا   بهراء الالحاد والملحدينا
واستبدت بهم مطامع دنيا   مرغوا بالنفاق فيها الجبينا
واستباحوا محارم الدين بغيا   ونسوا الله اسرع الحاسبينا
واذلوا النفوس حرصا وسحتا   فهوت تحت ارجل الواطئينا
واستحرت ضراوة الحقد حتى   واد الحب فى النفوس جنينا
مأتم تندب الفضيلة فيه   خلقا مات او ضميرا طعينا
رب لا تأخذ الضعاف بذنب   قد جناه فى ملكك الظالمونا
واحفظ الدين من سهام الاعادى   واعز الاسلام والمسلمينا
واكتب النصر للعروبة يا رب ،   ووفق ابطالها العاملينا

حسن جاد حسن

غنوة لطفل

للأستاذ عبده بدوى

كالنسمة وارفة حلوه
كالألق الباسم فى غنوه
كحقول القمح المرجوه
وكقطرة نور مزهوه
.. أضحى بيتى فى فرحته
بنوافذه ، بحديقته !

***

فى الماضى لم أنبت ورقة
لم أزرع فرحا فى حدقه
قد كنت حياة محترقه
أشواقا حائرة قلقه
وإذا بصباح مبهور
يعطينى أسرار النور !

***

فأرانى أزحم أيامى
وأغطى الأفق بأحلامى
فبأعماقى شىء نامى
شىء كجناح مترامى
يعطينى خصب البشريه
فى سمرة وجه مصريه

***

أهدية للشعب الأسمر
للفأس على الحقل تثرثر
للنبض الثورى المزهر
للفكر ، لعالمه الأخضر
للعالم أهديت صباحه
فليقبل منى أفراحه !
ما زلت أراها بين أبى
كبشارة فجر مرتقب
فى قريتنا !

***

أبصرت بسنبلها الحبا
والخصب يشق له دربا
والبذر يسير بها وثبا
أن يلق « الموال » العذبا
والنسمة والفجر الرطب
فالشعب هنا حقل لبى
انسان ممتلىء حبا
أطيار . أوراق . تربى
أبصرت بها تكسو ولدى
وتضم لأمسى حلو غدى
فى قريتنا !

***

فى قريتنا يزهو الشجر
والفكر الأخضر يزدهر
وتضىء مع الشمس البشر
.. فإذا تمثال منتصر
وقصائد تملؤها الصور
وسواعد عانقها القدر
فى قريتنا !

عبده بدوى

صفحات أدبية مطوية
مع الكاظمي شاعر العرب

للأستاذ أحمد الشرباصي

كم من القراء اليوم يتذكرون عبد المحسن الكاظمي الذي تألق نجمه الشعري عند مطلع هذا القرن ، واستمر متألقا قرابة أربعين عاما ، وظل الادباء يطلقون عليه لقب « شـاعر العرب » خلال هذه المدة ؟ ..

لقد ولد الشاعر الكاظمي في «محلة دهنة» بالعراق سنة ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ م من أم ينتهي نسبها الى الامام موسى الكاظمي جد الشريف الرضي الشاعر المشهور ؛ ومن أب كان تاجرا ؛ ولذلك أريد للولد أن يكون للتجارة كوالده ؛ ولما كانت تجارة العراق في عهده لها صلتها بالبلاد التي تتكلم اللغة الفارسية ؛ فقد بدأ بتعلمها ؛ ولكنه سرعان مادخل روضة العلوم العربية ؛ فتلقاها علما بعد علم ؛ كما تلقى فنون الادب بالكاظمية في العراق ؛ وكان استاذه فيها ابراهيم الطباطبائي احد أعلام الشعر العربي بالعراق في القرن التاسع عشر ؛ فقد مات الطباطبائي سنة ١٩٠١ م .

وقد قال الكاظمي الشعر ؛ وبرز فيه ؛ واقتدر على ارتجاله مطيلا فيه ؛ حتى روى عنه أنه كان يرتجل القصيدة تزيد على مائة بيت . وهذه ناحية غريبة في حياة الكاظمي الادبية .

ولقد قال طائفة من القصائد في نقد الحكومة العراقية على عهده ، فلاحقته بالاضطهاد والمراقبة ؛ حتى ارغمته على أن يفر الى الهند مهاجرا ؛ وبعد فترة قضاها هناك وفد على مصر سنة ١٨٩٩ ؛ واتخذها دارا وقرارا ، واتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ؛ واستعان بجاهه ومكانته ؛ وكان حاضر البديهة ، سريع الخاطر ؛ يسلك في شعره طريقة القدماء من شعراء العرب .

وقد لاقى وهو في مصر متاعب جمة ؛ وعاناه مرضه وضعف بصره ووهن شيخوخته عن الخروج الى الناس في الاعوام الاخيرة من حياته ؛ وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ، بعد أن خلف من ورائه ديوانه الذي طبع في جزءين عام ١٩٣٩ ؛ ومعلقاته في سعد زغلول التي نشرها خير الدين الزركلي سنة ١٩٢٤ ؛ وله كتب أخرى فقدت في حياته أو بعد مماته .

وقد كتب الكاظمي الى رشيد رضا رسائل أغلبها في شكوى الزمان ؛ وطلب المعاونة على مطالب الحياة؛ وقد عثرت على أربعين رسالة منها كلها بخط الكاظمي ؛ ومعظمها في بث الشكوى وابداء الحاجة ؛ وطلب المؤازرة ؛ ومن بينها رسالة كتبها في ٢٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هجرية ؛ الموافقة لسنة ١٩١٤ ميلادية ؛ وهي تعد نموذجا من نماذج أدب الشكوى في أدب الكاظمي خاصة ؛ وفي أدب عصره عامة .

وفي بداية الرسالة نفهم أن الكاظمي كان من شيعة الاستاذ الامام محمد عبده ؛ وممن يستظلون بظله ؛ ويتقوون بجاهه ؛ وأنه وجد في صديقه رشيد رضا بعد الامام مايذهب جانبا من وجده لفقده ؛ والكاظمي يصور في هذه الرسالة المصائب التي توالت عليه في عامه ذلك ، فهو يشكو غدر الصديق ؛ وملاحقة الدائن ؛ وجحود العشير ؛ وتلون السكن ؛ وكفران من أحسن اليه سنين عددا ؛ حتى اضطرته هذه المحن أو بعضها الى أن يهجر مسكنه في « العباسية » الى « الجيزة » ؛ ويختفي هناك عن معارفه وعن سائر الناس؛ ويصور مبلغ أساه وحزنه حين أرشد صديقه بعض الناس الى المنزل الذى لجا اليه متخفيا تحت جنح الظلام برغم شيخوخته ومرضه .

ويشير الكاظمي في رسالته الى الشيخ عبد الكريم سلمان الذى نفهم من رسائل أخرى للكاظمي - هي بين يدي - أن رشيد رضا كلف الشيخ عبد الكريم بالتوسط لدى بعض المسئولين في الدولة لمعاونة الشاعر الكاظمي ؛ ويظهر أن معظم متاعب الكاظمي ترجع الى مصدرين : الاول فقره والثاني فشله في حياته الزوجية .

وهذا هو نص الرسالة :

« سيدى الاخ الفاضل

أكتب هذه الكلمة وأنا لا أملك عنان يراعي فآمن عليه الشطط ؛ ولا أستطيع كبح جماح مقول فأحيد به عن الغلط ؛ فاذا عثر القلم ؛ أو زل اللسان ، فمثلك من يقبل العثرة ، ويغفر الزلة . لم أجد بعد الاستاذ الامام أحدا أخضع له واعظمه ؛ والتجيء اليه واذب عنه ؛ واحامي دونه وأتوب اليه ؛ واعتذر منه واعتب عليه ؛ الا أنت .

اجمل فاقول : لو وضعت مجموع ما اصبت به من الحوادث مدة حياتي في كفةميزان ..ووضعت

ما أصبت به في هذه السنة ـ أي منذ بداية هذه الحرب المشئومة ـ في الكفة الاخرى : لرجحت الكفة الاخيرة أيما رجحان · أصابني في هذه السنة من ضروب الهوان ؛ ولحقني من صنوف الاذى : ما لم اكن أتوقع حدوثه في الحلم ·

لقيت من الاهل والاخوان ما لم آلفه من الزمان · لقد صدق القائل :

واخوان تخذتهم دروعا
فكانوها ، ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات
فكانوها ، ولكن في فؤادي

انلطف مع الدائن واحاسنه ، فاسمع منه مالا يرضاه أحقر الناس نفسا ، واثق بالصديق وائتمنه على سري ، واطلعه على أمري ، فينقلب علي رقيبا وواشيا ، وأنفق على النزيل المحتمي بي أكثر من سبع سنين ، وأذل نفسي لعزته ، واقلق بالي لراحته ، فأرى منه عند الشدة ما لم اكن تصوره أو يخطر على بال · أقيم مع الزوج السيىء الخلق عدة سنين ، أقوم معوجه ، وأصلح فاسده ، وأكابد من أجله كل شقاء وعناء ، حتى اذا يئست من اصلاحه ، وعجزت عن مداواة أخلاقه ، طلقته أولا بعد الوعيد والانذار اللذين لم ينفعا معه ، وطلقته ثانيا بعد العلاج الذي لم يجد ، وفارقته وابتعدت عنه على حين ليس له علي اقل حق ، ولكني ارضاء لخاطره تكفلت له بحقوق أعطيته وثيقة بها ، يتقاضاها مني عند الامكان ، وفرضت على نفسي له فرضا يعيش منه وهو في غنى عنه ، اؤديه في رأس كل شهر · وصنعت معه من العرف مايضيق عن ذكره مثل هذا المقام ·

كل هذا لم يكفه ، بل صار يكيد لي ليفترس سمعتي وشرفي انتقاما مني ، فنسب الى ما يتحاشى سماعه أسوأ الناس أخلاقا · كنت اعلم من قبل أن من الخلق من يحب الانتقام ، ولكني ما كنت أتصور أن مخلوقا يصل به حب الانتقام الى درجة يهون معه قتل النفس البريئة ، وسد أبواب الرزق دونه ، واماتته جوعا وعطشا · لماذا كل هذا ؟ · لانه أصبح طالقا ! ·

ثقتي بالصديق كانت تدفعني ان ألتجيء اليه واحتمي به ، واطلعه على ما أصابني ، فأرى منه خير معين ونصير ، واعظامي له كان يمنعني أحيانا أن ابوح له بما أرى ذكره غير لائق بمقامه السامي ، تلك الثقة هي التي دفعتني أن اخبر الصديق الوحيد دون سواه عن سبب انتقالي من العباسية الى الجيزة ، وعن سبب اختفائي في الثانية ، وان اطلب منه تكتم الخبر : وأن لا يطلع عليه أي انسان مهما كانت صفته ·

وكنت أظن أن الزور والبهتان والتمويه والتضليل لا يخفى على مثل الصديق أمره ، وأن حكمه في الاشياء لا يجب الا بعد طول التحقيق والتدقيق والتروي والتأني ، لا بمجرد دعوى من مدع ، أو شكوى من شاك ·

***

وينبغي أن نلاحظ أن الكاظمي لا يتقيد في كتابته بقواعد الاملاء المألوفة لنا ، فهو يكتب كلمة «اؤديه» هكذا : «اديه» · ويكتب كلمة «رأس» هكذا «رئس» ، ويكتب كلمة «يتحاشى» بالألف «يتحاشا» ، ويكتب الضاد ظاء اتباعا لنطق أشقائنا في العراق لحرف الضاد قريبا من الظاء ، ويكتب كلمة «يتبرأ» هكذا : «يتبرء» ··· الخ ·

وهو قد ينسى حرفا من الكلمة بسبب العجلة ، وخطه مقروء ، وان كان غير جيد ·

***

ويظهر أن شكوى الكاظمي لم تكن بنت العام الذي سطرت فيه الرسالة الماضية ، فقد سبقت شكواه هذا العام بأعوام ، فقد عثرت على قصيدة بخط الكاظمي وجهها الى رشيد رضا بتاريخ ٦ شوال سنة ١٣٢٥ هـ ـ أي قبل كتابة الرسالة الماضية بنحو ثمان سنوات ـ وهي قصيدة يبدو منها الحزن والأسى ، فهو يبكي شبابه الذاهب وعزمه الغارب ، ويتحدث عما كان له من قوة وفتوة ، ثم ينتقل الى وصف آلامه وأحزانه ، ويخلص من هذا الى أبيات لا تستوقفنا في موضوعنا طويلا ، لانها مديح في صاحبه ، وقد يكون مبعثه التقدير ، وقد تكون علته الحاجة ، ولكن يعنينا بعد أبيات المديح أبيات فيها لوعة وحسرة ، والقصيدة الى جوار الرسالة تزيدنا معرفة بشكوى الكاظمي في شعره ونثره :

اطرقت مهما مر في خلدي
ذكر الشباب وعهده النضر
اطراقة المأموم وهو شج
تطوى أضالعه على الجمر
والعين دامية ، فأدمعها
تنهل من بيض ومن حمر
ولواعج الزفرات في صعد
تمتد بين الصدر والنحر

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

مهرجان الشعر في الميزان

مهرجان الشعر الذي أقامه المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاسكندرية في الاسبوع الماضي – كان للشعر عيدا ، بكل معنى كلمة «العيد» اختلط فيه الجد بالهزل، والوقار بالمرح ، والجيد بالردىء، والسامي بالمسف ، واخذ كل من كل حاجته ، حتى هذه الالاف المؤلفة من الاولاد والبنات الذين احتشدوا في المدرج الكبير بكلية الحقوق ليسمعوا مها صبري وفايدة كامل.. بعد ان يفرغ الشعراء من قصائدهم .. حتى هؤلاء لم يخل الامر من وصول اطراف من الشعر الى اسماعهم ، وبعض عرف ان هناك شيئا اسمه الشعر . وانه جدير بكل هذا الاحتفال . وكان هؤلاء الاولاد وما يفرحهم من مظاهر العيد ، وهل يخلو عيد من الاولاد وافراحهم ؟

وكان للمهرجان معان اخرى غير مجرد الشعر والبحث ، اكد للشعراء ان لهم دورا في الحياة ، وانهم لدى الدولة موضع الرعاية ، كما اكد للناس ان الشعراء موجودون وان انكرتهم الصحافة ، وان لديهم ما يقولونه في حياتهم ويعبرون به عنهم، واكد للشعراء الشبان ابوة الشيوخ ، وان كانت هذه الابوة لم تتوافر الا في ظلال الدولة ، والدولة اب او ام للجميع .

وتجمعت معاني العيد كلها في التقاء افراد الاسرة الشعرية ومن صاحبهم من الدارسين والنقاد وممثلي الصحافة الادبية . عاش الجميع اياما جميلة بالثغر الجميل في جو يسوده الصفاء والحب، لم تعكره حتى روح المنافسة ونوازع الغيرة المعهودة بين الشعراء . القصيدة الجيدة جيدة ولا كلام.. والتي ليست كذلك – ليست كذلك .. ولا مجاملة ..

ولم يخل بالجو العام ومتعته وسحره وصفائه– ما كان من نقدات واسئلة عن بعض اشياء ..

هل كان يصح ان تجيز لجنة الشعر هذه القصيدة ؟ وهل ضروري ان يكون كل هؤلاء الشعراء في المهرجان وفي اشعارهم كثير من الرديء؟

وبعض اعضاء يسألون مستنكرين : لماذا قال الشاعر فلان هذا البيت او هذه الابيات وقد حذفتها اللجنة من قصيدته ؟ ويكون الجواب : لقد جنى على نفسه ، وكان اجدر به ان يقتصر على المنقى من شعره ..

ولم هذا الحشد الكبير في المدرج الفسيح ؟ اكثر هؤلاء جاءوا للموسيقى والغناء .. وهم يصفقون باعجاب وبلا اعجاب ولمجرد العبث ، وبعضهم يقول : اعد .. وهو لا يريد اعادة .. والشاعر المملول يعيد ! الم يكن من الممكن ان يكون القاء الشعر والبحوث في مكان آخر بعيد عن هذا

قل للعذول : اليك عن عذلي
ذهب الغرام وانت لا تدري
رحل الشباب ، ورب مرتحل
ولى ، وخلف أطيب الذكر
أمعاهد الأحباب ، هل خبر
تسري به الأرواح ما تسري
مالي – اذا فيك الخطوب جرت–
غير الدموع عليهم تجري
كم سائل لبيت دعوته
ودفعت عنه الشر بالشر
ومروع سكنت روعته
وغمرته بالنائل الغمر
كم شدت للراجين من أمل
وجبرت للعافين من كسر
حتى اذا افترس الزمان يدي
ووقعت بين الناب والظفر
لم الق ممن كنت أكلؤه
لي كالئا يأوي الى وكري
قد خانني من كنت أحسبه
يبقى معي في العسر واليسر

***

واذا كانت رسالة الكاظمي السابقة تعطينا ملامح عن « الرسالة الاخوانية » في عصره وفي أدبه ، فان القصيدة تعطينا ملامح عن الشكوى والمديح في عصره وفي أدبه ، وكل من الرسالة والقصيدة جديرة بالتأمل والبحث .

احمد الشرباصي

الزياط .. فاذا ما انتهى الالقاء انتقل الحفل الى مكان السمر ؟

كل ذلك يقال ويمر ، حتى الزوبعة العاتية التى اثارها صالح جودت بهجومه على الشعر الجديد ووصف شعرائه بانهم مخضبو الأكف .. ما هذا الكلام ، وما لزومه ؟ ولم التعريض بالألوان الى الوان سياسية اجنبية بقصد تلوين بعض المواطنين بها وليسوا من اهلها ؟ وما علاقة الشعر - جديده او قديمه - بهذه الألوان ؟ ولم تقر اللجنة ذلك ؟ هبوا محقة فى نفى الشعر الجديد من المهرجان ، ولكن لماذا الشتيمة وسب المواطنين ؟

قال ذلك خصوم الشعر الجديد انفسهم ، وانسحب من الاجتماع بعض اصحاب الشعر الجديد .

حتى هذه الزوبعة مرت بسلام .. وكان ما كان - ما كان !

السنا فى عيد ..؟ والعيد يحوى كل شىء .. قد يغرق بعض المتنزهين فى النيل ، ويتسع لذلك صدر العيد !

ولا بأس ، فمن لوازم العيد « الجديد » فاذا لم يكن شعر جديد فليكن هجو الشعر الجديد !

ولا بأس كذلك .. فليس فى الامكان ان يكون كل شىء على ما يرام ولنأخذ بعد فى الحديث عما القى فى المهرجان من بحوث وقصائد .

البحوث

القيت فى المهرجان عدة بحوث عن الشعر ، أولها للاستاذ العقاد بعنوان «الشعر لازم» ، القاه بنفسه ، **وقد قوبل عند دخوله الى القاعة بتصفيق حاد استمر نحو خمس دقائق ، وكان هذا تعبيرا عن تقدير الجمهور الاستاذ الكبير .**

ومحاضرة العقاد ذات شقين ، الاول بيان عن ضرورة الشعر للحياة الانسانية ، قال فيه عن الشعر : « لا ينقص من لزومه شيوع الصاروخ كما قيل ، بل هو الزم ما يكون حين تشيع الصواريخ وتشيع معها أخواتها من صفائح الحديد والخشب وآلات النار والكهرباء . وكلما غلبت المادة وصفائحها وآلاتها تحسس الانسان مكان روحه ، وارتد الى قرارة أعماقه ووجدانه ، يطمئن على نفسه : **الا يزال انسانا بعد ، أو هو فقد الانسانية فى كيانه وصار مع الصاروخ وأدواته آلة من الآلات ، وقطعة من الخشب والحديد ، وشواظا من النار والكهرباء ؟**

والشق الثانى فيما يلزم فى الشعر باعتباره فنا من الفنون له قواعد وأصول ، وخص بالكلام الوزن من حيث ما يقال من أنه يدعو الانسان الى أن يقول مالا يلزم تكملة للوزن حيث لا محل له من الكلام . وأتى بأمثلة من الشعر العربى بين فيها التفاعل بين الالفاظ والمعانى ومكان بعض الكلمات من الدلالة على المعانى ، فلا تعد من الحشو أو الفضول .

ولا شك أن هناك كثيرا من الشعر يلجىء فيه الوزن الشاعر الى حشو وفضول ، فالقاعدة على اطلاقها غير مطردة ، الا أن تقيد بالشاعر المقتدر المتمرس .

والقى الدكتور زكى نجيب محمود بحثا موضوعه «مظاهر شعر الشباب فى الجيل الماضى» تحدث فيه حديثا مضيئا عن ثلاثة شعراء شبان فى الجيل الماضى ، **هم الشابى فى تونس ، والتيجانى فى السودان ، والهمشرى فى مصر** ، واختارهم من بين شعراء جيلهم كنماذج للاحساس الحاد الملتهب الذى يتأثر بما حوله فيتألم ويثور . وقد فصل الدكتور زكى نجيب الكلام فى خصائصهم الشعرية والنفسية وقارن بينهم وبين غيرهم من الشعراء الراضين ، وأوضح الفروق بين أثر الرضا وأثر السخط فى الشعر ، من حيث أن الاول يدعو الى التجويد الاتباعى ، والثانى الى التحليق الابداعى .

وكان بحث الدكتورة سهير القلماوى عن «الشعر بين الفنون» ، وهو بحث قيم تتوافر فيه الاصالة الفكرية والنظرة الشاملة .

اما الموضوع الذى فاجأ المجتمعين فى المهرجان بشىء جديد لم يكن على البال .. فهو بحث الاستاذ نقولا يوسف عن « الشعراء السكندريين الاوربيين » تحدث فيه عن شعراء أوربيين كانوا يعيشون فى الاسكندرية وبعضهم لايزال بها ، وعرض نماذج رائعة من أشعارهم التى تعبر عن البيئة السكندرية .

وقد أثار هذا البحث فكرة جديدة ، هى أن يشترك أولئك الشعراء والشاعرات الموجودون الآن بالاسكندرية فى المهرجان القادم .

والقى الدكتور بدوى طبانة بحثا قيما موضوعه « الوحدة فى الفن الشعرى » ناقش فيه الوحدات الثلاث (الزمان والمكان والموضوع) التى قال بها أرسطو وآراء بعض الغربيين فيها والثورة عليها . ثم انتقل الى الشعر العربى فعرض آراء نقاد العرب فى وحدة البيت واستقلاله أو اتصاله بما قبله وما بعده وافتقاره اليه . **وأورد رأى ابن الاثير الذى**

يستحسن حاجة البيت الى الذي يليه • وقال الدكتور طبانة انه يرى اطلاق كلمة «التماسك» بدل الوحدة • **والذي يبدو لي أن لفــظ التماسك لا يحل محـل الوحدة، لانه قد يوجد مع الاستطراد الوثيق الارتباط من موضوع الى موضوع وأما وحدة الموضـوع فهي تلزم بموضوع واحد •**

والقى الاستـاذ ابراهيم الحضراني مندوب اليمن محاضرة عن الشاعر اليمنى « عبد الله البرزانى » ، كما ألقى الاستاذ يوسف فهمي الجزايرلي محاضرة عن الشاعر السكندري « عثمان حلمي »

وختمت البحوث ببحث للدكتورة نعمات فؤاد عن « المرأة في شــعر الزهاوي » وقد وفت الموضوع باعتبار عنوانه « المرأة عند الزهاوي » **فلم يكن في الموضوع « شعر » اذا كان أكثر ما أتت به من كلامه في تحرير المرأة نثرا عاديا ، والاقل الموزون لايخرج عن نظم الافكار ، وليس فيه أية صورة شعرية •**

في سطور

● اشترك في المهرجان ثمانية واربعون شاعرا وثماني شاعرات ، كانوا جميعـا ينزلون في ضيافة المجلس الأعلى بفندق « وندسور »

● **مثلت في المهرجان بعض البلاد العربية ، مثل السودان الشيخ محمد البنا ، القى قصيدة ، ومثل اليمن ابراهيم الحضراني ، ألقى محاضرة ، ومثل فلسطين سميرة أبو غزالة وهارون هاشم رشيد ، القى كل منهما قصيدة تتصـل بقضية فلسطين . ومثل الجزائر المفدى زكريا ، القى كلمة في حفل الافتتاح دعا فيها باسم شعب الجزائر وحكومته الى عقد المهرجان بالجزائر في العام القادم •**

● استمر المهرجان ســتة أيام من ١٦ الى ٢١ نوفمبر ، كانت القصائد والمحاضرات تستغرق نحو ثلاث ساعات كل يوم يعقبها حفل سمر .

● كانت حلقات الشعراء والأدباء تنعقد كل يوم في بهو الفندق ، حيث تجرى مناقشات وتعليقات على ما ألقى من الشعر ، كما كانت تجرى أحاديث شتى في قضايا الادب وغير الادب •

● **لم يكن الشــاعرات متفوقعات ، وقضين مع اخوتهم من الشعراء والادباء أيام المهرجان بعيدا عن احاديث الازياء و (المودات) وما اليها مما تدور عليه احاديث السيدات •**

● راعت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى التنويع في موضوعات الشعر عند اختيار القصائد ، من وطنية وعاطفية وغيرها ، وقد ظفرت الاسكندرية بعــدد لا بأس به من القصائد التي قيلت فيها وفي شواطئها وذكريات الشعراء فيها •

● نظم محمد التهـامي قصيدة عن ثورة العراق الاخيرة التي حدثت في يوم من أيام المهرجان ، وألقاها في اليوم الرابع مع قصيدته المعدة من قبل • وألحق عبد الله شمس الدين بقصيدته أبيــاتا في هـذه المناسبة ، وقد قوبل كل منهما بتصفيق حاد •

● كان كثير من القصائد لاتلتزم وحدة الموضوع، ومنها قصائد لشعراء كبار ، وعلى العكس التزم هذه الوحدة أكثر الشــعراء الشبان وان كانت تنقص بعضهم الجودة والنضج •

● من القصـــائد التي لم تلتزم الوحدة قصيدة صالح جودت التي قال فيها كل شيء •• وقصيدة عبد العزيز برعام التي انتقل فيها من محل أحذية للاطفــال الى الصواريخ وعالم الفضاء ولم يعد الى المحل المذكور ••

● ظللنا أربعة أيام نستمع الى قصائد الشعراء ما بين جيدة ومتوسطة ورديئة ، ونصفق للجيد ، ويصفق الأولاد طلاب الغناء والسمر للشعراء جميعا كنوع من التسلية والخروج من الملل •• **حتى كان اليوم الخامس ، اذ انطلق صــاروخ الشعر من فم محمود حسن اسماعيل •• كانت قصيدته عروس المهرجان •**

● من القصائد الجيدة قصائد علي احمد باكثير وعبده بدوي ومحمد عبد الغني حسن ومحمد الجيار وعبــد الرحمن صــــدقي والعوضي الوكيل وعادل الغضبان ومحمود عماد وطاهر الجبلاوي وعبد العليم القباني وجليلة رضا وروحية القليني ونجــاة شاور وسميرة أبو غزالة •

● كانت قصيدة علي الجندي ذات طرافة خاصـة ، وسأتحدث عنها فيما بعد •

● كانت قصائد بعض الفحول أقل من مستواهم مثل أحمد رامي ومحمود غنيم •

● كانت بعض القصائد تظفر بالتصفيق لاعتبارات من خارج الشعر •• مثل ورود أســـماء وكلمات وطنية ، ومثل التطرف في الغزل ••

● **الى اللقاء في الاسبوع القادم حيث ننظر في بعض قصــائد المهرجان ونتحدث عن ظواهر شعرية فيه •**

عباس خضر

فى عالم الفن

مسؤلية المثقفين فى الموسم المسرحى الجديد

للاستاذ : عبد الفتاح البارودى

ماذا سيفعله المثقفون فى الموسم المسرحى الجديد ؟ ان الموسم بدأ فعلا بروايات عالمية تمثل على مسرحنا لاول مرة ، فهل سيكتفى المثقفون بالجلوس فى مقاعد المتفرجين ؟

مسألة أخـــرى أهم ! لانها متعلقة بالتخطيط المسرحى ... ان فى هذا الموسم بالذات ظهرت خطة جديدة لتنظيم نشاط الفرق المسرحية ، وعلى أساس هذه الخطة وضـــع تقسيم منهجى لفرق مسرح التليفزيون . فأصبحت تتكون من ثلاث شـــعب : المسرح العـــالمى ـ والمسرح الكوميـــدى ـ والمسرح الحديث ... وكذلك أنشئت شعبة رابعة باسم مسرح توفيق الحكيم ، فكيف يؤدى هـــذا التقسيم أحسن نتائجه ؟ وما الرأى فى هذا التنظيم ؟!

ان هذه كلها مسائل هامة جدا ! فمتى يناقشـــها المثقفون ؟ هل ينتظرون ظهور نتائجها فى نهـــاية الموسم مثلا ؟ ولكن ماذا يمنع من مناقشـــتها الآن باعتبار انهـــا اتجاهات فكرية جديدة وقائمة على تخطيط منهجى ؟!

الواقع أن المثقفين عندنا لا يتحملون مسئولياتهم كما يجب ... فهم لا يعجبهم العجب! ومع ذلك فانهم فى نفس الوقت لا يناقشون التجارب الفنية مناقشة جادة ... فى الموسم الماضى ظهرت تجربة تعـــدد الفرق المسرحية ! وهذه التجربة حققت نتائج هامة وكشفت عن احتياجات هـــامة ولـــكن معظم الذين ناقشوها تركوا النتائج والاحتياجات وداروا حول القشور .

فمثلا نجحت هذه التجربة فى خلق الشغف المسرحى بين الجمهور ؛ وفى القاء الضوء على خامات جـــديدة متفقة ؛ وفى فتح أبواب العمل للمثقفين فنيا ؛ وفى امتداد النشاط المسرحى الى الاقاليم ... الخ ... ورغم ذلك كله سمعنا من يتساءل عن مستوى الروايات التى قدمتها الفرق التليفزيونية ؛ بحجة أن رواية ممتازة واحدة أفضل من عشر روايات متوســـطة أو ضعيفة ... وسمعنا أيضا من يتساءل عن أســـباب زيادة عدد الفرق الى ١٤ فرقة دفعة واحدة ؛ بحجة ان التوسع يحتاج الى تريث! وان السير خطوة خطوة أفضل من القفز ... وهكذا ... وأنا لا أســـتهين بالقيم الفنية ؛ أو بضرورة مراعاة المستوى الفنى . وانما أدهشنى أن « المتسائلين » هم الذين تغاضوا عن النظر الى القيمة الفنية والمستوى الفنى! وأغفلوا تقدير ظروف مسرحنا المحلى ... الدليـــل على ذلك أن الفرق التليفزيونية قـــدمت روايات مترجمة أو مقتبسة من الادب العالمى ؛ وقدمت مسرحيات معدة من قصص أدبائنا ، وكل هـــذا الانتاج فى مجموعه لا يقل مستواه عن المستوى المألوف فى مسرحنا! ومع ذلك لم يكترث المتسائلون بمناقشة أى رواية ، ولم يحاولوا حتى المقارنة بين انتاج الفرق التليفزيونية والانتاج الذى يرون أنه المثل الاعلى كما تتصـــوره أذهانهم .

لو أنهم حاولوا ذلك لادركوا أولا أن المســـتويات متقاربة ، ولادركوا ثانيا أن السير بسرعة السلحفاة يحدد النشاط المسرحى فى القاهرة فقط ! ويحـــدد الشغف المسرحى بين جمهور ضئيل العدد ، ويجعل مسرحنا « كالبيت الوقف » لا يدخله غير عدد محدود من النجوم والمؤلفين .. وأحب أن أسأل « المتسائلين » : قبل ان يظهر مسرح التليفزيون كم بلغ عدد الروايات التى مثلت على جميع المسارح ؟ وكم بلغ عدد المتفرجين فى جميع المواسم ؟ وكم بلغ عدد المشتغلين بالمسرح منـــذ ظهوره فى بلادنا ؟ وأين النجـــوم والمؤلفون والمخرجون والفنـــانون والفنيـــون الذين أتيحت لهم فرصة الوقوف على خشبة المسرح أو خلف الكواليس

. بديهى أن مسرح التليفزيون لو ســـار بسرعة السلحفاة لما حقق هذه النتائج المذهلة التى حققهـــا فى موسم واحد ... ومع ذلك فمن الخطأ أن يقال أنه ليس فى الامكان أروع مما كان ... ان تجربة المسرح التليفزيونى كشفت عن احتياجات جـــديدة لا بد من مواجهتها ... فمثلا كثرة عـــدد الروايات حددت مدة العرض الاول لكل رواية بفترة وجيـــزة

جدا، وهذا أثر في مستواها ؛ سواء مستوى النصوص أو مستوى الاعداد أو مستوى الأداء ... أيضا كثرة عدد الفرق أشعرتنا بالحاجة الى نصوص كثيرة والحاجة الى خلق « المؤلف » ... وضرورة امتداد النشاط المسرحى خارج القاهرة واجهتنا بالحاجة الى تنسيق العاملين فى الفرق المسرحية ... وضرورة وضع الانتاج المسرحى فى خدمة المجتمع الجديد تواجهنا بمسئوليات ضخمة فى التاليف والتحضير وفى تصحيح المفهومات الفنية ، وفى نشر الثقافة المسرحية ؛ فهل سيؤدى التخطيط الجديد الى سد هذه الاحتياجات ؟!.

من هنا تبدو أهمية التخطيط الجديد كتجربة فنية يجب أن نستفيد فيها من نتائج التجربة الماضية وكل التجارب الماضية .. كيف ؟ بالمناقشات القائمة على أسس علمية ؛ وبالنقد البناء وبالتوجيه الفنى ، وبالمتابعة الواعية بالقيم الفنية والقيم الاجتماعية ... الخ .

والمثقفون جميعا مسئولون عن ذلك .. ان التخطيط الجديد اقتضى تشكيل لجان من المشتغلين بالنقد والادب والفن لمراجعة الروايات واختيار أصلحها للعرض ومتابعة البروفات ، ولكن هذا ليس معناه أن هؤلاء وحدهم هم المسئولون عن تنفيذ التخطيط الجديد ؛ فان كل المثقفين يجب أن يشاركوا فى رفع مستوى المسرح مشاركة ايجابية بمناقشة هذا التخطيط والتنظيم والتقسيم والروايات واللجان.. الخ .

فمثلا المسرح العالمى ما رأيكم فيه وفى منهجه ؟ لا تستخدموا عبقريتكم فى مطالبته – مثلا – بتقديم روايات عالمية ، فهذا تحصيل حاصل ؛ وبديهى أنه سيقدم روايات عالمية ؛ ولكن كيف يختارها ؟ وما هى الروايات التى ينبغى أن يبدأ بها ؟ وهل يراعى امكانيات مسرحنا ، أم يقدمها كيفما اتفق باعتبار أنها نصوص لا جدال فى أنها رائعة المستويات ؟!

أسئلة كثيرة جدا تحتمل اجابات كثيرة جدا ولابد من بحثها بعمق .. ان مسرحنا سبق أن قدم روايات عالمية لشكسبير وموليير وشريدان وبرنارد شو وسارتر ، بل سبق منذ ٥٠ سنة أن قدم رواية لسوفوكليس ، ومع ذلك لم نستفد من تقديم هذا التراث العالمى كما يجب ... لماذا ؟ لان الروايات العالمية لا تفهم بمجرد عرضها ... ان الذين الفوها عباقرة عالميون ولكنهم من البشر مثلى ومثلك من عباد الله ، أى أنهم يتأثرون بالظروف التى يعيشون فيها ويكتبون للناس الذين يعيشون معهم ؛ وليس صحيحا أن المؤلف العالمى يكتب روايات صالحة لكل زمان ومكان ؛ وانما تكتسب هذه الصلاحية لانهم يتعمقون فى المشكلات التى يتناولونها بحيث تصبح رواياتهم من التراث الانسانى ؛ ولكن لابد لفهمها من فهم ظروفهم ومشكلاتهم وفلسفاتهم ، أى رؤيتهم الفلسفية ومذهبهم الفكرى وطريقة تناولهم الفنى للاشياء ... مسائل كثيرة لابد من معرفتها لمعرفة رواياتهم .

واذن فتقديم اى رواية عالمية يستلزم عمليات متعددة لالقاء الضوء عليها ، ولهذا فمن اللازم وضع منهج العرض ومنهج للفهم ، وبغير ذلك لا يفيد اطلاقا تقديم الروايات العالمية كيفما اتفق ... فمثلا الروايات الاغريقية والكلاسيكية – على روعتها – لا تصلح كنماذج تحتذى ؛ اى كنماذج يكتب مؤلفونا على غرارها ، لان الظروف التى كتبت فيها تختلف عن ظروفنا وانما نستفيد منها – كنماذج للتاليف – فى تعميق المعرفة بالمواضعات المسرحية؛ ونستفيد منها بصفة عامة اذا استطعنا تحليلها تحليلا فنيا وتحليلا موضوعيا ... افرض مثلا ان المسرح العالمى سيبدأ بعرض « عطيل » لشكسبير .. ان هذا يستلزم معرفة خصائص المسرح الشيكسبيرى والمسرح الاليزابيثى كله؛ وفلسفة العصر؛ وفلسفة شيكسبير او رؤيته الفلسفية ... وبديهى ان فلسفة اى عصر مرتبطة بفلسفة العصر السابق له ؛ فهى اما امتداد لها او تطوير لها او معارضة لها .. الخ .. ومن أجل ذلك تلزم معرفة فلسفات العصور كلها ليمكن فهم الروايات العالمية ... وليس معنى هذا تحويل جميع المتفرجين الى فلاسفة ، وانما من الضرورى تحضير الاذهان لاستقبال هذه الروايات بوعى ... ومن أجل ذلك ينبغى ترتيب تقديم الروايات ، أو على الاقل محاولة ترتيب عرضها ترتيبا زمنيا ... فى رأيى أن هذا الترتيب ضرورة ؛ فما رأى المثقفين؟ لم نسمع منهم شيئا فى الماضى ولا فى الحاضر ... كل ما فى الامر أنهم كلما عرضت رواية عالمية أثاروا حولها « دردشة » تنتهى بانتهاء الرواية ؛ ودمتم بخير !!

المفروض أن نبحث منهج المسرح العالمى بحثا عميقا ومفيدا من الوجهة العملية . فالمنهج القائم على الترتيب الزمنى مثلا يحتم أن نبدأ بعرض روايات الاغريق ؛ ولكن هذا يحتاج الى استعدادات ودراسات نرجو أن تتوافر تدريجيا ولكنها غير متوافرة تماما من مختلف

النواحى .. هذا اذا أردنا تقديم هـذه الروايات بنصوصها وأساليبها الاغريقية .. أما اذا أردنا تقديمها بأساليب حديثة كما يحدث أحيانا فى الغرب فهذا أيضا يحتاج الى استعدادات لم تتوافر فى مسرحنا ... وكذلك فى المسرح الشيكسبيرى ... واذن فهل ننتظر حتى نبنى مسارح اغريقية ومسارح شيكسبيرية ونستكمل دراسة الفن المسرحى ؟ طبعا لا ... وانما المهم أن يضع المسرح العالمى فى اعتباره ـ بقدر الامكان ـ تقديم نماذج تساعد على تعميق المعرفة ؛ وتفسح مجال المناقشات الفنية ... فمثلا من واجبه طبع نشرات يشترك فى اعدادها المتخصصون لاعطاء فكرة عن كل رواية ... ومن واجبه اقامة ندوات لمناقشة كل رواية ... وهكذا

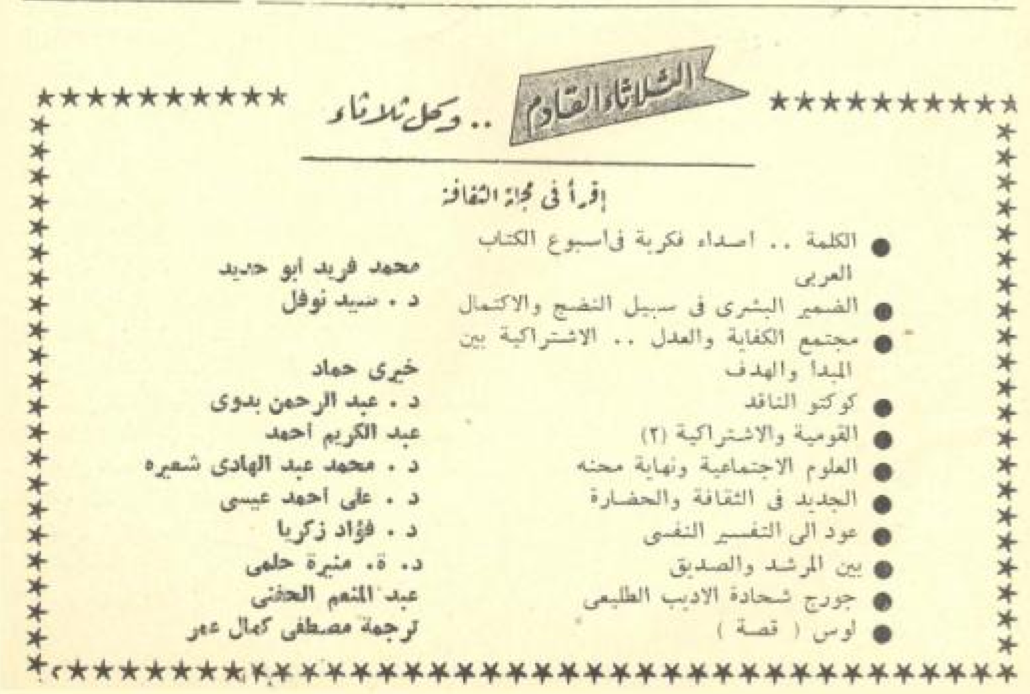
وبالنسبة لمسرح الحكيم ... المفروض أن هذا المسرح سيقدم تجارب نموذجية ؛ فكيف تختار هذه التجارب ؟ وماذا سيفعله المثقفون ؟ لقد عودونا أن يستقبلوا التجارب الجديدة بالطبل والزمر حينا ؛ وبالتهجم حينا آخر ؛ على أساس الصدقات و « الشلل » ؛ فهل سينتهى هذا الاسلوب العجيب؟ أرجو .

انى أرجو أن نحاول الانتقال الى مرحلة التقييم على أساس القواعد الفنية وعلى أساس واقعنا الفنى ... ومن واجب لجنة مسرح الحكيم أن تعلن عن منهاجها بالتفصيل ؛ لنناقشه .

والمسرح الكوميدى أيضا ... ما رأى المثقفين أيضا ؟ أولا مطلوب تحديد مفهومنا لمعنى الفن الكوميدى ... ان المعنى العلمى يوسع هذا المسرح حتى يشمل جميع ألوان الروايات التى يكون الصراع فيها مرتبطا بالمجتمع ؛ أى معظم الروايات الحديثة فى العالم كله ؛ ولكن التنظيم الجديد خصص شعبة للمسرح الحديث ؛ ومعنى ذلك أن المسرح الكوميدى سيختص بالروايات الضاحكة ؛ والواقع أن هذا التقسيم يفيدنا جدا اذا أمكن أن يرفع المسرح الكوميدى مستوى الروايات الضاحكة ؛ ويحاول المسرح الحديث تمهيد الطريق لخلق المؤلف المحلى ... كيف ؟ ان مسرحنا فعلا يعانى من سوء فهم فن الضحك ؛ كما يعانى فقرا شديدا فى التأليف ... واذن فأقل ما يقال فى هذا التقسيم أنه يواجه احتياجاتنا مواجهة فى غاية الوعى .

الحقيقة أن هذا التخطيط المنهجى الذى يحدث لأول مرة فى تاريخنا الفنى هو بلا جدال ضرورة لرفع مستوى المسرح ووضع المسرح فى خدمة المجتمع ... ولا جدال أيضا فى أهمية دور المثقفين ؛ فهل سيرتفعون الى مستوى مسئوليتهم ؟!

عبد الفتاح البارودى



خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

تحقيق التراث جهد ومسئولية

ان كثيرا من يتصدون لتحقيق تراثنا الفكرى يظنون أن المسالة من البساطة بحيث لاتحتاج الى شىء من العناء ؛ ولا الى جانب من الجهد ولا الى طاقة من الاحتمال .

ولهذا لم يكن عجيبا أن نرى سيلا من كتب التراث تخرجه المطابع بين الآونة والاخرى لتوهمنا بأنها محققة ، فاذا هى مجردة من كل مايمت الى مفهوم التحقيق بصلة .

هذا الخليط من كتب التراث الذى تقذف بهالمطابع الى عالم الوجود ، من الكثرة بمكان ؛ ويظهر أن العامل التجارى عامل أساسى فى اخراجه ، وليست هناك رسالة أدبية فى هذا العمل ، ولا امانة علمية فى المتصدين له ، والا لما رأينا الكتاب من كتب التراث يدعى انسان ما انه قام بتحقيقه ، ولم يخجل انيضع اسمه عليه شارحا ومحققا ؛ فاذا فتشت بين دفتى الكتاب لم تقع عيناك على اى أثر له ، ولا على اى جهد بذله ، وقد يتطوع أحيانا فيشرح كلمة لغوية ، او يشير الى رقم اية قرآنية ، أو يترجم ترجمة خاطفة فى ثلاث كلمات فيتوهم انه قد حقق الكتاب .

الحق أن مهمة التحقيق ـ وان كانت فى حاجة الى ثقة المتصدى له فى علمه وقدرته ، والى أمانة تختلج فى ضميره ؛ والى ارتباطه بالمسئولية الادبية والعلمية والتاريخية فيما يقدم عليه من عمل ـ فهى فى حاجة ماسة الى حسن الاختيار للتراث الذى يليق بالحياة ، ويجعل اعناقنا تشرئب الى مزيد من العلم والمعرفة فيه . .

ان كثيرا من كتب تراثنا تسيء الى الفكر العربى والاسلامىّ وتنزل بمستواه الاصيل الى الحضيض . من هذه الكتب كتب مشوهة فى التصوف ، ماسخة للمفاهيم الاسلامية وقيمها العظيمة ، وكتب مسفة فى الادب العربى الزائف تمحو عن الادب العربى الاصيل اصالته ، وتهز مكانته بين الادب العالمى . وكتب مضطربة فى التاريخ، تشوه مجتمعاتنا العربية والاسلامية فى ماضيها ، وتعرضها للقدح والانتقاص فى حاضرها ومستقبلها .

والعجيب أن مثل هذه الكتب لها المكانة الاولى فى الاهتمام بها ، والعناية باخراجها ، ويقبل عليهاالسذج ومن هم على هامش الثقافة ، فتزاحم غيرها من الكتب الناضجة فى ثقافتها وافكارها .

واعجب من هذا ، أن من لهم القدرة على تحقيق التراث ، والقدرة على اختيار الاصيل النافع منه قليلون عددا ومقلون انتاجا ، مع أن كتب التراث التى لم تحقق تفوق الحصر ، وان كان معظمها لاتزال بين جنبات مكتبات الغرب ؛ وهى لا تمثل جزءا فحسب من فكرنا العربى الاسلامى ؛ بل تمثل أيضا جزءا مهما من تاريخنا .

هذه مجرد خواطر عابرة ، وانا أضع بين يدى نموذجا طيبا لتحقيق تراثنا العربى يضطرك الى تقدير محققه ، ويحتم عليك احترامه ، ويقنعك بعد ذلك بأن تحقيق التراث ـ كما يجب أن يكون ـ مهمة لا يطمع فيها الا من أوتى حظا كبيرا من العلم والمعرفة، وطاقة كبرى من الصبر والاحتمال ، وضميرا حيا يقوى على حمل الأمانة الادبية ، وعزما قويا يحسب للمسئولية العلمية حسابها .

الكتاب هو الجزء الاول من (جمهرة نسب قريش واخبارهـا) للزبير بن بكار ، والمحقق هو الاستاذ محمود محمد شاكر ، الحق ان الاديب العالم المحقق ليس فى حاجة الى التعريف به ، ولا سيما فى مجال تحقيق التراث ، فرواد الثقافة الاسلامية والعربية يعرفون قدره ، ولا يترددون لحظة فى الايمان بأنه عالم مرجع ، وحجة ثقة .

لقد كتب الاستاذ محمود شاكر مقدمة لهذا الكتاب فى خمسين صفحة ، بلغت حد الروعة والدقة ، جاءت بمثابة روح بعثت الحياة فى جسد الكتاب ، والقت عليه أضواء كاشفة تجتذب المثقف اليه، وتوليه العناية به كمرجع من أبرز المراجع فى موضوعه .

يقول المحقق فى أول مقدمته عن المؤلف :

« انه أبو عبد الله الزبير بن بكار ، أحد أساطين الرواية فى القرن الثالث الهجرى (١٧٢ هـ ـ ٢٥٦هـ) واحد الحفاظ المتقنين للاخبار ؛ أخبار العرب فى جاهليتها واسلامها ، ولا سيما اخبار أهل الحجاز ورواية الزبير كانت عمدة الناس فى زمانه وبعد زمانه، لما امتاز به من التقصى والجمع والاحاطة ، وقل أن يخلو كتاب قديم فى التاريخ والادب من رواية مستفيضة عن الزبير بن بكار) .

ويعقد الاستاذ محمود شاكر مقارنة بين كتابنا هذا وكتابين آخرين فى النسب : أحدهما « جمهرة أنساب العرب» للامام ابن حزم (٣٨٤ـ٤٥٦هـ) وهو

اكبر كتاب في النسب طبع الى عهدنا ، ولكن ابن حزم يسوق أنساب قبائل العرب ، وتفرع بعضها من بعض مجردة من أخبار الرجال والنساء الذين يذكرهم في تفريع النسب ، فاقتصرت الفائدة منه على معرفة تسلسل النسب وتفرعه ، والكتاب الآخر (نسب قريش) للمصعب بن عبد الله عم الزبير بن بكار وشيخه وطريقته هي أن يسوق النسب تتخلله أخبار من ذكر من الرجال والنساء في تفريع النسب ، ولكن على وجه الاختصار والايجاز ٠

اما كتابنا (جمهرة نسب قريش واخبارها) فالمؤلف يسوق النسب على نحو مافعل عمه المصعب في كتابه (نسب قريش) ثم يتخلل النسب باخبار كثيرة للرجال والنساء ، اربت على أخبار عمه بثروة ظاهرة ، وهو لم يرد التكثر في الاخبار ، بل جنح الى تخير اخبار دالة على عقول أصحابها ، ونفوسهم وشمائلهم ومنازلهم في الناس بفضل هذه السمات الظاهرة في أخلاقهم وهذه الزيادة لم تكن في تفريع النسب وحده ، ولا في الاخبار وحدها ، بل في دلالة هذه الاخبار على أصحابها دلالة مبينة مميزة ٠

والاستاذ محمود شاكر يورد رواية عن الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) مؤداها ان الزبير ابن بكار لقي اسحق الموصلي فقال له اسحق : يا أبا عبد الله ، عملت كتابا سميته كتاب النسب ؛ وهو كتاب الاخبار ؛ قال الزبير : وانت يا أبا محمد ؛ أيدك الله ، عملت كتابا في الاغاني ، وهو كتاب المعاني ٠٠

ويستخلص الاستاذ شاكر من هذا الخبر على وجازة لفظ اسحق وغموضه ؛ ان كتاب الزبير في النسب مباين لكل كتاب سبقه الى عهد الموصلي ،

ويقرر الاستاذ المحقق أن لكتاب الزبير فضيلة أخرى هي انه ساق لنا في كتابه شعرا كثيرا جدا ، لانكاد نجده في غيره من كتب الاخبار والشعر ، وروى قصائد طوالا لشعراء نلتمسهم في الذي طبع من كتب أسلافنا ، فلا نكاد نقف الا على ذكر أسمائهم ، أو ذكر البيت والبيتين من أشعارهم ، ولما كان تاريخ الشعر في القرنين الاول والثاني للهجرة تاريخ معتم لقلة المصادر الاولى التي وصلتنا ، فقد اصبح هذا القدر العظيم من الشعر الذي رواه الزبير خليقا ان يضيء تاريخ هذه الفترة ، فنزداد علما بالحياة الادبية على وجه قريب من السلامة والدقة ٠

ثم يسوق الاستاذ شاكر فضيلة ثالثة لكتابنا الذي بين أيدينا ، يستخرجها النظر والتمحيص فيرى أن الزبير حيث تعمد تخير الاخبار المصورة لشخصيات من ذكرهم ، قد أمدنا بقدر وافر من الوثائق المعتمدة النافعة في الاستدلال على الحياة الاجتماعية في الجاهلية والاسلام ، تتيح لنا ان نميط الأذى وننفي الزيف ؛ مما دخله المتهجمون على تاريخ الحياة الاجتماعية بسوء بصرهم ؛ وباعتمادهم على سواقط الاخبار وشواذها ومفرداتها ، دون حقائقها ومجتمعاتها ٠

ويثير الاستاذ محمود شاكر سؤالا : متى الف الزبير بن بكار كتابه ؟ قد يثير شبهة توهم بأنه ربما كان قد اجترأ قسطا على كتاب عمه ، وهو من شيوخه وعنه أخذ كثيرا من علمه ، وقد تعاصرا وتقاربت أيامهما ، فالمصعب ولد بالمدينة عام ١٥٦ هـ وتوفى ببغداد عام ٢٣٦ هـ ، والزبير ولد بالمدينة ايضا عام ١٧٢ هـ ، ومات بمكة عام ٢٥٦ هـ ، وان احمد بن سليمان الطوسي الذي روى نسخة الزبير يحدثنا أن الزبير الف كتابه في أخريات عمره ، وبعد وفاة عمه وهذا مما يسند تلك الشبهة ٠

ويحاول الاستاذ المحقق دحض هذه الشبهة بالتفريق اولا بين عمل الرجلين ، وبين طريقتيهما في التاليف ، وبين مذهبيهما في تحصيل العلم ، وبين غرضيهما فيما كتبا وألفا ، وهذا التفريق من شأنه أن ينفي الشبهة عن عالم جليل القدر ، ولكنه يأخذ في استقصاء كثير من الاخبار ، وتمحيصها تمحيصا دقيقا ، ليخرج بعد ذلك بنتيجة تؤكد أن الزبير بن بكار لم يؤلف كتابه في أخريات حياته وبعد وفاة عمه ؛ كما زعم الطوسي من قبل وانما وضعه على وجه التقريب قبل عام ٢٣٥ هـ وفي حياة عمه الذي قرأه كما قرأه اسحق الموصلي الذي توفي عام ٢٣٥ هـ وقد أشاد به كما سبق ذكره ٠

وبعد ـ فاذا كان هناك ما أود أن أقوله بعد ذلك؛ فهو ان الاستاذ محمود محمد شاكر قد أسدى الى المكتبة العربية خدمة من اجل الخدمات وقدم بتحقيقه الكتاب نموذجا طيبا في تحقيق تراثنا ، أوفى على الغاية في الدقة والتمحيص والاضطلاع بالمسئولية الادبية ، التي لايجيد كثير من المتصدين للتحقيق الاضطلاع بها ٠

وكل مانرجو أن يتوفر الاستاذ العالم المحقق على اخراج الجزاين الاخيرين من الكتاب ، حتى يتم الرسالة الادبية التي بدأها ، والتي هي جديرة بتقدير العلماء ورواد الثقافة الاسلامية والعربية في شتى بقاع العروبة والاسلام ٠

محمد عبد الله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

فلسطين
في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني
تاليف : على محمد على – ابراهيم الحمصاني

اوضح المؤلفان فى الجزء الاول من الكتاب أصالة عروبة فلسطين – وذلك بشرح الحقائق التاريخيةالتى تؤكد ان ارض فلسطين قد عمرها العرب الذين جاءوا اليها من الجزيرة العربية على موجات متعاقبة بدأت الاول منها سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ٠٠ والثانية سنة ٢٥٠٠ ق٠م٠ والثالثة سنة ١٥٠٠ ق٠م٠

وكانت الهجرة الرابعة هجرة الاسباط العرب فى الفتح الاسلامى ، وكان للعرب فى فلسطين منزلة سامية – فى مراتب الدولة البيزنطية – وكان منهم الحارث بن جبلة عاهل فلسطين الذى ابلى بلاء حسنا فى قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م ٠ ولم يزد عدد اليهود فى فلسطين حتى نوفمبر سنة ١٩١٧ – وهو تاريخ اعلان وعد بلفور على ٥٦٫٠٠٠ كانوا يمثلون اقلية ضئيلة بالنسبة لعدد السكان – كأى جالية اجنبيـــة فى اية دولة ٠٠ واسهب الجزء الاول من الكتاب فى شرح الحياة العامة فى فلسطين – قبل النكبة – معددا مظاهر استقرارها الاقتصادى ومصادره وحياة ابنائها العرب التى كانت تعتمد – على الرعى وصيد الاسماك والزراعة والصناعة والتجارة – ففى المراعى الواسعة فى فلسطين العربية كان العرب من قبائل – العبيدية والرشايدة .. فى لواء القدس وعرب الجهالين والطريق فى قضاء الجليل – وعرب الحجيزات والسيارجة والصبيح فى قضاء الناصرة وعرب المنارة والمواسى فى قضاء طبريا وعرب البلاونة والنعايرة والغوارنة فى قضاء حيفا وكذلك عرب غوربيسان الذين يقول عنهم المسعودى انهم من لخم وجذام – كانت هذه القبائل العربية – وهى على سبيل المثال – لا الحصر – تملأ بادية فلسطين العربية ٠٠ وتنشر فيها الحياة ٠

واورد الكتاب كذلك احصائيات عن الثروة السمكية فى فلسطين العربية، كجزء من امكانياتها الاقتصادية فذكر أن عدد الصـيادين قد بلغ خلال عام ١٩٤٥ ٣٣٥٧ مواطنا وبلغ عدد زوارقهم ٦٧٣ زورقا وقد اصطادوا ٤٠٤٠ طنا من مختلف انواع السمك قدرت قيمتها بـ ١١٢٥٩٦٠ جنيها فلسطينيـا ٠٠ أما فى الزراعـة – فكان عرب فلســطين يزرعون الحبوب والخضروات والعلف والفواكه عدا الحمضيـات والزيتون والبطيخ . . اماالحمضيات فقد بلغ المزروع منها فى عام ١٩٣٩: ٢٩٣٫٠٠٠ دونم صدرت فلسطين العربية من انتاجها ١٥¼ مليون صندوق .

❊❊❊

وفى المجال الصناعى : كانت تقوم صناعة المعادن والصباغة والنسيج والمأكولات والصناعات الكيماوية والورق والطباعة والخزف والطوب وغيرها ٠٠ وخاصة صناعة الصابون فى نابلس – التى كانت تضم زهاء ثلاثين مصبغة قبل الحرب العالمية الثانية – والتى اشتهر صابونها باسمها وقد كانوا يصنعونه من زيت الزيتون الصافى الذى بلغ معدل انتاجه قبل الحرب الاخيرة حوالى سبعة آلاف طن ســنويا ! وقدرت معاصره بمائتى معصرة ٠

❊❊❊

وقد كانت التجارة العربية الفلسطينية مزدهرة فى الداخل عن طريق الاسواق الداخلية وفى الخارج لوقوعها على طرق التجارة فى العالم القديم بين آسيا وافريقية ، ثم ان تردد الحجاج على فلسطين للزيارة جعلهم يحملون معهم أموالا يتجرون بها ، ثم يعودون الى أوطانهم ! وقد استبدلوا بها أموالا أخرى والى جانب ذلك تقـدم التعليم فى فلسـطين وازدهرت

الصحافة في كل من يافا ـ وحيفا ـ وبيت المقدس ـ وغزة ـ والرملة ـ **وكانت الحيـــاة في فلسطين العربية بمحتواياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تسير وفقا للتقاليد والقيم والمثل العليا العربية ـ حتى كانت ـ النكبة ، واستيلاء الصهـــاينة على الارض العربية بالخديعة والغدر ، ومساندة الاســـتعمار فتحولت فلسطين العربية ـ بعد طرد أصحابها العرب ـ وتشريدهم الى مرتع لشذاذ الآفاق المغامرين الصهاينة الذين يكونون مجتمعا متنافرا متباعـدا من مختلف القوميات والعناصر واللغات والثقافات وشرح المؤلفان في الجزء الثاني** من الكتاب وضع فلسطين في حاضرها الصهيوني الاليم ، وفساد الحكم فيها ، وديكتاتورية بن جوريون الذى يترأس **عصابة تحمل اسم حزب ـ الماباى ـ** الذى يستغل اعضاؤه عضويتهم فيه في استغلال الاقتصـــاد وفرض أتاوات على الشركات ، واختلاس الاموال الطائلة لحسابهم الخاص . ويحكم حزب الماباى اسرائيل منذ زمن طويل ويسعى دائما للفوز في الانتخابات عن طريق الارهاب ، منـــذرا الاهالى بسوء المصـــير .. اذا لم ينتخبوا مرشـــحيه **ويعامل العرب المقيمين في اسرائيل معاملة وحشية غير انسانية فتستولى وزارة الاسكان الاسرائيلية على اراضيهم دون أى اهتمام بسداد قيمة هذه الاراضى او تقدير هذه القيمة من أجل سدادها في المستقبل ويتحدث الكتاب ص ٨٠ عن الوضع الشاذ للعاملات العربيات في اسرائيل اللواتي يتعرضن الى ابشع انواع الاستغلال ، فهن يحصلن على أعمـــالهن عن طريق سماسرة خصوصيين يتقاضون سمسرة عالية تصل الى نصف أجورهن . ويتعرضن دائما لسلب ما يتبقى لهن بالاضافة الى مغالطات ساعات العمل ولا تقل أوضاع العمال العرب ظلما وقسوة عما يلاقيه نساؤهم واصبحت الاختلاسات ، والتحلل الخلقى ، والدعارة الرسمية من السمات المميزة للمجتمع الاسرائيلى ..**

***

وكانت النتيجة الطبيعية لكثرة الاختـــلاسات أن أصبح العجز في الميزان التجارى لهذا العام في اسرائيل ٤٠٢ مليون دولار ؛ ومن مظاهر التحلل الخلقى كذلك أن المجتمع الاسرائيلى اصبح ينقسم الى قسمين : القسم الاول وهم اليهود الشرقيون ويعيشون على السرقة والنهب وذلك لفقرهم . والقسم الثانى هم اليهود الغربيون ، ويعيشون على الاحتيال والاختـــلاس والنصب والربا ، نتيجة لتوظيف أموالهم ، وتنتشر الجرائم حتى بين الاحداث لدرجة أن مجتمعا مثل هذا المجتمع الصغير بلغت فيه جرائم الاحداث : ٨٣ر٠٠٠ حدث من المجرمين الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٣ عاما .

***

وتنتشر في اسرائيل تجارة الرقيق الابيض وبيع الاطفال ويصل ثمن الطفل هناك الى ثلاث ليرات للطفل ويباعون في السوق السوداء ويخضعون للمضاربات التجارية كأية سلعة رخيصة ، وتدير وزارة الخارجية فندقا للدعارة يسمى ـ فندق برلا ـ تستقبل فيـه بنات الهوى ضيوف اسرائيل من بينهم أعضاء لجنة دولية كانت تبحث تقسيم فلسطين وغيرهم ومن هؤلاء رئيس وزارة دولة أجنبية . هذا بالاضافة الى الفساد والرشاوى الموجودة في الجيش وقيـــاداته واداراته المختلفة .

وهكذا دنس الصهاينة ارض فلســطين العربية المقدسة .. الا من مخلص لها ؟

في المعرفة التاريخية
تاليف أرنست كاسيرر
ترجمة احمد حمدى محمود

يحتوى على دراسة لبزوغ النزعة التاريخية عند هردر ـ الذى استطاع ادراك النجاح ادراكا جزئيا ـ فهو لم يتمكن من اكتشاف عالم التاريخ ولكنه كما يقول « جيته » قد استطاع أن يجعل هذا العـــالم شيئا حيا . فقد نفخ فيه روحا جديدة ، كما وهبه حياة أخرى .. ويقول المؤلف أنه لا يمكن انكار دور الرومانتيكية في جعـل التفكير التاريخى مثمرا الى درجة غير عادية ..

ويحتـــوى الكتاب كذلك على فصـــول عدة في الوضعية ومثلهـــا الخـــاص بالمعرفة التاريخية .. والنظرية السياسية والدستورية كأســـاس للكتابة التـــاريخية ـ ونظرية النمـــاذج السيكولوجية في التـــاريخ ـ وتاثير تاريخ الدين على مثل المعرفة التاريخية .

ويقع في ١٥١ صفحـــة من القطع الكبير والناشر دار النهضة العربية .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

الأغنية الثورية .. والأغنية العاطفية

على الرغم مما حققته الأغنية الثورية من هز المشاعر والاحاسيس ، وايقاظ الوعى القومى فى النفوس ، فاننا نلمس منافسة الأغنية العاطفية لها ، تحاول أن تسبقها الى الآذان والقلوب ...

ولقد عشنا معارك كثيرة ، ومرت بنا احداث عنيفة ، اوحت الى مؤلفى الأغنية بمجموعة من الاغانى الثورية التى لاننكر اثرها فى تقوية الروح المعنوية فى الشعب ، فسمعناه يردد هذه الاهازيج الثورية فى كل مكان ، بل رددتها معنا شعوب شقيقة فى مناسبات وطنية شبيهة بالمناسبات التى مرت بنا .. فكان هذا نصرا للاغنية الثورية .. وتوارت الى حين الاغانى العاطفية ، التى اعتدنا سماعها وترديدها ، أوقات السلم ..

والذى اريد ان اقوله : ان الأغنية الثورية ينبغى الا تتوارى عن الاسماع ، وراء الأغنية العاطفية ، فلا نسمعها الا فى الظروف العصيبة والمحن ...

ولو اننا استطعنا ــ واعتقد اننا نستطيع ــ ان نجمع بين الأغنية الثورية والاغنية العاطفية ، ونمزجهما ، لضمنا لكل منهما البقاء فى كل مناسبة ، دون أن تطغى هذه على تلك ، او تلك على هذه ، فكلتاهما متممة الأخرى .. وما « الوطنية » الا لون من « العاطفة » فى ابهى صورها ، واسمى معانيها ، لانها تسمو بالحب الى أعلى مراتبه ، وابعد آفاقه !..

فمتى نسمع الأغنية التى تحمل عباراتها أجمل معانى « الوطنية » ممزوجة باسمى مشاعر « العاطفة » ؟!..

عيسى متولى
وكيل مكتبة بنك مصر

***

دور المسجد فى التوعية

تعقيبا على مقال استاذنا الزيات فى العدد (١٠٣٠) من الرسالة الغراء عن (الاشتراكية كما يفهمها الفلاح) نضيف الى ماعقب به الاخ الاستاذ سمير ابراهيم فى البريد الادبى بالعدد(١٠٣٤) فنقول: ان دور المسجد فىالتوعية الاشتراكية علىالخصوص وفى كل توعية على العموم له اثره الفعال ودوره الجاد وغايته البعيدة المدى .

اذ ان المدرسة وان كان لها الدور العملى فى التطبيق فللمسجد الدور الفكرى والعملى معاه لأن التوعية فيه تمتزج بالعقيدة . وكل شىء يمتزج بالعقيدة لا مجال فيه للتخلخل الفكرى او الرجعية العقابية .

وللمسجد فى الريف الحق الأول والأخير فى فصل القضايا وعرض المناقشات وابداء الاراء ، فما من مشكلة تعترى القرية الا ولها نصيب من البحث بعد صلاة الجمعة او فى درس العصر . الا ان لنا ملاحظات على اساتذتنا الأئمة والوعاظ ودورهم فى مجال التوعية بشتى انواعها بين العقول العذراء فى ريفنا الحبيب .

من هذه الملاحظات مثلا . بعد « الامام » عن كل ما هو جديد وكأنه سبق جارف لايستطيع الصمود امامه لسبب واحد هو ماتسميه «بالاختزان العلمى» اذ ان الامام ــ وليس هذا هجوما بقدر ماهو انصاف للحق ــ يحسب انه بلغ من العلم الدرجة التى تشبع عندها فلا ينفعه كل جديد فما دام قد « اختزن » من العلم قدرا وفيرا فلا داعى للمزيد انهم اذا لمسوا هذه القضايا التى تفرض عليهم فرضا لمسوها لمس الذى يعرف ظاهر الشىء ليريقه ويخاف باطنه لعمقه فتبدو والصورة امام اللامثقفين وانصاف المثقفين مهزوزة مختلطة وكنا نحسبهم وهم فى طليعة الركب الثورى يحملون المشعل ومع الفئة المثقفة يفسحون الطريق يعطون هذه البرامج من التوعية القدر الكافى والاهتمام الشاق فينشرون النور الجديد فى العقول . ويبثون الوعى السليم فى النفوس .

محمد جاد البنا
كلية الدراسات العربية

رجاء

ان لقراء الرسالة رجاء فى ان تعنى الرسالة بموضوع ليس بجديد عليها بل يعتبر الركن الاول فى صرحها المشيد انه هو موضوع ــ اللغويات ــ حتى يسير الادب مع اللغة جنبا الى جنب فىطريق واحد .. نأمل ان تحقق الرسالة هذا الرجاء ..

أ ــ ح ــ أ
كلية الدراسات العربية

بناء الرجال

يعتقد البعض ان السن اذا تقدمت بهم قليلا فانه لا يجوز لهم ان يتعلموا شيئا . وانها لفكرة خاطئة وقد كتب الدكتور (ثورنداك) عالم النفس في هذا الموضوع فقال : ليس هناك سبب معقول يمنع الرجل في سن الاربعين من ان يتعلم ما يتعلمه الشباب في سن العشرين .. اللهم الا تلك الفكرة الفاسدة من ان المرء لا يستطيع ان يتعلم كما يجب بعد سن العشرين . ومما يؤسف له ان هذه الاوهام تتسلط على السواد الأعظم من الناس فيقفون بعد سن معلوم بين حواجز سميكة جدا . ولا يتقدموا الى الامام خطوة واحدة . ولا يحاولون ان يتعلموا شيئا جديدا مهما كانت حاجتهم الى هذا الجديد شديدة ــ الى هذه الاوهام يعزى جمود الكثيرين بعد سن معلوم عن طرق باب جديد من ابواب الحياة ..

ولقد قام علماء النفس والطبيعة والطب وغيرهم .. بتجارب عديدة اظهروا لنا فساد طائفة من الآراء التى كانت سائدة ولا تزال كذلك فى عقول البشر وهى بمثابة قيود فى ايدينا فاذا تخلصنا منها وجدنا مجال الحرية امامنا فسيحا . فان التجارب العديدة اثبتت ان فى استطاعة الكبير ان يتعلم اكثر من الصغير . وان معظم الشبان بعد مغادرة المدارس حينما يختمون حياة الدروس والبحوث يقولون انهم (انهوا دراساتهم .!!) وهذا تعبير خاطىء . واكرر القول ان من السهل ان نتعلم صناعة جديدة فى سن الخمسين . كما يسهل تعليمنا اياها فى سن الخامسة عشرة فليس للسن سبب فى جمودنا . بل ان سبب ذلك كله كسل ، واهمال وعدم مبالاة . وفى بعض الاحيان ادعاء كاذب .. وهذا ماقاله الدكتور ثورندايك، وهكذا فان علم النفس الحديث يؤيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم . (اطلب العلم من المهد الى اللحد) . وما اجمل كلمة السيد الرئيس ان بناء المدارس سهل . وبناء المصانع سهل . وبناء السد العالى سهل . والمهمة الصعبة هى بناء الرجال ــ فهذه هى رسالتنا . ان نبنى انفسنا بالمعرفة ، ان نبنى انفسنا بالعلم حتى يتم بناء مجتمعنا الجديد على اساس من الفهم والمعرفة الحقيقية لمطالبنا وواجباتنا وحقوقنا .

ميت غمر ــ محمد عبد الرحمن السجرتى

على هامش الشعر

على الرغم مما قررته « نازك الملائكة » شاعرة العراق فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر » من ان انطلاقة الشعر الجديد كانت بدايتها ببغداد . واحدى قصائد الشاعرة الكبيرة . الا ان هذا القول ــ على غلوه ــ لا يمنعنا ان نذكر بعض فضل الريادة للأديب المسرحى الشاعر . على احمد باكثير . ولكن الشاعر العربى هجر الشعر . واصبح لا يقوله . الا فى بعض المناسبات العارضة ومن ذلك مانشرته « الرسالة » الزاهرة فى العدد ١٠٣٣ « محرم شاعر الاسلام » القصيدة التى شارك بها الشاعر فى مهرجان احمد محرم بدمنهور .. ويبدو ان هجر شاعرنا للقصيد . وبعده عن التحليق فى وادى عبقر . دفعه الى مجرد نظم ابيات . دون ان يكون وراء هذا روية شاعر ، والا فهل من المقبول ان يقول .

جئنا اليها وفى ابصارنا ظمأ
الى اجتلاء السنا من تلكم الدور

فى ابصارنا ظما ؟! حتى شعراء المهجر وقد ترخصوا فى غرائب التشبيهات . وسبحوا فى هذا الى مدى بعيد . لم نقرا لهم مثل هذا .. وقوله ايضا .

قد صاغها من صميم الحق ملحمة
ان صيغ من باطل الياذه ومير

لوقيل هذا البيت من شاعر غير باكثير فى ذكرى شاعر غير محرم . كان محتملا او مقبولا . فعشاق محرم اطلقوا على مطولته بزهو واعجاب . الياذة الاسلام . وباكثير الأديب المسرحى الذى عرف الاساطير وعرف هوميروس وجلال الياذته . كان حريا به ان يقول غير هذا .

محمد الشاذلى
شركة شاهر ــ القاهرة

● **الرسالة :**

بناء على رغبات كثير من القراء فى اقتناء سنوات الرسالة الماضية تفيد انها تطلب من الادارة ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت وثمن كل سنة مجلدة جنيهان مصريان

أخبار علمية وأدبية

● تقيم مصلحة الاستعلامات مسابقة موضوعها (دراسة الميثاق) تبدا فى القاهرة فى اول ديسمبر القادم ، ثم تنتقل الى المحافظات ، يشترك فى هذه المسابقة الذين يقل سنهم عن ستة عشر عاما ، وسيمنح كل من العشرة الأوائل من الفائزين عشرين جنيها مصريا .

● اخيرا نجح العلماء الروس فى صنع نموذج لخلية مخ الانسان ، يستطيع حل المسائل الحسابية والقيام بعمليات الرياضة ، هذا النموذج يبدو فى شكل طبق صغير فى حجم راديو (ترانزستور) وبه جهاز الكترونى يستطيع تمييز الاشارات ، وهو يشبه الخلية العصبية الحقيقية .

● من الانتاج الأدبى السودانى . اصدرت مكتبة الكاملابى بالقاهرة للاديب الصاغ محمود ابو بكر الجزء الاول من ديوانه (اكواب بابل من السنة البلابل) وهو مجموعة من القصائد التى تعبر عما مر بالشاعر من تجارب فى حياته ، لا سيما فى الحرب العالمية الثانية حيث اشترك فى بعض معاركها .

كما صدر للاديب السودانى الاستاذ محمد عثمان على صبار قصته (سر الدموع) التى نالت الجائزة الاولى لهواة القصة ، وقدم لها الاستاذ السباعى .

● يصدر العدد القادم من المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى . عن الفنون والقومية العربية ، للاستاذ محمد صدقى الجباخنجى ، كما يصدر العدد القادم من اعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة ايضا عن عبد العزيز البشرى للدكتور جمال الدين الرمادى .

● اجرى عدد من الخبراء البلجيك تجربة اثبتوا فيها ان مادة الكلورين التى تضاف الى الماء لتنقيته تخفف تاثير الاشعاع على الجسم ، كانوا يدرسون تاثير الجرعات الكبيرة من الاشعاع على الفئران ، فكانت احداها تقتلها فى اسبوع .

وعندما اضافوا كمية من الكلورين الى ماء الشرب تنلت الجرعة ٨٠ ٪ من الفئران فى فترة زادت على ثلاثين يوما ، مما يدل على ان اجسامها اكتسبت مناعة ضد الاشعاع .

● ستصدر قريبا موسوعة للقارة الافريقية فى عشرة اجزاء ، تتناول النواحى الاجتماعية والتاريخية والعلمية والطبية ، والتربية والتعليم فى القارة الافريقية .

السكرتير العام لهذه الموسوعة التى مقرها اكرا عاصمة غانا هو العالم الامريكى الدكتور وليام هنتون .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قولة — عابدين) ندوة شعر فى مساء الثلاثاء القادم ، يشترك فيها الدكاترة والاساتذة : عز الدين اسماعيل ، صلاح عبد الصبور ، احمد كمال زكى ، محمد محمود عماد ، محمد الجيار ، شريفه فتحى ، احمد عبد المعطى حجازى ، محمد قطب ، انس داود .

يقدم الندوة الاستاذ عبد العزيز الدالى ، ويعقب عليها الدكتور عبد القادر القط .

● استخدمت اشعاعات الضوء فى قتل الخلايا السرطانية ، وعرضت نتائج التجارب على جمعية الجراحين الامريكيين فى اجتماعها الاخير . وقد استخدم فى هذه التجارب حزم ضوء قوية تصدر من الاداة المعروفة باسم « ليزر » وهى تصدر حزمها رفيعة كالخيط .

واجريت التجارب على مجموعة من الفئران المصابة بهذه الاورام الخبيثة فوجهت اشعاعات الضوء الى المناطق المصابة التى ظهر فى وسطها بقعة صغيرة محروقة . وبعد ايام بدات الاورام تنكمش ثم زالت تماما فى بعض الفئران .

● ظهر الجزء الرابع من (الاعلام الشرقية) فى المائة الرابعة عشرة الهجرية من وضع الاستاذ زكى محمد مجاهد ، ويحتوى هذا الجزء على قسمين احدهما خاص بالادباء ، والآخر بالمؤرخين والرحالة .

يمتاز هذا الكتاب عن غيره بعرض نماذج للانتاج الفكرى لمن يترجم لهم من الاعلام . . .

قصة العدد

الميزانية

بقلم : صبحى الجيار

ما كاد بهجت افندى يدخل مسكنه محملا بمرتبه الشهرى ، حتى فوجىء بطرقات الدائنين المتوالية على باب بيته . وبعد أن تبخرت ثلاثة ارباع المرتب بين صاحب البيت والجزار والبقال .. جلس الى المائدة الخاوية فى وسط الصالة يحصي ما تبقى فى محفظته الهزيلة وهو يدمدم بالفاظ ساخطة يائسة .

واقبلت زوجته هاشة تترنم باحدى الاغنيات المرحة ، وهى تخطو الى المائدة بخطوات راقصة وعلى كفيها اطباق الطعام ، ثم مالت على زوجها ، وهمست فى دلال ..

ــ عملالك صينية مكرونة بالفرن تاكل صوابعك وراها .

فاشاح بوجهه العابس وتمتم فى ضجر :

ــ والله يا بطة مالى نفس آكل حاجة .. الواحد قرف من العيشة دى . فمسحت بيديها فى النوطة المدلاة على صدرها ، وجذبت وجهه نحوها وهتفت بعتاب رقيق ..

ــ هو انت كل اول شهر تعكر دمك كده ... يا سيدى خليها على الله .. احنا برضه عايشين احسن من غيرنا ...

فازاح الطبق الذى امامه وقال ساخطا :

ــ هى دى عيشة يا شيخة .. ؟

ــ مّالها .. رضا والحمد لله ...

واعادت الطبق امامه قائلة فى توسل :

ــ طيب كل دلوقت عشان خاطرى ، وبعدين توضب الميزانية سوا . فاغتصب ضحكة مفتعلة ، ومد أصابعه الى الطعام . ثم تراجع متسائلا وقد تذكر شيئا ..

ــ امال فين الاولاد . ؟ .. لسه ما رجعوش من المدرسة ؟ ...

ــ النهاردة عندهم حصة اضافية .. كل انت . وانا آكل معاهم لما يرجعوا .

وبدا يفسح مكانا على المائدة ، ويرص الميزانية فوقها فى اكوام هزيلة . وامسك قلما وراح يرصد الطلبات الضرورية لهذا الشهر . ولكن ما تبقى من المرتب انكمش متخاذلا امام القائمة الطويلة .

وتتنهد الزوجة فى يأس ، ثم تهمس متطوعة :

ــ بلاش القميص الكستور بتاعى ، وابقى البس بفستان قديم .

فينفعل الزوج فى نخوة حماسية معارضا تضحيتها ولكنه اخيرا يرضخ امام اصرارها الصادق ، ويندفع مصرحا بانه سيستغنى عن شراء الجورب الجديد هذا الشهر ، ويكتفى بما عنده من جوارب عتيقة بعد أن تمر بتقويها انامل زوجته الماهرة . ثم خيل له ان تضحيته تتضاءل امام قناعتها ، فاقترح أن يضغط مصاريف المواصلات الى النصف ، وعقب ضاحكا حتى يقنع قلب زوجته :

ــ اهو المشي مفيد .. ولما اصحى بدرى ساعة كل يوم الحق اوصل المصنع فى ميعادى ...

وعلى الرغم من هذه المحذوفات جميعا ظلت خانة المصروفات تزيد بضعة جنيهات فوق خانة الرصيد .

ــ طبعا جزم الاولاد مش ممكن تاجيلها ... ؟

فاسرعت الام تقاطعه :

ــ مش معقول ..ده محمود سيا كبدى ــ صوابعه طالعة من الجزمة .. يمكن سميرة جزمتها تستحمل للشهر الجاى ...

فاسرع يعترض فى ضجر :

ــ لا لا .. احسن تزعل وتقول اشمعنى اخويا .

وهز راسه فى عنف كانما ليستحثها على التفكير ، ثم خبط المائدة بقبضته ، وقام صارخا فى حنق :

ــ بقى ده وضع يرضي ربنا . ؟ احنا نعيش بقروش وصاحب المصنع يكنز الألوف .

وعندما وضع راسه على الوسادة ، لم يغمض جفناه . وراح يتقلب فى قلق كانه ينام على مسامير مسننة . وتراءت لخياله احداث حياته الجافة القاحلة ، وصراعه المرير مع لقمة العيش التى لا

تصل الى فمه وافواه عياله وزوجته لا بعد جهد عسير .

هكذا كان دائما ، رزقه ضيق ، واحلامه الوردية تتحطم تباعا على صخرة النحس السوداء ، حتى استسلم اخيرا لمصيره ، وآمن بانه سيظل ضائعا فى خضم الحياة ، حتى يجذبه الموت يوما الى القاع .

وتترامى الى راسه المؤرقة اصوات السيارات وانغام ابواقها تنساب فى الحان راقصة تعزفها أنامل المترفين . الغائصين فى مقاعدها الوثيرة . بينما امثاله يتسللون على الأرصفة متمسحين بالحوائط ، حتى يفسحوا الطريق العريض لتلك العربات الفارهة ، متحاشين الوقوع تحت عجلاتها .

وقطعت تفكيره اصوات اطفاله العائدين فى جلبة ومرح . واوشك ان يناديهم ليقبلهم ويضمهم الى صدره ، ولكنه عدل عن رايه ، وتظاهر بالنعاس حتى يتفادى اسئلتهم المحرجة عن الاحذية الجديدة ، ويتجنب مكر ابنه الشقى الذى يتعمد أن يستعرض امامه اكمام البلوفر التى تاكلت عند الكوعين ، وهو يرجو من امه أن تعيد نسجه على ابرة التريكو ...

وضغط راسه بين الوسائد حتى يخمد افكاره الثائرة ، وهدات نفسه قليلا للظلام الدامس الذى يحيط براسه .. وبدات تبرز من ياسه آمال وضيئة ، وان كانت تبدو ساذجة بعيدة الاحتمال .. راى خلالها اولاده وقد اجتازوا عتبة الجامعة ، ثم احتلوا وظائفمحترمة تؤهلهم لحياة رغدسعيدة . وشردت به الخيالات المتفائلة ، فراى نفسه يغوص فى عربة فارهة تتهادى على كورنيش النيل وبجواره زوجته الحبيبة ، وامامهما فى مقعد القيادة ابنه الاكبر متدثرا فى سترة انيقة فخمة ، وبجانبه احفاده الصغار يتطاولون بقاماتهم القصيرة ليتطلعوا الى الطريق من خلال الزجاج الامامى المتعر .

وفجاة تبرز منمنعطف جانبىدراجة مسرعة يركبها مراهق ارعن . فتنحرف السيارة فى عنف متفادية قتل الصبى ، ولكنها تصطدم بشجرة ضخمة فى دوى هائل . وتنطلق منه صرخة ثاقبة عندما يرى ولده الشاب يميل براسه فوق عجلة القيادة التى نفذت فى ضلوعه .

احس بهجت بيد توقظه من كابوسه المزعج ، فاخرج راسه منبين الوسائد وانفاسه تتلاحق وقلبه ينتفضبالفزع . واصدمت عيناه بضوء النهار ، فراح يرمش فى فزع ، وهو لا يصدق نظرات الاشفاق المجسمة فى عين زوجته ، واخذ يهز راسه ليطرد عنها آثار المنظر الرهيب . وجاءه صوت زوجته فى نبرات واجفة .

مالك يا بهجت انت كنت بتحلم ؟

ــ يا ساتر يارب .. ده حلم فظيع ..

وحملق فيها وهو يحك راسه فى ذهول :

ــ اللهم اجعله خير .

ثم انتفض واقفا كأنه يهرب من ميدان الحادث ، فكاد يتعثر فى شظايا « القلة » الفخار التى ايقظه انفجارها عندما سقطت من قبضة ابنه . وبدأ يفطن الى اولاده من حوله فادرك ان احدهم ليس موجودا بينهم . فتساءل دهشا :

ــ فين محمود يا ولاد ؟

فتطوعت الأم بالاجابة .

ــ رجع يا كبدى مفرهد وجسمه دافى حبتين .. ونام من غير اكل .

ــ ازاى ده ؟ وليه ما صحتنيش ؟

ثم اندفع الى حجرة الأولاد ، وراح يتحسس جبين الطفل فى حنان . وتطلع الى الأم فى ذعر قائلا :

ــ ده الواد زى النار ...لازم اجيب له دكتور .

ــ يمكن شوية برد ويروحوا .. على ايه مصاريف الدكاترة ...

لا لا ... احسن تكون الله لا يقدر حاجة وحشة ... والحلم يتفسر .

اللهم اجعله خير ...

واسرع يلبس سترتهفوق الجلبابيلهوجة ، وصاح فيها بحزم :

ــ هاتى جنيه من معاكى عشان الدكتور والدوا .

ــ يا راجل صبرك بالله ... يمكن الاسبرينة تهبط الحرارة .

ــ باستى بلاش مجازفة لحسن الواد يضيع من ايدينا .

فاتجهت نحو الدولاب متباطئة حتى تتيح لنفسها فرصة لمناقشته ..

— يعنى من شوية كنت عايل الهم عشان الفلوس مخسعة .. ؟

— فلوس ايه وهباب ايه ! .. القرش بييجى ويروح .. لكن الواد لو راح مننا مش حنعوضه . ده فداه اموال الدنيا بحالها .

وكأنما اقتنعت الام بمنطقة الحنون ، فاسرعت تناوله الورقة المالية الخضراء . ثم مالت على طفلها تتلمس جبينه الملتهب فى رحمة واشفاق .

وذابت كسوة الأولاد واحذيتهم فى بضع زجاجات من الدواء انقذت حياة محمود من مرضه ومضاعفاته . ولكنه عاد بعد شفائه الى حذائه القديم ، بعد ان اضيفت الى نعله رقعة تحمى قدم الصغير من برودة الشوارع المبتلة بامطار الشتاء . اما سميرة فقد هانت مشكلتها بعد أن توارت ثغرات ثوبها القديم خلف « مريلة » المدرسة .

وانقضي الشتاء ، بعد أن ترك عائلة بهجت مثقلة بالديون . وجاء الربيع . ووقف بهجت افندى صراف شركة النقل يقلب بين يديه — فى ذهول — حزمة من الأوراق المالية الخضراء والحمراء ، وهو لا يكاد يصدق انه يملك هذه الثروة الكبيرة التى تربو على الاربعين جنيها .. هى نصيبه من ارباح الشركة المؤممة .

رفعت الأطباق الفارغة من فوق المائدة ، بعد ان استقرت محتوياتها الدسمة فى بطون بهجت افندى وعائلته ، وراح يرص منحة الثورة امامه فى اكوام متعددة .

ولاول مرة يرتفع الرقم فى خانة الايراد عن خانة المصروفات والديون فى ميزانية بهجت افنـــدى ، فتضحك زوجته فى رضا ، وتهتف فى سعادة :

مش قلت لك يا بهجت ان ربنا حيفرجها ؟

ثم القت نظرة الى كومة المبلغ الفائض ، وهتفت بحماس ومرح :

— اكتب عندك فى خانة المصروفات .. بدلة جديدة لبهجت افندى ..

فتطلع اليها زوجها فى حب ، وقال فى قناعة :

— مش ضرورى البدلة دلوقت .. داحنا داخلين على الصيف .. كفاية بنطلون وقميص .. المهم الاولاد اولا .. مش لازمهم حاجة تانية ؟

فهتف محمود الصغير فى أمل :

— عاوزين راديو والنبى يا بابا ..

فاسرعت الأم تدق صدرها قائلة :

— يوه .. آدى اللى كان ناقص .. انتم عاوزين تعفرتوا القرشين ؟ .. مش لازم نحوش حاجة على جنب للزمن ؟ ..

واحتضن اثنين من ابنائه بكلتـــا ذراعيه ، وقال مفسرا فى حماس :

— النظام الاشتراكى يا أولاد بيضمن لكل مواطن رزقه .. وانا دلوقت اصـــبح لى نصيب فى ارباح الشركة . وكل ما اجتهد انا وزملائى تزيد ارباحنا .. احنا النهاردة بقينا اصحاب البـــلد .. وخيرها يعم علينا .. كل واحد حسب مجهوده .

وتصيح سميره فى فرح :

— يعنى حتشترى لنا الراديو يا بابا ؟ ..

فتطلع بهجت افندى الى زوجته مبتســما ، كأنه يسألها رأيها ، فقرأ التردد فى عينيها . والتفت الى ابنائه ، فراى اللهفة تتأرجح على ملامحهم فى قلق . وراح يخط بضعة ارقام على الورقة امامه ثم قال :

— الفلوس الباقية تكفى راديو صغير .. ايه رأيك يا بطة .. ؟

— أمرك يا بو محمود ..

وانفجر الاولاد مهللين فى مرح ، واندفعوا يعانقون اباهم فى سعادة غامرة ، ثم عاد بهجت افندى يمسك بالقلم مفكرا ، وقال بحرارة :

— لكن احنا ناسيين حاجة مهمة خالص ..

فتساءلت الزوجة فى دهشة وقلق :

— ايه تانى .. ؟

وراح يكتب ضاغطا على سن القلم فى اصرار :

— « فستان جديد للست بطة .. »

وما كادت تقرأ الجملة الأخيرة من فوق كتفه ، حتى طوقته بذراعيها البضتين ، وهتفت فى انوثة ودلال :

— ربنا ما يحرمنيش منك يا سبعى ...

صبحى الجيار

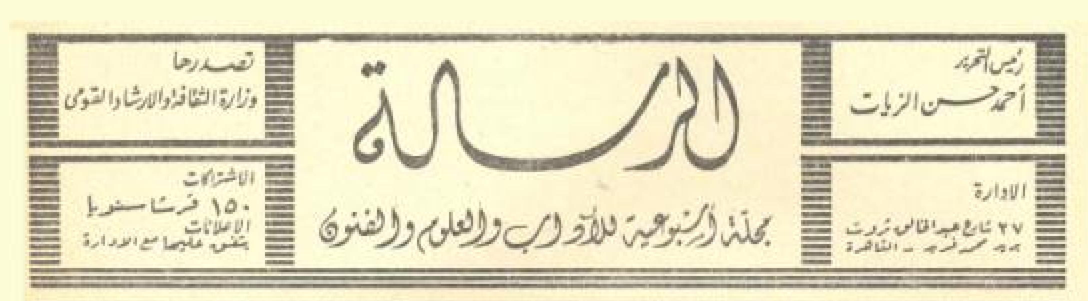

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٨ – الخميس ١٩ رجب ١٣٨٣ هـ – ٥ ديسمبر ١٩٦٣ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

علة المسلمين أنهم غير مسلمين

بقلم: أحمد حسن الزيات

اذا علمت أن **الاسلام** هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لغرائز الانسان ، وأن شارعه الاكرم ، وهو فاطر الارض وواهب الحياة ومنزل الوحي ، قد وضع فيه أسس القواعد التي تكفل للعالم نظامه وسلامته ، وللمجتمع وحدته وقوته ، **وللفرد حريته وكرامته** ، مهما يتطاول الامد وتتغير الحال ، **وأن رسوله الأعظم** قد أعلن في أوائل القرن السابع حقوق الانسان وحرياته ، ثم جعل في عشر سنين من الرعاة الجفاة المشتتين على رمال القفر أمة متماسكة الاجزاء متحدة الاهواء متساندة القوى متجانسة الطباع بلغت رسالة الله وحكمت عامر الارض ومدنت أكثر العالم ، وأن خلفاءه وقواده بلغوا بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل .

اذا علمت ذلك ثم رأيت مواطن العروبة والاسلام من أقصى الشرق الى أقصى الغرب قد كانت كلها الى وقت قريب نهبا مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ويتقاتلون عليه وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله أو يفعل فيخشى فعله ، وانما كانوا أشياء كثروة الارض ، ربح للغالب وخسارة على المغلوب .

اذا علمت ذلك ورأيت هذا حرت بين الرواية والرؤية وسألت نفسك : أليس هذا هو الدين الذي أكمله الله لنبيه ورضيه لخلقه ونسبه الى نفسه وجعله

مصدر الخير المحض ومظهر الكمال المطلق وسبيل الغاية التي يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسا من كربه وراحة من تعبه وسكينة من اضطرابه .. تلك الغاية التي كان يراها منذ هبط العاصي من الجنة حدا لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف اليها من وراء الغيوب ومن خلال القرون فلا يراها ، لا في الحروب التي شن ، ولا في النظم التي سن ، ولا في الشرائع التي اعتقد ، حتى أراد الله للاغب الضال أن يسترفه ويهتدي فكان محمد هو المنار، وكان الاسلام هو المرفأ !

بلى ، هذا هو الدين الذي جعل الارض سماء والشدة رخاء والعداوة اخاء واليأس رجاء والحياة نعمة . لم يغيره الزمن ولم تجافه الطبيعة ولم يعاده العلم ولم تنسخه المذاهب لانه من صنع الله . انما غير الزمن المسلمين لانهم بشر يجوز عليهم النقص والفساد والضعف والغفلة . فحال الاسلام معهم حال النور الساطع في الزجاجة القاتمة ، او الشراب الصافي في الاناء القذر ، أو هي الحال التي قال فيها الرسول صلوات الله عليه : « **مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وانبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب امسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها اخرى ، انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ** » .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت الى ما ركد فيها من سلسل الوحي عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذي يعوق عن السعي ، ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ، فأصبحت غاية الدين في رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تفيد .

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالله وقد قال لهم في محكم كتابه الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، فيجعلون أمره ونهيه دبر آذانهم ، ووراء ايمانهم ، ويعودون الى عصبية الجاهلية فيفرقون كلمتهم ويوزعون قوتهم بين الحزبية والاقليمية والطائفية والعنصرية حتى كان في كل قطعة من الوطن الأكبر رأى يخالفه رأى ، وسيف يقابله سيف ، وغاية تعارضها غاية . وانقسمت زعامة محمد الى زعامات شتى أعوزها السطوع والقوة فأصبحت كالشعلة الوهاجة تقطعت أقباسا كشموع الاطفال لا تقوى شمعة منها على نسم الريح ولا تفيء في حلك الليل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه وهو الكتاب المبين الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم الى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرأوه للبركة كما تقرأ الاوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الاغاني !؟

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسل حق قدره وهو الذي قال فيه أصدق القائلين :

« وانك لعلى خلق عظيم » ، « وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما » ، وهم يفترون عليه الكذب ، وينسبون اليه مالا ينبغي من القول والفعل. وكل ما يمدحونه به ان يرفع المؤذن عقيرته بعد الأذان بقوله : الصلاة والسلام عليك يا (مليح الوجه) وان يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواء هي كل ما يمتاز به محمد نبي التوحيد والوحدة . ورسول السلام والمحبة ، وداعي الحرية والكرامة . وكانوا قد درجوا على ذلك طويلا حتى تولى وزارة الاوقاف الاستاذ الباقوري ففصل السلام المبتدع عن الأذان المسنون ولقن المؤذنين العبارة اللائقة بمقام الرسول.

وفي الادب المأثور أن عبد الملك بن مروان أنف أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فقال له : وماذا من الفضل في تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتني بمثل ما مدحت به مصعب ابن الزبير اذ تقول فيه :

انما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والحصاة او بين الشمس والشرارة !

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

قسطنطين زريق — السورى المنشأ ، اللبنانى المسكن والاقامة ، معروف غير منكور . يعرفه كل أولئك الذين درسوا فى الجامعات السورية واللبنانية — يعرفونه على انه استاذ لايشق له غبار فى تكوين العقل ، وتنمية الروح ، وتهذيب الخلق . انه فى عرفهم **استاذ ، مهيب ، جليل ، وقور** . يوحى بسلوكه الشخصي وقيمه الثقافية والخلقية كما يوحى **بعلمه ومعرفته وتجربته الشخصية سواء بسواء** .

وقسطنطين زريق الاستاذ الجامعى كاتب **فذ — يعرفه المفكرون من ابناء الأمة العربية** ، ويقرأ له الكثيرون من ابناء الأمة العربية . **كاتب يحترم العقل الانسانى** — يحترمه فى نفسه ويحترمه فى قارئه . ويرى ان أول واجبات المفكر **ان يحترم العقل** ، وان يعرف للفكر رسالته — **ورسالة المفكر عنده ان يقبض بعقله وبصيرته على اصول الشدائد والازمات التى تعانيها أمته ، او تعانيها الانسانية** . يقبض عليها ليستطيع تشخيص حقيقة الداء واقتراح ناجع الدواء .

ان المفكر الذى لا يبلغ هذه المرتبة لا يكون عنده شيئا مذكورا . لان اى تأثير تحدثه الأزمات والشدائد فى نفسه سيكون تأثيرا **عاطفيا** غير مبنى على الفهم والادراك . تأثيرا غير مؤد الى الخلق والابداع — وبالتالى غير مؤد الى تخفيف الشدة ومعالجة الأزمة .

ان على المفكر ، الذى يؤمن بالعقل ويحترم رسالته ، ان يفهم فى دقة حقيقة المسائل والمشكلات ، وان يعى متضمناتها ، وان ينبه الشعب والامة الى وجوه الخطر فيها .

* * *

وقسطنطين زريق الاستاذ الجامعى والكاتب المفكر من **العرب القوميين** — يعرفه كل اولئك الذين

****

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالاسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شيء مشاع . وكل امر مباح . وكل ارادة طليقة .. والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الاذاعة وتنشر فى الكتب وتردد فى المجالس . فيرهفون لها سمع الغبى وتدفعهم شهوة الاباحية الى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويسهموا فى الدعاية الى هذه النحلة على حساب دينهم ووطنهم ؟

والعلة فى كل أولئك هو الجهل التام والعلم الناقص . فلو أن المسلمين اعتقدوا دينهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا نبيهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه اذ قال : « **يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تداعى الآكلة على قصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا . انكم حينئذ لكثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت** » .

« **الم للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ؟** »

بلى ، والحمد لله قد أنى للمسلمين ان يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية ، وان فى يقظة الوعى الاسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الاحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النور المشرق ، وان تنقية الدين مما علق به ودس فيه لتكشف عن جوهره وتصل المسلمين بروحه .

ان القتام يحجب الشمس . وان القذى يفسد الشراب . وان الماء اذا راق ساغ . واذا ساغ روى !

احمد حسن الزيات

يشتغلون **بالقضية العربية** من مشرق الارض الى مغربها . يعرفونه ويعرفون فيه الكاتب الذى يهب عصارة عقله ، ومداد قلبه ، لابناء امته . انه لايزال يكتب حتى يوضح لهم كثيرا من المعانى ، ويبين لهم كثيرا من المعميات ، ويكشف لهم حقيقة حالهم ليتبينوا موقفهم من الحياة . وله فى ذلك كتب نذكر من بينها .

١ **الوعى القومى .**

٢ **معنى النكبة .**

٣ **اى غد .**

والكتاب الاخير هو الذى نقف عنده اليوم . والغد المسئول عنه بهذه الصيغة من صيغ الاستفهام **هو غد الامة العربية** — غدها **المأمول او المرتقب .**

اى غد ؟؟

اى غد للشعوب العربية وللبشرية جمعاء ؟؟

هذا هو السؤال الذى يرتسم فى افق حياتنا . ويتحدانا بعنف واستمرار . **انه السؤال الذى يجب ان نعى مضمونه** اذا اردنا لانفسنا السلامة والرقى .

حرى بمفكرينا ، **وهم طليعة الامة** ، ان يحاولوا اكتناه هذا السؤال ، ومجابهة تحديه ، واستجلاء **المستقبل العربى** فى نطاق المستقبل البشرى ، كى تتضح الغاية ويكون سيرنا على هدى وبصيرة ... **ان نهضتنا القومية ، بوجوهها المختلفة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، يجب ان ترتكز اولا على دعائم العقل والخلق ، وان تهدف الى خلق امة تتحلى بالصفات الانسانية الاصيلة .**

ما هى **الصورة** فى ذهننا للانسان العربى المرجو ؟؟

ما صفاته ؟؟

الى اى حد يتحلى القائمون بأعباء نهضتنا بهذه الصفات ليتمكنوا من تحقيقها فى المجتمع ؟؟

ما هو المحتوى الانسانى الايجابى لكياننا القومى المقبل ؟؟

ما هى الشروط **المادية والروحية** لتكوين هذا **المحتوى ؟؟**

هذه وسواها من التساؤلات الاساسية يجب ان **تكون مدار اهتمام رجال الفكر والعمل بيننا ، وان** تنفذ الى مشاغلهم المختلفة — حتى وهم يعالجون **القضايا الملحة** التى تطالعنا من كل صوب — او على الاقل فلتكن هى التساؤلات التى تبدو لرجال الفكر وهم ينظرون الى المدى البعيد **ويحاولون تبين الاهداف ورسم الخطط .**

قد تبدو هذه التساؤلات بعيدة او غريبة عن ازمتنا الحاضرة . وانها لكذلك اذا نظرنا الى هذه الازمة **كازمة سياسية فحسب** . اما اذا اعتبرناها — كما يجب ان تعتبر — **ازمة فى الكيان العربى ذاته ،** وليس **الاضطراب السياسى** سوى مظهر من مظاهرها، فلا تعود هذه التساؤلات بعيدة بل تصبح من صميم ما نعنى به ويستبد باهتمامنا ، وتكتسب وضوحا وخطورة **بفعل الازمة السياسية ذاتها .**

ان **الاستعمار** بمظاهره المختلفة **والصهيونية ،** وسواهما من الاخطار التى تحيط بنا ، ما كانت لتفعل بنا ما فعلت ، لو كنا غير ما نحن عليه اليوم : **تقدما، وانتظاما ، وتنبها عقليا ، ووعيا اجتماعيا ، وانتاجا حضاريا .**

فاذ نحاول ان نرد عنا هذه الاخطار **بالسبل السياسية ، وبيناء القوة المادية** ، يجب ان نجهد ، فى الوقت ذاته ، ببناء مجتمع تكون صفاته **الانتظامية، والتقدمية ، والتحضارية ، التضامن** الاخير للتغلب على هذه الاخطار فى المدى البعيد .

هذا هو الغد الذى تتجه اليه فصول هذا الكتاب.

انها تتجه اليه بطرق **متفرقة** وبمحاولات تمهيدية ، فلا تدعى تحقيق **الكمال** او بلوغ **الغاية .**

* * *

والكتاب المذكور يتعرض لمشكلات هامة ، وينظر اليها نظرة من يرى انها ذات اثر فعال فى بناء مستقبل **الامة العربية** . فيتعرض مثلا لواجبات **المفكر العربى** نحو الازمات التى يمر بها المجتمع العربى ، ويتعرض مثلا **للتقدم والتقدمية** ويرسم الخطوط الهامة التى يجب أن تسير فيها الامم المتخلفة لتصبح امما متقدمة،

ويلخص أهم الفوارق بين هذه وتلك . ويتعرض مثلا **للتنظيم** ، ويؤكد أهمية الدور الذى يلعبه فى حياة الامم ، ويعزى تخلفنا فى كثير من المواقف **الى عدم قدرتنا على التنظيم ، تنظيم عقولنا ، وتنظيم المؤسسات التى تعمل جاهدة فى خلق امتنا وسير** الحياة اليومية فى مجتمعنا . ويتعرض **للثقافة** ويرسم خطوط الثقافة التى **تنتج الشخصية التقدمية التى يمكن ان تضطلع بالبناء والتجديد** . ويرى ان **الثقافة العربية القديمة** غير قادرة وحدها على خلق هذه **الشخصية** وانه لابد من الاعتماد على **الثقافات الاخرى** وبخاصة تلك التى نستجلب منها الالة وكثيرا من مواد الحضارة الحديثة .

والكتاب مثل صالح يجب ان يحتذى فى معالجة المشكلات **العربية والانسانية** ، وفيه من الجمل والفقرات ما يمكن ان يتخذ **اساسا فكريا لدراسة احوال امتنا العربية ، والنهوض بها لتلعب دورها الانسانى فى المجتمع العالمى** .

ان ما يحرزه **مجتمعنا العربى** من تقدم متوقف ، فى الدرجة الاولى ، على ما ينشأ **ويعمل فيه** من شخصيات **متحررة منتظمة تقدمية فى ذاتها** . ولا عجب فى هذا ففاقد الشيء لا يعطيه .

عبثا تنتظر اشاعة **الحرية** ممن لم يتحرر فى **ذاته اولا** .

عبثا تتطلع الى من لم **ينتظم عقله وتنسجم قوى نفسه** لان يكون **باعث انسجام وانتظام فى المجتمع**.
عبثا نرجو ممن يخشى **المغامرة واقتحام آفاق العمل والعقل والروح ان يدفع بمجتمعه الى الامام** .

ولذا كان **أخطر** واجب علينا ، **واجسم** عبء ملقى على عاتقنا ، **تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع** . ولا نكران **ان للقوة والحياة والاندفاع مصادرها الاخرى** ، ولكن هنا ــ فى الشخصيات **الحية الفاعلة ، المتحررة المحررة ، المنتظمة المنظمة ــ المصدر الاول والمبعث الرئيسي** . . . . . .

***

كثيرا ما تساءلت وانا ادرس تاريخ **امتنا العربية** الماضي عن اسباب **انحلال سلطتها وتدهور حضارتها**.
وكنت فيما مضي اعزو ذلك الى ما انتابها من **حروب وما اصابها من غزوات** . غير انى غدوت الآن اعتقد ان **السبب الاول والاهم** فى ذلك كله انما كان **الضعف الداخلى الناتج عن ضعف العلة الرئيسية من علل التنظيم والابداع ــ اى الشخصية العربية**.

لقد اقفل العقل العربى على نفسه الابواب والنوافذ ، فانقطع عن النمو ، وكل مالا ينمو ينحل ، كما ان كل مالا يتقدم يتأخر .

ولقد التهت الروح العربية بالاهداف الشخصية **واللذائذ المادية** ، فضعف **خلقها** ، وقل **جهدها** ، وانحط **تقديرها للمسئولية الملقاة** على عاتقها ، فلا بدع ان فقدت **كيانها** ، ولم تعد ما هى ، واصبحت **منفعلة** بعد ان كانت **فاعلة** .

يقول مثل صينى قديم : **اذا اردت ان تزرع لسنة فازرع قمحا ، واذا اردت ان تزرع لعشر سنوات فازرع شجرة ، اما اذا اردت ان تزرع لمائة سنة فازرع رجالا** .

ونحن نطمح فيما ارجو الى ان نبنى **كيانا يثبت على الدهر ولا تفنيه المئات بل الآلاف من السنين** .

فليكن همنا اذن ان **نزرع الاشخاص** . فالأشخاص هم ، فى الوقت ذاته ، **نتيجة الابداع والتنظيم ، ومصدر كل ابداع وتنظيم** .

***

ان دوام ايقاظ من الامم متوقف آخر الامر على مؤهلاتها للحياة ، **لا على الظروف التى تحيط بها** . فالظروف قد تقدم بعض الشيء أو تؤخر. ولكن الاصل والاساس **هو اتمام الشروط التى بدونها لا تقوم الحياة** . فكما ان **الانسان** لا يمكنه ان يعيش طويلا اذا كانت تنخر فى جسمه علل اصيلة مستشرية ؛ **كذلك الامة لا تستطيع ان تدوم** ــ مهما كانت الظروف الخارجية مواتية ــ **اذا كانت تعبث بجسمها جراثيم الظلم الاقتصادى والتنافر الاجتماعى والفساد الاخلاقى** .

ان مصير كل شعب هو الى حد ما فى يده ، **والحياة تزنه** بميزانها **العادل** وقسطاسها الدقيق .
« **فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، واما من خفت موازينه فامه هاوية** » .

وصدق الله العظيم

دكتور محمد احمد خلف الله

الأدبُ الصّوفيُّ في مفهوم جديد

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

يعنينا من التصوف هنا انه اسلوب تفكير، ومنهج حياة، وان المتصوف يحتكم دائما الى هذا الاسلوب، ويفيء الى ذلك المنهج، في ظاهر امره وباطنه جميعا.

فالصوفي بهذا المفهوم واقع تحت مؤثرات، من شأنها ان تجعل منه نبتة ذات لون ومذاق، يختلف عن الوان المجتمع ومذاقاته .. في كثير او قليل!

وواضح ان هذا المفهوم الصوفي ليس على اطلاقه، بحيث يتسع لأبناء الطائفة جميعا .. وانما هو محسوب بحساب المذهب في حقيقته الكاملة، ومنظور اليه في الرؤوس العليا من أرباب الطريق، الذين وسعت نفوسهم هذه الحقيقة، واستقامت عليها.

وذلك، ان المتصوفة ليسوا على حال سواء في هذا المقام، ففيهم العالم والجاهل، والمحق والمبطل، والولي والدعي .. فهم أنماط مختلفة ومنازل متباينة .. فاذا أريد التعرف الى التصوف في ذاته، ينبغي أن ينظر اليه في أكثر الجماعة تمثلا له، واخذا به، لا في المتصوفة كلها، ولا في المحسوبين على التصوف من قريب او بعيد.

والمتصوفة ـ بهذا التقدير بيئة انسانية لها نظرتها التي تنظر بها الى الحياة، ولها مفاهيمها التي تقيم عليها صلتها بالوجود كله، ما كان منه في واقع الحس او فيما وراء المحسوس.

والأدب ـ اى ادب ـ هو نتاج البيئة ووليدها .. تجيء به الحياة وفيه من أبويه ـ الزمان والمكان مشابه وملامح، يعرف بها نسبه اليهما .. عند المتوسمين والمتبصرين.

وعلى هذا، فان ما ينجم في بيئة المتصوفة من ادب، لابد ان يكون بينه وبينهم ما بين الابناء والآباء، من تشابه او تماثل، والا كان ادبا زائفا .. دخيلا عليهم، او لصيقا فيهم.

واذ كان ذلك كذلك، فانه للتعرف على الأدب الصوفي، وللتفرقة بين الاصيل والدخيل فيه، وللفصل بين الحر والزائف منه يجب ان تدرس حياة المتصوفة اولا، وان نعرف الأحوال المتلبسة بهم، والنزعات المتحكمة فيهم، وان نرصد سكناتهم وحركاتهم، وما يطرقهم فيها من اشواق ومواجد، وتهويمات، وغمرات، وسكرات .. فبهذا، وبكثير غيره مما تفيض به احوال المتصوفة، وتحدث به شئونهم نستطيع ان نلتقي بالأدب الصوفي، وان نتعرف عليه، وان نفهمه .. وبغير هذا تكون كل محاوله لدراسة الأدب الصوفي، وفهمه، والتعرف على خصائصه ـ خلطا، وتشويشا على الأدب كله، وعلى الأدب الصوفي بخاصة.

والذي يرصد بيئة المتصوفة، ويرقب أحوالهم يجد انه في مواجهة عالم فسيح، لا حدود له، ولا سدود .. عالم كل شيء فيه يسبح كيف يشاء، كما تسبح الطير في الفضاء .. لا يمسكها شيء، ولا يصدها شيء! فالوجود كله في نظر الصوفي روح، ونور، والق .. وهذه الكائنات في مختلف صورها، وتعدد اشكالها، انما هي تجليات لهذا الروح العظيم، واقباس من هذا النور الغامر، وومضات من هذا الالق المتدفق!

والوجود كله ـ في حساب هذه النظرة ـ جمال مشرق بالحسن والروعة، لا تقع العين منه الا على ما يملأ القلب عجبا، ودهشا، وحبا، وهياما، وولها ..

ومن هنا كان «الحب» وكان «الفناء» في المحبوب، غاية الغايات عند الصوفي، لا طعم للحياة عنده، ولا معنى لأي غدو أو رواح فيها ان لم يكن من اجل هذا الحب، وفي سبيل من يحب.

فالحب، والوله، والوجد، والهيام، والذهول، والشرود، والغيبة عن الوجود .. كلها أحوال يتقلب فيها الصوفي، ويقطع العمر بين منازلها .. يطعم منها، ويستقي من مواردها ..

ان العين التي ينظر بها الصوفي الى هذا الوجود، والصورة التي يتصوره عليها، والمفهوم الذي يقيمه في نفسه له، كل ذلك من شأنه أن يجعل الصوفي كله قلبا نابضا بالحب، فياضا بالاشواق والمواجد .. فهو يرى انه من هذا الوجود اشبه بقطرة الماء، تنطلق من المحيط الى مواقع

الغيث ، فتجتمع الى الماء فى مجرى النهر ، ثم تنطلق فى لهف وشوق الى الصدر الذى خرجت منه ، والا ذهبت بددا فى يد الضياع الأبدى .

❊ ❊

والأدب الصوفي انما هو تعبير عن هذه العواطف الجياشة المتوفزة ،وصدى لهذه الانفاس المحترقة المتصعدة من صدور تلتهب بلواعج الشوق ، وتكتوى بنار الوله والوجد . فاذا وقع ليدنا أدب صوفى ، ولم نجد منه ريح تلك القلوب المحترقة ، وزفير هذه الصدور المشتعلة ، فهو ــ فى يقين ــ ليس من الأدب الصوفى فى شىء ، وليس بينه وبين المتصوفة قرابة او نسب .

فأول سمات الأدب الصوفى هو هذه الوقدة المشبوبة فى الفاظه ومعانيه ، حيث يحتشد فيه كل الفاظ الحب ، والهيام ، والوصل والصد ، والرضاء والسخط ، والخمر ، والكأس ، والصحو والسكر ، ونحو هذا مما يدور على ألسنة المحبين العذريين والحسيين جميعا .

وليس حشد الألفاظ والمعانى التى تحمل ما فى صدور العاشقين من لوعة وجوى ، او انتشاء ورغبة ــ هو كل مافى الأدب الصوفى، ولو كان ذلك كذلك لكان شعر شعراء الغزل العفيف او المتهتك ــ من الأدب الصوفى ، ولحسب هؤلاء فى شعراء المتصوفة ، أو لحسب المتصوفه من شعراء الغزل ، بصورتيه أو بصوره .

ولكن الأدب الصوفى ــ قبل كل هذا ــ ادب فناء مطلق ، وادب مجاهدة ومكابدة ، وحنين ، ولهف .. بلا شكوى ولا أنين .. يبذلون ما يبذلون، ويعانون ما يعانون فى سماحة ورضى ، وفى شعور بالقصور عن الوفاء بما يتطلبه المقام من مكابدة ومجاهدة ، ولو تلف فيها الجسد ، وسكنت الجوارح !

وقد يكون فى الأدب العذرى مايقع موقعا مدانيا لهذا الأدب فى البذل والتضحية ، ولكنه لا يسامته ولا يطاوله بحال ابدا .

ثم ان الأدب الصوفى أدب طليق ، لا يقف عند الحدود والرسوم التى تواضع عليها الناس فى مفاهيم الألفاظ ، وفى تراكيبها ..

فكما اطلق الصوفى نفسه من عالم الاشياء كذلك أطلق نفسه من مواضعات الناس .. وأخذ طريقه على الوجه الذى يرضاه ، ويستقيم مع تصوراته ، ورؤاه .. ولهذا كان الأدب الصوفى ادبا مغلقا ، غير مفهوم الدلالات . عند من لم يكن من القوم ، او على تحكك واختلاط بهم ! .

ويحسب كثير من الدارسين للأدب الصوفى ان ما فيه من الغاز ، ورمز ، واشارة ، وتعمية ، انما هو عن تدبير مقصود ، وعن خطة مرسومة لدى الصوفية .. والأمر ــ فى حقيقته ــ على غير هذا ، لأن الصوفى انما يحدث عن معان قائمة فى نفسه ، ويصور مشاعر واحاسيس يجدها فى كيانه . فتحملها تلك الالفاظ كما يجدها ، ويحس بها ، وما من همه أن يلغز أو يرمز أو يعمى !.

ثم ان الادب الصوفى ــ من جهة اخرى ــ ادب يسير فى اتجاه عكسى مع الأدب العذرى .. سواء كان ذلك فى حساب الفرد ، او الجماعة كلها .

ذلك ان العاشق العذرى يدخل تجربته تلك ، سليما معافى ، ثم لا يزال به الحرمان والشوق والجوى حتى ينحل جسمه ، ويذوى عوده ؛ وتضطرب مشاعره او يختلط عقله !، واذا هو يهذى هذيان المحموم او المجنون .

وليس كذلك الصوفى فى عشقه ..

انه يبدا تجربته راعشا مضطربا مختلطا ، اشبه بالطفل لأول خطوات يخطوها ، ثم لا يزال يشتد رويدا رويدا ، حتى تثبت اقدامه ، وتستقيم خطواته على الطريق ! فالصوفى حين يدخل فى التجربة يغشاه منها صداع ودوار أشبه بما يكون من خمار الخمر ودوارها .. ولكنه شيئا فشيئا يزايله هذا الخمار ، وينجلى عنه ذلك الدوار ، واذا هو فى صحو واشراق ، يزداد مع الأيام وضاءة ، والقا .

واستطيع هنا ان اقول ان فى رجال المتصوفة من يصح ان يطلق عليهم اسم الصعاليك او « البلطجية » فى عالم التصوف .. واعنى بهم هؤلاء الذين كثر صياحهم ، شعرا ونثرا ، بما ازدحم على افواههم من هتافات المواجد والاشواق ، فى كلمات محمومة راعشة يضرب بعضها وجه بعض .

ففي عالم التصوف ــ كما قلنا ــ مواجد ، وأشواق يجيش بها القلب ، فتتولد منها نشوات غامرة ، قد تدور بها رءوس بعض المتصوفة ــ وخاصة في بدء تجربته الصوفية ــ ويعجز عن احتمالها ، فيترنح ويتعثر ، ثم يهذى هذيان المخمور الذى تصور الخمر له أوهاما وخيالات تحمله على هذا الصياح المحموم ، وتسوقه الى هذا الادعاء الكاذب ، وبأنه البطل الذى لا يجد من ينازله .

وفى رأينا أن هذه الاشعار الكثيرة الملونة بهذا الهذيان المحموم ، والتى جرت على السنة كثير من المتصوفة .. أمثال الحلاج ، ورابعة ، وابن عربى ، وابن الفارض ، وغيرهم . هذه الاشعار انما كانت لهم فى أول طريقهم قبل أن تثبت أقدامهم فى هذا العالم الجديد، وقبل أن تتكشف لهم المعالم، وتستبين المناهج .

على أن ذلك لايمنع من أن تقع منهم فى زحمة هذا الخلط لمحات مشرقة ، لان سكرة هذا الحب العلوى التى أطاحت بتلك الرءوس وادارتها ، لابد أن تترك فيها نفحات طيبة ، كما ان المخمور لايفوته بعض مافى مجلس الخمر أو خمارها من رجس وهجس !

واذن فالصورة الواضحة المشرقة للادب الصوفى لانلتمسها فى تلك الصيحات الاولى لشعراء المتصوفة الذين اعلنوا عن أنفسهم بهذا الصياح المقلق ، وانما نلتمس الادب الصوفى الواضح المشرق عند أولئك المتصوفة ، بعد أن تسكن نفوسهم ، وتستقر وجداناتهم ، أولئك الذين ذاقوا فعرفوا ، ثم مضوا فى طريقهم يعرفون موضع اقدامهم ، ومرمى أبصارهم أن هؤلاء تغلب عليهم حال من الصمت الطويل فاذا نطقوا كان منطقهم نيرا مشرقا .. يجىء من نفس صافية ، وقلب مطمئن ، فلا خفاء فيه ، ولا قلق .

وعلى هذا يمكن أن ندلى هنا برأى فى الادب الصوفى ربما استقامت منه نظرية فى هذا الادب قد ينتفع بها فى دراسته ، وفى تحرير نصوصه .

وتقوم هذه النظرية على ثلاث دعاوى .

فأولا ــ أن الادب الصوفى فى جملته انما هو نتاج المراحل الاولى فى حياة الصوفى الذى لم يجاوز منزلة المريدين ، ومن فى حكمهم .. أو هو أدب حياة كاملة للصوفى الذى وقف به جهده عند أول الطريق .

وثانيا ــ أن الفوران العاطفى ، والتشنج النفسى، والخلط والشطح ، هى الالوان الغالبة على هذا الادب وهى الطابع الموسوم به النتاج الادبى للمتصوفة فى أول مراحل التصوف .

وثالثا ــ أن مايقع من الصوفية وراء هذا الادب هو أنماط من الفلسفة العالية ، وضرب من الحكمة البالغة ، وهو ان حسبناه أدبا كان هو الادب الصوفى الحق ، والا أخلينا الصوفية من الادب ، وجعلنا منطقهم حكمة وفلسفة .

وعلى هذا ، فانه يمكننا فى مجال التطبيق لهذه النظرية أن نفيد منها فى دراسة رجال التصوف ، عن طريق نتاجهم الادبى ، ومقولاتهم المنظومة أو المنثورة فان لكل حال من أحوالهم أدبا ، تعرف به منزلة الصوفى ، ويحدد به مكانه من السالكين فى هذا الطريق .

ثم اننا من جهة أخرى نستطيع أن ندرس الادب الصوفى كله دراسة قائمة على هذا التقدير الذى ندرس به أدب الفرد الواحد منهم ، بمعنى أننا نجعل هذا الادب درجات بحسب درجات التصوف نفسه.. فما كان منه محملا باصداء هذا الصراع العنيف الحاد او ممسوسا بصدمات هذا الصرع الذى يلقى المتصوف فى أول الطريق ، جعلناه فى المنزلة الدنيا من أدب التصوف ، وعددناه من سوابق الثمر وبواكيره التى تحمل كل مافى كيان الشجرة من معاناة التجربة الاولى ، للحمل والولادة .. أو هو الدفعات الاولى للسيل الهادر .. أكثره غثاء وزبد!! ثم انه كلما خلص الادب وصفا من هذه الآثار العالقة به كلما ارتفعت مكانته ، وعلت منزلته .

وهكذا حتى نلتقى بالادب الصوفى المشرق الذى تتمثل فيه الحكمة البالغة ، وتتفجر من ينابيعه روائع البيان والذى هو فى حقيقته نفحة من نفحات الاشراق الروحى ، وقبسة من اقباس العالم العلوى ، حيث تحوم فى سماواته أفئدة القوم ، وتخفق فيه قلوبهم .

على أننى ــ مع هذا ــ لاأرى أن يسوى الامر على هذا الحساب ، حتى تقوم له الشواهد من الادب الصوفى .. فى أفراده ، وفى جماعاته كلها ، لنرى مدى استجابته لهذه النظرية ، أو انفصاله عنها .

عبد الكريم الخطيب

تلميذ الجاحظ

للدكتور عبد الرحمن عثمان

وأنزلني طول النوى دار غربة
اذا شئت لاقيت امرأ لا اشاكله
فحامقته ، حتى يقال : سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

لشيخ البيان أبي عثمان الجاحظ موقع في نفسي لا يزحمه فيه كاتب ، ولا يرقى اليه فنان ملهم ، لأن فنه وعلمه يقدمان الى الحياة في شتى جوانبها ، فاذا شئت جانبها المثقف الجاد التمسته في حديث أبي عثمان ، واذا نزعت الى صفحتها الباسمة نظرت الى ما يجلو من هزل ، وما يسوق من دعابة ، ومن ثم يحلو لي كثيرا أن أصحبه غير برم بهذه الصحبة ، أو ملتمس بغيرها بديلا ·

ومن الطريف ـ وأبو عثمان يضاحكني بحديثه عن تلميذ من تلاميذه ـ أن أنصرف الى شيء من الجد عند غيره ظننته عند الدكتور أحمد كمال فيما كتبه في العدد ١٠٣٦ من مجلة الرسالة بعنوان : « والمغالطة فن أيضا » ، وبالرغم من أنه رد على مقالي : « التباكي على القديم فن » فلم أكن على يقين من ضرورة الكتابة مرة ثانية في هذا الموضوع ، بعد أن فرغت من مناقشته مناقشة علمية لا يرقى اليها النقض عند أولي الفكر والنظر ، وموضع الطرافة في هذا الموقف أن تلميذ الجاحظ كان يلاحقني في قراءة المقال ، وكانني لم أنصرف عن شيخ البيان وهو يضاحكني بالحديث عن تلميذه ، والربط بين الموقفين جدير بالكتابة على كل حال ·

وفيما وعيت من حديث الاستاذ عن تلميذه قوله: **كان من أصحابنا ـ أو تلاميذنا ـ من يدعى «كيسان» كان يسمع غير ما يقال ، ويقول غير ما سمع ،** وسوف نرى ان « كيسان الجاحظ » ليس غريبا عن الخلط بين « العسل والبصل » في مقال الدكتور احمد كمال : « والمغالطة فن أيضا » ، وما كنت أعلم من قبل أن للمغالطة فنا الا في « التشريع المنهجي » عند زعماء الغموض في تقويم الادب ·

وما كنت أعلم كذلك من قبل أن النقد الادبي قد جاءه المخاض فولد جنينا حديث الولادة لاينطق بلسان في تقدير الاعمال الادبية « مضمونا وشكلا » ، وانما يكتفي في الحكم عليها : « بأن يدير عينيه في أبعاد القضية قبل أن تضيع المعالم » كما يقول الدكتور كمال ، مع الاعتذار له فيما أصاب عبارته من تحريف لفظي يسير ، فاني اكره أن تكون المحاكاة الكاملة لهذه الطريقة وسيلة من سائل العدوى ، فأصير بذلك « بحرا زاخرا » في العلم والفن ، كما صار اليه الدكتور في ختام مقاله الطريف ، وقد أخطأ التوفيق حميد بن ثور الهلالي حين قال :

أتانا ، ولم يعدله سحبان وائل
بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه
من العي لما أن تكلم : باقل

نعم ، أخطأ التوفيق الشاعر حميدا لافي دقة التشبيه ، والنيل من خطيبه الذي يتحدث عنه ، فقد بلغ الغاية في هذا وذاك ، ولكنه أخطأ في أن يدع بيتيه يجريان في هذه المناسبة العلمية النبيلة ولكن ماذا نصنع مع صاحب المنهجية الدكتور احمد كمال فهو لم يترك شيئا للمصادفة كدأبه في التشريع ، فقد سارع الى وضع المنهج التهكمي الموجع في المناقشة التي حدد وقتها ومكانها وسلاحها في مقاله الاول : «الاتصال بالقديم فن» وأحسن التطبيق في مقاله الثاني : «والمغالطة فن أيضا» ، فالقاعدة توضع أولا ، ثم تعرف بالتطبيق طريقها الى العقول ·

والدكتور خير من يعلم أنني أحدثه حديث العارف بفضله ، متجاهلا في ذلك مايرميني به من : سرقة وسلخ ، وتشويه ، ومسخ ، ومغضيا عما رماني به من جهل أو نقر فوق الطبول لانني على ثقة من ان العالم المفصح الرصين يضبط شبا قلمه ، حتى في أشد حالات غضبه ، كما يضبط العازف الملهم أوتار معزفه ، والا جاء اللحن نشازا ، والايقاع مختلطا متنافرا، وهذه الثقة تحملني على الاعتذار عن الدكتور الفاضل لدى القراء ·

ويعلم الله أنه ماخطر في وهمي أن أكون غريما لاحد في يوم من الايام ! فاني ـ والحمد لله ـ أعرف قيمة نفسي في كل مستوى تصير اليه ، وحسبي في هذا المقام أن أقمعها في قوة وعزم حين تشتهي ترديد مثل قولك لي : « **فما كنت بالذي يظن أنه غريم لي ، لان « للاغترام » مستويات يحسب حسابها كل ذي بصر وحصافة** »، وأنا لاأسأل الدكتور عن بصره وحصافته

لان القراء يفهمون أمر هذين عنده دون حاجـــة الى جواب ، ولكن الذى احب أن اسأل عنه هو : شعوره بالندم حين يتيه على العلماء بمثل هذا التعالى الذى يصعد به الى اسفل ، ان صح هذا التعبير •

ايحب الدكتور أن يعرف اننى كنت رفيقا به كل الرفق حين دلعت عنه شاعرنا حميدا ومعه بيتاه . فالراوية أبو عبيدة يحدثنا عن باقل وقصته فيقول: **بلغ من عى باقل انه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فلقيه شخص فقال : بكم اشتريته ؟ ففتح كفيه وقرن اصابعه واخرج لسانه ، يشير بذلك الى احد عشر ، فهرب الظبى من يده فضربوا به المثل** • ومثل ــ هذا اللون من الدعابة اقترح على الدكتور أن يعدل منهجه فى الشتم والتجريح ، فهو فى دقته خفى خفاء مفضحا ولكنه يلتقى فى بعض «أبعاده» بمذهب الغموض وطبيعة الرامزين ، ولكننى لا أشير عليه أن يقبل أو يرفض ، فأنا أعلم : انه كم ستجنى على نفســـها براقش :

ألا رب خصـــم ذى فنون عـــلوته
وان كان ألوى ، يشبه الحق باطله

والمسألة هينة ياسيدى ، وهى ليست بالمعضـلة التى يتشعب فيها القول ، والامر فيها لايعدو أكثر من فهم ماقررت واقرر ، فاذا شئت أن تجعل منهـــا ساحة قتال فصل فيها وحدك ، وارعد وأبرق ، فقد ترضى فى نفسك غريزة المصاولة ، وسوف لااكون معك لاننى لااراها ميدان مدافعة ، وان رأيت فارسها المغوار وقد غاص فى الحديد ، وتجلل بالغبار •

والامر لايفتقر الا الى سرد الحقائق فى وضح البيان بعيدا عما تسميه «بالابعاد» ، فاذا جادلت بعد ذلك فمن الخير لك عندئذ ان تتمثل قصة البصرى والواعظ **« فقد سمع الحسن البصرى واعظا لم يتأثر بوعظه • فقال له : يا هذا ، ان بقلبك لشرا أو بقلبى » •**

واذا كان من المسلم به أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ؛ واذا كان بحثى عن أبى تمام والتجديد يتكون من ست مقالات تقريبا ، ما كاد ينشر منها مقالان اثنان يعتبران مدخلا للموضوع ومقدمة له ، فما هو السر فى غضبة الدكتور كل هذه الغضبة ؟ أتراه فهم النتـــائج قبل ذكر مقـدماتهـا ؟ أم تراها شهوة عارمة دفعت به الى الكتابة فى أمر لا يعرف مقدماته فضلا عن نتائجه ؟! أم هنــاك احتمال ثالث لا نعرف بواعثـه ؟ وانا أرجح الفرض الثـــانى لانه يساوق افكار الكاتب فى مقاليه جميعا •

١ ــ ولست أقسو على الدكتور كمال حين أفترض هـــذه الاحتمالات ، ولست متجنيا على الحقيقة فيما صورت من حواله، فانه سيحدثنا بنفسه عن طريقته فى نقد بحثى كله ــ مانشر منه ومالم ينشر بعد ــ بقول فى المقـــال « والمغالطة فن أيضـــا » ما نصـــه بالحرف الواحد : « **اقول للدكتور عبـد الرحمن عثمـان ان ماكتبه وماسيكتبه(!!)عن ابى تمام ماخوذ اخذامهوشا من كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى: « أبو تمام الطائى حياته وحياة شعره » • واقول أيضا لايجدى ادعاؤه انه لم يقرأ هـــذا الـكتاب الممتاز ، والا كان عليه ان يرمى نفســه بالقصور لانه لم ينظر الى كل ما سبق اليـــه • فان اعترف بانه نظر كان اعترافه هـــذا دليـــلا مباشرا على صدق اتهامى له بالسلخ والتشويه والمسخ • ولا باس بعد ذلك من ان اضيف انه لو أطلق سراح أفكاره من سطور الرسالة لاسرع معظمها الى كتـاب البهبيتى ولتلمس بعضها سبيله الى كتابين عن الشاعر لعمر فروخ ورفيق الفاخورى، ولا اذكر طه حسين اشـــفاقا ؛ ثم يضيع بعـــد دور القديم ممـــا يحققه أمثال أبى بكر محمـــد بن يحيى الصولى ؛ ويوسف البديعى وغيرهما** » •

والأمر بعد هذا النص العجيب لله وحده ، وليس معنى هـــذا ان بعضه لم يعد* فى طاقتنا أن نعـالجه بالبطلان والنقض ، وان كانت عوامل ابطاله ونقضه تكمن فى فقراته الفقيرة الى المنطق والقبول •

وقبـــل أن آخذ فى هـــذا أنبه القارىء الى حقيقة جديرة بالـملاحظة والدرس ؛ هى ان الدكتور رمانى فى مقاله الاول بالسرقة والسلخ(والتوضيب) وما اليهما من كتاب الدكتور محمد نجيب البهبيتى فقط ؛ فلما القيت عليـــه درسا فى المـادة العلمية وحمى جوفه بالغضب لجا الى قريحتـــه فاســـعفته ببحوث عن أبى تمـــام للاساتذة : عمر فروخ ؛ ورفيق الفـــاخورى ؛ وطه حسين ؛ وقد شفع الاخير بقوله « اشفاقا » ، ولا أدرى أهو مشفق على الدكتور طه عافاه الله ؛ أم على ؟ ومهما يك من شىء فان بحثى عن أبى تمام والتجديد أصبح بفضـــل « والمغالطة فن أيضـــا » ينتسب الى عائلة علمية عتيدة ؛ فتقاسمته الآباء بعـــد أن نسبه أولا الى أب واحد هـــو الدكتور البهبيتى ؛ وقد كان يريح الدكتورمن هذا القذف أن يتفضل علينا بتحديد نقطة واحدة من نقاط بحثى ليرجعها الى مصدرها أو مصادرها فيمـــا ســـاق من بحوث وكتب ؛ وحينئذ يقدم لقرائه دليل السرقة الذى لا يجدى معه الدفاع؛

ولكنه لم يفعل ؛ ولن يستطيع أن يفعل مهما اجتهد؛ ولو مد عينيه الى ما وراء الابعاد .

والأسلم لعقولنا وللدكتور في هذا المقام أن تكون رؤيا صالحة من رؤى السيد المفضال؛ زاده الله صفاء وشفافية .

اما بحوثي — يا سيدي — فاني أقيمها من خاطري وفكري على أسس قوية من امهات المراجع، واظن ان السادة الذين كتبوا عن ابي تمام نهجوا منهجي بالدقة ، فالصولي والآمدي والمعري تحدثوا عنه حديثا اخالك تعرفه ، والمرزوقي — في مقدمة الحماسة — ، وابن رشيق في العمدة تحدثنا عن عمود الشعر ، وهو الجديد في شعر ابي تمام ، فاذا اضفت الى كل اولئك ابا الفرج في اغانيه ، وابن المعتز في طبقاته ، وابن الاثير في المثل السائر .. استقام لك بحث غني بالمادة عن هذا الشاعر ، فاذا عن لك ان تحدد فكرتك على هدى ما كتب الكاتبون المحدثون كان ذلك ادنى الى التوفيق والاصابة ، ولكن على أن تظل شخصيتك حية في بحثك بحيث لا تذوب في غيرها ، ولا تتعب من استراق السمع ، ولا يعيب الكاتب أن يند منه بحث محدث او بحوث ما دام متلفتا دائما الى الامهات التي هي النبع الوحيد له ولغيره من الوراد .

ارايت ان القديم عندي لم يضع دوره ؟ ، لانه الاساس والدعامة في تقدير العقلاء غير المجددين.

٢ — ولن اغضب الدكتور مرة اخرى بالحديث عن زعامته في منهج الشك ، واكتفي بنص منها يعتبر بدءا لنظرية مستقلة ، قال : « **ان شكي في الادب القديم لا يشمل عصر ابن سلام الجمحي ، فحسب ، وانما يمتد ايضا الى العصر الذي وضعت فيه المناهج العلمية الحديثة ، ومن ثم لا اعتد بيلاء المحدثين القدماء وحدهم ، لانه نظري لم يكن دائما موصلا الى اليقين الكامل** » ، واقسم لك ايها القارئ ان ما سقته اليك هو كلام الدكتور بنصه وفصه (انظر العدد ١٠٣٦ ص ٨ س ١٤ وما بعده) .

ونظرية الشك هذه قد اخذت دورها في الصحافة المصرية واوساطنا الادبية حين كنت يا سيدي حدثا ، ولعلك قرات عنها الكثير ! وعرفت بواعثها وآثارها ، وهي على كل حال فكرة قديمة معادة ، والحديث عنها ممجوج لا خير فيه ، ثم هل تعتقد مخلصا ان زعزعة الثقة بامثال ابي عمرو ابن العلاء والاصمعي ! والضبي ، والجاحظ يرجع بالفائدة على الناشئة العربية ، واذا كانت وسائلك في البحث العلمي تشير دائما الى أن هناك كتبا قد فقدت ، واخرى قد احرقت ، فكيف نرجو ان تجيء النتائج في مجال الادب العربي الذي يعتبر بحق اظهر سمة في الكيان العربي كله ، انه التدمير لا البناء ، والتخذيل عن الاقبال على التراث الذي تدافع انت عنه في حرارة واخلاص ، فالجدل شيء واخذ الآخرين بالنصفة شيء آخر ، وهذا ما ينبغي ان تعرفه عني يا ايها البحر الزاخر ، وصاحب المستوى الرفيع في ما تشاء وفيما لا تشاء ، فلن نخسر شيئا حين نرضى فيك طموحك ، ولكننا نخسر كل شيء حين نحكم عليك بالظن ، فان بعض الظن أثم . وهناك فرق كبير بين اسلوبين يقرران نظرية واحدة ! وكان خليقا بك أن تقول : **ان مذهبي يعتمد على التثبت من صحة الروايات قبل قبولها** ، وهو نفس الهدف المراد من عبارتك السابقة ، فلو انك قلت هذا او قريبا منه لكان اشبه بك وادل على غيرتك العربية في هذا الصدد.

٣ — اذا كان مقالي : «الباكي على القديم فن» يتسم بالطابع العلمي ، والتوجيه الواعي الى تصحيح اخطاء علمية مشهورة تورط فيها الدكتور احمد زكي ، فانني اعترف بالمجهود الذي بذله في باب العصبية العباسية حتى جاءت بارعة مستوية في مقاله الاخير ، ولكني لا اعترف له بالتوفيق في فهمه « للخضرمة » على ضوء يخالف مصطلحها في اللغة والادب ، فقد حدد لها مفهوما جديدا لا صلة له بهذين !! ، ونراه يمهد لنظريته بالشبان الاصمعي لم يعش ارهاصات العباسيين كما عاشها ابناء الامويين بشار ، وابن هرمه ، وابو عمرو ، ثم يقول بعد ذلك : « **واظن ان هذا لا يعني الا اني ارفض نقل عباسي اصيل الى اموية زمنية بحجة التكون الثقافي الذي يضرب باصوله في الماضي ، والا جاز لنا ان نعتبره جاهليا بحجة ان مكوناته الفكرية خلصت له من عرب يعايشونه او فارسيا بحجة انه قضى ايامه في البصرة التي اضطرب فيها الفرس بتراثهم العتيق !** »

والقضاء في المصطلحات الادبية او اللغوية لا يكون بالرأي العاطل عن الدليل ، والدليل الذي ساقه الدكتور لا يصلح سندا للقضية ولا شبه سند ، بالرغم من جنوحه الى ما تعارف عليه أهل الادب؛

بداية التعبير الأدبي عند العرب

للدكتور احمد كمال زكى

يقال دائما : ان الناقد يبذل فى النص الذى ينقده جهدا ابداعيا معينا ، وبقدر قدرة ذلك الجهد على التبرير والتفسير يكون الوصول الى الجوهر الحقيقى للعمل الادبى . واذا تصورنا انتاج الاديب انه مجرد « تعبير عما يكنه ضميره » منعزلا عن معطيات الحياة ، يكون من الطبيعى جدا ان نراه كائنا غريبا . ولكن الحقيقة انه لايصدر الا عن الذات المنفعلة بالاشياء التى يلمسها ويعبر عنها ، فيراه الناقد من ثم متصلا بكل شيء ايا ما كانت التجربة التى تدفعه الى التعبير .

واهم مبدا يجمع النقاد على الاخذ به هو : ذلك الانتاج باعتباره ماقبل ، كيف قيل ؟

وتسوقهم الاجابة الى ضروب من البحث غايتها محاولة « فهم الطريقة » التى شكل بها الاديب انتاجه . وعندئذ تتوزع الجهود بين التاريخ وعلم النفس وفلسفة الجمال ومايجرى هذا المجرى ، ولايكاد اى جهد من هذه ان يخطىء ماضى الفن اطلاقا . بل يضع الجميع فى اعتبارهم ان القوة الجمالية التى تسوى عادة تجربة الاديب فى الصورة التى تنفذ الى خبرات الآخرين لايمكن ان تقوم الا على اساس من الموروث بكل اعماقه . واذ يكون الاديب فى نظر الناقد هو ابن الموروث على ذلك النحو ، فقد وضع نفسه بازاء تاريخ يوغل فى القدم ويقف عند اوليات الفنون .

فلاعجب بعد ان يصر اى عمل نقدى جاد على ان يرجع الى الوراء ، لا ليبحث فى النص عن وجوه شبه بغيره ولا ليهتدى الى مواضع منه تصلح لان يعرض فيها الناقد ثقافته ، ولكن ليقيم « مقدار » الجدة فيه ويحدد «نوع» التفرد ، واحسب ان هذا لو كان تهيأ لنقادنا الاولين لما جروا وراء اللفظ حتى تفوتهم الفكرة ، وكأنما غاب عنهم ان العمل الادبى منذ بدا لم يكن قابلا للتجزئة ، كما لم يكن من طبيعته ان يفهم الا على اساس انه تعاقب بعض خبرات مختلفة . ولو قد رصدت هذه الخبرات لامكن تطوير ادبنا الى غير ماصار اليه !

كان اساس الخطأ اذن اهمال القدماء ربط الآثار المنقودة بماضيها ، ونريد نحن اليوم الا نتورط فى ذلك الخطأ ، فنقرر مثلا ان الشعر المرسل رجعة الى طفولة الشعر ، وان الرمز الادبى مجرد استغلال لخرافات الاولين ، وان الرواية الحديثة تعود الى حيث بدات بلا خطة او بلا حبكة تنتظم عناصرها .

مثل هذه الاحكام «الهائلة» جائز فى اغلب الاحيان ويظل قابلا للمناقشة وللرفض معا مادامت صورة الماضى كله جاهزة او مطروحة الطرح الذى يكفل للخبرة النقدية اسباب التحقق ، وكم يكون مجديا اذا شرعنا نبحث من جديد عن التليد !

تلميذ الجاحظ « بقية »

وذلك للفرق الشاسع بين التكون الثقافى بالنشأة والتكون الثقافى بالرواية والتحصيل ، وهنا تكمن المغالطة باحالة النظر فى الابعاد السحيقة بحثا عن معالم وهمية ، وارضاء لنزعة تحاول التجديد حتى فيما انعقد عليه الاجماع ، أو قامت عليه القواعد الثابتة ، ومن قبل خطب وكيع بن ابى سود بخراسان ، فقال : « **ان الله خلق السموات والارض فى ستة أشهر !!** » ، **فقيل له : انها ستة ايام . قال وأبيك ، لقد قلتها ، وانى لاستقلها !! »**

اما وقد طال بنا الحديث ، فساكتفى بان اشير للدكتور الى وجه الصواب فيما وهم فيه : لا زلت مصرا على ان المقال الاول لا يفرق بين تدوين الادب والاستشهاد به ، وكان ردى قائما على هذا الاساس ، فاذا شاء الدكتور أن يتنصل مما كتب أولا فانى لا اكلفه مشقة الاعتذار ، وعليه أن يعرف جيدا ماذا كنت اعنى بما سقت من حجة ! ، ثم لا يكون جدل بعد ذلك فى اثبات كل شيء ثم انكاره بعد حين ؛ ورحم الله الشاعر حين يقول :

فيا دارها بالخيف ان مزارها
قريب ، ولكن دون ذلك أهوال

الدكتور عبدالرحمن عثمان

وبخصوص تراثنا العربي نفجأ بمن يأخذه بمقاييس غريبة ، حتى ليأتي واحد كالدكتور طه حسين او الدكتور شوقي ضيف من بعده فيقول ان هذا التراث كتراث اليونان تماما ، فهو شعر في أول الامر ، وهو خطابة بعد ذلك ، وبين هذين ثمة اسجاع وامثال وقصص يكتنفها الغموض ويحيط بها الشك من كل جانب .

والواقع ان ارسطو ومن قبله افلاطون ثم من نفى على آثارهما لم يخططوا للفنون القولية الا على اساس ان الشعر كان عند الاغريق القدماء اسبق انواع الكلام الفني . وربما كان لهؤلاء الاغريق ظروفهم ، الا ان طبيعة البداوة ـ داخل الجزيرة العربية على الاقل ـ ترفض هذه المسلمة ، بل ربما ترفض تقسيم الكلام اساسا الى نظم ونثر . وقد لحظ قدماؤنا على اى حال ان العربي القديم لم يقل الشعر اول ماقال ، ولم يبدأ بالقصيد قط . وهذا الجاحظ يقول في كتاب الحيوان « اما الشعر فحديث الميلاد صغير السن » ، وابن رشيق من بعده يقول في عمدته « وكان الكلام كله منثورا ، فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها ، وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة .. .. .. فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به اى فطنوا » .

والحداثة التي ربطها الجاحظ بالمهلهل وامرىء القيس لا تبعد عن القرن الخامس الميلادي ، وحول السابع انبثق فجر الاسلام ، فهل هذه جاهلية العرب المعروفة في حدود مايقرر الدارسون ؟ وهل هي التي شهدت حقا ميلاد «القصيدة» وتطورها الى « المعلقة » مثلا ؟

انا استبعد هذا ، وابعد مع من يبعد من الرواة ، غير اني لا انسب مثلهم لآدم او لتبع اى شعر . كذلك افترض مع الفولكلوريين انه كان للاولين لون من التعبيرات القولية ـ لعلها كانت مفككة ـ داخل انماط ايقاعية تصلح للانشاد ، وانما يمكن ان يغلب عليها التكرار والمراجعات في بعض اجزائها . ولعلها قبل ان تخضع للقالب الوزني ـ الذي كان يلازم حركة الجسم عادة ـ عرفت الاسجاع ، فيصح من هنا مايقوله بروكلمان في تولد الرجز عند العرب من السجع مرتبطا بحداء الناقة !

وثمة مرحلة اخرى في خلق هذا الكلام المنسق الذي كان ينشد انشادا ، وهذه المرحلة تمت مع اداء الطقوس الدينية . وفي القرآن الكريم قوله تعالى « وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » اى صفيرا وتصفيقا ، فكأنما كان الانشاد طابع العبادة اذ ذاك . فاذا عرفنا ان الكهنة كانوا هم اصحاب الحق في توجيه المصلين وفي وضع تراتيلهم وان ما اثر عن هؤلاء الكهنة لايعدو هذه المسجعات المبهمة المعقدة التي تسمى باسجاع الكهان ، فقد يمكن في ضوء هذا ان نقرر ان بداية التعبير الادبي عند العرب كانت هذه الاقوال بعينها ، يؤيدنا استعمال الجاهليين لفظتي «الشاعر» و «الكاهن» مترادفين . كما امتد خلط المتأخرين منهم الى القرآن نفسه فقرنوه بالشعر لمجرد ان فيه من آيات البلاغة ما لحظوا مثله في اناشيدهم ، وقد قال الله تعالى في نفي ذلك « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين » .

***

ومهما يكن من شيء فنحن اذا فهمنا نظرية الانشاد على ذلك النحو امكن ان نتبين شمول كلمة « الشعر » عند العرب ، وهو ملحظ وجدنا نظيره ـ على نحو ما ـ عند ارسطو ، وذلك عندما اشار في كتابه « فن الشعر » الى طائفة من الشعراء لم تصطنع الوزن في كلامها قط .

وليس يعنينا ارسطو الآن مادمنا رفضنا رأيه الذي التزم به اغلب الدارسين عندنا . ولقد ترتب على هذا الرفض تأخير الشعر كأداة فنية من ادوات التعبير القولي ، وهو يظل في المؤخرة ماذكرت ازاءه الخطابة . واحسبه يظل كذلك في معرض القصة والامثال ، وان يكن لكل فن من هذين حالة قد نعود اليها ذات يوم بالتفصيل .

اما الخطابة وهي في رأيي تمثل الطريقة الشائعة

في التعبير الادبي عند الجاهليين ، فلانخرج بدورها على ظاهرة الانشاد التي رأيناها تلازم اقوال الكهان وترانيل المصلين . فثمة التوازن ، والايقاع المنسق والاسجاع المختارة ، والمراجعات الطويلة والقصيرة على حد سـواء ، حتى ليقع فيهـا نوع من الوزن العروضي المعروف ، واشهر نموذج للدلالة على ماتقول هو خطبة قس بن ساعدة الايادي التي رواها الرسول فقال الجاحظ « انه اسناد تعجز عنه الاماني وتتقطع دونه الآمال » ، وفيها ينشد قس « من عاش مات ، من مات فات ، وكل ما هو آت آت » .

وتتبين فيها روحا يشبه روح المتعبد ، مما يلقي في الروع انها قيلت لغـرض ديني . كمـا تذكرنا سجعاتها بمسجعات الكهان ، فيكون قس بن ساعدة كسلمة بن ابي حية الذي قيل انه كان اكهن العرب واسجعهم ، او يكون كلقمان الذي يجعله الجاحظ واحـدا من الذين يذكرون « بالرئاسـة والبيـان والخطابة والحكمة والدهاء » وابن عهد لقمان بالقرن الخامس الميلادي الذي يقال ان الشعر نشا فيـه ونمـا !

الى غير ذلك مما يطول شرحه ، غير اننا نستطيع أن نطمئن الى ان تطور المقاطع في امثال تلك الخطبة وفي اسجاع الكهانة واقوال الحكماء السـوية ، كان يجري في بطء وعلى فترات يغلب على الظن انهـا كانت كثيرة قبل ان يأتي المهلهل فيقصد القصيد !

وبعد ، فهذه الحقائق التي قدمتها ربما تبـدو غريبة لاول وهلة ، الا انها في استنادها الى الواقع التاريخي تتفق مع طبيعة النشوء والتطور من ناحية ومع اقوال القدماء امثال الجاحظ وابن رشيق من ناحية اخرى . واحسب انها حتى او لم تقدم شيئا الا للمتخصصين ، فحسبها امام الجميع انها ترسم البداية ليعاد النظر فيما قيل انه النهاية .

دكتور احمد كمال زكي

في مهرجان الشعر الخامس

للأستاذ العوضي الوكيل

- ١ -

امشاج من القصـيد سمعناها في المدرج الكبير لكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية حيث اقيم مهرجان الشعر السـنوي الخامس ؛ وامشـاج من البحوث والدراسات عمرت بها آفاق المدرج الكبير ؛ وبهذه وتلك أضيف الى آدبنا تراث له قيمته من الشعر والنقد .

لقد كان المهرجان في حقيقته كالمعرض السـنوي الذي يقام لعرض سلعة أو مجموعة من السلع ؛ اذ تجمع شتى نواحيه الوانا منها ، يرى الناس فيها بين عام وعام ما طرأ عليها من التطور .

والحق أن هـذا المهرجان الخامس ظاهرة أدبيـة حقيقة بالتسجيل ثم بالبحث والتحليل ؛ فقد كشف للناس عن عدة حقائق هامة ؛ منها ان المرأة قد شعرت واصبح لشعرها امتياز وذاتية ، وبدت الانوثة واضحة فيه ؛ وكان غالب شعر النساء فيما مضى كلاما لا أنوثة فيه ؛ وليس فيه ما يجب أن يكون من التخصص والابداع المعبر عن ذات قائله تعبيرا لا يشكل الامر فيه على ذي البصر .

أما هذا العام فقد سمعنا للنساء شعرا فيه دلالة قوية على ذواتهن ؛ وكثير من معانيه ـ بل من الفاظه ـ ينبض بالأنوثة الكاملة .

ومن تلك الحقائق أن الشعر في عمومه قد خطا الى الامام خطوة ؛ ونهض قليلا مما كان يرين عليه من الجمود والتخلف ؛ اذ سـمعنا أنماطا جديدةً من التفكير ومن التصـوير والخيال ؛ وبدا الشـعراء يطرقون موضوعات جديدة كانت من قبل غريبة على نفوسهم ؛ وبدا المهرجان ـ في عمومه ـ كمعرض الصور الفنية ؛ جمالا وامتاعا .

وفي هذا المهرجان ـ ككل مهرجانات الشـعر السابقة ـ كثر الشعر الذي يتحدث في الموضوعات الوطنية والقومية ؛ وليس بعيب المهرجان أن يكون كذلك . ولـكننا لاحظنا أن هـذا الضرب من الشعر أو شك أن يتحول الى « كلشيهات » لا تتغير كلماتها

الا بالقدر الذى تتزن به البيوت والتفاعيل • فبقيت الافكار ، وانساط التعبير جامدة صامته الحس ، وصدئت الكلمات والأساليب ، واشكت أن تفقد دلالاتها الشاعرة لفرط ما لاكتها الأفواه والألسنة •

وثمة ظاهرة — فى هذا المهرجان — جديرة بالملاحظة ؛ وان تكن هامشية وهى أن عددا غير قليل من شعراء المهرجان لحنوا وهم يتلون أشعارهم لحنا يجب أن يتنزه مثلهم عن مثله •

لقد احتلت المرأة جانبا كبيرا من المهرجان فسمعنا لروحية القلينى ؛ وشريفة فتحى وجليلة رضا وفلورى عبد الملك وعزيزة كاتو ونجاة شارو ربيع وسميرة أبو غزالة ولورا الاسيوطى ؛ وسميرة ابراهيم زيدان • على تفاوت بينهن فى الفن الشعرى •

واحتل موضوع الاسكندرية جانبا كبيرا من المهرجان ؛ اذ تحدث عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبد الرحمن صدقى وصالح جودت وعبد اللطيف النشار وجليلة رضا ، وعبده بدوى ، وروحية القلينى ؛ ومصطفى عبد الرحمن ؛ والعوضى الوكيل وادوار حنا سعد •

ولعل ذلك تحية من الشعراء للبلد الذى فتح ذراعيه للمهرجان •

وهناك قصائد شدت بمعان عاطفية مختلفة ، وقصائد تناولت موضوعات تفردت بها كقصيدة عزيز اباظة فى قرطبة ، وأحمد رامى فى معبد أبى سمبل وكمعظم قصيدة صالح جودت فى بلقيس وقصيدة فلورى عبد الملك فى السلام •

وقد شدا ثنائى محمد الجيار ومحجوب محمد موسى فى التفرقة العنصرية، وثنائى على الفقى ومحمد التهامى بموضوع « الى ولدى »

وسنحاول ، فى هذا المقال ، وفيما قد يتلوه ، أن نتحدث عن الموازنة بين بعض تلك النظائر ، وقد نتحدث عن مستويات بعض القصائد من النواحى الفنية المختلفة متى اسعفتنا النصوص المطبوعة (بالرونيو) التى نشرها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب •

سنستهل الحديث بثنائى التفرقة العنصرية ، والقصيدتان للشاعرين الجيار ومحجوب ، وكل منهما تأخذ طابعا يخالف طابع الاخرى فقصيدة محجوب ، تتناول المشكلة فى وضوح لا لبس له ، وتنأى عن الاطار القصصى ، وتترسم خطى ايليا ابى ماضى تمام الترسم فى مثل موضوعها ، وتأخذ الامر على أنه جدل عقلى منطقى ، تدخله أحيانا بعض الصور البلاغية العادية ، وشاعرها يخونه التعبير أحيانا ، وتدعوه القافية الى مالا يستحب من القول كتشبيه الرجل الاسود بالفلفل الاسود ، ثم يبلغ التعبير غايته من الاسفاف حين يهتف الشاعر :

فسبحان الذى أنشا
وسبحان الذى أوجد

وفى أكثر من أربعين بيتا يردد الشاعر معنى واحدا وفكرة واحدة ، واذن فان هذا القصيد الطويل يغنى عنه بيت واحد ، ويستحق أن نهمس فى اذن قائله :

احسن من تسعين بيتا سدى
جمعك اياهن فى بيت

أما قصيدة الجيار، فهى تحكى قصة رجلين أبيض وأسود ، وعلى لسان الرجل الاسود ترد قصة أخرى عن ابنته مع ابن رجل أبيض ، هكذا على التوازى ، وتختتم القصيدة بأن ثورتنا الناصرية دعت الى نبذ التفرقة العنصرية •

والقصيدة بتشكيلها هذا تكتب على نفسها انها التفاتة ذهنية واضحة الى موضوع التفرقة ، وأن الشاعر لم يستوحها من انفعال وتجربة ذاتية ، وانما رسم خطوطها بعقله قبل أن يفيض بها قلمه ، وكان الشاعر فاترا — لا سخنا ولا باردا — فى ابراز وجهة نظر الرجل الاسود ، وحسبك فى ذلك أنه لم يوضح غير حجة واحدة للسود تؤكد مساواتهم بالبيض ، هى أن الرجل الاسود والرجل الابيض قد يدفنان بقبر واحد وتلتقى راحتا كل منهما براحتى الآخر • مع أن « قد » هنا تضيع الحجة وتسقطها ، فاذا لم يدفنا معا فقد قامت التفرقة العنصرية فى تفكير الشاعر وتقديره •

وركب الجيار مع قافيته السهلة مركبا صعبا ، وبدا أن تمرسه بالنظم لم يكن بالدرجة التى تمكنه من صوغ أفكاره فى أوزان وقواف ملائمة :

انني ابن النهار ، والليل صفح
عن ذنوب النهار مرت شقية

وأبى الليل كم تلاقت يداه
بالقرى السود والربى السوسنيه
ويتسام الاعداء فيه وينسى
كل قلب ذنوب حقد عصيه

والشاعر مولع بالايغال في الخيال والتصوير ، وكأنه يريد أن يكون تلميذا لمحمود حسن اسماعيل، ولكنه يقصر عن مدى أستاذه في تلك الملكة العظيمة من ملكة التعبير اللغوى القوى ، ومن عباراته : كوخ يشهق بالنور . تنزو قطرات الدماء — ظلال كقبضة وثنية — ثورة عدمية .

❋❋❋

وثمة قصيدتان عن الأبوة والبنوة كما ذكرنا ، للتهامي وعلى الفقى ، وهذا الثانى ، يفضل سابقه، في طاقة الفن وقدرة النظم ، وأولاهما ، قصيدة لا جو لهـا ، لان أولها يوشك أن يلتقى بآخرها على سرد للافكار والمعانى ، وفيهـا مقطع كنت أحب الا يلقنه الشاعر لابنه وهو — بعد — ما يزال في المهد ، ذلك هو الشكوى من حقد الناس والتبرم بهم .

لماذا يشحن شـاعرنا خاطر ولده الصغير البرىء بهذه المعانى التى قد تترك في نفسه عقدا وآثارا ؟

ولست أدرى لـماذا حشر الشاعر كلمة الشهوة حشرا في وصف فم ابنه الصغير أكثر من مرة ، ففى البيت الثانى يقول :

لا تـحرمن أباك من
فمك الشهى اذا ابتسم

وفى البيت الثانى والعشرين يقول :

وتعثر الكلمـات فى
فمـك الشهى المبتسم

وبعيد ذلك بقليل يقول « مبسمك الشهى » .

وانها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة أن يقول الشاعر الشـادى لابنه « تعبت من الحديث معك » فانها شهادة بما تدعيه من أن القصيدة ليست بنت تجربة عاطفية اصيلة .

وثمة ملاحظات لغوية او نحوية على قصيدة التهامى لا أرى بأسا من ايرادها هنا .

الشاعر يقول واذاك وصوابها المكين واذا أنت ، ولذلك شرح يطول .

ويكرر هذا أكثر من مرة . ويقـول : « ويبقى الطبع ما الانسان حى » .

ولا اعتقـد أن النحاة يتركونه يشكل المصدرية الظرفية على هذا النحو الذى لم يرد نحو مثله .

اما قصـيدة عديله على الفقى ، فانها فى الرتم الشعرى أجمل صدى من زميلتها ، وتصطبغ فيهـا الدعوات للابن العزيز بصبغة صوفية آملة متأملة . وفيها افكار ومعان لطيفة لولا انها همهمات ومناجيات، اذا سرت بعبيرها العاطفى فانهـا تسوء بعدم وجود جامعة نفسية بين بعضها وبعض . وتبقى بعد ذلك نغما منتثرا يردده الشـاعر فى حب لابنه العزيز . وفى بعض معانى هذه القصـيدة الثانية مسوق عن زميلتها ، فالحديث عن الأم فى مقام الحديث عن الابن جميل ولطيف ، فانهمـا معنيان يتداعيان ، والكناية عن الام فى المقطع الخـامس من القصيدة رائقة ، لانهـا أبرزت معنى الانسـانية النبيلة فى الامومة ، يقول الفقى :

احبـك حينما تغفو
على نغمـة انسـان

رقيق الحس لا يالو
ك عطفا قلبه الحانى

براه الله من نـور
ومن طهر وايمـان

يقسـم حبـه بينى
وبينك غير منان

واوليه الوفاء المحـ
ـض وجدانا بوجدان

وهذا المقطع فى نظرى هو اجمل ما فى القصيدتين الأبويتين جميعا .

العوضى الوكيل

حول أبي هريرة راوية الإسلام

للأستاذ محمد عجاج الخطيب

قرأت كلمة الاستاذ محمد عبد الله السمان «النقد بين العاطفة والتجني» التي نشرت في العدد (١٠٣٥) من مجلة الرسالة الغراء ؛ وسررت أن يثير كتابي «أبو هريرة راوية الاسلام» خواطره حول النقد العلمي ؛ ولكني عجبت من مقدمة هذه الخواطر التي تدخل اللبس على القارىء فيظن رأي الناقد موجها الى كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ومؤلفه ؛ اذ استرسل دون أن يزول ذلك الالتباس ؛ علما بأني متفق معه على قواعد النقد العلمي ومبادئه ؛ وجميل جدا أن يفيد الباحث من نقد غيره ليصل الى الحقيقة المنشودة ؛ واني أحد هؤلاء الذين ينشدون الحقيقة العلمية ؛ فأنا لا اومن قط بحكم عاطفة تطغى على ميزان العلم فترجح كفة على اخرى ؛ ولا أرضى بعين ترى الليل نهارا؛والحق باطلا ؛ ولاأثق بـ (محسب) عاطفي — ان صح هذا التعبير — يجعل حاصل جمع اثنين وثلاث سبعا أو اربعا ... وسبق لي أن اكدت أكثر من مرة حرصي على الاستفادة من ملاحظات النقاد والعلماء ، لأني أحد الملايين الذين يؤمنون بالنقد البناء .

وقد لاحظت أمورا في «كلمة السيد الناقد» رأيت أن اكتبها لتنشر في (الرسالة) ؛ حرصا على الامانة العلمية ؛ ووقوفا عند الحق ؛ ودفعا للالتباس ؛ أوجزها فيما يلي :

١ — لم أتناول في بحثي عن أبي هريرة في كتاب «السنة قبل التدوين» خمس ما جاء في كتابي «أبو هريرة راوية الاسلام» وكان من المفروض أن ينشر أبو هريرة منذ سنة على الاقل ؛ ولكن بعض الظروف الطارئة حالت دون ذلك .

٢ — لم يكن كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ردا على كتاب «أضواء على السنة» لأبي رية ، بل هو رد على كتاب «أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين» وتصحيح للاخطاء الفادحة ، التي ارتكبها في هجومه العنيف على الصحابة عامة وعلى أبي هريرة بوجه خاص ؛ وما اطلع على ذاك الكتاب امرؤ الا اقشعر له جسده ؛ لما جاء فيه من افتراءات باطلة .. مما دفعني الى البحث العلمي عن أبي هريرة ؛ وكان ذلك منذ سنوات ثلاث مضت ، فلم أدخر وسعا ؛ ولم آل جهدا في بحثي كانت ثمرته «أبو هريرة راوية الاسلام» وقد طالعه أكثر من عالم منتصف آنذاك ؛ وشجعوني على نشره ؛ واقترح أحد اخواني المحبين للحقيقة العلمية أن أنشره في سلسلة اعلام العرب ، فيوزع على نطاق واسع بثمن رمزي يستطيع كل انسان أن يطالعه ؛ وبهذا تزول الشبهات التي أثيرت حول أبي هريرة ، وتم هذا بفضل الله وتوفيقه .

فكتابي «أبو هريرة» ليس ردا على أبي رية كما ذكرتم — وواضح هذا في الصفحة (٢٠٣) . ثم اني لم أرد على أبي رية منفردا الا في الصفحات (٣١٥ — ٣٢٢) ؛ وتركته بعد ذلك للدكتور طه حسين الذي قال فيه كلمته .

فاثارة الكاتب موضوع كتاب «أضواء على السنة» وموقف العلماء منه ونقدهم اياه قد يلبس الامر على القراء — وأنا أحدهم — فيظنوا ما ذكره موجها الى مؤلف كتاب «أبو هريرة راوية الاسلام» ؛ فأنا لم اتهم أبا رية بأنه مدفوع من جهة تبشيرية ؛ ولم أتهمه بأنه يحاول الغاء السنة — وليس بوسعه ولا بوسع غيره أن ينجح في هذا — ولكني أحب أن الفت الانتباه الى ظاهرة خطيرة في هذا العصر ؛ وهي اتجاه المستشرقين الى دراسة السنة ؛ وطعن بعضهم فيها ؛ وقد لمسنا هذا في كثير من أبحاثهم ، وأوضح هذا المع علمائنا وكبار شخصياتنا الذين يعملون في الميادين العلمية ؛ ولهذا كان لزاما على كل من ينقل عن المستشرقين أن يحذر ويفحص ويناقش قبل أن تزل قدمه ؛ فيكون أداة بريئة — من حيث لا يعلم — تعمل في هدم تراثنا الخالد العظيم ؛ ولعل معظم الهجوم على أبي رية مرده الى تبنيه بعض آرائهم ؛ واعتماده على مصادر غير موثوقة عند أهل العلم للدفاع عن وجهة نظره !!

٣ — لا شك أن الصحابة بشر كما ذكر الاستاذ

السمان وقد عقدت بحثا عن عدالة الصحابة ص (٣٤ - ٤١) أدليت فيه بالأدلة النقلية - من القرآن والسنة واجماع الامة - والعقلية التى تثبت عدالة الصحابة ، مما تدفع كل محاولة للطعن فيهم ؛ ولو سلمنا جدلا بأن العدالة المقصودة بالنسبة للصحابة عدم تعمدهم الكذب ، وهى المراد من الادلة القائمة على عدالتهم - فما هو موقفنا ممن يتهم أبا هريرة الذى ثبتت عدالته بتلك الأدلة - بالكذب وبوضع الاحاديث مقابل أجر معلوم يقبضه من بنى أمية من غير دليل ولا برهان ؟ هل نسكت عن مثل هؤلاء الذين يتجنون على الرعيل الاول الذى بذل النفس والنفيس فى سبيل حمل الرسالة واداء الامانة !؟ لقدفصلت القول فى هذا كله فى (ص ٢٤٨) وما وبعدها ، وفى غير موضع من الكتاب ٠

٤ - ثم ان حياة أبى هريرة العامة والعلمية لها اثر كبير فى بيان مكانته وحفظه وسعة علمه ؛ وان دراستها تصحح أخطاء شائعة ، منها ان ابا هريرة أسلم عام خيبر ؛ والصحيح أنه أسلم قبل الهجرة النبوية ؛ وبقى فى اليمن يتابع أخبار المسلمين ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم ٠٠ وكانتهجرته الى الرسول صلى الله عليه وسلم عام خيبر ؛ تشرف بعدها بصحبة النبى الكريم ؛ ولازمه كظله ؛ يخدمه ويسمع منه ويرى بعينيه ويعى بقلبه ؛ وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بحرصه على الحديث وعرف هذا فيه فكان يحدثه ويجيبه عما يسأل ؛وقد بينت هذا فى ص (١٣٠ - ١٣٥) ؛ فلم يترك ذلك مجالا للمعجبمن كثرة حديثه ٠ وقد شهدتلهالصحابة بمكانته وحفظه ؛ وذكرت أدلة كثيرة على ذلك انظر ص (١٤٥) وما بعدها و ص (١٩٠) وما بعدها ٠

٥ - حين درست شخصية أبى هريرة لم أتصور نتيجة معينة قبل البحث ؛ فسلكت اقوم الطرق العلمية ؛ واذا بالحقيقة والتاريخ يحددان معالم تلك الشخصية الانسانية العظيمة ؛ ولم اكتف بهذا فى الدفاع عنه ؛ بل اتبعت طرق النقد العلمى؛وواضح هذا فى ص (٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٤٨ - ٢٤٩) وما بعدها و ص (٣١٦) وغيرها ٠

كما انى لم اكتف ببيان مكانة أبى هريرةفى أوج العدالة والتوثيق ، بل ناقشت بعض ما اثاره اعداؤه حول بعض مروياته ؛ وبينت وجه الحق فيها ؛ ووضوح تحامل أعدائه عليه ؛ (انظر ص ٢٧٠ ؛ وما بعدها و ص ٣٠٨ وما بعدها و ص ٣١٩) ونتيجة لهذا البحث لم أجد ما يؤخذ عليه ؛ فلم أناقش جميع مروياته لضيق المقام ، وطالبت العلماء بالتأكد من هذا فقلت فى ص(٣١٤) « وانىأدعو العلماءالمنصفين الى استقراء مرويات أبى هريرة - وأجمع مالدينا مسند الامامأحمد - فانهم لن يجدوا له حديثايخالف فيه الاصول العامة للشريعة ؛ أو يتفرد بحديث شاذ ينكر عليه ؛ وما من حديث استشهد به الكاتب الا عرف المحدثون والنقاد قيمته ٠٠ »

٦ - حرصت فى كتابى على المنهج العلمى واكدت ذلك فى ص (٢١٢) حيث قلت : (وستكون هذه الدراسة على ضوء ما عرفناه من حياة أبى هريرة وعلمه فى الباب السابق ؛ ولن أبادل الطاعنين استهزاءهم وازدراءهم لأبى هريرة بازدراء مثله ، ولن ارد شتائمهم وسبابهم وافتراءاتهم بمثل ما فعلوا ؛ لان المنهج العلمى يأبى هذا كله) ؛ ونفذت هذا فعلا ؛ ولم أتعمد التشفى وخشونة الالفاظ - كما ذكرتم - ولعل بعض ما رأيتم فى الكتاب هو من لفظ من نقلت عنه من أعداء أبى هريرة للرد عليه ٠

اما أنى اتهمت أحدا بالزندقة والمروق فهذا مما أنزه عنه قلمى ولسانى ونفسى التى وقفتها من أجل السنة الشريفة والحقيقة العلمية ؛ والدفاع عن السنة أسمى من أن يعتريه تفسيق وتكفير ، وليس بين دفتى كتابى شىء من هذا من قولى وكل ما هنالك شهادة صدق لابن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١ هـ) فى أبى هريرة ذكرتها فى ص (٣٢٩) ؛ قد تبدوقاسية ٠٠ ولكنها - مع قسوتها - بالنسبة لما رموا به أبا هريرة كالحرير الناعم تجاه الشوك الجارح ؛ فقد قذفوه بالفاظ تدمى القلوب ؛ ويندى لها جبين الانسانية ؛ وتتنافى مع المنهج العلمى ؛ تحمل الوانا من الباطل ؛ الذى يخالف العلم والتاريخ ٠

واخيرا فان ما كتبته الى الاستاذ السمان لا يعدو الحرص على الحقيقة العلمية التى نسعى اليهاجميعا والله الموفق الى الصواب ٠

محمد عجاج الخطيب

مطر في الفجر

للأستاذ إدوارد حنا سعد

على نافذتي بنان المطر   تدق فتوقظني للسحر
صديق الطفولة مسترجع   لقلبي غوالي الرؤى والذكر
فتحت له شرفتي مثلما   تلاقى الشتيتان بعد السفر
تقبلني قطرات الرذاذ   وتمرق لامعة كالدرر
وقد جف في الغرب غصن الظلام   ونور في الشرق ورد السحر

* * *

خطاك الرتيبة في شرفتي   خفوق فؤاد يحس الشجي
غسلن فؤادي من كدرة   ألمت به وأذبن الأسى
شعرت بروحي تندى كما   ترف الازاهير تحت الندى
وتورق كالغصن ان جدته   وتفرح كالقفر بعد الظما
وتلمع .. مثل الطريق الجديد   اذا سرت فيه زها وازدهى

* * *

فيا واهب الكون سر الحيـ   ـاة وسرك مستبهم مغلق
تخاف ترجى .. كحب اللعوب   وتبخل ان شئت أو تغدق
يهش الكريم لبذل العطاء   وأنت به مرعد مبرق
ومنك النقائض .. روض يجف   وكوخ بساكنه يغرق
وواد يضيق بهطاله   وواد الى قطرة شيق

* * *

ويا ابن السمو ويا ابن الصفاء   اليك انتهت غاليات الرجاء
فلم يبق في الأرض من عنصريـ   ـك سوى نفحة من شذى الانبياء
سوى شاعر يستشف الاله   بكل جمال خبا او اضاء
سوى عاشق اريحي الحنين   كيعقوب .. أو عيسوي الحياء
فيفني بأحبابه ذاته   ويعرف – في الله – معنى الفناء

* * *

كلانا على الارض ملقى بها   ومنبعنا من معين السما
اذا ما تسامى بأرواحنا   جناح الصفاء .. وهي وارتمى
فلما نزل بين تصعيدة   وأخرى غائلة شردا حوما
ويكرهنا نفر بالحمى   ونحن نحن هوى بالحمى
اذا جئت لاموا فياويحهم   وان جرت لم أجد اللوما

ادوار حنا سعد

يقظة العملاق

للأستاذ حمزه الطفيلي

لا وربي .. لن نقلا   هو ذا النور تجلى
وتلالا في حمانا   زاهرا كي نستدلا
لاح لليل فلم الليل   ما القى وولى
هو اعصار الأماني   يهتك الليل المضلا
هو قبس من اله   قادر عز وجلا
هو سيف يعربي   ليس يخشى أن يفلا
هو بعض من كيان   قام يحيى الآن كلا
هو عملاق تهادى   ينشد المجد الأجلا
ليس يخطو خطوة   الا وفيها حل غلا
ثابت الخطو خطاه   نزهت عن أن تضلا
ثاقب اللحظ كان اللحظ   سيف الحق سلا
ضاحك الثغر كان   الثغر فجر قد أطلا
عربي باسرار   يعربي يتجلى
كلما بث شعاعا   حالك الليل اضمحلا
ويروم الليل كيدا   فيقول النور : « كلا ..
ان تلهفنا لسلم   ليس معنى السلم ذلا
انما السلم شعوب   قررت أن تستقلا

حمزه الطفيل — بعلبك

نجوى

للشاعر محمد فتحي عبد المنعم

يا نسيم المساء ذكرت قلبي   بهجة الحب يا نسيم المساء
حين كانت مناى تصدقني الود   وكان الزمان في اغفاء
والأغاريد في فمي ثملات   برحيق السعادة الخضراء
قبل أن يقرم السهاد بعيني   وتصلى سعيره احشائي
أين هذا العبير ينفح قلبي   بنعيم الهوى وحلو الرجاء ؟
أين أحلامي التي طالما طا   رت روحي الى عنان السماء ؟
أين أوهامي التي كان فيها   كل ما اشتهيه من نعمائي ؟
لم يدع لي الزمان منها سرابا   أبتغي في سناه بعض العزاء
شاب قلبي ولم أزل في شبابي   ومشيب القلوب سر الفناء
صار كالزهرة التي خاصمتها   شاعة الصبح نفحة الأنداء
فتمشى فيها الذبول والقى   بحلاها الى الردى والهباء
ذلك القلب لم يعد منه الا   لوعة في أثارة من غناء
أنكرتني الحياة وانتبذت بي   جانبا خاليا من الاحياء
حرمتني مرارة الهجر والوصـ   ـل وبرد المنى وحر الشتاء
ليت شعري اليأس يبعث قلبي   أم سيقضي الزمان تحت العفاء ؟

العملية النقدية

للأستاذ عبد الحي دياب

كثر النقاش والجدل فى الاونة الاخيرة حول العملية النقدية للادب والفن على سواء ، ومن خلال هذا النقاش وذلك الجدل تنطلق الدعاوى الجريئة التى لاتستند الى واقع علمى صحيح .. **فهذا تأثرى ، وذاك موضوعى ، وهذا شتام ، وذاك مهرج ، وهذا يلف ويدور ويحوم حول الموضوع الذى ينقده ، ولا يدلف الى جوهره وصميمه ، وذاك يدخل الى الموضوع مباشرة دون التناتة هنا او انعطافة هناك ، لان هدفه الرئيسى هو الوصول الى جوهر الموضوع وصميمه ليستطيع ان يخرج منه بالقيم الانسانية والفنية دون ما اهتزاز او انحراف ..**

دعاوى غريبة وجريئة :

واشد منها غرابة وجراة ان كل **دعوى** منها يستند صاحبها فى تدعيمها الى مدرسة نقدية ، أو مذهب نقدى يعتنقه ، ومن ثم كان خطر هاتيك الدعاوى هائلا مخيفا ، لانها ملأت علينا حياتنا الادبية ، وغدت دستور من يحاول النقد فى شبيبته او فى مراحله الاولى فى عالم النقد الادبى والفنى ، وذلك لكى يغطى على لين عظامه فى مضمار النقد ، لانها لا تقوى على الصمود فى هذا الميدان الذى يشبه الحروب الطاحنة الضروس ..

وهكذا تتشعب الاتجاهات فى العملية النقدية تشعبا لا اجتماع بعده ، لان الخطأ وقع منذ البداية لدى النقاد الذين يعالجون النقد الادبى والفنى على سواء فى بلادنا ، وغدا كل ناقد منهم يهون من الاتجاهات الأخرى التى يقف عندها اقرانه من النقاد الاخرين لا يريمون ، ومن هنا يسوغ لدينا ان نقول ان العملية النقدية أصبحت ضربا من التهريج والفوضى ، ولكنه تهريج وفوضى على أسس يزعم اصحابها انها علمية ومنهجية ..

وللوقوف على ذلك التهريج وهاتيك الفوضى لا بد ان نقف على العملية النقدية فى حقيقة امرها .. ونتساءل حينئذ هل هى تأثرية فقط ؟! أم موضوعية فحسب ؟ هل هى الشتم والتهريج ؟؟ ام هى اللف والدوران حول الموضوع دون ان ينفذ الناقد الى صميمه وجوهره ..

وفى اعتقادنا أن العملية النقدية لا تخلو من التأثرية ، ولكنها ليست تأثرية الاحساسيين الذين يتحدثون عن العمل الادبى من واقع الاثر الذى تركه العمل الادبى فى نفوسهم ووقعه فى أذواقهم ، ثم لا يبالون بعد هذا بمقياس معلوم يمكن القياس عليه والاحتكام فى المسائل المتشابهة اليه، لان النقد الذى لا يعتمد على مقاييس غير ذوق صاحبه ، ولا غاية له ولا هدف الا أن يخرج الناقد بك من العمل الادبى بأثر يدعيه ولا يقبل المحاسبة فيه ، لانه ذوقه الخاص واحساسه الخاص ، وهو يراه هكذا .. الى آخر هذه التعلات الواهية التى يتعلل بها لكى يقبل الناس احكامه... مثل هذا النقد ضرب من الثرثرة يستحق بجدارة الا نصغى اليه ،والا نقف عنده ساعة من نهار أو ساعة من ليل . اما التأثرية التى نقصدها فهى تأثرية الناقد المثقف الذى نال حظا كبيرا من الثقافة النقدية ، ووقف على المقاييس النقدية فى عمقها واصالتها ، ثم ترسبت تلك المقاييس فى نفسه فتحورت وسائل الادراك لديه ، بحيث أصبح الذوق ذوقا آخر .. ذوقا خالقا مبتكرا ، وغدت العاطفة غير شائعة ولا مكرورة ، والاحساس عميقا لا كذب فيه ولا ادعاء ، اى انه اصبح انسانا آخر قد تغيرت نظرته الى الحياة والاحياء وعمق وعيه الكونى فى هذا الوجود ، وبالتالى تتغير نظرته الى الفن والاعمال الادبية على سواء .

ومن هذا القبيل ما عالجه الاستاذ يحيى حقى فى كتابه « خطوات فى النقد » ، اذا أن منهجه فى

نقده كان تأثريا بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول ، ونحن لا نطلب منه في معالجته للنقد أن يصنع أكثر من هذا ، وحسبه ان يكون فنانا مبدعا ، ومثقفا ثقافة نقدية ان لم تزد على الكثير من نقادنا الذين يملئون سماء صحفنا بالضجيج والعجيج والمصطلحات النقدية التي ليس لها أساس في عالم النقد اللهم الا ان تكون كالنازلة التي ليس لها من دون الله كاشفة ..

نقول ان لم يزد يحيى حقي على هؤلاء في الثقافة النقدية فانه سيساويهم ، ولكن الفنان فيه يحول دون تعليل لآرائه النقدية التي خرج بها في خطواته تعليلا موضوعيا على الطريقة التي يروج بها دعاة السوء لتشويه هذا العمل من فنان ينظر في أعمال الآخرين بعين الفنان ونظرة الناقد دون ماحيثيات ومصطلحات تصل الى حد الانبعاجات الشفقية كما وصفها الاستاذ محمود السعدني قبل ذلك . مع ان تلك الحيثيات وهذه المصطلحات من وجهة نظرنا ما اسهلها على يحيى حقي الدارس للقانون . والمثقف ثقافة تجعله يفهم الاشياء على حقيقتها ، والمحتفي بأسلوبه احتفاء **يجعله يجيد التعبير عما يريد ..**

والذي نريد ان نقوله الآن **ان التأثرية بالمعنى الثاني لا بد من وجودها في العملية النقدية ، بل هي المرحلة الاولى فيها** ، ومن ثم فانه لا بد للناقد الخالق من المرحلة الثانية .. وهي **المرحلة الموضوعية** التي يزعم بعض الادعياء ان النقد لابد أن يكون موضوعيا فحسب ويقصدون بذلك الا يحتكم الناقد الى ذوقه واحساسه ، ولا بد أن يجرد من نفسه انسانا آخر بحيث يخرج من دائرة نفسه ، ويعطل ذوقه واحساسه وسائر وسائل ادراكه ، ليتسنى له أن يرصد حقائق التجربة الادبية وقيمها الفنية والانسانية .

والواقع الذي نعتقده أن الموضوعية بهذا الفهم لا توجد مطلقا ، لأن الانسان لا يستطيع ان يفهم التجربة وهو منفصل تماما عن نفسه ، لانه احد الناس الذين تخاطبهم التجربة من واقع قيمها الانسانية والفنية على سواء ، ومن هنا فهو متأثر بها · مؤثر فيها ، أي في الحكم عليها من واقع ما ترسب في نفسه تجاه ابطال الرواية او المسرحية ، او الذات التي تعالجها القصيدة ، من حيث معرفته بهم في واقع الحياة ··

ومن هنا ايضا **فان عملية التجريد هذه مستحيلة** من وجهة نظرنا ، لان الانسان لا يدرك حقيقة التجربة الا وهو حي يعاطفها وتعاطفه وتعطيه وتأخذ منه ، ولن يدركها ابدا وهي جثة هامدة ميتة يعمل فيها بمبضع النقاد المحترفين الذين يتخذون النقد مهنة واحترافا ، فيخطئون كثيرا ولا يصيبون الا قليلا ، او لا يصيبون البتة .. **وفي تصورنا ان استحالة التجريد تكمن في مظهرين احدهما في جانب الناقد والاخر في جانب الفنان صاحب التجربة** . أو الدارس صاحب الدراسة التي يعالجها الناقد .

فمن جانب الناقد فاننا نزعم انه لا يستطيع أن يتخلص من مقومات البيئة التي عاش فيها وهو طفل صغير ، وهذه المقومات تظهر بوضوح وجلاء في كل اعماله التي يعالجها .. وتطبيقا لذلك نفرض ان مؤلفا مسرحيا صور شخصية خفير القرية ، أو شخصية شيخ البلد ، او القارىء الذي يدور على البيوت في قريتنا المصرية كل يوم .. لنفرض انه صور هؤلاء جميعا ولم يرهم او يعايشهم في واقع الحياة .. اذا حدث هذا فان الناقد يتجه احساسه ووعيه الاجتماعي الى الشخصيات المصورة اول ما يتجه . وحينئذ يتساءل الناقد هل هي موجودة في واقعنا القروي ام لا !! وذلك قبل ان يتبس بمقياس نقدي واحد ، لان المقاييس النقدية موضعها في الحكم على هذه الشخصيات بعد ان يتحقق

الناقد من وجودها فى واقع الحياة ..

وربما كانت ظاهرة عدم التخلص من الرواسب القديمة التى ترسبت فى نفس الناقد فى طفولته اظهر ما تكون فى **الناقد للتاريخ الانسانى** . ذلك الناقد للتاريخ لا يرى بوضوح مواقف الفئات او الطبقات التى لا تتألف منها طبقته او فئته التى ينتمى اليها ، ومن ثم فانه يرى فى كثير من الاحيان ان فئته او طبقته هى التى تستحق الخلود بما تقدمه للوطن من خدمات جلى ، وما عداها من الفئات الأخر لا يقدم شيئا يستحق الذكر اولا يقدم شيئا اصلا ، وهو عالة على أكتاف الآخرين .

فالناقد للتاريخ اذن يتعاطف مع فئته وطبقته ، ويرمى الفئات الأخريات بالتهم النكراء ويصفها بالحماقات وغيرها .

وليس ادل على ذلك من الناقد الذى ينشأ فى القرية فيعرف ما يعانيه أهله وذوو قرباه من ذلك العمل الشاق ، ومن عيشة الكفاف التى يعيشونها ، ومن تلك الكلمات التى لا تزال ترن فى اذنه والتى ينعى فيها القرويون على الذين يعيشون فى المدن زاعمين انهم افضل منهم لانهم الذين يزرعون الحبوب ليأكلها هؤلاء ، والقطن ليلبسوه ، ويبيتون ساهرين فى العمل لزراعتهم وهؤلاء نائمون .. ان الناقد حينئذ لا يستطيع ان يبعد من ذهنه أن عمل هؤلاء بالنسبة للوطن عمل جليل ، وكذلك الشأن فى الناقد الذى برز من صفوف العمال ومن الصفوف الأخر

وتطبيقا لهذه النظرة نرى الدكتور محمد انيس ، وهو عالم فاضل فى التاريخ ، نراه ينحى باللائمة على الفلاحين فى ثورة ١٩١٩ ، ويصفهم بالتخلى عن الثورة . والانفضاض من حول دعاتها ، ويثبت الفضل كل الفضل للعمال . نظرا لانه قاهرى النشأة ، اذ نشأ فى بيئة شعبية على ما نعتقد ، فلم ير الفلاحين الا من واقع ما كتب فى الصحف عن ثورة ١٩١٩ ، أو ما كتبه بعض المؤرخين فيما نظن .

ونعتقد أن الاعتماد على كلا هذين المصدرين غير مأمون العواقب ، ومن هنا لم يبق المعايشة للفلاحين الذين اشتركوا فى الثورة فعلا .. ولم تتيسر تلك المعايشة للكاتب فعلا فاعتمد الى حد ما على المذكرات الخاصة ، وهى فيما نعتقد لا يمكن الاعتماد عليها مائة فى المائة ، لان الذى يكتب مذكراته انما يفلسف ويحسن من افعاله وافعال فئته ايضا ..

وليس معنى هذا ان كل مصدر من مصادر النقد الادبى قد الغى ، لاننا نهدف الى المنهج المتكامل فى الدراسة ، الذى يأخذ حادثة من هنا على تصريح من هناك ، ونادرة من هنا ، على سلوك من هناك ، ويحيط الكاتب بالموقف من داخل البلاد وخارجها قبل الثورة واثناءها وبعدها ..

وماذا حدث للثوار الذين يقودون تلك الثورة ، او الذين قد انكشف امرهم ، ثم يخرج فى النهاية الى احكام مؤسسة على المنطق الواعى ببواطن الامور . . والذى ينصف الحقيقة ، لا فئة على فئة او طبقة على طبقة .. ولكن النشأة الريفية او العمالية تحول الى حد ما دون تحقيق هذا المنهج ، وخاصة مع النقاد الثائرين الذين يتصرفون بناء على احساسهم المبنى عى ما ترسب فى نفوسهم منذ ولدوا ، ومن هنا فان تجريد الناقد من عواطفه الخاصة واحساساته المبنية على ما ترسب فى نفسه امر يكاد يكون ضربا من المحال ..

واما المظهر الثانى الذى يتمثل فى جانب المبدع للدراسة او للعمل الادبى ، فان عملية تجريد الناقد من ذاتيته ليحتكم الى القوانين النقدية الصرف أمر لا يهدف الى غاية سليمة ، ولا يؤدى بنا الى غاية سليمة ايضا . ذلك ان ذاتية الناقد عليها المعول الكبير فى فتح مغاليق نفس المنتج للتجربة ــ سواء كانت علمية او فنية ــ والوصول الى مفتاح نفسه ومحور حياته .

عبد الحى دياب

في موكب العلم

القمر

ابن الأرض ، أم شقيقها ، أم عمها ؟

بقلم فوزى الشتوى

هل القمر ابن الارض ، او شقيقها ؛ او عمها ؟

كان هذا السؤال موضوع نقاش أثاره الدكتور ، هارولد يورى ، الحائز على جائزة نوبل العالمية عندما تحدث عن أصل القمر والارض أيضا • ورغم أن نقاشه قريب العهد ، فان ما ظهر من نظريات وآراء يضيف كل أنواع القرابة بين الكوكبين ؛ ولا يكاد يمضى الآن أسبوع واحد ؛ حتى يوافينا البريد العلمى بحديث جديد عن القمر • لعل السبب هو أن العلماء يحاولون من ناحية تمهيد الطريق لرواده؛ ويريدون من ناحية أخرى الظفر بمكانة علمية ممتازة؛ اذا ما صحت تكهناتهم عن هذا الجرم السماوى •

ابن الأرض :

أما كيف صار القمر نجلا للارض ؛ فيرجع الى نظرية أعلنها فى أواخر القرن الماضى العالم البريطانى سير «جورج داروين » ابن « تشارلس داروين » صاحب نظرية التطور • وتختلف نظريته عن الاخرى القائلة بان جرما سماويا مر بالارض او صدمها ؛ وبفعل الجذب او الصدمة ، انفصل القمر عن أمه الارض ؛ بعد أن كان يحتل الرقعة التى نسميها الآن بالمحيط الهادى •

كانت نظرية جورج داروين تحاول تفسير اختلاف كثافة مادة القمر عن كثافة مادة الارض وغيرها من توابع الشمس كالمريخ والزهرة وعطارد ، اذ تتفاوت بين ٤ و ٦ جرامات للسنتيمتر المكعب ، بينما كثافة القمر اقل منها وتقدر بنحو ٤ر٣ جرام للسنتيمتر؛ اى أنك لو وازنت بين كثافة مادتى القمر والارض فانك تجد أن ثلثين من السنتيمتر المكعب من مادة الارض تساوى حجم سنتيمتر مكعب كاملا من مادة القمر ؛ فما هو سر الثلث الناقص ؟

ورأى داروين الابن أن سر النقص يقبع فى الارض ذاتها لان مادتها الثقيلة أو عناصرها المعدنية الكبيرة الكثافة موجودة فى داخلها ؛ وفى جوفها ؛ بينما قشرتها تتالف من عناصر اقل كثافة ؛ مما ينشأ عادة عن عملية الدوران التى تسحب المواد الثقيلة الى المركز ؛ وتترك المواد الاقل كثافة للاطراف ؛ وعلى هذا الاساس فاذا ما انفصلت كتلة من مادة القشرة؛ فانها تكون أقل كثافة من مادة المركز •

أما كيف حدث هذا الانفصال ؛ فعزاه العالم البريطانى الى عوامل المد والجزر الشمسية • فكواكب الارض ؛ والمريخ؛ والمشترى ؛ وبلوتو كلها مشدودة الى الشمس بقوة جذبها • وهذه القوة هى التى تحدد مدار الكوكب حول أمه الشمس • ومن الطبيعى أن يكون لهذه القوة تأثيرات متباينة على الكوكب ؛ مما نرى مثلا له فى ارتفاع ماء البحر أى المد كلما هل القمر • ويعتقد فريق من العلماء أن نفس عملية الرفع تحدث فى يابسة الارض ، ولكننا لا نحسها بسبب ضعفها الناشىء عن قلة مرونة اليابسة اذا ما قورنت بالماء •

شقيقان :

ولم تعمر هذه النظرية كسواها من النظريات ؛ واعتبرها العلماء من ثلاثين سنة كشىء عسير التحقيق من الناحية الطبيعية • وبقى السؤال المحير من أين جاء القمر بهذا الشذوذ العجيب فى تكوينه ؟

وقيل أن الارض والقمر شقيقان او توأمان نشأ وتكونا فى أثناء تكوين النظام الشمسى؛ فمن حقب بعيدة كانت اجرام الكون ومنه العالم الشمسى سحبا

أو مجموعات من السحب المؤلفة من التراب الكوني. وبفعل التجاذب والعوامل الطبيعية تجمعت هذه الجسيمات فى المركز لتؤلف الشموس ؛ ومن حولها وفى الاطراف تألفت الكواكب .

وفى مدار حول الشمس تألف كوكبا الارض والقمر . وكان مداراهما متقاربين، وبفعل قوة الارض جذبت القمر ، ليكون تابعا لها . وتفسر هذه الفكرة شذوذ القمر من حيث الضخامة ، فهو الوحيد فى اقمار كواكب العالم الشمسى الذى يتمتع بحجم غير متناسب مع حجم الكوكب الذى يدور حوله ؛ مما يشاهد فى اقمار المريخ والمشترى وغيرها، وكلها صغيرة بالنسبة لكوكبها .

ولم يستطع علماء الطبيعة أن يهضموا فكرة أن الاجسام الكبيرة تجذب المواد الاكثر كثافة بينما الاجرام الصغيرة تجذب ؛ وتتألف من اجرام أقل كثافة .

أحدث النظريات :

وكانت أحدث النظريات ما أعلنه الدكتور « هانز الفافن » من المعهد الفنى فى استوكهولم بالسويد فى ١٩٦٠ اذ رأى تكوين العالم الشمسى فى ثلاث مراحل. وفى الاولى منها تجمعت جسيمات النثار الكونى لتؤلف الشمس فى مركز كرة السحاب . وبفعل تجمع هذه الجسيمات حدث تضاغط ، وارتفعت درجة الحرارة ، فاحدثت تفاعلا نوويا ؛ وبدأت الشمس ترسل لهيبها لتبدأ المرحلة الثانية بأن ارسلت تأثيرات كهربائية ومغناطيسية عملت على تجميع النثار فى حلقات حول الشمس ، وفى هذه الحلقات تكونت الكواكب .

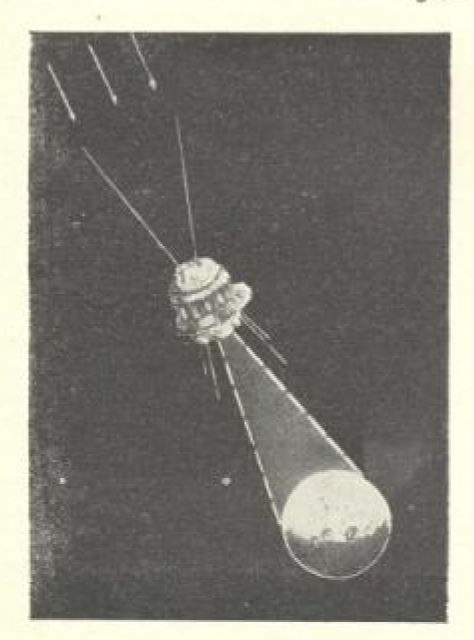
وأخيرا بدأت مرحلة تكوين الاقمار من النثار الذى كان يدور حول الكواكب . ومن الجائز فى هذه الحالة أن تكوّن مادة القمر أقل كثافة من الارض ، لانه تألف من مادة الاطراف الخفيفة بالنسبة لمادة المركز. وهنا تواجهنا مشكلة ضخامة قمرنا اذا ماقورن بحجم الارض ، فأكبر الاقمار فى العالم الشمسى صغير جدا بالنسبة للكوكب الذى يدور حوله .

عم الارض :

ويقول الدكتور « يورى » ومن العجب العجاب أن كثافة القمر اكثر قليلا من كثافة مادة الشمس بعد استبعاد المواد الغازية منها كالايدروجين والهليوم وغيرهما . فكيف تقاربت مواد القمر والشمس وتباعدت مواد الكواكب ؟

وبهذا التساؤل يثير مشكلة عمومة القمر للارض، بل عمومة كل الاقمار لكل الكواكب . فمن الجائز أن الاقمار تكونت فى مرحلة سبقت تكوين الكواكب . ومن هنا كانت مادتها قريبة الشبه بمادة الشمس اذ تكونت بعدها بفترة ؛ ثم مضى الزمان يحور فى نثار الكون ويصنفه بطريقة لا تزال مجهولة ، ولما تم التصنيف واختلفت الكثافة تكونت الكواكب ؛ ومنها ارضنا التى جاءت الى الوجود بعد أن تغيرت المادة ؛ فظهرت الارض لتجد عمها القمر يسبح فى مداره .

من هذا التسلسل يرى الدكتور « يورى » وغيره من العلماء أن القمر يملك أسرارا يحتمل أن تكشف أسرار العالم الشمسى كله ، فهو يراه بدائيا سبق الارض فى التكوين ؛ بل هو أقرب الاجرام الى الشمس ؛ وفيه من الجائز أن نعرف كيف خلقت الارض .



● المحطة الروسية لونيك ٣ وهى تلتقط الوجه الخلفى للقمر عندما كان ضوء الشمس (الاسهم) موجها اليه .

القارات من القمر :

اما كيف صار القمر تابعا للارض؟ فنظرية جديدة للعالم السويدى « القافن » اذ يقول ان القمر كان ضعف كتلته الحالية من ٣ او ٤ بليون سنة • وكان يدور حول الشمس ، وأن الارض كانت تدور قريبة منه ؛ ولكن فى عكس اتجاهه • وبطبيعة الحال كان كل منهما يتعرض لعوامل المد والجزر كلما اقترب احدهما من الآخر •

وبالحساب قدر أن موجات الماء فى نوبات المد كانت ترتفع الى نحو ٨ كيلومترات على سطح الارض • وفى احدى المرات تداخلت عوامل جديدة جعلت الارض تستبد بالقمر ، فتجذب نصف كتلته وتضيفها الى كتلتها لتؤلف القارات ؛ كما تجذبه هو نفسه ليصير تابعا لها • على أنها لم تظفر بهذه الغنيمة بسهولة ، بل ان قوة جاذبية القمر تمكنت بمساعدة عوامل أخرى من تحويل اتجاه دوران الارض مما جعلها تدور فى وضعها الحالى •

وايا كان أصل قمرنا الارضى ؛ فانه يبدو كثير التشابه من قمرى المريخ ديموس وفوبوس • حقيقة أن كلا منهما صغير جدا بالنسبة لكوكبه المريخ ؛ ولكن الثابت من التحليلات المختلفة أن كثافتهما قليلة حتى أن بعض علماء روسيا قالوا بأنهما اجوفين• ومن دراسة تفاصيلهما اذاعوا أنهما أقمار صناعية اطلقها سكان المريخ عندما كان كوكبهم يحتضر • ويحتضن الدكتور توماس جولد من جامعة كورنيل الامريكية فكرة أن قمرنا الارضى مجوف أيضا ؛ وانه يحوى فى داخله الماء والثلج •

على أن تشابه قلة الكثافة فى هذين القمرين ؛ وفى القمر الارضى ؛ توحى بأن الاقمار فى العالم الشمسى نشأت بطريقة واحدة ؛ أو جهاز طبيعى واحد كون قمرى المريخ ؛ كما كون قمر الارض •

ومن المرجح أن سر هذا الجهاز مسجل على قمرنا الارضى الذى يعد من أعظم الحفريات المحتفظة بتاريخ العالم الشمسى •

عصوره الجيولوجية :

ولا يقف العلماء عند بحوث أصل القمر ؛ وكيف نشأ ؛ ومدى صلابة قشرته ؛ بل يحاولون تأليف فكرة عن تاريخه؛ والعصور الجيولوجية التى مرت به• ولعل أبرع الدراسات فى هذا السبيل ما تنشره الدكتور « يوجين شو ميكر » من قسم الدراسات الفلكية بمصلحة الجيولوجيا الامريكى • وهو من انصار الراى القائل بأن فوهات القمر نشأت بفعل تساقط الشهب والنيازك على سطحه • ولا يوافق « كوزيريف » الروسى على أنها من أصل بركانى •

وعلى أساس البيانات التى أمكن جمعها عن هذه الفوهات ، وعن سطح القمر وجباله بمعونة أجهزة الرصد المختلفة سواء أكانت مناظير بصرية أو مناظير راديو أو تحاليل طيفية ؛ على أساس هذه البيانات ألف فكرة عن التاريخ الجيولوجى للقمر ؛ وأطلق على عصوره أسماء اشهر المعالم مستخدما الالفاظ اللاتينية التى تختلف عن العربية فى معناها •

من هذه الدراسات قدر أن أول تكوين لمعالم القمر حدث من ٤ بليون سنة حين سقط عليه نيزك او كويكب قطره ١٦٠ كيلومترا ؛ فاحدث الفوهة المعروفة باسم بحر الامطار (امبريوم)• ومن البديهى أن الصدمة لم تكن هينة ؛ بل أحدثت فجوة قطرها ١١٠٠ كيلومتر مربع • ومنها تناثرت كميات هائلة من الركام الذى غطى كل السطح المرئى من القمر •

ومن هذا الركام ما أحدث فجواته فى سطح القمر وقدر عمق بعضها بعدة الاف من الاقدام • وعلى هذا العصر أطلق اسم « النظام الامبريى » ، وجعله العصر الثانى فى تاريخ القمر وسبقه « ما قبل الامبريى » حين كان سطح القمر خاليا من الفجوات •

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

شعر المهرجان فى الميزان

لما أخذت أستمع الى شعراء المهرجان افتقدت شيئا .. جعلت أبحث عنه أو انتظر سماعه ..

استمعت الى الفحول الذين ألقوا فى البدء ، فلم أجد بغيتى ، ولمحت شعراء شبانا اقتربوا مما أريد ، ولكنهم ـ بحكم أنهم لا يزالون ـ لم يبلغوا المستوى .

أريد ، كما يريد كل متلق للشعر فى هذا العصر ، تعبيرا عن انفعال مركز فى «وحدة موضوعية» يغوص الشاعر فى أعماقها ، وتمتد رؤيته الشعرية الى أبعادها ، ويؤدى ذلك الينا أداء فنيا تتوافر له القوة من التمرس والأصالة البعيدة عن المحاكاة والترديد .

كان بعض الشعراء يحاول الوصول الى ذلك الغرض ، ولكنهم يقفون عند مستوياتهم .. بعضهم فى مرحلة من العمر بلغوا فيها المستوى الشاعرى الذى قسم لهم .. والبعض الآخر لا يزال فى الطريق الى النضج المأمول .

وأول ما استرعى انتباهى طاقات كبيرة مبددة . لها امكانيات من الطبع الشاعرى المتأصل ، ومن طول المراس والتفنن ، ولكنها تتوزع .

رائية صالح جودت

أظهر مثال لهذا النوع الاستاذ صالح جودت عنوان قصيدته « بلقيس » ولكن بلقيس ـ على نحو ما صورها ـ موضوع من عدة موضوعات فى القصيدة . ولست أرى لها عنوانا أوفى بها فى « **رائية صالح جودت » لأنها على قافية الراء ، وهذه الراء واسم الشاعر هى الشيئان الوحيدان اللذان يدلان على مجموع القصيدة .**

والقصيدة من وحى رحلة صاحبها الى اليمن . وهو شاعر يهيم بالعيون والشفاة والقوام والملمس الحرير ، ولم يجد هذه الأشياء هناك ، فعرج على « بلقيس » وأول ما تصوره منها العيون الحالمات والشفاه الحاليات ، أو كما يقول :

لمن العيون الحالمات المغريات بألف نظرة ؟
الشفاه الحاليات المسكرات بغير خمرة ؟
لمن الجبين الألمعى يذوب اشراقا ونضره ؟
لمن القوام السمهرى يزلزل الدنيا بخطرة ؟
لمن الحرير الموصل على حرير أرق بشرة ؟
لمن السرير تهابه الدنيا وتحسده الأسرة ؟
من ربة التاج الحبيب المزدهى بأجل غرة ؟

وقبل أن نمضى نسأل : أية عيون هذه التى لا تغرى الا اذا بلغت نظراتها الألف عدا ؟! وما معنى وصف الجبين بالالمعية ؟ والتاج .. حبيب من .. ؟

ومن تصور الشاعر لبلقيس أو قصتها تمثل الجنس .. اذ يقول :

بلقيس . من وهبت حديث الجنس رونقه وسحره!

واذا كان يقول :

من مثلها بين الاناث نهى ومنزلة وقدرة ؟

فاننا لا نجد فى تصوره ، أو تصويره لها ، لا النهى ولا المنزلة ولا القدرة ! الا اذا كانت هذه الثلاثة فى الاغراء الجنسى .. ولهذا :

سحرت سليمان الحكيم ! فباع حكمته بنظرة !
ما أرخص حكمة الأنبياء ! وما أغلى النظرات !

وبعد ذلك ينتقل الشاعر الى « مأرب » فيقص علينا أنه ذهب الى هناك وتساءل عن الجنتين والسد والعرش و ... و ... الخ ، فلم يجد الا الدمن والأعمدة ! ويدخل فى الجد ويجيد اذ يقول :

والشعب من حول الطلول هو الطلول المكفهرة
من كل وجه فى التراب يذوب متربة وصفرة
فاذا تلفت للسماء ولم يجد فى الغيم قطرة
واذا تمرغ فى التراب ولم يجد فى الأرض كسرة
سكنت جوانحه ! وأسلم للغد المجهول أمره

ويقارن مقارنة جدية بين حاضر اليمن وماضيه فيقول :

ما بال صناع السدود العاليات المشمخرة
أقوت حضارتهم فهم لا يصنعون اليوم جرة ؟

ويلتفت التفاتا جديا كذلك الى بلقيس ، فيخاطبها فى شعب اليمن كيف صبر وكيف استفاق :

قومى اشهدى الشعب الذى فرض الزمان عليه صبره
وعدا على أقداره وأذله باذل أسرة
وأضله بالقات ، فهو عن الحقائق رهن سكرة
وأحله لهوى الأئمة يفرض العيش سخرة
قومى اشهدى كيف استفاق وبارك الرحمان دره

وبصرف النظر عن لفظ « دره » الذى فرضته القافية على الشاعر .. **فاننا نرى هذه الأبيات وما حولها مما يعبر عن شعب اليمن تمثل الموضوع**

الذي كان جديرا بالشاعر أن يتوفر عليه ويوليه جهد التعبير الشعري .

ولا بأس بأن يستوحي بلقيس ما يخدم هذا الموضوع من حيث المقارنة بين الماضي والحاضر القريب.

ولكنه أفسد هذا الموضوع بأمرين :

الأول جريه وراء العيون والشفاة والجسد الحريري ... الخ ، فكان من هذا أن قدم لنا بلقيس في صورتين أو عبر عن انفعاله نحوها في صورتين : صورة الأنثى الفاتنة التي حببت حديث الجنس .. وأفقدت سليمان حكمته .. وصورة الملكة العظيمة التي كانت تقوم على شعب ذي حضارة عريقة . **وهما صورتان لا تجريان معا في مجرى شعوري صادق .**

والأمر الثاني أنه شتت طاقته الشعرية بين الصورة الأولى والثانية وبين ما بعد ذلك من استجابة الجمهورية العربية المتحدة لنداء اليمن وشد ازره في ثورته ، ومن التغني بمصر ونيلها وبالوطن الذي رجع اليه ثم جاء الى ثغره (الاسكندرية) يلثمه ، وعرج على « سيدي بشر » **وعاودته هنا النوبة .. نوبة الجري وراء الحسان في سيدي بشر .**

وترك سيدي بشر عدوا الى « الشاطبي » حيث يلقي قصيدة من الشعر .. الشعر الحقيقي .. لا الشعر الجديد ..

لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطرة
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبرة
أو كل مأجور يدب وفي يديه خضاب حمره
أو كل مغمور يدير الى عمود الشعر ظهره

ويهمني من ناحية الصدق الفني الذي لا فكاك منه في أي عمل فني حديث ـ يهمني من هذه الناحية أن أسأل الأستاذ صالح جودت : هل يعتقد أن فلانا وفلانا من أصحاب الشعر الجديد مأجورون . ؟ ولمن ؟ وهل يرى أنهم مغمورون .. ؟

اذا كان لا يعتقد ذلك فليس من الصدق الفني ان يقوله . وان يراه حقا فليسمح لي أن أقول انه يغمض عينيه ولا يريد أن يفتحهما الا في مقابلة العيون الحالمات .

الله أكبر

ومن القصائد التي تفقد وحدة الموضوع قصيدة الأستاذ عبد الله شمس الدين . **وهو شاعر اكتسب بجدارة شعبية محبوبة بنشيده « الله أكبر » وقد استقبله الجمهور بالتصفيق الحاد ، وهتف له بعضهم : الله أكبر .**

وأرجو ان يكون هذا الصديق واسع الصدر ، اذ أحاسبه هنا حسابا آخر قد يفسد عليه نشوة الالقاء « الرهيب » والترحيب في المهرجان .

عنوان قصيدته « في ظلال الدين » وقد بداها بما يذكرنا بقصيدة « ولد الهدى » لشوقي ، اذ يبدؤها بقوله في الرسول :

على بطحائها سطعا
فمزق ليلها قطعا

ثم عبر عن منزلة الأديان مستنكرا انحراف « زعيم البعث » فيقول :

يعيب تديننا فينا
وأنا نحفظ البيعا

ولست أدري ماذا يقصد بالبيع ؟ هل الجأته اليها ضرورة القافية ؟

ويستمر قائلا :

وأنا أمة شرفاء
لا نرضى الحمى مسلعا
وأن الدين رائدنا
كرمنا فيه مجتمعا
وأن جمال قائدنا
وقد صرنا له تبعا

ويمضي بعد هذا في الحديث عن الثورة والتحرير وتأميم القناة وبناء السد العالي .. الخ .

ثم ينتقل الى زعماء البعث قائلا لهم :

فماذا يا دعاة السوء
يا سفهاء .. يا رقعا ؟
غدرتم بالحمى الأسنى
وفيكم يا له فجعا
به يجري دم الأحرار
شلالا .. وما ضرعا

والذي أراه في هذه القصيدة أنها أولا مثل كثير غيرها من قصائد المهرجان تفتقد وحدة الموضوع التي لا بد من توافرها لكي تتلقى من الشاعر تعبيرا عميقا يحصرنا معه في بؤرة شعورية موحدة .

وهي ثانيا فقيرة في الصور الشعرية ، وما فيها من صور قليلة من قبيل المحاكاة والترديد . فهي لا تزيد على النثر العادي غير الوزن والقافية .

هذا ولما كان القاء هذه القصيدة في يوم ثورة العراق الأخيرة فقد اضاف اليها الشاعر أبياتا في هذه المناسبة . وكان يجدر به ، وقد جاشت شاعريته

بتصحيح الأوضاع فى القطر الشقيق . أن يقول قصيدة أو ابياتا مستقلة فىهذا الموضوع . كما فعل الأستاذ محمد التهامى . فكان بذلك يتفادى كثرة الموضوعات فى القصيدة الواحدة .

والى اللقاء فىالأسبوع القادم مع شعر المهرجان .

اتحاد الادباء

تعقيبا على ما نشر فى عدد الرسالة الماضى من الدعوة الى أن يكون للأدباء اتحاد يضم شملهم ويرعاهم ـ **اذكر أن هـذا الاتحاد موجود فعلا ،** وهو يمثل الجمعيات الأدبية بالجمهورية العربية المتحدة ، ومجلس ادارته يتكون من طه حسين (رئيسا) وتوفيق الحكيم (نائبا للرئيس) وحسين فوزى (وكيلا) ويوسف السباعى (سكرتيرا عاما) ويحيى حقى (أمينا للصندوق) ومن أعضاء مجلس الادارة محمود تيمور ونجيب محفوظ وعزيز اباظة وامين الخولى وعبد الرحمن الشرقاوى ومصطفى عبد اللطيف السحرتى .

ومن أغراض الاتحاد المنصوص عليها فى نظامه الاساسى **اعلاء كرامة الأدباء والدفاع عن مصالحهم وصيانة حقوقهم .**

وحقا ان الاتحاد لم يظهر له بعد اثر عملى فىحياة الأدباء او فى الحياة العامة ، وذلك لأنه لم يعتمد تكوينه الا منذ قليل . ومقره المؤقت نادى القصة وجمعية الادباء ، وسيتخذ له مقر يكون ناديا لجميع الأدباء وجمعياتهم ، وهناك اتجاه الى أن ينتقل المجلس الاعلى من مكانه الى مكان آخر ، ويتخذ مكانه ناديا للأدباء .

وقد اجتمع مجلس الادارة من نحو شهرين وقرر عقد مؤتمر لأدباء الجمهورية بالقاهرة فى مارس القادم ، وتكونت لجنة للاعداد لهذا المؤتمر ، وهى الآن توالى اجتماعاتها .

والأمل فى امداد الاتحاد بالامكانيات التى تمكنه من تحقيق اغراضه ـ معقود بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الثقافة ورئيس المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، الذى يهتم بالأدب والفن ورعاية الأدباء والفنانين والعمل على افادة البلاد بفنونهم ونشاطهم وتكوين شخصية المواطن العربى عن طريق الفن والثقافة .

عباس خضر

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ فى مجلة الثقافة

- يا له من عالم جديد رائع — **محمد فريد ابو حديد**
- مجتمع الكفاية والعدل والاشتراكية بين المبدأ والهدف (٢) — **خيرى حماد**
- الضمير البشرى فى سبيل النضج والاكتمال(٢) — **د.سيد نوفل**
- التناسق والتنوع فى الوطن العربى — **د.محمد محمود الصياد**
- سلطان الحاضر على الماضى — **د.عبد العزيز الاهوانى**
- مات مكسيق — **محمود محمود**
- اختراعات عرفتها الطبيعة قبل الانسان — **د.احمد خليل**
- نظريات كارن هورنى فى التحليل النفسى — **فؤاد كامل عبد العزيز**
- صلوات صامته (قصيدة) — **نجاة شاور دبيع**



للأستاذ محمد عبد الله السمان

النقد بين المتهيبين والمتعالين

منذ أيام أهدى لى أحد علماء الازهر الافاضل كتابه الجديد،الذى يقع فى أكثر من ثلثمائةوستين صفحة ؛ ومعالكتاب رسالة الرجاء فيها بعد التحية :

« أرسل اليك نسخة هدية من مؤلفى الاخير (••••) أرجو أن ينال قبولا ، ومن الصالح العام أن تذكر محاسن الكتاب ، ولا تنقده والسلام •• »

ودهشت وضحكت ، فما كنت أعتقد أن كاتبا يقدم على مثل هذا الانتاج الضخم ؛ ثم يتهيبالنقد؛ ولاسيما اذا كان هذا الكاتب عالما فاضلا يؤمن بأن المؤمن مرآة أخيه ، ويردد فى وعظه وارشاده حكمة القائل : « رحم الله امرءا أهدى الينا عيوبنا » •

ومنذ شهور أذكر أنى نقدت كتابا لابن الجوزى عنوانه : (••••) فى مجلة الازهر ، وقسوت بعض القسوة على مراجعالكتاب ومحققه ــ وهو عالم فاضل ــ لانه لم يحسن الاختيار فشغل المكتبة العربية بكتاب ضخم كانت فى غنى عنه اولا ، ولان تحقيق الكتاب كما اراده ، كان تحقيقا سطحيا ، فلم يعلق على ما تناوله الكتاب من معان مسفة بل بالغة فى الاسفاف ، ومن مفاهيم تافهة تسىء الى الثقافة الاسلامية والعربية على السواء •

وعز على العالم الفاضل ما كتبت عن الكتاب وتحقيقه ، فرد على رد مطولا خلاصته : أننى لم أقرأ الكتاب ؛ ولست أدرى : كيف سول له قلمه أن يخط هذا ، وقد نقدت عمله نقدا موضوعيا فى زهاء صفحتين •

وهكذا يشاء للنقد عندنا أن يتارجح بين تهيب المتهيبين وتعالى المتعالين ، دون أن ندرك أن الانتاج الادبى والفكرى لا يؤدىالغرض المنشود بدون تقييم لافكاره ، بالنقد النزيه المجرد عن الهوى والنزوة ؛ وأن الناقد الذى يلتزم أصول النقد ؛ وينزه قلمه عن الهوى ؛ كالمجتهد : ان اخطأ فلهاجر ؛ وان اصاب فله أجران ؛ وأن الكاتب متى سمح لنفسه أن يقدم انتاجا فكريا ، عليه أن يتسع صدره لما يوجه اليه من نقد ، وأن يكون رياضيا واسع الافق ، لا يدع جانبا من الغرور يتملكه ؛ فيتوهم أنه فوق النقد والناقد معا •

اذن فلماذا نتهيب النقد أو نرفضه ؟؟

اذا كان هناك من يتهيب النقد ؛ فانما هم أولئك الذين ينتجون ، ولكنهم لا يثقون فيما ينتجون ، ولا يطمئنون اليه؛حتى اذا؛ تعرضوا للنقد آثروا السلامة وكأنهم لم يقرأوا ما كتب عنهم ؛ ولم يشعروا به •

واذا كان هناك من يتعالى على النقد ؛ فانما هم أولئك الذين يتملكهم الغرور، وتزكم أنوفهم الكبرياء فيتوهمون أنه منحقهم أنيفرضوا أفكارهم علىالناس دون ان يجرؤ أحد على مناقشتها •

وليس من المعقول أن نذر النقد حائرا بين تهيب المتهيبين وتعالى المتعالين ؛ وانما الواجب أن نضرب صفحا عن كلا الطرفين ، لانهما يعبثان بأفهامنا ، ويسخران من عقولنا ؛ ويشغلان حيزا من الفراغ يكون من الخير لهذا الحيز أن يظل فارغا •

صحيح أن هناك نقدا لا يعولعليه ، نقدا هزيلا ، لان المقصود منه مجرد الاستهلاك المحلى ؛ وهو نقد اما أن تدفع به العاطفة ، واما أن تدعو اليه رغبة التشفى ؛ واما أنتصوغه شهوة الشهرة ؛ ومثلهذا النقد متقضى عليه بالموت والتجاهل من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن لا يكون معوقا لركب النقد الجاد النزيه •

وصحيح مرة أخرى أن هناك نقدا يهدف الىالهدم لا البناء ، ويتجرد للتخريب لا التعمير لانه يعتمدعلى اثارة المشاغبات التى لا طائل تحتها ؛ ولهذا اللون من النقد هواة ومحترفون ؛ ليس من السهل أن يتنازلوا عنه ، لانه بالنسبة لهم أصبح كل رءوس أموالهم ؛ ولا يمكنأن يكون لهم عيش فى دنيا الادب اذا تخلوا عنه ساعة من ليل أو نهار ، ومثل هذا النقد أيضا مقضى عليه بالبوار ، يمجه كل ذوق أدبى وينفر منه كل طبع سليم ؛ ويجب أن لا يوقف عجلة النقد الأصيل البناء أيضا •

اذا كان العمل الادبى جزءا من حياتنا لا غنى لنا عنه ، لانه غذاء العقل والروح معا ؛ فان العملية **النقدية تتمة للعمل الادبى ، لانها تقييم له ، وكشف عن معدنه ، واقصاء زيفه وابراز جوهره •**

ومع ايماننا بهذا ايمانا راسخا ؛ الا أننا لا زلنا نعترف بوجود أزمة فىالنقد ــ الجاد بالطبع ــ وبأن الكثرة الساحقة من الانتاج الادبى عندنا ؛ لا تقابل بجزء من مائة من النقد الذى يجب أن يواجهها ••

ربما كانهذا راجعاحينا الىأن الخواطروالمجاملات

التى تلعب دورا رئيسيا ، بسبب العلاقات الطيبة القائمة بين الاديب والناقد ، دون ما تقرير للامانة الادبية التى يرتبط ضمير الناقد ، وربما كان راجعا حينا آخر ـ الى أن النقد قد يبدأ بناء جادا ، ثم يم يتنزل الى مستوى المهاترة والمنابذة بين الاديب والناقد ، مما يجعل الناقد يتردد كثيرا قبل ان يقدم على عمله .

وإذا كان هذا أو ذاك من معوقات العملية النقدية عندنا ، فان هناك شيئا يمكن أن ينمى عملية النقد ويروجها ، هذا الشيء هو الصلة بين الاديب والقارىء هذه الصلة التى تكاد تكون مفقودة لدينا ؛ بينما هى قائمة على قدم وساق فى الغرب ، فالاديب هناك لا يقل شأنا عن النجم السينمائى ؛ فهو على صلة وثيقة بقرائه وله عشاق معجبون ، يراسلونه ويراسلهم .

أما هنا فالصلة بين الاديب والقارىء ؛ ان وجدت فهى فى أضيق حيز ؛ وقد يدفع القارىء فى الكتاب عشرات القروش ؛ وقد ينفق الساعات الطوال فى قراءته ؛ ولكن يندر أن يكون لنفسه رأيا فيه ؛ وان حرص على أن يكون رأيا فيه ؛ فهو يحاول أن يحتفظ بهذا الرأى لنفسه ؛ وان فكر فى أن يذيعه أو ينشره فانما فى مجالسه الخاصة .. أما أن يفكر فى ان يرسل برأيه للأديب فهو آخر شيء يفكر فيه ؛ أى ان القارىء فى الغرب يعيش فى ايجابية متفاعلة ؛ والقارىء فى الشرق يعيش فى سلبية شاملة . وأن الاديب هناك يطبع من مؤلفه عشرات الآلاف وهو مطمئن غاية الاطمئنان ؛ وواثق كل الثقة فى رواج الكتاب ، ونفاده فى شهور معدودة ؛ وأن الاديب هنا يطبع بضعة آلاف ؛ وهو واضع يده على قلبه ؛ مشفق على كتابه غاية الاشفاق ؛ يخشى أن تصيبه دائرة البوار فتتأزم نفسه ، ويهتز تفكيره ؛ ويجدب ذهنه.

انه يطرق جميع أبواب الجهات الرسمية التى عرف عنها أنها قد تشجع الكتاب .. ويلجأ الى شتى وسائل الاعلان التى يمكن أن تعرف القراء بالكتاب، ولا يرى مانعا من أن يبذل جانبا من التوسل ؛ ولا حائلا دون أن يبذل جانبا من كبرياء نفسه ؛ فالغاية عنده تبرر الوسيلة ؛ والغاية عنده أولا هى أن ينتهى من توزيع كتابه ..

وأنا هنا لا أقصد الادباء العمالقة ، الذين ترحب دور النشر بانتاجهم ، وتتهافت عليه ، وهم لدينا معدودون على أصابع اليدين ، فهؤلاء أصبح لهم نفوذ فى الاوساط الرسمية وغير الرسمية ؛ وانما أقصد الكثرة الكاثرة من الادباء ممن هم فى المتوسط وفوق المتوسط أو دونه ؛ فهؤلاء تتردد دور النشر عشرات المرات قبل أن تفكر فى نشر انتاجهم ؛ واذا فكرت جديا أملت عليهم شروطا أقسى من الأسوة ذاتها .

وهكذا تؤكد لنا دور النشر أن لديها من الامكانيات لتقييم الاسماء ؛ وليس لديها ـ بكل أسف ـ القدرة على تقييم الانتاج الفكرى .

رحم الله الدكتور زكى مبارك ؛ لقد كتب ذات مرة يحكى قصة من أغرب القصص ؛ فذكر أنه أرسل قصيدة الى احدى الصحف وهو لم يزل فى بدء حياته ؛ وكان نصيبها الاهمال ؛ وبعد ان أصبح زكى مبارك : الدكاترة زكى مبارك ؛ طلبت منه نفس الصحيفة قصيدة تحلى بها صدر عددها الممتاز التى ستصدره بمناسبة احتفالها بمرور خمسة وعشرين عاما على صدورها ؛ وكان أن أرسل اليها نفس القصيدة التى لم ترحب بها من قبل الا سلة المهملات وعادت بعد أعوام لتحتل أبرز مكان وأرفع مكانة .

وعملية النقد عامل أساسى فى القضية ؛ فدور النشر تدرك يقينا أن الاديب الكبير سيلقى انتاجه ـ مهما كان ضعيفا ـ ترحيبا بالصحافة بشتى اتجاهاتها ؛ وستعنى به كل برامج الاذاعة والتليفزيون حتى ما كان منها من ضروب اللهو والتسلية ؛ وسوف يبادر نقادنا متطوعين بالاعلان عنه فى مقالاتهم واذاعاتهم .

وتدرك دور النشر أيضا أن الاديب المغمور ـ مهما كان انتاجه قيما ـ ان رحبت به بعض الصحف ففى حيز متواضع فى ركن أكثر تواضعا ؛ أما نقادنا فسيكونون أرفع من أن يشغلوا به ، وأوقاتهم أثمن من أن يضيعوها من أجله .

وهكذا يصبح الادب اقطاعيا احتكاريا ، ويصبح النقد الى جانبه ارستقراطيا متعاليا ؛ وأدب المغمورين وذوى المواهب الخلاقة المبدعة ؛ سيظل الى ما شاء الله ؛ أدبا مهملا ؛ حتى يلفظ أنفاسه الاخيرة .

وبعد ـ فان العملية النقدية لن تبلغ الهدف المنشود منها ؛ ولن نستطيع ان نفخر بان لدينا حركة نقدية بلغت حد النضوج ، الا اذا توافر لدينا نقاد فى نزاهة القضاة والمحلفين، ووجد الكاتب الذى ينتج دون أن يتهيب النقد ؛ والكاتب الذى ينتج دون أن يتعالى على النقد والناقد معا؛ ووجد بعد ذلك القارىء الايجابى الذى لا يضن على الكاتب بآرائه ، كما لم يضن هو عليه بعصارة أفكاره • محمد عبدالله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

تحية من القاهرة

تشهد الاسكندرية الآن ـ اسبوعا للكتاب العربي ـ وذلك على غرار ماشهدته القاهرة منذ فترة وجيزة .. والاسكندرية كعاصمة ثانية للجمهورية العربية المتحدة ـ كانت طوال تاريخهـا ـ منبعا للثقافة والتقدم الفكرى والحضارى فى العالم ، يوم كان العالم المتحضر يشغل الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ـ متمثلا ـ فى الامبراطوريات اليونانية والرومانية وما صاحبها من حضارات ـ هلينية ـ والتى اضفت عليها الاسكندرية الكثير من روح الشرق فاصبحت تعرف لدينا بالحضارة الهلينستية ، وكذلك الحضارة الرومانية التى كانت امتدادا لما قبلها ، وفى كلا الحالتين ، حملت الاسكندرية لواء الثقافة والمعرفة ، وكان للاسكندرية دائما رأيها المستقل فى المجامع الدينية التى كانت تعقد أيام الامبراطورية الرومانية فى زمن وحدتها وانقسامها .

فاذا كان اسبوع الكتاب العربى المنعقد الآن فى الاسكندرية يمثل شيئا فهو يمثل النهضة الجديدة لاسكندريتنا الحبيبة .. بجماهيرنا العربية هنـاك بمثقفى ومفكرى وشباب الاسكندرية .

ولا شك ان النجاح الكبير ـ الذى حققه الكتاب العربى فى اسبوعيه الاول والثانى بالقاهرة سوف يكون باعثا قويا ، لتجاوب عميق بين الكتاب وجمهوره المتزايد فى ثغرنا الجميل .

ومن القـاهرة نحيى اسـبوع الكتاب العربى بالاسكندرية متمنين لشعبنا هناك أسبوعا من الثقافة الانسانية فى جو من المناقشة الحرة المفيدة وسوف يسجل التاريخ يوما جهود أولئك الذين يحتضنون ثقافتنا ويطورونها ليساعدوا على تقويمها وتعميقها وازدهارها يوم يؤرخ لنهضتنا الثقافية .

فالى المشرفين على هذا العمل الرائع والى الرواد والمحاضرين . تحية من القاهرة .

مشكلة اللاجئين العرب

تأليف ـ الدكتور ادوارد سيدهم

يحتوى الكتاب على دراسة علمية وافية ـ لمشكلة اللاجئين العرب ـ بأبعادهـا المختلفة ـ مبينا دور الصهيونية فى ايجادها ـ وكيف أن هذه المشكلة كانت نتيجة طبيعية لاستيلاء الصهاينة على فلسطين ـ وطرد العرب منها ـ فقد كانت دعوتهم دائما ـ وذلك كما عبر « اسرائيل زانكويل » ان فلسطين وطن بلا شعب ـ فيجب أن تكون لشعب بلا وطن ـ وعلى هذا الاساس هاجر اليهود من جميع انحاء العالم بمساعدة الحركة الصهيونية التى نظمت نفسها على مستويات مختلفة والتى تتكون من المؤتمر الصهيونى العالمى وهـو الموجه الأعلى ـ والمجلس التنفيذى للمؤتمر ـ ويقوم بدور المشرع والمسئول عن تنفيذ هذه الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية ـ وهى وكيل اليهود فى فلسطين والمشرفة على تنفيذ الأغراض الصهيونية فى فلسطين وادارة الوكالة اليهودية ـ وهى الجهاز التنفيذى للوكالة اليهودية ـ ثم الصناديق القومية ـ وهى المسئولة عن الاعمار فى فلسطين مثل ـ كيرن كايميت ـ ، وكيرن هايسود ـ والجمعية الصهيونية العالمية ـ وهى التى تمد هذه المؤسسات

بالمال . وساعد هـذا الجهاز الضخم للصهيونية المهاجرين وشجعهم على الهجرة الى فلسطين ومن هؤلاء المهاجرين تكونت عصابات الهاجانا وشترن – التى عجلت بطرد العرب من ديارهم حتى قبل قيام الحرب الفلسطينية – وذلك عن طريق اقامة المذابح العامة – كمذبحة ديرياسين التى ولدت الرعب والخوف فى نفوس عرب فلسطين العزل المسالمين – ونتيجة لهذه المذابح عرب أكثر من ۲٥۰ر۰۰۰ عربى قبل الحرب ولجأوا الى الدول العربية لحمايتهم .. وأوضح الكتاب أنه فى الوقت الذى كان يعمل فيه اليهود بصورة منظمة – متكتلين لابراز وتأسيس وطن قومى فى فلسطين – كان العرب منقسمين تتقاذفهم الأطماع فالملك عبد الله يريد ضم الجزء الغربى فى فلسطين الى مملكته وسوريا تريد الاستيلاء على الجزء الشمالى من فلسطين وملوك مصر والسعودية يهابون الدخول فى حرب – ولبنان والعراق تريدان الحرب وليسوا على استعداد لخوضها – لقد كان التمزق والخلاف هما اللذان يحكمان العالم العربى وقد وضح ذلك فى مؤتمر انشاص – ومؤتمر بلودان – فى يونيو سنة ١٩٤٦ ..

ولقد ساعدت هـذه الصورة المهزوزة للعرب على الاستهانة بأمرهم . من ذلك قول وايزمان « انا لا اضارب مليم واحد فى بورصة اسطورة قوة العرب .. يا قوم اعطونا نحن اليهود – نصف فرصة – ونحن نكشف للعالم ان حكاية قوة العرب وتماسك العرب – ونفوذ العرب – هى حكاية كلها كذب فى كذب » .

وشرح المؤلف دور بريطانيا – فى اقامة اسرائيل وايجاد مشكلة اللاجئين – من منحها لليهود مراكز القوة التجارية والصناعية وتمليكها اياهم للأراضى الأميرية وتشجيعها لهم على الهجرة – فى سنوات الانتداب – وكذلك بين الكتاب دور الولايات المتحدة فى خلق اسرائيل وتدعيمها – وكيف ان الأمر وصل بالرئيس ترومان – المتهود – الى درجة تهديده بارسال وحدات من الجيش الامريكى لادخال ۱۰۰ر۰۰۰ يهودى الى فلسطين بالقوة هذا عدى اعترافه بها فور اعلان قيامها – وكيف كان يسارع الديمقراطيون والجمهوريون فى الولايات المتحدة لارضاء اسرائيل ومدها بالمعونات المختلفة .

وشرح الكتاب تلك الحياة القاسية التى يحياها اللاجئون ونادى بضرورة مساعدتهم فى حياتهم تمهيدا لعودتهم لديارهم . وذلك لان الجوع الذى يعانية اللاجئون سوف يفقدهم القدرة على المطالبة بوطنهم – فالبحث عن الخبز والحياة كافيان لشغلهم عن وطنهم السليب . فاذا كنا نستصرخ العالم ونقول ان مشكلة اللاجئين مشكلة انسانية .. فيجب ان نؤمن نحن بانسانية هؤلاء الجياع ونطعمهم – ولهذا يجب ان تساهم الدول العربية مجتمعة فى اطعام جزء من اللاجئين لان اطعامهم لن يضر بالقضية الفلسطينية ..

واسهب الكتاب فى شرح اثر مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على الدول العربية – وكيف ان – المشكلة كجزء من القضية الفلسطينية التى مازالت تمثل جرحا عميقا فى صميم الكرامة العربية – قد اثرت تأثيرا مباشرا فى مستقبل البلاد العربية نفسها – فثورة مصر العربية كانت رد فعل لما حدث فى فلسطين .

كما ورد فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٦/١/١٩٥٥ « لقد ابتلينا فى فلسطين وفقدنا العزة والكرامة والقوة ، ولهذا قمنا بالثورة » وشرح المؤلف نظرية العاطفة السائدة المعروفة فى علم النفس السياسى .. ومدى قوتها بالنسبة لقضية اللاجئين .. واوضح السر فى قوة هذه العاطفة تجاه فلسطين وذلك لان الانفعال الذى بنيت عليه – انفعال قوى نشأ فى الفالوجة وارتبط بحب البقاء والحياة – بالاضافة الى ارتباطها – باحترام الذات – واسترداد كرامتنا التى أهينت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . واورد الكتاب دور الجمهورية العربية المتحدة فى ابراز قضية اللاجئين ومساعداتها لهم وتنظيمها للجيش الفلسطينى وبنائها لسياستها الداخلية والخارجية على اساس – اعادة اللاجئين الى ديارهم واسترداد فلسطين – وخلص المؤلف من بحثه القيم عن مشكلة اللاجئين ، بأن اسرائيل تريد تحقيق الهدف الثانى من برنامج الصهيونية العالمية – وهو ان اسرائيل من دجلة الى وادى النيل – وعلى هذا الاساس – تحول المجتمع الاسرائيلى الى مجتمع حرب – بكل ما تحمله الكلمة من معنى – ولهذا يجب ان يوقف هـذا الخطر فى مكانه ثم القضاء واعادة اللاجئين الى ديارهم – ولن يتأتى ذلك للعرب الا اذا وحدوا صفوفهم وقضوا على عناصر الخيانة والانفصالية فيما بينهم .. لان اسرائيل حصلت عن طريق الملك عبد الله الخائن العميل على مالم تحصل عليه فى مشروع التقسيم ولا حتى بالحرب فالوحدة – هى العنصر الوحيد اللازم للقضاء على اسرائيل واعادة اللاجئين الى ديارهم .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبى

تعليق على قصيدة شاعر الشباب

فى العدد الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر الجارى من جريدة « الاخبار » قصيدة للشاعر الكبير الاستاذ أحمد رامى بعنوان « معبد أبو سمبل » لى عليهـــا تعليقات أجملها فيما يأتى :

١ ـ قال الشاعر ، وتنا لونه البهى عليها ذهبا سائلا وتبرا مهيلا ·

والمعروف لغة أن التبر هو الذهب ســـواء كان سائلا أو مهيلا ؛ فاختلاف اللفظ واتحاد المعنى ان دل على شىء فانما يدل على ركوب الصعب اضـــطرارا لا اختيارا وذلك أمر كان أحرى بشاعر الشباب الا يقع فيه أو يلجأ اليه ·

٢ ـ ويقول فى بيت آخر :

واذا أقبل المساء ومالت شمســـه للمغيب تنوى رحيلا ·

والتصوير فيه مختل ·· لان الشمس لا تميـــل باقبال المساء ، والمساء اطباق الظلمة هنا وهناك فلا اثر لنور شمس ولا ذيول لغرب · والشاعر يقصد « بالمساء » المغرب ·· وهو غـــيره لانه الفرقان بين الخيط الابيض والاسود ·· وليس كذلك المساء ·· لانه الظلام الدامس والليل البهيم ·

٣ ـ وفى بيت آخر يقول مخاطبا « رمسيس » :

آن أن تبرح المكان الذى عشت على سطحه زمانا طويلا ؛

وكلنا يعلم أن رمسيس عاش زمانا طويلا (عـلى سطح) المكان ·· وهو أمر بدهى لا يحتاج الى تنبيه ولا تقرير ·· لانه لم يكن عائشا (فى بطن) المكان حتى يدل على سطحه ·· والبيت بتمامه لا غنية فيه البتة ·

٤ ـ ويقول فى موضع آخر :

ايه رمسيس ان علوت على السفح ··· الخ ·

والسفح لغة أســفل الجبل لا أعلاه ، فكيف يعلو على السفح رمسيس والسفح منزل ينزل اليـه ولا يصعد عليه ·· لانه ـ كما قلت ـ من الجبل أسفله

٥ ـ وقال فى بيت آخر :

ثم قل لى اما ترى فى مجال الأفق صرحا يمتـــد عرضا وطولا ·

وكلمة (مجال) ليس لها مجال ·· فليس للافق مجال لانه أفق ·· والمجال محدود كالمجال المغناطيسى والمجال الكهربى ··أما المجال الأفقى فتعبير لا شاعرية فيه ؛ ولا وجود ·

٦ ـ وفى بيت آخر يقول :

ضمن العز للحمى وتمنى أن يرى الخير فى البلاد جزيلا ·

ولا يقال لمن ضمن العز للحمى انه « يتمنى » ·· لان الأمانى غير العمل وغير الكد والسعى والاصرار على بلوغ المنى ·

الزيتون ـ عدنان أسعد

***

لويس ماسينيون

فى هـــذا الشـــهر مرت ذكرى وفاة المستشرق (لويس ماسينيون) الاولى دون أن نقرأ كلمة عزاء ·· لهذا الانسان الذى كرس حياته لخدمة العربية ·· وكان أحد خمسة من المستشرقين الذين اختيروا أعضاء عاملين فى مجمع اللغة العربية فى ٦ أكتوبر عام ١٠٣٢ ··· مع خمسة عشر عضوا عربيا لم يبق على قيد الحياة من هذا الرعيل سوى العضو التونسى الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ·· والمستشرق الانجليزى (هـ·جب) ·· وبقية اعضاء المجمع الذين يعملون ـ فى صمت ـ لاعلاء كلمة اللغة العربية ·· والمحافظة على التراث العربى الاصيل ···

(ولويس ماسينيون) كما يقول د· عبد الرحمن بدوى فى جريدة الاهرام فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر عام ١٩٦٢ ·· (الملحق الادبى) :

• لقد كان (لويس ماسينيون) .. شعاعا كونيا ظل يضيء في عالم الاستشراق قرابة ستين عاما .. قضاها في التنقيب عن كنوزالتراث الروحي العالمي الاسلامي واستكناه أسرار أقطابه الروحية...فكان « حلاج » اسرارهم .. كما كان شيخه وصاحبه الروحي الذي لازمه طوال حياته (حلاج) أسرار اللاهوت .

والحقيقة ان ماسينيون لم يقصر نشاطه على التصوف .. بل اتسع فشمل جوانب عديدة يذهل الدارس لحياته منشمولها .. مع تعمقه الكامل لكل ما طرقه من مسائل ...

وقد كرس نفسه لدراسة (الحلاج) ودراسة مذهب الشيعة وما تفرع عليه من مذاهب غريبةمثل القرامطة والاسماعيلية ... فكتب أول ماكتبسفرا عن « عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية » في عام ١٩٠٩ .. ونشركتاب « الطواسين » عام ١٩١٣ .. وهو الكتاب الكامل الوحيد الباقي لنا بقلم الحلاج ... ثم تمخضت هذه الدراسات عنكتابه الرئيسي الضخم الذي نشره عام ١٩٦٣ في مجلدين بلغا أكثر من الف صفحة بعنوان (عذاب الحلاج ... الشهيد الصوفي في الاسلام ..) وكان رسالته الاولى للحصول على الدكتوراه .. اما الرسالة الثانية فكانت (بحثا في نشأة المصطلحالفني للتصوفالاسلامي..)

ونحن لا ننسى له اهتمامه البالغ باللغة العربية .. تركيبها .. عبقريتها .. وامكانياتها التعبيرية والنظمية ومكانتها بين اللغات العالمية ... ودورها في الحياة .. بوصفها — كما يقول — لغة الحضارة من الطراز الأول ... ولغة مقدسة لا نظير لها بين اللغات السامية ...

ونحن لا ننسى له أيضا أنه قرر على تلاميذه في فرنسا موضوع (المجاميع اللغوية وخدمتها للنهضة العربية ..) وقال عن ذلك :

(وقد وجدتأنا وتلاميذي أن مجمع اللغةالعربية قد أدى خدمة جليلة لمساعدة النهضة الثقافية ... واللغة العربية) ...

ملوى — فاروق يوسف اسكندر

نقد أم قصاص ؟

خيل الى وأنا أطالع مقال الدكتور أحمد كمال زكي بالعدد (١٠٣٢) من الرسالة الذى كتبه تحت عنوان « الاتصال بالقديم فن » أن بينه وبين صاحب مقالات « أبو تمام والتجديد » التى صدرت تباعا فى نفس المجلة ثاراقديما أو عداء شخصيا؛وقد سنحت الفرصة بصدور هذه المقالات ليقتص من الكاتب ويتشفى منه .

وليسمح لى الدكتور أحمد كمال بأن اقول له : حقا انه كان يحمل فى نقده «قفاز الملاكم» كما وصفه غريمه اذ حمل على صاحبه حملة قاسية عنيفة ؛ واضفى على نقده طابع التهجم والتهكم والاستخفاف بجهودالكاتب ؛ ولم يسر فى طريق النقد البناءالذى يهدف الى البحث ويسعى وراء الحق ويتسلح فيه الناقد بروح رياضية وخلق رفيع—كما يقول الاستاذ محمد عبد الله السمان فى نفس العدد من الرسالة— فيأتى نقدهمهذبا رقيقا يتقبله المنقودويسيغه القارىء ولقد كنا — معشرالقراء والناشئين — ننتظر من ناقد كالدكتور احمد كمال أن يرعى أصول النقد التى ينادى بها أساتذتنا — وهو منهم — حتى نطمئن الى أن ما نسمع منهم وما نقرأ لهم حول النقد الهادف النزيه هم أسرعالناس الى تحقيقه وتطبيقه . فيكون لنا منهم قدوة حسنة ؛ وتوجيه طيب الى التعاون فى مجال البحث العلمى حيث تتعاطف جهود الباحثين والكاتبين .

اما ان يأتى النقد على هذه الصورة من الجفاف فى الاسلوب ؛ والتهوين من قدر الكاتب ؛ والاستعلاء عليه ؛ واتهامه بقصور الادراك ؛ وقلة الاستعداد لما يخوض فيه فذلك ما نعتقده خروجا عن سنة النقد المحمود ؛وانحرافا به عن موضوعيته الىذاتية بغيضة معيبة توحى بضعفه ، وتقلل من قيمة ماأورده الناقد وان كان حقا اذ يظن القارىء أن الناقد لم يصدرعن الحق ولم يهدف الى بيان الصواب .

وبعد . فلستبهذه الكلمة أقف بجانب الدكتور عبد الرحمن عثمان متحيزا له فليست هناك صلة تربطنى به من قريب أو من بعيد . وغاية ما هنالك أننى كنت منشهود « الحادث » ومن نظارة المعركة . فأحببت أن أقول كلمتى حسبة لوجه الحق .. ولوجه الحق وحده .

شفيع السيد
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

أخبار علمية وأدبية

● تعقد ندوة نادي القصة في السابعة من مساء الاربعاء ١٩٦٣/١٢/١١ لمناقشة رواية «لاشيء يهم» لاحسان عبد القدوس ـ يشترك في المناقشة الدكتورة سهير القلماوي ـ الدكتور رشاد رشدي ـ الاستاذ يحيى حقي ـ الاستاذ عباس خضر ـ الدكتور عز الدين اسماعيل ـ الاستاذ فؤاد دوارة .

● فاز بجائزة الدولة التقديرية في العلوم عن هذا العام كل من الدكتور سليمان عزمي الذي يعتبر عميدا للاطباء كان وزير للصحة وعميدا لكلية الطب ورئيسا للجمعية الطبية المصرية . والمهندس عبد الرحمن الساوى الذى كان عميدا لكلية الهندسة منذ ربع قرن ، ويلقب بأبى المهندسين .

هذا وسوف يتسلم الفائزان جائزتيهما فى عيد العلم يوم ١٦ ديسمبر القادم ، والجائزة قدرها ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية قيمتها ٣٠٠ جنيه .

● أطلقت فرنسا قطة في صاروخها فيرونيك . وقد استطاع الخبراء استعادة القطة عقب هبوطها بالمظلة الواقية من الصاروخ . وقد تمكن الباحثون من تتبع الصاروخ فى أثناء تحليقه والتقاط الخط البيانى للتيارات التى انطلقت فى رأس القطة أثناء رحلتها ، والغرض هو معرفة تأثير بيئة الفضاء على الكائنات الحية .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قولة عابدين) ندوتها في مساء الثلاثاء القادم لمناقشة موضوع « احياء التراث » يشترك في المناقشة الاستاذ أمين الخولى والدكتور حسين نصار، والدكتور أحمد كمال زكى والاستاذ عبد العزيز الدالى ويقدم الندوة الاستاذ محمد عبد الواحد .

● منحت جمعية أصدقاء الكتاب جائزتها هذا العام مناصفة بين الاديب اللبنانى المعروف الدكتور سهيل ادريس ، والأديبة اللبنانية اميلى نصر الله ، هذه الجائزة قدرها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية .

ومن الجدير بالذكر أن الأديبة اللبنانية نالت أيضا جائزة الشاعر سعيد عقل وقدرها ألف ليرة عن قصتها « طيور أيلول » التى ترمز بها الى الهجرة من القرية .

● نجحت مضخة صناعية فى أداء عمل القلب عند رجل فى الثانية والاربعين من عمره ، واطالة حياته مدة أربعة أيام . وفقا لتقرير تلى فى الجمعية الامريكية لأمراض القلب . كما تليت فى الاجتماع تقارير أخرى عن قلوب صناعية احتلت مكان القلوب الصناعية فى الكلاب فعاش بعضها مدة سنتين .

وفى التقرير الاول كان المريض يعانى سكرات الموت ولكن الجراح « ميشيل ديباكى » من جامعة بايلور جعل قلبه يستأنف نشاطه باستخدام أنابيب من البلاستيك ومضخة كهربائية صغيرة .

● تكونت جمعية ادبية فى كل من القاهرة والاسكندرية وملوى أطلق عليها (جمعية الطليعة العربية) هدفها رعاية الادباء الناشئين لاتاحة الفرص لهم لنشر انتاجهم ، وتوثيق الصلات بين البراعم الادبية فى العالم العربى ، وسوف تصدر جمعية الطليعة العدد الاول من مجلتها فى أول العام القادم ان شاء الله .

● صار من الامور الميسورة تسجيل برامج التليفزيون من صور وأصوات من لوحة اذاعته بالمنازل وذلك بمعونة جهاز جديد ابتكرته احدى الشركات البريطانية واطلقت عليه اسم « تلكان » .

وهو يعمل بشريط مغناطيسى سمكه ربع بوصة كشريط تسجيل الاصوات. ويمكن ازالة التسجيلات التي ترصد عليه .

● قدم الى القاهرة الاديب الحجازى الاستاذ عبد السلام هاشم للاشراف على طبع كتابه الذى اختارته له وزارة الثقافة والارشاد القومى ضمن مطبوعاتها .

هذا الكتاب دراسة عن الرافعى ومى ، وسوف يصدر خلال هذا الشهر .

● اتصلت بعض الجهات الرسمية بالأستاذ ساطع الحصرى واستأذنته فى طبع كتبه فى القومية العربية فاعتذر بأنه مرتبط بدور النشر فى لبنان فاتفق معه على تلخيص هذه الكتب تلخيصا وافيا لينشر بعنوان: (المختار من كتب ساطع الحصرى فى القومية العربية) وستقدم المجموعة الاولى فى أول يناير القادم وستبلغ صفحاتها زهاء خمسمائة صفحة .

قصـــة العـــدد

رجولة

لـ أستاذ كمال ثابت

كان يسير مترنح الخطوات ، يتخبط فى ازقة حى « راس التين » يسلمه جدار بيت الى جدار بيت آخر ، ورائحة الخمر الرخيصة تفوح من فمه الذى تجرع منها اشتاتا والوانا ، واسلمه السكون الشامل الى تفكير عميق ، فادار فى راسه ماسمعه فى الحانة وعادت الى ذهنه كلمات «متولى» وهو يقولها فى لهجة مسيطرة وصوت يدل على قوة الشخصية ، فقد كانوايتحدثون عن فساداخلاق النساءوالانحلال الذى دب فى البيوت نتيجة التطور الذى مس الحياة وكان رايهم ان النساء اصبحن الحاكمات الناهيات فى شئون الاسرة وان الرجال اصبحوا يعيشون على الهامش ..

ووثبت الى ذهنه كلمات «متولى» النارية :

« الله يرحم اهل زمان .. كانت الست من دول لاتستطيع ان تفتح عينها فى وش جوزها .. سيبك المودة وخروج النسوان بره هما اللى غيروا الاخلاق .. لكن الحمدلله .. محسوبكم اول مايدخل البيت مفيش حس .. كلهم سكوت .. يقدر واحد يرفع صوته او يتنفس ·· هات القبقاب يا ولد ·· يحضر الولد القبقاب ·· هاتى الفوطة يا بنت ·· تحضر البنت الفوطة .. تقدر مراتى تسالنى كنت فين ؟ كنت قاعد مع مين ؟ انت كنت سكران امبارح .. ابدا .. المهم ياجماعة حماشة الراجل فى بيته ..»

انه يذكر هذه الكلمات .. يذكرها جيدا لان متولى نظر اليه بعد ذلك ثم قهقه ساخرا وهو يضرب كتفه بيده القوية حتى ارتج به الكرسى وقال : وانت ياجوكر ــ وكان الاسم الذى يطلقونه عليه ــ اظن مراتك ستضربك علقة زى كل يوم ..

وقهقه الجميع ساخرين .. ولكن هذه السخرية لم تترك فى نفسه اثرا فقد تعودها بعد ان سمع امثالها كثيرا . فهو لايستطيع ان يعيش الا اذاتحمل هذه الاهانات ، فليس لديه عمل يعينه على كسب قوت هذه الافواه الستة التى تنتظره فى المنزل .. ولولا كرم معارفه من رواد الحانة لهلك جوعا .. وهو فى نفس الوقت لايخسر شيئا .. فكل مايقدمه اليهم هو خدمتهم وهم يشربون ... وقد يذهب خارج الحانة لشراء علبة سجاير .. فان لعبت الخمر برؤوسهم لا يعدم من يصفعه على قفاه او يركله بقدمه اثارة لضحك زملائه ، وهو كثيرا مايرقص ــ اذ طلبوامنه ذلك ــ على توقيع تصفيقهم ويحدث ان يجذبه أحدهم من سترته وهو يرقص فيقع ككومة من الخرق فوق الارض .. حتى اذا قام بعد محاولات وجهد دفعه أحدهم ليقع مرة اخرى .. فيتعالى الضحك .. وتدمع العيون وتضرب الاقدام الارض فرحا وسعادة .

انه لا يهتم بكل ذلك ، لان حياته قد نسجت على هذا المنوال ، فهو عاجز لايستطيع ان يقوم بعمل ما .. كسول لايقوى على الكدح فى سبيل قوته .. مدمن للخمر لايستطيع عنها فراقا ، وقد اعتادت معدته الوان الخمر جميعا .. فهو فى كل ليلة لايعدم زبونا يعرفه يدفع اليه بكاس وحفنة من الفول النابت ..

وتتكرر هذه الكئوس .. وهكذا كان جوكر يعيش ..

ولولا رحمة (مانولى) صاحب الحانة لتسكع فى الطرقات متسولا ولكنه على اية حال لايقبل كرم مانولى دون شيء يقابله .. فهو يمسح الارض وينظف الحانة ويقضى بعض مطالبه ان كان فى حاجة الى شيء من السوق ...

حتى اذا ظهرت تباشير الصباح ، عاد الى منزله لملا تتلقفه جدران المنازل فتتلقاه زوجته بوجه غاضب ولسان لايكل ..

وآه من لسانها .. ان الشتائم الموجعة تنهال عليه منه كما يتهال الرصاص من المدفع الرشاش. لقد احتملها كثيرا .. كثيرا .. ولكن لا .. لقد احالت حياته جحيما .. انه لن يصبر بعد اليوم على صراخها وعويلها وتهكمها المرير به وبضعفه وعجزه وادمانه .. ومن يعولها ويعول اطفالها ؟ اليس هو الذى يطعمها ويطعم شياطينها الستة .. صحيح انه عاجز عن العمل ولابد ان يعود الىمنزله ومعه ما يسد رمقهم·· انه رجل البيت وحاكمه الذى يجب أن يتصرف فيه كما يشاء .

يجب أن تصمت هذه الزوجة السليطة اللسان .. ويجب أن يرهبه أولاده جميعا .. فلن يسمح بعد اليوم أن يتغامز أولاده امامه ضاحكين حينما يصطدم بالطبلية عند دخوله الحجرة .. سيعلم هذه المرأة كيف تبلع غضبها وتصبر على مايريده هو .. كفاه صياحا وعويلا وزراية ..

أهو الوحيد الذي يشرب الخمر دون أهل الحي جميعا ؟ هل نسيت هذه الزوجة المنكرة للجميل جارهم احمد المرزوقي الذي ادمن الخمر بعد طرده من الشركة التي يعمل بها فترك ابناءه الاربعة دون أن يذكرهم بمليم واحد .. وسافر الى بلد آخر .

وعادت الى ذهنه كلمات متولى الشارية :

« محسوبكم أول مايدخل البيت .. مفيش حس كلهم سكوت .. يقدر حد يرفع صوته .. أو يتنفس .. هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب .. »

اجل .. هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب ، فلا تغامز .. ولا ضحك .. ولا سخرية .. وممن ؟ من أبيهم الذي يعولهم !. ياخيبته وغفلته كيف سكت طيلة هذه الاعوام على حياته هذه .. وكيف يرضى أن يكون رجلا تافها في نظر زوجته وأولاده .. ان كان رواد الحانة يسخرون منه ولايحفظون كرامته فهذه وسيلته التي يعيش منها ويعيش أطفاله .. لا .. ينبغي أن يضع لذلك حدا ، انه رجل البيت وحاكمه المطاع ...

وضرب الباب بقدمه ضربة قوية رنت في السكون الشامل . وصاح في لهجة آمرة (افتح ياواد يااحمد .. افتح الباب) ووقف صامتا ينتظر .. ومرت لحظات قبل أن تمد امرأته رأسها من فرجة الباب وفي يدها مصباح ترتعش ذبالته ، فقال قبل أن تفتح فاها بصراخها المعهود « اوعى تتكلمي .. ادخلي وليه قليلة الحيا .. انا راجل البيت ارجع زي مايعجبني .. بالليل .. بالنهار .. انا كنت ساكت لك .. انما ملقيتشي عندك ريحة الدم ... سكران ؟. سكران .. حد عايز مني حاجة .. انا باسكر بفلوسي مش من عزبة أبوك .. »

كان يتكلم بصوت مرتفع آمر مستبد ، وزوجته تغلق الباب في دهشة .. فقد مرت سنوات وهو يتحمل اهاناتها وتوبيخها ولكن الليلة .. لطالما حدثتها نفسها أن ترد عليه وتجعل ليلته طحينة ..

ولكنها تذكرت أنه مرة ضاق بمشاكستها فخرج غضبان ساخطا .. ولم يرجع الا بعد أربعة أيام ذاقت خلالها الهوان .. لأنه أبى أن يرسل اليها نقودا ، فسكتت على مضض لأنه حرمها هذه المرة من التنفيس عن سخطها بتقريعها له .

ودخل «جوكر» الحجرة وابصر امامه كوزا ضربه ضربة القت مافيه على الارض .. واستيقظ أولاده على صوت هذه الضربة فزعين ، فدنا من ركنهم المعهود حيث ينامون على الحصير ونظر اليهم غاضبا وهو يقول :

« نايمين .. لازم تناموا .. مش باشتغل انا واطفح الكوته .. »

ثم جلس على حافة الكنبة العتيقة فأرسلت صريرا طويلا .

وقال في لهجة حاسمة : بنت يافاطمة قومي ولعي البابور واعملي لي الشاي .. وانت واد ياوش النحس .. روح اشتر لي حتة جبنة .. وانت ياوليه .. واقفة كده ليه زي التمثال .. غسلت القميص بتاعي ؟

فأجابت الزوجة في غيظ مكبوت : لا .

فصاح غاضبا : امال بتعملي ايه .. اغسليه دلوقتي .. دلوقت حالا ..

وسرعان مادبت الحركة في الغرفة .. امرأته تغسل القميص وابنته تصنع الشاي .. وابنه نزل ليرى ان كان هناك بقال مازال فاتحا دكانه في هذه الساعة ..

وحينما احس جوكر أن الجميع قد أطاعوا أوامره دون شكاية .. أو صراخ أو احتجاج .. جلس هادئا تعلو وجهه ابتسامة الرضا .. سعيدا بهذه الشخصية الجديدة التي أيقظها في نفسه .. مغتبطا لهذا الشعور السار الذي احس به .. فهنا أناس يحترمونه .. يلبون نداءه ، ويطيعون أوامره بلا سخرية .. ولا ضحكات ولا صفعات ...

انها .. رجولة .. بطولة ..

وابتدأ النوم يداعب اجفانه وانيا .. هادئا .. فنام في مكانه وعلى شفتيه ابتسامة لم ترها زوجته على فمه منذ سنين . وعندما قامت لتخلع له حذاءه في حذر حتى لا يستيقظ تحركت يده قليلا وهتف في صوت حالم سعيد :

«هات القبقاب ياولد .. يحضر الولد القبقاب».

كمال نشأت

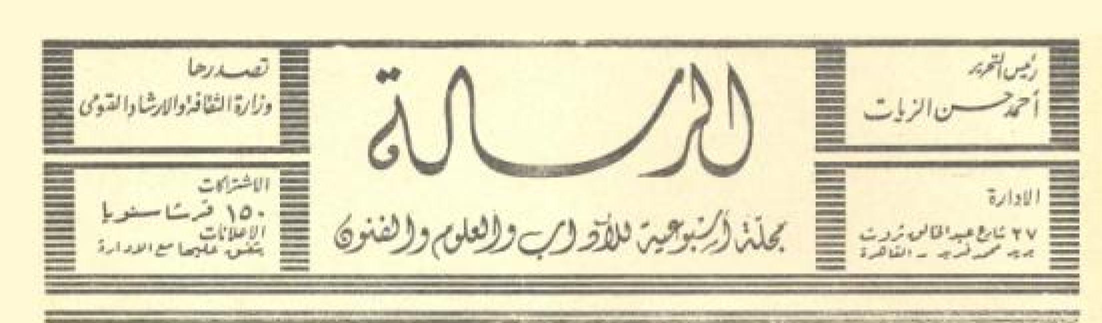

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٩ - الخميس ٢٦ رجب ١٣٨٣ هـ - ١٢ ديسمبر ١٩٦٣ م · السنة الحادية والعشرون

الفهرس

بين صوت ساحر وقلب شاعر

بقلم : أحمد حسن الزيات

كانت ليلة الجمعة الماضية أولى الليالى الغنائية الإذاعية لأميرة الغناء العربى السيدة أم كلثوم ، فتركت مكانى امام التليفزيون الى مكانى الآخر بجانب الراديو . ثم أغمضت عينى وأرهفت أذنى للصوت الرخيم العذب ينبعث من الجهاز فيملأ نفسى وحسى ، فكأنما كنت أسمعه بجسمى كله . فاذا انقطعت (الوصلة) أخذ مذيع الحفلة يثرثر بالفارغ وبعض الملآن فينقلنى من نشوة النغم المرفه الى صحوة السأم الممض ، حتى أقبلت هوادى الليل واستأنفت المطربة العظيمة الغناء فى وصلتها الاخيرة . وكان الشارع قد سكن والبيت قد نام والمذيع قد فتر ، فأحسست ان الصوت الساحر ينسكب فى مسمعى نقيا كرنين الفضة ، نديا كترجيع البلبل ، تقيا كتسبيح الملائكة ، فاعترتنى حال من الصوفية الشاعرة ، فيها الحب والشوق . وفيها الفناء والعبادة · حتى اذا انتهى الغناء الآسر ، وانفض السامر النشوان ، أويت الى مضجعى التمس النوم فامتنع علىَّ . ووجدت بى نزوعا الى اجتلاء الطبيعة فى مجتلاها الرحب· فصعدت الى سطح البيت المنعزل على الرغم من برودة الليل ، وأرسلت عينى تجولان حول البيوت المظلمة النائمة ، ومن ورائهما خيالى ينفذ

من وراء الجدر والستور الى انماط شتى من الناس تفاوتوا فى الحظوظ وتباينوا فى الاحوال ، فمن خلي ينام ملء جفنيه نوم الطفل لايعوده طيف ولا يزعجه حلم ، ومن شجي يسامره الهم ويساوره القلق فلم تكتحل عيناه بغمض ، ومن مريض يتململ على فراشه النابي ، فلا يسكن الا ليتقلب ، ولا يسكت الا ليئن ، ومن حبيب يخلو الى حبيبه خلوة النوال بعد الرغبة ، أو الوصال بعد القطيعة ، وثالثهما شيطان يحرض أو ملك يحرس ، ومن زوج يسكن الى زوجه سكون المودة والرحمة ، وتحت جناحيهما فراخهما الزغب ينعمون بالنوم السعيد فى العش الهادىء الدافىء ، ومن مجرم يطوى احناء صدره على السوء ، فهو يبيت بليل ما سيقترف غدا من العدوان والاثم ، ولا يجد من ضميره القلق حسابا على ما اقترف بالامس من المنكر والبغى ، ومن مؤمن قضى موهنا من الليل يتهجد بالصلاة ويتعبد بالذكر ، ثم غفا قليلا ليهب على نسيم السحر ودعاء المؤذن الى بيت الله القريب .

كل هؤلاء ضمنتهم هذه البيوت المتجاورة المتغايرة كما تضمن السرائر نوازع القلوب ونوازي الانفس فلا يعلمها الا الله الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء !

ثم نظرت فى النجوم وهى تسبح فى افلاكها بين متألق وخاب ، ودان وقاص ، وصاعد ومنحدر ، فتواردت على خاطرى مختلف الآراء التى استقرت فى أذهان الناس عنها فى القديم والحديث ، فقد اختلفوا فى النظر اليها كما اختلفوا فى النظر الى حقائق المعانى الثابتة كالحق والعدل ، كل يفهمها على حسب ما يستفيد منها أو يعلم عنها او يتأثر بها .. فالمؤمن يراها مصابيح للدجى ومعالم للهدى ورجوما للشياطين ... والشاعر يراها لآلىء قد رصعت أديم السماء ، أو أزاهر بيضاء قد طفت على وجه الماء ... والبدوى يراها صورا من الاحياء على هيئة الانسان والحيوان والطير ، تحب وتبغض، وتسالم وتحارب ، فهو يضع لها الأسماء ، ويسرح حولها الأحاديث ويؤلف عنها الاساطير ، ويقول فيها الشعر ... والمنجم يراها مطالع للسعد والنحس، ومفاتح للسر والغيب ... والعالم يراها اجراما هائلة تجرى فى الفضاء بتقدير العزيز العليم . فيها الجبال والأغوار والاخاديد ، وليس فيها الجمال ولا الحياة ولا التأثير ولا الأمل .

فهل آن للعلم الروسى او الامريكى أن يجوس بالانسان خلال هذه الكواكب فيرود المجهول ويعلم الغيب ويحتل السماء وتصبح العوالم الاخرى مدبرة بمشيئته مسخرة لأمره ؟

***

كنت مشغولا بفكرى وخيالى فى الكونين الأدنى والأعلى حين وقع فى مسمعى تسبيح المؤذن على مأذنة (قايتباى) فعدت من التفكر فى الملكوت الى التفكر فى المالك ، وانتقلت من التوجه الى المخلوق الى التوجه الى الخالق . وانبعث آنئذ من جانب البيت الملاصق صوت خاشع يقرأ سورة الاسراء بتجويد بين وترتيل حسن . وكان القارىء المتهجد قد بلغ فى قراءته قول الله تعالى : (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فاصغيت بسمعى وقلبى الى كلمات الله وهى تصعد اليه من فم هذا الرجل فى جلوة السحر وخلوة المكان وقد سجا الليل ورق الظلام وعمق النوم واختلط سنا (الزهرة) بتباشير الفجر فابيض الأفق الشرقى ابيضاض اللؤلؤ ، وتجاوب أذان المؤذن وترتيل المرتل تجاوب الوحى والدعوة ، فذكرت بالقرآن الله الذى أوحى ، وبالأذان الرسول الذى بلغ، واتحد الصوتان فى نفسى بصوت ايمانى القوى بالموحى والمبلغ، ففنى وجودى المادى فى وجودى الروحى . فلم أعد أشعر بالفلك ولا بالزمن ولا بالعالم . وانمحى من مسمعى ماكان يشغلها من الأصداء الملحة لشدو أم كلثوم وعزف الموسيقى ، وبقيا فارغين لسبحان السحر وقرآن الفجر يتقبلانهما بقوة ولذة واستيعاب فيسريان فى كيانى ووجدانى مسرى البرء فى السقم او الروح فى البدن ؟ أو الايمان فى القلب ، لا لحسن الصوت ولا لجمال الايقاع ، ولكن لشعور سماوى لا تدركه حاسة ولا تصفه لغة ، ولا يعرفه الا من وقف هذه الوقفة مستحضرا فى ذهنه جلال الله ، مستشعرا فى نفسه جمال الطبيعة .

انا لنسمع القرآن والاذان فى كل يوم وفى كل صلاة ؛ ولكننا حين نسمعهما لا نجد فى انفسنا تلك

أسبوع الكتاب وحيرة الشباب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

أقيم فى الثانى من هــذا الشهر اسبوع للكتاب العربى ، على نسق ذلك الاسبوع الذى أقيم بمدينة القاهرة، واختتمت أعماله فى التاسع من هذا الشهر- بعد أن نجحت هذه الاعمال نجاحا باهرا ·

أقيم فى هذا الاسبوع معرض للكتاب العربى ، ولجنة من ناشرى الاسكندرية لبحث مشكلات الكتاب فى النطاق المحلى ، وندوات ثقافية يلتقى فيها المؤلفون بالجمهور الذى قرأ لهم ومنحهم حبه وتقديره ·

ولقد كان المعرض مثالا رائعا للذوق الفنى الرفيع فأنى توجهت تجد التنظيم والتنسيق والجمال · ولقد اقبل النـــاس على المعروضات اقبالا عظيما حتى لقد أعلنت احدى عارضات قسم الكتاب المســـموع بأن ما حققته من فوائد فى هذا الاسبوع يوازى أضعاف ما حققته فى أسبوع القاهرة - ولقد فسرت هى ذلك تفسيرا ينجر الى صناعة الكتاب فى كل نوع من انواعه · لقد قالت ان الناشرين فى القاهرة لم يدركوا بعد قيمة انتقال المعروضات الى حيث المنتفع · لقد كانوا يقفون عند حدود العرض بمكتباتهم ، ويكتفون بجمهور القاهرة ·

ولقد كان جمهور القاهرة يقبل عليهم فى المكتبات، ولم يشارك المشـــاركة الفعالة فى اقتناء الكتب عن طريق المعرض الا أولئـــك الذين انتفعـــوا بنظام التقسيط ·

ان صناعة الكتاب تتطلب من القائمين على شئونه، وخاصة أولئـــك الذين يعتقدون أن صناعة الكتاب رسالة لا تجاره ، أن ينتقلوا الى حيث يكون القارىء فى أى ركن من أركان الارض ، والا ينتظروا من

الجلوة التى تنشأ عن الصفاء ، ولا ذلك الاستغراق الذى يصل مابينها وبين السماء ، ذلك لان مشاعرنا تكون فى النهار مشغولة بضجة العمل وزحمة العيش فلا تخلص لمواحى الروح فى العالم الآخر ·

اما الاستماع اليهما وقد هب المتقون من اغفاءة الفجر اللذيذة حين لا يكون المـرء الا روحا يمضى وفكرا يجول وخيالا يحلق ونفسا تصلى ، فتـلك هى ساعة التجلى ، ساعة يندمج فيها الشـاهد والمشهود ، وينفعل العابد بالمعبود ، ويشعر ابن آدم القليل الضئيل المرتفق على سور السطح من بيته انه شعاعة من نور الله اذا انقطعت عن مدده خمدت، وهباءة فى فضاء الكون اذا أفلتت من جذبه فقدت !

***

وقف القـارىء عنـد قول الله تعـالى اسمه :

« وبالحق انزلناه وبالحق نزل ، وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » حين قال المؤذن : حى على الصلاة ! حى على الفلاح ! الصلاة خير من النوم! الله أكبر ، الله أكبر ! لا اله الا الله ! .

ثم غابت غرفة القارىء ومنارة المؤذن فى السكون الشامل . واخذ الفجر ينسج من خيوطه البيض غلالة شفة على وجه المشرق . واخذ الصبح الجميل يتنفس رويدا بين فرعى النيـل الكبير والصغير من منيل الروضة . وبدأت القاهرة الراقدة تتثاءب وتتمطى استعدادا لليقظة ، فسمعت من قريب سيارة تقل تتحرك ، ومن بعيد قطار حلوان يصفر ، فهبطت من السطح لأقيم صلاتى وادرك قليـلا من النوم ، قبل ان ابدأ عمل اليوم !

احمد حسن الزيات

القارىء أن يقبل عليهم وينتقل اليهم من أقصى الارض . انهم ان فعلوا ذلك أفادوا واستفادوا ، وحققوا بعض الجوانب من ثورتنا الثقافية ، التى بدورها تفيد فى صناعة الكتاب وتكثر من عدد القارئين للكتاب .

لقد بشر معرض الاسكندرية بمستقبل حسن للكتاب العربى ، وانا لنرجو ان يتحقق هذا المستقبل فى طواف اسبوع الكتاب العربى بالاقاليم .

* * *

وكانت لجنة الناشرين هى الاخرى مثالا حسنا لادراك مشكلات الكتاب العربى ، فلم تلتفت التفاتا قويا لاقامة اتحاد الناشرين كما فعل الناشرون بالقاهرة وانما اتجهت رأسا الى مشكلات صناعة الكتاب . اتجهت الى مشكلات الطباعة وبينت كيف أن عدد المطابع لا يكفى ، وكيف أن الموجود منها ليس فى خير حالاته بسبب النقص فى قطع الغيار ، وكيف أن المواد اللازمة الاخرى من حبر وورق قد ارتفعت الى حدود لا تطاق . كما اتجهت الى مشكلات المؤلفين وبينت أنهم جميعا من الجامعيين وأنهم لهذا السبب يبالغون فى حقوق المؤلفين .

ولقد عن لى وأنا أستمع اليهم ان أشاركفى اقتراح بعض الحلول التىقد تمكن من ازدهار صناعة الكتاب بمدينة الاسكندرية .

* * *

ان مشكلة الطباعة ومشكلة خلق المؤلف الذى يجىء من خارج الجامعة يمكن حلهما بتبنى الدار القومية للحلول التى تقترحها .

ان الدار القومية وقد فتحت فرعا لها بمدينة الاسكندرية تستطيع أن تنشىء فى الوقت ذاته فرعا للطباعة ، تزوده بمطبعة حديثة تخفف الضغط على المطابع الاخرى ، وتقوم بطبع الكتب التى يتفق عليها مع الناشرين الآخرين ، ومع المؤلفين غير الجامعيين

ان على الدار القومية ان تفعل ذلك وفى ذلك مكسب عظيم للمثقفين وللناشرين .

أما الندوات ـ وهى التى تعنينا فى هذا المقال ـ فقد أدت دورا ثقافيا عظيما ، وقد كشفت عن حيرة وقلق يصيبان الشباب فى هذه الايام .

حضر هذه الندوات من القاهرة أربعة نفر هم الاستاذ يوسف السباعى، والدكتورة سهير القلماوى، والاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، والاستاذ يحيى حقى . وحضرها من الاسكندرية اثنان،هما الدكتوران محمد عبد المعز نصر ، وطه الحاجرى ، والاربعة الأولون من كتاب القصص ومن النقاد . والاثنان الاخران من تخصصات مختلفة . فاولهما وهو الدكتور محمد عبد المعز نصر أستاذ العلوم السياسية بكلية الآداب . وثانيهما أستاذ فى الادب العربى القديم وله مشاركة فى نشر التراث .

وقد دارت الاسئلة فى الندوات على أساس من التخصص لانها جميعها قد انبثقت مما أخرج المؤلفون من كتب أو مما وقع لهم من أحداث او اصابهم من مشكلات تتعلق بالحياة العامة أو بحياتهم الخاصة .

وقد كشفت الاسئلة ، كما سبق أن ذكرنا ، عما فى أنفس الشباب من حيرة وقلق . حيرة وقلق مصدرهما الوضع القلق الذى يجد الشباب فيه نفسه ، والمستقبل الغامض الذى يتطلع اليه . ونستطيع أن نرد القلق والحيرة الى ما يلى :

أولا : نردهما الى ذلك الجديد الذى لا يدرك الشباب كنهه ولا يعرف حقيقته . انه يلتقى به فى صفحات الجرائد والمجلات والكتب ويستمع اليه . من أفواه المحاضرين والمذيعين وأصحاب الندوات والخطب ثم لا يدرك له معنى . ومن ذلك مثلا : اللامعقول عند توفيق الحكيم ، واللامنتمى عند لويس عوض ، ومشاركة الجمهور للممثلينفى مسرح يوسف ادريس .

هذا الى جانب الالفاظ التى لم تتضح معانيها بعد الوضوح الكافى من أمثال البرجوازية ، البروليتاريا، البيروقراطية ، الوجودية ، السريالية ... الخ .

وقد كان الدكتور عبد المعز نصر أحد أبطال هذه

المعركة فقد دارت الاسئلة التى وجهت اليه حول هذه الالفاظ واخص منهـــا بالذكر الاشتراكية العربية ، الوحـــدة العربية ، البرجوازية ، البروليتـــاريا ، البيروقراطية • فلقد افاض الدكتور عبـد المعز فى الاجابة ، وارضى المستمعين ، وحقق الاهداف التى من اجلها كانت الندواتمن نشر الوعى الثقافى بأوضاعنا الراهنة ومستقبلنا الذى نرجو أن يكون باهرا •

* * *

وثانيا : نردهمـــا الى عدم ادراك الشباب لهذه الصلة التى يمكن أن تقوم بين حضارتنـــا الجديدة وتراثنا القديم • فلقد شعر الشباب بان هناك فرقا او اختلافا بين الاسس الفكرية التى تقوم عليها هذه الحضارات فى العصور المختلفة •

لقد كانت ثقـــافة القرون الوسطى ، المطبـــوعة بالمسيحية او بالاسلام ، تدفع البشر الى التطلع الى العـالم الآخر ـ عــالم الخير والسعادة والكمال ، وتزهدهم فى هذا العالم الارضى ـ عالم الشر والشقاء والزوال • فجاءت الثقـــافة الحديثة لتوجههم نحو الارض ، وتدفعهم الى اكتشاف مجاهلها والوقوف على اسرارها ، وتقوى ايمانهم بالانسان وبقدرته على أن يضمن لنفسه ـ باكتشافه لقوى الطبيعة وسيطرته عليها ـ الغنى والسعادة والتقدم المستمر •

ولقد كان سلاح ابناء القرون الوسطى الايمان ـ الايمان بالكلام المنزل والتعاليم الموحى بها• أما العقل فمداه محدود لا يتعداه ، وأهم وظيفة له هى الدفاع عن صحة الوحى وصدق الكلام المنزل • فلما كانت النهضة انفلت العقل من قيوده ، واكتسب ايمـــانا مطلقا بذاته ، وغدا أقوى سلاح يجـابه به الانسان قوى الطبيعة وحوادث الدهر دون تهيب أو تردد • وبكلمة اخرى انقلب الايمـــان البشرى بوجه عام من ايمان بالله وبالعالم السماوى ، الى ايمان بالطبيعة ، وبالانسان القادر بعقله على التسلط عليها واستغلالها لخيره وسعادته •

هذا الايمان الجديد بالانسان ، القائم على تحرر العقل والنفس ، هو الباعث الأول للحضارة الحديثة ، والدافع الرئيسى لما فيهـــا من خير أو شر ـ لمآثرها الجبارة وروائعها الخالدة ، ولمـا يعتريها فى الوقت الحاضر من ضعف واضطراب • وبالتالى للاضطراب والضعف ، وللحيرة والقلق ، ولكل ما ينتاب الشباب فى هذه الايام •

***

وثالثا : نردهما الى الخوف من المستقبل • ذلك الخوف الذى يدفعهم الى التســـاؤل عن كل ما حقق اهـــداف هؤلاء الرجال الذين يســـتمعون اليهم • فيسالون عن خير ماقرأ هؤلاء من كتب ، وعما صادفهم فى حياتهم من مشكلات ، وعن أول انتاج لهم ، وعن ••• وعن ••• الخ •

ولقد كان البطل الذى استولى على أفئدة السامعين فى هذه الندوات هو الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، فلقد وجد كل منهم فيه صدى لنفسه ، وخاصة عند حديثه عن المشكلات التى صادفته أول الطريق ، وعن فرحته بالنصر الاول وكيف كان فرحا مشوبا بالحزن لانه الفرح الذى لم تشاركه فيه أحب مخلوقة اليـــه وهى امه ، التى كانت بنت الريف ، والتى لم تكن تعرف الألف من المئذنة ، والتى فارقت الحياة قبل بلوغه الدرجة الاولى من درجات المجد فى سلم الحياة •

لقد كان محمد عبد الحليم عبد الله ذلك القصاص الماهر الذى يبشر بالخير ، ويدعو الى التفاؤل ، ويحيى الامل فى كل سامع له من الشباب ـ الامل بالمستقبل البـــاهر • ومن هنا اســـتولى عليهم فاحسنوا له الاستماع •

* * *

ان هذه الندوات خير وسيلة نقيس بهـــا امل الشباب فى الحياة وتطلعهم الى المستقبل • وانها خير مقياس نسبر بها ابعادنا الثقافية ونخطط بمقتضاها مستقبل الآداب والفنون والعلوم فى عالمنا العربى •

ان الثقافة التى نحتاجها فى هذه الايام هى الثقافة التى تحترم العقل وتخضع له وتؤمن به • هى التى تسير على هديه فى اكتشاف الحقيقة والتعلق بها دون سواها وقبول أحكامها مهما تكن قاسية •

ان هذه هى الســـبل الوحيدة للتقدم الحقيقى • وعليها يجب أن نتمشى فى تخطيطنا لمستقبلنا الثقافى اذا اردنا ثقافة حية خلاقة لمجتمع حى خلاق •

ان الانتاج الحضارى هو ابدا من عمل الافراد . من عمـل أولئـك الذين يؤهلهم للابداع استعداد فطرى ، وجهاد عقل وروحى .

ان وراء كل حضارة قلة مبدعة من الناس . قلة تتميز عن الكثرة لا بالمال ، او الجاه ، او القـوة المـادية ، او الزعامة الشعبية ـ بل بالاستحقاق الذاتى : طبيعة وكسبا . قلة تحقق القيم وتعممها فى المجتمع . قلة تعمل لا لذاتهـا بل للغير . قلة لا تتعالى ولا تتجبر ، بل تحب وتخلص وتعطى . قلة متآلفة متعارفة منها تنطلق قوى التقدم ، ومجـارى الانبعاث ، ومصادر الخلق والابداع .

ان على المجتمـع ان يكتشف هؤلاء ، ويرعاهم ، ويفسح لهم المجال .

دكتور
محمد أحمد خلف الله



المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

– ٥ –

جدل جديد حول قضايا الكون والالوهية ـ مدخل الى تفسير النبأ العظيم ـ سقط تاليه الطبيعة ـ من يلقى بأسرار الطبيعة الى العقل ؟ ـ العقل الانسانى تفسير للعقل الأكبر ـ القرآن منطق الخالق والمخلوق ـ ما وراء الصعود الى ذرى المادة والهبوط لاعماقها فى وقت واحد ؟! ـ القرآن وما ربط !

يجدر بالعقل الانسانى فى هذا العصر ، عصر الانطلاقات المادية الكبرى من اسار العجز والقصور القديم بعد ان وصلت بهالانسان الى مفاتيح القوى والطاقات الجبارة الكامنة فى وحدة البناء والتركيب المادى للكون ـ الذرة ـ وبعد ان استخدم تلك القوى والطاقات فى تحقيق تطلعه الدائم الى الانطلاق من الارض والصعود الى السماء والرحلة بالجسم الى الكواكب يسبر اغوارها ويكشف أسرارها كما سبر وكشف اغوار الأرض .. اقول : يجدر به ان يغير من نظرته القديمة الى الكون المادى والعلاقة بينه وبين الله الخالق وان ينظر لذلك من خلال نظرته الجديدة الى نفسه وعلاقته هو بهذا الكون المادى ، وأن يغير من منطقه فى الجدال ، عن قضايا الكون والالوهة والحياة ، بعد ان اتضح للعقل أن علاقته بالكون هى علاقة التفسير والتأويل لشئون الكائن الاكبر وصفاته ، وذلك بناء على دلالات منطق هذه القدرة الجديدة التى وجدها فى نفسه ووجد الكون المادى يستجيب لها ويطاوعها .

ويجب ان يكون واضحا للعقل ان عمله الجديد فى التكوين والتحطيم وفى التحرك الى كل اتجاه وفى الحرية والاختيار والارادة التى يرى انه يتمتع بها وحده دون غيره من المخلوقات ، هو المدخل الى منطق جديد عصرى لتفسير النبأ العظيم لهذا الكون العظيم .

فكل شأن من الشئون التى البتها للخالق المنطق التجريدى القديم والفلسفة النظرية والحكم العقلى وعلوم الكلام والجدل عن مقولات الدين فى الالوهة وعلاقة الكون بها ، قد وجد الآن تفسيره فى عمل الانسان بعد أن اتسع علمه وقدرته وزال عنه عجزه وقصوره عن ادراك أسرار التكوين المادى واستخدام القوى والطاقات .

فالقضية الاولى فى الدين والفلسفة ، وهى قضية وجود الخالق وحياته ، قد ثبت بالدليل المادى لدى العقل انها ضرورة حتميةللنظم والقوانين الكثيرة المعقدة المتوازنة التى تحكم البناء المادى للكون ، والتى لايصح بالبداهة ان تكون قد اوجدت نفسها واوجدت التوافق والتناسق وعدم التضارب فيما بينها ، حتى نتج عنها هذا الكون المادى الهائل العجيب ، لانها كما ثبت لنا بالمشاهدة الحسية فى الاوج والحضيض مسيرة فاقدة للحرية والادراك والاختيار عاجزة خاضعة ، قد خضعت لنا نحن العاجزين بذواتنا القادرين عليها بالعلم . وخضوعها لنا ولو جزئيا يثبت انها مالوهة مخلوقة ، فلا يجوز ان تكون لها صفات الدوام والكمال المطلق التى لايستريح العقل ويقتنع الا اذا وجدها فى تصوره لصفات الخالق والا اذا شعر انها نطاق وسياج وحد فاصل بين الخالق والمخلوق ، بين من هو وراء الطبيعة بكمالاته المطلقةالتى لايرضىالعقل بان تتناهى وبين الطبيعة بعجزها ونقصها وقيودها وخضوعها لعوامل الزوال ، ولقدرة الانسان المخلوق بعد ان صار يغزوها ويخضعها ويسخرها ويركبها طبقا عن طبق .. فكيف يتخذها الها يتعبد له ويخشاه ويدعوه مع انه لايجد فيه ذلك الكمال المطلق والعلم والحرية والارادة ؟!

اذن فقد سقطت فكرة تاليه الطبيعة ، حتى ولو ان الانسان لايزال ضعيفا ضئيلا بين احجامها وثوراتها ، بعد ان سقطت اقنعة الرهبة التى كانت على وجوهها فى عصور جهل الانسان وعجزه .. أسقطها علم العقل بالأسرار الكامنة فى تكوينها وحظر

خرافة تأليهها كلها او بعضها امام عابديها وراهبيها من بقايا الوثنيين ، ولم يعد الناس في جملتهم يجدون في انفسهم رهبة العبادة لأي شيء مادي في الارض او في السماء ، فلا الشمس ولا القمر ولا ملايين النجوم والكواكب ، بما تزخر به افلاكها من قوى صاعقة وبما يمور به عبابها من امواج وطاقات وانفجارات .. لاشيء من كل اولئك صار يستطيع ان يحرك في العقل البشري قدر شعرة من رهبة العبادة والاعتقاد في هذه القوى والكائنات .

فمن الذي القى باسرار الطبيعة الى العقل الانساني وحده ؟ ومن الذي مكن له وحده أن يبلغ هذا المبلغ العظيم من تسخير قواها واستخدامها ؟ ولماذا يبلغ وحده هذا المقام المرموق ؟

لماذا كان وحده هو محل الدفع الى قمة التطور الحيوي ، والمظهر الوحيد للحركة الحية الحرة الارادية النامية دون سائر ما في الطبيعة ؟ أليس هنا قصد الى غاية كونية وراء هذا التفرد ؟! . وما دلالة هذا القصد الثابت الى دفع الانسان الى الامام دائما ؟ الا تكون دلالة هذا القصد الثابت من اختيار الانسان وحده لهذه المهمة هي ان عمل الانسان في الطبيعة — كما سبقت الاشارة — ماهو الا تفسير وتقريب مادي يتحدد لصفات الكائن الخالق الأكمل ولمعاني قصده وغايته في الطبيعة ؟. أليس الانسان بهذا مرآة عاكسة مقربة مجهرة لصفات الكائن الأكمل الذي يحكم العقل ويبرهن بوجوده ويكاد أن يصيبه الجنون اذا اتبع منطق الانكار والجحود والالحاد والجدال في وجوده وفي قصده الثابت الحكيم الواضح وراء كل شيء ووراء ثبات السنن والنظم والقوانين الطبيعية ؟!

اجل لاوجود للعقل الانساني ولا تفسير للكون وللنبأ العظيم الذي يثبت فيه اذا اخلينا البناء المادي للكون من العقل الاكبر الذي يدبره ويحكمه ويجعل سننه بهذا الثبات والاحكام والدوام ! ولكن العقل الانساني موجود يحكم الشئون العليا من حياة الانسان ، وقد صار يدرك علوم الطبيعة واسرارها وقوانينها ويستخدمها ويسخر كثيرا من قواها وطاقاتها ويتصف بالعلم والحكمة والبصر والسمع والارادة والقدرة والبيان ، وهو الضئيل الضعيف العاجز بذاته كما يقول القرآن : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ! انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) (الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان ان لاتطغوا في الميزان . واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، والارض وضعها للأنام) .

ولا يستطيع اي منكر ان ينكر وجود عقله الذي يجادل به ويرتب على الاقل منطقه الذي ينكر به وجود الخالق ، فكيف ينكر وجود العقل الاكبر الذي رتب هذا الكون ووضع سننه وقوانينه واصر على ثباتها لتنتج النتائج المادية الثابتة الحكيمة المتناسقة غير المتعارضة التي نراها في السماء وفي الارض ؟!

اذن فقد ثبت أن العقل الانساني ، باختياره او برغمه ماهو الا تفسير للعقل الاكبر الذي اراد الكون وخلقه وحكمه ودبره وقام عليه بالقسط .. ماهو الا تفسير مادي قريب واضح الدلالة عن وجود الخالق ، مقرب وموضح لصفاته التي يتحدث عنها الكون المادي والقرآن .

(فورب السماء والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون) فوجود الله وحياته وارادته وعلمه وقدرته يفسرها ويثبتها وجود العقل الانساني وحياته وعلمه وقدرته ومنطقه .

وتتضح قيمة القرآن في اثبات ان منطق العقل الاكبر الذي يحكم الكون هو منطق الكون كله ومنطق العقل الانساني ، وفي اثبات أن موازين الحق والباطل والخير والشر في الضمير البشري هي نفسها لدى الخالق ولدى الكون كله .. ولا يخفى

مافى ذلك من دلالة على التناسق ووحدة الاتجاه والمقاييس فى الكون كله . وما فيه من هدى الى أن يجد العقل الانسانى نفسه ويحترم وجوده ويقيم حياته وموازينه على الحق والخير الذى يقيم جنبات الكون .. وفى هذا مالابد منه من طمأنينة النفس وشعورها بالسعادة الغامرة حين تجد نفسها وقد صارت وحدة من وحدات الميزان الاكبر الذى يوازن جنبات الكون ، ومحورا من محاور الحق ، ومرآة لاشعة نور الله الساطع بالرحمة والعلم والحب والسلام والكمال !

وكل هذا يحمل العقل على الاخلاص لنفسه والاحترام لقوانينه ـ التأمل والتعليل والتمييز والحكم ـ ولقوانين الكون ، بعد أن صار يلقى اليه بما فيه من اسرار التكوين والتسخير والتصريف ، مما يدل على أن العقل الاكبر الذى يحكم الكون آذن بالقاء هذه الاسرار الى العقل الانسانى ، راض بما صار يفعله من استخدام تلك الاسرار فى التسخير والتكوين والمحاكاة والانطلاق الى الفضاء الكونى .

فهذا الانطلاق من اسار الارض ، والصعود الى الأوج والدوران في افلاك السماء ، وهذا الهبوط الى اعماق الحضيض فى فلك الذرة فى وقت واحد ، يشير الى أن وراء القاء هذه الاسرار الينا قصدا وتوقيتا وهدفا هو فيما يبدو تفسير النبأ العظيم لهذا الكون العظيم عن طريق عقل الانسان وعمله بعد تفسيره عن طريق القرآن .

وقد تفرد القرآن بأنه حديث مباشر الى الانسان من الله الخالق عن ذاته العليا وصفاته وغاياته وملائه الاعلى ، وعن الكون المادى ومافيه من أسرار ومشاهد وعن النفس البشرية ووضعها فى الكون وصلتها بما وراءه وعملها فيه ومصيرها معه .

وقد قام الدليل التاريخي والدليل العقلى والدليل العلمى على أن القرآن حديث عظيم صحيح معجز متفرد الى العقل الانسانى عن الطبيعة وخالقها وعن مصيرها ومصير الانسان معها .. وقد كان نزول الوحى بالقرآن على قلب رجل من البشر أمرا لازما لابد منه للربط بين الطبيعة وماوراءها ، لكى يحصل العقل الانسانى فى عهد رشده على اليقين بالمشاهدة الحسية لما وراء الطبيعة وعلى معاناة هذه التجربة بكل قوى الوعى والادراك والوجدان ، بعد حصوله على الحكم العقلى التجريدى بوجود ذلك العالم الاعلى .

ولننظر فى مفتتح سورة (النجم) الى مثل من ذلك الربط بين المشاهد الكونية المادية واليقين الحسى بها فى رؤية (النجم اذا هوى) بالعين الباصرة وبين الرؤية الحسية بها كذلك لمصدر الوحى بالقرآن وللملأ الاعلى فى قول القرآن (ماكذب الفؤاد مارأى ... ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

اذن هو كون واحد ، لخالق واحد ، بمنطق واحد، وميزان واحد ، ورقابة واحدة كما يقول القرآن فى بيان مدى سلطان الله وعلمه بالانسان وشئونه والكون وشئونه : (وماتكون فى شان وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم) .

ولهذا الوضع المتفرد للقرآن اثره البالغ في الربط الدائم بين العقل الانسانى وبين كتاب الله الصامت وهو الكون المادى وماوراءه ، اذ أن القرآن قد اثبت حقائق الكون المادى واقام عليها حقائق ماوراءه من وجود الخالق وصفاته وكمالاته ، ومن ترتيب المسئولية والجزاء للنفس الانسانية ازاء الحق والباطل والخير والشر حسب المقاييس الثابتة والموازين التى قام بها بناء الكون وتكوين العقل والضمير ، ومن استمرار الحياة وتفتحها وتجددها وخلودها فى دار الجزاء مع تجدد الكون ودوام الخالق .

عبد المنعم خلاف

المرأة في شعر الزهاوي

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

انمــا المراة والمرء ســواء فى الجدارة
علموا المراة فالمــراة عنوان الحضــارة

هكذا كانت المراة فى شعر الزهاوى وفى رأيه وفى ضميره . بل لولاها لمــا قامت حضارة :

لولا النساء لما بان للحضارة شــكل
على الشعوب بمرقى نسائها يستدل

واتخذت المسالة عند الزهاوى شكل القضيــة او الدعوة أو الرسالة متمثلا فى عصدا (قاسم امين) متأثرا به معددا مثله مضار الحجاب عازيا تأخر المجتمع الاسلامى الى تخلف المراة نصفه المعطل . وقد كتب الزهاوى فى الدفاع عن المراة مقــالا ســنة ١٩١٠ اقصى على اثره من وظيفتــه فى مدرسة الحقــوق وتوالى بعده الهجوم عليه .

لقد احب الزهاوى فى اول شبابه جارية شركيــة عرضت للبيــع وخجل ان يخبر والده بحبــه لها وكانت هى لا تعرف عن حبه شيئا .. فهل لهــذا دخل فى دفاعه عن المراة . ؟

وزوجه أهله وهو فى الخامسة والعشرين من فتاة جميلة فاضلة أسعدت أيامه ونورت لياليه وان كان بعده عن العراق وتشريده فى الاستانة قد لفه بليل من القلق والوحشة تسللت فيهما الى قلبه اخريات منهن اسبانية اعترف الزهاوى انهما تساقيا الحب وتناجيا فى ظله . وكان لهذا الحب اثر كبير فى شعره . وقبل ان نقف عند هذه الجملة وقفة قد تقطع حبل الحديث . نقول ان الشاعر عرف المراة جليبة وحبيبة وزوجة . وفى كل الحالات اسعده حبها وصحبتها فلم لا يتعصب لكرامتها ان تمتهن بالرق او بما هو شر منه مما يدخل فى بابه من تسلط زوج غشوم او مجتمع متأخر ؟

وذهب آخرون مذاهب شتى فى تعليل انتصاره للمراة فعزاه الاستاذ طه الراوى الى (شدة ولوعه بالحريات فناضل كثيرا عن حرية المراة الشرقية) وهو راى يحمل اسباب قبوله فالحريات كل لا تتجزأ ... ويقول الدكتور يوسف عز الدين

« ولما لم يتحقق للزهاوى حلمه رفع راية التمرد فدعا الى تحرير المراة ودعا الى الفلسفة والى الاخذ بنظرية دارون وحشر نفسه فى امور كثيرة كالجاذبية والطب القلاب .

« والواقع ان دعوته الى الفلسفة وتحرير المراة وما طالب به لم يكن الا اندحارا نفسيا للتأكيد على الذات » .

هل يعنى هذا ان دعوة الشاعر الى تحرير المراة مجرد خروج على مألوف الجماعة مظهرا للتمرد فحسب ولكن لماذا اختار هذا الميدان للثورة ان لم يكن مقتنعا ؟ على ان الزهاوى كما يقول الاستاذ هلال ناجى قد دعا الى الفلسفة وناصر المراة فى وقت كان فيه مرموقا يشغل الوظائف الكبرى ويرفل فى نعمة سابغة .

حتى الغزل يكاد النقد يجمع على ضعف الغزل عند الزهاوى . ويعلل الدكتور اسماعيل ادهم جمود الغزل عند الزهاوى بقوله :

« ان الزهاوى رجل تغلب عليه نزعة التفكير والتأمل ومثله اذا نظم فى الحب او تغزل كان شعره جافا ليس فيه اصالة الشعور بالحب ثم اورد شاهدا على ذلك قصيدته التى مطلعها :

اول الحب فى القلوب شرارة
تختفى تارة وتظهر تارة

ثم جاء بعده الاستاذ هلال ناجى وعقب على هذا الراى الناقد قائلا :

« ان الزهاوى قد عرف الحب فى حياته مرتين وكتب قصائد عاطفية جميلة وفى ديوانه الثمالة تجده يرثى محبوبة له فى عدة قصائد تفيض بعاطفة حانية وشعور انسان صادق وتنم عن قلب كواه الحب طويلا قال :

ما ان ذكرتك فى سرى وفى علنى
الا توثب قلبى تحت اضلاعى
احس فى حين طرق لا يراك الى
جنبى بوخز كجمر النار لذاع

اما انا فاحس قلقا في التعبير .

والحقيقة ان غزل الزهاوي بعامة وفي المثالين بخاصة ليس خير شعر الغزل وما هو باحسن شعر الزهاوي نفسه حتى رباعيات الزهاوي نجد المراة فيها ممثلة في (ليلى) تمثيلا خادعا . واذا كان الاعتراف سيد الادلة فالزهاوي نفسه يقول :

وقد كان ما لحقني من الاذى وحرماني من الوظائف من الدواعي لنظم هذه الرباعيات وانك لتسمع فيها شكاتي صارخة وتقرأ دموعي مكتوبة وترى بؤسي وشقائي متمثلين . وما (ليلى) التي اغنى باسمها في كثير من رباعياتي **سوى وطني العزيز** الذي احببته فوق كل حب وحاربت من اجله الاستبداد طول تلك السنين .

وسواء لدينا اكانت ليلى هي (وطن الشاعر) ام الحقيقة كما يقول أحد نقاده أو حتى فتاته الاسبانية فان الغزل لا يعنينا معشر النساء ما دام لا يقرر حقا ولا يدفع باطلا.... لقد شبعنا غزلا يتغنى بنجل العيون ولمى الشفاه وبرد الرضاب وليل الشعور وضمور الخصور ، وشموخ الصدور ولا انكر انه يطربنا ولكنه بعد التطريب والتحبيب لا يكسبنا حقا ولا يرتفع بنا عن الدمى الى مقام الرجل الشرقي بما وقر له في نفوس قومنا من احترام وماله من هيل وهيلمان .

لقد لاحظت حين درست ديوان الشاعر بشارة الخوري وهو من شعراء الغزل انه طاف بجسم المراة كثيرا ولم يتمل روحها . مثل هذا الشعر مهما تالقت الفاظه وشجت موسيقاه آثر منه عندي؛ نثر الزهاوي البسيط الخالي من حلى الاسلوب لانه ينافح عن المراة ويؤكد حقها في العلم ويطالب بمساواتها بالرجل ويرتفع بها زوجة ان تجرح كرامتها **بالتعدد** ، ويهدد امنها **بالطلاق** .

انه ينادي بحريتها ويندد بزيف الحجاب ونقص نصيبها من الميراث والتهوين من شهادتها اذا اعوز الدليل . وما أشد سخريته المريرة حين يختم دفاعه عنها بقوله (وليست المراة المسلمة مهضومة في الدنيا فقط بل هي مهضومة كذلك في الاخرى لان الرجل المصلي يعطى من الحور العين من سبعين الى سبعين الفا واما المراة المصلية فلا تعطى الا زوجها وربما اشتهته في الجنة التي وصفوها قائلين « فيها ما تشتهيه الانفس » على حين يشتهي هو غيرها من الحور العين اللائي أعطيه .) هكذا يقول الزهاوي .

ان المراة عند الزهاوي انسان له مشاعر واحاسيس انسان له عقل يدرك وعاطفة ترضى وكرامة تصان .. انسان له حقوق واعتبارات .. انسان له قيم .. ان اعذب الموسيقى في سمعي ليس غزل الغزليين على جماله او حتى صدقه ولكن قول الزهاوي في حرارة المؤمن وعدالة النزيه (ما بال الرجل الذي لا يتم الا بالمراة يهين ما به تمامه وبالتالي يهين نفسه ويهتضم حقوقه .

وليست المراة المسلمة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة فهي مهضومة لان عقدة الطلاق بيد الرجل يحلها وحده ولا ادري لماذا يجب رضاء المراة في الاقتران ولا يجب رضاها في الفراق الذي تعود تبعته عليها وحدها ؟ وهي مهضومة لانها لاترث من أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل وهي مهضومة لانها تعد نصف انسان وشهادتها نصف شهادة . وهي مهضومة لان الرجل يتزوج عليها بثلاث اخر وهي لا تتزوج الا به وحده . وهي مهضومة لانها وهي في الحياة مقبورة في حجاب كثيف يمنعها من شم الهواء ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها والائتناس بهم والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى ..) .

لقد كافح الزهاوي في اكثر من ميدان ولكن انتصاره للمراة ودفاعه عنها برغم مغالاته يأتي في مقدمة اعماله بل ان بعض الدارسين يعد الدعوة الى تحرير المراة اسمى ما ابدعه الزهاوي في الميدان الاجتماعي **واجود ما نظم .**)

وفي الزهاوي للمراة جنسا ووفى لها شخصا حين تقبل الحرمان من الذرية مؤثرا هذا الالم الكبير على البناء بزوجة أخرى – مع الاعذار لو فعل – اعزازا لانسانية زوجه وصونا لكرامتها ورعاية لشعورها .

سخر الزهاوي من التعدد بقوله :

جعل الله نساء القوم (م) للقوم متاعا
فانكحوا منهن مثنى وثلاثا ورباعا

وتزيد مرارته فى هذه الابيات :

يأبى الزواج بأربع
ويخال ما يأتيه رشدا
ويرى هناك طلاق سلمى
واجبا ليحوز سعدى
انى لاعجب كيف يلقى الهـ
ـش ذو الازواج رغدا
بل كيف يجمع واحد
فى منزل ضدا وضدا

ولا يناقض هذا دفاعه عن التعدد فى الاسلام اذ السخرية عنا منصرفة الى المتمسحين بالاسلام فى هذا الامر - على اطلاقه - من المسلمين . لقد دافع الزهاوى عن الاسلام ضد من يعزو من اهل الغرب تاخر المسلمين الى حال المراة عندنا ، دفاعا يشمل الدفاع عن المراة نفسها :

لقد ظن اهل الغرب او بعض اهله
وبعض ظنون الناس فى الناس مأثم
بان بقاء المسلمين جميعهم
على الجهل اعصارا من الدين ينجم
وعدوا من الاسباب وهى كثيرة
لديهم حجاب المسلمات واعظموا
وليس من الدين الحجاب لو اننا
رجعنا الى احكامه نتفهم
ومنا الطلاق استقبحوه لانه
يحل الرباط العائلى ويخرم
نعم قبحه ان لم يكن لاقتحامه
بواعث تقضى بالفراق مسلم
واما اذا ما كان ثم تنافر
فايقاعه بالطبع اولى واسلم

ولكن هذا الدفاع عن الاسلام دون المسلمين الذين اساءوا اليه باستغلال نصوصه فى غير ما شرعت فعند الزهاوى ان (الحجاب وتعدد الزوجات واباحة الطلاق لمن الدواعى ان يكون المسلمون دون اصناف البشر .

ان اعتقاد المسلمين من التعاسة بالقدر
والقول بالآجال فهى اذا اتت بطل الحذر
وحجابهم فتياتهم عند الخروج من النظر
والجمع بين الدين والدنيا كما جاء الخبر
وتعدد الازواج من غى الهوى لمن اقتدر
وطلاقهن لغير ذنب كان قبلا قد صدر
لمن الدواعى ان يكونوا دون اصناف البشر

***

كما ازرى الزهاوى بالاعتداء على الزوجات :

يسبها لا لذنب ثم يركلها
بالرجل منه مهينا وهى تحتمل
وبعد ذلك يعدو كالنعام الى
اصحابه وهو مما جاءه جذل
يروى لهم كيف ابكاها وآلمها
كانه فى ميادين الوغى بطل

وما بى حاجة الى وصف مثل هذا الفاعل بعد ان وصفه الزهاوى فى البيت الثانى .

كما ندد الزهاوى بتقاليد مجتمعه فى الزواج من تزويج الشباب بالشيخوخة الفانية دون مبالاة بما بين الشروق والغروب من بعد حتى فى الطبيعة وحشر الخاطبة وسوء معاملة الزوجة الى غير هذا من مساوىء المجتمعات المتخلفة .

ومما نظم فيه الزهاوى الكثير ، **الدعوة الى تعليم المراة .**

اما الحجاب فقد اشرت الى ان الزهاوى عدد مضاره :

- فالمراة المحجوبة اذا مشت الى محل الريبة فلا تخشى ان يعرفها احد فى الطريق .
- الحجاب منع والانسان ولوع بالممنوع .
- الحجاب سبب لاعتزال النساء وما ينجم عنه من انحرافات فى الوسطين .
- الحجاب يسىء ظن الغربيين بنا وهو عندهم دليل عدم ثقة المسلمين بعفة نسائهم .
- الحجاب مخالف للطبيعة واضعاف للبصر .
- الحجاب سبب فى الاكثر لتنافر الزوجين فلا يعيشان فى وئام لانهما لم يقترنا بانتخاب الواحد للآخر .
- الحجاب مضيعة للحقوق فان كثيرا من الطامعين سجلوا انهم اشتروا عقارا من امراة وشهد بذلك الشهود ، ثم تبين اخيرا ان البائعة ليست هى المالكة للعقار المبيع .
- الحجاب سبب لعدم الاختلاط وعدم الاختلاط سبب للجهل وهل يرجى لامة النهوض نصفاهلها جاهل ؟ :

اســـفرى فالحجاب يا ابنة فهر
هـــو داء فى الاجتمـــاع وخيم
كل شيء الى التجـــــدد ماض
فلمـــاذا يقـــر هـــذا القـديم
الزعيــه ومزقيــه فقـــد انكر
ه العصر ناهضـــا والحـــلوم
وأرجمى كل من يلومك فيه
ان شـــيطان اللائمـين رجيم
لم يقل بالحجاب فى شكله هــذا
نبى ولا ارتضـــــاه حـــــكيم
هو فى الشرع والطبيعة والأذوا
ق والعقـــل والضـــمير ذميم
السـفور الســـفور فالهلك للشـ
ـب اخـــيرا بدونه محتـــوم
لا يقى عفة الفتـــاة حجـــاب
بل يقيهـــا تثقيفها والعلوم

وهكذا نرى الزهاوى من اشد المؤمنين بقاســـم امين والداعين لآرائه ومع ريادة قاسم وتاثر الزهاوى به ، فقد كان قاسم بهدوء القـاضى واتزان المشرع يقدر لدعوته مراحل تمـــر بها فنـادى فى كتـــابه (تحرير المراة) بالســـفور على مقتضى الشرع اى سفور الوجه واليدين وان كانت آماله تمتـــد الى ســـفور الراى وســـفور العقـــل وسفور الحـــرية والاختيار كما بلوره كتابه (المراة الجديدة) .

أما الزهاوى فقد عنف ، فى انفعـــال الشاعر ، فى دعوته فصرخ فى المراة ان حطى عنك الحجاب .. مزقيـــه .. طئيه .. داعيتـــه ارجميه ... ومن عجب انه فى عنفوانه وتطرفه فى مثل ذلك الوقت لم يصمد أمام الثائرين عليه صمودا شامخا بل حاول التنصل والمداراة، حين كانت المعارضـة تزيد قاسـما صلابة واصرارا شان الدعاة الراسـخى الايمان بما يدعون اليه .

وتمزيق الحجاب دعا اليه قاسم ايضا ولكن فى كتابه (المراة الجديدة) الذى يمثل مرحلة نضـــوج الدعوة . فبعد ان كان ينظر الى المراة الاوربيـــة ، اذا به ينظر الى المراة الامريكية وهى قد ظفـــرت بحرية أكبر من زميلتها الاوربية ، وبعـــد ان كان يطلب للمراة تعليما محدودا اصبح يطلب لها ثقافة أوسع فى كل مراحل التعليم ، وبعد ان كان يطلب من الرجل الســـماح لنســـائه بالحجاب الشرعى اذا به يطلب من المراة نفسها تمزيق الحجاب بيديهـــا ومحو آثاره . وبعد ان كان يتحفظ فى حديثه عن عمل المراة عند الضرورة ، يحاول ان يلفت نظـــر النســـاء والرجال معا ، الى الوظائف التى يمـــكن اذا ما تعلمتها المـــراة ان تحســـنها اذا ما طرقتها كالتدريس والطب والتجارة والحرف الأدبية) .

وفى الحق ان دعوة قاسم كانت تستمد حرارتها واستمرارها من تجربته فى فرنســـا ومشـــاركة المراة الاوربية المثقفة له فى الحديث والراى ثم مقـــارنته المســـتمرة بينها وبين نســـاء بلده المتخلفات فى وقته البعيـــدات عن المثل الأعلى الذى يتمثله ويتمناه..

ثورة قاسم لها جذور عميقة أصلتها دراســـته فى فرنســـا وعيشـــه بها ومقارنته المســـتمرة بين ماينعم به القوم من حقوق وحرية وعدالة ومســـاواة وفنون اشاعت حب الجمـــال والنظام وبين ما يخيم على السواد فى مصر فى وقته من ظلام وظلم وتخلف فى كل شيء . ولهذا اكثر قاسم امين من ترديد الفاظ الحرية والكمال . كما تاثر فى أوربا تاثرا مبـــاشرا بالحركة النســـائية فى فرنســـا وانجلترا حتى امريكا كانت فى ذلك الوقت تفكر فى منح المراة الحقـــوق السياسية عاش قاسم التجربة فى موطنهـــا الاول ثم عاد الى مصر ليعيشها مرة أخرى فى وطنـــه . يرفد هذا كله عمق ثقافته الغربية وكلها حظـــوظ لم يظفر بها الزهاوى .

وفضل قاسم امين بعد هـــذا انه رائد نضجت الدعوة فى رأســـه ، ونبعت من نفســـه ، وخرجت من مصر فاحدثت دويا فى العراق والشـــام ...

والزهاوى قاسم امين العراق ..

وبعد : فقد اشبع الزهاوى نقـــدا صادقا حينا وجائرا احيانا .. اتهمـــوه بالتنـــاقض فى الراى ، والتساهل فى المبـــدأ ، والترخص فى الاســـلوب ، والتقليد للشـــعراء فى الفن ، والعلماء فى موضـــوعات العلم ونظرياته وأحكامه بل اتهم بالزندقة والمروق ... ولعله كان يهفو ، انســـانا ، الى كلمة ثنـــاء فليسمعها من المـــراة تحية وفاء ... ولعـــله كان يشيم انصافا فلينله من المراة التى انتصف لهـــا ، آية عرفان وامتنان وتقدير .

د . ة . نعمات احمد فؤاد

نشأة الاشتراكية العربية فى الفكر والأدب

للدكتور ماهر حسن فهمى

ان من يطلع على احوال البلاد العربية اول هذا القرن ، يجد طبقتين اشد ماتكونان تباينا طبقة حاكمة غنية موسرة ، غاية فى الثراء ، وطبقة فقيرة معدمة ، غاية فى الفقر ، وهى فى اغلبها تضم الزراع والعمال . وقد نشر اللورد كرومر قبل مغادرته مصر جدولا يبين أن عدد الذين يملك الواحد منهم اقل من خمسة افدنة قد زاد فى بحر عشر سنوات من ٦٠٨ر٠٠٠ مالك يملكون ٩٨٨ر٠٠٠ فدانا الى ١ر٢٠٠ر٠٠٠ مالك يملكون ١ر٢٥٩ر٩٠٠ فدانا ، وذلك مقابل زيادة عدد الذين يملك الواحد منهم اكثر من خمسين فدانا من ١٠ر٠٠٠ مالك يملكون ١ر٦٦٦ر٠٠٠ فدانا الى ١٠ر٣٠٠ مالك يملكون ١ر٧٦٣ر٠٠٠ فدانا . ونستمع فى ذلك الوقت الى رئيس مجلس شورى القوانين ، حين يتحدث عن حياة الفلاح البائسة يقول : « يقضى حياته مثقلا بالدين لايزيد كسبه على الضرائب المفروضة عليه ، وارباح الديون المطلوبة منه ، وهولكى يسد حاجات زراعته فى مواعيدها ، مضطر دائما الى الاستدانة بالربا الفاحش ، فلهذا العسر من جهة ولخلوه من المال من جهة اخرى ، ولكثرة من يعولهم من جهة ثالثة ، قد بقى الفلاح غريقا فى بحار الضنك ، لايعرف لنفسه منها مخرجا . اما الصناعات القليلة التى كانت موجودة فى مصر ، فقد عمل الاستعمار على تخريبها تارة بالاقلال من زراعة المواد الخام ، وتارة بفرض رسم جمركى كبير على الفحم المستورد ، حتى المصنوعات القطنية فرض عليها رسم قدره ٨٪ حتى تستطيع مصانع الغزل فى «لنكشير» منافسة القطن المنسوج محليا فى سهولة ويسر ، وبذلك بدا العمال — على قلتهم — يهجرون صناعاتهم ويعرفون البطالة

ولايكاد الامر يختلف فى الشام او فى العراق عن هذا ، فقد راينا فى مصر ماراه العرب فى الشام والعراق من تباعد اقتصادى بين الشعب وحكامه وزعمائه ظهر بوضوح فى ثورات مصر عام ١٩١٩ والعراق عام ١٩٢٠ ، والشام عام ١٩٢٥ . وقد كانت الارض فى العهد العثمانى ملكا للسلطان ، وزادت الحالة سوءا بعد الاحتلال . ويتحدث « وارنر » فى مقدمة كتابه (الارض والفقر فى الشرق الاوسط) عما يعانيه الفلاح من الجهل والفقر والمرض ، فيرى ان بؤسه الشديد ، هو صورة قاسية لم يعرف الغرب مثلها . لقد تحول ابناء العشائر تدريجيا الى اجراء بعد ان استمرا رؤساء العشائر ترف الاقطاع ، وكثيرا ما اضطر العامل الزراعى الى ترك الارض التى بذل جهده فى شق ترعها لانه عاجز عن شراء البذور اللازمة لها لتحكم رجال الاقطاع والمرابين فى مورده .

وقد لفتت نظر المصلحين حياة التعساء ، وفى ديننا حق لهم هو الزكاة ، فمحمد عبده فى رسالة التوحيد يخصص فصلا للزكاة وحكمة الاسلام فيها حتى يشعر الفقير بعطف الغنى ، فتسود المجتمع الاخوة . ويتحدث محمد كرد على عن اسراف الاغنياء بينما فضلات طعامهم تكفى لان تعول كثيرا من الفقراء ولاتجد الرحمة بالفقراء سبيلها الى قلوبهم . وفى شريعتنا السمحة — لو اتبعها الاغنياء — ما يكفى الجائع والعريان . ولايتحدث المسيحيون عن الزكاة وانما يتحدثون عن حق الفقير فى العطف والرحمة وعدم الاحتقار . يقول امين الحداد عن الفقروعيوبه : « الفقر من اشد حالات الدنيا ويلا ووبالا ، واكثرها بالانسان تبريحا ونكالا . ولقد تتوالى على الغنى اشد نوازل القدر فيلتفت الى يسره ، فاذا هى فى حالة العدم . ويصيبه الدهر بادهى عوارض المرض فيدفعها اعتداده بماله . ثم تصيب الدنيا الفقير باخف خطوبها فاذا هى اثقل من الجبال . وتكسوه اجمل اردية العافية والصحة ، فلا يرى نفسه الا سقيما . ولقد حير الناس هذا الفقر فما عرفوا حقيقة حدوده ، واشكل عليهم امره ، فما علموا هل يستغنى عنه أم لابد من وجوده ، ولكن الفقر مذموم على كل حال ، ثقيل كيف كان . لقد ولده نفس الانسان ولكنه من أجل مايتبرا منه ويكرهه الانسان بل هو من مولودات الطبيعة . وما عقمت الطبيعة الا بالاحسان بالفقر اذن كما يقول من مولودات الطبيعة ولا حيلة لنا فيما ولدته الطبيعة ، وكل ما نرجوه هو الاحسان ، احسان الغنى الى الفقير الذى يعوض احسان الطبيعة . وهو لا يطلب الى الغنى مصادقة الفقير ففى ذلك من العنت ما فيه ، وكل ما يطلبه من الغنى هو عدم احتقار الفقير لانه انسان مثله » . ونحن فى هذا المقال لا نطلب من

الغني أن يكرم الفقير مباشرة فيصادفه . فان ذلك مما يتطلب اعناته ، وهذا لا سبيل اليه . ولكننا نطلب ان يكرمه بعدم احتقاره » .

كان الناس اذن يميلون الى الاعتقاد ان الارزاق وان الغنى والفقر من الامور المقررة التى ينبغى الاستسلام لها . ولذلك نجد الشعر فى تلك الفترة حين يلتفت الى هذه المشكلة لايملك الا ان يستعطف الاغنياء ، لايملك الا ان يقول ماقاله « الرصافى » الشاعر العراقى فى قصيدته « الفقر والسقام » :

قد وردنا والارض للعيش حوض
واحد كلنا لنا فيه خوض
فلماذا به مشوب ومحض
عظمت حكمة الاله فبعض
فى نعيم وبعضنا فى عذاب
ايها الاغنياء كم قد ظلمتم
نعم الله حيث ما ان رحتم
سهر البائسون جوعا ونمتم
بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب

ولايملك الا ان يقول ماقاله الخورى « رفائيل البستانى » الشاعر الشامى :

رويدك كانز الدينار مهلا
الا احذر ان يضللك اغترار
تسير بك العتاق كومض برق
وتبرى رجل ذى الفقر الحجار
ترى هرما يعد العظم منه
تقوس مثلما يبدو اطار
تحيط به اصيبية ضئال
فيلهيهم ولايجدى انتظار
الا بادخر الآلاف عطفا
فصنع البر والحسنى ازدخار

وكان حافظ ابراهيم شاعر البؤساء بحق ، فقد عضه الجوع سنوات ، وذاق مرارة الفقر والم الحرمان ، فكان من اكثر الشعراء تناولا لهذا الموضوع ولكنه لم يصنع اكثر مما صنعه غيره من طلب الاحسان . وللنشار قصيدة عنوانها «الى الاغنياء» يتحدث فيها عن حياة الاغنياء المترفة وقصورهم المليئة بالغانيات ويسأل عما فعلوه للفقراء الذين يطوفون الازقة هائمين يأكلهم الجوع وتلفحهم الشمس النائمين بالعراء امام اعين الاغنياء ، وماذا فعلوا للملاجىء وللمدارس وللمصانع ، ولكنه لايطالب بكل هذا كحق ، ولكن « رحمة بالمعدمين من العباد » .
ثم يصور البؤساء بصورة قاتمة ، ويذكر سلبية الموسرين تجاههم . ولكنه لا يذكر أن للفقراء حقا فى مال الاغنياء ، ولايذكر ان الاغنياء قد جمعوا اموالهم من دماء الشعب ، ولذا يعود فيقول ان الموسرين قد وقفوا على الحياد بالنسبة لكل مشاكل الفقراء .

لم تنتهى الحرب العالمية الاولى بالثورات العربية التى ذكرناها ، والتى شاركت فيها الطبقة الفقيرة مشاركة فعالة . حتى لقد كان البعض يطلقون على الثورة العراقية ثورة الفلاحين . وبدا الاحساس بما تعانيه هذه الطبقة يشتد ، وبدات الطبقة الفقيرة نفسها تشعر بأن لها حقا فى الحياة الكريمة، ويزيد هذا الاحساس بعد أن بدا الحديث عن الاشتراكية يدور على الالسن ، عقب الثورة الروسية التى قامت على اكتاف طبقة العمال ، وكانت تذيع فى ذلك أن هدفها الغاء الفوارق الطبقية والاطاحة بالراسمالية والاقطاعية ومن هنا بدأنا نسمع التعريفات التى يطلقها المفكرون حول الاشتراكية ، فهى فى رأى ماكدونالد : « ترمى الى تنظيم القوى المادية الاقتصادية فى المجتمع لتكون تحت سيطرة القوى البشرية » . وهى فى رأى برتراند راسل : « ترمى الى جعل الارض ورأس المال ملكا للامة مع وجود النظام الديمقراطى » . ثم بدأنا نرى حركة العمال المصريين لتكوين نقابات لهم عام ١٩٢٤ . ومما لاشك فيه أن الاحزاب قد ساعدت على تكوين اتحادات نقابات العمال ووضعه تحت اشرافها حتى لا يكون وسيلة فى يد دعاة الاشتراكية فى ذلك الوقت .

ومن الواضح ان نزعة القائمين بشئون الاتحاد لم تكن نزعة تقدمية ، ولكن دوران فكرة الاشتراكية على الالسن غيرت نغمة العطف والاحسان وعدم الازدراء بالنسبة للفقير ، حتى عند الاغنياء الذين لم يعترفوا بالاشتراكية . واصبحت الزكاة حقا للفقير اختلسه منه الغنى . وفى ذلك يقول احمد شوقى فى الزكاة ، وقد جعل لمقالته عنوانا فرعيا

(حزب الاشتراكية وحزب البلشفية) « ايها الناس : امر الله فصليتم ، ونهى المال فمازكيتم ، فرقتم بين الخمس وكلها حكم الواحد ، فلكل الف مصل مزك واحد ، واستسهلتم فاخذتم ، واستصعبتم فنبذتم ، فلو دخل المال فى الصلاة لاقفرت منكم مساجد الله ، ولو عزم احدكم على الشهادة ، لكان به عن نطقها زهاده ، اعلمتم ان الزكاة فروض ، وانها وفاء الاعراض والعروض ، وانها ليست بالعبث الفروض ؟ مال الفقير خلستموه ورزق المحروم حبستموه ، وحق العاجز فى الحياة بخستموه ، وحكم الله الذى اغناكم قد دستموه »

ومن هنا ايضا وجدنا دعوة الاحسان للفقير تتحول الى دعوته للمطالبة بحقه فى العمل وبحقه فى الحياة فى العراق وفى الشام على السواء . وفى ذلك يقول جميل صليبا : « لما ازدهرت الحياة الاقتصادية واسست المعامل الكبيرة وضع قانون جديد للعمل تبدلت بحسبه علاقة العامل برب العمل ، ونشأ عن ذلك أوضاع جديدة ، وافكار جديدة ، تهدف الى المطالبة بحقوق العمال والى توفير العمل لجميع المواطنين ، وصار الفقير لا يطلب من المجتمع احسانا بل يطلب منه عملا يحقق له مستوى كريما من العيش . وهكذا انقلبت فكرة الاحسان الفردى الى فكرة الضمان الاجتماعى ، وفكرة الارزاق المقدرة الى فكرة الارزاق العادلة ، وصار الادباء ينادون بالمبدأ الاشتراكى الذى يمنع الاستثمار والاستغلال ويحول دون سيطرة الاغنياء على الفقراء ، او بالمبدأ الديمقراطى الذى يحترم شخصية العامل ويفسح الفرص المتكافئة لجميع الافراد على السواء » .
ولكل ذلك راينا تطورا كبيرا فى نظرية الاحسان ، فاصبحنا نرى الشعراء يدعون الى حق الفقراء فى مال الاغنياء ، قبل أن يناله الفقراء بأيديهم . يقول شكيب أرسلان :

اَفى الحق ان يشقى الفقير بعيشه
وذو المال فى شر الغواية يسرف
عليكم بكشف الضر عنهم فانما
اخو الضر يمسى ضاريا حين يهجف

وللشاعر « بحر العلوم » اكثر من قصيدة يحض فيها الفقراء على الثورة ، التى تطيح برؤوس مصاصى الدماء من الاثرياء ، ولكن اشد قصائده ثورة هى التى حكم عليه بسببها بالسجن المؤبد ، وعنوانها (الفلاح) . ويصور فيها الفلاح البائس الذى يرعى الجوع اولاده ، فيتجه الى الاغنياء يطلب منهم الرحمة فلا يلقونه الا بالعنف ، ثم يتجه اليه فيسأله بعد ذلك ماذا ينتظر ؟ ولم يحض يزرع ويحصد غيره ؟ ليس امامه الا حصد ارواح السالبين لثروته بمنجله :

ايها الفلاح فيمن ترتجى
فرج الخير وخير الفرج
وحواليك افاع لسعت
قصب الكوخ بنات الحرج
فاترك الزرع ونح المنجلا
عنك حينا واملا الارض دما
ويحد السيف حاسب دولا
بينها حقك اضحى مغنما

لقد اثبتت التجارب ان القوة المالية هى شر مابتلى به النظام الديمقراطى ، فالحريات السياسية تفقد قيمتها اذا لم يكن هناك تحرر اقتصادى وتكافؤ فرص وتضامن اجتماعى يكبح جماح الاستغلال من فئة قليلة استحوذت على اكثر مصادر الانتاج . والاشتراكية فى ابعد ماذهبت اليه تقضى بتملك الدولة ــ باعتبارها الهيئة النائبة عن الشعب ــ لمصادر الانتاج الكبرى ، مع استبقاء مساحة كبيرة من الميدان الاقتصادى يرتادها النشاط الفردى ، ومع تخطيط حكومى شامل للاقتصاد القومى فى قطاعيه الحكومى والحر ، على أن يكون للشعب عن طريق ممثليه نصيب فى هذا التوجيه والتخطيط للقطاعين ، وان تكون للشعب ثمار هذا التوجيه والتخطيط خالصة . وقد كان الوعى الذى استمدته الشعوب العربية من كفاحها السياسى الطويل ومن التطور الثقافى ، يدعو الناس الى الحديث الدائب عن العدالة الاجتماعية ، حتى قدر لهم بعد كفاح مرير ان يحققوا ماارادوه .

دكتور ماهر حسن فهمى

خواطر وآمال

المستشار أنور حجازى

أيا شرقى ، ويا وطنى ، ويا عروبتى :

كنت فى عمق التاريخ محمولا على أعلام خفاقة من العزة والمنعة والسؤدد العريق ؛ وخضت معارك البشرية الأولى وأحرزت فيها نصرا مبينا . وبصرت الانسان بمدارك الحياة ومفهومها ؛ وأرسيت له فى حضارة الوجود دعامات تأصلت بها امارات العلم والعرفان وسيطرة الانسان على أسرار الكون وخباياه .

كنت فى هذا اليوم البعيد رائدا وطليعة ؛ وستكونها حتما ركنت الى ذاتك ، واستلهمت بوحى من نفسك اختيار الصفوة الممتازة والقادة الفاهمين لتتملك زمام الأمر فيك ؛ كما تستلهم بوحى منك اقصاء الشوائب والمارقين من صفوفك ليمتنع النشاز ؛ ولا يعوق الركب عائق ؛ ولا تتثبط بهم همم القادرين الفاهمين . والتعويق كما يكون عمدا يكون عفوا ، وكلاهما كالخطر المحيق حقيق بالبتر والاقصاء . ثم اركن الى ذاتك الكبرى واجمع صفوفك فى أقطارك وكل أمصارك . قاصيها ودانيها ، ثم ارتفع بها موحدة الى مستوى الثقة والرضا واليقين ، فيلتقى العرب على أهداف موحدة وآمال مرصوصة وأمانى دانية القطوف ، قريبة المنال ، سداها ولحمتها سيطرة واقتدار ، ومنعة وانتصار ، وارتقاء مكان الصدارة أبدا وفى كل حين .

والاستدلال والتذكير بالشواهد والامارات القريبة فى عمر الزمان أدنى للتعبير والالمام وأقرب للفهم والوعى الحديث ؛ فنورد منها بقدر ما يقتضيه المقام ويتوفر به الايضاح دون حاجة الى تحديد منظوم أو تتابع مفروض . فلن ننسى يوم قام الرأى العام فى مصر ممثلا فى صحافته وطلاب العلم والعاملين فى حقله والشعب بأسره ؛ قامت مصر كلها تحتج على فرنسا التى نكلت عن تعهدها الذى التزمت بمقتضاه بالجلاء عن القطرين الشقيقين : سوريا ولبنان ؛ واتبعت نكالها بعدوان غاشم على رجال الحكم فى القطرين ؛ واعتقلت رئيس جمهورية لبنان وقتئذ « بشارة الخورى » ورئيس وزرائها «رياض الصلح» فى قلعة « بشامون » فكانت انتفاضة عربية عارمة اهتزت لها جنبات العالم واجبرت فرنسا على التراجع عن نكالها فعادت الى الرشد ونفذت ما التزمت به وجلت عن القطرين العزيزين .

وفى مجال آخر لم تقتصر فيه المؤازرة على مجرد الثورة والاحتجاج بل تخطت ذلك الى مرتبة الافتداء والتضحية والمؤازرة المسلحة بالنفس والسلاح والعتاد من أجل فلسطين وفى سبيل صونها عربية صحيحة خالصة ، وكانت ثورة العرب فى كل قطر وفى كل اقليم تتجدد وتفور فى مناسبة وعد «بلفور» من كل عام ، هذا الوعد المشئوم بانشاء وطن يهودى فى فلسطين، حتى وقعت الواقعة الكبرى وقام العرب المخلصون وتدافعوا نحو فلسطين بقضهم وقضيضهم لانقاذها من براثن الاستعمار الصهيونى . وانتصرت جيوش العرب انتصارا مؤزرا ومبينا أو كادت ، لولا فتنة مؤثمة من زمرة آثمة خشيت على ملذاتها وسلطانها فانحرفت الأمور بعد أن لوثها الفساد والخداع والائتمار .

وكانت خدعة كبرى من الساسة والحاكمين الملوثين مشفوعة بالزور والبهتان ، انتكست بعدها انتصاراتنا وتحولت الى هزيمة ، واستقر الصهيونيون فى بقعة عربية أثيرة عند العرب أجمعين ، ولكنها العظة والعبرة استخلصناها من معركة الخير والشر ومن التجربة التى عشناها فى هذا النضال المرير مع الدنس وسوء الخلق . . . « ومن السموم الناقعات دواء » فكانت هزة فى ذمار العرب وانتفاضته فى مصر خلصتها من العفن والركود والفساد ، لتنطلق فى آفاق المجد تصنعه من ذات نفسها لتبرأ من الشوائب والمارقين .

ولن ننسى فى شأن فلسطين ما كانت تقوم به الجموع الثائرة من العرب فى كل قطر وكل مصر ، يتركون ديارهم وسلامتهم لينخرطوا فى صفوف المتطوعين الذين تشكل منهم جيش خاص يقاوم الاستعمار الانجليزى فى فلسطين ليمنعوا غدره وممالأته للصهيونيين ، ومساوماته وخداعه التى ظاهر بها العصابات الصهيونية ، تمهيدا وتمكينا لها من الاستئثار بفلسطين وتنفيذا لوعد « بلفور » .

لن ننسى ذلك كله ولن ننسى أيضا ما قام به الطلاب والناشئون في مصر اذ كانوا يتركون ديارهم وآلهم وذويهم قبل استكمال أسباب ثقافتهم ، ويهبون أنفسهم للجهاد في فلسطين ، واستشهد منهم من استشهد في سبيل العروبة مؤمنا مطمئنا ، استشهدوا بسلاء أشداء عند ربهم يرزقون .

وفي مجال النزال ومؤازرة العربي لأخيه العربي فاننا نميط اللثام عن الفرية الكبرى التي طلع بها المستعمر علينا في مصر وفي غير مصر وشوه بها التاريخ وحقائق الوجود العربي . أما الفرية فقد تضافر في صنعها المستعمر والحاكم الدخيل . تلك الفرية التي صنعاها على عواهما اذ قالا ان ثورة المهدي الكبير في السودان كانت مناوأة لمصر وعدوانا عليها ، وما كانت كذلك ولكنها قامت في السودان مؤازرة لثورة عرابي في مصر ومناصرته ضد الحاكم الطاغية والمستعمر المستبد ، قامت لمساندة أهداف عرابي واهداف شعب مصر ومظاهرتها والأخذ بناصرها ، ولكنها غدرات المضللين اطاحت بالثورتين ونكلت بالأحرار الصادقين .

وفي ذات المجال والمناسبة لن ننسى يوم قامت مصر كلها تؤازر الشقيقة ، سوريا ، ضد الانتداب الفرنسي بمناسبة الاعتداء الغاشم الذي وقع على السوريين في صور رهيبة من ازهاق أرواح وحريق وتشريد وذلك في عام ١٩٢٥ . وقد جاء ذكر تلك الواقعة وموقف مصر منها في مذكرات سعد زغلول في صورة نداء وجهه الى الشعب المصري في ٥ نوفمبر ١٩٢٥ هذا نصه :

« سوريا التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بها هذه الايام حوادث هائلة تقشعر من حولها الأبدان ونوازل جائحة تنخلع من بشاعتها القلوب ، وشرور من أفظع ما يرتكبه انسان ضد انسان !! منكرات ارتكبها عمال حكومة الانتداب الفرنسي ضد محكوميهم الآمنين ، فأزهقوا الكثير من ارواحهم البريئة وأراقوا الغزير من دمائهم الطاهرة ، وحرقوا كثيرا من بيوتهم وقراهم ورملوا الجم الغفير من نسائهم ، ويتموا العدد العديد من أطفالهم ... واننا بمعشر المصريين لنشعر في قلوبنا بكل عطف على اخواننا المصابين ، ونرثي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ، ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل ما في الامكان .. »

وقد جاء في ذات المذكرات في اليوم التالي للنداء ما يأتي : —

« يظهر أن ندائي للأمة لمساعدة السوريين المنكوبين وقع من الناس وقعا حسنا ، وتقلبوه أحسن قبول »

ونقترب بعد هذا التاريخ البعيد نوعا حتى نبلغ أيامنا التي نعيشها ، ونذكر يوم قامت الاقطار العربية بقضها وقضيضها تزأر في غضبة مضرية اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . ولم تقتصر على مجرد الثورة والاحتجاج واللوم من بعيد بل أسهمت الشعوب في مقاومة العدوان بالعمل المبذول والتطوع والتضحية المادية والادبية ، وتبرعوا بالمال والولد يؤازرون شقيقتهم مصر ، وعطلوا تدفق امداد العدو بتخريب أنابيب البترول ، كما تكتل المتطوعون استعدادا للانضمام في صفوفنا المقاتلة ، وتوقف النشاط التجاري في لبنان لبنان التي أصرت على أن تصدر فيها الصحيفة المصرية ، الجمهورية .

كانت أمارات من الاحاسيس الدافقة تبارت في اظهار الود والعطف والحب العميق في مناسبة اقتضت ذلك واستلزمته ، حتى اذا اندحرت قوى العدوان الغاشم تحولت الاحاسيس والمظاهر الى مطالبة ملحة وحاسمة لترتيب الاواصر وتوثق بوحدة جامعة ، تحققت جزئيا بوحدة شاملة بين مصر وسوريا كما تقدمت البلاد العربية بتبرعات مادية خصصت لمنطقة العدوان في بور سعيد .

تحققت الوحدة بين مصر وسوريا بعد أن تجاهلت الصعاب والعقبات صعاب الاتصال وعقبات النأي وبعد الشقة وطول المسير ، فضلا عن صعاب أخرى رسبتها الفرقة التي حرص عليها المستعمر وعمل لها جاهدا مسيطرا .

واتصل الاقليمان ، القطران الشقيقان ، اتصالا وثيقا قويا ، متوددا ، حريصا على تهيئة الخير لصالح والازدهار ، وصارت جمهورية العرب الكبرى نواة لوحدة جامعة شاملة ، وسلكت في وحدتها سلوك القدوة الرشيدة الواعية .

أنور حجازي

دور المرأة العربية فى الاتحاد الاشتراكى العربى

للشاعر محمد فضل اسماعيل

لا الخدر خدر ولا الأوطان أوطان ... ان لم يكن لك ياليلاى ميدان
فانت كعبة آمالى وملهمتى ... وانت ان غرد القمرى ألحان
وفى رضاك لهذا الصب جنته ... وفى تجافيك أهوال ونيران
يا منية القلب كم لى فيك من أمل ... فما الصدود ومالى عنك سلوان
أقضى ليالى فى سهد يؤرقنى ... شوق وتعصف بالاضلاع أشجانى
وان تنفس وجه الصبح أنكرنى ... عند اللقاء أحباء وخلان
أمشى أهيم على وجهى وبى خبل ... كمن تخبطه جن وشيطان
لو يعرف الناس معنى الحب ماطرقوا ... بابا عليه ، فكم للحب سلطان
للحب عندى قد ابيات مطهرة ... وفى معانيه لى روح وريحان
فكيف يرضيك أن أشقى بعاطفتى ... بل كيف يرضيك ياليلاى هجران
لمن أوجه شعرى فى مطارحتى ؟ ... والشعر دمع له الأشواق أجفان
والشعر كان لدى الخنساء سلوتها ... وفيه غنى بدين الله حسان
من لى بذات خباء لا تعيرنى ... بالشيب وهو بديع الحسن فتان
كم من شباب كغصن البان قامته ... لا الغصن منه على شىء ولا البان
تظن أن له عقلا يميزه ... والعقل ليس له يوما به شان
وكم شيوخ ترى ما بين اضلعهم ... قلبا فتيا فهم فى الناس شبان
فعاهدينى على أن تصبحى مثلا ... أعلى فدورك هذا اليوم ايمان
أنا وأنت جناحا طائر غرد ... وفى الحياة لنا روض وبستان
فان فقدتك لم أنهض وأنكرنى ... ماء وظل وأفياء وأفنان
وأصبح العش فى هذا الثرى خربا ... يأويه من بعدنا بوم وغربان

* * *

يا هذه ان أكن فى قوتى بطلا ... يهابنى فى الوغى جند وفرسان
فمن الى ساحة الهيجاء يدفعنى ... سواك أنت اذا ما امتد عدوان
سل جديسا وطسما حينما التحما ... وقام بينهما للنقع بركان
أليس أسباب هذا بيت شاعرة ... قد استغاثت فما لانوا ولا هانوا
هذى « جميلة بوحريد » وقصتها ... فيها مماثلة ان صح برهان
هذى التقاليد سادت جاهليتنا ... للذود عن شرف يحميه شجعان
وكان ذلك فى الاسلام منطبقا ... فالمؤمنات لهن اهتز ايوان
أسماء بنت أبى بكر اما دفعت ... للموت بابن لها والسيف طعان

محمد فضل اسماعيل

من أغانى الريف

للأستاذ محمد مصطفى الملجى

- اشدو واغنى لحقــول
- لزهور المشمش والفول
- واقوم وانفـخ ارغولى
- واغنى اغنيــة الفرح

- تشدو الأطيار كما أشدو
- والزهر تفتــح والورد ..
- وأكاد من البشرى أعدو
- واغنى اغنيــة الفرح

- اشدو للافق المســحور
- فالكون كبحر بلورى
- اشدو بغنـاء العصفور
- واغنى اغنيــة الفرح

- اشدو للروض وللمـاء
- واغنى صبحى ومســائى
- واطير أحلق بســمائى
- واغنى اغنيــة الفرح

- أشــدو واغنى لحزافى
- للصبح الحلو الشــفاف
- للتـوت ، لغصن الصفصاف
- واغنى اغنيــة الفرح

- اشدو لغصون الزيتـون
- للروض الحلو المفتـون
- اشدو لحقـول الليمون
- واغنى اغنيــة الفرح

- اشدو للطير ، لبلبله
- اشدو للماء ، لجدوله
- اشدو للقمح ، لسنبله
- واغنى اغنيــة الفرح

- أشدو لجمـال الأدواح
- أشدو لزهور التفـاح
- أشدو بنشـيد الصداح
- واغنى اغنيــة الفرح

محمد مصطفى الملجى

مذكرات طاغور عن طفولته

ترجمة : جورية حجازى

ـ ١ ـ

كنا ثلاثة صبية نشأنا معا . وكان رفيقاى يكبرانى بعامين . ولكنا بدأنا معا تعلم الكتابة والقراءة ، والاغتراف من منهل العلم . وما زلت اتذكر الاسطر الاولى التى وعيتها من تعليم الطفولة : ان « المطر ينهمر .. ، والاوراق تهزها الريح ، وتبللها قطرات الماء .. » وكانت هذه السطور ، هى اولى ابيات من الشعر حفظتها بسبب قافيتها الموسيقية السهلة .

وهناك اشراقة اخرى ، لا ازال اذكرها من عهد الصبا ، فقد كانت العائلة تستخدم صرافا يدعى « كيلاش » كان خفيف الظل ، حلو الدعابة ، منطلق اللسان ، قوى التعبير ، غزير المادة . وكنت انصت لحديثه دائما ، فى شغف واقبال . وكانت كل كلماته تعلق بذاكرتى ، كحكم بليغة لا يتطرق اليها الشك .

وكم انا مدين لهذا الصراف ! انه حبب الى الاطلاع ، والقراءة ، والاستزادة من الحكم البليغة . وفى يوم من الايام تزوج كيلاش . وكان هذا الحادث دافعا قويا لاثارتنا واهتمامنا . كان كيلاش بالنسبة الينا ، نحن الصبية الثلاثة ، بطلا . وكنا نفتقر الى بطلة . وجاءت البطلة فى صورة عروس كيلاش . لقد رأيناها جميلة صغيرة فاتنة ، تتحلى بالحلى من رأسها الى قدميها ! وظلت صورة هذه العروس تداعب مخيلتى حتى الشيخوخة . وظلت منبعا يلهمنى جميع الصور عن النساء اللاتى لعبن أدوارا هامة فى انتاجى الادبى .

والشىء الثانى الذى ما زلت اذكره ، هو بداية حياتى المدرسية . ففى ذات يوم شاهدت اخى الاكبر ، وابن اختى ساتيا ، وهو ايضا يكبرنى بقليل ، يركبان العربة الى المدرسة . وكنت حتى تلك السن ، لم اركب عربة ، او اخرج بعيدا عن البيت . وعندما عاد ساتيا ممتلئا نشاطا وهو يطفر فرحا ، ويقص علينا حوادث النهار فى المدرسة ، احسست حينئذ ، بأنى لا استطيع ان ابقى فى البيت بعد اليوم . وشاهدنى والدى وانا ابكى فقال « انت الآن تبكى لكى تذهب الى المدرسة ، ولكنك ستبكى اكثر فيما بعد ، لكى لا تذهب اليها !

وانا لا اذكر تماما وجه هذا الرائد ، ولكن نصيحته لا تزال عالقة بنفسى وذاكرتى حتى اليوم ، فلم يسبق ان تحققت لى نبوءة اكثر صدقا من تلك .

ولقد ادى بكائى المتواصل الى دخولى المدرسة الشرقية . ولست اذكر شيئا ما تعلمته فى تلك المدرسة ، ولكنى ما زلت اذكر فى وضوح وسائلها فى عقاب التلاميذ . ولعلماء النفس ان يبحثوا كيف تتمكن الطرق الشاذة القاسية فى معاملة التلاميذ ، من تعليمهم ، وتهذيبهم ، وملء قلوبهم بالاحترام والمحبة للمدرسة ومدرسيها . ان التلميذ ، فى تلك الفترة لا يتحمل أنواع العقاب المدرسى ، الا عددا لا بأس به من العقد النفسية ، تظل تشقيه طيلة حياته .

ولكنى كنت مشغوفا بالادب ، مشغولا به عن كل شىء . وأول ما وقع فى يدى لقراءته ، وأنا فى تلك السن المبكرة ، ترجمة بنغالية لأساطير (تشاناكيا) وراماياتا ماكريتيقازا . وحتى اليوم ومن حين لآخر ، تبعث فى ذاكرتى صورة ذلك اليوم الذى بدأت اقرأ فيه « الرامايانا » . كانت السماء مظلمة داكنة ، تكسوها السحب المنخفضة القاتمة .

وكنت العب فى الشرفة الطويلة التى تطل على الطريق . وفجأة ، ولسبب ما ، أراد « ساتيا » أن يخيفنى . فأخذ يصرخ : باشاويش ! باشاويش ! وكانت فكرتى حينئذ عن مهمة رجل البوليس . مشوشة غامضة . ولكنى كنت على يقين من شىء واحد . هو انه اذا وقع متهم بجريمة فى يد رجل البوليس ، فسوف يعصره عصرا حتى يتلاشى ! ولهذا السبب لم اكد اسمع صياح « ساتيا » ، حتى اغلقت باب الشرفة واحكمت الترباس من الداخل . وهرعت الى امى فى الغرفة المجاورة وانا ابكى وارتعد خوفا من رجل البوليس . ولكن يبدو ان امى لم تعر المسألة اهتماما ، اذ تركتنى ابكى دون ان تحتضننى كالعادة . وابصرت امامى الكتاب الصغير الذى تقرأه جدتى . فانحنيت عليه ، واخذت احدق فيه وانا ما زلت ابكى . لم قرات سطرا .. فسطرين فثلاثة .. وتوقف بكائى . وعلمت بعد ساعات بأنى انتهيت من قراءة « الرامايانا » !

وكانت عيشة الترف لا يكاد يعرفها الناس أيام طفولتي • فمستوى المعيشة وقتئذ ، كان أبسط مما هو عليه الآن • وبجانب هذا ، فقد كنا نحن الاطفال، أبعد ما نكون عن التدليل • فتربيتنا كانت قاسية • وكنا نخضع دائما لحكم الخدم • ولكي يجنبوا أنفسهم المتاعب ، كانوا ينكرون علينا حق الحرية في الحركة أو العمل • ولكن عقولنا بقيت متحررة من كل القيود والسخافات •

وكان طعامنا بسيطا • ونظرة واحدة الى قائمة ملابسنا ، تبعث في نفس الصبي الحديث بالقنوط والاشمئزاز • كنا لا نلبس الجوارب ولا الاحذية ، حتى سن العاشرة • وفي الشتاء القارس، كنا نكتفي بوضع صدار آخر فوق قميصنا • ولكنا كنا نهتم اهتماما شديدا بالجيوب في الصدر • فكنا نحشوها دائما بما لذ وطاب •• ويا ويل الخياط ، نيامات ، اذا نسي وضع الجيب في صدار أحد منا ! وكان مقررا لكل صبي منا زوج من الاحذية الخفيفة •• ولكنا غالبا ما كنا نكتفي بحملها على أكتافنا أو تكويرها ووضعها في الجيب • وكان الكبار من عائلتنا ، يعيشون حياتهم الفاخرة في المأكل والملبس واللهو •• ولكنهم كانوا يسكنون بعيدا عنا •• لذلك لم نتأثر بهم كثيرا •

وكنا نمضي أيامنا في مساكن الخدم • وكان واحد من هؤلاء الخدم يدعى شيام ، كان أسود الوجه ، لامع العينين ، يعني بنظافته عناية خاصة ، وكنت استقربه جدا وسط الخدم أيام طفولتي • وكان هذا الخادم يعلمني الكثير من الالعاب الصبيانية التي ظلت تسيطر على حواسي ، كلما فرغت الى نفسي حتى بعد أن أصبحت شيخا • ولا أستطيع أن أنسى، شجرة الموز الصغيرة التي كنت استظل بظلها بعد أن يأخذني التعب من الجهد واللهو واللعب • وقد عدت اليها بعد سنوات طويلة ، لأنظم فيها تلك الابيات التي أصبحت أغنية شهيرة فيما بعد :

« أيه •• شجرة الموز العجوز•• تظلين في مكانك خالدة •• خلود النهار والليل •• هل تذكرين ؟ هل تذكرين ذلك الطفل المرح •• الذى كان يلعب طيلة النهار في ظلك الظليل •• ؟!

اني •• لا أنسى •• »

ولكن وا أسفاه •• ! لم تعد شجرة الموز هناك •• ولا حتى الغدير الصغير الذى كان يرويها•• ويعكس اهتزازات أغصانها على صفحة مرآته ••

ولم تكن لنا الحرية في الخروج من المنزل حينما نشاء ، لذلك كنا نطلق لاعيننا وخيالنا العنان •• من خلف الحواجز • والقضبان • وكانت عيني تقع دائما على هذا الفضاء ، الفسيح اللانهائي •• الذى يسمى بالخارج • سحر الطبيعة ، جمال الليل ، زقزقة العصافير ، رقرقة النهر والغدير •• همهمة الحيوانات في الليل •• كل هذا كان يتراءى أمام عيني ومخيلتي •• كعالم غامض مجهول •• ولكن سحر الكشف عن المجهول •• كان يؤرقني في طفولتي •• وكان يدفع بي الى الاسترسال في تفكير عميق طويل •

ومر الزمن •• واختفى خط الطباشير الواهي الذى كان يحجزني في طفولتي عن الخروج من البيت وارتياد المجهول •• ولكن العالم الخارجي •• ظل دائما •• وطيلة حياتي هو المجهول الذى قصرت حياتي على الكشف عن بعض أسراره وخباياه • وفي هذا كتبت فيما بعد أقول :

« كان الطير الأليف حبيسا في القفص •• وكان الطير الحر طليقا في الغابة •• والتقى الطيران عندما سمح الزمان • وسطر القدر • وصاح الطير الحر . أيها الحبيب دعنا نطير الى الغابة •• وهمس الطير حبيس القفص : تعال معي •• دعنا نعيش نحن الاثنين في القفص •• » وقال الطير الطليق : كيف يتسنى لنا أن نرفرف بجناحينا ونحن سجناء هذا القفص ! » وبكى الطير الحبيس : وا أسفاه ! اني لا أدرى أين أجلس مستريحا في السماء •• » وفي طفولتي ، وفي تلك السن بالذات ، كنت أعلم أن سرا ما يحيط بمكان ما في منزلنا ! ولم أنجح أبدا في الكشف عنه • وكانت تسميه احدى صديقاتي من الاطفال ، وهي تلعب معي دائما «قصر الملك» ! وفي بعض الاحيان كانت تقول لي « انني كنت هناك منذ فترة وجيزة فقط » • ولكن ، ولسبب لا أعرفه ، لم تحن الفرصة أبدا لكي تصحبني معها الى ذلك المكان • وطالما سألت صديقتي « أخبريني بالله •• هل هذا المكان موجود داخل المنزل أو خارجه •• ؟ » وكانت دائما تجيبني «انه •• في هذا البيت بالذات» وكنت اجلس وحدى واتعجب « أين يوجد هذا المكان ! ألست أعرف غرف المنزل جيدا •• ومن يكون هذا الملك الذى يشغل مكانا في منزلنا ؟ لقد ظل هذا اللغز دون حل حتى اليوم !

ان فترة حكم العبيد فى تاريخ الهند لا تدعو الى الفخر . فاذا عدت بالذاكرة الى فترة حكم الخدم فى حياتى الخاصة ، لا أستطيع أن أجد شيئا يدعو الى الفخر او البهجة . وكنا فى مثل هذه السن ، لا تتاح لنا الفرصة للاحتجاج أو الانتقاد ، بل كنا نتقبل دون مناقشة قوانين الحياة ، وهى أن الكبير أو القوى يؤلم الصغير .. وأن الصغير أو الضعيف عليه أن يتألم.! وقضيت وقتا طويلا قبل أن ادرك الحقيقة المضادة ، وهى أن الكبير هو الذى يتألم ، وان الصغير هو الذى يتسبب فى الألم. كنا نضرب ضربا مبرحا .. توضع رؤسنا فى أوعية المـاء المثلجة .. تخلع ملابسنا وتمزق أجسادنا بالسياط .. وكنا نقابل كل هذا بصرخة مكتومة مرة ، ومنطلقة مرة أخرى .. ولكنها صرخة عادية فى الحالتين .

والآن أعجب فى بعض الأحيان واسأل لماذا كان يعاملنا الخدم بتلك القسوة ولست أزعم بان أخلاقنا وتصرفاتنا وسلوكنا كانت فوق الشبهات فى ذلك الوقت ، ولكن يبدو أن السبب الحقيقى هو اننا كنا بمثابة عبء ثقيل ألقى على كواهل الخدم ، وهذا العبء كان من الصعب احتماله حتى بالنسبة لأقرب المقربين الينا !

ولو كان يسمح للاطفال ان يكونوا مجرد اطفال فقط ، يمرحون ويلعبون ويحققون رغباتهم الصبيانية ، اذن لكان الامر فى منتهى البساطة . ولكن المشاكل تنبت ، حينما تحمل الطاقات البشرية فوق ما تحتمل ، وتلقى عليها بضغط ثقيل ، فقد يفتت الاعصاب والعظام . وهكذا كان الحال معنا ، كان مطلوبا منا ألا نتصرف كالاطفال ، ونحن فى سن الطفولة. وبالتالى انحرفت أخلاقنا وشخصياتنا، فاصبحنا عبئا ثقيلا على أكتاف المربين والأوصياء . وأنا لا أذكر شيئا عن هؤلاء المربين والأوصياء سوى سعالهم وعراكهم بالأيدى .

ولكن هناك شخصا واحدا ما زلت اتذكره جيدا . ان اسمه اسوار . وكان يعمل ناظرا لمدرسة القرية قبل أن يلتحق خادما فى بيتنا . كان رجلا وقورا أكثر من اللازم .. يهتم بكل صغيرة وكبيرة من سلوك الانسان .. وبنظافته بوجه خاص . وكان يبدو كما لو كان غير راض عن الكرة الارضية ذاتها . انها لا تبدو نظيفة كما يود وكما ينبغى . وكان اذا نزل الى النهر ليستحم ، ظل يحرك بيديه الماء حتى يبدو صافيا ، وقد تستغرق هذه العملية منه ساعات وساعات .. وبعدها يتوكل على الله ويضع قدمه فى الماء .. ولا يزال الاشمئزاز يعلو وجهه ! وعندما يمشى فى الطرقات ، كان يرفع ذراعه على شكل زاوية قائمة ، لانه كان على ما نتصور لا يثق فى نظافة ملابسه ! وعندما كان يتكلم أمامنا كانت تخرج الالفاظ من فمه متسقة كأنه صاغها من حديقة الانشاء .. وكانت تلك الالفاظ تبدو ساحرة وقتئذ ، كانت تخلب ألبابنا ، وتزيد من هيبة الرجل ووقاره فى أعيننا ..

وهذا الناظر استطاع ان يكتشف طريقة بارعة ليجعلنا نمضى الأمسيات هادئين، ساكتين، منصتين. ففى كل مساء كان يجمعنا حول المصباح الزيتى ؟ ويقرأ لنا فصولا من الرامايانا والمهابهاراتا . وكان بعض الخدم ينضمون الينا فى بعض الاحيان، لسماع تلك الفصول .

وكان المصباح ، يلقى بأشباح هائلة على الحائط والسقف ، بينما كان سام أبرص ينشط فى التهام الحشرات التى يجذبها ضوء المصباح .. والفئران تلعب وترقص حول الشرفة .. ومع ذلك ، كنا نستمع صامتين وقد عقدت الدهشة السنتنا ، وبانت على وجوهنا . وما زلت أذكر تلك الأمسية التى اخذ فيها « اسوار » يقص علينا حكاية «كوشاولاقا» ، وكيف كان هذان الصبيان يعملان على هدم مجد الآباء والأجداد .. وما زلت أذكر تلك الانفعالات التى كانت على وجهه بينما يأخذ المصباح الزيتى فى الخفوت شيئا فشيئا .. فيصبح كل شىء وكل شخص فى المكان .. كأشباح باهتة .

وفى بعض الاحيان ، كانت تبعث تلك القراءات المناقشات العميقة الحامية بيننا جميعا، ولكنها كانت تهدأ دائما عندما يتكلم « اسوار » ويدلى برأيه الحاسم فى موضوع المناقشة .

وكان معروفا عن « اسوار » ادمانه الأفيون .. لهذا كان مغرما جدا بالطعام الدسم . ولكنه كان يحصل عليه فى الغالب على حسابنا ومن وجباتنا المقررة . فقد كان يفرض على كل منا اتاوة معينة ، هى ملعقة أو ملعقتان من طعام كل منا . وكنا نقبل هذا راضين مسرورين ، بل كنا لا نبدأ التهام طعامنا قبل أن نتأكد من دفع الاتاوة لاسوار .

حورية حجازى

في عالم الفن
السينما أدب

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

لا يكفى أن يردد بعض السينمائيين عندنا كلمة « أدب » ليرتفع مستوى أفلامنا . لا بد من فهم معنى « أدب السينما » وادراك أسرار « لغة السينما » ... ولا يكفى أن تحاول استوديوهاتنا اخراج قصص أدبية . بل لا بد من ادراك كيفية تحويل القصص الى أفلام .

لا جدال فى أن السينمائيين بدأوا يشعرون بأهمية العنصر الأدبى ... فمثلا بدأنا نناقش الأفلام العالمية التى تدور حول قصص أدبية ، وبدأنا نناقش الاتجاهات الأدبية فى المهرجانات السينمائية التى تقام فى بلادنا والتى نشترك فيها فى الخارج .. وبدأنا نتحدث عن الادب السينمائى فى ندواتنا التليفزيونية والاذاعية ... فمثلا منذ أيام اشترك صلاح عامر وصلاح أبو سيف ونجيب محفوظ فى ندوة تليفزيونية قالوا فيها ان القطاع السينمائى العام يبذل جهودا كبيرة لاخراج قصص مرتفعة المستوى تعالج مشكلات مجتمعنا الجديد ... وفى البرنامج التليفزيونى « دنيا الأدب » اشتركت مع يحيى حقى فى ندوة أخذنا فيها على البرنامج انه لايهتم بالأدب السينمائى ... وفى القطاع السينمائى الخاص تزايد عدد الأفلام التى تدور حول قصص الأدباء ، ورأينا فى هذا الموسم افلاما كثيرة ، مثل « الباب المفتوح » عن قصة للدكتورة لطيفة الزيات ، و« سجين الليل » عن قصة للدكتور يوسف ادريس ، و « سنوات الحب » عن قصة لأمين يوسف غراب ، وفى الاستوديوهات قصص لنجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار وغيرهما من الادباء .

***

ان الاتجاه الى القصص الأدبية يساعد ـ على الاقل ـ على انقاذ أفلامنا من التهريج والفبركة والاثارة والميلودراما المفتعلة . ولكن اخراج الموضوعات لا يزال فى حاجة الى معرفة وسائل تحضيرها واعدادها سينمائيا ... فكيف نكتسب هذه المعرفة ؟!

يجب أولا أن نتعمق فى بحث عيوب أفلامنا التى تعتمد على قصص الادباء .. وثانيا يجب أن نحاول ممارسة البحث المقارن ، لنستفيد من الافلام الادبية العالمية التى تعرض فى بلادنا ... وثالثا يجب أن نناقش الاتجاهات الادبية فى المهرجانات السينمائية بشكل أوسع وأعمق مما نفعله الآن .

ولا شك فى أن الأفلام الأدبية دفعت استوديوهاتنا الى الأمام .. فمثلا كادت تنتهى خرافة السينمائيين الذين كانوا يزعمون أن قصص الأدباء تفشل فى السينما ... فالواقع أن هذا الموسم بالذات سجل نجاح معظم هذه القصص ، ولم تفشل غير القصص التى شوهها السينمائيون أنفسهم ... ثم ان الافلام الادبية تخلصت من القبلات والرقصات ، وأدخلت فى استوديوهاتنا التفكير الموضوعى ، ومع ذلك فلا تزال الرواسب الجاهلية موجودة فى الحقل السينمائى ، وهذه الرواسب أضعفت القيمة الأدبية حتى فى الافلام الادبية .

***

خذ مثلا فيلم سجين الليل ... ان هذا الفيلم كما يبدو من قصته الاصلية تجربة للمؤلف تبلورت فى عمل فنى ، والتبلور أعطاها رموزا ، والرموز ليس بالضرورة أن تفسر ، ولكن الفيلم حاول تفسيرها ببساطة ، واحيانا بسطحية ، ولذلك حولها الى أحداث سطحية ... فكرة القصة يمكن تلخيصها ـ اذا جاز التلخيص ـ بأن بطلها طفل يريد أن يكون رجلا ... ويمكن تلخيصها أيضا بانها رؤية فنية لقرية معينة فى فترة معينة ، أو بأنها تعبير عن شريحة واقعية أو متخيلة فى ذهن المؤلف منذ أن كان طفلا .. الخ ... ولكن الفيلم تناول الاحداث بحيث رأينا فيها مجموعة من المطاردات والمشكلات العاطفية والجرائم ... ان القصة كمطاردات فقط غير مقنعة ، وكمشكلات عاطفية فقط غير مقنعة ، والمشاجرات والجرائم غير مقنعة ، بل أكثر من ذلك أن الشخصيات مرسومة بشكل غير مقنع ، ولهذا تحول الفيلم الى

الغاز ··· فالمجرم لغز كبير وضع أمام المتفرجين للبحث عن حل له ، والطفل لغز صغير يصيب المتفرجين بالحيرة ، وهكذا ضاعت معالم القرية التى دارت فيها الاحداث، وتهافتت التجربة الفنية واصبحت حدوتة، وكالعادة المعتادة وضع للفيلم نهاية سينمائية اكدت أنه مجرد حدوتة ·

***

مثل آخر ··· قصة الباب المفتوح تحولت فى السينما الى قصة حب !! ان بطلة القصة ـ فى الاصل ـ فتاة ترمز الى المرأة وكيف كانت تعيش فى ظلام وقيود وعبودية وكأنها سلعة خرساء، وكيف كافحت وكيف وجدت ذاتها وكيانها فى معركة بور سعيد ، ولكن الفيلم حولها الى فتاة تعيش فى ثلاث قصص غرامية وكأنها تبحث عن عريس ، وكلما صادفت عريسا اكتشفت أنه لا يلائمها ، الى أن وجدت فتى أحلامها فى العريس الثالث فذهبت معه الى المعركة·· ان الفيلم اهتم بالتركيز على الحب اكثر مما اهتم بالأحداث ، وكأنه فيلم غراميات فقط ، ولا علاقة لها بالأحداث أكثر من تصادف وقوعهما معا فى فترة واحدة ، وبذلك ذابت فكرة القصة فى سيناريو حولها كالعادة المعتادة الى حدوتة فيها أكثر من «دون جوان» وأكثر من دون كيشوت ، وليس فيها غير مجرد اشارات خاطفة الى الفتاة التى تبحث عن حريتها فى البيت وفى الجامعة ، وليس فيها غير مجرد صورة باهتة لكفاح المجتمع ، مع أن هذه القصة من أقوى القصص التى عالجت احداث أهم فترة فى تاريخنا الحديث ·

***

والأمثلة كثيرة ، وكلها تدل على ان تفكيرنا السينمائى لا يزال عاجزا عن تناول الأفكار الادبية تناولا يلتزم باخراج هذه الافكار اخراجا سينمائيا ، بعكس ما يحدث فى الخارج ··· ولناخذ مثلا واحدا من الافلام الادبية العالمية التى عرضت عندنا فى هذا الموسم ·· فيلم «قلعة الخطيئة» ·· ان هذا الفيلم مستوحى من مسرحية سارتر «سجناء الطوناء» · ومهما يكن الرأى فى الاختلاف بين المسرحية الممتازة والفيلم، فان هذا الاختلاف هو سبب امتياز الفيلم أيضا··· لماذا؟ لان الفرق بينهما هو الفرق الجوهرى بين المسرح والسينما····ان الفرق بين القصة والفيلم فى أفلامنا ناتج من رغبة السينمائيين فى تقديم أفلام مثيرة او مسايرة لمزاج الجمهور كما يتوهمونه ، بينما الفرق بين الفيلم والقصة او المسرحية فى الخارج ناتج من الفهم العميق لطبيعة ووظيفة ووسائل وأدوات كل فن، ولهذا يستحيل أن تخرج أى قصة او اى مسرحية على الشاشة الا بعد تكييفها سينمائيا ·

***

نحن فى حاجة الى دراسة الأفلام العالمية دراسة تفصيلية ودقيقة ··· عندما عرض فيلم سارتر تحدث عنه كثيرون ، ولكن معظمهم اهتموا بالتحدث عن التغييرات الملموسة بين الفيلم والمسرحية أكثر مما اهتموا بتحليل أسباب هذه التغييرات ··· أكثر من ذلك أنهم لم يهتموا بشرح فلسفة سارتر على ضوء المسرحية او الفيلم ، مع أنه من المستحيل فهم اى مسرحية او اى فيلم بدون معرفة فلسفة المؤلف ، وخاصة فى انتاج سارتر لانه صاحب فلسفة معينة ترتكز عليها أفكاره فى أعماله الادبية ··· ايضا عندما عرض المهرجان السوفييتى الذى ظهرت فيه اتجاهات أدبية جديدة بشكل واضح تحدث عنه كثيرون ، ولكن معظمهم اهتموا أيضا بالاشارة الى التغيرات التى طرأت على الفيلم السوفييتى أكثر مما اهتموا بتحليل هذه الاتجاهات تحليلا تطبيقيا من واقع الافلام ·

ونحن فى حاجة الى ندوات تفسح مجال دراسة هذه الافلام ··· وفعلا بدأنا نقيم بعض الندوات ولكن فى نطاق ضيق ··· ان الاستاذ عبد المعم سعد وكيل المكتب الفنى للسينما بالمؤسسة العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون ارسل لى كلمة قيمة يعقب فيها على ما كتبته فى « الرسالة » عن اسبوع الفيلم السوفييتى ، وتحدث فى كلمته عن السياسة التى وضعت وبدأ تنفيذها للاستفادة من الافلام التى تعرض فى المهرجانات ، ومنها عقد الندوات والمؤتمرات الفنية ، ومناقشة التطورات السينمائية ، وشرح الاتجاهات الفنية الجديدة ، وتبادل الخبرات ، واقامة حلقات دراسية فى معهد السينما ··· الخ ··· والواقع أن التخطيط الثقافى الذى وضعه المكتب السينمائى الفنى فى غاية الاهمية ، وبدأ تطبيقه فعلا فى المهرجان السينمائى الدولى الذى أقيم فى ليبزج فى الشهر الماضى واشتركنا فيه ، وأسفر ذلك عن نتائج ايجابية ··· وأنا أحيى هذه الجهود ، ولكنى لازلت أرجو توسيع مجالات الدراسة والمناقشة لتزداد الاستفادة ··· كيف ؟

أولا ماذا يمنع من أن يتولى المكتب السينمائى

الفنى اقامة الندوات التى نفتقر اليها لدراسة الافلام العالمية التى تعرض فى بلادنا ، ومن بينها طبعا أفلام المهرجانات ... وثانيا ماذا يمنع من اقامة ندوات لشرح الاتجاهات الفنية الجديدة فى المهرجانات التى نشترك فيها فى الخارج ؟

ان أسبوع الفيلم السوفييتى الذى شاهدناه فى القاهرة لم يناقش بعد مناقشة علمية على نطاق واسع .. ومهرجان ليبزج لا نكاد نعرف شيئا عنه الا من نشرات وكالات الانباء ، مع أننا اشتركنا فيه مع ٦٠ دولة وحضره ٤٠٠ خبير عالمى ... فاذا كان هذا المهرجان قد أقيم للافلام التسجيلية والقصيرة فان من المفيد أن نعرف تفصيلاته التى لا شك فى فائدتها ، ومن المفيد جدا أن يراعى هذا التقليد فى مختلف المهرجانات .

ان الهيئات السينمائية ــ وخاصة مؤسسة السينما ــ مسئولة عن تغيير النظرة الى المهرجانات الفنية ، بحيث تصبح نظرة جادة وفاحصة وواعية لمناقشة الافلام العالمية ، ومناقشة المستويات الادبية بالذات، لتدرك معنى الادب السينمائى، وهو العنصر الذى لانزال نفتقده فى أفلامنا .

* ٦ *

فى اعتقادى أن المكتب السينمائى الفنى سيرحب بتحمل هذه المسئولية ... اننا نريد أن نرفع مستوى أفلامنا برفع مستوى تفكيرنا السينمائى .. نريد أن ندرك أن السينما أدب ، وأن الادب السينمائى له مواضعاته ومصطلحاته ، وأن تحويل القصص الادبية الى أفلام ، وكتابة موضوعات سينمائية ، واعداد السيناريوهات ذات القيمة الادبية ، كل هذا يحتاج الى دراية كبيرة بكل الفنون السينمائية ... نريد أن نوطد دعائم الادب السينمائى ... كفانا ماعانيناه من تجاهل العنصر الادبى فى أفلامنا ، ومن تشويه المعالم الادبية، ومن معظم السينمائيين الذين يمارسون السينما بلا أدب !!

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

شعر المهرجان في الميزان

تنوعت موضوعات القصائد التي ألقيت في المهرجان فكان فيها الشعر القومي ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الانساني العام ، والشعر القصصي ... الخ. وقد ظفرت الاسكندرية بعدد كبير من القصائد، وقد عد ذلك بعض الزملاء الذين كتبوا عن المهرجان في الصحف – عدوه عيبا ، حتى أن بعضهم تندر عليه فقال : لو ان المهرجان عقد في « كفر الشيخ » لكان كثير من القصائد في كفر الشيخ .. وما أرى في هذا بأسا ، **فليس المقياس باختيار موضوع دون آخر ، انما هو بكيفية تناول الموضوع** . والمهرجان للشعر عامة وليس لموضوع أو موضوعات معينة . وقد أحسنت اللجنة في توخيها أن تكون القصائد منوعة بحيث يشمل المهرجان ما يمكن من الشعر في نواحي متعددة .

والذي نريد ان نبدأ منه هو ان يكون للشاعر تجربة شعورية يعبر عنها بصورة شعرية ، كيفما كان الموضوع الذي يتناوله . والتجربة الشعورية العميقة تستلزم التركيز و « الحفر » في أعماق النفس ، ولكي تخرج في صورة شعرية فانها تحتاج الى صناعة فنية او الى التعبير الأدبي الذي يمتاز بالتصوير دون السرد الذي لا يرفعه الوزن والقافية الى مرتبة الشعر .

ولم يكن لدى كل الشعراء تجارب شعورية عبروا عنها . فبعضهم اكتفى بمقدرته على النظم وايراد القوافي ، فما خطر له نظمه والسلام .. السلام من معاناة التجربة المركزة المتعبة . وبعضهم كانت لديه تجربة ولكنها ليست شعورية ، بل ذهنية .. وأبرز مثال لهذا قصيدة «الى القمر» للاستاذ محمود عماد ، صياغة جيدة ووحدة موضوعية مركزة ، تدور حول غزو الانسان للقمر وما يفكر فيه الشاعر من انتقال فساد الانسان المشاهد في الارض الى القمر اذا انتقل اليه وعاش فيه . ولكنا نفتقد فيها الانفعال الشعوري

أهل الخطوة

وشعراؤنا ما زالوا حتى اليوم ينشيء الشاعر منهم القصيدة ليتحدث عن أشياء كثيرة دون أن يتعمق شيئا ويركز « حفره » فيه . ولعل هذا – وهو ما أعتقده – من أهم أسباب تأخرنا في الشعر . وهو تأخر غير مسلم به عند الشعراء ، أو بتعبير أدق عند كل شاعر بالنسبة لنفسه :

هذه القصائد القومية – مثلا – تبدأ القصيدة منها – مثلا أيضا – بأبطال اليمن ثم تدعهم لتنتقل الى الاشتراكية والقومية العربية والميثاق والعامل والفلاح ، ثم ترحل الى السد العالي ، وتعود الى بور سعيد ، وتسافر الى دمشق وبغداد .. وقد ترحل الى الجزائر .. كل ذلك بسرعة خاطفة وبقدرة القادرين من « أهل الخطوة » ..

هاتان قصيدتان ، نأتي بهما على سبيل المثال ، ونخصهما بالذكر لانهما يدلان على « خامة » طيبة تحتاج الى قالب جديد .. وصاحباهما جديدان ، أو لعلهما كذلك بالنسبة لي فقط ، فلم أقرأ لهما من قبل ، على أني لا أقرأ لكثير من المعروفين بقول الشعر . وهما على أية حال شابان يرجى منهما . ولهذا أخصهما بهذه « الفرصة » ..

من فوق الأكمة

أحدهما « علي محمد حمد » ألقى قصيدة عنوانها « من فوق الاكمة » ، مطلعها :

وانساب الزورق ... مندفعا
يرتاد جنوب « الشلال »

والزورق متجه الى السد العالي ، والشاعر يصور بعض مناظر الطبيعة في الطريق مع التعبير عن مشاعره ثم يتذكر قريته وقصة والده مع الباشا الاقطاعي .. وهذه لقطة غير متصلة شعوريا بالسد ، كنت أظن أن خاطر القرية سيتضمن أرضا يفيدها السد .

ثم ينتقل الى لقطة أخرى ، الى قناة السويس وملاحم بورسعيد ، ويحاول ان يقنعنا بأن هذا من أبعاد الصورة فيقول ممهدا :

السد العالي ؟.. وانداحت
في نفسي أبعاد الصورة
وبلادي . . . يزخر شاطئها
بكلاب الصيد المسعورة
وقناة .. في شرق الوادي
بأظافر جدي محفورة

لا · ليست هذه ابعاد الصورة ، بل هى صورة اخرى لا يربطها بالسد هى وسابقتها الا مجرد انها من المفاخر القومية ·

وبعد تينك الرحلتين يعود الشاعر الى السد العالى ، الى الموضوع ، فيعطينا تعبيرات شعرية تشهد بالقدرة الموزعة ·· يقول :

ووقفت اطل على المجرى
من فوق رءوس الاكمام
فشهدت المعجزة الكبرى
تتجمد فى الصخر امامى
تبدو كبراعم زنبقة
بزغت من بين الاكمام
والسفح تموج جوانبه
بطلائع شعبى المقدام
ترفض سواعدهم عرقا

يتصبب فى « يوليو » الحامى
عصفت بالصخر اظافرهم
وردت بالطود المترامى
ارسوا للسد قواعده
ليغير مجرى الايام

الفلاح

والشاعر الثانى هو « عطية جمعة هارون » وقصيدته عنوانها « الفلاح » ، وأولها :

صامد للخطوب يقرع بالفأس
وكالفأس ليس يعرف راحة
صنعته الاقدار من حجر صلب
فشققت يداه فى الثغر واحة
جبهة فى الرغام تفترش الطين
وروح قوية طماحة

ويحدثنا باقى القصيدة — على هذا النسق القوى وبتلك الصياغة الممتازة — عن الفلاح ومكافحته للخطوب وصبره وجوعه···الى أن يصل الى الثورة التى أطاحت بالطغيان :

ثورة الشعب ارجعت عزة
الشعب اليه وكرمت فلاحه
كرمته بالعلم والطب والنور فاتى ثماره ونجاحه

والحق أن هذه القصيدة متماسكة من ناحية الموضوع ، فهى ذات وحدة موضوعية،ولكن موضوعها عام يشبه البحث او الموضوع الذى يعالج من نواحيه المختلفة · **وهنا نصل الى نقطة أخرى · هى أن وحدة** الموضوع لا تستتبع وجود التجربة الشعورية ، فقد **تتحقق الاولى ولا توجد الثانية · الفلاح هنا** هو الموضوع العام ، ولكن من اية زاوية فيه يقف الشاعر ليأخذ لقطته ؟

انني أعلم أن ذلك امتداد لتراثنا ، واعنى به الكلام العام الذى لا ينبنى على تجربةشعورية محددة ولكنى اعتقد أن فى شعرنا الحديث نماذج لما ارمى اليه ، وعلى أية حال اين اضافتنا وأين التجديد ؟

اننا اليوم نختلف على الشكل من حيث الوزن والقافية ·· وهل يكون الشعر على وزن البحور المأثورة او على وزنالتفعيلة الواحدة ·· وهل نتمسك بالقافية او ندعها ·· ونقحم فى ذلك الوانا من المذهبية السياسيةحمراء وبنفسجية ·· وندخل فى مصارعات اسبانية لا تنتج غير كثرة المتفرجين !

اما المضمون الشعرى ، وما نعبر عنه ، وكيف نعبر ، فلا يكاد احد يقرب شيئا من ذلك ·· مع ان هذا هو قلبالصورة ، ومايجرى حوله من الكروالفر والاثارة باللون الاحمر ·· انما يتعلق بالاطار ·

ولعل أكثر الوان الشعر — الذى قدم فى المهرجان — قربا من الوحدة الموضوعية والتجربة الشعورية · هو الشعر القصصى ، وموعدنا للنظر فيه الاسبوع القادم ·

فى طريق الضياء

اما العمل الذى فاق كل شىء فى المهرجان فهو قصيدة محمود حسن اسماعيل · عنوان القصيدة « فى طريق الضياء ·· انا والنفس والطريق » ·

تجربة شعورية كبيرة ·· تحكى لناكيف يتسامى الانسان فيصر على بلوغاهدافه العليا البعيدة،مجتازا اشواك الحياة ، ماضيا الى غايته لا يثنيه عنها شىء من مغريات او اوهام او مشقات ·

الشاعر يعرض التجربة فى صور متتابعة يمسك بعضها ببعض فى بناء متكامل له أول يفضى الى آخر ·

انه يمضى الى النور ·· نور الغاية السديدة ·· ويخشى على نفسه أن تتقاعس أو تنحرف عن الجادة فى التواءات ومتاهات · يبدأ قائلا لها :

اتبعيني فى دروبى واحذرى اى هروب
فانا اظما ، وأسقيك من السر الرهيب

وانا اشقا ، واشجيك بمزمارى الغريب
وانا اسرى ، فاهديك الى الشط الرحيب

فاذا آنست اليه واطمأنت الى مايعدها به ، جعل يستحثها ويدنى منها شعاع الأمل .

فانفلتى .. فالسر ان سرت على قيد ذراع
واصرعى الموج ، ولو اقبلت من غير شراع
واركبى الاعصار والاصرار فى وجه القلاع
انما الخائف عند الزحف ، محتوم الضياع

ويحذرها من النكوص قائلا :

ان دعاك العطر ، فامضى .. واتركيه لشذاه
كم سكرنا من أماسيه ، واشجانا ضياه
وزرعنا فيه أحلاما ، طواها من طواه

الى أن يقول من هذا العطر :

وسهرنا مرة فى الفجر .. لم نشرب طلاه
فتوارى عن ليالينا وخانتنا رؤاه

وبعد ذلك يمنيها بعطر آخر :

فاشربى من عطرنا الآتى .. ولو طال لقاه
واتبعينى ... دربنا بالطيب لا يفنى مداه

ويدعوها الى الصفاء :

واذا حياك وجه غلف الزور عيونه
فبدت ليلا على الادغال زارته السكينة
مطمئن الزعر ، مصلوب الهوى فوق السفينة
تزحف البسمة من أوكاره لكل حزينة
فابسمى أنت ، ولا تبقى صفاء تحمليه
واسكبى النور ، يساقيه ، ويمتص دفينه
ويريك النفس فى سحنته ، تعوى سجينة
واتبعينى واتركيه للدجى يشوى جفونه

وقد تلاحظ فى « يشوى جفونه » بعض الشماتة التى لا تتفق مع الصفاء .

ولكننا نمضى معه وهو يدعو نفسه الى التقدم دون ان تلتفت الى ماض سحيق أو ندم معوق :

عازفا : لو كان ! ! يا ليت ! ! على ناى كسير
فهو صياح يهاتى صمته بين القبور

وقد يبدو الصياح والصمت متنافرين . ولكن بالتأمل تراه صياحا لا يستمر بل يتحول الى صمت ميت ..

ويقول لها :

غلقى سمعك عنه ! واسمعى أصداء نورى

و « أصداء النـــور » من تعبيرات محمود حسن اسماعيل المعروفة ، وهى قليلة فى هذه القصيدة ، ولا اعتراض لنا على التعبير .

وتمضى مع الشاعر يحذرنفسه أن تخلد الى الراحة، فاحلامها ذليلة ، كما يحذرها أن تلتفت الى الأمس وما كان فيه من حكايات شقيات :

وزمان احدب الخطوة من عض السلاسل

ولا أظنك محتاجا الى ان أنبهك الى جمال هـــذه الصورة وبلاغة تعبيرها .

وقد ولى الذل والظلم ، وفك القيد ، واندحـــر لفارس « المسجور فى البغى حسامه » :

فجا الله خطاه بضحى عات صدامه
وانتهى .. لا شيء .. الا ما يروى عنه ظلامه
فازحفى .. دربك حر ، اذهل الدنيا ابتسامه

وها نحن أولاء قد وصلنا الى النور

يجرف الظلمة ان مست عصاها طرقاتك
فازحفى .. قد بادت العتمة من كل جهاتك
وركبت الضوء ، معراجا لأغلى امنياتك

رحلة طويلة شاقة ممتعة متفائلة :

فانهلى ما شئت وامشى حرة فوق الفضاء

وهذه المكاسب العظيمة التى حققناها علينـــا ان نحرسها :

فاذا احسست وهما للدجى دب ورائى
انسفى روحك اعصارا يدوى بالفضاء
وانفلى بالنور فى أخفى سراديب الخفاء
واسحقيه قبل أن يسترق الليل حدائى
فتسيرين على الدرب بلا اى عناء
فاصحبينى .. أنت سر النور يجرى فى دمائى

ولا أريد أن أعكر صفوك وتشوقك بهـــذه الصور وتلك التعبيرات الشعرية المجنحة ، ولكن «سيبويه» لا يريد أن يسكت .. انه يقول : كيف يأتى فعـــل الأمر فى جواب اذا دون فاء ؟ انظر الى قوله «انسفى روحك » فى جواب « فاذا احسست وهما » أليس هذا مثل ما كان مكتوبا على مقعد الترام : «اذا أردت النزول اطلب من الكمسارى توقيف القطار» واحتج النحويون على هذا اللحن ، فالحقت الفاء بالفعـــل وصار « فاطلب »

ولكن الضياء لم تستطع أن تقف امام زحفه وساوس النفس .. فهل تضيره فاء .. ؟

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

مع الخلافة والامامة

قد يتساءل متسائل :

ما شأننا اليوم بالخلافة والامامة ، وقد صفتنا أعمالهما من دنيا المسلمين ، ولم يبق من أثرهما شيء تستحقان من أجله الدراسة ؟

ولكن المتسائل سيجد جوابا عن تساؤله ، حين يجد أن هذه الدراسة التي بين أيدينا دراسة مقارنة للحكم والحكومة في الاسلام ، ونحن لا ضير علينا حين نظل ندرس المفاهيم الاسلامية التي دخلت تاريخ الاسلام والمسلمين ، وان لم يبق الا القليل من آثارها .

اننا لازلنا ندرس الفرق الاسلامية السياسية منها والدينية ، وندرس الدولة الاموية ، والدولة العباسية ، والدولة الفاطمية .. الى نهاية الدولة العثمانية ، دون أن يكون لهذا كله وجود في حياتنا الحاضرة ، لان هذه كلها جزء من تاريخنا ، يجب ان يشع على حاضرنا ومستقبلنا ، ونفيد من حسناته وسيئاته على السواء .

ان المؤلف الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، يوضح وجهة نظره في الدافع له الى تأليف هذا الكتاب (الخلافة والامامة) فيقول في مقدمته :

« وأمر الوحدة العربية ، أو الاسلامية ، هو الذي حملنا على هذا البحث الذي أردنا به كشف الطريق الى هذه الوحدة ، وازاحة العقبات التي تعترض طريقها ، وذلك أن أحداثا كثيرة قد عملت على افساد الجو الذي كانت تتنفس فيه مشاعر الامة الاسلامية . وكان من ذلك أن وقع في احساس كثير من أبناء الوطن العربي ، والوطن الاسلامي جفوة لهذه الوحدة وتوجس منها .. وأصبح كثير من هؤلاء وهؤلاء يخشون الحديث فيها ، أو الدعوة لها . »

ولا ينكر المؤلف أن المسلمين حين سقطت آخر خلافة لهم ـ أي الخلافة العثمانية تنفسوا أنفاس الرضا ، واستروحوا ريح الحياة ـ اذ كانوا في ظل هذه الخلافة ـ يعيشون في سجن كبير مطبق عليهم .

ولكنه ينكر أن تكون نفوس المسلمين هذه قد استقامت مع هذا الاحساس واستراحت له ، وطوت ما بينها وبين الخلافة ، وسوت حسابها معها على هذا الوجه . ان ذلك لم يكن ولن يكون ! فما زالت هذه النفوس تتبع الخلافة وتتشمم ريحها وتستعيد ذكرياتها . ان لم يكن ذلك للخلافة العثمانية الجائرة التي هوت ، فهو للخلافة الراشدة التي مضت ولم تمض آثارها الخالدة ، وآياتها البالغة الرائعة .. في الحكم ، والسياسة ، والعدل ، والتي لبس المسلمون من أمجادها ثوب العزة والفخار جيلا بعد جيل .

ويحدد المؤلف غايته من هذه الدراسة ، بأنها محاولة لاصلاح ما فسد من مشاعر الحب والولاء : بين الخلافة الاسلامية وبين المجتمع الاسلامي ، والذي بينهما هو في الواقع جفوة وقطيعة بين المسلمين وبين الاسلام نفسه ، فلقد ألقت الاحداث الأليمة الفاجعة التي وقعت في محيط الخلافة قديما وحديثا ، سحبا كثيفة محملة بالغبار المتراكم الذي أثارته تلك المعارك التي دارت حول الخلافة فكسفت أضواء الاسلام ، وكسرت شعاعاته التي كانت تغمر الآفاق ، وبدا الكثير من الانظار أن الاسلام دين لا يصلح عليه المجتمع الانساني ..

أنا لا أختلف كثيرا مع المؤلف فيما ذهب اليه ، الا انى أستبعد أن تكون الجفوة بين المسلمين والخلافة جفوة وقطيعة بين المسلمين والاسلام نفسه ، لان هذه الجفوة لم تنعكس الا على الحكام الذين أرهقوا كواهل الشعوب المسلمة بشتى وسائل الارهاب ، ولم يغب عن فطنة الكثيرين من المسلمين أن تنكب هؤلاء الحكام طريق الاسلام في أساليب حكمهم الجائر باسم الاسلام نفسه ، انما مهد اليه ضعف المسلمين وتخاذل علماء الدين ، هؤلاء الذين أغروا الطغاة على طغيانهم بسكوتهم تارة ، وبتسخير نصوص الاسلام لهم تارة أخرى .

ان دراسة الاستاذ عبد الكريم الخطيب التي تقع في أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة ، تنقسم قسمين ، تناول في القسم الاول : نشأة المجتمع الانساني وتطوره ، وهو أشبه ـ كما يرى ـ بمقدمة كاشفة لموضوع الخلافة والامامة ، كما تناول في

القسم الآخر المباحث الخالصة لموضوع الخلافة والامامة ، استعرض فيه ، الخلافة والامامة في الاسلام ، والخلاف في الخلافة ، والخلافة والدين ، والخلافة والحياة ، والبيعة ، ثم الحكم والحكومة ، ثم ختم دراسته المسهبة بتذييل عرض فيه رأي الشيعة ومقولاتهم في الامامة ، ومعتقداتهم في الائمة ، واخيرا أنهى دراسته بفصل عن شوقي والخلافة اذ كان له دور كبير في تسجيل الاحداث التي سبقت واعقبت سقوط الخلافة العثمانية .

انني أقصد بهذا العرض السريع لموضوعات الدراسة ان أتبين مدى ارتباط ابحاث الكتاب بموضوعه الذي اختار له .. الخلافة والامامة ديانة وسياسة ، وأراده دراسة مقارنة للحكم والحكومة في الاسلام .

فالمؤلف أولا استهلك في التمهيد لموضوعه الاساسي زهاء مائة صفحة ، وفي هذا — لا شك — بعض الاسراف ، صحيح انه قدم بحثا جيدا عن تاريخ الانسان ومتى بدأ ، واستعرض آراء : أرسطو وابن خلدون ، وول ديورانت وروسو ، وعن الحكم والحكومة ، والملكية والقانون ، واستعرض فلسفة الحكم ومثالية القانون وانحراف الشيوعية ، وصحيح أيضا ان هذا البحث وحده يصلح كتابا مستقلا في موضوعه ، ولكني كنت أود أن يكتفي المؤلف بالقاء أضواء في صفحات لتكون بمثابة مدخل لموضوعه الاساسي : (الخلافة والامامة في الاسلام) **اذ لم يكن قيام الخلافة كنظام للحكم أولا ، يعتمد على أساس من وحدة المسلمين السياسية ، موضع نزاع ، وقد لبثت قرونا تؤدي رسالتها ، وما شابها أحيانا من شوائب ، انما كان مرده ضعف أخلاق الخلفاء انفسهم وسلبية الشعوب المسلمة تجاه انحرافاتهم .**

كنت أود أن يبرز الاستاذ عبد الكريم الخطيب خطوطا واضحة لانحراف الخلافة في أي من عصورها المتتابعة ، ومدى ارتباط هذا الانحراف بالعقبات التي يمكن ان تقف في طريقها الآن لو قدر لها ان تبعث من جديد ، وانا اقصد بالخلافة : نظام حكم يسوس الشعوب المسلمة في ظل وحدة أساسية متكاملة وان يكون هذا النظام تحت أي اسم من الاسماء ، وان تكون الوحدة السياسية تحت أي شكل من الاشكال ، يؤكد وجودها ، وتفاعلها في حياة المسلمين عامة .

وفي القسم الثاني من الكتاب ناقش المؤلف (الحكم والحكومة في الاسلام) في ثمانين صفحة ، ناقش نظرة الاسلام الى الحكومة والحاكم ، ولقب الخليفة وما وراءه ، وماذا يقف في طريق الوحدة الاسلامية ، والدين والدولة معا ، والوحدة العربية والوحدة الاسلامية والعلاقة بينهما ، ورأي كل من الأفغاني والكواكبي في الوحدة الاسلامية ، وغير ذلك ، وكنت أتمنى ان لا يفوت المؤلف تناوله أساليب الحكم القائمة اليوم في بلاد المسلمين ، على ضوء المفاهيم الاسلامية الصحيحة لنظام الحكم ، وفي مقدمة هذه الاساليب : نظام الملك الوراثي وما اليه ..

ولست أدري لم وقف المؤلف عند موقف الشيعة من الخلافة ، وآرائهم في ائمتها ، وهناك الطوائف الاسلامية الاخرى ، كالمعتزلة والخوارج وغيرهما ، وقد كان لها دور ورأي في الخلافة الاسلامية ؟

وبعد :

فانه لا ضير في ان نتناول بالدراسة تاريخنا الاسلامي العريق ، والخلافة الاسلامية — لا شك — جزء من هذا التاريخ ، والذي يجعل المهمة شاقة مضنية في هذا المجال ، هو ان الجانب الذي استهلك بحثا ، معاودة بحثه دون أن نأتي بجديد تكرار لا جدوى منه ، وقتل للوقت — وقت القارىء والكاتب معا — دون فائدة ، والجديد في دراسة الاستاذ الخطيب القيمة ، هو الربط بين الماضي والحاضر ، هذا الحاضر الذي تتجه فيه الانظار الى ضرورة وحدة عربية في ظل الاسلام ، أو وحدة اسلامية شاملة تنضوي العروبة — مهد الاسلام — تحت لوائها .

والشعوب المسلمة والعربية لا اظن أنها تطمع في حكم رمزي أو وحدة شكلية ، وانما تطمع في حكم صالح ووحدة متفاعلة تعيد للاسلام سيرته ، وللعروبة مكانتها ، ولشعوبهما وجودها ..

محمد عبد الله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

أمة من غنم

تأليف : وليم ليدرر

ترجمة : على جمال الدين عزت

يشرح الكتاب الأسس الواهية التي ترتكز عليها سياسة الولايات المتحدة الامريكية ـ كاساس ـ لعلاقاتها ومعاملاتها الخارجية .. وذلك نتيجة لأن معظم المعلومات التي تعتبر سرية بل ـ وحتى استراتيجية ـ تكون غير صحيحة ومهوشة .. ولا تمثل الواقع في شيء ـ ومن ثم اصبحت سياسة الولايات المتحدة تجاه كثير من الدول ـ والشعوب ـ متسمة بنوع من الجمود الذي قد يصل احيانا الى حد العداء .. ويبين المؤلف الى اى حد اصبحت المعونة الامريكية لمعظم دول العالم ـ تستخدم كسلاح ضد شعوب هذه الدول وتطلعاتها الى الحرية والتقدم .. فيقول في ص ٨٥ :

« في هذه الحقبة من حقب التاريخ التي ينطلق فيها الناس ـ منادين بالحرية في البلاد التي يطلق عليها اسم البلاد المتخلفة (في فترة تتميز بالثورة ضد الاستبداد لم يسبق لها مثيل منذ القرن الثامن عشر) تؤكد لنا حكومتنا ان سياسة تأييدنا للأقليات المستبدة في فيتنام الجنوبية ، ولاوس ، وفرموزا وجواتيمالا ، والاردن ، وايران ، ونيكاراجوا تعد سياسة بناءة ناجحة .. ومع ذلك ، تجد ان بوادر ثورة عارمة قد ظهرت في كل من هذه البلاد ، وفي كل منها لا تقف الا الولايات المتحدة حائلا بين الشعب وبين الاطاحة بعهد استبدادي فاسد .

وأوضح الكتاب مشكلة لاوس ـ التي أوجدتها السياسة الامريكية فلاوس التي يبلغ تعدادها حوالى ٥٠٠ر٥٠٠ر١ نسمة . معظمهم يعانون من الامراض ومبعثرون في قرى صغيرة متباعدة ـ ونسبة كبيرة منهم لا يعرفون اسم ملكهم او اسم الامة التي ينتمون اليها ـ وخمسة وتسعون في المائة من هؤلاء السكان لم يروا أو يستمعوا الى المذياع .. الخ .. فهي بلد المستنقعات والادغال والجبال ـ وشعبها جاهل معتل ـ قدمت الولايات المتحدة الى لاوس ٢٣٥ مليون دولار خلال خمس سنوات ـ وسلمت معظم هذه المبالغ نقدا واختفت عن انظار الشعب بطريقة غامضة ـ لم يستفد منها مواطنو لاوس وانما تحولت الى عربات فارهة ومطاعم فخمة ـ وفيلات على احدث النظم للمقربين من السفارة الامريكية هناك ـ وبعضها اختلسه الموظفون الامريكيون المشرفون على هذه المعونة .. ولكي تستمر هذه المعونة ـ يختلق المستفيدون منها معارك وهمية مع الشيوعيين ... وهي معارك تفبرك خصيصا ـ لسد حاجة الصحف الامريكية ـ من المانشتات والعناوين الضخمة .

ولا يختلف الوضع في فرموزا عنه في لاوس ـ فما زال شان كاى شيك يحلم باستعادة الصين ـ في الوقت الذي يبغضه فيه أهل فرموزا أنفسهم فهم ساخطون على حكمه ويودون القضاء عليه ـ لولا المعونة الامريكية التي تؤدي دورها في تدعيم حكمه المنهار ـ في فرموزا ـ والاكثر من ذلك ـ أن شان كاى شيك قد خبر الامريكيين كثيرا ويعرف كيف يأخذ منهم ما يريد .. عندما يطنطن بالغزو الشيوعي المرتقب ـ في الوقت الذي يحتل فيه جزيرتي ماتسو وكيموي ـ اللتين تبعدان عن فرموزا اكثر من مائة ميل ولا تبعدان عن الصين الشعبية اكثر من ثلاثة أميال .. واحتلال هاتين الجزيرتين ليس للدفاع عن فورموزا ـ وانما هو فقط (لتسخين) الجو ـ ببضع طلقات من المدافع ـ عند طلب معونة جديدة ..

ويشرح المؤلف كذلك سياسة الولايات المتحدة في كوريا الجنوبية موضحا ان معونة الولايات المتحدة

كانت تدعم حكم سنجمان رى المستبد الظالم ـ ضد الشـعب الكورى الذى يريد التخلص منه . ولكن ما الحيلة ـ والولايات الأمريكية تسـانده .. ؟
وعندما سقط حكمه ـ وجهت الولايات المتحدة له اللوم ولكن لماذا تأخر هـذا اللوم الى ان اسقط سينجمان رى .

ويقول المؤلف معلقا على سياسة بلاده الخارجية ص ١٠١ :

« وعلى هذا فنحن نقوم بتصريف شئون علاقاتنا الخارجية على اساس حقائق يشتبه فى صحتها .. ان مثلنا مثل فريق واهن ارسل للاشتراك فى المباراة الدولية ، فلا غرو أن كثيرا من زعمائنا أصبحوا من الجبن بحيث لا يجرءون على اتخاذ قرارات صعبة . ولا غـرو انهم يسوفون الامور ، ويبـدو عليهم انهم يأملون فى ان تصل بنا السمعة الطيبة التى تتمتع بها امريكا الى بر السلام بطريقة من الطرق ـ ذلك انهم لايملكون معلومات دقيقة يبنون عليها قراراتهم ـ وكل ما لديهم على الاكثر هى الاشـاعات البالية ، والانباء القائمة على الحدس والتخمين والدعاية التى بينها هواة يجهلون الحقائق ..

وعقد المؤلف فصلا خاصا بأثر الدعاية فى الولايات المتحدة ـ أوضح فيه ان اللجان المشكلة فى الكونجرس الامريكى ـ لا تجرى تحقيقا او تبحث موضوعا الا وتحاول احتلال ونهب العناوين الرئيسية فى الصحف بغض النظـر عما اذا كانت هـذه الدعاية لصـالح ما تبحثه أو لا .. وعلى هـذا فالتحقيقـات كثيرا ما تكون استعراضات جذابة يقوم بها الكونجـرس لاثارة اهتمام الشعب ـ وهى وسيلة لتشكيل الرأى العـام الوطنى أو اضـفاء الشـهرة على القـائمين بالتحقيق .:

وبعد ، أن اقترح المؤلف بعض المقترحات المحددة لاصلاح ما قـد من الامور منوها بضرورة اظهـار الحقائق مهما كانت مرة واليمة أمام الشعب الامريكى بدلا من تركه جاهلا بالامور .

اختتم كتابه قائلا ص ١٨١ :

« اننا نتصرف كافة من الاغنام ـ لا كمجتمع قوى ذى بأس قوامه من الأمريكيين الشجعان المتعلمين ... »

أفريقية
والتكتلات الرأسمالية الاوربية
تأليف : وهبى غبريال

يحتوى الكتاب على دراسة للتكتلات الاقتصادية الاوربية ـ قديما وحديثا مشيرا بذلك الى التكتل الذى كان قائما بين الولايات الالمانية قبل وحـدة ألمانيا .. وتكتل المستعمرات الانجليزية مع الدولة الام ـ والتى عرفت باسـم سياسـة التفضيـل الامبراطورى ـ وكذلك تكتل فرنسا ومستعمراتهـا وغير ذلك من التكتلات الاخرى . ولما أصبحت هـذه التكتلات غير مقبولة فى الوقت الحاضر ـ لانها كانت قائمة على ربط المسـتعمرات بالدول المسـتعمرة واستغلالها واحتكار مواردها الطبيعية لصالح تقدمها القومى .. **وخاصة بعد استقلال معظم المستعمرات ـ لجأت الدول الاوربية الى مفهوم جديد ـ لايعنى سوى تغيير الشكل دون المضمون الاستغلال الاحتكارى ـ لكى يبدو فى ظاهره تحقيقا للمزايا الاقتصادية التى تتلخص فى التكامل الاقتصادى والتخصص وتقسيم العمل وجنى مزاياه ، وكلها تهدف فى النهـاية الى مزيد من الرفاهية الاقتصادية فى حين انها تمثل خطرا حقيقيا على الدول النامية التى لايتعـادل نموهـا الاقتصادى مع الدول الاوربية .**

ومن ثم أصبحت هذه الدول ـ وخاصة مجموعـة دول برازفيل ـ المنضمة الى السوق الاوربية المشتركة مصدرا رخيصا للمواد الخام وسوقا رائجة لتصريف المنتجات الاوربية وعلى الرغم من حصول هذه الدول على استقلالها السياسى الا أنها فى الواقع ما زالت مستعمرات اقتصادية للاحتكاريين المسيطرين عـلى السوق الاوربية المشتركة .

وأورد المؤلف أسس الخلاف القائم بين كتلتى السوق الاوربية المشتركة بزعامة فرنسا ، ومنطقة التجارة الحرة بزعامة انجلترا . **ثم أوضح أن السوق الافريقية المشـتركة هى البـديل الوحيـد للارتبـاط بهذه الاسواق الاحتكارية ، وذلك تدعيما للاقتصاد الافريقى ، ودوله ـ كدول نامية ـ مما يساعد عـلى تقدمها ونموها وتأكيد استقلالها وازدهار شعوبها ورفاهيتها .**

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

حول الادب الاشتراكي

اوضح استاذنا الكبير الزيات على صفحات الرسالة تحت عنوان « متى يكون ادبنا اشتراكيا » كيف تطور الادب العربي وكيف كان يتقلب مع تقلبات احداث عصره واحوال مجتمعه .. فعرف (العصبية والحزبية وخدم الارستقراطية والديموقراطية وقبل الصوفية والابيقورية ووصف الوطنية والقومية) وابان أن الأدباء في هذه العصور ما هم الا ابواق تضخم الصوت ومرايا تعكس الصورة وظلالا تتبع الشبح ..ثم بين كيف ان ادبنا وقف حيال الاشتراكية وقفة الهائب الخاشع على اعتابها .. ثم قال استاذنا :

« ان ادبنا اذا ما اتجه الى تثبيت الاشتراكية فى النفوس والسلوك بالتبصير عن خصائصها الواقعية ومظاهرها الاجتماعية وسماتها الخلقية فعبر عن حاضرها الواعد وبشر بمستقبلها السعيد كان حريا ان يسمى ادبا اشتراكيا يفتح له تاريخ الادب فى سجله الخالد بابا مستقلا بكسره على ماكنا عليه وما صرنا اليه .. والا ظل كما كان اصداء متجاوبة لاصوات متقاربة ينبعث بعضها من خلال القرون ويصدر بعضها من وراء بعض الظنون وفقدنا الطابع الذى يميز نظاما من نظام ويفرق بين عهد وعهد » .

الواقع يفرض على ادبنا ان يتجه هذا الاتجاه نحو الاشتراكية وان يعمل جاهدا على تثبيت قيمها فى نفوس الجمهور ..

ولكن ... اليس مما يدعو الى العجب .. ان واقع حياتنا يفرض على ادبنا ان يتجه هذا الاتجاه وان يعلن ذلك استاذ كبير عرفه العالم العربى بسداد رايه وصواب حكمته .. مثلكم .. فى مجلة جادة هادفة .. مثل .. الرسالة ..

ثم نجد فى نفس اليوم الذى صدر فيه المقال كاتبا له جهود فى عالم القصة والشعر يكتب فى العدد الاسبوعى من جريدة الجمهورية بعد ان دحض ما اسموه فى الغرب بنظرية « الفن للفن » وبين اننا لسنا فى حاجة الى مثل هذا الادب المزخرف .. يقول هذا الاستاذ — مع احترامى لشخصه « ونحن هنا فى الشرق العربى لانحتاج الى الأدب الزخرفى — ادب الفن للفن طبعا — الذى لايستهدف غير التشويق والامتاع .. ولكننا اشد ماتكون حاجة الى الادب الذى يكشف لنا عن العيوب المتخلفة فى بعض النفوس من الماضي البغيض ويصور مدى فساد تلك العيوب وعرقلتها لنهضتنا الحديثة » .

اليس هذا عجيبا ان يصدر من استاذ مثل عبد الرحمن الخميسي .. ؟

واى عيوب هذه التى ذكرها .. ؟

الماضي البغيض وما كان يحمل لحياتنا من منغصات ومواجع قد اصبح فى خبر كان منذ ان اشرقت فى سماء بلادنا ثورة ٢٣ يوليو ..

واليوم .. ونحن نبنى بلدنا .. ونعيد مجدنا .. ياموقف الادب هنا .. ؟

ايذكر شيئا قد مضي ... ؟

واذا ذكره .. فالى متى سنظل نذكر العيوب ونطالب بالحلول وقد انقضت هذه الفترة واخذت من الادب حقها .. والا .. فلماذا كتب نجيب محفوظ . ثلاثيته .. وتوفيق الحكيم عودة الروح .. ويوسف السباعى ارض النفاق والدكتور طه حسين المعذبون فى الارض ومحمد فريد .. ابى الفوارس ... وغير هؤلاء .. ؟ الم يكف الادب كل هذه المؤلفات فى كشف العيوب وابقة المساوىء .. و .. و .. ؟

ان حياتنا بعد الثورة..فيها للاديب من المواضيع الكثيرة ...

بناء السد العالى .. الوادى الجديد .. الاتحاد الاشتراكى .. هجرة اهالى النوبة .. الميثاق .. قوانين يوليو الاشتراكية .. مساندة جيشنا للثورات العربية .. وما الى ذلك من موضوعات تستحق أن نوليها من العناية اكثر مما نولى عهدا بغيضا على نفوسنا قد مضى .. ومضت معه كل مصائبه .

مصطفى السيد الجبرينى
مدرس بالاسماعيلية

التجنى على عرابى

جاء فى البريد الأدبى للعدد (١٠٣٥) او العدد ١٧ من الرسالة العائدة تعقيب من الاستاذ عبدالعزيز عبد ربه على مقال السيد / محمد عثمان حول قصيدة (صفاء) للشاعر احمد شوقى وقد علل الاستاذ احمد عثمان بأن قول شوقى لهذه القصيدة وغيرها ليس بباعث من نفس شوقى بل ارضاء لولى نعمته ، ولكن السيد عبد العزيز لم يرضه هذا القول بل قال بأن الباعث على قول شوقى هذا الشعر هو (خضوع واستسلام الزعيم احمد عرابى لأولى الامر من المستعمرين ويكفى للدلالة على هذا بأن عرابى قد جثا تحت اقدام القائد الانجليزى بعد انهزامه فى معركة التل الكبير) الى هنا نقف قليلا لنناقش الأخ عبد العزيز من اين اتى بهذا الكشف العظيم وهو ان عرابى جثا تحت اقدام القائد الانجليزى ؟ هل من مرجع عربى ام اجنبى ؟ ومن اين عرفت بأن عرابى كان مستسلما للمستعمرين او اولى الامر ؟ اليس هو القائل للخديوى صاحب السلطة الفعلية فى البلاد (لسنا عبيدا ولا نورث بعد اليوم) ؟

كما أن هناك نقطة اخرى قد اثرتها يا سيد عبد العزيز ، فقد قلت ان الزعيم مصطفى كامل قال كلمة فى الهجوم على عرابى نشرت باللواء وقلت هل كان الزعيم يكتب لارضاء ولى نعمته ؟ ومن ولى نعمته ؟ وهنا اقول له نعم كان يكتب ارضاء لعباس وتمشيا مع سياسة حزبه الذى استعان بعباس ونفوذه وماله . الم يوقع اتفاق سرى بين الخديوى ومصطفى كامل فى اخريات ايام المقاومة التى اثارها فى وجه الاحتلال على أن يعملا على تخليص البلاد من الاحتلال ؟! . هل بعد ذلك تستبعد ان ينشر مصطفى كامل او غيره هجوما على عرابى حتى يكسب ود الخديو عباس وماله ونفوذه لمصلحته ومصلحة حزبه ؟ هل اقتنعت يا سيد عبد العزيز ؟.

محمد ابو الوفا محمد

عبادة الجسد فى الاغنية العربية

لا ادرى باى عقل يفكر هؤلاء الذين يقومون على امر اغنيتنا العربية فى حاضرنا الاشتراكى — فالى جانب التشنجات الجنسية والنبرات الهابطة الصريحة والتخنث فى الأداء الذى ينهجه مجموعة معروفة من المطربين ... الى جانب هذا وغيره .. يروعنى ما اراه من اتجاه الاغنية عموما الى عبادة الجسد والتغنى به دون اعارة قيمة الحياة الصاعدة ونواحى الجمال الروحية اية اهمية ولست ابالغ ان قلت ... ان من الصعب العثور على اية اغنية عاطفية من بين آلاف اغنيات هذا الصنف تمجد فى الحبيب المسكين انسانيته او كريم خلقه او عصاميته وكل ما يهم الأغنية العاطفية من الحبيب « رمش عينه — ابو عيون كحيلة — وعيون واسعين — حلوين طعمين باين عليهم مكارين — حبيبى الاسمر خدود وردية » الى آخر السيل الهابط من الصفحات الزائلة الخادعة التى تجندها اغنياتنا وتجعلها كل اهدافها ...

وانا الآن اتساءل — الى متى — يظل هكذا وضع الاغنية العربية هابطا ارضيا بعيدا كل البعد عن سمو الفن وجمال الروح ؟ والى متى تذيع بين الناس هذه المقاييس التافهة التى ينفر منها الحب الصادق كما ينفر الايمان من الكفر والجمال من القبح ان الامر جد خطير ، وان بدا للبعض تافها لاخطر منه ، فتغلب الجسد على الروح يخرج الحب عن مفهومه الحقيقى ، ويخرج الفن عن دائرة السمو التى عرف بها — ويعود بالانسان القهقرى الى عصر التاريخ الطبيعى الحيوانى الغابر !!

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

قصة العدد

القط ...

بقلم : عدلى نور

جمعتني وسعيد قاعة الدرس بالجامعة عندما جاء كل منا من بلدته الى القاهرة فى طلب العلم ، وكنا غريبين عن العاصمة ، فألفت بيننا وحشة الاغتراب واتفاق الهدف والغاية ...

كان سعيد يسكن بيتا بالمنيرة استأجره له ابوه عمدة احدى قرى الوجه القبلي ليقيم فيه طوال مدة دراسته ، وكنت اسكن وحيدا غرفة ضيقة متواضعة يتناسب اجرها والمورد المحدود الذى كان يصلنى من اسرتى اول كل شهر ومالبثنا ان قامت بيننا صداقة قوية متينة كانت حديث الزملاء جميعا، فكنت وسعيد لا نكاد نفترق نهارا او ليلا الا عند ما ينصرف كل منا الى مسكنه لينام ...

ولم تكن صداقتنا وحدها موضع حديث الزملاء وتعليقاتهم ، بل كان يثير فكاهاتهم و « قفشاتهم » دائما الفارق الكبير بيننا فى الحجم والخلقة ، فبينما كنت انا ممتلىء الجسم ، طويل القامة مستدير الوجه ، واسع العينين ، كان سعيد نحيفا ، قصير القامة ، ضامر الوجه ، ضيق العينين ... وكان وجهى شبيها بوجه القط أو هكذا كانوا يقولون ، فاطلق على الزملاء الخبثاء اسم القط ولم يجدوا ما يشبهون به صديقى سعيد سوى الفار فلقبوه بالفار ، وراحوا يتندرون بتلك الصداقة العجيبة التى قامت بين قط وفار ... !!

ولم البث يوم ان جاءنى سعيد ليقول : « كيف تقيم فى غرفة ضيقة لاتكاد تسعك بينما يتسع على مسكنى الرحب بغرفه الكثيرة العدد ، فماذا عليك لو شاركتنى بيتى وشغلت احدى غرفه ؟ » وقد كان ، فانتقلت لاعيش مع سعيد ... وكان سعيد – والحق يقال – مثالا للصديق الوفى الكريم ، فكم كان يسعى جهده – دون أن يشعرنى – ليخفف من كاهلى بعض تبعات العيش مما كنت انوء بحمله يوم ان كنت اعيش وحدى ...

وطابت لنا الحياة ، وسار عيشنا رغدا لا تعترضنا عقبة لتحول بيننا وبين تحقيق الغاية التى اجتمعنا من اجلها ، فسهرنا الليالى فى طلب العلم ، وركزنا جهدنا فى الدرس والتحصيل ... حتى ظهرت فى الافق سناء ... ابنة الجيران .. وكانت سناء حسناء فى التاسعة عشرة من عمرها يجتذب الناظر اليها وجهها البرىء الشبيه بوجوه الاطفال ، وبالفعل كانت سناء طفلة كبيرة ، لها ما للاطفال ... سذاجة .. ووداعة ... ونشأ بيننا اعجاب متبادل ، ولم نلبث أن الف بين قلبينا الحب الطاهر الشريف ، وكانت أسرتها ذات حرص وتقاليد ، فلم يمن الدهر علينا بلقاء سوى لدقائق معدودات ، اختلسناها فى غفلة من الزمان ، دقائق اودعناها كل ما يعتور الشباب من آمال حلوة وأحلام ، وتعاهدت وإياها أن اكون لها وتكون لى ، ووعدتها ان اتقدم لخطبتها من ذويها بعد تخرجى وحصولى على عمل يكفل لنا العيش ... لم اخبر سعيدا بحبى لسناء ... لست ادرى إلى الآن لماذا اخفيت عنه ما كان بينى وبينها .

وكنا نستعد لتأدية امتحان الليسانس عندما جاءنا الخبر بوفاة والد سعيد ، وقطع سعيد دراسته ، وسافر الى بلده .. وبعد انقضاء مراسم الحداد لم يعد سعيد الى القاهرة ، فبقى فى البلدة يشرف على ارضه ويرعى اخوته الصغار واجتزت امتحان الليسانس بنجاح ، ورحت ابحث عن عمل، ومضت الشهور سراعا دون أن اوفق... كان العمل بالنسبة لى من اعز امانى ، واعذب آمالى ، اذ كان معناه الفوز بسناء ... واخيرا جاءتنى البشرى فى صورة خطاب يقضى بتعيينى مدرسا باحدى المدارس الثانوية بمدينة بالوجه البحرى ...

واسرعت أزف الخبر الى من تفرح له فرحى به ... اسرعت بتسطير رقعة صغيرة بعثت بها الى سناء مع رسول أمين اطمئنها بقرب بلوغ الغاية وتحقيق الامل العزيز الذى بتنا نرقبه طويلا ... ثم عكفت على امتعتى احزمها واعدها استعدادا للرحيل الى مقر عملى الجديد ... وفى يوم سفرى سمعت طرقا على باب منزلى الذى كنت قد انتقلت اليه عقب سفر سعيد واقامته بالقرية ... فاذا بالطارق سعيد ... وكانت مفاجأة ، فهللت للقائه

وتعانقنا طويلا وجلسنا نستعيد الماضي ونذكر تلك الايام السعيدة الحلوة التى قضيناها معا وابتسم سعيد فى اشراقه ليقول « ألا تبارك لى يا صديقى القط ؟ » ، قلت « مبارك ما الخبر ؟! » قال « لقد خطبت » وقمت لاعانقه مرة أخرى وانا أبعث اليه بتهنئة من اعماق قلبى وسألته فى لهفة « ترى من تكون الخطيبة السعيدة » وابتسم سعيد مرة أخرى وهو يقول « انت تعرفها .. نعم تعرفها جيدا .. الا تذكر سناء الفتاة التى كانت تسكن أمامنا فى المنزل الذى عشنا فيه سويا بالمنيرة ؟ » وأحسست بخنجر حاد يمزق أضلعى ... ورحت احملق فيه بذهول ولا أتكلم ، لم يكن لدى ما اقوله له ... وانطلق سعيد فى حماسة يقول « كنت أرقبها خفية طوال المدة التى كنا نجاورها فيها فأعجبت بهـا وبخلقها وعندما جاء الوقت المناسب قدمت من البلدة وتقدمت اليها ، وتمت الخطوبة بالامس والحمد لله » وضحك عاليا وهو ينظر الى وجهى الشاحب ولا يدرى ما كان يعتمل فى نفسى فى تلك اللحظة ولم يلبث أن صاح بى « مابالك تصمت هكذا أيها القط ترى هل أحسنت الاختيار ؟! » ودون احساس وبلا شعور اجبته بصوت مبحوح من قلب مجروح «مبروك» واسرعت بالسفر الى عملى وأخذت على نفسى العهد أن انسى كل شىء .

ومضت سنتان نقلت بعدهما الى القاهرة ، وكنت قد نسيت سناء تماما .. ولم يبق من ذكراها عندى غير اشباح باهتة كانت هى الاخرى فى طريقها الى الزوال ... عندما التقيت بهما ذات يوم فى الطريق ... سعيد ... وسناء ... حاولت ان اقفز الى الجانب الآخر من الطريق لاجنب نفسى ذلك اللقاء المفاجىء .. ولكن سعيدا كان اسرع منى فامسك بذراعى فى قوة وهو يصيح معاتبا « ايها القط العاق اهكذا يكون الوفاء لصديقك الفار ؟!!! » وتصافحنا فى حرارة .. ثم قدمنى الى زوجته ... نعم قدمنى الى سناء ... وأصر فى النهاية على أن أصحبهما لتناول الغداء معهما فى المسكن الذى استاجراه بالقاهرة ليقضيا فيه بعض فترات من العام ... فاعتذرت على الفور ، ولكن سعيدا استمسك بدعوته ، وحاولت الفكاك فالحف فى الطلب وصمم فلم يسعنى فى النهاية سوى التسليم ... ورافقتهما وكل عضلة فى جسدى ترتجف .. وتغدينا سويا وكنت احرص طوال الوقت الذى أمضيته معهما على الا أخص سناء بحديث او انظر الى وجهها ، لشد ما كنت اخشاه ان يمس ذلك اللقاء المفاجىء الجرح القديم الذى اندمل ... ذلك الجرح الذى خلفه لى أمل ضاع الى الابد .. وحلم تبدد الى غير عودة ...

وفى اثناء تناولنا للطعام ... اقبل قط جميل يموء فاخذ سعيد يمسح بيده على ظهره ويطعمه بيده ثم التفت الى ليقول « انه قط سناء الذى تحبه كثيرا واحبه انا لانه يشبهك كثيرا أيها القط وضحك عاليا وضحكنا معه ..

وبعد الغداء ، جلس سعيد يحدثنى عن الهناء والسعادة اللذين يظللان حياتهما وعن مقدار محبة سناء له وتفانيها فى الاخلاص والوفاء وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه وهو يعود بى الى الماضى ... الى حى المنيرة حيث كنا نسكن ، وكيف كان يهوى سناء فى صمت ، وكيف ان حبه لها لم تخمد جذوته بعد أن تزوج منها وفجاة ، فارقت الابتسامة شفتيه ، وشحب وجهه ، واطرق الى الارض برهة ليقول لى فى صوت هامس مضطرب أقرب الى الحشرجة .. ليس هنـاك غير شىء واحد شىء واحد فقط يعكر صفو هنائى وسعادتى ، وانك لصديقى الوفى فلن أخفى عنك أمره ... انه حلم يا صديقى .. حلم مخيف يتراءى لى اكثر الليالى فى نومى .. حلم واحد لا يتغير ولا يتبدل فى صورته ، فأرى نفسى جالسا وسناء فى روش نضير وارف الظلال ، أنظر اليها وتنظر الى والسعادة تغمرنا ، وعندما امدد يدى لامسك بيدها يظهر بيننا فجاة قط كبير يرمقنى بنظرات حادة فيها حزن وعتاب فيحول بينى وبين سناء ، واهب من نومى فى فزع لاقضى بقية الليل فى فراشى ارتجف ولا يغمض لى جفن حتى الصباح » .. وانبعثت من اعماقه زفرة حارة ، اودعها سعيد كل شجونه وهو يسألنى فى مرارة « هذا هو الحلم يا صديقى ... ألا تعرف لى علاجا ؟! ألا تعلم لى دواء »

وهونت الامر عليه وتركتهما مضمرا الاختفاء عنهما ولكن سعيدا اكتشف مكانى ، فجاءنى بعد أيام يدعونى الى زيارته مرة اخرى بمناسبة اعتزامه وسناء العودة الى البلدة فى اليوم التالى ، ولكننى اعتذرت فى قوة ورفضت ، فاستمسك سعيد واقسم أن أصحبه الى بيته لأتغدى معه ، ولاحظت

شحوب وجهه فى ذلك اليوم وشدة اضطرابه .. فذهبت معه ... ودعانى للمائدة ، فجلسنا فى صمت أنا وهو .. وسناء نتناول الغداء ..

واقبل قط سناء كعادته يموء فمسح سعيد فى رفق على ظهره ، والقى اليه بقطعة لحم التهمها القط فى لمح البصر ، ثم عاد ليموء فرمى اليه بقطعة أخرى ... واقبل القط مرة ثالثة فابعده سعيد بيده ، ولكن القط عاد ليموء ويتشبث بالمنضدة فى عناد واصرار فدفعه سعيد فى قسوة وقد تجهم وجهه فكشر القط عن انيابه مستنكرا وهو المحبوب المدلل الذى لم يلق من قبل مثل تلك القسوة ، وراح يحدق فى وجه سعيد بنظرات مستطلعة كأنها العتاب ... وانتفض سعيد فى مقعده وقد جحظت عيناه وراح يصيح كالمجنون صيحات رهيبة ارتجفنا لها وهو يردد « هو ... هو ... هو !! » ، وفى لمح البصر قبض سعيد على سكين حاد كانت امامه ، طعن بها القط فى عنقه طعنة قاتلة ، سقط القط على اثرها يتخبط فى دمه وهو يصرخ فى الم صرخات عالية والدم يتفجر من عنقه ويلطخ أرض الحجرة ... وفزعنا للجريمة المروعة واستولى على ذهول عقد لسانى عن الكلام ، ولم تلبث سناء ان صرخت فى فزع وهول وانكبت على القط المسكين تحتضنه وتصيح بى ان افعل شيئا من اجله ... اما سعيد فكان يجلس مكانه واجما مطرقا الى الارض كأنه لم يقترف شيئا .. وأمسكت بالقط ، وكانت الحياة لم تفارق جسده بعد ، وانفاسه تتوالى فى عجلة ،هو يلهث فى اعياء ... واشارت على سناء أن انطلق به الى طبيب بيطرى يسكن نفس البناء ...

وحملت القط الى الطبيب الذى بذل جهدا كبيرا لانقاذ حياة الحيوان البرىء ... وبعد لحظات جاءت سناء الى عيادة الطبيب تسأل عن القط فطمانتها بزوال الخطر وتنفست بارتياح ... وسالتها بدورى عن سعيد فاجابت « انه بخير وقد سال عنك بعد خروجك بالقط » ثم صمتت ولم احاول أن أتحدث اليها بعد ذلك حتى قالت فجأة فى صوت هامس مضطرب « لشد ما انا آسفة يا سيدى اذ تحملت من اجلنا كل هذا العناء بلا مبرر ... ولكنك لو عملت بالحالات العصبيةالتى كثيرا ما تعترى سعيد لصفحت ... ان كل هذا مرجعه احلام مضطربة ثقيلة تعاوده فى نومه « قلت » نعم فقد اخبرنى سعيد عنها « واطرقت سناء الى الارض قليلا لتقول » أتعرف السبب فى هذه الاحلام يا سيدى ؟!! انتى اعرفها ... فقد بدات منذ ان وقعت عينا سعيد على رسالتك التى كنت قد بعثت بها الى عند تعيينك مدرسا ، تلك الرسالة التى احتفظت بها عفوا بعد زواجى فوجدها سعيد يوما بين حوائجى » واجفلت ، ورحت احملق فيها بذهول وانا ارتجف واسالها « وهل سعيد ... » وقاطعتنى بقولها « ان سعيدا قد علم بما كان بيننا ... ولم يكن بيننا ما يشين يا سيدى ولهذا فقد صارحته بالامر حتى لا تأخذه بى أو بك ريبة بعد أن قرا رسالتك » .

اذا لقد كان سعيد يعلم كل شيء ولما يتحدث الى فى الامر ... ماأعجب هذا الرجل ، وأردفت سناء « ومنذ ذلك اليوم وهو يحاول طاقته ان يخفى المه وحزنه اذ سبقك دون علم منه ـ وانت صديقه الوفى ـ الى ما يعتقد انه كان من حقك انت ... ومنذ ذلك اليوم ايضا يتردد عليه حلمه المزعج .. انا وهو .. والقط .. افهمت الآن اذا لماذا طعن سعيد القط دون وعى منه عندما كشر له عن أنيابه ؟!! .. قلت نعم « فهمت الآن لماذا طعن سعيد القط »

واقبل سعيد بعد قليل بدوره ليعتذر ، فهززت رأسى لأقول له مطمئنا « لا محل لاعتذارك يا صديقى ... طب نفسا فلن يعاودك بعد الآن حلمك المزعج ، فالقط سيختفى من طريقك الى الابد فتمتع بروضتك ، وانعم بسعادتك ... » وتصافحنا فى حرارة وقد فهم كل منا الآخر تماما

اما القط ، فقد كتبت له الحياة ، واخذته بعد أيام من عند الطبيب ليعيش معى فى بيتى فى هدوء وسلام .. وكما جلست الى الطعام ، يقبل قط سناء ويموء فاطعمه معى مما آكل ، وامسح بيدى على ظهره فتتلمس انامل تلك الندوب التى خلفها الجرح الغائر فى عنقه والتى لم تشف بعد تماما ..

لقد اندمل جرح قلبى منذ أمد بعيد ... فمتى يندمل جرح القط ؟!!

عدلى نور


الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

العدد ١٠٤٠ - الخميس ٣ شعبان ١٣٨٣ هـ - ١٩ ديسمبر ١٩٦٣ م . السنة الحادية والعشرون

الفهرس

أنواع الشعر الثلاثة
ما ذهب منها وما بقى

بقلم : أحمد حسن الزيات

بدأ الشعر غنائيا في كل أمة تهيأت له . بحكم الفطرة وفعل الاقليم . والمراد **بالشعر الغنائى** ما يقوله الشاعر تعبيرا عن خوالج نفسه وتصويرا لمدارك حسه وتسجيلا لخواطر ذهنه ، **كالغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى** مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل في شأن غيره .

أما نسبته الى الغناء فلأنه كان في الدهر الأول ينشد على القيثار في المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا في النفس . وكان الكهان كما قلت في كلمة سابقة يتخيرون **لأناشيدهم اللفظ المصون العذب** ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذى يرفع الى السماء اسمى واجل من الكلام الذى يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من **المعابد الى القصور** ، ومن **مدح الآلهة الى مدح الملوك** ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وانشاده الموقع ؛ فظلوا ينشدونه في المحافل والمجامع بلحون تختلف باختلاف البحور ، وتتفاوت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا **الأعشى** صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن انشاده . واستمر ذلك دأبهم بعد الجاهلية ؛ فكان الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدى الخليفة

او الأمير ، فاذا لم يكن حسن الانشاد اقتنى غلاما رخيم الصوت ليقوم عنه به .. وقد قالوا ان **الرشيد** كان يطرب للانشاد أكثر مما كان يطرب **للغناء** .

ونشأة الشعر في المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعر كل أمة ، ولا يزال **الاوربيون يقولون كما كان يقول الاغريق والرومان والعرب : أنشد الشاعر شعره أو غناه ، ولا يقولون : القاه أو أداه** .

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر الى المدينة وخرج الشاعر من دنياه الى دنيا الناس . وكانت الآلهة قد صنعت **الخوارق** ، والأبطال قد أتوا **بالمعجزات** . فنسجت حولهم الأساطير واستفاضت عنهم الأحاديث وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل . فجاء الشعراء **فنظموا هذه الوقائع ملاحم** ، وانشدوها الشعب ليذكروه بأمجاد قومه ، ويثقفوه بسير أبطاله ، **وهذا هو الشعر القصصي** .

ومنه في تاريخ الأدب العالمي ، **الالياذة لليونان ، والاينياد للرومان ، وما هابهارات للهند ، والشاهنامه للفرس ، وسيرة بني هلال للعرب ، والملهاة الالهية للطليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهنرياد للفرنسيين** .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من **الخيال الى الواقع ، ومن الكلام الى الحركة ، ومن المدينة الى المسرح** ، وكان الفكر الانساني قد نضج ، والأثر الفلسفي قد شاع ، والنظام الاجتماعي قد تعقد ، فاتخذ الشعراء **القصص الشعري** وسيلة للاصلاح **بتمثيل ابطال القصة على المسرح** ، وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم ماوراه القصاص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما في المأساة ، او تقويم المعوج من الأخلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما في الملهاة ، وهذا هو الشعر التمثيلي .

فأنت ترى أن الشعر قد تطور في تاريخ **الانسان أطوارا ثلاثة** يتطورها كل شاعر في **ذاته** وكل شعب **في مجموعة** ، وهي الغناء المجرد في الطفولة ، **والقصص الحماسي في الشبيبة ، والتمثيل الفلسفي في الكهولة** : ففي الأول يتغنى الشاعر بما يحلم به ويتخيله ، وفي الثاني يقص ما يسمعه أو يعمله ، وفي الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله . ومنبع الأغاني الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظمة والجلال . ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . **ومظاهرها في عمر الخليقة هي التوراة والالياذة وشكسبير** .

ولم يمر الشعر بهذه الأطوار **الثلاثة** مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة الطبيعة الا عند الاغريق لأسباب **فطرية واقليمية** . اما عند الرومان ومن خلفهم من الأمة اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار **الا بتقليد الاغريق والأخذ عنهم** .

اما الشعر القصصي **وهو يقوم على الاعاجيب والاكاذيب والخوارق** فقد كان له بلاغه في العقول ومساغه في الأذواق حين كان الناس لايزالون **الحرب والحب** . ويفتنون بالبطولة والقوة ، ويصدقون **بالهواتف والرؤى** ، ويؤمنون **بالكهانة والسحر** ، ويعتقدون في **الأبطال والملوك** .. فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للانسان الحديث خبايا الكون وأسرار الطبيعة ، **فلم تعد التهاويل تروعه ، ولا الاباطيل تخدعه** ، مع ذوقه هذا اللون من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صورا لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت . وأصبح من العسير على الشاعر القصصي أن يوفق بين الملحمة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على **الوقائع والعلم** .

واما الشعر **التمثيلي** وهو **شعر الأناقة والترف** فقد كان له في أوربا **نفاق واشراق** ايام كان المسرح **للخواص لايشهده الا الملوك والنبلاء والقادة** . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية او الفتوة في تلك العصور أن يجمعوا بين أدب السيف وأدب اللسان ، فكانوا يتفاصحون في الحديث ويتفاخرون بالأدب ويتنافسون في الشعر ، وأصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفي القرن السابع عشر اشتد التشدق بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء ، سخر « **موليير** » من حذلقتهن في مسرحيتين من مسرحياته .

واستمر اشراق **الشعر المسرحي** ونفاقه حتى اقبل القرن العشرون ، وكانت **الديمقراطية** قد غلبت على المسرح ، **والواقعية قد هيمنت على الأدب** ، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيرا الى أن شرط الامكانية في الشعر المسرحي مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم او يمثلون لهم لم يكونوا في الواقع

يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يخلقون أوساط المتفقين أو انصافهم شططا بتتبع السياق القصصي بين أوزان الشعر وقوافيه ، وفي غموض لغة الشاعر وتراكيبه ، فاتعمدوا في تغليب أدب الخاصة على أدب العامة ، وقصدوا الى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلي عن المسارح وانزوى في المتحف الأدبي بجانب الشعر القصصي ، ينتظر من يخرجه الى الأدب لا الى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربي في الشعر المسرحي بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقي ولا روايات عزيز اباظة شعب اسخيلوس وسوفكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير، وانما وجدت جمهورا خاصته للواقعية وعامته للأمية ، فلم يفهم مرامي البيان في الفصحى، ولم يدرك أسرار الجمال في الشعر ، فخرج من مشاهدتها غائب الرأي والوعي لايدري على وجه اليقين أي شيء رأى ولا أي كلام سمع !

اذن لم يبق في العالم اليوم من تراث (أبولون) الا الشعر الغنائي ، وهو فيض الوجدان وعبير الروح وأحلام النفس وأنغام القلب وحداء البشرية المرفه في طريق الحياة الوعر . صفا من شوائب البهيمية في العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلص للتأملات والوجدانيات والوطنيات والأغاني والأناشيد وهي علة وجوده وسر بقائه .

وهذا النوع من الشعر هو كما قلت أصل الأنواع الأخرى ، فجذوره ضاربة في أعماق الأزل ، وفروعه ممتدة في آفاق الأبد . فهو باق أبدا لأن البواعث التي تستدعيه لا تنقضي ، وهو جديد أبدا لأن العواطف التي تغذيه لا تتقادم .

سيبقى مادام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد مادام للمغني صوت وألحان ، وسيسمع مادام في الانسان نزوع الى مثل ، وطموح الى أمل !

أحمد حسن الزيات

نعي الإمام الأكبر

تنعى الرسالة الى العالم الاسلامي علما من أعلام الدين . واماما من أئمة الفقه ، ولسانا من السنة الدعوة ، وزعيما من زعماء الاصلاح، واستاذا من أساتذة الرسالة . هو الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

لقي الله في الهزيع الأول من ليلة الجمعة الماضية وبين يديه صحيفة من صحف الخلود سجل فيها جهاده الدائب الخالص في سبيل القرآن زهاء نصف قرن ، ينشر مبادئه ويعلن أسراره . ويفصل أحكامه، ويفسر آيه ، بما يؤلف من الكتب ويصدر من الفتاوى ، ويكتب من المقالات ، ويلقي من المحاضرات،ويذيع من الأحاديث ، وكل ذلك أداه بالفهم السليم والاجتهاد المستقيم والاطلاع الواسع والقلم المبين واللسان الذلق ، فكان رابع ثلاثة اصطفاهم الله في زمن البدع والشبه والأضاليل لتجديد دينه وتبيين شرعه . وهم الأئمة : محمد عبده ومصطفى المراغي وعبد المجيد سليم . وكان من أثر هذا الجهاد المتتابع في تنبيه الأذهان الى الاصلاح أن تطور الأزهر في عهد الثورة هذا التطور التجديد .

لقد لقي شيخ الاسلام والمسلمين ما لقي أصحاب الرسالات من الكيد والعنت فأوذي في سبيل الكلمة ، ومرض في سبيل الأزهر ، واستشهد في سبيل الله ... ولهذا الاجمال تفصيل ستقرأه في العدد القادم ان شاء الله .

ترجمة القرآن الكريم

بين من يمنعها ومن يوجبها على الأمة

للأستاذ محمد محمد المدنى

تكلم الناس قديما وحديثا فى هذا الموضوع ، وكثر الجدال فيه ولا سيما فى عصرنا الحاضر .

وهناك فريقان :

فريق : يرى أن الترجمة غير جائزة شرعا ، بل غير ممكنة .

وفريق : يرى عكس ذلك فيقول انها جائزة ، بل واجبة على المسلمين وجوبا كفائيا ، اى انها مصلحة عامة للاسلام والمسلمين ، فيجب على مجموع الأمة أن تعمل على حصولها وتمامها ، والا كانت مقصرة آثمة .

وليس من سبيلنا فى هذا المقال أن نستوعب جميع الأدلة التى أتى بها كل فريق من هذين الفريقين ، ولا أن نعنى عناية تفصيلية بما رد به كل فريق على مخالفيه ، لاننا لو فعلنا ذلك لطال الأمر وثقل على القراء ، فنكتفى بأن نعرض فى شىء من القصد للأسس التى قام عليها هذا الجدل من الجانبين ، ثم نبدى رأينا ، والله المستعان :

اولا : الأسس التى انبنى عليها رأى المانعين :

ان هؤلاء الذين يمنعون ترجمة القرآن يستندون الى ما يأتى :

١ ـ القرآن عربى ، وهذه حقيقة يقررها القرآن نفسه فيقول «انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» ، « قرآنا عربيا غير ذى عوج » ، « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك » ، « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تقرر أن القرآن هو ذلك اللفظ العربى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهم يقولون لو ترجم القرآن الى لغة أخرى لم يصبح قرآنا ، لان كونه عربيا جزء من مفهومه ، اى ركن من اركان حقيقته .

٢ ـ ثم ان الترجمة الصحيحة التى تؤدى معنى القرآن تمام الأداء غير ممكنة ، لانه ان ترجم ترجمة حرفية بمعنى أن ينقل كل لفظ عربى الى المقابل له من اللغة الأجنبية ، كانت هذه الترجمة ركيكة ضعيفة ، ولم تؤد المعانى المقصودة من القرآن ، فيضيع جمال اللفظ العربى ، وجمال المعنى ، بل تضطرب المعانى اضطرابا شديدا . وان ترجم دون ملاحظة للألفاظ ، بل أخذ المعنى من الجملة وصيغ فى قالب من اللغة الأخرى ، فان ذلك غير ممكن أيضا لأن القرآن فى اللفظ العربى يفهم بأوجه متعددة ، والمترجم طبعا سيختار وجها من هذه الأوجه ويؤديه باللغة الأجنبية ، فتضيع الأوجه الأخرى ، وبعبارة أخرى يقولون : ان للقرآن معانى كثيرة ، وهو تنزيل من حكيم حميد ، فلا يمكن لمخلوق ـ مهما برع فى اللغة العربية واللغة الاجنبية ـ أن يحيط بجميع معانيه فيترجمها .

٣ ـ ثم ان هذا الشىء لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، ولا أهل الصدر الأول من المسلمين ، ولو كانت الترجمة جائزة لفعلوها ، وقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم كتبا الى الملوك وكان منها مثلا كتابه الى هرقل ملك الروم ، وهذا نصه ـ وفيه آية قرآنية ـ : « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين ـ أى العامة والدهماء من القوم ـ و « ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » فرسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن كتابه هذا ـ وكذلك كتبه التى أرسلها الى كسرى والمقوقس والنجاشى ـ هذه الآية من سورة آل عمران ، ولو كانت ترجمة القرآن جائزة لأرسل الكتاب اليهم بلغاتهم ، وترجم هذه الآية فى كل كتاب ارسله بلغة صاحبه .

٤ ـ ثم انه يترتب على ترجمة القرآن مفاسد كثيرة :

منها أن الترجمات قد لا تتفق فيقع لنا ما وقع

لغيرنا من أهل الأديان الأخرى ، كاختلاف نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية .

ومنها أن الناس يكتفون بلغاتهم ولا يجدون فى تعلم اللغة العربية ، وهى لغة الدين الاسلامى ، وبذلك تضعف هذه اللغة شيئا فشيئا بقلة أهلها وربما انقرضوا ، فيضيع القرآن العربى وتبقى الترجمات ، وفى ذلك من الخطر على كيان الأمة العربية ، وكيان الدين الاسلامى ماهو ظاهر لا يحتاج الى تطويل .

والتاريخ يدلنا على ذلك فان تمسك السابقين بهذا القرآن عربيا ، حمل الأمم الأخرى على تعلم لغة العرب ، فكان لذلك فائدة كبرى ، وهاهى ذى مصر وأخواتها العربيات كالعراق والشام وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، قد تعلمت اللغة العربية وصارت مهدا لها فى عصرنا الحاضر ، ولولا ذلك لبقيت مصر على اللغة القبطية ، أو الرومية ، والعراق على الفارسية وهكذا ، ولكان هذا نكبة على العروبة والاسلام .

هذا أهم ما استند اليه المانعون .

ثانيا : الأسس التى انبنى عليها رأى المجيزين :

ان هؤلاء يستندون الى ماياتى :

١ ـ القرآن تبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوالذى نزل عليه قوله تعالى «يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » والنبى قد بلغ العرب بلسانهم ، ويجب على العرب أن يبلغوا غيرهم من الأمم نيابة عنه ، ولذلك صح عنه انه قال فى خطبة الوداع « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، « وما ارسلناك الا كافة للناس » ، « وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت للناس عامة » .

ولا يمكن تبليغ جميع الأمم الا بالترجمة للغاتهم ، واذا انتظرنا حتى يتعلموا اللغة العربية ثم يفهموا القرآن بها لانتظرنا قرونا طويلة ومع ذلك لا نضمن النتيجة ، واذن فلا بد من ترجمة القرآن بلغات هذه الأمم ليتم مانحن مكلفون به من التبليغ ، والا كانت الأمة مقصرة مضيعة واجبها .

٢ ـ النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى الملوك باللسان العربى ، اعتزازا بلغته ، وهم قد ترجموا كتبه وفيها تلك الآية التى تقدم ذكرها ، فارسالها اليهم فيه اشعار بالاذن بترجمتها .

وفى ذلك يقول البخارى «قال ابن عباس : اخبرنى أبو سفيان ابن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ، ثم دعا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه .. الخ» .

ويقول شارحه ابن حجر فى كتابه فتح البارى « ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل باللسان العربى ، ولسان هرقل رومى ، ففيه اشعار بانه اعتمد فى ابلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان ، وكذلك وقع ، **بل الحديث واضح الدلالة فى جواز ترجمة القرآن لغير العربية** ، لأن كتاب النبى صلى الله عليه وسلم مشتمل على آية قرآنية ، وهى « يأهل الكتاب تعالوا » الآية ، وقد كتب بها للنجاشى ملك الحبشة أيضا ، ولملك الفرس ، ولهرقل ، وكلهم أعجمى لا يعرف العربية ، فهو اذن منه عليه السلام فى ترجمتها للغات المذكورة كلها ، وقد جاء فى الصحيح عن أبى سفيان بن حرب أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه ، وما جاز فى آية واحدة جاز مثله فى بقية القرآن العظيم » .

٣ ـ ان مايفعله المفسرون ماهو الا ترجمة للقرآن ، وذلك أن مفسر القرآن الكريم يفهم المعنى من النص القرآنى ، ثم يعبر عنه بعبارة من عنده ، فاذا جاز للمفسرين أن يفعلوا ذلك فلماذا لا يجوز للمترجمين ؟ وما الترجمة الا تفسير ، وما التفسير الا ترجمة ، ولذلك كان ابن عباس يلقب بترجمان القرآن ، وبعض المسلمين فسر القرآن بالفارسية ، وكل الأمم التى دخلت فى الاسلام من أهل الهند والصين والترك كانوا يفهمون القرآن وما فيه من هدى وتشريع ووعظ وقصص بلغاتهم .

٤ ـ ان بعض العلماء المتقدمين قد أجاز ترجمة

القرآن ومنهم الامام الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ حيث يقول فى كتابه الكشاف وهو يفسر قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » :

« فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وانما بعث الى الناس أجمعين، بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة ، قلت : لا يخلو : اما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، **لأن الترجمة تنوب عن ذلك** ، وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ، لأنهم أقرب اليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر ، **قامت التراجم ببيانه وتفهيمه** ، كما نرى الحال ونشاهدها فى كل أمة من أمم العجم » .

ومنهم الامام أبو اسحق الشاطبى المالكى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ اذ يقول فى كتابه « الموافقات — فى أصول الاحكام » .

« ان للكلام العربى دلالتين » :

احداهما : أصلية ، وهى الدلالة على المعانى الأولية وهذه تشترك فى أدائها جميع الألسنة ، ولا تختص بأمة دون أخرى .

ثانيتهما : ثانوية ، وهى التى تفيد معانى وراء النسب الأصلية .. وتختص هذه بلسان العرب ومزاياه » .

ثم استأنف فصلا آخر قال فيه : « واذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربى بكلام العجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القرآن ، وينقله الى لسان غير عربى،وقد نفى ابن قتيبة امكان الترجمة فى القرآن— ويعنى على هذا الوجه الثانى — فأما على الوجه الاول « الدلالة الأصلية » فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن ، وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » .

ومن هذا النص يتبين ان الامام الشاطبى يفرق بين « المعانى الأصلية » و « المعانى الثانوية » فيقرر أن الاولى يمكن ترجمتها الى اللغات الأجنبية ، وأنها من هذه الجهة لاتعدو أن تكون تفسيرا كالتفسير العربى ، الذى يبين به القرآن للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، أما ترجمة « المعانى الثانوية » فغير ممكنة فى أى كلام عربى ، فضلا عن القرآن ، وهذا هو الذى يريده ابن قتيبة حين نفى امكان الترجمة .

وبهذا يتمسك المجيزون للترجمة ويقولون : اننا لم نزعم ان الترجمة يجب أن تكون طبق الأصل تماما ، فان ذلك لا يقول به أحد ، وان المعانى الثانوية التى يفيدها النظم كثيرة ودقيقة حقا ، ولكن ليسع المترجمين ما يسع المفسرين ، فكما ان أساس عمل المفسر هو استخلاص ما يمكنه من الاصل والتعبير عنه بعبارة غير عبارة القرآن ، كذلك الشان فى المترجم ، فالمعنى القرآنى يستخلص من عبارة القرآن بحسب الطاقة وقواعد الفهم من اللغة العربية ، ثم يؤدى هذا المعنى الذى فهم بعبارة اللغة الأخرى ، واذا جاز الصنيع الأول — وهو التفسير — فلا بد من الحكم بجواز مثله — وهو الترجمة — والا كان ذلك تحكما .

٥ — قد أجاز الامام أبو حنيفة رضى الله عنه قراءة القرآن فى الصلاة بالفارسية لمن عجز عن قراءته بالعربية ، وكان يقول أولا بجواز ذلك ولو لغير العاجز ، ولكنه عدل رأيه فيما بعد ، فأصبح يجيز ذلك للعاجز فقط ، يدل على ذلك ما جاء فى كتاب « مسلم الثبوت وشرحه » ، اذ يقول « وقد صح رجوع أبى حنيفة عن القول بجواز الصلاة بالفارسية بغير عذر ، وفيه اشارة الى أنه يجوز القرآن بالفارسية للعذر ، وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ، وهو الصحيح ، وعليه الصاحبان ، اقامة للمعنى مقام النظم لاجل العذر » .

وجاء فى شرح الكنز للزيلعى « وأما القراءة » بالفارسية فى الصلاة فجائزة فى قول أبى حنيفة وقال أبويوسف ومحمد : لا تجوز اذا كان يحسن العربية » .

هذه خلاصة الرأيين المتعارضين ، وصفوة ماذكر من الأدلة التى احتج بها كل من الفريقين .

ونحن نستطيع بعد هذا أن نقرر ما يأتى :

أولا : ليس هناك خلاف فى أن الترجمة الحرفية اذا اريد بها وضع كلمة أجنبية موضع كلمة عربية مع التزام الترتيب العربى ، من شأنها ان تفسد الكلام .

واذن فليخرج هذا النوع من البحث ، فليس هناك من يقول به أو يراه ممكنا .

ثانيا : اذا اريد بالترجمة الحرفية ما عبر عنه الشاطبى بترجمة المعانى الأصلية دون التعرض للمعانى الثانوية ، فان الترجمة حينئذ ممكنة مقدورة

وفى المعانى الاصلية ما يكفى للهداية بالقرآن ، وتبليغه الى الأمم الأخرى .

والشاطبى يقرر هذا فى ثقة ويحكم بأنه أمر مجمع عليه ، ويجعله شبيها بالتفسير

ثالثا : لا خلاف بين المسلمين فى أن ترجمة القرآن لا تكون قرآنا ، لأن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعا وليس اسما للمعنى فقط على ما بيناه فى بحث آخر

والمجيزون للترجمة لا يقولون انها تغنى عن اللفظ العربى ، أو تحل محله فى الاستنباط والرجوع اليه عند الاختلاف ، ولا يقول أحد منهم ان هذا المترجم هو كلام الله ، ولكن يقولون هو المعنى الذى فهمه صاحب الترجمة من كلام الله ، كما يقال فى التفسير هذا ما فهمه المفسر الفلانى ، والمحظور هو أن نفهم المترجم لهم أو المفسر لهم أن هذه المعانى المترجمة أو المفسرة هى مراد الله تعالى قطعا ، وهذا أمر متفق عليه بين الفريقين .

رابعا : ان الفريقين متفقون على وجوب تبليغ القرآن للأمم كلها ، غير أن من لا يجيز الترجمة يطلب من المسلمين الذين لا يعرفون العربية أن يتعلموا العربية ليعرفوا القرآن بلغته ، ويرى أن بذل القرآن للمسلمين أو غير المسلمين من أهل اللغات الأخرى فيه تعويق للغة العربية ، وأن الاحتفاظ بالقرآن عربيا من شأنه أن يجذب الناس الى تعلمها .

هذا ما يقوله الذين لا يجيزون الترجمة ، أما معارضوهم فيرون أن هذا أمل حلو ، ولكن الطمع فى تحققه طمع فى شىء بعيد ، ولا سيما فى عصرنا الحاضر ، فمن ذا الذى يتصور بسهولة أن ينتقل أهل أوربا أو أمريكا أو غيرهما الى اللغة العربية أو يهتموا بدراستها دراسة تعم جمهورهم وتمكنهم من فهم القرآن بها ، وهل فعل ذلك أهل فارس أو أهل تركيا أو اندونيسيا فى يوم ما مع أنهم اعتنقوا الاسلام واخلصوا له ؟

فهم يقولون : ان الاخلاص لمبادىء الاسلام وأحكامه والحرص على تبليغهما بترجمة القرآن هما الغرض الأول والأولى ، اما اللغة العربية ونشرها فذلك غرض حسن ولكنه يأتى فى المرتبة الثانية ، فلا يصح أن يعوق ما هو أول وأولى ، ليقدم ما هو ثانوى بالنسبة له .

خامسا : ان كثيرا من العلماء قديما وحديثا قد أجازوا ترجمة القرآن ، وان كثيرا من المسلمين فى مختلف الشعوب ، وفى حقب التاريخ المتتابعة قد ترجموا القرآن فعلا ، ولم يحدث من ذلك ضرر على القرآن ولا على الاسلام ، وكذلك ترجم القرآن من غير المسلمين ، وهناك عشرات من الترجمات فى مختلف اللغات تعج بها مكتبات العالم الغربى والأمريكى ، فليس من الرأى أن نغمض أعيننا عن هذا الواقع تخوفا مما يتخوف منه المانعون ولا مبرر للتخوف منه .

والنتائج التى نستطيع أن نأخذها من هذا كله ومن غيره هى :

(١) أن ترجمة القرآن الكريم ممكنة على أن تؤخذ المعانى التى تفهم من كل آية فتنقل الى اللغة الاخرى بأسلوبها .

(٢) أنه يجب النص فى مقدمة التراجم على أن هذه الترجمة انما هى فهم أصحابها للقرآن وان النص العربى هو الذى عليه المعول ، وهو القرآن وحده .

(٣) أنه ــ زيادة فى توضيح ذلك ، ورعاية لما يشترطه كثير من العلماء المجيزين للترجمة ــ يحسن أن تكون الترجمة منضمة الى القرآن نفسه فى كل صفحة من صفحاتها ، حتى يشعر قارئها بأنه انما يقرأ كلاما مترجما ، وحتى تقطع السبيل على من يحاول جعل الترجمة أساسا يغنى عن الاصل

(٤) ــ أننا نقر فكرة المجيزين للترجمة ، فى أن هذا فرض كفاية على المسلمين ، يجب على ولاة أمورهم أن يفعلوه ، فان قصروا فيه كانوا مقصرين فى مصلحة عامة من مصالح الدين .

محمد محمد المدنى

المستويات الثقافية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

الاستاذ رينه حبشي من الفلاسفة المحدثين . ولد في القاهرة ، وتربى في مدارسها ، وعاصر الاحتلال البريطاني أيام كان الجند الانجليز ينتشرون في بقاع شتى من مدينة القاهرة ، وله في ذلك من الذكريات المؤلمة ما عبر عن بعضه : «ان طفولتي في مدينة القاهرة تضج بالاضطراب من هذه الحامية البريطانية التي كانت تقوم بالحراسة في قلب المدينة وفي وسط ساحة المحطة ..

واعترضتنا في شبابنا مداخلات المفوضين الساميين والسفراء الذين كانوا يؤلفون الوزارات ويقيلونها وفق ضرورات الظروف ـ داعين الى الحكم بعض الرجال المسايرين ، مستميلينهم بشتى الطرق ، حتى اذا ما حاولوا المقاومة سيقوا الى المنفى كسعد زغلول .

ان لكل منا ولا شك ذكرياته المرة .

وبلادنا الشرقية ، قد استيقظت كل بدورها ، في جو من الضغط والجزع لم ينجع العلاجان الوقائيان : الجامعة العربية وحلف بغداد ـ في اقالتها منه .

يذكر بعضكم احسن مما اذكر هذه المرحلة من تاريخنا .. » .

ورينه حبشي الفيلسوف انما يذكر هذا القول بيانا وتوضيحا لموقف الامة العربية من الثقافة والحضارة الغربية ، وهو موقف يتسم بالحقد والكراهية لانه موقف من يكره الاستعمار وكل مايجيء من بلاد المستعمرين .

ورينه لا يكره الثقافة الغربية وانما يدعو الى التعمق فيها والأخذ منها، وخلق متوسط ثقافي خاص بنا . ومن أجل هذا يتعرض الى بحث قضايا كثيرة تتصل بانتقال الحضارات ، والتقاء الثقافات ، وما يستتبع ذلك كله من تفاعلات .

والقضية التي نريد ان نقف عندها اليوم قضية ثقافية خالصة تطلعنا على تركيبنا الثقافي قبل ان تطلعنا على التقاء الثقافات المختلفة ، وتفاعلها تفاعلا ينتج عنه ذلك المتوسط الثقافي الذي يدعو اليه الاستاذ رينه حبشي .

ودرجات المعرفة التي تتكون منها ثقافة كل امة ، على تفاوت في النسب ، والتي تدل دلالة حقيقية على المستوى الذي وصلت اليه الامة من النضج الثقافي ، والرقي العقلي ، والتقدم الحضاري ، أربع ، هي على التوالي :

(أ) محاصيل الاختبار .
(ب) قوانين العلم .
(ج) مذاهب الفلسفة .
(د) الرؤى الدينية المتولدة من الوحي .

والدرجة الاولى والتي تسمى بمحاصيل الاختبار تعتبر في مستوى يسميه رينه حبشي بمادون العقل. وذلك لان الانسان يكون فيها واقفا عند حدود ردود الافعال الناتجة عن الغرائز والانفعالات الطبيعية مما ليس للعقل سلطان عليه .

والدرجة الرابعة أو الاخيرة وهي التي تسمى بالرؤى الدينية المتولدة عن الوحي تعتبر في مستوى يسميه رينه حبشي بما فوق العقل . وذلك لان الانسان ملزم بالتصديق بكل ما يجيء به الوحي . ملزم بالتنفيذ لكل ما يدعو اليه الوحي ـ وليس للعقل البشري أن يقبل او يرفض ما يجيء به الوحي اعتمادا على ما وصل اليه الانسان من منطق بشرى ، مهما يكن حظ هذا المنطق من الرقي والتقدم .

والدرجتان الثانية والثالثة وهما قوانين العلم ومذاهب الفلسفةهما اللذان يعتبران في مستوى العقل، ولا جدال في ذلك ، من حيث انهما من نتاج العقل ، ومن حيث ان العقل البشرى يتناولهما بالتعديل فيصحح الخطأ ، ويبتر الفاسد ، ويجرى التجربة تلو التجربة في سبيل التطور الحضاري والسعادة البشرية .

***

والامة التي تسود فيها الدرجة الاولى من درجات الثقافة وتقف عند حدود محصول الاختبار تبقى امة متخلفة . أمة يبقى العقل البشرى فيها تحت رحمة الغريزة ويسخر لخدمتها وتحقيق اهدافها .

ان الثقافة الاختبارية تكتفي بوصفات عملية ، ولا تهتم بالقوانين والنظريات العامة والحقائق الصالحة لجميع الاذهان . وتكون في الغالب ثقافةنفعية تدعو الواقف عند حدودها ، الى الأثرة ، ولا تأخذ بيده ابدا الى المعاني الجليلة ، معاني التضحية والايثار .

والامة التي تسود فيها الدرجة الاخيرة من درجات الثقافة وهي درجة الرؤى الدينية قد يخشى عليها من خطر الانصراف عن هذه الحياة الدنيا ايمانا منها بأن الخير والسعادة انما يكونان في الحياة الآخرة .

ان الامة التى تفعل هذا **تتخلف من غير شك** ، وتصبح عرضة لان يفرض عليها الغير سلطانه . وتكون بعيدة كل البعد عن أن تفهم مقتضيات الدين.
ومن هنا تثبت القيمة الحقيقية للدرجتين الثانية والثالثة ، قوانين العلم ومذاهب الفلسفة .

ان الثقافة المنزلة – **ثقافة رجل الايمان المتشرقى امتنا العربية – لا تحتقر العقل ، ولاتحتقر الغريزة ، ولا ترمي بحال من الاحوال الى اضعاف الانسان فى اية طاقة من طاقاته** ، انها على العكس من ذلك . انها تهدف الى ترقية الانسان فى حدود طبيعته البشرية ، معلنة اياه مواطنا من مواطنى العالم الذين يؤمنون **بالانسان** باعتباره **انسانا** بصرف النظر عن **جنسه ، ولغته ، ووطنه .**

ان الايمان الحى يمنع العقل ويمنع الغريزة من الانغلاق على نفسيهما . انه يقترح تفتقا جديدا ، وانفتاحا على معانى الخير والحب . انه يطلب من الغريزة – التى تميل بحد ذاتها الى الانانية – ان **تخضع لأحكام العدل والحق .**

ان المعرفة المنزلة لا تدعونا الى الله عن طريق ابتعادنا عن العالم وانعزالنا عنه ، بل بالعكس ، **تدعونا** الى هذا العالم وما فيه **من كنوز وثروات ، وما فيه من طاقات وقوى** . ومن هنا كان دور العلم والفلسفة وكانت حاجة الدرجة الأولى والدرجة الأخيرة من درجات الثقافة اليهما .

العلم والفلسفة هما ميدان الفكر الناقد الذى يميز . الذى يبنى ويوجه . الذى يقاوم الغرائز ويقضى على الخرافات .

لولا النشاط العقلى فى ميدانى العلم والفلسفة لانهارت الدنيا على أكتاف الانسان ، وغمرته بالخرافات والمعتقدات المغلوطة ، ولما قامت الحضارات ، ولما **تقدم الانسان فى ميدان العلم والمعرفة .**

ان العقل هو الاداة الوحيدة التى نملكها ، والتى تستطيع أن تجمع بين الوحى والاختبار ، وأن تستفيد من كل منهما . تستفيد من كل ثروات الاختبار اللاواعية ، **ومن خميرة التقدم التى يقترحها الوحى.**
ان الاختبار والوحى – كل على حدة ، مضر ما لم يربط العقل بينهما .

والآن الى الاجابة عن هذا السؤال .

ماموقفنا من درجات الثقافة الاربع ؟ وأين نحن من مراحل هذه الثقافة ؟ أو بعبارة أخصر وادق مامستوانا الثقافى ؟

يجيب الاستاذ رينه حبشى عن هذا السؤال فيقول : تبرز فى هذا الرصيد درجتا الثقافة القصويان ، **التجريبية والوحى** . أما التجريبية فكثيفة ، أى تغرق فيها الجماهير . **هى تجريبية متاخرة للغاية** لايدفعها العلم الى الامام منذ عدة قرون وأما الوحى فليست هناك **فلسفات تقدمية تدعمه.**

ان أسباب هذا النقص ونتائجه تاريخية . انها تتعلق بتاريخ بلاد كانت لها قرون وسطى زاهرة . بلاد ورثت التراث اليونانى القديم ، وتمكنت من أن تنقل هذا التراث الى أوربا القرون الوسطى بفضل علمائها وفلاسفتها الذين ظلت مؤلفاتهم الطبية والفلسفية واللاهوتية تدرس فى أكبر جامعات الغرب لكنها بلاد عرفت فى العلم وفى الفلسفة امتحانا مميتا .

والاسباب يمكن تركيزها فى ثلاثة :
أولا – **محنة الفلسفة .**
ثانيا – **المأساة الداخلية فى الفكر العربى .**
ثالثا – **الفتح العثمانى ومساوىء الباب العالى .**
هذه هى **المغامرات** التى قادتنا الى **حالتنا الثقافية** الراهنة .

ان التجريبية واللاهوت موجودان يمد الواحد منهما يده للآخر كالغشاء على عينى عقل أضحى عاجزا عن التحكم فى العالم بصفاء وتبصر ، وذلك فى عصر يعود فيه زمام المبادرة ، فى الأحداث الى **الطاقة المتفجرة من العقل .**

من هنا ينشأ مركب النقص الذى اصبحنا نعيه الآن ، والذى نرغب فى التخلص منه بسرعة – فى حين انه **ثمرة مرة خلفتها لنا عصور كاملة من التاريخ .**

اننا فى فراغ ثقافى ، ونشعر بالنقص فى ثقافتنا الخاصة بنا ، والتى يجب أن تكون مرتبطة بتطورنا عبر العصور .

اننا نعرف جيدا أن هناك **مجهودات** تبذل للخروج من هذا الواقع ، واننا **بدأنا نتخطى هذه المرحلة** ، ولكن الذى نريده أكثر من ذلك بكثير .

اننا نريدها **ثورة ثقافية** ترتفع بنا عن ذلك المستوى الذى وصلت اليه ثقافة الغرب . نريدها **ثقافة انسانية ليست عدوانية .**

ان التفوق العلمى الذى وصل اليه الغرب قد سبب له اختلالا فى توازنه **بسبب انحرافه نحو المادة** . واختلال توازنه يشبه الى حد بعيد **اختلال توازننا فى اختلاف الأسباب .**

انه قد اختل بسبب **تفوقه العلمى** ، ونحن قد **اختل توازننا بسبب تخلفنا العلمى .**

كلمات

عمرنا الثقافى

لنتصور اليوم عربيا وروسيا وأمريكيا وأوربيا.. قد صعدوا معا فى مجرى التاريخ ..

فى المرحلة الاولى.. يجب التخلى عن الروسى ، لانه ولد عام ١٩١٧ أو على أكثر تقدير مع البيان الشيوعى عام ١٨٤٨ .

ان روسيا فى هذه الحالة تعتبر الشقيقة الصغرى على الرغم من غناها ونبوغها فى الأعمال . انها على كل حال بالنسبة لنا آخر مولود فى التاريخ .

فى المرحلة التالية .. نترك أمريكا جانبا لأنهــا وليدة تزاوج بين أوربا والسكان الهنود .

ان أمريكا فى هذه الحال ليست الا الفتى الممتلىء حماسة بالنسبة لسنه ولكنه ـ شقيق صغير بالنسبة لعمره الثقافى .

فى المرحلة الثالثة نتخطى أوربا : لقد سرنا معا مسافة طويلة . فالعصور الوسطى قد قطعناها معا وكذلك قطعنا معا قسما من الحقبــة اليونانيــة ـ الرومانية .

وعندما استولى الاسكندر المقدونى على آسيا ومصر وبلاد العجم ـ كانت أوربا لاتزال متوحشة .

انها ثانى أشقائنا .. وقد علمت أمريكا وروسيا السوفيتية بسبب تقدمها الحضارى .
فيما وراء هذه المرحلة نجد أنفسنا وحيدين .. فها نحن بدون الآخرين الذين لم يكونوا بعد سوى وعود بعدها التاريخ .

اننا الشقيق البكر والشقيق البكر يعرف عادة أكثر من الآخرين ثم هو الذى يبذل الكثير فى سبيل اخوته الصغار .

فهل تريدون أن نتخلى عن حق بكوريتنا .. من أجل طعام معلب فى شيكاغو أو من أجل شراب مصدر الينا من بحر قزوين ؟ .

أتريدون أن نكون أطفالا كبارا دون ذاكرة ..
أتريدون أن نكون أطفالا يقبلون اللعب من اليمين أو من اليسار ناسين من هم ؟ .

ان التاريخ يعلمنا أن عندنا ما نمتاز به عن الآخرين عن أولئك الذين ولدوا من تعاوننــا مضيفين اليه عبقريتهم الخاصة .

ان عندنا ما يمــكننا من اختيار ما هو مــلائم لشخصيتنا .

اننا بما نملك من قيم ـ نملك ما يمكننا من تثقيف كل الحضارات مجتمعة بشرط ايقاظ قيمنا الذاتية النائمة .

ان هذا يتطلب أن نربى من جديد روح التاريخ فينا ، واحترام أمجادنا ، والاقــلاع عن العيش فى الحاضر فقط ، والاقلاع عن العيش فى الماضى فقط .. ان علينا أن ننضوى فى تلك الفئة التى لاتتنكر لأى شىء فى الحاضر من يمين أو يسار ـ الفئة التى تهتم ببعث عبقريتها ورسالتها العالمية .

***

ان غباوات الثقافتين اللاتينية ـ والانجلوسكسونية وعدم تكيفها بواقعنا لبراهين دالة على القطيعة الثقافية بيننا وبين الغرب.

ان الثقافة اللاتينية قد خلقت أناسا بدون جذور أناســا اتجهت عقولهم نحو كل مكان حتى وان بقوا فى محيطهم ، والثقافة الانجلو سكسونية قد ضاعفت ذوى العمل النفعى الذين تعطل عندهم عمل العقل .. وقد شكل هذا كله ـ استعدادا فى أنفس الكثيرين للمادية .

وان كنت أرى أن الثقافة السوفيتية ليست أحسن عملا فى مجتمعنا من هاتين الثقافتين .

***

ان مسافة شاسعة تفصل بين النظرة الفلســفية والعمل اليومى ـ بحيث يفترض تدخل عناصر وساطة ما بين الفكر والعمل . وهذه العناصر تتكون فى العادة من السياسيين والاقتصاديين الذين لا يمكن أن يحل الفيلسوف محلهم .

ان التعاون بين الفلسفة والعمل اليــومى أمر ضرورى والتمييز بينهما ضرورى كذلك ـ اذ بدونه لا يؤثر الفكر فى العمل وقد يتطــاول العمــل على الفكر .

دكتور
محمد احمد خلف الله

الخصائص الفنية للأدب الصوفي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

عيب الدراسات التى خضع لها الأدب الصوفى ، أو أريد اخضاعه لها انها لم تكن دراسة موضوعية ، بقدر ما كانت ذاتية شخصية ، يغلب عليها التعصب والهوى .. فضلا عن قصورها عن تناول هذا الأدب كله ، والاحاطة به من جميع جهاته ، والنظر اليه فى كل الوانه وصوره .

ولعل مرد هذا هو ان الادب الصوفى لم ينظر اليه اول الأمر على اعتبار أنه أدب يراد من دراسته تذوقه ، والتعرف على خصائصه ، ثم وزنه وتقييمه ، ليأخذ المكان المناسب له بين منازل الأدب العربى .

والحق أنه لم ينظر الى شىء من هذا فى جميع المحاولات التى قامت لجمع هذا الأدب ، وتحرير نصوصه ، تحليل معانيه ، وتجميع خصائصه .. وانما كانت غاية الجامعين والدراسين معا هى الحصول على وثائق الادانة ، والعثور على أدلة الاتهام فيما يروى عن « شطحات » الصوفية ، وما تحمل هذه الشطحات من مقولات جريئة ، تتقحم حدود العالم العلوى ، وتخوض فيه ، بلا حساب ، ولا تقدير ، ثم تجىء من هذا العالم بتلك الصور التى تحدث عن هذا العالم حديث من يخالطها، ويعيش معها ، وكأنها من أشياء العالم المادى الذى نعيش فيه . وذلك حديث لم يكن للمجتمع الاسلامى عهد به ولا تفكير فيه ..

وطبيعى أن يكون القدر الذى يجمع من هذا الأدب منظورا اليه من تلك الجهة التى تدين الصوفية والتصوف ، فلا يحرص على جمع شىء منه الا اذا كان فيه مدخل للادانة والاتهام .. وهذا هو الذى حدث فعلا ..

فالذى جمع من الأدب الصوفى ، والذى حرصت الاجيال على تناقله منه هو هذا الشعر الملىء بالالغاز والرموز، المحمل بآثار كثيرة من التخليط والتخبط والتجديف فاذا وقع فى ثنايا هذا الشعر بيت أو أبيات مما يمكن أن يرد الى الشعر السليم المفهوم – كان ذلك عملا غير مقصود ، وربما جاء ذلك عن غفلة ، أو عن تقدير بأن وراء هذا الكلام السليم المفهوم خبايا يعلمها العالمون بأساليب المتصوفة ، وبما تخفى صدورهم من كفر والحاد ! .

ولقد ترتب على هذا الاتجاه فى دراسة الأدب الصوفى أمران :

فأولا : انه قد اتجه اهتمام الذين حرصوا على جمع الأدب الصوفى ودراسته – الى الشعر وحده ، اذ كان الشعر وثيقة يقوم فى كيانها شاهدان ، هما : الوزن والقافية ، وبهذين الشاهدين يكون الشعر فى حراسة قوية – الى حد كبير – من التحريف والتبديل .. وقل أن كان يضبط شاعر متلبسا بشىء من الشعر ، فيه ما يكشف عن مذهبه السياسى ، أو هواه الطائفى ، أو معتقده الدينى – ثم يجد سبيلا الى الانكار ، أو المراوغة ، أو المخادعة .. اذ كان بناء البيت قائما على كلمات متماسكة ، متوازنة ، اذا نقض منها حرف تداعى البناء كله ، وانهار ..

وما يروى عن ذلك الشاعر الذى مدح فلم ينل من ممدوحه عطاء ، وما يقال من أنه تلبث بباب ممدوحه قليلا ، فوجد جارية لهذا الممدوح ، اسمها «خالصة» وقد تحلت بحلى ثمينة ، فكتب الشاعر على الباب :

لقد ضاع شعرى على بابكم
كما ضاع در على « خالصه »

ثم تمضى الرواية فتقول : ان الممدوح حين علم بهذا البيت بعث بمن يجىء بهذا الشاعر ، فلما جىء به ، مر بيده على بعض ما كتب على الباب .. وحين مثل بين يدى الممدوح سأله عن هذا الشعر الذى كتبه ، فقال : وماذا فى هذا الذى كتبت ؟ لقد قلت :

لقد ضاء شعرى على بابكم
كما ضاء در على « خالصه »

وكان الشاعر قد عمد الى العين من « ضاع » فمحا أسفلها فى الموضعين اللذين وردت فيهما ، فتحولت

العين الى همزة ، وأصبح الفعل «ضاع» «يقرأ» «ضاء» ! .. وبهذا نجا الشاعر من المكروه الذي كان ينتظره ، بل ونال من عطاء ممدوحه ما أرضاه !

فهذا الذي يروى ظاهر فيه أثر الصنعة ، ان لم تكن صنعة مختلق ، فهي صنعة الشاعر نفسه ، الذي دبر هذا الأمر ، وأعد نفسه لاحتمالاته وتوقعاته ! .

وسواء صح هذا الفهم الذي فهمناه لهذه القصة أم لم يصح - فان الصوفي يرمي بما يشتعل به شعوره .. من لهب ، وشرر ، ودخان .. غير حاسب حسابا ، أو مقدر موقفا ، أو ناظر الى ما يكون !

نقول : ان أنظار الناظرين قد وقفت من الأدب الصوفي عند الشعر وحده » دون أن تتجاوزه الى ما للصوفيه من نفثات روحية صافية مشرقة كانت تظهر على ألسنة كثير منهم ، في وصاياهم لمريديهم ، كما كانت تتساقط وراء تأملاتهم وسبحاتهم الهادئة، فيما يدعون به ويتوسلون .. كما أنها كانت تتجلى لهم معان دقيقة مضيئة من كتاب الله ، حين ينظرون فيه في أحوال الصحو من أحوال الوجد والانتشاء .

لم يحسب شيء من هذا في حساب الأدب الصوفي ، الا ما كان منه متصلا بجمع الأدلة ، واقامة البراهين على انحراف الصوفي ، وادانته .. كما يروى عن « الحلاج » من تلك الكلمات الجريئة ، التي يقول فيها : « أنا الله » .. أو « ما في الجبة الا الله » .. و « سبحاني سبحاني .. » .. ونحوها .. وهي كلمات قليلة .. بعيدة كل البعد عن الأدب لفظا ومعنى !

وثانيا : هذا الشعر الذي جمع من أدب المتصوفة - مع أنه لم يمثل الا لونا واحدا من ألوان هذا الأدب ، وهو اللون الذي أشرنا اليه ، ووصفناه - في مقال سابق - بأنه الدخان الذي ترفعه النار قبل أن تصفو ، أو هو الغثاء الذي يدفعه السيل قبل أن يهدأ ويستقر - هذا الشعر - على ماهو - وعلى مابه - لم ينظر اليه من الجانب الادبي بقدر ما كان ينظر اليه من الناحية الفقهية .. اذ كان الفقهاء هم « الحكومة » التي تقضي في هذا الشعر ، وتزنه بميزان الفقه ، وتخضعه لاحكامه وقوانينه .. دون التفات الى شيء وراء هذا ، مما يتصل بالعمل الأدبي ومقوماته ، وحظ هذا الشعر من تلك المقومات ..

وقد كان لهذين الأمرين نتائج خطيرة .. في الناحية الأدبية ، ثم في الناحية الانسانية .. في الأدب العربي ، وفي المجتمع الاسلامي ..

فأما ما يتصل بالأدب - وهو الذي يعنينا بالمقام الأول هنا - فان هذا الأدب قد فهم فهما خاطئا ، في تلك القطوف القليلة التي جمعت منه ، تحت ظروف وأحوال خاصة ، ولغايات ومآرب مقصودة .. اذ افترض فيه - سلفا - أنه مثوف بآفة الزندقة ، موســوم بسمة الالحاد والكفر .. فهو يمثل أمام قضاته منادى عليه بالتجريم والتأثيم قبل أن ينظروا فيه .. فان كان لقضاته بعد ذلك نظر فيه ، نظروا اليه بذوق الفقيه وحسه ، وهو الذي كان ينبغي الا يذوقه الا أديب ، والا يقضي في أمره بالادانة أو البراءة الا خبير بالادب بصير بألوانه ، وفنونه .

وعلى فرض أن هؤلاء الفقهاء الذين حكموا في قضية هذا الأدب الصوفي - أعني غثاء الأدب الصوفي - كانوا على حال من التمام والكمال من الذوق الأدبي ، والبصر بالأدب وفنونه - فان أعينهم لم تكن متجهة الى الصور الجمالية لهذا الأدب ، ولم يكن وجدانهم متفتحا لشيء منه .. وانما كان همهم العثور فيه على مواقع العثار الذي يقضي به على صاحبه من جهة عقيدته ، والاجتهاد في اخراجه من حظيرة الاسلام والمسلمين .

وأما فيما يتصل بمعطيات هذا الأدب ، في الجانب العقائدي الذي اهتم له الدارسون لهذا الأدب . فانه لم يحاول أولئك القائمون على الحكومة فيه أن يصلوا بين هذا الشعر الصوفي وبين تلك النفوس التي صدر عنها ، وهذه الأحوال التي تلبس بها ، كما لم يحاولوا أن يصلوا هذا الشعر - لا نقول بنفس قائله ، وما كان يجري فيها - بل بأدبه الذي جرى على لسانه ، في غير الصور الشعرية . . اذ أن للشعر أخيلته ، ودوافعه .. وما قد يجليه الأديب من معنى في قالب شعري يتماوج فيه المعنى ،

ويتراقص ، ويبـدو خاضعا للكثير من الاحتمـالات والتأويلات .. هذا المعنى اذا جاء به الاديب فى صورة نثرية انكشفت عنه تلك الظلال الشعرية ، وجمدت بين كلماته تلك التموجات التى قد تعمى على العين ، أو تضلل النظر !

كان من تمام الراى اذن لكى يكون حكم الفقيه على العمل الادبي مقبولا « شكلا » أن تمتد النظرة ــ نظرة الفقيه ! ــ الى الادب الصوفى كله : شعرا ، ونثرا .. فما قد يخفى فى ظلال الشعر وخيالاته من المعانى ، ربما قام له من الصور النثرية ما يكشف عنـــه ، ويجلى عن حقيقته ، ويضبط حدوده ، ويقيد شوارده .

ولكن « المحققين » لم يفعلوا هذا ، ولم يلتفتوا الى ما وراء هذا البيت من الشعر أو ذاك ، مما وقع لايديهم « فحرزوا » عليه ، وجعلوه كله جســم الجريمة ، مقطوعا عما قبله أو بعده من شعر .. بعيـدا عن قائله ، وعن أحواله ، وعن السمات الغالبة عليه ــ اللهم الا أن يجر معه الى السجن ، أو يساق الى الموت ان كان حيا ، أو يرمى بالكفر ويرجم باللعنات ان كان ميتا .. موتا طبيعيا ، أو موتا بالنطع والسيف .

نعم .. لقد كان البيت من الشعر الصوفى يقتطع من القصـيدة اقتطاعا ، ويتعرى مما بين يديه وما خلفه من أبيات ، قد توضح خافيه ، أو تكشف غامضه .. ثم يساق هكذا الى « قفص » الاتهام ليحكم على قائله بالكفر او الزندقة ، أو الالحاد ، أو ما شابه ذلك مما يحمله « قانون العقوبات » التى شرعهـا الفقهاء ، وتلاميذ الفقهاء ، واتباعهم ، ليخرجوا بها من شاءوا من الاسلام وليدينوه قبل أن يدينه الديان

وربما قد يقع فى فهم بعض من انعقدت عقولهم على ما طرق آذانهم من آراء مرددة ، واحكام مطلقة ، تلفظ بها مشيختهم فى ظروف وأحـوال ومؤثرات سياسية ، وطائفية ، ومذهبية ، ليدينوا بها خصومهم ، وليزيحوهم من طريقهم ــ قد يقع فى فهم هـؤلاء الوارثين لتلك الآراء ، وهذه الاحـكام ، اننى أدافع هنا عن الصوفية أو التصوف .. والواقع أن ذلك ليس من همى ، ولا مما التفتت اليه نفسى ، أو هتف به خاطرى ــ فى هذا المقام على أقل تقدير .

فان كان دفاع فهو دفاع عن قضية من قضـايا الادب العربى ، وعن فن من فنونه ، بل ومن أجمل فنونه وأروعها ..

ذلك ان الادب الصوفى فى جميع صـوره أدب حى ، مشبوب العاطفة ، يقظان المشاعر ، صـادق الاحساس .. يحمل كل سمات العمل الفنى الخالص الذى لا يخضع بحال أبدا لدواعى الصنعة والتكلف .

فهو ــ فى الادب العربى ــ الصـورة الصحيحة للنفس الانسانية ، فى تجربة من تجارب الحيـاة ، وفى بيئة من بيئاتها ، وفى حياة من حيواتهـا .. وانه لا يدانى هذا الادب أدب آخر فى صدق حديثه عن نفس صاحبه ، وفى دقة تصويره لمسارب تفكيره ، وخلجات مشاعره ، وومضات روحه .

فنحن ــ اذن ــ انما ندافع عن هذا العمل الادبى الذى لم ينظر اليه الى اليوم الا من خلال تلك التهم ، التى سودت بها صحف المتصوفة ، واسود بها وجه التصوف . فانه لا يكاد ينظر ناظر الى هذا الادب حتى تطلع عليه تلك الوجوه المنكرة ، وتقف له بكل طريق يصله بهذا الادب .. فلا يراه الا ألغازا ومعميات واحاجى ، ولا تتبـدى له من خـلاله الا مخلوقات شائهة ، والا امساخ مخلقة من متناقضات .. تجمع بين الاضداد .. فلا يكون بينها الا التنافر والخصام ، واذا هى أشبه بهذا الوجه الذى رسمه « بشار » لتلك العلل المفضوحة التى يتعلل بهـا البخيل ، ويقدمها فى مقام الدفاع عن بخله :

وللبخيــل عـلى أمـواله علل
زرق العيون عليها أوجه ســود

هذه هى الوجوه التى تتمثل للناظرين فى الادب الصوفى من خلال تلك الاحاسيس التى دفعت به الى الحيـاة ، والتى وقعت فى صـدور النـاس للصوفية والتصوف ، وعاشت فى أجيال المجتمع الاسلامى يتوارثها الخلف عن السلف !

فهـل ذلك هو الادب الصـوفى ؟ وأتلك هى حقيقته ؟

والجواب على هذا ــ ايجابا أو سلبا ــ يتوقف على الجهة التى تنظر الى هذا الادب ، وتقضى فيه بحكمها ! وان هذا الادب ليتقبل الحكم راضيا مطمئنا اذا هو صدر من جهة محايدة ، معترف بها فى نقد الكلام ، وتذوق ألوانه وطعومه ، والتهدى الى مواقع الجمال والحسن فيه .

عبد الكريم الخطيب

بين الفن والاحتراف

للأستاذ رجاء النقاش

كان الفنان فى الماضى اذا اراد أن يكسب شيئا عن طريق الفن ، وجد من يقول له : عيب كل شىء له ثمن الا الفن ، لان الفن فوق المادة ، انه مجرد هواية تمارسها مجانا .. ولذلك مات البعض مشلولا ، ومات البعض جوعا ، وعاش البعض حياة تعيسة يضرب بها المثل فى البؤس والحرمان . واليوم مازلنا نسمع بعض الذين يقولون للفنان : احذر الاحتراف فالاحتراف انحراف !

فما هى حقيقة هذه الاصوات ولماذا تتكلم ؟

لقد دعتنا مؤسسة المسرح منذ شهر تقريبا الى الاسكندرية لحضور افتتاح فرقة مسرحية جديدة ، تتكون من أبناء الاسكندرية . وعندما اسدل الستار فى الحفلة الختامية التى قدمتها فرقة الاسكندرية الجديدة .. وقف المخرج المعروف كمال ياسين ، وخاطب ممثلى الفرقة الناشئين الذين أثبتوا أصالتهم وفنهم قائلا : اياكم أن تحترفوا .. يجب أن تحافظوا على اخلاصكم للفن بالبعد عن الاحتراف !

فلماذا أراد كمال ياسين أن يحرم أعضاء الفرقة الجديدة الممتازة من حقهم فى التفرغ للفن واحترافه .

لست أشك فى أن كمال ياسين كان حسن النية ولكننى أعتقد أن هذا الرأى ينطوى على خطأ بل خطر كبير ، ويجب أن نناقشه بصراحة ، خاصة وانه ليس رأى كمال ياسين وحده ، ولكنه رأى يتردد على ألسنة الكثيرين ، فالاحتراف فى نظر أصحاب هذا الرأى يؤدى الى عدم الاخلاص ، والى سرعة الانتاج ، ويفقد الفنان كل ماعنده من حماس .

***

ان المحترف بهذا المعنى مجرد انسان يعمل من باب الواجب فقط ، مثل الموظف الروتينى الذى تحفى أقدامه لكى يصل الى العمل ثم تنتهى المسألة بعد ذلك لان (الترقية) سوف تأتى بالدور .. فلماذا التعب والاجتهاد ؟

ولقد كان هذا المعنى السيىء للاحتراف — فى الفن وفى غير الفن — صحيحا فى الماضى ، ولا شك أننا ورثنا هذا المعنى السيىء من المجتمع القديم ، فالاحتراف معناه أن يتحول الفنان الى موظف ، وصورة الموظف فى أذهاننا صورة كئيبة سيئة .. ولكننا — قبل أن نتحدث عن الاحتراف فى الفن — يجب أن نسأل ، من أين جاءتنا هذه الفكرة السيئة المنحرفة عن الوظيفة والموظفين ؟ وهى الفكرة التى تجعلنا نخاف من أن نجعل الفنان محترفا أو موظفا فى الدولة ؟

لقد جاءتنا هذه الفكرة دون شك من ماض تعس كان كل انسان فى بلادنا يشعر فيه بأن بينه وبين الدولة نوعا من الثأر ، ان الدولة تستغله وتعتصره ، ولا تقدم اليه الا أشياء تافهة ، صغيرة القيمة ، لقد كانت حياة الموظفين المصريين مأساة مليئة بالصور والنماذج المؤلمة ، وأذكر صورة قريبة منى شخصيا هى أن أبى وهو موظف بسيط ، قد قضى فى درجة واحدة مدة ربع قرن تقريبا ، ولم تتحرك هذه الدرجة أو تتغير أبدا الا بعد سنة ١٩٥٢ ، وامثال أبى آلاف وآلاف من الموظفين البسطاء الذين بذلوا دم قلبهم على الدولة ولم يأخذوا شيئا .

***

ولن ننسى الصور التى رسمها لنا نجيب محفوظ فى رواياته عن الموظفين ، حيث استطاع أن يسجل بعمق ومرارة صورا لهذه النماذج المطحونة من الموظفين الذين توقفت بهم الحياة فلم يتحركوا خطوة الى الامام وانسحقت — فى نظام الوظيفة — كل آمالهم وأحلامهم كما استطاع أن يحفر فى أذهاننا صورة لاتنسى للموظف الذى يتقدم فى عمله بطريقة غير طبيعية مثل بطل رواية (القاهرة الجديدة) حيث دفع شرف زوجته ثمنا للتقدم فى الوظيفة ، حتى استطاع بهذا الثمن أن يصبح موظفا كبيرا مرموقا . كذلك استطاع بطل (السمان والخريف) أن يصل الى منصبه الكبير عن طريق خدماته الحزبية ، لاعن طريق كفاءته وحاجة الدولة اليه .

***

هذه هى صورة الدولة فى مصر بعد أن رفع الانجليز يدهم عنها ، أما قبل ذلك ، فقد كانت الدولة مكونة من الاجانب — فى معظمها — كان الانجليزى أفضل من الأرمنى وكان الأرمنى أفضل من أى مواطن مصرى كان المصريون فى ذيل القائمة : أقل الناس شأنا وقيمة فى نظام الدولة وحتى فى الاعمال البسيطة مثل

أعمال الخدمة فى المحلات العـــامة ٠٠ كانت معظم الاعمال قاصرة على الاجانب أيضا ٠

من هنا نشأ معنى الاحتراف ، فاصبح احتراف الشيء معناه امتهانه ووضعه فى موضع سيىء منحط لان الاحتراف يجعل الانسان موظفا تحت رحمة الدولة وهى دولة لا تؤمن بالنـــاس فكيف يمكن ان تدافع عنهم ، وتفتح أمامهم الفرص ؟ فهل كان بالامكان فى ظل هذه الفكرة أن يصبح احتراف الفن شيئا مرغوبا فيه ، هل كان بالامكان ان يتحول الفنان الى موظف فى مثل هذه الدولة ؟٠٠ بالطبع كان ذلك شيئا صعبا٠

***

اما الآن ونحن نعيش فى ظل ثورة اشـــتراكية حقيقية ، فلماذا نخاف من الاحتراف ولماذا ندعوا الى الهروب منه ، ان من واجبنا على العكس ان نعمل على تصحيح الافكار الخاطئة عن كل شيء : عن العمل ، عن الاخلاق ، عن الفن ، عن الدولة ٠ ومن بين هـذه الافكار الخاطئة تلك الفكرة التى تقول : ان احتراف الفن يقلل من قيمة الفنان وفنه٠ فالحقيقة ان احتراف الفن فى دولة اشتراكية تقوم على أسس سليمة ـ هو الطريق الصحيح الى التفوق فيه ، ثم خلق فن رفيع سليم ، انه الطريق الى أن يتفرغ الفنان لفنه ، أن يحاول اجادته ومعرفة أصوله الصحيحة ٠

***

يجب ان نتخلى عن الافكار الغريبة الشاذة حول الفن ، والتى لقنها لنا ناس لايريدون لنا فنا عظيما ولا يريدون للانسان عندنا أن يرتفع عن الارض ، ومن هذه الافكار أن الفن لايولد الا فى ظل العذاب ، وفى ظل «البهدلة» والألم ٠٠ هذا كلام فارغ ٠ لان العذاب و «البهدلة» والجوع كلها عوامل معطلة للفنان عوامـــل تقلل من قدرته على الابداع العظيم ، فاذا استطاع الفنان ان يبدع مع الجوع والضياع ، فمعنى ذلك انه أنتج رغم الجوع والضياع ، ولم يكن انتاجه ابدا ـ كما يحاول البعض ان يضحك علينا ـ بسبب الجوع والضياع ؛ ان الانســان لا يفكر وهو جائع ٠ وتاريخ الفن يؤكد أن معظم الفنانين قد أبدعوا أعمالهم الكبرى فى ظروف تســـاعدهم على ذلك ٠ والذين تعرضوا لظروف معاكسة عجزوا عن تقديم كل ما بامكانهم ٠٠ لقد قدموا فقط بعض مايستطيعون ٠

والفنان الآن فى ظل الثورة الاشتراكية ليس دمية حقيرة ، انما هو ثروة عظيمة ، ذلك لأن الاشتراكية الحقيقية ليست هى أن يعمل الناس طول النهار والليل لا يعرفون متعة الروح ولا متعة القلب٠٠ كلا٠٠ بل ان الشعب الذى يبنى السد ، ويقوم بعشرات المشروعات الصعبة ، ويحارب فى كل معركة من معارك الحرية والتقدم ٠٠ مثل هذا الشعب الذى يضحى نفسه ، ويحمل أصعب المسئوليات يجب أن يستمتع أبناؤه بالفنون ، ويسعدوا بما فيها من جمال ٠٠ يجب أن يقرءوا الأدب الرفيع ، ويســمعوا الألحان الجميلة ، والأغنيات الحلوة ، ويجب أن يكون عندهم مع كل مشروع كبير مسرح كبير ومكتبة كبيرة وناد للموسيقى والرسم ، فالفن العظيم مثل الخبز ٠٠ يجب ان يكون فى متناول أبناء الشعب ٠٠

***

ولذلك كان من الواجب ان نرعى الفنان ونعطيه كل حقوقه الكاملة دون أى نقص ، لانه يقدم الينا وقودا حقيقيا لحياتنا المعنوية ٠ ولذلك ايضا يجب أن يتفرغ أعضاء فرقة الاسكندرية بعد أن أثبتوا انهم موهوبون من الدرجة الاولى ، وانهم يكونون فرقـة ممتازة تملك الاخلاص والعمق والفهم ٠ اننى لا أعرف اسما واحدا من أسمائهم ولكننى أعتقد ـ مع ذلك ـ أن عددا كبيرا منهم يتمتع بدرجة عالية من الموهبة ٠ ولو كنت فى مكان المسئولين عن هذه الفرقة لقمت على الفور باتاحة الفرصة امام الفرقة للتفرغ بشرط أن تبقى فى الاسكندرية ، فلا داعى لان تترك هذه المدينة ، فبقاء الفرقة هناك سوف يعطى المدينة من الجاذبية والسمعة بل والكسب المـــادى ، أضعاف مايمكن أن تخسره الاسكندرية بتخلى اعضاء الفرقة عن وظائفهم فى البنوك والمستشفيات وما الى ذلك ، انها ستكون فرقة ناجحة تكسب الذهب معنويا وماديا للاسكندرية ٠

***

ان مانحن بحاجة اليه ليس هو عدم الاحتراف فى الفن ، ولكن هو عدم المجاملة وعدم ادخال الاغراض الشخصية فى أى شيء بحيث لانسمح فى مثل هذه الفرقة أن تدخل عناصر لاتتمتع بالكفاءة الفنية لسبب أو لآخر ٠ يجب أن نختار الفنان الموهوب ونعطيـه الفرصة كاملة ٠ لكى (يحترف) العمل فى الميـدان الفنى ٠٠ مادام قادرا عليه ٠

"الصفحة الفنية" من حياة الامام مالك

للأستاذ محمود الشرقاوى

كلنا يعرف الامام مالكا : الفقيه الكبير صاحب المذهب ، الذى قصده طلاب الفقه والحديث من مصر والمغرب والعراق والاندلس ، والذى الف فى الفقه كتابا من اعظم ما الف العلماء : «كتاب الموطأ»، والذى قدم اليه من الاندلس يحيى بن يحيى الفقيه واقام سنة يأخذ عنه ، وعندما فرغ من سماعه والتلقى عليه قال : انما قدمت مستفيدا من خلقه ، طالبا لشمائله التى هى شمائل الصحابة والتابعين

فهذا حديث لا نريد أن نعيده ، فهو معروف .

حديثنا اليوم عن صورتين من حياة الامام مالك، او صفحتين من سيرته نريد أن نمر عليهما بكلمة قصيرة ولكنها ضرورية ، والتذكير بها مفيد لحياتنا الفكرية والدينيـــــة الآن بل فى كل زمان ومكان ولو انها الآن الزم ضرورة واكثر افادة . وعن صورة ثالثة من حياته ، او صفحة أخرى من سيرته نتحدث عنها بعد ذلك بشىء من التفصيل .

١ ـ الصورة الأولى تتضمن درسا يجب أن يعيه رجال الفكر الدينى فى بلادنا العربية كلها : اولئك الذين يقولون : هذا حكم الله ، وهذا حرمه الله ، او أحله الله . ومن الخير لهم ولشريعة الاسلام ان يتريثو وان يجزعوا من هذا الحكم القاطع الجازم وان يقتصدوا فى القول فيقولوا : هذا ما نفهم من شريعة الله ، او هذا ما نرى انه حكم الله . كان الامـام مالك لا يجترىء أن يقـول هذا حرام وهذا حلال .

يقول مالك : « لم يكن من امر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدى به يقول فى شىء : هذا حلال وهـــذا حرام . ما كانوا يجترئون على ذلك ، وانما كانوا يقولون : نكره كذا ونرى هذا حسنا » .

ولعل هذه الحيطة الامينة وهذا الحذر الـكريم هما اللذان جعلا مالكا يأبى ان يلزم العلماء والناس برأيه وفقهه ومذهبه الذى بسطه فى الموطأ .

****

(بقية الفن والاحتراف)

ان الاحتراف ليس عارا ولا جريمة ، ولكنه حق مادامت الدولة للشعب .. وما دام الاساس الاكبر للتجمع الاشـــــتراكى هو اتاحة الفرصـــــة للجميع حسب كفاءتهم ومواهبهم ويكفى ان استنكار احتراف الفن فى الماضى أدى الى نتائج فاجعة ، فقـد عاش الكثير من الفنانين حياة بائسة نتيجة عدم الاحتراف فى مجتمعنا القديم . فعبد الرحمن شكرى ظل مشلولا عشرين سنة لانه ذاق المر فى وظيفته الحكومية ولم يكسب من أدبه مليما . وانتحر عدد من الفنانين فى مطلع حياتهم لاسباب عديدة على رأسها : ضيقهـم بنظرة المجتمع الى الفن . واذكر من هؤلاء الفنانين اسمين ليسا معروفين فى حياتنا الادبيـة اليوم ، ولكنهما كانا معروفين قبل الحرب الثانية هما : احمد العاصى وفخرى ابو السعود .وتوقف فنانون آخرون عن الكتابة مثل عادل كامل وكان الشـاعر عبدالحميد الديب «مسخرة» الحياة العامة والحياة الادبية لانه لم يكن يعرف غير كتابة الشعر ، وكانت هذه الموهبة كفيلة بان تضمن له الحياة السعيدة فى مجتمع سليم،

ولكن المجتمع الأدبى القـديم لم يسـمح له بان يكسب قوته من فنه وجعل منه دمية منحطة لعب بها أصحاب النفوذ والسلطة وتندروا عليها وكانوا لا يقدمون اليه الطعام الا اذا أضحكهم ، حتى انتهى به الامر الى أن مات من التعب بعد أن صـار مثالا للحياة القذرة البائسة ، وأصبحت قصة حياته مثالا للبؤس الذى لا حد له .

فهل يريد الذين ينادون بعدم الاحتراف فى الفن أن ينتهى الفنان فى مجتمعنا الاشتراكى الى مثـل هذا المصير التعس ؟ .

هل يريدون للفنان ان يكون مثل عبـد الحميـد الديب : مادة لسخرية المتعطلين والفارغين فى آخر الليل بعد أن يأكلوا ويشـبعوا ؟ انها نظرية طائشة خاطئة ، يجب أن نتحرر منها ونرفضها . فالفن فى المجتمع الاشتراكى عمل شريف من أصل شريف يقوم على أفضل الامكانيات فى الانسان .

رجاء النقاش

فقد أراد المنصور ، وأراد الرشيد من بعـــده ، أن يحمل الناس قهرا على أن يلتزموا ما دونه مالك في الموطأ ، والا تكون الفتيا بغير ما قال فيه ، فأبى مالك عليهما ذلك .

وقد ذكر هذه القصة ومحاورة المنصور والرشيد معه في ذلك ابن سعد في « الطبقات » ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » .

٢ ــ وبعض هذاالدرس الذي يجب أن يعيه القوم من رجال الفكر الديني هذه القصـــة عن تسامح مالك وسعة أفقه وتحرجه من « التكفير » حتى بسبب المزعج الفظيع من الرأى والقول ، حتى في المعتقدات .

كان يقول ان المرجئة اخطئوا خطأ عظيما حين زعموا أن من احرق الكعبة أو صنع كل شيء لايخرج من الاسلام . ولما سئل عن رأيه فيهم تلا قول الله تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين » .

هاتان هما الصورتان ، أو الصفحتان ، اللتان نريد أن نمر بهما اليوم في كلمة قصيرة . أما الصورة ، أو الصفحة الثالثة من سيرته ، فهي ما نستطيع أن نسميه ، بلغة العصر ، « حياته الفنية » .

٣ ــ ونحن الصــــحفيين قد وضعنا في العصر الحديث مصطلح : « الصفحة الفنية » التي تتحدث عن المسرح والغنـــاء وما جـرى مجراهما . وهـــذا الاصطلاح نتخذ منه عنوانا لبقية الحديث عن « مالك الفنان » صـــاحب الحاســـة الفنية والملكة الطبيعية والتعليمية في الغناء .

في تاريخ الامام مالك أنه تعلم الفقـه والحديث ونقده على كبار الشيوخ والمحدثين ونقدة الحديث . ولكن أول شيء بدأ بتعلمه كان هو « الغنـــــاء » . وكانت في الحجاز مدارس كثيرة ومذاهب يختلف فيها الناس ويتجادلون . وأحست أم مالك ميل ابنها للغناء ، وتعلمه فصرفته عن ذلك قائلة له : ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فكان من ذلك ، كما قال هو تحوله الى الفقـــه ، ولـكنه بقى على حبـــه للغنـاء وممارسته في بعض الاوقات .

ونلاحظ هنا ان ام مالك لم تعب اشتغال ولدها بالغناء ولم تستنقص تعلمه ولا الاشتغال به ، لا من ناحية الدين ولا من ناحية المجتمع . بل ارادت مالكا على أن ينصرف عنه « حرصا على مستقبله » كما نقول في لغة عصرنا .

مالك معلم غناء وناقد :

وفي تاريخه انه لم يتعلم ، فقط ، الغناء وانه كان أول شيء تعلمه ، بل انه كان أيضا نقادة للغناء وأستاذا معلما يعلمه غيره :

في تاريخه ان سائرا في الطريق ، وقت الظهيرة ، كان يغني بيتا من الشعر يقول :

ما بـــال اهلك يا رباب
خـزرا كأنهــم غضـــاب

وســمعه مــالك فاطل عليه من « خوخة » بابه صالحا : يا فاسق ، أسأت الاداء ومنعت القائلة ــ أي أزعجت الناس وقت راحتهم وقيلولتهم وأشــعت الفاحشــة . ثم اخذ مالك يغني فظن عابر الطريق انه « طويس » أبرع المغنين واعظمهم في عصره ، فســأل مالكا : من أين لك هـــذا الغنــاء الجيد البارع .. ؟ فأخبره مالك خبر تعلمه الغناء وهو صغير وطلب الســائر اليه ان يعيد الغنــاء الذي غناه ، فأجابه مالك جوابا لبقا ظريفا يقول : لا والله تريد أن تحفظه وترويه وتغنيه فتقول : أخذت هذا الغناء عن مالك بن أنس .. !

وصاحب هذه القصـــــة هو حسين بن دحمــــان الاشقر ، المغنى وفي تاريخ مالك وملكته الغنائية وشغفه بالغناء انه حضر عرسا بالمدينة وقام بالغناء فيه . غنى شعرا لابن اذينة يقول :

سليمى أجمعت بينـــا
فأين نقولها أينـــــا
وقـــــد قالت لأتراب
لهـــــا زهـر تلاقينــــا
تعـــالين فقـد طاب
لنا العيش ، تعالينا
وغاب البرم الليـــــــ
ـلة والعين فلاعينــــا
فاقبلن اليهـــا مـــــ
ـسرعات يتهــــادينا ...

الى مثل مهاة الر
مل تكسو المجلس الزينا
غنين متاهن
فكنا ما تمنينا ...

***

ومرة أخرى تقول هذا الشعر الذى نستطيع أن تصفه ، باصطلاح عصرنا ، بانه غزل حار والذى يقول : ان أتراب الحسناء اللواتى هن زهر مثلها تنادين وتداعين ثم تمنين المنى فكان صاحبنا الشاعر هو منى قلوبهن .

هذا الشعر غناه الامام مالك فى عرس !

ومن خبر مالك فى ذلك أنه كان يسير مرة مع ابن أخته : «ابن أبى اويس» اذ رأى جارية تسير تحمل على رأسها جرة ماء وهى تغنى وتقول :

***

ليتنى ارض لسلمى
فتطانى قدماها
ليتنى درع لسلمى
ترتدينى من وراها
ليتنى خادم سلمى
قاعد حيث أراها

فقال مالك لرفيقه : هذا الذى يغنى رجل أم جارية فأجابه : هى «غزال» خادم بنى عمارة . فقال مالك انها لفصيحة اللهجة حسنة الغناء .

وهذا الشعر الذى أعجب به مالك قبل اثنى عشر قرنا نسمع الآن مثله ونعجب به من غناء « فريد الاطرش» الذى يقول بعد نقله من العربية الى العامية:
ياريتنى طير لأطير حواليك
مطرح ما تروح عيونى عليك
يا ريتنى منديل بعبك
. . . . . .

***

الخ .. بل هذا الغناء الذى أثنى عليه الامام مالك أكثر امعانا فى الترضى - أو التذلل - من هذا الذى نسمعه من فريد الاطرش ، فالادراك الفنى عند مالك لايزال ، فى موازين العصر ، ادراكا سليما « عصريا » .

لو غنى حول الكعبة لجاز !..

ومن خبر مالك فى ذلك ايضا أنه مر فى المدينة فسمع «مغنية» تغنى هذا الشعر الجميل البديع :
انت أختى ، وانت حرمة جارى
وحقيق على حفظ الجوار
أنا للجار - ما تغيب عنى
حافظ للمغيب فى الاسرار
ما أبالى ، أكان للباب ستر
مسبل ، أم بقى بغير ستار

***

فكان اعجابه بهذا الشعر وغنائه عظيما حتى قال . لو غنى بهذا حول الكعبة لجاز .

ولاشك فى أن هذه الأبيات التى اعجبت مالكا قد جمعت بين الشعر الجيد المحكم السهل ، وبين الدعوة لمكارم الاخلاق التى تتمثل فى حرمة الجوار والحفاظ على شرفه . وانها مثل كريم للخلق والمروءة والعفة . ولكن بقى أن مالكا اعجبه غناؤها أيضا حتى جوز أن يغنيها المغنون حول الكعبة .. وبقى ان مالكا أثنى على الغناء وأجازه حول الكعبة مع أن الصوت الذى غناه كان صوت امرأة لارجل .. ومع ذلك كله نجد اماما هو يحيى بن يحيى يقيم سنة ليتلقى شمائل مالك «التى هى شمائل الصحابة» .

***

وعندما نستحضر ماكانت عليه احوال المجتمع المدنى الذى عاصره مالك وعاش فيه : (٩٣-١٧٩هـ) لانجد فى أخباره هذه ، ولا فى غيرها مما سجله مؤرخوه ومؤرخو عصره ، شيئا غريبا . وقد تحدث المؤرخون عن الخليفة العادل : «عمر بن عبد العزيز» بمثل هذا الذى تحدثوا به عن مالك وشغفه بالغناء ودرايته فيه ، حتى عد كلاهما : عمر ومالك من طبقات المغنين .

وليست هذه الاخبار ، وغيرها مما تركناه اكتفاء بهذه الأمثلة ، هى كل ما نجد فى تاريخ « الصفحة الفنية» من حياة الامام مالك . بل نجد انه اقام فى بيت كانت مرسومة عليه صورة . ويبدو من بعض

الاخبار أنها كانت مرسومة على الجدار . وذكروا ان هذه الدار كان يسكنها قبله الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود ، وكانت مملوكة له .

❊ ❊ ❊

ذكرت وانا اكتب هذا المقال قصة أريد أن اجعل لها عبرة وأستنبط منها دلالة .

ذلك أن بعض الذين لايعرفون شريعة الله أو يحفظون منها لونا واحدا معينا فى كتبها ، والذين يسارعون الى القول بالمنع والسلبية ، هؤلاء وهؤلاء يحرمون على الناس «زينة الله التى أخرج لعباده» ومنها الغناء والتصوير وكل فن جميل .

❊❊❊

تحدث عالم كبير كان شيخا للازهر فقال ان نشاط الدعوة للتعريف بالاسلام يجب أن يتجه للشعوب البدائية فى افريقيا . والا يتجه الى الشعوب المتحضرة وتلقف خصوم الاسلام وكارهوه ، وبخاصة الصهيونية فى امريكا ، هذه الكلمة من العالم الكبير شيخ الازهر ليقولوا على كل لسان وفى كل مكان ، ان الاسلام ، بشهادة شيخه دين بدائى لا يصلح لغير البدائيين ، وانه يحرم الغناء والموسيقى والتصوير والنحت وكل فن جميل لايستطيع المتمدينون أن يعيشوا حياتهم بدونه .

ولو أن القوم ، ومنهم العالم الكبير شيخ الازهر ، استوعبوا الصورة المتكاملة لشريعة الاسلام ، واستشرفوا أبعادها وتاملوا مثل هذه «الصفحة الفنية» من حياة الامام مالك وغيره لجنبوا شريعة الاسلام قيلة البهتان والزور ، التى الصقت به . ولما استطاع كاره او خصيم أن يقول عن الاسلام انه دين البدائيين او ــ كما قالوا ــ ربع الصحراء .

محمود الشرقاوى

متحف الكون

للأستاذ على الجندى

« وكاين من آية فى السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

« قرآن كريم »

تباركت يا من افضت الجمال … على الكون : مبداه والمحضر
ونزهت عن أن تحيط العقول … بمـرأى ـ لذاتك ـ او مخبر
تجليت فى آيك المبصرات … وحجبت عن مقـلة المبصر
رأيتك فى سبحات الهـلال … يضىء على غـرة الأشـهر
وفى مشرق الشمس من خدرها … وفى صفحـة القـمر الأزهر
وفى لمعة النجم عند الطلوع … وفى لمحـة الدر والجوهر
وفى ومضة البرق ساط السحاب … وفى وقدة الشفق الأحمـر
وفى زخرة البحر طامى العباب … وفى درة العـارض الممطر
وفى الليـل يسجو بأروافه … وفى جلوة الليـلة المقمر
وفى النار ، فى النور ، فى لفحة … الهواجر ، فى نفحة الصرصر
وفى نبضة القلب خلف الضـلوع … الى أمد ـ دوننا ـ مضـمر
وفى البذر تفلق منه النـواة … فيزفر بالمـارج المسـعر
وفى نغم المسـمعات الشـجى … وفى خفقة النـاى والمزهر
وفى سجعة الورق فى صـدحة … البلابل ، فى هتفة القبر
وفى غيـد الجيـد من شـادن … وفى لفتة الرشا الأحـور
وفى هيف القد من دمية … وفى نسق الثغر من جؤذر
وفى الورد يزهو على وجنتى … كعـاب تمت الى عبقـر
وفى بسمة الطفل فوق المهاد … ترف عـلى ثغـره النـير
وفى ألق الزهر ، فى عطره … وفى نفحـه المسـك والعنبر
وفى كل « فينوس » مجبولة … من العطر ، قدت من المرمر
وفى كـل نبت غريض الجنى … تبلج من تربه الأعفـر
ومن يمترى فيك ؟ من يمترى … وصنعك يـدمغ من يمترى
تباركت يا من أفضت الجمال … على الكون : مبداه والمحضر
واسـكنتنى جنـة المشرقين … سنى المـكانة فى معشرى
هزارا يغنى أرق اللحـون … على شاطىء نيلهـا الأسـمر
ولم يجر ماء ، ولكن جرى … اليـه الرحيق من الـكوثر
نعم ، وأغنى لروح الجمال … نقى السـريرة والمئـزر
تبـاركت يامن أفضت الجمال … على الكون مبـداه والمحضر
شـعرت فغنيت يا خـالقى … ولولا جمالك لم اشـعر

على الجندى

أصابعُ يدٍ واحدة ....!

للأستاذ محمد الجبار

صعودا .. فان ذرا الميعاد .. تقترب   صعودا .. ولا تخش شيئا .. اننا عرب
« قسيون » راياته الزيتون .. فى يده   ونحن أهرامنا ... راياتها الشهب
وفوق بغداد نجم ثالث .. خفقت   دقاته بالذى فى أنجمى يجب
فى الفجر كم سافرت روحى ... بأغنية   تشدنى فى رحيلى بالشذى .. حلب
كانني من بلادى نسمة رحلت   بكل أنفاس أهليها .. اذا اغتربوا
« قسيون » ياقبضة للارض ترفعها   الى غد ما طوته فى المدى الحجب
ماجف فيك الشذى.. كلا .. ولا انطفأت   ورودك البيض .. أو ماتت بك الرطب
كاد الربيع هنا ينساك مغتربا   الى الخريف .. ويذوى كرمك العطب
ظنوا انفصالية للشر قد حكمت   هيهات فالشعب بركان له غضب
خرير نيل الذى غنى به بردى   يذوب فى دجلة .. لحنا .. ويشرب
عجبت للارض تطوى فى جوانحها   سر الحياة .. ويغنى اهلها السغب
قد عدت يابردى .. فاسكب على ظمئى   نشيدك الحلو .. يشدو فى فمى الادب
ملأت من نيلنا قنينة .. حملت   ذوب الصباح على كفيك تنسكب
ضم الفرات ذراع النيل فى وله   على ذراعك .. حتى هزنى الطرب
يافا .. استفاقت شذاها كل امسية   فالعطر عن روضه .. فى الريح يغترب
وحين تبكى نواعير الشام أسى   أصغى لساقيتى ... فى الليل .. تنتحب
يا روح تموز من ينسى مواكبنا   ورهط أعدائنا ولى بهم هرب
ونحن قبضة اعصار .. تبددهم   بمنجل النار للأعداء ... نحتطب
دماؤنا غسلت للقدس وشم أسى   لكنها لم تزل بالوشم تكتئب
لا تنبتى ياكروما فى ذرا صفد   الا اذا فر منها كل من نهبوا
انى لأعجب يا ارضى .. وفيك لنا   كل المرارات ... هل يحلو هنا القصب ؟
ياصاحبى ... ودمى فى الارض تعرفه   دماك ... والجرح عين منك تنسكب
انا كتبنا سطورا ... بالدماء ... هنا   حروفها اننا ... فى أرضنا .. عرب
أخى ببغداد ... أو بالشام .. مد الى   يدى يديك ... فضوء الشمس لى نسب
ووحدة النور للابصار تجمعها   ووحدة الارض فى أعماقنا أرب
ووحدة اللغة الفصحى وشائجنا   ووحدة الهدف السامى لنا .. سبب
يا دولة ... وحدود الضوء تحرسها   ما دومت بالشجى فى أفقك السحب
غدا .. سالقى قصيدى فى شواطئكم   وتستضيف نشيدى ... تلكم الرحب
ترحب الارض بى انى أسير بها   كأن خطوى بها نبض لها يثب
هذى الوجوه ترى من أين قد سطعت   فيها ملامح أرضى ... بالشذى تهب
ثلاثة من حروف لاسم دولتنا   انا لنزهى بها عن كل ما كتبوا

محمد الجبار

في مهرجان الشعر الخامس
شواعر المهرجان
للأستاذ العوضي الوكيل

- ٢ -

في أجواء المهرجان ، وفي كل لياليه ، انبعثت أنغام حالمة كانت تختتم بها حصة الشعر في كل ليلة من تلك الليالي ، لتبدأ بعد ذلك حصة الموسيقى والغناء .

وكان المشرفين على المهرجان رأوا أن يكون صوت الشواعر حالما رقيقا هو خير برزخ يصل أو يفصل بين أصوات الشعراء من الرجال – وبعضها منكر أجش – وبين الموسيقى والغناء .

وفي العدد الماضي من الرسالة قلنا ان الشعر النسوى الصادق الصحيح قد اثبت وجوده في هذا المهرجان بصورة واضحة ، وأضحت هذه حقيقة من الحقائق الادبية التي أسفر عنها قيام المهرجان .

وقد اشترك في المهرجان تسع شواعر ، منهن واحدة فازت في المسابقة التي يجريها المجلس كل سنة لشعراء الشباب ، وهي بقصيدتها الفائزة تطل بوجهها لاول مرة على المجتمع الادبي ، أما البواقي فقد سمع الناس لهن من قبل أشعارا في مناسبات شتى ، وفي غير مناسبات ، وقرأ الناس لبعضهن دواوين من الشعر .

والشاعرة الفائزة هي سميرة ابراهيم زيدان ، وعنوان قصيدتها هو « يا دولة العرب » وهي في خمسة وأربعين بيتا . وقد تنبأ العقاد للشاعرة بمستقبل في الشعر طيب ، والامر كذلك في رأينا ، لان قصيدتها تثبت – أول ما تثبت – قدرتها على الصياغة الشعرية الرصينة ، ولا عليها ، وهي في مستهل الطريق ، أن تعجز عن خلق المعاني ، والصور والافكار ، وتصويرها وعرضها في صور نفسية مقبولة ، على أن الافكار التي تناولتها الشاعرة في قصيدتها تتصل بموضوع مطروق مستهلك ، وربما كان ذلك سببا من أسباب اعاقتها عن الخلق والابداع الفني فيما عدا الرصف والحبكة اللغوية التي أفلت الزمام فيها أحيانا من يد الشاعرة فتسربت الى القصيدة كلمات من أحشاء المعاجم مثل الشذب والقين، والغرب – جمع غراب – والقن – وهو العبد ، الى غير ذلك .

أما الثماني الباقيات فهن شريفة فتحي ، وفلورى عبد الملك ، وروحية القليني ، وعزيزة كاتو ، ولورا الأسيوطي ، وسميرة أبو غزالة ، وجليلة رضا ونجاة شاور ربيع .

اثنتان من هؤلاء اشتركتا في موضوع الحديث عن الاسكندرية وذكرياتها وهما الشاعرتان روحية القليني وجليله رضا .

وواحدة أخذت من حياتها موضوع قصيدتها وهي الشاعرة الفلسطينية سميرة أبو غزالة ، وموضوع قصيدتها « حلم عودة » ، وتحدثت شاعرتان عن السلام وما يدور حوله وهما فلورى عبد الملك ونجاة شاور ربيع . تناولت شاعرتان موضوعا قوميا يختلف بين احداهما والاخرى وهما عزيزة كاتو بقصيدتها « أنشودة الى العائدين » ، ولورا الاسيوطي بقصيدتها « جمال والاشتراكية » .

وشاعرة واحدة اتجهت اتجاها عاطفيا خالصا هي الشاعرة شريفة فتحي ، وقد وزع المجلس بين ماوزعه من الشعر المطبوع قصيدتين احداهما بعنوان صراع في ثلاثة عشر بيتا ، والاخرى بعنوان حبي في خمسة عشر بيتا لهذه الشاعرة . وان تكن – فيما نتذكر – قد ألقت شيئا من الشعر الوطني لم نجده – مع الاسف – في المطبوع الذي بين أيدينا .

أما روحية القليني وجليلة رضا ، فانهما – رغم اتفاقهما في الموضوع – قد اختلفتا اختلافا بينا في علاجه ، فروحية تصف ظواهر الاسكندرية من بحر ونسيم ، وتقصد قصدا الى ذكر معالم الاسكندرية بين الرمل والمكس وكامب شيزار ، وهي مع ذلك تحاول أن تذكر لك في سذاجة قد لا يتطلبها الموقف لماذا تحب هي الاسكندرية ، فلا تكاد تستطيع أن تذكر شيئا من أسباب ذلك الحب الا ان الاسكندرية جميلة البحر والهواء والأمسيات وان لها حديثا عن الاجيال جميلا .

وتتجه جليله اتجاها آخر فالاسكندرية حين يجفوها الناس في الشتاء ليست الا امرأة أدبر شبابها فانصرف عنها العاشقون وبابؤس تلك النهاية الأليمة ، وهذا الاتجاه لا يكاد يفارق الشاعرة في

معظم مقطوعات قصيدتها ، وكأنه يستغرق نفسها استغراقا .

لم يبق للعشاق بعد شتاتها أمل وغاية
أو تلك خاتمة الحسان الغيد؟ يا بؤس النهاية

***

ذهبت ولم تترك هنا فوق الرمال سوى الضياع

وبدأت ـ يا حسن النهاية ـ فجر عمرك كالوليد

ليت الأنام لهم ربيع كل عام من جديد

وروحية القلينى أحسن من صاحبتها فى تخير الكلمات التى تصب فيها معانيها ، والطف موسيقى ، وأجود صوغا . ولا ريب أن مرانتها الشعرية الطويلة ظاهرة فى قصيدتها بوضوح ، والروح النسائية فيها بارزة ، كقصيدة جليلة .

رف النسيم على الوجنات فى الفجر
فارج الجو فى مسراه بالعطر

***

ونسمة الصبح فى ود تعانقنى
فتنتشى الروح من أنسام واديك

اما شاعرتا السلام ، فقد كانتا كشاعرتى الاسكندرية اختلافا فى منهج القصيدة . وقصيدة نجاة « صلوات صامتة » قصيدة عامة ـ ان صح هذا التعبير ـ فهى ترنيمات ليس بها خط درامى واضح ، بل ان بها بعض المفارقات فان الهلال النحيل لا يمكن أن يظهر قط فى الهزيع الاخير من الليل ، وخير للشاعرة أن تبقى قصيدتها دعوات للكون ليملأه الله بالحب والسلام ليسمعها الناس انفاسا انفاسا . على أن بالقصيدة بعض الصور المبهمة التى لا تتصل بغيرها فتبقى مقطوعة الصلة بما حولها . وفيها ـ مع ذلك ـ صور ومعان جيدة :

فى الهزيع الاخير والليل ساج
وقلوب أحلامها نشوانه
والهلال النحيل ...
يا الهى أدعوك فاقبل دعائى
واهد يا رب أنفسا حيرانه
واهد يا رب كل باغ ظلوم
عاش فى الارض ناشرا طغيانه

أما فلورى عبد الملك فقصيدتها متكاملة الفكرة ، تدور على محور واضح فى ذهن الشاعرة ، والمحاورة التى جرت بين الشاعرة والسلام فن من القول جميل ، والعرض فى مثل هذا الاطار القصصى مؤثر أيما تأثير ، ولقد صاغت الشاعرة أفكارها فى بساطة ، وفى أسلوب سهل قد يعتوره الاسفاف أحيانا ، ولكن القصيدة ـ مع ذلك ـ تبقى محتفظة بقدرها الفنى بين قصائد المهرجان .

لا تتركوا الشرر الأكول يفر من رأى عنيد
ليشتت الشمل الأليف ويقتل النغم السعيد
ودعوا الرضيع لأمه ، يحظى بما يحظى الوليد

أما قصيدة شاعرة فلسطين ، فهى قصيدة تتصل ـ كما قلنا ـ بحياة صاحبتها اتصالا وثيقا ، ولا عجب بعد ذلك أن تمتلىء بحرارة الصدق ، وأن تعينها تلك الحرارة على اجادة الصياغة :

هناك أخى ثائر مزبد
هناك سيبقى الفتى اليعربى
طويل النجاد رفيع العماد
قوى الشكيمة حر الأب
يجد المسير الى ملتقانا
الى القدس، مسرى الرسول النبى

***

هناك أخى ثائر لا يلين
هناك يهيىء للعودة !

والشاعرتان الوطنيتان لورا الاسيوطى وعزيزة كاتو ، اختلفتا أيضا فى الاتجاه ، فلورا شرحت الاشتراكية شرحا خطابيا فى لغة سليمة وأسلوب متين ، ووفقت كل التوفيق فى الجمع الذهنى لعناصر موضوعها ، وفى عرضه ، وشاب القصيدة هدوء فى موسيقاها ، وكان خيرا لها لو أنها بثت بها بعض الثورة :

الزرع تجنى جناه كف زارعه
والصانعون لهم فى الربح أزكاه
وأصبح الكل فى حق الحياة له
منها نصيب بقدر الجهد يلقاه
لم يبق فينا فقير شفه سغب
الا ونال المنى من خير دنياه

أما كاتو فقد بدت موسيقاها ثائرة ، وكانت ألفاظ قصيدتها وثيقة الصلة بموضوعها ، وكانت الروح النسوية ـ رغم ذلك بارزة فى قولها « يا لزهوى » أكثر من مرة ، وبقولها :

مذكرات طاغور عن طفولته

ترجمة : حورية حجازى

(بقية)

- ٤ -

وحينما كنت تلميذا مقيدا فى المدرسة الشرقية الابتدائية ، كنت أتخذ فصلا خاصا بى فى أحد أركان شرفتنا . وكانت قضبان الشرفة الخشبية هى تلاميذى ؟ وكنت أنا معلم الفصل ، أحمل العصا فى يدى ، وأجلس على مقعد أمام القضبان . وكنت أحدد من هم التلاميذ المجتهدون ومن منهم الكسالى . وكنت أميز فى سهولة ، الهادىء منهم والعفريت .. والذكى من الغبى . وكانت العصا تهبط دون شفقة على التلميذ الكسول أو الشقى أو الغبى . ولكن سرعان ما انهارت تلاميذى الخشبية ، وكان على أن ابدلهم بتلاميذ من الحديد ! وكنت يومها لا أدرك بأن ماكنت أفعله ، ليس الا رد فعل للانفعالات العتيقة التى كانت تعمل فى نفسى عن المعلمين والتلاميذ فى فترة صباى .

ولم أطق صبرا على المكوث بالمدرسة الابتدائية الشرقية ، فنقلت بعد شهور الى المدرسة العادية . وكل ما أتذكره عن تلك المدرسة ، أن التلاميذ جميعا كانوا يصطفون فى طابور طويل كل صباح ، وينشدون بعض الأشعار أو الأغاني ، كمحاولة لاثارة الفرح فى نفوسهم قبل بدء اليوم الدراسى .

ولكن لسوء الحظ كانت كلمات الأناشيد انجليزية ، ويبدو اللحن أجنبيا ، لهذا كنا لا نفهم كلمة واحدة من هذا الذى نردده فى أصوات عالية . وكانت تجربتى مع تلاميذ تلك المدرسة مريرة للغاية . فقد كان أغلبهم من طبقة منحطة ، لا أخلاق لهم . لهذا لم أستطع الاندماج فيهم والحصول على أصدقاء من بينهم . ولعل الابتعاد عن هؤلاء التلاميذ هو الذى هيأ لى الفرصة للاستذكار الطويل العميق ، والتهام كل ما كان يقع فى يدى من كتب وكراسات ومقالات .

وبعد مرور عام واحد فى تلك المدرسة ، أديت الامتحان فى اللغة البنغالية ، وكان ممتحنى هو البانديت كاشاسباتى . وحصلت على أعلى درجة بين

(بقية فى مهرجان الشعر الخامس)

واختيالى بالزنود السمر فى أرض البطوله
بشقيقى .. بالفدائية فيه والرجولة

والقصيدة فى عمومها واعدة بمستقبل طيب فى الشعر لصاحبتها .

وتبقى بعد ذلك قصيدتا شريفة فتحى ، وكلتاهما رفيعة المستوى سواء من ناحية المضمون ومن ناحية النظم ، ولا جدال ان المرانة واضحة فى أسلوب الشاعرة حيث طوعت لها المعانى فصاغتها كأحسن ما تكون الصياغة ، وكلتا القصيدتين ذات فكرة فاحداهما تصور الحيرة بين الحب ، والمحافظة الخالصة أو بين ابداء الحب وكتمانه أو بين الانطلاق وتقوى الله :

أبدعته بيديك حرا جامحا
وغللته بتقاك عبدا موثقا
فاذا بأخلاق تصارع خلقه
حر سجين يبتغى أن يعتقا

واكاد من همى أذوب بحيرتى
والقلب أضحى من قضائك مشفقا
اما أضحيه شهيدا للهوى
أو أن أضحيه شهيدا للتقى
أو أن أسلم أمره لهما معا
فيظل فى هذا الصراع ممزقا

والاخرى تتحدث حديثا عذبا عن كتمان الحب ، والحب عندها ، كما تقول من مفاتن ذاتها فلا غرو ان سترته وبالغت فى ستره :

أولى بقلبى أن أراه محطما
من أن اراه عارى القسمات
فالقلب محراب يضم عواطفى
أو ليس للمحراب من حرمات ؟

والقصيدتان من النماذج الطيبة ذات المكانة بين شعر المهرجان .

العوضى الوكيل

التلاميذ . واشتكى المدرس لسلطات المدرسة بان المتحنين كانوا يلقونني الاجابة ، وبانهم يحابونني محاباة صريحة . ولهذا السبب أديت الامتحان للمرة الثانية ، بينما وقف ناظر المدرسة يراقبني . ولكني أظهرت تفوقا في هذه المرة أيضا .

- ٥ -

وكانت سني لا تتعدى العام الثامن في ذلك الوقت . وكان ابن عمتي « جيوتي » اكبر مني سنا ، فاستطاع أن يتعلم الادب الانجليزي ، وأخذ يلقي على مسامعي كل يوم اشعار «هملت» بعد أن يحفظها عن ظهر قلب . وحدث بعد ظهر أحد الايام ان استدعاني الى غرفته ، وطلب مني أن احاول كتابة بعض أبيات من الشعر ، ثم اخذ يشرح لي كيفية بناء بيت الشعر المكون من اربعة عشر مقطعا . وكنت لا أتخيل مطلقا ، ان محاولتي في كتابة الشعر ستنتج شعرا ، وصفه ابن عمتي ، بانه رصين وممتاز . وفي مساء أحد الايام ، سمعت أن لصا تسلل الى البيت وبأن الخدم قبضوا عليه .

واعترتني مشاعر الفضول والخوف معا ، وعزمت على مشاهدة اللص بنفسي . ولكني وجدته رجلا عاديا . بل اني عندما شاهدت بواب البيت يقسو عليه بالضرب المبرح ، امتلأ قلبي شفقة على اللص . ومثل هذا الشعور احس به تجاه الشعر ! فحتى اليوم ، عندما أسطر بعض الكلمات غير عامد ، اجدها تتحول الى شعر موزون .. وعندما اجد الشعر المسكين يتعثر على شفاه او اقلام بعض الكتاب ، اشعر باحساس الشفقة الذي أحسست به نحو اللص .

ومنذ ذلك اليوم ، اخذت يدي تخط ابياتا مهلهلة من الشعر على كل ورقة تصادفني . بل حدث يوما ان وجدت ملفا حكوميا هاما فاخذت اسطر على صفحاته الخلفية ، كل ما كانت تسعفني به قريحتي من الشعر . وكان جزائي علقة ساخنة لا انساها مدى الحياة .

وحدث يوما ان لمح ابن عمتي السالف الذكر « ناجوبال ميتر » محرر صحيفة «نيشنل بيبر» قادما لزيارتنا . فاقتحم عليه الغرفة ، وقال له دون مقدمات : عمي ناجوبال ، ألا تستمع الى قطعة من الشعر الفهارابي ؟ ورابي هو اسمي بين العائلة .

وكنت دائما مستعدا لاطلاع أي شخص على شعري ، فقد كنت الكاتب والطابع والناشر كلهم في آن واحد . وكانت جيوبي دائما مليئة بالمخطوطات . وكان اخي هذا هو وحده الذي يقوم بالاعلان والدعاية .

وفي سرعة ، أخذت القي قصيدة « اللوهشي » امام الكاتب الشاعر الصحفي ناجوبال بابو . ولم اكد أنتهي حتى صاح : هذا جميل .. رائع .. ! ولكن ما معنى دويرفا ؟

واسقط في يدي ، فقد كنت لا اعرف معنى هذه الكلمة . ولكني وضعتها في القصيدة ، لضرورة القافية فقط . وابتسم « ناجوبال » كأنه قد فهم . واعتراني الخجل . وشعرت بالتفاهة . وقررت الا اقرأ الشعر ابدا أمام هذا الرجل . ومرت بي السنون وكنت اتجنب خلالها « ناجوبال » ، حتى أتى الى يوما ، وقال لي وهو يبتسم : لقد عثرت في القاموس على معنى « دويرفا » : انها النحلة عندما تسكر من العسل .. لقد غاب هذا المعنى عن بالي ... فشكرا لك ... ؟!

- ٦ -

وكان احد معلمي المدرسة الاعتيادية ، يأتي الى بيتنا لاعطائنا بعض الدروس الخصوصية . كان يابس العود ، جاف الوجه ، أجش الصوت ، يبدو كزعزوعة القصب . وكانت مواعيده من السادسة الى منتصف العاشرة صباحا . وبفضله تحولت قراءتنا من الادب الشعبي والعلوم المبسطة ، الى ملاحم ميغانا وقادا .

وكان شقيقي الثالث ، حريصا على أن يمدنا بالمعلومات المتنوعة . لهذا كنا نتعلم في البيت أكثر مما كنا نتعلم في المدرسة . وكان علينا أن نستيقظ قبل الفجر . فنقوم ببعض التمرينات الرياضية الساذجة ، ثم نقبل على الدرس مباشرة ، ندرس الادب والحساب والجغرافيا والتاريخ . وعند عودتنا من المدرسة ، نجد في انتظارنا معلمي الرسم والالعاب الرياضية وفي المساء ، كان يفد علينا أغور بابو ، ليعطينا دروس الانجليزية . لهذا كنا لا نفرغ من الدرس قبل التاسعة مساء . وفي صبيحة أيام الآحاد ، كنا نتلقى دروسا في الغناء على الاستاذ فيشنو . ولم تكد تمر فترة طويلة ، حتى بات يفد على بيتنا الاستاذ سيتانات دتا ، ليعطينا دروس

(البقية على صفحة ٤٠)

المساهمة الاسلامية في الطب

للأستاذ نيرواسطي

أستاذ الطب اليوناني والعربي بجامعة الكنان

(١)

من المألوف لدى مؤرخي العلوم والفنون ، ولاسيما أولئك المعنيين بتاريخ الطب أن يتجاهلوا الحقبة الاسلامية في الفنون والمعرفة بقولهم انه لم يظهر خلال هذه الفترة اى عمل بناء ، وان المسلمين حسب رأيهم لم يفعلوا شيئا سوى انهم حافظوا على التراث اليوناني وابقوه حيا ، ثم نقلوه الى العالم الاوربي ، ولو سلمنا بوجهة النظر هذه سيكون المرء عازفا عن دراسة العلم الذي ساهم المسلمون به « مساهمة قليلة » .

ومن بين الفترات الثلاث المتميزة لتطور علوم الطب (وهي اليونانية والاسلامية والاوربية) نجد ان الفترة الوسطى مستبعدة بحجة انها خالية من الانتاج ، ولكن هذا الرأى هو على شيء كثير من الخطأ والضلال .

التراث اليوناني

ليس عندى ادنى شك في التسليم بأن العلماء والحكماء المسلمين قد اعجبوا بالفنون والمعارف اليونانية ، ولكنهم لم يسيروا مغمضي الأعين على خطى أسلافهم اليونانيين كما انهم لم يكتفوا بما خلفه جالينوس وأبقراط من تراث قليل ، بل انهم محصوا هذا التراث وغربلوه ثم أخرجوا منه ما هو مفيد لهم ، ورفضوا دون تردد ما اعتبروه عديم الفائدة قليل الاهمية . وفضلا عن الشيء الكثير الذى فعلوه في هذا الميدان ، فان العلوم الطبية القائمة تبدلت الى علم جديد بكل معنى الكلمة على أيديهم .

فكتابا « القانون » لابن سينا و « الحاوى » للرازى يعدان شهادتين ناطقتين على مساهمة المسلمين في هذا العلم .

ولاشك بأن استعراضا معقولا للمساهمات الاسلامية ستحتاج في الحقيقة الى عمل ضخم . ولكنني سأستشهد فقط بعدد قليل منها .

علم التشريح

لم يسلم العرب تسليما أعمى بتفسيرات اليونان لعلم التشريح او بكتاب « علم التشريح » لجالينوس . بل محصوا هذا العلم تمحيصا دقيقا ، وقد روى عن يوحنا بن ماسويه انه حين الف كتابه في علم التشريح استحضر قردة من حديقة الخليفة المعتصم بالله لاجراء اختبارات التشريح عليها .

وقد قام بعمليات كاملة عليها لجعل معرفته اكثر اتساعا ، وللحصول على المزيد من المعلومات حول الجسم البشرى .

ويقول ابن القفطى ان يوحنا كان ينوى في البداية التضحية بابنه للقيام بهذه التجارب ، ولكن الخليفة حال بينه وبين هذه الطريقة وبعث اليه بالقردة .

انتقاد جالينوس

ان الجداول البيانية والرسوم التفصيلية لاجزاء الجسم الانساني كتلك التي ظهرت في كتاب « تشريح المنصورى » لمؤلفه منصور بن محمد (١٣٩٦ بعد المسيح) لم يعثر عليها مطلقا في التراث اليوناني .

وفي هذا الميدان نجد ان العرب قد تفوقوا على اليونانيين وقدموا عدة اضافات . وقد كتب عبد اللطيف البغدادى في القرن الحادى عشر ينتقد جالينوس على تأكيده بأن الفك الاسفل مؤلف من عظم واحدة . ويعتبر البغدادى ذلك نقصا في الملاحظة الدقيقة . كما لاحظ على بن عباس بأن هناك ثلاث طبقات في جدران الأوعية الدموية .

واستنتج علماء التشريح المسلمون على عكس جالينوس بأن الجمجمة البشرية تحتوى على ثمانية عظام بينما اكد جالينوس انها تحتوى على سبعة . وفي ما بعد اعتقدوا ان الاذن تحتوى على ثلاثة عظام صغيرة لتسهيل طاقة السمع .

الفيزيولوجيا

يذكر برهان الدين فى كتابه « شرح الاسباب » ان الدم يحتوى على عصير العنب (السكر) . وقال الرازى ان مادة حامضة وجدت فى المعدة ، واعتقد حنين ايضا ان هناك عصيرا حريفا فى المعدة هو الذى يسبب الشعور بالجوع .

وقد شرح علاء الدين ابو الاعلى ، على بن ابى حزم القرشى من دمشق نظرية الدورة الدموية بالتفصيل قبل ثلاثمائة سنة من السير وبليام هارف وهو واقع اعترف به البروفسور دكتورج . بلاتام من جامعة مانشستر .

وقال حنين بن اسحق ان تركيب الاعصاب هو مماثل للدفاع ، ووجد علاء الدين القرشى من دمشق ان الغذاء هو الوقودالازم للمحافظة على تدفئةالجسم . وقد نميت هذه الفكرة فيما بعد . وقد شرح ابو سهل المسيحى بان امتصاص الغذاء يجرى فى الامعاء اكثر مما هو فى المعدة . وحين وصف ابن سينا عملية الهضم قال انها تبدأ فى الحقيقة عند مضغ الطعام فى الفم . وقال ابو الفرج ان هناك اقنية فى الاعصاب تتدفق الاحاسيس والحركات عن طريقها .

البكتريولوجيا (علم الجراثيم)

ان العلم الطبى اليوم هو نتيجة ابحاث الجراثيم وفى هذا الصدد تأتى الابحاث التى اجراها ابن سينا فى الطليعة . وقد ذكر ضمنا ان الافرازات الجسمية تتلوث بجسم اجنبى ارضى غريب قبل ان تصاب بالالتهاب . وذكر ابن ختمية (١٣٦٩ ميلادية) ان الانسان محاط باجسام دقيقة تدخل الجهاز البشرى وتسبب الداء ، وقد استشهد الدكتور غروينر بهذه الآراء ليعبر عن الرأى القائل ان العرب كانوا مطلعين تمام الاطلاع على نظرية الجراثيم .

وشرح ابن الخطيب وجود العدوى بالتفصيل ، وقال انه توصل اليها بعد التجربة والملاحظة .

التشخيص والمعالجة

وصف الجرجانى فى « ذخيرة خوارزم شاهى » الفرق بين جحوظ العين والغوطة الذى اكتشفه الدكتور بارى سنة ١٨٢٥ اى بعد ٦٠٠ سنة على ذلك . وكان الرازى أول من الف كتابا عن الحصبة والجدرة ، واظهر الفرق بين الاثنين . وسنة ١٦٨٩ بدا المسلمون فى تركيا عمليات التلقيح ضد الجدرى التى انتقلت الى اوربا فى القرن الثامن عشر عن طريق الليدى مونتاغو زوجة السفير البريطانى فى تركيا ، ولم يكن الاطباء اليونانيون يقدرون على التفرقة بين الدائين .

وقد اقترح ابو المنصور سعيد بن بشير بن عبدوس ، على عكس الاطباء اليونانيين القدماء ، الاطعمة الخفيفة والادوية التى تسبب البرودة عند معالجة الشلل العمومى وشلل الوجه .

وقد طبق ابو الحسن الذى كان طبيب عضد الدولة طريقة الفصد لمعالجة النزيف الدماغى الذى ينتج غالبا عن الضغط الدموى . وفى تركيا كان الطبيب المسلم شرف الدين سابونكو اوغلو هو أول من جرب الترياق على الدبوك قبل اعطائه الى المرضى . وقد شرح ابو القاسم الزهراوى (فى القرن العاشر) ان الجرح فى النخاع او النخاع الشوكى يسبب الشلل .

(يتبع) ـ نير واسطى

فوزى الشتوى فى جوار الله

● فى اواخر الاسبوع الماضى استأثرت رحمة الله باحد كتاب الرسالة المبرزين هو المرحوم الاستاذ فوزى الشتوى المحرر العلمى للأهرام .

والرسالة اذ يعز عليها أن تنعى الى قرائها كاتبا من كتابها ، كان فوق غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وعمق معرفته ـ مثلا فى دماثة الخلق ،وسمو النفس ، وعذوبة الطبع ـ تسأل الله عز وجل له الرحمة ولذويه الصبر ، ولقراء الرسالة العزاء .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

رائد قصصي يخلد رائدة اجتماعية

« عفيفة اسكندر ابراهيم » التى حدثنا عنها فى « الأخبار » الأستاذ احمد بهاء الدين ، كانت احدى شخصيات قصص « شحاته عبيد » أحد روادنا القصصيين منذ أكثر من اربعين سنة .

قال الأستاذ بهاء : « جاءت الى مكتبى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، وفى يمينها قطعة حية ، غريبة، من التاريخ ... » وهذه القطعة هى سيدة تناهز السبعين ، حكت قصتها للأخ بهاء قائلة : **انا عفيفة اسكندر ابراهيم أول فتاة مصرية دخلت باب الجامعات فى مصر ، وجلست جنبا الى جنب مع الطلبة وأضرب الطلبة احتجاجا على وجود فتاة بينهم ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٣ .** وقصتها فى الجامعة تتلخص فى انها تعهدت الا تطالب بشهادة الليسانس كشرط لبقائها فى الدراسة ، وبقيت فى الدراسة بكلية الآداب حتى تخرجت بدون شهادة .. اللهم الاشهادة بانها استمعت الى دروس قسم الآثار القديمة .

وتضمنت حكايتها أنها درست الرسم والموسيقى ودخلت الجمعيات النسائية التى كانت قد بدأت تظهر فى أعقاب الحركة الوطنية ، وأقامت معارض للرسم ، وقدمت فى احدى الحفلات الخيرية الكبرى لوحة رسمتها بريشتها لسعد زغلول ، وعرضت للبيع فى مزاد علنى لصالح بعض المشروعات الخيرية، فبيعت بمبلغ ٢٨٠ جنيها .. وكان ذلك فى سنة ١٩٢٠ .

***

ولست أدرى هل تعلم السيدة عفيفة ، أو لا تعلم، ان شحاته عبيد خلدها فى قصة عنوانها « الصلاة » بمجموعته « درس مؤلم » المطبوعة سنة ١٩٢٢ وقد ورد اسمها كاملا كما هو فى القصة مع اسماء نسائية تاريخية معروفة فى الحركة الوطنية والنهضة النسائية التى اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ .

وقصة « الصلاة » محورها أديب سماه الكاتب « بطرس مقار » ولا أدرى هل هو اسم حقيقى أو موضوع ، رسم شخصيته على أنه أديب مضيع أبى ان يسف بأدبه ويتجر به واصر على أن ينتج الأدب الجاد الصادق ، فلم يفهمه قومه ولم يقدروه ، وعاش يصارع الفقر ويكابد آلام الحياة ، حتى توفى تاركا وراءه أرملة وأربعة اطفال ، ولم يترك لهم سوى دفاتر سودتها يمينه كما سود الدهر صفحات حظهم .

***

وعاشت أسرة الأديب فى ضنك وسغب وشقاء ، حتى وقف على أمرها صديق قديم لعائلها الراحل ، فاهتم بها وأخذ على عاتقه أن ينتشل أسرة صديقه القديم من الفاقة والبؤس ، وعمل على أن يسلك طريقا خفيا لا يجرح احساس الأرملة ، ورأى ان سبيل ذلك هو الجمعية الخيرية القبطية ، وهو احد اعضائها العاملين .

وكان يتردد على منزل الأسرة ، وفيما هو ينقب يوما فى خزانة قديمة عثر على دفاتر ثلاثة ، تدع الكاتب : شحاته عبيد يحدثنا عنها ، ففى حديثه بيان اتجاه أدبى جديد فى ذلك الوقت ، قال :

« الكراسة الأولى ديوان شعر عنوانه (كبد يتفتت) **نهج فيه الناظم نهجا حديثا متحديا شعراء الغرب فى نظمهم** ، ورأى بسخرون (اسم الصديق) الديوان عبارة عن مقطعات وقصص منظومة ، وكلها تحلل الآلام الانسانية تحليلا صادقا استمده محلله من اختباراته فى آلامه الشخصية ودروسه النفسية والكراسة الثانية عنوانها (أغنياؤنا) عبارة عن رواية مصرية الفها خصيصا ليجمع فيها نفسيات أغنيائنا فيشرح كلا منها تشريحا وافيا يدل على تلمسه أمكنة الداء فيها ، فكانت بحثا اجتماعيا مستفيضا فى الغنى والفقير صب فيه عصارة أفكاره وجل مباحثه ومطالعاته فى قالب قصصى جذاب .

والكراسة الثالثة عنوانها (الزواج المادى) وهى أيضا رواية عصرية يشرح فيها فساد بناء العائلة اذا كان قائما على زواج أساسه المادة ، **وقد اقتدى المؤلف فيها بأهل المذهب القائل بأن يترك للقارىء جهد معرفة قصد المؤلف** ، فالكراسة لمن يقرؤها لا يكلف نفسه عناء التفكير لا تخرج عن كونها قصة جميلة ، ولمن عرف مرمى كاتبها درسا نافعا مفيدا يستخلص مغزاها من مجموع حوادثها » .

قدم بسخرون هذه الكتب للجمعية كى تطبعها وتخصص ثمنها لأسرة المؤلف ، ووافقت الجمعية ، وطبعت الكتب ، « ولكن انحطاط عقلية الجمهور جعلها مهملة فى غرف الجمعية ومبعثرة فى المكاتب كما يعبر شحاته عبيد .

وهنا ينتقل بنا الكاتب الى موضوع آخر تتصل حادثته بالأولى ، والموضوع الثانى يشبه الكتابة الصحفية من حيث انه سرد وقائع وقعت فعلا بأسماء أشخاصها الحقيقية . وكان هذا اندفاعا من جهة الى عرض صفحة مشرقة من النهضة الأولى ، ومن جهة أخرى الى الايغال فى الواقعية الادبية ايغالا لا يدنو به الكاتب الى الواقع فحسب ، بل يعرض به الواقع نفسه .

ولا شك ان تعدد الموضوعات الرئيسية فى القصة القصيرة وعرض الواقع نفسه دون أن يحول الى واقع أدبى ، من العيوب فى الكتابة القصصية ، ولكن أكثر الله خير الكاتب .. فقد كان هو وزملاؤه يرتادون لنا طريقا جديدا .

***

ونعود الى القصة ، كى نصل الى الآنسة عفيفة ولوحتها الغالية ..

يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ اقيم « سوق الاحسان الخيرى » وعرضت به أشياء كى تباع لصالح الفقراء ، كان من بينها كتب بطرس مقار الثلاثة « وبسخرون يصحب أكابر القوم اليها فيشترون الكتاب بعشرين وثلاثين جنيها وقد عرفوا الغاية من عرض هذه الكتب » ويرى المشاهد هناك « حرم شعراوى باشا وحرم خياط بك وحرم فهمى بك ويصا ، يأخذون السيدات ويفهمنهن علة وجود هذه الكتب ومصير ثمنها فتتهافت السيدات على شرائها وكل واحدة تدفع فيها ما تجود به نفسها » .

***

وكان من تلك الأشياء « صورة زيتية لرئيس الأمة وزعيمها سعد باشا زغلول تصوير آنسة من اوانسنا المهذبات الشغوفات بهذا الفن الجميل الآنسة عفيفة اسكندر كريمة اسكندر افندى ابراهيم المحامى هدية منها لفقراء الجمعية ، وقد رأت الأعضاء ان لا تظهرها فى المعرض الا فى آخره ، فوضعتها فى غرفة وأحكمت الرتاج عليها ، وذلك ادخارا للصورة الى الوقت الذى يلاحظ فيه ملل رواد المعرض وشحهم فى الشراء ، فتعرض لاثارة النشاط والمباراة فى الخير .

وهطلت الأمطار حتى اخترقت سقف السرادق ، فلجأ المدعوون والأعضاء الى الغرفة التى وضعت فيها الصورة ، وما فتح الباب ودخل الرجال والسيدات ، ووقع بصرهم عليها حتى وقفوا وقفة الاجلال والاحترام وحيوها بصوت واحد : فليحيى سعد باشا زغلول . فليحى الاستقلال التام . وتجاوبت الأصوات ، فكان فيها الصوت الأجش والصوت الرفيق الرنان ، وما الذ وأحلى أصوات السيدات هاتفات لرمز أمانينا واستقلال بلادنا يميزها عن أصوات الرجال الحنان والعذوبة » .

***

وأخذ القوم يتزاحمون فى شراء صورة سعد ، حتى رست « على حضرة الخواجة مسيحة بهنا من التجار بمبلغ ٧٢٠ جنيها مصريا . وقد كان يشاهد الملاحظ الدقيق تفتح العيون واصاخة الآذان واضطراب الأعصاب لكل قيمة يظن أنها الحد الأقصى للصورة ، **حتى ان الغريب الجاهل بحركتنا الأخيرة يصيبه ذهول لمجازفتنا ، وربما اخذه شك فى عقليتنا** ، اذ لا يرى فى الصورة رسم رفايل أو مانيه أو فرومان وان كانت فى الحقيقة قيمة من الوجهة الفنية ، ولكن قيمتها الفنية لا يمكن أن توازى القيمة المعطاة لها لكونها تمثل الرئيس ، وربما تمكن أن يلاحظ نفس المدقق كيف عضت حرم شعراوى باشا شفتها غيظا حتى كادت تدميها وقد دفعت فيها خمسمائة جنيه ثم

شغلتها مدام ويصا بك بالاستفهام عن بعض الأشياء واذا بالخواجةمسيحة يدفع ٧٢٠ جنيها وظنوها أقصى قيمة فرسا عليه مزادها ، ولم ينبه حرم شعراوى باشا لنتيجة المزايدة الا قول كريمة شاروبيم بك الآنسة صوفيا بجانبها : « برافو ، فليحى الوطنيون فانتبهت واذا بالصورة قد بيعت ، فعضت شفتها ندما لافلات هذه الفرصة منها » ·

***

وبيع فى ذلك اليوم من كتب بطرس مقار ما فرج على أسرته البائسة ، وكان ـ الى جانب مبلغ شهرى تبرعت به محسنة فاضلة فاتحة ـ عهد جديد لأسرة لأديب الذى لم يقدره أحد فى حياته ·

ومعذرة لقراء الرسالة مما يرونه فى النصوص المنقولة من القصة ، من أخطاء لغوية ومن ضعف فى بعض التراكيب · وقد كان ذلكمما جعل هذا الكاتب وزملاءه يتخلفون عن ركب الحركة الأدبية ، وكاد يبتلعهم النسيان · **ولكننا الآن ـ ونحن نعيد النظر فى تاريخنا الأدبى ـ لا يسعنا الا أن نحلهم فى مكانتهم الأدبية وهم روادنا فى فن القصة · ولا يخفى ما فى تلك النصوص من صور فنية وافكاررائدة فى الاتجاه السديد للأدب والتعبير الصادق ·**

***

ونعود مرة خرى الى السيدة عفيفة اسكندر ابراهيم وحاضرها المؤثر ، كما حدثنا عنه الأستاذ بهاء ، لقد بدد والدهاثروته قبل أن يموت ، واضطرت الى كسب رزقها عن طريق اعطاء دروس خاصة فى كل اللغات التى تتقنها : الانجليزية والفرنسية والالمانية ، ثم أدركتها الشيخوخةبأمراضها وأصيبت بالذبحة الصدرية ومنعها الأطباء من التدريس ، **وهى الآن تسكن فى (بنسيون) متواضع ·· وقد تلقت انذارا من صاحبته بالطرد لعجزها عن دفع الأجرة ·**

***

وقد كانت هذه السيدة من أهل الخير الذين يتبرعون للفقراء ، على نحو مارأينا فى قصة شحاته عبيد ، وان حالتها الآن تشبه حالة أسرة الأديب بطرس مقار · واذا كان « بسخرون » قد استطاع أن ينقذ أسرة صديقه ، **فاننا اليوم فى مجتمع اشتراكى يحمى أفراده وشيوخه العاجزين من العوز والعذاب ، وهى فنانة آلت الى هذا المصير المؤلم · ولهذا نضم صوتنا الى صوت الأستاذ أحمد بهاء الدين** فى الالتجاء الى الدكتور حاتم راعى الفن والفنانين ·

هذا وقد عرفنا من خلال ماكتبه بهاء أنها تجيد عدة لغات أجنبية ، فاذا كانت حالتها الصحية تمكنها أن تقوم بالترجمة فانى أقترح أن ينتفع بها فى هذا المجال على قدر طاقتها بطريقة تلائمها وتحفظ كرامتها ·

زكى طليمات

قرأت أن لجنة المسرح بالمجلس الأعلى للفنون والآداب رشحت الأستاذ زكى طليمات لجائزة الدولة التقديرية فى الفنون ·

وزكى طليمات له شأن كبير فى حياتنا الفنية والأدبية ، فهو أب المسرح فى مصر ، واذا كانت جهوده المتواصلة الدائبة فى خدمة المسرح معروفة ، **فان هذا الجيل لا يعرف أن زكى طليمات كان من أدباء الطليعة فى الثلاثينات من هذا القرن ··** كان من أعضاء المدرسة الحديثة التى كانت تضم احمد خيرى سعيد وحسين فوزى وطاهر لاشين وغيرهم ، وكان من رواد الدعوة الى التعبير عن الشخصية المصرية فى الأدب والمسرح وسائر الفنون · وله دراسة قيمة عن «محمد تيمور » صدر بها كتاب « مؤلفات محمد تيمور » الذى أصدره الأستاذ محمود تيمور عقب وفاة شقيقه · **وقد كان رواد الأدب ورواد المسرح متعاونين فى تلك الفترة ومتحدين فى الهدف الكبير ، وهو انشاء فن قومى يصور البيئة المصرية ويقف فى وجه الابتذال والاتجار بالمثيرات الرخيصة ·**

***

وقراء الرسالة فى عهدها الماضى يذكرون ما كنا نكتبه عن كفاح زكى طليمات فى انشاء معهد التمثيل وتكوين فرقة المسرح الحديث وما كان يلاقيه من مقاومات رجعية استطاع أن يتغلب عليها وينشىء جيلا جديدا للمسرح العربى من أمثال احمد الجزيرى وسعيد أبو بكر وعبد الغنى قمر والمرحوم صلاح سرحان ونعيمة وصفى وسميحة أيوب وزهرة العلى وسناء جميل ·

هؤلاء وغيرهم هم أبناء وبنات زكى طليمات ، وقد شاهدت فى « البروفات » وعلى خشبة المسرح ، فى معهد التمثيل وفى مسرح حديقة الأزبكية ، كيف كان هؤلاء العمالقة الآن عجينة طرية فى يد زكى طليمات يصنعها على عينه ·

انى أعجب كيف تأخر تقدير هذا الرجل حتى الآن ·

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

المهرجان الادبى فى المنصورة

(١)

فى الايام السابع والثامن والتاسع من هذا الشهر انعقد المهرجان الادبى لمحافظة الدقهلية فى مدينة المنصورة ، ودعى اليه لفيف من الادباء والمفكرين من أبناء المحافظة المقيمين بالقاهرة وغيرهم، وفى مقدمتهم الاساتذة والدكاترة : الزيات والشناوى ومندور والنابعى وانيس منصور ورامى وصالح جودت والخميسى ، وعز الدين اسماعيل واحمد كمال زكى ورجاء النقاش وفاروق خورشيد وصلاح عبد الصبور وعبد الملك عودة وزكى نجيب محمود وأنس داود ومحمد أحمد العزب ومحمد عودة وسعد الدين وهبه وهمت مصطفى وزكريا الحجاوى واحمد عباس صالح وغيرهم ، وعدد من الشاعرات

وقد حضر المهرجان من حضر وتخلف من تخلف ، وهؤلاء الذين تخلفوا منهم من له عذره ومنهم من ليس له عذر ولكنه آثر السلامة والعافية .

وفى اليوم الأول التقينا بالسيد المحافظ فى مكتبه وظللنا اكثر من ساعة ، ابدى خلالها السيد المحافظ والسيد سكرتير المحافظة الذى قام على عاتقه كل شىء ، ابديا استعدادهما لكل ما ينهض بالحركة الادبية ، وكان مما قاله السيد المحافظ : ان هذا المهرجان تجربة اولى يضعها بين ايدينا ، وابدى الجميع من ادباء القاهرة استعدادهم ايضا للتعاون مع المحافظة فى هذه المهمة ..

كنت افهم وانا احمل حقيبتى الى المنصورة ان هناك تخطيطا شاملا للمهرجان من جانب المحافظة . وأن ادباء المحافظة القاهريين على صلة بهذا التخطيط ولكن يظهر ان المحافظة دفعتها رغبة الى اقامة مهرجان ادبى باى شكل دون ان يكون هناك وقت كاف لوضع خطة أو منهاج ، اعتمادا على ان ادباء القاهرة لن يعدموا كفاءة تؤهلهم للعمل على انجاح المهرجان ، وكان واضحا ـ بالطبع ـ ان الادباء المدعوين لم يقدر لهم ان يجتمعوا فى القاهرة قبل سفرهم ، ليعدوا انفسهم لهذه المهمة التى دعوا اليها حتى يستروا الموقف ، ويشرفوا أنفسهم وبلدهم على الاقل ، واذا كانت المحافظة قد قصرت فى تحديد اهداف المهرجان ، ليحقق ما يستطاع منها ، فان هذا لن يعفى ادباء القاهرة من المسئولية مطلقا وهم لم يدعوا كضيوف شرف ، وانما دعوا الى المهرجان أعضاء عاملين ..

ان اى مهرجان ادبى فى محافظة من محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، يجب ان تكون اهدافه تنشيط الحركة الادبية المحلية فى المحافظة ، والاتصال بادبائها المقيمين فيها وتقييم انتاجهم ،وابراز قضايا ومشاكل شعب المحافظة عامة، وهى قضايا ومشاكل لا حصر لها..وابراز جزء من تاريخ المحافظة الحافل بالاحداث .. فماذا حدث فى مهرجان المنصورة الادبى ؟

اولا : ان ادباء القاهرة لم يتصلوا على الاطلاق بادباء المحافظة المقيمين ، ولم يفكروا فى استبدال الرحلة الى مصيف جمصة لقضاء نهار باكمله هناك ، بعقد ندوة يجتمعون خلالها بالمتصلين بالحركة الادبية المحلية ، لتقييم انتاجهم ، وتوجيههم ، بل لم يفكروا وفيهم صحفيون كبار ـ فى الاجتماع بهيئة تحرير مجلة المنصورة ، ليقفوا على وضعها ، ويزودوها بالخطط والمناهج التى تجعلها تقف على قدميها ، ويناقشوا مشكلاتها التى تعترض طريقها .

وادباء القاهرة كان فى استطاعتهم ان يخصصوا اليوم الثالث والاخير من المهرجان الاستماع الى انتاج ادباء المحافظة المقيمين بها ، ولكن الايام الثلاثة انقضت بخير وعافية ، دون ان تبرز لهؤلاء الادباء المقيمين شخصيتهم ، صحيح ان اثنين او ثلاثة منهم القوا قصائد ، ولكنها كانت دون المستوى مادة وهدفا ، فالمعروف ان الادباء المقيمين بالمحافظة هم اقرب الناس الى مشاكل الشعب وقضاياه ، ولكن الذى حدث ان الشاعر عبده المبارك القى قصيدة فى التفرقة العنصرية والخليقة الانسانية ، والشاعر محمد الشامى القى قصيدة فى رثاء كنيدى اثارت الجماهير ، والشاعر الوحيد الذى القى قصيدة عن الفلاح الشاعر على العزب ولكنها كانت مملة لطولها واختلاط معانيها ..

أما ادباء القاهرة العمالقة فيظهر انهم فهموا ان مهمتهم قاصرة على القاء انتاجهم الادبى ليجتذب تصفيق الجمهور وكفى ، ولو كان هذا الانتاج قديما أو معادا على الاقل ، او كان مما لا يتصل من قريب او بعيد بقضايا الشعب ومشاكله ..

افتتح الدكتور منـدور اليوم الاول بحديث عن الواقعيه النقدية والواقعية البناءة ، وتلاه الاستاذ صالح جودت فالقى قصيدة الاسكندرية في المهرجان الخامس للشعر (من وحى بلقيس) مع اضافة أبيات معدودة تحية الى المنصورة ، والقت الشاعرة ملك عبد العزيز قصيدة عنوانها (ثورة على التفرقة العنصرية) والقى الشاعر محمد الجيار قصيدة مهرجان الاسكندرية أيضا عنوانها (حكاية صديقى الاسود) ولكنه عاد فالقى في اليوم الثانى جزءا من ملحمة شعرية عنوانها (معركة المنصورة) كما القى فى اليـوم الثـالث قصيدته (صـلاة الى الحرية) والقت الشاعرة الفلسطينية سميره ابو غزالة (نداء الامومة) كما القى الشاعر عبده بدوى قصيدة جيدة عنوانها : (الشوق الى يافا) اما الشاعر كامل الشناوى فقد اكتفى بأن يبعث الى المهرجان بأغنيته الجـديدة (يا حبيبهـا) التى سيغنيها المطرب عبد الحليم حافظ ، كما ارسلت الشاعرة جميلة العلايلى بقصيدتها (راعيـة) والقت الشاعرة روحية القلينى قصيدتها (صلوات قلب) ثم قصيدتها الاخرى (كرامة) ، كما القى المذيع الشاعر ابراهيم عز الدين قصيدته الصغيرة (انا الشمعة) وكان نصيب معركة المنصورة وهى جزء مهم فى تاريخ العالم الاسـلامى ، قليلا نسبيا، فالدكتور احمد كمال زكى القى قصيدة مقتضبة لم تتضح فيها معالم المعـركة تماما ، وان كانت القت بعض الاضواء عليها ، وذكرتنا بالشعر القديم فى الفاظها ومعانيها بداها بقوله :

لا يا فؤادى .. ما علتك صـهباء
ولا حبتك بوصـل رمت حسـناء
فهـذه سـاعة قد كنت ترقبهـا
كمـا ترقب لقيـنا الأم ابنـاء

والقى الشاعر عبد الرحمن صدقى قصيدة عن المنصورة جاءت خفيفة المعانى رقيقة الالفـاظ . بداها بقوله :

منصور مذ كنت يا منصـورة
وعداك من قدم هنـا مقهـورة

والقى الشاعر محمد الجيار جزءا من ملحمته عن معركة المنصورة ، اجتذبت تصفيق الجمهور ، والقتالشاعرة فلورى عبد الملكقصيدة عنالمنصورة موجزة لم يمكننا القاؤها من أن نفهم منها شيئا والحق يقال : ان قصـيدة الشـاعرة لورا الاسيوطى عن معركة المنصورة جاءت واضحة المعانى ، وقدمت لها بكلمة نثرية فتحت الاذهان الى قصيدتها .

أما الذينتحدثوا فى المهرجان غير الشعراء فكثير. تحدث الاستاذ الخميسى عمن نكتب لهم الادب ، انهم كل الناس البـسطاء ، كل من لهم قضـايا ومشـاكل ، يجب ان نحس بهم ليحسـوا بوجودنا ووجودهم معا ، واثار الدكتور عز الدين اسماعيل قضية القديم والحديث ، وذكر انـنـا نمر بفترة انتقالية فى كل شىء ولابد من الاستقرار على اى اللونين ، وقد خطونا خطوات فى الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وبقى ان نخطو نفس الخطوات فى الاستقرار على اى اللونين فى المجـال الادبى ، يجب ان نرضى عن الشعر القديم والجديد على سواء مثلا ، ونعيش التجربة كما يجب ان تكون دون التمسك باى نمط من الانماط ، وننهى المعركة ونلتزم المعايشة السلمية تاركين للمستقبل ان يحكم للاصلح بالبقاء .. كما تحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن العـدل والحرية حديث العالم المفكر ، والدكتور عبد الملك عودة عن التفرقة العنصرية دون أن يتم حديثه . وتحـدث المذيع عبد المنعم سلام حديثـا سريعا اسـماه خواطر ، والواقع انهـا مست احساساتنا ، قال يجب ان نرى اثرا للفكر والفن المحليين خدمة للريف اولا ، وذكر ان هناك مشاكل عديدة فى الريف لم يحس بها الادباء بعد ، وتحدث الاستاذ احمد حرك المحرر بالجمهورية حديثا طويلا مختلط المعانى والافكار ، فلعن الصـحافة والاذاعة و (التليفزيون) قبـل الثورة ، وطالب هذهالاجهزة بالعناية بقضايا الفلاحين ومشاكل الريف .

اما الذى لم افهمه مطلقا ، فهو موقف المخرج حسن الامام ، والمخرج عاطف سالم ، فالاول وقف يتحـدث عن نفسه وانحى باللائمة على الصحفيين من ابناء الدقهلية الذين يهاجمون اتـجاهه . وفى مقدمتهم ـ الاستاذ احمد عباس صالح الذى لم يرع له قرابة ولا رحما . والآخر وقف ليرفع يده اليمنى ويقسم بايمان ثلاث مغلظة بأنه لم يولد فى (جاردن سيتى) وانمـا ولد فى قرية من قرى المنصورة ، ثم اخذ يحدثنا عن نفسه

(يتبع) ـ محمد عبد الله السمان

الكتب ـ عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحي

امريكا فى نظر اوربا

تأليف : ادوارد . و . شيستر

ترجمة : السيد وفائى

يحتــوى الكتاب على تجميع وشرح لوجهــة نظر الكتاب الاوربيين مثل هارولد لاســكى ودينيس بروجان ـ وأرنولد توينبى ـ وأندريه سيجفريد ـ **وبرنارد فاى ـ وهيرمان فون كيسرلنج وغيرهم ـ فى مختلف مظاهر الحياة الامريكية ٠٠ ويرى هؤلاء الكتاب ان هناك اوجه نقص كثيرة فى ثقافة امريكا ـ وفتر فى مادتها ـ وفى اعتقادهم بان جو هذه البلاد لا يساعد على ازدهار ثقافتها على مستوى عال ٠ ويرى ارنولد توينبى ـ ان الطبقة المتوسطة فى هذه البلاد « قد انحدرت عن المستوى الذى عينته روما» ويوضح ـ لوفيج فون ميزيس أن هناك هوة بين رجل الاعمال والرجل المثقف فى أمريــكا ـ وذلك لان المثقفين فى امريكا يقفون من الراسمالية موقفا مضادا ـ لا يقفه** زملاؤهم فى اوربا ٠

❋❋❋

واورد المؤلف راى النقاد الاوربيين فيما اسماه ـ بالثقــافة الشعبية فى امريكا ـ مبينا كيف يطلقون لاقلامهم العنان عنــدما يتنــاولون بالبحث المظاهر المتعددة لهذه الثقــافة كما أن الكثير منهم يرون فى هوليود انها تلم بجميع نواحى هذه المظــاهر فيرى هارولد لاسكى ـ **انهوليود تمثل كتلة من المتناقضات التى يصعب فهمهــا ـ حيث نجــد الرجال الذين لايعرفون شيئا عن اى شئ يتصرفون بوحى منجهلهم** ـ ويرى جورج ديهامل ـ **اى شعب يقع تحت تاثير السينما الامريكية لنصف قرن من الزمان هو دون ادنى شك فى طريقه الى الانحلال** ـ وحتى الراديو والتليفزيون يتجهان الى هــذه الغــاية نفسها من الاستعمال ٠٠ ويرى المعلقــون الاوربيون كذلك أن الصحافة الامريكية هى اسوا مثل لثقافة رديئة وذوق غير مهذب ـ فيرى هـ ٠ ١٠ ل فيشر حجمها الكبير الذى تصدر به دليلا على أنها لا تهتم بالمعلومات بقدر اهتمامها بالاعلانات ـ فى حين تعتقد أوديت كوين أن قراء هذه الصحف غالبا ما يتسمون بالجهل والغباء ـ اما جيمس برايس ـ الذى لا يقــل عن غيره ضيقا بالصحافة الامريكية ـ فيؤكد أن الناس فى الولايات المتــحدة يتركون للصحف أن تتولى عنهم تشكيل آرائهم ـ وفى المجال الدينى يذكر المؤلف أنه اذا ما نظرنا الى المستقبل البعيد وحاولنا أن ندرك كنه ما يراه المفكرون الاوربيــون فى مستقبل المظــاهر المختلفة للدين فى الولايات المتحدة ـ نخرج من ذلك بنوعين من وجهات النظر فى هذا الموضوع فهنــاك وجهة النظر التى يرى أصحابها فيما يتنبئون به من ان هناك نزعة دنيوية ستطغى على الدين فى أمريكا وهناك من وجهة النظر الاخرى التى يرى أصحابها أن الدين سيبقى ويســود ولكن فى صورة أخرى ٠٠ وذلك على الرغم من أن هؤلاء الكتاب يعرضــون فى كتاباتهم من الايضاحات ما يحملنــا على الاعتقاد بأن تقوى أمريكا هى تقوى سلبية غير روحية ٠

وفى مجال المقارنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوجه الخلاف بينهما يميل غالبية الكتاب

فى أوربا الى الاعتقاد بأن هذه الخلافات بين أمريكا وروسيا يمكن أن تسوى بطريقة سلمية ـ ويحاولون فيما يكتبون أن يعـددوا أهوال الحرب الذرية ـ ويبرزوا بشاعتها ـ حتى يحـولوا بذلك دون اية محاولة للقيام باعتداء مسلح ـ ومن جهة أخرى فانه اذا ما قدر للواقعة أن تقع فليس من شك فى أنهـا ستكون اكبر حرب مدمرة تعرضت لها الانسانية على مر الزمن ـ وفى هذا يقول كل من سيدنى وبياتريس ويب : « ان هذه الحرب التى ستكون من نوع جديدة اذا ما قدر لها أن تقوم ـ وعندما تقوم ـ ستكون حربا دينية على أوسع نطـاق وفى أبشع مظـاهر الوحشية مشبعة بروح التضحية بالنفس فى اصرار مستميت يجعل من الحروب الدينيةفى القرن السابع عشر مجرد شغب بسيط اذا ما قورنت بها ..

***

وحتى من وجهة النظر الاقتصـادية فان ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من أوجه تعارض ليست مستعصية الحل ـ وبنـاء على ذلك يقول ـ ارنولد توينبى : « انه اذا كان الانسان ليس أكثر من أن يكون انسانا اقتصاديا فليس هناك من مبرر لقيام اصطدام بين كل من روسيا وأمريكا فى هـذا العالم لاجيال قادمة » ـ ويؤيد توينبى رأيه فى هذا الخصوص بأن المسـالة بين هـاتين الدولتين ليست أكثر من أنها أساسا مسالة معنوية وليست مسالة اقتصادية ـ كما يؤكد ج٠د٠ه كول من ناحية أخرى فيما يكتبه عن الطابع الامريكى والروسى بأن الخلاف الرئيسى بين البلدين خـلاف سـياسى بحت ...

ويستحسن أن نضيف هنـا ما يراه الاوربيون من أوجه للتعارض بين كل من أمريكا وروسيا وهى أوجه لها من الصحة ما يجعلها جديرة بالعرض فمن ذلك مايراه أرنولد توينبى من أن «الشعب الروسى يمتاز عادة بطبع هادىء مستقر مسـالم على العكس من الشعب الامريكى الذى يمتاز بطبع قلق غير مستقر وهو عنيد فى نفس الوقت ٠

ويذكر المؤلف كذلك فى مجال بحثه الخاص عن الراديكالية وروسيا ـ أن جوزيف تشـومبيتر ـ الصديق الصدوق للرأسـمالية ـ يتنبأ بأن النظام الاشتراكى سيحل حتما محل النظام الرأسـمالى فى الولايات المتحدة ـ وبالمثل يبدى ـ لودفيـج فون ميزيس شكوكه فى مستقبل الرأسمالية فى أمريكا ـ بقوله ـ « ان الموضوع الرئيسى فى النضال السياسى الحالى هو ـ هل ينظم المجتمع على أسـاس الملكية الخاصة فى شئون الانتـاج أو على أساس الملكية العامة .. ؟

كما يتنبأ جاك مارتين أنه سيسود فى الولايات المتحدة نظام اقتصـادى لا هو بالرأسمالى ولا هو بالاشتراكى ٠

ومن النتائج التى وصل اليها المفكرون الاوربيون أن الجمهـور الامريكى ليس دائم الاهتمام بالمسائل السياسية وان تتبعه لها متقطع ليس له صفة الدوام ـ مما ينتج عنه تهيئة الفرصة لذوى النفوذ أن يلعبوا دورا هاما فى ادارة شئون البلاد ٠ فيقـول أندريه سيجفريد « أن اهتمام البلاد الأكبر ليس بالمسائل السياسية بل هو مركز بصفة خاصة على شـئون الانتـاج » وفيما يتعلق بالطبيعة المتغيرة لاهتمـام الشعب الامريكى بالامور السياسيةيرى هارولدلاسكى « أن الرأى العام له وجهة خاصة فيما يهتم به بدلا من أن يكون له نظرة عامة من عدم الاهتمام » ويرى دينيس بروجان ـ أن الامريكيين لا ينظرون لرجل السياسة نظرة جدية كما ينظرون لرجل الاعمال أو صاحب المهنـة منهم ـ لذلك فان الشخص الموهوب يتردد كثيرا قبل أن يبحث له عن مركز سياسى لانه يشعر بأنه لن يتلقى من الاحترام ما هو أهل له ..

***

وفى مجال الاشارة الى الملاءمةبين المثل الديمقراطية والتوجيهات الاقتصـادية يرى ـ جونار ميردال ـ أنه يجب على الديمقراطية والقطاع الخـاص معا أن يتوليا حل مشكلة تشغيل الايدى العاملة حلا كاملا ـ فى حين يعلن هارولد لاسكى ـ أنه يوجد تعارض بين الرأسمالية والديمقراطية ـ ويلخص دينيس بروجان الموقف بأن المشكلة التى تواجهها البلاد الديمقراطية فى الوقت الحاضر وبالذات الولايات المتـحدة هى التـوفيق بين الديمقراطية السياسـية والتقـدم الاقتصادى ٠

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

لماذا هذا التجني

حاول الاستاذ العوضي الوكيل (في الرسالة الغراء العدد ٢٠) أن يتناول مهرجان الشعر الذي اقيم بالاسكندرية من حيث المقارنة بين القصائد الواحدة الموضوع . وهي زواية مثيرة وحساسة الى حد كبير اذ هي وضع لشاعرين في الميزان ومقارنة بينهما مما يحتاج الى كثير جدا من الدقة واللباقة والتحرز ، وكل ذلك واكثر منه متوفر لأستاذنا الوكيل . فقد مر بموضوع التفرقة العنصرية آخذا على الشاعرين من وجهة نظره ما أراد ، غير مفضل لاحدهما على الآخر ، موردا من نص القصيدتين ما استطاع .

ولكنه في موضوع « الى ولدي » عرض لقصيدتي دون أن يورد نصا منها ، وهذه مخالفة لأبسط قواعد النقد ، لان الناقد في هذه الحالة يحجب الكائن الفني عن الجمهور وينصب ذوقه وصيا على القراء ويلقنهم رأيه فيما لم يروه .

يقول الاستاذ الناقد عن قصيدتي الى ولدي — دون أن يورد نصا منها « انها قصيدة لا جو لها لان أولها يوشك أن يلتقي بآخرها على سرد للافكار والمعاني » ثم يقول في موضع آخر « انها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة » واذن فالقصيدة لها جو أو ليس لها جو لست أدري .. ثم ان وصف الناقد للقصيدة يفيد انها وحدة واحدة وموضوعها متماسك متكامل مرتبط وأعتقد ان هذا في حكم النقاد الحقيقيين للقصيدة وليس عليها .

ويقول الناقد أيضا عن القصيدة « فيها مقطع كنت أحب ألا يلقنه الشاعر لابنه وهو — بعد — ما يزال في المهد ، ذلك هو الشكوى من حقد الناس والتبرم بهم » .

والقصيدة كعمل فني نتيجة تجربة حقيقية ومعاناة صادقة ، والطفل ما هو الا المؤثر الذي دفع التجربة الى الفاعلية والانتاج ، وتجارب الفنان لا تخضع لما يحبه أو لا يحبه الناقد ، وخير للطفل أن يعرف بعد أن يكبر حقيقة المجتمع الذي يعيش فيه من خلال التجربة التي عاشها أبوه .

وبعد هذا فان ما يختتم به المقطع المشار اليه هو :

حاولت أكرهه فلم أفلح وأسقط في يدي
اني أحب الناس ياولدي ولو حقدوا علي

ثم يقول السيد الناقد « ولست أدري لماذا حشر الشاعر كلمة الشهي حشرا في وصف فم ابنه الصغير اكثر من مرة ، فيقول في البيت الثاني :

لاتحرمن أباك من فمك الشهي اذا ابتسم

وفي البيت الثاني والعشرين :

وتعثر الكلمات في فمك الشهي المبتسم»

ولست أدري أنا كيف يكون هذا الوصف حشرا ، وهل أحس الناقد أنه لا داعي له ؟ ثم هل استعمال فعل اشتهى ومشتقاته حتى الشهوة — معيب؟ والناقد مشهور بأنه يحفظ القرآن الكريم ، فهل يعرف كم مرة استعمل هذا الفعل ومشتقاته في القرآن ؟

ويتفضل سيادة الناقد فيقول « وانها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة أن يقول الشاعر الشادي لابنه (تعبت من الحديث معك) فانها شهادة بما تدعيه من أن القصيدة ليست بنت تجربة عاطفية أصيلة » .

فكيف يكون ذلك ؟ كيف يتصور الناقد أن هناك انسانا أو حيوانا ليس بينه وبين ولده عاطفة أصيلة؟ قد يخطيء الشاعر التعبير — اذا حدث ذلك — ولكنه لا يمكن أن يتهم أبدا بأنه ليس بينه وبين ابنه عاطفة أصيلة .

ان أمانة القلم تحتم على من يملكون نشر الكلمة اذا حاولوا النقد أن يحسنوا — على الاقل — القراءة ، لقد سمع الناقد القصيدة وكان حاضرا المهرجان ثم قرأها في (الرونيو) على حد تعبيره ، ثم أتى في نهاية المطاف ليقرأ الشاهد خطأ فيتهم الشاعر بأنه قال لابنه (تعبت من الحديث معك) بضم التاء في تعبت ، ولو قرأها على وجهها الصحيح كما سمعها بفتح التاء لأصبحت تاء المخاطب ولتغير المعنى فأصبح (تعبت من الحديث معي) وأصبح فيه من الحنو والاشفاق ما يدل الناقد على العاطفة الاصيلة التي يبحث عنها بعد أن يغطيها .

ومما شرفني به سيادة الناقد أنه جاء الى القصيدة الاخرى التي تشترك مع قصيدتي في نفس الموضوع فنقدها في خمس جمل ، قال فيها ان هذه القصيدة أجمل من الاخرى ، ثم ان هذه القصيدة أحسن من الاخرى ، ثم ان هذه القصيدة جرت على نسق أعلى من الاخرى ... وهكذا ... ثم اورد الشاهد الذى اعجبه منها في سبعة أبيات ، وهكذا كشف الغطاء وأسفر الناقد عن هدفه من وضع شاعر أمام شاعر ، وأنا لا اعتراض لي على حكم الناقد فهو حر في رأيه ، حر في نشره على الناس ما دام يملك الكلمة ، انما كنت أرجو أن يضع الشاهد الذى لم يعجبه من قصيدتي في سبعة أبيات أيضا ، حتى يدع لغيره الاشتراك معه في الحكم ، فقد انتهت عهود الفردية والتاله حتى في النقد .

وبعد فمرحبا بالنقد ... النقد السليم على وجهه الصحيح بكل أصوله وتقاليده .

محمد التهامي

تعليقات عابرة ..

في العدد ١٠٣٦ من الرسالة الغراء الصادرة في ٢١ نوفمبر الماضي قصيدة للاستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل بعنوان « أريد لقاء الله » لى عليها تعليقات عابرة أجملها في الآتي :—

١ — قال الشاعر :

أعنى على هذا (الستار) فانني
عجزت ولم تهدأ براكين حيرتي !

وحبذا لو قال : أعنى على هذا (الحجاب) . فالستار غير الحجاب . قال تعالى : « حجابا مستورا » ، اى حجابا على حجاب ، ومستورا بمعنى ساتر أى مفعولا بمعنى فاعل، وليست الغيوب من السهولة والضحولة بحيث اذا رفع عنها (الستار) ظهرت للعيان حقيقة لا غيبا كأى شيء مادى .. بخاصة وأن الشاعر يطلب العون من الله وقد عجز عن اللقاء حائرا ..

٢ — وقال في بيت آخر :

دهور توالت والرباب على يدى
(واعزف) للانسان .. الخ

والواو في (واعزف) لا مكان لها في البيت .. البتة .

٣ — وفي بيت آخر يقول :

ودرت حواليها وطرفي ساكن
بجوب (زوايا) النفس في كل نظرة

وليس للنفس (زوايا) .. وهو تعبير هندسي أكثر منه تعبير شعرى . وحبذا لو قال (طوايا) النفس او (خبايا) النفس .. بدلا من زواياها .

٤ — ويقول في موضع آخر :

ولا من أتاني (والها) متذللا
ويخنق في عينيه ظل المكيدة !

ولا يقال لمن يأتى متذللا (والها) ولكن يقال (ضارعا) .. والوله لغة ذهاب العقل من وجد وحيرة .. ومن يخنق في عينيه ظل المكيدة لا يأتى (والها) ولكنه يأتى « ضارعا » أو متظاهرا بالضراعة والتذلل .. كي يغرى ويغرى فريه ويمكره مكره .

٥ — وفي بيت آخر يقول :

تناقض حتى خلت عدة أوجه
توالت لعيني (زمرة) إثر (زمرة)

وحبذا لو قال (صورة) اثر (صورة) .. لان تلك الاوجه التى خالها الشاعر توالت لعينه .. لم تأت زمرا ولكنها بطبيعتها تأتى فرادى ولا مفر .. اى صورة بعد صورة . ولان في اتيانها زمرا اختلاط للصورة على وجه لا تتضح معه حقيقتها .

٦ — ويقول في بيت آخر

(وبحر بلا ماء) وموج بلا صدى
يغمغم شيء فيه من كل وجهة

والبحر ما سمى بحرا الا لوجود الماء فيه .. ولا نعرف (بحرا بلا ماء) لانه ساعتئذ يكون الاخدود .. ويقال : أبحر الرجل وأبحرت السفينة .. اى ركب الرجل البحر ، واقلعت السفينة فوق العباب ..

الزيتون : عدنان أسعد

الى الاستاذ السمان

انى قرأت مقالكم السابق في عدد الرسالة (النقد بين المتهيبين والمتعالين) ووصلت في قراءة المقال الى قولكم : « **وانما اقصد الكثرة الكاثرة من الأدباء ممن هم في المتوسط وفوق المتوسط أو دونه ، فهؤلاء تتردد دور النشر عشرات المرات قبل أن تفكر في نشر**

انتاجهم» والواقع أنها ليست دور النشر فقط ، وانما المجلات وأولو الامر فيهـا أيضـا ، ثم قلتم :

« ... وهكذا تؤكد لنا دور النشر أن لديهـا من الامكانيات لتقييم الاسماء ، وليس لديها بكل أسف القدرة على تقييم الانتـاج الفكرى ... الخ . »

فأثار هذا فى نفسى كوامن من الأسى والحنق . فالواقع أن هذه المشكلة ، مشكلة قديمة تفاقمت ، واتسعت ، فمع اتساع الفكر والثقافة وولود البراعم الجـديدة يقف النشر عقبة امامهم دائما . وأنا اقول هذا لانى واحد من أولئك الضحايا ... فعندما بدأت مجلة الرسالة ـ مثلا ـ فى العودة ، وأبدى الاستاذ الزيات استعداده للاهتمام بالكلمة بغض النظر عن صاحبها ، ودون مراعاة للبريق فى الاسماء . أرسلت الكثير ، والكثير الى المجلة منذ صدورها الى الآن ، ولم أجن من وراء ذلك سوى الصمت المطبق .

الواقع أن المشـكلة مشكلة صعبة ، والنصيحة الوحيدة التى يجب على الاديب الناشىء أن يسير عليها هى أن يوطد صلته ببعض ممن لهم الصولجـان فى الاوساط الادبية حتى يستطيع أن ينشر بعض ممـا يكتب .

انى كنت أرسلت منذ مدة الى الدار القومية مجموعة قصصية للنشر على أساس أنها خاضعة لوزارة الثقافة وكانت النتيجة أن المجموعة وقعت فى يدى الاستاذ صالح جودت ، فتصور ياسيدى ماذا كان تعقيبه ..؟

« المؤلف غير معروف فى الأوساط الادبية .. المؤلف لم يسبق له أن تعـاقد مع الدار القومية من قبل »

ومن أجل هذا رفضت المجموعة ، ولم يحفل السيد حتى بمجرد قراءتها . وهكذا يكون تشجيع النشء عندنا . ولو كنت مثلا صديقا للسيد الاستاذ ، أولى به قريب معرفة لكانت تزكية منـه كافيـة بنشر المجموعة . وهذا جانب آخر من المشكلة بالاضافة الى الجانب الذي أثرتموه فىمقالكم وهو تردد دور النشر فى نشر انتـاج النشء .. وهكذا تتفاقم المشكلة ياسيدى ولا تجـد من حـل ... لا تشجيع من الصحف ، وأولى الامر فيهـا ، ولا من دور النشر والقائمين عليها . ولا حتى من الكتاب الذين وصلوا الى مكانة تؤهلهم لان يقولوا فى انتاج غيرهم قولتهم .

والموضوع كذلك ياسيدى ليس بموضوع الساعة وان كان جميلا منكم أن تثيروه ـ فلقد سبق ان اثير من قبل، وقال فيه النقاد والكتاب والناشرون قولتهم، وأبدوا استعدادهم للتشجيع ، ولكن للاسف يبدو انه كما يقول المثل كلام الليل يمحوه النهار » .

دسوق ـ السعيد بيومى الورقى
ليسانس آداب

بل كان شوقى متجنيا على عرابى ؟!!

لم يجث عرابى تحت أقدام أحد ؟؟ خلقه الله حرا كريما يأبى الضيم على نفسه وعلى مواطنيه اذ هو أول فلاح من أعمـاق القرى هتف بحرية مصر وأنف ان يخضع لحـكم الفرد وقاد حركة قومية زلزلت أركان الحكم المطلق واستهدفت نقل السلطة من يد الحاكم المستبد الى أصحابها الحقيقيين وهم أبنـاء البـلاد ودافعوا الضرائب وهذا هو مفهوم الديمقراطية كمـا نعرفه اليوم .

وانه لقول فصل ما ذكره الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فيما كتبه للمستر برودلى بعـد ان أبان عما كان بينه وبين عرابى من خلاف فى الرأى قبل يوم عابدين اذ قال « ان الاجتماعات العامة المتنوعة التى عقدت بعد ذلك مبـاشرة للحصول على دستور برياسة سلطان باشا حولت فى الحال مقام عرابى من قائد جيش الى قائد مصر وحينئذ أصبحت وسلطان باشا والبلاد المصرية قاطبة من اتباع عرابى » .

وقد أشاد كثير من الاجانب بعرابى وحركته فذكر المستر برودلى فى هذا الشأن « بأن الامة المصرية كلها كانت فى جانب عرابى وأن عرابيا وأصحابه قـد أظهروا فى أداء رسالتهم أمانة تامة واعتدالا وروحا انسانية تشرفهم على مدى العصور » .

أعتقد أن من قبيل اللغو ما جاء بالرسـالة تحت عنوان « لم يكن شوقى متجنيا على عرابى ؟ » .

ونحن نتساءل متى كان رجال السراى ومن يلوذ بهم فى أى بلد من البلاد وفى أى عهد من العهود من القوامين على الاخـلاق ؟؟ وجلهم ما بين نفعى منافق وحاقد متـآمر وحلس فتنـة وخلب امرأة وحامل قارورة ؟؟

ان الأمية بين المتعلمين جناية لا تصيب المتعلم الأمى نفسه بل تصيب برشاشها سير أفذاذ الامة وأبطالها وأبنائها الاعـلام وتؤثر هـذه الترهات على عقول الناشئة الذين يبتغون مثـلا عليا لهم من بين هؤلاء الافذاذ .

على منصور جمعة
ليسانس حقوق

قصـــة العـــدد

فتاة صامتة

للاستاذ محمد المندى محمد

كلما اقترب موعد زيارتى لاسرة خطيبتى «كوثر» انتابنى الضيق والحنق ، كالانســان الذى يميل الى الهدوء والعزلة ويتدخل فى حياته فجأة شخص آخر يجبره على مشاهدة حفلة صــاخبة تختلط فيها الصرخات بالصفير .. مع بكاء الاطفال !!

فقد اكتشفت ان خطيبتى « كوثر » تنظر الى من عل كأنها تعتقد أنها قد انحدرت من أرومة لم يكن يجب على مثلى ان يتطلع اليها ، وهكذا ادركت ان حجبها المصطنع لم يكن الا ستارا لعقد القران !!

فجعت فى خطيبتى وانتـابنى النــدم لاننى لم أختبر اخلاقها وطبــاعها وعاداتها قبل ان تقع «الفــاس فى الراس كما يقولون . لمــاذا اراها متعالية ، لماذا تلوذ بالصمت ، بل ماهى الاسباب التى تجعلها تميل الى العزلة وقد تم عقد القران وانتهى الامر !!

طافت براسى كل هذه الخواطر ولم اجد جوابا مقنعا . انها شريفة ليس فى ذلك ريب ، عفيفــة ليس فى ذلك شبهة ، اسرتها مستقيمة ومحافظة ولم يحدث يوما فى حياتها مايشين ، هذا ما قاله لى صديقى « رجاء » الذى قدمنى الى اسرتها ، وهذا هو ايضا ما اكتشفته أنا فعلا ، ولكن كوثر فيها شيء معقد . شيء لم اكتشفه بعد .

ان كوثر جميلة تبــدو على تقاطيعها ســيماء الطهر والخشــوع ولكن صمتها يلقى على جمــالها قناعا من البرود ، متحفظة ولــكن يشوب هــذا التحفظ نوع من التكلف الفاجع ، فهى اذن جامدة ، باردة ، صامتة .. ومعنى هذا ان طبيعتها لا يمكن ابدا ان تلتقى مع طبيعتى المرحة ! .. ولو ادركت ذلك منــذ البــداية لآثرت الهروب من طريقهــا وتمنيت لها الســعادة مع شخص « بارد » غيرى !! ولكن .. ان الاتفاق على « الزفاف » تم وفاتت الفرصة .. فهل اسجن نفسى بيــدى مع فتــاة اعلم سلفا ان طباعها تتنافر مع طباعى !!

واقتــرب موعد الزيارة وانا متردد ، تطــوف بذهنى افكار وخواطر قابضة ، ولكن والدها كان قد دعانى على العشــاء ولم ارفض دعوته ، وليس من حقى اعتذار هــذا الوعد ، وهكذا .. اخذت طريقى الى بيت كوثر مضطرا .. !!!

وفى الطريق هجس فى صدرى خاطر غريب هو التحلل من قيود هذا الزواج ، فانا لااريد ان اتزوج من دمية جميلة ، ولست من الغفلة بحيث ارتبط بفتاة شبه بكماء ، والحل الوحيد فى مثــل هــذا الظرف أن ابــدو امامهــا جافا ، اكســو وجهى بطبقة من الجمود ، اتجاهل وجودها ، لن اتبادل معهــا الحــديث ولا النظرات .. هــذا هو الرد الوحيد للخروج من هذه الورطة !!

وفى المنزل جلست والــكآبة تخيم على قلبى ، وكانت والدة كوثر تتحين الفرص لتبسم فى وجهى ، ووالد كوثر يرسل عبارات الترحيب بلا حســاب ، اما شقيقة كوثر الصغرى « نوال » فقد اخذت تروح هنا وهنــاك بمرح ، وفجــأة رمقتنى وقالت ضاحكة :

ــ ارجو ان يسرك طعامنا باكمال .. لقدصنعته كوثر بنفسهــا .. ورفضت أن آضع يدى فيــه .. وهى تريد ان تســمع رايك فيها كست بيت !

الأسرة طيبة ، تحاول أن تزيل بقايا الارتبــاك من نفســى .. تخصنى بالعطف والحب كأنى فتاها الوحيد المدلل ، لكن كوثر وحدها هى التى تهمنى هى التى سارتبط بها مدى الحيــاة ، هى التى ستجعل من حياتى قصة جميلة .. او مأســاة مروعة !!

ودخلت كوثر مرفوعة الراس ، عابسة الوجه، كأنها قادمة لتوها من مأتم ، وجلســت صامتة كأنها بكماء ، والعياذ بالله . هل تحب أحدا غيرى ، هل هى شاذة !؟ واذا لم تكن هذا أو ذاك فلماذا تجلس والخجل يكاد يقتلها !؟

واهتز والدها ، وهو شــيخ هرم نحيل انهك الهرم قواه ، وحفظت عيناه شرارة الحياة ، ولمس بيد مرتجفة طاقيته الحريرية الخضراء التى كانت

تفطى صامته اللامعة فى ارتبـــاك وتتحنح ونظر لكوثر ، لم حدق فى ، وقال وهو يصافحنى بصوت واهن أجش :

ـ ان كوثر ياولدى فتاة مرحة ، ولكنها ترتبك فى حضرة الغرباء ، وارجو ـ ياولدى ـ ان تخرجها عن هذه العادة المرذولة التى اصبحت لا تتفق مع روح العصر !!

وضحك الشيخ ضحـكة قصـيرة وهو يرمقنى بقلق ، فلم اجبه ، ورحت اتأمل صورته الشـابة المعلقة عـلى الحائط لأدارى ماكنت اشـــعر به من حنق ، فارتفع المسكين قليلا عن كرسيه ، والقى على كوثر نظرة حائرة مبهمة ، وعلت وجهه الكآبة، فقد بقيت كوثر مطرقة كأنما قد أصرت على عدم النطق !!

واقبلت الأم ، وقالت ضاحكة

ـ ارجو أن تخرج كوثر عن عادتها ، انها تميل الى العزلة ، ليس بها عيب، وفى الحق..و..و..

ولم تستطع الام ان تواصـل كلامها وهى ترى كوثر مطرقة شـاحبة تـكاد تغوص فى المقعـد ، وضحكت الأم ضحكة قصـيرة وخرجت مهـرولة كاسفة البال . ثم سادت فترة سكون ، كان فى خلالها الشيخ يســاقط على باستمرار نظرة تدل على مدى مايعتمل فى نفسه من الاسف لجمود ابنته غير المتوقع ، وأخيرا بدا له فجاة انه وجد موضوعا للحديث يبدد ذلك الصمت ، فقال بصوت عميق مبهم:

ـ اؤكد لك ان كوثر لطيفة ، ولـكنها خجولة جدا ، وارجو ان يزول هذا الخجل فى وقت قريب!!

وتشجعت «نوال» وقالت على الاثر وهى تبسم فى وجهى :

ـ لماذا لاتخرجان فى نزهة خلوية تمحو هـــذا التكلف الذى اراه فى غير موضعه ؟!

قالت ذلك وضحكت عاليا ، وفى الحق ان نوال اشاعت جوا من المرح ، وتمنيت فى قرارة النفس لو انهـــا هى التى كانت زوجة لى بدلا من هـــذه البكماء !!

ولكى أخرجهـــا عن دائرة الصـــمت ، حبذت الخروج فى تحفظ ، فى حين أن والدها الشيخ كان يعيرنى اذنا صاغية ، اذ كنت ارى راســه يرتفع شيئا فشيئا ، وارى قبسا يضىء وجهه الضـــامر حتى يكاد يمحو عنه تجاعيده ، وقال :

ـ هذا صحيح .. واعتقد لو انكما خرجتما قبل عقد القران لما كان هذا حالكما !!

وضحك وهو يرمق كوثر التى اطرقت خجلى ، ولكى اظهر لها انى جدير بهـذه المنحة المفاجئة رمقتها وقلت :

ـ ما رأيك ياكوثر ؟!

قلت ذلك وكدت اصيح فيها منفجرا .. انطقى أيتها البكماء !!

وبينما كنت أتوقع منها الموافقة وأن هـذه الدعوة تكسبنى اكبر قسـط من اهتمامها ، رأيت دهشـا اعراض الملل والضجر ترتسم على جبينها، فتبينت عندئذ انى سىء الحظ مع هذه الفتاة !

واخيرا لمعت فى ذهنى حيلة جهنمية لاتليق فى مثل هذا المجلس ، ولكن المضـطر يركب الصعب من الامور كما يقول المثل ، فلماذا لا انتهز هـذه الفرصة .. فرصة اعراضـها عنى ، واتمســك بمسالة الخروج معها ؟

وفى الحق وجدت أن هذه الفكرة وجيهة جـدا ، لأسبر غورها وأقف على حقيقة مشاعرها ، فان قبلت كان بها ونعمت ، وان رفضت فليس ثمـة مايحـول بينى وبين فصم القران فى مســتهله . سألقى عليها بالكلمة الفاصلة عنـدئذ وانا مرتاح الضمير .. !!

وأرسلت بصرى خلسـة الى كوثر ، فوجدتهـا تفرك راحتيها بعصبية ، كأنها تبذل مجهودا فوق طاقتها لتجلس معى ؛ أو كأنهـا تستهجن هـذه الجلسـة العائلية التى يبدو انها قد أجبرت عليها ! واخيرا ، رفعت راسها ورمقتنى ، وخيل الى انها ستعتذر ، وتنصرف ، ولكنها قالت فى تؤدة وبلهجة لا تشجع اطلاقا على الحرص عليها كزوجة المستقبل :

ـ اعتقد أن خروج الفتاة مع الشـاب منفردة قبل الزفاف..ليس من الامور المستحبة اطلاقا !!

وكدت اصيح محتجا : عن اى فتاة واى شاب تتحدثين ياكوثر ؟!

وفى هذه اللحظة ظهرت والدة كوثر على الباب، واختفت الابتسامة من وجه والدها الشيخ وهو يرمق غضبى المفاجىء ، وراح يتبادل النظر مع زوجته وابنته نوال فى حيرة كأنه يقول لهما « انظروا .. ان هذه الفتاة خلقت من جماد .. ولن تصلح كزوجة اطلاقا !! »

وقالت والدة كوثر على الفور

ـ أنا احبذ خروجكما غدا وقت الاصيل فى نزهة خلوية واضيف اليها سهرة فى مسرح البالون تجمعنا .. فما رايك ياكوثر ؟!

قالت ذلك وحدجت كوثر بنظرة تحمل الف معنى ، أو كأنها تقول : هذه هى فرصتك الاخيرة حتى لايخرج خطيبك عن طوره ويلقى بالكلمة التى تندم عند سماعها كل فتاة !!

وحملقت نوال فى اختها كوثر دهشة ، ثم رمقتنى وقالت بحماس :

ـ مسرح البالون !! يالها من فكرة رائعة ياامى!!

وقال والد كوثر فى اغتباط :

ـ هذه فكرة حسنة ! ولو ان ذلك سيكون على حسابى لاننى كما ترون لا أستطيع ان ابرح المنزل! وضحك الشيخ ، وراحت الاعين كلها ترمق كوثر .

ودارت كوثر بعينيها ، وتضرجت وجنتاها ، وبدا عليها المرح فجأة ، ومضت تتحدث كأنها كانت سجينة وانطلقت . وبعد لحظات اولتنى اهتماما واعجابا اذهلانى ، بل وحمدت للاقدار ان هيأت لى فتاة مثلها .. لماذا كان يبدو عليها الجمود ؟ لماذا كانت صامتة طوال اسابيع ؛ هذا ما لم استطع ان اجد له تفسيرا ، غير اننى تنبهت الى ان كوثر على قدر كبير من الذكاء بعد أن انحلت عقدتها .

وطابت السهره ، وتغلغل حديث كوثر العذب حتى اعماق قلبى ، وعندما خرجت ، ضغطت ام كوثر على كفى وقالت بمرح :

ـ كن مترفقا بكوثر يا ولدى .. انها لم تختلط باشخاص غرباء .. انها فتاة طيبة فيها عطر الانوثة وطهارتها .. وما شاهدته من غرابة تصرفاتها لم يكن فى حقيقة الأمر الا قناعا زائفا يحجب فتاة زكية مرحة وطيبة .. و ... وارجو لكما السعادة من قلبى !!

وترقرقت الدموع فى عينى ، لبساطة الام وطيبتها . وخرجت من المنزل وصورة كوثر تملأ قلبى ، وهى التى كانت من لحظات فقط تبدو لى كالتمثال .. وبينما كنت فى الطريق ، قفز أمامى سؤال كعلامة استفهام ضخمة : ترى هل جميع الفتيات هكذا ؟ لاادرى !

محمود المندى محمد

بقية مذكرات طاغور عن طفولته

العلوم الطبيعية . وكنت أهتم اهتماما بالغا بتلك الدروس . وكانت نفسى تمتلىء بالعجب عندما كنت ارقب أستاذ العلوم الطبيعية وهو يجرى أمامنا بعض التجارب البسيطة . يفصل التراب عن الماء فى أنبوبة الاختبار .. ويرسب المواد المعدنية ، وتفاعل الأحماض .. وما الى ذلك . وكانت أيام الآحاد ، لا تبدأ كذلك ، الا اذا قدم سيتانات بابو ، مدرس العلوم الطبيعية !

وفى بعض الايام كان يأتى لزيارتنا ، طالب فى كلية طب كامبل ، فيحدثنا عن عظام الانسان ، ويرسم لنا الهيكل العظمى ، كما كان يفد علينا من حين لآخر ، باندبت تاتوارانتا ليعلمنا قواعد اللغة السنسكريتية .

وبدأنا نتعلم الانجليزية ، بعد أن قطعنا شوطا بعيدا فى تعلم البنغالية . وكان معلمنا للغة الانجليزية ، آغور بابو ، يدرس فى كلية الطب ، لهذا عمد الى أن يأتى الينا فى المساء . وتقول لنا الكتب ، بأن اكتشاف النار ، من أعظم اكتشافات الانسانية . وانا لا اريد أن انازع فى هذا الراى . ولكنى لا أستطيع أن أكف عن التصور : كيف أن الطيور الصغيرة سعيدة الحظ، لان آباءها ، لايوقدون لها مصباحا فى الليل ، وأنها لا تتلقى دروسها اللغوية فى الساعات الاولى من الصباح . وبالطبع يجب علينا ألا نأسف ، لسبب عدم الزامهم بتعلم اللغة الانجليزية . ومع ذلك ، لا استطيع أن ازعم بأن آغوربابو ، كان رجلا فظا غليظ القلب . فلم يكن يعلمنا بالعصا كما كان يفعل غيره . ومهما كانت بواعث انفعالاتى ، فان موعده معنا كان فى المساء .. وكان موضوع الدرس : اللغة الانجليزية .. وكفى .!

حورية حجازى

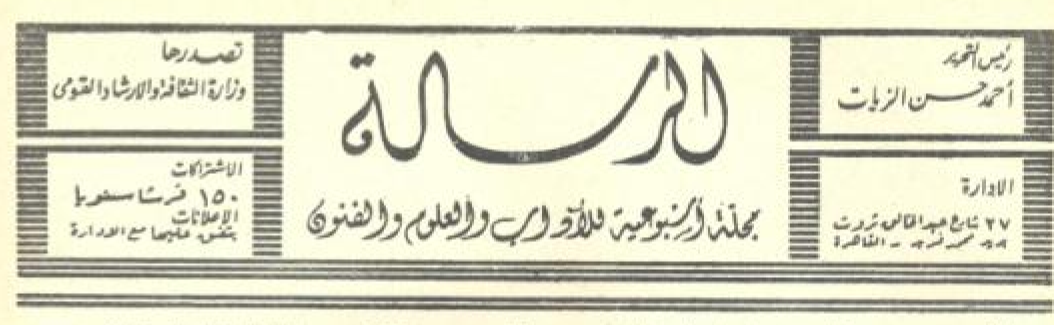

الدار القومية للطباعة والنشر





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٤١ — الخميس ١٠ شعبان ١٣٨٣ هـ — ٢٦ ديسمبر ١٩٦٣ م . السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الإمام الذى فقدناه

بقلم : أحمد حسن الزيات



الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت

فى الهزيع الأول من ليلة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب ،وهى ذكرى الليلة المباركة التى اشرقت فيها الارض بنور الاسراء ، وانطوت السماء على سر المعراج ، صعدت الى عليين روح طاهرة بارة بعد ان لبثت فى دنيا الناس خمسين سنة تشع بالهدى والعلم ، وتنطق بالحكمة والموعظة ؛ وتهدى بالكتاب والسنة ، لايصرفها صارف من هوى ؛ ولا يشغلها شاغل من شهوة ، حتى لقيت ربها لقاء الصالحين وبين يديها سجل حافل بالجهاد الصابر والعمل المثمر والاثر الخالد والالم الممحص ، ومن خلفها ذكر حسن لا ينمحى ، وفراغ واسع لا يمتلىء واسى ممض لا يخف .

ان فى الناس رجلين يربكان الكاتب اذا حاول أن يكتب عنهما : رجلا لا يستطيع أن يجد ما يقوله فيه ، ورجلا لا يستطيع أن يختصر ما يعرفه عنه . ومن هذا النوع صاحب هذه الروح فقيد الاسلام وشيخ الشيوخ الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت . فقد كان رضي الله عنه من البابة الأولى فى الرجولة ! تجلت فى خلائقه مزايا الانسان الرفيع ، وتمثلت فى أعماله فضائل المسلم المؤمن ، وجعل عمره كله لله وللعلم فانبث فى عمله روح الصوفى الصالح ، وانطبع فى فكره أثر الحكيم المصلح ، فامتاز فى وقت واحد بعقلية فيلسوف جرىء ونفسية طفل برىء فهو فى الحق عاصفة لا تهدأ الا اذا انتصر العدل . وفى الخير نفحة لا تسكن الا اذا انتعش الاحسان . وبهذا الخلق الذى استقام له من الغضب للحق والرضا عن الخير ، جرى فى الاعتقاد على الاخلاص ، وفى القول على الصراحة . وفى العمل على الجراة ، وفى الرأى على الاستقلال ، وفى الحياة على التمرد . وهذه الخلال فى العلماء ، أشبه بالارهاص فى الانبياء ، تبلغ بهم درجة المصلحين فيشعرون بذلك القلق الروحى المقدس الذى لا يفتأ يساورهم فى كل هم يحاولونه وكل عمل يزاولونه وكل مكان يستقرون به، لان مبعثه فيهم صفاء النفس ولطف الحس ودقة الفطنة . فهم وحدهم يدركون النقص فيرومون الكمال،ويلحظون الخطأ فيطلبون الصواب ، ويسأمون الركود فيريدون التحول . ولذلك كان الامام شلتوت لا يكره طبعه على حال ، ولا يلبس سمعه على رأى ، ولا يملك لسانه عن نقد ، ولا يكف عزمه عن تغيير ، ولا يخزل جهده عن اصلاح .

كانت عدة الجهاد والاجتهاد مجتمعة لديه ، فقد كان واحد جيله فى اكتناه سر العقيدة .. واقتباس نور الشريعة .وكان أفهم العلماء لكتاب الله ، فبراهين قضاياه من قواعده ، وبينات دعاواه من شواهده ، ومضامين مؤلفاته من هديه ، وعناوين مقالاته من آيه وكان من أخلص الدعاة الى سبيل الله : ايقظ همه للاسلام فقرب عقائده للافهام بما ألقى من دروس وألف من كتب ونشر من مقالات وأذاع من أحاديث .

وتعمق جذور الاصول فى الفقه ، وتقصي أطراف الفروع فى التشريع ، فوجد فى أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومدى عصورهم جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا حاسما لكل اشكال يعرض على المجتمع ، وحكما عادلا فى كل قضية ترفع الى القضاء . وساعده على ذلك ملكة فقهية تنفذ الى العلة الباعثة والحكمة المستورة ، ومعرفة شاملة بأمور العصر تحيط بالظروف الطارئة والاحوال الداعية ، فاستغنى عن الاجتهاد المبتدع باجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الرأى المناسب وترجيح الحكم الموفق ، دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب ، ولا بامام من الائمة ، وانما يجرى فى فتاواه على أن شريعة الله خالدة ثابتة عامة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تبرم بالعلم ولا تنبو على التطور . ومن هنا واكب الزحف الثورى الاشتراكى فى ميدان الاصلاح العالم المسلم يؤيده بروح الله ويرشده بنور الله ويقطع عنه ببيانه وايمانه ألسنة الجهل والكيد التى اندلعت من أوكار الرجعية تضل الناس باسم الدين والدين منهم براء !

* * *

كان الامام محمود شلتوت يرى أن الأزهر معقل الاسلام الحصين وقبلة المسلمين الأخرى ومنشأ الدعاة والهداة والقضاة والمعلمين فى مصر وفى غير مصر . فاذا أصلح على الوجه الذى يريد فقد وضع الطباب على أصل العلة ، واختصر الطريق الى بلوغ الغاية .

وكان قد سبقه فى محاولة هذا الاصلاح ثلاثة من أبناء الأزهر النابغين ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد القصر يومئذ بسياسة الازهر يجريه على هواه وينزله على حكمه فقضي محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضي المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبدالمجيد سليم بنزوة من نزق فاروق ! فاتجه بعقله وقلبه الى المشاركة فى هذا الاصلاح ، فاتبع الاول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن

متصده . وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده وعاون الثالث وكان يرتمض اسى على كميده . وكان هو ونفر من اخوانه فى الراى يجتمعون فى دار (الرسالة) ، فيتشاكون ما حاق بالازهر من ركود ريحه وانحسار ظله ، ويشفقون على ينبوع الثقافة الاسلامية ان يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الطارىء فكتبوا فى الرسالة فصولا فى نقد التعليم الازهرى كانت مبعث وعى فى نفوس الطلاب ومثار حركة فى قلوب الاساتذة . وانفرد هو بدعوة الاصلاح الازهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط وسن المناهج وكتب الرسائل وحبر المقالات وقدم التقريرات . ثم جعل للاسلام النقى الواضح قولا فى كل مسالة ، ورايا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد . تارة بلسانه فى الاذاعة ، وتارة بقلمه فى الصحف ، وكان من اثر مناصرته لسياسة المراغى ، ومجاهدته فى سبيل الاصلاح ، ان غضب عليه (القصر) فاوعز الى القائم على شياخة الازهر يومئذ بفصله من عمله ففصله خمس سنين احتمل فيها مكاره العيش ومصاعب الرزق بعزة الكريم وانفة الابى فلم يهن لما اصابه فى سبيل الله ولم يستكن ، حتى انفرجت الازمة وانكشفت الغمة ، وتولى مشيخة الازهر الامام عبد المجيد سليم وهو من اخوانه واعوانه فرغب الى فاروق ان يعينه وكيلا له ، فابى الطاغية الا اذا تخلى شلتوت عن الخطابة والتدريس فى مسجد الامير محمد على الصغير بقصر المنيل . فلما كلمته فى ذلك بتكليف من الشيخ الاكبر قال لى فى لهجة تنبض بالغضب : لان انفصل مرة اخرى من الازهر ، واعيش مدة اخرى انا واولادى فى صراع الفقر ، خير لى من ان اساوم على كرامتى واصالح على هوانى . ان مسجد الامير الذى اعمل فيه لله وانا مدرس ، احب الى من قصر المليك الذى اعمل فيه للشيطان وانا وكيل !

وانصرف الشيخ الى خدمة الاسلام بالتعليم والتاليف ، ومصلحة المسلمين بالتوجيه والتثقيف . فكان حركة لا تسكن وبركة لاتنقطع . ولا نظن عالما من علماء العصر بذل من الفكر والجهد فى اعلاء كلمة الله ما بذل شلتوت .

لذلك اختارته (ثورة الاصلاح العام) شيخا للازهر ليدفع به الى مكانه الخالى من صف القيادة العلية ، ويجمع عليه قلوب المسلمين فى اقطار الارض عامة ثم ايدته بالقانون والنظام والمال والرعاية . وتبوا الامام كرسي الازهر الجديد وهو يشكر الله على ان مد فى عمره حتى راى نجاح المسعى وتحقيق الامل . وكان متمناه الباقى ان يمضي فى تطوير الجامع العتيق على النهج الذى اسن والمثال الذى تخيل ، ولكن الداء العياء فاجاه فاضعف من طاقته من جهة العزم ، وان لم يضعف قيادته من جهة الراى . فكانت هذه الحال سببا فى ازدياد همه ومضاعفة علته .

* * *

كان ذكر الشيخ برياسة العلم وامامة الدين قد دار على الالسنة وسار فى الآفاق فكان بريده لا ينقطع بالرسائل ، ومكتبه أو بيته لا يخلو من الزوار ، يفدون اليه من الشرق والغرب اقتباسا من علمه والتماسا لبركته ، سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون والرؤساء والملوك والامراء والعلماء والقادة ، حتى أصبح مقره من المزارات المعدودة التى يحرص على زيارتها كل قادم الى القاهرة من رجالات العالم . وتلك عالمية لشيخ الازهر لم تتح لأحد من قبله .

ومما ساعده على بلوغ هذه المكانة دعوته الى التقريب بين المذاهب والطوائف ، وعمله للسلام بين الاديان والامم ، واتساع علمه لتطبيق الشريعة على مقتضيات الاحوال والدواعى ، وانطباع خلقه على اخلاق الصالحين فى السلوك والسمت ، وتاثير حديثه الخصب فى مجالسيه بالايمان والصدق .

كان محدثا فخم الصوت عصبى اللهجة واسع الرواية يمتزج حديثه باجزاء النفس فلا يملك السامع الا ان يتشربه بسمعه وقلبه .

وكان خطيبا جهير المنطق حافل الخاطر يضع لسانه من فنون القول حيث شاء فلا يتلجلج ولا يتوقف فكان مسجد قصر المنيل يغص بصفوة المثقفين يوم الجمعة ليسمعوا خطبته ويحضروا درسه ، كما كان يغص الرواق العباسي بطلبة المفكرين ليشهدوا درس الامام محمد عبده .

وكان مجادلا غزير البحر قوى الحجة بصيرا بمواضع الحق قديرا على استنباط الدليل فلا يسع المجادل الا ان يسلم بحجته ويصير الى رايه : حاجه فى الله عالم طبيعى من امة (السويد) كان يمج الالحاد من مسامه ويفرزه فى كلامه .. وكان قبل لقائه الشيخ قد تحدى فلاسفة اللاهوت ان يحملوه على

حول تجديد الإسلام

للأستاذ محمد الغزالى

من قصيدة للاستاذ العقاد فى مصيف رأس البر حيث يلتقى نهر النيل بالبحر الابيض .

هنا النيل ساج طال فى الدهر سيره
وطالت مرامى نبعه فسلاها . . . ! !

استوقفنى هذا البيت الرقيق الذى يصف النهر وقد وهن تياره . وسكن عبابه . والقى بامواجه المنكسرة فى احضان البحر الكبير . أو وهو يصف شعورالسكينة فى افئدة المصطافين واستراحتهممن لغوب العيش ولو الى حين .

لكن تداعى المعانى وانشغال النفس بقضايا أخرى نقلانى نقلة بعيدة الأمد !

فقد ذكرنى هذا البيت . ولست أدرى كيف ؟ ذكرنى بحاضر الاسلام وأحوال الالوف المؤلفة الداخلة فيه المنتمية اليه وهى ــ مع تعلقها بهذا الدين ــ كأنما نسيت رسالته وجهلت مكانته أو ان هذا الدين من خلال المعتنقين له كأنما سلا منابعه عبر التاريخ الطويل وانقطع عن أصوله الاولى .

ولنتجاوز عالم الشعر الى عالم الواقع . ان الاسلام الذى طلع على العالم حياة تطارد الموت وضياء يكتسح الظلمة ويقينا يبدد الوهم . ان هذا الدين عراه من أهله غبن فاحش عطل وظيفته وشاب حقيقته وعرضه للتهم والظنون .

وما القول فى أمة يصف الله رسالتها بقوله : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد.الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض » ويصف نبيها بقوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . .

فاذا هى تهبط من مكانة القيادة وخصائصها . وتعجز عن مركز الصدارة وتكاليفه . ولا تزال تتهاوى وتتخاذل حتى تصبح فى مؤخرة القافلة الانسانية . تتلقى الاوامر وترتقب العيون والامة الاسلامية التىنعنيها بهذا الوصفمجموعةالشعوب التى تبلغ ٥٠٠ مليون من البشر ينتشرون فى أقطار العالم . ويعرفون فى أرجاء الارض بأنهم أتباعهذا الدين .

***

وقد ألف المسلمون خلال مراحل تاريخهم أن يستقبلوا نهضات عامة أو محلية . تقيم ما اعوجمن امورهم . وترفعهم الى مستوى رسالتهم الاولى .

****

بقية الامام الذى فقدناه

الايمان بالله فما استطاعوا . فلما زار القاهرة أراد ان يجرب الحاده فى شيخ الاسلام فظل يحاوره ويداوره ثلاث ساعات كما روى الشيخ عبد الحكيم سرور مدير مكتب الامام يومئذ حتى غمره من الشيخ اشعاع الايمان واقناع المنطق فرجع الى الله صاغر العقل ابكم الحجة ، وقام فقبل يد الشيخ وقال له : بقولك اشتفيت وبفضلك اهتديت . واصبح منذ ذلك اليوم من أتباعه .

***

صحبت الفقيد الكريم ثلاثين سنة تمكنت فيها الألفة بينه وبينى . عرفته فى مجلة الرسالة وزاملته فى مجمع اللغة ، وعاونته فى مجلة الازهر ، وبلوته فىحالات اخرىمختلفة فلم اعرف فيه الا العقل النير بالعلم والقلب العامر بالتقوى ، والنفس الراضية بقضاء الله فيما تحب وتكره .

ابتلاه الله بالفالج وهو فىكمال البنية والعقل فلم يغلبه على الصبر يأس ، ولم يقعده عن العمل بأس ، وانما ظل على ديدنه يدبر شئون الازهر ، ويقضي حقوق العلم ، ويغذى نهضة العرب بزاد التقوى كلما حزبهم أمر أو غشيتهم فتنة .

ادركته يوما مسة من ضعف الانسان فقال لى فى لهجة تنم على القنوط والضجر : « لقد طال الابتلاء يازيات ! » فقلت له : هون عليك ! انك مادمت تؤدى رسالتك بالعقل الراجح واللسان المبين فلا يهمنا بعد ذلك الا تلعب الكرة ! فضحك واسترفه وحمد الله .

ولكن المنون كانت تتربص بالمريض القلق ساعة الأجل . فلما جاء اطبقت فمه على الضحكة الاخيرة ، وكفنت جسده بالراحة المقيمة ، واسلمت روحه ليلة المعراج الى رضوان الله فى جنة النعيم . . !

أحمد حسن الزيات

وتمنحهم قوة يردون بها الخصوم ويحمون بها التراث .

ونريد أن نشرح بعض المواضع التى يمسها هذا التجديد ، ومعناه ، وحدوده .

ان تجديد الاسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الاصيلة . وتجريد التراث السماوى من الشوائب العارضة . وتمكين الاحرار العقلاء من اعتناقه عن اعجاب ورغبة ..

ويقتضى ذلك عدة أمور :

١ ـ محاربة البدع والخرافات التى انضافت اليه وحسبت دينا . وهى ليست من الدين فى شىء ان هذه الزوائد الضارة هى سر انصراف كثير من العقلاء عن الدين نفسه .

ولا يجوز احسان الظن بها مهما بدت حسنة . ولا باصحابها مهما بدوا أتقياء .

فان البدعة المصنوعة بين الناس لتكون دينا صادرا عن رب الناس . ضرب من التزوير المريب

انها كالحديث الموضوع . أو الوحى المفترى . تروى للناس أن الله قال كذا ، وهو لم يقل . أو ان رسوله حدث بكذا . وهو لم يحدث ...

وتسيير آراء الناس فى الارض على أنها توجيهات نزلت من السماء كذب مضاعف الخطر واظنها تدخل فى نطاق هذه الآية « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال أوحى الى ، ولم يوح اليه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ... »

وخير ما تنكشف به هذه المحدثات المجلوبة هو تقرير الاصول الدينية من ينابيعها اليقينية .

ومن نعمة الله على المسلمين أن كتابهم محفوظ . وأن سنة نبيهم نقدها صيارفة الشريعة . وخبراء النقول نقدا ميز الصحيح والضعيف ، والمقطوع به والمظنون . ومنهجهم العلمى فى هذا المجال يستحق الاحترام كله ...

وعندما تتضح هذه الاصول من كتاب الله وسنة رسوله تتطاير المحدثات الذميمة من تلقاء نفسها وينكشف زيفها . ويسقط التعلق بها ، « فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال » ؟ ان القرآن الكريم عاب على الامم الضالة أنها تختلق من عندها أمورا . ثم تقدسها زاعمة انها من عند الله وهذا لا يليق « ان هى الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »

من أجل ذلك كان أول ما يصنع المجددون أن يرفضوا كل البدع التى استحدثتها الجماهير وعكفت عليها . وأن يقصروا نشاطهم على نشر الحق وحده واماتة ما عداه .

٢ ـ أخذ الدين كله دون تفريط فى نص من نصوصه أو قاعدة من قواعده .

فان العدوان على الدين بالانتقاص من معالمه كالعدوان على الدين بالافتراء والتزيد كلاهما بعد عن الحق وضلال عن الغاية .

وليس فى المصحف سورة تؤثر وأخرى تهدر . أو آية نرضى حكمها وأخرى نسخطه . ان الوحى كله نظام الهى متكامل يتسم بالقداسة والعصمة فى جملته وتفصيله فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب جانب آخر للاهتداء على درب الحياة والتغلب على وعورة الطريق .

عندما يركب الطبيب دواء من عدة عناصر بمقادير معينة فان هذا الدواء يمسى عديم الجدوى اذا ذهبت منه بعض العناصر أو اضطربت فيه نسب المقادير .

والآلة التى تتكون من مجموعة قطع يقف دولابها ويتعطل انتاجها عندما تضيع أجزاء منها . ولا يغنى وجود الباقى وان كان مهما وعظيم القيمة .

نعم . يمكن لأى كيان أن يبقى وأن يؤدى ثماره مع نقصان أطراف منه أو أجزاء كمالية .. ونحن نعرف أن فى الدين فرائض ونوافل وأركانا وهيئات وأساس الوجود الصحيح لأى شىء أن يكون سوى الجوهر والمظهر بعيدا عن العاهات والآفات فاذ تطرق العيب عن سهو أو عجز كان ميسور التلافى ، أما التواطؤ على قبول النقص واشاعته فهو ذريعة الى اهمال الاصل نفسه والاتيان على قواعده .

ومع ذلك فان النقص المحظور هو فى الحقائق الرئيسية . أما الهفوات العابرة والقصور السطحى فمجال للعفو : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » والامم عندما يلتاث ضميرها ويجمح هواها قد تهجر بعض أوامر الله وتقع فى محارمه سفاهة وتعمدا . وهذا بلا ريب طريق الكفر .

حكى الله ذلك عن بنى اسرائيل ناعيا عليهم تلك التفرقة التى تجعلهم ينفذون جزءا من ميثاق الله ويهملون جزءا آخرا « واذا أخذنا ميثاقكم

لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون • ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب» •

والواقع أن الفضيلة لا تتجزأ • فالصدق يكون فى جميع الامور • ومع جميع الناس ، وكذلك العدالة والامانة ولا يعد امرؤ ما فاضلا اذاكان أمينا فى بعض الاحوال وخائنا فى البعض الآخر ••

وكذلك لا يعد مؤمنا اذا قبل بعض الفروض وجحد بعضها الآخر ، أو قرر اعمال جانب من الدين واهمال الجانب الآخر !!

ان ذلك فى منزلة الكفر بالدين كله •

***

وقد بلى المسلمون بعد انهيار شخصيتهم الاجتماعية والسياسية فى القرن الماضى بأناس يختلونهم عن تعاليم دينهم بحذر ودهاء •

فتراهم يتظاهرون باحترام النبوة •

ولا بأس أن يصفوا الاسلام بأنه دين الفطرة والتقدم !

حتى اذا ووجهوا بأحكامه فى الحلال والحرام ومطالبه فى الصلاة والصيام انكمشوا وتقهقروا • انهم يأخذون من الدين ما يحبون ويدعون ما لا يعجبهم وهواهم الخفى مع مبادىء أخرى مستوردة من الشرق أو الغرب هى التى يعجبون بها ويوفون لها • ويقبلون من الاسلام ما يوافقها وينبذون ما يناقضها •

والى هذا الاسلوب فى هدم الاسلام والى ذلك الفريق من الهدامين أشار شيخ الاسلام الاسبق محمد الخضر حسين رحمه الله وأحسن جزاءه حين قال : « ترى أحدهم يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد ما يؤذيه عدوه الكاشح ويضع على هذا الايذاء نقابا يخفيه كتسميته النبى ومجاراته المؤمنين فى الصلاة والسلام عليه ، ولا يتباطأ قلم الكاتب من هؤلاء أن يصف الدين بالسماحة والحكمة !!

الى أن يحدث عن شىء من أصوله أو أحكامه المفصلة فتراه ساعتئذ ينكرها متغافلا عن أنها من الدين ، أو متأولا لنصوص لا تقبل التأويل !

وأصحاب هذه الطريقة يعدون الذين يحاربون الاسلام جهرة من البله لا يعرفون كيف يهدمون !

ومعتنقو المذاهب الاجنبية يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الاسلام وأن يوجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب مع بتر ما يزيد عليها من نصوص أو تجاهل وجوده •

واجتهادهم فى المواءمة بين الاسلام والصالح العام كما يتخيلونه يغاير الاجتهاد المشروع الذى عرفه أئمة الاسلام فى عصوره الطويلة • اذ أن هؤلاء المحدثين المفتونين بالمبادىء المستوردة من الغرب والشرق يريدون أن يفرضوا نزعاتهم الجديدة على الاسلام وأن يقوموا بتأويل ما يتعارض معها •

« فالاجتهاد الصحيح لا يضع أمام عينيه رأيا أو نظاما ثم يلوى رقاب النصوص الاسلامية حتى يسوقها اليه •

ولكنه يستوحى النصوص الاسلامية حكمها فى هذه الآراء والنظم •

فأحدهما كما ترى يسيطر على النصوص ، بينما يخضع الثانى للنصوص •

أحدهما يبرر بالنصوص الاسلامية عوج الحياة •

والآخر يقوم بنصوص الشريعة عوج الحياة •

أحدهما يوجه اهتماما خاصا الى بعض النصوص ويهمل بعضها الآخر أو يغض منه ويجعله فى مرتبة غير أساسية والآخر يؤمن بالكتاب كله فيسوى بين النصوص فى الاهمية •

أحدهما يحكم آراء دخيلة فى الدين فيفسره فى ضوء ما يذهب اليه مفكرو الغرب وفلاسفته •

والآخر يحكم الدين فى كل فلسفة دخيلة أو مذهب طارىء فيقبل ما يسيغه ويرفض ما لا يرضاه أحدهما قد يضيف الى الدين ما ليس منه وقد يخرج منه بعض أجزائه بتحليل بعض الحرام وتحريم بعض الحلال والثانى يعرف أن الدين قد كمل وتم منذ نزل قول الله تبارك وتعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » •

والواقع أن استخدام نصوص الشريعة الاسلامية فى تبرير أنماط الغرب الفكرية والاجتماعية هو شر من تقليد هذه الانماط تقليدا أعمى •

لان النـاس يمكن ان يعيشوا على أمل التخلص من الدخيل اذا قامت فيهم حركة اصيلة للاحياء . اما فى الحالة الاولى ـ وهى حالة اندماج وتفاعل ـ فان ادراك الحدود بين الاصيل والدخيل تدق وتخفى حتى لتكاد تستحيل ، لان النـاتج من التفـاعل سيكون شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له .

ولان النـاس يدركون فى حالة التقليد أن الذى يفعلونه شىء آخر غير الاسلام .

اما فى الحالة الاولى ـ فسوف يرسخ فى اذهانهم ان ذلك هو التفسير الحق للاسلام الذى يلائم ظروف الزمان ، وسوف يرفضون كل محـاولة لردهم الى الحق لانهم يتوهمون انها دعوة رجعية جامدة » .

وخير ما نتمسك به لاحباط تلك الدسـائس الثقافية توكيـد الحقيقة التى شرحناها آنفا . ان الاسلام كل لا يتجزأ . ونسيج عريض من التعاليم المتشابكة لا يمكن قصه ولا تمزيقه وأن الأخذ بهذه التعاليم كلها فى العقائد والعبـادات والاخـلاق والمعاملات لب الايمان وشرط بقائه . وأنه لا يؤذن لاحد أبدا باعتناق ما يهوى واجتناب ما يكره ...

وثم وحدة أخرى تساير وحدة النصوص ، وتعنى بها وحدة الروح السارى والقسمات المميزة للصورة كلها ... فان انجلترا لا تعتبر قد اعتنقت الاسلام مثلا لو انها أدخلت فى قانونها شريعة قطع السارق .

ان الاسلام روح وجسد ، ايمان ونظام . عقيدة باطنة تشبه الوقود الذى يحرك الآلات ، ثم مجموعة الوصايا والاوامر والنواهى والحدود والشعائر التى تسير الحياة الى وجهة معينة ووفق أسلوب خاص

هذا الكيان كله هو الاسلام . فاستعارة أجزاء منه ، لا تجعل المستعير مسلما .

والامة الداخلة فيه يجب أن تستبطن الروح الدافع وأن تستعلن بعد فى كل ما حفل به هذا الاسلام من شرائع وشـعائر ... تصطبغ بصبغته وتستظل برايته وتحتكم الى شرعته وتربط كرامتها المـادية والمعنوية بمدى الوفاء له والدفاع عنه .

وهذا المسلك لا يتحمل بداهة تجزئة الوحى . واحياء بعضه بالعمل واماتة بعضه بالاغضـاء أو الجحود .

محمد الغزالى



وقفة

للدكتور محمد احمد خلف الله

وقفة مع الاخ الدكتور محيى الدين صابر فى كتابه القيم ـ التغير الحضارى وتنمية المجتمع ٠

والدكتور محيى الدين صابر سودانى الوطن ، والمولد والنشأة، عربى الأرومة، والعقيدة، والثقافة، وله بصر حاد نافذ بالمسائل الاجتماعية ٠ وله قدرة تامة على التعبير عما يريد فى عبارة رصينة واسلوب أخاذ ٠

ووقفتنا مع الاخ الدكتور محيى الدين صابر لن تطول فنحن انما نقف معه عند مسألتين اثنتين يفسران لنا واقعا اجتماعيا نعيشه فى هذه الايام ٠ وأبادر فاقول انى لن اختلف معه فى الرأى ، وانى انما قصدت ان أثبت فى ذهن قارئ المجلة ماقد يعجز عن الوقوف عليه من الكتاب ٠

والمسالة الاولى سهلة يسيرة تدور حول مهمة الدولة فى هذه الايام ذلك لان تطور وظائف الدولة فيما يتعلق بحقوق المواطنين وواجباتهم ، والذى جاء نتيجة تقدم الوعى العالمى فى تقدير قيمة الانسان وحق الحياة ، قد غير مهمة الدولة ٠ فلم تعد تلك المهمة مجرد سيادة سياسية وانما غدت تنمية للمجتمع فى شتى الميادين ، فالدولة الحديثة تنهض بشئون التنظيم ، وتوفر الحاجات العامة وتضمنها فى النطاق الذى يراه المجتمع ضروريا، وتقوم بالخدمات الاساسية فى ميادين التعليم والصحة والمواصلات وما أشبه ، وتقوم على تنمية واستغلال الموارد الانتاجية ٠

هذه المهمة للدولة الحديثة تختلف من دولة لدولة فى وسائل تحقيقها ، وفى الدرجة التى تصل اليها من حيث التحقيق ، وذلك يرجع الى تقدم الدولة وتأخرها ، ويرجع الى المناخ الفكرى والاجتماعى الذى يعيش فيه المواطنون ٠ ومن هنا كانت وسائل كل دولة فى تحقيق أهدافها مرتبطة بفلسفتها الاجتماعية وبقدراتها وامكانياتها ٠ ومن هنا أيضا ذهبت بعض الدول فى تحقيق أهدافها الى وسائل تعتبر فى أقصى اليسار بينما وقفت اخرى حيث هى أو تحركت قليلا بحيث يمكن اعتبارها واقفة فى أقصى اليمين ٠

هذه هى المسالة الأولى وهى قضية فكرية عامة تصور خطوطا رئيسية كبرى صالحة للتطبيق ، اما المسالة الثانية فهى مسالة تطبيقية خالصة تتعلق بالمجتمع الآسيوى الافريقى فى مجالات التنمية الاجتماعية ٠

يقول لنا الدكتور محيى الدين صابر ان دول هذا المجتمع تتحرك فى نطاق من أهداف معينة ، وتتحرك بوسائل معينة ، وتخضع فى كل ذلك لضرورات حيوية ٠٠ ولحقائق اقتصادية وسياسية واجتماعية ٠

فمن حيث الهدف تتجه هذه الدول اتجاها واضحا نحو عدالة اجتماعية ، ونحو مزيد من الخدمات والضمانات ، ونحو الابقاء على القطاع الخاص والملكية الفردية ، الابقاء مع التنظيم الذى يعطى مفهوما وظيفيا فى التطور الاجتماعى والاقتصادى بحيث لاتصبح وسيلة من وسائل الطغيان ، فلا تتسلط على الحكم ولا تتجه الى خلق طبقات متبطلة تعيش على عرق الآخرين ، ومن هنا تكون سببا من اسباب التوتر الاجتماعى ، والفساد الاقتصادى والسياسى معا ٠

ومن حيث الوسيلة ، هناك تدخل واشراف وتنظيم للنشاط الاقتصادى ، وهناك اسهام من الدولة فى عمليات الانتاج ، اما منفردة واما متعاونة مع الآخرين وهناك تخطيط وسياسة قومية عامة لتوجيه الاقتصاد فى خدمة الاهداف المرسومة ٠

أما من حيث الضرورات الحيوية ، والحقائق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تخضع لها هذه الدول وتنبثق عنها الوسائل فنلخصها فيما يلى :

أولا ـ ان الاقتصاد الحر الذى يعمل بعيدا عن تدخل الدولة أو بالتدخل الهين اللين ، لم يعد له وجود فى العالم المعاصر حتى فى أعرق الدول الراسمالية ٠

ان التدخل الاقتصادى فى مختلف الاشكال والصور قد أصبح جزءا من الحياة الاقتصادية القومية فى كل المجتمعات المسئولة ، ومن صور هذا التدخل هذه الضرائب العديدة المتنوعة التى تفرضها جميع الدول بدون استثناء ٠

ثانيا ـ ان هذه الدول عانت دهرا ، وقد فقدت حريتها السياسية ، وتسلطت عليها قوى أجنبية ، فعاشت على الأمل فى التحرر من تلك القوى باعتبار ان هذا التحرر هو الطريق الى السعادة ، والى الرفاهية الاجتماعية ٠

ولقد ظل الاستقلال السياسي مرادفا لهذه المعاني حتى كان الجلاء والتحرر من القوى الاجنبية • وعند ذلك كان لابد من أن تواجه الحكومات في الدولة القومية صعوبات ضخمة ناتجة عن ترجمة معنى الاستقلال الى معنى رخاء ، كان عليها أن تواجه المطالبة بالخدمات التعليمية والتثقيفية والصحية والعمرانية مما لاطاقة لها به ، ومما تضيق به امكانياتها ، ولم يصبح أمامها الا منفذا واحدا هو أن تتدخل لخلق الاوضاع الجديدة التي تتحقق بها الاماني الوطنية والقومية •

من هنا كان التدخل ، ومن هنا أصبح دور الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية دورا هاما وضروريا •

ثانيا ــ التركة الاقتصادية والاجتماعية الباهظة التي ورثتها الحكومات القومية عن الحكومة الاجنبية • ومن أمثلة ذلك نوع الاقتصاد ، فمعظم هذه الدول ظلت تعمل في الانتاج الاول كالزراعة • ليس هذا فحسب ، بل كان هناك شبه تخصص في هذا المجال اقتضته الظروف الصناعية للاقتصاد الاجنبي المتسلط • فبعض هذه الدول تتخصص في انتاج محصول أساسي واحد كالقطن كما هو الحال في بعض البلدان العربية •

هذه السلع تعتمد على الاسواق الخارجية التي لاتستطيع الدول المنتجة أن تتحكم فيها ولذا كان يتعرض اقتصادها لشتى الوان التقلبات • ومن هنا كان على الحكومات القومية واجبا يتحقق في تنويع الانتاج ، وفي الاتجاه الى التصنيع •

هذا الواجب لم يقف عند هذا الحد وانما يمتد الى ان التصنيع لا يقصد كبديل وانما لانه مورد من الموارد الانتاجية الهامة .

رابعا ــ أن قيام الصناعات يفرض على الدولة القومية التدخل لحماية الصناعة ، وتمويلها ، وتسويقها ، وتنظيم قطاعاتها المختلفة ، وترتيب الاولويات فيما بينها ، والنظر في مقوماتها وامكانيات تطورها •

خامسا ــ قلة رأس المال الوطني وندرته ، وذلك لاسباب اقتصادية وأخرى اجتماعية •

ان عملية الادخار مثلا عملية حضارية ترتبط بعدة قيم اجتماعية ودينية ، ولا بد من احداث تغييرات في المجتمع نفسه لخلق الاتجاهات الايجابية نحو الادخار وتشجيع ذلك بمختلف الاجراءات كالقروض الداخلية وغيرها •

ثم ان الاستفادة من المؤسسات العالمية والدولية سواء في صورة مساعدات مالية أو فنية لاتتيسر الا عن طريق الحكومات القومية نفسها •

سادسا ــ دور الحكومات القومية في تحويل المجتمع السياسي الى مجتمع اجتماعي ، بمعنى صهر المجتمعات المحلية وصياغتها صياغة قومية ، وذلك بالعمل على تماسكها ، وتقويتها وربطها بعضها ببعض حتى تنمو كلها في الجسم السياسي نموا متوازنا ، يسلم معه المجتمع من الهزات •

هذه العملية أول مايواجه الحكومات القومية وهذا يقتضي أن تعمل الدولة على النطاق القومي والمحلي معا وأن تترابط المشروعات وتتكامل بحيث يكون هناك احساس دائم وحقيقي بالوحدة السياسية في المجال السياسي العاطفي ، وفي مجال الاتصال الفكري ، وفي المجالات الاقتصادية والاجتماعية •

سابعا ــ طبيعة الفترة التي تمر بها هذه المجتمعات انها فترة انتقال ، ولا يمكن أن تمر بها المجتمعات القومية الا على أساس من السياسة المدروسة المخططة حتى يتم الانتقال ويتحقق في صورة واضحة ، وحتى لايترك المجتمع نهبا للتيارات المختلفة في فترة تهتز فيها القيم القديمة •

ان الحكومات التي تحس بمسئوليتها في صيانة القيم الجوهرية في المجتمع ــ القيم التي تمسك بنيانه ــ تدرك كذلك مسئوليتها في تطوير المجتمع وبين هذين الموقفين ترسم خطتها وتسلك سبيلها في بناء المجتمع الجديد •

كل هذه العوامل تدفع الحكومات في المجتمعات الأسيوية الافريقية الى المشاركة في كل عمل •

ان هذه الحكومات أكثر واجبات من غيرها باعتبارها من الدول النامية ، وهذه الواجبات الكثيرة تجعل للحكومات القومية حقوقا أكثر من حقوق الحكومات في الدول المتقدمة •

ان الحقوق هنا ناشئة عن طبيعة الواجبات التي يجب أن تنهض بها الدولة •

ان وضع المجتمع هو الذي يحدد أسلوب التنمية •

دكتور

محمد أحمد خلف الله

رأيتُ الله

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

رأيته اليوم فى عيادة الطبيب ومن خلال نفسي ... شهورا طويلة اتردد فيها متكلفة الطريق والجهد ، باذلة المال والوقت ، متحملة الألم والانتظار كل هذا من اجل ضرس واحد ! هنا رأيت الله .. رأيت افضاله وآلاءه .. بلا مقابل تهب يا وهاب البصر والسمع والشم والذوق والاسنان والاضراس بلامقابل تهب ياوهاب العقل والنفس والقلب والروح ومواهب العقل والنفس والقلب والروح فيخترق ذكاء الانسان غوامض الاشياء فتنكشف ، وتلمس نفسه المعانى والمشاعر فترق وتدق وتسمو ، وينبض قلبه فيثري الحياة والاحياء ، وتتوهج روحه فتضيء دنياه ودنيا الآخرين ...

من نعمتك الضياء ضياء القلب والبصر ومن نعمتك الخلود والصفاءصفاء النفس وبقاء الاثر ومن نعمتك الخصبفىالشعور والعقل والزرع والثمر حتى حب الناس نعمة منك يحظى بها السعيد الذى برات نفسه من شرورهاوقويتها على ضعفها، وطهرتها من صغارها فغدت سوية نقية رضية يرضي عنها الناس لانك عنها راض .

كل علوم الانسان منك يا واهب العقل المفكر والبصيرة النافذة ...

كل فنون الانسان منك يا واهب الاحساس المرهف والذوق المترف ، والخيال المجنح ، والطبع الشفاف ، والروح العاشق الرفاف ...

كل فنون الانسان منك يا بديع الحياة والحى فمن بدائعك فى السماء والسحاب والنجوم يستوحى الشاعر، القصيد .

ومن روائعك فى الارض والبحر والطبيعة يستلهم الفنان : رسما ومثالا ومصورا وموسيقيا اللون والحركة والصورة والنشيد .

كل فنون الانسان منك يا مانح الموهبة كلمة معبرة أو ريشة مصور او ازميلا مشكلا او وترا مرنما .

كل فلسفات الانسان منك يا داعيا الى تدبر خلقك فى السموات والارض .

ولكن علوم الانسان وفنونه وفلسفاته يذهلها تدرك اذا حل فتجمد ، وتروعها ارادتك اذا نفذت فلا تملك من الامر فتيلا ولا تغنى عن نفسها شيئا فتستسلم لارادتك وتذعن لحكمك وتخضع لقدرك ويهبط على الجميع ، لا يستثنى الجاحد والمنكر والمغرور ، ايمان مفاجىء عميق يتمتم لاراد لما اراد الله . ويرين الصمت ويخيم السكون ويسود الوجوم فقد عرفوا ان قضي الامر ... امر الله ..

انت فى البداية صاحب الامر وانت فى النهاية.. ايضا .. صاحبه .

رحيم تسع رحمتك كل شيء ... كل شيء .
حليم يسع عفوك المذنب والمسيء والعاصي ... حين تشاء .

كريم كرمك لا يحد...قد يعطى الانسان للزهو او الفخر او الاصطناع .. يعطى الانسان وهو محتاج الى العطاء شعورا يعوض عن نقص ، او احساسا يؤكد الذات ، او وسيلة تظهر الغنى والوفرة ... قد يعطى المتفضل اصطناعا للغير او اجتلابا للخير او اجتذابا للمدح والاضواء ... ولكنك تعطى للعطاء لا تريد جزاء ولا شكورا .

وقد يعطى الانسان ويتقاضي الثمن .. وقد يعظم عطاؤه حين يلمحك فيقلد الطبيب صنعتك فيشكل ضرسا من الاضراس او يرتق فتقا او يراب صدعا فى الجسم الضعيف ولو تشدق فى الصحة ، الانسان ...

وقصارى الطبيب فى احكام صنعته واداء رسالته تحية لقدرتك تنطق بها اجادته وعجزه على السواء ...

وقد يفى الانسان للطبيب او لصاحب معروف ثم يغفل عن ذكرك انت الذى اعطيت الكثير بلا ثمن واحيانا بلا مجهود منه ... بلا سعى ...

انا لا اريد ان اهون من عمل الطبيب ولكنى اصلى للحكيم الاكبر فقد وهبتنى الحياة بنفائسها كلها ثم عدت فضاعفت عطاياك حينوهبتنى البنات والبنين فانا اراك بقوة لانى انظر اليك بعيون كثيرة ، واحسك بعمق لانك تحل منى فى نفوس عديدة ، واحبك فى صدق استمده من نقاء الطفولة البريئة حولى ... احبائى ... احباء الله .

دكتورة نعمات احمد فؤاد

أبو تمّام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٤ -

الصنعة والتكلف :

الصنعة او التهذيب او الصقل ، امور تجرى فى الفنون على أنها وليدة الثقافة ، واثر من آثار الروية والنزوع الى الجمال . وهى بهذا الاعتبار قديمة فى الشعر العربى ، فقد ظهرت فى حوليات زهير بن أبى سلمى ، وفى قصائد الحطيئة ، ولم يستهجنها عربى ذو ذوق مطبوع ، ولكن الصقل يستحسن اذا لم يزحم الطبع ويأخذ مكانه ، فهو مقبول مستحسن اذا جاء عفوا فى غير كلفة او تعمل ، وهذا هو الضابط فى باب الصنعة والصقل، يقول ابن رشيق : « ولسنا ندفع ان البيت اذا وقع مطبوعا فى غاية الجودة ، ثم وقع فى معناه بيت مصنوع فى نهاية الحسن ، لم تؤثر فيه الكلفة ، ولا ظهر عليه التعمل ، كان المصنوع افضلهما ، الا أنه اذا توالى ذلك ، وكثر ، لم يجز البته ان يكون طبعا واتفاقا ، اذ ليس ذلك فى طباع البشر» .

وابن رشيق قد استصحب فى حكمه هذا ، النهج الذى ساقه فى كتابه حين يقول : « والعرب لا تنظر فى اعطاف شعرها بأن تجنس او تطابق ، او تقابل ، فتترك لفظة للفظة او معنى لمعنى كما يفعل المحدثون » وازعم أن هذا الاستصحاب حمله على أن يقول – كما يفهم من عبارته – ان المصنوع الحسن الذى لا كلفة فيه خير من المطبوع الجيد ، بشرط الا يكثر ذلك فى الشعر ، وهو كما نرى تقييد للحسن ، وحد من توفير الجمال للفن الشعرى وذلك حكم ظاهر البطلان ، لما فيه من خلل واضطراب ، اذ كلما احتفل الشاعر بشعره وهذبه وصقله ، كلما اودع فيه سر جماله وخلوده ، ووفر له كمال التأثير بالشكل والمضمون على السواء ، فهذا شىء ، والتكلف فى الشعر شىء آخر .

والتهذيب فى الفنون شريعة عامة فى ادب كل أمة ، فهذا « لنجينوس يقول : ان الشاعر الذى يريد أن يستغل مواهبه الى أقصى حد ، لا يجوز له ان يتجاهل القواعد ، وأن يتجاهل الفن الذى يريه كيف يستخدم قوته الابداعية بعقل وروية ، ومن العقل ان يصغى الشاعر الى صوت الصناعة (الشعرية) اذ ترشده الى كيفية استخدام ماجبته به الطبيعة » .

ويذكر الناقد ، هازلت ان الشعر ليس عبثا خالصا أو تسلية لبعض القراء الكسالى ، ولكنه مثار الدرس ، والغبطة للنوع الانسانى فى مختلف العصور » .

هذا وقد كان ابو تمام صاحب صنعة وصقل ، بل انه على التحقيق صاحب مدرسة ، ورأس مذهب ، اذ بذل فى سبيل ذلك طاقة فكرية هائلة حاول بها ان يؤسس منهجا جديدا يجرى عليه الشعر العربى ، فهذا ابن الاثير يقول : «واما أبو تمام فانه رب معان ، وصيقل الباب واذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذى برز فيه على الاضراب » .

ولكن هذه الطاقة الفكرية التى حشدها فى فنه كانت تجمع به الى التكلف فى اختيار الالفاظ والمعانى ، فان للالفاظ أحيانا طاقة محدودة لاتكاد تنهض بحق المعنى الذى يتمثل فى خاطره ، وهكذا يراه الشاعر ابن الرومى ، اذ الطائى عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لاتى بها » .

عمود الشعر :

يحدد المرزوقى فى مقدمة شرح ديوان الحماسة لأبى تمام عمود الشعر فى النقاط الآتية : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة فى الوصف ، والمقاربة فى التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية .

وابن رشيق لا يغرب هذا الاغراب فى حديثه عن عمود الشعر عند العرب ، اذ يقول : « ولكن نظرها

(العرب) في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه ، واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض » .

وعلى هذا البيان جرى الشعراءالعرب في قصائدهم حتى جاء بشار بن برد وابن هرمة من المحدثين فكانا أول من فتق البديع ثم اقتدى بهما كلثوم بن عمر العتابي ، ومنصور النمري ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، ثم ظهرت طريقة أبي تمام ومن تتلمذ على نهجه كابن الرومي ، وابن المعتز ، فكانت ثورة على التزام عمود الشعر العربي ، حمل لواءها ابو تمام في باب المعاني والالفاظ ، فكانت الموازنة بين طريقته وطريقة الملتزمين للعمود الشعري مما نجده مبسوطا في كتاب الموازنة لابي بشر الآمدي .

والذي أميل اليه ان الخروج على هذا العمود ليس عيبا يضاربه الشعر وينتقص من أجله الشاعر ، فالصنعة والعمق من مقتضيات الفن الخالد ، وانما العيب في الصنعة المسرفة التي تفضي بالشاعر الى انحراف عباراته عن الأهداف التي نصبها من معانيه أو اثقالها بالزينة التي يستغني عنها القصد في تحقيق معنى جديد من معاني الجمال في الشعر ، وكذلك الشأن فيما يتصل بالجري وراء المعاني والافكار . كانت تجري من قبل في الكلام جريان الصفرة في معدن الذهب ، وتشيع في حر الاساليب كما يشيع الشحوب في وجوه الحسان ، كما نراها في القرآن الكريم : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » ، « وانه هو أضحك وابكى . وانه هو أمات واحيا » ، وكما نرى في شعر مسلم وأبي نواس .

وغرامه بكل هذا ، ربما يكون سببه أنه رآها ـ وهو الكلف بالجمال ـ تجمل الاسلوب وتحسنه، ولكنا لا نعتقد في أبي تمام الذواقة ، أن يرى الحسن في القبح ، أو يشيم السلاسة في التعقيد . ولعل كلفه بهذا انما هو نوع من محاولته التجديد ، واظهار البراعة في تهيئة الشعر العربي واعداده لمسايرة عصر الترجمة لينتقل به من النسج العربي الذي عرف له على عصر الجاهليين والامويين الى نسج جديد سهل يكون فيها اكثر صلاحية لاحتضان المنطق والحكمة والفلسفة .

فاذا استقام هذا الرأي وصلح أن يكون شفيعا لابي تمام في تكلف البديع وفي الرياضة الخشنة ـ أحيانا ـ للحكم والامثال لتاخذ مكانها من شعره ، فان هذا الرأي لن يشفع لرداءة مثل هذا النوع من النتاجه حينما يعرض على موازين النقد .

لأنه كان مفتونا فتنة طاغية بالمحسن البديعي ، ومغرما أيما غرام بمحاولة التجديد في عمود الشعر العربي ، ولو اقتصد في هذين بعض الشيء ولم يسرف فيهما على نفسه لاستطعنا أن نلتمس له عذرا في افتتانه بالتجديد لان الفنون في تجدد دائم وتطور صاعد بها نحو الكمال ، فمحاولة التجديد اذن في هذا الباب أمر لا معدى عنه ولا بد منه .

وشعر أبي تمام يشبه الرقي حين يجري فيه مع طبعه ، أو ينطلق معه على سجيته ، أما اذا جنح به غرض عن سنن الطبيعة الشاعرة ، أو لوى عنانه شيء مما قدمنا ، فان شعره يتراءى لك معقدا ملتويا وغامضا كأنه الأحاجي والالغاز وهذا هو الفرق ما بين الطبع والصنعة ، وما بين السماحة والتكلف .

فمن مطبوع شعره :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد
وانقذها من غمرة الموت أنه
صدود فراق لا صدود تعمد
فأجرى لها الاشفاق دمعا موردا
من الدم يجري فوق خد مورد
هي البدر يغنيها تودد وجهها
الى كل من لاقت ، وان لم تودد

ويمضي في هذا السحر فيقول : ـ

ولكنني لم أحو جمعا موفرا
فقزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطني الايام نوما مسكنا
الذ به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه ، فاغترب تتجـــدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبـة
الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ومما جرى فيه سمحا مع طبعه مرثيته التي رثا بها محمد بن حميد الطوسي ، وهي مشهورة ، منها :

وما مات حتى مات مضرب سيفه
من الطعن واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر ، والخلق الوعر
فأثبت في مســـتنقع الموت رجله
وقال لها من دون اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نســـج ردائه
فلم ينصرف الا واكفـــانه الأجر
كان بني نبهـــــان يوم وفـــاته
نجـوم سماء خر من بينها البدر

واحسن ما قيل في ذم الشيب على كثرته قوله:
غدا الشيب مختطا بفـودى خطة
طريق الردى فيها الى النفس مهيع
هو الزود يجفى ، والمعاشر يجتوى
وذو الالف يقلى ، والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع
ولكنه في القلب أســـود أسفع
ونحن نرجيـه على الكره والرضا
وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

ومن مصنوع شعره ومتكلفه ، قصيدته التي يمدح بها عياش بن لهيعة ومطلعها :

أحيا حشاشة قلب كان مخلوسا
ورم بالصبر عقلا كان مألوســا

ومنها :

الواردين حياض الموت مترعة
ثباتيا وكراديسا كراديســا
نمــــوك فتعاس دهر حين تحزبه
امر يشــــاكه آباء قناعيســا

وهذا الاختلاف الذي نرى في ديباجة شـــعره قد تبرره طبيعة العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، اذ كان عصر تحـــول فكرى خطير في الســـياسة والعلوم والآداب ، فقد نقل الأمة كلها من حياة الى حياة ، ووثب بالفكر العربي ـ في شتى مظاهره ـ من آفاقه التي عرفت له الى آفاق أخرى جديدة لم يكن له بها عهد .

فبواكير الحكمة والامثـــال ، وومضات الفلسفة والمنطق اخذت تغذى أفكار الادباء وتثير عقول العلماء فبدأت آثارها تظهر في انتاجهم ظهورا واضحا .

وهذا البحث الثقافي الجديد يحتـــاج الى مجهود عقل جبار في ارساء قواعده وتيسيره للأذهان ، وهو في مجالنا الادبي أيضـــا يقتضى قرائح الأدباء عنتا ومشقة في ترويض المعاني المتأبية وتوطئة متونهـا حتى تقبل على الأفهام في غير اباء ولا جموح .

شهد أبو تمام الشاعر المطبوع كل هذا ، فتأثر ببعض ما ترجم من آداب وحكم وامثال ، ومن قبل ذلك أغرم بالبديع أيما غرام .

فاذا لم تتأثر فيه موهبته وغنى على ايقاع طبعـه الأصيل ، جاء في دولة الشعر مجليا واماما .

أما اذا انصرف الى ما يحفظ من غريب ، أو حاول الزينة ، أو تكلف الحكم والامثـال .. فهو النسيم الهامس حينا ، والاعصار المخرب أحيانا .

ومن رائع شعره أبيات زادها البديع روعة وكستها الحكم والأمثال جمالا قوله :

السيف أصـدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجـــد واللعب

وقوله :

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا
ان الســـماء ترجى حين تحتجب

وقوله :

ان الأسود أسود الغاب همتهـــا
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

هذا ، ومما اخذ على أبي تمام تكلفه لاستعاراته وجه شبه بعيد ينبو به موضعه كقوله :

استنبت القلب من لوعاته شجرا
من الهموم ، فأجنتها الوساويسا

وكبيته المشهور :
جذبت نداه غدوة الســبت جذبة
فخر صريعـــا بين أيدى القصائد

د. عبد الرحمن عثمان

فى العلاقة بين الناقد والمؤلف

للدكتور أحمد كمال زكى

. من أين يبدأ الناقد ، وكيف ينتهى ؟

اترى اذا حلل نفسية الاديب — عن طريق عمله — ووضع يده على معالم الطريق الذى سار فيه يكفى — ولو بشكل عام — للوفاء برسالة النقد ؟

واذا استطاع أن يصل الى مغزى الموضوع ، هل يصل الى النهاية التى ينبغى ان يقف عندها ؟

ولو قد مال عن هذا وذاك الى محاولة تحديد القيمة الجمالية فى النص او بيان امتداداته الاجتماعية ليؤكد — كما اكد شوبنهاور — انه عبر عن ارادة الحياة ، ايكون قد قطع بالراى الاخير ؟

ليس من السهل ان نقدم اجابات شافية عن كل هذه الأسئلة ، ومثلها كثير . كذلك لا نستطيع ان نزعم انها تطرق كل مجالات الناقد ، بل لا نزعم أنها محور مناقشات لناقد بعينه ، فان ما قد يأخذ به يرفضه غيره ، وان يكن يتفق معه على ان المعرفة الكامنة فى اى نص — وهى وجدانية — جزء من رسالة الفن على وجه العموم !

ومعنى هذا ان الاتجاه الى الوجدان شرط اساسى لقيام اى بناء نقدى ، وسواء اكان النقاد بلاغيين ام اجتماعيين ام ما ارادوا ان يكونوا فانهم لابد واقفون عنده ، ومن ثم لا نخطىء اذا قلنا انهم مهما تفرقوا يلتقون فى النهاية .

وعلى هذا الاساس تكون مجدية تلك المحاولة التى ترصد خطوات الناقد . حقا قد يكون فيها شيء من الاعتساف ، وقد تلغى كثيرا من جوانب التفرد عند مختلف النقاد — لاسيما اذا كانوا موفقين — الا انها فى النهاية تسف للقارىء جماع ما يؤديه النقد وهو ينظر الى الصورة والمضمون .

وهنا يمكن ان نتوجه بالسؤال : كيف يمكن والحال هذه ان تمضى عملية النقد من بدئها حتى النهاية ؟

فى اجابتنا عن هذا السؤال لن نحتاج من الناقد الى اكثر من مناقشة موضوعية للنص الادبى . ولكن لما كان هذا النص يرتبط بفنان ما فليس شك فى ان اسلوب التعرف اليه ينبغى أن يحدده ، وبالتوازن بينهما — وهذا ما يقوم به الناقد — نرى مصادر التجربة وصورها ومعانيها ، وتكون وضوح الرؤية غالبا محكا لتوفيق الفنان .

واذن فمعنى ذلك كله ان امامنا نصا وفنانا او اثرا ادبيا وصاحبه ، والى جانب هذين ثمة قيم يفرضها نوع الاثر الادبى وحقائق يقررها موقف الاديب ، وسنحاول فيما يلى ان نقف عند الفنان او عند المؤلف بوصفه بوتقة تنصهر فيها المادة قبل ان تتشكل فى صورتها الجمالية النهائية ، وتتسع للموقف الفكرى باطراد .

***

والحقيقة ان المؤلف قاعدة اساسية لفهم النص ، وقد ظهرت خطورة هذه القاعدة بتشعب ابحاث علم النفس واقتحامها مجالات الادب على اساس ان العلاقة بينهما هى تحديد الدوافع والاحساس والادراك وما اشبه ذلك ، وكشفت مدارس السيكلوجيين من بنائية ووظيفية وجشتالتية ان شبرانجر مثلا يؤدى الدور الذى يؤديه فانت وان الاثنين يسهمان فى الكشف عن سلوكية الاديب أو نفسيته ، التى هى نقطة انطلاق نحو النص ان لم تكن بؤرته او البوتقة التى ينصهر فيها .

على أن النقد القائم على التحليل النفسي كاد ينحصر اليوم فيما خلفه ستارك يونج واتباعه الذين شغلوا انفسهم بالرمز والاسطورة كما شغل الفرويديون انفسهم باللغة والباطن . ويوضح كتاب فردريك برسكوت « العقلية الشعرية » — وقد اصدره سنة ١٩٢٢ — فى مقدمة اوضح كتب النقاد السيكلوجيين الذين يطبقون نظريات فرويد على الادب ، ونرى له شبه تاثير على اقطاب من النقاد منهم أ . ريتشاردز صاحب نظرية التحليل النقدى القائم على فهم اللغة وصاحب كتاب « قواعد النقد الادبى » الذى وضعه سنة ١٩٢٤ ولا يزال الى اليوم مرجعا اصيلا لنقادنا المحدثين .

هذا لا يخفى اطلاقا — فى تحديد ملامح المؤلف — دور التاريخ من حيث هو علم يسجل نشاطات الانسان على مدى الزمن . وكان لاشتغال علم النفس الفهمى — الذى اقتحم نفسية الاديب — بالعلوم الاجتماعية وبالانثروبولوجيا اثر فى فتح باب كبير نفذ منه التاريخ على نحو لم يعهده القدماء قط . واليوم تتلاقى فلسفة النقد الادبى الحديث مع فلسفة التاريخ المعاصرة ، حتى لنرى اميل بربيه يتحدث بثقة عن النقد التاريخى ، ونحو ذلك .

وبقدر ما تضخم نقد النص بمجاهدات النفسيين ازدحم بالتاريخيات وغيرها من الانسانيات بحيث ضاعت الحقيقة الادبية ، أو كادت . ولتلافي هذا يجب على الناقد الا يسرف في البعد عن فنية النص ، يجب ان يستمد من المؤلف مباشرة ما يلقي الضوء على اثره مع ربطه بكل ظروف البيئة — مادية كانت او معنوية — بحيث يصبح من السهل بعد ذلك ان يتساءل : كم جعل المؤلف نصه انعكاسا للتجربة ؟

وبعبارة اخرى يتساءل : الى اى مدى جعل المؤلف اثره تقليدا للحياة ؟

وهكذا تثار قضية « المحاكاة » على نحو اتفاقي ، ولكنه اصيل لان الفن شيء آخر غير الحياة ، ولان العمل الادبي واقع فعلي مضاف اليه اعماق الاديب وهذا ما نسميه بالواقع الفني ، وهو نفسه ما تدور حوله المعركة التقليدية من حيث كونه صدى الهام او نتيجة دربة وتمرس .

ومسالة الواقع الفني تلغى السؤال الذى يطرح دائما وهو : هل المؤلف صادق ؟ بمعنى هل النص تصوير لاحداث حقيقية ؟ ان قبول النص يتوقف على مدى قدرة المؤلف على « منطقه » التجربة كصورة فنية ، فللحياة منطقها ، وللفن منطقه ، بل للموقف الأدبي سواء اكان شعرا أم قصة أم مسرحية منطق معين . وما قد نقبله في الحياة قد نرفضه من المؤلف او قد نرفضه في موقف فني له ونقبله في موقف آخر .

فالصدفة قد تبدو جميلة في الحياة ، وقد نقبلها ونسلم بها ، بل قد لا نرى في تتابعها غرابة على الاطلاق . على انها في العمل الادبي تصبح مبتذلة ، وهي قد تكون اكثر ابتذالا اذا احدث المؤلف بها « نقلة » جوهرية في رواية ، او اذا لجأ اليها اكثر من مرة في المواقف العادية .

صدق المؤلف على اية حال ان كان يطرح للمناقشة فعلى اساس ارتباطه بالنص لا على اساس اخلاقي محض ، ويعني هذا ان انشغاله بالحياة المثيرة للانفعال والباعثة على الاحلام يجب ان يكون في حدود منطق عمله الفني . ومن ثم قد يجوز للناقد ان يتحدث عن ان تأثر ماركس مثلا فيه يقترن دائما او احيانا بتأثير فرويد ، مع ان منطق الحياة يرفض المصالحة بين المذهبين ، فالاول يؤكد اشكال الجماعة والثاني يعنى بالجوانب الغريزية والذاتية . ومع ذلك فقد يجد ناقد آخر ان كلا من ماركس وفرويد لا يعملان الا لسحق الهيكل الاقتصادي والكيان الاخلاقي جميعا .

ومعنى هذا ان تقاليد المؤلف تدخل في اعتبار الناقد شاء أو لم يشأ ، وان احلامه ومكبوتاته ورموزه تجد مجالا للتشريح والتقويم في اثناء تقييم الحقيقة عنده .

ان المؤلف او شخصية الفنان مشكلة ، ولكنها تخضع دائما لحلول لا تبعد كثيرا في الواقع ، بحيث يمكن ان تجعل « الجنس » عنده مصدرا للاضطراب العصبي مرة ، ومرة اخرى بدءا للتفوق ، ومرة ثالثة طريقا للالحاد ، وهكذا . . .

واخيرا نريد ان نسأل : ماذا لو كان المؤلف يكتب عن نفسه فعلا ؟

الجواب سهل ، فهو في هذه الحال اما يصطنع سيرة شخصية واما يسجل خواطر لايقصد بها تشكيلا فنيا ، واما يكتب مذكرات او يرصد لمراسلات . ولكل هذه مقاييس خاصة ، بحيث نعجز عن ان نطبق على المذكرات مثلا ما نطبقه على السير ، لان هذه تستمد وجودها من شتى اسباب بعضها التاريخ العلمي ، ودور المؤلف هنا هو ان يطرح على الفن تلك الأسباب من خلال تجربته او في اطار انفعالاته بها وتفاعلها هي معه .

ولكن هذه قد تجعل في وسعنا ان نجد منفذا الى تفهم مثيلها من الانواع الادبية كالقصيدة والقصة ، فتصبح القضية امام الناقد لا ان يناقش ما يقول المؤلف وانما يناقش كيفية ما يقول . بمعنى انه يعرض بالبحث لبنية النص ، جاعلا الشكل او الهيئة احدى وسائل التعرف الى هذه البنية .

ويمكن أن نقول بصفة عامة ان المؤلف في تشكيله تجربته انما يثير انتباه الناقد بموقفه الفكري او بتقاليده على نحو ما قدمنا منذ قليل ، وذلك لان المادة التي تتركب منها بنية العمل الأدبي — وان تكن تنتمي الى ما هو واقع فعلا — تنطوي على طريقته الخاصة في النظر الى الاشياء وعلى درجة احساسه بها . ومن ثم لا يمكن ان يتصور الناقد ان انتاجه الفني مجرد تعبير عن ذات هي منعزلة عن العالم ، والا كان عليه ان يعزل مادة النص عن بنيته .

وبعد ، فان قضية المؤلف تبدو شائكة دائما في نظر جميع النقاد . ويوم يوضع في الحسبان انه في خلقه المادة — التي كانت في هيولاها ضائعة غامضة — انما يصدر عن ذات في مقدورها ان تشكل باسلوب يمس خبرات الآخرين ، فقد يكون اصوب ان يعاد تقييمه على اسس جمالية خالصة .

دكتور احمد كمال زكى

مفهوم الثقافة

عند نجيب محفوظ

للأستاذ أنس داود

(٢)

بهذه الردود الحاسمة يبين احمد عن اى طراز من المثقفين ينتمى اليه .. انه طراز المناضلين بحق، الذين لا تزعزع صلابة ارادتهم وهن العاطفة ، ولا تحولهم عن وضوح الرؤية سذاجة الاحساس . ان ايمانهم بالعلم ايمان نهائى ، وايمانهم بضرورة الحل الاشتراكى ايمان واع وعميق ، ونضالهم من اجل التغيير الاجتماعى نضال صلب لا يهن .

ومن خلال الجدل الذى ثار فى كلتا الروايتين ندرك اشياء عن انحياز الكاتب نجيب محفوظ من ناحية ، وعن فهمه للتيارات التى تتصارع فى وطنه، ونوع الردود الحاسمة التى يحملها التفكير الاشتراكى لكل التساؤلات ..

من هذه الردود الحاسمة ما كان يجابه به احمد شوكت (اليسارى المتطرف) اخاه عبد المنعم (اليمينى المتطرف) عندما ينفجر بينهما النقاش حادا عن «الدين» ان احمد وهو يمثل الاتجاه الذى يعطف عليه نجيب محفوظ ، وينتصر له ، يستنكر على الدين اشياء كثيرة ، ويعتبره حلا مرحليا فى تاريخ الانسانية ، مضى او انه ببزوغ عصر العلم ، والايمان بالخبرة والتجربة الانسانية ، والولاء للعقل ، ها هو يوضح رايه فى « مرحلية الدين » بهدوء وبساطة :

« ان بقاء العقيدة اكثر من الف سنة آية لا على قوتها ، لكن على حطة بعض بنى الانسان ، ذلك ضد معنى الحياة المتجددة ، ما يصلح لى وانا طفل يجب ان اغيره وانا رجل ، طالما كان الانسان عبدا للطبيعة والانسان ، وهو يقاوم عبودية الطبيعة بالعلم والاختراع ، كما يقاوم عبودية الانسان بالمذاهب التقدمية ماعدا ذلك فهو نوع من الفرامل الضاغطة على عجلة الانسانية الحرة » . (السكرية : ١٦٠)

وتاييدا لفكرته يقول احد الذين اشتركوا فى النقاش الذى نشب بينه وبين اخيه :

« التنظيم القائم على العلم وحده ينبغى ان يكون كل شىء ، يجب ان نؤمن بشىء واحد هو استئصال الضعف البشرى بكافة انواعه ، ومهما بدا عملنا قاسيا ، وذلك للوصول بالبشرية الى مثل قوى نظيف » . (السكرية : ١٦١)

ولا يدع احمد فرصة تمر — بينه وبين اخيه — دون ان يكشف عن الهوة العميقة التى تفصل بينهما ، وكثيرا ما تبدو كلماته وتعقيباته كالبسمة الرفيقة ، الساخرة — فى مودة ومرحمة — من سذاجة اخيه ، المشيرة الى ابتعاد اخيه بتفكيره الدينى الغائم عن جذور المشكلات التى يواجهه، كتلك اللمحة الخاطفة، العميقة الدلالة ، فى رده عليه عندما سيقا الى السجن .

« تنهد عبد المنعم وهمس بصوت لم يسمعه الا احمد :

— ليزج بى الى هذا المكان لا لسبب الا لاننى اعبد الله !

فهمس احمد فى اذنه باسما :

— وما ذنبى انا الذى لا اعبده ؟! » .

(السكرية : ٣٨٤)

ويؤكد احمد فى كل حين انحسار الدين عن كل مجالات الحياة ، وعدم استمرار فعاليته فى زماننا ، الى درجة انه لم يبق منه سوى مراسيم تمارس بحكم العادة ، وبقوة الانسياق فى تيار التقاليد ، دون استشعار لخطرها ، فعندما التقى به خاله «كمال» وفوجىء بخبر زواجه ، ساله باسما :

« وهل تزوجت على سنة الله ورسوله ؟

فضحك احمد وقال :

— طبعا ، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم ، اما الحياة فعلى دين ماركس ! » (السكرية : ٣٢٢)

وفى نفس المسار — تقريبا — تسير افكار احمد راشد فى « خان الخليلى » ، الصورة الموازية لاحمد شوكت فى « السكرية » ، والمقابلة لعبد المنعم ولاحمد عاكف فى كل منهما ، فالدين كما يعتقد — وكما يعتقد بالتالى نجيب محفوظ — لم يعد كافيا لحل مشكلات البشر فى هذا العصر ، وتمثل آلامهم وآمالهم .. ان «حس الزمن» كان حادا عند كل من احمد شوكت واحمد راشد بينما يكاد يفقد دلالته عند عبد المنعم واحمد عاكف ان لم تكن هذه الوصاية العميقة على الحاضر والمستقبل التى يمثلها فى ضميرهما نوعا من الاحساس بايقاعه ، وان كان احساسا ورائيا يفقد معه التطور كل دلالته وكافة اسلحته .

واذا كان موقف نجيب محفوظ من الدين قد اخذ شكلا حادا فى روايته التى لم تنشر فى كتاب بعد « اولاد حارتنا » فان هذا الموقف لم يكن انفجارا نجائيا ، بل كان تعميقا لجرى قديم فى تكوينه الفكرى ، وتاكيدا لبعد من ابعاد مفاهيمه الجذرية ، فليس

نجيب محفوظ بالكاتب الذى يواجه الحياة بخواء فكرى ، ولا بمجموعة من المفاهيم المتناقضة ، ولكنه كاتب يدين بوجهة نظر عميقة فى الحياة تمثل قاعدة راسخة يعلو عليها بناء رواياته ، ويصدر عنها فهمه للانسانية ومشكلاتها فى مرحلتها الحضارية الراهنة .

وفى « اللص والكلاب » يسلط نجيب محفوظ الضوء على جانب آخر من قضية المثقفين فى بلادنا بفضح طائفة « الانتهازيين » والمتاجرين بالشعارات

فسعيد مهران خرج من السجن ليرى رءوف علوان الذى علمه كيف يحمل المسدس ، وكيف يقرأ الكتاب « المسدس يتكفل بالماضى والكتاب للمستقبل .. » ، ثم شجعه على السرقة عندما اضطر اليها اول مرة ، واعطاه مبررا عريضا ليستمر فى طريقها !

« سرقت ؟ .. هل امتدت يدك الى السرقة حقا ؟ .. برافو ، كى يتخفف المغتصبون من بعض دينهم ، انه عمل مشروع ياسعيد ، لاشك فى ذلك »

ومن يومها يعتبر الشاب المكافح رءوف علوان رائده ومرشده ، وأستاذه الروحى حتى تصبح حياته « امتدادا لافكار هذا الرجل » .

وقد دخل سعيد السجن ورءوف لم يكن الا محررا بمجلة النذير ، مجلة منزوية بشارع محمد على ، ولكنها كانت صوتا مدويا للحرية » ، ثم يخرج من السجن ، ويذهب الى مسكنه فاذا به فيلا ضخمة باذخة الثراء ، فلا يملك الا أن يتساءل :

« ولكن كيف ؟ .. ما الوسيلة ؟ حتى اللصوص لا يحلمون بذلك . » (ص ٣٦)

وحين يلتقى به يجده صورة من التنكر لماضيهما ، والغدر بصداقته .. هذا الذى صنعه بأفكاره ، وخلقه بتشدقاته وتطلعاته ! ويل له من هذه الخيانة :

« تخلقنى ثم ترتد ، تغير بكل بساطة فكرك بعد أن تجسد فى شخصى ، كى أجد نفسى ضائعا بلا أصل وبلا قيمة وبلا أمل ، خيانة لئيمة لو اندك المقطم عليها دكا لما شفيت نفسى » (ص ٤٧)

ومنذ تلك اللحظة تلتهب فى صدره نيران الحقد والغضب على كل « الكلاب » على الغدر فى مجتمعه بكل صوره :

زوجته التى غدرت به وتزوجت تابعه عليش .

عليش الذى أرشد عنه البوليس وأغوى زوجته .

رءوف علوان الذى غدر بشعاراته ، بالشعب الذى كان يتشدق باسمه ، وبالعدالة التى مرغها فى الحضيض ..

وعند ذلك قرر أن يشهر مسدسه فى كل الوجوه « لان الخيانة بشعة ، ولكى تصفو الحياة يجب اقتلاع الخبائث الاجرامية من جذورها » ، ولان « الرصاصة التى تقتل رءوف علوان تقتل فى الوقت نفسه العبث ، والدنيا بلا اخلاق ككون بلا جاذبية » .

ومن هنا .. يتخذ هذا البطل صورة غير عادية انه ليس لصا بالمعنى المألوف ، ولكنه «ثائر» على اوضاع اجتماعية بالغة الفساد .

وهو نفسه يتجول فى أعماقه ، ويدرك حقيقة عمله .. انه رمز .. رمز للمغلوبين على أمرهم فى مجتمع يحمى اللصوص الحقيقيين ، فعليه أن يكافح ليلا كاملا ، ويبشر بفجر جديد ، يكافح من أجل الملايين برغم أن هذه الملايين لا تصنع من أجله شيئا ، انها تتعاطف معه على البعد ، ولكنها - أخيرا - تتركه وحيدا ..

« اننى رغم تأييد الملايين أجدنى ملقى فى وحدة مظلمة بلا نصير ، ضياع غير معقول ، ولكن تزيل رصاصة عندعدم معقوليته ، ولكنها ستكوناحتجاجا داميا مناسبا على أى حال ، كى يطمئن الاحياء والاموات ولا يفقدوا آخر امل »

(ص ١٣٩ اللص والكلاب)

وحين ذلك يدرك أهمية عمله ، بل يدرك عظمته ويحدث نفسه عنها :

« عظيم بكل معنى الكلمة ، عظمة هائلة ولكنها مجللة بالسواد ، عشيرة للمقابر ، ولكن عزتها ستبقى بعد الموت ! ان من يقتلنى انما يقتل الملايين ، أنا الحلم والامل وفدية الجبناء ! وأنا المثل والعزاء والدمع الذى يفضح صاحبه » (ص ١٤٨)

ان نجيب محفوظ يضيف فى هذه الرواية هذا الصنف الوضيع من المثقفين الى الخونة والغادرين وكلاب المجتمع الذين يجب أن يتخلص منهم المجتمع بكل وسيلة ، ويتخلص من الظروف التى أوجدتهم ، انه يشجب التكسب بالثقافة لانها لديه رسالة انسانية خالصة .

ومما تقدم نستطيع أن نقول ان مفهوم الثقافة عند نجيب محفوظ يقوم على ثلاث دعائم واضحة هى :

١ - ضرورة الايمان بالعلم .

٢ - ضرورة الحل الاشتراكى .

٣ - ضرورة النضال المخلص من أجل مجتمع انبل وأفضل .

انس داود

التراث العربي مظاهر الاعتناء به

للدكتور حسين نصار

لم يقصر العرب في جهودهم على جمع التراث العربي والحفاظ عليه ، بل عملوا على طبعه ونشره ، ذلك العمل الذي سموه « احياء التراث » . وان اتبعنا التسلسل التاريخي ، كان احياء التراث العمل الاول الذي التفت اليه العرب ، وقاموا فيه بمحاولات سبقت محاولاتهم في جمع التراث .

حقا ان الطباعة اتت الى الشرق الاوسط على ايدي اليهود في تركيا ، والمسيحيين في لبنان وسورية وكان اول ماطبعوا كتبهم الدينية . ولكن ما أن انتقلت الطباعة الى ايدي المسلمين حتى عنوا بطبع اشياء من تراثهم القديم الى جانب مايطبعونه من تراثهم الحالي .

فقد كان الكتاب السادس والعشرون من مطبوعات المطبعة الاميرية ببولاق «مشارع الاشواق الى مصارع العشاق ، ومثير الغرام الى دار السلام » ، الذي اصدرته في سنة ١٨٢٦ ، اى بعد ست سنوات من انشائها . ثم اصدرت كتابي الف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة في سنة ١٨٣٦ . ثم توالت الكتب ، وان كان الناظر في قوائم الكتب التي طبعتها الاميرية يتملكه العجب لكثرة ماتضمه من كتب التراث الفارسي اولا ثم التركي ، وقلة ماطبعته من كتب التراث العربي في السنين الاولى من عهدها . ولكن ذلك — بطبيعة الحال — يتفق مع النظام التركي الذي كانت تخضع له البلاد .

وحدث مايشبه ذلك في لبنان وسورية وتركيا . فقد اصدرت مطبعة بيت الدين الاولى ، التي اسست في سنة ١٨٥٢ في لبنان ، شرح الزوزني للمعلقات . واصدرت المطبعة اللبنانية القائمة في بيت الدين ايضا كتاب كليلة ودمنة في سنة ١٨٦٨ م . واسس أحمد فارس الشدياق مطبعة الجوائب التي كان لها شهرتها المدوية في العالم العربي ، وكان لها فضلها العظيم في التراث العربي ، في تركيا في سنة ١٨٧٠م ولازال كثير مما طبعت مراجع للباحثين اليوم لايجدونه فيما طبع غيرها . واول ماعرف من كتب التراث التي طبعت في سورية ديوان صفي الدين الحلي ، الذي صدر حوالي سنة ١٨٨٣ م .

وعرفت المطابع الطريق الى التراث القديم ، وذاقت مايدره من مال وشهرة ، فاقبلت عليه المطابع الحكومية والأهلية . وصار احياء التراث عملا تجاريا رابحا يتهافت عليه الناشرون ، ولازال كذلك الى يومنا هذا .

وكان من آثار هذا الاقبال ان الحق بمطبعة بولاق قسم مستقل ، سمي « بالقسم الادبي » ، وفي سنة ١٩٠٢ ضم الى المطبعة ، وجعل ادارة من اداراتها . وكانت مهمته الاشراف على مايطبع من كتب التراث وبقي هذا القسم الى سنة ١٩١٤ ، اذ نقل هو وقسم من المطبعة وضما الى دار الكتب . واستمر القسم الادبي ، احد اقسام دار الكتب ، ويؤدي اعماله الى أن الغي في سنة ١٩٥٥ ، تحت ايحاء الدعوة الى توحيد الاشراف على مايطبع من التراث القديم ، وعدم التزام القسم منهجية التحقيق .

وفي تلك الاثناء ، كانت «وزارة المعارف المصرية» قد انشأت ادارة للثقافة العامة ، وجعلت من اقسامها واحدا لاحياء التراث حوالي سنة ١٩٤٩ . وانتقل ذلك القسم مع الاقسام التي انتقلت الى وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ثم آل اخيرا الى المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .

وقد حاولت تلك الاقسام أن تسهم في احياء التراث اسهاما ذا اثر ، ولكن ما اخرجته من كتب لازال قليلا جدا اذا ماقورن بتاريخها الطويل ، وبخاصة اذا استبعدنا مانشرته مطبعة بولاق . ولكن هناك محاولتين يجب التنبيه اليهما ، لانهما محاولتان عامتان واسعتا النطاق .

اعلن قسم احياء التراث من ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم عزمه على اخراج مجموعة كبيرة من كتب التراث ، والحاقها بمشروع الالف كتاب وعين الكتب والمحققين ، والمنهج . ولكن السنة كثيرة وقفت في سبيل المشروع ، وبذلت الجهد في هدمه ، ونجحت دون ان تقيم في موضعه بناء ما .

وفي الشهور الاخيرة اعلن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عن مثيل للمشروع السابق ، سماه « المكتبة العربية » وسار خطوات في سبيل تنفيذه . ولعل الألسنة التي

تلقفته والخصومات الشخصية لاتقضى عليه كما قضت على سابقه . فالمجال متسع للتقويم والتسديد أما الهدم فليس فى صالح أحد .

ولم تسر سورية والعراق على خطى مصر ، فلم ينشأ اقساما لاحياء التراث ، وتركا ذلك للناشرين اولا . ولكن احياء التراث كان من اسباب انشاء المجامع بالبلدين . فقد وكل الى المجمع العلمى العربى الذى اسس فى سنة ١٩١٩ فى دمشق « النظر فى اللغة ، واوضاعها العصرية ، ونشر آدابها ، واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ماينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الاوربية ، وتاليف ماتحتاج اليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد ... »

فعلى حين كان المجمع المصرى لغويا محضا — كما راينا — كان المجمع السورى ممثلا لاتجاهات الثقافة العربية جميعا ، من احياء للتراث القديم ، ونقل عن الثقافات الاخرى ، وتاليف ، الى العناية اللغوية .

وبقى المجمع العلمى العربى بدمشق الجهة الرسمية المنفردة بالاشراف على اصدار كتب التراث القديم الى ان كانت الجمهورية العربية المتحدة ، فتبادل طرفاها التاثير . انشىء بوزارة الثقافة السورية قسم لاحياء التراث ، لازال يعمل الى اليوم ، وعهد الى مجمع اللغة العربية بمصر الاشراف على كتب التراث . ومارس المجمع هذا الاشراف سنة او اكثر ، ثم سحب منه هذا الحق .

وعلى نمط المجمع السورى قام المجمع العلمى العراقى فى سنة ١٩٤٧ ، اذ تقول المادة الثانية من مرسوم انشائه : « يقوم المجمع :

(أ) بالعناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة .

(ب) بالبحث فى التاليف فى آداب اللغة العربية ، وفى تاريخ العرب والعراقيين ، ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم .

(ح) بدراسة علاقات الشعوب الاسلامية بنشر الثقافة العربية .

(د) بحفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة واحيائها بالطبع والنشر ، على احدث الطرق العلمية .

(هـ) بالبحث فى العلوم والفنون الحديثة ، وتشجيع الترجمة والتاليف فيها ، وبث الروح العلمى فى البلاد ... »

وآخر الاقطار العربية دخولا فى ميدان احياء التراث امارات الخليج ، واقطار المغرب ، وابرزها اثرا الكويت التى يسرت لها امكاناتها المالية العمل السريع ، الذى توفر له اسباب النجاح . فاصدرت تسع كتب ، وتعمل فى ايامنا هذه على اخراج اكبر معجم لغوى عربى : تاج العروس .

وكما كان لمعهد المخطوطات العربية فضله فى جمع التراث ، كان له فضله فى احيائه . فقد كان مما وكل اليه من اعمال :

١ — وضع مايصوره من مخطوطات تحت تصرف العلماء .

٢ — طبع صور المخطوطات القيمة التى نصها صحيح ، وخطها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الاهمية الكبرى .

٣ — تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية فى سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التى يعنون بها ، واعلامهم باسماء من يعنى بمخطوطات مماثلة لمخطوطهم او مشابهة له .

٤ — اصدار نشرة دورية عما طبع او يطبع من المخطوطات العربية ، والاشارة الى ماهو معد منها للطبع .

كل هذه جهود تبين أن الاجيال السابقة علينا لم تهمل تراثنا القديم البتة ، وانها حاولت على الرغم من الطريق الوعر — أن تفى بحقه عليها ، والا تهمل واجبها نحوه ، ونحو الاجداد ، ونحو الابناء . وكل هذا يبين لنا انه ليس بدعة ان تدعو الى الاعتناء بذلك التراث ، بل البدعة الدعوة الى طرحه . ويضع على كواهلنا اعباء مضاعفة . فاذا كان آباؤنا بذلوا الجهد لجمع التراث وصيانته واحيائه فان جهدنا يجب ان يكون كفاء جهدهم ، وان يتعدد تعدده ، وان يتخذ من الاساليب الجديدة ماتتخذه حياتنا نفسها . فنحن ننادى اليوم بالتخطيط فى كل شئون حياتنا ، ولابد من تخطيط فى شئون تراثنا : تخطيط يجعلنا على يقين فى كل خطانا ، نحو جمع تراثنا ، والحفاظ عليه ، وفهرسته واحيائه .

دكتور حسين نصار

وقفة في قرطبة البيضاء

للأستاذ عزيز أباظة

قالوا بلغتم . فهذا نور قرطبة   فقلت دل عليها نور سالفها
أجل ودلت نفاثات مكتمة   قد غالبتها فضلت فى مراشفها
دخلتها والدجى تخفى مفاتنها   الا روائع بيضا من مطارفها
فما اجتنت رسيسا من لواعجها   ولا أكنت عبوسا من معارفها

***

ياجارة المسجد الباكي ومئذنة   الله كان يناجى من مشارفها
ماذا دهاها فأمست وهى ناهدة   فى غير ما عهدته من معاطفها
هذه النواقيس ان زين هامتها   فقد تحيفن شما من قراعفها

***

الدين لله الا أنها غير   ترمى براعدها الدنيا وراجفها
ليس الأذان ولا الناقوس رمز هدى   اذا النفوس تردت فى تجانفها
وقفت فى طلل الزهراء مختشعا   والنفس تهب لعات من عواصفها
أرنو فيرتد طرفى راعشا وجلا   كهائب اللجة الكبرى وخائفها
وللطلول أحاديث مجمجمة   تردع كاشفها أو غير كاشفها
وادارکت ذکریات جد دانية   وان ترامي بعيدا من مساوفها

***

طوفت بالطلل الأسوان أسأله   أين الخلافة فى حضنى خلائفها
أين ابن بجدتها شعت حضارته   سنى على سالف الدنيا وآنفها
الناصر الظافر المخشى جانبه   فى حيثما دب سابح فى تنائفها
الباذل العالم عن أعلام جامعه   تدنى الثمار مزكاة لقاطفها

***

تهفو الخلائق من شتى مناكبها   الى المعين المروى من معارفها
لا ظل دوما ولا أفياء قدوتها   بمجزىء العال عن ملتف وارفها

***

ذکرت يوم الوفود الضخم ساعية   للقصر ترفل فى ضافى ملاحفها
تمشى فتمشى قلوب فى صدائرها   فرابط الجأش فيها عدل واجفها
وحين أفضت الى أستار سدته   وأوقفت حلقات فى مواقفها
أهل فى هالة من سروة ملك   من عبد شمس تدلى من غطارفها

***

فخيم الصمت الا نبض أفئدة   يشد راعدها من عزم راجفها
وجاهدت كل عين وهى مغضية   أن تستعر على شمس وخاطفها

***

وقيل للقوم أدوا من سفارتكم   الى الخليفة وامضوا فى شواغفها
فزف كل كبير من عواهلها   وخف كل وقور من أساقفها

ساقوا الهدايا وساقوا بعدها حطبا ... أنساهم الروع طُرفا من طرائفها
بين الوفود ملوك غير آمنة ... فجاورته لواذا من مخاوفها

❊❊❊

وبينهم أمم ذاقت حضارته ... فاقبلت تنهل من لطائفها
وغيرها لم ترد جنات قرطبة ... الا لتنهل من صافى معارفها
لم يترك الدهر من راووق أندلس ... الا شفافة راح من عوارفها

❊❊❊

لهفى على حسنها الذاوى وزهرتها ... وحاليات الحواشى من زخارفها
وقلت أين حضارات ومعرفة ... أظل هذا الورى موشى وارفها
وأين هدى تهدى من صحائفها ... وأين نور تجلى من مصاحفها
الدهر يومان والأيام حاملة ... حظ الوجود جنينا فى لفائفها
ما ذلك من عهد الدولات فانصدعت ... كالخاف شب لظاه فى طرائفها
وقد تصاب فتلقى حتفها أمم ... لا من مخالفها بل من محالفها

❊❊❊

يا ويحها ذكريات هجن بى حرقا ... تنساب فى راسب الذكرى وطائفها
ساورتنى كهتاف الروح قد تشفت ... عنها الغشاوة فاهتزت لهاتفها
وزلن عنى كما زالت رؤى حلم ... ران الغموض عليها من ترادفها
فما طرقن سوى نفسى وعاصفها ... ولا تركن سوى عينى وذارفها

عزيز اباظة

يمنى فى شوارع روما

للأستاذ ابراهيم الحضرانى

تتساءل الجدران بى ... وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب ... وذلك الشبح النحيف
يمشى فتمشى حول هيكلـ ... ـه من الماضى طيوف
الذعر فى نظراته ... والرعب والقلق المخيف
يامهبط الرومان هذا ... ماجنى الزمن العجيف

❊❊❊

من عهد جير لايزال يروعنا ... أو عهد خوفو
والجرح جرح المستبد ... له باكبدنا نزيف
أمشى بروما حائر الخطوات لى سمع كفيف
يتحسس الكلمات كالأعمى ... بمهمهة يطوف
الدار تنكرنى ولكن ... بساكنها شغوف
أشدو فينكر جوها ... شدوى وتلفظه السقوف

ابراهيم الحضرانى

الإسلام يحارب السلبية

للأستاذ أحمد الشرباصي

« السلبية » كلمة تقابل كلمة « الايجابية » ، وهما من الالفاظ التى هيأ لها الاستعمال اللغوى المعاصر جوا من الشيوع والذيوع . وفى السلبية معنى السلب والانتهاب مع الانسحاب ، وحمل النفس على الانعزال والفرار . وفى الايجابية معنى الوجوب والالتزام ، وحمل النفس على اداء ما يجب ان يؤدى ، ففى السلبية اخذ وعجز ، وفى الايجابية اعطاء وقوة .

ويدور مفهوم « السلبية » الآن على عدم الاهتمام بشأن الغير ، وعلى التخلص من التبعات والفرار من المسئوليات ، والقاء الاحمال بعيدا عن النفس والذات على اكتاف هذا وذاك وذلك ، دون ان يفكر صاحب النزعة السلبية فى ان يتجاوب او يشارك او يعاون وهى صفة ان دلت على شيء فانما تدل على ضعف الذات ، وتفاهة الشخصية ، وخور العزيمة ، مع الانانية والاثرة ، وهذه الصفة اذا تمكنت من قوم تركتهم كاعجاز نخل منقعر ، اذ يغدون اشباحا بلا ارواح ، وظلالا بلا عزائم ، وذيولا بلا رفعة او اصالة ، ولن تنهض لمجتمع قائمة ان كان ابناؤه على هذا الخلق الذميم .

والاسلام العظيم قد علم ابناءه ان يحققوا ذواتهم ، وان يعبروا عن هممهم ، وان يشاركوا بعزائمهم ، وان ينهضوا بكل ما يمكنهم النهوض به من تبعات وواجبات ، ضاقت بهم تلك التبعات أم اتسعت ، خصت هذه الواجبات أم عمت ، وحينما صور الحديث النبوى اتباع محمد عليه الصلاة والسلام بأنهم كالبنيان المرصوص ، وانهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، اراد ان يعلمهم حقيقة الايجابية ، وأن يبعد عن حماهم قتام السلبية ، فكل منهم راع ومرعى ، وكل منهم ناصح ومنصوح ، وكل منهم معين ومعان ، وكل منهم يسهم بما يستطيع ليكون الجميع من أهل النجاح والفلاح : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

وهذا هو معلم الانسانية واستاذ البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه يعطى اتباعه الدرس الهام فى مقاومة السلبية ، فيقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . ومن اهتم بأمر امته بحث شئونها ، وعرف آلامها وآمالها ، وسعى فى جلب الخير لها ، واسهم فى دفع الشر عنها ، وبهذا يكون ايجابيا لا سلبيا .

ويعود الرسول الى تدريب اتباعه على الايجابية ومقاومة السلبية ، عن طريق تقديم الوجوه الكثيرة من الخير والنفع والمعاونة الى كل محتاج ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه » ، وهذا الهدى النبوى الكريم مستمد من النبع القرآنى الصافى الذى يحرض على الايجابية فى ميادين الخير ، والى مقاومة السلبية المؤذية المخربة ، وذلك حيث يقول القرآن الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

واذا كانت الايجابية العملية تتمثل فى فعل الطيبات والخيرات ، فانها ايضا تتمثل فى مقاومة الشرور والآفات ، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » . وحذر الرسول من ترك الشر يستفحل استفحال الداء العضال ، لئلا يؤدى ذلك الى دمار الجميع ، فقال : « اذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وكما حارب الاسلام السلبية فى مجال العمل حاربها فى مجال القول ، فحث على الجهر بالكلمة الطيبة والقول النافع الذى يشارك به صاحبه فى التوجيه والارشاد ، فقال القرآن : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » ، وقال النبى وما ابلغ ما قال : « من دل على خير فله مثل اجر فاعله » .

وهناك صنف من الناس لا عقل لهم ولا رشاد ، فهم يتبعون كل ناعق ، ويؤمنون على كلام كل ناطق ، ولا تجد لهم رأيا ، ولا فكرا ، ولا استقلال شخصية

نظرات لابن خلدون

للأستاذ علي العماري

- ١ -

طغت شهرة العلامة عبد الرحمن بن خلدون في الدراسات الاجتماعية، والتاريخية على ما اسهم به في حلبة الأدب — بعامة — وفي مجال النقد الادبي — بخاصة —

وقد كان من اثر ذلك ان اغفل اكثر الدارسين لحياة هذا العبقري الجانب الادبي منها، او الموا به الماما عابرا، وعلى كثرة ما قرأت عن هذا المفكر العربي الفذ لم يتسع لي أن اقرأ دراسة وافية عن آثاره الأدبية ولا لآرائه في النقد.

وقد رأيت من حق هذا العالم على الأدب وعلى النقد ان اعرض لآرائه في النقد بالتحليل والمناقشة لعل في ذلك ما يضيف جديدا الى ثروتنا في النقد الأدبي، ولعل فيه كشفا عن جانب من جوانب هذه الشخصية يبدو لي انه مازال مجهولا، او كالمجهول.

ابن خلدون كاتب ممتاز، وقد قال الشعر فاجاد في بعض، وقصر في بعض، الى جانب ماكتبه من الرسائل الأدبية، والسلطانية، وما خلفه من كتب تطالع فيها أسلوبا رصينا واضحا خاليا من الحشو، بعيدا — في اكثر الأحيان — عن مثالب الصنعة، ورذيلة التكلف.

ويفهم مما دونه في كتابه (التعريف) انه كان يلجأ الى الشعر احيانا ليؤدي به غرضا قد يكون الشعر اقوى وسائله، كما حدث له حينما اعتقله السلطان أبو عنان، فقد قال قصيدة يستعطفه بها، وانشدها بين يديه في سنة ٧٥٨ هـ ولكنه بعد ذلك توجهت همته الى أن يكون شاعرا فيحدث عن عن نفسه بانه اخذها بالشعر، وذلك بعد ان تولى كتابة الانشاء لبعض سلاطين المغرب الأقصى في سنة ٧٦٠ هـ ومعروف أن ابن خلدون ولد في سنة ٧٣٢ هـ فيكون اخذ نفسه بقول الشعر وسنه نحو الثلاثين،

***

بقية الاسلام يحارب السلبية

وهذه المتابعة العمياء لون صارخ من الوان السلبية وضياع الشخصية، وقد حارب الرسول هذا التميع اشد المحاربة، فقال: « لا يكن احدكم امعة، يقول: ان احسن الناس احسنت، وان اساءوا اسأت. ولكن وطنوا انفسكم: ان احسن الناس ان تحسنوا، وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم ».

وحتى السلبية في التفكير حاربها الاسلام، فالقاعدة الاسلامية تقول: « ان من اجتهد فاصاب فله اجران، ومن اجتهد فاخطأ فله اجرا واحدا » والاجتهاد هو بذل الطاقة في سبيل الوصول الى الحق، وهذا هو معاذ بن جبل يعطينا مثلا للايجابية الصالحة في التفكير والاجتهاد حينما يبعثه الرسول الى اليمن، ويسأله كيف يقضي بين الناس، فيجيبه بأنه سيتبع القرآن والحديث، فاذا لم يجد الحكم منصوصا عليه فيهما، فانه سيجتهد برأيه، فيفرح النبي لذلك ويقول: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه رسول الله.

ولقد كان رسول الله المثل الأعلى في محاربة السلبية، فهو لا يدخر وسعا في معاونة الناس، وحل مشكلاتهم، والنهوض بتبعاتهم، وهو يحمل نفسه ما لاتحمله نفس أخرى في هذا المجال، ولقد جاءه رجل يسأله، فقال له النبي: ما عندي شيء، ولكن ابتع علي (اي اشتر على حسابي) فاذا جاءنا شيء قضيناه، وكان عمر حاضرا فقال: يا رسول الله، ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ذلك وهنا قال احد الأنصار: يا رسول الله، انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا، فبدا البشر في وجه الرسول وقال: بهذا أمرت!.

وفي ظلال هذه المبادىء الاسلامية العالية تربى شباب كلهم عزم واقدام، وايجابية ونفور من السلبية حتى نسمع احدهم يقول:

اطرحوا الأمر الينا
واحملوا الكل علينا
نحن قوم اذا ما
صعب الأمر كفينا
واذا ماريم منا
موطن الذل ابينا
واذا ماهدم العز
بنو العز بنينا!

وبهذه الروح الكريمة المطية تقوى الامم وتسود الشعوب.

احمد الشرباصي

وهذا يدل على أن شعره لم يصدر عن طبع . فان الغالب على المطبوعين ان يقولوا الشعر فى سن مبكرة، وتعبير الرجل نفسه (أخذت نفسى بالشعر) يدل على انه تكلفه تكلفا .

وثمة نص آخر واضح فى أن ابن خلدون كان متكلفا فى قول الشعر فقد جاء فى احدى قصائده انه كان يعانى فى اصطياد شوارد القوافى، وانها كانت تذل له بعد تمنع واباء، قال فى قصيدة يخاطب بها بعض ملوك الاندلس :

وهاك منها قواف طيها حكم
مثل الأزاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت درا ، وان تليت
تثنى عليك بانفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كل شاردة
لولا سعودك ما كادت تواتينى
يمانع الفكر عنها ماتقسمه
من كل حزن يطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لى شواردها
فرضت منها بتحبير وتزيين

وكان يقول الشعر احيانا مع رغبته عنه وزهده فيه ، وعزمه على الا يشغل نفسه به ، فانه لما ذهب الى تونس ، ودخل فى رعاية السلطان ابى العباس، وعكف على تاليف كتابه فى التاريخ ، اضطر الى ان يقول بعض القصائد ليدفع عن نفسه تهمة عدم اخلاصه للسلطان ، قال عن نفسه وعن حساده :

« وكان مما يغرون به السلطان على قعودى عن امتداحه ، فانى كنت قد اهملت الشعر وانتحاله جملة ، وتفرغت للعلم فقط ، فكانوا يقولون له : انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنسمت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وبريد كتابه فى التاريخ وتوجته باسمه انشدته ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه واذكر سيره وفتوحاته ، واعتذر عن انتحال الشعر ، واستعطفه بهدية الكتاب اليه » .

فالشعر لم يكن فى طبع ابن خلدون ، وانما كان شيئا يلتجىء اليه عندما يريد أن يمدح او يعتذر ، والشاعر المطبوع لا يهمل الشعر جملة ، فهو لا يستطيع ذلك ولو اراده ، وقصة عمر بن ابى ربيعة واعتزامه ترك الشعر وحلفه أن يعتق عبدا اذا قال بيتا منه ثم حنثه فى يمينه وعتقه تسعة اعبد لقوله تسعة ابيات من الشعر ، هذه القصة معروفة مشهورة . والامر كما قال هذا الشاعر القرشى :

وذو الشوق القديم وأن تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وما جاء فى قصيدة ابن خلدون هذه من اعتذاره عن قول الشعر واضح الدلاله فى ان الشعر لم يكن عنده امرا ميسورا :

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت
منى الطباع ، فكل شىء مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتى
فاصد عن ادراكهن واعزل
واجد ليلى فى امتراء قريحتى
وتعود غورا بينما تسترسل
فابيت يعتلج الكلام بخاطرى
والنظم يشرد والقوافى تجفل

ومع ان ابن خلدون أشار بشعره فى بعض مانقلناه من ابياته ، فجعل قوافيه درا ، وما فيها من حكم مثل الأزاهر فى طى الرياحين ، وادعى أن قصائده حين تثنى تأتى بانفاس البساتين مع هذا نراه يصدق عن نفسه حين يصف شعره فى هدوء الكاتب الرزين فيقول : « فانثالت على منه بحور توسطت بين الاجادة والتقصير » وهذا الحكم اصدق مما يجىء فى الشعر لان هذا موضع الافتخار ، ومجال التباهى .

وقد أعجبت أيما اعجاب بهذا الحكم . اولا لأنه حكم سليم صحيح يراه كل من انعم النظر فى شعر ابن خلدون ، وثانيا لأن هذا الكاتب الكبير لم تاخذه العزة بالاثم فيغالى بشعره ، ويرفعه فوق قدره .

ولكن بعض المترجمين له من المعاصرين يقول ان من شعر ابن خلدون مايسمو الى درجة كبيرة فى الجودة فتجد فيه من حسن الديباجة ، ورقة اللفظ، وسمو المعنى ، وجمال الأسلوب، ومقومات الشعر ما يضعه فى صف الفحول من الشعراء الاسلاميين .

وهذه مغالاة لا أحسب ابن خلدون نفسه يقرها وقد فتشت شعره كله فلم أجد فيه معنى يدل على استاذية ولا تعبيرا انفرد به ، ولا شيئا يرتفع بهذا الشعر عما اثر عن المتوسطين من الشعراء .

وقد ذكر الكاتب نماذج من قصائده الرائعة ، فمنها القصيدة التى انشدها السلطان ابا سالم بن ابى الحسن سلطان المغرب الاقصى ليلة المولد النبوى سنة ٧٦٢هـ ، وهى التى يفتتحها بقوله :

أسرفن فى هجرى وفى تعـــذيبى
وأطلن مـــوقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين وقفة ســـاعة
لوداع مشـــغوف الفؤاد كئيب
لله عهـــد الظاعنين وغـــادروا
قلبى رهين صـــبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى ســـافح
فشرقت بعدهم بماء غروبى

ثم ذكر الكاتب نموذجا من قصيدة أخرى وقال انها لاتقل عن القصيدة السابقة فى الجودة ، وهـــذه القصيدة انشدها الأمير محمد بن يوسف بن الأحمر بمناسبة المولد النبوى فى أثناء الفترة التى قضاها بالاندلس ، وقد جاء فيها :

حى المعاهد كانت قبل تحيينى
بواكف الدمع يرويها وتظمينى
ان الألى نـــزحت دارى ودارهم
تحملوا القلب فى آثارهم دونى
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم
فيهم وأسأل رسما لا يناجينى

هذه نماذج من جيد شعر ابن خلدون وهى كذلك. فهى من أعلى ماجاء فى قصائده العشر التى ذكر نماذج منها فى كتابه التعريف ، ولكنى لا أعتقد أن ناقدا بصيرا بالشعر يسهل عليه أن يضع هذا الشـــعر بجانب شعر الفحول من الشعراء الاســـلاميين ، فالشعر ــ وان كان جيدا ــ خال من الاريحية، عار عن الروعة الآسرة ، والاستاذية المبدعة .

وعلى الرغم من أن ابن خلدون حفظ أيام دراسته بالمغرب ــ باشارة بعض شيوخه فى العربية ــ شعرا كثيرا منه شعر أبى تمام ، وطائفة من شعر المتنبى، ومن أشعار كتاب الأغانى، أقول على الرغم من ذلك، صرح فى المقدمة بانه يجد استصعابا فى قول الشعر، وان ملكته الادبية اصابها خدش بسبب ماحفظه من الأشعار العلمية · والقوانين التأليفية · ولذلك فهو اذا رام الشعر يستصعب عليه مع بصره به وحفظه للجيد من الكلام ·

وهذه نظرة واعية من ابن خلدون ، فقد تنبـــه الى الربط بين نوع المحفوظ ، ونوع المنشأ من الكلام وان للمحفوظ أثرا فى الملكة ، ومن ثم فيما يصدر عن الأديب من شعر أو نثر أدبى ، وقد رتب على هذه النظرية بعض النتائج الخطيرة ، وموعدنا بمناقشتها مقال تال ان شاء الله ·

على محمد حسن العمارى

مصرع شاعر بطل

للأستاذ محمد رجب البيومى

تاريخ الادب العربى يموج بشخصيات كثيرة ، تتراكم وتزدحم على مر العصـــور ، وقد حفلت كتب التراجم بأنباء هذه الشخصيات ، ولكن طريقة كتابتها قد ضاءلت كثيرا من بعض الجهود الفذة التى يمكن أن تكون نقطة ارتكاز لتسجيل بطولة نادرة ، أو التنبيه الى عبقرية رائعة ·

يظن بعض المؤرخين ان دور مصر فى الكفاح الصليبى قد ابتدأ حين وفدت جيوش نور الدين الى الكنانة بقيادة أسد الدين شـــيركوه ، وهـــذا خطأ صريح لان مصر العربية المسلمة قد تجاوزت هذا الموعد الى ما قبله بسنوات وسنوات ، فقد اتيح لها وزير ابى كفء يلتهب حماسة وحمية ، فأزعجه أن تفد الجيوش الصليبية لتحتل مدن الشرق وتستبد بمقدسات العرب والمسلمين دون أن تكون عاصمة الفاطميين فى طليعة المدافعين ، فسير الجيوش برا وبحرا الى فلسطين وســـوريا لمداهمة الغاصبين ، واحرز انتصارات هائلة ، كان لها دويها الرنان فى آذان الاعداء وأريجها العطر فى صفحات التاريخ ودواوين الشعراء ، ذلك الوزير الكفء الابى هو الصالح طلائع ابن رزيك ، وقد لقب بأبى الغارات لكثرة حملاته المتعاقبة على الاعداء!

ومهما قيل فى فضل الرجل على الادب والشعر فان أكبر فضله فى ميزان التاريخ هو ما أشعله من الحماسة المتأججة فى النفوس ، فقد أعلن التعبئة العامة فى مصر وهيأ الاذهان الى خطر هؤلاء الغزاة العتاة ، ودعا الشعراء الى خوض المعركة فأخذوا يصورون ما يتوقع للاسلام من مآزق لو علت راية الصليبيين فى البقـــاع ، وكان اذا رجع من بعض الغزوات الظافرة جلس فى حفلات الاستقبال يستمع الى قصائد الحرب وترانيم الشجاعة . حتى أصبح القول فى الغزو الصليبى موضوعا جليل الخطر قوى الصلة بنفوس الشعراء ، ولعل المهذب بن الزبير كان أعظم من صور وقائع ابن رزيك من مادحيه ، فقد أكثر وأطال فى اجادة وامتاع ، بل ان الوزير نفسه قد أطلق قصائده الحماسية فى هذا المجال حين أخذ يرسل الى نور الدين محمود توسلاته

الصادقة ان يقف الى جانبه . ولم يكن نور الدين فى حاجة الى من يتوسل اليه ، وهو البطل المثالى الشجاع ، ولكن اختلاف وجهات النظر بين البطلين فى شان المعاهدات الحربية ، والهدنة المتكررة ، كان مجال المؤاخذة والمجاذبة ! ولكل بطل منحاه فربما اقتضت حوادث القتال فى الجنوب مالا تقتضيه فى الشمال ، وكم يرى الشاهد ما لا يرى الغائب. من مخاطر هذه الروح المتحمسة التى بثها الوزير طلائع ابن زريك قد وجدت صداها لدى شاعر كبير مرموق هو الرشيد احمد ابن الزبير الغسانى ، فاخلص للفكرة الاسلامية اخلاص الابى الغيور ، وظل بشعره ونثره تارة ، وسيفه وكفه تارات ، يعمل على مناجزة الصليبين فى كل مجال حتى قدم روحه رخيصة فى ذات الله ، وارتفع الى ذروة الشهداء .... ولقد كان من نكد الطالع على البلاد ان يتولى الوزارة بعد موت الصالح وقتل العادل رجل انتهازى ماكر ، لا يفكر فى غير نفسه هو شاور بن مجير ، فلم يجعل من همه ان يستاصل شافة الفرنجة من الشرق بل جعل تمكنه من الوزارة مأربه الاوحد سالكا اقذر المسالك التى يستعين بها على السيطرة والحكم ، فاغضبت الصغير والكبير ، وقد استطاع ان يلبس الحق بالباطل حينا فى انظار السذج من العامة ؛ ولكنه افتضح افتضاحا مخزيا حين جد الجد وصرح الشر عن الطيب والخبيث .

لقد استنجد بنور الدين بادىء ذى بدء متظاهر بالغيرة والحمية ، والحرص الاكيد على استئصال الفرنجة ، فما كادت جيوش نور الدين تتقدم الى بلبيس حتى استعان عليهم بالفرنجة واجبر عساكره واتباعه على محاربة ذوى دينه ممن جاء بهم لحماية الاسلام فى مصر ! وكانت غضبة الشعب عليه شديدة حنيفة اذ ان المجاهدين من ذوى الانفة قد التجئوا الى اسد الدين ووقفوا معه صفا واحدا امام الوزير الخائن وسادته الدخلاء ! وكان الرشيد الاسوانى احد هؤلاء الذين اشعلوا نار الحمية فى النفوس وهاجموا الطاغية المستبد هجوما زعزع مكانته حتى نجا اسد الدين ورجع الى الشام ، ولكن الى حين . اخذ شاور يبحث عن هؤلاء الذين البو الشعب عليه ، فوقعت فى يده كتب خطها الرشيد بن الزبير الى اصحابه المتفرقين فى ربوع البلاد يدعوهم الى الثورة على الوزير الخائن ومعاضدة جيش نور الدين فى مأزقه ، فهو جيش العرب والمسلمين ، ولن تقوم لمصر قائمة اذا انخذلت هذه الكتائب المكافحة ، وقد تركت ربوعها فى الشام ، وخفت الى مصر لتلقى المعونة والتاييد لا ليحاربها الاوغاد بسلاح الغدر والخيانة ممن لا يشعرون بيقظة الايمان ومحاسبة الضمير ، وكانت العبارات النارية التى خطها الرشيد مما يشعل النفوس حفيظة وحقدا فثارت ثائرة شاور على الشاعر ، واخذ يبحث عنه فى كل مكان فلم يهتد اليه ، ثم عثر على شقيقه المهذب فحبسه وسامه سوء العذاب فى سجنه اذ كان ولاؤه للجيش العربى مما لا يخفى على احد ، فاهتبلها الخائن الباطش فرصة موائية ليشفى نفسه قليلا منه ومن اخيه !! لم يكن الرشيد بالرجل السهل حتى يعثر عليه شاور فى وقت قريب ، بل كان حذرا لبقا فى اختفائه ، ولا غرو ، فالشاعر داهية محنك جاب البلاد وجاوز مصر الى اليمن فى سفارات سياسية كثيرة ، وهو بعد منجم فقيه فلكى طبيب مهندس ، وله فى كل مكان يؤمه تلاميذ يقدرون علمه ويعرفون مكانه فهم احرص الناس على حياته ، هذا غير ما نعلمه من حب الناس لأبطال الحرية ودعاتها وقد اشتهر الرشيد بثورته على شاور ، فحل بذلك محل الاجلال والتقدير ، وكأنى به وقد اصبح فى تنكره موقد ثورة ، يشعل اللهيب فى كل مكان يؤمه ، وهو بذلك يؤدى رسالة قوية اتاحها له شاور من حيث لا يريد ، فلو تركه وشانه ما كان لاختفائه هذا النفاذ القريب ، وقد رجعت عيون الوزير اليه خائبة فاشلة تعلن يأسها من العثور عليه فيتوعد ويهيج ! على ان المهذب اخا الرشيد قد استطاع ان يتوجه من محبسه بقصائده الى شجاع بن شاور راجيا ان يستعطف قلب ابيه فيمن عليه بالحرية ، وكان فى شجاع همة ومروءة ، فهو على نقيض ابيه ، يسوءه ان يتورط والده فى محالفة الفرنجة فيبذل اقصى الجهود ليوحد الجبهة العربية وكم تعاظمه ان تصبح صورة ابيه شائهة ممسوخة لدى الناس ، حتى انه جاهر بمخالفته فى احرج مأزقه مؤثرا عزة البلاد واندحار الصليبين ، مهما قذفت الحوادث بابيه الى الهاوية ! هذا النجل الباسل كان يعطف على ضحايا شاور من المتحمسين البسلاء الذين وقفوا فى وجه مكايده اللئيمة !! فحين التجأ اليه المهذب سعى فى خلاصه وبذل جهده الجاهد حتى رد عليه هدوءه وامنه . فخرج الى فضاء الحرية مع المتحررين ، كما بذل مسعاه فى

الكف عن الشاعر الطريد ، ولكن حقد شاور على الرشيد قد احبط رجاء شجاع ، فظل هائما تتقاذفه القرى والمدن حتى حتمت عليه الكوارث الغاشية ان ينهى اختفاءه ليظهر في ميدان البطولة من جديد .
لقد كان الرشيد يوقن ان الفرنجة يطمعون في مصر وانهم لن يتخلوا عن زمامها متى اتيح لهم ان يتمكنوا منه ، وقد وجدوا في شاور مركبا يحملونه الى اغراضهم الآثمة ، فيمضي بهم حيث يشتهون ، ونور الدين بالشام لا يقر قراره ، فهو حريص على ان ينقذ بلاد الاسلام عامة من شرور هؤلاء الغاصبين ، لذلك اسرع بكتائبه الى الميدان من جديد ، وظهر اسد الدين مرة ثانية ليعمل على تطهير البلاد من الصليبيين . فدارت الحرب العنيفة بين شاور والفرنجة من ناحية ، وبين اسد الدين وابناء البلاد من ناحية ثانية ، حتى تمكن الجيش الاسلامي من الاستيلاء على الجيزة وتقدم الى الصعيد ، فقابله الشعب المصري بالترحيب ، ثم انتقلت بعض كتائبه الى الاسكندرية فكان صلاح الدين بطلها المعلم ، وقد خاف شاور ان يصبح الثغر ركيزة هامة لجيش نور الدين فاتكفأ مع سادته الفرنجة الى محاصرته ، وفوجيء صلاح الدين بالحصار فاجتمع حوله الشعب الاسكندري ، وظهر الرشيد فجأة في الميدان فكان وهو القاضي العالم الشيخ !! يركب الجواد ويمتشق السيف ويحارب بين يديه فاذا اظلم الليل اتجه الى المساجد فجعلها منبرا للدعاية واخذ يجمع القلوب حول صلاح الدين ، ويذكر من آيات الجهاد واحاديث القتال ما يذكي الحمية في القلوب ، حتى استطاعت الاسكندرية بصيحاته الجريئة ان تكون على قلب رجل واحد مع صلاح الدين ! وكان هذا الموقف البارز للشاعر حلقة جديدة تضاف الى سلسلة بطولاته الرائعة ، فقر عينا بجهاده واستشعر برد الراحة حين رأى نفسه في طليعة الصفوف مع المجاهدين واخذ يتطلع الى يوم قريب تنجاب فيه عن الاسلام ظلمات الغرب ودواهيه !! دارت الايام واضطر جيش اسد الدين الى مغادرة البلاد مع الفرنجة مراعاة لاتفاق اريد به انقاذ الموقف مما يتعاوره من جواذب الدفاع والهجوم ... وخلا الميدان برهة موقوتة لشاور بن مجير وقد حاء ما قام به الرشيد من بطولة خارقة في حرب الاسكندرية ، فوجه اهتمامه الى القبض عليه واعلن الجوائز لمن تقوده اليه ، وكان الاقدار شاءت للشاعر ان ينهى كفاحه الباسل ، فسيق الى الوزير الحاقد فامر باشهاره على جمل ووضع على راسه طرطورا

ظنه مدعاة السخر والهزاة من الناس ووراءه شرطي يضربه بالعصا وينال من وجهه باللطم ، وقفاه بالصفع ، والشاعر يتمتم بالقرآن ويردد الشهادة في حسرة كظيمة ، قال يا قوت ، فلما وصل به الى المشانقة جعل يقول لمن سيقوم باعدامه عجل عجل فلا رغبة للكريم في الحياة بعد هذه الحال ثم صلب اياما ، ووريت جثته في التراب حيث صلب . وكان من انتقام الاقدار ان يصرع شاور بعد قليل ويدفن حيث دفن الرشيد ! وشتان بين مصرعين يقضي احدهما بصاحبه الى دار السلام ، ويقذف به الآخر الى هاوية السعير ! تلك بطولة رائعة لها نظائرها — لا محالة — فيما نقرؤه من كتب التراجم الادبية ، وهاأنذا اشير اليها لتنفعنا الآن في معركة القومية العربية آملا أن يتجرد فريق من ادبائنا لكتابة روائع هؤلاء الابطال كتابة فنية توضح مشاهد البطل ومواقفه وتلقي الظلال على ملامحه وسماته ، مشتقة خلجات السرائر ونبضات الدم ليكون من ذلك كله سجل رائع للامجاد العربية ، والياذة رائعة للبطولة والابطال ! والا فكيف يجوز لنا ان نهتم مثلا بشاعر معاصر للرشيد كابن قلاقس فنعرض مناحي ادبه ونفصل اغراض شعره وعناصر اسلوبه ثم نغفل الرشيد الاسواني !! مع ان ابن قلاقس قد ضعف عن أن يقوم بجهد ما في معركة الحروب الصليبية ، بل اخذ يمدح شاور بن مجير ، ويذم اسد الدين في قصائد توحي بالوصولية المحترقة ، والانتهازية الخسيسة ! ولئن جاز في مضمار البحث الادبي ان يحلل شعر ابن قلاقس وتتنوع دراساته فمن الواجب ان تفصل حيوات الرشيد والمهذب والعماد واضرابهم ممن اسهموا ادبا وعملا في افادة القومية العربية واذكاء الشعور الديني !!

يمكننا ان نحكم على الرشيد بعد ان اوضحنا موقفه البطولي الرائع بانه كان شاعرا قاضيا عالما كاتبا ! وقد جره تنوع معارفه واختلاف ثماره الى الاقلال من النظم ، حيث تفوق عليه اخوه في شعره ، مما جعل نقاد عصره يقولون ان الرشيد أعلم من المهذب ، والمهذب اشعر منه ! على ان عزة نفسه تظهر بوضوح في اكثر ما نظم ، كان يقول :

اذا ما نبت بالحر دار يودها
ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم
وهبه بها صبا الم يدر انه
سيزعجه منها الحمام على رغم !

محمد رجب البيومي

الفيوم : دار المعلمات

في عالم الفن

تاجر البندقية

للاستاذ عبد الفتاح البارودى

ماذا استفدناه من هذا الجدل الذى يدور حول مسرحية شيكسبير « تاجر البندقية » ؟! ان المسرح القومى افتتح بها موسمه ، ومنذ أن عرضتها احدى شعبتيه سمعنا آراء كثيرة جدا تدور حولها ولكن لا تكاد تتناول المسرحية ذاتها ... لا اظن أننا بهذا الشكل نستفيد من عرض المسرحيات العالمية على



فتوح نشاطى

مسرحنا ... المفروض أن عرض أى مسرحية عالمية يعتبر فرصة ضخمة لفهم التراث العالمى ، وبالتالى فان عرض مسرحية تاجر البندقية فرصة لفهم مسرح شيكسبير عن طريق تناول هذه المسرحية بالشرح والتحليل والتفسير الفنى لتقريبها الى أذهاننا ... وطبعا لا بأس من اختلاف وجهات النظر ، بل ان هذا الاختلاف مهم فى هذا المجال ، لأنه يزيدنا معرفة بالمسرحية ، ويعمق مفهوماتنا الفنية ، ويساعدنا فى دراسة التراث العالمى ، ولكن كيف نصل الى ذلك اذا كنا نترك المسرحية ونختلف حول الهوامش أو نتطرق الى مسائل فرعية ؟!

المؤسف أن هذا يحدث كلما عرضنا مسرحية عالمية ... والنتيجة ان مسرحنا قدم عددا كبيرا من المسرحيات العالمية ، ولم نكد نستفيد منها شيئا ، لأننا لم نكد نناقشها مناقشة موضوعية ، ثم تكرر ذلك فى مسرحية تاجر البندقية، بدليل أنها تعرض منذ أسابيع ويقبل عليها المتفرجون اقبالا ملحوظا ، ولكنهم يخرجون من المسرح دون أن يأخذوا عنها فكرة وافية .

ان النقاد مسئولون عن ذلك ، والمسرح القومى مسئول أولا ... لماذا ؟! لأنه أعلن فى الموسم الماضى أنه سيقيم ندوات لمناقشة رواياته ... لو أنه فعل ذلك فى رواية تاجر البندقية لأتاح فرصة لتحليلها وتقريبها للناس ... ! أيضا كان المفروض أن يقدم معها نشرة تتناول بالشرح فكرتها وموضوعها ، وتتناول بالتعريف مؤلفها واتجاهاته الفنية فيها ، وأسلوب مخرجها ، وطريقة أدائها ، ولكنه قدم النشرة المعتادة التى لا أدرى لماذا يقدمها وهى غير ذات فائدة .. اذا جاز تقديم مثل هذه النشرة فى رواياتنا المحلية، فلايجوز اطلاقا تقديمها فىرواية لشيكسبير .. بديهى أنه لايمكن دراسة لشيكسبير فىنشرات وانما من المفيد اعداد نشرات فيها على الأقل اشارات الى رءوس المسائل التى تلقى الضوء على النقط الهامة التى يجب بحثها .

وأنا لا أنكر أن الجدل الذى دار حول هذه المسرحية تناول مسائل هامة ، فان بعض المناقشات التى أثيرت صدرت عن علم ودراية ، وانما كان الأفضل — الى جانب ذلك — أن نناقش المسرحية نفسها مناقشة موضوعية ... فنحن أمام مسرحية لشيكسبير ، وبديهى أن الطريق الى الاستفادة بها هو فهمها أولا .

ولكى نفهم أى مسرحية لشكسبير لابد من معرفة معالم مسرحه ، وفلسفة عصره ، والأفكار التى كانت سائدة فيه ، ورؤيته الفنية فى مسرحياته ، والرؤية الفنية فى المسرحية التى نتناولها ، والظروف التى ظهرت فيها ... الخ ... ان المسألة ليست سهلة ... فلو أننا اقتصرنا على قراءة النص قراءة عادية لما فهمنا شيئا ... ان قراءة أو مشاهدة رواية تاجر البندقية بلا تعمق ربما توهمنا أنها « حدوتة » حول « شيلوك » اليهودى الذى صمم على أن ينال حقه رطلا من اللحم الآدمى .. وربما توهمنا أنها حدوتة حول زواج « بورشيا » عن طريق « القرعة » ... وربما توهمنا أنها — بسذاجة — صورة للمحاكمات القضائية فى ذلك العصر .. وربما توهمنا بنفس السذاجة أنها صورة

فكاهية لاختلاف الحظوظ بين ثلاثة صناديق ... طبعا كل هذه نظرات تافهة .

ولكن اذا تعمقنا قليلا سنجد معاني اخرى ... سنجد مثلا أن شيكسبير قدم صورة أروع فنا من الصور التي قدمها اسلافه ومعاصروه لنفس هذه الحادثة التي عرفت في الأدب الأوربي وتناولها الرواة ثم تناولها المسرحيون ... فقد كان من المألوف أن يتناول المسرحيون مثل هذه الأحداث ، كل بأسلوبه ... وفتوح نشاطي الفنان الذي أخرج هذه المسرحية أشار الى ذلك بقوله (ان شيكسبير استقى روايته من نبعين : اولهما اسطورة « رطل اللحم » التي كانت شائعة في انجلترا على السنة الشعراء الجوالين ، والتي أخذت مادتها من قصة « العبيط » للايطالي جيوفاني فيورانتينو ... والنبع الثاني « قصة الصناديق الثلاثة » ، وكانت معروفة للمثقفين من اهل عصر النهضة بين مجموعة قصص (الجستارو مانوروم) ... أيضا سنجد ان شيكسبير اعطى صورا بالغة الدقة والعمق لشخصيات مسرحية كشف اغوارها وضمائرها حتى لمسنا دوافعها ومحركاتها ، ورأينا فيها نوازع النفس البشرية وأسرارها ... كذلك سنجد كيف تعمق شيكسبير في ادراك العلاقات الدقيقة بين شخصياته ، وفي تحريكها تحريكا فنيا على المسرح ، وفي تحليل النماذج البشرية تحليلا يجعل منها نماذج حية في عصرها ، ونماذج تعيش بنفس الحيوية في كل عصر ... ان التعمق بهذا الشكل يقربنا من شيكسبير ، ويقربنا من فهم « تاجر البندقية » ، ومع ذلك فمن الضروري أن نزداد دراسة لنزداد معرفة .

فمثلا من الضروري أن ندرس شاعرية شيكسبير التي مكنته من الغوص في المعاني والنفاذ اليها ، وشفافيته التي استطاع بها أن ينقل احساساته الى شخصياته بحيث تنقل نفس الاحساسات الى الجمهور .. أيضا من الضرورة أن ندرس مفهوماته بالنسبة للحياة والطبيعة ، وبالنسبة لمفهومات عصره عن القدر والحظ والغرائز والفضيلة والرذيلة والنبل والخسة والعاطفة ... كذلك من الضروري أن نعرف مراحله الفنية وتطوراته في التأليف ، وعلاقته بعصره ومجتمعه والتراكيب الاجتماعية التي عاش فيها والجمهور الذي كتب له ...

ومن المهم عندما نتناول رواية تاجر البندقية أن نعرف أيضا الدراسات التي تناولتها ... سيفيدنا مثلا اختلاف النقاد العالميين في تصنيفها فبعضهم يرى مثلا أنها ذات طابع تراجيدي ولو أن نهايتها لا تدل على ذلك .. وكثيرون يرون أنها كوميديا ، وان كانت طبيعة أحداثها استلزمت المعالجة التراجيدية ... وكثيرون جدا يرون انها من نوع خاص يسمونه الكوميديا الرومانتيكية .

وهذا كله يستلزم معرفة مدى تأثره بأفكار مؤلفين آخرين مثل « بيل » و « جرين » و « ليلي » وزملائهم من المؤلفين الذين عاصروه والذين سبقوهم ... ان دراسة هذه النقطة الهامة تلقي اضواء كثيرة على تاجر البندقية ... ان رواية « يهودي مالطة » التي كتبها مارلو تلقي الضوء على تصور شخصية اليهودي ، وعلى معنى « الفردية » في الشخصيات المسرحية ، وعلى جوهر الصراع بين البطل الشجاع النفس وبين الظروف المحيطة به ، وعلى تجسيد الغدر والنذالة في شخصية اليهودي ... ودراسة روايات « جرين » تعطينا فكرة عن ظهور الاتجاه الذي يمكن أن يسمى الاتجاه الرومانتيكي الذي تأثر به شيكسبير كذلك دراسة فن « ليلي » تلقي الضوء على اتجاهات أخرى تأثر بها شيكسبير مثل المعالجة الساخرة ، والمعالجة الكوميدية ، ومزج العالم النموذجي بالعالم الواقعي ، واستخدام حيلة المرأة التي ترتدي ملابس الرجال ، كما حدث في رواية تاجر البندقية في شخصية « بورشيا » عندما حضرت المحاكمة بملابس الرجال لتترافع أمام القاضي ... أيضا « ليلي » هو الذي استخدم « الأغاني » في مسرحياته بأسلوب مزج فيه بين الجد والضحك واستعان به على الحركة الكوميدية ... كل هؤلاء تأثر بهم شيكسبير ، ومن اللازم حين نحلل « تاجر البندقية » أن نستفيد من معرفة مدى هذا التأثر في فهم مشاهدها ومواقفها .

كذلك لكي نتعمق في دراسة « تاجر البندقية » لا بد أن نعرف أن شيكسبير حينما تأثر بهذه الاتجاهات صهرها في ذاته الفنية وأخرجها في فن جديد تأصل في المسرح الشيكسبيري ... ان هذه الاتجاهات كانت مجرد بدايات ، والعبرة الكبرى في شيكسبير أنه هو الذي بلورها في مواضعات فنية ... كل ما في الأمر أننا لكي نفهمه لابد أن نفهم أنه لم يخلق من العدم ولم ينبت نبتا شيطانيا .

أيضا دراسة « تاجر البندقية » تحتاج الى تحليل شخصياتها لنعرف معنى الرومانتيكية في المعالجة ، والى التأمل في مشاهدها لنعرف معنى التخيل الشيكسبيري ... ان المذهب الرومانتيكي لم يظهر

فنيا الا فى القرن التاسع عشر ، أى بعد عصر شيكسبير بثلاثة قرون ، ولكن المعالجة الرومانتيكية عند شيكسبير شيء آخر ٠٠٠ انها تفسر لنا سعة خياله وقدرته على التعبير الموحى ، التعبير الذى يتصل بالخيال ويتصل فى الوقت نفسه بالواقع ٠٠٠ وهذا يبدو بوضوح فى تخيله « للبندقية » مثلا ٠٠٠ ان عالم شيكسبير جمع بين الرؤية الواقعية والرؤية المتخيلة باسلوب فريد ٠٠٠ ثم انه يستخدم عنصر « الهيومر » بتمكن وبراعة ٠٠٠ التى لا أجد مع الأسف ترجمة دقيقة « للهيومر » وانما يكفى أن نلمسها فى رواية تاجر البندقية لنعرف كيف استخدم هذا العنصر فى أدق المواقف واكثرها انفعالا٠٠٠ واذا جاز لنا أن نترجمها بالسخرية فاننا نجد براعته فى اخفائها فى شخصياته ٠٠٠ بل انها فى رواية تاجر البندقية بالذات تبدو أهم العوامل التى تحرك شخصياتها لدرجة أنها هى التى تطورها وهى التى تتطور بها ٠

ثم عنصر التعليل ٠٠٠ ان لكل الأحداث ، حتى الأحداث الشديدة التخيل ، أسبابها ومسبباتها ، بل ان كثيرين من النقاد العالميين يرون أن «التعليل» فى تاجر البندقية ٠ يلقى على بعض الشخصيات ضوءا باردا ، ومع ذلك فان عبقرية شيكسبير تجعل منها شخصيات ضاحكة ، بمعنى أنها تثير الضحك، ليس فقط على نفسها ، بل على الآخرين أيضا ٠

والعمق التراجيدى ٠٠٠ ان رواية تاجر البندقية على اختلاف الآراء فيها لايختلف اثنان على أنها تشعرنا بعمق المأساة ، سواء عند الذين يعتبرونها كوميديا أو الذين يعتبرونها تراجيديا أو من النوع التراجيكوميدى أو الكوميديا الرومانتيكية ٠٠٠

ثم العنصر الموسيقى٠٠٠ ان استخدام هذا العنصر فى « تاجر البندقية » يحتاج الى تأمل طويل ٠

الواقع أن رواية تاجر البندقية تثير مسائل كثيرة جدا تحتاج الى دراسات عميقة جدا ، ومع ذلك لم نكترث بدراستها ٠٠٠ انها ليست أروع ما كتب شيكسبير ، وبعض خبراء المسرح يعتبرونها أقل قيمة فنية من روائع شيكسبير ، ولكن مهما يكن الرأى فيها فانها جديرة بالدراسة العميقة ٠٠٠ بغير الدراسة قد نجد أنها مجرد حكاية ، وبعض مشاهدها ساذجة ، واختيار الصناديق بالقرعة كلام فارغ ، وعباءة بورشيا كلام فارغ ، وحلولها للمشكلة كلام فارغ ٠٠٠ ان الذين لا يعتمدون على الدراسة معذورون اذا حكموا عليها بذلك ، ولكن ما عذر الدارسين الذين تركوها وأثاروا الجدل حول قضايا فرعية ؟!

صحيح أن ترجمة خليل مطران معقدة ، وقد يكون فيها اخلال ببعض العبارات ، وهى بهذا الشكل تستحق الاعتراض الشديد عليها ، ولكن الرواية نفسها تستحق أن ننتهز فرصة عرضها لتقديم دراسات كثيرة تفيدنا فى فهمها وفى فهم شيكسبير ، وطبعا هذا مكسب كبير ٠

والا فما الداعى لتقديم روايات شيكسبير وغيره من المؤلفين العالميين ؟! أنا لا أدعو الى تقديم مترجمات كيفما اتفق ، وانما من المهم أن نشعر بالحاجة الى ندوات فنية تناقش فيها الأعمال العالمية بالذات ، والى دراسات عميقة تساعدنا فى فهم المسرح العالمى ، والا فسيكون تقديم هذه الروايات مجرد اجراء مظهرى ، وروتينى ٠

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الشعر القصصي في المهرجان

كانت قصيدة علي احمد باكثير هي القصيدة الثانية في المهرجان ـ من حيث المستوى ـ بعد قصيدة محمود حسن اسماعيل .

والعجيب في هذا المهرجان أن يسبق في مضماره بعض الشعراء الحديثين في العمر بعض الاعلام الكبار وان يسبق هؤلاء اديب تعد صفته الشعرية ثانوية بالنسبة لصفته الاولى ككاتب مسرحي ، وهو علي احمد باكثير . والاستاذ باكثير لاياخذ حقه كاملا في حياتنا الادبية والفنية ، لانه «مسكين» .. لاينتمي الى « شلة » ممن «يطنطنون» في الصحف ومن بيدهم الامر في المؤسسات .. فمسرحياته لا تنال ماهي جديرة به من العناية والتقديم على المسارح .

وقل من يذكر انه اول من وضع قالب الشعر الجديد في اللغة العربية بترجمة قصة « روميو وجولييت » ونظمها على وزن هذا الشعر .

قصة انسانية

واعود بعد هذا الاستطراد الوجيز الى القصيدة القصصية التي ألقاها باكثير في مهرجان الشعر بالاسكندرية . عنوان القصيدة « قصة انسانية » تبدأ بتقديم بطلي القصة ، وهما زوجان عجوزان نزحا الى مصر في شبابهما ، ولم ينجبا اولادا ، وعاشا منعمين دون ان يدخرا شيئا كما يدخر امثالهما من اهل بلدهما الذين يقومون بأعمال مختلفة في بلادنا . وهما الآن يواجهان المصير المؤلم اذ لامفر من ان يفترقا ، هو الى ملجا الرجال ، وهي الى ملجا النساء ، بعد حقبة طويلة من العمر قضياها معا في حب ..

وقد بنى الشاعر القصيدة بناء مسرحيا على مقتضى فنه الذي مرن عليه وبرع فيه . بدأ بتقديم الشخصيتين في ستة ابيات ، ثم تركهما يتحاوران فينهيان الينا بقية الحادث ، وينقلان الى مشاعرنا ماأراد الشاعر من الخوالج والمعاني الانسانية .

وهذه هي الستة الابيات الاولى :

الرفيقان كيف يفترقان
بعد خمسين حجة وثمان
قضياها معا كاحسن ماعاش على الحب والرضا زوجان
وكأن الصحراء اذ عبراها
واحة من رضاهما الفينان
كيف يأتي يوم يودعها فيه
الى حيث ليس يلتقيان ؟
حيث يقضي كلاهما باقي العمر بمنأى عن الفهوهودان!
هي في ملجا العجائز ، لكن
هو في ملجا الشيوخ الفواني .

ويبدأ بعد هذا « بنايوتي » في محادثة « مريكا » في هذا الحوار الدرامي الشعري الرائع :

يامريكا هذا جواب من الملجا
صاحت : بالرفض ام بالقبول ؟
قال : لا بالقبول . قالت : ترفق
بنايوتي بعقلي المذهول
كيف نختار ان نسير الى الموت ولما يؤذن لنا بالرحيل؟

ويقول لها بنايوتي فيما يقول :

اتريدين ويك ان نسأل الناس ؟
فاين الايدي واين الشفاه ؟

وتقول له :

بنايوتي فداء نفسك نفسي
خل عنك السؤال فالموت ارحم

وتقص ذكرى الكفاح المشترك :

قد ركبنا ظهر السفينة من (بيريه) مثل السردين بل هي أزحم .
ونزلنا نواجه الغيب والغربة حتى استنار ماقدتجهم .
منذ كنا نبني المنى في اثينا
ثم حققناها بظل المقطم

وتاسف مريكا على انهما لم يدخرا مالا ويشتريا ارضا ودورا كغيرهما من بني اليونان ، فيرد بنايوتي:
يامريكا لاتاسفي ، لقد عشنا رغيدا وماالونا سرورا
قد ملكنا من اهل مصر قلوبا
ان يكن غيرنا اقام قصورا
اومابصرين جيراننا يبكون من اجلنا بكاء مريرا
كم ارادوا عونا لنا لو قبلنا
انه كان سعيهم مشكورا

وهكذا يحيط بالصورة من ابعادها المختلفة ، فلايترك موقفا دون أن يستوفيه بمثل هذا الايجاز البليغ ، ويتم تصوير انعكاس الصورة على شعبنا الطيب الكريم ، فيقول الزوج لزوجته : ان مالك البيت قال له ابقيا في مسكنكما ولاتدفعن لي أجرة، فلما اراد أن يشكره :

قال : صه ، قد غدوتما لصغارى
والدا حانيا وأما رحيمة

وتقول مريكا :

يناپوتى صدقت ، هذا الوداد الحلو اغلى من القصور العظيمة .

ان فيه العزاء اى عزاء عن منى اخدجت واخرى عقيمة .

ولما يطلب منها ان تستعد للمضى الى الملجا تقول وهى حزينة :

يناپوتى قل بالحرى : الى السجن ، الى المنزل الكئيب الحزين .

حيث نحيا بلا غد ، قد دفنا غدنا الحى فى رماد السنين .

ويتحاوران فيما لو كان لهما اولاد .. هو يحمد الله على انه لم يثقلهما ببنات او بنين . وهى ترى انهما كانا يعيشان فى ظلهم آمنين . وتبقى بهم ذكراهما خالدة ، فيقول :

يامريكا الخلود فى الارض وهم
كل من فوقها من الهالكينا
ان اردنا الخلود فلنلتمسه
فى الحياة الاخرى مع الصالحينا
وكفى بالايمان بالله فضلا
ان جوف الفناء لا يطوينا

وقوف على الاطلال بطريقة عصرية

القصيدة القصصية الثانية فى المهرجان هى « شارع فى الاسكندرية » لعبده بدوى . وعبده شاعر وشاب يقول الشعر على وزن البحور العربية بمضمون مما يهدف اليه الشعر الجديد ، وتعبير مجنح : تؤدى جمله اكثر من غرض ، وتوحى كلماته بمشاعر دقيقة تنساب من النفس الى النفس . لاتكاد تجد فى شىء من ذلك تقليدا لقديم او حديث، الا قليلا او نادرا من مثل قوله عن الشارع فى مطلع هذه القصيدة :

لازلت اذكر فجره والمئذنة
والنور يزرع فى النوافذ سوسنه
وبدا تمد فتستجيب الى السنا
ستر منمنمة النسيج ملحنة

ففى هذا استعارات تشبه استعارات محمود حسن اسماعيل ، وخاصة استعمال الستر (جمع ستار) كالاصوات فى التلحين .

نرى الشاعر فى هذه القصيدة يقف على الاطلال: آثار الحبيبة .. بطريقة عصرية ..

القصيدة تحكى لنا حكاية فتى جاء من القرية الى الاسكندرية ، واقام بشارع فى حى وطنى كالانفوشى يقع على البحر . فيه اشياء منها حبيبة أحبها الفتى :

والصائد المعروق يبسم وجهه
وشباكه من كفه متمكنة
والساهرين الليل بين جفونهم
عرق الحياة ووشوشات المدخنة

لم «يكذب» علينا الشاعر «كذبا فنيا» ــ ان صح هذا الوصف ــ فيقول انه اقى الصبية الحلوة على شاطىء ميامى او سيدى بشر .. وتواثب معها بين الامواج والرمال .. لا ، انه فتى ريفى صادق .. يحدثنا بمجيئه الى الشارع قائلا :

قد جئته من قرية مسكينة
تغفو على ايامها المخشوشنة
الليل فى اعماقها لما غفا
هزته اجنحة الفراش اللينة

ونمر بالايام المخشوشنة واجنحة الفراش اللينة مر الكرام .. بعد ان نلحظ ما بين الخشونة واللين فى صورة واحدة من عدم التوافق .. لنصل الى هذين البيتين :

والفجر تزعجه الفئوس ، فيرتمى
من خوفه للافق قبل الآونة
والسنبل الذهبى ينمو ضاحكا
فى حقلنا .. لكننا ان نطحنه

وذلك لكى نتأمل هذه الصور الشعرية التى تشير الى اكثر من قصة فى كفاح الفلاح . كقصة الفأس التى تزعج الفجر فيمضى سريعا ، وقصة القمح الذى لم يكن ياكله الزارع ، لان المالك الاقطاعى سيلقفه .. هذا مما اقصده بالتعبير المجنح .

وصور الشاعر فتاه القروى فى الشارع الاسكندرى هكذا :

حملت قريتى الحزينة فى دمى
ومشيت نحو بيوتك المتزينة
فوجدت فيه غربة ، ووجدتنى
طيرا غريبا ليس يلقى موطنه

وذكر ايامه بالقرية والحقول و ...

واستعبرت عيناى .. لكن لاح لى
وجه كانغام الربيع الموهنة

فاذا الحيــــاة قصيدة فجرية
والنـــاس أبيـــات وقلبى دندنة

واتقضى عهد الشارع والحب .. وراحت ايام ، وجاءت ايام ، وعاد صاحبنا الى «الاطلال» كما يقول :

واليوم عـــدت اليك قلبـا بابسـا
وجنـــاح عصفور ينادى مسكنه
فمـاذا راى ؟ راى حبيبتـه اما ..
شـاهدتها والنور يسطع فوقهـا
تهوى الى الطفل الصغير لتحضـنه
ورايتهـا والقلب يخفق ضـارعا
والحب من سنة يطير الى سنه
لم تبتسم فى وجوى الفـرحان ، لم
تعـرف هـواها فى الجفون المدعنـة

هذه القصيدة مثال للتجربة الشعورية العميقـة التى تشد اليها الشاعر فتحصره فيهـا لكى يحفر ويعمق ..

وقد سمعنا عن الاسكندرية عدة قصائد ، راينا فيها الشاعر يجرى من شاطىء الى شاطىء ، ومن غرض الى غرض ، ومن الصيف الى الشـتاء .. ونحن لانحصل منه على شيء .

وموعدنا الاسبوع القادم مع قصيدة «السـاقات الفاتنات » لعلى الجندى وبقية الشعر القصصى فى المهرجان .

السجل الثقافى

لحظت فى الاعلان الذى نشرته مؤسـسة التاليف والترجمة ، عن السجل الثقافى ، ماياتى :

اولا ــ انه .. يحصر كل مايتصل بالثقافة فى مصر من كتب مؤلفة ومترجمة ومحققة ورســائل جامعية وندوات ومحاضرات وافلام واسطوانات واغانى .

ولما تصفحت السجلين المعلن عنهما (سجل سنة ١٩٥٩ وسجل سنة ١٩٦٠) **لم اجد بهما شيئا عن ندوات ومحاضرات واسـطوانات واغــان ..** (فى الاعلان اغانى باثبات الياء وهو خطا) .

وقد كدت احمل الزيادة فى الاعلان على انهــا استكثار وتفاخر .. او تحسين بضاعة .. كمـا تكتب بعض المصانع على منتجاتها الغذائية : «مضاف اليه فيتامينات ا و ب و جـ » ولكن يظهر انها عدم دقة فى «الحصر» **اذ وجدت فى سجل سنة ١٩٦٠ أشياء غير موجودة فى الاعـلان ، مثـل الموسـيقى والمؤتمرات والمعاهد الثقافية .**

وكنت اود من المؤسسة ، وهى تقوم بحصر كل ما يتصل بالثقافة فى مصر من ٠٠٠ ومن ٠٠٠ الى آخر ماهو بعيد عنها ، ان تكون دقيقة فى حصر ماق السجل وهو فى يدها ..

ان مؤسسة التاليف تعمل فى بطء شـديد على مقتضى « الكيف » واقل ماكان ينتظر من خطـة «الكيف» الدقة والاتقـان ، ولكن يظهر ان «الكم» ادعى الى التحسن والتقدم من « الكيف » .

ثانيا ــ قالت المؤسسة فى الاعـلان : « سـوف يسجل (اى السجل) الماضى منذ مستهل القـرن المتم للعشرين » وهذا مشروع ضخم تعلن عنه ــ على سبيل التكاثر هذه المرة ــ وهى لاتزال متخلفة بالنسبة للحاضر . **فنحن الآن على ابواب سنة ١٩٦٤ وآخر ماأصدرته عن سنة ١٩٦٠** واعتقد ان الحاضر اولى بجهد المؤسسة ، وهو جهد متوان يلهث اعياء من متابعة الحاضر ..

الحاضر العظيم الذى اتسعت فيه رقعة الثقافة بجميع الوانها ، وصار يتطلب متابعة اكثر واسرع مما تبذل المؤسسة .

ذلك الحاضر العظيم لم يعرف (بتشديد الراء وفتحها) بعد (لا فى الداخل ولا فى الخارج) واولى بالسجل الثقافى ان يقوم بهذه المهمة سنة فسنة بحيث لايتاخر عن السنة السابقة .

ونحن نعلم ان كثيرا من الاسئلة ترد من خـارج البلاد عن معلومات ثقافية ، كالمؤلفين ومؤلفـاتهم ، كى تضم الى نشرات عالمية ، ولايجاب عليها .. لان أجهزة الحصر والرصد الثقافى عندنا تكاد تكون غير موجـودة ، فتكون النتيجة ان تصـدر النشرات الثقافية العالمية خالية من ثقافة الجمهورية العربية المتحدة ، هذه البلاد التى استرعت انظار العالم فى جميع الميـادين ، وأصبح العــالم يتطلع الى معرفة ثقافتها .

ذلك كله أجدر بالاهتمام من «الماضى منذ مستهل القرن المتم للعشرين » والذى تعلن المؤسسة انها ستحصره دون أن تعمل فى سبيله اى شيء ..

ولماذا تعلن عن شيء لم يتم ؟ اليس الغرض من الاعلان ــ اى اعلان ــ تنبيه الجمهور الى عمل تم واصبح فى السوق كى يسعى للحصول عليـه ؟ **اما الاعلان عن شيء لم يتم ولم تتخذ فى سبيله اية اجراءات فليس له معنى غير مجرد التفاخر والتكاثر بلا شيء .. وما كنا نحب للمؤسسة ان يلهيها التكاثر عن متابعة الحاضر ....**

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

(٢)

مهرجان المنصورة الادبي .. ايضا

لقد لاحظت فى المهرجان الادبى بالمنصورة اشياء كنا نود الا تكون ، وليس منها فقط كما سبق ان ذكرت ان المهرجان لم يكن له منهج محدد ، وكذلك الكلمات التى القيت لم يكن فيها تنسيق واضح ، فهناك اشياء واشياء ، كان بعضها دخيلا على المهرجان ، وبعضها الآخر تطاول عليه .

اما الدخيل مثلا فعرض الازياء الذى كان عقب كل ليلة ، حتى اسعار الازياء كانت فوق متناول متوسطى الدخل ، وكذلك الغناء الذى كان ختام كل ليلة ، حيث غنى الدوكالى وشفيق جلال ، فجلبا الى (السينما) مقر المهرجان جمهور الترسو الذى كان عاملا بغوغائه فى افساد ليلة باكملها لم نستطع أن نستمع الى متحدث ، وقد تألم جمهور المثقفين لموقف الدكتور زكي نجيب محمود، وعبد الملك عودة ، فقد القى الاول كلمته على مضض ، واكتفى الآخر بالقاء مقدمة حديثه وغادر المنصة آسفا ، وكان ان حرمنا حديثين دراسيين على جانب من العمق ، فى الحرية والتفرقة العنصرية .

واما المتطاول على المهرجان فموقف المخرجين : حسن الامام وعاطف سالم حيث تحدثا عن نفسيهما دون مبرر ، وموقف الاستاذ احمد حرك المحرر بالجمهورية حيث صال وجال فذكرنا بخطب المرشحين للانتخابات فى معمعة المعركة ، ثم موقف الشاعر محمد الجيار ، الذى رضى لنفسه ان يلقى فى كل ليلة قصيدة بالاضافة الى قصيدة الاستاذ كامل الشناوى بالنيابة عنه ، فاختلس وقتين كان احق بهما ادباء المحافظة المقيمون بها .

كنا ننتظر ان تعقد ندوة آخر المهرجان لتقييم المهرجان نفسه ، وهذا مالم يحدث ، وحين اعلن الاستاذ طاهر ابو زيد انه سيسجل حلقة من حلقات راى الشعب للتليفزيون ، انتظرنا أن تكون الحلقة تقييما للمهرجان ، ولكن الأسف ، كانت الحلقة سطحية الى ابعد حدود السطحية ، والاسئلة كانت مسفة للغاية ، ولم يستطع الجمهور استغلال اشتراك الأدباء المعروفين ومنهم الاساتذة : محمد التابعى ومحمد عودة واحمد عباس صالح والجيار وعقيل مظهر سكرتير المحافظة ، والدكتور عز الدين اسماعيل .

واخيرا ، انتظرنا ان تسد الصحافة القاهرية هذا الفراغ وقد حضر المهرجان الكثير منهم ، ولكن الذى حدث فقط ، ان نشر الاستاذ صالح جودت فى المصور صفحتين ليس فيهما الا سطور سريعة عن المهرجان ، وامتلأ فراغهما ببعض صور من مناظر المحافظة .

وكتب الاستاذ احمد عباس صالح فى جريدة الجمهورية كلمة عابرة ، ورأى فيها : **أن يكون عمل المهرجان دراسة عملية لنشر الفنون فى المنصورة ، وللاستفادة من العناصر الموهوبة فى الاسهام فى الحركة الثورية التى تعيشها البلاد ، كما رأى ان الموضوعات التى طرقها الشعراء لم تكن جديدة ، بل ان الوجوه التى ظهرت على مسرح المنصورة هى الوجوه التى ظهرت من قبل على مسرح الاسكندرية فى المؤتمر الخامس للشعر ..**

اما الاستاذ فاروق منيب فقد كتب مقالا جيدا فى جريدة المساء ، ورأى انه يجب أن تحدد الموضوعات وتعد اولا ، وانتقد عرض الازياء، وقلة المتحدثين من ادباء المنصورة المحليين ، حيث كان اغلب المتحدثين من ادباء القاهرة .

ولم يرض الكاتب الاديب وهو يأخذ على المهرجان عدم تحديد الكلمات ، ان القيت كلمة فى التفرقة العنصرية واخرى فى الفلسفة الاسلامية ، وهو يقصد بالطبع كلمة الدكتور عبد الملك عودة عن (التفرقة العنصرية) رغم ان الدكتور ذكر ان كلمته كلف بها من المسئولين عن المهرجان ، واى غضاضة فى ان تثار قضية انسانية فى مهرجان ادبى وأن تعبىء شعور المثقفين لها .

ويقصد بالكلمة الاخيرة كلمتى التى القيتها عن : (الاسلام وحرية الرأى) وقد طلب منى تحديد كلمتى قبل سفرى فاخترت هذا العنوان ، وبالطبع لم تزحم المهرجان الادبى الذى عرضت فيه الازياء، وغنى المطربون .

لقد اقترحت عقب كلمتى ان يطلق على المهرجان (مهرجان الفكر) ليشمل الادب والدين والفن والعلم ، فمن حق شعب المحافظة كله أن يستمتع

بالمهرجان ، ومن حق الطاقات الموهوبة فيه ان تبرز شخصياتها .

ومن حقنا ان نهمس فى آذان الشاعرات اللائى شرفن المهرجان ، فقصائدهن ـ بحق ـ دون المستوى اللائق بمهرجان ادبى اذا استثنينا قصيدتى الشاعرتين : جليلة رضا ، وروحية القليني ، ثم قصيدة الشاعرة الفلسطينية سميرة ابو غزال .

وليت شاعراتنا جميعهن آثرن السلامة فانبن عنهن من يلقى قصائدهن ، فشعرهن لا يصلح الا همساً ، القاؤهن لا يجدى الا حول الموائد المستديرة ، اما اخطاؤهن اللغوية فى الالقاء ، فقد اختلست بعض الرقة والعذوبة التى تخللت احيانا قصائدهن .

وبعد ـ فهذا عرض سريع لما قيل فى المهرجان، ليس المقصود من هذا العرض تقييم مادته ، وانما لتتبين عما اذا كان ماقيل وما حدث فى المهرجان دليلا على نجاح المهرجان ام لا .

وقد عرضت للشعر ولعله لم يؤد الرسالة على اكمل وجه،كان بعضه مكررا وبعضه ضعيفا ، وكلاهما لم يتصل اتصالا وثيقا بمشاكل الناس وقضاياهم وليس من الانصاف الا اقول :

ان هناك شاعرين من شعراء الشباب ، كان لقصيدتيهما اثر فى نفسى ، وان لم يعطهما جمهور المشاهدين حقها من التقدير :

اولهما الشاعر محمد احمد العزب ، وهو من احدى قرى المنصورة وعلى صلة وثيقة بمشاكل اهله ، القى قصيدة عنوانها : «مات يوما» جاء فيها:

فى قريتى حيث يغفو أبى وامى ترابا
وحيث ينهل حبى على ثراها سحابا
فرشت اهداب عينى على الدروب قبابا
اجتاحها ملء شوقى .. دجى .. وطينا .. وغابا
وذكريات تلوت على يدى أسرابا
والف أمسى غريبا يدق بابا .. قبابا
لبحصد الليل شكوى .. ورعشة .. وعذابا
ورحت أسال قوما عنه .. اناشد قوما
فتمتموا : مات يوما .. فقلت : ماعاش يوما

والشاعر الآخر هو انس داود ، القى قصيدة عن (طفل فى طريق الحب) كان هذا الطفل هو ماسح الاحذية وقد جاء فيها :

وطوف حول متكئى صبى ضارع النجوى
بعينيه مآسيه وتاريخ من الشكوى
وفوق جبينه رسمت ملامحها يد البلوى
ينقر فوق صندوق صغير يبعث الشجوا
ويلهث خلف اقدام الالى مروا بلا جدوى
تردد حين ابصرنى : ايرجع خائب النجوى ؟
واوما لى : اتسمح ان المعه كما تهوى ؟
فاسلمت الحذاء له ليشبع لونه زهوا .. !

وبعد مرة اخرى : فاذا كان المهرجان قد جاء سريعا لم تسبقه دراسة ، ولم توضع له خطة أو منهاج ، ولم تحدد له اهداف ، واشترك فى هذا التقصير المشرفون على المهرجان الادبى فى المحافظة ، وادباء المحافظة الدقهليون المقيمون بالقاهرة ، فلست ادرى كيف تجاهل هؤلاء جميعا ادباء الدقهلية وشعراءها ومفكريها الراحلين ؟

واذا لم يقدر لهؤلاء الذين خلدوا تاريخ الدقهلية بامجادهم ان يذكروا فى مثل هذا المهرجان الادبى فمتى يذكرون ..

ان الكلمة التى سترت الموقف هى كلمة استاذنا الزيات التى القيتها نيابة عنه فى المهرجان ، وهى تحية الى الشاعر الراحل على محمود طه ابن المنصورة ولكن الادباء العمالقة المقيمين بالقاهرة الم يجدوا من المراجع ما يجعلهم يتحدثون عن امثال : على مبارك ، وأحمد لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، واسماعيل مظهر ، والشاعر اسماعيل صبرى ، والشاعر احمد الزين ، والشاعر ابراهيم ناجى ؟

اعتقد انه اذا استسغنا ان ننسى هؤلاء جميعا ، وهم جزء من تاريخ الامة العربية باسرها ، فكيف استسغنا ان نعق ذكراهم فى مهرجان ادبى يقام فى عاصمة اقليمهم الذى نشاهم ، ويستمر اياما ثلاثة بلياليها .. ؟

ان التكريم الذى اغدق علينا خلال ايام المهرجان الثلاثة ، ولقاء السيد المحافظ الطيب لنا ، وادب وذوق السيد سكرتير المحافظة اللذين اضفاهما علينا ، كل اولئك لا يحول دون ان نقول كلمة حق، فى مهرجان ادبى كبد المحافظة ما كبدها من نفقات ، وكبد الشعب هناك ماكبد من سهر ، وكبدنا نحن ما كبدنا من مشقة السفر ، وانا واثق بعد ذلك ـ ان المسئولين لن يضيرهم النقد البرىء لعمل ادبى كبير ارادوه ان يكون تجربة اولى .

محمد عبد الله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

جناح الأحداث

تأليف : جين شزال
ترجمة : عبد السلام القفاش

يحتوى الكتاب على دراسة قيمة لأسباب ونتائج جنوح الاحداث - والدعوة الى اهمية وضرورة النظر اليهم على انهم بشر - دفعتهم ظروف حياتهم الاسرية والنفسية - وتكويناتهم الشخصية - الى وضع اصبحوا يحسون فيه انهم ملفوظون من المجتمع.

.. والكتاب ينطوى على قيمة عظيمة لما يشيع فى ثناياه من ايمان جارف بقدسية الشخص الانسانى - ودعوة مخلصة الى تحرير نظرتنا اليه من كل ما يشوبها من متواترات العرف البالى والتفكير المتحيز المتعنت الذى يدور فى افق ضيق ، ويجرد الواقع الانسانى من ثرائه وتنوعه وتعقده بصبه فى قوالب جامدة فقدت نضارة فحواها .

ويوضح المؤلف فى مجال عرضه لاسباب جنوح الحدث - أن سوء التغذية يؤدى عادة الى زيادة عدد الجرائم الاقتصادية من قبيل السرقات والتبديد والصفقات غير المشروعة بكافة انواعها - كما يضر بنمو الحدث - الفسيولوجى - فيبعث فيه استجابات تتسم بعدم الاستقرار وتدفعه الى التخلف عن المدرسة ، والهروب من الاسرة والتشرد فى عصابات من اترابه - **وبرى المؤلف أن السينما تأثيرها المباشر والفعال فى مجال جنوح الاحداث ، فالصورة السينمائية تفرض نفسها على الحدث فرضا - وهى فى حد ذاتها مثير قوى تزيد قوته خطورة ظروف العرض بالذات - من اظلام الصالة - وعزلة المشاهد - ونصوع الشاشة والايقاع المصاحب للعرض - والحدث الذى يلازم الشاشة اطول مما ينبغى يسبح فى عالم سينمائى وتتراءى له الصورة الفيلمية اقوى تعبير ينبض حياة عن الواقع - والفنان السينمائى « حاو » ومشعوذ - فبفنه يختفى الطابع الزائف - الاختلاقى - الشاذ - أو الا سستثنائى لموقف ما - والافلام المرضية السامة - التى تغلب فيها مشاهد العنف والتعذيب والاختطاف والاحتجاز والتى يتعهد فيها ابطال فوق البشر مغامرات لا نهاية لها وينتحرون على اشد العقبات - تلك الافلام الهدامة التى يلفها جو من الاثارة الجنسية العاتية.** ومن البهيمية حيث تتخلى المرأة عن كرامتها - فتغدو مجرد موضوع مغامرة - وبرؤية الحدث المتجددة دوما لهذه الافلام - يندمج فى طريق الجريمة والزيغ ، ويغدو الخيال هو الواقع بالنسبة اليه وتتشبع به افعاله واتجاهاته بقدر يتزايد باضطراد - ويتفاقم شر الحوافز المعادية للمجتمع التى استطاع من قبل أن يكتنها فى اعماقه او يعتنها فيه يئته .. وتعظم خطورة هذا التأثير عن طريق التشرب ، بموجب أن الحدث يميل الى أن يتقمص شخصيات الشاشة الذين لفظهم المجتمع من حظيرته . ويرى المؤلف **أن ثمة عوامل أخرى** عديدة - تشوئية - **تؤدى دورا فى تسبيب الجناح - وتسفر عن حيل** نفسية أخرى - **ذلك بان الحدث، نتيجة لنقص الاشراف العائلى - وهو نقص يرجع فى الاغلب والاعم الى ظروف معيبة فى السكن والى التفكك العائلى - والسلوك الناشز للوالدين - اللذين يعتقدان** انه يجب أن يكون ابنهما - بمنزلة الرفيق منهما - ويعجزان عن التوفيق بين الحنان والحزم - ومن هنا تزدهر مركزية الأنا فى ابعد صورها عن الاحتمال - فالحدث يعتبر نفسه مركز العالم - ولا يرى الا ان له حقوقا - ويستغل ضعف ابويه ويلجأ الى أساليب ابتزاز حقيقية - ويعمل على الحصول من احدهما على ما يحاول الآخر منعه عنه

ويقول المؤلف ..

« كيف يتفق انه من بين الاحداث والمراهقين الذين توجههم بيئتهم او فرديتهم العميقة الى سلوك عدوانى ، يغدو بعضهم — دون الآخرين — جانحين؟

ويجيب الكتاب بأن تلك هى مشكلة « الانتقال الى الفعل » — فلا نزاع فى أن العوامل التشويئية الخارجية والداخلية التى انصب عليها انتباهنا تنال من مراس وظائف الضبط — فهى تتداعى تحت دفع الاندفاعات العنيفة المباغتة — او تحت ضغط طاقة عصبية مكبوتة . وفى حالات اخرى — تكون وظائف الضبط العليا — الشعور بالمواقف . والامكانيات الارادية — هى نفسها معيبة ، ناقصة ، بليدة خاملة او مكفوفة . وفى طائفة ثالثة من الحالات ، يرجع انعدام الضبط الى اشراف سيىء — او نقص فى صوغ القيم الاخلاقية على المستوى المزدوج .. مستوى الشعور والوجدانية — نستطيع اذا ان نرى انتقالا الى الفعل او عزوفا عنه لتفاوت العوامل التى ذكرنا انماط تاثيرها الاساسية عمقا وائتلافا . كما ان حالة الشخص البيولوجية النفسية فى نفس اللحظة التى يرتسم فيها مشروع الفعل الآثم تنطوى على اهمية عظمى — فكم من جرائم تقترف لان فاعليها الشبان كانوا فى فترة من الاعياء — او تبدد القوى ، او نقص العزم أو اختلال التوازن المميز للبارغ .

ولا يسعنا أن ندرس مشكلة الانتقال الى الفعل دون ان نشير الى المواقب المترتبة على نزوع بعض الاحداث الى الاستعراض النفسى والتهاب خيالهم — وقابليتهم للاستهواء ونزعتهم الطفلية المشبوبة بمسحة اسطورية — ويغلب عليها طابع اللعب — فهم يقطعون صلاتهم بدوافع — ويحيون شخوصا وعوالم خيالية ينقلونها من بعد بسهولة الى الواقع . وينساقون الى الهرب والجرائم التى كانت من قبل تملأ رواياتهم الخرافية من اختلاف مخيلتهم .

وافرد المؤلف فصلا خاصا بقضاة الاحداث على اساس انهم هم الذين يقررون مستقبل الجانحين منهم فيرى انه ينبغى أن نجعل الحدث الذى اقترف اثما يفهم اننا ننشد تأهيله لاحتلال منزلته الصحيحة فى المجتمع ، وعلينا مع ذلك الا نجرد مفهومى الاثم والجزاء عن كل مضمون فلا يكفى ان يعرف قاضى الاحداث كيف يتغلب بموقفه على هذه الصعاب والتناقضات . بل لا غنى له عن ان يعرف كيف يخلق جوا معينا حول الجانح الصغير . جوا من الثقة يؤدى بالحدث الى أن يجيب على الثقة بثقة مثلها وباحترام الالتزامات المعتنقة . جوا من الصدق يلزم القاضى بعدم الجوء الى الحيلة لمعرفة الحق ، وبأن يؤثر دائما ان تنتصر الصراحة المخلصة . — وكذلك جوا من الامن — فالقاضى يمثل عند الحدث مجتمعا يملك حق فرض قيود على حب الاذى وعلى ضروب الانانية وعلى نزوات الافراد ولكنه يمثل فى نفس الوقت صورة الاب الذى لا تمنع صرامته محبته .

واذا كان يجب على قاضى الاحداث أن يخلع معنى تربويا على وظيفته ، فان عليه أيضا أن يباشر وظائفه بروح اجتماعية ولا بد له من ان يقبل الحوار مع انسانية مثخنة بالجراح فى الاغلب . ولابد له من أن يعرف كيف يمنح صداقته للانسان وأن يكون وعيه الاجتماعى متقدا بما يكفى لتوجيهه الى الشعور بصلته الوثيقة عديمة الانفصام بالبشر الآخرين — فى شركة روحية تستلهم مفهوم التعايش اكثر من استلهام مفهوم التباين .. وبعد ان عرض المؤلف لاصلاح الاحداث الجانحين — ونتائج هذا الاصلاح — واحتمالات المستقبل لمحاكم الاحداث ..

إختتم بحثه بقوله :

ان الحكم القضائى على الحدث لا قيمة له مالم يعبر عن فعل من التضامن والصداقة .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

بين وزير وشاعر

انتهت مدة خدمة الشاعر محمود غنيم المفتش العام للغة العربية ، فتعب في الاتصال به طالبوه الذين كانوا يتصلون به عن طريق مكتبه ، فبعث الى السيد وزير المواصلات بالابيات التالية :

كن لي نصيرا يا خليل
يا صاحب الحسب النبيل
قد صرت بعد تقاعدي
من بعض أبناء السبيل
لا يهتدي أحد الى
ولو سعى لي ألف ميل
بيتي بدون مسرة
مثل الفلاة بلا دليل

ولما أمر السيد الوزير بتركيب تليفون بمنزله بمصر الجديدة شكره بالابيات التالية :

أنا ان شكرت لمصطفى
فبشكره يقضي الوفا
أسدى الي يدا أرق
من النسيم والطفا
قد كنت سرا خافيا
فالآن قد برح الخفا
والآن أصبح منزلي
علما كمروة والصفا

محمود غنيم

لا تظلموا لغتكم

لشد ما تكون دهشتي حين التقي بشاب فأتحدث معه ثم أسمع منه أثناء حديثه حشدا ضخما من الكلمات الاجنبية يدخلها ـ عمدا ـ في ثنايا لغته القومية ظنا منه أن هذا مما يضفي على لغته جمالا وروعة !!وليست أمثلة هذا الشاب بقليلة في عصرنا هذا . ومما لا شك فيه أن تعلم اللغات الاجنبية ضرورة ينبغي على كل مثقف أن يكون محيطا بها ليتسنى له الاطلاع على الثقافة الغربية بمختلف أنواعها حتى تتفاعل مع ثقافته العربية فيكون بذلك ثقافة عصرية ممتازة . وضرورة أيضا من حيث انها تمكنه من الاطلاع على ادعاءات الغرب واتهاماته الموجهة الينا والى تراثنا فيتسنى له دحض هذه الافتراءات ان استطاع .

اما أن نتعلم اللغات الاجنبية لنتخذ منها سلاحا نهاجم به لغتنا القومية العربية في عقر دارها فذلك ما تأباه الروح العربية ويأباه واقع عصرنا العربي الحاضر الذي نسعى فيه جاهدين لبعث كل الوسائل التي نحيي بها قوميتنا العربية الاصيلة ، ولا شك ان اللغة العربية تسهم في ذلك بنصيب لا ينكر .

واننا حين نصنع هذا الصنيع حيال لغتنا انما نساعد المستعمر في حربه الطاحنة على هذه اللغة التي طالما أراد أن يخمد أنفاسها فأعياه ذلك !

وليت شعري : أهذا ازدراء منا للغتنا القومية أم جهل بها ؟؟!!

عبد الرحمن أحمد محمد سالم
كلية دار العلوم

عيد الشعر في الاسكندرية

لقد كان مهرجان الشعر الخامس فرصة سانحة ، اتاحت لي ان أشهد بعيني رأسي ملوك الكلمة الجميلة، وهم يتعاقبون على المنصة ، ينشدون أشعارهم ، فتتلقفها الاسماع ، وتهتز لها القلوب ، فتنطلق من الاكف تصفيقات كالرعود ، يرن صداها مع همس الاعجاب في سماء القاعة .

أيام ستة ، هي عمر المهرجان ، لبست فيها الاسكندرية ثوب الزينة والنشاط والتحمس وقد كان اليوم الاول يوما مشهودا ، رأيت فيه أستاذنا عباس محمود العقاد لاول مرة ، وما أن وصل الى باب قاعة المؤتمر ، بقامته الفارعة ، وشخصه الجليل المهيب ، حتى كان تصفيق الحاضرين قاصفا متواصلا، وأخذت الناس نشوة من جلال القدر ، ورجاحة العقل، وعبقرية التأليف ، فاستمروا في تصفيقهم ، فوقف يحييهم بكلتا يديه مرات في تجاوب حنون حتى سكنوا .

كان في حسباني وتقديري أن أرى أديبنا الزيات يلقي كلمة في عيد الشعر ، ليكتمل عقد المؤتمر بحضوره ، وتنتشي الارواح بسلافة حديثه ، فتموج القاعة بالايدي المصفقة والاعناق المشرئبة ولئن كنا حرمنا كلمته المبتغاة في هذا المهرجان ، فاننا نطمع أن نحظى بها في المؤتمر القادم ان شاء الله .

الاسكندرية : بديعة محمد سبح الله

تصويب

حدث خطأ منا فى أثناء نقل القصيدة « أصابع يد واحدة » التى نشرت بالعدد ٢١ من مجلة « الرسالة » ، فى البيت الاول ، فنشر على النحو التالى :

صعودا .. فان ذرى الميعاد .. تقترب
صعودا .. ولا تخش شيئا .. انا عرب

وصحة البيت كما هو موجود بالديوان :

اصعد . فان ذرى المعاد .. تقترب
اصعد .. ولا تخش شيئا .. انا عرب

لم تتوالى الابيات جميعا متآلفة على هذا الوزن .

محمد الجيار

آن الاوان

آن الاوان : لكى يتعمق الرجل والمرأة مفهوم رسالتهما فى هذه الحياة العاملة المتحركة وبعيدا سناء الحق والفضيلة والشرف والمروءة ، ولآداب الدين قدسيتها ولقيم الاخلاق صدارتها . ولتعاليم الاسلام وضعها ومكانها .

آن الاوان : أن يبذل الرجل والمرأة ماق وسعهما وطاقتهما لتطهير المجتمع العربى والاسلامى مما علق به من صدأ وما لا يتفق مع قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا وتطور مجتمعنا .

آن الاوان : لكى يقوم الرجل والمرأة بأداء رسالتهما كاملة كل بما هيأته له الطبيعة البشرية من وظائف وأعمال . اذ أنهما فى هذه الحياة «كمصنع اشتراكى» وزعت أعماله عليهما معا .

والرجل والمرأة يكونان الوضع العام للحياة فى مقتضياتها وأعمالهاوتبعاتها ومسئولياتهاومستلزماتها وهما فى هذا الوضع قوتان تعملان وتكتسبان وتوجهان وتحافظان وتساعدان .

آن الاوان : لكى تنطلق الآداب الاسلامية من جديد على أكتاف الرجل والمرأة . وترسل اشعتها وانوارها فى أصقاع العالم وأركان الدنيا .

آن الاوان : لكى تنطلق الثورة الدينية الرابعة . تلكم الجذورة المتقدة التى لا يخبو ضوءها . ولايختفى لهيبها ولا تضعف حرارتها ... هذه الثورة التى ينتظرها الناس فى كل مكان وسوف تكون الحدث التاريخى العظيم الذى يسجله التاريخ بفخر واعتزاز

آن الاوان : لتجمع الشمل وتوحد الاهداف ونلم الشتيت . ونكون أخوة فى الرخاء والشدة ونطهر مجتمعنا من الاقزام والمتمردين والمتدروشين والمتزمتين والمنافقين والكسالى .

وما أجدرنا جميعا فى مجتمعنا العربى أن نكون شعلة قوية غير هيابين ولا وجلين « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا » ، كلا لم يخلقنا الله عبثا .. انما خلقنا الله لرسالة انسانية رفيعة .. !

أحمد عبد الرحيم السايح
كلية أصول الدين

***

دعوا البراعم تتفتح

تسابقت الاقلام فى تعريف الادب الاشتراكى .. وما هو الذى نحتاج اليه ؟ . وما هو الادب الذى لا نحتاج اليه ؟ .

ولست أدرى الحافز الى هذه الآراء . فما هو المقصود بالادب الذى نحتاج اليه ؟ . هذا السؤال اوجهه الى كل من دخل حلبة السباق من أساتذتنا الكبار . وأقول لهم :

اخرجوا الى الىالحياة فى قوة وثقة .. وعبرواعن مشاكل مجتمعكم بصفة خاصة ، ومشاكل الانسانية بصفة عامة .. ثبتوا المبادىء والمثل العليا .. نادوا بالسلام ، واعملوا من أجله .. عبروا عن هذا المجتمع الصاخب الذى يبنى نفسه بنفسه ، وعن هذه الامة الناهضة التى ترتفع فى قوة واصرار ، وتنفض عنها كل الاتربة التى علقت فى جسمها ومنعتها فى الماضى من التقدم .

لا انكر أن للأدب رسالة سامية فى مجتمعنا الجديد الذى نبنيه .. فرسالة الأدب ــ فى رأيى ــ هى التعبير عن الحياة .. على الادباء أن يعبروا عن تلك المعانى الانسانية التى حملها الادب ــ ولم يزل ــ عبر الدهور . وأما هذه الضجة التى قامت حول مفهوم الادب فى المجتمع الجديد .. فهى جعجعة بلا طحن ، وهى غير قادرة ــ للاسف ــ على اقامة أدب بمفاهيم وآراء .

يا أدباءنا : دعوا الزهور تتفتح ، واتركوا للأديب حرية التعبير .. وافسحوا الطريق للاقلام الشابة ، لان الشباب وديعة المستقبل .. وسوف يحمل على عاتقه عبء بناء أمته الناهضة .

دعوا البراعم الجديدة تتنفس فى الهواء الطلق وتبسط آراءها من غير حرج . دعوا الادباء يكتبون فى حرية .. دعوهم يعبرون عن مجتمعنا الجديد .. عن آلامه وآماله . وبعد هذا ، انظروا الى هذاالادب وقوموه ووجهوه ، فلسوف تجدون ــ حينذاك ــ أدبا قد تحددت معالمه وتأصلت جذوره .. فاذا بالادب

الجديد مرتبطة بمجتمعه ، هادف الى بنائه بناء سلميا .

ويا أساتذتنا الكبار : اهتموا بالبراعم الجديدة . واتركوا تلك الآراء المتضاربة التى نالت - بلا شك - من جهدكم .. وأصابتنا - نحن الشباب - بالحيرة والقلق والضياع . فان للادباء رسالة أسمى من الرسالة التى يفرضها هؤلاء الذين يتداولون الرأى ثم يرجحون ما يرون فيه الصواب .

دعوا البراعم الجديدة تتنفس فى الهواء الطلق .. واعطوهم حرية التعبير ، حتى نستطيع أن ندخل بادبنا العربى مرحلة جديدة ، ونشارك فى ركب الحضارة . وحتى يستطيع ادبنا ان يعبر عن التجارب الانسانية العميقة التى يزخر بها عالمنا .

الجيزة - حسنى سيد لبيب

***

مزيدا من التفسير لحيرة الشباب

اعجابى الشديد باستاذنا الدكتور محمد احمد خلف الله ، فقد لمس وترا حساسا ووضع يده على قضية من أخطر القضايا التى يمر بها جيلنا المعاصر الا وهى « حيرة الشباب » .

والحقيقة أنها مشكلة تحتاج الى حل جذري سريع وحاسم ، منعا لكثير من الاخطار التى تهدد شباب هذا الجيل وتجعله فريسة للانحرافات ونهبا للضياع .

ان كثيرا من شباب هذا الجيل يعانى حقا من عدم ادراكه لهذه الصلة التى يمكن ان تقوم بين حضارتنا الجديدة وتراثنا القديم بعد ان شعروا بأن هناك اختلافا فى الاسس الفكرية التى تقوم عليها هذه الحضارات فى العصور المختلفة .

والواقع اننا - كشباب - نريد المزيد من الايضاح ونريد المزيد من التفسير ونريد الكثير من الكلام من هذه الناحية التى طرقها استاذنا والتى علل لها اسبابا ثلاثة .. هى فى الواقع ليست كل شىء .. وهى فى الواقع أيضا تحتاج الى المزيد من التفسير أرجو أن يفرد له مقالات أخرى ..

اننا نحترم أستاذنا ونقدر حديثه ونضع آراءه موضع الاعتبار ولكنه - كأب - لهذا الشباب تنتظر منه المزيد ... حتى نستطيع أن نعرف حقا علة تلك الحيرة وسبب ذلك القلق الذى نعانيه وتطابق بين ما يكتب وما نحس به فلعل وعسى أن ينير الطريق ولعل وعسى أن نعرف الى أين نسير .

محمد يونس عبد العال
المنيا

حول الادب الاشتراكى

فى البريد الادبى «العدد ٢١ من الرسالة العائدة» عقب الاستاذ مصطفى السيد الجبريني على قول الاستاذ عبد الرحمن الخميسى (... ولكننا أشد ماتكون حاجة الى الادب الذى يكشف لنا عن العيوب المتخلفة فى بعض النفوس من الماضى البغيض ، ويصور مدى فساد تلك العيوب وعرقلتها لنهضتنا الحديثة ..) .

وتعجب الأستاذ الجبريني أن يصدر هذا من مثل الاستاذ الخميسى ، قائلا : ان الماضى البغيض وماكان يحمل قد اصبح فى خبر كان بعد الثورة ، وان حياتنا بعد الثورة ، فيها للادب من المواضيع الكثيرة ... بناء السد العالى ، الوادى الجديد ، الاتحاد الاشتراكى .. الخ .

وبديهى أنه لا يفرض على الاديب موضوع بعينه .. دون موضوع ، فميدان الادب الحياة بأسرها ، وليس هناك موضوعات أدبية وموضوعات غير أدبية ، والصدق الفنى وهو الذى نتطلبه من الاديب ،يتنافى مع فرض الموضوع عليه ، ذلك انه قد يفرض عليه موضوع كموضوع الوادى الجديد مثلا ، ثم يتناوله ، دون أن ينفعل به ، ودون أن يعيشه فى أعماقه ، فيولد هزيلا ، فاقد الروح والاثر !

وما زال الاديب الكبير نجيب محفوظ يصور فى أحدث رواياته - الطريق - انعدام القيم فى مجتمع ما قبل الثورة ، فيثيرنا ، ويجعلنا نشعر حتمية الثورة وأسبابها ، فنتعطف مع روحها ومبادئها ، تلك اليد القوية التى أطاحت بهذا الفساد وهذا الضياع .. من جذوره .. الضاربة فى الارض ، فنعيشها حريصين عليها .. !

وما ينبغي لنا أن ننسى المشاكل والقضايا العربية الكبرى ، التى يعيشها الانسان العربى فى الوقت الحاضر ، وصلتها الوثيقة بماضينا قبل الثورة .. ! وثورتنا - بعد كل ما حققت - لم تحقق اهدافها الكبرى بعد ! ، وكيف ننسى ذلك وما زالت أجزاء عزيزة وغالية من عالمنا العربى ، يسودها الاجنبى ، ويحبو انسانها ، ويحاول ان يعى دوره فى الحياة ، وتعوقه العراقيل من داخل نفسه وخارجها ... نفس العراقيل التى حطمت حياتنا سنين وسنين !

ان الاستاذ الخميسى مصيب فى ذلك التقدير .. فنحن أشد ما نكون حاجة الى الادب الذى يكشف لنا عن العيوب المتخلفة فى بعض النفوس من الماضى البغيض ، ويصور مدى فساد تلك العيوب ، وعرقلتها لنهضتنا الحديثة .

محمد محمود شمس


الدار القومية للطباعة والنشر

